سورۂ فاتحہ الکتاب	۱
سورۃ البقرہ	۵
سورۂ ال عمران	۱۱۷
سورۃ النساء	۱۶۸
سورۃ المائدہ	۲۱۳
سورۃ الانعام	۲۵۵
سورۃ الاعراف	۲۹۹
سورۃ الانفال	۳۴۶
سورۃ البرآۃ	۳۹۹
سورۂ یونس	۴۱۴

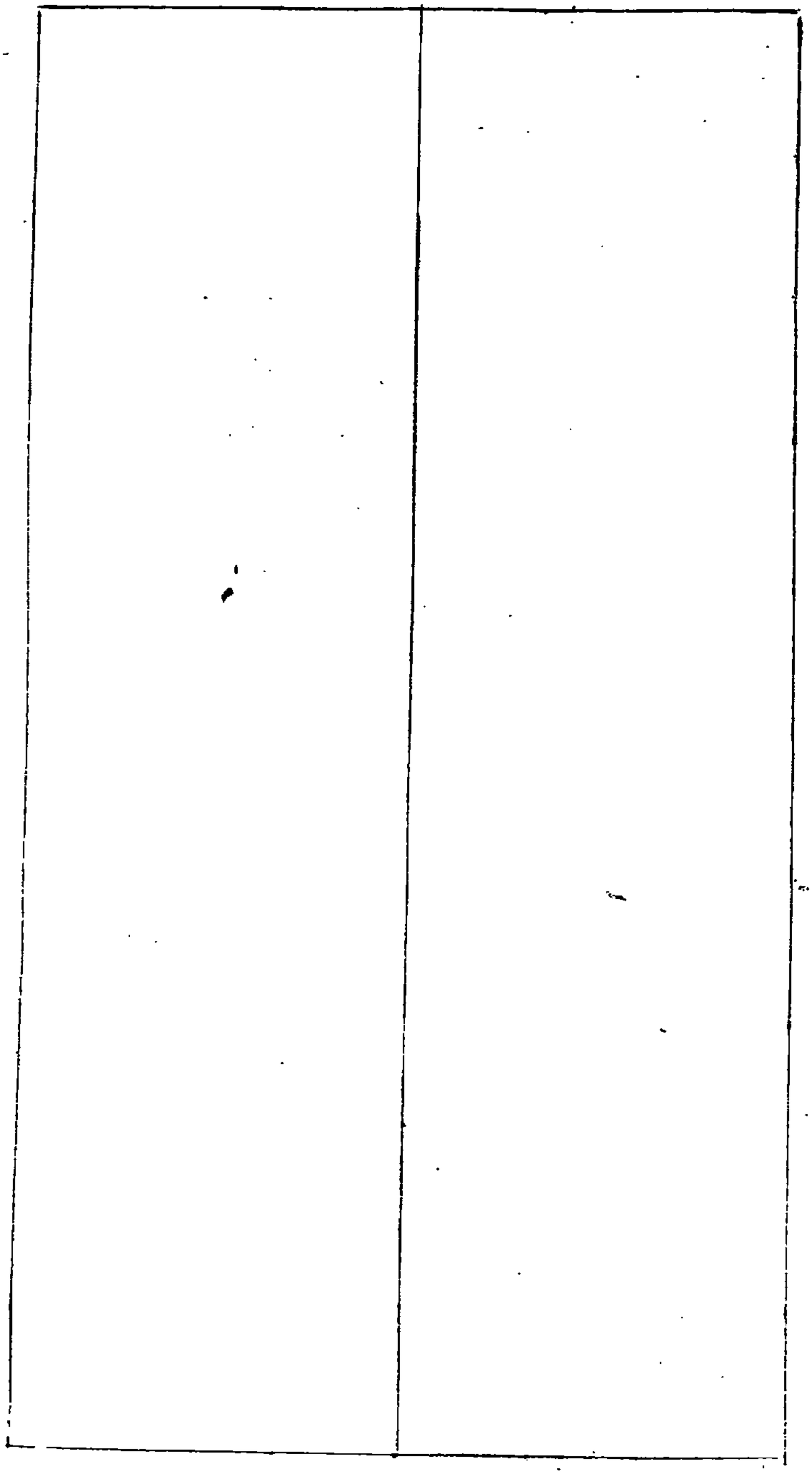

سورۃ ھود	۳۹۹
سورۃ یوسف	۴۱۲
سورۃ الرعد	۴۳۰
سورۃ ابراھیم	۴۳۹
سورۃ الحجر	۴۴۵
سورۃ النحل	۴۵۱
سورۃ الاسرآء	۴۶۱
سورۃ الکھف	۴۷۶
سورۃ المریم	۴۹۱

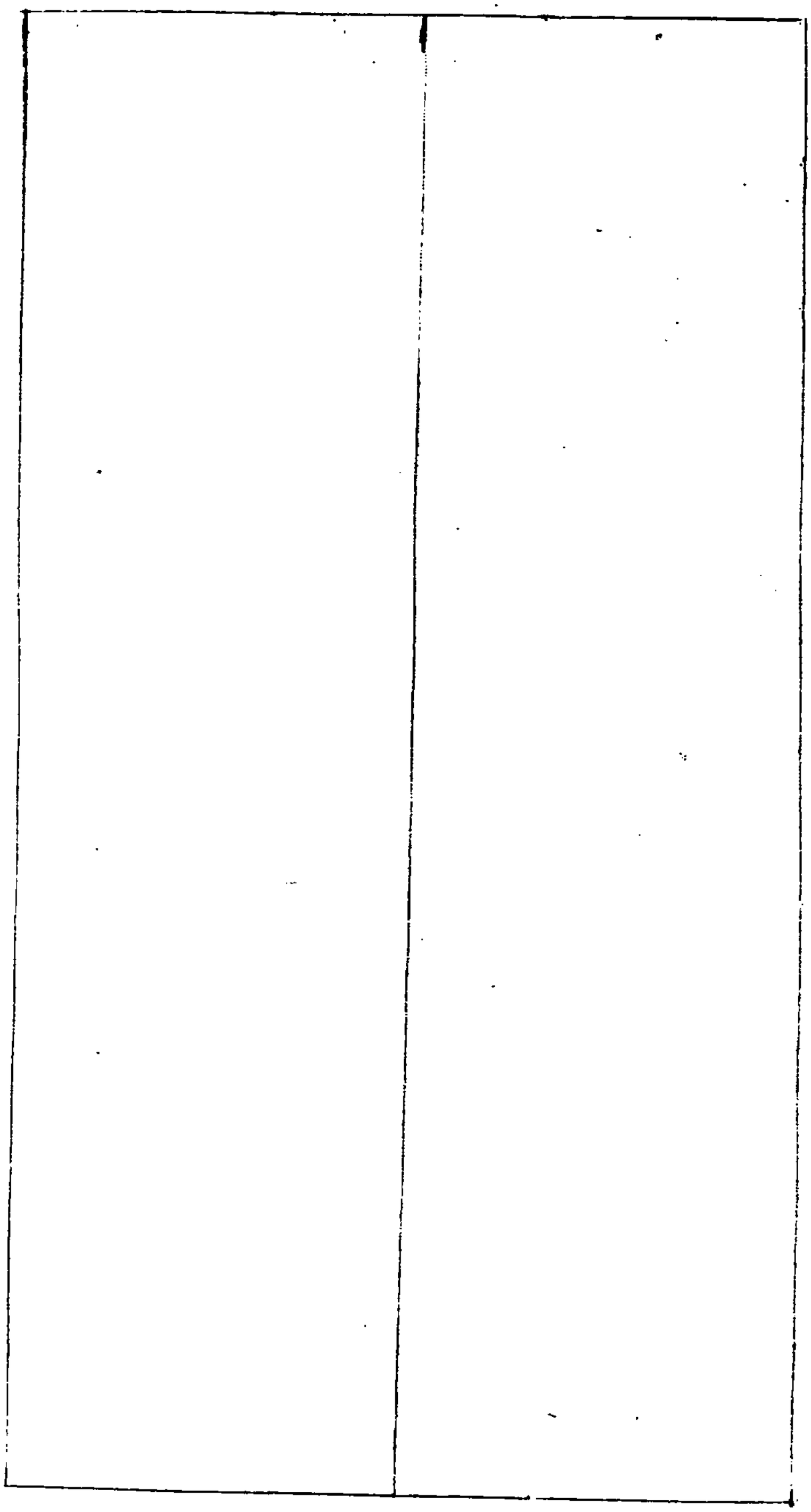

كتاب تفسير القرآن العظيم
المسمى بالنهر تأليف علامة عصره وعمدة
زمانه الامام الاعظم المسمى
بأبي حيان نفعنا الله تعالى
والمسلمين ببركاته وبركات
علومه آمين آمين آمين
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب
العالمين
تم

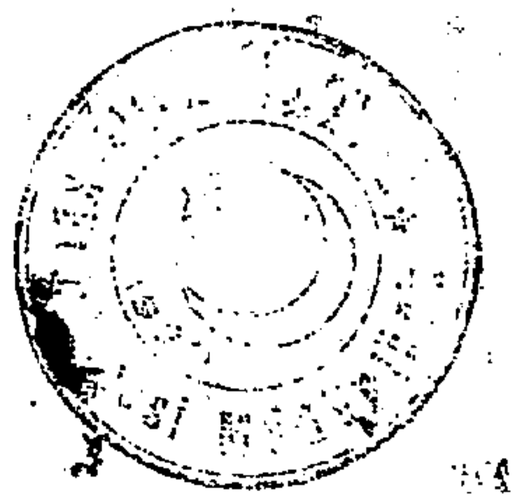



١٥١

MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : H. Alipaşa
ESKİ KAYIT 151
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
قال شيخنا الامام العالم العلامة الحافظ سيبويه الزمان ابو حيان
محمد ابن يوسف بن علي رضي الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين
بركاته وبركات علومه امين. تبارك الله احسن الخالقين. وسورة
سنتوضح. ومن فضلك استمنح. وعلى توفيقك استنجح.
وعلى رسولك محمد صلى الله عليه وسلم وآله ارضني مصليا
مسلما واضح. وبعد فاني لما صنفت كتابي الكبير
المسمى بالبحر المحيط في علم التفسير. عجزت عن قطعه
لطوله الشاق. وتكلت له عن اقتناصه الشارد
منه والسارح. فاجريت منه نهر البحر عيونه
وتلتمس فيه بارد كارعونه. ليبتاط الكسلان في
احد اخاليه. ويضرب عن الظمآن تارة شاف زلال
وتارة شاء في هذا النهر ما لم يكن في البحر. وذلك
ليجد ناظر المستخرج للآليه المستنبط بالفكرة
في معانيه ومعانيه. وما اخلسته من آرا ما تضمنه
البحر من نقوده. لذا افتقرت على توافت عقوده.
ونكت فيه عن ذكر ما في البحر من اقوال اضطربت لها
لجه. واعراب تكلف تقاصرت عنه حجه. وتفكيك
ارجاء يخرج عنده الكلام عن براعته. وينجر دين فاخر
بلاغته وفصاحته. وهذا النهر مدة من بحر لدسر له
حرث. فتعذر وروده على من خطه في البحور ولا ادراك
غوص المعاني. حرت على تقدم معرفة اللساني. ولما
اشرفت هذا النهر من يمه. وشرعة جلبه على متروك
الزمان وجبه وبخره. سورة فاتحة الكتاب.
بسم الله الرحمن الرحيم. الباء حرف معنى وذكرها النحاة معان كثيرة وابذكرها
سيبويه رضي الله عنه الا لمعنى الالزاق والالصاق ثم قال
فمن اتسع من هذا في الكلام فهذا اصله وذكروا انها هنا
للاستعانة وما تتعلق به محذوف فقدره الكوفيون
ابدأت وجعل البصريون ذلك في موضع خبر مبتدا
محذوف تقديره ابتدائي بسم الله او كائن باسم الله
وخالف الزمخشري الترتيب فقدره متأخرا عن
التسمية قال تقديره باسم الله اقرأ واتلو الان الذي

يجيء بعد التسمية مقروءا والتقدير على العامل عنده
يوجب الاختصاص وليس كما زعم قال سيبويه رضي الله
عنه وقدت كلم على ضربت زيدا ما نصه واذا قدمت
الاسم فهو عربي جيد كما كان ذلك يعني تاخيره عربيا
جيدا فذلك قولك زيد ضربت والاهتمام والعناية
ههنا في التقديم والتاخير سواء مثله في ضرب
زيد عمرا وضرب عمرا زيد انتهى والاسم هنا هو اللفظ
الدال بالوضع على موجود في العيان ان كان محسوسا
وفي الاذهان ان كان معقولا من غير تعرض ببنية
للزمان وهو ثلاثي حذفت منه واو فقال البصريون
هي لام الكلمة لانه عندهم مشتق من السمو اي العلو
وقال الكوفيون هي فاء الكلمة لانه عندهم مشتق من
الوسم وبعض العرب لم يعوض عن المحذوف فقال
سم وسم بكسر السين وضمها والمشهور بهمزة وصل
مكسورة وبعضهم يضمها ولا نعلم اسما اوله همزة
وصل مضمومة غيره وزعم بعض النحويين انه
ردت لامه وبني على فعل فقالوا سما كهدى فان
صح هذا ففيه خمس لغات وحذف ما يتعلق به الباء
لانه موطن لا ينبغي ان يقدم فيه سوى ذكر الله عز وجل فلو
ذكر ما يتعلق به لم يكن ذكر الله مقدما ففي حذفه
مشاكلة اللفظ للمعنى فطابق ذكر اللسان ذكر القلب
وحذفت الالف من بسم الله تخفيفا لكثرة الاستعمال والله
لفظ عربي لا سرياني معرب وهو علم لموجد العالم
وليس بمشتق عند الاكثرين والفه منقلبة عن اصل
عند من يرى انه مشتق فعن ياء ان كان من لاه يليه
ارتفع او عن واو ان كان من لوه لووها احتجب او زائدة
عند من يرى انه مشتق من اله او من وله فاصله الاه
او ولاه فابدلت واوه لهمزة كاعاء في وعاء ثم حذفت
الهمزة اعتباطا فقالوا لاه كما قال بعضهم في ناس اذ اصله
اناس ودخلت عليه ال فقيل الله او كان اصله الاه
فنقلت حركة الهمزة الى اللام بعد حذفها فادغمت
اللام في اللام ولزم النقل والادغام فقيل الله وصار
لا ينطلق الا على المعبود بحق وعلى هذا يكون فعال
بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب وال هذه
لازمة وشذ حذفها مع حذف حرف الجر في قولهم لاه ابوك

من لاه

يريدون لله ابوك • الرحمن لفظ عربي خلافا لمن زعم انه
ليس بعربي بل اصله رخمان بالخاء المعجمة فعرب بالحاء
وهو بناء على فعلان من الرحمة والظاهر انه وصف
على فعلان وان كان قد شذ بناؤه من المتعدي وقد
ذهب الاعلم وابن طاهر وغيرهما الى انه علم مشتق من
المتعدي كما اشتقوا الدبران من دبر صيغ للعلمية
ويدل على علميته وروده غير تابع لاسم قبله في اكثر
الكلام فعلى قول هؤلاء يكون الرحمن بدلا من اسم الله
عز وجل وقال السهيلي رضي الله عنه البدل فيه عندي
ممتنع وكذلك عطف البيان عليه لان الاسم الاول
لا يفتقر الى تبيين لانه اعرف الاعلام كلها وابينها الا
تراهم قالوا وما الرحمن ولم يقولوا وما الله فهو وصف
يراد به الثناء وان كان يجري مجرى الاعلام • والرحيم
صيغة مبالغة فعلى القول بان الرحمن صفة قيل
دلالتهما واحدة كالندمان او كندمان ونديم وقيل
معناهما مختلف فالرحمن اكثر مبالغة واردف بالرحيم
ليكون كالتتمة لتناول ما دق منها ولطف وقيل
الرحيم اكثر مبالغة والذي يظهر ان جهة المبالغة
مختلفة فلا يكون من باب التوكيد فمبالغة فعلان
من حيث الامتلاء والغلبة ومبالغة فعيل من حيث
التكرار والوقوع لمحال الرحمة ولذلك لا يتعدى فيهما
فعلان ويتعدى فيهما فعيل ومن ذهب الى انهما بمعنى واحد
وليس توكيدا احتاج ان يخص كل واحد منهما بشيء
فقيل رحمن الدنيا ورحيم الاخرة وقيل بالعكس اي هو
الرحمن الرحيم لاهل السموات والارض وسميت اضافة
وفي رواية وسمعت اضافة الرحمن في قولهم رحمن الدنيا ورحيم
الاخرة وسمع ايضا استعماله بغير ال وبغير اضافة
في قولهم لا زلت رحمانا ووصفه سبحانه وتعالى بذلك
مجاز عن انعامه على عباده الا ترى ان الملك اذا عطف
على رعيته ورق لهم اصابهم احسانه فعلى هذا هي في حق
الله تعالى صفة فعل وقيل بل هي صفة ذات وهي ارادة
الخير لمن اراد الله له ذلك • الحمد مصدر حمد يحمد ولكن
الاصل في المصدر ان لا يجمع وحكى ابن الاعرابي رضي الله عنه
جمعه على احمد قال وابلج محمود الثنا خصصته بافضل
اقوالي وافضل احمدي وال في الحمد الظاهر انها هنا

لتعريف

لتعريف الجنس فتدل على استغراق الاحمد كلها بالمطابقة
• وقراءة الجمهور الحمد بالرفع ويدل على ثبوت الحمد
واستقراره لله عز وجل فتكون قد اخبر بان الحمد
مستقر لله تعالى حمده وحمد الحامدين • وقرئ بالنصب
على اضمار فعل قيل من لفظه تقديره حمدت الحمد لله تعالى
فتخصص الحمد بتخصيص فاعله واشعر بالتجدد
والحدوث ويكون من المصادر التي حذف فعلها
واقيمت مقامها وذلك في الاخبار نحو قولهم شكرا
لا كفرا وقيل التقدير اقرأوا الحمد لله اقرأ لزموا
الحمد لله • واللام في قراءة الرفع تكون للاستحقاق وفي قراءة
النصب تكون للتبيين فتتعلق بمحذوف تقديره
لله اعني نحو قولهم سقيا لزيد • وقرئ بكسر الدال
اتباعا لحركة اللام فاحتمل ان يكون الاتباع في مرفوع
او منصوب وقرئ بضم لام الجر اتباعا لحركة الدال
• الرب السيد والمالك والمعبود والمصلح وهو اسم
فعل اي فاعل حذفت الفه كما قيل بار وبر وقيل
مصدر وصف به ويطلق الرب على الله وحده
وبقيد الاضافة على غيره نحو رب الدار وقرئ
رب بالنصب على المدح ويضعف لخفض الصفات
بعدها الا ان فرع على ان الرحمن علم • العالم
لا مفرد له كالانام واشتقاقه من العلم او العلامة
والمختار انه كل مصنوع وجمع لاختلاف انواع جميع
المصنوعات بالواو والياء على جهة الشذوذ ورب
والرحمن الرحيم صفات مدح لان ما قبله علم
لم يعرض بالتسمية فيه اشتراك فيتخصص وبدئ
بالرب لان له التصريف في المسود والمملوك والعابد
بما اراد من خير او شر واتبع بالرحمانية والرحيمية
ليبسط امل العبد في العفو ان زل وان كان الرب
بمعنى المصلح كان الوصف بالرحمة مشعرا بعلة الاصلاح
لان الحامل للشخص على اصلاح العبد رحمته به اوله
ومعنى سياق هذه الاوصاف كلها ان المتصف بها كلها
هو المستحق للحمد وهو الله عز وجل وقرئ بنصب الرحمن
الرحيم ورفعهما واذا قلنا بان التسمية من الفاتحة
كان تكرارها بين الصفتين تنبيها على قدر عظمهما
وقرئ في السبعة مالك وملك وقرئ ملك على وزن سهل

وملكي باشباع كسرة الكاف وملك على وزن عجل وبرفع
الكاف ومالك بنصب الكاف ومالكا بالالف والنصب
والتنوين ومالك بالرفع والتنوين وملك وملاك
ومالك بالامالة المحضة وملك فعلا ماضيا فينصب
بعده وبعد النون يوم وهذه القراءات بعضها راجع
لمعنى الملك وبعضها لمعنى الملك وكلاهما قهر
وتسليط والملك على من تأتت منه الطاعة باستحقاق
وبغيره والملك على من تأتت منه ومن لا تتأت
وذلك باستحقاق فيكون بينهما عموم وخصوص كما قيل
• اليوم هو المدة من طلوع الفجر الى غروب الشمس
ويطلق ايضا على مطلق الوقت • والدين يعني الجزاء
دناهم كما دانوا والقضا قال الله عز وجل ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله • والطاعة في دين عمرو والعادة
كدينك في ام الحويرث • والملة ورضيت لكم الاسلام دينا
والاضافة الى يوم الدين اتساع اذ متعلق الملك
والملك غير اليوم والاضافة على معنى اللام والظاهر
تغاير ملك ومالك وقيل هما بمعنى واحد كالغرة
والفارة واليوم ههنا زمان يمتد الى ان ينقضي
الحساب فيستقر كل نوع فيما قدر له من جنة
او نار ومتعلق الملك او الملك هو الامر اي ملك
او مالك الامر في يوم الدين وفائدة الاختصاص
بهذا اليوم وان كان ملكا او مالكا للازمنة كلها التنبيه
على عظم هذا اليوم بما يقع فيه ولما اتصف سبحانه وتعالى
بالرحمة انبسط امل العبد فنبه بالصفة بعدها
ليكون من عمله على وجل وان لعمله يوما تظهر له فيه ثمرته
من خير وشر والله اعلم اياك ضمير نصب منفصل وفيه
خلاف مذكور في النحو وقرئ بفتح الهمزة وتشديد
الياء وبكسرها وتخفيف الياء وبابدال الهمزة
المفتوحة هاء والقول هنا باشتقاق ايا ضعيف
والكلام على وزنها فضول • العبادة معناها التذلل
تقول عبدت الله اي ذللت له وقرئ نعبد
بكسر النون ويعبد مبنيا للمفعول وهي قراءة مشكلة
وتوجيهها ان فيها استعارة والتفاتا فالاستعارة
ابدال المنصوب موضع المرفوع مثلا فكانه قال انت
تعبد ثم التفت فاخبر عنه اخبار الغائب فقال

يعبد

نعبد وغرامة هذا الالتفات كونه في جملة واحدة
والاستعانة طلب العون والطلب احد معاني
استفعل وهي اثنى عشر معنى وقرئ نستعين
بكسر النون واياك مفعول مقدم فالتقدم
للاعتناء والتهمم والزمخشري يقول التقدم
للتخصيص وتقدم الرد عليه في بسم الله واياك التفات
من غيبة الى خطاب ومن اعرب ملك منادى فلا
التفات لانه خطاب بعد خطاب ودعوى الزمخشري
رضي الله عنه ثلاث التفاتات في تطاول الليل وما
بعدها خطاء بل هما التفاتان وفائدة الالتفات
انه لما ذكر ان الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة
والملك لليوم المذكور اقبل على المحمود واخبر انه
وغيره يعبده ويخضع له ولذلك اتى بالنون لانها
تكون له ولغيره فكما ان الحمد يستغرق الحامدين
كذلك العبادة تستغرق المتكلم وغيره وقرنت
بالعبادة بالاستعانة للجمع بين ما يتقرب به العبد الى الله
عز وجل وبين ما يطلبه من جهته وليكون ذلك
توطئة للدعاء في قوله اهدنا وقدمت العبادة على
الاستعانة لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة وذلك
ليحصل الاجابة اليها واطلق العبادة والاستعانة
لتتناول كل معبود به ومستعان عليه وكرر اياك
ليكون كل من العبادة والاستعانة سيقا في جملتين
وكل جملة منهما مقصودة وللتنصيص على ان الذي
يطلب العون منه هو الله عز وجل • الهداية
هنا الارشاد والدلالة وتتعدى بالى وباللام •
وهنا تعدى بنفسه فقط • والصراط معناه الطريق
واصله السين وقرئ به وبين الزاي والصاد
وبالزاي خالصة وهي لغة لقدرة وبني كعب وبني
القين والصاد لغة قريش وعامة العرب على اشمام
الصاد الزاي وتذكير الصراط اكثر من تانيثه وقد
يجمع في الكثرة على صرط وقياسه في القلة اصرطة
ان كان مذكرا وصرط ان كان مؤنثا كما قيل بذلك
• والمستقيم اسم فاعل من استقام وهو استفعل بمعنى
الفعل المجرد وهو قام • والقيام هو الانتصاب والاستواء
من غير اعوجاج • والذين اسم موصول والخلاف في لغته

لغته وفيما يعرف به الموصول مذكور في النحو والدين ه
يخص العقلاء وما لا يحرى مجراهم والنعمة بالكسر
العيش وبفتحه الرجل اذا كان في نعمة والمنعم الذي انعمت
عليه الذي صاحب نعمة والواحد المعاني التي لا تفعل
وضمن معنى التفضل فعدى بعلى وفاعله العائدية
بنفسه انعمته جعلته صاحب نعمة والتاء في
انعمت ضمير المخاطب ليعم المذكر وعلى حرف جر
عند الاكثرين ظرف عند سيبويه وجماعة ومعنى
على للاستعلاء حقيقة او مجازا وقرئ عليهم
بضم الهاء وسكون الميم وبكسر الهاء وكسر الميم
وبكسر الهاء والميم بغير ياء بعدها وكذا تا بعدها
وبكسر الهاء وضم الميم واو بعدها وضمها واو بعدها
وبضمها بغير واو وبكسر الهاء وضم الميم بغير واو وبضم
الهاء وكسر الميم وبياء بعدها وكذلك بغير ياء اهدنا
صورة صيغة الامر ومعناه الطلب والرغبة ولما اخبر
المتكلم انه ومن معه يعبدون الله تعالى ويطلبون
منه العون سأل له ولهم الهداية الى الطريق الموصل
لارادتهم بالهداية انه يضع منهم العبادة فراجع الذين
قد ذل عن المنذر منه اذ نسبه بعض ابهام ليكون المشوق
الهداية اليه فجرى ذكره مبهما وصار يذكر البدل
فيه حوالة على طريق من انعم الله عليهم فكان ذلك
اثبت واوكد والبدل على الصحيح عليه فكرار العامل
فكانهم كرروا طلب الهداية وفسر المنعم عليهم بافوال
اولادها الانبياء ومن ذكر معهم في قوله فاولئك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين وحسن اولئك رفيقا الاية ولم يعتد الاسلام
لنعم جميع النعم وهو على سؤال البدل وبنا افعل
للتعجب او استعطافا للقبول التوسل بالدعاء في الهداية
اي طلبنا منك الهداية اوسع انعامك فمن انعامك
اجابة سؤالنا ومضمون الجملة طلب استمرار الهداية اذ
سبيل الى طريق من انعم عليهم لان من صدر منه حمد
الله سبحانه وتعالى واخبر بانه يعبد ويستعينه فقد
حصلت الهداية لكنه سأل استمرارها غير مفرد
مذكرا دائما ومفهومه المخالفة بوجهما وافراده
للوصف وتثنيته به ويلزم منه الاضافة لفظا او معنى

وادخال

وادخال ال على علم خطأ ولا يعرف تعرف وان اضيف
الى معرفة والغضب او تغير الطبع لمكروه وعليهم
الا ترى في موضع نصب ما الشائعة في موضع رفع وغير
مدلول من الضمير في عليهم وهو ضعيف ادمن الذين
وهو ضعيف ايضا وان قاله ابو علي رضي الله عنه
او وقعت على مذهب سيبويه ومن الله عنه اذ قد تتعرف
علما اذا اضيفت الى معرفة او على مذهب ابن السراج
رضي الله عنه في انها تتعرف اذا وقعت على مخصوص
لا شائع وقرئ غير وهو حال من الضمير في عليهم
وقال المهدوي وي رضي الله عنه وهو حال من الذين
والحال من المضاف اليه الذي لا موضع له من رفع او
نصب لكونه مجرورا ومذهب لا يجوز وقال الاخفش رضي الله عنه
وكذا قال الزجاج رحمه الله تعالى انه نصب على الاستثناء
المنقطع والمغضوب عليهم هم اليهود لانهم كفروا عن علم
وعاندوا والنصارى فانهم كفروا عن جهلهم
فلهذا خص كل منهم بوصف ولا في قوله ولا الضالين
حرف خلاف لكونه نفيا ودخلت لتأكيد معنى النفي
الذي تدل عليه غير كأنه قيل لا المغضوب عليهم
ولا الضالين وكلمة ان الضالين هم غير المغضوب
عليهم وان كانوا كلهم قد اشتركوا في الغضب والضلالة
وكفاك بمعنى غير ولا يجوز انا زيدا غير ضارب قال بعضهم انما جاز
الضارب فاردها مورد الواو وفي المسألتين خلاف
والضلال سلوك سبيل غير القصد قيل عن الطريق سلك
غيرها وتيها والضلال الهلاك وقيل الضلال الحيرة
او لعنة وكانت صلة الذين فعلا ماضيا وصلة
ان اسما لان المقصود طلب الهداية لا مرتا من منعم
انعم الله تعالى عليهم وصلة ال ما الاسم لتحمل سائر
الازمان وتاه للمفعول لان من طلبت منه الهداية
وسبب الانعام اليه لا بد ان يوجد بوصف الاستقرار
ولتكون المغضوب توطئة للخبر بما لهم فيعطف
عليه الموصول ما بعده على موصول مثله والمراد
بالانعام الانعام الديني وروى عدي بن حاتم رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المغضوب
عليهم هم اليهود وان الضالين هم النصارى والغضب

الله تعالى

ان كان ارادة الانتقام من العاصي فهو من صفات الافعال
وان كان احلال العقوبة به كان من صفات الفعل
ومناسبة ذكر الغضب انه النعمة لان الغضب يقابله
الانتقام لا الضلال فبينهما تطابق معنوي وازدواج لفظي
فيه تشجيع وقد جمعت هذه السورة حسن الافتتاح
وبراعة المطلع اذ كان مفتتحا باسم الله والمبالغة في
الثناء بعمومه لان في احد اسم والاختصاص من لام الله
وبالاضافة في هذا يوم الدين وحسن التقديم والتأخير
في نعبد ونستعين والمغضوب عليهم والضالين
والتفسير بعد الابهام في صراط الذين انعمت عليهم
والالتفات في اياك نعبد وما بعده وطلب الثبات
والمقصود استدامته وسرد الصفات لما اختصت
به الموصوف او مدح وذم والتعريض بالرحيم والمستقيم

وفي نستعين وفي ولا الضالين ٥

سورة البقرة بسم الله الرحمن الرحيم الم
قوله تعالى الم هذه حروف الهجي التي في اوائل السور
اختلف الناس في المراد بها اختلافا كثيرا ولم يرد نص
على تعيين شيء مما ذكروه والذي اختاره هو ما ذهب اليه
الشعبي رضي الله عنه وكذا ذهب اليه الشيخي وجماعة
من المحدثين ومن المتكلمين فقالوا ما سر الله تعالى
في القرآن وهي من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه
ومن ثم وجدت مفرقة في اوائل السور وبهذا ذهب
ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم وابن عباد الطائي
رضي الله عنه فقال ذهب الحروف التي هي في فواتح
السور هو المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وساتر
كلامه تعالى محكم اتم وهذه الحروف اذا وردت مفردة
من غير عامل ولا عطف فالقصد ان تكون مسكنة
كاسماء الاعداد اذا اوردت من غير عامل ولا عطف فلا
محل لها من الاعراب وقال الكوفيون الم وظائرها
آية في خلاف ظهر في بعضها وقال المعتصرون وغيرهم
ليس شيء من ذلك آية ولم ينضبط لي ما سمى الهادون
في القرآن آية ولا عرفت مقدار ما لحظوا في ذلك
ووقف ابو جعفر رضي الله عنه على كل حرف من حروف التهجي
وقفة واظهر النون من طس ويس وعسق ون الا من
طس تلك فلم يظهرها هناك ٥ وذا اسم اشارة واللام مشعرة

بعد المشار اليه والكاف هنا للخطاب واذا كان على
موضوعه من البعد فاقوال كثيرة مضطربة الاولى
ان تكون اشارة الى ما نزل بمكة من القران او البعد
بالنسبة الى الغاية التي بين المنزل والمنزل اليه وقد
سمعت شيخنا الاستاذ ابا جعفر احمد بن ابراهيم ابن الزبير
الثقفي يقول الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط
الذي سالتم الهداية اليه هو الكتاب وبهذا الذي
ذكره الاستاذ يتبين وجه ارتباط سورة البقرة
بسورة الحمد وهذا القول اولى لانه اشارة الى شيء
سبق ذكره لا الى شيء لم يجر له ذكر وقد ركبوا وجوها
من الاعراب في قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه والذي
اختاره ان يكون ذلك الكتاب جملة مستقلة
لانه متى امكن حمل الكلام على الاستقلال دون
اضمار ولا افتقار كان اولى ولا ريب جملة مستانفة
لا موضع لها من الاعراب او في موضع نصب اي مبرا
من الريب وهو الشك وقرئ لا ريب بالرفع وسياق
الكلام يدل على ان المراد نفي كل ريب في هذه القراءة
والفتح نص في العموم والذي نختاره ان الخبر
محذوف للعلم به اذ لغة تميم اذا علم لا يلفظ
به ولغة الحجاز كثرة حذفه اذ ذاك ولا يدل
على نفي الماهية اذ ليس مما يحله الريب ولا يدل على
نفي الارتياب لانه قد وقع ارتياب من ناس ضلال
وعلى هذا لا يحتاج الى حمله على نفي التعلق والمظنة
كما حمله الزمخشري رضي الله عنه ولا يرد علينا
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وذلك يكون
باختلاف الحال والمحل فالحال في كنتم المخاطبون
والريب هو المحل والحال هنا الريب منفيا والمحل
الكتاب فلا تعارض بين كونهم في ريب من القران
وكون الريب منفيا عن القران واختار الزمخشري
رضي الله عنه ان فيه خبر ولذلك بني عليه سؤالا و
ان قال هل لا قدم الظرف على الريب كما قدم على
الغول في قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون
واجاب بان التقديم يشعر بما يبعد عن المراد و
ان كتابا غيره فيه الريب كما قصد في قوله تعالى لا فيها
غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال

ريب هو

ل

هو

هو

كما تقتاك هداي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا
العيب والنقيصة وقد استقل ان يعني رضي الله عنه
من دعوى الاختصاص بتقديم المعمول الى دعوى تقديم
الحد ولا تقلم احد من الاصحاب بفرق بين ليس في
الدار رجل وليس رجل في الدار فالاولى جعل
كل جملة مستقلة من قوله تعالى ذلك الكتاب
ولا ريب فيه وفيه هدى ولم يجئ الاحرف عطف لان
بعضها اخذ بعنق بعض مثلا فالاولى ان يقال
ان اللام في الكتاب للعهد هو الكتاب الكامل كما تقدم ان
اريد به ارادة الكمال في الاوصاف والثانية نفت ان يكون في
شيء من الريب والثالثة اخبرت ان فيه الهدى
للمتقين والحال انه فيه هدى اريد بالهدى ان هذا كلام
المتقين مهتدون والمتقي في الشريعة هو الذي وقى نفسه
ان تتعاطى ما استوجب عليه بعقوبة من فعل او ترك
وعلى ما اختاره من الاعراب تكون الجملة الاولى كاملة
الاجزاء حقيقة والثانية والثالثة فيها مجاز بان يكون
في الحذف مقدرا اذ اختبرنا ان خبر لا يحذف نحو
قل والثالثة فيها تنزيل المعاني منزلة الاجسام
او جعل الكتاب ظرفا والهدى مظروفا واني بالمنطق الى
الموقا فهو مشتمل على الهدى كاشتمال البيت على زيد
في قولك زيد في البيت كما تقدم الكلام عليه والله اعلم
• والايمان معناه التصديق واصله من الامان او من
الامانة ومعناهما الطمانينة واللام فيه للصيرورة
وضمن معنى الاعتراف او الوثوق فعدي بما او باللام
• والغيب مصدر وصف به للمبالغة او اي ذو غيب او الاصل ان
يكون اطلق على الغائب لانه فعل من غاب فخفف
كلين وفي متعلقة بيؤمنون • والصلاة وزنها فعلة
واللام منقلبة من واو وهي مشتقة من الصلا وهو عرق
منتصل بالظهر او من صلى بمعنى دعا والزق هو
العطاء وبفتح ابتداء المصدر والاتفاق الانفاق واضحا
• وللمتقين في موضع الصفة فلا يتعلق به هدى لان الذين
يجوز في اعرابه الاوجه الثلاثة لانه صفة مدح
والغيب المؤمن به هو ما غاب عن الحس مما كلفنا الايمان
به وتضمن الاعتقاد القلبي والفعل البدني واخراج
المال • وهذه الثلاثة عمدة الاسلام وافضال المشي

ومن

ومن للتبعيض والاولى حمل الانفاق على الزكاة لكثرة
ورودها مقترنة مع الصلاة في القرآن والسنة
واضاف الرزق اليه لانه الى كسبه لعند بعلم ان الذي
ينفقه العبد هو بعض ما رزقه الله عز وجل اياه
وجعلت ملاك الدين انها لامضارعة لاصلاة
لان لان المضارع على ما قدمناه لا يأتي من مطلق
بالتجدد والحدوث والتجدد في صفة المتقين
أمدح وان قالوا انها تدل على الثبوت وكان
هذا الوصف بصلاة شرح للمتقين فدل المتقين
على الثبوت والمضارع ان على الحدوث فنقول لان
وأخرت الصفة الثالثة لاجل العواصل وحذف
العائد على ما وتقديره رزقناهموه وترتيب هذه
الصلاة من باب ترتيب الامم فالايمان اشرف
فالاشرف فالايمان لانه للمكلف دائما والصلاة في كثير
من الاوقات والنفقة في بعض الاوقات * والانزال
الانصباب دفعة واحدة لا شرط ان يكون من علو
وقرئ بما انزل اليك وما انزل من قبلك مبنيين
للفاعل وهو الله تعالى وموحد وجمع من ضمير متكلم
ورزقناهم الى ضمير غائب وقرئ بما انزل اليك
بتشديد اللام الاولى مع ادغام الالف بينهما وقرئ
انه سكن لام انزل ونقل اليها حركة همزة
اليك بعد حذفها ثم ادغم * والذين معطوف
على الذين قبله ويظهر ان يفسر الايمان بما يعتبر
وهو ان يؤمن بما انزل اليه الرسول مما انزل على
الرسل قبله * والاخرة وهي صفة غالبة وقال في الآية
الثانية اخر وحملها على الدار الآخرة اولى من حملها على
النشأة الاخرى والمعنى وما انزل من قبلك يتحقق
وفي بما انزل اليك لان اكثره كان قد نزل بمكة والمدينة
فعام الاكثر خاص لمنع او علة الوجود لان الايمان
بالمتقدم المطلق يقتضي الايمان بالمتأخر والايقان
التحقق لشيء لسكونه وصريحه تقول يقن الماء
سكن وظهر ما تحته ولم تعد باء الخبر فيما في الثانية
لتدل على انه ايمان واحد ذي عادته تشعر بأنهما
اثنان واكد امر الآخرة بتعلق الايقان الذي هو اعلى
وآكد مراتب العلم والتصديق وان كان الايقان في الحقيقة

الصلة

صل

بينهما

رفعا لمجاز اطلاق العلم على الظن فذكر الايمان والعلم
بالاخص لان كون الايقان اوغاير بين الايمان بالمنزل
والايمان بالاخر في اللفظ وآل كلمة التكرار وكان
الايقان هو الذي خص بالاخرة لكثرة غرائب متعلقاتها
ولكون المشركين مشاهدة او كالمشاهد والاخر غيب
صرف فناسب الايقان قالوا والايقان هو العلم الحادث
سواء كان ضروريا ام مستدلا لانه قد يكون لا يوصف به
الله تعالى وقدم المجرور اعتناء به وابرز هذه
الجملة اسمية وان معطوفة على فعلية اكدوا الاخبار
عن هؤلاء بالايقان والتصدير بالمبتدا المشعر بالاهتمام
بالمحكوم عليه كما ان التصدير بقدم فعل مشعر بالاهتمام
بالمحكوم به ولم يذكر ممتاز فيما بينهم لان الوصف
بالايقان اعلام من الوصف بالايفاق ولكونه يكون فيه
فرق لفظي وفرق معنوي كما قيل بذلك • اولئك
اشارة اليهم في الجمع والرتبة الوسطى وهو مبتدأ
خبره الذي بعده والجملة استئنافية والاخبار
بما اخبر به الزمخشري رضي الله عنه من كون هذه الجملة
في موضع خبر عن الذين يومنون واعرف الذين مبتدأ
والذهاب بالذين مذهب الاستئناف لان تعلقه
وانفصاله بما قبله في غاية الوضوح لما وصف به المتقين
بصفات مدح فضلت جهات التقوى اشار اليهم
بان من حاز هذه الاوصاف الشريفة هو على هدى
جدير موحيهم في الهداية كما انهم مستعلون وصف الهدى
من ربهم تعظيم للهدى الذي هم عليه ومن لابتداء
الغاية او للتبعيض اي من هدى ربهم وذكر الرب مضافا
الى ضميرهم للتشريف والفلاح الفوز والظفر بالمراد والبقاء
والبقاء وفرق من ربهم بضم الهاء كاندفع جمع لغة كثرة
او من شواذ الاتباع كمنق كسر او تاء وهذان خبران مختلفان
لذلك كرر او تيك لتفع كل منهما في جملة مستقلة اخبر
عنهم بالتمكن من الهدى في الدنيا وبالفوز في الاخرة
وهم فصل او بدل او مبتدأ • الكفر الستر وسواء
امم استوى وقد يوصف به بمعنى مستو • والانذار هنا
معناه الاعلام مع التخويف • والختم الوسم بطابع او غيره • والغشاوة
اللحمة الصفيرة سميت بالمصدر • والسمع مصدر سمع وكني

به عن الاذن

وهو منع عن الاذن والنظر الى العين • والمشاقة الخلاف
والتعادي اصله الانتهاء في الشق وكذا الشقاق والمعنى
المتقين المؤدين بهم الى الفوز ذكر او صاف الكافرين
المؤدية بهم الى التعذيب وانتصب قبلهم بحرف التأكيد
للدلالة على استئناف الكلام فيهم والظاهر ان الذين
كفروا اللحنس ملحوظا فيه قيد وهو ان يقضي عليه بالكفر
والموافاة عليه ويحتمل التعميم فيحتج به على الكفر
كافة في جهنم وان لظى وغيرها سواء وما يتعلق به جملة
اعتراض فلا موضع لها من الاعراب وسواء مبتدأ
والجملة الداخلة عليها الهمزة خبر عن سواء وجوز ان
العكس فيهما ولا يؤمنون خبر ان وجملة الاعتراض
لتأكيد مضمون جملة ان وخبرها لان من اخبر الله
عنه انه لا يؤمن لتنوي انذاره وعدم انذاره او بكي ل
خبر سواء والجملة التي فيها الهمزة في موضع الفاعل عند
من يجيز ان تكون الجملة فاعلة او سواء مبتدأ وما
بعده خبره او العكس ولا يؤمنون خبر بعد خبر او على
اضمار مبتدأ تقديره هم لا يؤمنون او لا موضع لها من
الاعراب فتكون مستأنفة لان عدم الايمان لا يسوغ
الانذار وحده وقرئ انذرتهم بتحقيق الهمزتين
معا وهي لغة تميم وبتسهيل الهمزة الثانية وهي لغة
الحجاز وبادخال الف بينهما وبتخفيف الثانية اي سل
خففت او سهلت وبابدال الثانية الفا وقد انكر
النحوي رضي الله عنه وزعم انه لحن وقرئ بحذف
الهمزة الاولى وبحذفها ونقل حركتها الى الميم الساكنة
قبلها ومفعول انذرتهم الثاني محذوف تقديره
العذاب على كفرهم والظاهر ان لا يؤمنون وختم حتم
لا دعاء وختم على القلب كناية عن كونه لا تقبل شيئا
من الحق لاستحالة المحسوس للمعقول ومثل القلب هنا
بالوعاء الذي يختم عليه صونا لما فيه ومنعا لغيره
من الدخول اليه وقيل الختم حقيقة وهو الصحيح
انه علامة للملك وانكر اسناده لله تعالى حقيقة
لاستحالته كما قاله النحوي رضي الله عنه وعلى سمعهم
معطوف على قلوبهم لا انه مشارك للسمع للابصار في
المشاقة وان جوزوه وافرد السمع لكونه لحاسة الاصل
وهو المصدر او للاستغناء بالمفرد عن الجمع لدلالة قبله

وما بعده

علينا او على حذف مضاف اي وعلى هواس سمعهم وقرئ على
اسماعهم والمشهور في قراءة عشاوة بكسر العين وترفع
التاء وتضمن الكلام الحاد من فعلته واسمته للدلالة
على التجدد والحدوث وقدم الفعلية لان ذلك قد
فرغ منه ووقع وقدم خبر الاسمية ليطابق الفعلية
في تقديم المحكوم به على المحكوم عليه وقرئ عشاوة
بالنصب اي اوجعل وقرئ عشاوة بضم العين
ورفع التاء وبفتحها والتنصيب وسكون الشين وعشوة
وعشية وعشاوة ما لعين المهملة اي من العشى وهو
شبه العمى في العين وتقديم القلوب من باب التقديم
بالشرف وهو احد التقديمات الستة ولما ذكر سبحانه
وتعالى حال هؤلاء الكفار في الدنيا ذكر ما لهم في الاخرة من العذاب ولما كان
كفران النعم ذلك لم لا ندم والعظم اضله للجثة
الناس اسم جنس لبني آدم وقالوا ناس من الجن وهو مجاز
واصله عند سيبويه وعلم انا سية والف ناس حذفت لما نقل
فوزنه عال وعند الكسائي رضي الله عنه نوس من ناس ينوس
اذا تحرك وعند غيرهما فعي من النسيان فعلت وعدت
عليه قولهم في تصغيره اسيلك النسيان او انسيان
ومن هنا موصولة وحروف الآن تكون موصوفة وهي مبتدا
والخبر في الجار والمجرور قبلها ولا بد من قيد في الناس ولا
واو لان احدا لا يشتغل به فائدة فالتقدير
ومن الناس ناس يسألني ذكرهم الذين اندرجوا في قوله
ان الذين كفروا فليس هؤلاء الا بعضا من اولئك
شاركوهم في جميع ما اخبر به عن اولئك وزادوا انهم
ادعوا الايمان في الدنيا بقولهم الله سبحانه وتعالى وليسوا بمحقين
بحتوم على قلوبهم كما ختم عمر الزمخشري رضي الله عنه وجعل من
موصولة في لسان العرب اكثر من كونها موصوفة ودلت
على انها موصولة انها نكرت في ناس وفاعلهم معروفين
وما صدر منهم من اقوالهم وافعالهم كعبد الله بن
ابي ابن سلول واصحابه ممن اظهر الاسلام عمالا
وابطن الكفر اعتقادا او اقتصروا على قولهم امنا بالله
وباليوم الاخر خشية منهم ان يغيروا الايمان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما انزل اليه وايهامهم انهم من طائفة
المؤمنين وحمل في قوله ومن الناس على لفظ من في وما بعده

عموما من على المعنى وقول ابن عطية رضى الله عنه
لا يجوز ان يرجع من لفظ الجمع الى لفظ الواحد مخالف
لقول النحويين من انه يجوز ان تبتدأ ما حمل على المعنى
ثم على اللفظ وان كان الحمل اولا على اللفظ ثم على
المعنى وقد بينت ما ذكره في كتاب سميته ذوق لسان
العرب وعموما في موضع نصب واكثر لغة اهل
الحجاز جر الخبر بالنفي وصله اكثر ما جاء في القرآن
وقد جاء الرفع في الخبر هنا للتاكيد ولادخال التاكيد
فما تولج في نفي ايمانهم وان جاء لجملة اسمية وسلط
النفي على اسم الفاعل الذي لستر هو مفيد ما زمان كتمل
استمل جميع الازمنة فلا زمان ولم تجئ التركيب
مستانفا على قولهم فيكون وما ادراك الخداع قلل
هو اظهار خلاف ما في النفس وقد ذكر بعضهم
ان الله مصارع خدع وجاء في يخادعون ان يكون منشا
كان قادرا لا يقول لم ينطاهر وبالاسلام ولنسوا بعد مبني
فعل يخادعون قلق ان يكون بدلا من يقولون
او حالا من ضمير يقول ولا يجوز ان يكون بدلا من الصلة
في يعجبك والعامل فيها اسم الفاعل كما قد ذهب
اليه ابو البقاء رضى الله عنه وهذا اعراب خطا وذلك
ان ما دخلت على الجملة فنفت نسبة الايمان اليهم
واذا اثبتت تلك النسبة بحال تسلط النفي على تلك
الحال وهو القيد فنفته ولذلك طريقان في لسان
العرب احدهما وهو الاكثر ان ينفي ذلك القيد فقط
اذ ذاك قد ثبت العامل في ذلك القيد فاذا قلت
ما زيد راكبا فمعناه نفي الضحك وثبوت
قد اثبت عرضا حك ولست بحمد الآية على هذا
ان لا نفي عنهم الخداع فقط وثبت لهم الايمان بغير
خداع بل المعنى نفي الايمان عنهم مطلقا والطريق الثاني
وهو الاقل ان ينفي القيد ويثبت العامل فيه
فكانه قال في المثال السابق لم تقبل زيدا ولم يضحك
اي لم يكن منه اقبال ولا ضحك وليس بمعنى
الآية على هذا اه ليس المراد نفي الايمان عنهم
ونفي الخداع والمحبة من ابي البقاء كتبه
نسخة لشيء من هذا فمنع ان يكون يخادعون في موضع
الصفة فقال ولا يكون في موضع جر على الصفة لموصوف

لان ذلك قد درج في خداعهم والمعنى وما سواد ولا
تروق بين الحال والصفة في ذلك بل كل منها قيد بمقابلة
يشتط النفي عليه وبمقابلة الثاني في قوله الله عز وجل
هو من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة من حيث ظاهر ولا يمان
وابطنوا الكفر ومن حيث عدم عرفانهم بالله سبحانه وتعالى
وصفاته او يكون ذلك على حذف مضاف اي بما دعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس اسم الجلالة منتصبا كما ذكره
الزمخشري رضي الله عنه وذهب اليه الاكثرون وذكر مثلا
نادعناه في الاشتدلال بها ومخادعتهم المومنين كونهم
امتثلوا اجراء الاحكام وفي رواية لكونهم امتثلوا اجراء
احكام المسلمين عليهم مع مخالفتهم لهم في الاعتقاد وقرئ
ومما يخدعون مضارع خدع بفتح التاء ومنها في
للمفعول ويخدعون بفتح الخاء وشد الدال المكسورة
من خدع مشددا او فتح الياء والخاء وكسر الدال
مشددة ويخادعون بكسر الدال وفيها مبنيا للمفعول
فمن بناه للمفعول فصت انفسهم بمتعلق على حذف
الكوفيين في غلبن زيدا راكبا ولمتا على التشبيه بالمفعول
به وامتا على اسقاط حرف الجر اي في انفسهم ويخدعون
مضارع اختدع بمعنى خدع كما قدر وقدر والمعنى
ان وبال ذلك كسر راجعا للمخدوع دون الخادع فكاد ذم كاد
الا تستعمل بمعنى اراد هنا موارد الهلكة قالوا لا تشعر دون ذلك
جملة قبيحة افعاله وما يشعرون معطوف على ما يخادعون
الله اي وما يشعرون ان خداع الله سبحانه وتعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم على احدهم بقبيح افعالهم اذ في
ما يشعرون ايقاع انفسهم في الشقاء بكفرهم ونفاقهم
او هي جملة حالية اي وما يخادعون الا انفسهم غير
شاعرين بذلك او لو شعروا بذلك ما خدعوا الله تعالى
ولا خدعوا المؤمنين كذلك وخادعون بصيغة
المضارع اسنادا الى ضمير المؤنث اما لكونه اذ امر في معرض الذم كما
قيل وقوي مرض بسكون الراء وهي لغة كالحلب في
والحلب وكسوء الارض في قلوبهم مجاز عن ما حل فيها
من الشك والحسد والغل وقيل حقيقة وهو الفساد
والظلمة التي حدثت فيه من الشك والحسد والغل
وقيل حقيقة وهو الفساد والظلمة التي حدثت هنا
بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته وقرأهم

حذف

الله مرضا هذا خبر والمراد الزيادة ليلا الله سبحانه وتعالى
محا حقيقته وقد دعا حقيقة بوقوع زيادة المرض
وقيل مجاز ولا يقصد به الاخبار لكون المدعو به
واقعا قبل الدعوة السب واللعن والتنقص كقوله
تعالى قاتلهم الله انى يؤفكون ومرض فمرة ثم على
طريق البدل وتعداد المحال يدل على تعداد الحال
فاكتفى بالمفرد عن الجمع وقرأ هشام اى قلوبهم او ذوا
لان مرض القلب مرض تساير الجسد الهم الدنيا لغة
ووصف العذاب به مجاز والمؤمن مجاز الكتب
معناه موالم جاء فعيل من افعل وهو من مجاز الامر
وجمع وصف العذاب بالعظم والالم للمنافقين
اذ هم اشد عذابا من غيرهم من الكفار ومافي وما
كانوا يكذبون ه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
الاظهر ان يكون موصولة وقرئ يكذبون مخففا
ومشددا مضارع كذب وكذب ه واذا قيل لهم الجمهور
اخلاص الكسر في نحو قيل وبيع والاشمام لغة كثير من
قيس وبني اسد وعقيل وقرئ بهما والافساد تغيير
الشيء عن حالته لاعتدال والصلاح تقضه وهذه
الجملة الشرطية معطوفة من باب عطف الجمل لاتتلافها
فاسعى عليهم قبائح افعالهم واقوالهم قيل ويحتمل ان
تكون معطوفة على معنوك صلة من فلا موضع لها من
الاعراب وما بعدها استئناف كلام لانها من تمام الصلة واحسن
ان يجري وابن التمار رضي الله عنهما ان تكون معطوفة
على يكذبون فلها موضع من الاعراب وهو النصب وقد
يكون جوابا من السبب الذي تحقق به العذاب
الاليم وهذا الاعراب خطأ على حمل ما على بما موصولة
وقراءة التشديد لغة وجملة الشرط من فعل ويعود
على ما والجملة بعدها اما في موضع خفض على
مذهب الجمهور والعامل في اذا الجواب والذي يحتاج
اليها لا موضع لها من الاعراب والفعل الذي يلي
اذا هو العامل فيها كسائر ظروف الشرط وحذف
المفعول للعلم به اذ هو الله سبحانه وتعالى ويظهر
ان المعنوك الكلام تم فاعله هو الجملة من قوله تعالى
لا تفسدوا في الارض ولا يجوز عند جمهور البصريين
ويجوز عند الكوفيين فيخرج عليه على مذهب جمهور البصريين

قل

ذلك هو

ان يكون في قبل مضمر اي واذا قبل هو اي في قولك سيد
فاضمر هذا القول الموصوف وكانت الجملة بعده مفسرة
فلا موضع لها من الاعراب وزعم الزمخشري رضي الله عنه
ان الجملة التي للمفعول الذي لم يسم فاعله وجعله من باب الاسناد
اللفظي ونظره بقوله اذا لفظ حرف من ثلاثة احرف
واذا امكن ان يكون اسنادا معنويا لم يعدل الى الاسناد
اللفظي لشيء ولا تفسد وانبي عن ارتفاع الفساد بما ذكر
طريق كان من كفر او شيء من جهات الفساد وهو من باب
النهي عن السبب والمراد المسبب فيتعلق النهي حقيقة هو
باطلان الكفر ومما لاة الكفار وافشاء سر المؤمنين وذلك
هو المفضي الى تهيج الفتن المؤدية الى الافساد وذكر محل
اصلاحكم لانبات ان يجعل محل فساد ومحل اجراء
الشرط الذي هو جملة اسمية لتدل على ثبوت الوصف لهم
وكذلك قولها بارئكم فاد لالة على قوة انصافهم بحقيقة الاصلاح
كذلك بهتان وكذب على عادتهم في الكذب وكذبهم الله
في قولهم فقال تعالى الا انهم هم المفسدون فاتى باداة
الاستدراك للتنبيه على كذبهم وباداة المختصة المتأكيد
وبهم وباداك ولم يقتصر باداة لاستدراك الاستماع الى
مصغما جاء في حيزهم وضم تاكيد للضمير او فصل
او عقدا ومختار في ان لا تاتي بعد الا حرف
بسيط وزعموا انها مركبة من حرف الاستفهام ولا النافية
لتدل على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على
النفي اوذ تحقيقا كقوله تعالى الست بربكم بقادر على
ان يحيي الموتى ولكونها من المنصب في هذا ولا تكاد تقع
الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما تتلى به العلم كما قاله
الزمخشري رضي الله عنه ودعوى التركيب على خلاف
الاصل ولان ما ادعوا خطاء لان مواقع اذ لا تدل
على ان لا الا ست للنفي فتم ما ادعوه الا ترى انك
تقول اذ لا ان زيدا منطلق لست صلة لا ان زيدا منطلق
او ليس ذلك من تركيب لو في بخلاف ما نظر به من
قوله الست بربكم بقادر على ان يحيي الموتى اصحة تركيب
ليس مكان لا بقادر ولوجودها فيه ولبت وترف
الندا وغيرها مما لا يشتغل فيه ان لا انافية فتكون فيه
الهمزة للاستفهام دخلت على لا النافية واذا وقعت التحقيق
وقوله لان كاد وقع في آخر غير صحيح الا ترى ان الجملة بعدها

سنفتح برت وذلت ونفعل الامر وكذا وبالتنا
ولا يستقيم من هذا القسم وعلامة الاهل التي بي
حرف تنبيه والتنبيه مفتحة الكلام دونها وكون انما مركبة
من ما الكافة دخل عليها ان التي للاثبات فافادت
الحصر قول زيد قائم فاسد صادر عن غير عارف بالنحو
والذي نذهب اليه لا دليل على الحصر ما توضع كما ان الحصر
لا يفهم من اخواتها التي كفت بما فلا فرق بين لعل
وقد قائم وعلمان زيد قائم فكذلك ان زيد اقائم
وانما زيد قائم واذا فهم الحصر فانما يفهم من سياق الكلام
لا لان انما دلت عليه وبهذا الذي قررناه يزول الاشكال
الذي اورده في نحو قولك انما انت منذر قل انما انا بشر انما اعظكم
ان تعود وا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين وظهور ذلك هنا انه سبحانه وتعالى اخبر
انهم هم المفسدون وقد علم ذلك منهم ولكنهم لا يعلمون ذلك
فاستدرك هذا المعنى الذي فاتهم من عدم الشعور بانهم هم
المفسدون وفعلوا تشعرون محذوف تقديره
ولكن لا تشعرون بافسادهم واذا قيل لهم امنوا كما
الجملة الكلام عليها اذ هي معطوفة على صلة من او على الكذبون
او مستانفة وما العامل في اذا قيل ما العامل فيما كجملة الشرط السابقة وتمنعوا عن الايمان
بالايمان وتحصلوا له بزوال افسادهم وقد يجاب بالتي
عنه لانه الاهم وهو تركك والترك اسهل من امتثال
المامور فكان في ذلك تدرج لهم واكثر المعربين يجعلون
الكاف في كما امن وقطير نعتا لمصدر محذوف اي
ايمانا مثل ايمان الناس وذهب سيبويه ان الكاف في
موضع الحال ذو الحال ضمير مصدر محذوف دل عليه
الفعل وما مصدرية ثم اختلف منهم من وصلها بمصدر
هو في موضع جر بالكاف واجاز الزمخشري وابو البقاء
رضي الله عنهما ان تكون ما كافة للكاف عن العمل كما في
ربما قام زيد والظاهر ان اذا في انتفاء العهد وهم الذين
الذين سفهوا الايمان فاء جنوا عليهم واستفهم خفة الحلم
والجهل وقال سفيد بكسر العين وفتحها وهو العباس بن مجيح
سفيه وجمعه على فعلاء فساق مطرد في فعل الصحيح الوصف
لمذكر عاقل او من استفهام انكار واستهزاء وان كان
الامر به متعلقها اي في اباء نكارهم متعلقا واذ في انتفاء العهد

انها

ولكن لم

ن

على

س

واذ

وتعجب بهم المؤمنين احتقر في الايمان اعتقدوا انهم سفهاء
الا انهم هم السفهاء وهذا كما رد عليهم في قولهم الا انهم هم
المفسدون اراد الله تعالى بمواقع العالم ما بهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون انهم سفهاء لغباوتهم وجاء هناك لا يشعرون
لان الافساد قد يدرك بادنى تامل لانه من المحسوسات
الى لا يحتاج الى فكر كثير فنفى عنهم ما يدرك بالمشاعر
وهي مسالغة في جهلهم اذ الشعور اثبات للشيء ما ينفى عنهم
والامر بالايمان يحتاج الى اعمال فكر وحسن نظر
فلم يفعلوا ولم ينتفع منهم بالمامور فاستدرك ذلك بنفي العلم عنهم
ولان السفه خفة العقل والجهل بالامور والعلم ينفيهما
فقابل بنفي العلم ليعلم انهم لا يعلمون ويجوز في نحو السفهاء الا يحققوا
الهمزة الثانية مع تحقيق الاولى او جعلها بين الهمزة والواو
وابدالها واوا مع تحقيق الاولى وجعلها بين الهمزة والواو
والوجوه الثلاثة بعضهم جعل كل منها بين الهمزة والواو واتى
واذا لقوا الذين امنوا قرئ واذا الاقوا الذين امنوا وهي تاء
بمعنى لقيه لمحرد وامنا فعل مطلق غير مؤكد بمؤكد يلويه
منهم وانها ما سموا النطق باللسان ايمانا وقولهم معترضة
واذا خلا تعدى بالباء وبالى وبالى فعلى معنى ما من انتهاء
الغاية ولست هنا بمعنى مع خلافا للنضر ابن شميل وشياطينهم
اليهود وقرناؤهم وشيطان عند البصريين فعال من
شطن وقالوا في معناه شاطن وفي المعرف منه وفي رواية
وفي المصرف منه شيطن وعند الكوفيين فعلان من شاط
شيطا اذا احترق ويعضده قولهم شيطان مستهم ممنوع
الصرف وقرئ مضمم سكون العين وهي لغة ربيعة
وعنهم وانظر الفرق بين قولهم للمؤمنين انا معكم وبين قولهم
لشياطينهم هناك اكدوا بالجملة وهنا اكدوا بانما وكذا
اكدوا الموافقة بقولهم انا معكم لم يكتفوا بحتى ذكروا بانما قولهم
انما نحن مستهزئون بالمؤمنين وارد ذلك في جملة موكدة
بانما وبحن ومستهزئون باسم الفاعل وكانهم لما قالوا انا
معكم انكر عليهم الاقتصار على هذا وازالهم كيف تكونون
معهم وانتم مستالمون او لبث باظهار نقيضه لكم وتكثركم سوادهم
والتزام احكامهم من الصلاة وغيرها فاجابوا بذلك وانما
نستهزئ بهم لذلك القول لصون دمائنا واموالنا وذرارينا
وقرئ مستهزون بحذف النون وبالف بعد الهاء ياء وبحذفها

وصم كما قبله

ومنهم ما قتلها وقلبها يا شوقك الاحقر واياس فيجعلها
وجعلها بين تين والاستهزاء هو الاستخفاف والشوق
والتعجب والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك فجازاهم
او قد تستهزئ بهم على سبيل المقابلة والمعنى انه يجازيهم
على استهزائهم وفي افتتاح الجملة باسم الله التفخيم والتعظيم
والاخبار عنه بالصانع وتوبيخ على الجحود ولهم
قد كروهم متعلق الاستهزاء للتحقير حيث من اشراع المومنين
فيتعمون ذلك عليهم فانفوا للفظ مختلا ويذبوا
على عن انفسهم لو حققوا وان كانوا عموا والمومنين وقال
تستهزئ بهم فذكر متعلق الاستهزاء فهو ابلغ من قولهم
ويسخر ويمدهم من مد وامد وامداد المدوا الانزاد
الى الله سبحانه وتعالى حقيقة اذ هو المسدو بايجاد
ذلك وهو الممكن من المعاصي والزيادة منها وقد يجيء
طغيانهم يكسر الطاء وضمها واضيف الطغيان اليهم لانهم
فاعلوه كسبا وان الله هو مخترعه والعمه التحير من
الرشد وركوب الباطل عن اتباع الحق وفي طغيانهم متعلق
بيمدهم وقد يعمهون وتحتمل حالا من مفعول يمدهم
او من ضمير طغيانهم ومنع ابو البقاء رضي الله عنه ان يكون
في طغيانهم ويعمهون حالين قال لان العامل لا يعمل
في حالين وهذا فيه خلاف وتفصيل اولئك اشارة الى الذين
تقدم ذكرهم الجامعين للاوصاف الذميمة كما تقدم في البقرة
حيث ذكرت اوصافهم الى هنا واولئك وشركوا اشتروا
بضم الواو وكسرها وفيها والاشتراء هنا مجاز كنى به عن
عن الاختيار لان الشاري لشيء يختاره لعوضه والضلالة
الكفر والهدى الايمان جعل تمكنهم من اتباع الهدى كالثمن
المبذول في المشتري فما ربحت عطف صاحبها على الذين
الدالة على تحقق نفي الربح وبفتح ما وقع الاشتراء بحقق
عدم الربح وانتفاء الربح الى التجارة مجاز لان الرابح هو
التاجر وكما صور التجارة والهدى شيء وكان
ذلك مجازا استعمل بعضها في وصاف الحقيقة بقوله تعالى
فما ربحت تجارتهم فاضاف وصاف التجارة الى التجار وشركة
تجارتهم على الجمع والافراد ونفي الربح ادل على انتفاء
رأس المال لكن عبر بنفيه عن ذهاب المال لما في الكلام من
الدلالة على ذلك لان الضلالة والهدى يقتضيان في استعمار
الضلالة ذلك على ذهاب الهدى بالكلية ويخرج عن

الضلالة
فاضاف

الهدى

على ان يكون من باب على لاحب لا يهتدى بمناره * لما ذكر استيراده
شيئا بشيء توهم ان ذلك تجارة فنفى الربح والمقصود ترك
نفى اشتراء الضلالة اى لا تجارة فلان ربح بخلاف الاستبدال فلا هداية
* وما كانوا مهتدين تتميم ليخلص المقصود بهذه الجملة وبيان
لهذا فى علم البيان التتميم وسيأتى هذه الجملة اخبار بانهم
هؤلاء قد استحقت لهم هذه الآية بالفعل لا تتوهم من قوله
بالهدى انهم كانوا على هدى من ربهم فيما مضى فسلبوه
وما كانوا مهتدين بمجاز قوله بالهدى ودل على ان الذى
اعتاضوا الضلالة به انما هو التمكن من ادراك الهدى
فالمثبت فى الاعتياض غير المنفى اخرا الآن ذلك بالقوة
وهذا بالفعل. المثل والمثل كالشبه والشبه
واصله الوصف والمثل القول السائر الذى فيه غرابة
وضرب المثل يورث فى القلب ما لا يورثه وصف الشيء
بنفسه اذ فيه تشبيه الخفى بالجلى والغائب بما يشاهد
ولما ذكر سبحانه وتعالى اوصافهم السابقة ذكر المثل
زيادة فى كشف احوالهم فقال تعالى. مثلهم كمثل الذى
استوقد نارا اى قصتهم ووصفهم مثل وصف الذى استوقد
اى لجمع الذى استوقد ويدل على ذلك قوله ذهب الله بنورهم
فالذى وصف بالمفرد فى معنى الجمع ولكن الذى اريد به الذين
الذى مثلهم من له لفظ ومعنى كما نقل عن ابى على وكذا
عن الاخفش وقرئ الذين جمعا وتحمل بحدها اما على ادبها
كمن على ما قاله واما ابتداء خبره على توهم انه نطق بمن
واستوقد بمعنى اوقد حكاه ابو زيد رضى الله عنه وقيل بل
للطلب وذكروا ان معانيها من وصف المنافقين تزر يسيرا
من السنتين والاسلام وحواشيه مبنية على الكفر والنفاق
واكتفى بالمطلق وبقاء ضياء المكان واضاءة النور وقد
يستعمل اضاء لازما والاظهر ان ما مفعوله
اى فلما اضاء النار المكان الذى حوله وحوالى وان يكون
ما مكفوفة وان تكون ما هى الفاعلة واضاءت لازم
اى الجميع التى حوله اتى على معنى ما وحوالى لما قالوا الله بنورهم
واحتمال ان يحذف رضى الله عنه ان يكون جواب لما محذوفا
تقديره خمدت قال هو اولى وذهب الله بنورهم وقال
ابن جرير رضى الله عنه الضمير فى بنورهم عائد على المنافقين
والجملة جواب سؤال مقدر كانه قيل ما بالهم قد اشتركوا
حال هذا المستوقد فقيل ذهب الله بنورهم او هى بدل من

ضربة

وجوابه

٣

جملة التمثيل على سبيل البيان قالهما الزمخشري رضي الله عنه
وكلا الوضعان مبنيان على ان جواب لما يحذوف وقد اخرها
غير واحد فوقه تعالى ذهب الله بنورهم والوجه الاول من
الوجهين اللذين تقدم ذكرهما وهو ان يكون قوله ذهب الله
الله بنورهم بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان لا يظهر
لي صحته لان صحة التمثيل اي جملة التمثيل هي قوله مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا فجعله ذهب الله بنورهم بدلا من هذه
الجملة على سبيل البيان لا يتضح لان البدل لا يكون في الجمل الا اذا
كانت الجملة فعلية تبدل من جملة فعلية تعذر ذكروا جوابا
ذلك • واما ان تبدل جملة اسمية فعلية من جملة اسمية •
فلا اعلم احدا اجاز ذلك والبدل على نية تكرار العامل
والجملة الاولى لا موضع لها من الاعراب لانها لم تقع موقع المفرد
فلا يمكن ان تكون البدلية على نية تكرار العامل اذ لا عامل
في الاولى فيتكرر في الثانية فتطلب جهة البدلية انتهى
• والظاهر ان نار الحقيقة في النار التي هي قدت واوقدت
الله نورهم ما من سماوي وانباذي في صورهم للتعذيب مرادفة
للهم والله تعالى لا يوصف بالذهاب • وتركهم في ظلمات لا يبصرون
في ظلمات متعلق بتركهم ولا يبصرون في موضع الحال فيتعلق
بمحذوف ولا يبصرون حال ايضا اما من الضمير في لهم واما
من الضمير المستتر في المجرور فانه كان تركهم بعد الذهاب
انه كان في ظلمات اتمالي ولا يبصرون حال ولا يجوز ان يكون
لان الحال لا تكون مؤكدة او صمّ بكم عمي في موضع الرفع اي هم وهي
اخبار مبتدأ تم الوضع لكنها في معنى خبر واحد وهو عدم تبصرهم
الحق • وقرئ صمّا بكما بالنصب على الذم • وحق رواها وجوها احسنها
النصب على الذم والظاهر ان هذا كلام من اوصاف من شبههم
وصفت المنافقين او ضربهم الاول فذلك فيهم لا يرجعون عن ضلالهم
لان من استدعت حاله ان تذهب بضيائها لا يمكن ان يرجع حوالما لم يخامطه
وهم الملائكة في المنافقين والذي يسوغ تكلم الفريقين فيهما
انه من تمثيل المفردات بمفردات اي نار مثل ذلك الظلم واسن
الاسلام او حقنوا به دماءهم وغنمي اذراريهم واموالهم
واضاءة النار لهم حرف عليهم احكام الاسلام وذهاب النور مثل
بما قطعهم الله به من الموت وتركهم في ظلمات مقابل
لما ينعم على كفرهم وفاقهم رضم وما بعده مقابل لكونهم لا يقبلون
الحق ولا يمكن اقلاعهم لا يرجعون من باب كونهم لا كلمة لهم
ولا مراعاة فهم كمن حرم مراجعة من يتهمه او كتب مخطوم على

واما وها للتفصيل وكان من نظر في حالهم منهم من شبه بحال
المستوقد للنار ومنهم من شبه بحال ذوي صيب فهو على حذف
مضاف ودل عليه الضمير في يجعلون والصيب في اللغة
هو المطر او السحاب او كل واحد منهما وزنه عند البصريين
فيعل بكسر العين وعند البغداديين بفتحها وعند الفرا
فعيل فقلب والسماء هي المظلة والسماء ما علاك من سقف
ونحوه وجمعت على سماوات واسمية وسماء وهي جموع كثرة
لانتفاس وقري او كصائب استئناف عاطف من صاب يصوب اذا
وصيب بالغ والرعد الصوت المزعج المسموع من جهة السماء
والبرق في الجرم النور الذي يشاهد ولا يثبت وجعل
الصيب مقرا لهذه الاشياء على سبيل المجاز وسمي بحان الصاعقة
يجعلون اصابعهم في آذانهم ان كان بمعنى يلقون بعدي
لي واحد وفي آذانهم متعلق بيجعلون وان كان بمعنى
يصيرون كان في آذانهم في موضع المفعول الثاني والصاعقة
هي الواقعة الشديدة من صوت الرعد معها قطع من نار تكاد
تسقط عند صوت الرعد فتذيبها ان سقطت عليه فلا مرد لها
الا الله عليه وهي سريعة الخمود والصاعقة لغة تميم والتعريف
جاء على هذين التركيبين فلا تكون صاعقة مقلوبة من صاعقة
خلافا للمن ذهب اليه وقال من عرفه وضمائه عنه والصاعقة
العذاب ايضا كما تقدم ومن في من اسبابهم متعلق بصيب
او في موضع الصفة اي كائن من امطار السماء وظلمات اي
الصيب فكاثفه وانتساجه وتتابع قطنه وظلمة ظلال
غمامه وظلمة الليل واجتماعه ورعد وبرق وان كانوا قد
قالوا رعود وبروق امثالهم اراد والمصدر فكانه اراد
وابراق وامثال اريد بها المقتضان فان كلامنهما يسمى بالمصدر
حذر وحي حذر اصلها وان كان الكمي على الجمع وذكرت الثلاثة
لامد لئلا تتفوق الجوهر والظلمة ان تجعلون حواب سوال
مقدر اي فكيف حالهم لاني موضع حزنه لذوي المحذوفة
ولاني موضع حال من الضمير في فيه والعامل محذوف فقد
بانت عنه ان في الصواعق اي في صواعقه ومن سببية
متعلقة بيجعلون وقرئ من الصواعق حذر الموت اعترضوا
بمفعول لاجله ولا يكون للفعل الا معقولا له والاحوال المكون
بالمعنى هنا فقد تقدم اي بالبدل وقد حذر مضارع
لي يحذرون حذر الموت وقرئ حاذر اسم فاعل من حذر حاذر وحاذرة
شجاعه وتعالى بهم كناية عن كونه لا يفوتونه كما لا يفوت الحي ما به

المحيط واحاطته بالعلم والقدرة على اهلاكهم زاد مضارع
كاد وفيها لغات فعل وفعل وان لك تقول كرفت
وكدت وماي من امثالها المقاربة والخطف اخذ
الشيء بسرعة وخون وفي وكاد ان يكون حوابا لسؤال مقدر
كانه قيل كيف حالهم في ذلك البرق فان يكون في موضع
خرصعقه لذوي الصدر حذف في صيب وان في البرق
نابت مناب الضمير وهي للعهد اذ قد تقدم ذكره ايضا
وقرئ يخطف بكسر الطاء مضارع خطف بفتحها وكسرها
في الماضي لغة قريش ويخطف وخطف ويخطف الى
وفي رواية ويخطف وما مصدرية مرفقه وانتصاب كل
على الظرف سرت اليه الظرفية من اضافة اسم المصدر اي
لانها قد تكون في حكم الظرفية وما مثل هذا يراد به
العموم تقول اذا صمك ما دامت سارق يريد العموم وكل في
مثل هذا اكدت العموم الذي افادته ما الظرفية والمراد به
مطلق الفعل والتقدير كل وقت اضاء لهم اي اضاءة لهم وان
كان متعديا فالمفعول محذوف اي اضاء لهم الطريق
وجاد الصهيني وش على الطريق او يكون التقدير مشوا
في ضوئه وهذه الجملة استئناف كانه قيل فما حالهم في حال
وسمن البرق وخفقه قيل كذا وكذا وحذف الظلم منتيا
للمفعول وتخريجه على ان التقدير واذا اظلم الليل بنفسه
وقال قد جاء في شعر حسن متعديا قال
وهما اظلما حالي ثم اطيا ظلاميهما عني وهن امرد اشيب
قامت تشكو الابير حون لشدة الظلمة وفاعل اظلم ضمير
يعود على الليل المفهوم من ساق الكلام وصدرت الجملة
بكلما وان تابيد وادا قال الزمخشري رضي الله عنه
لانهم حراص على وجود ما هم متمتعون به معقود من امكان
الشيء وثباته فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها
وليس كذلك الوقف والخسف انتهى ولا فرق هنا بين
كلما واذا الا ان فيه تنبيه على تكرار من كلما لم تفد التكرار
في اذا الا ان الامر دائر بين اضاءة البرق والاظلام فمتى
وجد هذا فقد هذا فليتم من تكرار وجود هذا تكرار
حكم هذا ومفعول شاء محذوف وكثيرا ما يحذف
لدلالة المعنى عليه خصوصا بعد اداة الشرط وقدم ذكر الابصار
والاسماع فقال ولو شاء الله لذهب سمعهم وابصارهم
وقرئ باسماعهم واعجب سبحانه وتعالى ما علقه على المشيئة بالغة

لمتى
سرت بفتح التين
والراء

لان المشيئة والقدرة تمام الافعال وكان بصيغة المبالغة
اولا حق بهما منه ولما بالغ في حال المستوقد ما عرض له
بالغ في حال هو لا التقدر وما عرض لهم من الحيرة والمبالغة
في حال التشبيه بما يقتضي شدة المبالغة في حال الحيرة
ونحن نختار ان هذين التشبيهين هما من التمثيلات المركبة
ومن المفسرين من حكى ذلك من قبيل التمثيلات المفردة
فقابل شأن او صاف المشبه بشيء من او صاف المشبه
وقد تقدم ذكر شيء من ذلك في تمثيل المستوقد واما هنا فقال
قابل الله العمى ان بالصمم لزوله من علو وعما هم عن تعقله
بالظلمات والرعد والبرق بالرعد والنور والحجج الباهرة
بالبرق وبحوفهم بحمل اصابعهم في اذانهم وتكاليف
الشرع بالصواعق ولما ذكر الله المكلفين من المؤمنين
والكفار المختوم عليهم بالوفاة على الكفر والمنافقين
وصفاتهم واحوالهم وما يؤول اليه حال كل منهم وابرز
كل الصفات في اسلوب ضرب الامثال خاطب جميع الناس
مثلا عليهم بالعبادة لان فيه هدى لما تلقيه اليهم من امر
العبادة لما حوى من آيات وجمع كثرة النداء ان القرآن
لم ينزل الا بعد سائر حروف النداء واتى لها بحامل وهي
هنا المنادى يوصل بها النداء ما فيه اداة ها حرف
تنبيه لازم لا يجوز وانا سر صفة لا يجوز واجب رفعها وقط
وكم مناسبة اذ هو اليه والمصلح ومن كان مالكا او مصلحا
احوال العبد لحزم ان يعبد ولا يشرك به وسبق وصف
الخلق على الصفاقة للعبادة دون غير من انس بخلق كمن الخلق
والخلق الاختراع والانجاد على تقدير وترتيب والذين من قبلكم
في قوم خلق المخاطبين وان كان من قبلهم فقد من حال
خلقهم لان علم الانسان بحال نفسه اظهر ممن علم باحوال
غيره ولانهم المواجهون بالامر بالعبادة فنبههم اولا على
احوال انفسهم لانها امم واكد وجدانا ولانضيفة الخلق ان
كانت العرف فقرة ما ان الله عز وجل خالقها ولم المخاطبون
وانا سبق لهم ان نزل القرآن بلسانهم ودخلت من هنا
على الزمان اذ التقدير من زمن من قبل زمان خلقكم وقرئ
من بفتح الميم قيل منقولا وخرج ان تحذري ذرك على
ابقاء الموصول الثاني كما افحم في ما يتم يتعدى والاحسن
في تخريج هذه القراءة الشاذة ان تكون على اضمار مبتدا
محذوف تقديره والذين هم من قبلكم وذكر خلق من قبلكم

لانهم

١٥

اصل لهم في خلق اصولهم انعام على العموم ولعل منها
لغات كثيرة ولم يجئ في القرآن الا افصحها وهي للترجي وقد
تكون قارة للاطماع ودك بالنسبة الى المخاطبين والمعنى
اذا عبدتموه وجوبتم حصول التقوى وهي التي يحفل بها
الوقاية من الاشراك والفجور بالجنة فتعلقت حملة الرجاء بقوله
اعبدوا وذكر الزمخشري وابن عطية رضي الله عنهما تعلقها
بخلقكم والذي يوجد الاظهر ان الامر بالعبادة والوصول
وصلة على سبيل المدح الذي تعلقت به العبادة فلم يجئ
الموصول كيجرد عنه بل في ضمن التعقب بالعبادة وآثار
صلته فلم يجئ لارشاد مقصود وانما جئ به ليتم ما قبله
فلا يتعلق به قصد بخلاف اعبدوا فانها لحملة المقصود بها
اولا والمطلوب من المخاطبين واذا تعلقت باعبدوا
فاستحطاب لهم تتقون الذي جعل لكم كون ربهم
خبرا مبتدا محذوف ونصبه صفة لما قبله او على القطع
واجز رفعه على الابتداء او الخبر فلا تجعلوا لله اندادا
ولوفي نهاية الضعف لمعنى الجعلية ولاستلزام دخول اللام
في الخبر والرفع بالاسم الظاهر وهو سبحانه وتعالى قوله ولا
تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون رحمة الله سبحانه وتعالى ان ينبه
على اعنى ولعل ما انتشر تيجاج الى اضمار اعنى وان ينبه
تتقون ولما اعران تنزه القرآن عنه والاحسن جعل
جعل بمعنى صير فتنصب واشارة بناء على المفعول
لانه بمعنى خلق فينتصب على الحال ومعنى فراشا بسترون
عليها والعرائس والمهاد والبساط والقرار والوطاء كلها
نظائر والبناء مصدر اريد به المبنى وهو تشبيه بالقبة
كقوله تعالى والسماء بنيناها بايد شبهت بالقبة المبنية على
الارض ومن السماء متعلق بانزل او بمحذوف وقع حالا من ماء
فتتعلق بمحذوف ادلوقا خر لكان صفة لما فتكون للتبعيض
من ماء السماء وكرر ما لان المراد لم يكن عاما قد حذف
اوله فاخرج به اي بالماء وانما ذكر السبب ليعرفه لمسببية
فحاد وهو تعالى قادر على ان ينبت الاشجار من غير اشاها من
غير مادة ولا سبب من الاسباب ولكن له في خلقه بعض الاء
عند امرها او خذ ذلك الى اخر بحكمته ولطائف قدرته
اريد احركة ذلك الامر فحي السبب الاخير بسببيته حقيقة
ومن للتبعيض وارد في المعارف لم يعتبر جمع هنا
لاختلاف في واحد ولا حاجة الى ارتكاب ان الثمرات من باب الجمع الى

ايد

سنا

الى تيقاوردنا بعضها موضع بعض لاكتفا بها في اجنبة نحو كن كوا
من جنات وعيون ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك واورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض
وما كانوا منظرين فقامت الممرات مقام الممر او الممار
كما ذهبت اليد الى مجرى رضي الله عنه وابعد من جعل
من زائدة وآل في الممرات دلالة على ان زيادة في
في الواجب وقيل معرفة بغير دعوان الاخفش رضي الله عنه
ولا دليل من الممرات ما لا يكون ان قالنا ولا يصح الاستغراق
واجعل ان قال ان يكون كالطعن فنصت على الحال
وان يكون مصدرا فيكون مفعولا من اجله وقرئ من الثمرة
على التوحيد وكم في موضع الصفة ان كان ان قائما مقام
الزمان وقت وفي موضع المفعول ان كان مصدرا وجوز ان
يتعلق باخرجنا وقدم خلق الانسان لانه اقرب الى معرفته
ثم خلق الارض لانها اقرب اليه من السماء وقدم السما على
نزول المطر وخروج الثمرات لانه كالمتولد بين السماء وبين
الارض والاشرمتي خرعن الموصل قال الواعبدة رضي الله عنه
النتق ما لقشد وقد هو الكون لكفوا لنذر وقالوا
قد اتخذوا اندادا يعبدونها من دون الله تعالى جاء النبي
عن جعل الاندادا لله تعالى على حسب الواقع وهذه الجملة منقطعة
عن قوله اعبدوا اي فوحدوه واخلصوا له العبادة لان
اصلها هو التوحيد وقال المحشي رضي الله عنه يشعر بان
على ان نصت فتخلوا انتصاب فاطلع في قوله لعلي اطلع
الى اسباب السموات فاطلع الى الله موسى كما في رواية
حصين عن حاصم اي عن علمكم كي تتقون او تخافوا عقابه
ولا تفهوم بجملته امتهي فعلى هذا لا تكون لا اداهية
بل نافية ويجعلوا منصوبا على جواب الترجي ولا يجوز على
قد هب البصريين وفي كلامه تعليق لكم تتقون بجملتكم
على ما مر من مذهبه الاعتزالي ويجوز ان يكون متعلقا هنا
بالوصول وصلة الذي اذا جعلت الذي خبر مبتدا محذوف
اي هو الذي جعل لكم هذه الايات العظيمة والادلة الجليلة
البينة الدالة على توحيده فلا تجعلوا لله اندادا وانتم
تعلمون جملة حالية فهي حرية لكم الا تجعلوا اندادا اي انتم من اهل العلم
والتميز ربما تحقق فلا تفعلوا فعل اهل الجهل العالم
وابعدهم عن الضلالة وقد رووا مفعول تعلمون اي تعلمون
انواعا من التقادير والاولى ان يكون متروكا اذ المقصود اثبات

اللهم من

١٦

اهم من اراد ولي العلم قال ابن عطية رضي الله عنه هذه الآية
تعطي ان الله تعالى اعنى الانسان الى آخر كلامه وهذا
خطأ في التركيب لانه لا يصوب ان ومعمولاها مما يوقع
اعطى بخلاف ما ظن وان كنتم في ريب الآية ليست
ان بمعنى اذ ولا كان مما ناصبة للفعل واللفظ ولم
تخلصه ان للاستقبال وان كان الريب وقع وانقضى
حقيقته كان عمر بل اخرج هذا الشرط في صورة
المستقبل لما علم ما قد يخرص وقوعه وان كان قد
لا يكون وجوده او وضوح انتفائه ان يكون في ريب من
جهة غير خافية اي من جملة المتقدمة وذلك غير خاف
وفي ريب هو من تنزيل المعاني منزلة الاجرام ومن يحتمل
ابتداء الغاية والسببية مما صوغ اي وما بنينا
اي من الذي نزلناه اي نزلناه والعائد محذوف
اي ان نزلناه واحتمال ان يكون نكرة موصوفة ونزلنا ارادة
به التضعيف ومعناه ان يكون راد فالمهزة الى المثقل
وفرق انزلنا ولم يقل لتضعيف هذا الا على رأي
من يجاري في قاف مختلفة خلاف الزمخشري وقوله
قال رضي الله تعالى عنه ايضا فان قلت لم قيل
مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان
المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من بحار
لكان المحدي انتهى وهذا الذي قاله الزمخشري رضي
الله عنه في تضعيف عين الكلمة هو الذي يعبر عنه
بالتكثير اي يفعل ذلك مرة بعد مرة فيدل على هذا
المعنى بالتضعيف ودخول الزمخشر قد دعى اصحه عن
كون ذلك انما يأتي في الافعال التي تكون قبل التضعيف
متعدية نحو جرحت زيدا وفتحت الباب فقطعت ودرجت
فلا يقال جلس زيد ولا انطلق ولا صوم ونزلنا لم يكن
متعديا قبل التضعيف ايما بعدي قال ضعف او الهمزة
فان جاء التكثير في لازم فهو قليل وهو مبني على حاله لانهما
قالوا مات الاول موتا اذا كثر ذلك منه وانما التضعيف
الذي يراد به التكثير انما يدل على كثرة الفعل اما ان
يصير اللازم متعديا فلا ونزلنا اي ان قبل التضعيف
لان ما تقول نزل القرآن يدل على بطلان ما ذهب
اليه فهو نزلنا على عهد فاذا قالوا انزل عليه القرآن جملة واحدة

وفي قوله نزلنا على عدنا الضمان او موخر وجوز بن عامر
على متكلم وغيره التعظيم للمنزل والمنزل عليه وذكر
العدد لسبحانه وتعالى تنبيه على حظ قدر واختصاصه
بخالص العبودية ولفظ العدد عام وخاص وهذا من
الخاص فقد قال بعضهم ايضا

لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي

وقرئ على صاد ما فعني الرسول صلى الله عليه وسلم فحذف
حركة نقل ويحتمل ان يراد بالعباد المتقون الذين انزل
عليهم الكتب والرسول صلى الله عليه وسلم اول مقصود
بذلك والسورة المنزلة الرفيعة وسميت سورة القرآن
بذلك لانها شرف بها قارئها وفضل قطعة من القرآن
من اسارت من السور والمدة في سورة لغة وطلب منهم
الاتيان بما طلق سورة وبكل واحد واحد منها
وتقدم وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ولم يقل لريب
في ريب من عبدنا لمناسبة ان يكون الضمير في من مثله
عائدا على المنزل لا على المنزل عليه والمطلوب من هذا
وفي قافية والمطلوب في غير هذا أن يأتوا بسورة مثله
وبعد سور مثله وقال على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ومن في
موضع الصفة اي من كلام مثله وقول من قال انها كباقي
الجنس او ان زائدة مردود عند والمثلية في حسن النظم وبديع
الوصف وغرابة الاسلوب والاخبار بالغيب مما كان ومما يكون
وما احتوى عليه من الامر والنهي والوعد والوعيد والقصص
والحكم والمواعظ والاحتجاج والصدق والامر من التحريف
والتبديل وقيل الضمير في مثله عائد على المنزل عليه فمن معلقة
بقوله فاتوا اي فاتوا من مثل السورة المرسل بسورة او في موضع
الصفة اي بسورة كائنة من رجل امي مثله وفي كلا العددين
التعديين الى ان تكون من هذا الاسناد الغامة والمثلية تنحية
على كونه على الفطرة الاصلية اميا لا يحسن الكتابة ولا دارس
العلم ولا مجالس الحكماء ولا قارئ وطنه الذي نشأ فيه وادعاء
الضمير في من مثله عائدا على المنزل فذكر المثل على سبيل الفرض
والتسليم ادعى سمند واتى به هنا لغة كعلم وعلماء وكونه
جمع شاهد كعالم او كشاعر وشعور ليس بشيء قاله
الزمخشري رضي الله عنه والاقصد الى مثل ونظم هذا
وكنه مثل قول الشاعر لقحة جرشية لقحت بجرشي وقال الاعلم

على الادهم

١٧

على الاذهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد ان
كان على صفة الامير من السلطان والقوة وبسطة اليد
ولم يقصد هذا بعينه مثل الحجاج انتهى كلامه وقد فسر
هو المثلية في كونه مثله اعرب تبا واما لم يعد الكتب
فقوله لا مثل ولا نظير لسيبويه ظاهر لان المماثل في هذا
الشيء المخاص موجود ومن دون الله يحتمل ان يخلق
يشهد لهم اي ادعوا من اتخذتم آلهة من دون الله وزعمتم
انهم شهداؤكم لكم انكم على الحق او ادعوا انكم من دون الله
اي من دون الهة او اولياء الله ومن تستعينون بهم دون
الهة او تخلقون ما ادعوا او ادعوا من دون الله اي استشهدوا
بالله سبحانه وتعالى فتقولون الله يشهد ان ما تدعونه حق
ولم يكتف في تعجيزهم بان يعارضوه حتى امرهم ان يدعوا شهداء
فيستعينون بهم على ذلك وهو امر تعجيز والمعنى ان كنتم
ان كنتم صادقين في كونكم في ريب من المنزل على عبدنا
وجواب الشرط محذوف اي فاتوا فلما كان الامر امر
تعجيز وتعجيز اخرس بحماته وقطع ابهم لسيبويه قادرين على
المعارضة بقوله ولن تفعلوا وجاء بان وان كان
الغالب ايها تدخل على الممكن تهكما بهم على ايهامهم انه داخل على
الممتنع وعبر بالاصل عن الايتان لانه ما من شيء من الافعال
الا ويصح ان يعبر عنه بالفعل وفي كتاب ابن عطية رضي الله عنه
تعليل غريب لعمل لم الجزم قال وحسنت لان بها
شبهت لان في البرية في انهما ينفيان وكما تحذف لا النافية
الاسم كذلك لم تحذف في الجزم ولن تفعلوا اشار لهم
لتكون عجزهم بعد ذلك ابلغ وفيه دليل على امكان النسخ اذ هو
اخبار بالغيب ولم يقع من احد معارضة اصلا ولن تفعلوا
جملة اعترض لا موضع لها من الاعراب وقال الزمخشري رضي
الله عنه واقتران الفعل بلن في هذه الجملة دون لا وان كانتا
اخوتين في نفي المستقبل لان لن لن تؤكدا وتشديدا اه
يعكر عليه قولك لصاحبك لا افهم عنك اي ان انكر عدك فلت
لن افهم عنك كما تفعل في ارى ما تقول واني لمقيم انتهى وهذا
مخالف لما ذكر عند ان لن تقتضي ابدا نفي ما قرب منها وقال
ابو حيان ملخصا لن تنفي ما قرب ولا تمتد لنفي فيها مطلقا
وهذا يكاد يكون عكس قول الزمخشري رضي الله عنه وكون
لن تقتضي التأكيد والتأبيد او نفي ما قرب اقوال متأخرة
والرجوع في ذلك لمستقرئ اللسان ميسوده ومن في طبقته قال ع

ب

لن نفي لقوله سيفعل ولا تفي لقوله فعل ولم يفعل انتهى وهو
نص على انها قد تفيان المستقبل وانقوا النار جواب الشرط
الذي هو ان لم تفعلوا وكني به عن ترك العمل لان من
علم بعد وضوح الحق له يوجب العقاب بالنار ايضا
وانما الامن نتائج ترك الجهاد وفيه وعرفت
النار ووصلت الى بما وصلت لتقدم ذكرها في سورة
البقرة وان تلك الآية نزلت بمكة والتي هنا نزلت
بالمدينة وفرش وقودها على ان يراد بها الذي يوقد به
وقد قودها بضم الواو اي ذو وقود او وقودها او جعلوا المصدر
مبالغة كالحلي المصدر بالفتح ايضا وفرش وقودها
اي موقودها والحجارة تاسيس ان تفسر بالاصنام لقوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم
لها واردون اعدت للكافرين الكثيرون لسان العرب ان
الا عداد لا يكون الا للموجود وهو النهيئة والارصاد قال
الشاعر اعددت للحدثان سابغة وعدا علندا وقد
يكون لما لم يوجد في موضع نحو الموجود كقوله تعالى اعد الله لهم
مغفرة واجرا عظيما قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه
وفي قوله اعدت رد على من قال ان النار لم تخلق حتى
الان وهو القول الذي سقط فيه سند ابن سعيد انتهى ولفظ
الكافرين لائح على انهم هم يدخلون النار وانما نص
عليهم لانتظام المخاطبين منهم والجملة استئناف اخبار
وقال ابو البقاء في موضع الحال من النار والعامل فاتقوا
انتهى وجعلها حالا لا يظهر اذ يصير المعنى فاتقوا النار
وكنت اعدادها للكافرين وهي معدة للكافرين اتقي هو لا
النار اذ لم يتقوها فيكون اذ ذاك حالا لازمة والاستئناف
خير مرد على الاستئناف واكثر ما تستعمل في الخبر وقل
ان تكون وعدا لهم ذكر قبلهم للمؤمنين وعدا لهم لتكون
الوصاة جامعة بين الوعيد والوعد والامر بالتبشير
ان سولك صلى الله عليه وسلم او كل من يصح التبشار منه من غير
تعيين قال ابن مخيري رضي الله عنه وهذا احسن واحرى
فائدة لوجوب بان الامر لخطابه وتخامة شامله تحقق ما به
يبشر به كل من قدر على البشارة انتهى والوجه الاول عندي
اولى كما تقدم لان امره صلى الله عليه وسلم بالبشارة مخصوصا
بهم اعظم واجل وكانه ما اتكل على ان يبشر لوضوح كل سامع
بل نص على اعظمهم واصدقهم ليكون ذلك اوثق عندهم واقطع في

الاخبار بجزء

٢

حال

١٨

الاخبار لهذه البشارة العظيمة ان تسليم وتبشير من
الله عز وجل والجملة من وبشر معطوفة على ما قبلها
وليس الذي اعتمدت عليه اي بالعطف هنا هو الامر
حتى يظل مشاكلا من امر او نهي ليعطف عليه انما
المعتمد بالعطف هو جملة وصف تواب المؤمنين فهي تكون
معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد
عالم وكاتب والانسان وبشر عمرا بالعفو والاطلاق
قاله الزمخشري رضي الله عنه وانتصر له ابو البقاء رضي الله عنه
واجاز الزمخشري وابو البقاء رضي الله عنهما
ان يكون قوله وبشر معطوفا على قوله فاتقوا النار
ليكون عطف امر على امر قال الزمخشري رضي الله عنه
كما تقول لابنك تنكب اعدوة ما حتاك وبشر
وبشر يا فلان بني اسد باحسان اليهم اسيئي وهذا
خطأ لان قوله فاتقوا جواب للشرط وهو صعب جزم كما
قيل والمعطوف على الجواب جواب ولا يمكن في قوله وبشر
ان يكون جوابا لانه امر بالبشارة مطلقا لا على تقدير
ان لم تفعلوا لان امر ان يبشر الذين امنوا امر البشر هو
مرتب على شيء قبله وليس قوله وبشر على اعرابه مثل ما قبله
لانه من قوله يا بني تميم الى آخره لان قوله احذروا لا موضع
له من الاعراب بخلاف قوله فاتقوا ولذلك امكن في ما مثل
به العطف ولم يمكن في وبشر وقري وبشر فعلا ما
سببا للمفعول بضم اوله قال الزمخشري رضي الله عنه يعني
عطفا على اعدت انتهى وهذا الاعراب لا يتأتى على قول
من جعل اعدت جملة في موضع الحال لان المعطوف على
الحال حال وبشر لا يمكن ان كان وبشر يتعدى الى مفعول
بنفسه والى آخر بحرف الجر وهو قوله ان لهم جنات تجري
من تحتها الانهار وحذف حرف الجر وهو في موضع نصب
على مذهب الخليل لا في موضع جر كما ذكر خلافا لمن قال
مذهب الخليل انه في موضع جر وهو ابن مالك قاله
في التسهيل وكان قلد الا نام بكتاب سيبويه رضي الله
عنه وجاز ان صلة الموصول بالمضارع لاشتماله على دلالة
على ان المستحق للتبشير بفضل الله عز وجل من وقع
منه الايمان وتحقق به وبالعمل الصالح والصالحات
صفة جرت مجرى الاسماء فولبت العوامل فعلها
فتكون قد انتصبت تقديرا على انها مفعول به وان فيها

المجنس لا للعموم والظاهر ان من اقتصر على الايمان فقط دون
العمل الصالح لا يكون مبشرا بالجنة من هذه الآية والجنة
هي البستان الذي سترت اشجاره ارضه والنهر دون
البحر وفوق الجدول وفتح الهاء اللغة العالية وفي رواية
لغة اهل العالية وقال الزمخشري رضي الله عنه الجنة
اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة
ومرتبة مراتب على حسب استحقاق العاملين لكل طبقة
منهم جنات من تلك الجنان انتهى وقوله على حسب استحقاق
العاملين فيه وسيسة الاعتزال واللام في لهم هنا
للاختصاص وتقديم الخبر هنا اكد من تقديم
المخبر به او المخبر عنه لقرب عوده على الذين امنوا
فهو اسر للسامع وليست من زائدة ولا بمعنى في
فان كانت الجنة الاشجار الملتفة ذوات الظل فلا
حذف او الارض فعلى حذف مضاف اي من تحت اشجارها
او من تحت غرفها ومنازلها ومن لابتداء الغاية
واحسن اوصاف الجنة جريان الماء الذي هو كالروح لها
كذلك لا يكاد ذكرها يأتي الا مقرونا بجري الانهار
وقال ابن عطية رضي الله تعالى عنه نسب الجري الى
النهر وانما يجري الماء وحده توسعا وتجوزا كما قال
واسأل القرية اي والمراد بالقرية اهلها وكما قال الشاعر
واستت بعدك يا كليب المجلس ثم ناقض فقال
بعد ذلك بنحو من خمسة اسطر والانهار المياه في
مجاريها المتطاولة الواسعة وال في الانهار للجنس
وقال الزمخشري رضي الله عنه او يراد انهارها
فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله عز
وجل واشتعل الراس شيبا انتهى وهذا شيء قاله الكوفيون
ولا تكون ال عند البصريين منوب مناب الاضافة
قيل او تكون ال للعهد الثابت في الذهن من الاوجه
المذكورة في سورة القتال والجملة من قوله تعالى
كلما رزقوا مستأنفة لما ذكر بتبشير المؤمنين بالجنة
ووصفت بجري انهارها لتشتاق النفوس اليها
والى ذكر حال المؤمن فيها فيبدي بذكر ملاذها والاهم
منها فقيل كلما وجعل الجملة صفة للجنات او في موضع
رفع على الابتداء مضمرا فهي كلما او هم كلما مرجوح اي
لافتقارها في هذين الوجهين الى موصوف او الى محذوف

جنات

فلذلك

واستقلالا

واستقلالها اذا كانت استئنافا واحتمال الواو العطف ان يكون حالا
من الذين امنوا اى مزنة وقفين على الدوام فلا تهم الآن كانت
حالا مقدرة لانهم وقت التنزيل لم يكونوا مزنة وقافين ولا قاتلين
هذا الذى يرد فيما من قتل والضمير فى منها عائد على الجنات
بعض سمرة بدل اشتمال اعتد معه لجاز ومن لابتدا
الغاية فيها وقد تعلقتا بهنا بزنة فوا على جهة البدل
واجاز الزمخشرى رضى الله عنه ان تكون من سمرها قال
فى منهاج قولك رايت منك اسدا اى شجاعا وتكون من للبيان ليس
بمذهب للمحققين وقد ذكرت اقوالهما عند قوله تعالى من
اساور من ذهب ان تكون للبيان وعلى تقدير ان تكون من متعلقة
للبيان لا سيما هنا لان البيانية ان كان قبلها معرفة
قدرت بما يصلح صلة للموصول تكون صفة لتلك المعرفة وان
كان قبلها نكرة قدرت بما كان من ويكون ما دخلت عليه حينئذ
لذلك الضمير وهذا التقدير ان تفسر امحى لا تفسير اعراب
وان قد يحتمل ان هذا التقدير ان هنا واعتبارات منك
اسدا فمن هنا لابتداء الغاية اى للغاية ابتداء وانتهاء نحو
اخذته منك ولا يراد بالواحد هنا الشخص الواحد كالتفاح
مثلا بل المراد واحد انواع الثمار قال الزمخشرى
رضى الله عنه وعلى هذا اى على تقدير ان تكون من للبيان
يصح ان يراد بمن النوع من الثمار والجنة الواحدة الجنات
انتهى وهذا تفريع على ان من تكون بيانا وورد قائلا ومعترضا
وتنعقد فيه الضدية لقوله هذا قالوا وهذا الذى
رزقنا من قبل اى مثل الذى وحذف مثل الاسم كام الله
حيى كان هذه العين تلك ومن قبل متعلق برزقنا
وما هو مقطوع عن الاضافة والتقدير من قبل الرزق وهذا
وقال ابن عطية هذا اشارة الى الجنس اى هذا من الجنس الذى
رزقناه قبل اى فصير التركيب هذه الجنس من الجنس
ولعل الناسخ صحف ومثل بمن اى هذا مثل الجنس وبعض
قالوا اى قال بعضهم لبعض وذلك على سبيل التذكر لنعم
الله عز وجل وقيل ذلك على سبيل التحدى اى انهم يرزقون
الثمرة ثم مثلها صورة والطعم مختلف فيعجبون منه
وانوا ممتثلا للمعقول والآلذين بين لك الخدم والولدان وقرى
وانوا صنيعا للفاعل وضمائر الاثنين وذلك على المعنى
الافرادى لما قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا الا بجعل الضمير فى به عائدا على الرزق

الذي هو الثمار كما ان هذا اشارة اليه وقال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت الى م يرجع الضمير في قوله واتوا به متشابها
قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة لان قوله هذا
الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين
انتهى وهذا غير ظاهر بل الظاهر ان يعود به على المرزوق
في الآخرة لانه هو المحدث عنه والمشبه بالذي قد رزقوه
من قبل مع انه اذا فسرت القبلية بما في الجنة تعين عود
الضمير الى المرزوق في الجنة ولا سيما اذا اعربت الجملة من قوله
واتوا حالا من متشابها اي قالوا كذا وكذا وهم قد اتوا
به او كانت معطوفة على قالوا لان ما في حيز كلما والعامل
فيها مستقل المعنى لانها لا تخلو من معنى الشرط او كانت
مستانفة لان هذه هي الجمل وانما جيء بها محدثا
لها عن الجنة واحوالها وكونه يخبر عن المرزوق في الدنيا
والآخرة انه متشابه ليس من حديث الجنة الا بتكلف
ومتشابها حال من الضمير في به اي بالمرزوق في حال
تشابهه واطلق المتشابه ولم يقيده وقد قيده
المفسرون هنا بتمثيلات وقال الزمخشري رضي الله عنه
ان ثمر الجنة متشابه بثمر الدنيا واطال القول
في ذلك والذي يظهر ان المتشابه فيه كونه يشابه
بعضه بعضا في اعلا غاية الجودة كما في ثمر الدنيا اذ تجد
النوع الواحد يختلف في الجودة والرداءة اختلافا كثيرا
ويتباين حتى يساوي بعض النوع اضعاف ما يساوي
بعضه ولما كانت مجامع اللذة في المسكن البهي والمشرب
الروي والمطعم البهي والمنكح الرضي ذكرها تعالى فيما
بشر به المؤمن وبدا بالمسكن لان به الاستقرار ثم
بالمشرب والمطعم لان بهما قوام الجسم ثم بالازواج لان
بها تمام اللذة والانس فقال ولهم فيها ازواج والاولى
ان تكون جملة مستانفة كما اخترنا في كلما لان في جعلها
استينافا اعتناء بالجملة اذ سيقت كلاما تاما لا يحتاج الى
ارتباط صناعي وازواج مبتدا ورفعه يدل على الاستيناف
اذ لم يشرك مع جنات في العامل والمراد بالازواج القرناء
من النساء اللاتي تختص بالرجل لا يشاركه فيها غيره وقد
ورد في الحديث الصحيح ما يدل على كثرة الزوجات للرجل
الواحد وجاء ازواج جمع قلة لان استعماله هو الكثير وهو
المقيس في فعل المعتل العين وقد جمع زوج على زوجة جمع

ليس فيه تنافر

الكثرة

للكثرة لكن استعماله قليل وليس بالقياس ومطهرة صفة
للازواج مبنية على طهرت كالواحد المؤنث وقرئ
مطهرات على طهرن وبناؤه للمفعول اقحم ان افهم ان لنا
مطهر وليس الا الله سبحانه وتعالى وتطهيرهن من الاوصاف
القبيحة في الخلق والخلق وقرئ مطهرة واصله متطهرة
فادغمت التاء في الطاء ولما ذكر سبحانه وتعالى مجامع
اللذة اعقب بما يزيل تنغيص النعيم بذكر الخلود وظاهر
اللغة ان الخلود هو البقاء الدائم الذي لا ينقطع ابدا
قال زهير رضي الله عنه
فلو كان حمد يخلد الناس لم تمت ولكن حمد الناس ليس بمخلد
الحياء تغير في الوجه يعتري من خوف لوم او ذم وضده القحة
قيل لما ضرب تعالى المثل بالعنكبوت والذباب وغيرهما
وسبق في هذه السورة ضرب المثل بالمستوقد والصيب
انكر بعض الكفار ان يكون الله سبحانه وتعالى يضرب الامثال
بهذه فنزل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا واستحياء
موافق هنا للمجرد وهو حيي بمعنى استحياء واستحى يستحيي
لغة تميمية واستحيا لغة حجازية واكثر نصوص ائمة النحو
ان المحذوف في استحيا لغة تميم وهي تكون عين الكلمة
فوزنه استفل ومعنى لا يستحيي اي لا يترك لان الاستحياء
حقيقة محال على الله سبحانه وتعالى والترك من ثمرة
الحياء لان من استحيا من شيء تركه وضرب الشيء مثلا تصييره
وقد عد بعض النحاة في باب ظننت ضرب مع المثل وغيره
قال المعنى وضع وبين والبعوضة حيوان معروف اي
مشهور كما قيل في ذلك ايضا والمشهور نصب بعوضة
وقرئ بالرفع والنصب على ان يكون صفة لما وصفت
باسم الجنس وما بدل من مثلا ومثلا مفعول بيضرب
او عطف بيان من مثل او بدلا منه او مفعولا بيضرب ومثلا
حال من نكرة تقدمت عليها او مفعولا ثانيا ليضرب
او اول ليضرب ومثلا ثانيا او منصوبا على اسقاط الجار
التقدير ما بين بعوضة فما فوقها والذي نختاره
ان مثلا مفعول بيضرب وما صفة لمثل زادت النكرة
شياعا وبعوضة بدل فاما الرفع فخبر مبتدا على ان ما
موصولة بمعنى الذي وهو بدل من مثلا او على ان يكون
استفهاما وبعوضة خبر ما او خبر هو محذوفة وما زائدة
او صفة وهو بعوضة كالتفسير لما انطوى عليه الكلام السابق فما

فوقها

ارمي في العظم كالذباب والعنكبوت المضروب المثل بهما ايضا
وقتلك فما فوقها يعني في الصغر اي بزيد عليها في قلة الخير
ولزاد زيد هذا المعنى لكان التركيب فما دونها • فاما الذين
آمنوا جاءت الجملة ماءتا لسؤله والذين لان اتاهم الشرط
او لان ملئي خبر اما اي من الخبر كما ذكرنا وقعا لا محالة
وعندة انه مشربت على ما قضمتنه اتاهم الشرط او من جميع
الشروط المتضمنة لها والضمير في انه عائد على المصدر المفهوم
من ضربت او على المصدر المفهوم من انتفاء الاستحياء او على المثل
وهو الظاهر لقوله فاذا اراد الله بهذا مثلا واخبر تعالى عن
المؤمنين بالعلم وهو الجزم المطابق بدليل وعن الكافرين بالكفر
بالشان المتضمن الاشمئزاز والاستهزاء وما استفهام
كلمة ركبت مع ما فيكون منصوبا بما اراد اي اي شيء اراد الله
بهذا مثلا وما اسقهام وهو مبتدا وذا موصول بمعنى الذي
خبره عنها والعائد محذوف وجعل ابن عطية رضي الله عنهم
هذين القولين مسالة الخلاف بين النحويين وليست كذلك بل
كل واحد من شدا شيئا من علم العربية اجاز هذين الوجهين
وعلى نحويهما المغربون والمشرقون وانتصب مثلا على التمييز
المؤكد او على الحال من اسم الاشارة اي ممثلا او من الفاعل اي
ممثلا وغير الكوفيين نصبه على القطع • يضل به كثيرا ويهدي
به كثيرا اعلنان مستانفتان جاريتان مجرى البيان والتفسير
للجملة الاستفهامية وجعل ذلك صفة لمثل بعد جدا او
تكون من كلام بعض الكفار واسناد الاضلال الى الله تعالى حقيقة
والى مخبره رضي الله عنه في شرعها على مذهب الاعتزال وتجوز
ابن عطية ان يكون يضل به كثيرا من كلام الكفار ويقضي به كثيرا
هو من كلام الله عز وجل تفكيك للكلام وهو غير طائل وقد يضل
به كثيرا ويهدي به كثيرا • وما يضل به الا الفاسقين
مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل وياء الاضافة مفتوحة
ورفع الثلاثة وخبر ي بضم الياء وما قبل ياخ ورفع الالفاظ
والضمير في به عائد على المثل اي بضربه والفاسق معناه هو
الخارج عن طاعة الله عز وجل الذين ينقضون صفة ذم للفاسقين
لان منه او نصب على الذم او رفع على هم الذين واعترضا بها
مبتدا والخبر جملة اولئك هم الخاسرون المتناف لا تعلق
لها بما قبله ولكن الظاهر هنا تعلقه بما قبله وكل في امر ناقض
لعهد الله عز وجل قاطع ما امر الله عز وجل بوصله مما وصفه
سبحانه وتعالى بهذه الصفات اخبر عز وجل بخسارته وعهد الله هو

إتمام

اي مر
ر ٣ و

ما ضمنه الله
تعالى

ما ضمنه الله تعالى في الكتب المنزلة وعلى ألسنة انبيائه عليهم
الصلاة والسلام من امره بطاعته ونهيه عن معصيته وافراده
وافراده بالعبادة والميثاق مفعال من الوثاقة والاصل
في مفعال ان يكون صفة كمطعان او آلة كمحراث وظاهر
كلام الاستاذ الزمخشري رضي الله عنه وكذا كلام ابن عطية
رحمه الله تعالى انه اسم بمعنى المصدر او انه مصدر
قال الزمخشري رضي الله تعالى عنه بمعنى التوثقة كما ان
الميعاد يكون بمعنى الوعد والميلاد يكون بمعنى الولادة كما قال
بعضهم. وقال ابن عطية رضي الله عنه هو اسم في معنى
المصدر كما قال وبعد عطائك اي اعطائك ولا نعلم
مفعالا جاء مصدرا ولا عدوه في ابنية المصدر ايضا
والضمير في ميثاقه عائد على العهد وقيل عائد على الله
عز وجل وقال ابو البقاء رضي الله عنه ان اعدته
الى الله عز وجل كان المصدر مضافا الى الفاعل وان اعدته
الى المفعول كان مضافا الى المفعول وما بمعنى الذي
وهي تكون عامة في كل ما امر الله به اي امر به ان يوصل
او امر بوصله وامر حذف مفعوله الذي يتعدى اليه
بنفسه اي ما امرهم وبه عائد على ما وان يوصل
بدل منه اي به وصلة واعرابه بدلا من ما او يكون
مفعولا به او مفعولا من اجله ايضا تقديره كراهية ان
يوصل او تقديره لئلا يوصل او خبر مبتدأ تقديره
هو ان يوصل وهذه كلها اعاريب ضعيفة وان
كانت منسوبة لمشهورين. والفساد في الارض ناشئ
عن ما تقدم من الاوصاف الذميمة وبدأ في ترتيب
هذه الصلاة اولا بنقض العهد وهو اخص ثم بقطع
ما امر الله تعالى بوصله وهو اعم من نقض العهد اي
بالافساد في الارض وهو اعم من القطع وكلها ثمرات
الفسق وجاء بالفسق في صلة ال مشعرا اي بالثبوت
وهذه الصلاة بالمضارع مشعرة بالتجدد ثم اشار
الى من جمع هذه الاوصاف واخبر عنه بالخسران بفوات
المثوبة ولزوم العقوبة كيف استفهام عن حال وهو
استفهام توبيخ وانكار وتعجب وانكار حال وقع فيها
الفعل انكار للفعل نفسه تقول كيف تؤذي
زيدا وقد احسن اليك فالمعنى على انكار اذايته
في هذه الحالة او في هذا الحال مثلا. وتكفرون التفات

مشعرا

او لو خطاب قعد عقيبه وناسب الانكار لان الانكار
في المخاطب ابلغ من الانكار على الغائب ولهذا الانكار
قد لا يصل اليه وكنتم جملة حالية وبحي الماضي حالا
بالواو ودون قد في القرآن وكلام العرب قال الزمخشري
رضي الله عنه فان قلت فكيف صح ان تكون حالا وهو ماض
والقياس حيث وقام القوم ولكن يقال قد ايضا وقد
قام القوم الا ان يضمر قد قلت ولم تدخل الواو على كنتم
امواتا وحده ولكن على جملة قولك كنتم اموانا الا ترجعون
كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم
امواتا اي نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم
بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعث الموت ثم اليه ترجعون بعد
الحياة والبعث من قبورهم وهذا الذي قدره حالا من نصره
بجملة اسمية واصبا وانكم خبر المبتدا قلت الجملة كلما ركبت
عرجتاج اليه وقد ذكرنا وقوع الماضي حالا بالواو ودون
قد وارد كثير وانما احوجه الى تقدير الحال جملة اسمية
اعتقاد ان جميع الجمل مندرجة في الحال ولذلك قال
بعض النحويين القصة هنا بعضها ماض وبعضها
مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يكون حالا
حتى يكون فعلا حاضرا او قد وجد ما هو حال عنه فما يكون
الى آخره الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كانه قيل
كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وما قبلها وبآخرها
انتهى ولا يتعين ان تكون جميع الجمل مندرجة في الحال ولكنها
قوله ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فانهم منكرون البعث والحساب
والمؤمنون به في حيز المستحيل عقلا او عادة كما قيل
بذلك ولكن التصريح بذلك هو الوعد به في غير اي من آية القرآن
قل لهذا قوله وكنتم امواتا فاحياكم ويكون المعنى
فكيف تكفرون بالله وقد خلقكم فعبر عن الخلق
بذلك لقوله عليه السلام ان نطفة اربعين يوما وقد
خلقك اي ان من اوجدك بعد العدم اقدر على حرى اي حقيق
ان لا تكفر به وكانكم كونوا في الصلاب وفي العقول
ان لا خالق الا الله عز وجل كانت حالة تقتضي ان لا يجامع الكفر
فلا يحتاج الى ان تكلف ان الحال هو العلم بهذه الجملة وهذا الذي
شرحناه يكون قوله تعالى ثم يحييكم الى آخره جملة اخرى معطوفة
بها مستأنفة لا داخلة تحت الحال ولذلك قد ظاهرة فيها بحرف
العطف وبصيغة الفعل ما قبلها من الحرف والصيغة

والتعبير

والتعبير عن العدم الصرف بالموت مجاز والمفسرون والمسوون
الى علم الحقائق اقوالا اخترنا منها هذا القول وهو اختيار
ابن عطية رضي الله عنه واختار الزمخشري رضي الله عنه
ان الموتة الاولى كونهم نطفا في اصلاب ابائهم ثم الله اي الى
حرايه وقدرته ترجعون منيا للفاعل ومنيا للمنفعل
لانما ومتعددا. ولما ذكر الله عز وجل هذه الاطوار
التي جعلها لهم ذكر امتنانه عليهم فقال سبحانه وتعالى هو
الذي خلق لكم ما في الارض جميعا اي خلق لاجلكم ما في الارض
جميعا عام فيه للاعتبار وفيه للانتفاع الدنيوي ثم ذكر
عظم قدرته في العالم العلوي وانه محيط بجميع ذلك كله
وارده والعالم العلوي بالنسبة الى قدرته على السوار
وان علمه محيط بكل شيء وثم تقتضي التراخي في الزمان
والمكان ولما كان بين خلق الارض وبين خلق السماء
اعمال من جعل الرواسي والشمك وتقدير الاقوات
عطف بثم اذ بين خلق الارض وما فيها وبين الاستواء تراخ
وان لم يقع ذلك في زمان والاستواء مجاز عن تعلق قدرته
بما يفعل بالسماء وضمن معنى عمد فلذلك عدي بالى
والسماء جمع سماوة اذ واسم جنس والتسوية جعلهن سواء
بالنسبة الى سطوحها واملاسها والضمير في سواهن عائد
الى السماء وانتصب سبع سموات على الحال او على البدل من
الضمير وقال الزمخشري رضي الله عنه والضمير في سواهن
مبهم وسبع سموات تفسيره كقوله ربه رجلا اتهى
مفهوم كلامه ان هذا الضمير يعود على ما بعده وهو مفسر به
فهو عائد على غير متقدم الذكر والمواضع التي يفسر فيها الضمير
ما بعده ليس هذا منها وكونه يعود على ما بعده يكون الكلام
مقلقا متناقضا وتصير اخبار الجملتين اخبرها انه استوى الى
السماء والاخرى سوى سبع سموات وقد تقدم الربط بين
هاتين الجملتين والظاهر ان الذي استوى الى السماء هو المستوي
سبع سموات وجعل سوى بمعنى صير فينصب سبعا على انه
مفعول ثان غير مفروق في النقد واعراب سبعا على انه
مفعول سوى والتقدير وسوي منهن غير مستقيم لا لفظا ولا
معنى وناسب تقطع هذه الآية بالوصف بمبالغة العلم
لما تقدم من الافعال التي فعلها الله تعالى في العالم السفلي
والعالم العلوي ثم ذكر سبحانه وتعالى مبتدأ عالم الانسان
وحالة نشأته وابتدأ خبر بث للملائكة والخطاب لرسوله صلى الله عليه وسلم

والناصب لاذ قالوا التحمل فيها من يسرفها كما تقول اذ
جئتني اكرمتك اي وقت مجيئك اكرمتك وللمعربين
والمبنيين في اذا اذ في العامل في اذ ثمانية اقوال تترة
القراء ان عنها • والملك منهم اصلية وجمعه على ملائكة
وملايك شاذ واشتقاقه من الملك وهو القوة وكانهم قد
قوتهم الله فعال وقيل الميم زائدة لانه من لاك اذا ارسل
وقالوا ملاك مخفف محذوف الهمزة ونقل حركتها الى
اللام وقيل من الالوكة وهي الرسالة فاصله مالك ثم قلبت
فصار ملاكا ثم نقل وحذفت الهمزة فلفظه يعطل وقيل
من لاك الشيء اذا ادار في فيه وهو مفعل كعامة ثم حذفت
العين فوزنه معل وهمزتها في ملائكة شاذة كهمزات والتاء
في الملائكة تكون لتانيث الجمع وسماد القول الى ما في غاية من
البيانية وفيه خروج من الخطاب العام في قوله هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا الى الخطاب الخاص في قوله اذ قال ربك
وفي الخطاب رمز لاستماع ملسمذكر بعد من غريب افتتاح
هذا العالم الاستئناف وشيء من اهواله وما له واشارة
الى الخطب الاعظم من الجملة المخبر بها اذ هو عليه الصلاة والسلام
اعظم خلقائه والخليفة فعيلة بمعنى الفاعل والهاء لما
للمبالغة وقيل بمعنى المفعول كالبطيحة والهاء للمبالغة
واللام في الملائكة للتبليغ واجعل الظاهر موضع الخلق وقيل
التصيير وتقال سفك وسفك مضعفا واسفك وامور
مضارع في سفك يسفك اي وسفك سفكا وسفاكا ه
والسفك الصب وقيل الاضياف وهو اسم للدم الكائل على
الارض وهو محذوف اللام وزنه فعل وقيل وزنه
فعل وقصره وتضعيفه مسموع ه والتقديس التطهير
والتقديس التنزيه والتقديس من السوء وقد اعتبر ذلك وترك
خلقه والتفات والاظهر عموم الملائكة عليهم الصلاة
والسلام وقيل الذين كانوا يسكنون الارض وعمومه الارض
وقيل مكة وذكروا في قول الله للملائكة ما قال امور الا تقطع
بصحتها والله سبحانه وتعالى ان يخاطب من شاء بما شاء
وان خفيت الحكمة ولما كانت الملائكة لا تعلم الغيب ولا
تستنبط بالعقول لم يكن قولهم اجعل فيها الآية الا عن مباد وسابق
لم يذكر في القرآن فنعلمها قيل وهو استفهام على معنى
التعجب من استخلاف الله من يعصيه وقيل على طريق ان كان
للاستخلاف والاعتراض ولما كان قول الملائكة مع عصمتهم

والبراءة ص

ارض ح

ظاهره د

ظاهر الاعتراض قال المحلي اجابوا عن اولى وجوه احدها عندي
انهم كانوا حين القول لهم مجلين والذين مندرج في جملتهم
فورد منهم الجواب مجملا فلما انفصل ابليس عن جملتهم بإبائه
واستكباره انفصل الجواب الى نوعين فنوع الاعتراض كان عن
ابليس وانواع التسبيح والتقديس كان عن الملائكة عليهم
الصلاة والسلام فانقسم الجواب الى قسمين كانقسام الجنس
الى جنسين وناسب كلا منهم جواب من ظهر عنه وقرئ
يسفك بضم الفاء وتشفك بتشديد الفاء وقرئ
وتسفك بنصب الكاف على جواب الاستفهام وقال ابن
عطية رضي الله عنه الفصيح بوا الصرف انتهى وليس ذلك
من مذاهب البصريين ولما كانت ملة من يفسد ويسفك
دمه ضارع
مشتركة فلا يدل على التهجم في الفساد نص على اعظم الفساد
وهو سفك الدماء إذ هو افساد الهياكل المحسنة التي خلقها
الله سبحانه وتعالى وذكر معها تنبيها على ان ما كان محلا للعبادة
لا يكون محلا للفساد والمراد في حمدك للحال اي ملتبسين
بحمدك ونقدس لك قلت معناه اي نطهر انفسنا
لك من الادناس وقيل اللام زائدة فقيل صفوة للفعل
كأعلم مضارع وما موصولة وكون ما تكتمون صفوة وكنت
اعلم افعل التفضيل اي اعلم منكم وما منصوب بفعل محذوف
او اعلم بمعنى عالم وما مجرور بالاضافة او منصوب باعلم ولو
لا يتصرف وفي ذلك اقوال كثيرة لا يناسب ان نحمل عليها
القرآن وفي قوله ما لا تعلمون ابهام نعم من المفسرين
لتعيينه ما قال مضطربة والاحسن ان يفسر بما اخبره
الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون الآية. وعلم آدم الاسماء كلها قيل هذه
جملة محذوف وقدم لها المعنى وتصحيح العطف وتقديرها
فجعل في الارض خليفة وسماه آدم ولما كان محذوفا وقاع
الجملة ابتدره في قوله وعلم آدم الاسماء كلها وفي علة مسوقها
باسمه ومبتدأ من فصله ما لم يكن معلوما عند الملائكة
وعلم مسوق من علم الذي ينقدي الى اثنين ولما كان
محذوفا وقاع الجملة ابتدره في قوله وعلم مسوق من علم
الذي ينقدي الى اثنين فتعدت الى واحد هنا بالتضعيف
والمنقولة بالهمزة فتعدت الى اثنين فغير قولهم
ذلك قاله الاستاذ ابو علي الاسكوي المشار اليه وآدم فاعل ان كنتم

من الاعجمية كآزر وعابر
صنع الصرف العلمية
والعجمة ودعوى الاشتقاق
في الفاظ العجم من الفاظ العرب
وذلك غير مصواب

والظاهر ان التعليم وقع الى جملته لا بواسطة ملك والالتفات
وقرئ وعلم آدم الاسماء بتضعيف العين مبنيا للمفعول وتاكيده
بكلهم يدل على العموم في الاسماء ولا مدل على التعليم بجميع
اللغات ولا على عرض المسميات عليه وقد روا اسماء
المسميات فحذفت المسميات قال الزمخشري رضي الله
عنه وعوض من هذا اللام كقوله عز وجل واشتعل الرأس
شيبا انتهى وتقدم ان اللام عوض من الاضافة وليس
بمذهب للبصريين وعلى تقدير ذلك لا يصح هنا لان
اللام عند من جعلها عوضا انما تكون المعوض عنه المضاف
إليه صمير وهنا لم يقدر الا اسماطان افلا يجوز
لا على راي بصري ولا على راي كوفي وقد روا ايضا
مسميات الاسماء ولا يظهر لقوله فقال انبئوني باسماء
هؤلاء ان كنتم صادقين ولا لقوله ثم عرضهم على الملائكة
الضمير عائد على غير مصرح بذكره يدل ذلك عليه ما قبله
اذ معقول الاول فحذوف كما تقدم الكلام عليه اذ
معلوم ان الاسماء لها مسميات ودل على فراق
بين التعليم وبين العرض ليستقر التعليم في قلبه
ويتحقق ثم يستخبره عن ما تحقق كما قال سبحانه وتعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به فقال انبئوني بفتح الهمزة
اصل الفعل للملائكة ولما لم يتقدم لهم تعليم لم يخبروا
ولما تقدم لآدم عليه الصلاة والسلام اخبر اظهارا
لعناية الله تعالى به عند تعالي وهم في عرضهم يدل
على العقلا او يكون فيهم غير العقلا تغليب العقلا
على عزم وترك تعرضها وتعرضهن واحد ان يكون
ضمير المسميات فتشمل الذوات وظاهر على الملائكة
المعصوم وقيل لم يرد بهم الملائكة الذين كانوا في الارض مع
ابليس باسماء هؤلاء الدالة على حضور اشخاص حاضرة
العرض على الملائكة وأتى بثم لتراخي الزمان فتخبر لا تكلف
وقرئ أنبوني بضم الهمزة ان كنتم صادقين
اي في قصتين تقدم عن الاصابة فالصدق كما تقدم
عن الخطأ الذي كذب ومتعلق الاصابة مساكوهم قالوا
اجمل فيما من قدرتها الآية وفيها ظهور شقوق
على من جعله خلقة قال لم يمتنا اودع في خليقته شيئا
لم يود عه فيهم وجواب الشرط محذوف تقديره
فانبئوني دل عليه قوله انبئوني هذا مذهب جمهور

البصريين ويوم المهدوية وتبعه ابن عطية رضي الله عنه
وكذا الفخر عنه ايضا وزعموا ان مذهب سيبويه رضي
الله عنه جواز تقديم الجواب على الشرط فان قوله انتوني
المتقدم هو الجواب وعن الفراء في نحو هو لا ان كنتم
صادقين ان مما التفت فيه الميمان مكسورتين
تخفيفهما وتليين الاولى وتحقيق الثانية وكذا
تحقيق الاولى وابدال الثانية فاء والتفاظ الاولى
والتفاظ الاولى مع تحقيق الثانية وبحانك انتصب
على المصدر والعامل فيه واجب الحذف وكرر
حتى وفيا وذي مضافا قولان مرفوعان عنهما والكاف
في سبحانك مفعول اضيف اليك سبحانك اي تنزيهك
عن ما لا يليق بجلالك وقيل واعلم اني تنزهت وتعالى
وقدم بين يدي الجواب تنزيه الله سبحانه وتعالى عما
وادبا منهم في الجواب وايشعارا بان ما صدر منهم
قبل بمحضره هذا التنزيه لله سبحانه وتعالى ثم اجابوا
بنفي العلم بلفظ لا علم لنا والكلمة التي يستغرق بها فرد
فرد من انواع العلوم ثم استثنوا مما علمهم هو بقولهم
الا ما علمتنا وهذا غاية في ترك الدعوى انصفا
والاستثناء امام العلم الاول وهو الله سبحانه وتعالى
وانظر الى حسن هذا الجواب قدموا بين يدي تنزيه
الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به ثم اعترفوا بالجهل
ثم سئلوا العلم اليه عز وجل واذ زد هو اصفة العلم فيهما
بصفة الحكمة اذ بان لهم وصف الحكمة في قوله اني
جاعل في الارض خليفة وقدم وصف العلم لان به
ظهرت به المزية لادم على العلم ولان الحكمة من آثار
العلم قال يا آدم نبئهم باسمائهم الخ العلم بفتح اللام وكذا نادي
انبياءه عليهم الصلاة والسلام بقوله خطابا لهم يا نوح
ويا موسى ويا داود ونادي محمدا صلى الله عليه وسلم
بقوله يا ايها النبي ويا ايها الرسول فانظر تفاوت ما بين
النداءات وحين خاطب الملائكة قال انبئوني
وقال يا آدم انبئهم فجعل من اعراض صنوابه معللا
لهم ومنبئهم بما تقاصرت عنه علومهم ليظهر به كمال
شرفه عليهم فلما انباهم باسمائهم بين هذه الجملة والتي
قبلها جملة محذوفة والتقدير فقالوا انباهم وقد

بالهمز وضم الهاء وبالهمز وكسر الهاء وانبئهم باسقاط الهمزة
وغيب السموات والارض هو ما تقاصرت عنه علوم جميع
الخلائق والهمزة في قوله الم اقل للتقرير واعلم ما تبدون
اي من الطاعات واعلم مضارع وما مفعول به والخلاف
فيه كالخلاف في واعلم ما لا تعلمون وما كنتم تكتمون
من شفوفهم على من يجعله خليفة وفي قوله وما كنتم
تكتمون دلالة على ان الكتم وقع فيما مضى وليس المعنى
كتمه عن الله سبحانه وتعالى لانهم اعرف بالله سبحانه وتعالى
واعلم فلا يكتمون الله شيئا وانما المعنى انهم قد هجس
في انفسهم شيئا كتمه بعضهم عن بعض والابداء والكتم
طباق من علم البديع واذ قلنا اذ زائدة ومعطوفة
على اذ في واذ قال المتقدم ذكرها وقيل منصوبة باذكر
وقيل باني واختار ان يكون العامل هنا محذوفا
تقديره انقادوا فسجدوا لان السجود كان ناشئا عن
الانقياد وفي قلنا خروج من ضمير المتكلم المفرد الى ضمير
الجمع او المعظم نفسه وناسب النون الامر لانه في غاية
التعظيم والتعظيم ادعى لامتثال الامر من غير بطء
ولا تأول ولذلك نظائر وقلنا يا ادم اسكن
وقلنا يا نوح اهبط قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض وقلنا لهم ادخلوا
الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت والخلاف
في الملائكة عليهم الصلاة والسلام اهو عام ام الذين كانوا
في الارض مع ابليس كهو في واذ قال ربك للملائكة
وقرئ للملائكة اسجدوا بضم التاء وغلظت هذه
القراءة وخطئت ونقل انها لغة ازد شنوءة وهذا
الضم اتباع لضمة جيم اسجدوا واسجدوا امر بالسجود
وامر تكليف وفهموا منه على الفور وظاهر السجود
وضع الجبهة وان كان في ذلك تكرمة لادم عليه الصلاة
والسلام وقيل لله ونصبه قبله فالمعنى الى ادم
واللام في لادم للتبيين فسجدوا اي سجدوا لادم
عليه الصلاة والسلام الا ابليس استثناء من واجب فيرجح
النصب وهو متصل عند الجمهور وامتنع ابليس من الصرف
للعلمية والعجمة ومن جعله مشتقا قال وشبه العجمة
لكونه لم يسم به احد من العرب فصار خاصا بمن اطلقه
الله تعالى عليه وكانه دخيل في لسانهم وهو علم مرتجل

والظاهر

والظاهر انه مندرج في الملائكة فهو منهم ولذلك ترتب
الذم له والطرد واللعن وغير ذلك من انواع الذم
وقيل هو استثناء منقطع وانه ابو الجن كما ان ادم
عليه الصلاة والسلام ابو البشر ابى اى امتنع وانف
من السجود واستكبر تعاظم في نفسه واحتقر من امر
بالسجود له والاستكبار من افعال القلوب وقدم
الاباء عليه وان كان هو اول الافعال الظاهرة
وهو ناشئ عن الاستكبار ولما كان الاستثناء الاعم
ان ابليس ترك السجود لسبب امتناعه من السجود
فكانه قيل وما له لم يسجد فقيل ابى ومفعوله
محذوف اى ابى السجود ومفعوله محذوف اى ابى السجود
وابى فعل واجب ومعناه التمنع واباى كاد لا يتلفظ
من قولهم لم يفعل كذا الا انا لشيء ولم يقع وقد يكون للجحد
اى وعين وآبى يدل على الامتناع والانفة وان
كان ممكنا من فعل الشيء وكان من الكافرين
اى بكان في علم الله عز وجل ممن سيكفر او وصار من
الكافرين اى بسببه ومعنى ذلك اى لك انه وصارت
الاضافة اليه كذلك ولا يدل صيغة الماضي على انه سبق له
كفر قط في الارض • ولما شرف الله سبحانه وتعالى ادم
عليه الصلاة والسلام بزينة العلم وامر الملائكة
امتثل عليهم باسكان الجنة التي هي دار النعيم الدائم
المقيم الذي لا انفكاك له واسكن من السكون وقلنا
معطوف على ادن قلنا الاعلى ما بعد اذ قد مر في البقرة
تنبيه المأمور لما تلقى الامر من الامر واسكن وما بعده
مشتمل على ما جرى عليه الامر بالسكنى والاذن في الاكل
وتكليف وهو النهي الوارد في قربا وقد وحد على زوجك
في قوله قبل الامر بالسكنى وكل الا في قصة
زوج وقال الزوج وجه زوجك معطوف على الضمير
المتصل المستكن في اسكن المؤكد بما رأيت ودعوى انه من
عطف الجمل والتقدير وليسكن زوجك ليست هذه
صحيحة • والجنة هي دار الثواب وقد كانت في الارض
وقد منها بعد اذ هي وامها كثيرا لاعتناء فيه والاقصح
وتمم تسكن عني رغدا وقرئ به • حيث ظرف
مكان اذن لهما في الاكل من اى ناحية منها اراد واشا
منه وقول ابن عطية رضي الله تعالى عنه ان النون قد

حذفت من قلا للامر
والجزاء دو

الا على مذهب الكوفيين ان يعتقدون انه مجزوم بلام الامر
اذا رصله عندهم لتا كلا ولا تقربا بسالغته في النهي عن
الاكل لان النهي عن قرباد الشيء آكد من النهي عن الشيء
وان كان المعنى لا تقربا هذه الشجرة بالاكل منها لان
المأذون فيه هو الاكل وقرئ ولا تقربا بكسر الشاء
وهذه اسبانة للحاضر الغائب القريب من المخاطب وتريد
هذي ان شجرة باسكان الياء بدل الهاء وتكون ذلك
تحت او عطف بيان وتطهر من ذلك انها شجرة معينة
من الجنس المعلوم وقيل لا شارة الى جنس من الشجرة
معلوم وتمرة دخين اي شجرة هي اقوات وقرئ
الشجرة بكسر الشين وبابدال الجيم ياء وكسر الشين
وتضعف على هذه اللغة شيرة فتلونا مبنيا
على هو جواب النهي واحبار وان يكون مجزوما
عطفا على المجزوم ولا تترك العطف على السببية بخلاف
النصب من الظالمين لانفسهما بخالفته النهي وذلك
على ان النهي كرر فيه فان لهما ان لك من الزلل وهو عثور
القدم يقال منه زلت قدمه وازله من الزوال وهو
الشجرة وقرئ فازالهما الشيطان هنا
ابليس لعنة الله تعالى وذكر وابي كيفية محاورته ابليس
وان كان منه اضطرابا وقد قص الله سبحانه وتعالى
ذلك مشروحا في سورة الاعراف وعبر عنها فيعتمد ذلك
والضمير في عنها عائد على الجنة او عائد على الشجرة اي
اصدر زلتهما عن الشجرة وعن للسبب كقوله الا عن
موعدة وعدها اياه والاول اظهر لتمرة فان المهمال
ان يقعد فان الله عز الشجرة مما كانا فيه من نعيم الجنة
لما يتعقب الدنيا والهبوط الخروج والدخول من الاضداد
والمصادر يهبط بكسر الباء وضمها وقرئ اهبطوا بضم
الباء وقيل قوله فازلهما جملة محذوفة اي فاكلا
من الشجرة فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما
كانا فيه من النعيم والكرامة وقيل لما كان الامر بالهبوط من الجنة فيه
انحطاط المنزلة لم يسنده لحواء وقال اهبطوا بضمير التثنية
اشعارا بان حواء تبع لآدم اسكن وانت وزوجك الجنة
اشعارا بان آدم وحواء قبل وابليس وقبل هما والحية
او هما فقط لان التثنية جمع في المعنى ولقوله قال
اهبطا قيل منهما وذريتهما وانث ضمير الجمع في الخطاب وان لم
يكونوا موجودين تغليبا للموجود والظاهر انه هبوط واحد
الى الارض لان الهبوط الى السماء الدنيا ثم هبوط الى الارض وقال الواحدي

مهاي حر

هبطت حوا
بجدة

بحذف واد ترعليه الصلاة والسلام بسرندب نوادر تعالى
له هاشم والحاء بسجستان وهي اكرهلاد الله تعالى حتا ف
والعياذ بالله تعالى من ذلك واسطوا امر تكلف
وان عاج والعداوة تقشر بتقشير الضهنج في اهبطوا
والجملة حال اي متعادين ولدير خلوها من اوا وشا ذا
خلا فالفترة من الشدة وقد تسعه الزمخشري رضي
الله عنه ولست حالا منتقلة بل لان عدة اذ قد
لا يفك وقوع الفعل الا متلبسا اي بان يكون
ملتبسا بها والله اعلم وقال قتلي رضي الله عنه في جملة
مستانفة اخبار من الله سبحانه وتعالى ما ان بعضهم
لبعض عدو ويحتمل ان الحال بعد الامر يقتضي
ان يكون ما مورا به ومستقر مكان الاستقرار او القرار
وهو من الاقرار وهو الثبت والاقامة وكم هو الخبر
وفي الارض متعلق بما تعلق به الخبر وتقديمه مسوغ
لجواز الابتداء بالنكرة ولا متاع لكم بمستمر سواها
مكانا ولكم حال لامتاع ان تقول في الدار قائما
زيد على الصحيح وامتاع قائما في الدار زيد باجماع
والى حين اي الى اجل او لي قيام الساعة وفيه
دليل على عدم البقاء في الارض وسيقلبون بمتاع
او بمجذوف صفة لمتاع او له ولمستقر وافرد
عدو وهي لفظ بعد او لكونه بصيغة المصدر فتلقى
تفعل من التلقي وافق تفعل في المعنى المجرد
وهو لقا نحو تعدان الامر عداك وقول من
قال صله تلقن فانك من النون اغنا لا يصح وقرئ
برفع لام فتلقى ادم ونصب كلمات وبالعكس وتلقى
الوصول ومن لقاك فقد تلقيته واختلفوا
في تعيين الكلمات وقد انبهما الله سبحانه وتعالى
وقال عن وجل في سورة الاعراف قالا ربنا ظلمنا
انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
فلا بعد ان تكون هذه هي الكلمات التي تلقاها من
ربه سبحانه وتعالى فتاب عليه فتلها جملة محدودة
اي فقالها فتاب عليه اي تقبل توبته بقبول
توبته واخبر عنه وحده لان هو الواحة بها اي بالتوبة
والتوبة هي تابة له اوطوى ذكرها في قوله وعصى ادم
ربه فغوى وطي ذكر الساء في القرآن والسنة كثير وقد

ع

ن

ربط

انه بنى الامر على التعليل وفي المكسورة اضاف الظن الى ضمير
كقوله وما انا بظني بنفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي ان ربي غفور رحيم وبالغ بقوله هو وبالصفتين
التي للمبالغة وختم بقوله الرحيم لاحظ المعاملة قلنا
اهبطوا اتاكيد للاول ان لا خلاف ما كان بحذف احدهما فالاول
محافظ بالعداوة والثاني باثبات الهدى او هما
هبوطان كما تقدم جميعا حال موكدة او حال من الضمير
في اهبطوا فاذا كان حالا على ما قد تقرر اولا فكيف يقدر
قائما ذلك التقدير. فاما ياتينكم كثر مجيء مثل هذا التركيب
في القرآن فاما فمن ذهب منك واما فمن زعم عنك وقال
المهدوي ونفعه امن عطية رضي الله عنه اما بمعنى ان التي
للشرط زيدت عليها ما للتوكيد في الفعل ولو سقطت
بقي ما قبل الفعل وبعد ان الشرط فما توكيد اول الكلام والنون توكيد
آخره وقال ابن عطية رضي الله عنه وحكمت ما موكدة
ليصح دخول النون المشددة فهي شبيهة لام القسم التي
تجيء لمجيء النون انتهى وكون النون لازمة لفعل الشرط
اذا وصلت بما وهو قول المبرد رضي الله عنه وقد قال
الزجاج انضاف رضي الله عنه وامن سيبويه والفارسي
وجماعة فاجتمع واحد النون في الكلام اذا وصلت ان بما
وان كان الاحسن انفرادها ولم يحفظوا ذلك بضرورة ولا بقلة
الشعر كما ذهب اليه المبرد رضي الله عنه وكذا ذهب الزجاج
ايضا وهي متعلقة بيأتينكم واقتضى من ضمير العظم
تسعة او ستة اكثر من الواحد الى عشرة المتكلم الحاضر من ذكر
بالهدى اي بأن الهدى لا يكون الا منه تعالى والخبر كله منه
وحكمت ان وان كانت للمحتمل وقوعه وهذا واقع لانها
لانذارهم وقت الانسان وهذا الخطاب يدل على اندراج
الذرية فيه وان كانوا وقت خطاب اصلهم غير موجودين
والمقسم به الى متبع الهدى والكافر بذلك عليه والهدى هو
الكتب الالهية على ايدي الرسل عليهم الصلاة والسلام. فمن تبع
هداي اي بأن جعل الهدى بمنزلة الامام المتبع المقتدى به
وفي اضافته الى سبحانه وتعالى من التعظيم ما لا يكون
في لوان حذفا باللام وان كان ذلك سبيل ما يكون نكرة
ثم تعاد وجواب فمن يأتينكم ومن تبع هداي وقال
الشجاوندي رحمه الله تعالى جوابه محذوف تقديره
فانتبعوه انتهى وهل عزاه لقائله لا تحذف الجواب الا وكون الشرط ماضيا

٢٧

اشرط ماضي اللفظ او صفة لم وعن الكسائي جواب الشرطين
محاذ الخوف وتخصيص المعتزلة والمفسرين على ان من
لم من تبع شرطية ويكون عندي ان تكون موصولة لما مر ترجح
لقوله في قسمة والذين كفروا كذبوا بآياتنا فانها في
موضوعها وحول الفاء على الجملة الخبرية التي هذا قرئ
فهداي بسكون الياء وفهداي وهي لغة مرذولة هذا لفظه
وقرئ ولا خوف بفتح الفاء بلا تنوين لي جمع المعتران وبا رفع
من غير تنوين خوف مرة كثرة الاستعمال او على نية الالف
واللام والتنوين عارضان بين دخولها على متراد اولا
واجب قال ابن عطية رضي الله عنه والرفع على اعمالها
اعمال ليس ولا ينعقد ما قاله لان اعمالها اعمال
ليس قليل جدا وتسعي ان لا ينقاس ولا ينقاس عليه
ولا بد من ذلك المتعادل ولا خوف عليهم نزلت العتبى
مرتبة الخبر وقدم انتفاء الخوف على انتفاء الحزن
لان انتفاء الخوف فيما هو آت آكد من انتفاء الحزن على ما فات
وله لذلك ابرز في جملة مصدرة بالنكرة لي نفي اوعد له
في باب النفي وابرز في الثانية مصدرة بالمعرفة وفي قوله
ولا هم يحزنون اشارة الى اختصاصهم بنفي الحزن
وان غيرهم يحزن والظاهر عمومه في الخوف والحزن
عنهم لكن يخصص ان ما بعد الدنيا لانه قد يلحق الومن
الخوف والحزن في الدنيا قلا يكمل الجمل هنا على
العموم والذين كفروا قسيم لقوله عز وجل فمن تبع
هداي وهو الملخص من قوله ومن لم يتبع هداي وان
كان القسيم اللفظ يقتضيه لان نفي ان شيء يكون
يوجود عدم علته او تحققه او تحقق شرطه فاذا انقسم
في صورة وجود شيء مرتبة للاحتمال الذي يقتضيه
النفي وكذبوا بآياتنا معناه انه قدر ادا بالكفر هنا
انك لا تكفر النعمة ولا تفر المعصية والتكذيب
بالآيات يدل على انه تكذيب للكتب الالهية والاخبار
الربانية لان محل التصديق والتكذيب هو الخبر او كذب
مبتدأ يجوز ان يكون عطف بيان وقد لا فيكون
اصحاب خبرا عن والذين وهم فيها خبر ثان او لئك
وتقدم وتبين ان الصحبة اوجدها الملازمة المحمودة
لا مجرد الاقتران بل الخلود الدائم وحذف من القسم
الاول ذكر كونه في الجنة وعبر بانتفاء الخوف والحزن وحذف

من ان الذي لحاق الخوف والحزن وعثر بخلوده في النار اسرائيل اسم
اعجمي ممنوع الصرف وهو مركب قيل من اسر وهو العبد
وايل قيل اسم من اسماء الله عز وجل وعن من قال بالسقاقة
افوان كثيرة وفي تسمية النطق به لغات اسرائيل
واسرائيل واسرائين قيل اسرا اي عبد وايل جمعه
اسارويل وحكى اسارل واسارلة واقبل عليهم بالنداء
هذا لشرف لسامع فالتفي اليهم وهم اليهود والنصارى
وهذا اول افتتاح الكلام معهم والذكر باللسان
وقيض الذال ما كان فالقلب واضافتهم الى ضمائرهم
تعطف على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين
الصلاة فان اشرف نسبهم على اتباعه في الخيرة والنعمة
فكيف الكون اسم للشيء المتصرم فاندثر الذي تحرائك
الدين هم حصرته عليه الصلاة والسلام بالمدينة الرائقة
وما والاها وستنزل غير مهم لهذه لك عن لتهم والوصف
بالتي انعمت عليكم بشعر يستبين علمهم اياها وتعظيم لها اذ
اشتدها لها ذا به في قوله نعمتي وانعمت ونعمة وتعالى
عليهم كثيرة واعظمها انكتاب الالهي من التوراة والانجيل
المشرة بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واوفوا بعهدي
تقال اوفى ووفى ووفى والعهد هو ما كانوا يذكرون
من ايمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث في زمانهم
لانهم كانوا يستفتحون به كما اخبر سبحانه وتعالى فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين اوفوا بعهدكم
وهو ترتب الجزاء وعدهم على ذلك ان وفاء شماهم
عهدا على سبيل المقابلة ابرزه في صورة المشروط
الملتزم بدو المصدر ان هنا مضافان للمفعول وقرئ
اوف من وفى مشددا وانجز اما اوف على جواب الامر وهو
ضمن الامر معنى الشرط فانجزم او انتصب على الشرط اذ
حذفت جملته قولان وارهبون الخوف وانتصابه بايای بفعل
يحذوف تقديره وايای ارهبوا فقدره السخاوي وقد تبين
الله عنه قبله فقدره اقال وارهبوا ايای ولو وهم منه
لانفصال الضمير وناب الفصل لانه كان قبله امر
ولانه اكمل اذا بدر بي قال الجملتين قال الزمخشري رضي
الله تعالى عنه وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك
فعبد واقال ستعلمون وتقدم كلامنا معه في دعوى
الاختصاص اذا تقدم المفعول على العامل والعامل في وارهبون

دخلت في جواب امر مقدر اي فقدروا ان تنتهوا فانتهوا خيرا لكم وقوله
فانتهوا في ثاني حالتي المأمور به وهو الافضل وامنوا بما انزلت امر
لبني اسرائيل او لامم المأمورين قبل ولا تحقرن كعب ان الاشراف
وان عين واصحابه علما اليهود بما انزلت سوا القرآن مصدقا
لما معكم اي من التوراة واللام في لما متعلقة به للتعدية ومصدقا
حال مؤكدة وذو الحال الضمير المحذوف العائد وقيل ما
ولا تكونوا اول كافر به لا مفهوم هنا لقوله اول لك فتكون
قد ايح لهم اولا او آخرا لمفهوم الوصف غير مراد وانما ذكرت
الاولية لانها الحقيقة لما فيها من الابتداء بالكفر وتطيره
قول الشاعر من ناس كنس في الملائم عاجل الغنا والاسوجزع
فعاجل لا مفهوم له واضيف اول الى مفرد وان كان المشار
جمعا لان المفرد اذا كان صفة جاز ان يطابق وان يفرد
وقد جاء ذلك في قول الشاعر ايضا
واذا هموا طعموا فاة لادم طاعم وازا هموا جاعوا فشر جياع
ازدوج طاعم وطاوي في جياع وتاء وله النجاة فعدة المفرد
ارلادم من طعم وقدره عزى الادم فريق طاعم وهنا فقدر
على قول الفراء من امة حسنة او لمن كفر وعلى قول غيره اول
فريق كافر به ويرعاء على المعنى ولا تشتروا اياتي ثمنا
قليلا الشراء هنا مجاز يراد به الاستبدال ولذلك دخلت
الباء على الايات وان كان الشأن ان تدخل على الثمن والمعنى
لتغيير اياتي وصفتها غيرها كما قال سبحانه وتعالى
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند
الله ليشتروا به ثمنا قليلا الآية واياتي ما انزل سبحانه
وتعالى من الكتب الالهية المحتوية على التكاليف والغني
والله اعلم ولا تشتروا امتياز حقيرة خسيسة ولا مفهوم لقوله
قليلا بل في ذلك التنبيه على خساسة انفسهم اذ تبذلون في
الشيء العظيم في الشيء الحقير اي في تحصيله من مطعم او
مشرب او غير ذلك اولا تبدلوا ما حصل عن اياتي الله عن
وجل كائنا ما كان امرا قليلا حقيرا واياي فاتقون الكلام على
هذا امرا كالكلام على واياي فارهبون والفرق بين
الفاصلتين ان ترك ذكر النعمة والانتباه بالعهد ظاهر
اذ من المعلوم انه لا يحسن ان يقع العقاب او يجوز ان يقع العفو
عن ذلك وترك الايمان بما انزل الله عن وجل والاشتراء باياته
الثمن اليسير من المعاصي التي تحتم العقاب عليها وتعينه
او لا يجوز ان يقع العفو عن ذلك فلذلك حتم تلبسك بالرهبة وهي

الخوف

وهذه ما تحاذا الى قائم من الكتابة ولا تلبسوا الحق بالباطل
لا تخلطوا الصدق بالكذب وكذبهم انواع قد وهم الله تعالى
منها ما ذكر وما سيأتي في باب الهاء للالصاق نحو خلطت الماء باللبن
نهوا عن ذلك فلا يميز الهمز من الهاء وجاء الزمخشري رضي
الله عنه ان تكون الكتابة استعارة كأني كنت بالقلم قال
كأن الحق ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بالباطل كما انتم فيه
تجدون هذا التركيب وعرف عن الظاهر بغير ضرورة تدعوا
لذلك وتكتمون الحق مجزوم عطفا على تلبسوا نهي عن كل واحد
من الفعلين كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن
اذا قصدت وشرت ويكون المفهوم يدل على جواز الاشتراك
بواحد منهما وذلك منهي عنه فلذلك رجح الجزم وقرئ وتكتمون
ويخرج على الحال لا يكون ذلك الا على اضمار مبتدأ اي
وانتم تكتمون ويكون اذ ذاك حالا لان تلبسوا لا يقع والبس
الحق بالباطل الا وهم الحق مكتوما قدره الزمخشري رضي
الله عنه كاتمين ولم يقدره مضافا لا تقدير اعرف ويحوز ان تكون
جملة خبرية نفي الله عليهم كتمهم الحق وشطعت على جملة النهي
ولم يراع التناسب في عطف الجمل ولو مذهب سيبويه وقول من
الجمع لانهم لم ينهوا الا عن شيء واحد فعلم فتضمن معنى انتم
تلبسون الحق بالباطل والحق المكتوم هو امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم والقرآن وما جاء به وهو مذكور في كتبهم كانوا
يعلمون ذلك ويظهرون خلافه وجملة تعلمون الا ويحتمل
ان يكون حذف افتضاحا اي وانتم من ذوي العلم فلا يناسب
من كان عالما ان يكتم الحق ويلتبسه بالباطل وتقدم لواحذة
اختصاص اي الحق من اهل الكتاب وقال الزمخشري وانتم تعلمون في
حال علمكم انكم لابسون كاتمون قال ولو قبح لان الجمل
بالقبيح ربما عذر فاعله اي من قلته انتهى فجعل تعلمون الحال
والكتم وكان قادرا على حذف مضاف اي وانتم
تعلمون قبح او عرى اللبس والكتم وقال ابن عطية في جملة
في موضع الحال ولم يشهد لهم تعالى بعلم وانما نهاهم عن كتمان ما علموا
انتهى فجعلوا تعلمون هو الحق وقال ايضا ويحتمل ان تكون شهادة
عليهم بعلم حق مخصوص في امر محمد صلى الله عليه وسلم ولم يشهد
لهم بالعلم على الاطلاق قال ولا تكون الجملة في هذا في موضع الحال
لانك تكون جملة بتوقيته معطوفة على جملة النهي من غير
مراعاة ولا بد في عطف الجمل وافيموا الصلاة واتوا الزكاة اي
الكتان مما في شريعة الاسلام واركعوا الخطاب مع بني اسرائيل

واركعوا

ولا ركوع في صلاتهم نبه بهذا الامر على انه مطلوب في هذه الشريعة وفي
قوله مع الراكعين دلالة على ايقاع ذلك في جماعة افتتح هذه
الاوامر بذكر التحميد واختمها بذكر الانقياد للمنعم وما بينهما
تكاليف اعتقادية وانعمالية بدنية ومالية وهذه الاوامر
والنواهي وان كانت خاصة في الصورة فبنبغي لكل آدمي المخاطبون
بها فهي عامة في المعنى الامر طلب وجود الفعل والنسيان
الشهو الحادث بعد حصول العلم ويطلق ايضا على الترك
والملاقاة القراءة والعقل الادراك المانع من الخطاء
اقامون استفهام توبيخ وتقريع والقرفعل الخير من صلة
رحم واحسان وطاعة لله سيما وتعالى نبه على ما من الناس
بالبر الذي في فعله النجاة الا بمدحيه وتسليم نفعه
حتى فارسيا منشأ وانفسكم مبتدأ وذواتهم والتتلون
الكتاب اي والتم قارئون وعالمون بما انطوى عليه فكيف
تستلمون بالنسبة الى غيركم وخالفتموه انتم وفي قوله وانتم
تتلون تعظيم وهي جملة حالية ابلغ من المفرد والكتا ب
المراد بها التوراة والتعقل وفيها النهي عن هذا الوصف الذميم
افلا تعقلون تنبيه على ان ما صدر منهم خارج عن افعال
العقلاء وكون في العقل ادراك الانسان او لم يحصل مصلحة
لنفسه فكيف بحصلها لغيره ولا سيما مصلحة تكون مرجحة
والتاء للعطف كان الاصل تقديمها لكن لهم لها صدر الكلام
فقدمت على الفاء هذا مذهب سيبويه والمحاة وذهب
الزمخشري الى ان الفاء واقعة موقعها وتقدير بني اسرائيل
والفاء فعلا تخذوها بعجل فيبر العطف بالفاء على وحكم
الواو وثم حكم الفاء في نحو اولم يسيروا ارسم اذا ما وقع اسم
به فقد رجع الزمخشري في بعض تقاسيمه الى قول الجماعة
واستعينوا اي اطلبوا المعونة بالصبر وهو حبس النفس على
ما يكره وقدمت الاستعانة بالصبر لتقدم تكاليف عظيمة
يشق الشروع فيها على من لم يألفها وثنى بالصلوة اذ هي عمود الاسلام
وبها يتميز المسلم من غيره ويحصل به الانتهاء عن الدنيا وبطلب
ما يليها قوة على الوعد والوعيد وناهيك بعبادة يناجي فيها
ربه ويستمد منه في الكوارث والشدة يستغفره وتشفع
والضمير في انها اما الصلاة وقيل للاستعانة لكبيرة اي شاقة قال
ابن عباس رضي الله عنهما على المؤمن من ما تدعوهم اليه اي شق عليهم ذلك
الا على الخاشعين استثناء منقطع اي لكبيرة على كل شخص الا على
من خشع او صافهم يتحلون بالخشوع الذي هو من التتمات وسجد والركوع و

من عبادة

لسجوده

لـه والوجاء لما عنده إذ ما آء لهم إلى السعادة الدائمة
فسهل عليهم ما صعب على غيرهم من المنافقين والمرتابين
• الذين يظنون اي يوقنون والظن هنا بمعنى اليقين
او الترجيح مشهور عن العرب وتعدي في هذه الآية
الا لتين إلى مفعولين وسدت أن وإن سدها ولا بد
ج ليا يقدر شأن محذوف كما ذهب إليه الاخفش رضي الله عنه
وبه قال المبرد رحمه الله تعالى وعلا فواريهم فاعل بمعنى
المجرد من حيث الوضع يقتضي المشاركة لان من لقيك
فقد لقيته • والمعنى والله اعلم خلقوا حزاريهم وقيل
كنى بالملاقاة عن رؤيته عز وجل وقيل ليس ذلك كناية عن
انتفاء ارجائهم من مات فقد لقي الله عز اسمه لاقى الاجنة
وقيل لاقوا ثواب ربهم فعلى هذا يكون الظن بمعنى الرجحان
• وانهم اليه اي الى ربهم راجعون اي الى امره عز وجل
كما في اسرائيل تودد اتبعا على طريق التوكيد لتنبيههم الى
سماع ما يرد عليهم من شكر النعم والتقدك الزيادة في
الخير وعطف التفضيل على النعمة من عطف الخاص على
العام وهو مما افترقت به الواو وسمي التجريد كما مر
خبر من الجملة على سبيل التفضيل على العالمين اي عالم
زمانهم او على كلهم مما اوتوا من الخصائص كثرة الانبياء
• وجعلهم ملوكا واتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين
• واتقوا يوما اي العذاب يوما او اتقوا هول يوم متعديا موسعا
او على حذف مضاف اي عذاب يوم لا تجزي نفس اي لا تقضي
وقرئ لا تجزئ اي لا تغني وقيل جزاء واء جزاء
بمعنى واحد وقيل جزاء اجزاء بمعنى واحد كما تقدم
• ولا يجزي جملة صفة فلا بد من تقدير حذف واصله
فيه مثل الحذف مما يدرج او حذف مرتبة ابتدا
فيها فولان ايضا وقرئ عن نفس في مساق النفي فتعمان
وقيل مضيرا اي شيأ من الجزاء والاول اجزاء بخوضت
اشيأ من الضرب وترك ولا تقبل بالتاء وبالياء مبنيا
للمفعول وتقبل بفتح التاء ونصب شفاعة وهو التفات
من ضمير المتكلم الى ضمير الخطاب والضمير في منها عائد على
النفس الثانية لقربها ويجوز على المتقدمة لانها المحدث
عنها وظاهر هذا التركيب انه قد وجد الشفاعة ويتبغي
تأويلها ويجوز ان يكون من باب علي لاحب واجمع اهل السنة

كم
توشعا

على ان

على ان شفاعة الانبياء والصالحين تقبل في العصاة
من المومنين لثبوت الاحاديث الصحيحة في ذلك
وخصوا ما ورد من عدم القبول بالكفارة ولا يؤخذ
منها عدل اي فداء من مال او اخذ بدله ولا
ينصرون والنصر هو العون واتى الضمير مجموعا
وان تقدم مفرد لانه في سياق النفي فيعم كقوله فما منكم
من احد عنه حاجزين وحسن ذلك الفاصلة وذكر هنا
الضمير لانه اريد بالنفوس الاشخاص كقوله ثلاثة
انفس وانسحب حرف النفي على جملة اسمية ليتاكد فيه
الضمير فيتكرر وفي رواية ليتكرر فيه الضمير
فيتاكد نفي النصر بذكر من نفي عنه مرتين وارتفع
هم على الابتداء او على المفعول الذي لم يسم فاعله وهو
ارجح لان لا من الادوات المرجحة للحمل على الفعل ولان
ما قبل هذه الجملة يكون جملة فعلية فيحصل به
اولهما التشاكل والضمير في هم عائد على النفس الاولى
او الثانية او كلتاهما اقوال كثيرة مترادفة وكان
النفي بلا التي تكون للمستقبل غالبا لاستقبال الاربعة
التي دخلت عليها لا وجاءت الجمل مرتبة في الذكر على
حسب الوقائع في الدنيا لان الماخوذ بحق اما ان يؤدي عنه
والا شفع فيه والا فدي والا تعودن على تخليصه
وهنا جاءت الشفاعة مقدمة على الفدية وفي غيره
هذا جاءت الفدية مقدمة على الشفاعة لاختلاف
الناس فمن احب الرياسة قدم الشفاعة على الفدية
ومن احب المال قدم الفدية على الشفاعة وبدئ هنا
بالشفاعة لانه اليق بعلو النفس وجاء هنا بلفظ القبول
وهناك بلفظ النفع اشارة الى انتفاء اصل الشيء
وانتفاء ما ترتب عليه اعطي المتقدم وجودا تقدمه ذكرا
هنا وهناك فيحصل التشاكل والضمير في هم عائد
على النفس الاولى او الثانية او كلتيهما اقوال كثيرة مترادفة
وجاءت الجمل مرتبة في الذكر على حسب الواقع في الدنيا
فمن احب الرياسة قدم الشفاعة على الفدية ومن احب المال
قدم الفدية على الشفاعة وبدئ هنا بالشفاعة لانه
اليق بعلو النفس وجاء هنا بلفظ القبول وهناك بلفظ
النفع اشارة الى انتفاء اصل الشيء وانتفاء ما ترتب عليه
اعطي المتقدم وجودا تقدمه ذكرا هنا وهناك اعطي المتاخر وجودا

تاخره ذكرا وفي
العامل في واذ
تقديرات صح
صح

اخترنا ان يكون فلا مؤخذ وفاء ذلك على ملكه ارم
وانما عليكم اذا اخبتم وجار بين العلة لان الايخاء
من عداوتهم بين اعظم النعم فناسب الاعظم بشدة
للمعظم وقد كان بخبتكم والهمز والتضعيف للتعدية
وقرئ بخسكم فوائق الفهر ضد نهى والمعنى خلصنا من اذاك
فرعون وتمام الذين كانوا يباشرونهم باشر فرعون وفرعون علم
لمن ملك العمالقة وآله اتباعه ومن على دينه واشتق من الضراف
للعلمة والحجمة واشتق منه قالوا انزعن الرجل اذا تحت
وعنى ارى الفشل وبطرف المشهور في اسمه الوليد ابن مصعب
وهو من بنى عملق ابن لاذ ابن ارم ابن سام ابن نوح ولا
تضاف ان الا الى الرئيس لاعظمهم قاله الاخفش
رضي الله عنه ويقال سامه كلفه العمل فيما لا يطيقه
ويقال سامه خطة خسف اي كلفه فيكون سوء العذاب
منصوبا بنزع الخافض اي بسوء العذاب او هي الاعمال
الشاقة من البناء والحرث وكان السواري من الطوال
وقتل الحبان وضرب الذين بكن النساء اي الطين والطبخ
ان ذبح والنجارة والحدادة وضرب الخراج على ضعفتهم
الى غير ذلك فاستشب هذه الفكائف وكان فرعون جبارا
جبدا وعلوكا وقرئ يذبحون بسكون الذال وفتح الباء
وفي قراءة يقتلون بالقاف من التكثير اي والاعلى التكثير
ويجوز ان يكون من ذبح اكتفاء بالمطلق
والجملة مستانفة او حال من ضمير الرفع في سوموكم
او بدل من سوموكم او معطوفة عليه حذف منها
حرف العطف كقوله في سورة ابراهيم عليه افضل
الصلاة والتحية يستحيون نساءكم اي الاطفال كما قيل
ويستحيون ان يستخدمن نساءكم احياء سميت بما يؤول
اليه امرهن للخدمة ولمن يعتبر شهن من اعدائهن
وقدم ذبح الابناء على استحياء النساء لانه اصعب
وارشق من الاستبقاء اذ فيه انتشار الصوت والكلفة
او معلوم التكثير بحسب الاشياء ومتعلقاتها والاشارة
والتاء في نكم للسبب او المصاحبة اي فكانوا يباشرون جميع ذلك

وفي ذلكم

وفي ذلكم ايثار الى الشوق والتبجح والاستجاء بالشدة
ومكروه من وكم دليل على ان الخمر والشر من الله عز وجل
فرق بين كذا وكذا افضل اذ رفتا فرق مخففا اكتفا
بالطلق اذ معلوم ان التكثير بعدد الاساوت دل دلالة
على التكثير والباء في بكم للسبب وللمصاحبة اي هو
ملتبسا تكم والمحي جعلناه فرقا بكم وهذا البحر
يكون قريبا من مصر من بحارها قال له اساف وسمي
الان بحر القلزم وفرقه بقال عرضا من صفه الى
صفه وقيل طولا حتى خرجوا الى برية بارض فلسطين
وكان انفراق البحر بعدد الاسباط اثني عشر مسلكا
فانجيناكم اي من الغرق ومن ادراك آل فرعون لكثر
وكم نجد وفاء ذي وتتحكم فرعون وجنوده في نجدة
فانجيناكم واغرقنا هم والهمزة هنا تكون للتعدية هه
وتعدي ارضا بالتضعيف آل فرعون لم يذكر فرعون
فيمن اغرق لان وجوده معهم مستقر ولانهم هم
الذين سبق ذكرهم في السوم والتذبيح وان شئت قدر
نص سبحانه وتعالى في غير هذه الاية على غرقه وقالت
نجاتهم من فرعون بالقائهم في البحر وخروجهم منه سالمين
بجاه موسى عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين
الصلاة وال لام من الذبح نائبة في البحر وخروجه منه سالما
وكل امة نصيب من نبيها وقالت دعويا لربوبية
والاعتلاء انحطاطه اي انحطاط ادعى لذلك اي وهو
فرعون حين قال للقبط انا ربكم الاعلى فانجوني بانحطاطه
وتغييبه في الماء وانتم تنظرون الجملة حال وانظار
شتى من الابصار اي واتتم تنصرفون هنه فالحوا ارق
كلها من زق البحر وانجاتكم واغراق عدوكم وقرئ
واعدنا وعدنا فاحتمل واعدان تكون بمعنى وعد
واحتمل ان تكون من اثنين وعد الله موسى البحر ووعد
موسى المحي للميقات وموسى هو ابن عمران بن يصهر ابن
قاهث ابن لاوي بن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم الخليل
عليه الصلاة والسلام واسم من الضر والتعجمة
للعلمية والعجمة وارتفاعه بانه ذو الحجة وعشرين من
المحرم او ذو القعدة وعشر من ذي الحجة وقرئ اربعين
بكسر الهمزة وذا او انتصب على المفعول به اذ بمعنى
المرعودة او على حذف مضاف اي تمام او انقضاء اربعين

ولا يجوز نصبه على الظرف لانه معدود فيلزم ان يكون
وقوع العامل في كل فرد منها فليس كذلك وفسر بليلة
لان اول الشهر ليلة الهلال وهذه المواعدة بعد خروجهم
من البحر او بعد دخولهم مصر بعد هلاك فرعون
فقولان ارضا اصحهما الاول وقيل انهم سألوا ان
ينزل الله عليه كتابا والصحيح انه خرج لميقات
ربه ثم اتخذتم العجل وادغام الذال في التاء واظهارها
فصحيحان وقرئ بهما والمعنى ان قومه لتعريفه الغاية
او للمهلة السابق اذ كانوا قد ضمنوه ونسب الاتخاذ
الى جميعهم وان كان بعضهم لم يتخذ لان العشيرة قد
تذم وقد تمدح بما وقع من بعضها واتخذ ان كان
بمعنى عمل تعدى لواحد وكان تعرض للتحاوف
مقدر اي وقد عدمتموه وجعلتموه الها وان كان
بمعنى صار تعدى لاثنين كان الثاني محذوفا والاصل
لانه صار الهكم فحذف احدهما وظاهر العجل ان العجل
حقيقة وقيل كل عجل من بعده اي من بعد
المواعدة لموسى عليه الصلاة والسلام او من بعد ذهابه
الى الطور وانتم ظالمون اي باتخاذكم العجل الها واخلاله
بان سجيتهم الظلم وعادتهم العمد بدل على انهم
مجسمة او حلولية ثم عفونا عنكم اي لم نواخذكم
باتخاذكم العجل من بعد ذلك لعلكم تشكرون اي بالتباء
على المنعم المطلق لما تعتقده المنعم عليه من حق المنعم
واذ اتينا موسى الكتاب هو التوراة والفرقان اي
يفرق به بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام لعلكم
تهتدون اي باتباع الكتاب المنزل والعمل بما فيه
اذ اتباع الكتب الالهية سبب للهداية اما ان نفس
التوراة فيها هدى ونور ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين اذ الانتفاع الا بالعمل فيه هدى ونور وارد
على اسلوب قوميه القوم اسم جمع لا واحد له من لفظه وقد
يختص بالرجال والنساء في الخالق وقيل المبدع
لشيء والخالق المقدر الناقل من حال الى حال وبدأوه
لهم مضاف الى فاعله مستعار للتحف عليهم وهو لهم لما قد
لهم بلسنة اليهم من امر التوبة ونهيهم عن عبادة غير
الله من الظلم وظلم الانسان لنفسه الخبث من ظلم غيرها
والمباشرة في باتخاذكم العجل او عبادته او اتخاذكم

لذاتها

الهكم اى فى عبادتكم اياه وقرئ بارئكم بكسر الهمزة واجتلاء
حركتها وباسكانها اجراء للمنفصل مجرى المتصل كابل
فى ابل وكلا البقاب تعلق لمن قرر رضى الله عنه ان
التسكين لحن وقرئ بالياء حكسرة فاما ابدال
الهمزة ياء على غير قياس وامّا ان تكون من براء مهموزا
وحركت عينه اتباعا نحو قوله وقالوا فيا للرجال غر ماضى
فاقتلوا انفسكم امر بازهاق الروح بالقتل لمن اتخذ
العجل الها ولا يكون الا بوحى من الله سبحانه وتعالى والظاهر
انهم امروا بقتل انفسهم بتمامها الى احد قتل نفسه
وان كانت التوبة هى القتل فيكون فاقتلوا بدلا من
فتوبوا وان كان القتل من تمام التوبة فالفاء تكون هنا
للتعقيب والمعنى فاعقبوا التوبة بالقتل بتمامه لتوبتكم
ذلكم خير لكم لانه ينجيكم من القتل وجهنم الخزية انه مفض
الى الخلاص من دخول النار وخير اسم احد الجزءين اذا فضل
بالتفضل اذ هو لهلاك الآجل وبلوغه من الهلاك
الدائم على حد قول بعضهم العسل احلى من الخل وانكم
فى موضع الصفة ان كان خيرا من الجزء وبارئكم على
كان افعل التفضيل وتكرر لفظ بارئكم لكونه قد
يكون فى الجملتين معا فتاب عليكم اخبار بالتوبة عليهم
فثم محذوف اى فامتثلتم ذلك فتاب عليكم
وهاتان الجملتان مندرجتان تحت قول موسى عليه
الصلاة والسلام على تقدير شرط محذوف وكلامه قال
وان فعلتم فقد تاب عليكم فتكون الفاء اذا اكدت
رابطة لجملة الجزاء بجملة الشرط المحذوف وهاذهب
اليه ابن عطية عن ابن عبد الله عنه لا يجوز وذلك ان الجزاء
يجوز حذفه كثيرا لدلالة عليه واما فعل الشرط وحده
دون الاداة فيجوز حذفه اذا كان مفسرا دلالة فى الكلام
الفصيح نحو وان لا نعلوا على الله وان كان غرضنا
بلا فلا يجوز الا فى ضرورة وكذلك حذفه وابقاء اذ
اما حذفهما معا وابقاء الجواب فلا يجوز الا فى مشيئة
ذلك فى كلامهم وحذف الفعل بعد الامر والنهى ليس
من هذا الباب هو اذ قلتم يا موسى بعد تعديد ما صدر
عنهم من سوء الاقتراح فى ندائهم موسى عليه الصلاة
والسلام باسمه دليل على تواديهم وتكرر ذلك منهم
متعددة فى نداياتى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اى بينة

ايمانهم الى هذه الغاية فاذا راوا امنوا له والرؤية بصرية
واكدت بجهرة مبالغة في الابصار وانتصب على انه
مصدر نوع من الرؤية او على انه في موضع الحال اي
ذوي جهرة او جاهرين بالرؤية وقرئ بفتح الهاء مصدرا
كالغلبة او جمع جاهر فاخذتكم الصاعقة امر حدث
عنه الموت وانتم تنظرون ما حل بكم ثم بعثناكم من بعد موتكم
الظاهر انهم ماتوا او عبر بالموت عن الغشي وبالبعث عن الافاقة
لعلكم تشكرون نعمته ببعثكم بعد الموت وظللنا عليكم الغمام
اي سترناكم من حر الشمس بالسحاب الرقيق والغمام مفعول على
اسقاط الباء اي بالغمام او مفعول به اي قد جعلناه عليكم
ظلة وانزلنا عليكم المن وهو صمغة حلوة تسقط على الشجر
والسلوى هو طائر قيل هو السماني او شبهه كلوا امر
اباحة اي وقلنا كلوا من طيبات اي مستلذات ما رزقناكم
اذ لا اشرف في الماكول كله من اللحم والحلو وما ظلمونا نفي ان
يقع منهم ظلم لله سبحانه وتعالى وفيه دليل على انه ليس من
شرط نفي الشيء امكان وقوعه وكانت قد صدرت منهم
قبائح كثيرة والمعنى لم يصل الينا من ذلك ضرر بل وبال
ذلك مختص بانفسهم ولما كان قد وقع منهم ظلم ونفي ان يصل
الى الله تشوفت النفس الى ذكر من وقع به الظلم فاستدرك
ان ذلك الحاصل منهم انما كان واقعا وباله بهم ويظلمون
مضارع ماض من حيث المعنى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
هي بيت المقدس ويقال قرية بكسر القاف لغة يمانية
فكلوا منها حيث شئتم اباحة لهم في اي مكان شاؤوا وتاخر
رغدا وان كان تقدم في قصة ادم عليه الصلاة والسلام
لمناسبة الفاصلة بعده في قوله سجدا او تقدم هناك
اذ لا صوا الاكل وهذا الباب يسمى الان باب حطة امروا
بان يدخلوا الباب واضعي جباههم بالارض قال الزمخشري
رضي الله عنه امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب
شكرا لله سبحانه وتعالى وتواضعا انتهى ولم يؤمروا
بالسجود بل هو قيد في وقوع المامور به وهو الدخول والاحوال
نسب تقييدية والاوامر نسب اسنادية فتناقضتا
وذكرت هيئات في الدخول وفي الصحيح دخلوا الباب
يزحفون على استاههم وقولوا حطة اي مسالتنا حطة وهو
مصدر كذشدة او هيئة كعقدة وقرئ بالنصب كقوله
صبر جميل وصبرا جميلا لما سالوا حط ذنوبهم رتب على

الظلم

ذلك

على ذلك عمران الحطيئة وقال ان مخشر رضي الله عنه قال
قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها يقولوا
على معنى قولي هذه الكلمة "قلت لا يعتد به يقال ذلك والله
اعلم وما جوزه هنا ليس بجائز لان القول لا يعمل في
انواع المفردات الا ان كان المفرد مصدرا او صفته له ان
نصر ابه عن جملة كقولك شعرا او خطبة وحطة
ليس واحدة من هذه ويكون على قوله من الاشياء اللفظ
فلا تنبه على قوله ان مجرد الامتثال بالنطق باللفظ فلا
فرق بينه وبين اللفظ العقلي ويعد ان يريد ان قراءة
للحطا فيها النطق بمجرد لفظ لم يدل على معنى كلام وقرئ
بفتح بابه الحنطة وبابه الشوقية معنيا كلمفعول
وبهما مبنيا للفاعل كلمفعول ايضا وتغفر بالنون ايضا
وقرئ خطاياكم وخطيئاتكم وخطاءاتكم بهمزة فوق
الالف الاولى دون الثانية وخطاياكم بهمزة الثانية
دون الاولى وتقدم الامر بالدخول على الباب دخول
الباب وقولوا حطة والحواب مرتب على دخول الباب بعد
السجود وقولوا حطة لمناسبة والمجاورة وذلك
على ذلك قصة الاعراف الآية ان شاء الله سبحانه وتعالى وادغم
قوم راء يغفر في اللام وسنزيد في سورة الاعراف سنزيد
بلا واو والذي فيها مختصر من هذا او لا نرى الى سقوط الواو من
سنزيد وحذف وعدا او فاء ارسلنا عليهم بالعقاب
نزيد المحسنين اي على غفران الخطايا اثابوا درجات
احسن من ذلك • فبدل الذين ظلموا اقحموا الى ظالم وغير
ظالم فان كانوا كلهم ظالمين كان من وضع الظاهر موضع المضمر
اي فبدلوا وتبدئه تعالى على علة الشيء دليل وهو الظلم والمبدل
به محذوف تقديره فبدل الذين من ظلموا قولهم حطة قولا
غير الذي قيل لهم ولما حرف ناسب اضافة غير الى
الاسم الظاهر ولو لم يحذف لكان التركيب فبدلوا
قولا غيره وابهم الذي قالوه وفي الصحيح هو قولهم
قالوا حبة في شعرة امروا ان يستغفروا في حط ذنوبهم
فعلوا ذلك لسهولته وعدم مشقة ولتحقق الامكان
• قال لهم على الذين ظلموا استعانة ابعثنا عليهم رجزا من السماء
وهو الطاعون ولم يعين في القرآن نوعه وقرئ رجزا من
بضم الراء من السماء اشارة الى المهمة التي نزل منها العذاب
وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها واذ استسقى

الاصبهاني
وفي حطة اي
حط عنا خطايانا
حطة ذنوبهم

طلب السقيا فهذا هو الانعام التاسع ومفعول استسقى
محذوف اي ربه كما قال اذ استسقاه قومه اي طلبوا منه
السقيا فعداه الى المستسقى منه وجاء معدى الى المستسقى
قال الشاعر في معنى ذلك • وابيض يستسقى الغمام بوجهه •
• فاحتمل ان يكون المحذوف ما والاستسقاء يدل
على فقدهم الماء او قلته بحيث لا يكفيهم وثم محذوف
اي اذا عطشوا • فقلنا اضرب بعصاك الحجر اي فامتثل
الامر فضرب وفي هذا دليل على قدرة الصانع جل وعلا
واثبات نبوة موسى عليه الصلاة والسلام اذ هو خارق
للعادة وامر عظيم جليل • والاضافة في قوله بعصاك
اشعار بانها العصاة التي كان يلازمها ويباشرها ولعلها
التي ساله الله عز وجل عنها في قوله تعالى في سورة طه
عليه الصلاة والسلام وما تلك بيمينك يا موسى قال
هي عصاي اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب
اخرى الآية • والظاهر ان ال في الحجر قيل كان حجرا
معينا حمله معه من الطور • وقيل ان ال تكون هنا
للجنس فاي حجر ضرب انفجرت منه الماء كما قال تعالى
• وفي وصفه ومن اي شيء كان اتوال مضطربة • فانفجرت
معطوف على ذلك المحذوف اي فضربه فانفجرت
ودعوى ان فاء فانفجرت هي فاء فضرب فحذف
فضرب لدلالة فائه عليه وحذفت فانفجرت لدلالة
انفجرت عليها تخرص على العرب بغير دليل وزعم
الزمخشري رضي الله عنه ان الفاء ليست هي للعطف بل هي
جواب شرط محذوف كانه قال فان ضربت فقد انفجرت
كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة
لا تقع الا في كلام بليغ انتهى كلامه وتقدم ردنا
عليه في ذلك قوله فتاب عليكم ورددنا عليه هنا في الكتاب
الكبير في تقديره بعد الفاء قد اي فقد تاب عليكم فقد
انفجرت • والظاهر ان معنى انفجرت وانبجست واحد
اذ هي قصة واحدة وقيل ان الانفجار هو اتساع الماء
وكثرته وانبجاسه رشحه واقل خروجه ومن في منه
لابتداء الغاية والضمير عائد على الحجر وفيه من الاعجاز
ظهور الماء من حجر لا اتصال له بالارض فيكون مادته
منها وخروجه كثيرا من حجر صغير وبقدر حاجتهم وعند الضرب

بالعصاء

اي اعتمد

في م

بالعصا وانقطاعه عند الاستغناء عنه وعدد عيونه
على عدد الاسباط وقرئ عشرة بسكون الشين وفي قراءة
بكسرها وفي قراءة بفتحها واثنتي معرب وعشرة مبني
في موضع خفض بالاضافة وعينا تمييز لازم الافراد
واجاز الفراء رضي الله عنه في مثل هذا جمعه قد علم
اني قد عرف كل اناس اي من قومه الذين استسقى لهم
مشربهم اي العين الذي هو مشرب لهم اي مكان شرب فلا
يتعداه الى عين غيرها والاضافة في مشربهم تدل على
التخصيص واعاد الضمير على معنى كل لا على لفظه فلا
يجوز مشربه والمعنى مشربهم من تلك الاعين وذكر المشرب
تنبيه على المنفعة العظيمة التي هي سبب الحياة كلوا واشربوا
امر اباحة من رزق من للابتداء او هي للتبعيض ولما كان
ذلك من غير تعب اضيف الى الله عز وجل ومتعلق من بقوله
واشربوا على اعمال الثاني والرزق هو المرزوق وهو
المن والسلوى والمشروب من ماء العيون ولما كان قد
تهيأ لهم الموكول والمشروب من غير تعب نهوا عن الفساد
اذ كان ذلك مما قد يدعو الى الفساد كما قال الشاعر
ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اي مفسدة
والعثا هو اشد الفساد ويقال عثى يعثو وعثا يعثي
عثوا وعثيا فهو مما لامه ياء وواو ومفسدين حال
مؤكدة ولما سئموا من اكل طعام واحد مالوا الى اكل
ما كانوا الفوه من اختلاف المآكل فقالوا لن نصبر على طعام
واحد وسألوه ان يدعو الله تعالى لهم اذ كان سؤال
النبي صلى الله عليه وسلم اقرب للاجابة ولما كان ما يأكلونه
لا يتبدل وصفوه بانه طعام واحد ومتعلق الدعاء
محذوف اي بان يخرج لنا كذا وكذا ولفظة ربك
تدل على الاختصاص به لما كان فيه من المناجاة وانزال
التوراة عليه من ما تنبت الارض من تبعيضية ومن
بقلها بدل اعيد معه الجار واسناد الانبات الى الارض
مجاز لما كان الله تعالى جعل فيها قابلية الانبات والبدل
من التبعيض تبعيض وفي البحر ان المهدوي وابن عطية
وابا البقاء قالوا من في من بقلها لبيان الجنس والبقل
هو النعناع والكرنب والكراث واشباهها والقثاء
معروف وقرئ بكسر القاف وضمها والفوم هو الثوم وقراءة
عبد الله وثومها فاحتمل ان يكون مما ابدلت فاؤه فاء

واحتمل ان يكون مادة اخرى والهمزة في قوله استبدلون
للانكار اي اتقتاضون هذا الذي تطلبون ان تستبدلوه
واستعمل هنا الطلب الذي انطلبون تبديل الذي هو
ادنى والمصوب هو الحاصل والذي تدخل عليه
الكاف هو الاول وادنى افعل تفضيل من الدنو وهو
القرب اي اقرب قبولا ومن الدون وهو الردي فقلب
واوه ياء وادغمت فسهلت همزته بامد الفالف من الخاء
وقد قرئت بالهمز ايضا ولم يشد الا دنية هنا
ولا الخبرة اذ معلوم ثبوت الخيرية لما كانوا فيه وثبوت
الادنوية لما سالوا والضمير في قال لموسى عليه الصلاة
والسلام اي فدعا فاجابه الله عز وجل لما دعاه فقال
اي موسى باذن الله او الله تعالى • اهبطوا مصرا وقرئ
بالتنوين وبغير تنوين اي والمراد بترك التنوين
انها مصر من الامصار وبغير تنوين انهم سكنوا الراء
تخفيفا كاشنه وقيل بغير تنوين على انها مصر الفرعون
يريد وقرعون • فان لكم اي فيها ما سالتم وقرئ
بكسر السين وسكون اللام وهو من تداخل اللغتين
اي من السقول والجبوب • وضربت عليهم الذلة والمسكنة
اي الزمتهم الذل من ضرب الامير الضرب على الجند
فالذل لهم ما الزموا من الجزية واظهار الذي الخالين
لذي المسلمين والمسكنة الخشوع والانكسار والفقر
والشح ولم تكن الجزية مضروبة عليهم من اول امرهم
فتكون من الاخبار بالغيب اذ كان ذلك في مدة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضربت عليهم الجزية وقيل الذلة
كونهم اذلين في انفسهم ليس فيهم من الدسامة ما يقاتلون
بها من عاداهم الا قليلا قوطهم اذهن انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون وقوله عز وجل فما كانت
جوابهم الا ان قالوا الا قول لائمتهم والله اعلم بالطائفتين
وقوله فباؤا بغضب اي رجعوا فالتاء فيها مبدلة
للحال اي مستتبعة لاثام اي ليحملوا فالتاء فيها مكونة
صلة زائدة او تمكنوا فالتاء ظرفية والغضب هنا
هو ما حل بهم من البلاء والنقم من الله عز وجل وهو متعلق
بباؤا او بمحذوف في موضع الصفة ويكون من الله عز
وجل فيه تعظيم للغضب • ذلك اشارة الى الضرب
والاباء وهو مبتدا خبره • بانهم اي بكونهم

والباء للسبب اي بسبب انهم كانوا مكفرون اذ في احوالهم
السابقة وباياته تعالى التي اظهرها على يدي نبيه
موسى وغيره من الانبياء عليهم اجمعين الصلاة والسلام
فذلك بالايات التسع والتوراة وغير ذلك من المعجزات
الظاهرات • ويقتلون النبيين كشعث وبحيى وزكريا
وقرئ بسكون الهمزة على تشبيه المنفصل من الكلمة
بالمتصل وبالتشديد مع الياء دلالة على التكثير فقتلوا
انهم قتلوا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثلاثمائة
وقتل سبعون وقتل اثنان وقتل غير ذلك • بغير
الحق ذلك احتراز عما لو وقع قتل نبي من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام الا بغير حق فهو قتل لانهم يخرجون عن
الانبياء سمعا وحاء ذلك تشنيعا عليهم اي انهم تجرعوا وجها
في القتل ذلك بما عصوا اكيد للجملة قبله او الحامل على
الكفر والقتل هو سوء عصيانهم واعتدائهم اذ المعاصي
تزيد الكفر قال الضرب والسماة ما الكفر والقتل
وقال الكفر والقتل بالعصيان والاعتداء وان في
النبيين للعهد فمن قتلوا او من للجنس وفي بغير
الحق كذلك اي الحق الذي من شانه ان يوقع بفتة القتل
او لتعريف الماهية • ان الذين هادوا وامم اليهود وتاب
من هاد يهود اذا تاب وقرئ هادوا بفتح الدال وسكون
الواو من هاد اذا مال من الهداية بمعنى فعل كتاب
وحاني اي حدوا انفسهم وسم اليهود والنصارى
جمع نصران كندمان وندامى والالف للتانيث ويدل
عليه منع الصرف في قوله انا نصارى وقيل نصرى كمهدي
ومهادي • والصابئين قيل هم عباد الكواكب الذين
يقولون بتدبيرها وقرئ مهموزا من صابات السجوم
اذا طلعت وقرئ الصابين بحذف الهمزة بنقل حركتها
او امالة كما يمال الالف لكسرة ما قبلها الى الياء
ومن امن بدل من اسم ان والعائد الى اسم الاشارة
محذوف اي من امن منهم بالله وما بعده والجملة
خبر ان وجاز ذلك لان الموصول لا يوصف قبل تمام صلته
فحسن حذف العائد ويجوز ان يكون اسم ان ضميرا
يعود الى احد المذكورين وهو حذف بعيد في غير
ضرورة والجملة خبر ان والفاء في فله اجرهم لتضمن
اسم ان معنى الشرط او معنى اسم الشرط ايضا وهو حاصل
في ولا خوف عليهم ايضا ولا مبالاة بمن خالف في ذلك
والاجر هو الثواب المرتب على الاعمال من الايمان ومن
العمل الصالح افرد الضمير في امن وعمل عملا صالحا
حملا على لفظ من وجمع في قوله فلهم اجرهم حملا على معناها

ودعوى ابن عطية رضي الله تعالى عنه انه اذا حمل على اللفظ
ثم حمل على المعنى فلا يجوز ان يعود الى اللفظ باطلة وقرئ
فلا خوف بنصب الفاء والخطاب في ميثاقكم لبني اسرائيل
وهو الانعام العاشر وهو العهد عليهم بما تضمنته
التوراة وتبيينه وعدم كتمه وما فيه من اظهار نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم والطور الجبل الذي ناجى الله تعالى
عليه موسى عليه الصلاة والسلام التزموا امتنعوا من
اخذ التوراة والتزامها اي التزام العمل بما فيها فرفع فوقهم
الطور قيل كان رفعه بمقدار العسكر حتى صار كالظلة
خذوا ما اتيناكم اي وقلنا خذوا والذي اوتوه الكتاب
بقوة اي بجد واجتهاد وقرئ ما اتيتكم من كتاب
اي فخذوه بقوة وهو الثقات واذكروا ما فيه امر
بحفظه وعدم تناسيه قولا وعملا وقرئ واذكروا
ما فيه من الاذكار وقد يفهم من سياق الكلام هنا انهم
امتثلوا الامر وعملوا بمقتضاه ثم توليتم من بعد
ذلك اي اعرضتم عن الميثاق والعمل به ورفع الجبل
وهذا كله تذكير لليهود فلولا فضل الله عليكم بقبول
التوبة ورحمته بالعفو عن الزلة وارتفاع فضل على
الابتداء هذا هو مذهب البصريين وعليكم متعلق بفضل
والخبر محذوف واجب الحذف على المختار لكنتم جواب
لولا ويكثر دخول اللام عليه اذا كان موجبا وزعم بعض النحويين
انها لا تحذف منه الا في الشعر من الخاسرين اي من الهالكين
في الدنيا والاخرة ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في
السبت علم هنا تعدت الى واحد اي عرفتم اعيانهم وعرفتم
ان اعتداءهم فيه انه حرم عليهم العمل فيه وصيد الحيتان
فيه فكان يكثر ظهورها فيه على وجه الماء في يوم سبتهم ثم
تذهب بذهابه فتحيلوا في صيدها بنوع من الحيل
كحفر حفيرة او ربط الحوت بخرمة فاذا مضى السبت اخذوه
ثم كثر ذلك حتى صادوهم يوم السبت علانية وباعوه في
الاسواق ومنكم في موضع الحال اي كائنين منكم وفي
السبت يتعلق باعتدوا اي في العمل يوم السبت في عدم
الاصطياد فيه فقلنا لهم كونوا قردة امر يدل على
سرعة الكون بهذا الوصف وكانهم ممتثلون ذلك وان لا
ليسوا بقادرين على ذلك والظاهر صيرورتهم قردة
حقيقة وقد جاء في الحديث ايضا ان امة مسخت

ولا ينكر

ولما

نسخة بعد ذهابه

اي فكانوا هم

عصاه

ولا ينكر ذلك من قدرة الله عز وجل ألا ترى إلى انقلاب عصا
موسى عليه الصلاة والسلام حية ثم عودها عصا
ه والعدد معروف وفعل الاسم القياس فيه فعول نحو
قرود وجمع على فعلة لاستقاس نحو فردة وحسلة في
جمع حسل والحسل الصغار والطرد وفعله خساء
خسوء متعديا ولازما ٥ لا رماه ٥ جعلناها أي الكينونة
قردة نكالا أي عبرة وأصل النكال المنع والنكل
هو القيد الحائل بين قدمي الدابة أي لمن تقدم منها ٥ وما خلفها أي
من جاء بعدهم ٥ وموعظة أي اذكارا وعبرا للمتقين
لان الذين ينتفعون بالموعظة هم المتقون ٥ واذ قال
موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة سبب هذه
القصة انه وجد قتيل في بني اسرائيل وجهلوا قاتله أي
لم يعلموا من قتله فاختلفوا فيه فأمرهم الله تعالى بذبح
بقرة فتعنتوا فيها مرة بعد مرة وقيل يأمركم باخلاص
ضمة الراء وباختلاسها وباسكانها والبقر هي الانثى من البقر
وقيل تطلق حتى على الذكر منه وكان المأمور بذبحه بقرة
اذ كانوا ممن تعظم البقر حتى صنعوا لهم عجلا وعبدوه
كما قص الله تعالى عنهم ذلك وقرئ اتتخذنا بتاء الخطاب
أي يا موسى وبالنون ٥ هزوا أي مهزوءا أبنا أو ذوي هزو
استغربوا لما سألوا موسى عليه الصلاة والسلام عن بيان
القاتل فأجابهم بذلك وهذا مما كانوا عليه من سوء الأدب
وسوء عقيدتهم في أنبيائهم وتكذيبهم له ولو فقوا لكان
الجواب منهم امتثال الأمر قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين
أي ممن يخبر عن الله بخلاف ما أخبر وتعالى بأمر لم يخبر به وفي رد
ما لم يأمر به وكما استعان موسى عليه الصلاة والسلام
بالله على ان فأخبرهم به عز وجل منه سبحانه وتعالى أي
كما أمرهم موسى عليه الصلاة والسلام به من ذبح البقرة
فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها وفي الحديث لو ذبحوا أي
بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم
وقولهم يبين لنا ما لونها استئناف وحذف في موضع يفعو
له وما بعده معلق لان التبيين اعلام في المعنى وما هي ليس سؤاله
عن الماهية انما هو سؤال عن الوصف وان كان جواب
بالوصف فكأنهم قالوا ما صفتها وكيف علموا ما لم يسم عنه
الله تعالى من الخصوصية قالوا له ادع لنا ربك قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول ولا بكر صفة للبقرة واذا وصفت نكرة بما

يعظموا

وبابا أي الله عز وجل

هلين

ية

لا

دخلت عليه لام الامر
وكذا الخبر وفي الكلام

الامانة والعار حزبي ليس الي انقطعت ولا دتها
من الكبر يقال فرضت بفتح الراء وضمها نقرض فرضا
والكبر يعني به الصغر ومعناه الي لم تلد من الصغر
قيل او ولدت ولدا واحدا والعوان النصف
بفتح الصاد وهي التي ولدت مرة بعد مرة يقال عونت
المرأة وعوان تفسير لما تضمنه الوصفان من ذلك
اي بين الكبر والصغر وبين الابكار وارفرضت اذ
قد تشارك به للمفرد والمثنى والمجموع بصيغة واحدة
فيقال كيف ذلك الرجال يا رجال وكذا كاف الخطاب
قد تكون مفردة للمفرد والمثنى والمجموع من المذكر
والمؤنث او حذف معطوف كاحذف في قوله فما كان
بين الخير الا بين تقتضي شيئا ان تقتضي لشاء كما قيل
فيها والله اعلم وافعلوا ما تؤمرون امر بامتثال
ما امر به فلم يفعلوا وتعنتوا في السؤال فسألوا عن
لونها والصفرة هنا المعهودة لا السواد يقال ابل
اصفر فاقع وابيض نقي واسود حالك واحمر
قاني واخضر فقد السوابع وذلك على شدة الوصف
كانه قيل اصفر شديد الصفرة وفي عربيتها وقع
في لغة اليمن اذا اردوا المبالغة في وصف اللون
تكتبوا مع الحرف الاول مع الياء الساكنة ما يدل على الوصف
بشدة ذلك اللون يقولون في السواد فرار اذا اردوا به
شدة السواد قالوا قاف وكذا حمري الاحمر يقولون
صرحا وقرل الاحمر يقولون قنفذ وكذا باقي الالوان
والوصف فاقع ونحوه مما يدل على شدة اللون يطابق
ما قبله فيقال سود احالكة وصفرا فاقعة
وهنا وقع الظاهر المذكور فلذلك لم يلحق وتقول صفة
ايضا اي تهيج الناظرين بحسنها شكلا وكمالا وسنا
فالوصف بالسرور مأخوذ من قولهم تقدم الاوصاف الى ثنائها
عليها السرور ثم لم يكتفوا بهذا البيان وتعنتوا في السؤال
على عادتهم وعللوا الحامل لهم على تكرار السؤال بقولهم
ان البقر تشابه علينا اذ موجود كثير مما سيأتي مما تقدم
ذكره في الوصف والدليل وقرئ تشابه على انه كمر التتمر
وتشابه على انه مضارع على تاء تتشابه وحذف التاء
وتشابه على التانيث وادغام التاء في الشين والاصل
تتشابه وتشبه مضارع شبه حذفت منه التاء وشبه

ماضيا ومتشابه مضارعا وتشابهت وتشابهت
ومشتبهة ومتشابهة وانا ان شاء الله لمهتدون
الى نفس البقرة المامور بذبحها وجواب الشرط محذوف
اي ان شاء الله اهتدينا دل عليه لمهتدون وقياس
الشرط الذي حذف جوابه للدليل ان يتقدم او يتاخر
بتاخر الدليل الاول منهما كقولهم انت ظالم ان فعلت
لكن الشرط قد توسط بين اسم ان وخبرها ليحصل
توافق رؤوس الاي وجاء بالشرط على سبيل الادب
مع الله سبحانه وتعالى اذا اخبروا بثبوت الهداية
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا
تسقي الحرث صفتان للبقرة وتثير صفة لذلول داخل
تحت النفي والمقصود نفي اثارتها الارض ولا تسقي
الحرث نفي معادل لقوله لا ذلول والمعنى انها لم تذلل
بالعمل في حرث ولا سقي وما ذهب اليه الزمخشري رضي
الله عنه من جعل لا في قوله ولا تسقي الحرث زائدة للتوكيد
وان المعنى تثير الارض وتسقي الحرث على ان الفعلين
هنا صفتان لذلول كانه قال لا ذلول مثيرة وساقية
ليس بشيء لانه يلزم منه الوصف بلا غير مكررة والتقابل
منفي وقلنا انه لا يكون الا في الشعر وقال ابن عطية
رضي الله عنه لا يجوز ان تكون هذه الجملة يعني تثير في
موضع الصفة لانها ليست من نكرة بل من صفة
انتهى والنكرة ان عني بقرة فقد وصفت والحال
من النكرة الموصوفة جائز جوازا حسنا وان عني
به من لا ذلول فالحال من النكرة غير الموصوفة فيبعد
على قول الجمهور ممن لم يحصل مذهب سيبويه على جواز
ذلك وقاسه وقيل حال اي تثير حال من الضمير
المستكن في ذلول اي لا تذلل في حال اثارتها وقرئ
لا ذلول بفتح اللام اي لا ذلول هناك وتثير قيل
صفة لاسم لا منفية من حيث المعنى ولذلك عطف
عليه جملة منفية وهي ولا تسقي الحرث والذي نختاره
في هذه القراءة ان يكون تثير وتسقي خبرا لقوله لا ذلول
وذلك قد يكون اعتراض بين بقرة وصفتها التي هي
مسلمة وانتفاء الاثارة والسقي من حيث المعنى
لا من حيث الوصف مسلمة اي من العيوب لا شية
فيها اي لا لون فيها يخالف الصفرة لا بياض ولا سواد ولا غير ذلك

لان الشيء قد يوصف بلون لكونه غالبا لمشابهه ويكون في بعضه
لون يخالفه لكنه لقلته لا يعتد به وقالوا لؤلؤة اسم
للذي يكون فيه بلقة والتمر ما خوذ من الوشي لاختلاف
الملاقين وقوله الآن حين جئتني الخ بالحق الواضح لنا اني
لطمت صدر آمنة كان غائبا فجاءه وقرئ قال الله في
بسكون اللام ونقل حركة الهمزة للام وحذفها مع حذف
الالف وقالوا وضع اسمها في الآن ظرف للوقت الحاضر
وقاصبته حين وقالحق متعلق بجئت اي لطمت بالحق
او للتعدية اي جاءك الحق الذي لم يبق معه اشكال
فذبحوها بعد قوله محذوف اي فتركوها
وحقروها وفي كيفية تحصيلها اقوال تظافرت
اقوال المفسرين على انها من اشات الاربعة الدقيقة
وما كادوا يفعلون كيف عن الذبح بالفعل لتعلق قرار
يذبحون واختلفت في زمان يفي بالكثرة وزمان
الذبح اي وما قاربوا ذبحها قبل ذلك اي وقع الذبح بعد
ان انتفت مقاربته اي تعسروا في ذبحها حتى كادوا يتركون ذبحها بعد
ذلك وقوله وما كادوا يفعلون اي لغلاء ثمنها واذ قتلتم
نفسا معطوف على قوله واذ قال موسى والظاهر ترتيب
وجود القصتين وترتبهما على ترتيب وجودهما فيكون الله
تعالى قد امرهم بذبح البقرة فذبحوها وبعد ان
بالله سبحانه وتعالى فيها من الشر وقع بعد ذلك امر
القتل فاظهر الله ما كانوا اخفاه بينهم من الحكمة بقوله
اضربوه ببعضها والا ضرورة تدعو الى الاختلاف في الوجوه
والنزول والتلاوة اعتبارا بما روي ان القصص
اذا لم يصح لا ان كتاب ولا سنة والحمل على الظاهر اولى
اذ العدول الى غير الظاهر انما يكون لمرجح ولا مرجح
هنا من قطة الحكمة الداعية في تكليفهم اولا ذبح بقرة
هل تمثلون ذلك امتثالا واستكانا لتكاليف التي لا يظهر
لهم اتى الى حكمة اعظم من امتثال ما يظهر فيه حكمة
لانهم طواغيت صرف وعبودية محض ولهذا لام خالف
بخلاف ما يظهر له حكمة وان في العدول داعية الى
امتثاله وحظا الى العمل والخطاب في قتلتم اما لورثة
المقتول وقد روي انهم اجتمعوا على قتله او خطاب
للجماعة مما يقع من بعضهم نصا وفي بقوله تشاجرتم الشخص
كما قال ثلاثة انفس وثلاث ذود اطلاقا لبعض الشيء

على الشيء

على الشيء او على حذف مضاف اي ذا نفسي وجعل
نسمة لكان نفسا تفسيرا لاشتراك وقرئ فاداراتم
وقداراتم والمداراة والادراء اي التدافع فيها اي
في نفسي قاتلها • والله مخرج ما كنتم تكتمون من
امر القتل وقاتله وقرئ على صيغة اعراض بين المعطوف
والمعطوف عليه معترضة بان الله والا يجدن
اذ الله مظهر لما كتمتم • فقلنا اضربوه اي القتيل
المنشر على بعض من ذكر انه قتله او عايد على مراعاة الشخص
او على ذي في نفس من قدر ان نفس والبعض غير
معين وقيل قوان مضطربة والهاء عايد على
البقرة المذبوحة وتم مخذوفان فضربوه فدب عليه
اضربوه وحيي القتيل فدب عليه كذلك يحيي الله الموتى
اي مثل هذه الحياة للقتيل يحيي الله الموتى في الدنيا
في مطلق الاحياء لا في الكيفية • ويريكم ايات في احيا
ميت بقطعة لحم من بعض حاله ان يكون ويريكم معطوفا
على يحيي الله الموتى وان يكون استيناف اخبار وجمع
ايات اذ اراد به سبحانه وتعالى هذا الاحياء والعصى
والحجر والحمام والسلوى والسخر والبحر والطور
وغير ذلك • ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اي من بعد
هذا الخارق العظيم الخارج عن معتاد ورا دستر الموجب
للاعتبار لين القلوب والخطاب في قلوبكم ضمر وادغمت
كما نقل انه لما احيي القتيل واخبر بمن قتله قالوا
كذبت والعقوة هي نبو القلب عن الاعتبار وعدم
تحركه وقابليته للمواعظ • فهي كالحجارة اي في عدم تاثر ها
ملينة لا تتحلحل مع ظهور الحجج • او اشد قسوة
فصل ونوع قلوبهم الى شبه الحجارة في القساوة والى اشد
قسوة من الحجارة وانتصب قسوة على التمييز ويقتضيه
اشد وكان التشبيه وهذا التمييز الذي بعد افعل
التفضيل مسقوك من اسند وهو قليل عند ابي علي واشد
معطوف على قوله كالحجارة من قبيل عطف المفرد على
المفرد كما تقول زيد على سفر او مقيم ولا حاجة الى تقدير
الزمخشري رضي الله عنه او هي اشد فتكون دالة
كلها من عطف الجملة على الجملة اضمر مثل واقيم اشد مقامه
فتكون الضمير في اشد عايدا الى القلوب اي على القلوب
او كان الاصل او مثل شيء اشد قسوة من الحجارة وقرئ

اشد تخفف الدال ويخرج على هذا المخرج الثاني وقرئ
فساقوه بالالف ثم قال ٠ وان من الحجارة تبين ان
قلوبهم لا تتاثر وان الحجارة قد توجد فيها ما تتاثر وانها
متفاوتة في الشدة فلا شبهة انكم ان ترن وقد دخلت اللام
عليه للتوكيد وقد يخفف في ثلاثتها واحتمل ان
تكون مهملة او هي عاملة بين الصفة والحسن وما
اسمها واحتمل ان تكون ملغاة كما في الدار لزيد
فما مبتدا خبره المجرور قبله واللام هي لام الابتداء هنا
او لبين مت للفرق او لام غيرها فاجتلبت للفرق بينهما
وفي ذلك قولان لبعض النحاة وقول الكوفيين ان اذ
وافية واللام بمعنى الا وقرئ لما بتخفيف الميم وما موصولة
بمعنى الذي وقرئ لما بتشديد الميم
قال ابن عطية ومن الله عندي قراءة غير مجهة
وما قاله ابن عطية لا يستوي الا ان كان نقل عن من
قراءة بالتشديد تشديد ان وتخفيف اذ ذاك توجيهها
اما ان قراءة بتخفيف ان ومن للظنون به فيظهر
توجيهها بان تكون ان نافية ولما بمعنى الا كقوله
تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ في قراءة من شدد
لما وتكون قد حذف منه المبتدا التقدير وما امر الحجارة
محذر الا وتستخبر منه الانهار وكذلك ما بعد هذا الكون
تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد
وقوله عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل
موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا اي وان من اهل
الكتاب احد وحذف هذا المبتدا يحسن لدلالة المعنى
عليه الا انه يشكل معنى الحصر اذ يظهر بعد التفضل
ان الاحجار متعددة فمنها كذا ومنها كذا واذا حصرت
افهم المحكوم ان كل فرد من الحجارة فيه هذه الاوصاف
كلها اي تتفجر منه الانهار وتشقق فيخرج منه الماء
ويهبط من خشية الله ولا يبعد ذلك اذا حمل على القابلية
اذ كل حجر يقبل ذلك وان كان الذي قرا لما بالتشديد
وان ما بالتشديد فتغير توجيهه ومن زعم ان المشددة
بمعنى ما النافية فقوله لا يصح ولا يثبت في كتاب
النحو ويمكن توجيه ذلك على ان يكون المعنى ان محذرونا
اياه وان منها ينفاد كما حذف ولكن مر بحي عظم
الشافعي ذلك ولما بمعنى حين على مذهب الفارسي

او حرف وجوب لوجوب على مذهب سيبويه رضي الله عنه
والمضارع هنا قد يكون بمعنى الماضي وقرئ تفجر
تفعل فجر وتتفجر وتفاعل انفجر بتخفيف الجيم
والتفجر هو التفتح والسعة بالكثرة وقرئ منه
الانهار ومنها الانهار حملا على المعنى والتشقق مبنا
التصدع بطول او عرض فينبع منه الماء بغلبة
وقرئ يشقق بتشديد الشين ويشقق ويتشقق
ويتشقق بالنون وقاف بين والفك شاذ والهبوط
هو التردي من عال الى اسفل وقرئ بهبط مكسور الباء منها
والخشية الخوف وهو من المجاز لان الخشية كناية عن
الانقياد لامر الله سبحانه وتعالى وانها لا تمتنع عما يريد
تبين ان الحجارة لما اثمرت قلوبهم قد تركت
سبحانه وتعالى تقاوت الحجارة في الكثرة فمنها ما لو
تتخلخل يتفجر منه الماء اي الانهار بسرعة ومنها
ما فيه صلابة لكنه يتشقق فيخرج منه الماء ومنها
ما هو مرتفع الانقياد فيتهافت بخلاف قلوب هؤلاء
فانها اشد قسوة من الحجارة فلما كانت قساوة القلوب
تتشاءم عنها الامساك المذكور قال سبحانه وتعالى على
سبيل التهديد لهم وما الله بغافل عما تعملون قال
ابن عطية رضي الله عنه وغافل في موضع نصب خبر
ما لانها الحجازية بدليل دخول الباء في الخبر
وان كانت الباء قد تجيء شاذة في التميمية اتفق
ولم يذهب نحوي الا ان دخول الباء في التميمية شاذ
فيما علمناه ابدا بل الكلام في ايجاب قال منهم
لا مدخل للباء في ذلك وهو قول ابي علي في احد
قوليه وتبعه الزمخشري رضي الله عنه وفي قوله
انها تدخل وهو الصحيح وهو كثير في اشعارهم
تميم وقرئ تعملون بتاء الخطاب على سبيل التفات
فلو كم من بعد ذلك وما ايأس السفهاء الان المؤمنون
من الانصار منهم ومن الكوميت حتى اليهود
حلف وحوار فكانوا يودون اسلامهم ولطمع هؤلاء
تعلق النفس بادراك مطلوب تعلقا قويا وقد كان
فريق منهم اي من اليهود لتعدتهم عن الايمان يسمعون
كلام الله اي من كتابهم التوراة او من الوحي المنزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يحرفونه اي يميلون به الى غير

جهة وعدلوا به

من بعد ما عقلوه اي فهموه ومع عقلهم له على وضعه يحرفونه
عن وضعه وهم يعلمون ما في تحريفه وتبديله من الاثم
واستحقاق غضب الله سبحانه وتعالى فمن كانت هذه حالته
لا يطمع في ايمانه وابناهم تابعوا اسلافهم في البعد عن
الخير والايمان ثم ذكر من نفاقهم موافقة المؤمنين بقولهم
قالوا امنا ومن حيثهم كونهم لا ينطقون بتعلق امنا
والجملة من قوله وقد كان فريق منهم في موضع الحال
اي طماعيتكم في ايمان هؤلاء مع ان حال اسلافهم او حال
فريق منهم من هؤلاء الحاضرين منهم هذه الحال تكون
مستبعدة لا تجاء مع هذه الحالة واذا خلا بعضهم
الى بعض اي انفرد بعضهم ببعض قالوا اي المنفرد
على سبيل العتاب اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لاسلافكم
من المخازي وما حل بكم من النقم والفتح يعني الاعلام
اي بما اعلمكم او الحكم اي بما حكم الله عليكم وعلم اسلافكم
وحدث هنا تعدت الى واحد بنفسها والى الاخر بحرف
الجر واللام في ليحاجوكم تتعلق باتحدثونهم وهي لام كي
على تجوز لان الناشي عن شيء وان لم يقصد بالعلة له
وكونها للصيرورة قول مشهور والضمير في به عائد على ما
ما الموصولة الاسمية عند ربكم اي في الاخرة وقول ابن
ابي الفضل ان الصحيح ان يكون عند ربكم متعلقا بقوله بما
فتح الله عليكم اي من عند ربكم ليحاجوكم قال لان الاحتجاج
عليهم بما كان في الدنيا ليس بصحيح للفصل بين عند
والعامل فيها الذي هو فتح بقوله ليحاجوكم وهو اجنبي منهما
اذ هو متعلق باتحدثونهم على الاظهر افلا تعقلون واحد
تحت قوله قالوا اتحدثونهم اي بما يكون حجة لهم عليكم افلا
تعقلون ما في ذلك من التسليط عليكم واظهار الحجة وذهب
الزمخشري رضي الله عنه الى ان بين الهمزة والفاء في نحو افلا
تعقلون وبين الواو والهمزة في نحو اولا يعلمون وكذا افلم يسيروا واولم
يروا فان ذلك يكون فعلا محذوفا عطف عليه ما بعده كان
تقدير اجهلتم فلا تعقلون امكثوا فلم يسيروا ومذهب
النحاة ان الواو والفاء وثم لعطف ما بعدها على الجملة التي
قبل الهمزة والهمزة متاخرة في التقدير فلزمت لان الاستفهام له صدر
الكلام وقد رجع الزمخشري رضي الله عنه الى قول النحاة في ذلك
اذ لم يضطر له الحذف في مواضع اولا يعلمون قرئ بالياء والضمير

للكفار

للكفار وبالتاء خطاب للمؤمنين ينبههم على جهل الكفار بعالم
السر والعلانية او خطاب للكفار على سبيل الالتفات ثم اعرض
عن خطابهم واعاد الضمير الى الغيبة اهمالا لهم او لا يعلمون ان
الله يعلم ما يسرون وما يعلنون هو عام وسدت ان مسد
المفعولين ان قدر ان يعلمون متعد الى واحد ومسد
مفعولين ان قدر تعديته الى اثنين ومنهم اي من اليهود
المذكورين امنون اي عوام وتباع لا يحسنون الكتابة
ولا القراءة فيطالعون التوراة ويتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب
اي التوراة الا اماني استثناء منقطع اذ ليس من جنس الكتاب
الا ما هم عليه من امانيهم ان الله يعفو عنهم وتشفع انبياؤهم
لهم او ما يمنيهم احبارهم ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
او الا اكاذيب مختلقة تلفقوها من احبارهم تقليدا وقرئ
اماني بتشديد الياء وبتخفيفها وان هم الا يظنون
الظن هنا على بابه من ترجيح احد الامرين ولا يلزم من
الترجيح عندهم ان يكون ترجيحا في نفس الامر فويل اي
هلكة وخسار للذين يكتبون الكتاب هم اليهود بايديهم
تاكيد برفع المجاز اي يباشرونه بانفسهم لا يامرون
بالكتابة كانوا يكتبون محرفا عما في كتابهم كما ذكر انهم
غيروا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في التوراة
فجعلوه ادم سبطا طويلا على خلاف ما في التوراة والمعنى
يكتبونه مختلقا من عند انفسهم ثم يقولون لاتباعهم
الاميين هذا من عند الله مع علمهم بالتبديل والتحريف
ليشتروا به ثمنا قليلا من بضائع وما اكل ورشا ووصفه
بالقلة لفنائه وحقارته فويل لهم مما كتبت ايديهم
هذه مقدمة وويل لهم مما يكسبون هذه نتيجة تلك
المقدمة وكرر الويل حتى يتحقق ان الخسار والهلكة
تترتب على كل واحد من المكتوب والمكسوب وروي انه
عليه الصلاة والسلام قال ليهود من اهل النار قالوا نحن
ثم تخلفونا انتم فقال كذبتم لقد علمتم انا لا نخلفكم
فنزلت وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة اي
قلائل يحصوها العد فروي انهم قالوا سبعة ايام وعنهم
اربعين يوما اي بقدر مدة عبادتهم العجل لانهم عبدوه اربعين
يوما قل اتخذتم عند الله عهدا هذا رد لدعواهم الكاذبة
اي مثل هذا الاخبار الجازم لا يكون الا ممن اتخذ عند الله
عهدا بذلك وانتم لم تتخذوا فقولكم هذا كذب وافتراء واتخذ

تقدمت لي واحد او الى اثنين فكون الطرف ماوا ثاني والمزة
الخذتم بمزة لاستفهام وقرئ بنقل حركتها الى قد وحذفها ابن
وا لعني عبدا ما قلتم ان الجنان لا تمسكم الا اياما معدودة فلن يخلف
الله عهده قبل جواب الاستفهام الذي ضمن معنى الشرط وفي هذا
القول نظر لان الاستفهام عزما من لفظ او معنى وقال ان
عطية معنى اتخذتم عند الله فلن يخلف الله عهده اعتراض في اثناء الكلام
كانه يريد بان ام تقولون معادل لقوله اتخذتم فصارت
هذه الجملة اعتراضا بين المتعادلين فلا موضع لها من الاعراب
وجواز ان التقدير اذي هذا من واقع الاتخاذ كم العهد عند
الله ام قولكم على الله ما لا تعلمون او خرج مخرج الرد في تعيينه
على سبيل التقرير وان كان قد علم وقوع احدهما وهو قولهم
انقولون على الله ما لا تعلمون ولفظ ام بمعنى بل والهمزة اي بل
اتقولون استفهام انكار وقد علم انهم يقولون على الله ما لا
يعلمون ولا نقض لقولهم لن تمسنا النار اي تمسكم النار لانها لم
من كسبت سيئة من شرطية او موصولة وترجح بها تقسيمها
والذين آمنوا والسيئة الكفر وا حاطت به خطيئته بان
يموت على الكفر او لاحاطة اشقائها من كل جانب وقرئ
خطيئته وخطياته وخطاياه وذكر الخلود دال على الموافاة على الكفر
والذين آمنوا لما ذكر حال الكفار ذكر حال من يقابلهم وهم المؤمنون
وهناك تقف للخلود لي النار على شيئين ولما تقف الخلود في الجنة على
شيئين واذ اخذنا واذ معطوف على الظروف في الشائعة وهذه الآيات
من الواردة في توبيخ بني اسرائيل وشاقتي اسرائيل لا تعبدون الا الله
وبالوالدين احسانا الى الوالدين اي الاب والام وتقدم الام والاب الذكر
والوالدة بالتاء وبالاحسان اليهما بر هما واكرامهما واحسانا
مصدر في معنى الاحسان اي واحسنوا احسانا الى الوالدين وتقدم معمول
المصدر على سبيل الاعتناء والاهتمام بامرهما وذي القربى اي
وصاحب القرابة وفي ذلك صلة الرحم اذ هو شارك للوالدين
في القرابة واليتامى وهم الذين مات اباؤهم ولا تدرك
لهم ملك الكسب اذي على الاكتساب وقد ورد في الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا وكافل اليتيم
في الجنة كهاتين والمساكين وتاخروا ان يمكن
ان يتعهد نفسه باستخدام او اصلاح معيشة واذ تذكير
القربى لجنس من جميع الاقارب وكذلك اقربوا واضافته
الى المصدر تدرج لجميع وقولوا للناس حسنا امر ان يتبع عباد الله
بالاحسان من ذكر وهو فعل ابتع ذلك بالقول ليكون الاحسان

وقرئ حسنا

وقرئ حسنا وضم السين وحسنا بفتح الحاء والسين
وحسنى فعلى واحسانا وقال ابن عطية رضي الله عنه
في قراءة من قرأ احسنى على وزن فعلى قال رده سيبويه
رضي الله عنه لان افعل وفعلى لا يجيء الا معرفة الا ان
يضاف كقولك جاءني افضل القوم وادخل فعلى عليها
قد ذلك جائز وهو وجه القراءة بها انتهى كلامه وفي كلا
ما نشاط لانه قال لان افعل وفعلى لا يجيء الا معرفة
وليس على ما ذكرات افعل قد استعملت احدها ان
يكون من ظاهرة او مقدرة او مضافا اليها نكرة مجردة
فهذا قد لا تعرف بحال بل يبقى نكرة والاستعمال
الثاني ان يكون بالالف واللام فان ذاك قد يكون معرفة
بهما والاستعمال الثالث ان يضاف الى معرفة وفي التعريف
بتلك الاضافة خلاف وذلك نحو افضل القوم وادخل
فعلى فيها استعملان احدهما بالالف واللام فيكون معرفة
بهما والثاني بالاضافة الى معرفة نحو فضلى النساء
وفي التعريف بهذه الاضافة للخلاف الذي في افضل فقول
ابن عطية ان افعل وفعلى لا يجيء الا معرفة ليس بشيء
يصحح وقوله الا ان من ان عنها معنى التفضيل ويبقى
مصدرا اي العقبى فذلك جائز في ظاهر كلامه ايضا
لان المعنى الا ان من ان عن فعلى معنى التفضيل ويبقى
مصدرا فيكون فعلى الذي هو موضوع افعل اذا اريد
منه معنى التفضيل يبقى مصدرا وليس كذلك لانها
لا تنقاس مجيء فعلى مصدرا انما جاءت منه الفاظ يسيرة
فلا يجوز ان تعتقد في فعلى التي يذكر فيها افعل انها
قد تصير مصدرا اذا اريد بها معنى التفضيل واقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة اسم فيهما تبين العباد ما لله
عليهم اسما ما وقد كنا الامر بهما لم نعلم عما طابت
منكم من العباد والاحسان ما لعقل والقول والصلاة
والزكاة الا قليلا منكم اي اسما قليلين وهم من امن
حقيقة الايمان من اخلاقهم وان كان لذلك حظا لمن
كان بحضرته عليه الصلاة والسلام كان من القليل عند
الله ابن سلام واصحابه واحتمال القلة في الايمان لا في العدد
كما قاله ابن عطية رضي الله عنه وهو قول بعيد وقرئ الا
الا قليلا بالنصب وهو اوضح من الاول يعني من قراءة الرفع
وقرئ بالرفع ايضا وجعله بدلا من ضمير قليلا لان في التولي

شمائر

معنى السين كانه قال لم يفوا ما ميثاق الا قليل قاله ابن عطية
رضي الله عنه ولا يجتزئ السحاة ان يدرك من الوجه وان تعرض
عرض من حال من اكد لها عاملها او لمضمون الجملة منها الا ان
قد اختلف فيه وهو متعلق التولي اي الاعراض كما قال
بعضهم تولتم عن الوفاء بعهد ميثاقكم وانتم معرضون عن
هذا الرسول صلى الله عليه وسلم واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم لقوله لا تقتلوا انفسكم اي عراما وتركت بكسر الفاء وضمها
وتسفكون مشددا ومخففا اي لا تتعاطوا ما يؤدي
الى سفك دمائكم اي لا تسفك بعضكم دم بعض ولا
تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا من
داره بالاسارة فيضطر الى الاخراج ثم اقررتم بالتزام
الميثاق وقبوله وانتم تشهدون ان الله تعالى قد اخذه
عليكم ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم هذا استبعاد لما اخر به
عنهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق
منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وخبره اسم الاشارة
وتقتلون حال ومن كلامهم ها انت ذا قائما
وهانا ذا قائما والمقصود من حيث المعنى الاخبار بالحالة
وقرئ يقتلون مخففا ومشددا وتخرجون قرئ تفادوهم
من دمارهم كان بنو قينقاع حلفاء الخزرج واعداء الاوس واعداء قريظة
وكان بنو قريظة والنضير حلفاء الاوس واعداء الخزرج وقريظة
كانوا احلافا لهم اولى وكان كل فريق منهم يقاتل مع حلفائه
فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم وادوا اسيرهم حتى
من الفريق الآخر جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم قريش
بذلك وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فتقولون فد
امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحي ان
نذل حلفاءنا وتفادون تطابرون مدغما في الظاء ايضا
وانظاهرون بحذف احدى التاءين وتظاهرون بتاءين وقرئ
تظهرون بسكون الظاء والهاء وتظاهرون مضارع
ظاهر وانتظاهر معناه التعاون في المآثم والاثم
هو ما يستحق عقابه الذنب او ما شئت منه النفس
والاطهن انه القلب والعدوان الاعتداء وهو
مجاوزة الحد في الظلم وقرئ اسارى واسرى وتفادوهم
وتفدوهم اي لا يناسب من اساء ثم اليهم بالاخراج ان
تحسنوا اليهم بالفداء وهو محرم عليكم اخراجهم تقدم
قتل النفس والاخراج من الديار والتظاهر والمعاداة

العرف بذلك

ان هو في مر

واكد الاخراج

وكذا الاخراج بالنصب على تخليصه وان كان ما سبق محترقا
لما فيه من الخلاف والنفي الذي لا ينقطع شره الا بالموت
بخلاف القتل وان كان فيه افساد الصورة لكن فيه
انقطاع الشر وهو صريح الشان ويحتمل خبر مقدم واخرا
مبتدا والجملة حال او خبر من ضمير الشان وقد قرئ لان
عطية في اعراب وهو محرم عليكم اخراجهم اقوال كثيرة
تنتقد ذكرناها في البحر المحيط • افتومنون ببعض
الكتاب وتكفرون ببعض تستفهم توبيخا اي تبعضون
الكتاب الالهي من التوراة وما انزل على انبيائكم
وتكفرون ببعض من الكتاب الالهي كالانجيل والقرآن
المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وذلك كله
حق منزل من عند الله عز وجل فالتبعيض فيهما كفر وضلال
• فما جزاء من يفعل ذلك منكم لخطاب مطلق في الخبر
قال تعالى وحرامهم مما صار راحة وحريرا وكذا انطلق
في الشرط فجزاؤه جهنم والخزي الفضيحة والفضاحة
في من قتل فان كان الخطاب في اتومنون لمعاصري
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ان يراد بالخزي في الحياة
الدنيا ضرب الجزية عليهم وقتل قريظة واجلاء النضير
الى ان قال او ذعاف • ويوم القيامة يردون الى يشدون
الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون في النار آيسا وقرئ يردون
بالتاء على الاعتبار بقوله من يفعل وبالتاء اعتبارا
بقوله افتومنون او الالتفات بالنسبة الى من يفعل
وقرئ مما تعملون بالتاء والياء • اولئك اشارة الى الذين
تقدم ذكرهم من اليهود الحاضرين لتلك الاوصاف
القبيحة الذين اشتروا استحبوا عن ايثار العاجل الفاني على
الآجل الباقي والاشتراء للتمثيل لا للكوثر لتحقيقه
والثمن المشترك فيه مرفوع عنه واولئك مبتدا
والذين خبره فلا يخفف وهو معطوف على الصلة من
عطف الجمل فلا شرط اتحاد النمط كما يقول جاءني
الذي قتل زيدا امس وسيقتل اخاه غدا فلا يخفف
اي يبقى على ما هو عليه عنهم العذاب ولا هم ينصرون اي
لا يجدون من يدفع عنهم ما حل بهم من عذاب الله عز
وجل وصح حمله اسمية معطوفة على فعلية او يرفع
عنهم على انه مفعول لم يسم فاعله فعل من باب
الاشتغال ايضا • ولقد اتينا موسى الكتاب هو التوراة

وقفينا ضمن معنى وجئنا من بعده بالرسل يقفوا بعضهم بعضا
ومن هنا لابتداء الغاية يحكى ان موسى عليه الصلاة والسلام
لم يمت حتى نبئ يوشع بالرسل يوشع وشمويل وشمعون
وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزريل وحزقيل والياس
ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وآخرهم وخاتمهم سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين
الصلاة والسلام وبالرسل متعلق بقفينا وقرئ بالرسل بضم
السين وباسكانها. وآتينا عيسى ابن مريم اضافه الى امه
ردا على اليهود فيما اضافوه اليه. البينات الحجج الواضحة
الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام من انزال الانجيل
عليه وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى والاخبار عن
المغيبات وخلقه من الطين صورة طائر فينفخ الله فيه
الروح الى غير ذلك مما دل على نبوته عليه الصلاة والسلام
واجمل الرسل لانهم كانوا متبعي شريعة موسى عليه الصلاة
والسلام ونص على عيسى عليه الصلاة والسلام لان شرعه
نسخ كثيرا من شرع موسى عليه الصلاة والسلام وعيسى
وزنه عند سيبويه فعلى والالف فيه للالحاق
كالف معزى وقال ابو عمرو الداني وزنه فعلل ومريم
باللسان السرياني معناه الخادم وباللسان العربي
المرأة الكثيرة الخلطة بالرجال ومريم مفعل لا
فعيل لعدم ثبوته في ابنية كلام العرب وصحة
حرف العلة على غير قياس كمزيد وقرئ وايدناه
وآيدناه ايد فعل وآيد افعل وكلاهما من الايدي وهي
القوة اي قويناه بروح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام
والقدس الطهارة وقرئ القدس بضمتين وباسكان الدال
وبواو بعد ضمة الدال وفي الحديث اهج وروح القدس معك
ومرة قال وجبريل معك قيل وخص عيسى بذكر جبريل
عليه الصلاة والسلام معه اذ كان هو الذي بشر مريم عليها
الصلاة والسلام بولادته وتولد عيسى بنفخه ورباه في جميع
احواله وكان يسير معه حيث سار وكان معه حيث
صعد الى السماء افكلما الاستفهام للتوبيخ وكلما تقتضي
التكرار جاءكم رسول والخطاب لبني اسرائيل اذ كانوا على
طبع رجل واحد من سوء الاخلاق وتكذيب الرسل وكثرة
سؤالهم والشك فيما اتوهم به واجتمع في الخطاب الاسلاف
والاخلاف الذين هم معاصرون لرسول الله صلى الله عليه

الآيد

رفع

وسلم

وسلم راضون بما نقل الخلف عن السلف وقد كذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى هو السهو وسجدوه وسند الهوى الى الانفس لا الى الضمير
للخطاب لتعاريها بقوله فتقتلون الخ قال
• استكبرتم اى تكبرتم عن قبول ما آتى به • فريقا كذبتم
والعطف بالفاء هنا فيه فعقتم التكذيب اى لم تنظروا
فيما اتى به فمنكم من كذبتم عن قبول ما اتى به واقتصروا
بالتكذيب اذ لم يجدوا على قتله • وفريقا تقتلون
والمستقبل يذكر قتله عن ذكر تكذيبه وذكر القبيح فعلهم وهم
مخذوف اى ففريقا منهم كذبتم وفريقا آخر تقتلون
وصار عا محكيا به الحالة الماضية وتصورت كأنها
ملتبس بها مشروع فيها والمناسبة وصل الاى حقا قالوا
الضمير ولا بناء اليهود الذين كانوا بحضرته صلى الله عليه وسلم
اى في زمنه • قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي لا يفقه
كاحمر وحمر او غلاف وهو لغتان واصله الثقل
كحمار وحمر قالوا ذلك لتقاعد فهمهم الله اى طردهم الله
وابعدهم فقرئ غلف بسكون اللام وضمتها • فقليلا ما
يؤمنون وان اية وانتصب قليلا على انه حال على اى
سيبونيه او نعتا لمصدر محذوف على المشهور وتقليل
ايمانهم بحسب متعلقه وقال ان يحمل على ظاهره
ويجوز ان تكون القلة هنا بمعنى العدم بتبع ان الايمان
اذ قال المعنى في هذه اللغة انهم لا يؤمنون لا قليلا
منهم ولا كثيرا وهذا لا يصح ان قليلا انتصب بالفعل
المثبت فصار تقديره فقليلا يؤمنون قليلا وللقليل
الذي يراد به النفي المحض مواضع ذكرها النحويون ويقرر
قولهم اقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول
ذلك وكقل ما تقول زيد وقليل من الرجال يقول
ذلك وقلما من النساء تقول ذلك واذا تقرر هذا
فحمل العلة هنا على النفي المحض ليس بصحيح • ولما ذم
الصنفين عابد على اليهود نزلت فيهم حين كانت غطفان
تقاتلهم وتهزمهم وكانوا يقولون من الحرب اذى كثيرا
حتى ان الاوس والخزرج حاربوهم فغلبوهم • كتاب من
عند الله هو القرآن وصفته بكونه من عند الله جيء به
اى حقيق ان يقبل ويتبع ما فيه ويعمل بمضمونه
اذ هو وارد من عند الله وفي مصحف ابي مصدقا
اى بالنصب • لما معهم اى من التوراة والانجيل ونصبه على

الحال

من كتاب تخصص بالوصف هو كانوا من قبل اي من قبل مجيء
الكتاب • يستفتحون اي يستنصرون • على الذين كفروا هم
المشركون اي بني قينقاع او بقريظة والنضير عليهم فكانوا اذا
نزلت بهم شدة قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان
فيقتلون بمعرفته ويحيى الكتاب تشهد على من
تقدم عليه الكتاب وهو القرآن صلى الله عليه وسلم وجواب
لما محذوف اي كذبوا به • فلما جاءهم ما عرفوا اي وضع لهم موضع
للمشركين • كفروا به اي بحقد وهذا اشتمل على ذمهم اذ
كفروا بما علموا كونه حقا من عند الله تعالى وجحدوا بما وبنبوة
انفسهم ظلما وعلوا وما هي كناية عن الكتاب اذ هو
المتقدم في الذكر لما كفروا بما جاءهم من عند الله ويضمن كفرهم
بالكتاب كفرهم بما جاء به لتلازمهما لان الرسل
فعادلهم الله تعالى بالاستهانة في الطرد وجعل اللعنة
صفة لازمة عليهم جعل نفسها وان في الكافرين للعموم
واندرج فيهم اليهود اقيم الظاهر مقام المضمر اشعارا
بالوصف الذي استحقوا به اللعنة وقال الزمخشري ومن
الله عند يكون ان تكون اله هنا للتجنس ويدخلون فيه دخولا
اوليا وفيه بالجنس الجموم ودلالة على كل فرد دلالة
مستوية فلا سبيل لاحد من بعض • بئسما اشتروا
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا اختلف في تركيب
اعراب بئسما احلا فاكثر والذي يختار من مذهب سيبويه
رضي الله عنه ان ما معرفة تامة كانه قال بئس الشيء
والمخصوص بالذم محذوف تقديره شيء اشتروا به انفسهم
ان يكفروا بدل من ذلك المحذوف او مذهب الكسائي
ان ما موصولة اسمية وان يكفروا هو المخصوص بالذم
وقد عزي ابن عطية هذا القول لسيبويه وهو وهم
على سيبويه رضي الله عنه واشتروا اي بمعناه باعوا
والذي انزل الله القرآن والتوراة وان تحذف وفيها النشر
بمحمد صلى الله عليه وسلم والتذييل على اسمه وصفته
• وقوله بغيا اي حسدا او انفة وظلما وانتصابه
بغيا على انه مفعول من اجله والعامل فيها قولان ان
يكفروا او ان ينزل الله اذن مع النصب تأويل المصدر
اي بغوا لانزال الله عز وجل وتخفيف ينزل وجميع
المضارع وشذ قراءة ان لا واقع الاجماع من السبعة
على تشديده وهو قوله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم
• من فضله من لابتداء الغاية على من يشاء من عباده

ما يوجد صلى الله
عليه وسلم

محمد صلى الله عليه وسلم حسدوه لما لم يكن منهم وكان من العرب
وعن ابن عباس من يعقوب كما بين اسحاق عليه السلام ٢ ولام
محتمم نعيي عليه الصلاة والسلام ولم يكن من ولد اسمعيل
عليه الصلاة والسلام نبي سوى نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم فحسدت اليهود على غيرهم • فباؤا اي رجعوا بغضب
على غضب اي مرادف فتكاثر ولذلك قرن في قوله
ان للمتقين مفازا تكون للجنس واذا قيل لهم آمنوا الزاد و
نعم من خصوصة على الصلاة والسلام من اليهود مثل
ما صدر من اسلافهم من قتل الانبياء عليهم الصلاة
والسلام اذ كانوا راضين بافعالهم • بما انزل الله اي القرآن
والكتب الالهية التي من جملتها القرآن • قالوا اي من
بما انزل علينا وهي التوراة وما جاءهم على لسان انبيائهم
عليهم الصلاة والسلام • وكفروا بما وراءه جملة مستأنفة
ان جاء عنهم بما وراءه اي بما جاء بعد كتابهم وهو
القرآن • وهو الحق حصر قالما معهم حال مؤكدة
لان كتب الله عز وجل يصدق بعضها بعضا والتصديق
لا ينفك • قل فلم تقتلون انقاد جواب شرط
مقدر دل عليه الجملة اي قل لهم ان كنتم آمنتم بما انزل
عليكم فلم تقتلون انبياء الله لان الايمان بالتوراة وان
وجد لا قتل الانبياء لاجتماعهما وجاء تقتلون ولم
كان قتل اسلافهم الانبياء قد بقي شيء منها على ان حاضري
الرسول لم حظ اي نصيب في ذلك بالرضا وفي اضافة
انبياء الى الله عز وجل تشريف عظيم لهم فان من حارب من
عند الله حقيق ان يعظم وان ينكر ان كنتم مؤمنين
شرط جوابه محذوف اي فلم تعلمتم ذلك وهي جملة مؤكدة
لحذف الشرط او لا دخل له فيما وصف الجواب به انفا
وشرط مذكور • ولقد جاءكم موسى بالبينات اي الآيات
الواضحة • ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد مجيئه
كم والبينات • وانتم ظالمون • واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
لدعواهم انهم مؤمنون بما انزل عليهم وهم كاذبون اذ
في التوراة افراد الله تعالى بالعبادة • لا عبادة العجل
وهناك اعقب عبادة العجل بذكر العفو عنهم وبعد اذ
النعم كلها وهنا اعقب ذلك بالتقريع لهم والتوبيخ
واسمعوا اي متدبرين لما سمعتم قالوا سمعنا وعصينا
وهنا اعقب ذلك بالتقريع والتوبيخ لهم واذ اخذنا ميثاقكم

ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا
وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم فهناك اعقب
عبادة العجل بذكر العفو عنهم وتعداد النعم عليهم وهنا
اعقب ذلك بالتقريع والتوبيخ والزجر لهم بقوله تعالى
واسمعوا اي متدبرين لما سمعتم اقرأ طيعوا قالوا سمعنا
وعصينا قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا اذا نظروا
العذاب قالوا سمعنا واطعنا واذا نظروا الكتاب قالوا
سمعنا وعصينا. واشربوا معطوف على قالوا او حال مقدرة
لعاملها اي وقد اشربوا والعامل في ذلك قالوا سمعنا
وعصينا فاعقب تعالى ذلك بقوله واشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم اي حب العجل والاشراب هو المخالطة بكفرهم الباء
للسبب اي الحامل لهم على عبادتهم العجل كفرهم السابق
قل بئس ما يأمركم به ايمانكم تقدم اختيار ما في اعراب
وما يتعلق بها والمخصوص بالذم محذوف اي عصيانكم
وعبادتكم العجل وايمانكم على سبيل التهكم او ايمانكم
الذي زعمتموه بقولكم نؤمن ببعض ونكفر ببعض وهو
قولهم ايضا نؤمن بما انزل علينا. ان كنتم مؤمنين قد
يخرج الشرط على جهة الامكان ومعلوم من خارج انه
ليس على جهة الامكان بل يتعين امتناعه كقوله
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك انك انت علام الغيوب ومعلوم انه لم يقله وكذلك
هذا معلوم انهم غير مؤمنين وجواب الشرط محذوف لدلالة
ما قبله اي فبئس ما يأمركم به ايمانكم وقال ابن عطية
رضي الله عنه الجواب متقدم ولا يتمشى قوله الا على مذهب
من يجيز تقدم جواب الشرط وليس هو مذهب جمهور
البصريين ولو فرضناه جوابا للزم دخول الفاء عليه لان
الفعل الجامد او الدعاء اذا وقع جوابا لزمته الفاء وقيل
ان نافية قالت اليهود ان الله عز وجل ان الله تعالى لم يخلق
الجنة الا لاسرائيل وبنيه فنزل قل ان كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة والدار الآخرة هي الجنة وذلك معهود
في اطلاقها او على حذف مضاف اي نعيم الدار الآخرة
وحظوتها ومعنى عند الله اي في حكم الله بقوله فاولئك عند
الله هم الفاسقون وقوله خالصة اي مختصة بكم لا حظ لغيركم
فيها وخير كانت لكم وخالصة حال من دون الناس متعلق
بخالصة وقال المهدوي وتبعه ابن عطية رضي الله عنه

يجوز ان

يجوز ان يكون عند الله خير كان وخالصة حال ولا
يجوز ان يكون الظرف اذ ذاك الخبر لانه لا يستقل معنى
الكلام به وحده ودون لغة تستعمل للاختصاص
وقطع الاضافة تقول هذا لي دونك اوعن دونك
اي ان حولك فيه ولا نصيب وفي غير هذا الاستعمال
فتأتي بمعنى الانتقاص في المنزلة او في المكان او المقدار
والمراد بالناس غير اليهود فتمنوا الموت الذي يقطعكم
وتسلموه بالموت ان كنتم صادقين في دعواكم خلوص الجنة
لكم وحدكم وقربكم فتمنوا الموت بكسر الواو وبالنصب
وبالضم وحذف ان الشرطية ومحذوف اي فتموتوا لان من اراد ان
ان من اهل الجنة اختار ان يتخلص من دار الاكدار وينتقل
الى دار الخير منها كما قال الله تعالى في وصف الدار الاخرة ولن يتمنوه
ابدا هذا من المعجزات لانه اخبار بالمغيب كقوله
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وفي الحديث لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض
يهودي واذا علم اليهود صدقه لجبنهم عن تمنيه فرارا من
الله تعالى ان يميتهم وابدا تقتضي استغراق اعمارهم خلافا
لمن زعم ان ذلك مختص بعهد الرسول عليه الصلاة
والسلام ثم ارتفع لو فاته صلى الله عليه وسلم او كان
ذلك في ايام كثيرة عسر وانما قدمت ايديهم اي بما قدمته
ايديهم من تكذيب الرسل وقتلهم ايامهم وعبر باليد عن
المجموع وعبر بذلك من بين محاسنهم وسيئ المقدم لكبير
اذ هي اعظم آلة عصية في التصرف والله عليم بالظالمين
اي عالم بما فعلوا فيجازيهم بما وفي ذكر هذا تهديد لهم ولتجدنهم
احرص الناس على حياة الخطاب في هذه الاية لكل من يصلح
صلى الله عليه وسلم اي لتجدنهم يا محمد احرص الناس على حياة
ووحد بمعنى علم ينقدي الى اثنين وهو فوق من وفقنا
على كلامه من المفسرين في تحديدها وتعيينها ان تكون بمعنى
لقي واصاب واحرص حال ان قلنا ان اضافته غير
محضة وقد اضيفت الى اسم معرفة فيكون الافراد
كهذا والمطابقة كقوله تعالى اكابر مجرميها ليمكروا فيها
وتعين الافراد لئلا يصح خلافا لمن قاله والضمير عائد
على اليهود والناس اما ان فيه للجنس ومن الذين اشركوا
هم المجوس او مشركو العرب لان من لا يؤمن بالبعث فليس
عنده الا نعيم الدنيا او سوء فيها وذكر حياة اي اي دنيء حياة ولو قل

ما يطلق عليه
اللفظ ٢

وقرئ على الحياة ومن يحتمل ان يكون مبتدأ خبره محذوف اى فمما قتله رجاء
للمعنى اذ معناه احرص من الناس او يكون التقدير فهما
واحرص من الذين اشركوا وحذف احرص لدلالة اللفظ
السابق عليه وما تخصيص بعد تعميم وفيه اعظم
توبيخ لليهود اذ هم اهل كتاب يرجون ثوابا ويخافون
عقابا ويحتمل ان لا يكون مبتدأ بل اخبر انه من
الذين اشركوا قوم ود احدهم وحذف المبتدأ كما حذفه
فى قوله منا ظعن ومنا اقامة وفى رواية فمنا من
ظعن ومنا من اقام وعلى القول الاول يكون قوله يود احدهم
اخبارا عن واحد منهم اى واحد منهم وما عام مخصوص بالبدل وهو
عند بعض الكوفيين مصدرية بمعنى ان التقدير
ان يعمر وعلى قول البصريين اى تكون هنا على
بابها وفى مفعول يود محذوف اى التعمير لدلالة لو تعمر
وجواب لو محذوف اى لسره ذلك ودده وقال الزمخشرى
رضى الله تعالى عنه فان قلت كيف اتصل لو تعمر بيود
احدهم قلت هو حكاية لودادتهم وقولهم فى معنى التمنى
وكان القياس لو عمر او عمر الا انه قد جرى هنا على
لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله عمرو
ليفعلن انتهى كلامه وفيه بعض ابهام وذلك ان
يود فعل قلبى وليس فعلا قوليا ولا فى معناه معنى
القول واذا كان كذلك فكيف يقول هو حكاية
حال لودادتهم الا ان ذلك لا يسوغ الا على تجوز وذلك
ان يجرى فعل يود مجرى يقول لان القول ينشأ عن الاود
المضمر فكأنه قال يقول احدهم عن ودادة من
يعتقد لو اعمر الف سنة وما هو اى احدهم
وما ان كانت حجازية ومبتدأ ان كانت تميمية
وبمزحزحه فى موضع الخبر وان يعمر فاعل بمزحزحه
اى وما احدهم بمن يزحزحه التعمير من العذاب ثم قال
وقتادة هو عماد وذلك ان العماد فى مذهب بعض الكوفيين
يجوز ان يتقدم مع الخبر على المبتدأ فاذا قلت ما زيد
هو القائم جاز والا تقول ما هو القائم زيد فيقدر
الكلام عندهم وما تعميره هو بمزحزحه ثم قدم الخبر مع
العماد فخالف ما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر اذ
تعميره لا يكون ذلك عند البصريين لان شرط الفصل
عندهم ان يكون مستوفيا واجاز ابو على الفارسى فى الحلبيات

ان يكون

ان يكون هو ضمير الشان وهذا اميل منه الى مذهب الكوفيين
وهو ان مفسر ضمير الشان هو المسمى عندهم بالمجهول يجوز
ان يكون غير جملة اذا انتظم اسنادا سويا نحو ظننته قائما
زيد وما هو بقائم زيد فهو مبتدا ضمير عندهم مجهول
وبقائم في موضع الخبر وزيد فاعل بقائم وكان المعنى
عندهم ما هو بقوم زيد ولا يجوز في مذهب البصريين
ان يفسر الا بجملة مصرحة بجزئيها سالمة من حرف
جر وقرئ بما يعملون بالياء جريا على الغيبة وبالتاء
على سبيل الالتفات ويتضمن التهديد والوعيد الشديد
وكنى بتصيير عن عليم مبالغة في ادراك الخفيات. قل
من كان عدوا لجبريل جبريل اسم ملك علم ممنوع
من الصرف للعلمية والعجمة وليس مشتقا ولا مركبا
تركيب حضرموت وقد اجمع اهل التفسير قاطبة
ان اليهود لعنهم الله تعالى قالوا ان جبريل عدونا
لكونه ياتي بالهلاك والخسف والجدب ولدفاعه عن
بخت نصر حين اردنا قتله حتى ضرب بيت المقدس
واهلكنا ولكونه يطلع محمدا على سرنا والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم ومن شرطية فانه اي جبريل نزله
اي القران وصرح الزمخشري رضي الله عنه بان الجواب
في قوله فانه نزله وهو خطا لعزو الجملة من ضمير يعود على اسم
الشرط بل الجواب محذوف لدلالة ما بعده عليه اي
فعداوته لا وجه لها او لا يبالي بها ومصدقا حال
من مفعول نزله ومناسبة دليل الجزاء للشرط هو ان من كان
عدوا لجبريل فعداوته لا وجه لها لانه هو الذي نزل
بالقران المصدق للكتب الماضية والهادي والمبشر
لمن امن ومن كان بهذه المثابة فينبغي ان يحب ويشكر
اذ كان به سبب الهداية والتنويه بما في ايديهم من
كتب الله عز وجل واتى بلفظ على التي تقتضي الاستعلاء
اذ هو عليه الصلاة والسلام تابع متابع لما يلقى اليه مطيع
بالعمل بما يقتضيه والقلب محل العقل والعلم وتلقي
الواردات وجاء قلبك بكاف الخطاب تشريفا له وتعظيما
باذن الله اي بامره وتمكينه اياه من هذه المنزلة مصدقا
لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله
عداوة العبد لله سبحانه وتعالى مجاز ومعناه مخالفة الامر
وملائكته اندرج فيهم جبريل عليه الصلاة والسلام ورسله اي من بني ادم

صلى

صلى الله عليه وسلم صح

عليه الصلاة والسلام صح

ومحمد ارسله اعني الملائكة عليهم الصلاة والسلام وجبريل
قرنه الله سبحانه وتعالى باسمه ودخل تحت عموم الملائكة اولا
ثم افرده فالذكر يحتمل تخصيص فضله وشرفه فانه نص على مكائيل
وهو الذي قالت اليهود ان جبريل مكائيل صاحب محمد لانه
لامه يأتي بالخصب والسلم اي الامن وقرنهما معا بتوهمهم
انهما ان من بعض جبريل فعد بعض مكائيل ثم في الملائكة
احمجين وقرئ جبريل بكسر الجيم وجبريل بتنهيتا بلا الف
وجبرائيل وجبرال وجبرين بالنون وجبر بن وجبرين
وقالوا تواصفنا بمحاسن رضي الله عنهم جبريل جمع
التكسير على جبارل على اللغة العالية ومسكال علم اسم ملك
من ملائكة الله عز وجل وقرئ ومكال ومكائيل
ومكايل ومكاييل ومكيل ومكئيل وجواب الشرط محذوف
اي فهو كافر لدلالة ما بعده او فان الله عدو لهم اقام الظاهر
مقام المضمر اي عدو له وفيه نص على علة الحكم اي
وعداوة الله تعالى للعبد محال تدعو الى محالاته ولقد انزلنا
اليك الثقافات مرا لك ايات بينات اي واضحة الدلالة
لا التباس فيها ولا التباس فحدم الايمان بها ليس لشبهة وما
يجحد بآياتنا الا الفاسقون اي الكافرون فك وارد هنا
للجنس او للعهد في اليهود لان سياق ما قبله وما بعده
يدل عليهم او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل
في مالك بن الصيف وقال ابن الصيف والله ما اخذ
علينا عهد في كتابنا ان نؤمن بمحمد وقد نقدت كلما يتكرر
العهد فدخل فيه العهد الذي اخذ عليهم ان محمدا ان
بعث ليؤمنن به ولتكونن معه وعهد قريظة وعهد
النضير وقرئ بفتح الواو وقد رد ابن مخيرز رضي الله عنه
اكثروا بالايمان السيئات وكلما عاهدوا عهدا الآية وتقدم
ان مذهب النحاة في هذا ونظائره وكلما وقدمت الهمزة
لان لها صدر الكلام وقرئ ان تسكن الواو وخرجه الزمخشري
على العطف على الفاسقين وقدره وما يكفر بها الا الذين
فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة انتهى وليست
هذا التركيب عن افادة هذا المعنى وخرج على ان معنى او
بمعنى بل وهو اي كما قيل والاولى عندي يخرج ذلك
على ان او بمعنى الواو قد ثبت وجود ذلك في لسان العرب
وانتصب عهدا على انه مصدر لفعل محذوف اي عاهدوه
او على انه مفعول به لتضمن عاهدوا معنى اعطوه نبذه اي طرحه

مصدر وهو

كناية عن

كناية عن نقضه كأن العهد شيء محسد ورمى به فريق منهم
الفريق الآخر والفريق اسم جمع لا واحد له يطلق على
القليل والكثير وهنا استعمل في القليل لدلالة قوله
بل أكثرهم لا يؤمنون وبل للانتقال من خبر إلى خبر آخر
والضمير في أكثرهم عائد إلى من عاد عليه ضمير عاهدوا
أو عائد على الفريق وأكثرهم لا يؤمنون مبتدأ وخبر
• ولما جاءهم أي اليهود رسول من عند الله هو محمد صلى الله
عليه وسلم وفيه التفات إذ خرج من خطاب إليك
إلى اسم الغائب ووصف بأنه من عند الله تفخيما
لشأنه إذ الرسول على قدر المرسل ووصفه بأنه مصدق
لما معهم وتصديقه كونه على الوصف الذي ذكر في التوراة
وعلى ما جاء في الكتب الإلهية • وقرئ مصدقا بالنصب
على الحال من فريق من الذين أوتوا الكتاب وهو التوراة
• كتاب الله وهو القرآن • وراء ظهورهم هو مثل يضرب
لمن أعرض عن الشيء جملة واحدة تقول العرب جعل هذا
الأمر وراء ظهره ودبر أذنه أي خلفها وكأنهم لا يعلمون
جملة حالية أي لا يعلمون أنه كتاب من عند الله أي
كتاب الله عز وجل لا يداخله شك لثبوته عندهم وإنما
نبذوه على سبيل المكابرة والعناد أو لا يعلمون بما أمروا به
من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم • واتبعوا ما تتلو الشياطين
أي تتبع أو تقرؤ وهو مضارع في معنى الماضي أي ما تلته
الشياطين والظاهر أن الشياطين هم الجن وقرئ الشياطون
بالواو بدل الياء وهي قراءة شاذة وقالت العرب بستان
فلان حوله بساتون • على ملك سليمان أي على شرعه
ونبوته وحاله كتبت الشياطين السحر واختلقته من عند
أنفسهم ونسبته إلى سليمان وآصف ابن برخيا • وما
كفر سليمان تنزيه له عليه الصلاة والسلام عن الكفر
أي ليس ما اختلقته الجن وتعاطاه سليمان لأنه كفر
وفيه نفي الشيء عمن لا يمكن الوقوع منه وفي الحديث لما ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الأنبياء سليمان في الأنبياء قال بعض
اليهود انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان
إلا ساحرا • ولكن الشياطين كفروا وفي قراءة بالجر بلا
تشديد وقرئ ولكن بتشديد النون أيضا ونصب
الشياطين وبالتخفيف والرفع ووقعت لكن بين نفي وإثبات
وهي بسيطة وجهة الاستدراك أنه لما نفى الكفر عن سليمان

صح
عليه الصلاة
والسلام
٧

وكان الشياطين قد سحروا لسليمان عليه الصلاة والسلام بحيث
يستعلمهم فيما يشاء فعدسيوم انهم لا يكفرون اذ هم في خدمة
نبي وملكه انهم كفروا فعلموا الناس السحر اذ الشياطين
يعلمون الناس وهو الظاهر والاقرب ان اليهود والاحابر
عليهم ضهروا ستعوا وهي بستيناف اخبار واختلفوا في حقيقة
السحر وفيه اقوال كثيرة متعددة ونقوع القرآن والحديث
انه تخييل ولا شك في وجوده في زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم وات في زماننا الآن فكل ما وقفنا عليه
من كتبهم فهو سحر وافتراء لا يترتب عليه شيء ولا يقبح
منه شيء البتة وما انزل على الملكين وما معطوف
على السحر فعل فعلى ما تقدم وعلى ملكي سليمان وهما
ضعيفان للفضل بينهما بملابسة جملة والذي قال ان
ما نافية بناء على قوله وما يعلمان وقرئ الملكين بفتح
اللام وكسرها وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما ملكين ساحرين
كانا ببابل لان الناس لما لم يطيقوا السحر وعلى
فتح اللام اطلاق الملكين عليهما مجاز وحقيقة المجاز انهما
يعلمان ما قذف في قلوبهما وعتد عنه بالانزال فكانهما
ملكان ببابل قيل ان الناس ما لبثوا بعد هاروت وماروت
ان مسعود رضي الله عنه وبابل بني من سواد العراق وقيل
بالكوفة • هاروت وماروت عطف بيان او بدل
وهما اسمان اعجميان وقول من قال هما مشتقان من
الهرت والمرت وهو الخطاء الشديد • وما يعلمان من
احد قرئ بتشديد اللام وتخفيفها واحد هنا الاستغراق
في النفي لا المعنى واحد • حتى يقولا غاية لقوله انما
نحن فتنة فلا تكفر قال الامام علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ما كان يعلمان تعليم انذار لا تعليم دعاء اليه كانهما
يقولان له لا تفعل كذا وكذا فتكون منه كذا وكذا فيتعلمون
اي فهم يتعلمون او هو معطوف على يعلمان المنفية كلها
متوجه الى المعنى مسهما اي يعني هاروت وماروت • ما يفرقون
به بين المرء وزوجه اي تفريق الالفة والمحبة بحيث
يقع بينهما العداوة والبغضاء فيفترقان او تفريق الدين
بحيث اذا تعلم فقد كفر وقرئ المرء مثلث الميم وبالهمز
والمرء بكسر الراء وتشديدها من غير همز فيهما • وما هم
بضارين به اي بما يتعلمون • من احد وقرئ ضاري
باسقاط التنوين وخرج على حذف التنوين من اسم الفاعل

وان لم يكن

٤٨

وان لم يكن فيه ان ولم نظير في نثر الحرف ونظمها وقيل
حذفت لانه حل الاضافة الى احد وفصل بقوله به بين
المتضايفين بقوله هما اخوا في الحرب من لا اخا له وهذا
اختيار الزمخشري رضي الله عنه ثم استشكل ذلك لان اخوا
مجرور بمن وكيف يمكن ان يعتقد فيه انه مجرور بها
بالاضافة فقال وان قلت يضاف الى احد ونحو
مجرور بمن قلت جعل الجار جزأ من المجرور استهجنوه هذا
التخريج لئن هو جيد لان الفصل بين المتضايفين
بالظرف والجار والمجرور من ضرائر الشعر وانما حسن ذلك
ان لا يكون ثم مضاف اليه لانه مشغول بعامل آخر
فهو المؤثر فيه لا الاضافة واما جعل حرف الجر جزأ
من المجرور لانه مؤثر فيه وجزء الشيء لا يؤثر في الشيء
ومن ثم منع احد زيدا قدرة وقياسها ان تزاد في المفعول
الممنوك للفعل الذي يباشره حرف النفي نحو ما ضربت
الا زيدا وقولهم في معنى كلام الزمخشري نحو ما ضربت من
احد وهنا حملت الجملة من غير الفعل والفاعل على
الجملة منهما لان المعنى وما يصح ومن ثم اجاز الاباذي الله
وهو ملتاث معترض من الاحوال فمن حال من فاعل يضارين
ويتعلمون ما يضرهم لم يقتصر على ضرر من يتعلم لذلك
بل يجعل الضرر لمن يتعرف بهما ولا ينفعهم معطوف
على جملة حالية والضمير في علموا عائد على من عاد عليه
الضمير في يتعلمون وعلموا معلقة وان كانت متعدية لواحد كانت
الجملة في موضع المفعول الثاني كانت في موضعهما ويظهر الفرق
في العطف واللام في ولقد حواب قسم محذوف ومن موصولة
واللام فيها معلقة وتعذر ان يكون من شرطا ولمن
جواب قسم مضى عن فعل الشرط لفظا ومعنى والضمير المضمر
في لشتراه عائد على البعض وما له في الاخرة من خلاق
الجملة خبر من ان كانت موصولة وجواب القسم ان كانت
شرطا واخلاق النفس ٠ ولبئس ما شروا تقدم الكلام
في قوله تعالى بئس ما اشتروا به انفسهم اي بئس
شيء فعلوه يعني السحر وانهم استوا في وضع مبتدا وعلى حد هب
المثل رضي الله عنه في وضع الفاعل بفعل محذوف اي
ولبئت ايمانهم ولو شاء ما كان سيتم لوقوع غيره ايضا
وتخصيص الزمخشري رضي الله عنه فيها المتنبي بعيد جدا
وجواب لو محذوف تقديره لا ثبتوا واحذف جواب لو لدلالة

لتهافتهم

كثير واللام في لمشورة هي لام قسم محذوف تقديره لايشيرون والله
اللام في لمشورة هي الداخلة في جواب لو والجواب هو الجملة الاسمية
وهو حينئذ الى محترى رضي الله عنه ولم يعهد في كلام العرب
مجيء جواب لو جملة اسمية الا هذا المختلف فيكتنجه
ولا تثبت القواعد الكلية بمثل هذا المحتمل الخارج عن تلك
النظائر والمشورة هي الثواب وترك لمشورة قبيح الا
كشوون والتصحيح شاذ وكان القياس لمتانة والهاء
الذين امنوا هذا اول خطاب خوطب به المؤمنون وهذه
السورة هذه الآية الداعي على الاقبال عليهم لاتفاق وآراءنا
دعي لنا وسنا دعي الى ان فتهوا ان يبطنوا لكفط يقتضي
للشاركة مع من يحتقرهم وتضمن هذا النهي النهي ايضا
عن كل ما يكون فيه تشاؤم مع النبي صلى الله عليه وسلم
ولهيا ان ممن ان اليهود لعنهم الله تعالى كانوا يحاطبون النبي
صلى الله عليه وسلم بلفظ يقصدون به القبح منه
صلى الله عليه وسلم فقال الامام محمد بن جرير الطبري
رضي الله عنه هي كلمة كرهها الله سبحانه وتعالى ان يخاطب
به نبيه صلى الله عليه وسلم وقد يجيء راعنا بالتنوين
اي لاتقولوا قولا راعنا وحرج على ذلك انه نعت لمصدر
محذوف اي قولا راعنا اي مستعفا بالرعن وهو
الغلظة والاستهتة والحماقة وقولوا انظرنا قراءة الجمهور
قراءة الجمهور موصول الهمزة مضموم الظاء والاصل في
نظر النظرة ان تقدر بادي ثم توسع فيه فتعدى بنفسه
كقوله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة انظرونا نقتبس
من نوركم قال الشاعر

ظاهرات الحال والحسن ينظرن كما ينظر الاراك الظباء

اي الى الاراك فيكون انظرونا من نظر العين الذي يدرك
الشيء في حال المنظور اليه وقرئ انظرونا بقطع
الهمزة وكسر الظاء اي اخرنا وامهلنا حتى نتلقى عنك
واسمعوا اي سماع قبول وطاعة لما تفهم عنه وتأمرهم
به وللكافرين عذاب اليم عام لليهود وغيرهم
اذ الكفار كلهم مشتركون وقد روي ان المسلمين قالوا
لحلفائهم من اليهود امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
وددنا لو كان خيرا مما نحن عليه فنتبعه فاكذبهم الله عز
وجل بقوله ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولم اليهود والنصارى

نظر
انظرنا

الذين

الذين كفروا على الصلاة والسلام. ولا المشركون المشركين
اى مشركو العرب وغيرهم ومن هنا للتبعيض وهو الظاهر
او بيان من بيان الحسى قال ذلك هنا وهو قول الزمخشرى
رضى الله عنه والكتاب معطوف على اهل الكتاب وكونه
معطوفا على الموجب كلام يعبر عنه وادخلت لاالتوكيد ومن
فى من خير اما للتعدية على اسلوب الحسن وحسن زيادتها
ان كان ينزل لم يمس حرف النفى لانسحاب النفى عليه
من حيث المعنى لانه اذا نفيت الودادة للانزال كان كارهة
لتعلقها وهو الانزال ومن فى من ربكم هى التى تكون هنا
لابتداء الغاية فتتعلق بخير او للتبعيض فتتعلق هنا
بمحذوف اى من خير كائن من ربكم ومحل ان كان لا يخلو
فيمن فاعله او مفعوله والمفعول وهى بمعنى يعطيه
الله عز وجل والرحمة النبوة والقرآن وهو الخير الذى
لا يكون الكفار ودادا بمعنى صاحب قلبه والوصف منه
اشرف من الوصف بصاحب والفضل عام فى جميع انواع
الافضلات ولما قدم لهم ذلك الخير وكان من المنزل
ما يشق وحولت القبلة الى الكعبة طعن فى ذلك اليهود
وقالوا ما امر اصحابه اليوم بامر وينهاهم عنه غدا
فنزلت تلك الاية ما ننسخ من آية وما نسخة شرطية
مفعول ننسخ وقرئ ننسخ من نسخ وننسخ من انسخ وقال
الفارسى رضى الله عنه الهمزة هنا للوجود كاحمدت
الرجل ابرته وجدته محمودا قال وليس يحفظ سمع
الا بادن تسمعه فتتفق القراآت وعن الزمخشرى رضى
الله عنه وكذا قال ابن عطية رحمه الله تعالى ان الهمزة
هنا للتعدية قال الزمخشرى رضى الله عنه واسناحها
الامر تستحها بادن امر جبريل عليه الصلاة والسلام
ان يجعلها مسوخة وقال ابن عطية رضى الله عنه معناه
ما ننسك من انه اذ ما ننسخ من صحة نسخه
جعل الاماتة هنا اذ ساغ لانسخها اى تركها ومن فى
من آية للتبعيض وآية مفرد وقع موقع الجمع اى من الآيات
وليس تمييزا ولا من زائدة فتكون انتفاها لا ارى ارى و
شيئى نسخ قليلا او كثيرا ولا مفعولا به وشرط
حذفه براى اذ تنسخ آية وقرئ او تنسها مضارع
انسى من النسيان اى او تنسك من انسيه وقرئ ننساها
وفتح النسخ بالرفع لفظا وحكما او حكما دون اللفظ وقراءة الجمهور

فائدة مرجوح الشرط بخير منها الظاهر ان خبر هنا من افعل
التفضيل المقدم والخيرية ظاهرة لان المأتي به ان كان
اخف من المسوخ او المسوخ فخيريته بالنسبة الى سقوط
اعباء التكليف وان كان اثقل فخيريته بالنسبة الى
زيادة الثواب او مثلها اي مساوٍ لها في الثواب
والثواب المعلوم استهمارهم بقرينة ان قد علمت الفتيان
السامع وجعله استهزاء مخصصا ومعادلة امر علمتم او امر
تريدون فهذا قول من لم يعرف بصاحة ولا امر العرب
وبلاغته وصفه تعالى بالقدرة اي فلا يعجز شيء
فلا ينكر النسخ لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويريد
لا شرع ان لم يعلم ان الله استهزاء بالمؤمنين ذكر سبحانه وتعالى
صفة القدرة ذكر صفة الملك والملك ولما ذكر بعد ذين
الصفتين اعلم سبحانه وتعالى انه لا يحجم شيء مما يريده
ولا عائق له ولا ممانع له فيما يريد افترضوا ايها النبي
صلى الله عليه وسلم انواعا من الاقتراحات كفعل الصفا
ذهبا وتوسيع ارض مكة وغير ذلك وامر منقطعة قد
تعذر هنا بيانه والهمزة وما في استفهام على معنى الانكار
وان ذلك في صورة الانكار بصيغة المستقبل وان
كان قد وقع ذلك منهم استعظاما لوقوعه واراد نبيكم
سئل موسى من قبل من نحو قولهم اجعل لنا الها كما لهم
آلهة ولن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة وما مصدرية
اي كما قد يسئل بادخال من الضمير وبالاستفهام وتسهيل
الهمزة بين بين وضمها والتاء وبالياء ومن قبل تاكيد
لان سؤال اليهود موسى عليه الصلاة والسلام متقدم ومن
يتبدل الكفر بالايمان هذه كناية عن الاعراض عن الايمان
والاقبال على الكفر اذ لم يكن لهم ايمان سابق بتبدل لونه
الكفر فقد ضل سواء السبيل اي وسطه واعتداله
وايراد ذلك في صورة الشرط وجوابه لم يقع لتقرير الهمزة
وتبعيد ما عن ذلك وكثير من اهل الكتاب هم اليهود
والكتاب هو التوراة وتقدم الكلام في لو عند قوله لو
يعمر الف سنة ومن جعل للو جوابا قدره لسروا بذلك
ولم حوابه وقوله من قدره لوقوا ذلك مما قص لقوله
ودوا لو بمعنى تمنوا وحسدا مفعول من اجله واستناده
الى انه مصدر لفعله المحذوف او مصدر في موضع الحال ليس
بجيد من عند انفسهم اي كائنا من عند انفسهم الخبيثة

لو واحدهم

المحنة الامارة بالسوء من بعد ما تبين لهم الحق اى كبر عليهم عناد
والحق وضوح رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته
فاعمو واصمهم هذه مواعيد حتى يأتي الله بامره من فتنا لهم
وتمكينه منهم ونصره عليهم ثم انس المؤمنين بذكر قدرته
على كل شئ ومما طلبهم واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهما
قوام الدين ان الله على كل شئ قدير واقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله بشر ج
في عموم هذا الخير الصلاة والزكاة تجدوه اى تجدوا ثوابه
عند الله وكني بقوله بصير عن علمه بحيث انه لا يجد فيه
عليه شئ ولا يغيب عن ادراك علمه وبصره شئ هو بصير
من نظر اذا فعل من افعاله اختصم هؤلاء المدنية
ونصارى نجران وتناظروا بين يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولغوا في الصفة فقالوا لا ان القول
صدر من الجميع ثم جيء به بارق الى مي للتفصيل
فصار هودا لمن قال كونوا هودا او نصارى لمن قال
كونوا نصارى وهذه كقوله كونوا هودا او نصارى
تهتدوا ومعلوم ان اليهودي لا يامر باليهودية
والنصراني لا يامر بالنصرانية وانما جمع هاء كتابه
وعود وهو جمع لا قياس في فاعل وجمع الضمير في
من كان عن لفظة من فافرد وحمل الخبر على معنى
معنى من تقدم وفي هذا تنبيه للسامع ان يلتفط من كان
مسلما ومنافقا وفيه رد على من زعم انه لا يكون بين هذا
الجنس في مثل هذه الصورة وان في النفي ابلغ من لا
تلك امانيهم جملة معترضة بين قولهم وبين طلب
الدليل على صحة دعواهم اي تلك المقالة امانيهم
فان حمل على ظاهره فذلك من الامانى التي لا تتمشى
ولا تستحق وقوعها ولا امانيهم الكاذبة ويشار بها الى الواحدة المذكورة والى الكثير غير المذكور
والمعنى فجملة الامانى المذكورة وهي اشتهم ان لا يدخل
اشير بها الى الامانى المذكورة وهي اشتهم ان لا يزال
على المؤمنين خير من ربهم واشتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم
اي هذه تلك الامانى الباطلة تلك امانيهم فان حمل
على ظاهره فذلك من الامانى التي لا تتمشى ولا تستحق وقوعها
ولا الفاظ امانيهم الكاذبة وما ذكرت انه بعضهم في الوجه
الاول ليس بظاهر لان كل جملة ذكرت فيها وهم تلوك

• والبرهان مشتق من البرء وهو القطع او من البرهنة وهي
البيان • ان كنتم صادقين في دعواكم فهاتوا البرهان • بلا
رد لقولهم لن يدخل الجنة والمعنى يدخلها غيركم ممن اتصف
بالوصف الذي يأتي بعد والظاهر ان من مبتداة موصولة
او شرطية وجوز ان يكون فاعلا بمضمر اي يدخلها من اسلم
وعبر بالوجه عن جملة باقي الاعضاء اذ هو اشرف اعضاء
الآدمي وفيه الحواس • والاسلام هو الانقياد الى الله عز
وجل فيما كلف • وهو محسن اي بالعمل ومراقب من يعمل
له • ولا خوف عليهم حمل على معنى من بعد تقدم الحمل
على اللفظ • واليهود ملة معروفة • وهو جمع يهودي كالروم
ورومي يعرف الجميع بال • ويهود اسم علم للقبيلة يمتنع
من الصرف للعلمية • والتانيث والياء اصل يقال يهدة
وليس من مادة هود يقال في هذا هودة وجاز ان
يكون المعنى بهم هم اليهود والنصارى الذين تخاصموا
بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاز ان يكون
ال هنا للجنس اذ كل منهم يعتقد في مقابلة ذلك
الا ترى ان اليهود قد انكرت نبوة عيسى عليه الصلاة و
والسلام وانكروا كتابه يعني الانجيل الذي انزل عليه من عند الله عز
وجل وقالوا في عيسى ما قالوا • وانكرت النصارى ما عليه
اليهود وعلى شيء مبالغة في عدم الاعتداد بما هم عليه وهم
يتلون الكتاب جملة حالية تزري عليهم ما هم
فيه اذ هو ناطق بخلاف ما يقولونه شاهدة توراتهم
ببشارة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وانجيلهم
بنبوة موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام • والكتاب
هنا المراد به التوراة والانجيل كذلك قال الذين لا يعلمون
وهم مشركوا العرب قالوا مثل قول اليهود والنصارى
قالوا لكل ذي دين انهم ليسوا على شيء ومثل قولهم توضيح
وتوكيد لمدلول كذلك لان معناه مثل ذلك القول
قال الذين لا يعلمون فالله يحكم اي يفصل بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين وانكار البعث وعدم
الايمان بالانبياء وبما انزل عليهم من الكتب المنزلة من السماء
ومن اظلم ممن منع مساجد الله الآية لما جرى ذكر اليهود
والنصارى وان مشركي العرب يقولون مثل مقالتهم
وكانوا ساعين في خراب المواضع التي اعدت لذكر الله عز
وجل انزل الله تعالى هذه الآية فقال تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم منهم و

قد انقطعت وحملت واستقلت في النزول فبعدا او بعدا لها
من بعد اذ بين لهم الحق اي كان كفرهم ذلك عنادا والحق
وضوح رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغفرته وقوله
فاعفوا واصفحوا هذه موادعة حتى يأتي الله بامره اي بتمامهم
وتمكينه منهم ونصره عليهم ثم امس الموسين بذكر قدرته على كل
شيء وبمخاطبتهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة انه الله على كل شيء
قدير واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه اي تجدوا ثوابه عند الله ان الله بما تعملون بصير وكنى
بقوله بصير عن علمه اي عن قوله عليم بحيث انه لا يخفى عليه
شيء وبغير من بصرا وغير من انظر احتصم يهود المدينة
ونصارى نجران وتناظروا بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحكى الله عنهم ما قالوا ثم حجبهم وابطله الى قوله للتفضل فعاد
هود الذين قالوا كونوا هودا ونصارى لمن قال كونوا نصارى
وهذه كقوله كونوا هودا او نصارى تهتدوا معناه ان اليهود
لا تأمر بالنصرانية ولا النصارى تأمر باليهودية وهود جمع هائد
كعائذ وعوذ وبوء جمع لا قياس في فاعل ذلك اماني امانيهم اي
اكاذيبهم وتلك قد تشارها الى الواحدة المرة والى الجمع غيرة
المسلم من الملل والمواعيد فجملة ان محمدا رضي الله عنه عطف على
الجمع قال الزجاج الا اماني المذكورة وهي امنيتهم ان الدار الآخرة
عند الله خير من دنياكم واحسنتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم
اي تلك الاماني الباطلة امانيهم اي التي تمنوها وما قاله
ذهب اليه في الوجه الاول ليس بظاهر لان كل جملة ذكرت فيها
دعواهم شيء قد انقطعت وحملت واستقلت في النزول فبعدا
فبعدا ان يثار الرها وما ذهب اليه في الوجه الثاني ففيه مجاز
الحذف وفيه قلب اي صح اذا الاصل ان يكون تلك مبتدأ
وامانيهم خبرا فقلب لوالى صح اذا قال امانيهم في البطلان
مثل امنيتهم هذه وفيه ايضا وجه آخر وهو ان يكون الخبر محذوفا
اي ولهم امانيهم الكاذبة فلا يحوج الى تقديمه مثل زيد ضربته
شكرا نصب على ذلك النحو ولان تقدم ما هو صلة في
ان نحو انه كان من عكر استنبه ومن مآب المبالغة او
جعل الفرع اصلا والاصل فرعا كقولك الاسد زيد شجاعة
قد هاتوا برهانكم اذا ادعى شيء طولب المدعي بالدليل
على صدق دعواه وهات فعل متصرف يقال في معنى
ذلك هاتي يهاتي فيهما تاءة وقد يتصل بها الضمير ايضا يقال
هاتي وهاتيا وهاتوا وهاتين وقد يتصرف ذلك الى جهات كثيرة

والبرهان

اي ممن منع مساجد الله الاية لما جرى ذكر اليهود والنصارى
وان مشركي العرب تقول مثل مقالتهم وكانوا ساعين
في خراب المواضع التي اعدت لذكر الله عز وجل انزل ومن اظلم
وكان قد تقدم لبعض ملوك الروم خراب بيت المقدس
وبقي خرابا الى زمن سيدنا ومولانا الامام الاعظم سيدنا عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكان المشركون ايضا قد
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وكثر
في القران مجيء ومن اظلم قيل والمعنى لا احد اظلم
فهو استفهام معناه النفي فكان خبرا وهو نفي الاظلمية
ونفي الاظلمية لا يستدعي نفس نفي الظالمية واذا لم يدل
على نفي الظالمية لم يكن في تكرير ومن اظلم تناقض لان فيها
اثبات التسوية في الاظلمية واذا ثبتت التسوية فيها
لم يكن احد ممن وصف بذلك يزيد على الاخر فصار
المعنى لا احد اظلم ممن منع وممن افترى وممن ذكر
ولا يدل على ان احد هؤلاء اظلم من الاخر كما انك اذا
قلت لا احد افقه من زيد وعمرو وبكر لا يدل على ان احدهم
افقه من الاخر بل نفي ان يكون احد افقه منهم وقد
ولا يقال ان من منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى
في خرابها اي في تخريبها ولم يفتر على الله الكذب اقل
ظلما ممن جمع بينهما فلا يكون مساويا في الاظلمية لان
هذه الايات كلها في الكفار فهم متساوون في الاظلمية
وان اختلفت طرق الاظلمية فكلها صائرة الى الكفر
وهو شيء واحد فلا يمكن فيه الزيادة لافراد من اتصف به
وانما يمكن الزيادة في الظلم بالنسبة لهم ولعصاة المؤمنين
بجامع ما اشتركا فيه من المخالفة فنقول الكافر اظلم من
العاصي ونقول لا احد اظلم من الكافر ومن في ممن منع
موصولة ان يذكر مفعول ثان لمنع او على اسقاط حرف
الجر او بدل من بدل الاشتمال او من المفعول له على حذف
مضاف اي دخول مساجد الله وكنى بذكر اسمه سبحانه وتعالى
عن حصول ما يوقع فيها من الصلوات وغيرها من الاذكار وغير ذلك
وسعى في خرابها اما حقيقة كتخريب بيت المقدس او مجازا
بانقطاع الذكر فيها ومنع قاصديها اذ تؤول بذلك الى الخراب
اولئك ما كان لهم اي ما ينبغي لهم ان يدخلوها الا خائفين
اي وجلين من عقابه سبحانه وتعالى فكيف لهم ان يمنعوا من ذكر
اسم الله سبحانه وتعالى فيها ويسعوا في خرابها اذ هي بيوت اذن الله

ان ترفع

ان ترفع وتذكر فيها اسمه ٠ اولئك حمل على معنى من ومن
اذا كانت موصولة او استفهاما او شرطا يجوز مراعاة المعنى
فيها اما اذا كانت موصوفة كما اجازه او الاستفهام فلا
في كل منع وفي مرت من حيث لم تخلص الى محفوظ الله
من كلام العرب مرتهاة للمغنى فيها ٠ لم في الدنيا خرب وبقي
الهران والاذلال وهو مشاهد لاطلال المساجد ومنع
ذكر الله تعالى فيها وتخريبها ٠ ولهم في الآخرة عذاب عظيم
وهو مناسب ايضا لتخريب المساجد لتخريبها كلها
وصورهم بالحجارة حتى ان الله عز وجل كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها للعذاب وقولوا العذاب
٠ فانما قولي لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ٠ اراد الله
حتى توجهوا فنسخ ذلك ويظهر انتظامها بما قبلها
انه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله عز وجل والسعي
في تخريبها اي خرابها وخلوها من الذاكرين او منعهم من
دخولها بينه على ان ذلك لا يمنع من اداء الصلوات
ولا من ذكر الله سبحانه وتعالى او المشرق والمغرب له
فاين جهة اديتم فيها العبادة فهي لله سبحانه وتعالى وانه
يثيب على ذلك ولا يختص مكان بالمساجد
ومعنى تولوا اي تستقبلوا وجوهكم ٠ فثم وجه الله
اي جلاله وعظمته وكرمه وتسمية ان يحمل على ثم
المضي او على الذات ٠ ان الله واسع قادر وسع المغفرة
وسع القدرة علمه من يستحق المغفرة والعقوبة وغيرهما
٠ وقالوا اتخذ الله ولدا قالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت المشركون ان الملائكة بنات
الله والصنمية قالوا اسامة للجنس ومعنى ذكر اتخاذ الولد في
العمران ولا يأتي الا مستعدا لواحد ولما كان اتخاذ الولد
في غاية الاستحالة قال سبحانه اي تنزه عما نسبه
اليه الكفار والمشركون ثم تتبع ان جميع ما في السموات
وما في الارض ملك له والولادة منافية الملكية وان الجميع
قانتون له مطيعون خاضعون وما شامل لمن يعقل
ومن لا يعقل وجمع بالواو والنون اي حقيقة فيما يعقل
واندرج فيه ما لا يعقل على حكم تغليب من يعقل وفي ذكر الملك
الى يلفظ ما وحين ذكر القنوت الذي يلفظ جمع من يعقل
وفتح الزمخشري رضي الله عنه الى ان ما وقعت على من يعلم
قال كخفيرا لهم وبضعي اشاتهم ٠ وقانتون خبر كل مراعي

معنى كل لانه حذف ما اضاف اليه كل والجمل على المعنى
اذ ذاك اوضح واكبر وذلك قد يكون لمراعاة التناسب
بديع السموات والارض لما ذكر الظروف ذكر هذين الظرفين
خصهما بالبداءة لانهما اعظم ما يشاهد من المخلوقات
والاضافة من باب الصفة المشبهة اصله بدع سمواته
الاضافة من رفع وهو قول قد قيل فيما بدا لك ونقل
بعض المفسرين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ان بديع بمعنى
مبدع وليس كذلك عطف رضي الله عنه في هذه الاية على هذا
الوجه وفرك بديع بالرفع والنصب اية وبالجر اية كما قاله
ابن عطية رضي الله عنه وقراءة الجر فتكون بدل من صفته
وقد ذكرنا ذلك على الاختراع ذكر سرعة تكوين ما يريد تكوينه
سبحانه اذا قضى امرا اي اراد انشاءه وايجاده وتعلق
يقول لكن فيكون اي فهو مكون وبالنصب على جواب
الاخر شبه الامر المجازي بالامر الحقيقي اذ الامر الحقيقي
شطر منه شرط وجزاء فلا بد من انتفائهما اذا لا يصح تقدير
ان يكن فيكون الا على قراءة النصب ومن قال ان قراءة
النصب لحن فهو مخطئ والقراءة بالنصب مذكورة في
السبع فهي من المتواتر وقال الذين لا يعلمون
هم كفار العرب وجماعة من اليهود فتشابهوا قلوبهم لا
الله اي هلا لا يكلمنا كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام او تاتينا
اية اذ مقترحة لهم كذلك قال الذين من قبلهم اي مثل
مثل قولهم اي قولهم ارنا الله جهرة تشابهت قلوبهم في
التعنت وكثرة التعنت وسوالهم ما لا يليق به سبحانه
وتعالى وكثرة الاقتراح للايات وقرئ تشابهت بتشديد
الشين وتحريكها بالكسر قد بينا الايات اي اوضحناها
فاقتراح اية مع تقدم الايات تعنت لقوم يوقنون اي
لمن ليس في شك وارتياب ولا يغافل ولا جهل انا ارسلناك
يا محمد بالحق بشيرا لمن امن ونذيرا لمن كفر وفي ذلك تسلية له
صلى الله عليه وسلم وتطييب لقلبه الشريف وبالحق اي ان
محتويا بالحق لا ينفك عنه وهما متنافيان البتة وبشيرا من
يبشر بخير ونذيرا من انذر وبحسنه العطف فيما
لا يقاس على ما يقاس ولا تسال عن اصحاب الجحيم
اي عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا او لن لا ان هذا الاسلوب
الا ابيك وقرئ ولا تسال خبرا محضا سقيا منتفعا

صلى عليه الصلاة والسلام بدلك ويبعد فيه الحال ٥٣
ولك ان اليهود والنصارى طلبوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم الهدنة واوعدوه اي في رواية واعدوه ان
يتبعوه بعد مدة خداعا منهم وتنجيزه من وقت الى وقت
وان طلعه الله تعالى على سرهم وما يضمرونه ويكتمونه من
شانه عليه الصلاة والسلام فنزلت ولن ترضى عنك
رضاهم بغايته ستحيل صدورها اي حصولها منه عليه
الصلاة والسلام والمعلق على المستحيل يستحيل اي في زعمهم
ذلك ولن يرضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان
هدى الله هو الهدى اي الذي هو دينه فاياك ايها عز وجل وموكدا
هو ومخصورا اياك ثم ذكر ان ما هم عليه اهواء وضلالات
والام في لين تسمى الموطئة والموادنة تنقسم مقدرة
قبلها وذلك يدل عليه جواب القسم وجمع الاهواء لانها
على كثرة الاختلاف واضيفت اليهم لانها بدعتهم بعد الذي
جاءك من العلم اي الدين والشرع الذين اتى بهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعله علما لانه معلوم بالبراهين
القطعية ما لك جواب القسم المحذوف لقد قبل لام
الموطئة اي لئن لديك من الله من ولي ولا نصير الذين اتيناهم
الكتاب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت هذه الآية
في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا
اثنين وثلاثين رجلا وعلى هذا السبب والكتاب
هنا معناه اي التوراة والانجيل يتلونه حق تلاوته من
حسن التلفظ به وتتبع معانيه ويتلوونه حال والجملة
بعد ذلك وحق مصدر لاضافته الى المصدر
والضمير في به عائد على الكتاب ومن يكفر به اي بالكتاب
جملة اولا او لا على لفظ من وثانيا او لمعنى
ودل الحكم بالحصر ان على الكافر على حصول الربح والقدر
للمومنين يا بني اسرائيل كرر ندائهم قد ذكر انعمه عليهم
وكان النداء الاول عقيب ذكر الموعد والوعيد وهذا الثاني عقيب ذكر الموعظ
والوعيد والكافرين
وتخللت اي دخلت بين هذين النداءين اخبار بني
اسرائيل كثيرة تستدعي مخالفتهم ونعتهم فتوقفوا
ووعظوا وتقدم الكلام على هذه الآية والفرق بين
التعيين في قوله ولا تتولوا ولا تنفعها ومقابلها واذ ابتلى
ابراهيم ربه وكلمات فاتمهن لما كانوا من نسل ابراهيم عليه الصلاة

الى قوله ولا هم ينصرون

والسلام

وعيرت اليهود المؤمنين بنوحهم الى ان كمنته ذكر ما ابتلا
به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وبسط ذلك الى ذكر البيت
وبنائه على يد ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام
والالتجاء هنا الاختيار وابراهيم اسم اعجمي وبعاد
ابو اليها مر وقد يجيء بها كذلك بالالف تدل على بادوا مر اظهره
والبراهزة وابرهم واحد الحادي والثلاثون لنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وهو خليل الله ابن فارخ بن فالخ ابن عابر وهو هود عليه
الصلاة والسلام وقرأ الجمهور ببعض ابراهيم ورفع ربه
ومعنى بكلمات ان كلفه بأوامر ونواهٍ وهذا التركيب يوجب
تقديم المفعول على الناصب عند الجمهور وقد يسمح فيه
غلامه زيدًا او ما هو معتبر عند بعض النحويين وحق
قراءة الرفع في ابراهيم والنصب فيما بعده فكنى عن الدعاء بالاطاية
وهي اي يطلب منه في تلك الكلمات التي دعاها الاجابة
وللمفسرين في تعيين الكلمات اقوال كثيرة مضطربة
فالممكن ان كان الضمير عائدًا الى الله سبحانه وتعالى فالمعنى
اكملهن الله عز وجل لك من غير تقصير او على ابراهيم عليه الصلاة
والسلام فالمعنى قام بهن وباعبائهن من غير تقصير قال
الضحاك والعامل في اذ ابتلى لا يحذوف او ليس هو
باستئناف والعامل في اذ وجاعل هنا بمعنى صير
فتتعدى الى اثنين وللناس اما متعلقة بجاعلك
اي لاجل الناس واما في موضع الحال لانه لو تأخر لكان
تقدم اي اما كائنا للناس وامامًا اي صاحب
شرع تقتدي بك فيه قال ومن ذريتي قال الزمخشري
رضي الله عنه مني اي هذه الجملة عطف على الكاف كما مر قال
وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سائر مكث تنتوفل وذيالا
انتهى كلامه ولا يصح العطف على الكاف ولو صرح بها لمعطوف
لانها ضمير مجرور فالعطف عليها لا يكون الا بإعادة
ولم يجد وكلا ان من لا يمكن تقدير العامل مضافا اليها
لانها حرف فتقدير بها بأسماء قد تبعض حتى يصير
ط علا مضافا اليها لا يصح والذي يقتضيه المعنى وسياق
الكلام ان يكون المقدر قال وجاعل من ذريتي اماما لان
منهم من قوله جاعلك للناس اماما لا محالة فسأل الله
سبحانه وتعالى ان يجعل من ذريته اماما وقرئ بضم
الذال وكسرها ويعتمها فالذرية النسل وفي وزنها وما
اشتقت منه اختلاف والظاهر ان وزنها فعلية مشتقة من

وفيا

الذرق اى قال سبحانه وتعالى لابراهيم اني قال الله عز
وجل لا ينال عهدي الظالمين قال بعضهم في هذه
اقوال كثيرة اظهرها الامامة لانه المقصود من هذه
والمطلوب من ابراهيم لذريته وهذا الجواب مبني على
السؤال لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام طلب من الله عز
وجل ان يجعل من ذريته اماما فاجابه انه لا ينال عهدي
الظالم وذلك مفهوم الصفة انه ينال له من ليس بظالم
وذلك الجواب على الاقسام ذرية لي ظالم والي غير ظالم وفيه
دليل على ان الفاسق لا يصلح لان يكون اماما • واذ جعلنا البيت
الظاهر انه الكعبة شرفها الله تعالى وقيل جميع الحرم
• مثابة اى مرجعا يثوبون اى يرجعون اليه في اوقات
مثابة قال الاخفش رضي الله عنه قد تكون الهاء هنا
للمبالغة كثرة من يثوب اليه الى ان ظاهر العموم
• واما اصله مصدر وجعل البيت اذ ما بالغة
لكثرة ما يقع فيه من الامن • والظاهر ان جعله امنا في
الدنيا اذ كانت العرب يتغاورون ويغير بعضهم على بعض
ومكة امنة من ذلك فيلجأ الخائف فلا يتعرض عن مكانه فار من الناس فيه والطير والوحش
الا الغراب والحمة الى ثلثة الله اعلم باسمها
افعل الصلاة وانك السلام • واتخذوا فتحي بكسر الخاء
اي ق قال الله اتخذوا وامر والمواجهة بذلك ابراهيم
عليه الصلاة والسلام وذريته وقرئ بفتح الخاء اي
تعطفوا على جعلناه اي يتخذه الناس لاهتمام ابراهيم عليه
الصلاة والسلام به واضافة ذرية فيه • والمقام هنا الحجر
• مصلى اي مكان صلاة • وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل
ان طهرا يجوز ان تكون ان تفسيرية وقد فسر بها العهد
واثبات كون ان تفسيرية يقوله البصريون وانكر الكوفيون
ان تكون ان تفسيرية ويجوز ان تكون مصدرية وقد
يفعل الامر وقد نص سيبويه وغيره على ان ان المصدرية
توصل بفعل الامر وفي هذا نظر لانه اذا سبك من هذا
مصدر اوافت معنى الامر وجميع ما ذكر واين ذلك محتمل
فلا احفظ من كلامهم عجبت من ان اضرب زيدا ولا قد
يعجبني ان اضرب زيدا والتطهير المامور به هو التنظيف
عن كل ما لا يليق به من طرح القاذورات والانجاس ومالا
يناسب كالاوثان والحيض او هو بيت عظيم من بيوت الله عز وجل

للعباد الخ ولفظ شيء مذكر على تأويل ما ذكر وهو للطائفة
ممن يطوف فيه من طائف وبادٍ والعاكفين أي المقيمين
فيه والركع السجود هم المصلون أو الداخلون إلى الحرم إما
طائفين أو مقيمين غير طائفين أو صلة وجمعها جمع تكسير
مقابلة لما قبلها من جمعي السلامة تفنناً في الفصاحة
وخولف بين وزني تكسيرها تفنناً في الفصاحة أيضاً
وآخر السجود لأنه أشق بالتواضع وعطف
تلك الصفات الثلاث بين بينها لما لم يكن عطف في
المتأخرين لأن المقصود الصلوات وإن كانت قد
اختلفت للقبلات لأنهما يجمعان شيء واحد وهي الصلاة
وفي ذلك دلالة على جواز الصلاة فرضاً ونفلاً فيه
وأذن لإبراهيم ربه أجعل هذا البلد آمناً ذكر بلداً هنا
تنطية للصفة كما تقول كان هذا اليوم يوماً حاراً وأريد
كان هذا اليوم حاراً لم يشر إلى أنه الأول هو بلد وآمناً
ذا أمن أو على الاتساع بحيث يصير كأنه صاحبهم ولما نجى
في أرض مقفرة لا ماء يجري فيها ولا مزرعة للقطان بها
أي للمقيمين دعى الله تعالى بالأمن وبجبايته الأرزاق
إليها وليس من الله بقول إلا وهو في ذريته سأل ربه
عز وجل فذاك وارزق أهله من الثمرات ومن آمن بدل من
أهله ولم يكن ليدعو لمن كان كافراً قبل كان يدخل أهله
كما ورد في الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر
ولما كانت مكة قفراً لا ماء بها ولا نبات بارك الله تعالى
فيما حولها من الطائف وغيره وأنبت فيه أنواعاً من الخيرات
قال ومن كفر فأمتعه قليلاً وفي قراءة فأمتعه بلا تشديد
وفي قراءة فأمتعه بالتشديد ثم اضطره بفتح الهمزة وكسرها
وماء دعاء الصادي الطاء وبضم الطاء وبكونها فنمتعه
ثم نضطره إلى عذاب النار وبئس المصير وتكون من في موضع
رفع إما موصولة والخبر محذوف ولا يجوز أن تكون في موضع
نصب على الاشتغال لضمير في قال وارزق من كفر
وقال الزمخشري رضي الله عنه ومن كفر عطف على من آمن
كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك الناس ولا يصح
لأن عطفه عليه قد يقتضي اشتراكه في العامل فيصير
التقدير فيه قال إبراهيم وارزق من كفر وبناء هذا
الوجه قوله فأمتعه قليلاً ثم اضطره أي ألجئه
ثم قد فاته قول الزمخشري رضي الله عنه قوله هذا واستأنف

والبيت

الأدب

٥٥

الا دل على ان ابراهيم عليه السلام كان اهم بما وقف عليه في كتابه
وفي تفسيرنا هذا الموضع من كتابنا الكبير المسمى بالبحر المحيط
ولكن ما المانع من ان يكون من مبتدأ موصولا وردّ فاه
عليه تعالى وفي قوله فاستعذه فلا بد من اضطراره امرا فيهما
قال الصيرفي قال لابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن شرطية
او موصولة ويكون النصب على الاشتغال والمعنى فقل
على تقدير ما ان قليلا او تمتعا قليلا وقول ابن عطية
رضي الله عنه في قراءة بن قرار اصلهم بكسر الهمزة انه
على لغة من يقول في قولهم لا اباك بكسر الهمزة مخالف لما
نقله بعض النحاة من ان لحاق بين فيجوز حذف الصاقه
مما اضيف له همزة وصل وما كان ما ضيا على فعل كعقل اي
يفعل او من قام زيد في اوله بحويعلم ويستطيق ويستعلم
وقال الزمخشري رضي الله عنه في قراءة ادغام الصاد في الطاء
هي لغة مرذولة وظاهر كلام سيبويه انها ليست لغة مرذولة الا تري
الى نقله عن بعض العرب في مصطبح مطبخ قال ومصبح اكثر استعمالا
ودل على ان مطبحا كثير والاضطرار هو الالجاء والالزام
اي الدلوم للعذاب والمصير مصدرا وقيل والمخصوص
بالذم محذوف اي مصيرورته الى العذاب او الثار كما قلنا
• واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ذكروا
قصصا كثيرة بحالي بناء البيت من ما هيئته وقدره
وحدوده ومن اي شيء هو ومن اي شيء كان باباه ومن
اي شيء بناه ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن ساعد
على البناء وسنطرد الى ما ذكروا فيما نعم بعضها على قاعدة
وعادتهم في ذلك والقواعد بعني الجدر وقيل الاسس
من البيت متعلق بيرفع او في موضع الحال من القواعد واسماعيل
عطف على ابراهيم فهما مشتركان في الرفع • ربنا تقبل
منا اي يقولان ذلك ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم
• اي تقبل منا هذا العمل الذي قصدنا به رضاك انك انت
انت السميع لقولنا اي لسؤالنا وضراعتنا العليم بنياتنا في اخلاص عملنا • ربنا واجعلنا مسلمين لك ونحو
سؤال ما لديموميته • ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي منقادة
مطيعة ولما تقدم لابيك عهدي الظالمين اردنا هنا اي
في هذا الا الكافرين بالتعيين في ومن ذريتنا • وارنا مناسكنا
اي معالم الحج وما يتعبد به فيه اي بصرنا ويقال مشتق

آوله

ومنهم والكسر شاذ والاسكت المتعدي واردا
باشباع حركة التاء وباختلاسها وباسكانها وقد
جعل ابن محرز رضي الله عنه ارنا من رؤية الهلال
شرحها بقوله عرف فيها معنى بصري اي
عرف اري فتكون قلبية فتتعدى الى واحد ثم ادخلت
همزة النقل فتعدت الى اثنين وتحتاج ذلك الى
سماع من كلام العرب وقد ذكر ابن عطية رضي الله عنه
حكيت عن جماعة من البصريين انها من رؤية البصر
وعن طائفة انها من رؤية القلب قال وهو الاصح
وتلزم قائله ان يتعدى الفعل منه الى ثلاثة
مفعولين وينفصل بانه يوجد معدى بالهمزة
من رؤية القلب بمعنى التعدي قال الخطابي ابن عفير
انشد الاصمعي
ان بني حلاقات ما لا لئيه ارى بسائر ان وبخلا مجلدا
انتهى كلامه وكونه وتلزم قائله ان يتعدى الى ثلاثة
مفعولين انما يلزم لو ذكرناه من ان المحفوظ ان رأى اذا
كانت قلبية تتعدت الى اثنين وبهمزة النقل بصرية تعدي
الى ثلاثة وقوله وينفصل بان يوجد معه متعدي
بالهمزة من رؤية القلب كعدا المتعدي الى كرؤية
غير المتعدي يعني انه قد استعمل في اللسان متعديا
الى اثنين ومعه همزة النقل كما استعمل متعديا الى اثنين
بغير همزة اي بغير الهمزة الكائنة فيه واذا كان كذلك
ثبت ان لرأى اذا كانت قلبية استعمالين احدهما ان تكون
بمعنى علم المتعدية الى اثنين وعليه دل ان عطية
رضي الله تعالى عنه فبيت ابن يحفز على ان ارى قلبية لا دليل
فيه بل الظاهر انها بصرية والمعنى على ابصرتني حوادثا
الدهر الى قوله مائة بلا فان هذا من متعلقات
البصر فيحتاج في اثبات ان رأى القلبية متعدية لواحد الى
سماع وقد قال ابن مالك وهو حاضر لغة وحافظ نوادر
حفظ عدما متعدي الى اثنين فقال في التسهيل
ورأى لا لابصار ولا رأي ولا اظن فلو كانت رأي بمعنى
عرف لتعدى ذلك كما تعدى عرف الى اثنين وكفا
لا تكون لابصار ولا لرأي ولا اظن ونص علينا
ابو علي الفارسي انك اذا اردت بها صفة مبالغة وادم

كذلك ربنا وابعث فيهم اي ارسل في اهل البيت رسولا
منهم اي من انفسهم يعرفون وجهه ونسبته ونشاته
كما قال تعالى في اية براءة لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز
عليه ما عنتم وقيل الله دعاه بان كان المبعوث في الامتين
هو محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه ابراهيم عليه الصلاة
والسلام بقوله يتلوا عليهم اياته اي يقرا ايات الله عز
وجل وهو القران الذي هو اعظم المعجزات الباقي الى
اخر الدهر ويعلمهم الكتاب اي يلقيه اليهم مفهما لهم
ومتلطفا في ايصال معانيه الى افهامهم والحكمة وهي
السنة التي لم تكن في الكتاب لقوله سبحانه وتعالى في الاية
الكريمة واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة
ويزكيهم اي يطهرهم باطنا وظاهرا والذي
جاء بهذه الاوصاف هو سيدنا ونبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم انك انت العزيز اي الغالب او الذي لا مثل
له ولا شبيه ولا نظير الحكيم بما تريد في الخلائق ومن
يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه روي ان عبد الله
ابن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة
اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد من امن به
فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون
فاسلم سلمة وابى المهاجر ان يسلم فانزل الله سبحانه وتعالى
هذه الاية ومن استفهام فيه معنى الانكار ولذلك
دخلت الا وبعده الا من سفه نفسه والمعنى لا احد
يرغب فمعناه هنا النفي العام ومن بدل من الضمير الذي
في يرغب وهو اجود من النصب على الاستثناء وانتصب
نفسه على انه مفعول به حكى المبرد وثعلب رضي الله
عنهما ان سفه بكسر الفاء يتعدى كسفه المشدد وحكى
الخطابي انها لغة والمعنى استخف بها وامتهنها ولقد
اصطفيناه في الدنيا اي جعلناه صافيا من الادناس ايضا
واصطفاؤه عليه الصلاة والسلام بالرسالة والخلة والكلمات
التي وفى بها ربنا البيت والامامة واتخاذ مقامه مصلى
وتطهير البيت والنجاة من نار النمرود والنظر في النجوم
وما ترتب عليه وغير ذلك مما ذكره الله سبحانه وتعالى في
كتابه العزيز وانه في الاخرة لمن الصالحين ذكر حاله في الاخرة
فمن كان مصطفى في الدنيا كان صالحا في الاخرة فكيف يرغب

عن اتباعه وفي الآخرة متعلق بمحذوف يدل عليه قوله
من الصالحين تقديره وانه لصالح في الآخرة والعامل في
اذ قال اسلمت اي حين امره الله بالاسلام قال اسلمت
واسلم امر بالديمومة والاسلام هو الانقياد ووصى وقرئ
واوصى اي عهد والضمير في بها عائد على الملة في قوله عن ملة
ابراهيم الا من سفه نفسه وقوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه
وبنوا ابراهيم هو اسماعيل وامه هاجر القبطية واسحاق
وامه سارة ومدن ومديان ونفشان وزمران ولشاق
وشواح وام هؤلاء الستة قطورا بنت يقطن الكنعانية
والعقب الباقي منهم لاسماعيل عليه الصلاة والسلام
وقيل لاسحاق فقط ويعقوب هو اسم اعجمي ممنوع من
الصرف للعلمية ووزن الفعل ويعقوب عربي وهو
ذكر القبج فلو سمي به انصرف وارتفع عطفا على ابراهيم
اي ويعقوب بنيه او على الابتدا اي ويعقوب وصى
بنيه وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه اي
ويعقوب ابن ابنه اسحاق يا بني اي قال في بداية يا بني
وفي اتيانه بهذه اللفظة اي وهي قوله يا بني تلطف
غريب وترجية للقبول وهي لما يلقى اليهم من الموافاة على
الاسلام ولذلك صدر كلامه بقوله ان الله اصطفى لكم
الدين وما اصطفاه الله لا يعدل عنه العاقل الى غيره
وان عند البصريين كسرت على اضمار القول وعند
الكوفيين لاجراء الوصية مجرى القول واصطفى استخلصه
واختاره وتخيره لكم فلا تموتن نهي عن الموت الا على هذه
الحالة من الاسلام والنهي في الحقيقة انما هو عن كونهم على خلاف
الاسلام لا ان ذلك نهي عن الموت ونظيره في الامر مت وانت
شهيد ليس امرا بالموت بل هو امر بالشهادة نهوا عن
تعاطي الاشياء التي تكون سببا للموافاة للموت على غير الاسلام
لما دخل يعقوب مصر وجدهم يعبدون الاوثان والنيران
فجمع بنيه وسالهم ما ذكر تعالى فقالت اليهود الست تعلم ان
يعقوب اوصى باليهودية فانزل الله سبحانه وتعالى ام كنتم
شهداء اي بل اكنتم شهداء وهو استفهام انكار اي لم تشهدوا
وقت حضور اجل يعقوب فكيف تنسبون اليه ما لا يليق به
ودعوى الطبري رضي الله عنه ان ام يستفهم بها في وسط
كلام تقدم صدره وهذا منه قول غريب وقول ابن عطية
رضي الله عنه انها بمعنى همزة الاستفهام وانها لغة يمانية تحتاج الى نقل

الا وانتم مسلمون

صحيح

صحيح والظاهر ان الخطاب لاهل الكتاب وذلك حا بعد
وقالوا كونوا هودا او نصارى تقتدوا وان بدل من اوقلها
المقدمة وقال ان محمدي رضي الله عنه ام متصلة
قبلها محذوف كانه قال ايدعون على الامتين الهوية
ام كنتم شهدا يعني اذ اولكم من بني اسرائيل كما اوصاكم هدين
به اذ اراد منه على التوحيد وملة الاسلام فانكم تدعون
على الانبياء ما هم منه برآء وانتهى ولا اعلم احدا ذكر
ان حذف هذه الجملة ولا يحفظ ذلك عنه في شعر
ولا في غيره لكن جاء في شعر حذف ام مع المعطوف الغا
للهمزة نحو قوله • فما ادري ارشد طلاقها • يريد
ام غي • ما تعدون يعبدون بعدي او من بعدي موتي ذكره
على ذوي العلم وغيرهم من بعدي اي من بعد موتي ذكر
ان يعبد او من بعد موته وكانوا حال حياته لا يعبدون
الا الله عز وجل وشمل قولهم اباءك ابرهيم واسمعيل واسحق
فاعاد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واسمعيل اسحق عليه
الصلاة والسلام والاب اسحق عليه الصلاة والسلام
والاب لا يدل تفضلي من آبائك وقد ولد ابراهيم
عليه الصلاة وان لم تلد الا ولد ومن ذريته خير
العالم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتصب الها
واحدا على انه بدل من الهك او على الحال والها هنا
للتوطئة وحق الزمخشري رضي الله عنه ان ينتصب على
الاختصاص او اريد بالهك الها واحدا او نصب انتحاه على
ان المنصوب على الاختصاص لا يكون نكرة ولا مبهما
وفائدة هذه الحال او البدل هو التنصيص على ان
معبودهم واحد فرد اذ قولهم اباءك اضافة التي لا مفرد لها
يتعاد ذلك الضاف وحق لمسلمون احد جملتي الحال
اجابوه عن الذي سألهم عنه والثانية مؤكدة لما اجابوا
به واجاز الزمخشري رضي الله عنه ان تكون جملة اعترض بين
مؤكدة اي ونحن من حالنا ان قاله مسلمون مخلصون التوحيد
ومذعنون والذي ذكره النحاة ان جملة الاعتراض تأتي
مقوية بين شيئين قد بين ذلك في كتابنا الكبير
المسمى بالتجر المحيط وقد ظهر ذلك مستعدد في كتب النحو
ونحن لهم مسلمون ليست من هذا الباب وعطفها على
جملة الحال مستطرفة بحث قالوا الا ترى انما قد حون ابن عطية
رضي الله عنه ان يكون هذا في موضع الحال امتي والله اعلم تلك

كثير

امة قد خلت

اي انقضت وصارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها
ولا مونس وتلك اشارة الى ابراهيم ويعقوب وبينهما
لها ما كسبت استيناف او حال من ضمير خلت ولكم ما كسبتم
عطف على قوله لها ما كسبت على تقدير الاستيناف لا على
تقدير الحال ولا تسألون عما كانوا يعملون جملة توكيدية
لما قبلها وقالوا ادى رؤساء اليهود ونصارى نجران لفهم
معاني الضمير والمامورون من امن برسول الله صلى الله عليه وسلم
واو هنا للتفصيل فاليهود قالوا كونوا هودا والنصارى قالوا
كونوا نصارى فالمجموع قالوا الجميع وقال كل من الفريقين
ما ناسبه قل بل ملة ابراهيم وقرئ بالنصب اي نتبع
ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام لان الامر بكينونة
اليهودية والنصرانية معناه اتبعوا وقرئ بالرفع اي
الهدى او امرنا ملة وانتصب حنيفا على الحال من
ملة لان معناه دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهي حال
لازمة واجازوا فيه الحال من ابراهيم والنصب على
القطع والحنيف هو المائل عن الاديان كلها الى الدين الحق
القويم وهو دين الاسلام وما كان من المشركين اي
من اليهود القائلين ببنوة عزير ولا من النصارى
القائلين ببنوة عيسى عليه الصلاة والسلام ولا من الذين
اتخذوا الاوثان والملائكة وقالوا ان الملائكة بنات الله
قولوا امر للمؤمنين امنا بالله وما انزل الينا لما الزموا
تكاليف القرآن قيل فيه انزل اليهم وما انزل الى ابراهيم
وهي عشر صحف واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
عطفوا على ابراهيم لما كلفوا العمل بشريعته صارت الصحف
كانها منزلة اليهم والاسباط هم اولاد يعقوب عليه الصلاة
والسلام واكبرهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ورفالون
وقال الشريف الجواني النسابة فيه وزبولون ونساما
وقال ابن عطية فيه وشجر ودينه بنته وامهم لنا
خلف يعقوب على اختها راحيل فولدت له يوسف عليه الصلاة
والسلام وبنيامين وولد له من سريتين زين وتفتالي
وياشير وقال ابن عطية رضي الله عنه فيه اشر وكاد وقال
فيه ابن عطية رضي الله عنه حاد وما اوتي موسى من التوراة
والايات وعيسى من الانجيل والايات وكرر الموصول في وما
انزل لان القرآن غير صحف ابراهيم ولم يكرر ما اوتي لان شريعة
عيسى هي شريعة موسى الا في النذر وما اوتي النبيون من

ربهم

٥٨

لهم في هذا تعميم بعد تخصيص لافتراق بين احد
منهم اي من الجميع وان احد هو المستعمل في النفي للعموم
او احد بمعنى واحد يحذف ما عطف عليه اي بين احد
منهم والاخر وتحتمل ان مسلمون داخل في القول فالمعنى
آمنوا اي ائتلفوا كونوا هودا او نصارى مثل ما انتم
به اي مثل ايمانكم وما مصدرية وبه يدل من مثل
بعينه التوكيد وقد اهتدوا اي ارشدوا الى الدين الحق
وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان فانما هم في شقاق
ظاهر لهم وهم مطر وفوت فيه مسالمة وان كانت اما ان
تجيء الحصر فذلك ابلغ والشقاق الخلاف والعداوة والمباينة
وقد اوعيدهم وتهديد فسيكفيكهم الله اي يقيك
من شقاقهم وعداوتهم بما حل بهم من القتل والسبي
والنفي والخزي وتقرير كما تهم وهو اتميم العلم
يعني السميع لما يقولونه العليم بما يفعلونه وفي رواية اخرى
يعني السميع لاقوالهم العليم بنياتهم صبغة الله اي دين
الله وكني بالصبغة عن الايمان كلفظ الدين لظهور اثره
على صاحبه ولزومه كلزوم اثر الصبغ في الثوب وملازمته
له ايضا وانتصابه انتصاب المصدر المؤكد لعمنون الجملة
من قوله قولوا امنا اي صبغنا الله والايمان صبغته ومن
احسن من الله صبغة لاستفهام بمعناه الذي آذن للاخذ احسن
من الله صبغة والتفضيل هنا باعتبار من يظن ان في صبغة
غير الله حسنا وصبغته تمييز منقول من المبتدا كقولك زيد
احسن من عمرو وجهاد التقدير ومن صبغته احسن من الله
اي لحسن من صبغة الله عز وجل كما تقدر وجهه زيد احسن
منه وجه عمرو وقد ذكر الكواشي هذا التمييز المستفاد من
المبتدا وروي ان اليهود والنصارى حاجوا المؤمنين
فقالوا كانت الانبياء منا وعلى ديننا ونحن ابناء الله واحباؤه
واهل الكتاب الاول وقبلتنا اقدم ولم تكن الانبياء
من العرب ولو كان نبيا لكان منا فنزلت هذه الاية وقرئ
لنجاورنا بنون مشددة وادغام نون الرفع في نون الضمير
والهمزة للاستفهام ومعناه الانكار وامور بتكم جملة حالية
اي اتكاثرونه في الله سبحانه وتعالى فلا محاجة فيما شارفت
افعاله واختصاص بعض المربوبين بما خصه من الشرف
والزلفى وهو المجازي على الاعمال ونحن له مخلصون اي
العمل لا ينتفي به غيره وجهه سبحانه وتعالى وفيه تعريض

لليهود والنصارى بالشرك الذين هم عليه وقرئ أم تقولون
بتاء الخطاب وبياء الغيبة والأحسن أن تكون أم هنا
منقطعة ويجوز الاتصال فيها وكونها معادلة لقوله أتحاجوننا
كما قال بعضهم ليس هو بجيد لأن الاتصال يقتضي وقوع
أحد الجملتين وصار السؤال عن تعيين إحداهما وليس هنا
الأمر كذلك بل وقعتا معا أي المحاجة والمقالة فأم
منقطعة أنكر عليهم هذا القول كما أنكرت المحاجة
قل أأنتم أعلم أم الله حيث نفى عن إبراهيم ومن ذكر معه
ما نسبتم له من اليهودية والنصرانية وتوسط هنا المسؤول
عنه وهو أحسن من تقدمه وتأخره وإن كانا جائزين
فتقول في الكلام أأعلم أنت أم زيد وأأنت أم زيد أعلم
ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله أي لا أحد أظلم
ممن كتم شهادة استقرت عنده من الله أي استرعاه الله عز
وجل لأن يشهدها وكتمها ودل هذا على أن أحبارهم
كانوا عالمين بأن إبراهيم ومن معه كانوا مباينين لليهودية
والنصرانية وأن الله سبحانه وتعالى كان قد ذكر في كتبهم
ما يباين قولهم ولكنهم كتموه فأنزل الله تعالى هذه
الآية توبيخا لهم وتهديدا وما الله بغافل عما يعملون
سيقول السفهاء من الناس هم اليهود وجاء بالمستقبل
الصريح إخبارا بالشيء قبل وقوعه وتعريضا لهم بما سيقع
منهم وذلك معجز إذ هو إخبار بالغيب وسفههم هو باعتراضهم
على الله سبحانه وتعالى في فعله ما يشاء ما ولاهم أي
أي شيء ولي المؤمنين عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي قبلة
بيت المقدس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى
إليها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وقد اختلفت أقوال الرواة
في ذلك فالصحيح أنها لم تكن تزد عن السبعة عشر يعني المتقدمة
وأضاف القبلة إليهم إذ كانوا قد استقبلوها طويلا ومعنى عليها
أي على استقبالها قل أمر للنبي صلى الله عليه وسلم وتعليم
لأبطال مقالتهم لله المشرق والمغرب كنى بهما عن الجهات كلها
فله أن يكلف عباده بما شاء من استقبال أي جهة شاء يهدي
من يشاء هدايته إلى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم الخطاب
لأمة محمد صلى الله عليه وسلم لما كان معنى يهدي من يشاء أي
يجعل ما يشاء شبه به أي مثل ذلك الجعل من يشاء إلى
صراط مستقيم وهو طريق الإسلام وقوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا
والوسط معناه الخيار وأصله ما بين الطرفين لما كانت الأطراف محل

التغير

٥٩

التعريف والوسط محل الكلام فيه لسعد للمحارفو صفة لبكر
شهدا على الناس فيملك الشهادة في الدنيا والآخرة وكيف
الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا اي قد اداه اليكم
ما ارسل به اليكم من شرايع الاسلام فشهد على من اتبع الحق وآمن
وشهد على من اباه وفي الحديث ان الامم اذا انكرت رسلها
شهدت امة محمد صلى الله عليه وسلم عليها بالتبليغ ويؤيد
برسول الله صلى الله عليه وسلم فتشاك عز وجل امته فزكيتهم
وشهد بقبولهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اولا
ثم صرفت عنها اي بيت المقدس قبلتك الا لنعلم الا لنعلم
والقبلة المقول آنفا والتغيير هو الانتقال من حال
الى حال فالتبدل بالحالة الاولى هو المعرف والتبدل
بالحالة الثانية هو المنعرف اما على قول من يجعل
رضي الله عنه القبلة مفعولا اول والى مفعول ثان وتعال
وما جعلنا القبلة التي تحب استقبالها اجهة الى كنت عليها
اولا ممكة ومن تتبع الرسول ومن ينقلب للفصل وهو صحيح
غريب لمن كعلم سبحانه وتعالى وان الله يعلم المشدد من الصلح
والا لنعلم مستأنف مفرغ من المفعول له وقيل حصر
الثبات ولنعلم مسبب عن محذوف اي علم الله سبحانه وتعالى فهو
مجاز خذف فقدين اي ليعلم رسولنا والمؤمنون او اطلق
العلم على التميز اي ليتميز التابع من الناكص ولنعلم متعدية
الى واحد والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عن ما كان
فيه وقوله سواء حال الراجع اي سواء احوال الراجع في ه
شبه وقرئ ليعلم بالبناء للمفعول وعقبيه قرئ
بإسكان القاف وان كانت لكبيرة المفهومة من قوله
وما جعلنا لكثرة شاقة لاثرة من الهداية ثم فارقه
شق عليه فراقه والقول في ان واللام في نحو هذا الركب
مذهب البصريين اي ان ان المخففة من الثقيلة
واللام للفرق بينها وبين ان النافية ومذهب الكوفيين
ان ان نافية واللام بمعنى الا وقرئ لكبيرة بالرفع
شاذا او تخريجه على اضمار مبتدا حذف خبره اي الهداية
كبيرة وهذا توجيه شذوذه الا على الذين هدى
الله استثناء من محذوف اي لكبيرة على الناس الا على
الذين هدى الله فليس استثناء مفرغا لانه لم يتقدمه
نفي ولا شبهه نفي انما سبقه ايجاب صورة اشوا رفعت في ان واللام

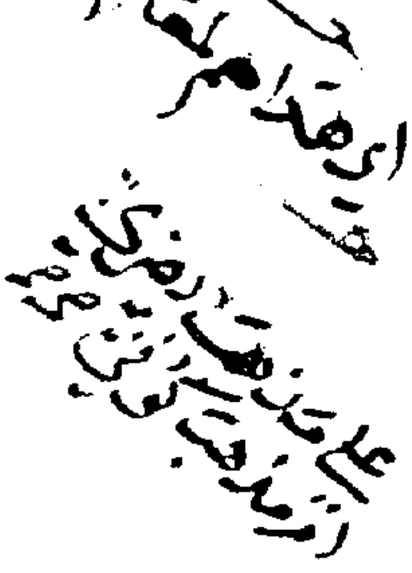

وما كان الله ليضيع إيمانكم ان نعد نعلم ما آيس عند الله
من فتح وغيره وقد فسر الايمان هنا بالصلاة الى بيت
المقدس وروى ذلك عن ابن عباس وابن عمر وابن معقل
ما نا قبل تحويل القبلة فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهما فنزلت هذه الآية وقرئ ليضيع مشددا واللام
في ليضيع لام الجحود وما كان ريد ليعوم الملع ما كان
ن قد يقوم وان يجب اضمارها بعد لام الجحود ومذهب
الكوفيين ان اللام نا ب ان الناصبة ان الله بالناس فيه مجمع
التعليل وقرئ لرؤف بواو بعد الهمزة وبلا واو ايضا
وبواو مضمومة بعدها واو فقد يرى اي قد رأينا
تقوله قد نعلم ما انتم عليه اي قد علمتم ولقد نعلم
اي علمنا وقد قد يتصرف المضارع الى الماضي
وقال ابن مجرى رضي الله عنه في قد يرى بما يرى ومعناه
مرة الى وجهة كقوله قد امرك القرن مصفرا انامله
انتهى وروي على مذهب الجمهور لتقلبن اطلي في نظيره
او في نفسه وتركيب قد مع المضارع لا يدل على الكثرة
فلك ان فهمت الكثرة فمن خارج والكثرة بها انما فهمت
من متعلق الرؤية لان من رفع بصره الى السماء مرة
واحدة لانفاك قد قلب بصره في السماء وانما فهمت
قلت اذا ارد في الكثرة فهمت من التقلب الذي هو
مضارع التقليب والوجه قد نرى ارادة ظاهره كأنه
يقلب وجهه في الدعاء الى الله عز وجل اذ كان يحب له
الى قبلة تكذا وكني بالوجه عن البصر وفي السماء متعلق
بتقلب كقوله تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل
وفي بمعنى على حقيقتها اي في نواحي السماء وفي ادلتهم حال
محذوفة والتقدير في السماء طالبا قبلة عدا لتي كنت
مستقبلها فلنولينك جواب قسم تؤكد مضمون الجملة من
اجل المقسم عليه وجاء الوعد فتل الامر لشرح النفس بالاجابة
ثم بالجزم الوعد فيوالي السرور مرتين وذكر القبلة ثانية
لم يتقدم ما يقتضي العهد ووصفت بمرضاته لتعرف من
التخيير ومتعلق الرضى القبلة وهو كان يود ان يكون
هي الكعبة وان كان لم يصرح بذلك • قوله وجهك اي
في استقبال الصلاة شطره اي نحوه وجهة المسجد الحرام
وفيه دليل على مراعاة جهة الكعبة لاعيانها لمن نأى او لا بما الامر
لمن كان كالمشافه في ذلك امر ان امتثاله كان حكمهم حكم

وان الذين اوتوا
الكتاب

وان الذين اوتوا الكتاب هم احبار اليهود ورؤساهم
ليعلمون انه الحق من ربهم اي التوجه الى المسجد الحرام هو
الذي فرضه الله عز وجل على ابراهيم وذريته . وما الله
بغافل عما يعملون . فيه القراءتان اي بالتاء وبالياء
ولئن اتيت تسلية له عليه الصلاة والسلام عن متابعة
اهل الكتاب له الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا
قبلتك فيه جواب القسم المؤذن باللام وفي رواية
وذلك قد يكون فيه جواب القسم المؤذنة به اللام
وهو ماضي اللفظ مستقبل المعنى كقوله عز وجل ولئن
زالتا ان امسكهما اي ما يمسكهما احد من بعده وكقوله
لظلوا اي ليظلن من بعده وقال سيبويه رضي الله عنه
وقالوا لئن فعلت ما فعل يريد ما هو فاعل وما قد
يفعل وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم
عليه وما انت بتابع قبلتهم استئناف اخبار ببراءته صلى
الله عليه وسلم من اتباع قبلتهم وافرد قبلتهم وان كانت
تختلف قبلتاهم لاشتراكهما في البطلان معا وما
بعضهم اي اليهود لا يتبع النصارى ولا النصارى
تتبع اليهود . ولئن اتبعت اهواءهم التعليق هنا على
المستحيل وفي رواية والتعليق على المستحيل مستحيل
كقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه اي وفي رواية
اخرى المراد من هذه الاية الخطاب لاحد من امته اي ولئن
اتبعت ايها السامع من بعد ما جاءك من العلم اي من
الدلالات والايات التي تفيد العلم اطلاقا لاسم الاثر
على المؤثر . انك جواب للقسم الذي تدل عليه لام
ولئن واذن هنا مؤكدة لجواب ان تبط بمتقدم ولا تعمل لها
اذا كانت مؤكدة . الذين اتيناهم الكتاب هم علماء اليهود
والنصارى وهو مبتدا خبره يعرفونه والضمير المنصوب في
يعرفونه عائد على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وليس كما
قال الزمخشري رضي الله عنه من انه اضمار لم يسبق له
ذكر في قوله ولئن اتيت الى سائر المضمرات التي جاءها خطابه
عليه الصلاة والسلام لان الضمير في يعرفونه جاء على
سبيل الالتفات وحكمته انه لما فرغ من الاقبال عليه
اقبل على الناس فقال الذين اتيناهم الكتاب وقد
واخترناهم لتحمل العلم والوحي يعرفونه اي يعرفون هذا
الذي خاطبناه في الاي السابقة وامرناه ونهيناه لا يشكون في معرفته

بتابع قبلة بعض

اليهود

عليه الصلاة والسلام

ولا في صدق اخباره

ما كلفناه من الكاف الى منها نسخ بيت المقدس بالكعبة
لما في كتابهم من ذكره ونعته والنص على انه يجدونه مكتوبا عندهم في
التوراة والانجيل. وقال عند الله ان لم ار رضي الله عنه لقد عرفته
حتى لانا بنه كما اعرف ولدي هذا ومعرفتي محمدا صلى الله عليه
وسلم اشد من معرفتي بولدي هذا واخبار منزع من قوله
تعالى كما يعرفون ابناءهم وظاهر هذا التشبيه يقتضي
ان المعرفة معرفة الوجه والصورة وقال هذا على ان الضمير
في يعرفونه للرسول عليه الصلاة والسلام لكتمون الحق هم
المصرون على الكفر والعناد كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وهم يعلمون حال سؤله ان كان متعلق العلم الحق وان كان
وهم يعلمون ما علم كائنا الحق من العقاب فهي حال سببية
الحق من ربك مبتدأ وخبر وقال بعضهم الحق مبتدأ كائنا من
ربك وقرئ الحق بالنصب على المدح او مفعول لا تعلمون
فلا تكونن من الممترين والامتراء هو الشك تقدم
امره في كذا اذا شك فيه والنهي عن الكون على صفة ابلغ هو
من النهي عن تلك الصفة وذلك كالنهي عن الكون على
الصفة التي يطلب اجتنابها في القرآن ولكل وجهة
هو مولاها وقرئ ولكل وجهة بالاضافة وهو مولاها
والوجهة اسم للمكان المتوجه اليه عند بعضهم فتكون الواو فيها
ليس هو سادا والكلام سببويه يقتضي انه مصدر فتكون الواو
فيه شاذة والمحذوف من كل اما ما قبله من اهل الاديان او
اهل صقع من استقبل اي جهة من الكعبة وراى اماما وتميما
وسما لا استبعد جهة من جهاتها اولى من الاخرى وهو عند اثار
على الكل على لفظة اي مستقبلها ومتوجه اليها صلاته ومفعول
مولاها الثاني محذوف اي مولاها نفسه وفي قراءة مولاها
الاول المستكن في مولاها والثاني هاء او عائد على الله اي الله
مولاها اياه واما قراءة الاضافة فقال الطبري من الله تعالى عند
اي خطاء وقال الزمخشري رضي الله عنه المعنى ولكل وجهة الله
مولتها فحذف اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت
ولزيد ضربت غلامه وهذا العقوق فاسد لان العامل اذا تقدم
لم يتعد الى ظاهر المجرور باللام لا تقول لزيد
ضربته ولا لزيد انا ضاربه مثلا لان اللام قاطعة لوهد آثرة
للقرآن بدرسه وقال ابن عطية رضي الله عنه المعنى فاستبقوا
الخيرات لكل وجهة ولان موها في روايته فاستبقوا الخيرات
لكل وجهة ولا كموها ولو توجيه لا باس به واستبقوا اليه بادروا

الجزء

الخرات اى الاعمال الصالحة ان ما تكونوا تضمن هذه
الاية وعظا وتحذيرا واظهارا للقدرة يات بكم الله جميعا
اى يحشركم للموقف والقيامة وهو على خرجت لا امر
بلسانا لا يكتبه وهو عليه الصلاة والسلام مقيم بالمدينة
بين ساكني الحادين في الاقامة والسفر وبين نفوسكم وحيثما
ما كنتم تساوى فيها نفس وحاله عليه الصلاة والسلام
في ذلك وحتم هذه الاية بما ختم به تلك الاية السابقة
حثا لامة على امتثال هذا التكليف العظيم الذي هو كتوفيك
من حقه لياجهه وهو تقدير محض ومن حيث خرجت توجه كية
لما قبله وتقرير لهذا النسخ وتعليل لامرى وان في هذا
التركيب وجوه الاظهار يكون للناس حجة والمراد بهم
هنا اليهود وقريش العرب ونفى سبحانه وتعالى ان يكون
لاحد على المؤمنين حجة وخبر كان للناس وعليكم هو
متعلق بما يتعلق به للناس وليس بحال وقد اجيز ان يتعلق
بحجة بعيي الاحتجاج وليس بحال والحجة ان اريد بها
البرهان الصحيح فهو استثناء منقطع اى لكن الذين
ظلموا فانهم يتعلقون بالشبهة ويطعنون بها موضع الحجة
وان اريد بها الاحتجاج بالخصومة والجدل فهو استثنا
متصل اى لا خصومة من ظلم او الا من ظلم بخصومته
فانه قد وضح له كقولك ما له حجة الا الظلم وقرأ
قطرى الا على الذين ظلموا جعله بدلا من الضمير في
عليكم ولا يجوز الا على مذهب الكوفيين والاخفش وقال
ابو عبيدة رضي الله عنه الا بمعنى الواو وكان ابو عبيدة
رضي الله عنه يضعف في النحو فنرى بذلك وكل يقوى
حرف الاستفتاح والذين ظلموا مستأخره فلا تخشوهم
والضمير في فلا تخشوهم يعود على الناس او على الذين
ظلموا وهو اقرب المذكور ولاتم نعمتي عليكم معطوف
على لئلا يكون والمعنى قد عرفناكم وجه الصواب في
قبلتكم لانتفاء حجج الناس عليكم ولاتمام النعمة عليكم
والتعريف معلل بعلتين والفعلان لا ختلاف كلا
فصل اذ هو من متعلق العلة الاولى كما ارسلنا بينه
متعلقة ولاتم اى اتماما مثل اتمام ارسال الرسول
صلى الله عليه وسلم اليكم او لتهتدون اهتداء مثل
ارسالنا وبينه للهداية بالارسال في التحقق والثبوت
اى هذا اتانا محققا كتحقق ارسال الرسل ولو قيل

ولعلكم تهتدون

الكاف في موضع المفعول

لا للتشبه لكان سائغا ان لا ذكر ولا ذكر ولا
كما قيل في قوله تعالى واذكروني كما هداكم اي لاجل هدايته
اياكم وقول الشاعر لا تشتم الناس كما لا تشتم اي امتنع
من شتم الناس لامتناع الناس من شتمك لكن يحدث في هذا
القول وجود الذكر في فاذكروني والاجود التعليق بقوله
ولا تكفرون فتكون اتمام نقدم النعمة الحادثة من الهداية
لاستدعاء كثرة الصلاة الى مزيد الانعام وافضل
الاسم لكفاءته الدال على الاستمساك بشريعة الاسلام
بازمام النعمة السابقة وارشاد الرسول صلى الله عليه وسلم
الخصم يكونون منهم الى سائر الاوصاف التي وصفه الله تعالى
بها والذكر يكون باللسان من التحميد والتسبيح والتمجيد
وغيرها كتب الله عز وجل ويكون بالقلب كالتفكر في
الدلائل الدالة على التكاليف والتفكر في صفات الله وفي
سائر مخلوقاته وذكره تعالى اياهم هو مجازاته اياهم على ذكرهم
• واشكروا الي جائز تعديه بغير اللام قال الشاعر ا
• فهلا لا شكرت القوم ان لم تنالهم ا
• ولا تكفرون لي لا تكفروا نعمتي والصبر قهر النفس على
المكاره والتكاليف الشاقة وهو امر قلبي والصلاة
من مقره وبالمن اشق التكاليف لتدربهما قال الله عز
وجل يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان
الله مع الصابرين بالمعونة والتاييد وادرج الصلوة
في الصابرين اندراج المنزع تحت الاصل قالوا الذي قتل
في سبيل الله مات فلا وجه لنهيهم عن ذلك فيقال لا
تقولوا لمن يقتل والتعرض للقتال في سبيل الله عز وجل من اعظم
نتائج الايمان والصبر واموات جرى مجاز وفي واحيا
كذلك واشعرهم اموات لهم احياء ولكن لا تشعرون
بانهم احياء والمراد بالحياة نفاذ ازواجهم ولذتهم بمعانيه
كما فنيت اجسادهم فبقي شعورهم المحاطين بكيفية حياة
المقتولين في سبيل الله وفي هذه الاية ترغيب في الشهادة
وتسلية لاقرباء الشهداء ولاخوانهم الموحدين ولنبلونكم
اصله الابتلاء الاختبار والمعنى هنا ولاصيبنكم بشيء وافرده
ليدل على القليل وشيء مقدر في المعاطف اي وشيء
من الجوع وشيء من نقص الثمرات والظاهر ان الخوف هنا هو
من العدو وغلب بالكسر عن الفتح اذ هو من الشر ونقص من
الاموال بالهلاك والخسران والانفس بالقتل والموت والثمرات

بالجوائح

بالجوائح وقلة النبات وانقطاع البركات. الذين منصوب
نعتا او مقطوعا او مرفوع قطعا او استئنافا على تقدير
سؤال من الصابرون قيل هم الذين ومصيبة اسم فاعل
من اصاب وصار لها اختصاص بالشيء المكروه واصابتهم
مصيبة من التحبيس المغاير. قالوا انا لله اقرار بالملك
والعبودية لله عز وجل فهو المتصرف فينا بما يريد وانا اليه
اقرار بالبعث وتنبيه على مصيبة الموت التي هي اعظم
المصائب اولئك عليهم صلوات اي ثناء كثير من ربهم
ورحمة العطف يشعر بالمغايرة وارتفع صلوات هنا
بالفاعلية لان الجار قد اعتمد وعليهم صلوات تجللتهم
كانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء
الاسلام سألوا فنزل. ان الصفا والمروة من شعائر الله اي
معالم دينه والصفا والمروة علمان لهذين الجبلين.
والف الصفا منقلبة عن واو. والصفا الحجر. والمروة
الحجارة الصغار التي فيها لين والواحدة مروة وكذلك
فيها كلزومها في البيت للكعبة والنجم للثريا. والشعائر
العلائم التي ندب الله تعالى اليها واحدها شعيرة او شعارة
وهو على حذف مضاف اي ان طواف الصفا والمروة من
شعائر الله ولما تقدم الامر بالصلاة والزكاة في غير ما آية
وذكر الصبر والقتل في سبيل الله عز وجل وهو الجهاد لاقامة
الدين وكان الحج من الاعمال الشاقة المنهكة للمال والبدن
وهو احد اركان الاسلام ناسب ذكره بعد ما تقدم وقرئ
ان يطوف بهما وقرئ ان لا يطوف بهما فقيل لا زائدة ولا
تحتاج اليه بل اسقاطها يدل على رفع الجناح في فعل الشيء
وهو رفع في تركه اذ هو تخيير بين الفعل والترك نحو قوله عز وجل
فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله الآية
واثباتها يدل على رفع الجناح في الترك وكلتا القراءتين تدل
على التخيير بين الفعل وبين الترك والجناح يراد به الاثم
والظاهر ان يكون الطواف بالسعي والمرور فمن سعى بينهما من
غير صعود عليهما لم يكن طائفا وقلت الآية على مطلق الطواف
لا على هيئة مخصوصة ولا عدد وسؤال عروة لعائشة
رضي الله عنها انه لا يرى على احد شيئا ان لا يطوف بهما وقولها له
يا عرية لو كان كذلك لقال فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما
كلام لا يخرج اللفظ عما دل عليه من رفع الاثم عن من طاف
بهما ولا يدل ذلك على وجوب الطواف لان مدلول اللفظ اباحة

راجعون

اي امر بهما في آيات كثيرة متعددة انتهى

الفعل

وإذا كان مباحا كنت مخيرا بين فعله وتركه ومذهب ابن عباس
وابن الزبير وأنس رضي الله عنهما وكذا عطاء ومجاهد
والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين أنه على من تركه
عمدا كان ذلك الترك أو سهوا ومن تطوع خيرا
والتطوع ما تبرعت به مما لا يجب عليك وقرئ تطوع ماضيا
وتطوع مضارعا مجزوما ويتطوع مضارع تطوع مجزوما
وخيرا منصوب على إسقاط حرف الجر أي بخير أو يكون
التقدير تطوعا خيرا فإن الله شاكر أي مثيب أو مغن
عليم بما انطوت عليه نية المرء المتطوع إن الذين يكتمون
هم اليهود ما أنزلنا من البينات والهدى أي في التوراة
كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتموا آية الرجم
وقرئ من بعد ما بيناه ومن بعد ما بينه وأو التفات
خرج من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب كما خرج فيما أنزلنا من
الغيب إلى التكلم وقوله فإن الله وقوله ما أنزلنا في الكتاب
التوراة أو القرآن أو كتب الله عز وجل وكتمه بعد تبيينه
أعظم في الإثم وقد يكتم الإنسان الشيء ولا يكون مبينا
للناس أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إشارة لمن
اتصف بهذه الصفة القبيحة وأبرز خبره في صورة جملتين
تعظيما لهذا الوصف الذي حل بهم واللاعنون الملائكة
ومن يتأتى منه اللعنة كمؤمني الثقلين أو كل شيء وغلت
العاقل في الجميع إلا الذين تابوا عن الكفر والكتمان وأصلحوا
قلوبهم بالنية الصالحة والأعمال الطاهرة وبينوا الحق
الذي كتموه فأولئك أتوب عليهم أي أعطف وأنا التواب
الرحيم إن الذين كفروا ذكر حال من كتم ثم حال من تاب ثم
ذكر حال من وافى مصرا على الكفر وجعل اللعنة قد تجللتهم ثم
غشيتهم وهم كفار جملة حالية ومجيئها بالواو في مثل هذا
التركيب أكثر ولعنة مرفوع على الفاعلية إذ الجار والمجرور قد
اعتمد بكونه خبرا وقرئ والملائكة والناس أجمعين وقرئ
برفع الثلاثة وكل من وقفنا على كلامه من معرب ومن مفسر
جعله عطفا على الموضع وقدروه أن يلعنهم الله أو أن لعنهم
الله وهذا لا يصح على قول المحققين من النحويين لأن من شرط
العطف وجود المحرز الذي لا يتغير وأيضا فلا يظهر أن لعنة
هنا مصدر ينحل لحرف مصدري والفعل إذ لا يراد به العلاج
وكان المعنى أن عليهم لعنة الله كما جاء ألا لعنة الله على الظالمين
وأضيف هذا المصدر على سبيل التخصيص لا على سبيل الحدوث

وتخرج

لا شيء

هم

وماتوا

وتخرج هذه الجملة على إضمار فعل تدل عليه حالهم
اي وتلعنهم الملائكة او على حذف مضاف اي لعنة
الله وعذابه اي وتلعنه الملائكة او على ان الملائكة
مبتدأ خبره محذوف تقديره حق او هم ان تلعنهم الملائكة
وغيرهم خالدين فيها اي في اللعنة او النار لدلالة اللعنة
عليها ودلالة قوله لا يخفف عنهم العذاب وقوله لا يخفف
حال من ضمير خالدين وخالدين حال من ضمير عليهم او هما
حالان من ضمير عليهم على مذهب من يجيز خالدين من ذي
حال واحدة ونحو الصحيح قالوا انا محمد صيف لسارق ثم قال
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم الآية ثم نزلت سورة
الاخلاص وقوله الهكم اله واحد اي لا تستحق الا ولا تنظير له
ولم يكن في الارض معبود سوى الاله الا هو فتحد لما تقدم من
معنى الوحدانية ودل على حصر الالوهية فيه تعالى ولا يكون
ان يكون الا خبرا عن لا اله الا هو على مذهب الاخفش رضي الله عنه
ولا خبرا عن مجموع لا اله الا هو اذ لم يقع في موضع مبتدأ على
مذهب سيبويه رضي الله عنه لان هو معرفة وقالوا ابو بكر
من اسم لا في الموضع وهو مشكل لانه لا يمكن تقدير ذكر ان
العامل متأنث ان تقول لا رجل الا زيد والذي ظهر لي
ان ليس زيد لا من لا اله ولا الا زيد بدل لا من لا رجل بل هو
بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف اذ التقدير لا اله
كائن لنا وهو وجود الا زيد كما تقول ما في احد يقوم الا زيد
والا زيد بدل من الضمير في يقوم فهو مدلول مرفوع من
ضمير من قولك من قال لا يحتاج الى حذف فهو مستقيم
سهو وان الرحمن خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر
او خبر ان وصفة لقوله والهكم وفصل بالخبر ولا انه خبر
كان او اعتراض ان في خلق السموات والارض لما تقدم من
اختصاصه سبحانه وتعالى بالالوهية استدل بهذا الخلق
الغريب على استدلال الاثر على المؤثر وبدأ بالعالم العلوي
وآياتها آثارها من غير تحمل تحتها ولا علاقة فوقها وما
فيها من النيرين الشمس والقمر والنجوم السيارة والكواكب
الثابتة وهي جوهرة مشارقة وغاربة منيرة ومحجوبة وعظم اخذ
وان نفاعها حتى قال ارباب الهيئة ان الشمس قدر الارض
مائة واربعة وستون مرة وان اصغر نجم في السماء قدر
الارض سبع مرات وآية الارض التي بسطها لاعلاقة فوقها
ولا دعامة تحتها وانهارها وجبالها ونباتها ومعادنها

هو خبرا

هو جبل

هما

واختصاص كل موضع بمادة

ومنافع منافعها ومضارها وذكر اسباب الهيئة ان الارض
نقطة في وسط الدائرة ليس لها حركة وان الكواكب
محيطة بها والهواء محيط بالماء والنار محيطة بالهواء
والافلاك وراء ذلك كله واختلاف الليل والنهار باقبال
هذا وادبار هذا وبالنور والظلمة والطول والقصر
والتساوي وقدم الليل على ذكر النهار لسبقه في الخلق
اي لتقدمه على خلق النهار والفلك الذي يجري في البحر
كما ينفع الناس الفلك واحده فلك كالسرد والسدد
ويكون مفردا وجمعا في حركاته في الجمع اعز حركاته في
المفرد واذا كان مفردا اخبر عنه قالوا فلك كان وقيل
اذا اريد به الجمع فهي اسم جمع والذي اذهب اليه انه كقفل
مشترك حركاته في الجمع حركاته في المفرد ولا يقدر بغيرها
واذا كان مفردا كان مذكرا وقيل قد يكون مؤنثا
واتقنها تسخير الله اياها حتى تجري على وجه الماء ووقوفها
فوق الماء مع ثقلها ولو ميت حصاة لغرقت ومن ذلك
اي تسخيرها يلوح لها القاصد والناظر في بما للسفن
وما يوصونه ونفعهم بما يأتي بسببهم من المتجر
والصنايع والنقل من بلد الى بلد والرواح والغدو
المنافع منا اعم واشمل وان كانت قد تجري بما يضر
لانه في معرض الامتنان * وما انزل الله من السماء
ماء اي مطرا اي من جهة السماء ومن ماء بدل اشتمال
* فاحيا عطف على صلة ما بالفاء التعقيبية لتعقب
وسرعة النبات وكنى بالاحياء عن ظهور ما اودع فيها من
النبات وما لولاه لم يخرج شيء من ذلك فيها وعدم ظهوره *
وبث فيها معطوف على فاحيا من الصلة اي نشر
وفرق والرابطة به اي في وبث به اي في الماء وحذف
لدلالة قوله به في قوله في جناته الارض لان الدواب
يموتون بالجدب ويعيشون بالخصب والحياة بالماء او قدر مضاف
موصوف محذوف لتمام المعنى معطوف على قوله وما انزل
الله اي وما بث فيها وكلا هذين التحريجين مسموع من
كلام العرب فان لم تفسره نحو الخريف وآية الليل
اختلاف سائلها وضمائرها وانتقالها ومنافعها ومضارها
وما اودع في كل شكل شكل من الاسرار العجيبة وتصريف
الرياح هبوبها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا حارة وباردة
عاصفة وذات لواقح وخوارق وقرئ بالجمع والافراد
والياء منقلبة عن واو لكسرة ما قبلها والسحاب الغيم

بين السماء

٦٤
بين السماء والارض السحاب اسم جنس واحدة سحابة
وقد ذكر السحاب ولم يذكر وصفه بالمسخر ويجوز تانيثه
وقد يوصف بالجمع رعيا لافراده اذ هو اسم جنس كقوله
ح حتى اذا اقلت سحابا ثقالا وتذكيره بعده من مكان اي
مكان وتنوينه في السماء والارض بلا اضافة وانتصب
بين بالمسخر لان اي لقوم يعقلون اي لكونه لقوم يعقلون
اي يتدبرون في صنع الله عز وجل لان تدبر لا يتفكر في
هذه الايات الا الخ لان هذه الايات منها ما مدرك
بالبصر كالسموات والارض ومدرك ما لبصيرة
وهو ما وراء ذلك وفي رواية وما لا يكون لبصر ولكن
وقد فيه ايات لقوم يعقلون ولم يقل تبصرون ح
تغليبا لحكم العقل اذ منها ما لا يشاهد الا بالبصر راجع بالعقل
بسببه الى الله سبحانه وتعالى ومن الناس من يتخذ من دون
الله اندادا لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة ذكر من لم يوفق
فاتخذ الانداد المعظمة يقاس في ما بين العقلاء على غيرهم
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا اربابا واصناما
يحبونهم اي يعظمونهم وعلت العقلاء فلذلك جاء بضمير ٨
كحب الله اي كحبهم اي كتعظيم الله مقدرة
قال الزمخشري رضي الله عنه كما يحب الله على انه مصدر
مبني للمفعول وفي ذلك خلاف والاصح المنع وقرئ يحبونهم
من حب يحب ومحبة على فعل شاذ والذين امنوا
اشد حبا لله منهم اي من المتخذين الانداد من دون الله عز
وجل لانهم على ارتكاب المعاصي واكثر اخلالا لما امر ونهى ولو
ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب قرئ ترى بالتاء
خطابا للسامع وبالياء رد اعلى من يرى مضمرا اي السامع
والمعنى لو علموا الذين ظلموا وبين الفاعل الذين ظلموا والمفعول
محذوف اي ما حل بهم وفي قراءة التاء لا ستعظمت
ما حل بهم وقرئ ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب
بفتح الهمزتين وفيهما وجهان التعليل وقرئ ترون بفتح التاء وضمها والذين
ظلموا هم متخذو الانداد او عام والاندراج فيه وقرئ
في ولو ترى بصرية كما في قوله ولقد اذهلت اذ هي ظرف
ماض بقرينة الامر وتضمنها لوقوعه كما وقع
الماضي مكان المستقبل في قوله ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار وجيء حال من الهمزة المستكن في الجار
والمجرور والعامل فيها هو العامل في الضمير وتقديره اذ

اذ تبرأ بدل من اذ يرون العذاب والذين اتبعوا وهم
رؤساؤهم وقرئ اتبعوا الاول مبنيا للفاعل للمفعول
والثاني للفاعل وقرئ بالعكس فيهما وتبرؤ المتبوعين
بالقول انهم لم يضلوا بانفسهم كقولهم تبرأنا اليك
وتبرؤ المتبوعين انفصالهم عن متبوعهم والندم على عبادتهم
ورأوا العذاب معطوف على تبرأوا او الحالوا وهنا
للحال ويسمى الكلام المسجوع ترصيعا وهو في هاتين
الجملتين وقال الذين اتبعوا تمنوا الرجوع الى الدنيا
حتى يطيعوا الله عز وجل ويتبرأون منهم في الآخرة اذا
حشروا جميعا مثل تبرؤهم ما تبرأ المتبوعون منهم
اي من التابعين او لاولوهي التي لما كان سيقع لوقوع غيره
اشربت معنى التمني وجاء النصب بعد الفاء باضمار
ان فقيل اذا استعملت للتمني فجوابها هو الفعل المقرون
بالفاء المنصوب وقد جاء في كلامهم التصريح بجواب لو المشربة
معنى التمني مصرحا به بعد الفعل المنصوب بعد الفاء
ويظهر لي ان فتبرأ المقدر نصبه بان مضمرة
هو معطوف على كرة اي لو ان لنا كرة فتبرأ منهم
لخلصنا وسلمنا من عذاب الله عز وجل كذلك اي مثل
اراءتهم تلك الاهوال يريهم الله اعمالهم السيئة حسرات
عليهم وما هم بخارجين من النار فيه دلالة على دخولهم
النار وهذا في الكفار وليس فيه دلالة على ان من
دخل النار من عصاة المؤمنين لا يخرج منها لان الضمير
في هم عائد على الكفار وانتصب حالا على انه حال من
الضمير المستقر في الصلة ووصف بالطيب وقال
ابن عطية رضي الله عنه ويصح ان يكون حالا من الضمير
في كلوا تقديره مستطيبين وهذا فاسد في اللفظ والمعنى
فلان طيبا اسم فاعل وليس هو بمطابق للضمير لان
الضمير جمع وطيب مفرد وليس طيب بمصدر فيقال لا تلزم
المطابقة واما المعنى فلان طيبا مغاير لمعنى مستطيبين
لان الطيب من صفات المأكول والمستطيب من صفات
الآكل تقول طاب لزيد الطعام ولا تقول طاب زيد
الطعام في معنى استطابه والاصل في الطيب المستلذ
ووصف به الحلال وكذا وصف به الطاهر ايضا على
جهة التشبيه لان النجس تكرهه النفس والحرام لا يستلذ
لان الشرع منع منه والثابت في اللغة ان الطيب هو الطاهر

حالان

من الدنس

من الدين وان تتبعوا خطوات الشيطان كناية عن ترك
ان فداه من سن من المعاصي وقرئ خطوات بسكون
الطاء وضمها والخطوة المكان الذي يخطو اليه وبفتح
الخاء والطاء والخطوة المرة الواحدة من الخطو وقرئ
خطوات بالهمز مع ضم الخاء والطاء والهمزة وجوهم
خطاه من الخطأ ان كان سهوا والا فكون ذلك فقد را
انه لكم عدو مبين اي بين العداوة وانما يتبين بسبب
هذا التحذير انما يأمركم بالسوء اي بما يسوءكم
واعوانه وما يلقيه على ألسنة الكهنة بالسوء اي بما يسوء
في العقبى والفحشاء بما يعظم قبحه وفحشه وشنعت
فيه الشريعة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اي من
تحريم ما لم يحرم وذلك نحو البحيرة ونحو قولهم
هذا حلال وهذا حرام من غير استناد الى علم قيل وظاهر
هذا التحريم القول في دين الله عز وجل بما لا يعلمه القائل
والضمير في لهم عائد على من لا يصف بقوله بل نتبع
من كفار العرب ما ألفينا عليه آباءنا وكذا ستحذي الايداد
واليهود وبل نتبع عطف على جملة محذوفة تقديرها
لا نتبع ما تدعونا اليه بل نتبع ما ألفينا اي وجدنا
عليه آباءنا اذي مما يخالف ما نطلبون منا وفيه دليل
على ابطال التقليد والذين وجدوا عليه آباءهم لما ان الله تعالى قد
ذم في ذلك بآبائهم وكانوا مع
ذلك رؤساء الضلالة اذ قد يلزم فيه للذام عليهم
التوبيخ والسخرية ولو في مثل هذا التركيب الذي اوجب
شبهها على ان ما بعدها غير ما قبلها نحو اعطوا السائل
ولو جاء على فرس اذ يعطى اذا سأل وحتى لانتفاء
الاحوال التي يقع عليها الفعل ويتبين على ان المراد
بذلك وجود التغير في كل حال حتى في هذه الحال التي
لا تناسب الفعل والمعنى انكار اتباعهم آباءهم في كل حال
حتى في الحال التي لا تناسب ان يتبعوا فيها وهي لتسلم العقل
العقل وعدم الهداية ولما انكر فيما مر اتباعهم ما انزل الله
واتبعوا ما ساروا عليه من تقليد آبائهم وكان هذا الشبيه
العجيب اذ صار في رتبة البهيمة او في رتبة داعيها وقد
مثل داعي الذين كفروا لكذا لهم الذي لا تفقه دعاءه الا
تسمع صوته ولا تفهمه كمثل الذي ينعق اي لمثل الداعي
يعنقه على صوته ولا ينتفع من نعيقه سوى غراءة في عناء وندا

وقدر ايضا ومثل الذين كفروا وداعيهم الى الهدى
كمثل الذي ينعق والمنعوت به شبه داعي الكفار ليا
الايمان شبه راعي الغنم والابل في مخاطبة من لا يفهم
ولا يعقل عنه شيئا وشبه الكفار بالغنم في كونهم لا ينتفعون
بما دعوا اليه غير اصوات حذف من الاول ما اثبت
نظيره في الثاني ومن الثاني ما اثبت نظيره في الاول
وتقدم يا ايها الناس وهنا اقبل على المؤمنين بندائهم
واباح لهم اكل ما رزقهم من الطيبات وامرهم بالشكر
على ذلك وكانت وجوه الطيبات كثيرة فاستطردت هنا
الى ذكر ترك المحرمات وقرئ حرم وحرم وحرم والميتة
بالتخفيف والتشديد والظاهر ان المحذوف
هو الاكل اي اكل الميتة لقوله عز وجل كلوا من طيبات
ما رزقناكم والميتة عام خص منه الحوت والجراد وقال
ابن عطية رضي الله عنه الحوت والجراد لم يدخلان قط في هذا
العموم انتهى فان عنى لم يدخل في دلالة اللفظ فلا
نسلم له ذلك وان عنى لم يدخل في الارادة فهو كما قال
لان التخصيص يدل على انه لم يرد به الدخول في اللفظ
العام الذي خص به وقال الزمخشري رضي الله عنه فان
قلت ان في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قلت
قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة
الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق
الوهم الى السمك ولا الى الجراد كما لو قيل فلان اكل دما فانه
لم يسبق الى الكبد والطحال ولا عسار العادة والتعارف
قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما
في الحقيقة قال الله عز وجل لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه
بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه
الله تعالى دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين
كفروا انتهى كلامه وملخص ما يقوله ان السمك والجراد
لم يندرجان في عموم الميتة من حيث الدلالة وليس كما قال
وكيف يكون ذلك وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال احلت لنا ميتتان ودمان فلو لم يندرج
في الدلالة لما احتيج الى تقرير شرعي في حله اذ كان
يبقى مدلولا على حله بقوله كلوا مما في الارض وقوله
ايضا كلوا من طيبات ما رزقناكم وليس من شرط العموم
ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة كما قال الزمخشري

رضي الله عنه

رضي الله عنه لو لم يكن لذلك المخاطب شعور البتة ولا
علم ببعض افراد العام وعلق الحكم على العام لاندرج
فيه ذلك الفرد الذي لا شعور للمخاطب به مثال ذلك
ما جاء في الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذي
ناب من السباع فهذا علق الحكم فيه بكل ذي ناب
والمخاطب الذي لم العرب لم علم لهم ببعض افراد
ذي الناب وذلك الفرد مندرج في العموم يقضي عليه
بالنهي كما في بلاد فاملاد الا قد ليس حيوان مفترس يسمى بالدب
وبالثعلب وفي جواز اكل السمك الطافي واحد الذين
قالا نعم بسنة خلاف والدم عام فلا فائدة لكان مستثنى
فلا خلاف في نجاسته وتحريمه وفي دم السمك المزايل
له خلاف ويجوز اكل الدم المتخلف بالعروق او في
وهو الذي يلون بداخلها واللحم الشامل لما خرج منه
والكبد والطحال ولحم الخنزير ظاهر وان المحرم منه
موكله فقط وبه قال داود وقال سائر العلماء لحمه
وسائر اجزائه حرام وفي جواز اكل الخنزير البحري
خلاف وقال ابن عمر رضي الله عنه فان قلت فما الدليل
على تحريم لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم
بدليل قولهم لحم سمين يريدون به شحم سمين وقولهم هذا
ليس بدليل على ان الشحم ليس بمقصود بالحل في اللحم اذ في
ذكر اللحم لان وصف الشيء بالشيء يأبى رجوعه الى شيء آخر
لا يدل على انه مندرج تحت مدلول ذلك الشيء الا ترى
انك تقول مثلا رجل لابن ورجل عالم لا تريد
بذلك على ان البدن والعلم داخل في ذكر الرجل ولا ان ذكر
الرجل مجردا عن هذين الوصفين مما يدل عليهما وقال ابن
عطية رضي الله تعالى عنه وخص ذكر اللحم من الخنزير لتدل
على تحريم عينه سواء ذكي او لم يذكي ولعم الشحوم
وما هناك من العظام ونحو ذلك واللحم وما ناسك
من عظم وغيره اسم يخصه اذا اطلق دون الاسم لم يدخل
فيه الآخر ولا يدل عليه لكن ابعد ولا تضمن فاء فذا
يخصصه بالذكر يدل على تخصيصه بالحكم ان كان يدل
المجموع يدل بلفظه يدل على المجموع وقوله اجمعت الامة
على تحريم شحمه سيتم ذكره ان شاء الله تعالى وداود عليه الصلاة والسلام
لا يحرم الا ما ذكره الله سبحانه وتعالى وهو اللحم دون الشحم
الا ان يذهب ابن عطية الى ما يذكر عن ابي العالية عبد الملك

هذا ما

الخويي

بان مكان بخلاف داود فقلنا اقاويلهم في كتبهم كما نقلوا
اقاويل الائمة الاربعة ابي حنيفة ومالك والشافعي
والامام الشافعي والامام احمد بن حنبل وذا ان بمذهبه
وقوله فاس وبلاد فصاة وملوك الازمان الطويلة
ولكنه في عصرنا هذا اضمحل هذا المذهب كغيره من
المذاهب انتهى والله اعلم • وما اهل به لغير الله اي رفع
الصوت اي ذبح لغير الله من الاصنام والطواغيت ونحوها
غير الله وبقصد به التقرب اي والتعاظم ومن اضطر
مخمصة غير متجانف اي غير مائل على المسلمين ولا عاد عليهم
كقطاع الطريق والخارج على السلطان والمسافر في قطيعة
الرحم ولا اثم عليه في تناول شيء من هذه المحرمات ولا يرتفع
الاثم الا اذا كان المضطر غير باغ ولا عاد وجاء في الآية
الاخرى غير متجانف لاثم فقيد به مطلق قوله الا ما اضطررتم
اليه وحرمي وعشرون ضم اضطر وضمها وكسر الطاء
وبادغام الضاد في الطاء • ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي التوراة ومنها نعت محمد
صلى الله عليه وسلم وبعثه وكانوا يرجون ان يكون منهم فلما
بعث من غيرهم وهم العرب لانه من قريش فغيرت
اليهود صفته عليه الصلاة والسلام وشروا به اي باكتمانه
من سفلتهم • مما قلت لاولي الهدايا التي كانوا ياخذونها
على الحكم اذ كان ملوكهم لما تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سألوهم هذا الذي بشر به التوراة فقالوا لسنا هذا بل انتظر
المنتظر • اولئك اي الذين يكتمون ما انكم والاشارة المتقدم
ذكرها في الآية المتقدمة ما يأكلون في بطونهم الا النار كناية
عن تحمل اثامهم الموديه الى النار في الآخرة وكانوا اهل
النار او ياكلون النار في الآخرة اي كقوله تعالى في آكل مال
اليتيم انما ياكلون في بطونهم نارا وفي بطونهم نزع المجاز في
ياكلون ولا كلامهم الله ظاهر في نفي تكليمه سبحانه وتعالى
اياهم وفيه دلالة على عصمة نبينا عليه السلام لان اليهود كلمت فاخبر المتكلم
ان لا يكلمهم كلاما فيه خير البتة فلما سبق عليهم كقوله عز
وجل حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وعذبناهم ذلك • ولا يزكيهم اي لا يقبل
اعمالهم فتزكى عليهم • ولهم عذاب اليم اي مؤلم شديد قال
الله عز وجل وزدناهم عذابا فوق العذاب • اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار
تعجب من كثرة صبرهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره

واسمع بهم

واسمعهم وابصرهم اى يا ما في حال عذاب يقولون منكرا ما آ
وفيما استخبث وافحر خلاف مذكور في كتبهم و
اشارة الى ان وعيد الشاق من اهل النار واشد التعذيب هو
مستدا خبره ما ان الله حاصل ما يعتدم بان الله نزل
الكتاب بالحق فلم يؤمنوا وكتموا وحرفوا وبدلوا قلنا
اقام السمت وليوتين الكتاب بالحق مقام المسبب
عنده هو الكتمان والاشتراء كما قيل ذلك بان الله نزل
وقالت بالكتمان في الاشتراء وان الذين اختلفوا في
الكتاب وهم اليهود امنوا ببعض التوراة وكفروا ببعضها
او الكتاب القرآن والذين اختلفوا هم مشركوا العرب
من قولهم هذا سحر وهذا اساطير الاولين افتراه وكذبا
على الله وعلى رسوله المرسل اليه وتكذيبا بكتابه المنزل
عنده في شقاق بعيد وشقاق بينهم وتباغض وتعادي عن الحق والصواب
وقد كانت اليهود تصلي الى المغرب والنصارى تصلي الى
المشرق فنزل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب فقيل ظرف زمان تقول زيد قبلك اي
في المكان الذي يقابلك فيه ولما تقدم ذكرهم بافحش الذكر
وما يدل على انهم في الآخرة ولم يبق لهم ما متمسا يتعلقون
به الا اصلالهم وزعمهم ان ذلك هو البر نفى عنهم ذلك
واثبت ما يكون به البر وهي الاوصاف التي ذكرها وقرئ
البر بالنصب على انه خبر ليس بالرفع على انه اسمها وان
تولوا الخبر والبر الاسم اي بان تولوا تم جامع لانواع الخير ولكن
البر من امن بالله فهو على حذف مضاف من الاول اليه
ولكن ذو البر من امن وقرئ بتشديد لكن
ونصب البر بالتخفيف والرفع والبر ليس نفس من
امن فهو على حذف من الاول اي ولكن ذو البر او من
الثاني اي بر من امن او جعل البر نفس من امن مبالغة
بالحق السور الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وهذه
ان كان الايمان كما جاء في الحديث ان تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر فالمهود اخلوا بالايمان بالله تعالى
لتشبيههم وقولهم عزير ابن الله والنصارى
بقولهم المسيح ابن الله والنصارى انكروا المعاد الجسماني
واليهود قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة وعادوا
جبريل عليه الصلاة والسلام والنصارى عدو اليهود انكروا
القرآن وانكروا نبوة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وايتي

ضربهم
لكن

لعنة

وهي طائفة تسمى
بالجثليقية

المال

والهمزة لجعل الغالم واحرصهم بالقتل السنة لاخذ الكال
اله من الحجة على جده اي على صاحب المولى المال وهذا
من اعظم المدح ان يجعل نفسه في قيد لطاعة
لله عز وجل ذي العتق بدأ هنا بالاتم لانها صدقة
وصلة ثم بالتمام اذ لس لهم من يقوم باود هم
وفي الحديث اطاك كاكل الدسم كما في الجنة ثم اتى
بعد ذلك فقال بالسكين لان الحاجة قد تشتد هم ثم
باين السبيل لانه منقطع به عن اهله ثم بالسائلين لان
حاجتهم دون حاجة من تقدم لانه قد عرض نفسه للسوال
وفي الرقاب وهم الذين يعانون فكل وقابهم من كاتب
واسير والموفون بعهدهم معطوف على من امن او على الضمير
اي وهم الموفون والعامل فيه اذ الموصول اي لا يتاخر
ايفاؤهم بالعهد عن وقت وقوعه وقرئ والموفين نائبا
بالياء نصبا على المدح والصابرين في الباساء والضراء
رفعا ونصبا والباساء الشدة كالفقر والقتال والضراء
من نعاته وغيرها وحين الباس في شدة القتال واضطرام
الحرب وذلك اشارة الى الذين جمعوا هذه الاوصاف الذين
صدقوا في اقوالهم واحوالهم كانوا قوما من العرب اقوياء اعزاء
لا يقتلون بالعبد منهم الا السيد ولا بالمرأة الا رجلا
وكان في بني احدهما فضل على الآخر فاقتتلوا حتى
وحلف قوله تعالى الذين امنوا كتب عليكم القصاص في
القتلى واصل الكتابة الخط وكتبه عن الاحكام
وفي في القتلى بمعنى الباء كما في قوله صلى الله عليه
وسلم دخلت امرأة النار في هرة ربطتها وذلك القصاص
هو سبب للقتل وستة تاتي كما تقدم في الحديث والقتلى
جمع قتيل كالجرحى والعقد بالعبد وان في شيء الا في الاقد
ظاهر هذا التفصيل اعتبارا لما قابله بالحرية والعبودية
والانوثة وظاهر عموم الحر ان الولد لو قتل والده
قتل به وهو قول عثمان البتي رضي الله عنه وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه اذا اضجعه وذبحه قتل به وقد اجمعوا على قتل
الحر بالمرأة والمرأة بالرجل وظاهر الاية وقال مجاهد رضي الله
عنه وابن ظاهر من الاية الكريمة مشروعية القصاص في
القتل باي شيء حصل سواء كان القتل من شيء من اجزاء شيء
او منافع بالمعروف وادائه باحسان الواجب من ظاهر الاية
اما القصاص واما الدية ومن عفي له هو القاتل والضمير

في الاية من اجزاء

قوله من اخيه شامل عليه وعلى لا يتعدى لكن ضمن معنى ما قد
يتعدى اى فمن ترك له شيء من اخيه اى من دمه واخيه
عن ولى الدم او اثبت عفى على اصل صنعه وعبارة عن
المصدر اى شيء من العفو والعفو لا يتأتى الا من الولى
والمعنى فاذا عفى الولى عن شيء متعلق بالقاتل فليتبع
القاتل ذلك بالمعروف ولا يعنفه ولا يطالبه الا مطالبة
جميلة وادار من القاتل اليه اى الولى باحسان اى
اى لا يمطله ولا يخشنه شيئا وان كان الحق باجنبه المقول
فالضمير فى اليه عائد الى القاتل او الى المعانى او الى
وجدان علة فى قوله عفى لانه يستدعى عافيا والظاهر
انه لا يحتاج لكن يجب ان يقتضى ان عافيا للقاتل شيء لا يكون
الا من قبل الولى فاتى بذلك اى العفو والدية
تخفيف من ربكم ورحمة حيث سلم القاتل من ان
يقتل اذ كان اهل التوراة عندهم مخيرون بين القتل
عندهم بخلاف القصاص وحتم على اهل الانجيل بحتم
العفو لمن اعتدى بعد ذلك اى بعد العفو والدية
فقتل من قتله فله عذاب اليم اى مثل الذى لو قتله
قصاصا وامثل الاخرى لانه تعدى باخذ الدية له
* ولكم فى القصاص الخ اى فى شرع القصاص حياة وذلك انه
اذا علم انه ان قتل قتل كان فى ذلك ارتداع عن القتل
وامساك فكان ذلك حياة له ولمن هم قتله وكانت العرب
اذا قتل رجل رجلا من قبيلة اراد ان يقتص منه فيقتتلون
فيفضى ذلك الى فناء قد كثر من العزيقين فلما شرع القصا
رضوا به وسلموا القاتل للقود اقصاها على الدية
وتركوا القتال فكان لهم فى ذلك حياة وكم قتل منهم
باخيه كليب حتى كاد يفنى تكرار ذلك وكم فى القصاص
حياة ايا اولى الالباب اى الذين يتفعون بعقولهم
وما فيه من المصلحة العامة لعلكم تتقون القصاص
فتكفون عن القتل ولما ذكر القصاص اتبع ذلك بالندب
الى الوصية لتتفقه كل واحد على ما فاجاه الموت دون صية لا
يعرف على ما عرض صيته وما وسيحانه وتعالى قد كتبها على المؤمنين
والخطاب ان على كم للموصين معتدا اما لامكان على تقدير
الحق ان فى حضور الموت ولو حوى الخطاب اذ الكلام على خطابهم
كان التركيب اذا حضركم الموت لكن روعى الامور من حيث
العين اذ المعنى كتب على كل واحد منكم ثم اظهر ذلك المضمر

اذ كان يكون اذا حضر الموت فقيل اذا حضر احدكم الموت ان
ترك خيرا اي مالا فالظاهر مطلق المال وان الوصية
تكون واجبة ويجمع للوارث بين الوصية والميراث بحكم الآية
الآتية وقال به قوم وعن ابن عباس وغيره انه تقرر
الحكم بهذا برهة ثم نسخ منها كل من ورث بآية الفرائض وجواب
كل من هذين الشرطين اذا وان محذوف تقديره فليوص
وصية ودل عليه سياق المعنى والقدر الاول اي للاول
اي وهو الآية الاولى بالمعروف وقال بعضهم في معنى ما حده
الشارع صلى الله عليه وسلم من كونه لا يزيد على الثلث وان لا
يوصي لغني دون فقير وقال ابن عطية رضي الله عنه ويتجه
في اعراب هذه الآية ان يكون كتب هو العامل في اذ
والمعنى توجه ايجاب الله تعالى عليكم ومقتضى كتابه اذا
حضر فعبر عن توجه الايجاب بكتب ليستظهر الى هذا
المعنى انه مكتوب في الازل والوصية مفعول ما لم يسم فاعله
بكتب وجواب الشرطين محذوف ويقدران ايضا
في محل الرفع كما في اذا وان مقدر يدل عليه ما تقدم
من قوله كتب عليكم كما تقول اني قد شكرت فعلك ان
جئتني اي اذا كان كذلك اي كذا وكذا انتهى كلامه
وفيه تناقض كثير لانه قال العامل في اذا كتب واذا كان
العامل فيها كتب تمحضت المعرفة هنا للظرفية فيهما ولم
تكن شرطا ثم قال وجواب الشرطين اذا وان مقدر
يدل عليه ما تقدم من قوله كتب عليكم وفيه تناقض
لانه قال العامل فيها ما قبلها الا على مذهب من يجيز
تقديم جواب الشرط عليه ويفرع على ان الجواب هو العامل
في اذا ولا يجوز تأويل ابن عطية على هذا المذهب لانه
قال وجواب الشرطين اذا وان مقدر يدل عليه ما تقدم
وما كان مقدرا يدل عليه ما تقدم مستحيل ان يستحيل
ان يكون هو الملفوظ به المتقدم وهذا الاعراب هو على ما قد
يقتضيه الظاهر من ان الوصية مفعول لم يسم فاعله مرفوع
بكتب واجاز بعض المعربين ان ترفع الوصية على الابتداء
على تقدير الفاء والخبر اما محذوف اي فعليه الوصية
واما منطوق به وهو قوله للوالدين والاقربين اي فالوصية
للوالدين فتكون هذه الجملة الابتدائية جوابا لما تقدم
والمفعول الذي لم يسم فاعله بكتب مضمرا اي الايصاء
يفسره ما بعده قال ابن عطية رضي الله عنه في هذا الوجه وقد

يكون هذا

٦٩

وقد يكون هذا الايصاء المقدر الذي يدل عليه ذكر الوصية
بعد هو العامل في اذا وترتفع الوصية بالابتداء
وفيه جواب الشرطين على نحو ما انشد سيبويه رضي الله عنه
من يفعل الصالحات الله يحفظه
ويكون رفعها بالابتداء بتقدير فعليه الوصية او
بتقدير الفاء فقط كانه قال فالوصية للوالدين انتهى
كلامه وفيه ان اذا معمولة للايصاء المقدر ثم قال
ان الوصية فيه جواب الشرطين وقد تقدم ابداء تناقض
ذلك لان اذا من حيث معموله للايصاء لا يكون شرطا
ومن حيث ان الوصية فيه جواب اذا تكون شرطا فتناقضا
لان الشيء الواحد لا يكون شرطا غير شرط في حالة واحدة
ولا يجوز ان يكون الايصاء المقدر عاملا في اذا لان ذلك
هو المعمول الاول فيهما ايضا لانك اما ان تقدر هذا
العامل في اذا لفظة الايصاء حذف لان المفعول الذي لم
يسم فاعله لا يجوز حذفه وابن عطية قدر لفظ الايصاء
ولا جائز ان تقدره ضمير الايصاء لانه لو صرح بضمير
المصدر لم يجز له ان يعمل لان المصدر من شرط عمله عند
البصريين ان يكون مظهرا واذا كان لا يجوز اعمال لفظه
مضمرا المصدر فمنويه احرى ان لا يعمل واما قوله وفيه
جواب الشرطين فليس بصحيح فانا قد قررنا ان كل شرط
يقتضي جوابا على حدته والشيء الواحد لا يكون جوابا لشرطين
واما قوله على نحو ما انشد سيبويه رضي الله عنه
من يفعل الصالحات الله يحفظه
فهو تحريف على سيبويه وانما انشده سيبويه في كتابه
من يفعل الحسنات الله يشكره
والشر بالشر عند الله مثلان واما قوله فعليه
الوصية او بتقدير الفاء فقط كانه قال فالوصية للوالدين
فكلام من لم يتضح كلام سيبويه فان سيبويه رضي الله عنه نص
على ان مثل هذا لا يكون الا في ضرورة الشعر فينبغي ان ينزه
كتاب الله عز وجل عنه قال سيبويه رضي الله تعالى عنه وسالته
يعني الخليل رضي الله عنه عن قوله ان تاتني انا كريم
قال لا يكون هذا الا ان يضطر الشاعر من قبل ان كريم
يكون كلاما مبتدا والفاء فاذا لا يكونان الا معلقين
بما قبلهما فكرهوا ان يكون هذا جوابا حيث لم يشبه الفاء
وقال الشاعر مضطرا وانشد البيت السابق من يفعل الحسنات

اي فالله يحفظه

قض

٢

طين

الله يشكره

وذكر عن الاخفش رضي الله عنه ان ذلك على اضمار العائد ولم يحتج
بعضهم بقوله ان ذلك لا يكون الا في الاضطرار واحتج
بعضهم ان تقام مقام المفعول الذي لم يسم فاعله المار
والمجرور الذي هو عليكم وهو قول لا باس به فاما ما تقرر
فتقول انه سمعه ونقلته اخباره كنت على احدهم اذا
حضره الموت ان ترك خيرا يتشوف السامع لذكر المكتوب
ما هو فتكون الوصية مبتدأ وخبرا لمستند على هذا اه
على احدنا اذا حضره الموت وترك خيرا فتقل الوصية
للوالدين والاقربين هي المكتوبة او المكتوب الوصية
للوالدين والاقربين وتظيره ضرب بسوط فوك الجملة
زيد الظرف او المصدر فقد زيد فيكون قد اجرى
لسوال مقدر كانه قيل من المطروق فقيل هو قد
الوجه احسن وافاد كلفا من الوجه الذي قبله وعلى
يكون المعنى الذي لم يسم فاعله الاصطاد وظهر الانصاف
ويجوز ان يكون على حذف مضاف مقدر اي كتب علي احدكم
ثم ابرزه في قوله اذا حضر احدكم دالا عليه المحذوف
والمعنى كتب على احدكم اذا حضره الموت فتكون الوصية
مكتوبة على ذلك الاحد لا على الذين اعتدوا ويجوز ان يكون
ثم معطوف بمحذوف تقديره اذا حضر احدكم الموت
وترك خيرا وصى وتكون الوصية معمولة لكتب على
حذف مضاف تقديره كتب عليكم انفاذ الوصية هو حق
على المتقين قيد وفي كتب دلالة على الوجوب وانتصاب حقا
على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة كما قاله الزمخشري رضي
الله عنه وشبهه بقعدك ان عطية رضي الله عنه وكون على
متعلقا به او في موضع الصفة فخرجه عن التوكيد والاول
عندي ان يكون مصدرا على غير الصدر لان معنى كتب اي
وجب وحق من بدل اي الايصاء بعد ما سمعه كقوله
بالسماع عن العلم لانه طريق لحصوله وتبديله تغييره
الخطاب ووضعه غير مواضعه وتسميته وفصوله الى مسمعه
وانما اثمه اي اثم تبديله على الذين يبدلونه او اثم الخطا لكونه معلوما
للحكم والي بالجمع على معنى على الاعم والوعيد يتعلق على الذين
يبدلونه على العلة الحاصلة بالعدل ان الله سميع لقول
الموصي عليم بفعل الموصي وفيه تهديد شديد ووعيد
لمن خاف اي حتى من موص جنفا اي قطعا الميل اثما من زيادة

واذا لم يتحد

٧٠

تعهد ذلك او امكنه ذلك فاصلح بينهم اى بين
وارثه بردّه عن ذلك او بين الورثة والموصى لهم لانه امر على
على الساعي في الاصلاح ولما كان الصلاح يحتاج الى الاكثار
من القول وقد يتجلله بعض ما لا يسعني من قولا ونعد
بين ان ذلك لا اثم فيه اذا كان لقصد الاصلاح وولت
الاثم على جواز الصلح بين المتنازعين اذا كان من يريد الصلح
عالما لانه فصل تلك المنازعة الى امر محمود وفي الخبر
ان الله عفور للموصي اذا وافق على الاصلاح رحيم به او بين
الورثة والموصى له يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام
ان كان قد سبق التعهد به فان لم يتعهد والا فلا يكون
هذا للتحريض كما اذا كتبا كما فهو نعت لمصدر محذوف
او في موضع الحال على مذهب سيبويه رضي الله عنه والتشبيه
في مطلق الكتب وان كان المتعلق بهما بالعدد او غيره
وما مصدرية كتب على الذين من قبلكم وهم الانبياء
واممهم لعلكم تتقون طامن التعلق بكتب والمعنى
ان فيه روح النفس عن الشهوات فيحصل التقوى
اياما معدودات اى ذوي عدد اياما يحصرها العدد
اى بلى قلائل وانتصاب اياما بالصيام كما قال الزمخشري
رضي الله عنه وبمثله افتاه بقولك قد ولدت الخروج يوم
الجمعة خطا واضح لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقد
فصل بينهما باجنبي هو قوله كما كتب فكما كتب ليس هو
بمعمول للصيام وانما هو معمول لفعل اى تعبدكم
قدرته من كونه نعتا لمصدر محذوف او في موضع الحال
فلو فرعت على انه صفة للصيام على تقدير ان تعريف
الصيام تعريف جنس فيوصف بالنكرة لم يجز ايضا لان
المصدر اذا وصف قبل ذكر معموله لم يجز اعماله فان قلت
الكاف نعتا لمصدر من الصيام كما قد قال به بعضهم
وضعفتماه قلت هكون التقدير صوما مثل ما كتب هان
ان يعمل في ايام الصيام لانه اذ ذاك العامل في حيز
من المصدر فلا يقع الفعل بينهما بما ليس بمعمول للمصدر
واجاز ايضا انتصاب اياما على الظرف والعامل فيه
كتب وان يكون مفعولا على التشبيه بالمفعول به والعامل
فيه كتب والى هذا ذهب الحبر رضي الله عنه وبه قال
الجعفي رضي الله تعالى عنه وكلا القولين خطا اما النصب
على الظرف فلانه يحل الفعل والكتابة ليست واقعة في ايام بل هي

لكن متعلقها مواقع في الايام فلو حلف لا يسافر لولد ولد
في يوم الجمعة مثلا فمات ولده في ذلك يوم الجمعة لم يمكن ان يكون يوم الجمعة
معمولا لسافر لان السرور يستحيل ان يكون يوم الجمعة اذ ليس
بمحل للسرور الذي لسنده الى نفسه واما النصب على المفعول
اتساعا فان ذلك مبني على جواز وقوعه ظرفا لملكت وقد مناك
ان ذلك خطأ نعم من كان منكم مريضا ظاهره مطلق المرض يحيث
يصدق عليه الاسم وبه قال ابن سيرين رضي الله عنه وذكره ايضا
البخاري وعطاء رضي الله عنهما والمعظم الفقها مقتضاه
مضطربة لا دليل عليها بخاري والسنة • اي على عسر ظاهر اعتبار
مطلق المرض ما نا وقصدا او لا يكون الا بعد الخروج للسفر
لا الموصل السفر فعدة من ايام اخر هو المجمور على ان في الكلام هنا
محذوفا تقديره فافطر فعدة من ايام اخر اذ والى واجب عليه
والظاهر ان لا حذف وان مرض المرض والمسافر لو افطرا فعدة
وانه لو صام لم يجزه فيجب عليه القضاء وروي ذلك عن قوم
من الصحابة عن الله تعالى عنهم اجمعين وعن طائفة من اهل الظاهر
وقرئ فعدة بالرفع اذ والى واجب عدة والتقدير فعليه عدة
عليك او العدة مما معنى العدد ومعلوم انها عدة الايام التي قد
فاتته وآخر صفة لايام وهي جمع اخرى واخر مقابلة
اخرين لا جمع اخرى مقابلة الاخر المقابل للاول وظاهر الاية
يقتضي عدم وجوب قضاء فوت شهر وكان تاما او ناقصا
قضاه كما فاته وانه لا يتعين التتابع وانه لو اخر حتى دخل
رمضان اخر لا يجب عليه الا قضاء ما فاته وقرئ يطيقونه
مضارع اطاق وقد يقولون مضارع اطوق وهذا قول شاذ
كما علمت به الاستاذ واطوقت وقد يطوقونه مضارع طوق مبنيا
للمفعول ويطوقونه مضارع اطوق وقرئ يطيقونه مضارع •
تطيق على وزن تفتعل من الطوق كقولهم تدثر واجتمعت هنا
تاء وواو وسبقت احداهما بالسكون فابدلتا واوا وادغمت
فيها الياء فقيل تطيق وعداه كلهان اجعة الى معنى واحد
وهو الاستطاعة والقدرة وعلى تشديد الواو والياء تكون •
بمعنى ان كلفت اي تتكلفونه او يكلفونه والضمير في تطيقونه
عائد على الصوم فقيل كان الصوم مخيرا فيه للمقيم الحاضر ثم نسخ
بقوله سبحانه وتعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقرئ فدية
منونا طعام مرفوعا بدلا من فدية مسكين ولا يفهم ذلك من الجمع
ومن محذوف تقديره يطيقونه الصوم ويفطرون • فمن تطوع
• خيرا في الطعام للمسكين او في عدد من يلزمه اطعامه ومن في قراءة

قراءة

من جعله

من جعله ما صدقا كمثل الموصولة ويحتمل ان تكون مصدرية
وفي ان تطوع مخصوصا ان تكون مضمنا معنى شرطية
وان تتعلق خيرا على اسقاط الخافض اي بخير
او صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا فهو عائد
على المصدر المفهوم من تطوع اذ في التطوع ◆ وان تصوموا
ايها المطيقون خير لكم من الفطر وفدية ان
كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز الشهر
مصدر شهر الشيء اظهره وسمي الشهر شهرا لما بينه
الى ان يكون مبدأ الهلال فيها الى ان يستسر ثم يطلع ثانيا
ورمضان علم ممنوع الصرف وجمع بالالف والتاء وعلى
ان مضته وعلقته هذا الاسم من مدة كان فيها في ارض
وهو شدة الحر وقد يسمى شهر بالرفع خبر الموصول ويكون
ذكر هذه الجملة تقدمت لمرضية صومه بذكر فضيلته ايضا
والتنبيه على ان هذا الشهر هو الذي انزل فيه القرآن
هو الذي يتعين عليكم صومه هذا ان كان قوله اياما معدودات
لا يراد بها ايام رمضان واذا ان يدفعه فكان رفعه على
تقدير مبتدأ اي تلك الايام شهر رمضان وقرئ شهر
بالنصب اي صوموا شهر رمضان وجوز الزمخشري
رضي الله عنه ان يكون معمولا بقوله وان تصوموا له
وهذا لا يجوز لان قوله وان تصوموا صلة لان وقد
فصلت بين صلة المصدر وبينها بالخبر الذي هو خير
لان تصوموا ولقلت ان ضرب زيد شديدا او زيدا
شديد اي ضرب زيد شديدا او ضرب زيد شديد
جاز ولو قلت ان ضرب شديد زيدا لم يجز واحد
قرئ شهر رمضان وقال ابن عطية رضي الله عنه لا يقتضيه
الاصول وعلل ذلك وتبعه بالاصوليين امن البصريين
ولم تقصر لغة العرب على ما نقله اخر البصريين والاعلم
بما احتاروه بل اذا صح النقل وجب المصير اليه والعمل
في قيد للقرآن اي بدئ بانزاله فيه وذلك في الرابع
والعشرين منه وقرئ القرآن بفتح الهمزة لما الشرا
وحذفها محذوف منكر اه وتقدم حال لان من
دال في الهدى والفرقان للعموم فتكون هدى وبينا
بعضا منهما وقال ابن عطية رضي الله عنه اللام في الهدى
للعهد والمراد الاول اعني كلامه يعني انه اتى به منكرا
اي ثم ان الرسول عرفه اياه بذلك على انه الاول كقوله عز وجل

كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه
اخذا وبيلا الى شديدا فمعلوم ان الرسول الذى عصاه
فرعون هو الرسول الذى ارسل اليه وبين ذلك هو لم لقيت
رجلا فضربت الرجل فالمضروب هو الملقى ويعتبر
ذلك بحيث صح انك لو مكان هذا الثانى فيصح المعنى
لانه لو اتى بعصاه فرعون ان لقيت رجلا تضربه كان
كلاما صحيحا ولا يساوى هذا الذى قاله ابن عطية رضى
الله عنه لانه ذكر انه اراد المعترض ان هدى منصوب على
الحال والحال وصف لذى الحال وعطف عليه قوله
وبينات من الهدى والفرقان ولا يخلو قوله من الهدى
اما ان يريد به الهدى الاول من ان يكون صفة لقوله هدى
او لقوله وبينات من الهدى اى لهما معا ويكون
متعلقا بالتبيينات لا جائز ان يكون صفة لهدى لانه
من حيث هو وصف لزم ان يكون بعضا ومن حيث
هو الاول لزم ان يكون هو اياه وان يكون الواحد لا يكون
بعضا وكلا لما هيته ولا جائز ان يكون صفة لبينات
فقط لان بينات فعطوف على هدى وهدى حال
والمعطوف على الحال حال والحال ان وصف فى ذى
الحال من حيث كونها حالين لهما فذا كان لهما
اى ذوى الحال اى هما وصفا من حيث وصفت بينات
بقوله من الهدى حصتهما به فوقف بعضهم على القرآن
على قوله هدى وبينات معا من حيث جعلت من الله
صفة كبينات فوقف بعضهم بينات على هدى وكلهم
لم ير من ذلك بعضا اذ الشىء بعضه وهو محال ولا جائز
ان يكون صفة لهما لانه يفيد من الى جهتين ان يكون
فى كونه وصفا لهدى فقط او لبينات فقط ولا جائز
ان يتعلق بعظ وبينات لان المتعلق يفيد للمتعلق
به فهو كالوصف فيمتنع من حيث يمتنع الوصف وانما
لو جعلت هنا مكان الهدى ضمير القلت وبينات منه
اى من ذلك الهدى لم يصح فلذلك احرزنا ان يكون الهدى
والفرقان عاما من حيث يكون هدى وبينات بعضا
منها فمن شهد منكم الشهر اى من كان حاضرا مقيما صحيحا
المكلف والشهر ظرف الشهد على الظرف ومفعول شهد
محذوف وفلا يصام المصر او البلد ومكانى موضع الحال اى كائنا
منكم وقال ابو البقاء منكم حال من الفاعل واى متعلقة

بشهد

شهد وقول متناقض وقرئ بكسر الام فليصمه وسكنها
وقوله ابن مالك رضي الله عنه ان فتحها لغة وغراها
ابن السليم وقال رجحاه المزاء رضي الله عنه وقبله ابن
عبدوه بفتح حرف المضارعة بعدها وان ضمت او كسرت
نحو لتكرم وتسدي فالكسر وكون فيها اوليه مريد الله بكم
اليسر اي يطلب عز وجل بالارادة هنا غير الطلب وارد قد
يتعدى بالباء وبنفسه للاحرام وللصيام رواية بشر
عام فيندرج فيه ما تضمنته هذه الآيات من التيسير
وقرئ ما سكان السين في الموضعين وقصرهما ارضا
وتكملوا العدة قرئ بتخفيف الميم وقرئ بتشديد
ايضا ولتكملوا خطاب لمن افطر في مرض او سفر العدة اي
عدة ايام اخر افطرها ثلاثون يوما مثلها واللام لام كي
متعلق بمحذوف متأخر تقديره شرع ذلك في الشهر
بين صومها في رمضان وبين قضائها في غيره ولتكبروا
الله اي تعظموه وتثنوا عليه على ما هداكم اي الى هدايته
اياكم طلبتم منكم النبي في التكاليف ولعلكم تشكرون
شرع ذلك للترخص والتيسير وان قوما قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد
فنناديه فنزل قوله عز وجل واذا سألك عبادي عني
فاني قريب والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجواب اذا
فاني قريب على اضمار فعل اي فقل اني قريب والقرب هنا مجاز
عن سماعه لدعائهم اجيب دعوة الداع اذا دعاني راعى
ضمير المتكلم في اني وهو كثير في كلام العرب من مراعاة
الخبر بمعنى ان رجلا امر بالمعروف فكون ما قام
مقام ياء علم اعادة الحذف اي اني اجيب دعوة الداع اذا دعاني
اي اجيب دعاءه والمراد دعوة هنا استدامة
على الوحدة بل يصدر بعضها فيعلم رحمة والظاهر
عموم الداعي وقد ثبت في الصحيح بصريح العقل وصحيح
النقل ان دعوة الداعين لا تجيبه الله تعالى لما سأل
فهو مقيد بمن شاء الله ان تجيبه فليستجيبوا لي
اي فليجيبوني اذا دعوتهم الى الايمان واستجاب اكثر
تعديته باللام واستفعل بمعنى افعل كاستناروا نار وقلبو
لي ارين لتكملوا على الايمان بي ورشدون بضم السين وكذا
فتحها وكسرها ومبنيا للمفعول ولما ترك صوم رمضان
كانوا لا يقربون النساء في شهر رمضان كله وكان رجال يخونون

فنزلت وقرئ ايضا احل واحل لكم ليلة الصيام ولا يراد
بليلة الواحدة بل يراد بها الجنس والناصب لليلة الرفث
مقدر لا الرفث المذكور لانه مصدر واضيفت الليلة
الى الصيام وذلك بادنى ملابسة اذ الصيام ينوى بالليل
والرفث كناية عن الجماع وعدي بالى لتضمنه معنى الافضا
وهي من الكنايات الحسنة كقوله فلما تغشاها
حملت حملا خفيفا فمرت به وكقوله فاتوا حرثكم انى شئتم
اي كيف شئتم وعلى اي حالة شئتم فهو جمع جمع او جمع امرأة
على غير اللفظ ولما كانا يشتمل كل من الزوجين على صاحبه
في العناق كنى عن ذلك بقوله عز وجل هن لباس لكم وانتم
لباس لهن وهن لباس لكم لظهور احتياج الرجل اليهن
وقلة صبره عنهن فانه البادي بالطلب وهي استعارة
بديعة وافرد اللباس لانه كالمصدر علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم افتعل بمعنى فعل كاقتدر وقدر
وعبر به عما وقعوا فيه من المعصية بالجماع وبان كل
بعد النوم اي تنقصون انفسكم من الخير فتاب عليكم
اي قبل توبتكم وخفف عنكم الرخصة فالان اي
ليلة الصيام باشروهن امر اباحة وهو كناية عن الجماع
مشتق من تلاصق البشرتين وابتغوا ما كتب الله لكم
اي ما اباحه بعد الحظر وهي جملة يؤكد بها ما قبلها
والخيط الظاهر انه الخيط المعهود وكان جماعة من الصحابة
ياكلون ويشربون الى ان يتبين البياض والسواد في الخيط
الى ان نزل قوله تعالى من الفجر فعلموا انه عنى بذلك
الليل والنهار وليس هذا من تاخير البيان الى وقت
الحاجة بل هو من باب النسخ الا ترى ان الصحابة رضي الله
تعالى عنهم قد عملوا بظاهر ما دل عليه اللفظين اي ظاهر
اللفظ فيهما وهو الخيط الابيض والخيط الاسود وصارا
مجازين شبه بالخيط الابيض ما يبدو من الفجر المعترض
بالافق وبالاسود ما يمتد معه من غبش الليل ومن الاولى
لابتداء الغاية ومتعلق بيتبين وجاز تعلقهما بفعل واحد
لما اختلف معناهما ثم اتموا الصيام الى الليل امر بالاتمام
لا بالصوم لانه تقدم وجوبه ولو ظنها غربت فافطر ثم
طلعت لزمه القضاء عند الجمهور لانه لم يتم الصيام الى الليل
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وهذا النهي هنا
نهي تحريم ويبطل الاعتكاف بالجماع والمباشرة هي كناية

عن الجماع

قدم

به

وعفى عنكم اي تجاوز

باب

الجماع والمباشرة والعكوف هو الاقامة يقال عكف بالبيان
اقام به وهو في الشرع عكوف مخصوص مبين في كتب
الفقه وظاهر قوله في المساجد صحة الاعتكاف في
كل مسجد ولا يختص باحد المساجد الثلاثة ولا بالمسجد
الذي يجمع فيه ولا بالمسجد الحرام ولا بمسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلافا لقائلي ذلك وان المسجد ليس شرطا لصحة
الاعتكاف فذكر المسجد لان الاعتكاف لا يكون وقوله هنا
كما في الاصل فذكر المسجد انما هو لان الاعتكاف لا يكون غالبا
الا فيها كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة والايات الصريحة
ودلت الاية على جواز الاعتكاف للرجال واما النساء
فمسكوت عنهن وقرئ في المسجد على الافراد والمراد به الجنس وحد
الشيء منتهاه ومنقطعه وحدود الله سبحانه وتعالى
مقدراته بتقادير مخصوصة وصفات مخصوصة تلك
حدود الله فلا تقربوها نهي عن القربان وهو ابلغ من الالتباس
بها • كذلك يبين الله اياته اي مثل ذلك البيان السابق
في ذكر الصوم وما يتعلق به يبين اياته الدالة على بقية
مشروعاته للناس عام ولا يلزم من تبيينها تبيين الناس لها
• لعلهم يتقون حيث ذكر التقوى فانما يكون عقيب ما فيه
مشقة وقد اختصم رجلان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ارض فحكم الطالب المطلوب في ارضه ولم يخاصمه فترك قوله عز
وجل • ولا تاكلوا اموالكم بينكم اي في معاملاتكم وامانتكم
بالباطل اي بالجهة التي ليست مشروعة وبينكم مقبح بليغ
لما كانوا يتعاطونه من المنكر في ذلك واطلاع بعضهم على
بعض وتدلوا بها هو مجزوم داخل في النهي بها اي بالاموال
نهي عن الاكل والادلاء وتجويز الاخفش واتبعه الزمخشري
رضي الله تعالى عنهما ان يكون منصوبا على جواب النهي لا يصح لانها
مسالة لا تاكل السمك ولا تشرب اللبن ولا يصح هذا
المعنى على تخريجهما لانه يكون نهيا عن الجمع بينهما ولا يستلزم
النهي عن كل واحد منهما على انفراده والنهي عن كل واحد منهما
يستلزم النهي عن الجمع بينهما لان في الجمع بينهما حصول واحد منهما
وكل واحد منهما منهي عنه ضرورة الا ترى ان اكل المال
بالباطل حرام سواء افرد ام جمع مع غيره من المحرمات وايضا
قوله لتاكلوا علة لما قبلها فلو كان النهي عن الجمع لم يصح تلك
العلة لانه مركب من شيئين لا تصلح العلة ان تترتب على
وجودهما بل انما تترتب على وجود احدهما وهو الادلاء بالاموال

ح

ثبا

س

بق

اي كالمسالة فيها

كل م

الى الحلال والاول اولى لسبقه للمقضي بها مقصوده
• وانتم تعلمون اي ايمانكم اخذا لا تسمعون وضع
ذلك تقدمون عليه وفي ذلك تقبيح بليغ لعلمهم بما
قاله الزبير رضي الله عنه • والاهلة جمع هلال وافعلة
مقيس في فعال الصحيح نحو عيان واعنة وشذ فيه
فعل قالوا عيان وعين وذكر صاحب بحر الدرر ان الهلال
مشترك بين معان كثيرة وسمي الذي في السماء هلالا لليلة
والليلتين والثلاث كما قبلك • والمواقيت جمع ميقات
وهو منتهى الوقت • قوله تعالى يسألونك عن الاهلة
نزلت على سؤال قوم من المسلمين للنبي صلى الله عليه وسلم
عن الهلال وما فائدة تحاقه وكماله وتخالفه لحالة
الشمس وسأل يتعدى بعن وبالباء بمعنى واحد وهو
على حذف مضاف اي عن حكمه وحكمته معا واختلاف
اي اهلة والهلال واحد وجمع هنا لاختلاف لاختلاف مبادئه اي
ومواقيت اريد بها الاحكام المتعلقة بالاهلة كالديون والايمان والعدد
والصوم والفطر ومدة الحمل ومدة الرضاع وغير ذلك
من المتعلق بالوقت كالحج وهو معطوف على الناس اي
ومواقيت للحج لتعرفوا بها اشهره ومواقيته ولما كان
الحج من اعظم ما يطلب ميقاته واشهره بالاهلة افرد
بالذكر وكان قد تخصص بعد تعميم اذ المعنى مواقيت لمقاصد
الناس الحج فهذا للتأقيت دينا ودنيا وقرئ الحج بفتح
الحاء وكرها وكان الانصار اذا احجوا او اعمروا يتقربون
شرعا ان لا يحول بينهم وبين السماء حائل وكانوا يسمون
ظهورهم بعد نقبهم على الجدران فتركوا ولكن البر بر من
جعل اتيان البيوت برا وامر باتيان البيوت من ابوابها
وسبب النزول يدل على ان المراد بالبيوت وظهورها
وابوابها الحقيقة وحملها على المجاز مع امكان الحقيقة
وترجيحها بالهمزة بخود بالله سبحانه وتعالى منها ولكن البر من
اتقى فيه ان حمل لام التعريف في قوله ولكن البر من امن بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب والنبيين الذي تقدم الكلام
عليه هناك وقرئ بكسر الباء من البيوت كقيل ما وقع
وقرئ بضمها وهو الافصح المشهور في قراءة الاكثرين وتقدمت
جملتان خبريتان فعطف عليهما جملتان امريتان الاولى
واجبة للاولى والثانية واجبة لثانيته • ولما صد
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه

على ان رجع من فوره الى مكة ثلاثة ايام ورجع بعمرة
القضاء وخاف المسلمون ان لا يفي لهم فرسيل او نصيدوهم
وبقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكره ذلك فنزلت هذه
الآية فقاتلوا اطلق لهم فقال الذين يقاتلونكم
وكرهت الكتيبة ظهرت فكانت هذه الآية اول ما نزلت
والمقاتلة في الجهاد كفار لا طهم دون الله عز وجل واعلاء
كلمته واكثر علماء السير على انها اول آية نزلت في الا مر
بالقتال في سبيل الله فاستعير هنا السبيل وهو الطريق
لدين الله عز وجل لانه يتوصل الى من رضاه رضي
وهو هنا كون في حذف مضاف اي في نصرة دين الله عز وجل
وفي سبيل ظرف مجازي • ولا تعتدوا اي لا تتعدوا وروا ما حد
الله تعالى في القتال وغيره • واقتلوهم اي وا قتلوا الذين
يقاتلونكم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم وظفرتم
بهم وهو عام في كل مكان سوى الحل والحرم اي سواء كان
ذلك في الحل او في الحرم واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من المكا ن
الذي اخرجوكم منه وهو مكة وهو امر تمكين وكانه وعد من
الله بفتح مكة وقد انجز الله وعده اذ من ما وعد به عليه
الصلاة والسلام وفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
يسلم منهم • والفتنة عن دين الله عز وجل اشد من القتل
اي من ان يقتل المؤمن وكانوا قاتلوا اشهر من المؤمنين
ليرجعوا عن الايمان الى عبادة الاوثان والاصنام فعصمهم الله
عز وجل من ذلك بهذه الآية وتعالى المؤمنين ان يبدأوا بالقتال في
هذا الموطن الشريف حتى يكونوا هم الذين يبدأون بالقتال
والضمير في فيه عائد على عند • فان قاتلوكم فاقتلوهم
هذا تصريح بمفهوم الغاية في قوله واقتلوهم مشارة بالفتنة
عليهم اي ان لهم من الخذلان وعدم النصرة بحيث امرتم بقتلهم
وقرئ ولا تقتلوهم وكذلك حتى يقتلوكم • فان قتلوكم اي
حين تمكنوا من قتلكم • فان لجئوا قتلكم فاقتلوهم كذلك اي
مثل ذلك الجزاء وهو القتل فهو جزاء الكافرين وجزاء مبتدأ
وكذلك الخبر فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله غفور
رحيم وتعليق المغفرة والرحمة لا يكون مع الكفر وانتهوا معناه
كفوا وهو افتعل من النهي ومعناه فعل الفاعل بنفسه
ولم يحتج قتلهم اضطروا وقاتلوا حد الله تعالى التي جاءت
لها اي فتعل • وقاتلوهم اي كفار مكة حتى لا تكون فتنة اي
شرك وما بعده من الاداء للمسلمين وقيل اظهر هذا جميع الكفار

ويكون الدين اي الانقياد والطاعة لغير الله فان
انتهوا اي عن الكفر والعدوان فمقدر عدا وهو من علم
انه على من ظلم وسمي الله عدوانا والجزاء
الظلم سمي به اي سمي بذلك من حيث ان جزاءه عدوان
كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ورابط
الجزاء بالشرط بتقدير حرف اي فان على الظالمين منهم او
بالاندراج في عموم الظالمين فكان الرابط بانا من جملة
الجملة لا غيره وقال الحنفي رضي الله عنه فلا تعتدوا
على المنتهين وهذا الذي قاله لا يصح الا على تفسير المعنى
واما على تفسير الاعراب فلا يصح لان على المنتهين ليس
مرادفا لقوله الا على الظالمين لان نفي العدوان عن المنتهين
لا يدل على اثباته على الظالمين بالمنطوق المحصور بالنفي
والا وفرق بين الدلالتين وفيظهر من كلامه امران احدهما
تفسير الاعراب الذي قوله فوضع قوله الا على الظالمين
موضع على المنتهين وهذا الوضع انما يكون في تفسير الاعراب
وليس كذلك لما بيناه من الفرق بين الدلالتين الثاني ترى
فرق ما بين قولك ما اكرم الجاهل وما اكرم الا العالم
قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت هذه الآية في عمرة
القضاء عام الحديبية وكان المشركون قد حالوا يومئذ
العام في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فعلم لهم عند خروجهم لعمرة
القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر
الحرام بالشهر الحرام اي انتهاك حرمة الشهر الحرام كائن بانتهاك
حرمة الشهر الحرام وان فيهما للعمرة والحرمات اي حرمة الشهر
وحرمة البلد وحرمة القتال وحرمة المحرمين حين صدوهم
حرمة الشهر والبلد والاحتفاظ حين دخلتم وقرئ والحرمات
بضم الدال وسكون الراء فمن اعتدى عليكم بالمنع من الدخول في
امر القتال فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم اي مثل اعتدائه
عليكم واتقوا في سبيل الله هو عام اريد به الخصوص كالانفاق
في آلة الحرب وعلى المعدمين من المجاهدين وغير ذلك من
المصالح التي تحتاج اليها ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فسر
ذلك بترك الجهاد والاخلال بالواجب واصلاح الاموال الظاهر
انهم نهوا عن كل ما يؤدي بهم الى الهلاك في غير طاعة الله عز وجل
وقال بعضهم اقتصدوا ولا تكثروا الا اذا استلم والتي تعدي
بنفسه وجاء باللام فقيل ان اللام زائدة وقيل المفعول
محذوف اي ولا تلقوا انفسكم بايديكم او ضمن يعني ولا تفضوا

فعدي

هلكة

فعدى بالباء الهلكة مصدر هلك اى على وزان تقعلة
وهو قليل جدا كما سترا وذكر سيبويه رضى الله عنه النقرة
والنسرة ودعوى المحترى رضى الله عنه ان اصلها
تقلكة بكسر اللام فضمت وان مصدر هلك بتشديد
اللام لا يجيء وذكر ان فيها حملا على ما وجد هو كما ترى
لا دليل عليه اما الحمل على اللسان فمحله على ان افعلة
تفعلة وابدال الضم على ضعفه اى ذات الكثير وجعل تهلكة
مصدرا لهلك مشددا للام وفعل الصحيح اللام غير مسموع
وقياس مصدره ان يأتى على تفعل بحركسر تكسيرا ولا يأتى
على تفعلة الا شاذا او لا وفى جعل تهلكة مصدرا اذ قد
جاء ذلك نحو التسرة واما تهلكة فالاحسن ان يكون فيها
مصدرا لهلك المخفف اللام لا بمعنى تفلكة بضم اللام ايضا
وقد جاء فى مصادر فعل تفعلة قالوا حله تحلة اى كلاما
فلا يبعد ان تهلكة ادراك مصدرا لهلك المجرد اللام
واما ابدال الضمة من الكسرة لغير علة ففى غاية الشذوذ
واما تمثيله بالجوار والحوار فلا مدعى فيه الا ابدال بل باب
الصحة وفيه على فعال بضم الفاء شذوذا وزعم
نفلة رضى الله عنه انه مصدر لا نظير له غير صحيح اذ نقل
سيبويه رضى الله عنه له نظيرا ه واحسنوا امرا بالاحسان
ولم يقيد بمفعول فيندرج فيه كل محسن ان الله يحب
المحسنين واتموا الحج والعمرة لله اى افعلوهما كاملين من
شروطهما وافعالهما اللذان يتوقفان عليهما وقرئ
والعمرة بالنصب عطفا على الحج فيدخل فى الامر بالاتمام وبا
مبتدأ وخبره او لا فيدخل تحت ان مر وفرض الحج البتة
والاحرام والطواف المتصل بالسعى والسعى بين الصفا
والمروة ظ قال ابو حنيفة رضى الله عنه والوقوف بعرفة
والجمرة على قول ابن الحاسبون والوقوف دلفة على
قول الاوزاعى رضى الله عنه واعمال العمرة البتة والامر
والطواف والسعى والامر بالاتمام لا يدل على فرضية
الحج لصحة دخول رمضان وسنا من شوال اى بجامع
ما اشتركا فيه من المطلوبية وان اختلفت جهتا الطلب
وان حصار والحصر بمعنى واحد وهو المنع بالعدو او المرض
او غيرذلك من الموانع وقيل ان احصر فمرض لا نشديد فيه
وظاهرهم سكوت هذا الحكم وتصوره انه قد يتحلل بقوله
تعالى فما استيسر من الهدى اى والواجب ما تيسر من

الهدى

وهو شاة او ما سهل من جمل او بقرة والمعنى فان احصرتم عن
اتمام الحج والعمرة والهدي مطلق فلا يشترط فيه سن وقوله
فما استيسر بمعنى الفعل المجرد وهو يسر نحو استصعب
وصعب وقرئ الهدي على وزن الولي وغيا حلق الراس
ببلوغ الهدي محله اي اذا بلغ الهدي محله فاحلقوا رؤوسكم
والخطاب للمامورين المخاطبين بالاتمام سواء كانوا محصرين
او غير محصرين والخطاب في قوله ولا تحلقوا للذكور ولا تحلق
المراة بل تقصر وظاهر النهي التحريم ومحل الهدي ان كان
الخطاب للمحصورين فحيث احصر من حل او حرم فمن كان
منكم الاية سبب نزول هذه الاية حديث كعب ابن عجرة
ومن عام في المحصر وغيره او به اذى من راسه ولما اذن غيا
الحلق ببلوغ الهدي محله وكان الخطاب بالنهي عاما خص بمن
ليس مريضا ولانه اذى من راسه وفي الكلام هنا حذف
تقديره اي فمن كان مريضا ففعل ما ينافي المحرم من حلق او
غيره او به اذى من راسه فحلق ومنكم متعلق بمحذوف وهو
في موضع الحال لانه قبل تقدمه كان صفة لمريضا واجاز
ابو البقاء رضي الله عنه ان يكون صفة متعلقا هنا بمريضا
وهو لا يكاد يفعل او به اذى يجوز ان يكون هو من عطف
المفردات فيرتفع اذى على الفاعلية او من باب عطف نحو
الجمل فيرتفع على الابتداء واجيز ان يكون على اضمار كان
اذى او كان به اذى من راسه ففي كان ضمير هو اسمها وبه
الخبر واذى فاعل بالمجرور او هو جملة خبر ككان المحذوفة
او يرتفع اذى على انه اسم كان المحذوفة وبه الخبر واجازه
ابو البقاء ان يكون او به اذى من راسه معطوفا على كان
والذي مبتدا وبه خبره والضمير في به عائد على من وكان
قد قدم ان من شرطية وعلى هذا التقدير يكون ما قد
قاله خطاء لان العطف على جملة الشرط يجب فيه ان يكون
جملة فعلية اذا المعطوف على الشرط شرط فيجب فيه ما يجب
في الشرط والباء في به للالصاق او هي ظرفية ففدية
اما مبتدا اي فعليه فدية او هي خبر اي فالواجب فدية
ومن قرا بالنصب فعلى اضمار فعل اي فليفد فدية
او للتخيير والظاهر اطلاق الثلاثة وقدمت ذلك
السنة الثانية في حديث كعب ان الصيام ثلاثة ايام والصدقة
اطعام ستة مساكين والنسك شاة ولم يتعرض الاية والسنة
لمقدار ما يطعم المسكين ولا الاية لزمان فعل ذلك ولا لمحل

مريضا

النسك

النسك ٭ فاذا امنتم اي كنتم في حال امن وسعة او فاذا امنتم
من الاحصار ٭ فمن تمتع بالعمرة الى الحج فسر التمتع هنا ٢
باسقاط احد الشطرين لان حق العمرة ان تفرد بسفر
غير سفر الحج وعن الامام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم في
الدارين وجهه هو تاخير العمرة حتى يجمعها مع الحج فعليه الهدي
والهاء لفا في فعليه او في قوله فاذا للعطف وفي فمن
جواب اذا وفي فما جواب فمن تمتع ٭ فمن لم يجد ما استيسر
اما لعدمه واما لعدم ثمنه ٭ فصيام ثلاثة ايام في
الحج اي في اشهر الحج ٭ وسبعة اي وسبعة ايام والعامل
في اذا هو صيام تعلق به في الحج واذا وجاز ذلك للعطف ٢
واذا ظرف محض لا شرط فيها وفي رجعتم التفات وحمل على
معنى من بعد الحمل على لفظه في افراده وغيبته ولفظ
الرجوع مبهم وثبت تفسيره في السنة تفسيره بالرجوع الى
اهله اي وطنه فاحتمل بعد ان يكون وصل الى اهله
وهو الظاهر واحتمل ان يكون اذا رجع اي شرع في الرجوع
الى اهله واحتمل اذا نفرتم ورجعتم من اعمال الحج وبكل
من هذه الاحتمالات قال قوم ٭ تلك عشرة كاملة تلك
مبتدا وعشرة توطئة للخبر وكاملة هو الخبر حقيقة
اي كاملة في الثواب والاجر لئلا يتوهم ان صوم السبعة
ليست كمثل صوم الثلاثة في الاجر لاختلاف زمان ايقاع
صومهما ٭ ذلك اي التمتع وما ترتب عليه ٭ لمن لم يكن اهله حاضري
المسجد الحرام وهم سكان مكة لانهم هم الذين يشاهدون
المسجد الحرام وحضور الاهل يقتضي مراد حصول التمتع
لان الغالب سكناه حيث يسكن اهله ولما تقدم امر
ونهي وواجب ناسب ان يختم ذلك بالامر بالتقوى اي بالامر
بالتقوى في ان لا يتعدى ما حده سبحانه وتعالى ثم اعلم
سبحانه وتعالى بشدة عقابه على المخالفة بقوله عز وجل
واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب ثم بين اسباب
اخر فقال تعالى فيها ارضاه الحج اشهر معلومات لما امر
سبحانه وتعالى باتمام الحج والعمرة وكانت العمرة لا وقت
لها معلوم بين ان الحج له وقت معلوم فظهر بهذا مناسبة
هذه الاية لما قبلها والحج مبتدا واشهر خبره وليس
اشهر وهو الزمان الحج وهو المصدر فالتقدير اشهر الحج او وقت
الحج او التقدير حج اشهر او لما كان يقع فيها اتسع فجعل اياها
على سبيل المجاز قال ابن عطية رضي الله عنه ومن قدر الكلام في

اشهر

فليس فيه مع سقوط حرف الجر نصب الاسم وهو لم يذكر النصب
احد انتهى ولا يلزم نصب الاسم مع سقوط حرف الجر كما ذكره
ابن عطية رضي الله عنه لانا قد ذكرنا انه قد يرفع على الاتساع
وهذا الاختلاف فيه عند البصريين اعني اذا كان ظرف
الزمان نكرة خبرا عن المصدر وانه يجوز فيه عندهم الرفع ويجوز
فيه النصب ايضا وسواء كان الحدث مستغرقا للزمان او
غير مستغرق واما الكوفيون فعندهم في هذه المسئلة
وهو ان الحدث اما ان يكون مستغرقا للزمان فيرفع ولا يجوز فيه
النصب او غير مستغرق قد ذهب هشام رضي الله عنه الى انه
يجب فيه الرفع نحو صيامك يوم وقتالك ثلاثة ايام وذهب
الفراء الى جواز النصب والرفع كالبصريين وعلل عن البدا
في هذا الوضع انه لا يجوز نصب الاسم لان اسم نكرة غير محضورة
وهذا النقل مخالف لما نقلناه عن عنه ايضا فيمكن ان يكون
له قولان قول البصريين وقول هشام واسم جمع قلة وهي
من سؤال وذوا القعدة وذو الحجة كلها على ظاهر الحكم موقوف
قراءة من الصحابة والتابعين وتابعيهم كابن مسعود وعطا
ومالك وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت فكيف كان
اشهر الحج بعض الاشهر قلت اسم الجمع شرك فيه ما فوق
الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما ولا سوال فيه اذا
وانما كان يكون موضعا للسوال لو قيل ثلاثة اشهر معلومات
انتهى وما ذكره الدعوى فيه عامة وما وان اسم الجمع قد
يشترك فيه ما فوق الواحد وهذا فيه النزاع والدليل
الذي ذكره خاص فهو فقد صغت قلوبكما وهذا الجمع
فيه ولا يلزم اطلاق الجمع في مثل هذا على العشرة وقد ذكر في
كتب النحو واشهر ليس من باب فقد صغت قلوبكما فلا
يمكن ان يشترك معه في قوله ولا سوال فيه اذ
ليس بجمع لانه قد فرض السوال في قوله فانقلت وقوله
وانما كان يكون موضعا للسوال لو قيل ثلاثة اشهر معلومات
فلا فرق عندنا بين قوله ثلاثة اشهر وبين قوله اشهر
لانه كما تدخل الحاء في لفظ اشهر كذلك قد تدخل في
العدد الا ترى الى ما حكاه المفسرون عن عنه انه قال اليوم يوما لك
ولي ان قال وانما هو يوم وبعض اخر وصح لا قوله اشر النفس
ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال على ما قدمناه ذكر في
ما حكي عن الوليد ما رايته من منذ خمسة ايام وان كنت قد رايته
في اليوم الاول او الثاني او اليوم الخامس فلم يستعمل الا انتفاء خمسة ايام

كتب

٢

اي جميعها

ذي جمعها بل يجعل ما ذكره في بعضه وانتفاء الرؤية
في بعضه كأنه لم يوجد كامل لم ترَ فيه قال وإذا كان هذا
موجودا في كلامهم فلا فرق بين أشهر وبين ثلاثة أشهر
لكن هنا ألجم أقرب من بحار أعدد ومعنى معلومات
معروف وقال عند الكلام على قوله الحج فيها أشهر
معلومات على ما عرفوه وكان حقه أن يذكره عند قوله
الآتي الحج أشهر معلومات ليكون عند ذكر وقت الحج
والمراد بالفرض هنا ما يكون به المحرم محرما وهو الإهلال
بالحج على خلاف فيما يدخل فيه أي يدخل به المحرم في الحج وهو
مذكور في كتب الفقه بأوضح مما هنا وحاصلهن وما
عامد على أشهر على الفصيح فلا رفث ولا فسوق ولا جماع
ولا ما لا ينبغي بين من كان متلبسا بالحج ولا فسوق
فسرها بما نهي عنه في الإحرام من قتل صيد
وحلق رأس أي شعرها والمعاصي كلها ولا جدال أي
مماراة المسلم حتى يغضبه وشتمه أي من جميع ما يسمى
جدالا للتغاير وحظ النفر وقرئ برفع اللام على
الابتداء والخبر في الحج وجزم ابن عطية رضي الله عنه بأنها
أعملت عمل ليس ضعيف وقرئ بنصب الثلاثة
على المصدر بفعل من لفظها أو في الحج متعلق بما
شئت من الأفعال على طريقة الإعمال وقرئ بالفتح
في الثلاثة من غير تنوين وهو بناء على قول الجمهور ولا التي
معها في موضع مبتدأ والخبر خبر عنه في موضع رفع ولا عاملة
في التي فهو في موضع نصب وذهب سيبويه رضي الله عنه
وآله حفش رضي الله عنهما أن لا عاملة عمل إن والتي
اسمها والخبر حذفها في موضع نصب وقرئ برفع الأول وتنوين
والثاني وفتح الثالث من غير تنوين فعلى مذهب سيبويه
رضي الله عنه أن في الحج خبر عن الثلاثة عطف عليه سواء
على مبتدأ وعند هب الأخفش أنه لا يجوز أن يكون في الحج الا
خبرا عن الأول لئن أو خبر الثلاثة وذلك قد يكون لاختلاف
المعنى ولابن عطية والزمخشري في هذا الكلام تعقبناه عليهما
وذكرناه في البحر المحيط وهذه الجملة صورتها صورة الخبر
والمعنى على النهي ومن في فمن شرطية أو موصولة والرابط
محذوف لفهم المعنى أي فلا جدال له في الحج أو فلا هذا
في الحج له أو منه وعلى رأي الكوفيين تتوقف إن
عن الظهور أي في حجه وكرر في الحج للتفخيم والتعظيم أو هما

لا

بثلاثة

ولم يات للتركيب فلا حد له فيه وما تفعلوا من خير يرزق على الخير
حثا على فعله وهو سبحانه وتعالى عالم بما نفعلون من خير او شر
وفي قوله وما تنفقوا الالتفات من الغيبة الى الخطاب وتغليب
المتلبس على ظاهر امر فيثيب عليه ويعرف بالجزاء وتزودوا فان خير الزاد التقوى روى ابن عباس رضي الله
عنهما ان هذه الآية نزلت في ناس من اهل اليمن
كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون فنحج بيت الله
تعالى افلا يطعمنا فيتوصلون اليه بالمسألة والمشقة
وكثرة سؤال الناس وربما ظلموا وغصبوا فامروا ان
يتزودوا وان لا يظلموا ويكفوا انفسهم عن اكف الناس والذي
يدل عليه سياق ما قبل ان مرجع ما بعده ان يكون الامر
بالتزود بالتقوى الى تحصيل الاعمال الصالحة التي تكون
له كالزاد الى تلك الآخرة والتقوى في عرف الشرع والقرآن
عبارة عن ما يتقى به النار وهو فعل وترك والمحدثون
اذا تزودوا التقوى يدل عليه الاظهار في حيز الاضمار واتقون
تحذير من ان تكافوا ما تحل به العقوبة ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ولما جاء الاسلام تحرجت
العرب ان يتجروا واستمر الجاهلية كعرف عكاظ وذي
المجاز ومجنة فاباح الله عز وجل لهم ذلك والفضل
ههنا المراد به في هذه الآية الارباح التي تكون بسبب
التجارة فاذا افضتم من عرفات وعرفات اسم علم لاسم
جبل هناك وهو الموقوف وحكى سيبويه رضي الله عنه هذه
عرفات مثل كافر وهو مرادف لعرفة وتنوينه تنوين
صرف ولا يدل هذا الشرط على وجوب الوقوف بعرفات انما
نعلم منه الحصول في عرفة والوقوف بها لكن السنة والاجماع
يدلان على ذلك وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
دفع من عرفات اسرع فاذا وجد فرجة نص واعنق سيرا سريعا
مع رفق والنص سير شديد فوق العنق فاذكروا الله عند
المشعر الحرام اي ذكروه بالثناء وكثرة التضرع والدعاء والابتهال
او كنى به عن صلاة المغرب بالمزدلفة والعشاء بها كذلك
والمشعر المعلم ووصف بالحرام لانه ممنوع ان يفعل فيه
ما نهي عنه من محظورات الاحرام وهذا المشعر يسمى جمعا لان
ما بين جبلي المزدلفة من حرمي عرفة الى بطن محسر ولدين
الماء ومأزمين والوادي محسر المشعر الحرام والمأزم المضيق
وهو مضيق واحد بين جبلين سمي لكانه اذ كان الجبلين

ولم تنعرض الاية لتعيين الذكر بالمزدلفة وعند صلى الله عليه
وسلم انه لما صلى الفجر يجيء بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى
اتى المشعر الحرام فدعى وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر
وعلى هذا فقد يكون في الكلام جملة محذوفة اى فاذا افضتم
من عرفات وبتم بالمزدلفة فاذكروا الله عند المشعر الحرام
واذكروه كما هداكم اذكروا الله بتكرار وصدر به التوكيد والكاف
في قوله كما للتشبيه اى ذكرا حسنا لمصدر محذوف او نصب
على الحال او تكون الكاف هنا للتعليل اى اذكروه لاجل هدايته
اياكم لها وقد ذكره سيبويه رضى الله عنه حاكيا
كما انه لا يعلم فيما ورد عنه اى لانه لا يعلم واثبت
كون الكاف للتعليل الاخفش وابن برهان ومن المتاخرين
ابن مالك رضى الله عنهما امين ومالكي كما سمعت به وجوز
ابو مخشري وابن عطية ان تكون ما كافة للكاف عن العمل
وقد منع ان تكون الكاف مكفوفة بما عن العمل ابو سعيد
على ابن سعود بن الحرجاني صاحب المشكوة في الهداية
هنا خاصة ان في ملك حكم اى سنة ابراهيم الخليل عليه
الصلاة والسلام او عامة تتناول انواع الهدايات
وان كنتم من قبله اى من قبل الهدى لمن الضالين وقد ذكر
عليه قوله كما هداكم ثم افيضوا من حيث افاض الناس ثم للترتيب
والذكر لا للترتيب في الزمان الواقع فيه اذ فعال وحسن
هذا ان الافاضة الكاملة لم تكن مامورا بها انما كان المامور
به ذكر الله عز وجل اذا فعلت والامر بالذكر غير الفعل لا يدل
على الامر بالفعل الا ترى انك تقول اذا ضربك زيد فاضربه
ولا يكون زيد هذا الذي ذكرته مامورا بالضرب فكانه قيل
ثم لتكن تلك الافاضة من عرفات وفي الحديث كان
الحمس يقفون بالمزدلفة وكان سائر الناس يقفون بعرفة
فامر الله سبحانه وتعالى هذه الاية فوقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعرفة وامر من الحمس فاتاها
من الله عز وجل وفي قيل الى ما شرع ولذكر خبري رضى الله عنه
كلام في شرح المفتاح يكون الافاضة والدفع قال فان قلت
فكيف يوضع هناك ثم قلت موضعها من قولك احسن وهو
على حد قول بعضهم احسن الى الناس ثم لا يكفر كريم
قلت ثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان
الى غيره وبعد ما بينهما فذلك حيث امرهم بالذكر
عند الافاضة من عرفات قال تعالى ثم افيضوا من حيث افاض

وَالَّذِي يَدُلُّ لِتَفَاوُتِ مَا بَيْنَ الْإِخْوَةِ فَاضِلٍ وَآخَرَ
أَحَدُهُمَا وَهُوَ صَوَابٌ وَالثَّانِيَةُ خَطَأٌ أَنَّ كَلَامَهُ وَلَدَيْتُ الْآيَةَ
كَالثَّانِ أَنَّكَ مِثْلُهُ وَحَامِلٌ مَا ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَلْكَ التَّرْتِيبَ
فَإِنَّهَا لَهَا مَعْنًى عَظِيمٌ سَمَّاهُ بِالْقَافِيَةِ وَالْبَيْعِ لِمَا بَعْدَهَا مِمَّا
قَبْلَهَا وَلَمْ يَجِبْ فِي الْآيَةِ إِرْضَاءُ الْإِفَاضَةِ الْخَطَأِ فَيَكُونُ ثُمَّ
فِي قَوْلِهِ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ حَادِثَةٌ بَعْدَ
مَا بَيْنَ الْإِفَاضَتَيْنِ وَبَقَاؤُهَا وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَسْنَدَهُ إِلَى أَنَّ
هَذَا الْمَعْنَى لَمْ يَلْمَ وَالنَّاسُ طَائِفَةٌ الْعُمُومُ فِي الْمُفِيضِ وَقُرِئَ
النَّاسِيءُ سِبَاءً وَبِزَنَّتِهَا وَفَسَّرَ بِآدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِقَوْلِهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ الْإِسْتِوَاءُ لَكَ
ابْنُ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيَجُوزُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ حَذْفُ أَلِفِهَا فَتَقُولُ
النَّاسُ بِلَا لَامٍ وَالْهَاءِ قَالَ إِنَّمَا حَوَّلَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ فَذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ
وَأَمَّا حَوَّلَهُ مَفْرُوقًا بِهِ فَإِنِّي لَا أَحْفَظُهُ انْتَهَى فَقَوْلُهُ
أَمَّا حَوَّلَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ فَذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ظَاهِرُهُ
كَلَامُ ابْنِ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ مُطْلَقًا وَلَمْ يَجِدْهُ
سِيبَوَيْهِ إِلَّا فِي الشِّعْرِ خَاصَّةً وَأَجَازَهُ الْفَرَّاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي الْكَلَامِ وَأَمَّا قَوْلُهُ وَأَمَّا حَوَّلَهُ مَفْرُوقًا بِهِ فَإِنِّي لَا أَحْفَظُ ذَلِكَ
فَكَوْنُهُ لَا يَحْفَظُهُ قَدْ حَفِظَهُ غَيْرُهُ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدُ وَيُرْوَى
اللَّهُ عَنْهُ قَرَأَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِيءُ الَّذِي يَنْسَأُ وَأَنَّاتٍ
النَّاسِيءُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَعَنْهُ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ بِكَسْرِ مِنْ
غَيْرِ هَمْزٍ انْتَهَى قَوْلُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِي هَذَا
الْقُرْآنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأُمَّةَ مِنْ عَرَفَاتٍ شَرْعٌ قَدِيمٌ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا
بِكُلِّ الصِّدِّيقِ قَدِمَ اللَّهُ عَنْهُ تَوَجَّهَ لِلْعَرَفَاتِ فَمَرَّ بِالْمُزْدَلِفَةِ وَقَفَ
بِهِمْ فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجَاوِزَهُمْ قَالَ لَهُ الْمُخْسِرُ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ تُجَاوِزَنَا إِلَى
عَرَفَاتٍ هَذَا مَوْقِفُ أَبِيكَ فَمَضَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا أَمَرَهُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى عَرَفَاتٍ وَهُمَا أَهْلُ الْيَمَنِ وَرَبِيعَةَ
فَوَقَفَ بِهِمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ثُمَّ أَفَاضَ بِالنَّاسِ إِلَى الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
فَوَقَفَ بِهِ فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَفَاضَ مِنْهُ وَاسْتَغْفَرُوا
اللَّهَ اسْتَبْطَأَ بِطُولِ عُمْرِ الدَّهْرِ وَكَانُوا إِذَا قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ اجْتَمَعُوا
فِي الْمَوْسِمِ يَتَفَاخَرُونَ وَيَذْكُرُونَ مَآثِرَ آبَائِهِمْ مِنْ قِرَى الضَّيْفِ
وَكَثْرَةِ الْأَشْيَاءِ وَنَحْرِ الْجَزُورِ وَفَكِّ الْعَانِي وَحِفْظِ الْمَوَاثِيقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِمَّا يَفْتَخِرُونَ بِهِ فَنَسَخَ اللَّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ
إِلَى قَوْلِهِ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ الْآيَةَ وَالْمَعْنَى فَإِذَا قَضَيْتُمْ أَدَاءَ دِينِكُمْ
وَمَعْنَى مَنَاسِكَكُمْ تَعَبُّدَكُمْ وَإِيجَادَ خَلْقِ وَالْمَعْنَى اسْتَكْمِلُوا ذِكْرَ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَالْمَعْنَى اذْكُرُوهُ كَمَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُذْكَرَ بِهِ

واعربوا ذكرا تمييزا بعد افعل التفضيل فجعلوا الله ذكرا اذ
التقدير او ذكرا اشد ذكرا وذلك على سبيل المجاز كما
قالوا شعر شاعر وجوزوا ان يكون او اشد معطوفا على
موضع الكاف فيكون منصوبا او على ذكر المجرور فيكون
مجرورا اي او كذكر اشد ذكرا او وصفا في المعنى للذاكر فتنصبه
بفعل مضمر تقديره او كونوا اشد ذكرا او للذاكر المذكور
فتنصبه عطفا على آباءكم والتقدير او قوما اشد ذكرا من
ابائكم ومعنى من ابائكم اي من ذكركم لآبائكم او بجره عطفا على
الضمير المجرور بالمصدر اي او قوم اشد ذكرا فهذه خمسة وجوه
ضعيفة وقد ساغ لنا حمل الآية على معنى شاذ رأيه الذهن
بتوجيه صحيح ذهلوا عنه وهو ان يكون اشد منصوبا على
الحال وهو كان يكون نعتا لذكرا لو تأخر فلما تقدم
انتصب على الحال الا ترى انه لو تأخر لكان التركيب او ذكرا
اشد اي من ذكركم لآبائكم ففصلت الحال بين حرف العطف
والمعطوف عليه وجاز ذلك لان حرف العطف على ازيد من حرف
ولان الحال مفعول فيها فهي شبيهة بالظرف وحسن تأخر
ذكرا لانه بالفاصلة ولزوال تعلق التكرار اذ لو تقدم
لكان التركيب فاذكروا الله كذكركم آباءكم او ذكرا اشد
فمن الناس من يقول هذا ذكر للمأمورين اي تقسيم للمأمورين
بالذكر بعد الفراغ من المناسك وانهم ينقسمون في سؤال الله
عز وجل الى من يغلب عليه حب الدنيا فلا يدعوا الا بها ومنهم
من يدعوا باصلاح حاله في الدنيا والآخرة وهذا من الالتفات
ولو جاء على الخطاب لكان التركيب فمنكم من يقول وحكمة
هذا الالتفات انهم لما واجهوا بهذا الذي لا ينبغي ان يسلكه
عاقل وهو الاقتصار على الدنيا ابرزوا في صورة غير المخاطبين
بذكر الله بان جعلوا في صورة ومفعول التاء محذوف
اي ما نريد ومطلوبنا وجعل في زائدة فتكون الدنيا هنا
هي كالمفعول الثاني او جعل في بمعنى من فتكون في موضع المفعول
الثاني قولان يدشا قطا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب
وهو اخبار بحاله في الآخرة حيث اقتصر في طلبه على الدنيا
وافرد الضمير في يقول حملا على اللفظ واتى بنون الجمع في اتنا
حملا على المعنى والحسنة مطلقة وقد مثلوا الحسنتين
بانواع من حسنات الدنيا وانواع من حسنات الآخرة فقال ابن
عطية رضي الله عنه حسنة الآخرة هي الجنة بالاجماع على ذلك
وفي الآخرة حسنة هو من عطف شيئين على شيئين لا من باب

المفصل بين حرف العطف والمعطوف بل هو من باب اعطيت
زيدا درهما وعمرا ثوبا اورايت من زيد وجها اورايت
من بكر جملة • وقاعدات النار سؤال لوقاية من النار
وهو ان لا بد خلودها اذا كان من يدخل النار لم يدخل الجنة
صدق عليه كذا قيل في الآخرة حسنة فسألوا الوقاية من النار
• اولئك لهم نصيب مما كسبوا اشارة الى الموصوف من المقدر
ذكرهم اذ لفظ نصيب وما كسبوا مشترك بينهما ومن هنا
تكون للتبعيض اي من جنس ما كسبوا او هي تكون للسبب
• والله سريع الحساب تعم محاسبة العالم كلهم واذكر انه
خطاب للحجاج وهو مطنوق والمراد التكثير كالتكثير عند من
الجمار • في ايام معدودات لم يعين قدرها في هذه الآية
فاختلفوا اهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر كما قال ابن عباس رضي
الله عنهما او يوم النحر ويومان بعده كما قاله علي رضي الله عنه
• فمن تعجل اي لنفر النفر الاول او النفر ان تعجل فكون متعلقا
وغير متعلق في قولين • ليس على ظاهره مل على حذف مضاف
اي في احد قولين وتقديره ان يكون ذلك بعد يوم النفر
وهو قاني يوم النحر لاجماع الناس على انه لا نفر احد يوم
النفر او يكون التقدير في تمام يومين وظاهر من يتعجل
العموم سواء كان مكيا او آفاقيا وان التعجيل يكون بالنهار
• ولا اثم عليه في التعجيل اي لا حرج لما كان الامر واذكروا
ايام رمي جمار ولم تشتغروها بالمقام وتتعجل بمعنى عند
الحج فمنكم في الاخذ بالرخصة ثم نفي الحرج عن من تاخر
هي نفي الاخذ بالرخصة لمن اتقى • متعلق بمعنى الاثم او من
لم يكن متقيا لم يرتفع الاثم عنه وقد كملت احكام الحج من ذكر
وقته الى آخر فعله وهو النفر وندبت بالامر بالتقوى
وختمت به وتخلل الامر بها في خصوص الآيات • ومن الناس
من يعجبك قوله في الحياة الدنيا نزلت في الاخنس بن شريق
وكان اسمه ابي كان حلو اللسان والمنظر فكان يظهر
الاسلام وحب الرسول صلى الله عليه وسلم ويحلف على ذلك
وهو صلى الله عليه وسلم يعلم انه لا يعتقد ما اضمر وكان من
ثقيف حليفا لبني زهرة وفاشت هذه الآية لما قتلها ابن
خبيب الله وتعالى ذكر قبيل نوعي القاتلين ثم اتى بمذكر يتعين
بمن هو حلو المنظر يظهر الود ويخالف باطنه لظاهره والاخر
رضي الله وقدم ان قول هذا الآخذ هناك مقدم واحال على
اي عجاب قوله دون غيره من اوصافه لان القول هو الظاهر

الآية

وسبب

مسند اقول

هذا قولا وهو المذكور في قوله فمن الناس من يقول ربنا آتنا
في الدنيا ومآله في الآخرة من خلاق والخطاب للرسول عليه
الصلاة والسلام اذا كان اكثر تعجبا معنيا او لمن كان موسنا
ان كان غير معنى والاعجاب استحسان منطقه لملاءمة
وموافقته لمن يخاطبه وفي الحياة مستقل بقوله يعجبك
اي يستحسن مقالته دائما في مدة حياته اذ لا يقدر
منذ من القول الا ما هو معجب رائق لطيف ومع ذلك
افعاله صاعدة لا قوله • وتشهد الله على ما في قلبه قرئ
مضارع اشهد ونصب على الحال اي يحلف بالله انه لصادق
وقائل حقا ومحب في الرسول والاسلام وقرئ وشهد من
مضارع شهد ورفع الجلالة اي يطلع الله على ما في
قلبه من الحب والكفر ولا يعلم به احد لشدة تكتمه • وهو
الالد الخصام والالد هو شديد الخصومة يقال لد يلد لدا
ولداده ولد الد واما اره لداد او الخصام فصدر او
جمع خصم فاعل كون فعاله لد خبرا عن هو بلا تقدير
والمصدر يحتاج الى تقدير اي ذو خصام واضافه اشداد وهو
اشد خصومة اي جدلا ويقال لد في الخصومة وقال
الزمخشري وصف الله عنه والخصام المخاصمة واضافة
الالد بمعنى في كقولهم بنت الغدر استي يعني ان الفعل
ليس هو من باب ما اضيف الى ما هو بعضه بل هي اضافة
على معنى في وهذا مخالف لما ترجمه النحاة من ان اضافة التفضيل
هنا لانصاف الا ما يعرض له وصفه اياك الاضافة
بمعنى في وهو قول مرجوح في النحو والجملتان الفعلية والا
معطوفتان على صلة من فتماد الحلان في الفعلية • واذا تولى
اي من يدعوه عن الدين يليق له القول وتلطف به فيه
والتولي حقيقة في الانصراف بالبدن • سعى في الارض اي
مشى فيها والسعي هو الرد من جهة الى جهة اخرى ليفسد
فيها علة لسعيه اي مقصوده من سعيه انما هو انساد
• عطف خاص على عام وخص من العام لانهما اعظم
ما يحتاج اليهما في عمارة الدنيا والحرث يعني الزرع والنسل
ما يتوالد من اناث الناس ومن الحيوان وقرئ
ويهلك مضارع اهلك ونصب الحرث والنسل ويهلك
بضم الكاف على الاستئناف وطيلك مضارع هلك
فرفع الكاف ورفع ما بعده وكذا مع فتح اللام قرئ لغة
شاذة نحو هو كن ركن وابهلة الشرطية اما مستانفة واما

سمية

داخلة في الصلة ولما تقدمت علتان الاولى منهما مندرجة
في الثانية قال الله سبحانه وتعالى والله لا يحب الفساد فاكتفى
بذكر الاولى لانطوائها على الثانية والفساد عام في ارض
ومال ودين وعرض وغير ذلك حتى ان بعض اهل العلم
استدل به على منع الانسان شق ثوبه واذا قيل له اتق
الله مستانفة او داخلة في الصلة اخذته العزة اي احتوت
صلته واحاطت به وصار كالماخوذ لها وقال بعض المفسرين
معنى قوله عز وجل اخذته العزة اي الانفة والاستكبار بالاثم
اي مع الاثم اي مصحوبا به او هي مصحوبة بالاثم او يكون
للسبب اي اثمه السابق كان سببا لاخذ العزة له ووقف يهودي
مرة لهارون الرشيد فقال له اتق الله يا امير المؤمنين فنزل
عن دابته وخر ساجدا وقضى لذلك اليهودي حاجته فقيل
له في ذلك فقال ذكرت قوله تعالى واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم بالاثم الآية فحسبه جهنم اي كافيه جزاء
جهنم وهو استعظام لما حل به وجهنم اسم علم للنار وهي مشتقة
من قولهم ركية جهنام اذا كانت بعيدة القعر وسمي الرجل
بجهنام وكلاهما من الجهم وهي الكراهة والغلظة ووزنها
فعل نحو دويك وصفيك وغيرهما وامتنعت من الصرف
للعلمية والتانيث ولبئس المهاد المخصوص هنا بالذم
محذوف تقديره هي اي جهنم ولما تقدم قوله ومن الناس
من يعجبك قوله في الحياة الدنيا وكان عاما في المنافق الذي
الذي يبطن خلاف ما يظهر ويظهر خلاف ما يبطن كما قال الله
عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ناسب هنا
ذكر قسيميه عاما وهو من يبذل نفسه في طاعة الله عز وجل
وسعى ان يكون من عين من الصنفين انما ذكر على سبيل
المثال وكون من يدخل في عمومها ويشري معناه يتبع بذلك
عبر بذلك عن بذل النفس بالشرا وانتصب ابتغاء على انه مفعول
له ومرضاة مصدر بني على التاء كمرعاة والقياس تجريده عن
التاء وكتبت في بعض المصاحف بالتاء ايضا ووقف عليها
بالتاء وبالهاء ومعنى ذلك انه يبتغي رضاء الله عز وجل عنه
وهو كناية عن فعله به ما يفعل الراضي بمن يرضى عنه وهو
ايصال الخير اليه والله رؤف بالعباد حيث كلفهم ما يقتضي
الحض على امتثال ما وقع به المدح من شراء نفسه في جهاد وغيره
مما يشق يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ان كان
المنادى اهل الكتاب فالمعنى آمنوا بالتوراة والانجيل

تذكرت

ادخلوا في شرايع
الاسلام

ادخلوا في شرايع الاسلام وان كان المنادي المسلمين خاصة
فالمعنى يا من امن بقلبه وصدق ادخلوا في شرايع الايمان
واجمعوا الى الايمان الاسلام وهو ما فسره رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام اذ فرق صلى
الله عليه وسلم بين الحقيقتين وقرئ بفتح السين وكسرها
وانتصب كافة على الحال وذو الحال ضمير ادخلوا وكافة
مما قد التزم نصبه على الحال نحو قاطبة ومعناه جميعا
قال الزمخشري رضي الله عنه يجوز ان يكون حالا من السلم
اي في شرايع الاسلام كلها امروا بان لا يدخلوا في طاعة
دون طاعة وقال ما نصه ويجوز ان يكون كافة حالا من
السلم اي ادخلوا في شرايع الاسلام كلها وانها تؤنث كما تؤنث
الحرب قال الشاعر في معناه شعر
السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها
وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام
وشرايعها كلها وان لا يخلوا اي وان لا يتركوا او يتهاونوا
بشيء منها. وعن عبد الله ابن سلام رضي الله عنه انه
استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت
وان يقرا في صلاته من الانجيل اي في صلاة الليل فلم ياذن
له وقوله تعالى كافة ماخوذة من الكف كانه كفوا ان
يخرج احد منهم باجتماعهم انتهى كلامه وتعليله جواز ان
يكون كافة حالا من السلم بقوله لانها تؤنث كما تؤنث الحرب
ليس بشيء لان التاء في كافة وان كان اصلها للتانيث
ليست فيها اذا كانت حالا للتانيث بل صار هذا نقلا
محضا الى معنى جميع وكل كما صار قاطبة وعامة اذا كان
حالا نقلا محضا الى معنى كل وجميع فاذا قلت قد قام
الناس كافة او قاطبة او عامة فلا يدل شيء من هذه
الالفاظ على التانيث كما لا يدل عليه كل ولا جميع وتوكيده
بقوله او في شعب الاسلام وشرايعه كلها او الوجه الاول
من قوله بان يدخلوا في الطاعات كلها فلا حاجة الى الترديد
وقال ابن عطية رضي الله عنه وكذا قالت طائفة جميع
المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى امرهم بالثبوت فيه
والزيادة من التزام حدوده فيستغرق كافة جسد المؤمنين
وجميع اجزاء الشرع فيكون الحال من شيئين وذلك جائز نحو قوله تعالى

وأتت به قومها تحمله لما غير ذلك من الامثلة ثم قال بعد كلام
ذكره وكافة سعاه جميعا والمراد بالكافة الجماعة التي يكف
مخالفتها انتهى كلامه وقوله فكون الحال من شيئين يعني
من الفاعل في ادخلوا المشكل في قوله فاتت به قومها
تحمله وقد يكون من الضمير المجرور بها وهذا المثال
ليس بمطابق للحال من شيئين أو من شيء شيئين لان
لفظة تحمله لا تحمل شيئين ولا يقع الحال من شيئين
إلا اذا كانت اللفظة تحتملهما واعتبار ذلك يجعل ذو في
الحال مبتدأه او مبتدأ ان بدو الاخاء ويبتدأ الحال
عنهما فمتى صح ذلك صح للحال او صحت الحال ومتى امتنع
امتنعت الحال مثال ذلك قول
وعلقت سلمى وهي ذات موصد ولم تدر للاوراد من حد نهاجم
صغيرين يرجى الهم بالتأنا الى اليوم لم نكبر ولم يكبر الهم
فصغيرين حال من الضمير في علقت ومن سلمى لانه يصلح ان
تقول انا وسلمى صغيران يرجى الهم ومثله قوله
خرجت بها تمشي تجر وارقا فمتى حال
من التاء في خرجت ومن الضمير المجرور في بها ويصلح
ان تقول انا وهي تمشي وهنا لا يصلح ان يكون تجر
خبرا عنهما لو قلت هي وهو تجر لم يصح ان يكون تجر خبرا
نحو قوله هند وزيد يكرمه لان تجر ويكرمه لا يصح
ان تقدر الا بمفرد فيمتنع ان يكون حالا من هند وهي حال
وكذلك قراءة المعربون في خرجت بها تمشي تجر وارقا
تمشي حالا منهما وتجر حالا من ضمير المؤنث خاصة لانه
لو قيل انا وهي تجر وارقا لم يجز ان يكون تجر خبرا عنهما
لان تجر وتحمل انما يقدر ان بمفرد اي حاملة وجارة
واذا صرحت بهذا المفرد لم يكن ان يكون حالا منهما وكافة
تدل الا على معنى جميع يصلح ان يكون حالا من الفاعل في ادخلوا
ومن السلم بمعنى شرايع الاسلام لانك لو قلت ادخلوا
ارجلا وابناء جميعا في كذا صح ان يكون خبرا لا تقول
كافة كما تقول الزيدون والعمرون
كافة في كذا ولا يكون ان يقع حالا على ما قررت لان افتراق
ذلك انما هو بسبب مادة كافة اذ لم تتصرف ضرورة لم يلزم
هنا نصبها على الحال لكن مراد فيها يصح عند ذلك وقوله والمراد
بالكافة الجماعة اي بتكيف مخالفتها يعني ان هذا في اصل الوضع

ثم صار

جمع

ثم صار الاستعمال لها بمعنى جميعا كما قال ما وعد وه كافة
معناه جميعا وضمّ عين قفله الاتباع لضمّ ما بالألف واللام
لغة اهل الحجاز فتقول خطوات وان للتم اري رايتها
الشيطان في كفار معصية وقرئ بالتم بفتح الهمزة وكسرها
من بعد ما جاءتكم البينات وهي حجج الله وادلته التي
اوضحها في كتابه وعلى لسان رسله عليهم اجمعين الصلاة
والسلام فاعلموا ان الله عزيز حكيم فيما يترتب من ازواجر
لمن خالف وفي ذلك وعيد شديد وامر بليغ بان يعلموا
بتبيته لهم على ما قد يضل العاصي عن وصيد تعالى نفسه عن
الصفتين هل ينظرون اي هل ينتظرون والمعنى
فيه على النفي ولذلك وقعت الا في قوله الا ان ياتيهم الله والاتيان
حقيقة في الانتقال من حيز الى حيز وذلك يستحيل
بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى وهو اتيان ما يليق به سبحانه
وتعالى من غير انتقال اذ هو سبحانه وتعالى ليس في مكان
او يكون على حذف مضاف وهو الذي صرح به في قوله عز
وجل او ياتي امر ربك وهو عبارة عن بأسه وسطوته
عذابه ويدل على هذا المحذوف قوله في ظلل من الغمام
يستحيل ان يحل الله تعالى في ظلل وقد قيل المعنى في
ينظرون للهود وهم مشبهة ويدل عليه قوله تعالى
بعد سل بني اسرائيل والمعنى انهم لا يقبلون ما دعوا اليه
من الاسلام واتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام الا ان
ياتيهم الله تعالى وقرئ في ظلل وفي ظلال والاول جمع
مستقاس والثاني لا ينقاس وقرئ والملائكة بالرفع
عطفا على الظلل والجر عطفا على ما في ظلل او على من الغمام
وقضي الامر قد سبق ذكر من هذا ذلك المحذوف العامل
وقوله الى ربك وقضاء الامر عبارة عن الجزاء والفراغ
من الحساب وقرئ وقضا الامر مبنيا للمفعول وقضا الامر مبنيا للفاعل
ورجعها وقرئ وقضي الامور جميعا اي جميعا وقرئ
ترجع بالياء مبنيا للمفعول للفاعل والتاء وبالياء بقيا
على الفعل سل بني اسرائيل الخطاب للرسول عليه
الصلاة والسلام او لكل احد وقرئ اسال وسل لم يعتد
بنقل الحركة فحذف همزة الوصل هنا وفي الجمهور سل
واختلس النقل وحذف همزة الوصل واحتمل ان يكون على
لغة من يسال تسال حكاها سيبويه رضي الله عنه آتيناهم
كم اتيناهم سؤال تقريع وتكثير لما آتاهم من البينات

وقضي الامر
والى الله ترجع الامور

مع ذلك ما اجتمع عندهم وكرر في موضع نصب على المفعول الثاني
لا قلينا لكم ومن اتى تميز لكم وعلى هذا لا يجوز ما اجازه
ابن عطية رضي الله عنه من ان كم منصوبة بفعل مضمر
يفسره الظاهر التقدير كم اتيناهم اتيناهم لان الضمير في
آتيناهم لكم عائد اليكم ولا تو سببي وظهر ما اجاز
ان تقول كم درهما اعطيت زيدا استفت الدرهم بفعل
مضمر واعطيت ليس فيه ضمير يعود على الدرهم ولا تو سببي
وترك نصبه باعطيت للمفعول به وكذلك تقول زيدا
ضربت بعض من ياتيه بفعل محذوف وصرت مثل لقد
قيد واجاز ايضا ان تكون كم مبتدأة وحذف الضمير
العائد عليها والتقدير آتيناهموها وهذا عند بعض
البصريين لا يكون الا في الاضطرار كقوله لو عندهم
كما شاذ في القرآن وكم اتيناهم في موضع المفعول الثاني
لسل وسل معلقة كما قال سائل اين اسد ما هذه
الصوت يعني ومعنى ذلك ما هذه الاصوات واجاز الزمخشري
رضي الله تعالى عنه ان تكون كم خبرية وفي جعلها هزية
اقتطاع الجملة التي هي فيها من جملة السؤال ونصر الكلام
معلقا عما قبله وانت ترى نصب السؤال على هذه الجملة ولا
يكون ذلك الا مع الاستفهام ومن آية تميز لكم واجاز ابن
عطية رضي الله عنه ان يكون من آية مفعولا من اجله وقد
يكون التمييز محذوفا وفي جواز مثل هذا التركيب نظر كم
درهما اعطيت من رجل فضة فطر ايضا والايات البينات
هي ما تضمنته التوراة والانجيل من صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن يبدل نعمة الله وتضمن ما جاءه من الآيات
ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته هي الآيات والنعمة
هي احكامها وهي سبب الهداية ومن عام فيدخل فيه كفار
قريش وحد وحرف الجر بعد والمفعول الثاني لدلالة ما بعد
عليه والتقدير ومن يبدل نعمة الله كفرا او دل على ان
ذلك جواب ترتيب الشرط اني الريب في جواب الشرط لدلالة ما
يحل عليه تقديره لعاقبه او يقدر صبرا اي شديد العقاب
له او يتوب الى الله الضمير على مذهب من يرى ذلك اذ
شديد عقابه ● زين للذين كفروا الحياة الدنيا نزلت في ابي جهل
واصحابه كانوا يسخرون بما بسط الله لهم وفي زين ونزلت
على البناء للمفعول وزين مبنيا للفاعل بعضهم قابل والزين
هنا تعناه التحسين ● ويسخرون من الذين امنوا اي برسول

الحياة الدنيا

الذين

انقطعت انفسهم واعرضوا عن حطام الدنيا وصدرت الجملة
بالماضي لانه امر محقق منه وهو تكبب طباعهم على محبة الدنيا
وايثارهم على الاخرة والثانية جاءت بالمضارع لانه يتجدد
كل وقت عطف المضارع فيه ومتعلقه على الماضي هو
ومتعلقه على المضارع اذ ف وفي رواية اذ يقدر
وهم يسخرون تكون من عطف الجملة الاسمية على الجملة
الفعلية ولما كانت السخرية تنشئ الغلو والتطاول
للتأخر احتاج بحسبانه وتعالى يعلق المؤمنين عليهم في الاخرة
وجاز بلفظ اليوم حتى للمؤمن على التهكمي والسر
من شاء اذ في الاخرة بخلاف اذ تعبر بهمة
او في الدنيا بان تعلق المؤمنين الشهود منهم رفع الكفار
وارضهم واقوى الهمم ولا يحاسبهم على ذلك ولا يحصي عليهم
كان الناس امة واحدة اذ في الايمان فبعث الله
النبيين في الكلام حذف اذ فاختلفوا فبعث وترا
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فاختلفوا وذلك عندنا
على سبيل التمثيل لا القرآن وقد صرح في هذا المحذوف وفي
نظائره وقد صرح بهذا المحذوف في وما كان الناس الا امة
واحدة فاختلفوا عشرين ومئة بين اي مبشرين من
اطاع بالجنة ومنذرين من عصى بالعقاب وقدم البشارة
لانها انهج للنفس واول قتال لما تلقى الكبير وفيها اطمئنان
المكلف وانزل معهم الكتاب معهم حال مقدرة من الكتاب
فيتعلق بها بمحذوف وليس منصوبا بانزل وان في الكتاب
للجنس وبالحق متعلقا بانزل او في موضع الحال من الكتاب
وهي حال مؤكدة لان الحكم يتعلق بانزل والفاعل ضمير
يعود على الله وهو الضمير في انزل اي ليفصل بين الناس
والفصل لا يكون الا بعد الاختلاف ويؤيده قراءة بالبناء
للحكم بالنون وهو التفات وعدل بها للحكم متنبيا بما
للصون فيما اختلفوا فيه وما اوتوه سلام اي في الذين الذين
اختلفوا فيه وما اختلف فيه الضمير لان عائد ان على ما الموصولة
والهاء في اوتوه عائدة على الكتاب والذين اوتوه تم اوتوا
العلم والتاء لتأكيد فخصهم به تشنيعا وتقبيحا للذين
فعلوه من الاختلاف من بعد ما جاءتهم البينات اي
في الكتاب الذي انزل اذ الحق موضح فيها وجب الا يقع اختلاف
الاختلاف بغيا بينهم اي سبب اختلافهم بغي بعضهم على بعض
البغي والظلم والتعدي وهما اختلافان الاول يتعلق به

بين الناس

بعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثاني بعد نزول الكتاب
وانشقت بعضا تحذف وفي قدر اختلفوا فيه من بعده
بعضا فهدى الله الذين امنوا اي محمد صلى الله عليه وسلم
لما اختلفوا فيه اي للدين الذي اختلف فيه الناس من الحق
بتبيين المختلف فيه في موضع الحال من ما والمراد تقتضي
اصابة الحق باذنه اي بتمكينه وتوفيقه والله يهدي من
يشاء هدايته وذلك دليل على ان هدايته من شاء تكون
بمشاورتها وفي ذلك رد على المعتزلة في زعمهم انه تستعد
لهداية نفسه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة نزلت في سنة ا
اصابت المسلمين كالتي في الخندق وفي غزوة احد وام
منقطعة والتقدير بل احسبتم وحسب كظن يشتمل
على الترجيح وسدت ان مسد مفعولي حسب وما لما يكن
حملة حالية ولما امض في النفي لم والمشابهة
انه توقعت حالة غريبة او قصة عجيبة
وثم محذوف اي مثل محنة المؤمنين الذين كانوا من قبلكم
ثم فسر ذلك المثل فقال مستهم البأساء والضراء هذه الجملة
موضحة من اين وقعت على المضمر ومسهم بمعنى اصابتهم
وزلزلوا ابلغ من زلزلوا عجل ان غاية شديدة حتى يقول فريق
الرسول فحق غاية لقوله ان يقول وقرئ برفع اللام اي
بضمها وهي حكاية حال ماضية ومتى نصر الله سؤال عن وقت
والجملتان واحكاية بحت القول جمع الرسول والموصول في القول
قالوا الموصول متى نصر الله فقال الرسول عليه الصلاة والسلام
الا ان نصر الله قريب لاستطالة المسلمون النصر فاذا لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي اخبارهم عليه الصلاة والسلام بانه قريب عادت
عادت كل جملة لما يليها وحذف القول في اثناء القول لكثرته
وعظم رتبته وقول الموصول لتقدمه في ان ما انفقوا
هنا اسم جنس يسألونك ماذا ينفقون قال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت في عمرو بن الجموح كان ذا مال كثير سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتصدق وعلى من نتصدق وفي
رواية وعلى من ننفق والضمير للمؤمنين واخطاب للرسول
عليه الصلاة والسلام وماذا مفعول ينفقون وما متدأ
ذا وما موصولة والعائد عليه محذوف والتقدير اي شيء
الذي ينفقونه والظاهر السؤال عن ما ينفق لكن تضمن

الجواب

تنفقون

عليه الصلاة والسلام

ما ينفق ومصرفه بقوله قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين ومن خير بيان لما ينفق ويتناول القليل
والكثير وما موصولة او شرطية وجزاه بالصرف دون الاقرب
فالاقرب ثم بالاحوج فالاحوج وخبر ما للوالدين ان قدتا
بوصلها على اضمار اذ فعلوا فمصرفه للوالدين • وما تفعلوا
ما شرطية مضمون لها اي اي شيء تفعلوا من القليل
او الكثير من الانفاق وغيره سألوا عن خاص واجيب بحكم
عام كي يتناول بعمومه كل فرد من افراد الخير كيف الحكم
وظاهر كتب الفرضية اتما على الاعيان واما على الكفاية
فليكن ذكر اي مكتوب عليكم كالنقص بمعنى المنقوص وشرع
كتب معنى للمفعول ومبنيا للفاعل وقيل كتب الله
والقتال في سبيل الله عز وجل لاجل اعزاز كلمته
واعلائها على كلمة الكفر والجملة حال والجار متعلق
بالقتال • وعسى ان تكرهوا شيئا الآية والى بقوله عسى
للاشفاق وتجيئها لما قل ولكن مجيئها للترجي وكراهتهم
للقتال لما فيه من التعرض للقتل والاسر وانفاق الاموال
وانلاف الاموال والخطر الذي فيه الظفر والغنيمة
والاستيلاء على النفوس والاموال واعظم الحسنى الشهادة
وهي الحالة التي تمناها رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة
حال من الكرة وهو قليل مع ذلك نص على هوانه سيبويه رضي الله
عنه • وعسى ان تحبوا شيئا عسى هنا للترجي واندرج في قوله
هنا شيئا الجلوس اي السكون الى الراحة وترك القتال الذي
مخبوب بالطبع والشر الذي فيه هو ذهاب النفس وضعف الامر
وانتقاص الغنم وسبي الذراري والنساء والاثم • والله يعلم
ما فيه المصلحة لعباده يعني حث كلفكم القتال • وانتم
لا تعلمون ما علمه الله عز وجل لعنايته عواقب الامور عنكم
• يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه نزلت هذه الآية في
اول سرية في الاسلام كان اميرهم عبد الله بن جحش رضي
اغار واصحابه على عير لقريش فاقتلوا من الطائف وقتلوا عمرو
الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة فاشتد ما قالوا وعيرهم
فعيرهم اهل مكة بما استحلوا له وقيل قتلوا بالجمادى
بقي ثمان وقتلوا بالجمادى الرجب ووجه الرفع على تقدير هو
الاشهر الحرام فقتال مبتدأ وقتل الخبر او الحرام قتال
فيه وقل قتال فيه كبير قتال مبتدأ مرفوع بالجار
والمجرور وكبير خبره وظاهر الآية تحريم القتال في الشهر
الحرام

صلاي منسوخة وقيل بمحكمة قال عطاء رضي الله عنه لم تنسخ
وحلت قال الله ما كنت للناس ان يغزوا في الحرم وقال ابي
الشهر الحرام الاية تبتا نزلوا وصدوا وما بعده من المعاطف
جملة من مبتدا وخبر معطوفة على قوله قتال فيه كبير
وخبر المبتدا الذي من القتل والمعنى وصدكم المسلمين
عن سبيل الله وكفر به اي سبيل الله وطريق الله عز وجل
وشريعته وقد حذف المضاف للقرينة في عطف والمسجد الحرام
وهو الذي يخطان انه عطف على الضمير المجرور ولم يعد
حرف الجر وقد رددت ذلك في لسان العرب نثرا ونظما واختلاف
حروف العطف وان كان ذلك لبس بمذهب جمهور البصريين
للاحظ ذلك الكوفيون ويونس والاخفش والاستاذ ابو علي
الشلوبين وابن ولسنا معتمدين ما ساغ في مذهب جمهور البصريين
وبه نتبع الدليل واخراج اهله الذي واخراجكم اهله والضمير
للمسجد وجعل الموصول اهله لانهم هم والذين يقومون بواجب
حقه وتعظيمه اولا ان ما لهم المنفي الحاقية فقوله عز وجل
واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل قال
ابن عباس رضي الله عنهما والمراد بالفتنة هي التي فتن المسلمين
عن دينهم فكفروا اكبر اثما من قتلهم اياكم في الاشهر الحرم اي الكفار
ودت هذا اذا الضمير في قوله يسالونك هو للكفار والضمير
المنصوب للمؤمنين انتقل من خطاب الرسول عليه الصلاة
والسلام لخطاب المؤمنين وحتى تحتمل الغاية ويحتمل
التعليل وقد جعلها للغاية ابن عطية وجعلها للتعليل
الزمخشري رضي الله عنه ومن الممكن ان يكون الفعل الصادر
منهم المنافي للمؤمنين وهو المقاتلة ذكر فاعله توجيها
فان ما ان تضمنت قيدا للفعل ما دامت علة الفعل
وذلك بخلاف الغاية فانها تقتضي في الفعل دون ذكره
الحامل عليه فزمان وجوده يمتد بغايته وزمان وجود
الفعل يمتد لوجود علته وفرق في القوة بين التقييد
بالغاية والدين هنا الاسلام وهو الذي ام محذوف اي ان
استطاعوا فلا بد ان يقاتلوكم ومن يرتدد منكم فيمت
من الردة وهي بمعنى التحول والتكست لانه تكلف اذ من
اشرد بن الحق بعيد ان يرجع عنه فلذلك جاء الفعل هنا
ولم يختلف هنا في فك المثلين وهي لغة الحجاز ثم مت
وهو كافر بنت الكفر على الموت بعد الردة ورتب على ذلك
حبوط العمل في الدنيا وحبوطه في الدنيا لاستحقاق قتله

وإلحاقه في الأحكام بالكفار وفي الآخرة بما يؤول إليه من
العذاب والعقاب السرمدي وقد جاء حبوط العمل مرتبا على
الشرك دون الموافاة على الكفر فلو كان قد حج ثم ارتد فقال
الإمام مالك رضي الله عنه وأبو حنيفة وغيرهما رضي الله عنهم
أجمعين يلزمه الحج إذا رجع إلى الإسلام وقال الشافعي رضي
الله عنه لا يلزمه إعادة الحج ه فأولئك إشارة إلى من اتصف
بهذه الصفة أي من اتصف بهذه الصفات المتقدمة
وهو حمل على معنى من بعد الحمل على اللفظ وأولئك
يحتمل أن تكون معطوفا على الجزاء ويحتمل أن تكون ابتدا
إخبار عطفا على جملة الشرط ه إن الذين آمنوا روي أن
عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتل الحضرمي ظن قوم أنهم
إن سلموا من الإثم وليس لهم أجر فنزلت ولما كان الإيمان
هو الأصل أفرده بموصول ولما كانت الهجرة والجهاد
فرعين أفردا بموصول لأنهما من حيث الفرعية واحد أولئك
إشارة إلى المتصفين بالأوصاف الثلاثة من الإيمان
والهجرة والجهاد وليس تكرير الموصول مشعرا بالمغايرة
في الذوات يرجون رحمة الله لأنه ما دام المرء في قيد
الحياة لا يقطع أنه صائر إلى الجنة إذ لا يختم له به وكتبت
رحمت بالتاء لتمتان بحالة الوصل مذهبا لمن يقف
عليها بالتاء لا بالهاء ه يسألونك عن الخمر والميسر الخمر
هو المعتصر من العنب إذا غلى بالنار واشتد وقذف
بالزبد والميسر القمار مفعل من يسر تيسر وهو عشرة أقداح
وهي الأزلام لتسعة منها خطوط وفيها فروض على عدة الخطوط
للعد وله سهم واحد والتوأم وله سهمان والرقيب وله
ثلاثة والحلس وله أربعة والنافس وله خمسة والمسبل
وله ستة والمعلى وله سبعة وثلاثة أعقال لا خطوط
لها وهي المسبح والسبح والمرعد وقد يزاد هذه بتكثير السهام
ويختلط على الخرصة وهو للضارب بالقداح فلا يجد إلى
الميل مع أحد سبيلا وهو رجل عسر عندهم ثم يجثو الضارب
على ركبتيه ويلتحف بثوب ويخرج رأسه ويجعل تلك
القداح في الرشابة وهي خريطة ثم يحلحلها ويدخل
يده ويخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج له قدح
من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم ذلك القدح
ومن خرج له قدح من تلك الثلاثة لم يأخذ شيئا وغرم
ثمن الجزور كله وكانت هي عادة العرب أن تضرب بهذه القداح

ن
يعلم ما يختم له به

في الدين وضيق العيش وكل امر دعا الى العار فاستيسر ذ
الجزور ويضمن الانسان ثمنه ثم يجزر ويقسم على عشرة
اقسام وانهم ان حرج له نصيب واسيء به الفقراء ولا يأكل
منه شيء ويفرحون بذلك ويسمون من لم يدخل فيه اللئيم
وفي هذا دليل على سؤال عمر ومعاذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانها
مذهبة للعقل مسلبة للمال ضربت هذه الآية وهي
قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر ولما كان الخمر والميسر من
قمار العرب ومع ما فيهما من الاثم قلت ان يبقى مال للمتصدق
فيه او يحابى هذه مسألة عن ذلك فنزل قوله عز وجل قل
فيهما اثم كبير وهذا يدل على ان مقاطعهما من اكتساب
وذلك بعد التحريم ومنافع للناس هذا كان قبل التحريم
والاثم هو الذنب الذي يترتب عليه العقاب مع ما جاء في
الخمر من ذهاب العقل والمال والافتراء والتعدي
والمنفعة التي فيهما ما يحصل من الارباح والاكتساب
وذهاب الهم وحصول الفرح بالمال وغيره وقد ذكر الاثم
منافعها ومضارها والمنفعة التي في الميسر التوسعة
على العيال وبعد التعدي الضرر بالمال وشرب كثيرا فانا
ثلثة والباء ايضا وها قرآنان مختلفتان يختص بهما كل
واحد بمعان كثيرة وانهما اكبر من نفعهما وهو ما تغرمون
فيهما من الاثم ويسألونك ماذا ينفقون تقدم هذا
السؤال واجيبوا بالصرف واجيبوا بذكر المقدار
والعفو هو ما فضل عن ما يحتاج اليه ممن يمونه
ويسهل عليه وقرئ قل العفو بالنصب على تقدير
ماذا تنفقون قل العفو او بالرفع على تقدير هو العفو
لخلو السؤال في القراءتين وان كان قد يحوج عدم المطابق
والرفع على اضمار تنفقون اي لمنفق العفو وتقدير
ابن عطية قل العفو نفقاتكم ليس يجيد لانه الى ما يصدر
وليس السؤال عن المصدر قال ابن عطية رضي الله عنه
ورفع العفو مع نصب ما جاء ضعيف وذلك نصه
مع رفعها انتهى وقوله جاء ضعيف ليس كما ذكر
هو جائز وليس هو بضعيف والاشارة في كذلك الى ابهم
من تبيينه حكم الخمر والميسر والانفاق القريب ذكره والايات
العلامات والدلائل كلكم تتفكرون ترجية للتفكر بحصل
عند تبيين الايات في الدنيا والاخرة متعلق بتتفكرون

اي في امر الدنيا

امر الزنا والاخرق وكانوا في الجاهلية يخرجون من
مخالطة اليتامى في المآكل والمشارب ويجعلون اموالهم
قوله ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير
والاصلاح بتعليمهم وتاديبهم والنظر في جملة مالهم
وحفظه واصلاح مستداه قد تكون نكرة لوقوعها موقع
من قولك لهم مشتغلة به اي هو في موضع الصفة وما
يقدر حذف فاعله وخير خبر وخير شامل
للاصلاح المتعلق بالفاعل والمفعول والخير بينهما
تكون للمخالطين معا وان اصلاحهم للتاسي خير
للمصلح بثواب الله وللمصلح بنفعها فيتاسى وحال اليتيم
وحال الكفيل وان تخالطوهم فاخوانكم فيه ادغمت التاء
من الغيبة في الخطاب اي فاخوانكم في الدين يسعى ان
تخالطوا لهم حانتظر ولي احدكم لاخوانكم فان الشفقة
من الشفقة والله يعلم المفسد من المصلح
والمخالطة من الخلط هو ان تمزج والجنس في المثل
فيجعل نفقة اليتيم مع نفقة عياله بالتجزي اذ قد
يعسر افراد نفقته بطعامه فلا يجد بد من خلطه بمالهم
تعالى لرخص لهم في ذلك وكذا اي مخالطة تكون لليتيم
فيها اصلاح من مطعم او مسكن او مشاركة
او مضاربة او مصانعة ان عزز ذلك وجواب الشرط دل عليه
قوله فاخوانكم اي فهم اخوانكم وقد ياخوانكم كما قد صنف
اي فيخالطون اخوانهم والله يعلم المفسد من المصلح
جملة تحذير والمعنى انه يجازي كلا منهما على الوصف الذي
قام به وان فيها للاستغراق ومن معناها هنا
العقل وضمن تعلم معنى تميز فيعذي بمن ولو شاء
الله لاعنتكم لاحرجكم وشدد عليكم في كفالة اليتامى وقربة
مجتنب اموالهم وتلفها وظلمها بادنى كفاية حرجتها على الذاهر
وقد تقدم رخص الادام من الحركة وجعل قراءة طرح الهمزة
وهما ابو عبد الله نصر بن علي ابن مريم في هذه الجملة تكرير
باحسان استعرضك وانتحاه على ارجحية اليتامى اذا ازال
ارتيابهم في مخالطتهم اياهم والنظر في احوالهم وان تعلم
كما تقدمت الاشارة اليه ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
نزلت في عناد بن رواحة اعتق امة مسلمة وتزوجها
فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا نكح امة وكانوا يريدون
ان ينكحوا الى المشركين رغبة في احسابهم وفي ابي مرثد الغنوي اراد

يعني

ل

من

ان تزوج امة فشكا ذلك

مشركة ذات جمال وقرئ تنكحوا بفتح التاء ويطلق
بمعنى العقد وبمعنى الوطء وقرئ بضمها اي ولا تنكحوا
انفسكم المشركات والمشركات هنا الكفار وهو عموم خص
بجواز نكاح الكتابيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هو على عمومه فيخرج نكاح الوثنيات والمجوسيات
والكتابيات وكل من على غير دين الاسلام والاية على
هذا محكمة ناسخة لاية المائدة متقدمة في النزول
وان تاخرت في التلاوة وبجواز نكاح الكتابيات قال
الجمهور ولامة اي رقيقة مؤمنة خير اي من حرة مشركة
وعموم المشركات يقتضي منع نكاح الامة الكافرة ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا اي الخطاب هنا للاولياء اي المؤمنات
واجمعت الامة على ان الكافر لا يطأ المؤمنة بوجه ما
والنهي على التحريم ولو في الموضعين بمعنى ان الشرطية والواو
في ولو للعطف على حال محذوفة اي على كل حال ولو في
هذه الحال المقتضية للرغبة في النكاح اولئك اي الموصوفون
بما ذكر يدعون الى النار اشارة الى الصنفين المذكورين
وهم المشركات والمشركين والدعاء قد يكون بالقول او يكون
بسبب المحبة والمخالطة قد تسري الى الطباع ما يحمل على
الموافقة حتى في ترك قتال قومها الكفار فيؤدي ذلك الى النار
وهذه العلة مانعة من نكاح الكفار وعدي يدعوا بالى وقد
يتعدى باللام ومفعول يدعوا محذوف اي يدعونكم
والله يدعوكم وتباين القسمين يؤكد منع مناكحة الكفار
ان يحرم اجابة الكافر ويجب اجابة دعاء الله عز وجل ولا يحتاج
الى تقدير حذف مضاف اي واولياء الله يدعون كما قال
الزمخشري رضي الله عنه بل حمله على الظاهر اوكد في التباعد
من المشركين وقرئ بالمغفرة بالجر اي يدعو الى سبب المغفرة
وهو التزام الطاعة والتوبة وبالرفع اي والمغفرة حاصلة
باذنه وتيسيره ويبين اياته اي يظهرها جلية لكل احد
رجاء ان يحصل بظهورها تذكر واتعاظ وفي صحيح مسلم
عن انس ان اليهود كانت اذا حاضت المرأة منهم اخرجوها من البيت
ولم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها فسئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فنزل وفي رواية فانزل الله تعالى في شان
ذلك قوله تعالى ويسألونك عن المحيض ولما تضمن ما قبل
هذه الاية ايثار مناكحة اهل الايمان بين حكما عظيما من
الاحكام وهو النكاح زمان الحيض والمحيض مفعل ويراد به

المصدر

المقدر اي الحيض وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو كان الدم
وهو الموجود هل هو اذى الحيض اذي اي اذ آذان قلنا
انه موضع الحيض فكون على حذف مضاف اي موضع اذى ٥ ي
فاعتزلوا النساء اي نكاح النساء في زمان المحيض او
في موضع الحيض ولا تقربوهن كناية عن معنى ان النكاح
وفي ولا تطهرن مضارع طهر اي بسكان من دم الحيض
ويطهرن مضارع اطهر فيه وطاهر ٦ الا غتسال ٥
بالماء فاذا تطهرن قاراك بالماء قال الجمهور يغتسل منه
كاغتسال الجنابة وقال آخرون يغسل مكان الدم بالماء
فسيح الوطء به قال ابو محمد بن حزم رضي الله عنه اجمعين
• فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله اي من الجهة
التي امركم الله ان تاتوها وهو افضل الاماكن المذكورة ٥
الحيض ولما كانت لهم حالة يتنزهها حالة حيض النساء
من مجامعة النساء واخر سبحانه وتعالى بالغاية من ذلك
حالة الحيض اشي على من امتثل امر الله ورجع الى ما شرع ع
فقال ان الله يحب التوابين الاية وابرز ذلك في صورة
عامة ليندرج الازواج وازواجهن في ذلك وكرر
الفعل ليدل على اختلاف الجهتين من التوبة
والتطهر نساؤكم حرث لكم قال ابن عباس رضي الله عنهما
وقد روى البخاري ومسلم رضي الله عنهما ان اليهود كانت تقول
في الدبر هي امرأته من جهة دبرها في قبلها ان الولد
يكون احول فنزلت تلك الاية وكان ذلك في قوله فاتوا حرثكم
من حيث امركم الله تشويع للانسان على سائر احواله فاكد
بقوله انى كيف شئتم اي مقبلة ومدبرة وعلى شئتم اي
شق ومضطجعة وناتئة وغير ذلك من الاحوال مع
الجماع والحرث اذ المطعم والمزرع كالارض الى الذ
كانت وانى تاتي بمعنى كيف وبمعنى متى وبمعنى اين واني في
يكون لهما ما كقوله تعالى اني لك هذا وشرط الاخبار
هنا ان يكون لهما ما لان حملها لا يستقل بالاتيان بما حتم
الى ضميم واذا كانت شرطا فقد عدوها من ظروف المكان
وهي من الحوان م وكلاهما اعني اذا كانت لهما ما او شرطا
لا يعمل فيها ما قبلها والذي يظهر ان تكون شرطا الافتقارها
الى جملة غير الجملة التي قبلها او بعدها وتكون قد جعلت
فيها الاحوال تحمل الظروف المكانية واجريت مجراها
لتضمنها للمكان بالظروف المكانية وقد جاء مثل ذلك ي ه

شئتم اي

لتطهر

كيف خرج به عن الاستفهام الى معنى الشرط في قولهم كيف
يكون كون وجواب الجملة محذوف ودل عليه ما قبله
تقديره ان كنتم فاتوه وقدموا لانفسكم اي الاعمال
الصالحة وامتثال ما امركم الله به اي ما امركم الله به من
امر ونهي ايضا وا علموا انكم ملاقوه اي بعد الموت فتوا جدوه
على اعمالكم وبشر المومنين اي بمن العاقبة في الآخرة
وقيه فاره نبيل عظيم للمومنات والعرضة فعلة من العرض
بمعنى المعروف كالقبضة والمسرة عرضة للنكاح اي معرضة
وفلان عرضة لكذا اي معرض له والمعنى لا تجعلوا
للحلف حتى جرت العادة في قصاح المتعاقدين وتلاحم
فتفوتوا البر والتقوى بتعاديهم عن انشداد اسمه
تعالى وجعله عرضا لما يحلفون عليه دائما لان من يتقي
ويحذر تحت صيانة اسمه وتنزيهه عما لا يليق به من كونه
مذكورا في كل ما يحلف عليه من قليل وكثير وحقير وخطير
والجمع الاكثار واللام في لايمانكم متعلق بعرضة اي معدا
وعرضة او بجعلا حتى تكون للتعليل لان تبروا امر اي
لاجل ان تبروا وقد علل الامتناع بهما من بين الاسباب
اي بتذاك اسم الله عز وجل في الحلف بارادة وجود البر
والكف ايمانكم عن هذا المانع توقي ذلك من البر والتقوى
والاصلاح وتتعقد من ذلك شرط وجزاء اي ان امتنعت
من انشداد اسمه تعالى بروا تقيتم واصلحتم وقد ذكر
كلام المقترن في توضيح ان تبروا فقال ان محترزي رضي الله عنه
يتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله
لاجل ايمانكم له عرضة لان تبروا انتهى ولا يصح هذا
التقدير لان فيه فصلا بين العامل وبين المعمول
باجنبي لانه على ما ايمانكم يجعلوا على ان تبروا والعرضة
قد فصل بين عرضة وبين ان تبروا بقوله لايمانكم
وهو اجنبي منهما لانه معمول عدة لتجعلوا او ذلك لا يجوز
ونظير ما اجازه ان تقول امرتك واصرف زيدا هندا فهذا
لا يجوز ونص اصحابنا على انه لا يجوز ان تقول جاءني رجل وامرس
الملق بذلك الملق لما فيه من الفصل بالاجنبي والذي نظهر ان
ان تبروا في موضع نصب على اسقاط الخافض والحامل فيه
قوله لايمانكم اي لتقديركم لا فسألهم على ان تبروا فنهوا عن
اتخاذ اسمه تعالى وجعله معرضا لا فسألهم على البر والتقوى
والاصلاح الذاتي بي او صاف حسنة لما يخاف في ذلك من الحنث

لايمانكم

فكيف

فكيف اذا كانت ايضا ما على ما ياتي الترا والتقوى والاصلاح
وعلى هذا يكون الكلام مستظما وتعادل لفظ مسد مكانه
الذي يليق به وقال ان بحري رضي الله عنه عند ان
تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي الامور المحلوف
عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس انتهى
وهو ضعيف لان فيه مخالفة للظاهر لان الظاهر
من الايمان هي الاقسام والبر والتقوى والاصلاح
هي المقسم عليها فهما حينئذ مغايرات فلا يكون ان تكون عطف
بيان على الايمان كما قال قول الايمان على انها المحلوف
عليها سائغ لذلك وقد بينا انه لا حاجة تدعو
الى تاويل الايمان بالمحلوف عليها وعلى مذهبه يكون
ان تبروا في موضع جر ولو اريد ان يكون ان تبروا
وما بعده بدلا من ايمانكم لكان اولى لان عطف البيان
اكثر ما يكون في الاعلام او احدكم هذا للغوي ثم حكم
لهو قول الرجل لا والله وبلى والله من غير قصد الحلف
لعقد اليمين فتجب الواحدة في لغو اليمين والثنتان
الثلث وهي الكفارة في الدنيا ان حنث وكانت مما تكفر
والعقوبة في الاخرة ان كانتا مما لا تكفر تكفر وفي هذه
الجملة حذف ذلك عليه ما قبلها لتقدير لكن يؤاخذكم
في ايمانكم واسعة عفو حليم فيه توسعة حتى لم
تؤاخذ باللغو واتساعا بالغفران والحلم عن من تعقده
قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ابو بكر كما هلكته السنة
والسنتين واكثر فوقت الله ذلك وهو الحلف ان لا
تطأ وها او يمتنع من الوطئ والدين فدلوني شاملة للحر
والعبد والسكران والمستيقظ فلو لي على غير المجنون
ومن لا يرجى منه وطئ وفي الكلام نقص من وحذف اي
يمتنعون بالايلاء من وطئ نسائهم ومن نسائهم عام في
الزوجات حرة او امة او كتابية او صغيرة لم تبلغ حد
فيها وعزم حولها ولي لان له يمينا حلفا شيء يخص من
حل كل يمين يمنع جماعا ولا اقتدارا على امتناع بمكان ام
الحلف وقرئ اربعة اشهر هذا من اضافة المصدر
الى ظرفه وهما ان استعمل فيه او اتدارك لما لا بد منه من وقت
الحلف فان فاؤا اي رجعوا للوطئ والظاهر ان الفيئة
تكون في الاشهر وبعدا بعضها وكم يات في الايمان
اذا فاؤا وطئ لان كفارة بلظاهر قولهم ان الله غفور رحيم انه

سعة

لا كفارة عليه

وان عزموا الطلاق لما على الطلاق او ضمن عزم معنى كونى
وعزاه لمقسم وقال قسم على الطلاق وجواب الشرط هنا
محذوف اى مثلا نحو وهذا التقسيم الشرطى يدل على
ان لا تقع الفرقة بمضى الاشهر من غير قول بل لا بد من التلفظ
لان العزم على الشئ ليس فعلا لكنى ويؤكد قوله فان الله
سميع عليم كانه بلفظه سمع باعتبار ايقاع الطلاق لانه
من المسموعات وهو جواب الشرط وعليم باعتبار الوزم
على الطلاق لا يتصور بالاتيان وهو الشرط ولو قدر ك
الاتيان الا بالعلم وتاخر هذا الوصف لمواخاة رؤس الآى
ولان العلم اعم من السمع فى قوله وان عزموا الطلاق
دالة على مطلق الطلاق فلا بد لك على خصوص قيد طلاق فكون
رجعيا او بائنا وقال المحشى رضى الله عنه فان قلت
ما يفعك فى قوله فان الله سميع عليم وعزم الطلاق مما
يعلم ولم يسمع قلت لعلك ان العازم للطلاق وتركه
الفيئة قالها ولا يخلوان من مقاولة وحمدمة ولا بد من ان
يحرك لسانه وشاهد بذلك وذلك حديث لا تسمعه
الاذن حتى تحركه كما يسمع وسوسة الشيطان انتهى وقد
قدمنا ان صفة السمع جاءت هنا لان المعنى وان عزموا
الطلاق اوقعوه اى الطلاق فهو من باب المسموعات والصفة تتعلق بالجواب لا الشرط فلا
يحتاج هنا الى تاويل المحشى رضى الله عنه وانطلاق
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء والمطلقات عام مخصوص
بالمدخول بهن ذوات الاقراء لان حكمها تين والايسة
والحامل مستثنى من هذه بحالف لحكم هؤلاء ويتربصن صورة
خبر ومعناه الامر ومعناه ينتظرون ولا يعقد من على زوج
يتزوج او يتربص وهو متعد لقوله ونحن نتربص بكم
ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا ومفعوله هنا
محذوف اى يتربصن التزوج او الازواج والباء
للسببية كمن اجل انفسهن وانتصب ثلاثة على انه ظرف
او كن منذ ثلاثة قروء وقد معمول يتربصن اى مضى
ثلاثة قروء والمعهود فى الشرع قولان احدهما انه الحيض
وان لفظه الطهر والظاهر من عموم قوله والمطلقات ان
تحول كرجحة الامة فى الاعتداد بثلاثة قروء وفرئ قرء
بالضم وهو بالابدال مما لا دغام وفرئ بفتح القاف وسكون
الراء وواو وهى حرف الاعراب وفعول من نباء جمع الكثرة

وهو هنا

في شمول

وهل هنا من ما لا يتسع او قد يتسع احدهما القلة
والكثرة عن الآخر ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن من ارحام الحيض وما حاضت او ابتغاء وقد
حاضت او من الاداحة ولا يغترن به وان مر سنات
على ذلك وقرئ في ارحامهن وهو من بضم الباء في
الوضع ان كن يؤمن شرط حوابه محذوف اي فيحرم
عليهن ذلك او فلا يكتمن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر بان
الله عز وجل وبعولتهن ازواجهن وقيل اي ان ازواجهن
وجمع على فعولة لما جمع لانتقاس وقرئ بضم التاء
وسكون الواو وسماهم بعولة تاعتبار ما كانوا عليه والضمير في
وبعولتهن عائد على المطلقات والحكم خاص بالرجعيات
او على حذف مضاف اي وبعولة رجعياتهن واحق لبيت
على ما فهما من الفضل لان غير الزوج لا حق له ولا تسلط
على الزوجة في مدة العدة وفي ذلك اشارة الى مدة الترقب
وكانه قال وبعولتهن حقيقون بردهن واخبر ان حق
الرد للزوج حيث لو اتته فليس لها ذلك وله ردها اذا كان
وفي كتبه الرد خلاف ولا خلاف في صحته بالقول ان
اراد وا اصلاحا طامع انه شرط في الرجعة ويظهر ان
اراده اصلاح ما حصل من الفساد بالطلاق قالوا وقد
تستغني الزوجة الرجعة عن الولي وعن رضاها وعن تسميته
مهرا وعن ان الشهاد على الرجعة على الصحيح وتسقط بالرجعة
نفقة العدة وتحل لها جماعها في الحال وتحاج في اثبات
هذا كله الى دليل واضح من الشرع والذي يظهر ان المراة
بالطلاق تنفصل من الرجل فلا يجوز ان تعود اليه الا بسبب
قال ثم اذا طلقتموهن واراد ان تنكحها فما ان يتزوج شيئا من
عدتها او لا يتزوج ان يتزوجها دون انقضاء عدتها
منه ان اراد والاصلاح ومفهوم الشرط انه ان اراد غير
الاصلاح لا يكون له ذلك وان انقضت عدتها سواء يلوى وغيره
في جواز تزوجها اما ان يكون قد طلقت وهي باقية في
العدة فيردها من غير اشتراط النكاح فيحتاج ان
هذا الحكم الى دليل واضح كما قلناه فان كان ثم دليل واضح من نص
او اجماع فليأت به ولا نعلم من علمنا ان له الرجعة على ما وصفوا
وان ذلك من اوقات العقد التي لا تشرع الذراع فيها فان كل هذا
يحتاج الى دليل والله اعلم ثم عطف ان واحد من مثل الذي كان واجبا
عليهن وهذا من بديع الكلام اذ حذف شيء من الاول اثبت
نظيره في الآخر وحذف شيء من الآخر اثبت نظيره في الاول والمثلية

في الواقعة

والطواعية وحسن العشرة ومثل مبتدأ وخبر لهن متعلق بالمعروف
متعلق بما يتعلق به للرجال • الطلاق مرتان ان كانت ال
للعهد في الطلاق الثاني فالمعنى ان الطلاق الذي
يملك به الرجعة مرتان وان الثالث لا يملك به الرجعة
وروي ان عمر رضي الله عنهما بين ان طلاق السنة الذي
هو مرتان قيل والمعنى بذلك في تفريق الطلاق
اذا اراد ان يطلق ثلاثا فلم يبينه اللفظ الا
لو طلق مبينا معنى لفظ واحد ما جاز ان يقال طلقها
مرتين وكذلك لو وقع لرجل درهمان لم يقل اني لم يجز ان
يقال اعطاه مرتين حتى يعرف الدفع فحينئذ يصدق
عليه وهكذا سمعت صحيح وما ذاك يختلج في خاطري انه
لو قال ان طالقة مرتين او ثلاثا انه لا يقع الا واحدة
لانه مصدر للطلاق ويقتضي العدد فلا بد ان تكون
الفعلة التي هو عاملة فيه تتكرر وجودا كما تقول ضربت
ضربتين او ثلاثا اي ضربات لان المصدر هو المبين
لعدد الفعل فمتى لم يتكرر وجود المسمى ان يتكرر
مصدره وان تبين ترتيب العدد فان قال انت طالق ثلاثا
فهذا ترتيب العدد وفي رواية فهذا لفظ ترتيب العدد
ومدلوله واحد والى واحد يسبق ان يكون قلما اد و
اثنين وفي نظر هذا ان بين الانسان بينا بينه وبين
محل مفعول له عند المخاطب بعتك هذا العبد ثلاثا فقوله
ثلاثا تمييز وغير مطابق لما قبله وان شاء ان يضايق
انكر ذلك حتى يعبر المحل قابلا بد لك ان شاء وهذا
يصدر اذا كان على من اعتاد انه يتبع من قول من قال طلقتك
مرتين او ثلاثا انه يقع الطلاق مرتين او ثلاثا وظاهر
الآية الجواز فيدخل في الطلاق الحر والعبد فكونه ن
حلهما سواء وفعل ابو بكر الاودني رضي الله عنه اتباعا لسلف
وقولها الا ان يصالحوا على ان الزوجين المملوكين ينفصلان ايضا
بالثنتين فلا محل لرجعتها الا بالزوج والطلاق مصدر طلقت
المرأة ويكون بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وهو مبتدأ
ومرتان الخبر او حذف مضاف اي عدد الطلاق المسموع
فيه الرجعة او الطلاق الذي المشروع في اجتنابه الحذف ايضا
ليطابق الخبر المبتدأ او المعنى في المسنون تفوكه مرتان اي
في كل طهر مرة والامر اديب وارد على الثنتين لقوله بعد فامساك
بمعروف او تسريح باحسان فامساك هو الرجعة من الثانية

او تسريح

او تسريح باحسان هي الطلقة الثالثة ولذلك جاء بعدها فان
طلقها اي فان سرحها الثالثة وقال الزمخشري رضي الله عنه
ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع
البصر كرتين اي مرتين وهي المرة بعد المرة وقد قيل ايضا
انه لا يقال انها كرتين اثنتين ونحو ذلك من الثنائي
الذي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحياتك
وهذا دينك ودواليك انتهى وهو في الظاهر مناقض لما
قال قبل ذلك ومخالف لما في نفس الامر اما مناقضته فانه
قال في تفسير الطلاق مرتان اي الطلاق الشرعي تطليقة
بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة
فقوله بما تطليقة بعد تطليقة مناقض في الظاهر لقوله
ولم يرد بالمرتين التثنية لانك اذا قلت ضربتك ضربة بعد
ضربة انما هو قد يفهم من ذلك الاقتصار على ضربتين
وهو مساو في الدلالة لقولك ضربتين ولان قولك ضربتين
لا يمكن وقوعهما مرة واحدة ولا يمكن وقوعهما الا ضربة بعد ضربة
اي واحدة بعد واحدة فكذلك في مسالة الطلاق هذه واما
مخالفته لما في نفس الامر فليس هذا من التثنية التي تكون
للتكثير لان التثنية التي يراد بها التكثير لا تقتصر بتكريرها
على ثنتين والثلاث بل يدل على التكثير مرارا فقولهم
لبيك معناه اجابة بعد اجابة فما زاد وكذلك اخواتها وكذلك
قوله كرتين معناه ثم ارجع البصر مرارا كثيرة والتثنية في قوله
الطلاق مرتان انما يراد بهما شفع الواحد وهو الاصل في التثنية
الا ترى انه لا يراد هنا بقوله مرتان ما يزيد على الثنتين
لقوله بعد فامساك بمعروف او تسريح باحسان فامساك هو
الرجعة من الثانية او تسريح باحسان هي الطلقة الثالثة ولذلك
جاء بعد فان طلقها اي فان سرحها الثالثة واذا تقرر هذا
فليس قوله مرتان دالا على التكرار الذي لا يشفع الواحد بل هو
مراد به شفع الواحد وانما غر الزمخشري في ذلك صلاحية
التقرير بقوله الطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة فجعل
ذلك من باب التثنية التي لا تشفع الى احد ويراد بها التكرار لئلا
يقتصر بها على الثلاث الا ترى ان قوله كرتين ولبيك وسعديك
وبابه ليس المعنى فيه الاقتصار على الثلاث في التكرار ولما
ولما حمل الزمخشري رضي الله عنه قوله تعالى الطلاق مرتان اي مرتين
على انه من باب التثنية التي يراد بها التكرير احتاج ان يتاول
قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان على انه تخيير لهم بعد ان

قوله ولما حمل الزمخشري بتخفيف الميم

علمهم كيف يطلقون

بعد ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بواجبهن وبين
وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم ولا يحل لكم ان
تأخذوا مما اتيتموهن شيئا نزول هذه الاية حديث جميلة
بنت عبد الله ابن ابي وزوجها ثابت ابن قيس ابن شماس
حين خالعها على حديقة بيته التي كان اعطاها اياها وهو اول
خلع وقع في الاسلام والخطاب في قوله لكم يعم الازواج لان الاخذ
والايتاء منهم قبل اقامة حدود الله ومن الحكام لتتم مع قوله تعالى
فان خفتم لانه خطاب لهم للازواج ونسب الاخذ والايتاء اليهم
عند الراجع لانهم هم الذين يعطون ذلك وما استثنى من عام فيما
ان هن من صداق وهبة وغيرهما وشاع استعماله في سياق النفي الا ان يخافا الا
ان يتبين ان حدود الله هذا المستثنى من المفعول له اي لا لعلة سبب من
الاسباب الا لسبب الخوف والضمير في قوله الا ان يخافا عائد على
صنفي الزوجين ولكان الاستثناء بعد مضي جملة الخطاب جائز
الالتفات ولحكمة وهو ان لا يخاطب من كان مؤمنا بالخوف
من انتفاء اقامة حدود الله فناسب فيه الالتفات وكذلك ما يكون
بعده ولو جاء على ما مضى من الحكاية لكان التركيب الا ان
تخافوا ان لا يقيما حدود الله وان تخافوا في موضع نصب على اسقاط
الحرف وان لا يقيما مفعول به ان لا تخافوا وقرئ بضم الياء وان لا
يقيما في موضع رفع على البدل ولم يترك لتمام وقال ابن عطية
في قراءة يخافا فالهاء لهما فعدت خاف الى مفعولين احدهما
بحد الفعل لانه والآخر بتقدير حرف جر محذوف فموضع
ان خفض بالحاء المقدرة عند سيبويه والكسائي ونصب عند
غيرهما لانه لما حذف الحاء وصار الفعل الى المفعول الثاني مثل
لتغفر الله ذنبا وامرتك الخير انتهى وهو نص كلام ابي علي
الفارسي رضي الله عنه نقله في كتابه الا التنظير باستغفر
وليس بصحيح تنظير ابن عطية رضي الله عنه خاف باستغفر
لان خاف لا يتعدى الى اثنين وامثل احدهما بجرو الخير بلا واو
جاء خفت زيدا ضربة عمرو اي كان ذلك بدلا او من ضربه
عمرا كان مفعولا من اجله ولا يفهم ذلك على انه مفعول ما لم
وقد وهم ابن عطية رضي الله عنه في نسبة ان الموضع خفض
في مذهب سيبويه والذي نقله ابو علي رضي الله عنه ونقله غيره
ان مذهب سيبويه رضي الله عنه ان الموضع بعد الحذف نصب
وبه قال الفراء رضي الله عنه وان مذهب الخليل ان جر وبه
قال الكسائي رضي الله عنه وقد رد ابن عطية رضي الله عنه
ذلك لحرف المحذوف على قياس والتقدير الا ان يخافا على

ان لا يقيما

ان لا تعلما فحلي هذا ممكن او يصح قوله ابي علي وضعيف بحمد
وحريك ان لا يخافا اي لا ان يخاف الازواج والزوجات
• وان خطم فالى الضمير للاولياء او السلطان والقول الاول
الضمير للازواج وان وجات معلقا فيه خطاب الذكور والزوجات
عند وجات فيه وان لا يقيما فيه التفات وقد بينا حكمته
وتركك اقامة الحدود بالنشوز وسوء الخلق وكراهة كل منهما لصاحبه
وتركك ما وجب لكل منهما على صاحبه فلا جناح عليهما اي على
الزوجين فيما اخذ منها وفيما افتدت به وما افتدت من اجله
من صداقها ومن مالها غير الصداق حتى وكل مالها كما قال الامام
عمر رضي الله عنه اخلعها ولو من قرطها اخلعها بادوك عقاص راسها
والظاهر من تركيبك ان ترك اقامة الحدود وان جواز الاخذ مشروط
بوجود ذلك منهما وحرم على الزوج ان ياخذ الا عند الخوف
من ان لا يقيما حدود الله وان ذهب الجمهور بقوله فلا تضار وها
ثم توعد على الاعتداء وشدد بان عند الله اذ بين فقال
لا يجوز ان يخلو ان ياخذ من زوجته شيأ خلعا لا قليلا ولا كثيرا
قال وهذه الاية منسوخة بقوله وان تم احداهن قنطارا
فلا تاخذوا منه شيأ والخلع بمثل هو فسخ او طلاق قولان في
الصحابة والتابعين وائمة المذاهب رضي الله تعالى عنهم اجمعين
وليس في الاية ما يدل على تعيين واحد منهما • فان طلقها فلا
تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره يعني ان الزوج اذا طلق زوجته
بعد مرة او ثنتين اما بقوله او بتسريح باحسان اي فان سرحها
التسريح الثالثة اي بائنة من عدد الطلاق والنكاح
يطلق على العقد وقيل يطلق على الوطء فجملة الشعبي ان
يعني سعيدا من جبير وسعيد ابن المسيب رضي الله عنهما
على العقد وقال اذا عقد عليها الثاني حلت للاول وان
لم يدخل بها ولم يصبها وخالفه الجمهور وقالوا لا بد ذلك قد
يكون لحديث امرأة رفاعة وقيل الجمهور مضيفة لحشفة
كل واحد لفظة وجاء فيه جواز نكاح المحلل فيحلل
وشوا اشترط ذلك ام لم يشترط ولا يندرج في ذلك وطء السيد
امته المطلقة ثلاثا وفي الكلام حذف تقديره فان طلقها
مرورعنه النكاح وعلى قول بعض العلماء اي فان طلقها
وانقضت عدتها منه فلا تحل له حتى تعقد عليها زوج
آخر ويدخل بها ويصيبها ويطلقها وتنقضي عدتها منه
فحينئذ يحل للزوج المطلق ثلاثا ان يراجعها او ينكحها اي في
وانقضت عدتها منه فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي على الزوج

ح

م

وقول

اي ح

المطلق ثلاثا وان وحد ان يراجعها اي بنكاح جديد ويجوز
ان يعود الضمير على ان فرج الثاني وزوجه الخ فان طلقها
الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا وتكون الاثنتان قد اوقعت
حكمين احدهما ان المبتوتة لا تحل للاول بعد نكاح ز
زوج غيره وذلك بالشروط التي ذكرت وهذا مفهوم
من صدر الاية والحكم الثاني ان للزوج الثاني الذي طلقها
يكون له ان يراجعها لانه بمنزلة منزلة الاول فيجوز لهما ان
يتراجعا ويكون ذلك دفعا لما يتبادر الى الذهن من انه اذا
كملت الثلاث حلت للاول فلكونها حلت له صفة فلا يجوز
للثاني ان يردها فيكون قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا
مبينا ان حكم الثاني حكم الاول وانه لا يجب ان الاول
يراجعها وقوله ان ظنا ان يقيما حدود الله الضمير عائد
على ما فسروه من كون الزوج الاول مستوفيا وتكون جواز
الرجع موقوفا على انكاح زوج غيره وعلى ظنهما ان يقيما
حدود الله ومفهوم الشرط انه لا يجوز الرجع ان لم يظنا
قال ان يحرك وسن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من
طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد
ولكن علمت انه يقوم زيد ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما
يظن ظنا انتهى وما ذكره من انك لا تقول من علمت ان
يقوم زيد قد قاله غيره قالوا لان ان المناسبة للمضارع
لا تعمل فيها فعل يختص بحوالعلم واليقين والتحقق وانما
تعمل فيها ان المشددة قالوا ولهذا قال في كتاب الايضاح ح
ولو قلت علمت ان يقوم زيد فصلت الفعل بان لم يجز
ذلك لان هذا من موضع ان لانها قد وقعت وتحققنا انه
لا يحسن ارجوا ان تقوم فاعرف ظاهر قول ابي علي رضي الله عنه
مخالف لما ذكر سيبويه من انه يجوز ان تقول ما علمت
الا ان يقوم زيد فاعمل علمت في ان قال ويعضد ما
ذكرناه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه احصنا
وقراءة ابي وقد علمنا ان كنتم احصنتم وحينئذ يجوز ان علمت قد
تستعمل ويراد بها الظن القوي فيجوز ان تعمل فيما ذكرت
وقد دل على استعمالها ولا يراد بها العلم القطعي اي القطع به
قوله سبحانه وتعالى فان علمتموهن مؤمنات والعلم هنا
انما يراد به الظن القوي لان القطع بايمانهن غير متوصل
اليه وقول الشاعر

واعلم علم حق غير ظن ... وتقوى الله من خير العتاد

فقوله علم حق يدل على انه يقال ان العلم قد يكون غير علم حق

وكذلك

وكذلك قوله غير ظن يدل على انه يقال علمت وهو ظان
ومما يدل على صحة ما ذكره سيبويه رضي الله عنه من ان علمت
قد تعمل في ان اذا اريد بها غير العلم القطعي قول جرير
يعرض عنها الناس ان الناس قد علموا ان لا يدانينا من خلقه احد
فاتى بان الناصبة للفعل بعد علمت انتهى كلامه وثبت
بقول جرير وتجويز سيبويه رضي الله عنه ان علم يدخل
على ان الناصبة للمضارع فليس هو توهم كما ذكره الزمخشري
رضي الله عنه من طريق اللفظ واما قوله ولان الانسان
لا يعلم ما في غد وانما يظن ظنا ليس كما ذكر ولكن قد يقال
بل الانسان قد يعلم اشياء كثيرة مما يكون في الغد ويجزم بها
ولا يظنها طلق ثابت ابن قيس زوجته حتى اذا بقيت من
عدتها يومين وقيل ثلاثة ايام وتبين راجعها ثم طلقها
ثم راجعها ثم طلقها ثم راجعها حتى مضت سبعة اشهر مضارة
لها ولم يكن الطلاق يومئذ محصورا فترك ٭ واذا طلقتم
النساء ولما كان الجمع مشاركا للواحد في الحكم جاء الخطاب
بالجمع فامسكوهن بمعروف اي راجعوهن في العدة
او سرحوهن بمعروف اي فخلوهن حتى تنقضي العدة
ونهى ان لا يكون الامساك ضرارا او ضرارا مصدر لضار
وانتصابه على انه مفعول من اجله وقيل مصدر في
موضع الحال اي مضارين لتعتدوا اي لتظلموهن
فتلجئوهن لان تفتدين منكم او بالجائهن الى اخذ اموالهن
بالافتداء وهو متعلق بضرارا فهو علة للعلة كما تقول
ضربت ابني تاديبا لينتفع ٭ ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه اي من يفعل ذلك وهو الامساك على سبيل
الضرر فقد ظلم نفسه اي بتعريضها للعذاب ولما
تقدمت ايات تضمنت الامر والنهي في النكاح وامر
الحيض والايلاء والطلاق والعدة والرجعة والخلع
وحد سبحانه وتعالى حدودا لا تتعدى اكد تعالى ذلك
بالنهي عن اتخاذ اياته هزوا ومنها الايات التي بينها في شان
النساء وهي هذه الايات النازلة في شان النساء ايضا
هزوا بل تنفذ وتحل وتتواصل اي تلقوها بحد
واجتهاد اذ هي والايات النازلة في سائر التكاليف بين
العبد وربه وبين العبد والناس لا فرق بينها ويقال
هزا به هزوا استخف وما انزل معطوف على نعمة وهي
خصوص بعد عموم اذ ما انزل هو من النعمة وفي خطابه عز وجل

يقول عليكم تشريف وتعظيم لهن وهو في الحقيقة
نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب هو القرآن
والحكمة هي السنة والضمير في به عائد على ما والخطاب
في طلقتم وفي فلا تعضلوهن للأزواج لما أن الأولياء
المطلقين عن العضل إذ كانوا يعضلونهن ذلك ظلما وقهرا
وحمية الجاهلية لا يتركون مطلقاتهن يتزوجن بمن
سوق من الأزواج والمعنى فإن زاجهن من يردن نكاحه
وسموا إذا جابا عضلا وقرئ وإن عليه فك العقد المنع
فتقول عضلته منعها من النكاح والمضارع بضم
الضاد وكسرها وإذا طلقتم النساء أي بالخطاب والنساء وإذا
مفعول لبلغن وبالمعروف متعلق بتراضوا أو بتعلقون
بقوله فلا تعضلوهن وذلك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أو لكل سامع وسلم خطاب للمنهيين عن العضل ويتعلق
بكان أو بيتعاقد بمحذوف فيكون في موضع الحال من الضمير
المستكن في يؤمن وخص المؤمن لأنه لا ينتفع بالوعظ
إلا هم ذلكم أزكى أي أن ترك العضل والمنكث من الزوج
أزكى لما فيه من امتثال أمر الله عز وجل والله يعلم بواطن الأمور
وعواقبها وأنتم لا تعلمون ذلك
والوالدات من خصائص النساء كالحبل لكنه لما كان يطلق
والمعنى الإيجاب لحقته التاء للموت فعل والدة فجمع بالألف
والتاء وما يخص النساء كالحائض لا يجوز جمعه بالألف
وإنما الآباء أو لفظ والد لأن الوالدات شامل للزوجات
والمطلقات وقرئ خبراً في حكم الله الذي شرعه
أو خبر صورة ومعناه أمر بترك الإضرار لاستحقاق
الأجرة حولين كاملين وصفهما بالكمال دفعاً لتوهم
ترك الاستقراء وجعل سبحانه وتعالى ذلك حد المدة
الرضاع لكنه ليس من أحد الذي لا يتجاوز إذ قال لمن أراد
أن يتم الرضاعة ممن لم يرد الإتمام فلا وطء قبل بلوغ الولد
لمن لم يحتج من وطء ضرر أو لمن متعلق بترضعن قد
واللام للتعليل ومن للولادة وبها لا بأب وقرئ أن يتم
برفع الميم والكوفي يعني بي مخففة من الثقيلة ومن
أهل البصرة من يقول بي لناصبة العيت حملا على ما

المصدرية

المصدرية احتها وقرئ الوضاعة بفتح الرا وكسرها كالحضارة والحصارة وعلى المولود له لان الكلام موصول ردعي فيه اللفظ فاورد الضمير في له وقد يجوز في العربية مراعاة المعنى فيتاتي للام وكن لم تقترن به وحذف الفاعل لعلم المفعول به واقيم المجرور مقام الفاعل وذلك على مذهب البصريين والكوفي رضي الله عنه لتجريد ذلك الا ان كان حرف الجر ابدا نحو ما ضرب من احد غير زيد فصل لهم في ذلك وكان لفظ المولود له لا يلفظ الاب ولا يلفظ الاستعارة اما لمنحه وشبه التملك وحيث لم يرد هذا المعنى جاء التصريح بلفظ الوالد لعود هذا الذي يجري والد عن قوله واذا اريد بالرزق والكسوة المصدران فلا حذف او المرزوق والثياب فعلى حذف مضاف اي ايصال اذ دفع والمعنى وقف ملحوظ فيها وقرئ بضم الكاف وكسرها لا تكلف نفس الا وسعها ظاهره العموم وتقدم في الضعة والوالد كما تقدم والوسع ما احتملته الطاقة وقرئ لا تكلف بضم التاء مبنيا للمفعول وبفتحها مبنيا للفاعل لا تتكلف وحذف احدى التاءين وقرئ لا تكلف بالنون نفسا بالنصب وقرئ لا تضار برفع الراء وفتحها والرفع نفي في معنى النهي والفتح نهي وكذا كسرها على اصل التقاء الساكنين وقرئ به وبسكونها مشددة اجرا للوقف مجرى الوقف وتسكين الراء مخففة وهو مضارع من ضار مرفوع اجري في الوصل مجرى الوقف ومن قرأ بتشديد الراء جاز ان يكون مبنيا للفاعل وبنائه للمفعول وقرئ بالفك اي كسر الراء الاولى وبفتحها وسكون الثانية فيهما وانتصاب بولدها وفي ولده للتبيين اي تضار بسببه وكذا في الثانية اي بسبب ولده وعلى الوارث مثل ذلك معطوف على قوله وعلى المولود له اي وعلى وارث المولود له وفي تعيينه عدة اقوال اظهرها انه ابن المولود له ومال وارثا للمولود له ومات وفي ماله ورث الولد ان كان عصبة ما ترك ابوه فانه يجب عليه دره ام الصغير وكسوتها بالمعروف في مدة الارضاع ومثل ذلك هو الرزق والكسوة الذي كانا على المولود له يكتفي لان على الوارث فاذا ادى الى الام في المولود له فعلى الوارث ان يؤدي ذلك ما دام الولد في تلك حول عام احولين فلا بد من تراضيهما فلو مات احدهما او ابى الاخر لم يجز واخرا التشاور لانه قد يظهر من الاصلح الامور والارفق فسادها ويحتمل ان يكون

ان يكون النشاور منهما اي نشاور احدهما الاخر او نشاورهما
او كلاهما غيرهما وان اريد خطاب الاباء والامهات وفيه
خروج من غيبة الى خطاب ان شئتم خطاب للاباء ان تسترضعوا الاولاد كم
مراضع وان شئتم استرضاع مستعد لكم ان شئتم بنفسه يقال ارضعت المراة
الصبي وارضعت المراة الصبي او مستعد لي او احد بنفسه والى الاخر
كحرف الجر اي ان تسترضعوا المرضعات لاولادكم فلا جناح
عليكم اي في الاسترضاع اذا سلمتم خطابا للاباء ما اتيتم
بالمعروف وكما جوز المراضع اداء ايتاء المراضع الاجرة معجلا
هنيا او طيبن لنفسهن واستطاب منهن على الاولاد وقرئ
ما آتيتم بالقصر وحذف ما او سميتم بيانا للمقبوض اي ما اعطاكم
الله واقدركم عليه من الاجر بالمعروف اي بالجميل الذي
تطيب النفس ويعين على تحسين نساء الحضانة والدين
نيق فوق سلم لما ذكر اي لما تقدم ذكر حق الحضن وادر
الكلام ايذانا بان الارضاع وكان فيه وعلى الوارث مثل ذلك ذكر
عقيب الوصاة وحرك سيفون بالاشباع للفاعل وفي قراءة
اخرى بالسناد للمفعول اي يتوفاهم الله عز وجل
او يتوفون اياهم والذين مبتدا وخبره يختلف
في تقديره واختار ان يكون بتربصن وحذف ما يحصل
به الشرط والمحذوف اي يتربصن لوفاتهم وذلك عليه
يتوفون وان واجا ظاهر في كل وجه نفي عنها بعلها من اية
وكتابة وعرضا والتربص هنا الكف عن التزويج واذا كان
المعدود مذكرا او حذف فالكثير اثبات التاء ويجوز
حذفها كقوله تعالى لهن صمنا من الشهر خمسا وما ورد
في الحديث ثم اتبعه بست من شوال يريد خمسة وستة
وحسن ذلك في قوله وعشرا الايذان كالفاصلة ومقطع الجملة
وقال الزمخشري رضي الله عنه وفضل عشرا لانها تلك الليالي
والايام داخلة معها والاشهر لم تدخل ستعلمون انا ذكرته واهبين
لي الايام فتقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم
ومن البين فيه ان تسلم الاعشرا ان تسلم الا يوما انتهى
ولا محتاج اليه وفي عشرا بها دليل لاحد حذف التاء والى
تاويل اليوم بالمدة او بالمدد كما ذهبت اليه المرجئة الذي نقل اصحابنا
رضي الله عنهم اجمعين انه اذا كان المعدود مذكرا وحذفته
ذلك فيه وجهان احدهما وهو الاصل ان يبقى العدد على ما كان

عليه

عليه ولم يجد في المعدود ما يقول صمت خمسة تريد خمسة
ايام قالوا وهو الفصيح هذا وقد قالوا فيه ايضا ويجوز ان
يحذف منه كله تاء التانيث وحكى الكسائي عن العرب الجر ح
ومراده عندهما من الشهر خمسا ومعلوم ان الذي يصام
من الشهر انما هي الايام والليالي مذكر وكذلك قوله
والا فسير مثل ما سار راكب • تتمة خمسا يسير في سيره اثم
تريد خمسة ايام ويرد على ذلك ما جاء في الحديث ثم اتبعه
ستا من شوال واذا انتصر هذا في قوله وعشرا على قول
احد المجيزين وحجته هنا انه مقطع عن الكلام فلم يستعمل
بالعوامل كما حسن قولك ان لبثم الا عشرا كونه فاصلة
فلذلك اختير مجيء هذا على قول احد المجيزين له فقوله
ولو ذكرت لخرجت من كلامهم فليس كما ذكر فلو ذكر لكان هذا
اتي على الكثير الذي نصوا على انه الفصيح او ذا حالة عندهم
مجهولة فالحال سببا في الفصيح وجوازا الذي ذكره الز محشري
رمى الله عنه على ان عشرا اكثر منه قوله ولا تراهم قط قد
تستعملون التذكير فيه ليس كما ذكر بل استعمال التذكير هو
الكثير الفصيح كما ذكرنا وقوله ومن التبيين فيه ان تقيم
الا عشرا قد بينا مجيء هذا على الحاكم فيه وان تحسن ذلك
ايما كونه فاصلة وقوله ولا تراهم قط حتى تستعملوا التذكير فيه
ليس هو كما ذكر بل تحسن ذلك ايما هو كونه للفاصلة وعلى
قوله ان لبثتم الا يوما فاقرة ذكر ان المحرري رضي الله عنه هذا
الله على وهمه اذ اتى بالتاء والايام واحلة معها فاتى بقوله الا
يوما لله لانه على ذلك وهذا يدلك عندنا على ان قول عشرا
انما هو مع الايام لانهم قد اخت لغوا في مدة اللبث فقال
قوم عشر وقال المسلم طريقة ان لبثتم الا يوما فقوله الا
يوما مقابلة لقوله الا عشرا ومعنى انه اراد بالعشر
الايام او لبثتم من التقاول ان يقول بعضهم عشر بياض
وتقول بعضهم يوما والشهر والاهلة وهذه الاية
ناسخة للاعتداد بالحول وعمومها معارض لعموم قوله ولا ت
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن والسنة انها
قد بينت بان عدة الحامل بوضع حملها سواء كانت
مستبرئة منها نصها ام غير ذلك • فاذا تقرر اجلهن اي انقضاء
هذه المدة المضروبة في التربص فلا جناح عليكم خطاب
للاولياء ومن يقوم مقامهم من الحكام فيما تفعلن في انفسهن
اي ط النكاح والتهيئة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ع

عنه
اي انما هو كونه
للفاصلة

اي م

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء نحو انك
جميلة وانك لصالحة وانك ستعجبني لا تتزوجي بكر
واني لراغب فيك ونحو ذلك ما ليس فيه تصريح ومن ذلك
وصف الرجل نفسه وذكر محاسنه وامتداحه بما يفعل الخاطب
مع مخطوبته خطبة او كنتم في انفسكم من امر
النكاح فلم تعرضوا به والاجماع على انه لا يجوز التصريح
بالتزويج • علم الله انكم ستذكرونهن • هذا عذر في
التعريض لان المتل متى حصل في القلب عسر دفعه
فاسقط الله الحرج في ذلك وفسح مع ذلك طرفا من التصريح
واتى هنا بالسين دلالة على تقادم الزمان بحيث
وقع ذلك اثرا لفصال الحبال من الزوج ما توفاه الله
• ولكن لا تواعدوهن سرا هذا استدراك من المحذوف قبله وهي
قوله ستذكرونهن والذكر وقع على الخاطر فاستدرك ما
وجه نهي فيه عن ذكر مخصوص ولو لم يستدرك لكان ماذونا
فيه لاندراجه تحت مطلق الذكر الذي احله الله عز وجل
بقوله قال ابن مجبر رضي الله عنه فان قلت ابن
استدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن سرا قلت هو
محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله
انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا
ان تقولوا قولا معروفا فتمتد الموعد الاية والله اعلم
انتهى كلام ابن مجبر رضي الله عنه وقد ذكرنا انه لا يحتاج
الى تقدير محذوف بل لكن بدلا لا ستدراك داه من قوله
ستذكرونهن ولما امر الله عز وجل بذكر النساء على طريق
الوجوب وعلى طريق الندب فيحتاج الى تقدير فاذكروهن
على ما قدرناه على حد قول من يقول سالتك ولكن لا تخف
مني ولا كان الغناء من بعض حوائجه ان يخاف من الملك
استدرك فقال ولا تخف مني والسر ضد الجهر وكني به عن
الجماع حلالا وحراما لانه يكون في سر وبعضهم فسره هنا
بالزنا وهو بعيد عن المتبادر الى الذهن وانتصب
سرا على انه مفعول به او على انه مصدر في موضع الحال
ومفعول تواعدوهن محذوف اي النكاح • الا ان
تقولوا قولا معروفا وهو ان يعرضوا ولا يصرحوا فاذا قلت
فلم تعلق حرف الاستثناء قلت بقول لا تواعدوهن
اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير
منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا قولا معروفا او معنى

تواعدوهن

قواعدون ثمن ولا يكون ان يكون مستثنا منقطعا من سيرة
الاء وانما في قولك لا تواعدون من الا ما تعريض نهي كلام
الزمخشري رضي الله عنه وبحاج اليه في ضح وذلك انه
قد جعله هنا مستثنا متصلا فما رات مستثنا مفرغ ع
وجعل ذلك على وجهين احدهما ان يكون مستثنا من
المصدر المحذوف وما الوجه الاول الذي ذكره
وقدره لا تواعدوني من عدة قط الا مواعدة معروفة
غير منكرة وكان المعنى لا تقولوا لهن قولا تعدونهن به
الا قولا معروفا وصار هذا نظير قول بعضهم لا تضرب
زيدا ضربا الا ضربا شديدا وانما ان يكون مستثنا
مفرغا من بحرور محذوف وهذا الوجه الثاني الذي
قدره الامام ان تقولوا هم او صحه بقوله الا التعريض
فكان المعنى لا تواعدوهن سرا ان نكاحا بقول من
الاقوال الا بقول معروف وقدر المعرب بعض محققي من
ان حرف الجر فيبقى منصوبا او مجرورا على الخلاف
الذي تقدم في نظائره والفرق بين هذا الوجه والذي قبله
ان الذي قبله انتصب نصب المصدر وهذا انتصب على
استقاط حرف الجر وهو الباء التي للتعدي وقوله ولا يجوز
ان يكون مستثنا منقطعا من سر لانه لا قول لك
لانه اعدوهن الا التعريض والتعريض ليس مواعدة فلا
يصح عنده ان ينصب عليه العامل وقد اجماع على ان
يكون مستثنا منقطعا نظير ما رات احدا الا حمارا
لكن هذا يصح فيه ما رات الا حمارا وذلك لا يصح فيه
لا تواعدوهن الا التعريض لان التعريض لا يكون مواعدة
تلك مواعدة امنه النكاح فان نصب سرا على انه مفعول
فكذلك ينبغي ان تقولوا يفعل ولا هذا لا يصح ذلك فيه فلا
يصح ان يكون ذلك مستثنا منقطعا وهذا توجيه
منع الزمخشري رضي الله عنه ان يكون استثنا منقطعا
وما ذهب اليه فصحيح لانه لا يصح الا استثنا المنقطع
فيما ذكر وهو ان يمكن تسليط الفعل عليه وذلك ان
الاستثنا المنقطع يكون مقدرا بها التي في احد
ما ذكر ابن مخشري رحمه الله تعالى وما كان يتسلط العامل
عليه ما بعد الا لا يستثنا به في قولك ما رات احدا الا حمارا
وما في الدار احدا الا حمار او هذا النوع فيه خلاف عن
العرب فمذهب الجمهور ان نصب هذا النوع من المستثنى

وقوله

وعندنا في تسليم اتباعه لما قبله في الاعراب ويصلح لي هذا
السبع ان يحدث في الاول ويسلط ما قبله على ما بعد الا
فتقول ما لقيت الا اخاك اي ما في الدار الا اخاك او يصح في
الكلام ما لقيت منه من شيء الا ذلك . واعلم ان الثاني من
قسمي الاستثناء المنقطع هو الذي لا يمكن تسلط العامل
عليه بعد الا لعدم صلاحيته لذلك في العرف فاطبة
ومن ذلك قولهم ما زاد الا ما نقص وما نفع الا ما ضر
فما بعد الا لا يمكن ان تسلط عليه زاد ولا نقص لان
نقيض المعنى ما زاد لكن النقص حصل له وما نفع لكن الضر
حصل له فاشتراك هذا القسم مع الاول في تقدير الا
ولكن لكن الاول يمكن تسلط ما قبله عليه وهذا لا
يمكن ولما تقرر هذا تبين لك قول عز وجل الا ان تقولوا
استثناء منقطعا من هذا القسم اذ ان قولا ما لا
يمكن ان يتوجه عليه الناسك والتقدير لكن التعرض سانغ
لكم وكان الزمخشري ما علم ان الاستثناء المنقطع ما ان
على ما في هذا النوع من عدم توجيه العامل على ما بعد الا
فلذلك صعبه والله اعلم وظاهر قوله عز وجل ولكن لا تواعدوهن
الخ ولا تعزموا عقدة النكاح ضمن معنى تعزموا
بمعنى تنووا العقدة مفعولا به واستعقب على استثناء الحرف
الذي على عقدة النكاح او على المصدر اي ان معنى تعزموا
تعقدوا . وعقدة النكاح ما يتوقف عليه صحة النكاح
حتى يبلغ الكتاب اجله اي المكتوب اجله من انقضاء
العدة وهو من تحريم فلو عقد في العدة صح واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم اي من هواهن والميل اليهن فاحذروه
فاحذروه اين فاحذروا عقاب ربكم . وروي ابن علي رضي
الله عنهما ان سبب نزول هذه الآية ان الانصار كانوا يتزوج الرجل
ولم يسم مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها فقال له صلى الله عليه وسلم
متعها ولو بقلنسوتك فنزلت تلك الآية في قوله
تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا
لهن فريضة قال ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ تماسوهن
مضارع مسست وما توهن مضارع ما سست وهو
كناية عن الجماع وما مصدرية ظرفية اي زمان عدم
المسيس او فرضوا لهن فريضة قال ابن عطية وابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهم الفريضة الصداق وترفه تسمية
وفرضوا معطوف على قوله تمسوهن ولو عطف مجزوم على

مجزوم

محرم فهو داخل تحت نفي الحرج والمعنى انتفاء الحناح عن
المطلق عند انتفاء احد امرين اما الجماع واما تسمية
المهر والآية تدل على جواز الطلاق قبل الامتسال لزوجة
وعلى جواز طلاق الحائض على المدخول بها لاندراجها في عموم
النساء ومتعوهن امر يكون لفق ما يتمتع به وسمي
ذلك متعة وظاهر الامر الوجوب وعائد على المطلقات
قبل المسيس وصهر النصف عائد على المطلقات قبل
المسيس وقبل الفرض وقوله عز وجل على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره تعداد لما يكون الوجوب في الجملة ذكره والموسع
الموسر والمقتر المضيق الحال وفي رواية او ضيق
الحال والصمير في قدره عائد على المطلق فالمعتبر
حاله وليس بمحدود اما تمتعوهن به وقرئ الموسع اسم
اسم فاعل من اوسع والموسع اسم مفعول من وسع وقرئ
وقرئ قدره بفتح الدال وسكونها وهما بمعنى واحد
عند اكثر ائمة اللغة وقرئ بفتح الكاف فيهما اي اوجبوا
على الموسع قدره او ليسود كل منكم قدره واحتملت الجملة
ان تكون حالا وذو الحال الواو في ومتعوهن وان تكون
استينافا وبينت حال المطلق في المتعة حال اساره
واقتاره متاعا بالمعروف المتاع هنا هو اسم لما يمتع
به ويتمتع به وارتفع على الصفة لمتاع او انتصب
انتصاب المصدر المؤكد لمتعوهن او انتصب
على الحال ذو الحال الضمير المستكن
في الصلة في الجار والمجرور والتقدير يستقر على
الموسع قدره في حال كونه متاعا وبالمعروف في موضع الصفة
لمتاع اي متاعا واجبا لوفق شرعا ومروءة حقا على المحسنين
تاكيد للوجوب وحقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا
او مصدر لفعل محذوف اي حق ذلك حقا ولما بين تعالى
حال المطلقة قبل المسيس او قبل الفرض بين حال
المطلقة قبل المسيس وبعد الفرض وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم جملة حالية ويشمل
الفرض المقارن للعقد ويشمل الفرض بعد العقد
وقبل الطلاق وفريضة نصف ما فرضتم او
متاخرا اي نصف ما فرضتم عليكم او فلهن نصف
ما فرضتم فنصف بفتح الفاء اي فاد وانصف وقرئ
بكسر النون وضمها الا ان يعفون استثناء متصل
وامر الاحوال لان المعنى فعليكم او فلهن نصف ما فرضتم

او انتصب

في كل حال الا في حال عفوهن عنكم فلا يجب لهن شيء وذهب ابن عطية
وغيره الى ان هذا استثناء منقطع قال ابن عطية رضي الله عنه
اري ان عفوهن عن النصف ليس هو من هذا نأخذهن
والمعنى الا ان يترك النصف الذي وجب لهن عند الزوج
ايتاء فضل ليس على ما ذهبوا اليه بل هو استثناء
متصل لكنه من الاحوال اذ ان تعفو نصف ما فرضتم
فعفاه فالواجب عليكم نصف ما فرضتم في كل حالة
الا في حال عفوهن عنكم فلا يجب وان كان التقدير فلهن
نصف ما فرضتم من ذلك ايدا ان ما وكونه استثناء من
الاحوال ظاهر وقرئ ينايتيه الا ان يحاطمكم وقرئ
بالتاء ايضا والوتفاق وحذف ذلك عفو دليل على
الذب وظاهر قوله تعمون العموم في كل مطلقة قبل
المسيس وحدد فرض لها وحصول ذلك بان تكون مالكة
امر نفسها اما من كانت في حجر او وصي فلا يجوز لها
العفو وان كانت بكرا لان لا ولي لها فهي داخلة في عموم الاية
او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج وعفوه
ان يعطيها المهر كملة قاله علي وجماعة والولي الذي لمرأة
في حجره وتلي امرها وستد الامة قاله ابن عباس وجماعة
وولي الحالي اخا او عما او ابا وان كرهت نفسه خلاف
وقرأ الحسن وابن ابي عبلة او يعفو الذي باسكان الواو جزما
فتسقط في الوصل لالتقاء ساكنين مع السكون بعدها
فاذا وقف اشبعها وفعل ذلك مستثقلا الفتحة في حرف
العلة فعد الفتحة فيها كما تعد في الالف في نحو لن يخشى
واكثر الحرف على استخفاف الفتحة في الواو والياء في
نحو لن يرمي ولن يغزو وحتى ان اصحابنا نصوا على ان
اسكان ذلك ضرورة قال ابو الله ان اسم ابام ولاب
قال ابن عطية رضي الله عنه والذي عندي انه استثقل
الفتحة على واو مضموم ما قبلها ساكنة نحو يخشى في كلام
العرب يعني مفتوحا ما قبلها وهذا الذي ذكره وقبلها
مضموم ما قبلها فتحة كما تقدم في الالف في نحو يخشى
وقد قال الخليل رضي الله عنه لم يجيء في الكلام واو مفتوحة
مضموم ما قبلها فتحة الا في قولهم عفو ولو هم عفو
وهو قليل الحي وكذلك الحركة ما كانت قبل الواو المفتوحة
وانما قلت وانتهى كلامه فقوله وقلة مجيئها في كلام العرب
يعني مفتوحا ما قبلها وهذا الذي ذكره فيه تفصيل وذلك

ان الحركة

الحركة قبلها اما ان تكون ضمة او فتحة او كسرة ان كانت ضمة
فاما ان تكون ذلك في فعل او اسم ان كان في فعل قدس
ذلك تقليل في جميع المضارع اذا دخل عليه الناصب او
الجازم نون التوكيد على ما احكم في بابه ظهرن الفتحة
فيه نحو لن تغزوَ وهل يغزوَنَّ والامر نحو واغزوَنَّ
وكذلك الماضي على نحو يسترو طرف الرجل وما بأي
من واوات الثلاثي على فعل يفعل فيه اقصر الرجل
ولرموت البلد وهو قياس مصطرد على ما احكم في بابه
ظهرن الفتحة فيه نحو لن تغزوَ وهل تغزوَنَّ
والامر نحو واغزوَنَّ وكذلك الملحق على فعل وهو
قياس مصطرد ايضا فاما ان يكون مبنيا على ها
التانيث او لا ان كان مبنيا على ها التانيث فحاذ كثير
عرفوم ومحذوف وعصوة وقد نص على ذلك في جميع
هذه المسائل المتقدمة في علم التصريف وان كانت
الحركة ضمة او كسرة نحو قالت الخنساء رضي الله عنها
وان كانت كسرة نقلت الواو فيه ياء نحو الجاري
والجانبة والعريمة وشذ من ذلك اوقوه جمع وقي
وهي مسلحة الكلب وسواسوم وهم المستوون في الشر
ومعانوة جمع معنوة وهو العاني الخادم • قال الله
عز وجل وان تعفوا اقرب للتقوى الظاهر انه خطاب
للازواج اذ هم المخاطبون في صدر الاية وقرئ وان
تعفوا بباء الغيبة ولا تنسوا الفضل بينكم اي ان
تفضل المطلقة بالعفو عن ما وجب لها اذ لم تستمتع بها
الزوج او المطلق بدل جميع المهر الذي وطلها كنر خاطرها
والرغبة عنها فكونه في اعطائه لها جميع المهر حين الها وزنا
احسان اليها فقد امر في الاية وقرئ بضم الواو وبكسرها
وقرئ ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتناسوه ان الله
بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من احوال عباده حاثهم
على الصلوات تكلم المفسرون في محل هذه الاية هنا
ثم رجع بعدها الى شيء من احوال المطلقات بما ذكرناه في
كتابنا المسمى بالبحر المحيط ذكرنا ان المناسبة في ذلك
هو انه لما ذكر سبحانه وتعالى في جملة كثيرة من احوال الازواج
والزوجات واحكامهم المتقدمة وكانت تكاليفه
تشغل من كلفها بحيث لا يكاد يسع معها شيء من امور المعاش
وكان كل من الزوجين قد وجب عليه ما سيفرغ فيه الوقت

وكان في ذلك ما دعاه الى ما ذكر

عن العبادة الا لمن وفقه الله عز وجل لامر بالمحافظة على
الصلوات التي هي وسيلة بين الله وبين عباده واذا كان
قد امر بالمحافظة على حقوق الادميين فلان يؤمر بالمحافظة
بالمحافظة على اداء حقوق الله عز وجل اولى وذلك حاث
قد من الله احوال تقضي وحافظوا من باب طارت السعد
ولما ضمن معنى المواظبة عدي بعلى وان في الصلوات
للعهد وهي الخمس والصلاة الوسطى تعالى ثالث
الاوسط بمعنى الفضلى اي لكثرة فضل ثوابها ومنه
قول الاعرابي يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا وسط الناس طرة في مفاخرهم • واكرم الناس اما بره واما ٢
وقال ابن محمد رضي الله عنه ان افعل التفضيل لا يبنى
الا مما يقبل الزيادة والنقص وكذا افعل التعجب فلا
يجوز ان تقول زيد اموت الناس ولا ما اموته زيدا
لانه لا يقبل ذلك وكون الشيء وسطا بين شيئين قد
يقبل اذ لا يقبل الزيادة ولا النقص وكذا افعل
التعجب ولا يجوز ان تبني منه افعل التفضيل فيتعين
ان تكون الوسطى بمعنى الخيري والفضلى وشذ تفسير
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صلاة الوسطى صلاة العصر الصلاة
من حديث جماعة من الصحابة وعنه عليه الصلاة والسلام
فوجب المصير اليه وذكرها خاص بعد عام نحو وجبريل وميكائيل
وقرئ والصلاة بالنصب وقرئ الوصطى بالصاد ١
وقوموا قانتين اي مطيعين ساكتين من ما تتكلم به غير
ما شرع من الصلاة والذكر وفي قوله عز وجل وهو دليل
على مطلوبية القيام والقيام فرض في صلاة الفرض على كل صحيح
قادر عليه فان خفتم اي من عدو او سبع او سيل او
غير ذلك مما تخاف منه فلم تتمكن المصلي من القيام فيها
• فرجالا اي فصلوا رجالا جمع راجل اي على الاقدام ماشين
او ركبانا اي جمع راكب وهما كراكب ورجل يرجل ورجل وتدوا
ورجل بضم الجيم فهو راجل ورجل ورجل وتل ولا فرق
وذكر الاول اكثر من الثاني وقرئ فرجالا بالتشديد لكثرة الجمع
وضم الراء في رواية بضم الراء وضم الجيم وهما لغتان
والظاهر انهم في وقوت الصلاة وايام مسايرتهم فصلوا على حسب
حالهم • فاذا امنتم من الخوف فاذكروا الله ما علمكم
والعبادة بما علمكم اي ذكر افعاله وصفاته ما علمكم
ويجوز ان تكون الكاف للتعليل اي لتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون

ما منعوه

ما مفعول بعلمكم وحكى ابن عطية وعياض رضي الله تعالى عنهما
الاجماع على نسخ الحول بالآية السابقة وقرئ وصية بالرفع على
الابتداء وهي موصوفة تقديرا اي وصية منهم وقرئ ايضا
بالنصب على المصدر اي يوصون وصية وانتصب بقوله
متاعا بفعل مضمر من لفظه المقدر اي متعوهن متاعا
او من غير لفظه فيكون مفعولا اي جعل الله لهن متاعا
الى الحول وانتصب غير اخراج على الصفة لمتاعا فان خرجن
اي مختارات للخروج فلا جناح عليكم اي على من له
الولاية عليهن وجاء هنا فيما فعلن في انفسهن من
معروف نكرة لان هذه الآية متقدمة في النزول وان
تاخرت في الترتيب وفي الآية السابقة بالمعروف معرفا
بال لانه متاخر في النزول وان تقدم في الترتيب كما
جاء في الآية الاخرى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون
الرسول فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا ثم قال عز
وجل وللمطلقات متاع بالمعروف ظاهره العموم كما ذهب
اليه ابو ثور رضي الله عنه ونزلت هذه الآية توكيدا
لامر المتعة ولما نزل قوله تعالى حقا على المحسنين قال
رجل فان لم ارد ان احسن لم امتع فنزل قوله تعالى حقا على
المتقين كذلك اي كما بين لكم جميع التكاليف المشروعة
يبين الله لكم آياته اي يبين لكم آياته الدالة على البقاء
وعلى البعث والنشور لعلكم تعقلون اي تتدبرون
وتتاملون صنعه تعالى بكم وانه تعالى قادر على جميع
الاشياء الدنيوية والاخروية قوله تعالى حقا على المتقين
ختم هذه الآيات بهذه الكلمة الجامعة لكل خير ولما ذكر
سبحانه وتعالى اشياء من التكاليف ومن احوال الموتى
ومن كلفوا اعقب بهذه العقبة الغريبة وكيف مات
الله هؤلاء ثم احياهم في الدنيا ليدل ذلك على باهر قدرته
وعظيم حكمته وان اولئك المتوفون يبعثهم الله في الآخرة
كما بعث هؤلاء في الدنيا فقال سبحانه وتعالى الم تر
وهذه همزة الاستفهام دخلت على النفي فصار الكلام تقريرا
ومعناه التنبيه والتعجب من حال هؤلاء والرؤية هنا علمية
يعني ومعناها الم تر يعني الم تعلم وضمنت معنى ما يتعدى بالى كما
قيل الم ينته علمك الى كذا ولما كان رأى مرادفا في المعنى
لنظر عدي بالى تعدية نظر وقد جرى هذا التركيب مجرى
التعجب وفي رواية يجري التعجب في لسانهم كما قد جاء في الحديث

احكام الموتى

تقديرا

• الم تر الى محمد وكم يحيي ذلك في القرآن وقال امرؤ القيس
• الم ترياني كلما جئت طارقا • وجدت بها طيبا وان لم تطيب
وقرئ الم تر بسكون الراء قول لقوم امروا بالجهاد في اقوا
القتل فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله عز
وجل ليعرفهم انهم لا يجيئهم من الموت شيء • ثم احياهم
وامرهم بالجهاد • وهم الوف حذر الموت والوف جمع الف •
وهو جمع معروف • والظاهر انهم الوف من غير تحديد
ويجوز ان يراد بلفظ الكثرة الكثرة لا حقيقة العدد
حذر الموت مفعول من اجله فتاك لهم الله الذي على لسان ه
نبيهم الذي كان فيهم او على لسان ملك اخر او يكون كناية
عن سرعة موتهم كانهم مامورون من ذلك بسرعة الكاملية
وفي الكلام حذف اي فماتوا • والموت كناية عن فراق
ارواحهم لاجسادهم ثم احياهم يدل على ان احياءهم
احياء لهم وليس بموت لاحق بل خلاف مما تحدث على
البشر الموت الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وانت
بين يدي الامر بالقتال تشجيعا للمؤمنين وحثا على الجهاد
واعلاما ان لا مفر لهم من الموت فلا بد من القضاء وتنبيها على الشاهد
الآخرة • ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس والعام
الكفار والمشركون لا يشكرون وقيل في سلالة طائفة
انه خطاب لامة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد في سبيل
الله الذي لاعلاء كلمته وقيل لاناس من بني اسرائيل امروا
امثالا ولكن الذين احياهم الله بالجهاد هم الذين يقرضون
الله قرضا حسنا هذه الآية متصلة على سبيل التمثيل والتقريب
في الحث عز وجل والله هو الخ والتم الفقراء وشبه عطف المؤمن
في الدنيا بما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض كما سلك منهج السفوس
والاقوى ان في هذا الكلام التفات من خطاب الى غيبة ومن عبد لواحد
التم اشارة ما على اشارته والذي صفة له او من واحد المكتبين
بمعنى الاستفهام والذي خبره وقرضا مصدر على غير
المصدر منه اي اقراضا او بمعنى المفعول اي مقروضا حسنا
وحسنه ان كان مصدرا طيب النفة فيه وكونه بلا اذى ولا
من كما قال سبحانه وتعالى في الاية الكريمة وان كان مفعولا
فجودة وكرامته وطيب اصله وقرئ فيضعفه بالتشديد
وفيضاعفه بالالف وقرئ بالرفع على الاستئناف اي فهو
يضاعفه وقيل عطفا على صلة الذي وبالنصب جوابا للاستفهام
وان كان الاستفهام اما عن المسند اليه الحكم لاعن الحكم فلا فالمنع

النصب في ذلك وهو نظير من يدعوني فاستجيب له اضعافا
حال ان ضمن فيضاعفه جعني فيصيره فيكون مفعولا
اي فيضاعفه له اضعافا كثيرة كما قال سبحانه وتعالى في
اية اخرى والله يقبض ويبسط اي يقتر ويوسع
واليه ترجعون اي تردون اليه في الاخرة فيجازيكم على
اعمالكم الم تر الى الملا هم الاشراف ومن له الحل والعقد
وهو اسم جمع ويجمع على املاء ومن بني اسرائيل في موضع الحال
اي كائنين من بني اسرائيل من بعد موسى متعلق بما قد
تعلق به من بني اسرائيل وتعدى الى حرفي جر من لفظ واحد
لاختلاف المعنى فالاولى للتبعيض والثانية لابتدا
الغاية اذ قالوا العامل في قالوا وكذا قيل ان العامل في
قوله اذ قالوا ترد قالوا بدل من بعد وقد رددنا في ذلك
في كتابنا المسمى بالبحر المحيط فقلنا هناك العامل فيها
مضاف محذوف اي الى قصة الملا او الى حديث الملا
وما جرى لهم اذ قالوا لان الذوات لا تتعجب منها
انما يتعجب مما جرى لهم لنبي لهم ابعث لنا ملكا لنبي
متعلق بقالوا واللام تكون هنا للتبليغ اي ويقال
لها لام البلاغة ولم يعين في القران اسم هذا النبي عليه الصلاة
والسلام وقصة هولاء انه لما توفي موسى عليه الصلاة
والسلام خلفه يوشع يقيم فيهم التوراة فقبض فخلفه
حزقيل فقبض ففشت فيهم الاحداث حتى عبدوا الاوثان
فبعث الياس ثم من بعده اليسع ثم قبضا وظهرت فيهم
الاحداث وظهر لهم عدو وهم العمالقة وقيل هم
قوم جالوت كانوا سكان بحر الروم بين مصر وفلسطين
فغلبوا على كثير من بلادهم واسروا من ابناء ملوكهم وضربوا
عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولم يكن لهم اذ ذاك نبي
يدبر امرهم فسالوا الله سبحانه وتعالى ان يبعث لهم
نبيا يقاتلون معه وكان سبط النبوة هلكوا الا امراة
حبلى دعت الله عز وجل ان يرزقها غلاما فرزقها شمو
يل فعلم التوراة وكفل شيخ من علمائهم وتبناه فاتاه
جبريل عليه الصلاة والسلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان
لا يامن عليه فدعاه بلحن الشيخ يا شمويل فقام فزعا
مرعوبا فقال يا ابت دعوتني في هذه الساعة فكره ان
يقول له لا فيفزع فقال له يا بني نم فجرى
له ذلك مرتين فقال له ان دعوتك المرة الثالثة فلا

وقوله من بني اسرائيل

تامل هذه القصة فانها نفيسة

وثان

والمراد بالعمالقة فرعون وجنوده على تولي بذلك

فيهم

يل

انت م

تجني م

فظهر له جبريل فقال اذهب فبلغ قومك رسالة ربك فقد
بعثك نبيا فاتاهم فكذبوه وقالوا ان كنت صادقا
فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقدم من ناوقك
وكان قوام بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك الملوك وكان
الملك يسير فالجموع في بيته وبريد وعلى بعث
لنا ملكا نهض فنا من نصدر عنده في امر الحروب وننتهي
اليا قدبينه وفسره فقال ما لنون والجزم على جواب الامر
وانما رفع اللام على الصفة وبالنون ورفع اللام على
الحال من المجرور وبالياء والجزم على الجواب كما ذكروا القتال
اذ شئتم بقولهم هل عسيتم لعلم ما انطوت عليه
بواطنهم فاستفهم عن مقارنتهم ترك القتال قال هل
عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فانكر ان يكونوا
لهم داعي الى ترك القتال بقولهم وما لنا الا الجزم اي بلا اخر
كلامهم ذلك اني قد كان من شاذ ولا القتال وخوف
هل على عسيتم دليل على ان عسى فعل اجرى مجرى كاد
والمشهور ان عسى استثناء وقرئ عسيتم فكسر السين
وفتحها وجواب ان كتب محذوف وان لا تقاتلوا جر
على ومفعول على الخلاف المنقول في النحو والواو في وما لنا
ان لا نقاتل في سبيل الله لربط هذا الكلام بما قبله والتقدير
في ترك القتال والواو في لقد للحال وقرئ اخرجا مبنيا
للمفعول واخرجنا ماضيا مبنيا للفاعل اي اخرجنا
العدو اذ اخرجنا الله بعصيانا فنحن نتوب ونقاتل
في سبيله فردوا الى اوطانهم وبين ابنائهم فلما
كتب عليهم القتال تولوا اي صرفوا عزائمهم عن القتال
الا قليلا منهم هو استثناء منفصل وصح وان كان الضمير
قام القوم الا زيدا لانه صفة لموصوف محذوف والتقدير
بقوله منهم ولم يبين عدد هذا القليل وفي الحديث انهم
كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر وهذا القليل يشكو على
نباتهم في قتال اعدائهم والله عليم بالظالمين وعيد لمن تقاعد
عن القتال بعد ان فرض عليه وتاسفوا ان يقيم
لهم ملكا قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وكان طالوت
صاحب صنعة فيها مهنة قالوا ان الحملة حاك او كلام من
يعتد في حكم الله عز وجل ولم يسلم لما فعله الله عز وجل وابدوا
عذرهم في انكار تملكه عليهم وانهم احق بالملك منه اذ الملك
في سبط يهوذا والنبوة في سبط لاوي وليس هو من هذا السبط

ولا من هذا السبط

البسطة والملك لا سيما الا بالماضي لا بالمضارع والوسع
عليه في الدنيا اذ قد يحتاج الى المجد امرا رحال بالمال
وانما نهم على اشتمال العشر وفي ذلك الاصالة والغنى
فلم يعتبروا البسطة لقوى وهو ما قضاه الله وقدره
وفي نسخة
وفي بعض كف وثبت عند الحال فهو عبد بالملك واحق
متعلق ان شاء حق له اصطفاه اي اختار صفوة اي لو
اعلم بالصالح وزاده بسطة في العلم بالحرب وعلم الشرايع
وقيل الجسم وقد اوحي اليه وشيء والجسم وهو مبتدأ
القامة وحسن الصورة قال ابن عباس رضي الله عنهما كان
طالوت يومئذ اعلم بني اسرائيل واتمهم واجلهم وعامة الجسم
وحسنه اعظم في النفوس واشد هيبة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا شاء العلي طالهم وفوق بسطة
بالنصر والقهر والغلبة والقوة على ملكه من يشاء لما تعنتوا
وجادلوا قطعهم بذلك ثم اعلمهم بآية تدل على ملكه
طالوت فقال تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
وكانوا قد فقدوه وكان حيث لا على ما ذكره سبحانه وتعالى
والتابوت معروف وزنه فاعول ولا نعرف الا شتقاق
وتقول بانت اخبارها وقد ذكرت فيها ضم السكينة
من ربكم اي اطمئنان كلوبكانت السكينة تحصل بايات قد
جعلت فيه سبحان افعل والتابوت صندوق التوراة
كان موسى عليه الصلاة والسلام اذا قدم في القتال سكنت
نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وبقية مما ترك آل موسى
وآل هارون لم يحن ما البقية وقال بعضهم فقال
بعضهم هي رضاض الواح التوراة التي تكسرت حين
القاها موسى عليه الصلاة والسلام وقد رأى عصاه وقفازي
ذلك وآل موسى وآل هارون عليهم الصلاة والسلام والملائكة
تحمله حملته الملائكة قال ابن عباس رضي الله عنهما جاءت
الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض حتى وضعته
بين يدي طالوت وهم ينظرون اليه وكان حمل الملائكة
له استظلاما لهذه الآية ان في ذلك اي في اتيان التابوت
والملائكة لآية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت
بالجنود قد صاحبك محمد وقد اراني فخاء ثم اتابوت
واقترابه وتاله وقد اسعوا للخروج معه والتاء في له
بالجنود للحال اراني مبتلينا بالجنود قال ابن عباس رضي
الله عنهما كانوا سبعين الفا ولما خرجوا معه شكوا قلة الماء

وفي بعض النسخ
ثم الانبياء
وكانوا يقولون في
ذلك ثم

وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا الله عز وجل ان يجري
لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بنهر قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما هو نهر بين الاردن وبين فلسطين وقرئ نهر
بضم الهاء وسكونها والابتلاء الاختبار واختار لوقوع
بعد الامتلاء ما يترتب عليه لا كون قاله من قتل بعضهم
بلا وحي من الله تعالى ان كان نبيا كما قيل والنبي الذي
اخبر عن الله عز وجل بملكه فمن شرب منه فليس مني
اي من اشياعي واتباعي في هذه الحروب ومن لم يطعمه
فانه مني اي من لم يذقه وطعم كل شيء ذوقه وقيل
الغرف لطمتك الماء اي اذقتك وطعمت الى ذقته
الا من اغترف قال بعضهم الا هنا استثناء من الجملة
الاولى وهي فمن شرب منه فليس مني وقرئ غرفة
بفتح الغين وضمها والجمع غرف بها او للشرب والظاهر
انها غرفة الكف اي لهم ذلك كله الا الكرع والتملي
من الماء فشربوا منه الا قليلا منهم اي بشرب الاكثر ولم
يشرب الكثير وقرئ الا قلة لا يلتفت على الاستثناء وبالرفع
على انه بدل من ضمير فشربوا منه لان الكلام اذا كان موجبا جاز فيه
الا النصب وهو الافصح والاتباع لما قبله ان رفعا فرفع
او نصبا فنصب او جرا فجر وهي مسألة يبين وجهه
الاعراب فيها في علم النحو قال ابن محيريز رضي الله عنه وقد
من سلم مع العصيان والاعراض عن اللفظ خائنا واوباء
خليقا من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه اي فلم يطيعوه
الا قليل منهم وكحق قول الزجاج لم يبق من المال الا مسحا او مجلف
اي بقي كذلك وبعني ان هذا الموجب الذي هو فشربوا منه
هو في معنى النفي كأنه قيل فلم يطيعوه فيما امرهم به وارتفع
قليل على هذا المعنى ولو لم يلحظ فيه معنى النفي لم تكن
لترفع ما بعد الا فيظهر ان ارتفاعه على انه بدل
من جهة المعنى فالموجب فيه كالمنفي وما ذهب اليه المبرد
رضي الله عنه من انه ارتفع ما بعد الا على الاول فدليل
على انه لم يحفظ الاتباع بعد الموجب فلذلك قال ولو لم يقل
آه لانه موجب حان في الذي تعد الاوجهان احدهما النصب
على الاستثناء وهو الافصح منهما والثاني ان يكون ما بعد الا
تابعا للاعراب المستثنى منه ان كان رفعا فرفع وان كان
نصبا فنصب او جرا فجر وعلى هذا قام القوم الا زيدا

وقرأ ابو السمال

ورأيت القوم الا زيدا ومررت بالقوم الا زيد وسوا
كان ما قبل الا مظهرا او مضمرا واختلفوا في اعرابه فقيل
هو تابع على انه نعت لما قبله فمنهم من حمل هذا على ظاهر
العبارة وقال ينعت بما بعد الا الظاهر والمضمر
ومنهم من قال لا ينعت به الا النكرة او المعرفة بلام الجنس
فان كان معرفة بالاضافة نحو قاموا اخوتك او اخواتك
او كان بالالف واللام فيه للعهد او بغير ذلك من وجوه
التعاريف غير لام الجنس فلا يجوز الاتباع ويلزم النصب
على الاستثناء ومنهم من قال ان النحويين يعنون بالنعت
هنا عطف البيان ومن الاتباع بعد الموجب قول الشاعر
وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان
وهذه المسألة مستوفاة في علم النحو وانما اردنا ان ننبه على
تاويل الزمخشري رضي الله عنه هذا الموجب بمعنى النفي لا يضطر
اليه وانه كان غير ذاك لما قرره النحويون في الموجب فلما جاوزه
اي جاوز ذلك النهر هو والذين امنوا معه وهم الذين لم
يشربوا وامتثلوا ما امروا به وهو توكيد للضمير المستكن في جاوزه
اي وعاينوا جالوت وعسكره قالوا ظاهره عود الضمير على
الذين امنوا والمعنى قال من ضعفت بصيرته من المؤمنين وقد
شاهدوا عسكر جالوت وكثرته وقال ابن عباس رضي الله عنهما
قائل ذلك الكفرة الذين انخذلوا وهو الفاعل في قوله
فشربوا لا طاقة هو من الطوق او من الاطاقة وهي
القوة والانبعاث على الشيء والعزم على فعله تقول اطاق
اطاقة وطاقة كاطاع طاعة لنا اليوم بجالوت اي بقتال
جالوت وجنوده ولنا هو الخبر ويتعلق بجالوت بما
يتعلق به لنا قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله الظن
هنا على بابه ومعنى ملاقوا الله انهم سيشهدون في
ذلك اليوم لعزمهم على صدق القتال او بمعنى الايقان
اي يوقنون بالبعث كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله وهذا تحريض على القتال واستشعار بالصبر
وان الكثرة ليست سببا للنصر اذ قد سبق في الازمان
الماضية غلبة القليل للكثير وكم خبرية ومن فئة
تمييزها ولم يات في القرآن الا مجرورا بمن والفئة الجماعة
وكم مبتدا خبره غلبت ومن قيل زائدة وقيل في موضع
الصفة لكم وفيه مفرد في موضع الجمع وقرئ فئة بالهمزة
وبابدال الهمزة ياء وهو ابدال مقيس والله مع الصابرين

اي مذكورة

والله مع الصابرين

من ثمار قطعن تحريضا على القتال وحثا على الغنائم ولما مروا
اي صاروا وفي رواية صاروا الى ان من الارض ومن ما ظهر
وتسوروا المحاريب في الحراب ان يقطعن كل ذي لحم حتى يجيئوا
برؤوسهم قالوا ونحن نرى عليها فرسانا بايدهم عمد من حديد
عليهم الصبر هي يكون مستغنيا عليهم • وشد اشد امتنا
اي اسرعنا حتى لا نفر • وانهزنا اي اعنا واظهرنا عليه
القوم الكافرين اتوا بالوصف المقتضي لخذلانهم اعدائهم الكفار
• فهزموهم باذن الله اي بتمكينه والهزيمة قد تكون بعد
الحام القتل وقد تكون عن غلبة خوف المنهزم وقد الانحام
• وقتل داود جالوت لم يبين كيفية القتل وداود ابن
ايشاء • واتاه الله الملك اي ملك طالوت والحكمة قال
ابن عباس رضي الله عنهما الحكمة هنا معناها ايضا وضع الامور
مواضعها من الصواب وكلمات سموئيل وطالوت جمع الله عز
وجل لداود الملك والنبوة وقتل وعلى الحكمة • وعلمه مما
شاء ان يعلمه سبحانه وتعالى ومما سيعلم • وقد علمه صنعة
الدروع يعني الزرد وعلمهم منطق الطير وانزل عليه الزبور
• ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض الدفع
هم المؤمنون والمدفوعون الكفار وفساد الارض بغلبة
المشركين وتخريب المساجد وتعطيل الارض بالكفر ولكنه سبحانه
وتعالى لا يخلي الارض من قائم بالحق وقرئ دفع الله الناس
بسكون القاف وفي رواية اخرى لولا دفاع الله الناس بالف
بعد الفاء مصدر دفع ودفاع مصدر دفع نحو كتب
كتابا ومصدر دافع بمعنى المجرد وهو مضاف الى الفاعل
وبعضهم يدل من الناس بدل بعض من كل والباء في
بعض تتعلق بالمصدر وهي للتعدية واصل التعدية
بالباء ان يجيء الفعل لازما نحو ذهب بسمعهم فاذا
ما تعدى قالا صله اذا عدي الى ثان ان يعدى بالهمزة
كوطعن زيد اللحم واطعمت زيدا اللحم ولا تتقارن التعدية
بالهمزة وبالتضعيف تعدي الى واحد فتعديته بهما وما جاء من ذلك
قولهم صك الحجر الحجر ثم اذا عديته الى ثان قلت قد
صككت الحجر بالحجر اي جعلته يصكه وقالوا صككت
الحجر احدهما بالآخر وهذا دليل الفساد الى الارض بالحراب
وتعطيل المنافع او المراد اهل الارض فيكون على حذف مضاف
وكل الله ذو فضل على العالمين جاء بلفظ العالمين ليشمل
المدفوع بهم والمدفوع اذ المدفوع لم يبلغ ما كان لو بقي من مفاصله

الحام

قراءة

الى تولد

الى قوله في فساد الارض فاستدرك سبحانه وتعالى ما ذواه
فصل عليه وحسن ان يدرج في عموم العالمين وكافة لما
يبلغ مقاصده اكرم فضل الله عليه فحار الاستدراك لهذا
المعنى وعلى تتعلق بفضل وربما حذف على نقول فضلت
فلانا على فلان فاذا ضعف الفعل لوقت على الفيا
ملك آتاه الله فتلك اشارة الى الآيات التي تقدمت في
القصص السابقة من حين نوح او لبيك الغائبين من الموتى
الى ما تلاه سبحانه وتعالى من ذكر بعدهم تتلوها عليك
اي نقصها ونتلو اخبارها بالحق اي بالصدق وانك لمن المرسلين
اكد ما بان وباللام حيث اخبر لجحده الآيات من عرواه كتاب
ولا مدارسة اخبار ولا سماع لما ذكر من اصطفاء طالوت على
بني اسرائيل وتفضيل داود وعليهم ما خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم
بانه من المرسلين بين ان المرسلين بعضهم افضل من بعض
سبحانه وتعالى تلك اي الذين تعدموا وتلك الرسل
مبتدا وخبر وفضلنا جملة حالية او الرسل صفة لتلك
وفضلنا الخبر واشار بتلك للبعد المكبيه عليه الصلاة
والسلام وسيهم في الاذهان وعامل جمع التكسير معاملة
الواحدة المؤنثة وفي فضلنا التفات وفضلنا بعضهم على
بعض منهم من كلم الله قرئ بالرفع في كلم ضمير بعض حذف
وبالنصب في كلم ضمير مرفوع يعود على من وقرئ كلم
وبالنصب اي كلم هو الله وبدا في التفضيل بالكلام ان
هو اشرف اذ تفضل وفي رواية ان هو من اشرف تفضيل
جعله محل الخطابة وحل بحث من ادم وموسى ومحمد عليهم
الصلاة والسلام ورفع بعضهم درجات هو محمد صلى الله عليه وسلم
لانه بعث الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وامته اعظم الامم
وختم به ما النبوة الى ما آتاه الله تعالى وايدناه عطف
البينات على الآية تقدم تفسير هذا الكلام وقوله شاء الله قيل
هذا الكلام محذوف تقديره لما اختلفت امتهم واقتتلوا اي و
شاء الله ان لا يقتتلوا ما اقتتلوا هذا ان كنا بجملة السابقة
ولكن الله يفعل ما يريد اي ارادته هي المؤثرة لا ارادة غيره
عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم عامة في كل صدقة
واجبة او تطوع في الجهاد وغيره لما قسم في قوله منهم من امن
ومنهم من كفر اقبل على المؤمنين يندبهم وخاطبهم تشريفا
لهم من قبل ان يأتي يوم هذا تحذير من الامساك قبل ان يأتي
يوم القيامة اي وهو يوم لا بيع فيه تسيفا وتحصيلة الفداء من

ولا خلة اي لا صداقة تقتضي المساهمة ولا شفاعة تنجي الكافر
من عذاب الله عز وجل وقرئ بفتح الثلاثة من غير تنوين
وبرفعها والتنوين والكافرون هم الظالمون ٥ هم فصل
او مبتدا الله لا اله الا هو الحي القيوم هذه تسمى اية الكرسي
لذكره فيها وقد ورد في فضل قراءتها ثواب كثير وتضمنت
صفاته تعالى من الانفراد بالالوهية والحياة والقيام
على كل شيء واستحالة كونه محلا للحوادث وغير ذلك مما
وصف به سبحانه وتعالى نفسه وفيه اثبات صفة
الحياة له تعالى والقيوم وزنه فيعول اصله قيووم
قلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء وقرئ القيام والقيم
وجوزوا ان يكون الحي صفة او خبرا بعد خبر او بدلا من
هو او خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا تاخذه سنة
سنة ولا نوم فاجودها الوصف ويدل عليه قراءة من قرا
الحي القيوم بنصبهما على المدح لا تاخذه سنة ولا نوم يقال
وسن سنة بكسر السين ووسنا والمعنى لا يغفل عن دقيق
ولا جليل وعبر بذلك عن الغفلة لانه سببها او لا تحله
الافات ولا العاهات المذهلة عن حفظ جميع المخلوقات
له ما في السموات وما في الارض ما قيل انها تشمل كل موجود
واللام للملك ٥ من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه تقدم
اعراب من ذا الذي في قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا وهو استفهام في معنى النفي ولذلك دخلته
الا ودلت هذه الجملة على وجود الشفاعة يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ضمير الجمع عائد على ما من يعقل ما
وهم الخلق غلب من يعقل فجمع الضمير جمع من يعقل او هو
عائد على من يعقل من الانبياء والملائكة مراعاة لقوله
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه قال ابن عباس رضي الله عنهما
وقوله تعالى يعلم ما بين ايديهم يعني امر الاخرة وما خلفهم
امر الدنيا وفي رواية يعني به امر الدنيا والاخرة والذي يظهر
ان هذه كناية عن احاطة علمه بسائر المخلوقات من جميع
الجهات وكنى بهاتين الجهتين عن جميع سائر الجهات لاحوال
المعلومات والاحاطة تقتضي الحفوف بالشيء من جميع
جهاته ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته لان
علمه سبحانه وتعالى لا يتبعض الا بما شاء ان يعلمهم به من
المعلومات وقرئ وسع فعلا ماضيا بكسر السين وسكونها
تخفيفا وقرئ وسع كرسيه السموات والارض برفعهما والكرسي

وقلت صح

جسم عظيم

جسم عظيم يسع السموات والارض واختار القفال ان المقصود
تصوير عظمة الله سبحانه وتعالى وتقريره خاطب الخلق في تعريف
ذاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم انتهى وفي الحديث
ايضا ما السموات السبع والارضون السبع في الكرسي الا كدراهم
سبعة القيت في ترس اي في ارض فلاة وفي الحديث ايضا
ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد القيت في فلاة
من الارض وقرات في كتاب لاحمد ابن تيمية هذا
الذي عاصرنا وهو بخطه سماه كتاب العرش ان الله سبحانه
وتعالى يجلس على الكرسي وقد اخلا منه مكانا يقعد فيه
معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل عليه التاج محمد ابن
علي ابن عبد الحق البارنباري وكان قد اظهر انه داعية
له حتى اخذه منه وقراه فاذلك فيه ولا يؤوده حفظهما
اي لا يشغله حفظهما اي السموات والارض وهو كناية عن انتفا
شغله بحفظهما وهو العلي العظيم تنزيه له سبحانه وتعالى
اي العلي قدره العظيم شانه كان بعض اولاد الانصار
قد تنصر وبعضهم قد تهود واراد اباؤهم ان يكرهوهم
على الاسلام فانزل الله عز وجل هذه الاية لا اكراه في الدين
اي هو من وضوح الدلائل والحجج بحيث لا يكون فيه اكراه
بل يجب الدخول فيه بانشراح صدر وطيب قلب
واختيار قال الله عز وجل من يهد الله فهو المهتدي ومن
يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وقد تبين الرشد من الغي
اي تبين الايمان من الكفر والدين هنا معتقد الاسلام
وقرئ بسكون السين وبضمها وبفتح الراء والشين وقرئ
كذلك وبالف بعد الشين وقرئ بادغام دال قد في تا
تبين وقرئ باظهارها شاذا وهذه الجملة كالعلة اي
لانتفاء الاكراه في الدين لان استعارة الدلائل تحمل على
الدخول في الدين طوعا من غير اكراه فمن يكفر بالطاغوت
وفسر بالشيطان وهو مقلوب اصله طغووت من طغا
فقلت جعلت اللام مكان العين فصار طوغوت فقلبت
الواو لانفتاح ما قبلها وتحركها هي فصار طاغوت ومذهب
سيبويه انه اسم مفرد كانه اسم جنس يقع للواحد لقوله
تعالى وقد امروا ان يكفروا به وقد يجوز ان يكون هنا
للجمع ايضا لقوله عز وجل يخرجونهم من النور الى الظلمات وزعم
ابو العباس رضي الله عنه انه جمع وابو علي انه مصدر
كرهبوت وقدم ذكر الكفر بالطاغوت على الايمان بالله عز وجل

ليظهر الاهتمام

بوجوب الكفر بالطاغوت وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان
بالله تعالى والكفر بها رفضها وترك عبادتها والانقياد
لفظ الخ وقد عز وجل قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الملك المتروك
بعد الدال في الماضي على تحقيقه وان كان مستقبلا
في المعنى اشعارا بانه مما وقع استمساكه وبت وذلك
للمبالغة في ترتب الجواب على الشرط وان كان لامحالة وجعل
ما تمسك به عروة وناهيك بالاخرام من صفة الامساك
وشدة الاستمساك والتعلق ومثل الايمان بالكفر وترشح
ذلك بقوله لا انفصام لها اذ لا انكسار ولا انقطاع
وجملة الشرط حال او اعتراض مؤكد لاستحقاق الجواب
والله ولي الذين امنوا من تحبه والاخراج هنا ان كان بحقيقته فانه
قد اختص بمن كان كافرا ثم اسلم وان كان مجازا فهو مثل الله
اياهم من خذلهم في الظلمات والظلمات والنور كناية
عن الكفر وعن الايمان وذلك فيمن امن ثم كفر وترك الطواغيت
باكملهم وهو ان يكون كفرهم وتمرجوعهم حالا وخبرا ثابتا
ويظهر ان يكون ذلك تفسيرا للولاية ولما ذكر انه سبحانه وتعالى
ولي الذين امنوا وان الطاغوت ولي الكفار اعقب ذلك
بهذه القصة مثلا للمؤمن والكافر بقوله عز من قائل الم تر الى الذي
حاج في ابراهيم في ربه والذي قد حاج ابراهيم عليه الصلاة
والسلام هو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام ابن نوح عليه
الصلاة والسلام ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة
قال مجاهد رضي الله عنه قد ملك الدنيا مؤمنان سليمان
عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وكافران وبختنصر والنمرود والثاني
بخنصر وفي نسبة النمرود اختلاف ومعنى حاج خاصم محمد
بمثله في زعمه ان اتاه الله الملك اي لان اتاه الله الملك حمله
احسان الله له فبطر وتكبر حتى انهى من عتوه الى هذه المحاجة
ووضعها مكان الشكر على هذه النعمة فان اتاه مفعول
من اجله واجاز الزمخشري رضي الله عنه ان يكون المقدر
حاج وقت ان اتاه الله الملك فان عنى على ان ذلك على حذف
مضاف يمكن ذلك ان فيه بعدا من جهة ان المحاجة لم تقع
وقت ان اتاه الله الملك الا ان يجوز في الوقت فلا يحمل على
ما يقتضيه الظاهر من انه وقت بدء ايتاء الله الملك له الا ترى
ان ايتاء الله الملك اياه سابق على المحاجة وان عنى ان ان
المقدر وقت موقع ظرف الزمان كقولك حبيب حقوق النجم



ومقدم الحاج وصياح الديك فلا يجوز ذلك لان النحويون نصوا
على انه لا يقوم مقام ظرف الزمان الا الصدر المصرح بلفظه فلا
يجوز ان تقول اجيئ ان يصيح الديك ولا جئت ان صاح الديك
اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت سبق سؤال من الكافر
المتقدم ذكره وهو النمرود لعنه الله تعالى وهو قوله له من
ربك اي الذي يتصرف فيك وفي اشباهك بما لا تقدر
عليه وفي قوله ربي الذي اختصاص معارضة الكافر
بان احضر رجلين فقتل احدهما وارسل الآخر ولما راى
ابراهيم عليه الصلاة والسلام مغالطة الكافر وادعاؤه
ما يوهم انه له ذكر ما لا يمكن ان يغالط فيه ولا ان يدعيه
وقد كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام ان ينازعه فيما ادعاه
ولكنه اراد قطع شغبه عن قرب وان لا يطيل معه
الكلام اذ شاهد منه ما لا يدعيه عاقل قال فان الله
ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وعدل عن الاسم
الشايع عند العالم كلهم وهو الله وقرر بذلك ان ربه
الذي يحيي ويميت هو الله عز وجل الفاعل لهذا الامر العظيم
الذي لا يمكنك ان تموه بدعواك كما موهت بالاحياء
والاماتة فبهت الذي كفر اي دهش وشغل وتحير
ونبه على الوصف الموجب لبهته وهو كفره وقرئ مبنيا
للمفعول وللفاعل وفي رواية والمفعول المحذوف
والفاعل المحذوف ابراهيم اي عدت ابراهيم بالحجة الدامغة
له ومبنيا للفاعل اي فبهته ابراهيم وبهت بضم الهاء
وفتح الباء وكسر الهاء اي الكافر وقد منع الله سبحانه
وتعالى هذا الكافر ان يدعي انه هو الذي ياتي بالشمس من
المشرق اذ من كابر في ادعاء الاحياء والاماتة قد يكابر
في ذلك ويدعيه اذ المسالتان سواء في دعوى ما لا يمكن لبشر
ولكن جعله مبهوتا دهشا متحيرا اكراما لنبيه ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام واظهارا لدينه او كالذي
مر على قرية قرئ او حرف عطف واو همزة استفهام والواو
هي العاطفة والجمهور على ان او كالذي معطوف على قوله
الم تر من حيث المعنى اذ التقدير ارايت الذي حاج وتختار
ان تكون الكاف اسما قد ثبت اسميتها في كلام العرب
على ما تقرر في النحو وان كان لا يرى ذلك جمهور البصريين
تكون الكاف في موضع الجر معطوفة على الذي من قوله الم تر
اي الذي حاج والتقدير او الى مثل الذي مر ولم يعين سبحانه

اذ م

وتعالى

هكذا المال ولا الزينة اذا لم تكن مقصودا بها ما في هذه الحجة
وله حاجة الى تعيين المال ولا الى تعيين الزينة والهادي
الى اني بقال خوت الدار تخوي خويا وخويت تخوي خوي
والمعنى خاوية من اهلها ساقطة على عروشها اي سقوفها وهو
في اللغة كل ما يظل ويكن فهو سقف ويقال لعريش
السبوت قائمة والجملة حال من الفاعل في مر او من
قرية وان كانت نكرة تأخرت الحال عنها وقد اجاز ذلك
سيبويه رضي الله عنه في مواضع من كتابه فان قلت
تعجب هذا لله تعالى ليس هذا شكا من ان آتى ذلك
قلت فهموا عنه ذلك بالتعجب عن معرفة طريقة الاحياء وليستعظاما
لقدرة الله عز وجل والاحياء والعمران او يكون على حذف
مضاف اي مر اي اهلها وقد تمزقت جثثهم وتفرقت اوصالهم
فتعجب من قدرة الله عز وجل على احيائهم اذا كان مقرا بالبعث
• فاماته الله مائة عام ثم بعثه اي احياه ورد روحه الى
جسده لم يتغير منه شيء على ممر هذه السنين الكثيرة
• قال كم لبثت سؤال تقرير اراي لم مدة لبثت ميتا قال
لبثت يوما او بعض يوم وقد قيل ان الله سبحانه وتعالى
قد اماته غدوة يوم بعثه قبل قرون قبل هي كانت
حياته سنة فقال قبل انظر الى الشمس ولم تغب فرأى
بقية من الشمس فقال او بعض يوم وفي قوله او بعض يوم دليل
ظاهر للبعض الاقل على الاكثر • قال بل لبثت مائة
عام اي من لبثت حيا مائة عام وقرئ با وعام اثبات
في الكتابة وبالاظهار • فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه
قيل الهاء فيهما اصلية وهو الاجود من قولهم سانهت وقيل
هي بدل من الواو لانك تقول في فهو من قولهم سانيت والمعنى لم يتغير
ولما كان طعامه وشرابه مثلا لحياه اخبر عنهما اخبار
الواحد فلم يأت الا بكنى بكتهما او لم يتسنيا والجملة حال
وكونها اذا وقعت حالا منفية بلم دون الواو اكثر منها باتي اذا
• وانظر الى حمارك قيل بقي الى حمار وهو واقف كهيئة
يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب احياه الله له وهو مرئي
ذلك قال الله عز وجل • ولنجعلك آية للناس اي فعلنا
بك ذلك لنجعلك آية دالة على احيائنا الناس وانظر
الى العظام اراد عظام حمارك او عظام الكل او عظامها معا فيكون
احياؤها منه عليه وسائر جسده كان متأخرا احياء جسده
وهو سليم ثم نظر الى احيائها فاذا عظامه مستوفية بعضها تنوح

كيف

كيف ننشرها ثم نكسوها لحما وقرئ ننشزها بالزاي من انشز
وانشز بمعنى احياء والمعنى من انشزاه اي كيف نحركها ونرفع
بعضها الى بعض في التركيب والحكمة من توقد كيف ننزلها
في موضع البدل من العظام على الوضع لان موضعه نصب
لانه على حذف مضاف اي والى حال العظام كيف
ننشزها كقولهم عرفت زيدا ابو من هو اي عرفت
قصة زيد ابو من هو وفي هذا تخريج ما جاء منه نحو قوله
تعالى فلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والمستهام في با
التعليق لا يراد به حقيقته والكشف هنا استعارة في غاية
الحسن لاستعارتها لما انشاء من اللحم الذي غطى به العظام
وهي استعارة عين لعين وظاهر اللفظ ان امره اياه
بالنظر كان بعد تمام بعثه لا ان الامر كان بعد احيائه
وتكريره له مرة بالنظر في اكثر الكلام وقد لم ينشز بزاي
المعجمة لان كل واحد منها خارق عظيم ومعجز بالغ فلما شيء
له بتبين فعل لان مرفاعله مضمر يعود على كيفية الاحياء التي
تتقرر بها بعد الموت وقد ان محمدا رضي الله عنه فلما
تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وبسخ ان
يحمل على انه تبين معنى وتقرر ان الاعراب هو ما ذكرناه
اولا وقرئ تبين مبنيا للمفعول وله هو المقام مقام
الفاعل وقرئ قال اعلم امر من الله او هو لنفسه فنزل
منزلة الاجنبي المحاطب وقرئ اعلم افعل من علم اي
قال الله له اعلم عزك بما شاهدت من قدرة ربك • واذ قال
ابراهيم رب ارني اعطاف بين بدي السوال وادرجي
سوال رغبة • كيف تحيي الموتى جملتي موضع المفعول
الثاني لارني لان رأى التي تتعدى الى اثنين بمعنى العلم وراى
البصرية تتعلق ومن كلامهم اما ترى اي ترى فهما تعلق
نظر البصرية ولما قال الخليل عليه الصلاة والسلام لنمرود ف
ربي الذي يحيي ويميت سال ربه ان يريه على الكيفية احيا
الموتى والسوال عن الكيفية يقتضي تقدم ما سال عنه
وهو الاحياء قال تعالى لم تؤمن بانه يحيي الموتى معناه
اتقرر لديك انه امنت وفي رواية اي قد امنت قال ابن
عطية اي انا مطلقا دخل فيه فضل احياء الموتى قالوا واولى
الحال دخل عليها الف التقرير امثل كلامه وكون الواو هنا
للحال غير واضح لانها اذا كانت للحال فلا بد ان تكون في
موضع نصب واذ اكذلك فلا بد لها من عامل وله تكون الهمزة

الى التقرير دخلت على هذه الجملة الحالية وانما دخلت على الجملة
التي تشتمل على العامل فيها وعلى ذي الحال وتصير التقدير
اسالتك ولم تومن الا رى اسالتك وانت في هذه الحال والذي
يظهر ان التقدير انما هو مسبب على الجملة المنفية وان
الواو هاتون للعطف كما قال الله عز وجل اولم يروا انا
جعلنا حرما امنا ونحوه واعني بمرة الاستفهام فقد مت
وقد تقدم لنا الكلام في هذا ولذلك كان الجواب مبنيا في قوله
قال بلا وقد تقرر في علم النحو ان جواب الامر المثبت
واذا كان بعض ائمة الكوفيين يجزم الفعل المضارع في جواب الامر المثبت
فيجيء به على صورة الكفيني وان التفت الى معنى الشرط فيجزم
مما قررناه ان في كلام العرب ما يلحظ فيه اللفظ دون
المعنى ولذلك علة ذكرت في علم النحو على ما قاله ابن خطة
رضي الله عنه من ان الواو للحال لانها الى ان تحاذ العامل
في الحال بقولك بلا ان ذلك الفعل صلت مستقبلا عنه
والجواب انما يكون في التصديق بتعذر وفي غير التصديق بسلا
اما ان يجاب مثلا فلا يجوز وهذا على ما قد تقرر في علم النحو
قال ابن مختار رضي الله عنه فان قلت كيف قال اولم تومن
وقد علم انه انتفى ايمانا فلت ليجيب بما اجاب به
لما فيه من الفائدة الجليلة لمستمعين وان لا يجاب لمتابعة
اللفظ معناه بلا امنت وذكر لطمئن قلبي ان يريد سكونا بامر
وطمانينة بمضامنة علم الضرورة لما علم الاستدلال وقد
الادلة اسكن للقلب اذ للقلوب وان قد للضرورة
والقيمة ولان علم الاستدلال يكون معه الشك بخلاف
علم الضرورة فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا يعارضه
الشك الذي هو من كلامه وليس علم الاستدلال يكون معه
الشك كما قال بل منه ما يكون معه الشك اما اذا كان
عن مقدمات صحيحة فلا يجوز معه الشك كعلمنا بحدوث
العالم ووحدانية الموجد فمثل هذا لا يكون معه الشك
قال ولا تقرر في علم النحو ان التقرير يجاب بما يجاب به النفي
المحض وهذا مما يلحظ فيه اللفظ دون المعنى ولو لم تومن لك
بلا لكن ليطمئن قلبي اي اريد سكونا بانضمام علم الضرورة الى علم
الاستدلال قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك فنسرني
وقد اضطربوا في معنيها فقال ابن عباس رضي الله عنهما اخذ طاوسا
وديكا وغرابا وامره ان يأخذها بيده وفعله وافقد
فعلها اثبت في المعرفة بكيفية الاحياء اذ فيه اجتماع حاسة
الرؤية وحاسة اللمس والطير اسم جمع وتقله ممن هو اوضح

ح
اي تعلم
امنت

بجي امنت

وان كان

وان كان قد جاء ان الله صافه فيه كقوله عز وجل وكان في المد
سنة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون وبعبا اصار
يصور وصار يصير بمعنى قطع وامال . فصرهن اليك
فمال ابن عباس رضي الله عنهما قطعهن وقال اعزل اصمهن اليك
وقال ابن عباس اصبا او بهن وقرئ بضم الصاد وكسرها
وقرئ فصرهن اليك من صرالشئ يصره اذا جمعه وضمه وان
كان بمعنى التقطيع فالحذف وان كان بمعنى الاماله فالحذف
ابين وقطعهن اجزاء ثم اجعل على كل جبل اري من جبال الارض
منهن جزءا وفي رواية فمايلك وسيأتيك سعيا والمراد بصرك فيه
الاحتراز اذا حتوى الطير شيئا ادعاه وضمه الى نفسه
اجزاء متفرقة فاتينك سعيا اي وانت طائر وامن ان يلحقني تعب
وانت تشاهد ذلك وتعاينه وتثق بمجيئي عن دعائه
وكان مجيئهن عيانا ابلغ من العهود لهن واوادها ان
ذا الطرف هو آدمي فذاك مجاهد رضي الله عنه
والشيخ المحتي ماجرها ردوكي في بعض قصص هذه الآية
ان ابراهيم خلفه نصيلاه والسلام وكي هذه الطيور
وقطعها قطعا صيغار او جمع ذلك مع الدم والريش
وجعل من ذلك على كل جبل جزءا ووقف بعضا
حيث يرى الاجزاء وامسك رؤس الطير في يده ثم قال
تعالين بعالين باذن الله عز وجل فطارت
تلك الاجزاء والتأم الدم الى الدم والريش الى الريش وبقيت
بلا رؤس ثم كرر ذلك بحاجته سعيا حتى وصلت اجزاؤها
في رؤسها ثم طارت ما فيها الله عز وجل واجمع اهل
التفسير ولا اصناد بخلاف في ان رضي الله عنه على ان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام قطع اعضاءها وخلط لحومها
وريشها وخلط بعضها ببعض مع دمائها . مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله الآية لما كانت هذه الوقعة
اي قصة المباهاة على المرتبة وقصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
من ادل دليل على البعث ذكرنا ليتبع به يوم البعث
وما يدل على البعث من اشياء جمة واحدة سبعمائة جمة
وذلك دلالة عظيمة بالغة فكما يخرج هذا الحب
الكثير من الحبة الواحدة كذلك يخرج الله الموتى وهذا العدد
يوجد في البحر والبر اوذكر ذلك حين سئل التصوير
وان لم يعاين واضيف عدد الاولة وهو سبع الى جمع هو
للكثرة تكثيرا ولم يضف الى الصحيح وهو ستة لما انه

في علم النحو انه الاكثر قال الله سبحانه وتعالى ثماني حجج سبع طرائق
سبع ليال عشرة مساكين مما وازن مفاعل نحو هذا اكثر وافصح
من جمع القلة المصحح فلما وسبع سنبلات فلمقابلة سبع بقرات
وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت هلا قيل سبع
سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات
خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع
امثلة الجمع متعاودة مواقعها انتهى كلامه فجعل هذا من باب
الاتساع ووجود احد الجمعين موقع الآخر على سبيل المجاز اذ
كان حقه ان يميز باقل الجمع لان السبع من اقل العدد وقد
تقدم لنا ان هذا ليس من باب الاكتفاء وقد اشبعنا الكلام
على ذلك في كتابنا المسمى بالبحر المحيط في كل سنبلة في موضع الصفة
لسبع او لسنابل وقرئ مائة حبة بالنصب اي اخرجت
تلك الحبة مائة حبة والظاهر في المائة العدد المعروف
او ذكرت كناية عن الكثير اذ المائة مما يعبر بها عن الكثير
والمنة هي النعمة يقال من عليه انعم والمن المذموم
ذكر النعمة للمنعم عليه على سبيل التفخير عليه والاعتداد
باحسانه والمن والافتخار من الكبائر كما ثبت في صحيح مسلم
وغيره انه احد الثلاث الذين لا ينظر الله اليهم يوم القيامة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم ثم لا يتبعون دليل على
ان النفقة تمضي في سبيل الله عز وجل ثم يتبعها ما يبطلها وهو
المن والاذى فقبولها موقوف على هذه الشرائط والاذى قد
يشمل المن وغيره وذكر الاذى عموم بعد خصوص وقدم
المن لكثرة وقوعه ومن المن ان يقول قد احسنت اليك
ونعشتك وشبهه او يتحدث بما اعطى فيبلغ ذلك الكلام
الى المعطى فيؤذيه ومن الاذى ان يسب المعطى او يتشكى
منه او يقول ما اشد الحافك وخلصنا الله منك او انت
ابدا تحييني او يكلفه الاصراف بما اسدى اليه والذي هو
مبتدا خبره لهم اجرهم ولم تضمن الذين معنى الشرط
فتدخل الفاء في الخبر لان هذه الجملة مفسرة للجملة التي
قبلها المخرجة مخرج الشيء الثابت المفروغ منه وهو تشبيه
انفاقهم بالحبة الموصوفة وهي كناية عن حصول الاجر الكثير
فجاءت هذه الجملة كذلك اخرجت مخرج الشيء الثابت
المستقر الذي لا يكاد خبره يحتاج الى تعليق استحقاق بوقوع
ما قبله قول معروف هو الدعاء والتانيس والرجية
بما عند الله عز وجل ومغفرة هو الدعاء بالغفران اما له

او للسائل

يعني الآخذ

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

ان السائل يقول مبتدأ ومسوغ الابتداء منه وصفه
ولما تقدم ذكر تولهم ولا اذى وهما بكرتان جاز تعدد الحملة
بالنفي ولا الى كمعرفتين في قوله فعصى فرعون الرسول بعد
قوله الى فرعون رسولا والكلام في قوله كالذي في موضع نعت
لمحذوف اي انفاقا كائنا كانفاق الذي ينفق والظاهر ان هذا
المنفق الموصوف في الآية هو المنافق والرئاء مفعول له اي
من اجل رئاء الناس ما ينعقد من البر ليروا
اي حتى يثنوا عليه ويعظموه ويطلقوا انه من اهل الكرم
وممن ينفق لوجه الله عز وجل وانتصب رئاء على انه مفعول
من اجله او مصدر في موضع الحال ومثله الصفة عائد على
الذي ينفقه كمثل صفوان والصفوان الحجر الكبير
الاملس وبخر بك فانه بالتحريك لغة وقرئ بهما وشاذ
في الاسماء اوك فعلان تابعة في المصادر والصفات
فتركه صلدا والصلد هو الاملس النقي من التراب والبلل
الطل الشديد يعرف الله لهذا المنافق انه مثل بصفوان عليه
تراب بطنه الظلال ارضا مستنة طبقة فاذا اصابه وابل
من المطر اذهب عنه التراب فبقي فكذلك انفاقه اذهب
ما ظنه الظالون فكذلك هذا المنافق يرى الناس له
اعمالا لا ترى الرائي على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة
اضمحلت وبطلت كما اذهب الوابل ما كان على الصفوان من
التراب والضمير في قوله لا يقدرون عائد على المحاطين
بقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وفيه التفات
اورد على الذي من قوله كالذي مراعاة لمعنى الجمع اذ المراد به
واحد فهو نظير قوله سبوريم بعد قوله تحمل الذي يستوي
نائل على شيء اي على انتفاع بعيني ما انفقوا هو كسبهم
عند حاجتهم اليه ولما ضرب الله المثل للمنطوي على صدقاته
وشبهه بالمنافق ذكر مثل من يقصد بنفقته وجه الله
تعالى فقال ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء اي
طلب مرضاة الله وقيل انتصابه بقوله وتثبيتا
من انفسهم والمراد توطين النفس على المحافظة على واقعة
من يؤمن به فكأن المثل في قوله لكل حبة بمنسوب
منصوب حتى يظهر للتامع تفاوت ما بين النفقتين
وقرئ الجملة حبة وقرئ حبة والربوة ارض مرتفعة
طيبة وتلك نادرها ومن نظم الخليل ان احمد رضي الله عنه

ترفعت عن ندى الاخلاق والخفض عن المخاطر وسفت
قمال بالموح وارزمان اسفلها واعم بالتحلد الثمر واعلاها
وقوله عز وجل اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين مثلي ما تثمر العرف
وتشاهد ه كثيرا من انتفاع الزراع بالوابل دون الطل الجارك في بلادهم وقرئ بسكون الراء وضمها في ثمر وقرئ
برباوة حسناء وبربوة بكسرها وثمرت الداعي وثمن رسالته
فاتت اكلها صاحبها واهلها اكلها وحذف كما حذف
في قوله كمثل حمار اي صاحب حمله لدلالة الحمل عليه
والاكل المقصود من هذه الآية ذكر ما ثمره لا لتمر تثمر
وانتصب ضعفين على الحال وسنة الابناء بها مجاز
والاكل هنا الثمرة وقرئ بضم الكاف واسكانها وقيل
ضعف الشيء مثله وقيل مثلاه فيكون ارفع امثاله
قيل في حمل واحد وفي السنة مرتين ويحتمل ان يكون اراد
بالسنة الكثير لا سيما ان احد الرين ضعفا بعد ضعف
اي اضعافا كثيرة وفوائد في التشبيه لان الحسنة لا تكون
لها تلك حسنة من بل تضاعف كثيرا فان لم يصبها
وابل فطل اي ان لم يكن وبل فاندفيصبها
طل او فطل يصيرها وهو مع ذلك كاف لها في الانماء
فتضعف بكرم الارض بطيبها فلا تنقص ثمرتها بقصان
المطر وقرئ بما تعملون بالتاء والياء لكل واحد منكم الاية
هذا مثل لمن عمل انواع الطاعات شبهت بجنة فيها من
كل الثمرات فختمها باثارة كاعصار فشبه بحسنة حسنة
اي بحسن لا عود بشجر كثير اكثر هلكت جنته وهو موثمن
احوج ما كان اليها واعجزه عنها والمم في قوله ايود للاستفهام
والمعنى على التبعيد والنفي اي ما يود احد ذلك واحد
هنا تبين المختص بالنفي لكونه بمعنى واحد على طريق البدلية
وقرئ جنات بالجمع وبالواو من نخيل واعناب وخصا
بالذكر لكونهما مشرفهما وذكر الثمرة وباي الاعناب وذلك
لان العنب اعظم منافع اكثر وخص النخيل بذكره دون
ذكر ثمرة لان منافعه كثيرة لا تختص بذكر ثمرته فقط يعني
التمر وغيره من جميع اجزائها وجعلت الجنة منهما وان كان
فيها غيرهما لانهما اغلب ما يكون فيها والله اعلم وفيه
دليل على ان فيها غير النخيل والاعناب وهذه الجملة مرتبة من
مبتدا وخبر حذف فيها المبتدا اي له وفيها التقدير فيه
رزق او ثمرات كقوله في هذا البيت كانك من حمار بني انمير

وجعل
الجنة

اي كانك

اي كانك جبل من جبال بني اقيش • وكقوله عز وجل
في اية اخرى في حق الملائكة عليهم الصلاة والسلام
وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له
مقام اي حد معلوم لا يتجاوزه الى غيره فمن في موضع الصفة
• واصابه الكبر جملة حالية اي وقد اصابه الكبر
• وله ذرية ضعفاء اي صغارا ومحاويج • والجملة
حال ايضا وقال الزمخشري رضي الله عنه وقيل يقال
وددت لو كان لي كذا وكذا فحمل العطف على المعنى كانه
قيل ايود احدكم ان لو كانت له جنة واصابه الكبر انتهى
وظاهر كلامه ان يكون واصابه معطوفا على متعلق ايود
وهو ان يكون لانه في معنى لو كانت اذ يقال ايود احدكم
لو كانت وهذا شيء مفقود اي ليس بشيء لانه يمتنع من
حيث المعنى ان يكون معطوفا على كانت التي قبلها او لانه
متعلق الود واما واصابه الكبر فلا يمكن ان يكون متعلق
الود لان اصابه الكبر لا يوده احد ولا يتمناه لكن يحمل
قول الزمخشري رضي الله عنه على انه لما كان ايود استفهاما
معناه الانكار جعل متعلق الوداد الجمع بين هذين
الشيئين وهما كون جنة له واصابه الكبر اياه لا ان كل
واحد منهما يكون مودودا على انفراده وانما انكر
وداده الجمع بينهما • فاصابها اعصار • والاعصار هي ريح
شديدة يرتفع فيها غبار الى الجو • فيه نار اي كائن فيه
وذكر الضمير هنا لان الاعصار مذكر دون اسماء
الرياح • فاحترقت يدل على اعتقاب احراقها اصابته
واحترقت مطاوع احرقها فاحترقت كقولهم انصفته
فانتصف ولما ان امروا بالصدقة جاء بعض الصحابة
بحشف ليتصدق به يرى ان ذلك جائز فنزل قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم اي
من حلال ما كسبتم وما يقع به التذاذ في النفوس ومن هنا
للتبعيض اي وما عموم في المكسوب لا في مقدار ما ينفق
• ومما اخرجنا لكم من الارض وهو معطوف على من طيبات
ما كسبتم المتقدم ذكره اي ومن طيبات ما قد اخرجنا لكم من
الارض وما عامة في ذلك المخرج وللعلماء خلاف
في مسائل كثيرة مما اخرج تعالى من الارض ذكرت في كتب الفقه
• ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون هذا تاكيد للجملة قبله
وقرئ تيمموا بتخفيف الياء على حذف التاء اذ الاصل تتيمموا

وبا دغام تاء المضارعة في التاء بعدها وبي قراءة البزي
رضي الله عنه في مواضع ذكرت من الامران في كتب القراءات
والطب والهمت بما صيغتان استعملتا في استعمال الاسماء
فولنا العوامل والصبر في معنى عايد على ما دل عليه الكلام
اي الحسنات من المال المتفق وتنفقون جار من فاعل
يتمتعوا اي متمتعين • ولستم باخذيه جملة حالية
اي ولستم باخذيه في دينكم وحقوقكم فكيف اهداياكم
• الا ان تغمضوا فيه اي وفي معنى الاية الا ان تتسامحوا
في اخذه وقرئ تغمضوا بفتح التاء من اغمض مسندا اي
ارتضاكم وحلمكم والا مبمعنى اغضى عن كذا وبالشديد من
غمض وتغمضوا مضارع تغمض وتغمض بفتح التاء وضم
الميم وكسرها من غمضت لانها بمعنى اغمض وتغمض مبنيا
للمفعول اي الا ان تتوجد وا وقد تغمض فيه عما تترك
اذا حمد الرجل اذا اصاب محمودا • والله غني اي عن صدقاتكم
حميد اي على كل حال اذ هو مستحق للحمد بجميع المحامد • الشيطان
يعدكم الفقر اي بخلكم به اذا تصدقتم بان يقول لكم انكم
في قلة المتصدق امسك مالك لئلا تفتقر وقرئ الفقر
والفقر بضمتين والفقر بضم الفاء وامركم بالبخل اي
بالمعاصي التي منها البخل في الحقوق الواجبة كالزكاة والمعنى
يغريكم بالبخل اغراء بالامر • والله يعدكم مغفرة
اي ستر الذنوب حتما من الله • وفضلا اي زيادة
في الرزق وتوسعة حالا فالما تقدم به • والله واسع
لمن شاء الجود والفضل • عليم بنيات من انفق • ويؤت الحكمة
وقرئ بالياء وبالتاء والحكمة القرآن والفهم فيه لمن شاء
ومن يؤت الحكمة قرئ فتحا للفاعل والمفعول وقال
ابن مجتبى رضي الله عنه في قراءة من قرأ ومن يؤت معناه
ومن يؤته الله فان اراد تفسير المعنى فصحيح وان اراد تفسير
الاعراب فليس كذلك بل من مفعول لفعل
مقدم الشرط كما تقول ايا تعط درهما اعطه درهما وقرئ
ومن يؤت الحكمة وحسن تكرار الحكمة لكونها في جملتين
دلالة على فضلها والتنبيه على شرفها وفضلها قال الزمخشري
رضي الله عنه في قراءة من قرأ ومن يؤت معناه ومن يؤته
الله الحكمة فان اراد تفسير المعنى فصحيح وان اراد تفسير
الاعراب فليس كذلك بل من مفعول لفعل مقدم الشرط
ويحتاج الى الدليل على شرطه وتقديره اي خير كثيرا مما على

فاخذوا

وعلم

من شاء

ان يجعل

تعالى ان يجعل اى خير صفة لخير محذوف اى فتداء ولى
خيرا كثيرا اى خيرا كثيرا وخيرا كثيرا لتكثير تعظيم
كما ذكره قال فتداء ولى اى خير كثير انتهى وهذا الذى
ذكره يستدعى ان فى لسان العرب تكثيرا عظيما تعظيم
ويحتاج الى الدليل على ثبوته وتقديره اى خير كثير
ايضا ويحتمل ان يجعل اى خير صفة لخير محذوف اى لقد
اوتى خيرا كثيرا اى اوتى خيرا كثيرا ويحتاج ايضا الى
هذا التركيب من لسان العرب وذلك ان المحذوف انما اذا
وصف باى فانما يضاف للفظ مثل لفظ الموصوف فى
الفصيح تقول مررت برجل اى رجل اى برجل كريم
كما انك تقول امرر باى امرء اى امرء فاجابنيه وكيت وكيت
واذا تقرر لك هذا وعرفته فهل يجوز وصف ما يضاف
اليه اى اذا كانت صفة فتقول مررت برجل اى رجل كريم
ام لا يجوز تحتاج جواز ذلك الى دليل سمعى وايضا فى
تقدير اى خير كثير يحذف الموصوف واقام الصفة
مقامه ولا يجوز ذلك الا فى ندور كقول الشاعر
اذا جاريا الحاج اى مناكب ، يريد مناكب فحذف الموصوف واضاف فى تقدير اى خيرا كثيرا اى
خيرا كثيرا حذف الموصوف واقامة المضاف اليه
مقامها وقد حذف الموصوف به اى فاجتمع حذف
الموصوف وحذف الصفة وهذا كله يحتاج اثباته الى دليل
ومما ذكر الاولى الالباب فيه حث على العمل بطاعة
الله عز وجل ولما كان قد يخطر للعاقل فى بعض الاحيان
الغفلة قلت وما يذكر الا اولوا الالباب اى اصحاب العقول
• وما انفقتم من نفقة عامة فى نفقة البر وغيره
وفى نذر الطاعة وغيرها ومن نفقة ومن نذر تاكيد
لفهم ذلك من قوله عز وجل وما انفقتم او نذرتم واكد
اسم الجنس القليل والكثير فى ذلك بقوله ولا تنفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة وحذف ما من قوله او نذرتم
اذ المقدر او ما نذرتم لدلالة ما عليه فيما قبله فان
الله يعلمه اى يجازى على ذلك ولما كان العطف بالواو وجاز
افراد الضمير فاعاده على احدهما وهو النذر ولان
كان يجب ان يعود على النفقة والعطف بالواو حكمه فى الضمير هذا

اقاب ا

ه ولا ذا ادمو ٥ لا

فصارة تعود على الاول وتارة تعود على ما تعدادوه وما للظالمين
من انصار عام في كل ظالم والانصار الاعوان في الشدة
ان تلك والاصدقات ايان تظهروها فنعم ما هي فصدقاتها وخبر الله عز وجل والصدقات عام في المفروضة
وفي المتطوع بها فنعما بالنون في جواب الشرط وتقدم الادغام
على ما هو قياس قوله بئس ما اشتروا به انفسهم وما ضمير يعود
على الصدقات بتقدير الوصف اي فنعما الصدقات المبداة
او على حذف مضاف اي فنعما ابداؤها وقرئ بكسر النون
والعين وبفتح الاولى وسكون الثانية وكسرها وباء خفاء
حركة العين وان تخفوها على الصدقات والضمير عائد
على الصدقات لفظ الاخفى كقولك عندي درهم ونصفه
فهو اي فاخفاؤها خير لكم وفي تكفير وتوكيد وتوسطها للتنبيه
على مظنة الصدقات وخبر هو فعل التفضيل اي
من ابدائها او معناه خير من جملة الخيور وايما كان خير المتعدد
المتصرف لها من الرياء في المن والاذاء لو لم يسلم الفقير
بنفسه واخفى عنه الصدقة ان يعرفها كان احسن وحاز
ثمنها من يستحقه الذين يظلمون الناس في ظلم يوم القيامة
وقرئ وتكفر بالواو وباسقاطها وبالياء وبالنون
ونكفر بالواو وباسقاطها ورفع الراء وجزمها ونصبها وقد مر هذه
القراءات وتوجيهها مستوفى من كتب النحو وقال ابن عطية
رضي الله عنه الجزم في الراء اضعف هذه القراءات كلها لانها
تؤدي الى دخول التكفير في الجزاء وكونه مشروطا ان وقع
الاخفاء واما رفع الراء فليس فيه هذا المعنى انتهى وتقول
ان الرفع اسلم واعم لان الجزم يكون مقطوعا على جواب الشرط
الثاني والرفع يدل على ان التكفير متسبب من جملة المعنى
على بذل الصدقات سواء اثرت ام اخفيت لما نعلم ان
هذا التكفير متعلق بافعالكم ولا تختص التكفير بالاخفاء فقط
والجزم يخصصه ولكن لنا ان نقول ان الذي يبدي الصدقات
لا تكفر من سيئاته فقد صار التكفير شاملا للنوعين من ابداء
الصدقات واخفائها وان كان الاخفاء خيرا من الابداء
وتكفير بعضكم من سيئاتكم من هنا للتبعيض لان الصدقات
لا تكفر جميع السيئات وهذا مما تعلمون خبيرا اي يقف العبد
لانها تدل على انه يعلم بلطف الاشياء واخفائها فاد فقاه
فناسب اخفاء الصدقة ختمها بهذه الصفة المتعلقة بما هي

وقرئ ان

١١٠

وقد كان ممن اسلم من بكر اناس ان يتصدق ارحامهم على
قريبه الشرك وعلى الشرك فنزلت قوله تعالى ليس عليك
هداهم الآية ان لقد يهم اذ ان يخلق الهدى في قلوبهم وقيل ما
ان الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه بعد لانه
لا يليق به الصلاة والسلام وكان قوله لرد قوله حكمة من
دل على التسام الناس ليامن اقاه الله الحكمة فعلها وسلم
لي امة اباها فهو يخبط عشوا في الضلال بين ان هذا
التعم ليس عليك هداهم بل الهداية والتوفيق الحكمة اليمنا
لك الله سبحانه وتعالى ولكن الله يهدي من يشاء هدا
وما تنفقوا من خير فلانفسكم اي ليس له يعود نفعه الى احد
غيركم فلا تحسنون انما به اي بتحذوه فلا تنفقوا الا لمن يضدتم
عليه من مسلم وكافر فانما ثواب ذلك يكون لكم وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله فهو الذي يليق
وقيل هو نفي معناه النهي اي ولا تنفقوا الا ابتغاء وجه
الله عز وجل والاية دليل انها نزلت على السبب لانهم لما نهوا عن وضع
الانفاق الا لوجه الله عز وجل حصل الامتثال فاخبرانهم
لا ينفقون الا ابتغاء وجه الله عز وجل وانتصب ابتغاء على
انه مفعول من اجله ومعنى وجه الله رضاه كما قال ابتغاء
مرضاة الله وقيل ذاته اي يوف اجره لكم وانتم لا تظلمون
جملة لا تنفقون شيئا من ثواب اعمالكم للفقراء خبر
مبتدا محذوف وكانه جواب سؤال مقدر كانه قيل لمن الصدقات المحثوث على فعلها فقيل هي للفقراء
فبين مصرف الصدقات فقال للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله اي حبسوا انفسهم على طاعة الله عز وجل او الجهاد
لكونهم زمنى او حبسهم العدو لا يستطيعون ضربا في الارض
اي سفرا للكسب وتجارة وذلك لزمانة وخوف من العدو
والجملة حالية اي احصروا عاجزين عن التصرف او هي
تكون مستانفة بحسبهم الجاهل اغناءهم من التعفف
قرئ بفتح السين وهي لغة تميم وبكسرها وهي لغة الحجاز
والمعنى انهم لشدة امتناعهم ونزر السؤال واعتمادهم
للتوكل عليه يحسبهم من جهل حالهم اغنياء ومن بمعنى
سببية اي لاجل عفافهم حسبانهم انهم اغنياء او بتعففهم
لان عادة من كان غنيا ما ان يتعفف ولا يسأل
ويتعلق من التعفف بيحسبهم وهو بمعنى من اجله
فان شرط نصبه وهو اتحاد الفاعل لان فاعل

حالية اي

خصروا

اي باتمال

بحسبهم او الكامل وفاعل التعفف والفقر فاختلف الفاعل
وعرف الفاعل هنا لانه سبق منهم التعفف مرارا فصار
معهودا منهم واحسن ان عطية رضي الله عنه ان تكون من هنا
لبيان الجنس قال فكون التعفف داخلا في الجنسية اذ
انهم لا يظهر لهم سؤال الا هو قليل وباء جاء والباء بهم
متعلقة بعرفهم بحسبهم اغناء عفة من لبيان الجنس على
هذا التأويل انتهى وليس ما قاله من ان من هذه في هذا
الخبر لبيان الجنس المصطلح عليه في بيان الجنس لازما لها
اعتبارا اعم من قال لهذا المعنى لم ار تقدير موصول
وما وصلت عليه بحيث مبتدأ خبره محذوف نحو قوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان والتقدير فاجتنبوا
الرجس الذي هي الاوثان ولو قلت هنا بحسبهم الجاهل
اغناء الذي هو التعفف لم يصح هذا التقدير وكاد ان يسمى
لجمة الذي هم اغنياء بيان الجنس اي بينت بان الجنس
وقع غناؤهم به اي غناء وهم هو ما التعفف لا المال فسمي
من الداخلة على ما يبين جهة الغناء بيان الجنس وهذا
ليس هو المصطلح عليه كما قدمنا ما ويل هذا تؤول الى ان من
سببية لكن تتعلق باغنياء لا بحسبهم والجملة من بحسبهم
حالية او مستانفة تقرر بها فهم الخطاب للرسول
عليه الصلاة والسلام اي تعرفهم باعيانهم او بعلامة
وسمة اطمارهم في وجوه الوهم لاصل الفقر والباء في قوله
وسيماهم للسببية والجملة ايضا حالية او هي تكون مشاهدة
والتعفف تفعل من العفة يقال عف عن الشيء اذا كف
عنه ونزه عن طلبه والسيما العلامة تقول وعمر
واذا اطلقت والسمة كالخاف نحوها يحرباء ويقال سيماء
ككبرياء والسمة هنا للسانك وهو مشتق من الوسم
في الوجه قلت يجعل فاته مكان عينه وعينه مكان فاته
لا سيما لان الناس لحاف الالحاف من الالحاح الخ والحق
بمعنى واحد واذا يقع حكم على محكوم عليه بعد فالاكثر
في لسان العرب انصراف النفي لذلك القيد فتكون العين
على هذا نفت سؤالا لهم وبقي الالحاح اي ان وقع منهم سؤال
فانما يكون بتلطف وتبيين لاباء الحاح ويجوز ان ينفي ذلك
الحكم فتنتفي ذلك القيد فيكون على هذا نفي السؤال
ونفي الالحاح فلا يكون النفي على هذا منصبا على القيد فقط
وهذا فهم ابن عباس رضي الله عنهما قال لا يسألون الناس الحافا

ولا غير الحاف

ولا عز لحاف وهذه الحالة او يقدر ذا في موضع الحال
كما تنفقوا من خير فان الله به عليم اي مجاز عليه ومثيب
وقد كان لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم
سرا وبدرهم علانية فنزل قوله عز وجل الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم و
خوف عليهم ولا هم يحزنون • وقدم الليل والسر لان الصدقة
تخفى فيهما اي لاخفاء الفضل ودخلت الفاء في خبر
لتضمن الموصول معنى اسم الشرط لعمومه قال ابن عطية
رضي الله عنه واما وجد الشبه في بين الموصول وبين
اسم الشرط لعمومه اذ كان موصولا بفعل واذ لم يدخل
على الذي عامل بخلاف معناه انتهى فحق الشبه اذ كان
الذي موصولا بفعل وهذا كلام غير محرر اذ ما ذكرها هنا
له قيد واو لها ان ذلك لا يختص بالذي بل كل موصول غير
الالف واللام حكمه في ذلك حكم الذي بلا خلاف
وفي الف واللام خلاف ومذهب سيبويه رضي الله عنه
المنع من دخول الفاء الثاني قوله موصوله بفعل فاطلق
في الفعل ولم يقصره عليه وليس كذلك بل شرط الفعل
ان يكون قابلا لاداة الشرط فلو قلت الذي ساتيني فلها
ما منهم او ما ياتيني فليس هو باتيني فاعطه درهما
او فله علي درهم لم يجز لان اداة الشرط لا تصلح ان تدخل على شيء
من ذلك واما الاقتصار على الفعل فليس كذلك بل
الظرف والمجرور كالفعل في ذلك نحو الذي كان
الصلة واحدة منهما جاز دخول الفاء في خبره واذا لم
تدخل على الذي عامل بخلاف معناه عبارة غير محققة
لان العامل انما يدخل عليه كائنا ما كان لا لمعنى
الموصول انما معنى ان تقول معنى جملة الابتداء في الوصو
وخبره فيخرج بهذا القيد الخبر الذي ليس من تمام الصلة
او طن او غير ذلك فلو قلت الذي ساتيني فلها
لم يجز وكان ينبغي لابن عطية ان يذكر ان من شرط دخول
الفاء في الخبر ان يكون مستحقا بالصلة كما جاء في
الآية لان ايتاء الاجر انما هو على الايمان وعمله
دخول الفاء في خبر المبتدا يستدعي كلاما طويلا ويكون
في بعض مسائله خلاف وتفصيل وقد ذكرنا ذلك في كتاب
التذكرة من تاليفنا والله اعلم بذلك كله الذين ينفقون اموالهم

لما امر بالانفاق من طيب ما كسبوا وحض على الصدقة اي حث عليها
بقوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ذكر نوعا من الخبيث
كان غلب عليهم في زمن الجاهلية وهو الربا حتى يمنع من
الصدقة ما كان من ربا والربا هو الزيادة وهو مخصوص
بزيادة مبينة في الشرع بين حكمها في كتب الفقه وقرا
العدوي الربو بالواو وهي لغة الحيرة ولذلك كتبها اهل
الحجاز بالواو لانهم تعلموا من اهل الحيرة وذلك على لغة من وقف
على افعا بالواو واجرى الوصل مجرى الوقف لا يقومون خبر عن الذي
قبل ويقدر قبله حال محذوفة اي مستحلين ذلك
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يقومون يعني من قبورهم اي
يبعث يوم القيامة كالمجنون الذي ذهب عقله عقوبة
له او لا يقومون الى تجارة الربا الا بحرص وجشع كقيام المتخبط
بالجن تستفزه الرغبة حتى يضطرب والظاهر ان الشيطان
يتخبط الانسان حقيقة وقيل هو مجاز عن اغوائه الذي يصرعه
به او على ما كانت العرب تزعمه انه يخبط الانسان وتخبط
تفعل موافق للمجرد وهو خبط والمس هو الجنون ويتعلق
من المس بيقوم او بيتخبطه وقال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت بم يتعلق قوله من المس قلت يتعلق بلا يقومون اي
لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع انتهى وكان قد
قدم في شرح المس انه الجنون وهذا الذي ذهب اليه في تعلق
من المس بقوله لا يقومون ضعيف لوجهين احدهما انه قد
شرح المس بالجنون وكان قد شرح ان قيامهم لا يكون الا في
الآخرة وهناك ليس بهم جنون ولا مس ويبعد ان يكنى بالمس
الذي هو الجنون عن اكل الربا في الدنيا فيكون المعنى لا يقومون
يوم القيامة اي من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس اذ لو اريد هذا المعنى لكان التصريح به اولى من الكناية
عنه بلفظ المس اذ التصريح به ابلغ في الردع والزجر والوجه الثاني
ان ما بعد الا لا يتعلق بما قبلها الا ان كان ذلك في حيز
الاستثناء ولذلك منعوا ان يتعلق بالبينات والزبر بقوله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا وان التقدير ليس وما ارسلنا
بالبينات والزبر الا يوحى اليهم ذلك بانهم اي بسبب انهم قالوا
اشارة الى القيام وهو مبتدا خبره بانهم اي كائن ذلك بسبب
انهم وشبهوا البيع المجمع على جوازه بالربا وهو محرم ولم
يعكسوا في ذلك تنزيلا لهذا الذي يفعلونه من الربا بمنزلة
الاصل المماثل له في البيع وهو من عكس التشبيه وهو موجود

اي من اجل اكل الربا

في كلام العرب

المؤلفين

في كلام العرب كثير في استحلال الخمر وكل ما يسكر وقال ابن العربي
قال الرماوردي اهل البيت وحرم الربا من كلامه عز وجل ركز اعلمهم
فذكر ما ورد عنهم في ذلك وبينها والحكم في الاشياء سبحانه
وتعالى لا تختلف في ملة من الملل البيع والربا عاما بان
الا ما حرم الله سبحانه وتعالى من بعض البيوع وذلك
مذكور في كتب الفقه فمن جاءه ذكر بتفصيل وكون
تائبا من الموعظة فجاءه بيان وفي يمن جاءته بالتاء الاولى
والموعظة هي الوعد الشديد على فعله من زجر او امر
في قصة فانتهى اي رجع عن المعاملة بالربا فله
ما سلف اي قبل التحريم وامره الى الله ان شاء
الله عز وجل اجابه واحسانه وفيه تأنيس ومن عاد اي الى
فعل الربا مستحلا له كما تقدم ذلك
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا
اي يذهب بركته والمال الذي يكون فيه وقد روى
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الربا وان كثر فعاقبته الى قل ويربي الصدقات
اي ينميها في الدنيا او يضاعف حسناتها وفرق
بمحق ويربي من محق وكفر وكفر ذكر بمحق ويربي
طباق وفي الربا ويربي صدر بالتحميس لمعايرة ان الله
لا يحب كل كفار اثيم وصفها بالمبالغة لتغليظ امر الربا
فلما ذكر اكل الربا ووصفه بانه كفار اثيم ذكر صفة
من المؤمنين الطائعين المتمسكين حتى يتم الاستثناء فقال
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله الآية نزلت في بني عمرو
ابن عمير ابن نقيف كانت لهم دين ربا على بني المغيرة من
بني مخزوم فاراد وا ان يعملوا من ارباهم وفاء لما
من الربا ان كنتم مؤمنين وفي قراءة وذروا ما بقي بفتح الياء
وتسكينها وهي لغة وتقلب الياء الفا وهي لغة طي
اي لغة طي ان كنتم مؤمنين اي ان صح ايمانكم او تكون
شرطا يوكد على جهة المبالغة وذري من الربوة
بضم الكاف بعدها واو ساكنة وفيه شذوذ من خمس
من كسر الراء وضم الحاء وياء ساكنة بعدها في اسم
تام فان لم تفعلوا اي ان لم تتركوا ما بقي من الربا فاذنوا
من اذن وهاذنوا من آذن اي اعلموا فاعلموا والخطاب
في فان لم تفعلوا لمن خوطب اولا وهم المؤمنون والامر
بالعلم والاذن علام حار على سبيل المبالغة في الشهديد وذلك
حقيقته حرب كما جاء في الحديث القدسي من اهان لي وليا فقد اذ

الموئلين

اي الى محق وقلة

بنى بالحارثة

وروي انه لما نزلت هذه الاية قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله
ورسوله ومن هنا لامتداد الغاية وفيه تهويل عظيم اذ المراد منه
سبحانه وتعالى • وانتم اي من الربا ورؤس اموالكم اي
اصولها والمراد الاعم فيطوا ذلك بقوله • لا تظلمون ولا تظلمون •
قرئ الاول مبنيا للفاعل • والثاني مبنيا للمفعول وقرئ بالعكس
فالمعنى لا تفعلون الظلم بطلب زيادة على رأس المال والمبني للمفعول
لا يظلم بنقصان رأس المال ولا بالمطل كما تتوافيه العسرة
وقال الحرفوش لما ان تركت الثقيف الربا نزلت هذه الاية •
وان كان ذو عسرة الاية وقرئ ذا عسرة على كان واسمها ضمير
اي وان وقع او في حيد وقرئ ذا عسرة على كان وانتم خبرها ضمير
اي وان كان من ايد المتربح ذا عسرة وقرئ فنظرة
بكسر الظاء واسكانها هي لغة تميم والنظرة التاخير اذ
فلصاحب تاخير الميسرة وقرئ فناظرة بالالف بعد النون
وخرج على انه مصدر كالعاقبة وفناظره اسم فاعل مضاف
للضمير اي فصاحبي الحق ناظره وقرئ فناظروه اي قائم
فناظروه وقرئ ميسرة بضم السين وهو قليل كمشرقة ومشربة
وهو كثير وقرئ ميسورة مضافا الى ضمير العسرة وهو مصدر
عند الاخفش كالمحلوك وقرئ ميسرة بفتح السين مضافا الى ضمير
الغريم وبضمها كذلك ومفعل مفعول في الاسماء المجردة كما
قال سيبويه رضي الله عنه وقد جاء قليلا وهذه ما شهدت مهلك
اهله وقرئ بضم اللام وفيها شذوذ • وان تصدقوا اي على المعسر
اي برأس المال او بعضه خير لكم من الانظار وقرئ
تتصدقوا فوائد اين وبادغام التاء الثانية في الصاد وتخفف
• ان كنتم تعلمون فضل التصدق على الانظار والعفو واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله ترك تلزمون رسول الله صلى الله
عليه وسلم بن من يسير فقال عليه الصلاة والسلام اجعلوها
بين اية الربا واية الدين • وقرئ ترجعون مبنيا للفاعل
ومبنيا للمفعول وقرئ ترجعون بتاء الغيبة وتوفى كل
وان رجوع الى الله اي الى جزائه • ثم توفى في يوم القيامة • ثم توفى
كل نفس ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر • يا ايها الذين
امنوا اذا تداينتم بدين الامة لما امر بالصدقة وترك الربا
وكان ما يحصل به تنقص المال ربما حمل على طريق الحيلة في يمنعه
المالك الذي كتبت حفظه وامر فيه بعدة اوامر وفي قوله
فاكتبوه ايتم ليعود الضمير على مذكور به • الى احد مسمى كتب
قيد بخبر به لئلا يتبع الدين الاكمل ومعنى مسمى وقت
معلوم • فاكتبوه امر بالكتابة وظاهره الوجوب وقال به

• فلكم رؤس اموالكم

وقد تمسك

• وهم لا تظلمون
اي بزيادة ولا
نقص

مر

مرت

الطرق واهل الظاهر وقال الجمهور هو فرض ندب ولكتب
بينكم كاتب بالعدل قيل هو فرض على الكفاية كالجهاد ومعنى
البينة اى بين صاحب الدين والمديون وبالعدل
يعنى بالحق اى منصف بالامانة على ما كتبت وقرئ بكسر لام له
فليكتب وقرئ باسكانها ايضا ولا يأب كاتب ان يكتب كما
علمه الله سبحانه وتعالى عز الامتناع من الكتابة اى مثل ما علمه من
كتابة الوثائق لا يبدلها ولا يغيرها واكد النهى بقوله فليكتب
وليملل الذى عليه الحق لانه هو المشهود عليه بان الدين فى
ذمته والمستوثق جيء به للكتابة وليتق الله ربه فيما يكون
عليه اى بان يقتر منه وجمع بين اسم الذات وبين الوصف
لكونه يذكر كونه مربيا له مصلحا لحاله ولا يبخس منه شيئا
اى لا ينقص بالمجاحدة والمدافعة والمراد بالامداد هو
الادلاء بشهادته فان كان الذى عليه الحق سفيها اى جاهلا بالامور
والاملال او صبيا او امرأة لا يضبط ما يقيد به او ضعيفا
اى مريضا يعجز عن الاملال لضعفه مع ثبوت حسه ولا يستطيع
ان يمل هو بنفسه اوعيه واصل لا يستطيع ان يمل فنقلت حركة
الياء الى الساكن قبلها وحذفت الياء فالتقى ساكنان فحذفت
الياء لكراهة توالى الكسرة والياء المستثقلين فبان
يملل ولما كان المعطف بانا وكان الضمير مفردا اى فان كان
احدهما سفيها او ضعيفا او عاجزا عن الاملال فليملل وليه اى ان ناظرا فى امر من وصى او وكيل
او غيرهما ممن له نظر وولاية فى حق هو لاء بالعدل خص على
تحريه لصاحب الحق والمولى غلبة والمستشهدوا اى اشهدوا
وهو مما جاء فيه استفعل بمعنى الفعل كاستيقن وايقر وجاء
بصيغة المبالغة فى شهيدين وهو من كثرت منه الشهادة
فهو عالم بمواقعها وما يشهد فيه من حاكم اضاف ذلك
الى الموصين فلا يشهد الكفار لكي ومعناه الكافر من رجالكم لم
فيه دلالة على ان لا تحمل شهادة العبد وفيه جواز شهادة
فهو مد فقت سرخ وحماته فان لم يكونا اى الشاهدين المرضيين
رجلين والضمير فى يكونا ليس عائدا على قوله شهيدين بعد
الرجولية وجل وامرأتان وسكن الميم وهو على غير قياس
ممن ترضون من الشهداء وهو متعلق بقوله فرجل وامرأتان
والظاهر تعلقه بقوله عز وجل فى الآية وجل وامرأتان والخطاب
فى ترضون للمومنين اى من اهل الدين والفضل والعدالة والظاهر
اقتضاء شهادة الرجل والمرأتين فى سائر عقود المداينات
وانه لا يجوز فى الدين الا رجلان او رجل وامرأتان فلا
يقضى فيما بشاهد واحد ويمين فهو قد نسب جماعة كما قيل
ان نقل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فى نحو ان تبغى المرأة

وهو مفعول من اجله اي لان تضل نزل السبب وهو الاضلال
منزلة المسبب عنه وهو الاذكار كما ينزل المسبب
منزلة السبب اي لاتصالهما فهو كلام محمول على المعنى اي
لان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت كقوله اعددت الخشبة
ان يميل الحائط فادعمه وقرئ ان بكسر الهمزة شرطا فتذكر
رفعا جواب الشرط وقرئ تضل مبنيا للمفعول وتضل
مبنيا للفاعل من اضل وقرئ فتذكر مخففا ومشددا
ومرفوعا ومنصوبا وفتذاكر من المذاكرة ومعنى الاضلال
هنا عدم الاهتداء الى الشهادة لنسيان او غفلة ومعنى
فتذكر من التذكر او الاذكار على حسب القراءتين من التشديد
والتخفيف وابهم الفاعل في تضل وابهمه في فتذكر فلم
يرياحداهما معينة اذ كل منهما يجوز عليه الوصفان فالمعنى ان
ضلت هذه ذكرتها هذه وان ضلت هذه ذكرتها هذه والمعنى
فتذكرها الشهادة وفيه دليل على ان شرط الشهادة التذكر
ولا تجوز الشهادة على الخط ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
هذا عام في التحمل والاداء وان اختلفت جهتا النهي لانها في
التحمل ندب وفي الاداء واجبة ولا تسأموا نهي عن
الضجر والملل في الكتابة كل ذلك ضبط لاموال الناس
وتحريض على ان لا يقع نزاع او انكار في مقدار او اجل او وصف
وقدم الصغير اهتماما به وانتقالا من الاعلى الى الادنى
ونص على الاجل دلالة على وجوب ذكره فيكتب كما يكتب اصل
الدين وسئم جاء متعديا بنفسه كقوله سئمت تكاليف
الحياة وبحرف جر كقوله ولقد سئمت عن الحياة فيجوز
تخريج ان تكتبوه على هذين الوجهين والضمير في ان تكتبوه
ضمير الدين وصغيرا او كبيرا حال والى اجله متعلق بمحذوف
اي مستقرا في الذمة الى اجل حلوله ذلكم اشارة الى الاشهاد
والكتابة اقسط عند الله اي اعدل في حكم الله عز وجل
وجاء باء افعل من الرباعي وهو اقسط الرجل اذا عدل
وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت مم يبنى افعل
التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب
سيبويه رضي الله عنه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام
انتهى ولم ينص سيبويه على ان افعل التفضيل يبنى من
افعل انما يكون ذلك بالاستدلال لانه نص في اول كتابه
على ان بناء افعل للتعجب يكون من فعل وفعل وفعل
وافعل وظاهر هذا ان افعل الذي هي تكون للتعجب

يبنى

باحداهما

يبني هذا فعل ونص النحويون على ان ما يبني منه افعل التفضيل
او يكون هو للتفضيل فما اتى من ذلك للتعجب فتاويل الفعل
وما استدفيه شذ فيه وقد اختلف النحويون في ان بناء افعل
التفضيل وقيل فعل للتعجب على ثلاثة مذاهب الجواز
والمنع والتفصيل بين ان تكون الهمزة للنقل فلا
يبنى منه افعل للتعجب او لا تكون للنقل فيبنى منه
وتزعم ان هذا هو مذهب سيبويه رضي الله عنه وتزعم ان قوله
افعل في رواية وقال في قوله وافعل على انه افعال
للتعجب والذي قد يكون للهمزة وقد قد تكون
همزته هنا لغير النقل والذي ينبغي ان يحمل عليه اوسط
الاحوال ان يكون مبنيا من فسط الثلاثي بمعنى عدل قال
ابن السيد في الاقتضاب ما نصه وجدت في كتاب
الاضداد عن ابي عبيدة رضي الله عنه قسط جار وعدل
واقسط بالالف عدل وقال ابن القطاع في كتابه
قسط قسوطا وقسطا جار وعدل ضد فعل فعلى هذا قد
لا يكون شاذا • واقوم للشهادة ان كان بني اقوم من اقام
فهو حينئذ قسط وكلاهما شاذ وان بني من قام بمعنى اعتدل
فلا شذوذ فيه وللشهادة متعلق باقوم وهو من حيث
المعنى مفعول كما تقول زيدا اضرب لعمرو من خالد
قال يقال هو ادنى ان لا ترتابوا اي اقرب لانتفاء الريبة
والمفضل عليه محذوف وحسن حذفه كون افعل وقع
خبر المبتدا او تكون خبر للمبتدا الا ان تكون تجارة حاضرة
فتديرونها بينكم وهو ما يعجل ولا يكون فيه اجل من
بيع ونحوه فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها • نفي الجناح
في اشتراط الكتابة اذا كان بدا بيد قبل ان يقع فيه
تفرق ودل ذلك على انه لو كتب لجاز وفي ذلك فوائد
كثيرة متعددة وهذا الاستثناء منقطع لان ما بعد
الا لم يدخل تحت الامر بالكتابة والوجه النصب على خبر كان اي الا ان تكون
تجارة حاضرة فالرفع على ان كان تامة • واشهدوا اذا تبايعتم
امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا وظاهر الامر
الوجوب قال الطبري رضي الله عنه لا خلاف بين المسلمين اذا باع واذا
اشترى الان يشهد وان لا كان مخالفا لكتاب الله عز وجل
• ولا نصار كاتب ولا شهيد • هذا نهي وجاز ان يكون مبنيا
للفاعل ومبنيا للمفعول ورجح جاعة كونه مبنيا للفاعل

يقسط

زيدا اضرب

في اشتراط الكتابة

اي لا تضاروا الكاتب بان يحرف والشاهد بان يكتم او ان
تغيروا او يمتنع عن الاداء او نحو جماعة كي لا يضيعوا الحقوق
او لا تضاروا الكاتب والشهيد في ان يشق عليهما ويطلب منهما
ما لا يليق في الكتابة والشهادة وقد قرئ بكسر الراء يضارر مغكوكا
وان تفعلوا الضرار او الاضرار به فانه فسوق بكم اي لاحق بكم وملتصق
والصحيح ان تفعلوا عائد على المنهي عنه على التقديرين
واتقوا الله امر بما عاد تعالى بالتقوى في هذه المواطن وغيرها
ويعلمكم اما مستانف ذكر فيه نعمة الله التي تعليم العلم منه
بحانه وتعالى والله بكل شيء علم اي لا يخفى عليه شيء من احوال
عباده وان كنتم على سفر الآية مفهوم الشرط يقتضي اخذ
الرهن في السفر وعدم الكاتب اقام سبحانه وتعالى
التوثق بالرهن مقام الكتابة والشهادة وقرئ
رهان بالجمع ورهن ورهن بضمتين كسقف وسقف
وسكون الهاء والقاف حواب الشرط اي فالمستوثق
به رهن مقبوضة وقرئ فرهن مخذوف اي وان كنتم على سفر
وتبايعتم ولم تجدوا كاتبا وقد اسلم في قوله مقبوضة شرط القبض
ولا بد منه على انه يبقى القبض بلزوم لو قبض بغيبته او بوكيله
ويكون مستوفيا ما يصح تلفه وشراؤه وسلما فيه القبض
في المجلس كالثمن فيما التخلية قبض مثله فان ارتهن بعضها
بعضا او ان وثقت الدين بامانة الغريم لم يدفع انه
قاله بغير كتاب ولا اشهاد ولا رهن فليؤد الذي اؤتمن
امانته والضمير عائد الى امانته على الذي ائتمن والامانة
مصدر اطلق على الشيء الذي اؤتمن عليه وفي على حقيقتها
على حذف مضاف اي ذي امانته والامر في قوله فليؤد
للوجوب وقرئ ائتمن بهمز ساكنة وابدال الهمزة
الثانية ياء لانكسار ما قبلها وقرئ الذي ادغام الياء
المبدلة من الهمزة في ياء الفعل وهي لغة رديئة قال
ابن مجاهد رضي الله عنه وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن
الهمزة فهي في حكم الهمزة وانشد ابو زيد عاعي اي صوتي او ترعاني
وكذلك رديت في رواية اهل اللغة وما ذكر ابن مجاهد
ضعه الله ليس بصحيح وان ابن رعاني يعني انه من اجل ان
الحاء تذوب ولا اصل له في اللغة وقد قدمنا ان ذلك لغة
رديئة واما قوله وكذلك رديت في رديا فمعناه الاستئناف اما ان
يعود الى قوله وابن رعاني فيكون ادغام رديا عاما واما ان
يعود الى قوله وليس بصحيح اي وكذلك ادغام رديا ليس بصحيح

وقرئ

وقد ذكر الادغام في رقيا الكسائي وتبعه اسرد ادي في ادكا
ما ايمنه ربت المالك وقد جمع بين اللغات وبين اوصيف
ولا تكتموا الشهادة هذا ابي بحريم ومن يكتمها فانه اثم قلبه
والكتم لو من معاصي القلب والشهادة علم بالقلب فلذلك
علق الاثم به وعبر بالقلب اللسان وقلبه وافعل بالقلب
وقال ابن عطية رضي الله عنه ويجوز ان يكون بدلا من اسم
ان وقلبه فاعل سد مسد الخبر والجملة خبر ان اسم
هذا لا يصح على مذهب سيبويه وجمهور البصريين لان
اسم ان عندهم لم يعتمد على ان بنفي ولا استفهام نحو
ان قائم الزيدان وان قائمان الزيدون وما قائم الزيدان
فيرفع الزيدان هنا باسم ان لاعتمادها على ان
بنفي ولا استفهام قال ابن عطية رضي الله عنه ويجوز
ان يكون قلبه بدلا على قول البعض من الكل يعني انه
يكون بدلا من الضمير المرفوع المستكن في اثم والاعرف
الاول وهو الوجه وجوز ان يحمل رضي الله عنه ان
يكون اثم خبرا مقدما وقلبه مبتدأ والجملة في موضع
خبر ان وهذا الوجه لا يجيزه الكوفيون وقرئ فلك
بالنصب وسمها ابن عطية رضي الله عنه لا ان عمل
بدلا من اسم ان قال ابن عطية قال علي رضي الله عنه
هو على التفسير يعني التمييز ثم ضعفه من حيث انه معرفة
والكوفيون يجيزون مجيء التمييز معرفة وخرجه
خرجه بعضهم على انه منصوب هنا على التشبيه اي
بالفعول به نحو قولهم رقت برجل حسن وجهه
ومثل ما قدر اسد الكسائي رضي الله عنه
انعتها ابي من نعتها سمدا رأة والاضافة محضة انتهى
علت الدراريع وعمريناتها كوم الذرى وادق شرتها
وهذا التخريج هو على مذهب الكوفيين جايز وعلى
مذهب سيبويه جايز في الشعر لا في الكلام ويجوز
ان ينتصب على البدل من اسم ان وقد تقدم
ويكون ترك بعض من كل ولا مبالاة بالفصل
بين البدل والمبدل منه بالخبر لان ذلك جايز
فقد فصل بالخبر بين الصفة والموصوف ويجوز فيه
مستطيل اي هو كالعامل وقيل العامل وقد نص على
سيبويه رضي الله عنه مع ان العامل في النعت والمنعوت
واحد فاجرى في البدل لان الاصح ان العامل فيه هو

من العامل في المبتدل منه وقرئ اثم فعلا ماضيا
نصا على المفعولية والله تعالى اعلم بتمام السورة
وما في الارض ملكا وخلقا وعبيدا استخدم قد السورة
لهذه الآيات الكريمة لانها اشتملت على تكاليف كثيرة
فذكر سبحانه وتعالى ان له ملك السموات والارض
فهو كلف من شاء بما شاء ولما كانت التكاليف
محل اعتقادها الانفس قال عز وجل والله يشهد وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيصفه الملك تقتضي
القدرة الباهرة والمحاسبة تقتضي العلم المحيط فالآية شيا
دليلها وخبرها والكلام المحاسبة عن الجزاء فيغفر لمن يشاء
فداء تام ان تحمد وبالجزم المغفرة وقرئ فيغفر رفعا على
القطع اي فهو يغفر وبالجزم عطفا على يحاسبكم وقتل
ما يضمر في انفسكم ان فيشمل من ذلك مضمرات
من فوع معطوف على يضمر توهم انه لكن يحاسبه
يغفران وقرئ يغفر بغير فاء جزما وما وخرج على ابدال
من قوله يحاسبكم وفيه نظر وقال الزمخشري رضي الله عنه
ومعنى هذا البدل ان تفصيل جملة الحساب لان التفصيل
اوضح من الفضل فهو كاد يجري بدل البعض من الكل
او قد يكون بدل اشتمال كقولك ضربت زيدا راسه
واوجب زيد اعقله وهذا البدل واقع في الافعال
ووقوعه في الاسماء الحاجة الشديدة الى البيان فانتهى
كلامه وفيه بعض ما فيه اما اولا فكقوله ومعنى
هذا البدل ان تفصيل جملة الحساب لامر الغفران
والعذاب تفصيل لجملة الحساب ايما توهم حسابه
حسابه وسياسته وحفظها بحيث لا يشذ شيء منها
والغفران والعذاب مترتبان على المحاسبة فليست
المحاسبة تفصيل الغفران والعذاب واما ثانيا
فلقوله بعد ان ذكر البعض والكل وقد زال
الاشتمال هذا البدل واقع في الافعال ووقوعه
في الاسماء لحاجة المشتق الى البيان اما بدل الاشتمال
فممكن وقد جاء لان الفعل مما يدل على
الحدث يكون بحسب انواع يشتمل عليها ولذلك اذا وقع عليها
الفعل انتفت جميع انواع ذلك الحدث واما بدل
البعض من الكل والامكن في الفعل اذ الفعل لا يقتل
الشخص فلا يقال في الفعل انه كل وبعض الا بمجاز

كقولك

بعيد فليتبع

بعيد فليس كالاتم في ذلك ولذلك قد يستحسن وجود بعض
البعض من الكل يا بنية سبحانه وتعالى أذ الباري عز
وجل واحد لا ينقسم ولا يتبعض قال ابن جني يرحمه
الله عنه وقد ذكروا قراءة الحسن والله اعلم فان قلت كيف
تصنع انت الحاذم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ويدغم
الراء في اللام الاحين يحطني خطأ فاحشا واوجب عمل
عمر يحطني مرتين لانه يلحن ونسب ذلك الى علم
الناس بالعربية وفي ذلك ما يؤذن بجهل عظيم في حوشل
ذلك والشك في كوهد الروايات قلة ضبط الرواة
والشك في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط كون
هذا الافعل النحو انتهى كلامه وذلك على عادته في الطعن
على القراء واما ما ذكره من ان مدغم الراء في اللام لا حين
يحطني خطأ فاحشا الى آخره فهذه مسالة اختلف
فيها النحاة فمذهب الخليل وسيبويه واصحابهما انه
لا يجوز ادغام الراء في اللام من اجل التكرير الذي فيها
وقال في الموجز قال ابو سعيد رضي الله تعالى عنه ولا نعلم
احدا اطلقه في هذه المسالة الا يعقوب الحضرمي رضي
الله عنه والامار قوي عن ابي عمرو رضي الله عنه من انه
كان يدغم الراء في اللام من اجل التكرير الذي فيها وقال في
الموجز قال ابو سعيد اذا كان يدغم الراء في اللام متحركا
متحركا فاولى نحو يغفر لمن يشاء من اغمر لكم
واستغفر لهم ان سولت فان سكن ما قبل الراء ادغمها في
اللام التي من صلب الكلمة والكلمتين نحو ان لهم وانصار لهم
فان انفتح وسكن ما قبلها حرف مد او حرف لين اروه
غيرهما لم يدغم نحو من مصر لامرأته والاسراء نعي فنعم
وقل سوء لسوقهم والحمر لركبوها فان سكنت الراء
ادغمها في اللام فلا خلاف عنه الا ما روى احمد بن
جبير رضي الله عنه فلا خلاف عنه وعن اليزيدي عنه
انه اظهرها وذلك اذا قرا باظهار المثلين والكلمتين
المحركين لاغير على ان المعمول به في مذهبه في الوجهين
جميعا على الادغام نحو يعذبكم انتهى واجاز ذلك الكسائي
والفراء رضي الله عنهما وحكياه سماعا ووافقهما على
سماعه رواية قطرب ابو جعفر الدوسي وابو حاتم من ائمة
اللغة والعربية من الكوفيين وقد وافقهم ابو عمرو
على الادغام رواية واجاز كما ذكرنا وذلك من رواية الوليد

ي
من الكان م

ي
اي لنعلم

ي
الرواسي

ابن حسان والادغام وجه من القياس ذكرناه في كتاب التكميل
لشرح التسهيل من تاليفنا وقد اعتمد بعض اصحابنا على ان
ما روي عن القراء من الادغام الذي منعه البصريون يكون
ذلك اخفاء لا ادغاما وهذا لا يجوز ان يعتقد مثله في
القراء انهم غلطوا وما فرقوا بين الاخفاء والادغام
وعقد هذا الرجل بابا فيه قال هذا باب يذكر فيه ما ادغمه
القراء مما ذكر انه لا يجوز ادغامه وهذا لا ينبغي فان لسان
العرب ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط والقراآت
لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه بل القراء من الكوفيين
يكادون يكونون مثل قراء البصرة وقد اتفقوا على نقل ادغام
الراء في اللام واتفق عليه ايضا كبراء البصريين وراسهم ابو
عمرو ابن العلاء ويعقوب الحضرمي وكبراء اهل الكوفة الرواسي
والكسائي والفراء واجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله
والرجوع اليه والى علمهم ونقلهم اذ من علم حجة على من لم يعلم
واما قول الزمخشري رضي الله عنه ان راوي ذلك عن ابي عمرو
مخطئ مرتين فقد تبين ان ذلك صواب والذي روى
ذلك عنه الرواة ومنهم ابو محمد الزيني رضي الله عنه وهو امام
في النحو امام في القراآت امام في اللغة ولما كان ابتداء
هذه السورة بالكتاب المنزل وانه هدى للمتقين كانت
مختتمة بذكر الكتاب وذكر من امن به فقال سبحانه وتعالى
امن الرسول ليتوافق الابتداء والاختتام والرسول هو
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فال فيه للعهد والذي
انزل اليه من ربه هو القرآن والمؤمنون هم امته وهم
المذكورون في اول السورة الموصوفون بالتقوى والايمان
بالغيب وقدم الرسول عليه الصلاة والسلام لان ايمانه
هو المتقدم وهو المتبوع صلى الله عليه وسلم كل امن كل
هنا للعموم ليشمل الرسول والمؤمنون وافرد الضمير كقوله
عز وجل قل كل يعمل على شاكلته وان كان جائز جمعه كقوله
كل في فلك يسبحون وقرئ وكتبه على الجمع وكتابه على الافراد
والمراد به هنا جنس الكتب الالهية وقال الزمخشري رضي الله
عنه وقرا ابن عباس رضي الله عنهما وكتابه يريد القرآن او الجنس
وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد
اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية
قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا
يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع انتهى كلامه وليس

بما انزل اليه من ربه

والمؤمنون كل امن

كما ذكر

كما ذكر ان الجمع اذا اضيف او دخلته الالف واللام الجنسية
صار عاما ودلالة العام دلالة على كل فرد فرد فلو قال ان
اصفقت عبيدي شمل ذلك كل عبد عبد ودلالة الجمع اظهر
في العموم من الواحد سواء كانت فيه الالف واللام او لا وسواء
كانت فيه اضافة الاسم او لا لانه لا يذهب الى العموم في الواحد
الا لغرينة لفظية كما في نحو يستثنى منه او توصف بالجمع نحو ان
الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا ونحو قوله صلى الله عليه
وسلم اهلك الناس الدينار والصفر والدرهم البيض والرقمة
معنوية نحو قوله عليه الصلاة والسلام لنبينا الى من ابلغ من
عمله واقصى حاله ان تكون مثل الجمع العام اذا اريد به
العموم وقرئ لا تفرق بالنون اي يقولون لا نفرق
وقرئ بالياء على لفظ كل بين احد من رسله احد هو البعض
وما لهم من نهي للعموم وقد لك وخلت من علة وقوله
فما منكم من احد عنه حاجزين والمعنى بين احادهم وان كان
احد بمعنى واحد ففي الكلام معطوف محذوف دل عليه
بين والتقدير بين واحد من رسله وبين واحد منهم وقالوا
سمعنا الى قولك فيما كلفتناه واطعنا اي امرك في ذلك
• غفرانك ربنا والى لمصير بالمجيء المرجع • وانك اسجاوند
رضي الله عنه وقيل بعناه استغفرك فهو مصدر موضوع
موضع الحمد لا يكلف الله نفسا الا وسعها استئناف
مستتبع من المعقول الثاني وان عني به انه محذوف
في الصناعة النحوية فليس كذلك بل الثاني هو وسعها
نحو اعطيت درهما الا ربعا ونحو ما ضربت زيدا فقط
في الصناعة هو المفعول وان كان افضل ما اعطيت زيدا
شيئا الا درهما وما ضربت احدا الا زيدا واما وسعها
فهو اما صفة والمفعول الثاني لتكلف محذوف
وسعها في موضع الحال وقيد ظاهر الامة على ان
تكلف ما لا يطاق غرما كسبت اي من الحسنات وعليها
ما اكتسبت اي من السيئات والخواطر ليست من كسب
الانسان هو ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تقول
ذلك في دعائكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي مسا قاطعا
يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه لا يستطيع ان يتحرك
للتكليف الشاق من نحو قتل النفس في التوبة وقرض
موضع النجاسة من الجلد والثوب كما حملته على الذين من قبلنا
اي وهم اليهود ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي لا تشدد

الاولى

الثانية

فاضربوها

كما حملته على
الذين من قبلنا

وكانت هذه كلها
قد كلفت بنو
اسرائيل

وهو دعاء ان اشيء عن قوله سبحانه وتعالى لا يكلف الله نفسا الا
وسعها وهذا اعم من قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته
على الذين من قبلنا اذ الاصر السابق مشبه حمله على حمل
مثله على من كان قبلهم من الامم فتخصص بالتشبيه ايضا
والطاقة هي القدرة على الشيء وهو مصدر جاء على
غير قياس الفعل وهو اطاق نحو جابه من اجاب واعف
عنا والعفو هو الصفح عن الذنب واغفر لنا والمغفرة
هي الستر للذنب كي ينصان من عذاب التحجيل لان العفو
لا يقتضي الستر قد يعفو بعد وقفه على الذنب ثم تسقط
عنه عقوبته واغفر لنا طلبوا الثواب وافاضة الاحسان
عليهم انت مولانا اي سيدنا وناصرنا فانصرنا على
القوم الكافرين دخلت الفاء في فانصرنا ايذانا بالسببية
لان كونه تعالى مولاهم ومالك تدبيرهم وامرهم ينشأ عن
ذلك النصرة على اعدائهم كما تقول انت الشجاع فقاتل
وانت الكريم فجد علي انتهى والحمد لله رب العالمين
سورة آل عمران بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو
الحي القيوم وفد ناس من نصارى نجران يناظرون في
في عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام فتارة يقولون هو الله وتارة
يقولون هو ابن الله وتارة يقولون هو ثالث ثلاثة فنزل
صدر هذه السورة الى نيف وثمانين آية فيهم قص فيها
احوالهم واحوال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وقرأ الجمهور
الم الله بفتح الميم واسقاط الف الوصل وقرئ بسكونها وبقطع
الالف وقرئ بكسر الميم قال الاخفش رضي الله عنه اي وذلك
لالتقاء الساكنين ومن قرأ بفتح الميم والفتحة لالتقائهما وكانت
اولى لاجل الياء كاين وقيل هي فتحة همزة الله نقلت
الى الميم وحذفت الهمزة واختار الزمخشري رضي الله عنه
مذهب الفراء في ان الفتحة في الميم من الم الله هي حركة
الهمزة القيت حين اسقطت للتخفيف واورد اسئلة
واجاب عنها قال فان قلت كيف جاز اسقاط الفاء حركتها
عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت
حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت ليس ذلك هنا
بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت
وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل
عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة
على الدال انتهى وليس هذا الجواب بشيء لانه ادعى ان الميم حين حركت

وارحمنا

حركة الهمزة

موقوف عليها

موقوف عليها وان ذلك ليس بمدرج بل هو وقف وهذا
خلاف لما اجمعت العرب والنحاة من انه لا يوقف على
متحرك البتة سواء كانت حركته اعرابية امر بنائية ام انتقلت
او لالتقاء الساكنين او للحكاية او للاتباع فلا يجوز في قد افلح
اذا حذفت الهمزة ونقلت حركتها الى ما قبلها قد افلح
بتقف على دال قد بالفتحة بل قد تسكنها قولا واحدا
واما قوله ونظيره ذلك قوطهم واحد اثنان بالقاء حركة
الهمزة على الدال فان سيبويه ذكر انهم يسكنون آخر واحد ليمكنه
ولم يحكوا الكسر لان ذلك لغة فليس واحد موقوفا عليه
كما قد زعم ابن محمد رضي الله عنه ولا حركته حركة نقل
من همزة الوصل ولكنه موصول بقوطهم اثنان فالتقى ساكنان
دال واحد وقاف اثنان وكسرت الدال لالتقاء الساكنين
وحذفت الهمزة لانها لا تثبت وصلا واما الذي يدل
به الفراء من قوطهم ثلاثة اربعة بالقاء حركة الهمزة على الهاء
فلا دلالة فيه لان همزة اربعة همزة قطع تحذف
الوصل بما قبلها وابتدائها وليس كذلك همزة الوصل
تحذف وصلا ووقفا فقوطهم ثلاثة اربعة بالقاء همزة
ليس عنه وقف على ثلاثة اذ لو وقف عليها لم تكن بقاء
الحركة وكذلك في الوصل اعني بالقاء ما انت فيه اليه
في حال ما لا انها موقوف عليها قال ابن محمد رضي الله
عنه فان قلت هل لاحد ان يقول انها حركة لالتقاء الساكنين
فانه قد لا مانع له في باب الوقف وذلك مثل قولك
هذا ابو هم وداود واسحاق ولو كان لالتقاء الساكنين
في حال الوقف لوجب التحريك تحرك الياء في ابو هم
لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن اخر انتهى هذا السؤال
وجوابه صحيحان ايضا لكن الذي قال ان الحركة هي تكون
لالتقاء الساكنين لا يتوهم انه اراد التقاء الواو والميم
من الف لام ميم في الوقف وانما عنى التقاء الساكنين اللذين
هما ميم ميم الاخيرة ولام التعريف كالتقائهما من
ولام الجمل اذا قلت من الرجل من المسافر فقال ابن محمد
رضي الله عنه فان قلت اما لم تحركوا

فجمعوا بين ساكنين كما قالوا اضيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها
هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين
انتهى في سؤاله تعميته في قوله فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين
ويعني بالساكنين الياء والميم وحينئذ يجيء التعليل بقوله لانهم
ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين يعني الياء والميم ثم قال
فاذا جاء ساكن ثالث يعني لام التعريف لم يمكن الا التحريك يعني في
الميم فحركوا يعني الميم لالتقائها ساكنة مع لام التعريف اذ لو لم
يحركوا لاجتمع ثلاث سواكن وهو لا يمكن هذا شرح سؤاله واما
الجواب عن سؤاله فلا يطابق لانه استدل على ان الحركة ليست
لملاقاة ساكن بامكانية الجمع بين ساكنين في قولهم واحد اثنان
بان يسكنوا الدال والثاء ساكنة وتسقط الهمزة فعدلوا
عن هذا الامكان الى نقل حركة الهمزة الى الدال وهذه مكابرة
في المحسوس لا يمكن ذلك اصلا ولا هو في قدرة اكثر ان يجمعوا
في النطق بين سكون الدال وسكون الثاء وطرح الهمزة واما
قوله فجمعوا بين ساكنين فلا يمكن الجمع كما قلناه واما قوله
كما قالوا اضيم ومديق فهذا ممكن كما هو في واد وميّاد ومسال
لانه في ذلك التقا ساكنان على حدهما المشروط في النحو فامكن
النطق به وليس مثل واحد اثنان لان الساكن الاول ليس
حرف علة ولا الثاني مدغم فلا يمكن الجمع بينهما واما قوله هنا
فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير
وليست لالتقاء الساكنين انما هي في باب لا يمكن ان يجتمعا
فيه في اللفظ فادعى هنا ان حركة الدال هي حركة الهمزة
الساقطة لالتقاء الساكنين وقد ذكرنا عدم امكان ذلك
فان صح كسر الدال كما نقل هذا الرجل فتكون حركتها لالتقاء
الساكنين لا للنقل فقط وقد رد بذلك قول الفراء رضي الله عنه
واختيار الزمخشري اياه بان قيل لا يجوز ان تكون حركة
الميم حركة الهمزة ان كانت قراءة لقيت عليها لما في ذلك
من الفساد والتدافع وذلك ان سكون آخر الميم انما هو على
نية الوقف عليها والقاء حركة الهمزة عليها انما هو على نية الوصل
ونية الوصل توجب صدق حذف الهمزة ونية الوقف على ما قبلها
موجب ثباتها وثباتها وقطعها متناقض وهو رد صحيح
والذي تحرر في هذه الكلمات ان العرب متى سردت اسما من غير
تركيب ما كانت تلك الاسماء مسكنة الآخر وصلا ووقفا فلو
التقا آخر مسكن منها لساكن آخر حرك لالتقاء الساكنين فهذه
الحركة التي في الم الله هي حركة التقاء الساكنين كما تقدم الكلام على ذلك

الله

الله لا اله الا هو الحي القيوم كلام مستأنف جملة زائدة على نصارى نجران
والجملة مستأنفة ما بعده وقرئ القيام والقيم تردعلك
الكتاب خاطب المنزل عليه بشيء ما انزله وثم مدرج المنزل
عليه التوراة والانجيل وانا في ما حق لشيء ولكنه آل معتدق
لما بين يديه اي من الكتب الالهية ونزل مشتقا من احد
ومن اجاز تعداد الاخبار لجاز ان يكون خبرا بعد خبر ونصبا
حال مؤكدة لازمة وما بين يديه المتقدم في ان من حق
ما وصف بذلك اذا كان قديما مضى بعيد وانزل التوراة والانجيل
قال الزمخشري ما قرئ الله نزل والتوراة والانجيل اعجميان
اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما
تفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين انتهى وتقرير
انهما اسمان عربيان فلا يدخلهما اشتقاق عربي بعض الحجا
ثم تكلموا فيها على تقدير انهما عربيان فالتوراة فوعلة والتا
بدل من واو او تفعلة كترجمة في الكلمة قلت الياء الفا
وانفتح ما قبلها كالتاء في ناصية او تفعلة فتح
العين اقوال واشتقاقها من معدر وري الزند ومن
مصدر ورى يرى والانجيل افعيل من النجل وهو الماء الذي
ينز من الارض او من النجل وهو الولد او من النجل وهو الاصل
وفي ذلك اقوال كثيرة ونزل وانزل لمعنى واحد من قبل
اي من قبل انزال الكتاب عليك وهدى مصدر في موضع
الحال او مفعول له من اخله والناس مريد وقوع الهداية جميعا
انزل بالفرقان والمراد بالفرقان ما حسن الكتب
السماوية لانها تفرق بين الحق والباطل او المراد به القرآن وكرر
بما فيه من الوصف وتعظيما لشأنه وهو مصدر في الاصل
والظاهر انه اريد به الفارق ويجوز ان يراد به الفروق
كما قال سبحانه وتعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث
ولما ذكر ان الكتب الالهية توعد من كفر بها ان الذين كفروا
بآيات الله لهم عذاب شديد في الدنيا بالقتل والاسر والغلبة
عليهم وضرب الجزية ووضع كلمة الكفر وفي الآخرة بالنار والله
عزيز غالب ذو انتقام اي ذو احقوة وسطوة على الكافرين ولما
ذكر سبحانه وتعالى انزاله تالا لوهيته وذكر الحياة والقيومية
وان الا لكتب واعداد العذاب لمكذبيها ذكر صفة العلم فقال
ان الله لا يخفى عليه شيء وشيء نكرة تعم وتشمل الجزئيات
والكليات وذكر ما شاء في الارض ولا في السماء اذ هما اعظم
ما نشاهده هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي على

تفاعل

تفاعل

ما يشاء من الهيئات

ودل على كمال العلم ودل ذلك على كينون عيسى عليه الصلاة
والسلام من الذين صورهم في الارحام فانتفت عنه الالهية
وفيه رد على الطبيعيين اذ يجعلون الطبيعة فاعلة و
مستبدة كيف يشاء مفعول يشاء محذوف وكيف قد يكون
جزاء وقد يكون لفعل الشرط او فعل الشرط هنا محذوف تقديره
ايضا والتقدير على اي هيئة شاء ان يصوركم صوركم
وكيف منصوب على الحال وحذف صوركم هنا كحذف الجزاء
في نحو انت ظالم ان فعلت اي ان فعلت كذا وكذا فانت ظالم
ولا محل للجملة في مثل هذا وان كان لها تعلق بما قبلها من حيث
المعنى وتفكيك مثل هذا التركيب لا يهتدي اليه الا بعد تمرن
في الاعراب واستحضار للطائف النحو وقد خلطوا في اعراب هذه
الجملة بما ذكرناه في البحر لا اله الا هو العزيز الحكيم تاكيد لما قبلها
من الانفراد بالالهية والغلبة والحكمة وفي ذكر الحكيم اشارة الى
التصوير ووضع الاشياء على ما قد اقتضت الحكمة ولما كان اولئك
الوفد قد ذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان في كتابه وروح
منه اي في حق عيسى عليه الصلاة والسلام اخبر سبحانه وتعالى
ان آيات الكتاب محكمة ومتشابهة فالمحكم هو ما لا يتشابه
كآيات الحلال والحرام ولا يحتمل الا وجها واحدا والمتشابه هو
ما قد يحتمل من التشبيه وجوها هن ام الكتاب اي الاصل الذي
يرجع اليه واحد اي وآيات اخر اي غير تلك متشابهات
وقد اختلف المفسرون في المحكم والمتشابه اختلافا كثيرا
وارتفع آيات على الفاعلية اذ المجرور معتمد او على الابتداء
فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق كالنصارى واليهود
ومن حرف كلام الله ممن ينتمي الى ملة الاسلام كالاباحية والقائلين
بالتناسخ وعلم الحروف والمجسمة وغلاة الباطنية والقائلين
بالحلول والوحدة من المتظاهرين بذلك في كتبهم وكل من زاغ
عن الحق شيء من المتشابهات وعلل ابتغاء اهل الزيغ المتشابه
بعلتين احداهما ابتغاء الفتنة اي فتنة اهل الاسلام بالاضطراب
والثانية هي ابتغاء التاويل وكلاهما مذموم ثم ذكر ان تاويل
المتشابه لا يعلمه الا الله وهذا هو الظاهر فيكون قوله
والراسخون في العلم ابتداء كلام وخبره قوله يقولون آمنا به ومن
عطف والراسخون على الجلالة فجعلهم يعلمون التاويل ليس هو
بظاهر وعلى قولهم يكون يقولون جملة في موضع الحال من
الراسخين والضمير في قوله به عائد في الظاهر على التاويل
ويجوز ان يعود على الكتاب محكمات ومتشابه او محكمه ومتشابهه

التاويل

احتمل

عطف

لان الايمان

لان الايمان بها حاصل وقوله كل من عند ربنا اي كل من المحكم
والمتشابه وما يذكر ان وما يتعظ الا اولوا الالباب
اي الاذوو العقول اي لا يتعظ بالمحكم والمتشابه الاذوو
النا ظرين في وجوه التاويلات والاحتمالات والحاملين ذلك
على ما اقتضاه لسان العرب من الحقيقة والمجاز وانتظارها
يجوز وما يجب وما يستحيل وانتصاب ربنا على النداء
فجاز ان يكون من قول الراسخين وجاز ان يكون من اضمار
ربنا ويكون معنى قولهم لا تزغ اي لا تجعلنا ممن الذين في
قلوبهم زيغ بعد اذ هديتنا واضاف ذلك الى اذ واذا الى الجملة
بعدها والمعنى بعد وقت هدايتك ايانا وختم هذه الآية
بقوله انك انت الوهاب الخ بان جميع ما يحصل من
الخير هو هبة من الله تعالى وجاء بصيغة المبالغة ليدل
على كثرة هباته سبحانه وتعالى وفائدة لفظ من قوله
قبلك الانسان وقرئ لا تزغ قلوبنا بالنصب على بناء
الفعل عليها وما تهما لما سألوه تعالى ان لا يزيغ قلوبهم بعد
الهداية وكانت تمام التبيين والهداية انما تعرف في القيامة
اخبروا انهم موقنون بيوم القيامة والبعث فيه للمجازاة
وان اعتقاد صحة الوعد به هو الذي حملهم على سؤاله ولا
تذيع قلوبهم بعد ان هديتهم او كما عودتنا عليه من ستر
على الاسم الظاهر وما لله ولما مات الريب انك لا تخلف
دلالة على الاستيناف وانه من كلام الله عز وجل لا من كلام
الراسخين وقد يكون قوله ان الله من باب الالتفات
فيكون قد عدلوا من الخطاب الى الغيبة لما في ذكره باسم الاشارة
من التفخيم والتعظيم والهيبة ان الذين كفروا عام في الكفار من وفد نجران وغيرهم من الله اي من عذابه
وما في استكثروا وسيأخذونه بأموالهم واولادهم ثم ذكر
ما لهم اي مصيرهم ومرجعهم في قوله واولئك هم وقود
النار جعلهم كالوقود الذي يضرم به النار اي تتقد به
النار او تتقد فيه قال الزمخشري رضي الله عنه من الله شيئا
مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني
عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمة الله من
وجلب وطاعته وبدل الحق وهذه وقاية تنفع ذا الجد منك
الجد اي لا ينفعه حظه وجده من الدنيا اي ما اوتيه
منها اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي
معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا

لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا

زلفى الا من امن وعمل صالحا الآية

انهى فاثبات الدليل لمن فيه خلاف اصحابنا ينكرونه وغيرهم قد
انتبه وزعم انها فاني بمعنى البرك والمدار يعود تعالى ارضهم
بالحياة الدنيا من الاخرة وقال تعالى لجعلنا منكم ملائكة اي بدلكم
الاخرة وبدلكم وقال الشاعر اخذ الحماض من الفصل غلة
فلما وكيت للاثر افيلاه اي برك الفصيل وانتصاب شيا
على المصدرية اي شيا من الاعتناء وقرئ الى بغي تكون انيا وهي
لغة كثيرة في الشعر وقرئ لن يغني وانتقدم من الاقوال
الى الاقوال لان الاول ادلهم انتاما وللكثرة والعزة واولئك
مخطوف على خبر ان دامون بغي او مستانف وقرئ دود
بضم الواو مصدرية قد دود وقتل قد يقلق الى معناه
انفيا ان الوقود بضم الواو مصدر كالوقود بضمها كدأب آل
فرعون اي دأب الكفار المتقدم ذكرهم كدأب آل فرعون اي في
مآلهم ومرجعهم ومصيرهم الى النار مستأنف مما آل امرهم الى فرعون
الى الكفر فهو خبر مبتدا محذوف اي دابهم كدأب آل فرعون
والمكذبين وفق على آل فرعون لعظم شرهم وكذبوا دعوى
الالوهية فاخذهم الله بعقوبة الغرق بسبب اسرافهم بما حرك له والذين من قبلهم
كانه قيل هم مثلهم بغيهم وصالح وهود ونوح عليهم اجمعين
الصلاة والسلام كذبوا بايات الله المنشرة الدالة على صدقهم لتكذيب
كفار معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل ذلك ودارت
بسكون الهمزة في الاولى وفتحها في الثانية وفتحاها للمجانسة
فاخذناهم بذنوبهم اي فبان اخذناهم بذنوبهم والله
شديد العقاب لمن عصاه اي لمن عصاه قل للذين كفروا
يعم معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب نزولها اختلف
قيل ان يهود بني قينقاع قالوا حين وقعة بدر ان قريشا كانوا
اغمارا فلو حاربتنا لرأت رجالا ولقيت ما لا قبل لك من الوعد
السابق في قوله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الآية
اياهم بالعقوبة والعذاب ومالهم الى النار وهذا الوعد الصادق
في قوله تعالى ستغلبون وتحشرون وقرئ بالياء وبالتاء فيهما
والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد جهنم والخطاب
في قوله تعالى قد كان لكم آية اي قد كان لكم ايها المؤمنون
والآية العلامة التي قد ظهرت في وقعة بدر وهي علة للوعد
للكافرين حسبما لوعد الصادق في قوله ستغلبون والفئة الجماعة
والهاء من فئة بدل من ياء محذوفة اي رجع والتقتا جملة في موضع
الصفة للفئتين ثم فصل الفئتين في قوله فئة تقاتل
في سبيل الله وصح الابتداء منها بالنكرة لانه في موضع تفصيل

وتحرضه

وبرصفة محمد وفقه تقدس . وآخرى كافرة تقاتل في سبيل
الطاغوت كما قال الله عز وجل الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فحذف من الجملة الاولى
ما اثبت مقابله في الجملة الثانية ومن الثانية ما اثبت
مقابله في الاولى وقرئ فئة بالجر على البدل من فيكم
وهو بدل بعض وقرئ فئة بالنصب على المدح اي
امدح فئة وأذم اخرى كافرة بالنصب على الترائي واذم
اي اخرى وزعم الزمخشري رضي الله عنه ان نصب فئة
على الاختصاص وليس بجيد لان المنصوب على الاختصاص
لا يكون نكرة ولا مبهما واجاب هو وغيره فقال الزجاج
رضي الله عنه ان يلتصق فيه على اكال من الضمير وهو جائز
موطئة وقرئ تقاتل بالتاء على تذكير الفئة لانه
قصدها وقرئ يرونهم بالياء وآتا مفتوحتين وقد
يضم متن قد ذكر العشرة لانه حقها وضمير الى اولياء
للموحدين وضمير المثلين للكافرين والمرئيون اقل من الكافرين
ومع ذلك قد وقع النصر كما قال الله عز وجل كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله اي بارادته ومدد
على هذا قوله سبحانه وتعالى والله يؤيد بنصره من يشاء ان
ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار والرؤية هنا من رؤية
البصر يدل عليه قوله رأي العين والتأييد والتقوية
وكان المسلمون في وقعة بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا
والكفار كحو الالف في ذلك اري في تلك الآية من غلبة
المؤمنين الكافرين اي مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين لعبرة
لاولي الابصار اي ان في ذلك لا تعاظا والابصار
قد يكون من نظر العين او من بصيرة القلب ومفعول
يشاء محذوف اي من يشاء نصره وقرئ ترونهم بالتاء
للتأنيث وهو عائد على الله سبحانه وتعالى ذكر تعالى ما جبل
عليه طباع الناس من حب الدنيا وما فيها من متاعها
واصناف حب وهو مصدر الى المفعول وهو الشهوات
والفاعل محذوف اي حبهم للشهوات والشهوة مشتركة
تذم متعلقها والشهوات عامة تتناول ما بعدها فيذكر
منها بالتساوي شيئا عظم منهن الشهوة ثم بما يتولد منهن
وهم البنون ثم بما يتم به حال الشيء من الكمية ومن
الكيفية ثم بالجنس لان فيها عبرة وقدرة وقع على الاصناف ثم

لانها كانت اكثر مراكبهم واكثر مشروبهم منها ثم بالحرث اذ فيه تحصل اقواتهم
والقنطار مختلف في عدده والظاهر فيه انه المبالغة فيما
قد يملكه الانسان من العينين والمقنطرة صفة للقناطير
ويراد به هنا الكثرة وجاء هذا الترتيب في احسن اسلوب
من تعلق النفس بما ذكر والاشارة بقوله ذلك الى ما تقدم
ذكره من المحبوبات ومتاع اي يتمتع بها ثم يزول والمآب
المرجع وهو الجنة للمؤمنين قل أأنبئكم بخير من ذلكم اي بخير
مما تقدم ذكره من متاع الدنيا لان ذلك فان وذلك باق
لما ابهم في قوله بخير من ذلكم عين جهة الخيرية بقوله
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ
بخفض جنات فجاز ان يكون بدلا من قوله بخير ويكون قوله
للذين متعلقا بقوله بخير فلا يكون استئناف كلام بخلاف
رفع جنات فانه مبتدأ وللذين خبره والكلام مستأنف
جواب كلام مقدر كانه قيل ما الخير فقيل للذين اتقوا
عند ربهم جنات ونتاء هنا تعدت الى اثنين احدهما
بنفسه والآخر بحرف الجر وبدأ بالجنات التي هي مقر المتقين
وهي الجنات وذكر من صفاتها انها تجري من تحتها الانهار
ثم بالازواج اللاتي هن من اعظم الشهوات اذ ذكر في الآية
قبلها حب الشهوات من النساء والبنين ووصفهن
بالتطهير من الحيض وغيره واتبع ذلك باعظم الاشياء وهو
رضي الله عنهم فانتقل من عال الى اعلا منه وهو رضي الله تعالى
وبصير بالعباد اي مطلع على اعمالهم فيجازي كلا منهم على
حسب عمله ولما ذكر المتقين ذكر شيئا من صفاتهم فبدأ
بالايمان الذي هو راس التقوى ورتب سؤال المغفرة عليه والوقاية
من النار ولما ذكر الايمان بالقول اخبر بالوصف الدال على حبس
النفس على ما هو شاق عليها من التكاليف وهو الصبر
ثم ذكر صدقهم فيما اخبروا به من قولهم ربنا اننا آمنا
فاغفر لنا ذنوبنا وتقدم ذكر القنوت وقوله والمنفقين
اموالهم في الطاعات والمستغفرين الله لذنوبهم بالاسحار وهي
اوقات الاجابة الا ترى الى قوله تعالى من يدعني فاستجب
له من يستغفرني فاغفر له ذكره ابن عباس رضي الله عنهما اي
في حديث النزول وقال الزمخشري رضي الله عنه والواو المتوسطة
بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها انتهى ولا نعلم
العطف في الصفة بالواو يدل على الكمال شهد الله انه لا اله الا هو

ذاك

تعالى

اشياء

وقنا عذاب النار

الآية

الآية سبب نزولها ان حبرين من الشام قدما المدينة الشريفة
فقال احدهما للآخر ما اشبه هذه بمدينة النبي المبعوث في آخر
الزمان ثم عرفا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي كانوا
يطلعون عليه في كتابهم فقالا له انت محمد قال نعم قالا انت
احمد فقال نعم فقالا نسألك عن شهادة ان اخبرتنا بها آمنا
فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاني عنها فقال
احدهما اخبرنا عن اعظم الشهادة في كتاب الله عز وجل
فنزلت تلك الآية فاسلما انتهى قال بعضهم وشهد هنا
بمعنى اعلم سبحانه وتعالى بانفراده بالوحدانية وعطف
عليه الملائكة وهم من العالم العلوي ثم اولوا العلم وهو
يشمل الملائكة وغيرهم من الثقلين وانتصب قائما
على الحال من الله وحده قال الزمخشري رضي الله عنه
وانتصابه على انه حال مؤكدة منه اي من الله عز وجل كقوله
وهو الحق مصدقا لما بين يديه انتهى فليس هذا من الحال
المؤكدة لانه ليس من باب ويوم يبعث حيا ولا من باب
انا عبد الله شجاعا فليس قائما بالقسط بمعنى شهد وقيل
انه ليس مؤكدا لمضمون الجملة السابقة في نحو انا عبد
الله شجاعا وهو زيد شجاعا وفي كونه حالا من اسم الله
يشكل في التركيب المورد اذ يصير كقولك اكل زيد طعاما
وعائشة وفاطمة جاءا معا فنفصل بين المعطوف
عليه والمعطوف بالمفعول وبين الحال وذي الحال
بالمفعول والمعطوف لكن يمشيه كونها كلها معمولة لعامل
واحد وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت
قد جعلته من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو
في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة
لا تستدعي ان تكون في الجملة التي زيادة في فائدتها عامل
فيها كقولك انا عبد الله شجاعا انتهى يعني ان الحال المؤكدة
لا يكون العامل فيها النصب شيئا من الجملة السابقة وانما
ينتصب بعامل مضمر تقديره احق او نحوه مضمرا بعد الجملة
وهذا هو قول الجمهور والحال المؤكدة لمضمون الجملة هي
هي الدالة على معنى ملازم للمسند اليه الحكم او شبيه بالملازم
فان كان المتكلم بالجملة مخبرا عن نفسه فيقدر الفعل
احق مبنيا للمفعول نحو انا عبد الله شجاعا اي احق شجاعا
وان كان مخبرا عن غيره نحو هو زيد شجاعا فتقديره
احقه شجاعا وذهب الزجاج رضي الله عنه الى ان العامل في هذه

في هذه الحال هو الخبر بما ضمن من معنى المسمى وذهب ابن خروف
الى ان المبتدا بما ضمن من معنى التنبيه وجعله بعضهم حالا من
الضمير على اعتبار كل واحد واحد وبه وبما بعده لو جاز ذلك لجاز
جاء القوم راكبا اي كل واحد منهم راكبا وهذا لا يقوله العرب
ومعنى قوله بالقسط اي بالعدل وانه لا اله الا هو مفعول به
وفصل به بين المعطوف عليه والمعطوف به لدل على الاعتناء
بذكر المفعول وليدل على تقاوت درجة المتعاطفين بحيث
لا يتسقان متجاورين وفيه شهد منبيا للمفعول وبالمصدر
المسند من وما بعدها ذكر من لفظ الجلالة الى شهد
انفراده بالالوهية وانفرد والملائكة على اضمار فعل اي شهد
وشهد الملائكة او على الابتداء والخبر محذوف تقديره
والملائكة قاولوا العلم يشهدون وخص شهداء الله جمعا
منصوبا مضافا الى الله عز وجل وجوز ان يكون حالا من
المستخفرين او على المدح وهو جمع شهيد وشاهد وقرئ
شهد الله بالفتح على اضمار مبتدا اي ثم شهد لانه بضم الشين
والهاء ونصب الدال منونا وتقبل الله وقرئ شهد لله
بضم الدال وفتحها مضافا الى اسم الله فالرفع على خبر مبتدا اي
ثم شهد اذ لله واجاز الزمخشري رضي الله عنه انتصابه
قائما على المدح وتقدم لي حين رفع الملائكة وقال يعني الزمخشري
رضي الله عنه فان قلت كيف جاز انتصاب على المدح ان يكون
معرفة كقولك الحمد لله الكعبة او قاموس الا تنا لا نورث
وقد اورد مثلا لامن المنصوب والذي ذكره النحويون ان المنصوب
على المدح او الذم او الترحم قد يكون معرفة وقد يكون نكرة
ان يكون تابعا لما وقد لا يتضح وقد يكون نكرة كذلك وقد
يكون نكرة وقبلها معرفة فلا يصح ان يكون نعتا لها فكذلك
قد يكون انتصابه على المدح انتهى وكان قد مثل لي الفصل بين
الصفة والموصوف بقوله لا رجل الا عند الله شجاعا ويعني
ان انتصابه قائما على انه صفة لقوله لا آله الا هو بل يجوز فيه
ان يكون حالا معمولا لان لشهد ولكونه قد انتصب على المدح اوجه
انتهى وكان قد مثل في الفصل بين الصفة والموصوف
وقد يكون ذلك لمسوغ حالا في خبر ما عمل فيها ولا في خبر
وقبل لها معمولا لان هنا شهد وقد يكون الظرف عاملا
يغتفر في ذلك كما اغتفروا ان على زيد وفي الدار الا قد
مثل به وهو لا رجل الا زيد او لا رجل الا عند الله شجاعا فلسنا
نظر تخريجه في الآية لان قولك الا عند الله فاسد بدل وشجاعا وصف

والفاعدة

والقاعدة انه اذا اجتمع البدل والوصف قدم الوصف
على البدل وسبب ذلك انه على نية تكرار العامل على المذهب
الصحيح فصار من جملة اخرى على هذا المذهب واما
على مذهب البصريين فيمتنع ذلك لان الاعلى قد ذهب بعض الكو
وقد ابطلته البصريون والاولى من هذه الاقوال كلها
ان يكون منصوبا على الحال بتم اسم عز وجل والعامل
فيه شهد وعلى قول الجمهور وامّا قراءة عبد الله انتا
بالنصب وقعه على انه خبر مبتدا محذوف فقد سبق
ذكر ان ابيّ بالنصب وقال ابن مجاهد رضي الله عنه
وقد قال ابن عطية رحمه الله تعالى انه لحن ممن هو ولا يجوز
ذلك لان فيه فصلا بين البدل والمبدل منه بالخبر
بأجنبي وهو العطف لان الواو مع ما بعدها في تقدير العامل
في المبدل منه فلو كان العامل في العطف فقد فصل
بين البدل منه لم يجز ذلك ايضا لانه اذا اجتمع
العطف والبدل قدم البدل على العطف لو قلت
جاءني محمد وعائشة اخوك لم يجز انما الكلام جاءني اخوك
ثم جاءتني عائشة وقال ابن مجاهد رضي الله عنه وان
قلت لم جاز ارادة نصب جاءني زيد لعطوفين
عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجب قلت
لما جاز هذا لعدم الالتباس كما جاز في قوله وقطعنا
لهم اسحاق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة
حالا من يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا
لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالتباس كما جاز في
قوله تعالى وقطعنا لهم اسحاق ويعقوب نافلة ان
انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد
وهند راكبا كان لبسا بالنسبة الى ما ذكرت
قولي جاءني زيد وعمرو راكبا انما لم يجز لانه كان يوهم
هذا جائز لان الجاء قد وقع منهما وقد ينفصل
احدهما بالموت فيكون الراكب هو الميت قلت
لما جاز هذا لعدم الالتباس كما جاز في قوله
وقد قال ابن عطية رحمه الله ان انتصب نافلة
حالا من يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا
لم يجز قلت انما جاز هذا لعدم الالتباس كما جاز في
قوله تعالى ووهبنا لهم اسحاق ويعقوب نافلة ان
انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد
وهند راكبا كان لبسا بالنسبة الى ما ذكرت
قولي جاءني زيد وعمرو راكبا انما لم يجز لانه كان يوهم
هذا جائز لان الجاء قد وقع منهما وقد ينفصل
احدهما بالموت فيكون الراكب هو الميت
وانما جاز هذا لعدم الالتباس كما جاز في قوله
تعالى ووهبنا لهم اسحاق ويعقوب نافلة ان
انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد
وهند راكبا

ومعناه وزيادة فكيف وذلك شاهد لاسحاق ويعقوب
لانهما ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد اسماعيل
عليه الصلاة والسلام وعجب ان كان ابتداء له اسحاق على
الكبر وبعد ان عجز وشارة وايست من الولادة ولما
ذكر شهادة الله والملائكة واولوا العلم بانه صار الى توحيده
فسر سبحانه وتعالى اخبر مقدر ذلك بقوله لا اله الا هو
العزيز الحكيم وفيه ضرب من التاكيد لما سبق ثم ذكر العزيز
وهو الذي لا يغالب او الذي لا يوجد نظيره والحكيم
هو الذي يضع الاشياء بحكمة مواضعها وارتفع العزيز
على اصار وهو ان الدين اذا كان الشرع المقبول عند الله هو
الاسلام اي الانقياد لامر الله عز وجل ونهيه واعتقاد
ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام من صفات
الله عز وجل ومن البعث والجزاء وقرئ ان الدين
بفتح الهمزة وهم في اعرابه اضطرابات وقد اخرنا ان
يتعلق بالحكيم وبان صفة مبالغة ويكون على اضمار
حرف الجر اي بانه الدين عند الله الاسلام وبسبب
ما قالوه ان تكون ان الدين بدلا من قوله انه لا اله
الا هو وفيه بعد بطول الفصل بين البدل والمبدل منه
وشهد لله تعالى لفظه بالوحدانية وشهد له بذلك الملائكة واولوا العلم حكما ان الدين
المقبول عنده هو الاسلام اذ حكم لم يكمل بعثة بذلك
وفي النحر الذي هذا النهر ملخص منه ما فقه وما قرأه
الكسائي وسوافقه في بعض انه وان فقال لو على
العباسي رضي الله تعالى عنه ان شئت جعلته من بدل
الشيء من الشيء وهو او لا ترى ان الدين الذي هو
الاسلام يشتمل التوحيد والعدل وهو قول المعتزلة
وان شئت جعلته من بدل الاشتمال ايضا لان الاسلام
يشتمل على التوحيد والعدل وان شئت جعلته بدلا
من القسط لان الدين هو الاسلام قسط وعدل فيكون
ايضا من بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة انتهى
اي ان شئت جعلت الجملة بدلا من قوله قائما بالقسط
وشهد له على اساليب المعتزلة من التوحيد والعدل
وعلى البدل من انه لا اله الا هو خرجه غيره ايضا وليس
بجيد كما علمته مما تقدم لانه يؤدي الى ان كون بعد ان
يجيء في مثله في كلام العرب وهو قد عرف قيده انه

لاشجاع

لا شجاع الا أمس ويوم تميم وبنو آدم ولا قبلان للحرب لا شجاع
الا بنو الطل المحامي وان الخضلة الحمد في المسألة وتقريب
هذا المثال ضرب زيد عائشة والعمران خفقا اختك فخفقا
حال من زيد واختك بدل من عائشة فصل بين البدل
وبين المبدل منه بالعطف وهو لا يجوز وبالحال لغير المبدل منه وهو
لا يجوز فصل بأجنبي بين المبدل منه وبين البدل وخرجه
الكوفيون على انه على حذف حرف العطف قالوا التقدير وان
الدين قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه وهذا ضعيف جدا
ولم يبين وجه ضعفه ووجه ضعفه انه متى قدر الزكيت
مع اضمار حرف العطف فصل بين المتعاطفين المرفوعين
بالمنصوب المفعول وبين المتعاطفين المنصوبين بالمرفوع
المشارك لهما في العامل وبحملنا الاعراب وصار في التركيب
دون مراعاة المثل نحو اكل زيد خبزا وعمرو سمكا وامثل
التركيب اكل زيد عمرا وخبزا وسمكا فان فصلها بين قولك
وعمرو وبين قولك وسمكا سمع التركيب واضمار حرف العطف
لا يكون على الاصح وجاء ابن عباس رضي الله عنهما انه بالكسر ان
الدين بفتح الهمزة وخرج على ان الدين عند الله هو يحقق
شهد ويكون في الكلام اعتراضان احدهما بين المعطوف عليه والمعطوف
وهو انه لا اله الا هو والثاني بين المعطوف والكلام وبين المعطوف
شهد وهو لا اله الا هو العزيز الحكيم واذا اعترضا العزيز خبر
مبتدا محذوف كان ذلك ثلاث اعتراضات انتهى ما خرجه
عليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما فانظر الى هذه التوجيهات البعيدة
التي لا يقدم احد ان يتفوه بها تنظر من كلام العرب وانما
حمل على تلك التعمية وعدم الاتقان في تراكيب كلام العرب
وحسط اشعارها وقد ذكرنا في خطبة هذا الكتاب الى انه
لن يكمل النحوي حتى في علم الفصيح من كلام العرب بل لا بد
من الاطلاع على كلام العرب والتطبيع بطباعها والاستدلال
بذلك والذي حرجه على قراءة ان الدين بالفتح هو ان
يكون الكلام في موضع المعمول لمحكم على اسقاط حرف الجر
اي بأن لان الحكم فعل للمتكلم كالعليم والسميع
والخبير كما قال تعالى من لدن حكيم خبير وقال من لدن حكيم
عليم والتقدير الا انه هو العزيز الحاكم ان الدين عند الله الاسلام
لا شهد تعالى لنفسه بالوحدانية وشهد لنفسه كل الملائكة
واولوا العلم حكم ان الدين المقبول عنده هو الاسلام فلا يبغي
لاحد ان يعدل عنه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه

الاعتراض

فان قلت لم حملت الحكم على انه محول من فاعل الى فعيل
للمبالغة وهلا جعلته فعيلا بمعنى مفعل فيكون
معناه المحكم كما قالوا اليم انه بمعنى مؤلم وهو سميع من نوم
الشاعر امن ريحانة اداعي السميع اى المسمع فالجواب
انا لا نسلم ان فعيلا يأتي بمعنى مفعل وقد يؤول قوله
سميع واليم على غير مفعل ولئن سلمنا ذلك فهو من الندور
والشذوذ بحيث لا يقاس واما فعل المحول من فاعل
للمبالغة فهو مقياس كثير جدا خارج عن معنى الحصر
كعليم وسميع وقدير وختير وبصير وحفيظ فالقاطع
لا يخصص وايضا قال العربي انه اتى بالباقي على سليقته
لم يفهم من حكيم الا انه محول للمبالغة من حاكم الا ترى
انه لما سمع فارسيا يقرأ قوله سبحانه وتعالى والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله
والله غفور رحيم انكر ان تكون فاصلة لهذا التركيب
السابق ايضا في الآية السابقة والله غفور رحيم فقيل له
التلاوة والله عزيز حكيم فقال هذا يكون عزيز وحكيم
فمنهم من قال حكيم انه محول للمبالغة من حاكم وفهم
هذا العربي همة قاطعة بما تقاد وكذا القول في قراءة
ابن عباس رضي الله عنهما ولا يخفى ان الدين معمول لشهد فقد
يقع وان انه لا اله الا هو اعتراض وانه بين المعطوف وبين
الحال وبين ان الدين اعتراض حرا واعتراضا بلا فصل
معمول شهد بواسطة باء الكسر على تخريج من خرج ان شهد لما
كان بمعنى القول كثر ما بعدها اجراها مجرى القول اذ
تقول انه معمول لها وعلقت ولم تدخل اللام في الخبر لانه
منفي كما اذا كان مثبتا فانك تقول شهدت ان زيدا
لمنطلق معلق بارتفاع وجود اللام لانه لو لم يكن اللام مفتوحة
لانكسرت انك تقول شهدت ان زيدا المنطلق فمن قرأ بفتح
ان قال فانه لم يسو التعليق ومن كسر فانه نوى التعليق وادخل
اللام في الخبر لانه مبني كما ذكرنا وكذا القول على

وكانت النصارى كذلك والعلم الذي جاءهم هو كتاب الله المنزل
من التوراة والانجيل والرسول الحامل على اختلافهم هو البغي
وهو الظلم الواقع من بعضهم للبعض وتقدم اعداد بعضها
بعد الاستثناء في سورة البقرة • ومن يكفر بايات الله
سام في كل كافر فلا يخص المختلفين وان عنهم فان الله سريع
الحساب • وسريع الحساب كناية عن المجازاة لهم في الآخرة
والجملة جواب الشرط والضمير العائد على اسم الشرط محذوف
تقديره سريع الحساب له • فان حاجوك • الظاهر عود
الضمير على اهل الكتاب وقيل يحتمل العموم وهو معنى اسلمت وجهي
لله اي انقدت واطعت وخضعت به سبحانه وتعالى
وعبر بالوجه عن جميع ذاته الشريفة لانه اشرف الاعضاء
• ومن اتبعني معطوف على الضمير في اسلمت قاله الزمخشري
وان عطفه رضي الله عنهما احمد وابن ماجه ولا يجوز الا وجه
يلزم منه الشركة في المعمول الذي هو وجهي وهو لا يجوز
على المعنى واسلم من اتبعني وجهه لله عز وجل والاحسن
ان يكون من في موضع رفع على الابتداء والخبر محذوف
لدلالة ما قبله عليه التقدير ومن اتبعني اسلم وجهه
لله فيكون اخبارا عنه عليه الصلاة والسلام لانه وامامهم
اسلموا وجوههم لله وكان ابن محيريز رضي الله عنه ان تكون
الواو واو مع وهو لا يجوز لانه يلزم منه الشركة في المعمول
الا ترى انك اذا قلت اكلت رغيفا وعمرا ايضا عمرو
دل ذلك على انه شاركك في اكل الرغيف والمراد
بالاميين من ليس من اهل الكتاب من مشركي العرب
وعبر بهم اما لشهرتهم في ضمنه الامر اي اسلموا فقد اتاكم
من البينات ما توجب الاسلام • فان اسلموا فقد دخلوا في
شريعة الاسلام • فقد اهتدوا اي فقد حصلت
لهم الهداية • وان تولوا اي اعرضوا ولم يسلموا
ولا يلزم الا تنبيههم للهداية بما سمع عن ربك عز وجل
• وانهم بشر بما سماه فيه تهديد وعيد شديد
لمن تولى عن الاسلام وفي هذا الخطاب لهم ان معناه
ان الله عز وجل مطلع على اهوال صنوفه فمجازيهم باعمالهم
على ما تقتضيه حكمته هم • ان الذين يكفرون وذكر ان لا
اعظم الاوصاف المذكورة في هذه الآية وهو الكفر
بايات الله ثم قتل الانبياء الذين اظهروا ايات الله
المعجزات الدالة على صدقهم ثم قتل من امر بالقسط وهو

وهذه اوصاف اسلافهم وهم عالمون عليها فنعى على اهل
الكتاب المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعل اسلافهم
ذلك وجعلوا كمن باشر ذلك بغير حق بالتنكير وفي سورة
البقرة بالتعريف لان الجملة هنا اخرجت مخرج الشرط وهو
عام لا يختص فناسب ان يكون المنفي بصيغة التنكير
حتى يكون عاما وهناك جاء في صورة الخبر عن ناس معهودين
وذلك قوله ذلك بانهم كانوا يكفرون الآية وبغير حق حال
مؤكدة كالذي تقدم في سورة البقرة لان قتل نبي لا يكون
بحق. فبشرهم الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير
المفعول عائد على اسلافهم وهو في المعنى لهم لانهم راضون بفعل
اسلافهم ودخول الفاء دليل على انه اريد بالذين العموم
وقرئ حبطت بفتح الباء وناصرين جمع ناصر وهو اولى من
الافراد لانه راس آية وما رأى شفعاء المؤمنين واذا
انتفى النفع من جمع فانتفاؤه من واحد اولى. الم تر الى
الذين اوتوا الضمير لليهود والنصيب الحظ ومن هنا للتبعيض
والكتاب هو التوراة ويدعون حال والى كتاب الله قيل
هو التوراة وقيل القرآن والضمير في ليحكم عائد على كتاب الله
وقرئ ليحكم مبنيا للمفعول ونسب التولي الى فريق منهم
لان منهم من اسلم كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وهم معرضون
جملة حالية مؤكدة او لان التولي كان بالابدان والاعراض
بالقلوب فثبت التغاير بينهما. ذلك الاشارة الى التولي
والاعراض بسبب هذه الاقوال الباطلة وتسهيلهم على انفسهم
العذاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل
وجاء هنا معدودات بالجمع وهناك معدودة بالصفة
التي تصلح للواحدة من المؤنث وهما فصيحان وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون اي ما كانوا يختلقون من الكذب.
كقولهم هذا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وغير ذلك من
الاقاويل الباطلة فكيف يجوز ان يكون في موضع نصب التقدير
فكيف يصنعون وفي موضع رفع خبر المبتدا محذوف التقدير
فكيف حالهم واذا معمول لذلك المحذوف اي فكيف حالهم
اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه اي لا شك فيه وهو يوم القيامة
اي لجزاء يوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء
ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون اي زيادة ولا نقص قل
اللهم مالك الملك سبب نزول هذه الآية الشريفة ما اخبر
صلى الله عليه وسلم من ظهور ملك امته على قصور العجم وعلى قصور

الروم

الروم وقصور اليمن من الرماح التي وردها على الصحة يوم الخندق
فرقت ثلاث مرات فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
الفتوق فعيرة المنافقون بانه يحفر الخندق ويخبر بعزب
بالمعول ويخبر ان ملك امته يكون تلك المواضع المذكورة
واللهم مناديي فمناديه ولا يجمع بينها وبين حرف النداء
في بيت لمصريين قال ابن عطية رضي الله عنه قد
اجمعوا على انها يعني اللهم وضموة الهاء مشددة الميم
المفتوحة وانها منادى اشتى ما ذكره من الاجماع على تشديد
ميمها فقد انكر القراء رضي الله عنه تخفيف ميمها في بعض اللغات
قال وانشد في بعضهم في ذلك يقول

لكنفه من ابلي رماح ... يسمعها اللهم الكباح

قال الزاد عليه تخفيف الميم خطأ واحسن ما عذر
القراء رضي الله عنه لان عدة الميم هي مثل التي في امنا اذا لا
التخفيف ان تكون الميم مفتوحة بنية امنا قال وان رواية
الصحيحة يسمعها لاهه الكباح انتهى وان صح هذا البيت الذي
قد انشده القراء عن العرب كان صحيحا واخرا من تحت
مستعملا في غير النداء لانري ان جعله في هذا البيت فاعلا
بالفعل الذي قبله ومالك منصوب على انه منادى قال
فلا يجوز عند سيبويه نصبه على ان يكون صفة لقوله اللهم
وفحوى مالك المذاهب اي يتصرف فيه بما يريد كما يريد ويحيا
منا كما شاء وله ان جاء بتبيين التصرف بعد قوله قل
اللهم مالك الملك الاية وجاء فيها مقابلة الايتاء بالنزع والاعزاز
بالاذلال ثم ختم هذه الاية الكريمة بقدرته العامة التي منها
ما ذكره قوله بيدك الخير اقتصر عليه لان الاية في معرض
المدح وان كان عز وجل بيده الخير والشر على ما ذهب اهل السنة
قال البيضاوي رضي الله عنه فان قلت كيف قال سبحانه وتعالى
بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما ورد في
الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكروا كثرته
وقال سيبك الخير تتعاهدنا كما عهدك عادتنا من قبل ولان
افعاله سبحانه وتعالى كلها من قبيل الخير وصادرة عن الحكمة
والمصلحة فمن حيث كلها آتية كلاهما وهذا ظاهر الخبر اولانه
لانه ذكر السؤال فلم اقتصر على ذكر الخير دون الشر واجاب
بالجواب الاول وذلك يدل على ان سيد سبحانه وتعالى
الخير والشر وانما كان اقتصاره على الخير لان الكلام انما ورد
فيما يتشرف تعالى من الخير للمؤمنين فناسب الاقتصار على ذلك

الخير فقط م

وذلك يدل على ان بيده سبحانه وتعالى الخير والشر وانما كان اقتصاره
على الخير لان الكلام انما وقع فيما يسوقه تعالى من الخير للمؤمنين
فناسب الاقتصار على ذكر الخير فقط واجاب بالجواب الثاني
وذلك يدل على انه تعالى جميع افعاله كلها خير ليس فيها شر
وهذا الجواب ينافي الاول • تولج الليل في النهار وتولج النهار في
الليل والولوج معناه الدخول وهو هنا كناية عن ان ما نقص
من الليل زيد في النهار وما نقص من النهار زيد في الليل
وهكذا وقد ذكروا اختلافا كثيرا في الحي والميت والذي نختاره
انه اريد به التوالد فيخرج الحي وهو الذي قامت به حياة
من الميت وهو الذي يأتي عليه الموت ويؤول اليه فيكون هذا
مجازا باعتبار المآل ويخرج الميت الذي هو سيموت من الحي اي
ومعناه الذي قامت به حياة من الميت وهو الذي يأتي عليه
الموت ويؤول اليه فيكون هذا مجازا باعتبار المآل وظاهره
التوالد الانساني الا ترى الى قوله تعالى وترزق من تشاء
بغير حساب فاتى بمن التي تطلق على العقلاء • لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء اي بالمعاملة الحسنة في الافعال لقرابة او صداقة
واما بالقلب فمنهي عنه قطعا ولا يصدر ذلك عن مؤمن
بل المؤمن يوالي المؤمن في الافعال وكذا بالقلب ثم توعد سبحانه
وتعالى على ذلك بقوله ومن يفعل ذلك اي موالاة الكفار
فليس من الله في شيء اي هو بريء من الله عز وجل وقال ابن عطية
رضي الله عنه فليس من الله في شيء معناه في شيء مرضي على الكمال
والصواب وهذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
غشنا فليس منا وفي الكلام حذف مضاف تقديره فليس
من القرب الى الله في شيء ونحو هذا وقوله في شيء هو في موضع نصب
على الحال من الضمير الذي في قوله ليس من الله انتهى وهذا
الكلام مضطرب لان تقديره فليس من التقرب الى الله في شيء
يقتضي ان لا يكون خبرا فيبقى ليس على قوله لا يكون لها خبرا
وذلك لا يجوز وتشبيهه بقوله صلى الله عليه وسلم من غشنا
فليس منا ليس بجيد لان منا خبر ليس وتستدل به الفائدة
وفي الاية ليس كذلك بل الخبر في شيء فليس الحديث كالاية
وكذلك قول بعضهم
اذا حاولت في اسد فجورا فاني لست منك ولست مني
وقرئ لا يتخذ بالرفع في الدال على النفي والمراد به النهي وفي
قوله فليس من الله محذوف تقديره من ولاية الله في شيء
ومن دون متعلق بقوله لا يتخذ والمعنى من مكان دون مكان

وهذا مجاز

بالمودة

والتزلف

للمؤمنين

المؤمنين ٥ الا ان تتقوا استثناء مفرغ من المفعول والمعنى
لا يتخذ مؤمن كافرا شيئا من الاشياء الا لسبب التقية فيجوز اظهار
الموالاة باللفظ والفعل دون ما تخفيه عليه القلب وقال
ابن عباس رضي الله عنهما التقية هنا المداراة كما تفعل
مع الكفار ومن الظهر فيتقيهم بلسانه ولا مودة بالقلب ٥
قلبه وتتقوا خطاب وهو التفات لانه خرج من الغيبة
الى الخطاب ولو جاء على نظم الاول لكان الا ان يتقوا بالياء
المثناة من تحت وهذا النوع هو من غامة الفصاحة اذ لما
كان المؤمنون نهوا عن فعل ما لا يكون جعل ذلك اسم غائب
فلم يواجهوا بالنهي ولما وقعت المسامحة والاذن في بعض ذلك
وجههوا بذلك اذ هو انا يلطف الله تعالى بهم وتشريفا لخطابهم
وفي تقاة وتقية واصله تقواه وهما اسمان بنيت
الواو فيهما تاء وهما مصدران جاءا على غير المصدر لانه كان حقا
على تتقوا لكان اتقاء ويجوز ان على ما رضي الله عنه ان يكون
تقاة جمعا كتمرة وتمر فيكون نصبه على الحال المؤكدة بعيد لانه
يكون مثل كماة وكماة ٥ ولم يشذ وقيل تتقوا بمعنى
اتقاء كعطاء واعطى وقال ابن عباس رضي الله عنه اي الا ان
تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه فتتقوه تقاة على انه
مفعول به ويدل على المصدرية قوله تعالى حق تقاته
قال الله عز وجل في الآية الكريمة ويحذركم الله نفسه قال ابن
عباس نفسه ذاته والى الله المصير اي الصير وحده والرجع فيجازيكم
ان ان تكتموا من الاتهم بعد البيان ٥ قل ان تخفوا ما في صدوركم
الآية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والمعنى انه سبحانه
وتعالى مطلع على خفايا الامور وجلاياها ومريتك عليها الثواب
والعقاب ويعلم ما في السموات وما في الارض ذكر عموما
بعد خصوص وختمها بسعة قدرته تعالى والله على كل شيء
قدير اي لا يعجزه شيء ٥ ثم يحذر نفسه بقوله تعالى
ويحذركم لطول الفصل هذا من جهة اللفظ واما
من جهة المعنى فلان التحذير موجود والتهديد فلا يصح ان
العامل فيه ويصف اضافة الى الضمير للفصل بين المحذر
ومحذوره ٥ ويصف نصب بتقدير ان قدرته تعالى على
كل شيء لا تحدث يوما مثل هو سبحانه وتعالى متصف بالقدرة
دائما واما نصبه ماضيا بعد فالاصل فيه ان يعمل على خلاف الاستقبال
وهذه اقوال للمعربين وقال الزمخشري رضي الله عنه يوم تجد
منصوب بتود والضمير في بينها اي يوم القيامة حين تجد كل نفس

وقيه عم

ب

خيرها وشرها ٥

حاضرين ثم تمثل لوان بيننا وبين ذلك اليوم وامثاله
بعيدا الهي هذا التخريج والظاهر ان في قوله فاجد اضطرارا
وترجيحه اذ ظاهر ان ذلك ليس شيئا من مقتضيات
الفواء في اسانفته لكن في جواز هذه المسالة وظاهرها
خلاف مذكور في كتب النحو واجاز الاخفش رضي الله عنه وكذا
اجاز ابن عطية رحمه الله تعالى ان تكون ما موصولة مبتدأة
وخبرها توفق ببدل ذلك واتفقا على انه لا يجوز ان يكون وما
عملت من سوء شرطا قال الاخفش رضي الله عنه لارتفاع توفق
ذكر وقال ابن عطية رضي الله عنه لان الفعل مستقبل مرفوع يقتضي
جزمه اللهم انه ان تقدر في الكلام محذوف اي فهي توفق ولو ذكر ذلك
ضعف انتهى كلامه وقد ظهر هنا من كلامهما امتناع الرفع
لاجل رفع توفق وهو في الكلام جائز مسموع من افصح لكن امتناعه
هنا لغير ذلك وهان ارتفاعه هنا على مذهب سيبويه من ان النية
بالمرجوع التقديم ويكون اذ ذاك دليلا على الجواب لا نفس الجواب
فتقول اذا كان توفق مسوغا التقديم اذ هي لما تقدم المضمر
على ظاهر في غير الابواب المستثناة في المرتبة الاتي في ان
الضمير في قوله وبينه عائد على اسم الشرط الذي هو ما فيصير
التقدير وقد كل نفس لو ان بيننا وبينه امدا بعيدا
ما عملت من سوء فيلزم من هذا التقدير تقدم الضمير على
الظاهر وذلك لا يجوز فان قلت لم لا يجوز ذلك والضمير
قد تاخر عن اسم الشرط وان كانت رتبته التقديم فقد
حصل عود الضمير على الاسم الظاهر قبله وذلك نظير قولك
ضرب زيدا غلامه فالضمير عائد على رتبة التقديم ووجه تاخره
لصحة عود الضمير فالجواب ان اشتمال الضمير على اشتمال
الدليل فلذا قال ابن مالك رضي الله عنه ان اشتمال الدليل
على الضمير في اسم الشرط يوجب تاخره عنه لعود الضمير فلزم
من ذلك اقتضاء جملة الشرط جملة الدليل وجملة الشرط
انما تقتضي جملة الجزاء لا جملة الدليل وانما يعمل في جملة الجزاء وجملة
الدليل لا موضع لها من الاعراب وان اردت هذا الدفع الاعتراض
لانهما من حيث هي جملة دليل لا تقتضيها فعل الشرط ومن
حيث عود الضمير على اسم الشرط اقتضتها فتدافعا وهذا
بخلاف ضرب زيد غلامه هي جملة واحدة والفعل عامل
في الفاعل والمفعول معا فكلمتها تقتضي صاحبه ولذلك
جاز عند بعضهم ضربت غلامها هند وذلك قد يكون لاشتراكهما

ضربت

الفاعل

لانك اذا عملت المضاف للضمير والفصل الذي عاد على الضمير
في العامل واستغنى ضرب غلامها جاز هند لعدم الاشتراك
في العامل فهذا فرق ما بين المسألتين ولا يحفظ من كلام
العرب أو دلوني اكرمه اما ضربت هند لانه يلزم منه تقديم
الضمير على مفسره في غير المواضع التي ذكرها النحويون فذلك
لا يجوز تأخر وقد جاء من سوء وقد وقف على هذا يجوز
ان تكون ما شرطية مضمولة بمملت ومبتدأ على حذف
المرأة والضمير العائد محذوف فان عملته لا تحتاج
في فصيح الكلام وفي الكلام حذف تقديره مخضرا انشرح به
ومن سوء مخضرا حذف تنشره تشرح من الاهل ومخضرا
من الثاني والمعنى من سوء مخضرا نكرهه وعبر عن فرط الكراهة
بقوله لو ان بينها وبينه امدا بعيدا او على قول الجمهور
حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وجوابها محذوف تقديره
تشرح به ومفعول لو محذوف تقديره تود اي تباعدا
ما بينها ومن ذهب الى ان لو مصدرية بمعنى ان فيبعد
لان معنى ان ومعمولها في تقدير مصدر فتكون حرف
مصدري دخل على حرف مصدري وقوله امدا بعيدا اي غاية
طويلة * وحذركم الله نفسه وكرر التحذير للتوكيد والتخويف
على الخوف من الله يحب ان يكونوا ممتثلين امره ونهيه سبحانه
وتعالى والله رؤوف بالعباد لما ذكر سبحانه وتعالى صفة
التخويف وكررها كان ذلك من عجائب القرآن ومنها
على اتباع المحذوف مع ما قرن به من اطلاعه عليهما في الاحوال
واحضاره لهما يوم الحساب وقد امر الانفاق بالعلم والقدرة
الذي يجب ان يحذر لا خلها وذكر صفة الرحم ليطمع في
احسانه وتفضله ان رجا في افضاله فيكون ذلك من باب
ما اذا ذكر ما يدل على شدة المرء ذكر ما يدل على سعة الرحمة
كقوله عز وجل ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم
وتكون جملة الشرط في المضمون جملة التخويف لان جملة
التخويف جاءت بالفعل الذي يقتضي الطلب واذا تكرر فيها
اسم الله وجل اذا المضمون متحمل ضمير سبحانه وتعالى
وجاء المحكوم به على وزن فعول المقتضي للمبالغة في من
وجاء بأخص الفاظ الرحمة وهو رؤوف وجاء متعلقه بعباد
ليشمل المخاطب وغيره وبلفظ العباد للدلالة على
الاحسان التام لان المالك محسن لعبده وناظر لاحسن نظر
اذ هو ملكه قال ابن عطية لمن ادعى محبة الله تعالى اياه

ذكر

هذ

إلى م

تعالى

والتكثير

مما

ومحبتهم له تعالى

من ما مثال امر واجتناب نهيه وفعل ما تعرفون استعلا
ما جئتكم به آي من عنده تعالى ومعنى تحكيم الله اياي
فيما املكم بالاحسان على طاعته وبغفر لكم ما سلف
من ذنوبكم وفرئ تحمون وتحمنكم بفتح التا والتا
وهما من حت وقرئ تحمكم اقر بفتح الحا والادغام
وقرئ فاتبعوني بتشديد النون الحق آي فعل الامر
بنون الوقاية وادغامها في نون الوقاية ولم يحذف هنا
الواو وشبهها بالحجا جوني وهذا ابن حنبة سدد وقل
اطيعوا الله والرسول جعل طاعة الرسول طاعة الله عز وجل
كما قال في ايه اخري من اطاع الرسول فقد اطاع الله
ولو لم يكن ان يكون بمعنا رضا حذفت منه النداء كن وان
شئتم لم تقو خطاب مناسب لقوله اطيعوا ويكون ان يكون
عاصيا والمراد به الاستقبال فيكون التفاتا من خطاب في
اطيعوا الى غيبة في تولوا اهانة لهم وفي محبته تعالى هو
للكافرين وهو لعمار بالعلة فلا يندرج فيه المرتد
ان الله اصطفى ادم ونبي حا مناسبة هذه الآية لما قبلها
انه لما ذكر انه لا تحبة الكافرين ذكر من اصطفاه الله سبحانه
وتعالى تمهيدا بآدم عليه الصلاة والسلام وآل ابرهيم
وآل عمران ابرهيم عليه الصلاة والسلام ولوط
على ما مر وآل عمران موسى وهرون عليهما السلام
الاول بحذف المضاف اي ذرية آل عمران ابرهيم

الصلاة والسلام اذ قالت امرأة عمران واسمها حنة بالحاء
المهملة والنون المشددة بنت فاقود وكنيتها ابو عبيد
دستور قتل ولم تسم حنة في العرب وقال الخليل عبيد
اسم أبي سعيد ومنه امة حتى في ام عمرو بن عبيد في حديثها
ابن جريج رب اني نذرت لك ما في بطني محررا متقبلا
مما في بطني ما متهمة تحتمل ان يكون ذكرا ويحتمل ان يكون
انثى وان كان الغالب ان يكون المنذور ذكرا ولذلك
قالت محررا بصيغة الذكر ومعناه مخلصا للعبادة.
والحنفة مثقل مني والمتقبل هو الخذ الشيء على جهة
الرضاء به انك انت السميع لدعائي العليم بنيتي.
وادخلت هو للتأكيد وقيل لقوله وآل عمران على تقدير واصطفى
آل عمران فيكون من عطف الجمل لا من عطف المفردات
وقال ابن محرز تابعا للطبري سميع عليم لقول امرأة
عمران ونيتها فان قيل بم انتهى ولا يصح ان لا يكون
قوله عليم اما ان يكون خبرا بعد خبر او وصفا لقوله
سميع وان كان خبرا فلا يجوز الفصل به بين العامل
والمعمول لانه اجنبي منهما وان كان وصفا كما
يجوز ان يحمل سميع في الظرف لانه قد وصف بعد اخذ
فعل معمول له لا يجوز له اذ ذاك ان يعمل على خلاف بعض
الكوفيين في ذلك ولان الفصل بسبحانه وتعالى سميع
وعليم لا يخصص ولا يعتد بذلك البتة وانتصب محررا
محررا على انه حال من ما والعامل فيه نذرت ويكون
حالا مقدرة وقيد نصبه على الحال ويكون العامل
فيه العامل في بطني وهو الاستقرار وكذلك يتعدد هنا
انتصابه على ان معنى نذرت حررت له فلما وضعتها
اي الى السمة وانث على معنى فالت رب على فكي معنى النحر
على ما قالها من ان تكون المولود ذكرا بصلح للخدمة اذ ان
وضعتها اي وضعت تلك السمة انثى تصلح على الحال
وقال ابن محرز رضي الله عنه فان قلت كيف جاز انتصاب
انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى
قلت الاصل في معناها واحد فكما ادخلت الاسم في من كانت
اولا لتأنيث الحال لان الحال والمحال شيء واحد ونظير قوله
تعالى فان كانتا اثنتين انتهى والى قوله الى ان انثى فكون حالا
موكدة ولا يجوز تأنيثه لتأنيث الحال لان تكون الحال مؤكدة
واما تشبيهه ذلك بقوله من كانت امك حيث عاد الضمير على معنى

هذا المعنى ان ثمة امرأة كانت هناك اى كانت اى المرأة
ارادك وانت انت لست لتلك الخبر قد اما اذا من باب
الحمل على المعنى حسن وقوى فى ما انه قالت لان الاسم لتلك
الخبر لم يكن نظير وضعتها انى لان الخبر يختص بالاضافة
الى الضمير وقد استفيد من الخبر ما لا يستفاد من الاسم
بخلاف انى فانه لمجرد التاكيد واما تنظير بقوله
فان كلتا هاتين فيعنى ان تثنى الاسم لتثنية الخبر
وتحريجه مشكل وسياتى الكلام عليه فى موضعه قريبا
ان شاء الله سبحانه وتعالى وقرئ وضعت بضم التاء وهو
من كلامها اى وكان ما خاطبت نفسها وقرئ بما كانت
وليس الذكر الذى طلبته وجوبه كالانثى اى مثل الانثى
التى علمها وارادها وقضى بها ولعل هذه الانثى تكون خيرا
من الذكر ان اراد ها الله تعالى قال بعض علماء التفسير
انما سلت نفسها بذلك قال ابن عطية رضى الله عنه يعنى
كالانثى فى اتساع ندرة اذ الانثى تختص فى الاغلب بضعف
الرهبات وقال بعضهم تابعين وذكرت تلك اى وبراءة
فى ذكر الله تعالى فى نفسها والافسياق الكلام ان نفسك ولست
الا انثى كالذكى ضيع حرف النفى مع التى الذى عندها
واسقطت عنه صفات الكمال للغرض المراد انتهى وعلى
هذا الاحتمال تكون ال لالف واللام فى الذكر للجنس وقرئ
والله اعلم بما وضعت بكسر التاء خاطبها الله سبحانه وتعالى بذلك
اى انك لا تعلمين قدر هذه الموهوبة لك وما علمه الله
تعالى من عظم شانها وعلو قدرها وعجيب مزيتها على سائر
ذكور العالمين قد ولدت لك لتكون عابدة لله عز وجل مطيعة
له وخاطب الله عز وجل لها تربية لاستعادة بالله لها
ولذريتها وقال الزمخشرى رضى الله عنه وهى تعنى والدتها
تسميتها مريم معطوفة على انى وضعتها انثى وما بينهما
جملتان معترضتان كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم
انثى كلامه اسقط بلاغته ولا يتعين ما ذكر من انهما جملتان
معترضتان بل يحتمل ان يكون وليس الذكر كالانثى
فى هذه القراءة من كلامها ويكون المعترض جملة واحدة كما قال
كان من كلامها فى قراءة من قرأ وضعت بضم التاء وتسميته
الزمخشرى رضى الله عنه هاتين الجملتين اللتين اعترض
بهما بين المعطوف والمعطوف عليه على ان قوله بعد وانه لقسم
لو تعلمون عظيم تسميتها مطابقا للاية لانه لم يعترض جملتان بين

طالب مطلوب

طال ومطلوب بل اعترض بين القسم الذي هو قوله اقسم
بمواقع النجوم وجوابه الذي هو انه لقرآن كريم بجملة واحدة
وهي قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم لكنه في جاء
في جملة الاعتراض بين بعض اجزائه وبين اعتراض
بجملة وهو قوله لو تعلمون اعتراض به بين الموصوف الذي
هو لقسم وبين وصفه الذي هو عظيم وهذا اعتراض في
اعتراض فليس فضلا بجملتي اعتراض كقوله والله اعلم
بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم
واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها
ربها بقبول حسن القبول مصدر بفتح القاف وهو
مصدر قبل جعل بمعنى تقبل كنبت وانبت
والباء الظاهر انها زائدة اي تقبلها قبولا حسنا
وقيل الباء بمعنى في اي في قبولها قبولا حسنا
عن حسن الرعاية والجودة في خلق وخلق والتاء
على الطاعة والعبادة فان التربية تعم الامرين
لما لفت شعث صامت النهار وقيل لي
ان بت على الاحار وقيل لم يخر عليها خطيبة قط وقد
انتصب نباتا على انه مصدر على غير المصدر او مصدر
لفعل محذوف اي فنبتت نباتا حسنا وقرئ
وكفلها بكسر الفاء اي كفلها الله اياه وقرئ
كفل بكفل كعلم يعلم وكعل يكعل كقتل يقتل وقرئ
فتقبلها وانبتها وكفلها على الامر وربها نصب النداء
مضافا فتكون الجملة اذ ذاك من كلام الله لمريم امرها
دعت ربها بعده الدعوات وقرئ زكريا بالمد والقصر
وسيأتي الكلام ان شاء الله سبحانه وتعالى في سبب تكفله
زكريا مريم قال ابن اسحاق رضي الله عنه كان زكريا
قد تزوج حنة بنت فاقوذ وهي اخت حنة امرأة عمران
امرأة زكريا يحيى وولدت امرأة عمران مريم وزكريا
نبي معصوم وهو ابن اذن ابن مسلم من ولد سليمان
عليه الصلاة والسلام قال ابن اسحاق رضي الله عنه فلما
لما ذا لتها لم يجد حيث اذا شبت وبلغت مبلغ النساء
بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه لا يرقى
اليه الا بسلم مثل باب الكعبة الشريفة ولا يفتح الا لغيره

كلما يلي لفظة ذلك على التكرار وتقدم الكلام عليها في سورة
العشرة والعامل فيها فعل ماض وقد جاء مضارعا كقوله
في قول الشاعر علاه بسيف كلما هز يقطع اي قطع وقيل ان
ان هذا الكلام محذوف تقديره فلما صلحت للعبادة اختلف
في اهلها اي مكانت بعيدة منفردة للعبادة وكان ذكريا عليه
الصلاة والسلام بقربها اذكان يتعهدها قال تعالى في الآية
الكريمة كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقا قالت
يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب والرزق ما ساقه الله لعبده انها كانت تؤتى بفاكهة
الصيف في زمن الشتاء وفاكهة الشتاء في زمن الصيف ولم
يبين ذلك في القرآن ولا صح تعيينه في السنة ولما ان استقر
ذكريا عليه الصلاة والسلام ذلك قال لها يا مريم اني لك هذا
اي من
اين لك هذا اجابته بقولها هو من عند الله اي هو مستبب
الاشياء ومن جملتها هذا الرزق الذي لا ظاهر له فلم يبق
بذلك ادعى مثل ملك كان يأتيها بذلك من عند ربها قاله
ابن اسحاق وفي رواية انها قالت له خفت قولها المتقدم بدهور
رزق سعيد في بلد الله تعالى ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب فحط ابن آدم من كلام مريم عليها الصلاة والسلام هنا لك
اسم الشأن لامكان البعد وقيل وقد يستعمل للزمان
ولما كان المحراب مكانا عظيما ذكر كرامة دعا الله ذكريا فيه
ان يهب له الذرية طيبة ولما كان دعاؤه على الصلاة
والسلام على سبيل الاستعجاب فيه نكرة وعقارا من فعلان
وجوده كالوجود وخبر ذلك اني هنا محذوفة تقديره مستقر
وجعل بعضهم من لدنك اي من جهتك لمحض قدرتك من غير
توسط سبب وجعل تعالى تقول انك سميع الدعاء اي مجيبه
كما حكمت مريم عليها الصلاة والسلام دعاها في قولها فتقبل
مني انك انت السميع العليم وطيب الذرية كونها صالحة كاملة
العبادة اهلا لمحل كما جاءت مريم عليها الصلاة والسلام كذلك
فادته الملائكة ظاهر الفاء الترتيب الفعلي سمعه الا ما تكلم
به الملائكة وحده من غير اسناد الى الله تعالى لانه بالسمة
كالة التاسية لقد العبادة العظيمة وهي الصلاة في
المكان المخصوص بالعبادة فيحتمل ان ولادته بحق سكن الله
ويحتمل ان الظاهر انه اسم اعجمي لانه ليس من لسانهم وقرئ
فناداه وفنادته وقرئ ان الله يكسر الهمزة على تقدير القول محذوف

في مذهب هذا البصري وهي لجرأة الندماء محرك القول في مذهب
الكوفيين وفتحها على تقدير الباء اي بان الله وقرئ بشرك
مضارع فسر ممدود الآخر وبشر مضارع ابشر بالهمزة
بكلمة عيسى عليه الصلاة والسلام واطلق عليه كلمة لانه
ما نشئ عن كلمة كن فكان اي لكلمة المستعارة لسرعة التكوين
وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام في جميع القرآن وسند ا
السند المطاع الفائق اقرانه والحصور الذي لا يأتي النساء
مع القدرة عليهن وترتب هذه الاوصاف احسن ترتيب
فذكر التصديق اولا وهو الايمان وكونه فائقا الناس في الخصلة
المحمدة ثم الحصر عن النساء الذي من ملاذ الرجال ثم النبوة التي
هي اشرف الاوصاف وقد تقدم الكلام في الفلاح ما لون وزنه
الثمرة في قوله لمن الصالحين وصفات يحيى هذه مقابلة
لصفات مريم كما ان التصديق والاسلام كان سيرتها
اسرائيل وكانت سيدة نساء العالمين وكان لا يأتي النساء
وكانت هي عذراء بكرا وقيل انها حاضت ثلثين لقوله تعالى
فارسلنا اليها روحنا وحاشا رب ان يكون لجبريل مقدم
ان الملائكة بشرته بيحيى فسأل عن كيفية ولادته ليكون وله
مع ذلك في سن من لم تولد له عمر ام ذلك على رجوعنا الى
السببية فاخبر سبحانه وتعالى انه يولد له على سنتها
من الكبر حتى قيل ان عمر كان مائة وعشرين سنة وعمرها
ثمانية وتسعين سنة وقال ابن عباس رضي الله عنه
استفهام من حيث العادة كما قالت مريم عليها الصلاة
والسلام انى يكون لي غلام ولكن استعظام لما سأله بقوله
هب لي من لدنك ذرية طيبة لانه لما كان الامكان مكنا لسببا
الاسباء عليهم الصلاة والسلام لان خرق العادة في حقهم
كثير الوقوع وقد يجيء لكن وانى يتعاقبان حالتان
اتم بكونهما بدليل الكبر ما يتجدد والعقر لا يتجدد
ولو قدر تأثيره فيه وهو على الحال وفي سورة مريم
عليها الصلاة والسلام قد بلغت من الكبر عتيا كذلك
الله يفعل ما يشاء اي مثل ذلك الفعل وهو تكوين الولد
من الشائخين والعاقر بفعيل للمبالغة من الاعقار
للزينة فيكون اخبارا عن الله عز وجل انه يفعل ما يشاء
الى تعلقت به مشيته فعلا مثل ذلك الفعل لا يعجزه
شيء بل سبب ايجاده ما تعلق الارادة سواء كان من الافعال

مصدقا

ده

الثمنية

الجارية على العادة امر منها للاخرى على العادة فتكون الكاف
في موضع نصب والعامل فيها يفعلك وقيل كذلك اسم مبتدا
وخبر فتكون في موضع رفع وعلى حذف ان كذلك صنع
الله او فعله ويفعل ما يشاء جملة مفسرة للابهام الذي
في اسم الاشارة قال رب اجعل لي اية سؤال عن الجهة التي
بها يكون الولد وتمام البيان فلما قيل له كذلك الله
يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي اية وفي ذلك سؤال
عن الجهة التي بها يكون الولد وتمام البيان قال اية
ان لا تكلم الناس الظاهر انه سال اية وقد دل على انه يولد
له فلما قيل له كذلك الله يفعل ما يشاء سال علامة على
وقت الحمل ليعرف متى تكون الصحبة ويجتنبها على ما
والام قال اية ان لا تكلم الناس الظاهر انه سال اية تدل
على انه يولد له فاجابه بانه اية امتناعه من الناس
ثلثة ايام الا رمزا او اخفاء الكلام عنهم مع الناس
او ممكن وهو ان شريعتهم كانت تقتضي الصوم الذي هو
الصمت فجعل عقوبة
الصمت عرض في الجارحة والعبادة قالوا مع قدرته
على الكلام مذكرا ربه عز وجل قال ابن عباس رضي الله عنهما عشيا وابكارا
قال واذكر ربك كثيرا الى اخر ما ذكر له من الدليل انه
يعني ايام يمتنع عن تكلم الناس وهي من الايات الباهرة
امتناع ولا تمتنع قال له كما ذكرنا من احتمال ان وجوه
الامتناع واردة الا ترى ان الرمز والتسبيح ليس معتادا لو كان
الذي لا يكلم الناس فيه وعلى تقدير تعتاد ذلك ايضا
لا يمتنع ان يكون المراد بالذكر والتسبيح ما تعلق بالكلام وانتظر
ثواب ربك اتم الى الاخر وان صح الخصوص به حلالا للكل في
لا يمتنع والاعتذار بجمع وقيل الامر بالذكر الى الاخر الى نزول
قال الله تعالى لمريم في ذلك سواء والاعتذار ظاهر انه انقطع
منقطع وقيل منقطع والاشارة بالصمت الى الاعتقاد
او الحاجب الى الكل وقيل بحيث لو ارادوا ان يصلوا
عاقل وقيل من ان يصح ان او صوروا كونهم على حال
واذكر ربك كثيرا الظاهر انه مقابل لسبح وصح مفعول محذوف
اي صحة والظاهر انه اراد بالعشي الاخر النهار والابكار اوله
اذ الصبي في اول نشوه الى تعلم الاذكار وقف ابتدا
وقرئ والابكار بضمتين جمع بكر كالاسد بكرة بعد قالت
الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء
العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين فرغ

من قصة زكريا

من قصة زكريا عليه الصلاة والسلام وكان قد استطرد من قصة
مريم اليها رجع الى قصة مريم عليها الصلاة والسلام والمقصود
برئة مريم عليها الصلاة والسلام عما رمتها به اليهود لعنهم الله
تعالى وفي نداء الملائكة لها باسمها تانيس لها وتوطية لما
تلقيه اليها قال الزمخشري رضي الله عنه روي انهم كلموها شفاها
معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام او ارهاصا لنبوة
عيسى عليه الصلاة والسلام انتهى وهذا مذهب المعتزلة
لان الخارق عندهم لا يكون على يد غير نبي الا ان كان في وقت
نبي او انتظر بعث نبي فيكون ذلك الخارق مقدمة بين يدي
بعثة ذلك النبي وطهرك قال ابن عباس رضي الله عنهما اي
ومعناه طهرك من دم الحيض وقال الزمخشري اصطفاك
اولا حين تقبلك من امك وربك باك واختصك
بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال
ومما اقترفك به اليهود واصطفاك اخرا على نساء العالمين
بان وهب لك عيسى عليه الصلاة والسلام من غير اب ولم
يكن ذلك لاحد من النساء انتهى وهو كلام حسن يا مريم
اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين لما امرت بالصلاة
فذكر من اركانها القنوت وهو القيام والسجود وهو وضع
الجبين على الارض والركوع وهو انحناء الظهر وقدم
السجود على الركوع لانه اقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد والعطف بالواو لا يدل على الترتيب الزماني وقد
يكون الركوع في ملتهم متاخرا عن السجود وقال ابن عطية رضي
الله عنه هذه الاية اشد اشكالا من قولنا قام زيد وعمرو
لان قيام زيد وعمرو ليس له رتبة معلومة وهذه الاية
قد علم ان السجود بعد الركوع فكيف جاءت الواو بعكس ذلك
انتهى وهذا كلام من لم يمعن النظر في كلام سيبويه رضي
الله عنه فان سيبويه رضي الله عنه قد ذكر ان الواو تكون
معها في العطف المعية وتقديم السابق وتقديم اللاحق
يحتمل ذلك احتمالات سواء ولا يترجح احد الاحتمالات
على الاخر ومع في قوله تعالى مع الراكعين تقتضي الصحبة
والاجتماع في ايقاع الركوع مع من يركع والظاهر التجوز
في لفظة مع فتكون هنا للموافقة في الفعل فقط لانها كانت
في عبادتها تنفرد من اهلها كما قال تعالى فاتخذت من دونهم
حجابا وجاء الراكعين جمع سلامة ويعم المذكرين والمؤنثات
بالتغليب ذلك الاشارة الى اخبار الله سبحانه وتعالى ايضا

الاشارة

باصطفائه آدم عليه الصلاة والسلام وما بعد ذلك من القصص
ذلك مبتدأ ومن انباء الغيب الخبر ونوحيه اليك الضمير المنصوب
عائد على الغيب اي من شأننا ان نوحي اليك بالمغيبات ولو كان
الضمير عائدا على ذلك لكان بصيغة الماضي مثلا فكان التركيب
اوحيناه اليك لان الايحاء به قد وقع وما كنت لديهم اذ يلقون
اقلامهم • روي ان حنة لما ولدت مريم عليها الصلاة والسلام لفتها
في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء هارون
عليه الصلاة والسلام وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت
لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم
وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بنو اسرائيل
واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا عليه الصلاة والسلام
انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا
وكانوا سبعا وعشرين الى نهر قيل هو نهر الاردن وهو قول الجمهور
وقيل الى عين ماء كانت هناك فالقوا فيها اقلامهم فارتفع قلم
زكريا عليه الصلاة والسلام ورسبت اقلامهم فتكفلها زكريا
عليه الصلاة والسلام والخطاب هنا في قوله وما كنت لديهم اذ يلقون
اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون المراد به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو تقرير وتثبيت ان ما علم من ذلك انما
هو بوحي من الله عز وجل والعلم به قصتان قصة مريم وقصة زكريا
عليهما الصلاة والسلام فنبه تعالى على قصة مريم عليها الصلاة
والسلام اذ هي المقصودة بالاخبار اولا وانما جاءت قصة زكريا
عليه الصلاة والسلام على سبيل الاستطراد ولاندراج بعض قصة
زكريا في ذكر من يكفل مريم فما خلت من التنبيه على قصته ومعنى
وما كنت لديهم اي ما كنت معهم بحضرتهم اذ يلقون اقلامهم
ونفي المشاهدة وان كانت منتفية بالعلم ولم ينف القراءة
والتلقي من حفاظ الانباء على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي وقد
علموا انه ليس ممن يقرأ ولا ممن ينقل عن الحفاظ للاخبار فتعين
ان يكون علمه بذلك بوحي من الله عز وجل اليه ونظيره في قصة
موسى عليه الصلاة والسلام وما كنت بجانب الغربي وما كنت
بجانب الطور وفي قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وما كنت لديهم
اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون والضمير في لديهم عائد على غير مذكور
بل على ما دل عليه المعنى اي وما كنت لدى المتنازعين كقوله
فاثرن به نقعا اي بالمكان والعامل في اذ العامل في لديهم
وقال ابو علي الفارسي رضي الله عنه العامل في اذ كنت اي تنهى
ولا يناسب ذلك مذهبه في كان الناقصة لانه يزعم انها سلبت

الدلالة على الحدث

الدلالة على الحدث وتجردت للزمان وهاسيلم هذا فكيف يعهد فى
الظرف لان الظرف وعاء للحدث وله حدث فلا يعمل فيه والمعنى ع
تحدث فى معنى الماضى اى اذا تحقق انذارهم للاشتهار على
مريم والطائف انها كانت الاقلام التى للكتابة فكانوا يكتبون
بها التوراة فاختاروها للقرعة تبركا بها وصحة الاسهم الرمى والقطع
ولم يذكر فى الاية ما الذى القوها فيه ولا بيعته كان الالقاء
ولا كيف خرج ثم ذكر الله عليهم الصلاة والسلام مبتدا وما بعده خبره
والجملة فى موضع نصب على الحكاية بقول محذوف اى
يقولون ايهم يكفل مريم وانما كان يحذف فيه اى ينظرون
ايهم يكفل مريم ودل على المحذوف يلقون اقلامهم اذ كانت
الملائكة العامل فى قوله اذ يختصمون ويجوز ان يكون بدلا من اذ وان يكون العامل فيه
يختصمون يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ما وعبى عليه
الصلاة والسلام وتقدم القراءة بكلمة فى قصة زكريا عليه
الصلاة والسلام اسمه المسيح الضمير فى اسمه عائد
على الكلمة على معنى يبشرك بمولود هذه صفته اى
من الله ويسمى المسيح لانه مسح بالبركة او لانه كان فى المسيح
للعلة كما فى الدين والمسيح مبتدا وخبره وذكر
الضمير فى اسمه على معنى الكلمة ولم يقل على اللفظ ان
وعيسى اسم اعجمى وافق من المسيح وابن مريم صفة لعيسى
وفى كلام الزمخشرى ما يدل على ان اسمه المجموع من قوله المسيح
عيسى بن مريم والمسيح لقب يدى به لانه اشهر من تسمى
اذ لا يطلق على غيره وعيسى قد يتسمى به غيره وامتنع عيسى
من الصرف للعجمة والعلمية وانث ابنة للتانيث حملا
لمن قال ذلك قالوا صلى نساؤهم النسوع وجيها
فعل من وجد اى عظم قدره وجاهه فى الدنيا بنبوته
وفى الاخرة بعلو درجته ومن المقربين قالوا المراد فى المهد وكهلا
الله عند ومعناه المبالغة فى تقريبه لان فعل من صيغ المبالغة
تقول فلان قريب ثم تقربه اذا بالغت فى تقريبه انتهى وليس فعل
هنا من صيغ المبالغة لان التضعيف هنا للتعدية انما
يكون للمبالغة فى نحو خرجت زيدا وموقا الناس وفى المقربين
معطوف على وجيها فقدر وصفا من جملة المتقدمين
والتقريب بالمكانة والزلفى لا بالمكان ويكلم الناس فى المهد وكهلا
عطف على وجيها فى قوله ويكلم الناس بالايوحى اليه صالحا على وجهها
وتنظم صفات ويقيض اى وفاضت وجاء بالمضارع الذى

وكان فيه بعده

يقتضى التجدد

ووجيها تقديره ومقربا من جملة المقربين والتقريب بالمكانة
والشرف لا بالمكان ويكلم الناس في المهد وكهلا وعطف
ويكلم وهو حال ايضا على وجيها ونظيره قوله تعالى صافات
ويقبضن اي وقابضات وجاء بالمضارع الذي قد
يقتضي التجدد ووجيها بالاسم الذي يقتضي الثبوت وكهلا
معطوف على في المهد اي كائنا في المهد وكهلا يشير
الى ان تكلمه في المهد كتكلمه كهلا وفيه اشارة الى انه
يعيش الى ان يبلغ حد الكهولة. قالت رب انى يكون
لي ولد استفهام معناه التعجب لان وجود ولد من غير
ذكر لم يعهد وهو اغرب من قصة زكريا عليه الصلاة
والسلام ولم يمسسني بشر جملة في موضع الحال وقد فهمت
في نسبته لها ابن مريم انه لا ولد له فاستغربت ذلك ثم
تعجبت منه قال كذلك الله يخلق ما يشاء تقدم اعرابه في
قصة زكريا عليه الصلاة والسلام وهناك يفعل لانه
ممكن اذ هو بين ذكر وانثى مستبين وهنا يخلق لانه لم يعهد
مولود من غير ذكر فجاء بلفظ يخلق الدال على الاختراع
الصرف من غير مادة ذكر اذا قضى امرا تقدم الكلام عليه في
سورة البقرة فانما يقول له كن فيكون وتقدم الكلام على
نظير ذلك في سورة البقرة ويعلمه الكتاب الكتاب هنا
مصدر قال ابن عباس رضي الله عنهما الخط باليد والتوراة
هي المنزلة على عيسى موسى عليه الصلاة والسلام والانجيل
هو المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام وقرئ ونعلمه
بالنون والياء ورسولا منصوب على اضمار فعل اي ونجعله
رسولا واجاز الزمخشري وابن عطية رضي الله عنهما ان يكون
معطوفا على وجيها يعلمه فيكون حالا والتقدير ومعلما
الكتاب فهذا كله عطف بالمعنى على قوله وجيها وهو ضعيف
لطول الفصل بين المتعاطفين واجاز ابن عطية رضي الله
عنه ان يكون منصوبا على الحال من الضمير المستكن في ويكلم
فيكون معطوفا على قوله وكهلا اي ويكلم الناس طفلا وكهلا
ورسولا الى بني اسرائيل وهو بعيد جدا لطول الفصل بين
المتعاطفين وقوله وقول الزمخشري عجمة قبيحة
لا تصدر من متمكن في الفصاحة واجاز الزمخشري رضي
رضي الله عنه ان يكون منصوبا على اضمار فعل من لفظ رسول
ويكون ذلك الفعل معمولا لقول عيسى عليه الصلاة
والسلام والتقدير ويقول ارسلت رسولا الى بني اسرائيل واحتاج

تكلمه

من قوله

الى هذا

١٣٤

الى هذا كله كالتقدير المتقدم كقوله اني قد جئتكم بآية من ربكم
وقوله ومصدقا لما بين يدي اذ لا يصح في الظاهر حمله على ما قبله
من المنصوبات لاختلاف الضمائر لان ما قبله ضمير غائب
وهذان ضميرا متكلم فاحتاج الى هذا الاضمار لتصحيح المعنى
قال وهو من المضائق التي فيها اشكال وهذا الوجه ضعيف
اذ فيه اضمار شيئين الترك ومعموله الذي هو ارسلت
والاستغناء منهما باسم منصوب على الحال المؤكدة اذ قد
يفهم من قوله وارسلت انه رسولا فهي على هذا التقدير
حال مؤكدة وقرأ الزيدي رضي الله عنه ورسول بالجر
وخرجه الزمخشري رضي الله عنه على انه معطوف على بكلمة منه
منه وهي قراءة شاذة في القياس لطول البعد بين المعطوف
والمعطوف عليه وقرئ اني بفتح الهمزة معمولا لقوله ورسولا
اي وناطقا باني قد جئتكم وبكسر الهمزة اي قائلا اني قد
جئتكم بآية من ربكم وهي العلامة ثم اخذ في تفسيرها
فقال اني اخلق لكم من الطين اي اصور لكم منه كهيئة
الطير وقرئ كهيئة الطير بكسر الهاء وتشديد الياء وقد
تواطأ النقل عن المفسرين ان الطائر الذي خلقه عيسى
عليه الصلاة والسلام كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه
فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق عن
فعل الخالق والظاهر ان هذه الخوارق كلها تفسير للآية
التي جاء بها دالة على صدق رسالته وقوله من الطين تقييد
بانه لا يوجد من العدم الصرف بل ذكر المادة التي يشكل
منها صورة الطير والظاهر ان هذه الخوارق كلها تفسير
للآية التي جاء بها دالة على صدق رسالته وان ذلك ليس هو
باقتراح منهم والطير قيل هو الخفاش وهو غريب الشكل
والوصف وابرئ الاكمه والاكمه هو الذي قد ولد اعمى يقال
فيه كمه يكمه والابرص وقيل البرص هو داء معروف
وهو بياض يعتري الجلد يقال منه برص فهو ابرص واحيي
الموتى باذن الله لم يذكر المفسرون تعيين من احياه
من الموتى وقد ذكر المفسرون ناسا ممن احياهم والله اعلم
بصحة ذلك وانبئكم بما تأكلون كان عليه الصلاة
والسلام ينبئهم بتعيين ما اكلوا وتعيين ما ادخروا واتى
بهذه الخوارق الاربع مصدرة بالمضارع الدال على التجدد
والحالة الدائمة وبدأ بالخلق اذ هو اعظم في الاعجاز وثنى
بابراء الاكمه والابرص واتى ثالثا باحياء الموتى وهو خارق

قيل منهم سام ابن نوح عليه الصلاة والسلام والله اعلم

ذكر فيه غيره

وكرر باذن الله دفعا لمن يتوهم فيه الالهية وكان باذن الله عقب
وكان قوله اني اخلق وعطف عليه وارزق الاكمه والابرص ولم يذكر
باذن الله اكتفاء به في الخارق الاعظم وعقب قوله واحيي الموتى
بقوله باذن الله عطف عليه وانبئكم ولم يذكر فيه باذن الله
لان احياء الموتى اعظم من الاخبار بالغيبات فاكتفى به في
الخارق الاعظم ايضا فكل واحد من الخارقين الاخيرين قيد
بقوله باذن الله ولم يجئ لي ذلك فيما عطف عليهما اكتفاء
بالاول اذ كل هذه الخوارق لا تكون الا باذن الله عز وجل
وقوله وما تدخرون في بيوتكم الى آخره ان في ذلك لاشارة
الى ما تقدم من هذه الخوارق كلها ولآية لكم ان كنتم مؤمنين
ومصدقا انتصب على انه معطوف بقوله او على قوله جئتكم
على ان باية في موضع الحال اي مقدرا حكمي مصحوبا باية
ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم اي لاعلمكم بساير
اني لكي احل وهو معطوف على علة محذوفة اي لقد جئتكم
اني لا اخفف عنكم ولاحل او على فعل مثله اخر اي لقد جئتكم
ولاحل لكم حيث جئتكم الكم وقال الزمخشري رضي الله عنه
ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم
واحل لكم اتتهن كلاحد ولا يستقيم ان يكون ولاحل رد على
باية لان باية في موضع الحال ولاحل تعليل ولا يصح عطف
التعليل على الحال لان العطف بالحرف المشترك في الحكم يوجب
التشريك في جنس المعطوف عليه والذي قد اطلعكم لحوم الابل
والشحوم وكثيرا من السمك وكثيرا مما لا صيصية
له من الطير وقرئ حرم مبنيا للمفعول الذي لم يسم فاعله
وحرم مبنيا للفاعل وجيئكم باية من ربكم الظاهر انها
للتوكيد في قوله قد جيئكم باية من ربكم لما طال ما بينهما
احد وان كانت هنا للتاسيس فتختلف مدلول الآيتين وتكون
الثانية مخصوصة بالكتاب الذي جاء به وهو الانجيل
فاتقوا ظهور تلك الخوارق وظهور تلك الآيات او الكتاب الالهي
فلما احس لاحساس الادراك بالحاسة ولما كان كفرهم
واضحا مصرحا به جعل كانه متقرر بالابصار مشموم
وقيل احس متعديا لمفعول به وحسست مضعفا يا ابا
وقد ابدلت سين حسست الثانية تاء اذا اتصلت بها
اي اتصل بها بعض الضمائر وقد حذفت فقالوا احست وكذلك سين
احس مع بعض الضمائر يقولون احست والكفر هنا كفرهم بنبوته
وطلب قتله وذلك قال من انصاري الى الله اي انصاري مضافي

الى نصر الله
اياي

يا نصر الله اياي وكوان يوم اضطاد عيسى عليه الصلاة
وان لام قاله ابن عباس رضي الله عنه وقال مصعب رضي الله عنه
الحواريون قالوا انتي فسر حلا سيجون معه حيث يباح وحيث
سار وكان يخرج لهم جميع ما احتاجوا اليه من الارض
قال الحواريون نحن انصار الله اي نحن انصار ديني
ونبيه ثم اخبروا بما حملهم على النصرة وهو الايمان بالله
واكد ذلك بقولهم واشهد بانا مسلمون فجاز ان يكون
الضمير عائدا على عيسى وعائدا على الله عز وجل اي واشهد بانا
قد اكدوا ذلك بقولهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين • ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
الضمير عائد على الذين احس منهم الكفر وهم احبار اليهود
قتله وقتل اصحابه ومكر الله بهم انه رفعه اليه من غير
ذلك مكرا لانه كان الجزاء لهم ناشئا عن مكرهم فسمي
بمثلها كقوله سبحانه وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها
• اذ قال الله يا عيسى القول هنا واسط تعلق به الظرف عليه
الصلاة والسلام لم يكن تكلما كوعي عليه الصلاة والسلام
• اني متوفيك الظاهر ان معناه ممتك ورافعك الي
والواو هنا لا تقتضي ترتيبا اي ممتك بعد رفعك
الي وقد تقوله الى متوفيك اخبارا بانه مخلوق من
اين والنوم وسبقك او قابضك من الارض واجمعت
الامة على ان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام حي في السماء
وسينزل الى الارض في اخر الزمان كما ورد في الاحاديث والله اعلم
وقال تعالى ورافعك الي والرفع الذي من سفل الى علو
لمطهرك اي في محلصك من الذين كفروا جعلهم الله سبحانه
وتعالى بحسب الي وحسا خبيثا • وجاعل الذين اتبعوك
اي اتبعوا دينك وما جئت به عن الله من الكتب والشرع محمد
صلى الله عليه وسلم والمراد اتباعه في التوحيد الى
يوم القيامة اي بان جعل الله كلمة الايمان وهي التوحيد هي العليا
وكلمة الكفر وهي الاشراك هي السفلى الى يوم القيامة وسيرد هم الله
فيثيب المؤمنين ويعذب الكافرين ولا مرتبة يحتقنون بها فوق
ثم مفرقون في اقطار الارض تحت قهر المسلمين وتحت قهر النصارى
وتحت قهر المجوس • ثم الي مرجعكم هذا اخبار بالحشر والبعث والجزاء
ثم الي حكمي وهذا من الالتفات لانه سبق ذكر مكذبيه وهم
اليهود وذكر من امن به وهم الحواريون واعقب ذلك بقوله

بوساطة

فتيك

اي هو

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة
فذكر متبعيه والكافرين فلو جاء على نمط هذا السابق
لكان التركيب ثم الى مرجعهم ولكنه التفت على سبيل الخطاب
للجميع ليكون الاخبار ابلغ في التهديد واشد زجرا لمن
يزجر ثم ذكر لفظة الى ولفظة فاحكم بضمير المتكلم
ليعلم ان الحاكم هناك من لا يخفى عليه خافية وذكر انه
يحكم فيما اختلفوا فيه من امر الانبياء واتباع شرايعهم واتى
بالحكم هنا مبهما ثم فصل المحكوم بينهم الى كافر ومؤمن وذكر
جزاء كل واحد منهم فاما الذين كفروا بدا في التفصيل بالكفار
لان ما قبله من ذكر حكمه تعالى بينهم هو على سبيل التهديد
والوعيد للكفار والاخبار بجزائهم فناسب البداءة بهم
ولانهم اقرب في الذكر بقوله فوق الذين كفروا الى يوم القيامة
ولكون الكلام مع اليهود الذين كفروا بعيسى وراموا قتله
ثم اتى ثانيا بذكر المؤمنين وعلق هناك العذاب على مجرد
الكفر وهنا علق توفية الاجر على الايمان وعمل الصالحات
تنبيها على درجة الكمال في الايمان ودعاء اليها فاما الذين
كفروا فاعذبهم اسند الفعل الى ضمير المتكلم وحده وذلك
ليطابق قوله فاحكم بينهم وفي هذه الاية قال فنوفيهم بالياء على
قراءة حفص رضي الله عنه وكذا قراءة رويس رحمه الله تعالى
وذلك على سبيل الالتفات والخروج من ضمير المتكلم الى ضمير
الغيبة للتنوع في الفصاحة وقرئ الجمهور فنوفيهم
بالنون الدالة على المتكلم المعظم شانه ولم يات بالهمزة
كما في تلك الاية ليخالف في الاخبار بين النسبة
الاسنادية فيما يفعله بالكافر وفيما يفعله بالمؤمن كما خالف
في الفعل ولان المؤمن العامل للصالحات عظيم عند الله
سبحانه وتعالى فناسب الاخبار الاخبار عن المحارس بنون
العظمة ذلك اشارة الى ما تقدم من خبر عيسى عليه الصلاة
والسلام وخبر زكريا عليه الصلاة والسلام وكذا اخبار غيرهما
وقوله نتلوه نسرده ونذكره شيئا بعد شيء واضاف التلاوة
الى نفسه وان كان الملك هو التالي تشريفا له وجعل تلاوة
المامور تلاوة الامر وفي نتلوه التفات لان قوله قبله
ضمير غائب في قوله لا يحب ونتلوه معناه تلوناه كقوله
واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي ما تلته الشياطين ويجوز
ان يراد به ظاهره من الحال لان قصة عيسى عليه الصلاة
والسلام لم يفرغ منها ويكون ذلك بمعنى هذا قال الزمخشري

التكلم

رضي الله عنه

ل من احدعنه يكون ان يكون ذلك من ذلك متلوا عليك بمعنى
الذي وتتلوه صلته ومن الايات الحزانات فهذه زعمه
كونه قد لم يجزه في اسماء الآلات انه اسم وموصولة
وله يكون ذلك عند البصريين الا في ضرورة او حذفها او استعمالها
في الاستعمالة الاقصاق او مرادا استعمالها باحد الوجوه قد
قال نقول ان تحذف ضمير صلته ان جاء قليلا وقد
يتعسف وقد يمنع من ذلك وتقدير في النحو والايات
هنا الظاهر انها ايات القرآن ويحتمل ان يراد بها
الحجزات والمعجزات اي ما يتم بعده الكتب من قبلنا
فيسئلونا وانت امي لا تقرأ ولا تصحب اهل
الكتاب فمن اين لك نبوتك قال ابن عطية رضي الله عنه والجمهور
الحكيم اري الحاكم او المحكم اي بصيغة المبالغة فيه
ووصف بصفة من وهو سبحانه وتعالى او كلامه
ينطق بالحكمة لكثرة حكمه او مثل عيسى قال ابن عباس
ثم جادلك وقد تحدان النبي صلى الله عليه وسلم ان يصير
غيثي وقالوا قد بلغنا انك تشتم صاحبنا وتقول هو
عبد فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يضرني لكن عيسى
اهل هو عبد الله وكلمة القاها الى مريم وروح منه فقالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل رأيت بشرا قط حاضرا من فرحك
او سمعت به فحزنوا فنزلت تلك الآية وهي قوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله والمثل ههنا بمعنى الصفة اي صفة
عيسى عليه الصلاة والسلام التي ولادته من ادم على خلاف المعهود
مثل صفة ادم عليه الصلاة والسلام التي في الغرابة والاستبعاد
من غير اب ولا امر ذكر ملزم من التشبيه ما شئت ان يكون من
جميع وجوهه وقد انكر بعضهم ان يكون المثل بمعنى
الصفة وتقدم نوع من هذا التركيب والكلام عليه في قوله
مثل الذي استوقد نارا فارجع عن اعادته وتحقيق
عند الله عند من علم حقيقة الامر كيف هو خلقه من تراب
ذكر اصل فنائه اي صوره شكلا من تراب ثم قال له كن اي
فيكون اي فكان بشرا سويا ذا روح وعقل وكان مثله سويا وهذه
كناية عن سرعة الايجاد من قبل قابلية المسمى لما اراده الله
فعله الوجود المأمور المقابل للامتثال للامر والجملة
من قوله خلقه تفسير لمثل ادم فلا موضع لها من الاعراب
وقد اجيز ان يكون خبرا لآدم قدم بعضهم فمن حاجك
فيه اي في امر عيسى عليه الصلاة والسلام

مر م

كمثل ادم

فيكون اي م

الحق من ربك فلا
تكن من الممترين

لانه المحذوف عنه اولا في قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون والمباهلة مفاعلة وهي من اثنين
وقعت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين وفد نجران من بعد
ما جادلك من العلم وهو اخبارة عليه الصلاة والسلام بولادة
عيسى عليه الصلاة والسلام من غير اب وقصته الى ان ذكر رفع الله
تعالى له الى السماء فقل تعالوا اقرئ بفتح اللام وهو لغة قيل
وبضمها شاذا وفوخفه انه كان اصله تعاليوا فنقلت
الضمة الى اللام وحذفت منه الياء لالتقاء الساكنين حذف
اى يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة
وفي صحيح مسلم رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية دعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاطمة ابنته رضي الله تعالى عنها ودعى الحسن
والحسين فقال اللهم هؤلاء اهلي ثم سهل اذ نتضرع الى الله
بالدعاء قال ابن عباس رضي الله عنهما نجعل لعنة الله على
الكاذبين اى نقول كل منا لعن الله الكاذب منا في امر
عيسى عليه الصلاة والسلام وقد طوى المفسرون في قصة
المباهلة وضمنها انه لما دعاهم الى المباهلة وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وعلي وفاطمة اليا المتعادانهم
كفوا عن ذلك ومعلوم ان ما ذكرت في ذكر عيسى هم النصارى
وصور نظر قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين ومعلوم ان الذي على الهدى هو محمد صلى الله عليه وسلم
وان الذين في ضلال مبين هم الكفار المخاطبون بقوله او اياكم
وابرز ذلك في ابراز الاحتمال كما قال الشاعر انا او اياكم وان سالم
وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب
وربما قدام الرجل ينتضل ويحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا
يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب ليمنعهم من الهرب
ويحمون المدافع عنهم بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر
على الانفس لينبه على لطف وكانهم قربانهم اى قربة لتقربهم وتزلفهم
اى ليعلم بانهم سيقدمون على الانفس فكيف بغيرها وفيه دليل لاستي
اقوى منه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا النوع القصص
الحق الا بتلقين الله هذا اليا قصة عيسى عليه الصلاة والسلام وكونه مخلوقا
من غير اب اليسار ما قص الله تعالى في امره فليس بالهة ولا ابن
اليه قل هو تقدس عن ذلك وتعال ان يكون له ولد عند
انجيلنا عنه وكذلك جاء بالقرآن وما من اله الا الله فحصر الالهية
له تعالى وان الله لهو العزيز الحكيم استئناف ليا وصفه بالوهية وهما
القدرة الناشية عن الغلبة ولا يمتنع عليه شيء والعلم المحيط عنه

بالحكمة

صح رضي الله تعالى عنهما ٢

امرهم

بالحكمة فيما صنع والاتقان لما اخترع ولا يخفى عليه شيء وهما نان
الصفتان منتفيتان عن عيسى عليه الصلاة والسلام وان تولوا
يجوز ان يكون مضارع اخرجت فيه التاء احدى تولوا ويجوز
ان يكون ماضيا وتوليهم عن اجابته في امر عيسى عليه الصلاة
والسلام دل على صحة نبوتك وصفي علمه تعالى اطلاعه على احوالهم
فيجازيهم على تولهم وبالمنسدين حاد باسم الفاعل اذا ال
على الثبوت وحار جمعا لنعتهم وغيرهم من اهل الفساد
قل يا اهل الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت في
الفتية نجران وهبار نعث لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى حبر وامحابه باسلامه فزاها جعفر والصحابة حالس واشرا
اهل الحبشة وقيل نزلت في وفد الحبشة وقيل في وفد نجران والخطاب عام فيهم
وفي غيرهم تعالوا الى كلمة سواء صفة لكلمة وهو مصدر وصف
به اي مستوية بيننا وبينكم وقد ادغم الاصمعي فوصل سواء بالنصب وخرج على انه منصوب على المصدر به
بفعل محذوف وفسر بمعنى استووا ويجوز انتصابه
على الحال من الكلمة واذا لم توصف نفر عادتك ستبوء رمز
الله بينه ان لا نعبد الا الله في موضع جر على البدل من كلمة
ولا نشرك به شيئا توكيد للجملة التي قبلها لان من افراد الصمد
لله بجلاله وتعالى وحصرها فيه لا نشرك به شيئا وان نقف شيئا
على انه مفعول به او مصدر ولا نجعل بعضنا بعضا ارباب
من دون الله فنعتقد فيهم الالهية ونحتهم على ذلك فان
تولوا عن عيسى عليه الصلاة والسلام فان تولوا عن اقرار بالكلمة
فقولوا اشهدوا بأنا على اما نحن عليه مسلمون لكم منقادون لها
وهذه الآية في الكتاب الذي وجه رسول الله صلى الله عليه
مع دحية الى عظيم نصارى قد قدمنا في هرقل قل يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابراهيم ادعت اليهود لهم ان الله تعالى
ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان يهوديا والنصارى
ادعت انه كان نصرانيا فجاء حاجا في ذلك وما في قوله لم
تحاجون فيما لكم به علم انكار عليهم دعواهم وبين ان اليهودية
والنصرانية حدثتا بعد نزول التوراة والانجيل وما بينه وبين
عليهما الا قليل وما انزلا الا بعده افلا تعقلون ان هذا
وهذا الزام واضح اي لا تعقلون قبح عدم عقلكم اذ تفعلوا
شيئا منكرا مما لمن كان منكم اهلا ان يحاج فيما تعلمون
ادى في هذا الى ما ادعيتموه في قصة عيسى عليه الصلاة والسلام اذ كابروا
فيما شاهدوه وان كانوا قد تسوموا في ما لا يليق به مما لا يكون له

اي من ادعاء الالهية فيه

كما ادعت النصارى او قريبا او باطلا كادعاء اليهود فيه فيما يليكم
علمه بما دعوا هم في ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله يعلم ان يعلم
دين ابراهيم الذي حاججتم فيه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
اعلم سبحانه وتعالى ببراءة ابراهيم عليه الصلاة والسلام من
هذه الاديان كلها وقد اراد بما ابتدعه اليهود بيان ان شريعة اليهود
اقدم من شريعة النصارى وكرر لا ان تحذف التي عن كل واحد من هذين
الاسمين ثم استدرك ما كان عليه نبوته ولكن كان حنيفا
مسلما وقعت لكن هنا احسن موقعها اذ هي واقعة بين هذين
الاسمين بالنسبة لما اعتقدا والحق والباطل ولما كان الكلام
مع اليهود والنصارى كان الاستدراك بعد ذكر الاستدراك عن
شريعتهما ثم نفى على سبيل التكميل للتبري من سائر الاديان كونه
من المشركين وهم عدة الاصنام كالعرب الذين كانوا يدعون
انهم على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكالمجوس عبدة النار
وكالصابئة عبدة الكواكب ولم ينص على تفضيلهم لان الاشراك
يجمعهم ان اولى الناس بي لابن عباس رضي الله عنهما قالت رؤساء
اليهود يا محمد قد علمت انا اولى الناس بدين ابراهيم منك ومن
غيرك وانك كان يهوديا ومالك الا الحسد فنزل ان اولى الناس بابراهيم
بابراهيم لا الذين اتبعوه وهذا نص قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم
ان اختصهم به واقربهم منه منى الولاء وهو القرب والاولى
افعل بمعنى فاعل والمفضل عليه محذوف وتقديره منكم اذ قل
الكتاب لك الذين اتبعوه اي اتبعوا شريعته في زمانه وفي زمان
الفترة والفترات بعده وهذا النبي يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم
وخصها بالذكر دون سائر من اتبعه لتخصيصه بالشرف وكذا
تخصيصه عليه الصلاة والسلام بالفضيلة وكقوله عز وجل وجبريل
وميكال من كان عدوا لله وملائكته ورسله ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
وهذا النبي عطف على الضمير المنصوب في اتبعوه اي اتبعوا ابراهيم
وهذا النبي وقوله والذين امنوا هذا النبي خاصة عطفا على ابراهيم وان طائفة
اجمع المفسرون على انها نزلت في يهود بني النضير وقريظة
وقتيقاع قال لهم معاذ وعمار وحذيفة اتقوا الله وتوبوا فقد عرفتم
دين محمد فرغبت وذكرتم نعته وصفته لنا قبل مبعثه فقالوا ما
الى كفرهم وما يضلون الا انفسهم اي بمحمد بن محمد صلى الله عليه
وسلم وما يشعرون من العقاب في ذمهم حيث فقدوا المنفعة
بحواسهم فيما يعلم الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما قالت رؤساء
اليهود يا محمد قد علمت انا اولى الناس بدين ابراهيم فكان ومن
امره كان يهوديا وما بك الا الحسد فنزل ان اولى الناس بابراهيم
بابراهيم لا الذين اتبعوه وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين
امنوا اي الآيات التي في التوراة من نعت الاحبار وتحريف
الكلم عن مواضعه في التوراة من بخل وكتمهم ما امن وصف النبي

صلى الله عليه وسلم

وانتم لا تعلمون

قل

مكتوبا

صلى الله عليه وسلم والايمان به كما بين بقوله يجدونه عندهم في التوراة
لم تلبسون تقدم الكلام عن النهي عن لبسهم وكتمهم في سورة البقرة
وهنا الانكار عليهم في قوله لم وفي البحر اجاز الزجاج والفرا
في وتكتمون من قوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون
الحق وانتم تعلمون بنصب الحق هنا فيسقط النون من حيث العربية
وانكر ذلك ابو علي رضي الله عنه وقال الاستفهام وقع على اللبس
فحسب واما تكتمون فخبر حتم لا يجوز فيه الا الرفع يعني انه ليس
معطوفا على قوله تلبسون بل هو استيناف خبر عنهم انهم يكتمون الحق مع
علمهم انه حق قال ابن عطية قال ابو علي رضي الله عنهما الصرف
ههنا يقبح وكذلك اضمار ان لان تكتمون معطوف على موجب
مقرر وليس بمستفهم عنه وانما استفهم عن السبب في اللبس
واللبس موجب فليست الاية بمنزلة قولهم لا تاكل السمك
ولا تشرب اللبن وبمنزلة قولك اتقوم واقوم والعطف
على الموجب المقرر قبيح متى نصب الا في ضرورة شعر كما روي
والحق بالحجاز فاستريحا وقد قال سيبويه رضي الله عنه في قولك
اسرت حتى تدخلها لا يجوز الا النصب في تدخلها لان السير
مستفهم عنه غير موجب واذا قلنا ايهم سار حتى يدخلها رفعت
لان السير موجب والاستفهام انما وقع عن غيره انتهى ما
قد نقله ابن عطية رضي الله عنه ان تكتمون معطوف على موجب
مقرر وليس بمستفهم عنه فيدل العطف على اشتراكهما
في الاستفهام عن سبب اللبس وسبب الكتم الموجبين لهما
وفرق بين هذا المعنى وبين ان يكون وتكتمون اخبارا
محضا لم يشترك مع اللبس في السؤال عن السبب وهذا
الذي ذكره ابو علي رضي الله عنه من ان الاستفهام اذا تضمن
وقوع الفعل لا ينتصب الفعل باضمار ان في جوابه تبعه في
ذلك ابن مالك رضي الله عنه في التسهيل حين عد ما يضمر
انه يكون لزوما في الجواب فقال او كاستفهام لا يتضمن
وقوع الفعل وان تضمن وقوع الفعل لم يجز النصب عنده
نحو لم ضربت زيدا فيجازيك لان النصب قد وقع ولم نر احدا
من اصحابنا يشترط هذا الشرط الذي ذكره ابو علي وتبعه فيه
ابن مالك في الاستفهام بل اذا تعذر سبك مصدر مما قبله
اما لكونه ليس ثم فعل ولا ما في معناه ينسبك منه
واما لاستحالة سبك مصدر مراد استقباله مما يدل عليه
المعنى فان اقال لم ضربت زيدا فاضربك اي ليكن منك تعريف
بضرب زيد فضرب منا وما رد به ابو علي على ابي اسحاق فليس

بمنجه

لان قوله لم تلبسون لبس رضا على ان المضارع اريد به الماضي
حقيقة او قد يذكر المستقبل لتحقق ضرورة المتكلم منه لاسيما
على التخلص الذي تقدم منه وجوب امتثاله ولو فرضا انه ماض من
حقيقة ولا رد فيه على ابي اسحاق رضي الله عنه لانه كان وزنا
قبل اوانه اذ لم يمكن سبك مصدر مستقبل من الجملة سكناه
من لازم الجملة وقد حكى ابو الحسن ابن كيسان رضي الله عنه وهو
نصب الفعل في جواب الاستفهام حيث الفعل المستقبل
عنه محقق الوقوع نحو اين ذهب زيد فسعيه وكذلك
في نحو كم مال لك فاعرفه وعن ابوك فكرمه لكنه يخرج
على ما سبق وكنت من ان التقدير لكي يمكن منك اعلام بذهاب
زيد فاتباع ما وليكن منك اعلام قدر ما لك فمعرفة
مشاة ولكن منك اعلام بمالك قال ما نصه انتهى وقرأ ابن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لم تلبسوا وتكتموا بحذف
النون في الموضعين قالوا وذلك جزم لان وجه الكلام سوى ما وقعت
البه شذوذ من النحاة في الحاق لم فلم في عمل الجزم قال
السجاوندي وقد يجيء رضي الله عنه ولا وجه له الا ان لم يره
يجزم الفعل عند قوم كلمة انتهى وثابت في لسان العرب
ان لم لا يجزم ما بعدها ولم ان احدا من النحويين ذكر ان
لم تختص مجزوم لم في الجزم الا ما ذكره ابن السيد هنا
وانما هذا عندي من باب حذف النون حالة الرفع وقد
كان ذلك في النثر قليلا جدا وورد في قراءة ابي عمرو من
بعض طرقه قالوا سحران تظاهرا شددت الظاء اي
انما سحران تتظاهران فادغم التاء في الظاء وحذف
النون وانشد ابن الاعرابي في الجزم بلم قول الراجز ابيت اسري وتبيتي تدلكي
وجهك بالعنبر والمسك الذكي وقال الاخر
فان لك قوما سرهم ما صنعتم مستطيلوها فجاءوا بالهدى
وانتم تعلمون جملة حالية نعي عليهم التلبس مع علمهم بما
يترتب على ذلك من عقاب الله سبحانه وتعالى ايلام وقالت
طائفة من اهل الكتاب امنوا الذي قال احسن واستدي
رضي الله عنهما اول النهار وآخره اتبعوا دين محمد اول النهار وارتدوا
عنه آخره لعلهم يرجعون عن دينهم وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار وارتدوا
دون الاعتداد بما قتلت في اكفروا به في آخر النهار وقولوا انا
نظرنا في كتابهم وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس كذلك
فظهر لنا كذبه وبطلان دينه واذا فعلتم ذلك شك اصحابه
في دينهم وقالوا انهم اهل الكتاب وهم اعلم منا فيرجعون عن دينهم

لدينكم

الى دينكم فنزلت وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما صلوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم صلاة الصبح ثم رجعوا آخرها وصلوا صلاتهم تكلم اليهود بين
انه بقيت لهم صلاة بعد ان كانوا يسجدون فنزلت
تلك امانيهم وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا الذي انزل
الاسلام بالنهار بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار
واكفروا آخره لعلهم يرجعون اي لعل
الذين آمنوا يرجعون عن دينهم اذا رأوا ذا مضلين بين في دينهم
بعنادك لك ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله طائفة
ان لا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله طائفة
امن اسلم خوف تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول
هذا وبعدي اسحر ان وقيل هو متصل من الذي
وان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الكتاب والحكمة
اي ان هدى امة واحد منكم مثل ما اوتيتم من العلم
والحظ في الدنيا وتم لكفار ويكون ان بمعنى جحود مصدوقا
باضمار اي بقدر في بمعنى حتى اي حتى يحاجوكم عند ربكم
فيغلبوكم وقد حصل احتجاج عند الله تعالى ولا يكون ان بمعنى جحود
مقطوعا على ان يؤتى وعلى ان يكون هدى الله خبرا ان يكون المعنى
بمخافة ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
ويكون الجملة من قوله قل ان الهدى هدى الله اعتراضا بين
الجملة والمعلل وقرأ ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام
الذي معناه الانكار عليهم والتقرير والتوبيخ فاوسطت
من حيث المعنى فتمم ذلك وعلموا ويكون او يحاجوكم
مقطوعا على ان يؤتى وان للشرط قال ابن عطية رضي الله عنه
ويحتمل ان يكون قوله ان يؤتى بدلا من قوله هدى الله
ويكون المعنى قل ان الهدى هدى الله وهو ان يؤتى احد
كالذي جاءنا نحن ويكون قوله او يحاجوكم بمعنى او فيحاجوكم
كانه تخليص منهم انتهى هذا القول وفيه الحذف بلام الامر
وهي محذوفة ولا يجوز ذلك على مذهب البصريين الا في ضرورة
الشعر وقال ابن بحر رضي الله عنه ويجوز ان ينتصب ان يؤتى
بفعل يضمر بدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل
قل ان الهدى هدى الله ولا تشكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
لان قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا
انتهى كلامه وهو بعيد لان فيه حذف حرف النفي ومعموله ولم يحفظ
ذلك من لسانهم وكون ان تأتي بمعنى لا قول مرغوب عنه قال
قال ابن الفضل بيد الله وهذه كناية عن قدرة التصرف والتمكن فيها

والباري سبحانه وتعالى منزه عن الجارحة ومن اهل الكتاب من ان
تأمنه الآية ظاهره ان اهل الكتاب منهم امين ومنهم خائن قال
ابن عباس رضي الله عنهما من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله ابن سلام
رضي الله عنه استودعه رجل من قريش الفا وما بقي اوقية من الذهب
فادى ذلك اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار وهو فنحاص ابن
عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه انتهى
ولا ينحصر الشرط في هذين المعنيين بل كل منهما فرد ممن يندرج
تحت من اذ لا ترى كيف جمع في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا ليس علينا
في الاميين سبيل وفي قصة السموأل ابن عاديا اليهودي ووديعة
امرئ القيس عنده وطلب الحارث بن شمر الغساني ذلك منه دليل
على الوفاء ان امر منه وان كان يهوديا حتى ضرب به المثل فقيل
اوفى من السموأل والخطاب في تأمنه ظاهره انه
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبقنطار كناية عن المال الكثير
وبدينار كناية عن المال القليل وقرأ ابي تيمنه في الحرفين
بتاء مكسورة وياء ساكنة قال ابن عطية رضي الله عنه وما اراها
الا لغة قرشية وهي كسر النون التي للجماعة كنستعين والف المتكلم
كقول ابن عمر لا اخاله وتاء المخاطب كهذه الآية ولا يكسرون
الياء في الغائب انتهى ولم يبين ما تكسر فيه حروف المضارعة فقانون
كلي وما ظنه من انها لغة قرشية فليس كما ظن وقد بينا ذلك
في نستعين في كتابنا المسمى بالبحر المحيط وقرئ يؤده بالواو وبلا همزة
في الموضعين وبالهمزة فيهما ووصل الهاء بياء وباختلاس الحركة
وسكون الهاء وقائما ظاهره القيام وكنى به عن قيام الانسان
على اشغاله واجتهاده والجزم فيها بان لا يضيع فكانه قائم
على راس المؤتمن على الدينار ذلك بانهم قالوا الآية روي ان بني
اسرائيل كانوا يعتقدون استحلال اموال العرب لكونهم كانوا اهل
اوثان فلما جاء الاسلام واسلم من اسلم من العرب بقي اليهود فيهم
على ذلك المعتقد فنزلت وذلك اشارة الى عدم اداء ما ائتمن عليه
والخيانة فيه في الاميين اي في اخذ اموال الاميين وخيانتهم
سبيل اي اعتراض ويقولون على الله الكذب اي القول الكذب
يفترونه على الله بادعائهم ان ذلك في كتابهم قال السدي وابن جريج
وغيرهما ادعت طائفة من اهل الكتاب ان في التوراة احلال الله
لهم اموال الاميين كذبا منهم وهي عالمة بكذبها فيكون الكذب
المقول هنا هو هذا الكذب المخصوص في هذا الفصل والظاهر انه
اعم من هذا فيندرج هكذا فيه اي هم يكذبون على الله سبحانه وتعالى
في غير ما شيء وهم علماء بموضع الصدق بلا جواب لقولهم ليس علينا في

باللام

الاميين سبيل

والمعنى ملأ علمهم في الامتين سبيل فان اقتضت المتقين جواب
من اوفى فيحتمل ان يكون المتقين عاما فيندرج فيه من اوفى
او كني بالمتقين عن من اوفى فكأنه قال بحبهم وبنبه على الصفة
التي بحبهم لاجلها وهي التي تقدمت والمراد بها التقوى الجامعة
لخصال الخير في العهد ان الذين يشترون بعهد الله ايمانهم في اليهود بعهد
الله اضاف المصدر الى الفاعل اي بعهد الله اياهم وهو ما اخذ
عليهم من الايمان برسوله صلى الله عليه وسلم او مضافا الى المفعول
اي بعهدهم وقدم تقرير شبيه بهذه الاية في سورة البقرة
وان منهم اي من اهل الكتاب لفريقا يلوون السنتهم اي
يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف قاله الزمخشري رضي
الله عنه وعن ابن عباس انها نزلت في جماعة من اليهود الذين قدموا على كعب
ابن الاشرف حين قدم المدينة وكتبوا كتابا من عند انفسهم بدلوا
فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذف قريظة ما قد
كانوا كتبوه مخلوطا بالكتاب الذي عندهم وقال ابن عطية
رضي الله عنه محرفون ويتحملون تبديل المعاني مرجعه
الى بناء الالفاظ وصنعتها وتشعب انتاجاتها فيها ومثال
ذلك خولهم راعنا واسمع غير مسمع ونحو ذلك وليس هو المراد
به التبديل المحض الذي يظهر ان اللي وقع بالفاظ
الكتاب لانها مختلفة وحدها كان عسر يتحفظ الناس من كل
التحريف والتبديل وقع في الالفاظ والمعاني معا للالفاظ
ومن طالع التوراة علم يقينا ان التبديل في الالفاظ والمعاني
لانها تضمنت اشياء يحتم العاقل انها ليست من عند الله
عز وجل ولان ذلك تتبع في كتاب الله من كثرة التناقض
في الاخبار والاعداد وتسمية اشياء الى اخر وجه من الاوجه
والمصارعة وغير ذلك وتسمية اشياء لم الانبياء ما لكذب
والسكر من الخمر وان ما بينا نحن وغير ذلك من القبائح التي تنزه
العاقل نفسه عن ان يتصف شيء منها فضلا عن منصب
النبوة وقد صنف الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن علي
ابن محمد ابن الشيخ خطاب الماجي كتابا في السؤالات عن
الفاظ التوراة ومن طالع هذا الكتاب راى فيه عجائب
وغرائب وحزم بالتبديل في الفاظ التوراة ومعانيها هذا
مع خلوها من ذكر الاخرة فالنعت والحكم والنشر والعذاب
والنعيم الاخروي لا يعرفون ولا لمحمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان هذا من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف

وينهاهم عن المنكر

قال ابن عطية وفي الآية نظر وكمال ان يكون قوله او ولي من
من قوله هدى الله ويكون الخ قال ان الهدى هدى الله وقوله
تولى احد كما هدى جانا نحن ويكون قوله او نحاجوكم بعني اولياء
كانهم تعلموكم انتهى هذا القول وفيه الجزم بلام الامر وهي محذوفة
ولا يكون ذلك عند هب البصريين الا في الضرورة وقال
الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر
هذا قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى
كل الهدى هو ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم انتهى
يحتاج ذلك من تمامهم وكون ان نافية بعيد لا دليل فيه حذف حرف النفي ومعموله وكم
عند قال ان المعنى ان الهدى هدى الله توفيقه من شاء وهذه حكاية عن قول
الكفار بعضهم لبعض ان يؤتى احد الخ وقال ابن عباس رضي الله عنهما من ان تامنه
اليهود ومنهم خائن قال ابن عطية ظاهر ان اهل الكتاب منهم
يقنطار هو عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم خائن هو كعب بن الاشرف وغيره من قريش
الذي استودعه رجل من قريش
دينارا فجحده وخانه انتهى ولا يحصر الشرط في هذين الصنفين
ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل الآية وفي قصة
اسمعيل ان عابدا من اليهود كان استودعه امرأة القيس عند
الشام آمنه وان كان يهوديا حيث ضرب به المثل فعيل او في
من التمويل والخطاب في تامنه ظاهره انه خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ويقنطار كناية عن المال الكثير وبدينار
كناية عن المال القليل وقرأ ابي تيمنه في الحرفين بتاء مكسورة
وياء ساكنة وقال ابن عطية وما اراها الا لغة قرشية
عمت لا اجالة وتاء المخاطب كهذه الآية ولا يكسرون الياء
الغائب انتهى ولم يبين ما يكسر فيه حروف المضارعة فيقولون
في يستعفي يكتبا المستعفي بالحروف ويقرئ نؤده بالواو والهمزة
طابت الصيام وكسرها عن قيام الانسان على العادة واجتهاده
والجزم فيها ان لا يضيع فكانه قائم على كل من يؤمن على الدينار وذلك

بانهم قالوا الآية

بانهم قالوا الاموال التي اصبناها من بني اسرائيل كانوا يعتقدون ان هذه
الاموال لما كانت في ايدي اهل الكفر فانها تصير ملكا لنا بالاستيلاء
اذا ثبت هذا فنقول ان الله تعالى انما حكى عن اليهود هذا الاعتقاد
الفاسد ليذمهم عليه ويعيبهم به ثم انه تعالى بين ان هذا الاعتقاد
باطل وان الامر ليس كما اعتقدوه فقال بلى من اوفى بعهده واتقى
فان الله يحب المتقين والمعنى ان الامر ليس كما ذكروه بل من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحبه ويدخل تحت هذا الكلام كل من كان
موصوفا بالايفاء بالعهد والتقوى فيدخل فيه محمد صلى الله عليه
وسلم دخولا اوليا لانه اكمل الموفين بالعهد واكمل المتقين
واعلم ان الضمير في قوله بلى من اوفى بعهده عائد الى من
تقدم ذكره من اليهود الذين نقضوا عهد الله وميثاقه في
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي اداء الامانات
وفي ترك الظلم والغارة ثم قال ان الله يحب المتقين
والمعنى انه يحبهم على الاتقاء عن الكفر والفسوق
والعصيان وعلى الجملة فالآية دالة على ان الوفاء بالعهد
والاتقاء عن المحارم من اعظم الطاعات واجلها عند الله
تعالى ثم قال تعالى

الصدق

ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم
في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم
ولهم عذاب اليم

اعلم ان هذه الآية نزلت في اليهود وقد تقدم تفسير
مثلها في هذه السورة وسبب ذلك قولهم راعنا
واسمع غير مسمع ونحو ذلك وليس المراد منه التبديل المحض وانما
ومن طالع التوراة علم يقينا ان التبديل في الالفاظ وفي
المعاني لانها وصفت بما يجزم العاقل بانها ليست
من عند الله ولا ان ذلك وقع في كتاب الا من كثرة التباس
في الاحبار والاعداد وغيبة الباحث الى امر غير محتاج اليه
والرغبة والكسل والمصارعة وغير ذلك ونسبة البعض
الى الابتداء من الكذب والزنا والسرقة والخمر وغير ذلك من
القبائح الى غير آخره فلا نفسد عليها ان تتصف بشيء
منها فصل عن صفة التوراة وقد صنف الشيخ علاء الدين بن
علي ابن محمد بن خطاب الباجي كتابا في السؤالات عن الفاظ
التوراة ومعانيها هذا مع خلوها من ذكر الآخرة والبعث والحشر
والنشر والعذاب والانعم الاخروية والتبشير برسول الله صلى
الله عليه وسلم وامثال هذا من قوله تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم

فقر

بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل
لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث
الآية

ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقوله عز وجل
وقد ذكر رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم وصحابته ذلك
مثلهم في التوراة وقد نص القرآن العظيم على ما يقتضي اخفاءهم
لكثير من التوراة قال الله سبحانه وتعالى قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس اي
تجعلونه كتبا عندهم تبدونها وتخفون كثيرا وقال الله عز
وجل قل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب فدلت هاتين الآيتين على ان
الذي اخفوه من الكتاب كثير ودل بمفهوم الصفة
ان الذي ابدوه من الكتاب قليل وقد صنف الشيخ العالم
ابو النصر السموأل ابن يحيى ابن عباس المغربي رضي الله تعالى عنه
وكان من الذين هداهم الله تعالى الى الاسلام كتابا جليلا
في الرد على شيعته سماه افحام الكبود في الرد على اليهود وفرغ
من تصنيفه يوم عرفة المعظم قدره سنة ثمان وخمسين
وخمسمائة وامعن في الرد على اليهود وذكر مخازيهم والزمهم اتباع
شريعة الاسلام حسب ما تضمنته التوراة وبين وجود
النص في التوراة ويسرد فيه الفاظ التوراة باللسان العبراني
ثم يفسره بالعربي وكان الباجي طالع كلام هذا الرجل وقد
كتبنا كتاب هذا الرجل وكتاب الباجي بخطنا نفع الله تعالى
بذلك آمين وقرئ تلوون مضارع لوى وتلوون
مضارع لوى مشددا ويلون بضم اللام وقرئ لتحسبوه من
بالتاء خطابا للمسلمين وقرئ بياء الغيبة والضمير المنصوب
عائد على ما دل عليه ما قبله من المحرف ويحتمل ان يكون
قوله بالكتاب على حذف مضاف اي يلوون السنتهم تشبيه
الكتاب او تشبيه الكتاب فيعود الضمير على ذلك المضاف
المحذوف ويقولون هو من عند الله اي لم يكتفوا بالحسبان
حتى صرحوا ان المحرف من عند الله جراءة منهم على الله سبحانه وتعالى
ثم اخبر سبحانه وتعالى ان عادتهم وشانهم قول الكذب على
الله وهم يعلمون ما في ذلك من الذنب العظيم ما كان لبشر
الآية روي ان ابا رافع القرظي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اجتمعت الاحبار من يهود والوفد من نصارى نجران
اوذاك تريد يا محمد واليه تدعونا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم معاذ الله ما بذلك امرت ولا اليه دعوت
فنزلت تلك الآية ومعنى ما كان لبشر وما اشبه هذا التركيب
النفي للكون والمراد نفي الخبر وذلك على قسمين احدهما ان يكون

الانتفاء

ان ينتفاء ممحث السعد ويعبر عنه بالنفي الدائم كقوله تعالى
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها والمعنى ان يكون الانتفاء فيه
على سبيل الابتداء ويعبر عنه بالنفي غير الدائم كقول الصديق
رضي الله عنه ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم يصلي بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدرك القسم انما يعرف
بسياق الكلام الذي انتفى فيه وبنفي الكون هنا من القسم
الاول والبشر هنا قال ابن عباس رضي الله عنهما ابو محمد صلى الله عليه
وسلم وهذا الكتاب اي في غاية الفصاحة ذكرا ولا ذكاء
وهو حبس الكتاب المنزلة وترفيه الحكم وهو الفصل
بين الناس بالكتاب ثم لما السوة وهي ادبته العليا ثم يقول
للناس كونوا عبادا لي من دون الله اي ثم اني اي تكون
للملة تعظيما لهذا الممنوع اصلا القول واذا انتفى هذا
القول بعد الملة كان انتفاء ما دونها اولى واحرى اي
ان هذا الانتماء العظيم لا يجاء مع هذا القول وان كان بعد
ملة من هذه الاية نعام التعظيم وعبادا جمع عبد وقال ابن
عطية عبيدي وعبيد من جموع عبد اما عبيدي فهو اسم جمع
والفه للتانيث واما عبيد فقيل اسم جمع وقيل جمع تكسير
قال ابن عطية رضي الله عنه والذي يظهر عندي انها ان
عبادا ايها جمع عبدي في موضع الترفيع كقوله ترى الله تروف
بالعباد وكقوله بل عباد مكرمون وكقوله عز وجل قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله
يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم والعبد قد يستعمل
في معنى الحقارة كقول حمزة رضي الله عنه وهل انتم الا عبيد لابي
وقول امرئ القيس قول لدودان عبد العصى وقوله تعالى
وما ربك بظلام للعبيد لانه كان تشفيع ولا علام نفاة
انتفاء هم وعدم قدرتهم وانه تعالى ليس بظلام لهم
مع ذلك انتهى ملخصا واما كنت لتقول لعبادون عبيدا لان
فعالا في جمع فعيل قياس مضطرد وجمع فعل على فعل لا يطرد
فكره لفظ عبادون لفظ عبيد وآثر الاية اي فيها لفظ
العبد في ذلك المراد اي المواصل لا للمحتقر واما يتبين امر
النفس في الحقارة اعلم فهم من اضافة عبد عند الى العصى وكذا
قول حمزة رضي الله عنه فهم منه الحقارة من آخذ الى كانوا
ملكها وعباد وعبيد بمعنى واحد لكن الفرق بين مجيء عباد
كثيرا وعبيد قليلا وهو القياس وعدم التغيير وقرئ بالضم
تقولك ما يرفع اي هو يقولك ولكن لم ار بانبياء اري ولكن يقولك

قال الزمخشري

قال الزمخشري وابن عطية رضي الله عنهما ما من لما الا وهي
شرطية الى خبرها انتهى قال شهاب ذلك المازني وابن جاجي
والفارسي وفيه خرق كثير لطيف جدا وذلك انها اذا الا شرطية
كان الجواب محذوفا فالا لدلالة جواب القسم عليه واذا كان كذلك
فالمحذوف من حيث المعنى ومتعلقاته متعلقاته
اي مثلها كما قيل والله علم بذلك كله فاذا قلت والله لئن
جاءني لاكرمنه فجواب من ضمنا محذوف التقدير من جاءني
اكرمته وفي الاية اسم الشرط ما وجوابه محذوف من حيث
جواب القسم وهو الفعل المقسم عليه ومتعلق الفعل اعني
ضمير الرسول بواسطة حرف الجر لامنهم ما لمحذوف ما التقدير
ان كان من حيث جواب القسم الا ترى انك لو قلت والله لئن جاءني
زيد لاضربنه كيف تقدره ان جاءني زيد اضربه ولا يجوز
ان يكون التقدير والله ان جاءني زيد اشكه لاضربنه لان
لاضربنه لا تدل على اشكه فهذا ما يرد على قول من خرج
ما على انها شرطية قال ابن محمد رضي الله عنه ولقد من
سادسد جواب القسم والشرط جميعا انتهى هذا قول
ظاهر مخالف لقول من جعل ما شرطية لانه نص على ان جواب
الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه الا ان صيغة ابن
من حيث تقتضي المجازاة لا تقتضي الاعراب سيذكر مستدركا فيمكن
ان يقال ذلك واما من حيث تقتضي الاعراب فلا يصح
لان ولامها على الشرط والقسم يطلب جوابا على حدة
ولا يمكن ان يكون هذا محمولا عليهما لان الشرط قد يقتضيه
على احد المعمول فيه فيكون في موضع جزم والقسم يطلبه
على احد المعمول المشتوى به بغير عمل فيه فلا موضع
له من الاعراب ومحال ان يكون الشيء الواحد له موضع من
الاعراب ولا موضع له من الاعراب وقرئ لما بكسر اللام كما
قلبه وجهه ان اللام للتعليل وما موصولة بمعنى
الذي والعائد عليها محذوف من صلتها لاتيتكموه
وعطف على الصلة ثم جاءكم والعائد فيه محذوف تقديره
ثم جاءكم به اي بعض الكتاب والحكمة ثم يجيء رسول مصدق لما معكم
لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان منها اعني اتيتكم
وجاءكم في معنى المصدرين انتهى ويكون تعليلا لاخذ الميثاق
وفي البحر قال ابن محمد ما في قراءة حمزة رضي الله عنه لما اتيتكم مصدرية

ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم يجيئ رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فان لاما مقدرية والفعلان معها اعني
ايتائكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى
اخذ الله ميثاقهم لكونهم بالرسول وليضربنه لاجل ايتائكم
الحكمة وان الرسول الذي امرتكم بالايمان به ونصرته مواتي
لكم غير مخالف اياه انتهى فهذا التعليل والتقدير الذي قدره ظاهر
انه تعليل المعقل المعتسم عليه فانه عني هنا هذا الظاهر
فهو مخالف لظاهر الاية لان ظاهر الاية يقتضي ان يكون
تعليلا لاخذ الميثاق لا لتعلمه وهو الايمان فاللام متعلقة
باخذ وعلى ظاهر تقدير الزمخشري تكون متعلقة بقوله
لتؤمنن به ويمتنع ذلك من حيث ان اللام المتلقى بها القسم
لا يعمل ما بعدها فيما قبلها فلا تقول والله لاضربن زيدا
ولا يجوز ان تقول والله لمررت بل الباء فقط فعلى هذا
لا يجوز ان تتعلق اللام في لما استولى لتؤمنن سوقه
اتجاه بعض النحويين في معمول الجواب اذا كان ظرفا او كان
مجرورا بها تقدمه وحمل من ذلك ما لا يتصرف
وقوله عز وجل عما قليل ليصبحن نادمين فعلى هذا يجوز
ان تتعلق بقوله لتؤمنن به وفي هذه المسالة تفصيل يذكر
في علم النحو وقرئ لما بكسر اللام وتشديد الميم وخرج على
ان لما اتى الطائية للجواب وقد مر اخذ عليكم الميثاق
والمقتضية للجواب حرف عند سيبويه وظرف بمعنى حين
عند المبرد وشذ ابن الخشاب وابن عطية رضي الله عنهما
في لما هذه وهو مذهب فاسد ومن ادعى ان اصلها لمن ما
فحذفت منه ميم واحدة فصار لما فقوله في غاية السخف
وتنزه كلام الله عز وجل عنه ويلزم ان تكون اللام الموطئة
دخلت على حرف جر تحو اقسم بالله لمن اجلك لاضربن عمرا
لمن يجئ لان الموطئة لا تدخل الا على اداة شرط مستقبل
وقرئ اتيناكم بنون العظمة وبالتاء وبالياء وجواب قوله اصري
وحذف الايمان واقامة لا اله الا هو ثم النصر لانه من ثمرة الايمان
قال الزمخشري الصهي عائد على الله في قالوا اقررنا استفهام و
معناه الاستئبات بعد اخذ الميثاق واخذتم على ذلكم اي
على الايمان والنصرة اصري اي عهدي وقرئ اصري بضم الهمزة
وفتحها وكسرها قالوا اقررنا معناه اقررنا بالايمان
به وبنصرته وقبلنا ذلك والتزمناه وتم حمله محذوفة
اي اقررنا واخذنا على ذلك الامر قال شاهدوا اي ليشهد

بعضكم على بعض

بعضكم على بعض والتقدير الذين تمرقوا عهدوا والى هنا بالنار
ن ابطنه بين هاتين الجملتين ونظير ذلك قولك لقيت زيدا
قال لقيته قال فاذا حسن الفاء المتقدمة لقيت زيدا فاذا حسن
الله واذا منكم من الشاهدين لميثاق فمعناه التوكيد بعد
ذلك الايمان ثم في الاقرار واخذ الميثاق الامر المذكورين
بعد الايمان والتضرع افغير دين الله يبغون الهمزة للانكار
والتنبيه على الخطإ في التولي والاعراض وانكر بغيهم الدين الذي
الاسلام وقال الامام سماه دينا لانه الذي شرعه ويتعبد
به خلقه وقرئ تبغون بالياء والتاء وله اسلم اي انقاد
واستسلم قوله طوعا على المصدر في موقع الحال وقسم
الاسلام على نوعين احدهما طوع كما قتاده والملائكة والابرار
ومن اجاب الى الدين كعبد الله بن سلام واضرابه والثاني كره
كما قتاده ابي بكرة رضي الله عنه والاخر كره ومن اسلم لاحل السيف
وكثير من المولدين حسن حاله في الاسلام فاسلامه طوعا
واليه يرجعون اي الى جزائه وفي ذلك تهديد ووعيد شديد
قل امنا بالله وما انزل الينا الآية تقدم الكلام على نظيرتها في
سورة البقرة وهنا قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
واذا امر هو عليه الصلاة والسلام بالقول فامته مامورون
به من حيث المعنى ولم يذكر ذلك في سورة البقرة قولوا خطا
للجمع وان ذكر خاص الاسلام بلفظ الجمع في امتاوفي علينا وفي
نحن له مسلمون وهنا جاء بلفظ على وفي سورة البقرة
لفظ الى فعبر بالنزول من علو ومرة بالانزال وقال الزاغب
ايما قال ان هنا على لان ذلك لما كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان واصلا اليه من الملا الاعلى لا بد وان يستعلي بشرعه كان
لفظ على الخاص بالحكم اولى به وهناك لما كان خطابا للامة
وقد وصل اليهم بوساطة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لفظ
الى الخاص بالاتصال اولى به ومن يبتغ غير الاسلام دينا
الآية لما ذكر ما دعا اليه من التوحيد والانقياد
والاستسلام لشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانصف
من نفسه على سبيل الفرض والتقدير نحو قول العرب ان لطمني
فلان لطمته بعد ان لطمني حتى يحتمل في قوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك ويخلق في ان يمتنع بحذو
حذو عليه الخاسرين اي من الذين خسروا انفسهم وهذا احسن في التخريج
كيف يهدي الله قوما اي لا يهديهم وهذا استفهام في معنى النفي
فجاء قوما عرفتهم وتقدم الكلام في نظيرتها في البقرة

وادي بلفظ قوم على انهم كانوا اكثر من اثنين لانه اسم جمع فعد
منهم طعمة ابن ابيرق والحارث ابن سويد ابن الصامت ورجوع
ابن الاسلت وابو عامر الراهب وبعض هؤلاء رجع الى الاسلام
وحسن حاله وشهدوا معطوف على كفروا والواو للترتيب او هو
معطوف على ايمانهم حرفا فيه الانسباك لان والفعل
اي فقدان امنوا وشهدوا واجيز ان يكون حالا بتقدير
وقد شهدوا والرسول هنا هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما الى به من انكار المعجزات الخارقة
اولئك جزاؤهم تقدم تفسيرها في اية سورة البقرة ان
الذين كفروا بعد ايمانهم قيل انها نزلت في اليهود
كفروا بعيسى عليه الصلاة والسلام وكفروا اما لا يحلو بعد ايمانهم
بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ان امنوا بصفته في التوراة لن تقبل توبتهم الخ لانه
لم يقبل توبة فتقتل في المستقبل والماضي في التوبة وقد
تكون هذه الاية في قوم ارتدوا عامهم ختم الله عليهم بالكفر
فيموتون عليه وكذلك لم تدخل انما قيل لن تقبل توبتهم
اذ قيل لهذا الذين لا يموتون فيه ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
لفظ الذين هنا عام في من كفر ومات على الكفر فكذلك قد
دخلت انما في قوله فلن يقبل من احدهم تشبيها للموصول
باسم الشرط وقرئ يقبل بالنون ونصب ملء وقرئ ملء
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وانتصب ذهبا
على التمييز وكذلك كل جواب من عليه في غير القرآن
ولو افتدى به قال الزمخشري لو اراد عمر ان يفتدي
كما فيوقع قوله ولو افتدى به كما قلت هو ولم يحمل على
المعنى كما تقدم قيل لن ينفق من احدهم درهمة ولو انفق
ملء الارض ذهبا انتهى وهذا المعنى يسوغه هذا التركيب
فلا محتملة وان لم تقتضه هذا التركيب وينبغي ان يحمل عليه
ان الله عز وجل اخبر ان من مات كافرا لا تقبل منه فدية
الارض من ذهب على كل حال يقصدها ولو في حال افتدائه
من العذاب لان حالة الافتداء هي حال لا يمتنع فيها التعدي
على المتعدي منه اذ تلك حالة تهزم من المتعدي منه للمتعدي
وقد رأينا في نحو هذا التركيب ان لو تأتي صفة على ان ما قبلها
جاء على سبيل الاستقصاء لا ستقصاء ما وجد فيها جاء ذلك فيها
منصبا على الحالة التي يظن انها لا تندرج فيما قبلها
كقوله صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء على فرس

فهو مشعر

فلو مستعرض بعناه فلا يبعد ان يحمل عليه قوله ولو افتدى
به وقيما فضله على سبيل الفرض والتقدير لانه لا يمكنه ان يبذل لي
الارض ذهبا قال المازري رضي الله عنه ويجوز ان يراد بقوله
ولو ان لي مثله كقوله تعالى ولو ان الذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلام العرب كقولهم
ضربت عبد الله درهما مثل ضرب زيد وقال ابو يوسف
في الاكام انما حنيفة رضي الله عنه يعني يريد مثل ضرب زيد
وان هيم الليلة للمطي وقضه فلا ابو حسن لها يريد وان مثل
هيم وقضه مثلوا بواحسن كما انه يراد في مثل قولهم مثلك لا يكاد
ان يفعل كذا فقد اثبت بمعناه انه لا يفعل كذا
وذلك ان اثبات احدهما كان الاخر فكانها قد
يكونان في حكم شيء واحد اشتهى ولا داحة الى تقدير مثل في قوله
ولو افتدى به وقال المازري رضي الله عنه يحتمل ان ما في
ان يقبل لا يمكن ان يفتدى به فاحتاج الى اضمار مثل
حتى تغاير بين ما في حيز لو وبين ما يبتدى به وليس
كذلك لان ذلك كما ذكرناه على سبيل الفرض والتقدير
او لا يمكن عادة ان احدا يملك لي الارض ذهبا وذلك يحتمل
لو ان له لم يقبل منه ولو كان ذلك ممكنا لم يجز الا بتقدير
مثل لانه في حيز لو في حالة الاقتدار او ليس ما قدر
في الاية نظيرا مما مثل به لان هذا التقدير لا يحتاج اليه
ولا معنى له ولا في اللفظ ولا المعنى ما يدل عليه فلا يقدر
واما فيما مثل به من ضربت ضرب زيد فضرورة العقل
تعلم انه لا بد من تقدير الجنس فهذا قول معقول ولكن
الخلاف عند الخلاف النحويين ان الاسماء لا تتجرد عن
والتقدير ان مثلك لا يفعل كذا فليست فيه مثل زائدة
فكان غرض هذا الى تعالى الاشارة بمناسبة هذه الاية لما قبلها
انه لما اخبر سبحانه وتعالى عن من مات كافرا انه لا يقبل منه
لا يقبل منه ملء الارض ذهبا على سبيل الفرض والتقدير
للمؤمن على التصدق الذي ينفعه في الاخرة والبر هو ما يتقرب
به الى الله سبحانه وتعالى من اعمال الخير وعينا ذلك بلفظة
حتى والانفاق ما يجد الكل من ولما سمع الصحابة رضي الله عنهم
هذه الاية تصدق قوم بما لا يحبون فتصدق ابو طلحة رضي
الله عنه ببيرحاء وتصدق زيد ابن حارثة بفرس له كان يحبه
وابو ذر تصدق من خير ابله قال تعالى وما تنفقوا من شيء فان
الله به عليم كل ذلك لطعام كان حلالا لبني اسرائيل فما سبب هذه الاية

حتى تنفقوا مما تحبون

اي تجازى عليه

ومناسبتها لما قبلها انه سبحانه وتعالى اخبر انه لا ينال البر
الا بالانفاق من المحبوب وروي ان الرجل كان يمرض مرضا
شديدا فنذر لله عز وجل انه ان شفاه من مرضه هذا ان يحرم
احب الطعام واحب الشراب اليه محرم لحوم الابل والبانها
وكان ذلك احب المأكول والمشروب اليه فحرم لحوم الابل تقربا
الى الله عز وجل وروي ان هذه الاية نزلت حين قالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على ملة ابراهيم الخليل عليه
الصلاة والسلام فقالت اليهود كيف وانت تأكل لحوم الابل وابانها
وانتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم
ابي ابراهيم عليه الصلاة والسلام ونحن نحله فقالت اليهود قد
كان حراما على نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام حتى انتهى
تحريمه الينا فانزل الله عز وجل ذلك تكذيبا لهم وان اسرائيل
حرم ذلك على نفسه قبل نزول التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين خرج ذلك مخرج التحدي وهو معلوم
كذبهم وذلك على سبيل الهزء بهم فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك
الاشارة بذلك الى الثلاثة اذ مضمنها بيان تدهيم
تعالى قل فأتوا بالتوراة اشارة وخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتلوها فأتوا محذوف تقديره هذا الحق ان كنتم
معشر اليهود فأتوا وهذه محاجة ان يؤمروا باحضار كتابهم
الذي فيه شريعتهم فانه ليس فيه ما قد ادعوه بل هو مصدق
لما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان جميع الطعام
كانت حلالا لبني اسرائيل من قديم الازمان المتقدمة وان التحريم
حادث ان كنتم صادقين خرج مخرج التحدي وهو معلوم
كذبهم وذلك على سبيل الهزء بهم فمن افترى على الله الكذب من
بعد ذلك الاشارة بذلك الى الثلاثة اذ مضمنها بيان تدهيم
وقيام الحجة القاطعة عليهم ويكون افتراء الكذب ان نسب
الى كتاب الله عز وجل ما ليس فيه فقد صدق الله فيما اخبر به عز
وجل في كتابه المنزل حيث قص عليهم امرهم وانما قالوه له
كذب وافتراء وانتصب حنيفا على الحال وتقدم تفسير ذلك
في البقرة في قوله قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
ان اول بيت الاية مناسبتها لما قبلها انه لما امر باتباع
ملة ابراهيم وهو الذي كان من ملته حج هذا البيت اخذ في ابتداء
امر من ابتدأ دينا به الى منتهاه وظاهر قوله ان اول بيت وضع
للناس هو في نيته لعبادة الله عز وجل فذكر انه اول ما
اركانه الاستانة اي ان شيث بن ادم عليهما الصلاة والسلام

هو الذي

هو الذي بنى الكعبة بالطين والحجارة على موضع الخيمة التي كانت
قد وضعها الله عز وجل لآدم من الجنة والبيت نكرة تخصصت
بالاضافة وبالصفة تخصص الاخبار عنها بالموصول وهو
معرفة وقد بني البيت الذي بمكة وأكدت النسبة بأن
واللام وبكة قد بمكة والباء والميم قد تتعاقبان وقيل
اسم لبطن مكة والباء طرفية ومباركا حال من الضمير الذي
هو في الحقيقة صلة للموصول فقد بني لا الذي يستقر بمكة
اذ في مكة مبارك وهدى للناس فيه آيات بينات اذ في
علاجات واضحات منها مقام ابراهيم والحجر الذي قام
عليه والحجر الاسود والحطيم وزمزم وامن الخائف وهيبته
وتعظيمه في قلوب الناس وامن الفيل ورمي طير ابابيل عنه
بحجارة السجيل وكف الجبابرة عنه على ممر الدهور واذعان نفوس
العرب لبني قصي هذه البقعة دون سائر البقاع ولا زاجر وجبايته
الارزاق اليه وهرق وادٍ غير ذي زرع رحمة من السيول ودلالة
عموم المطر اياه من جميع جوانبه على خصب الافاق الارض فان كان
المطر حيث خصب الافق الذي بليه فارتفع آيات على الفاء
بالجار والمجرور المقدم فيه آيات والضمير في فيه عائد على
البيت وذلك على سبيل الاستئناف او الآيات التي تقدم ذكرها
كالآية في البيت وفي الحرم الذي فيه البيت قال ابن مجرد
رضي الله تعالى عنه وان قلت كيف اجز ان يكون مقام ابراهيم
والامن عطف بيان وقوله ومن دخله كان آمنا جملة شرطية
اما الاولى فلان الشرط لا يقع صلة ولا صفة قلت اجز ذلك ترجيحا
لمعنى لان قوله ومن دخله كان استئناف يجري مجرى التعليل
قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله الا ترى
انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان امنا صح لان في
معنى فيه آية بينة امن من دخله انتهى ليس ما ذكره واضح
لان تقديره وامن الداخل هو من قوله عطفا على مقام ابراهيم
وفسرها الآيات والجملة من قوله ومن دخله كان امنا لا موضع
لها من الاعراب فيما الا ان اعتقدا ذلك معطوف
على محذوف تدل عليه ما بعده فحمل التوجيه فلا يجعل
قوله ومن دخله كان آمنا في معنى وامن داخله الا من حيث
تفسير المعنى لا تفسير اللفظ والاعراب ولم يذكر الزمخشري
رضي الله عنه في اعراب مقام ابراهيم الا انه عطف بيان لقوله
آيات بينات ورد عليه ذلك لان ذلك اي قوله انه نكرة
موصوفة ومقام ابراهيم معرفة ولا يجوز التخالف في عطف البيان

وقوله مخالف لاجماع الكوفيين والبصريين فلا يلتفت اليه
وحكم عطف البيان عند الكوفيين حكم النعت فتتبع النكرة
النكرة والمعرفة المعرفة وقد سبقهم في ذلك ابو علي الفارسي
رضي الله تعالى عنه امين واما عند البصريين فلا يجوز الا
ان يكونا معرفتين او يكونا معرفتين ولا يجوز ان يكونا نكرتين
وما اعربه الكوفيون ومن وافقهم عطف بيان وهو نكرة على
النكرة قبله اعربه البصريون بدلا ولم يقم لهم دليل على تعيين
عطف البيان في النكرة وكل من وقفنا على كلامه جعل مقام ابراهيم
تابعا لآيات على توضيح آية كثيرة في المقام منها تاثير قدميه
في حجر صلد وغوصه فيه الى الكعبين والانة بعض الحجر دون
بعض وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم اجمعين الصلاة
والسلام وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين اولوفا من الاعوام
والذي قد اخترناه في اعرابه في الكتاب الذي اختصرناه
اي اختصرنا هذا الكتاب منه ان يكون ارتفاعه على انه خبر
مبتدا محذوف تقديره احدها مقام ابراهيم او يكون
ارتفاعه على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره منها مقام
ابراهيم والذي اختاره الآن انه ليس متعلقا بقوله آيات
بينات ولا تفسير لها لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى
بل هو عندي بدل او عطف بيان من الموصول الذي هو خبر
ان فكانه قيل ان اول بيت وضع للناس لمقام ابراهيم ومن دخله
كان آمنا ومن شرطية او موصولة وتكلفوا عطف هذه الجملة
على قوله مقام ابراهيم تكلفا بعيدا والذي اذهب اليه اي اختاره
انه اخبار من الله تعالى بفضل هذا البيت والحرم وامن من
دخله كما قال تعالى ومن دخله كان آمنا وقوله عز وجل اولم يروا انا
جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم فذكر تعالى
امتنانه عليهم بان من دخل هذا الحرم امن وظاهر الآية
انها كره للعرب بما كانوا عليه في زمن الجاهلية من احترام هذا
البيت وامن من دخله من ذوي الجرائم وكانت العرب
تغير بعضها على بعض ويتخطف الناس بالقتل واخذ الاموال
وانواع المظالم الا في الحرم كما قال الله عز وجل ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه
الآية دليل على فرض الحج وجاء بعلى الدالة على الاستعلاء
وجاء متعلقا بالناس بلفظ العموم ثم جاء بلفظ الخصوص
بقوله من استطاع اليه سبيلا وقرئ حج بكسر الحاء وفتحها
ومن بدل من الناس وقيل شرطية والجواب هنا محذوف

تقديره

تقديره فعليه الحج واعراب من فاعلة بالمصدر تقديره ان
يحج البيت المستطيع الحج قال بعضهم وهذا اعراب فاسد
ومن كفر قال بعضهم وقد اعلم في كل ما فرضها عليهم وعدم فرض الحج
عليه ومن شرطية وجوابه فان الله غني عن العالمين اي فضله
شيء عنه وعن سائر العالم قل يا اهل الكتاب الاية لما تبع من ذكر آيات
وحجده وكان اهل الكتاب لا يجحدون عاد اليهم اهل
الكتاب الذين تقدم ذكرهم فبين عنهم اولا انهم عظم مساويهم وهي
الكفر بآيات الله عز وجل مع شهادتهم بها ثم ثانيا صدهم من امن
عن سبيل الله فسبب نزول هذه الاية وما بعدها ان رجلا من اليهود
جاء والا الاعراب الاوس والخزرج واسمه شاس بن قيس وكان هو
رجل اعمى شديد الضغن والحسد للمسلمين فرأى ائتلافا الاوس
والخزرج فقال ما لنا من قرار بعد هذه البلاد مع اجتماع ملا يثرب
قبله فلم شاما من اليهود اذ ذكرهم يوم بعاث وما جرى فيه
من الحرب وما قالوه فيه من الشعر فتغاضبوا حتى تكاملوا حربا وا
الى رفع السلاح بينهم باحرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدعوى
الجاهلية ندعى والناس اظهر كروا عظم فرجعوا وعانق
بعضهم بعضا هذا ملخصه وذكروه مطولا قال الله تعالى
لهم قد جاءكم رسولنا يبين لكم آيات الله التي انزلها الله على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وسالته للناس جميعا والله شهيد على ما تعملون جملة
في موضع الحال دالة على قبائحهم وكفرهم بآيات الله عز وجل
مع شهادة الله عز وجل على اعمالهم والي للفظ شهيد الدال
على المبالغة وتصدون هنا متعد ومفعوله من امن ه
والسبيل مذكر ويؤنث والضمير في يبغونها عائد على السبيل
وانما تبغون لها عوجا فاتسع في الفعل وحذف اللام وصل
الفعل حالة الاتساع بالهاء عوجا وهو الكثير والضمير في تصدون
وتبغون راجع الى سبيل الله عز وجل وفرق بين تصدون ومضارع اصد
والهمزة فيه من صد عن كذا اذا رمته وقاربه والرمية ه
ه واذ ناشد صدوا الناس ما لبس عنهم ه
يا ايها الذين امنوا الاية لما انكر سبحانه وتعالى على اهل الكتاب صدهم
المؤمنين عن الاسلام حذرهم الموبقة من اغواء الكافرين واضلالهم
وانذارهم بوصف الايمان تنبيها على تباين ما بينهم وبين الكفار
ولم يات بلفظ قل لتكون ذلك خطابا منه تعالى لهم وتاييسا
لهم وابرانا نفسه عن سوء فعلهم وطواعيتهم في صورة شرطية لانه لم تقع
طاعتهم له والاشارة بقولها الذين امنوا الى الاوس والخزرج بسبب
نازلة شاس بن قيس واطلق الطواعية لبدل على عموم البدل اي ان تصدروا

قال اربت شيء بجادلونه من اصلاحكم ولم يبتدا الطاعنة بقصة الاوس
والخزرج على ما ذكر في سبب النزول والراد بها التعنت اي تصيرونكم
فتعودوا الى الشرك والكافرين وقال الشاعر في معنى ذلك
قد كنت شعوبا من الشر وبيقا وقد وجدوا من الشر شرودا
وكيف تكفرون استفهام بمعنى الاستبعاد اي البعد ووقوع الحالتين
بعد حال توجب انتفاء الكفر عن من يتلى عليه كتاب الله وفيهم
رسول الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم الآتي بالآيات المعجزات
على يديه ومن يعتصم يستمسك بالله اي بآيات الله ورسوله
فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
الآية لما حذرهم الله سبحانه وتعالى من اضلال من يريد اضلالهم
امرهم بجامع الطاعات وزجرهم اولا بقوله اتقوا الله حق تقاته
اذ التقوى اسم لقاية المحذوف من عذاب الله سبحانه وتعالى ثم جعلها
سببا للامر بالاعتصام بدين الله عز وجل ثم ازداد الرهبة بالرغبة
وبين قوله واذكروا نعمة الله عليكم واعتبر الامر بالتقوى
منهيا فهو من تمام التقوى والامر بالاعتصام بابا آخر وهو من
تمام التقوى الاعتصام واشتقاق حق على الله مصدر لاضافة
المصدر الى المعنى حق اتقائه وقال ابن عطية رضي الله عنه
ويصح ان يكون التقاة في هذه الآية جمع فاعل وان كان لم
يتصرف منه فيكون كرماة ورام او يكون جمع تقي اذ فعل
وفاعل يجيء لمعنى واحد والمعنى على هذا اتقوا الله كما يحق ان
يكون متقوه المختصون به وكذلك اضيفوا الى ضمير الله عز
وجل اسمي كلامه وهذا المعنى قد ينبو عنه هذا اللفظ اذ الظاهر
ان قوله حق تقاته من باب اضافة الصفة الى موصوفها
كما تقول ضربت زيدا اشديدا اي شديد الضرب تريد بذلك
الضرب الشديد فكذلك هذا اي اتقوا الله الاتقاء الحق
اي الذي يجب لله ثابتا اما اذا جعلت التقاة جمعا فان تركيب
يصير مثل اضرب زيدا حق ضرابه فلا يدل هذا التركيب
على معنى اضرب زيدا الجما بحق ان يكون ضرابه مثلا لو صرح بهذا
التركيب لاحتيج في فهم معناه الى تقدير شيء يصح به المعنى
والتقدير اضرب زيدا ضربا حقا الجما بحق ان يكون ضرب ضرابه
ولا حاجة تدعو الى تحميل اللفظ غير ظاهر وتكلف تقادير
يصح بها معنى لا يدل عليه ظاهر اللفظ ولا يمكن تقدير الكلام
على هذه الجملة في سورة البقرة الا وانتم قائلون جملة حالية واعتصموا
بحبل الله هو كتاب الله سبحانه وتعالى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم انه قال القرآن حبل الله المتين والذكر الحكيم وعنه صلى الله عليه وسلم

الى التفرق

اى التفرق فى الدين كتفرق اليهود والنصارى فاصبحتم اى
صرتم ولا يراد به اتصاف الموصوف به لانه وقت التصاخ
وقال ابن عطية رضى الله عنه فاصبحتم عبارة عن الاستمرار
وان كانت اللفظة مخصوصة بوقت وانما خصت هذه اللفظة
بهذا المعنى من حيث هى منذ اول النهار فيها مكثر الاعمال والحال
التى يحسها المرء فتشتد فيها اى الحال التى تشتمل عليها يومئذ فى
اول خلق ومنه قول لبيد ابن الاصبح
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا
انتهى وهذا الذى ذكره من ان اصبح للاستمرار وعلله بما ذكره لا اعلم
احدا من النحويين ذهب اليه وانما ذكروا ان اصبح المقتضية
للخبر تكون بمعنى الصيرورة وبمعنى تقييد الخبر بوقت الصبا ح
والباء فى بنعمته للسبب اى بسبب نعمة الله اى انعم بها
عليكم من اتلافكم التى كنتم تتفرق وبين المودة والخير
بعد العداوة وكنتم على شفا حفرة جملة معترضة
اخبر تعالى بما كانوا عليه من الاشراف على الهلاك وكون ان
يكونوا حالا اى وقد كنتم والشفا الطرف والقصير
فى منها عائد على النار ويجوز ان يعود على الشفا لاضافته
الى الموت لان طرفا يئ من الشئ كما انشد فى قوله اذا شرقت
صدر القناة من الدم وقال ابن عطية رضى الله عنه اذا على
من اجاز عود الضمير على الشفا لانه ليس بلفظ مؤنث يعود
الضمير عليه انتهى واقول لا يحسن عوده الا على الشفا لان
كينونتهم على الشفا هو احد جزئى الاسناد والضمير لا يعود
الا على ما ذكر الجملة وانما جاءت على سبيل الاضافة
اليها الا ترى انك اذا قلت كان زيد غلام جعفر لم يكن جعفر
محدثا عنه وليس احد جزئى الاسناد وكذلك لو قلت
ضرب زيد غلام هند لم يحدث عن هند بشئ وانما ذكرت
جعفر او هندا مخصصا للمحدث عنه وانما ذكر النار
وانما جئ بها لتخصيص الحفرة ومن النار لان الانقاذ
منه يستلزم الانقاذ من الحفرة ومن النار والانقاذ منها
لا يستلزم الانقاذ من الشفا فعوده على الشفا هو الظاهر
من حيث اللفظ ومن حيث المعنى ومثلت حالتهم التى يقعون
بعدها الوقوع فى النار بما لقصد على حرفها مشرفين على
الوقوع فيها فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون
ولتكن منكم الظاهر انه خطاب للمخاطبين قبل ومنكم
يقتضى التبعيض ويندرج فى الخطاب جميع المؤمنين والمراد

بالاعتصام

الشرع والنا هية من يتعين اصلاحية ذلك اذا لامر بالمعروف والنهي
عن المنكر لا يكون الا لمن علم المعروف والمنكر وكيف يرتب الامر في امة
وكيف يباشره فان الجاهل ربما امر بمنكر ونهى عن معروف وقد رايت
من ينسبني الى الصلاح يامر صحابه بالاجتماع لمغني شاب يغني لهم
بالمعنى الملاهي والمجون وربما يخرج في قصبة يخرج منها اصوات تتلذذ
بسماع ذلك ويرقصون ويدعون واحدهم قائم يدور واكثر من ذلك
ويجعل اذنه عند القصبة والمغني ويستمر في رقصه ويمشي معاجنبه
فلا صفا للامر من اقل الله ويان الى اجره ويسمعه ذلك الجهال
المعتبرين بسمك ينسبني الى الاسلام فلا يتركون شيئا من ذلك وهو
من اعظم المنكرات ولا تكونوا كالذين تفرقوا قال ابن عباس رضي الله
عنهما هم الامم السالفة الذين تفرقت في الدين والبينات قال
ابن عباس والمراد بالبينات هي ايات التوراة التي انزلت على كل
ملة واذلك اشار بقوله الذين تفرقوا يوم تبيض وجوه وجوه يقدر
قبله اذكر يا محمد يوم تبيض وجوه والبياض عبارة عن اشراقها ونورها
وبشرها برحمة الله اي استنارتها بسعة رحمته والسواد
عبارة عن ظلمتها وكدرها وكآبتها وكلوحها وقباحتها
وخص الوجه بهذين لانهما اشرف ما في الانسان
وان كان الكل مرد بياض وسواد يوم تبيض جميع البدن ويجوز ان يراد
بالبياض والسواد حقيقتهما ويوم ظرف والعامل فيه العامل
في لهم اي كائن لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
واما الذين اسودت وجوههم هكذا بتفصيل الاحكام من تبيض وجوههم
وتسود وجوههم وابتدا اولا بالذين اسودت وجوههم للاهتمام به
بالتحذر من خلقهم ولمجاورة قوله وتسود وجوه والابتداء
بالمؤمنين والاختتام بحكمهم وللعرب في مثل هذا طريقان احدهما
ان يراد افصل شيء او حكم بحكم وان لم يكن مقسما بجعل
الآخر للاول كهذا والآخر ان يجعل الاول من اقسام ثلاثة لا من
قسمين والثاني كقوله تعالى فمنهم شقي وسعيد فقال فاما الذين
شقوا وقال بعد واما الذين سعدوا وقال تعالى في حق الطائفة
الاولى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وفي الطائفة
الثانية فاما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وفي الحكم
للعلم به والتقدم فيقال لهم اكفرتم كما حذف القول في مواضع
كثيرة كقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار ولما حذف القول هنا حذفت الفاء
وان كان حذفها في غير هذا لا يكون الا في الشعر وقال الشيخ كمال
الدين ابن عبد الواحد رضي الله عنه اي والمراد بهذا بعد الواحدين

خلف الاحمر في كتابه المرسوم بهداية المتعلمين في اشراد التنزيل
فقد اعترض على النحاة في قولهم لما لم يقع فقيل لحذف الفاء لقوله
تعالى واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم وتقديره
فيقال لهم افلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف فيقال ولم يحذف
الفاء في ذلك قلما يطرد قلت انعين ان يكون الجواب قد وقع
الجملة بما كنتم تكفرون فوقع ذلك جوابا له ولقوله اكفرتم بعد
ايمانكم ومن نظم الكلام اذا ذكر لها حرفا تقتضي جوابا ان يكتفي
عن جوابه حتى يذكر لها حرفا اخر بعينه ثم يجيئون بالجواب ولهذا
كما في قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون فقوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
هو جواب الشرطين وليس اذا جواب لما دل الفاء عليه بمقدر
والتقدير اهديتكم فلم تكن اياتي تتلى عليكم اياتي انتهى ما نقل عن هذا
الرجل وهو كلام اديب غريب لا تشفي عنه واما قوله قد
اعترض على النحاة فيكفي في بطلان هذا الاعتراض انه اعترض على
جميع النحاة من متأخرين ومتقدمين الا من خرج الآية على اضمار شرط
لم اكن منهم وقالوا هذا هو نحوي الخطاب ولهذا يكون في
الكلام محذوف لا تشفي عنه اي لا تشفي المعنى عنه
والعقول تخالفه بخلاف الاجماع فلا التفات الى ما قد
اعترض به من قوله واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم
الآية فقال لهم افلم تكن اياتي تحذف فيقال لهم
فلم تحذف الفاء قد بان بطلان هذا التقدير
فليس بصحيح بل هذه الفاء التي تكون بعد الهمزة في افلم ليست
فاء فيقال التي هي جواب اما حيث يقال حذف فيقال نعم
فلغيت الفاء التي هي جواب اما وقيل بعدها
محذوف قلت افلم تحتمل وجهين احدهما ان تكون
زائدة والسد المحكوم في معناها الذي يلي زيادة الفاء
قول الشاعر بعوك ان فاس وشيب فنامهم وحدث
حدا اليعفر سعد عظيم حرمها فتركت صاحي حلة تابد بدت
يريد تركت وقال زهير ارى اذا ما انت جئت على هوى فيقول
اصحت اصحت طاويا تريد ثم قال الاخفش رضي الله عنه
وزعم انهم يقولون ارهك قوحدانهم يريدون احوك ارى حد
يريد به واكثاني ان تكون الفاء تفسيرية وتقدير الكلام تقول
لهم ما شأنهم ولم تكن اياتي ثم اعتنى بهمزة الاستفهام فصد
على الفاء التفسيرية كما تقدم على الفاء في الشعيب في نحو
قوله افلم يسيروا في الارض وهذا على مذهب من يثبت ان

تكفرون

ناشر الصغير
فيكبر

من

الفاء تكون تفسيرية

وتقدير الكلام فقيل ألم ما نسوم والم تكن اياتي تتلى اعيتي بهمزة الاستفهام
فقدمت على الفاء التقريرية كما تقدم على الفاء التي للعطف
للتعقيب في نحو قوله افلم يسيروا في الارض وهذا على مذهب من
يثبت ان الفاء تكون تقريرية نحو قوله فاين يد فعسر وجهد
وتدنيه الى اخر فعال الوضوء وقد تكون الفاء هنا للاستئناف
وانما هي مقررة للوضوء وكذلك تكون في افلم تكن اياتي
تتلى عليكم مقررة للقول الذي صوبتم وقول الرجل قبل
بطل هذا لجواز ان يكون الجواب قد وقع اي يعني بطلان
ما قدره النحويون من قوله فيقال لهم لوجود هذه الفاء التي
افلم تكن وقد بينا ان ذلك التقدير لم يبطل فتقدير الملكم
ان تجري رضي الله تعالى عنه بين لزوم الاشتقاق وبين
الفاء فعلا يصح عطف ما بعده عليه ولا يعتد ان الفاء
والواو وثم اذا دخلت عليها اصلحت التقديم على الهمزة
كل اعيتي بالاشتقاق فقدم على حروف العطف كما ذهب اليه
سيبويه رضي الله عنه وكذا ذهب الزجاج من النحويين
قول الاول مذكور في النحو وقد تقدم على حروف العطف كما ذهب
اليه سيبويه رضي الله عنه وكذا ذهب الزجاج من النحويين وبطلان
قول الاول مذكور في كتب النحو وقد تقدم لي هذا الكتاب حكاية و
مذهبه في ذلك وعلى تقدير قول هذا الرجل الم تعلم فالاولى
اضمار القول وتقدير فقيل الم تعلم لان هذا التقدير
هو خبر المبتدا والفاء حرف اي حرف اما فهو الذي دلت
عليه الكلام وتقتضيه حروفه وقول هذا الرجل فوقع ذلك جوابا
له ولقوله الكم تعلمون يعني ان قد وقوا العذاب بما كنتم تكفرون به
جواب لاما وجواب لقوله الكم تعلمون الاستفهام هنا الجواب
لو انما لو استفهام على طريق التوبيخ والانكار لهم واما قول هذا
الرجل ومن نظم الحوت الى اخره فليس كما زعم انه رد على ما زعم
بل يحتمل ان جواب ان لا يكون لاما تقدم ولا يجعلون لهما جوابا
واحدا واما وعواه ذلك في قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب
الاية وزعمه ان قوله تعالى فاما تثقفنهم جواب للشرط حتى تقول
وهو وهي عن الكسائي رضي الله عنه وذهب بعض النحاة الى ان الجواب
الشرط الاول محذوف تقديره فانتقم والصحيح ان الشرط
الثاني وجوابه هو جواب الشرط الاول وقد تقدم ذكر هذه
الاقوال ان الثلاثة عند الكلام على قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب

الاية

١٤٩

الآية وهو سؤال توبيخ وتقنيط بعد ايمانكم ظاهره ان
كفرهم كان بعد حصول ايمانهم وليس كل كافر كذلك
والمراد والله اعلم بعد ان وكد في على الفطرة المهيئة
لقبول الايمان او الايمان المراد به قوله الست بربكم
قالوا بلى واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها
خالدون انظر الى تعاوت ما بين هذين الفريقين هناك
جمع لن اسود وجهه بين التعنيف ما هنالك والعذاب
وها جعلهم مستقرين في الرحمة والرحمة ظرف لهم وهي
شاملتهم ولما اخر تعالى انهم مستقرون في رحمة الله بين ان
ذلك الاستقرار هو على سبيل الخلود لان ما ثبت وما سبقه ولا انتقال
واشار بلفظ الرحمة لما سبق عنايته بهم وان العبد وان
كان طائعا لن يدخل الجنة الا برحمة الله عز وجل وقال ابن عباس
رضي الله عنهما الزموا رحمة الله ها هنا الجنة وذلك الخلود لمن
ولم يذكر ذلك الكافر استعمالا بان جانب الرحمة اغلب وارد ضاف
الرحمة هنا الى الله ولم يضف العذاب اليه بل قال
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فعلله بسببهم ولم
يضف هنا على سبب كونهم في الرحمة وهم في كنف لطفه
الذي وفقهم اليه ليقوله حتى رحمة الله هم فيها خالدون وقد
جاء في آية اضافت بالالف تلك اشارة الى الامة التي
نزلت فيها ان الابرار والفجار وما قبلها آيات استدل بها
عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ونتلوها خبرا بان
او جملة في موضع الحال وقرئ نتلوها بالياء اي الله يريد
ظلما للعالمين فما وقع فيه شيء مما نهى الله تعالى عنه من تعنيف قوم
وتعذيب آخرين ليس من باب الظلم والظلم هو وضع
الشيء في غير موضعه وهو في حال النهي حكيم
اي وفي قراءة يعلم وهو مصدر حذف فاعله تقديره
ظلما للعالمين وللعالمين في موضع المفعول ولله ما في السموات
وما في الارض الى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس
الخ من تمام الخطاب الاول في قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله حق تقاته والتفات بعد هذا بمخاطبة المؤمنين
من اوامر ونواه وكان قد انتظم من ذلك لذكر من سيبيض
وجهه ويسود وجهه من احوالهم في الآخرة عاد الى الخطاب
الاول فقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تحريضا
على هذا الاخبار على انها نفاد والطاعة والظاهر ان
الخطاب لمن وقع الخطاب لهم اولا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكا بعباشي وبحير او من اسلم من الانصار اذ كانوا معتزين برسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبعده وعلى هذا يكون اهل الكتاب
ليس عاما فلا قد وجد الايمان من بعضهم • لن يضروكم الا اذى
هذا ان الجملتان تضمنتا الاخبار بغيبين مستقبلين
وهو ان ضررهم اياكم لا يكون الا اذى اذ ليس شيء تتأذون به
اكثر منه لا ضرر اكثر فيه غلبة ولا استئصال
وكذلك ان قاتلوكم جذلوا ونصرتم وكذلك وقع
وقع الصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاتلهم احد
من اهل الكتاب ضرر يبالون به ولا قصدوا جهة كافرا لا
ان كان النصر لهم والغلبة عليهم الا اذى استثناء منقطع
وهو استثناء مفرغ من المصدر المحذوف المقدر لن يضروكم
ضررا الا ضررا يسيرا لا تكاد فيه ولا اجحاف ثم لا ينصرون
هذا لستيناف اخبار انهم لا ينصرون ابدا ولم يشركوا في
في الجزاء فيجزم لانه ليس مرتبا على الشرط بل التولية مرتبة
على المقاتلة والنصر منتفي عنهم ابدا سواء قاتلوا ام لم يقاتلوا
اذ منع النصر سببه الكفر فهي جملة معطوفة على جملة الشرط
والجزاء كما ان جملة الشرط والجزاء معطوفة على لن يضروكم
الا اذى وليس امتناع الجزم لاجل ثم كما زعم بعضهم زعما ان
جواب الشرط يقع عقيب الشروط قال ولهم للتراخي فكذلك
لم تصلح لجواب الشرط فالمعطوف على الجواب كالجواب
وما ذهب اليه هذا الذاهب خطأ لان مما زعم انه لا يكون
قد جاء في افصح كلام قال الله عز وجل وان تتقوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم فجزم المعطوف بثم على جواب
الشرط وثم هنا ليست هي للمهلة في الزمان وانما هي للتراخي
في الاخبار فالاخبار بتولتهم في القتال وخذلانهم والظفر
بهم ابلغ واسر للنفس بتراخي خبر ذلك وقال لن يضروكم
النصر عنهم مطلقا الذي ما تحققوا علم في الامكنة وهو شرط جوابه
محذوف يدل عليه ما قبله ومن اجاز تقدم جواب الشرط
قال ضربت جواب الشرط الاخير من الشرط الاول ظاهره ان الجملتا
مستقلتان وهو قول الفراء الزجاج واختاره ابن عطية وقال
الزمخشري الذي ادى اليه ان الخذلان من الله ومن الناس جميعا ضرب
الذلة وليس الامر كذلك وانما في الكلام محذوف يدل
فهم السامع الناظر في الامور وقد مر في اياتنا فلا نجاة
من الوقف الاجمالي الذي يكلم وعلى ما ذكره لا يكون استثناء

لا من مستثنى من جملة محذوفة وهي قوله فلا نجاة من الموت وهو متصل
على هذا التقدير فلا يكون استثناء منقطعا من الاول
ضرورة اذ الاستثناء الواحد لا يكون منقطعا متصلا وذهب
الزمخشري وعين رضي الله عنهم الى انه استثناء متصل قال وهو
استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة
في عامة احوالهم الا في حال اعتصامهم بحبل من الله وحبل
من الناس بجير ذمة الله وذمة المسلمين يعني لا عز لهم قط
الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قدم من الحرف
انتهى كلامه وهو صحيح وسنته لهم بالجملة انه يعطوها
بقوم كما تفعل الجملة في الاجرام والظاهر في تكرار
الجملة انه اريد بحبل الاول وفسر بحبل الله الاسلام وبحبل
الثاني العهد والذمة وقد يحتمل ان الله هو الذي نعت
الله عليه من احد الجنسين والثاني هو الذي هو آت الى
راي الامام فبين يديه قد يمنع وقد يعطي بحسب الاجتهاد وفي
هذه الاية توكيد بعموم الظرف في قوله اين ما ثقفوا
وتكرار ضربت وباء واقدم تفسير نظيرها في سورة
البقرة وهنا الانبياء جمع نبي وهناك جمع سلاحة
وهنا بغير حق تكرر وهناك بغير الحق معرفة وذلك من
التفنن في الكلام قال الله عز وجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
ليسوا سواء سبب نزولها عند الله ابن سلام رضي الله عنه
في كذا اسلام عليه من اليهود وقول الكفار من احبارهم
ما امن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا اخيارا ما تركوا ادين اباءهم
قاله ابن عباس رضي الله عنهما اجمعين والضمير في قوله ليسوا
عائد على اهل الكتاب وسوى الاخبار ليس بخبر ونفيه عن
الشيء قد يجيء وقد يسبقه تثبيته قالوا ما سواء ان يم
بين سبحانه وتعالى عدم التسوية بقوله تعالى من اهل
الكتاب الى آخرها وفيهم تثبيته قالوا ما سواء ان يم
الليل ساعة واحدة هنا ان الكعبي وابن كثير وصف
امة بقوله قائمة وفرائم قل ذلك على التوقع ما الصارعات
في قوله تتلو وهم يسجدون ويأمرون وينهون ويسارعون
وهي تدل على التجدد والتكرر والمسارعة المبادرة
والخيرات عامة تشمل هذه الاوصاف الحسنة وغيرها
ولم تكن اسماء لما مدح فصف هذه الاوصاف الشاقة
فانظر لاي حسن مساق هذه الاوصاف حيث توسط الايمان

وقدم

ن اسلام ه

كعبي

١٥١

وتقدمت عليه الصفة المختصة بالانسان في ذاته وهي العقلاء
بالبلد وتأخرت هذه الصفات المتعددة بيان والصفة المشتركة
وكلها نتائج عن الايمان ، وما يفعلوا من خير فلن تكفروه وقرئ بالتاء
فيهما جريا على نسق الغيبة وبالتاء فيهما والتفات هذا انه التفات
الى قوله انه قائما وصفهم بما وصاف جليلة حميدة افضل
عليهم قائدا لهم وملتقطا فاعلم لحظهم مادن ما يفعلوا من
الخير فلا يحرمون ثوابه ولذلك اقتصر على قوله من خير لانه موضع
عطف عليهم وترحم ولم يعرض هنا لذكر الشر ومعلوم ان كل ما
يفعل من خير ومن شر يترتب عليه موجوده ويوثر هذا الالتفات
وانه راجع الى آمة قائمة قتادة السدي ان الذين كفروا الآية لما ذكرنا
شيأ من حوال المؤمنين ذكر شيأ من احوال الكافرين ليتضح الفرق
بين الفريقين قال ابو علي رحمه الله ان الذين كفروا ان تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيأ واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا قال ابن عطية رضي الله عنه شبه
الله عز وجل ما كانوا ينفقونه من اموالهم في المكارم والمفاخر
واكتساب الثناء عليهم والذكر الجميل بريح فيها صر اي برد
والله فيما لا يتقبل به وجه الله سبحانه وتعالى بالزرع
الذي حسنه البرد فذهب حطاما وقتل لوما ما يتقربون
الى الله سبحانه وتعالى مع كفرهم وقيل لومثل ما انفقوا
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يبتغوا في انفاقه
قالا يفقوه لا حله انهى والله اعلم وقال ابن عطية رضي الله عنه
ومعناه المال الفائت في النفس من نفقاتهم الذي يعدونه
قربة وحسنة وتحنثا ومن حيطه نوم القيامة وكونها
حسورا وذهابه كالمال الذي تم في النفس من زرع قوم
ثبت ولا حضر وقوي الا حمل فيه فمست عليه ريح شديدة
فيها صر اي برد فاهلكته والظاهر ان ما في قوله مثل
ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا من صوله والتعليل محذوف اي
ينفقونه والظاهر تشبيه ما ينفقونه بالزرع والمعنى على
تشبيهه بالحرث فعل هو من الآلة التي تحرث ولو اختيار الزمخشري
رضي الله عنه وقيل وقع التشبيه بين شيئين وشيئين
كراحد المشبهين وترك ذكر ان الخر ومن ذكر الشيئين المشبهين
وليس الذي يوازن المذكور الا ان وترك ذكر الآخر ودل المذكور
على المتروك هذا اختيار لابن عطية رضي الله عنه قال وهذه
غاية البلاغة والاعجاز انتهى ويجوز ان يكون على حذف مضاف
من الاول تقديره مثل مهلك ما ينفقون او من الثاني تقديره

كمثل مهلك ما يسقون وقيل يجوز ان تكون ما مصدرية اى مثل اسقائهم
فيكون قد شبه المعقول هنا بالمحسوس او شبه الريح بالاعناق وظلمهم قوله
يسقون انه من سقية المال وافراد الريح لان كل ما تاتي به تعذب
والجمع في الرحمة كقوله ريحا صرصرا وقوله الرياح مبشرات والصر معناه
الرد الشديد المحرق وقيل البارد بمعنى الصرصر وقد استعمل
العرف في الصفة كقول الشاعر نكباء صر بامتحى المحلات
وقوله اصابت حرث قوم او طئ اى وقع على الحرث مجازا والضمير
في ظلموا عائد على قوم وانعدا الى مخبري رضي الله عنه في كونين
جعله عائدا على الذين يسقون واهلكته وما ظلمهم الله بذلك
ولكن انفسهم يظلمون بارتكاب ما يوجب الهلاك ويا ايها الذين
امنوا الاية نزلت في رجال من المؤمنين يواصلون رجالا من
اليهود للجوار والحلف والرضاع قاله ابن عباس رضي الله عنهما
وقال ايضا مجاهد وقتادة والسدي والاية نزلت في المنافقين
نهى الله المؤمنين عنهم لانهم في الباطن على الكفر وقد
يستعان لمن يعتمد الاستئناس كالشعار والدثار وقال
تعالى لا ياتلونكم خبالا لقلة الوقت في الامر قصر فيه الجهاد
والقتل الفساد والعنت المشقة وقوله من دونكم في موضع الصفة
لبطانة او لم يكن متعلقا بقوله لا تتخذوا بطانة من دونكم
ودون اصله ظرف وكان بها اتسع فيه حتى صار بمعنى غير وكابنه
قلت عزكم ودنت هذا الذي على المنع من استكتاب اهل الذمة وتقريبهم
في الكتابة والاستئجار والاحذق والاعطاء والاستنابة انهم وقد
عتب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى رضي الله عنه على
استكتابه ذميا ودلا عليه هذه الاية فرجع عن ذلك وقد قيل
لعمر رضي الله عنه في كاتب يجيد الخط من نصارى الحيرة الا
تكتب عنك فقال لم اذا اتخذ بطانة والجملة ماخوذة من
قوله عز وجل لهيا لونكم خبالا موضع لها من الاعراب وجاءت
بيانا لحال البطانة الكافرة اي والجد الى تعديها الينبغي المؤمنين
عن اتخاذهم بطانة ومن ذهب الى انها صفة للبطانة او حال
عنها تعلقت به من فيتعذر عليهم الكلام الفصيح لانهم نهوا عن
اتخاذ بطانة كافرة ثم استانف سبحانه وتعالى على سبيل
ابتداء النوائل للمؤمنين وزيادة شفقتهم وتحذيرهم
والتقييد بالوصف او الحال يوذن بجواز الاتخاذ عند انتفائها
وبالوقف على لا ياتلونكم وهنا جائز قد وصوبا فيخرج على ان
خبالا حال مسوقة في المعنى اي لا يالون حالكم او على انه مصدر في

موضع الحال

في موضع الحال او على انه نعت للضمير على سقاط اللام ولحنا لا
على سقاط في والاحسن تخريجها على حمة التضمين اي قد
لا تمنعونكم وساء الكفور لكم ما اولى نصحا وما في قوله ما عنتم
مصدرية اقد بين وقوعه اعنتكم من افواههم اذ لا يكتفون
ببغضكم بقولهم حتى انهم قد صرحوا بذلك فاقوالهم وذكر
الافواه دون الالسنة استجرارا لان ما يلفظون به يملاء افواههم
كما يقال قال كلمة يملا الفم اذا استدق فيها هاانتم
ابتدا ولا تقدم الكلام على نظيرها في قوله هاانتم اولاء حاجة
قال ابن محشي رضي الله عنه وتومنون ما لكتاب كله والواو
في وتومنون للحال وانتصابها من قوله لا يحبونكم او فاستقصا
ايضا من قولها انتم اولاء الحال انكم تومنون بالكتاب كله
وهم مع ذلك لا يحبونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يومنون بنبي
من كتابكم وقيل وقع حال شديد فيه انهم في باطلهم الملك منكم
في حكم وحكم قائم بالود كما تالون ومرجون من الله ما لا ترجون
انتهى كلامه وهو حسن الا ان في صناعة النحو ما يحدسه وهو انه
جعل الواو في وتومنون للحال وانها مستثنية من قوله
لا يحبونكم والمضارع المثبت اذا وقع حالا لا تدخل عليه
قد الا في الحال تقول جاء زيد قد يضحك ولا تقول جاء زيد
قد يضحك واما قوله لم تمنون وارماحكم عبلة في عانة
الشدق قد قال على اضمار مبتدا اي وهم تمنون واما اصك
عبيد فتصير الجملة استيناسية ويحتمل هذا ان يكون هنا
اي ولا يحبونكم وانتم تومنون بالكتاب كله ذكر الاولى
ما ذكر بالواو لتكون للعطف قال ابن عطية وتومنون بالكتاب
كله يقتضي ان الاية نزلت في منافقي العرف ويعترضها
ان منافقي اليهود لم يحفظ انهم كانوا يومنون في الظاهر ايمانا
مطلقا ويكفرون في الباطن كما كان المنافقون من العرف
الا ان يعني عن بعض الصحابة الشيء فليس الا ان
قولهم امنا معناه صدقنا انه نبي مبعوث اليكم اذ نكونوا
على دينكم وحنا دونكم واخوانكم لا ذمة لكم الا المودة وهذا كان
بعض المومنين يحذرهم بطانة وهذا امر قد حفظ ان
كثيرا من اليهود كان يذهب اليه ويدل على هذا التاويل
ان المجادل لهم امنا عن الانامل من الغيظ وليس في
ما يقتضي الاتحاد بحمائي قولهم واذا خلوا الى شياطينهم قالوا
انا معكم بل هو ما يقتضي البغض وعدم المودة وكان او للتنويع
رضي الله عنه اذ الاهذه الاية قال لم الا باحسنه وهذه الصفة قد ذهبت

وذكرهم

بانهم

حسن الا ان
في صناعة النحو

في اهل البدع من الناس
الى يوم القيامة
محمد حجو
٩

الله وما ذكر من ان منافي اليهود لم يحفظ عنهم انهم كانوا يوصفون في
الظاهر ايمانا مطلقا وتكفرون في الباطن الامار وي من امر زيد
وفيه نظر فانه قد روي ان جماعة منهم كانوا يعتمدون ذلك ذكره
البيهقي رضي الله عنه وكذا ذكره غيره ولم ينزوذلك الا عن رد
الفيقتقاعي فكان في ذلك مذمة لهم بذلك او في حد ذلك في جنسهم
وكثيرا ما يمدح الحر او تذم بفعل الواحد من القبيلة ونوابه
صدور ذلك من اليهود قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب
امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون
وقال الله عز وجل واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
الظاهر فعل ذلك وانه قد وقع منهم عض الانامل حقيقة شدة الغيظ
مع عدم القدرة على انفاذ ما يريدونه ويحتمل ان لا يكون ثم
عض انامل ويكون ذلك من مجاز التمثيل عبر بذلك عن شدة
الغيظ وكثرة التأسف على ما يفوتهم من اذيتهم اياكم قد ماتوا
بغيظكم ظاهره انه صلى الله عليه وسلم امر ان واجههم بهذا الامر على
سبيل الدعاء وامالمباينة لهم والبارئ في قوله بغيظكم للحال اي
ملتبسين بغيظكم انا عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة
تسؤهم ذكر سبحانه وتعالى المس في الحسنة ليبين انها بادنى
مس لخفة تحصل المساءة لهم لا لمعضمن ثم عادل ذلك في
السيئة بلفظ الاصابة وهي عبارة عن اتمكن لان الشيء
المصيب نسبي وهو متمكن منه او فيه فذكر هذا النوع هو
البليغ على شدة العداوة اذ هو حقيقة المذهب عند السداد
بل يفرحون منزول الشدائد بالمؤمنين وقابل الحسنة بالسيئة
والمساءة بالفرح وهي مقابلة بديعة وقرئ لا يضركم من ضار
يضير وقرئ بضم الضاد والراء من وعده مرة من ضره
يضره وخرج على ان حركة الراء اتباع لحركة الضاد وقيل هي حركة
اعراب وردذلك على ان التزيد التقديم لا على انه جواب الشرط وهو
وهذا ضعيف والذي يختار انه اجرى حركة الراء اتباع حركة
الضاد وقيل هي حركة اعراب ودلك على ان التزيد التقديم
لا على انه جواب الشرط وهذا ضعيف والذي يختار انه
اجرى حركة الكاف مجرى حركة الهاء فضم ما قبل الكاف كما
قالت العرب ولم يرده وهذا توجيه شاذ وفي هذه القراءة
قال الضحاك لا يضركم كيدهم بضم الضاد وكسر الراء المشددة
على اصل التقاء الساكنين قال ابن عطية رضي الله عنه فاما
الكسر في الراء فلا اعرفها قراءة وعسى ان الضحاك رضي
الله عنه في ذلك مسبوق فيها اذ قد يظهر من درج كلامه انها قراءة

انتهى

ای قوله

انه هو

انتهى وهي قراءة ايضا كما ذكرناه عن الضحاك رضي الله عنه وان عدوت
من اهلك الاية ما سنة هذه الاية لما قبلها انه لما نهاهم عن اتخاذ
بطانة من الكفار وعدهم انهم ان صبروا واتقوا فلا يضرهم كيدهم
ذكرهم بحالة اتقى فيها بعض طوائفه واتباع لتعلم انما فتية
وهو ما جرى يوم احد حيث اعتذر عبد الله ابن ابي ابن سلول حين انخذل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه في الانخذال ذو اثنانه
رجل من منافق وغيرهم من المومنين وان ذلك كله كان في غزوة
احد وفيها نزلت هذه الايات كلها ومعنى عدوه خروجهم من
عند اهلهم وشرذلك بحذ وجرح عائشة رضي الله عنها
يوم الجمعة غدوة النهار وقاعد للقتال اي مواقف للقتال
وعثمان بالفتح لانه عبارة عن الثبوت للشيء وقال الزمخشري
رضي الله عنه وقد اشتبه علي قعد وقام حتى اجرى مجرى صار
اسيا ما اجراء فقد مجرى صار فقال اضحاك رضي الله عنهم
انما جاء في لفظة واحدة وهي شاذة لا تتعدى وهي في قولهم شنجد
شفرته حتى قعدت كانها حربة اي صارت وقد نقد على الزمخشري
رضي الله عنه بحيث قوله تعالى فتقعد ملوما محسورا على ان
معناه تصير لان ذلك عند النحويين لا يطرد وفي الديوانية
لابي عمر الزاهد رضي الله عنه وقال ابن الاعرابي رضي الله عنه
القعود الضرورة والعرب تقول قعد فلان امثورا
بعد ما كان اجلا مثورا اي صار امرا واما احراق ام مجرى
صار فلا اعلم احدا عدها في اخوات كان ولا ذكرانها تاتي بمعنى
صار ولا ذكرها احد الا عند ابن هشام الخضراوي فانه
قد قال في قول بعض الشعراء • على ما قام يشتمني لئيم •
انها من افعال المقاربة قال ابن مخرج رضي الله عنه اذ عمل
فيها معنى سمع علم انتهى يعني اذ همت وهذا غير محرر
لان الحامل لا يكون مرادا من وصفين فتحريره ان يقول
او عمل فيه معنى سمع او علم ويكون المسالة من باب
التنازع وجوز ان يكون معمولا لتسوي ولقد وقع
من اهلك • اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الطائفتان
هم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان
قال ابن عباس رضي الله عنهما وكان خروجه صلى الله عليه وسلم
في الف والمشركون في ثلاثة الاف فلنخذل عبد الله ابن ابي ابن
سلول ثلث الناس • والله وليهما فسبتا عليهما اذ لم ينفرد
الهم بل حضروا القتال وفي ربي وليهم على الجمع • وعلى الله فليتوكل
المومنون اي بنصره وقد نصركم الله ببدر لما امرهم بالتوكل

هو الجيش

عليه ذكرتم بما يوجب التوكل عليه في امور معاشكم ومعادكم وما يسر من الفتح
والنصر يوم بدر وهم في حالة قلة وقلة اذكان قال لا يضر مع
التوكل عليه والثقة به وانتم اذلة في اعين اعدائكم من
القلة وان كانوا اعز اة في نفوسهم والنصر ببدر هو المشهور الذي
الذي قتل فيه صناديد قريش وعلى يوم بدر التبس الاسلام وكان
يوم الجمعة السابع عشر من رمضان لثمانية عشر شهرا من الهجرة
اذ تقول للمؤمنين الاية ظاهر فيما ذكرنا لما قبلها ولها من
قصة بدر وهو المشهور عن الاكثرين من اهل التفسير وغيرهم فتكون اذ
معمولا لانصركم وقد هذا من تمام قصة احد فيكون قوله
ولقد نصركم الله ببدر معترضا بين الكلامين لما فيه من الحث على
التوكل والثبات للقتال وحجة هذا القول ان يوم بدر
كان المدد فيه من الملائكة بالف وههنا ثلاثة الاف وكان الكفار
يوم بدر الفا والمسلمون على الثلث كما مر فكان عدد
الكفار ضعفا لا لعدد الملائكة ويوم احد كان المسلمون الفا والكفار
ثلاثة الاف فوعد وا بثلاثة الاف من الملائكة وقال وما توكم
من فورهم اى الاعداء او يوم بدر ذهب الجمهور اليهم قال الزمخشري
رضي الله عنه فان قلت قاله لهم مع شرط الصبر والتقوى
عليه فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تنزل الملائكة قلت وعلى
مشرط طلبهم لئن لم تنالوا ما قدم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبكم
وتعزموا على الثبات وتثقوا بنصر الله عز وجل انتهى كلامه وقوله
لم تنزل فيه الملائكة لم يسلم له بل قال مجاهد رضي الله عنه
حضرت فيه الملائكة ولم تقاتل قاتل قول مجاهد يسقط السؤال
وقوله قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن
الغنائم ولم يتقوا الى آخر الشرط بل الصبر والتقوى على الفعل اذ
بخمسة الاف من الملائكة لقوله ان لا تنزل ثلاثة الاف ن
والاشي منها قال ابن عطية رضي الله عنه وقرأ الحسن رضي الله عنه
ثلاثة الاف بتخفيف على الفعل وكذلك بخمسة الاف ووجه هذه
القراءة ضعيف لان الخفاف والخفاف انما يقتضيان الانصاف
كالاسم لو حلبوا انما الشاة كان لهما ولها وانما يأتي امثال هذا
للوقف لو امالة وقف فتعلق الوقف في موضع انما هو لانصاف
لكن قد جاء نحو هذا اللفظ في مواضع من ذلك ملكاه الزاي رضي الله عنه
انهم يقولون اكلت لحما شاة تريد لحم شاة فمطلوا الفتحة حتى
حتى نشأت عنها الف كما قالوا في الوقف فالاترون قال مطلوا الفتحة
في القوافي ونحوها من مواضع الترنيم والتطريب انتهى كلامه وفيه نكير

لحما شاة

وتنظير

ونظرت فرما تناسب والذي يناسب توجيه هذه القراءة
انها من اجراء الوصل مجرى الوقف واجراء الوقف مجرى الوصل
واما قوله لم يكن قد جاء نحو هذا الحرف في مواضع وجميع ما ذكر
انما هو من اشباع الحركة ليست نحو تلك التي اتى بها في الوصل
وانما هذه اشباع حركة لاجل الوقف لوجه اندراك الاشباع هاء ثم نقل
حركة الهاء الى ما قبلها وحذف الهاء وامر في الوصل مجرى الوقف
في الابدال والاحذف نقل ان لا يكون هذا النقل الا في
الوصل قال ابو عبيد حدثنا محمد بن ابي الفضل المرسي رضي الله عنه
الن تكلمتم حواب اصحابه حين قالوا هذا القول لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا لا هذا اعلمنا بالقتال لشاهدنا فقال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان تكلمتم قال ابن عباس رضي الله عنهما وفي
رواية قال ابن عيسى رضي الله تعالى عنه والكفاية مقدار
سد الخلة وان قد ادى ما اعطاه الشيء حالا بعد حال انتهى
وحكى من قولهم من سفرتهم هذا قاله ابن عباس وغيره في احد
احمس وفي رواية او من رجمتهم وهذا كما قاله الحسن وقتا
والسدك قتل وهي لغة هذيل وقيس عيلان وكنانة
او من عصبتهم هذا قاله مجاهد وعكرمة والضحاك واما
من لي هاني او كفاه في بضعتهم هذه قاله ابن عطية رضي الله
عنه او من ساعتهم هذه قاله ابو بحري رضي الله عنه ولفظة
الفور قد تكون على السرعة والعجلة تقول افعل هذا على
الفور والاعلى ان اجيء منه الفور الى الحج والاوس في اسناد الامداد
الى الملائكة دون غيره من اسماء الله سبحانه وتعالى الشعار
يحسن المطلع واللطف بهم وقرئ مسومين بفتح الواو وكسرها
واشتقاقه من السومة وهي العلامة وفي تعيين الاعلام
خلاف الله اعلم بالصحيح من ذلك • وما جعله الله البشرى
عائد على المصدر المفهوم من مدكم وما وان مذا دوبشرى
مصدر وهو مفعول من اجله ولما وجدت فيه الشروط
من اتحاد الفاعل وان ما ان لم تدخل عليه اللام ولما ان
قد احتلت فيما تقدم اشترط فيه الاتحاد وهو عدم اتحاد الفاعل
الى ما باللام في قوله ولتطمئن ولام ليقطع هي لام كي متعلقة بمحذوف
تقديره نصركم ليقطع بدل اشتمل على ما قبله من قوله تعالى وما
النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا ادى
مكابكفارا اي حانبا منهم بقتل او اسر او فرار او يكبتهم اي يهزمهم
قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فالدا ان كان الثاء اي يصيب
كبدهم بالحزن وعدم الظفر يقال كبده اصاب كبده ليس لك من الامر شيء

جملة اعتراض بين المعطوفين منبهة على ان الامر لله وحده لا يشركه
في ذلك احد يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة
مناسبة هذه الاية لما قبلها ومجيئها بين اثناء هذه القصة انه
تعالى لما نهى المومنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم واستطرد لذكر
قصة احد وكان الكفار اكثر معاملاتهم بالربا مع امثالهم ومع
المومنين وهذه المعاملة مؤدية الى مخالطة الكفار نهوا عن
هذه المعاملة التي هي الربا قطعا لمخالطة الكفار ومواد تهم
واتخاذ اخلاء منهم لا سيما والمومنون في اول حال الاسلام ذووا
اعسار واليهود وغيرهم من الكفار ذووا ايسار وكان ايضا
اكل الحرام له مدخل عظيم في عدم قبول الاعمال الصالحة والادعية
كما جاء في الاحاديث الصحيحة ان الله عز وجل لا يستجيب لمن مطعمه
حرام ومشربه حرام وملبسه حرام اذا دعا وان اكل الحرام
اذا حج فقال لبيك وسعديك فيقول الله تعالى له لا لبيك ولا
سعديك وحجك مردود عليك فناسب ذكر هذه الاية
هنا وقيل ناسب اعتراض هذه الجملة هنا انه سبحانه وتعالى
وعد المومنين بالنصر والامداد مقرونا بالنصر والتقوى
فبدا بالاهم منها وهو ما كان يتعاطونه من اكل الاموال بالباطل
وامر بالتقوى ثم بالطاعة وقيل لما قال ولله ما في السموات
وما في الارض وبين ان ما فيهما من الموجودات ملك له ولا يجوز
ان يتصرف في شيء منها الا باذنه على الوجه الذي شرعه واكل الربا
متصرف في ماله بغير الوجه امر به نبه تعالى على ذلك ونهى
عن ما كانوا في الاسلام مستمرين عليه من حكم الجاهلية والتضعيف
عاما بعد عام والربا محرم جميع انواعه فهذه الحال لا مفهوم
لها وليست قيدا في النهي اذ ما لا يقع اضعافا مضاعفة مساو
في التحريم لما كان اضعافا مضاعفة وقد تقدم الكلام في
تسمية الاكل الى الربا في سورة البقرة وقيل المضاعفة منصرفة الى الاموال
فان كان الربا في السن يرفعونها ابنة مخاض بابنة لبون ثم حقة
ثم جذعة ثم رباع هكذا الى فوق وان كان في النقود فماية الى قابل
بمائتين فان لم يوفها فتكون اربعماية والاضعاف جمع ضعف
وهو من جموع القلة فلذلك اردفه بالمضاعفة وقرئ سارعوا
بغير واو وسارعوا بالواو وعرضها السموات والارض فيهما حذف
كاف التشبيه وحذف المضاف وحذف المضاف هنا تقديره
كعرض السموات يدل على ذلك قوله عرضها السموات جمعا والعرض
قد يستعمل في السعة وبالمعنى الذي يقابل الطول وقد
فسر العرض هنا بهذين الوجهين اعدت للمتقين الذين ينفقون

في السراء

في السراء والضراء قال ابن عباس رضي الله عنهما السراء معناه بغيه
في وعن البشر والضراء يعني في زمن العسرة والكاظمين الغيظ
اي الممسكين ما في انفسهم من الغيظ والصبر فلا يظهرون تأثيره
في الخارج والعافين عن الناس واهتكت المحصنة والذين
اذا فعلوا فاحشة الآية نزلت بسبب فهان الهمازة انه امرأة
يستسقي منه ثم افقتها وصبها ثم ندم بعد ذلك وقيل ضربها على
عجزها قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد ما لفاحشة الزنا
وظلم النفس ما دونه من النظر واللمسة ولم يصروا معطوف
على فاستغفروا لذنوبهم والاصرار على الذنب هو المداومة عليه
ومن يغفر الذنوب الا الله جملة اعترضت بين المتعاطفين وتقدم
اعراب نظيرها في قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه
نفسه وفقه الجملة الاعتراضية فيها ترفيق للنفس وداعية الى
رجاء الله عز وجل وسعة عفوه واختصاصه بغفران الذنب
ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون لما الهزم من الهزم من المسلمين
اقبل خالد بن الوليد فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك فنزلت هذه الآية
قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله عز وجل ولا تهنوا اي ولا
لا تضعفوا عن الحرب ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر
بالكفار ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح الآية الخبر ان ناسا
منكم قتل احد فقد قتلتم منهم يوم بدر ثم لم يضعفوا ان قاتلوكم
بعد ذلك فلا تضعفوا انتم اليوم فقد مس القوم في غزوة احد
قبل بحالة اعز رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثر وهذه تسلية
من الله عز وجل للمؤمنين والناس فيه اعظم مسلاة وقرئ ان يكن
يمسسكم بالتاء وبالياء فالتاء على تأنيث القرح بمعنى الجراحة
وقرئ قرح بفتح القاف وضمها مع سكون الراء وقرئ قرح
بفتح القاف والراء وبهما لغتان كالطرد والطرد وليمحص التمحيص
التطهير من الذنوب وقيل الابتلاء والاختبار اي يمحص الله
الذين امنوا ان يمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة في هذه الآية
وما بعدها عتب شديد لمن وقعت منهم الهفوات يوم احد
ولفظهم على سبيل الانكار ان يظن احد ان يدخل الجنة وهو
محل ما افترض عليه من الجهاد والصبر عليه ولما يعلم الله جملة
حالية والمعنى لما يكن جهاد تعلمه الله وقال الزمخشري رضي الله
عنه ولما يعلم الا ان فيه ضربا من التوقع فذلك معنى نفي الجهاد
بما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل
كذا ولما يريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله انتهى كلامه وهذا الذي قاله

في لك انها تدل على توقع الفعل بها فيما يستقبل لا اعلم احدا من النحويين
ذكره بل ذكروا انك اذا قلت لما يخرج زيد ودك ذلك على انتظاره
لخروج فيما مضى متصلا بنفسه الى وقت الاخبار، ما انها تدل
على توقعه في المستقبل ولا ولما يعلم الله بفتح الميم وخرج على انه
اتباع لفتحة اللام او على انه دخله النون الخفيفة وحذف
كما حذفت في قوله لا يفتن الصغير وا ضله يعلمن ولهيبتر او على
انه نصب بالجازم وهي لغة كما جزموا بان في قوله لن يخيب
الآن من رجائك من هو حرك من دون بابك الحلقة وقرا الجمهور
ويعلم بفتح اللام فقيل هو مجزوم واتبع الميم اللام في الفتح كقراءة
من قرا ولما يعلم بفتح الميم على احد التخاريج وقيل هو منصوب
فعل على مذهب البصريين باضمار ان بعد واو مع نحو لا تاكل
السمك وتشرب اللبن وعلى مذهب الكوفيين بالواو نفسها والصرف وقرئ
ويعلم بكسر الميم عطفا على ولما يعلم وقرئ ويعلم برفع الميم قال
الزمخشري رضي الله عنه على ان الواو واو الحال كانه قيل
ولما تجاهدوا وانتم صابرون الله ولا يصح ما قاله لان واو
الحال لا تدخل على المضارع مثبتا دلك انه لا يجوز ان تقول
جاء زيد ويضحك واستريد جاء زيد يضحك لان المضارع
واقع موقع اسم الفاعل فهنا لا يجوز ان تقول جاء زيد وضاحكا
كذلك لا يجوز ان تقول جاء زيد ويضحك فان ادخل على ان
المضارع حيث حسن المحذوف امكن ذلك التقدير وهو يعلم الصابرين
ولقد كنتم تمنون الموت الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب
للمؤمنين وكانوا يحبون الجهاد والمراد الخصوص وذلك ان جماعة من المؤمنين
لم يحضروا بدرا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج قاصدا
لعير قريش فلم يظنوا حربا وقال اهل بدر بعضهم لبعض ما فاتنا من
الكرامة في الدنيا والآخرة فتمنى لقاء العدو ليكون لهم يوم
كيوم بدر وهم الذين حرضوا على الخروج لاخذ العير فلما كان
في يوم احد كان من قتل عبد الله بن قمئة مصعب بن عمير
الذي ظن انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهزم المسلمون فوجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال قتلت محمدا وصرخ بذلك صارخ ونسي
ذلك في الناس فكفوا فان من قد علم الرسول صلى الله عليه وسلم
الى عباد الله الى عباد الله حتى انحازت الطائفة
وانعزز ولي فاكفاهم بانه الى حين فلك فرجعت قلوبنا
فولينا هاربين فنزلت هذه الآية يلومهم على ما صدر منهم
مع ما كانوا قد رواسع انفسهم من تمني الموت وقرا الذي كنتم تمنون
بشد التاء في حروف مخصوصة ذكرها القراء في كتبهم ثم قال

ان تلقوه

ان تلقوه هو على حذف مضاف تقديره ان تلقون اسبابه فقد
رايتموه اي رايتم اسبابه وقرا الجمهور الرسل وقرئ رسل بالتنكير
• افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم لما صرخ فيهم بان محمدا
قد قتل تزلزلت اقدام المومنين ورعبت قلوبهم وامضوا في الفرار
وكانوا ثلاث فرق فرقة قالوا ما نصنع بالحياة بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه فقاتلوا حتى قتلوا منهم
انس ابن النضر وفرقة قالوا نلقي اليهم بالدنيا فانهم قومنا وبنو عمنا
وفرقة اظهرت النفاق وقالوا ارجعوا الى دينكم فانه لو كان محمد نبيا
لما قتل وقد اجتمع في هذه الاية الاستفهام والشرط ومذهب
سيبويه ان قوله انقلبتم جواب للشرط ومذهب يونس رضي الله عنه
ان الاستفهام داخل على قوله انقلبتم وجواب الشرط محذوف
وهذه مسالة ذكرت في النحو على اعقابكم معناه الارتداد والفرار
بسرعة وتقدم في البقرة تفسير نظير هذه الاية قال ابن عطية
كتابا موجلا كتابا نصب على التمييز انتهى وهذا القول لا يظهر
فيه معنى الالتفات فان التمييز كما قسمه النحاة ينقسم الى منقول
وغير منقول واقسامه في هذين النوعين محصورة وليس هذا
واحدا منها انتهى وقرا الاعمش ومن يرد ثواب الدنيا فوته منها
ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها بالياء فيهما قال ابن عطية رضي الله عنه
وذلك على حذف مضاف او على حذف الفاعل لدلالة الكلام عليه
انتهى هذا وهم وصوابه ان يكون ذلك على اضمار اضمار الفاعل
والضمير عائد على الله تعالى وكاي من نبي الاية لما كان من المومنين
ما كان يوم احد وعقب الله عليهم ما صدر منهم في الايات التي تقدمت
اخبرهم بان الامم السالفة قتلت انبياء كثيرة او قتل ربيون كثير
معه فلم يلحقهم ما لحقكم من الوهن والضعف ولا نياهم عن القتال
فجعهم بقتل انبيائهم او قتل ربيهم بل مضوا قدما في نصرة
دينهم صابرين على ما حل بهم اذ قتل نبي او اتباعه من اعظم
المصاب فكذلك كان ينبغي لكم التاسي بمن مضى من صالحي الامم
السابقة هذا وانتم خير الامم ونبيكم خير الانبياء وفي هذه الاية
من العتب لمن فر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وكاي
اي وكم للتكثير وهي مركبة من كاف التشبيه ومن اي وبعض
القراء وقف على الياء وبعضهم على التنوين لثبوتها في رسم
المصحف وفيها لغات منها وكاين وقرئ بها وكاين وكاين وكاه
وقرئ بهذه الثلاث في الشواذ وكاين مبتدا خبره قتل ومن نبي
تمييز ويكثر زيادة فيه وزعم ابن عصفور انها لازمة فيه
والصحيح انه يجوز حذف من ونصب التمييز نص على ذلك سيبويه

جن م

رضي الله عنه

وكذا نص عليه غيره والضمير في قتل عائد على كأي والجملة من قوله
معه ربيون في موضع الحال وجوز ان يكون المرفوع بقتل معه ربيون
والربي منسوب الى الرب وكسر الراء فيه شذوذ كما نسبوا الى
امس امسي وهو عائد الرب عز وجل فما وهنوا لما اصابهم من
قتل نبيهم ان كان الضمير في قتل يراد به النبي وان كان المقتول
الربيين فالضمير في وهنوا لا يعود على الربيين بل يعود على من
بقي وقرئ وهنوا بفتح الهاء وكسرها وسكونها ايضا قال ابن عطية
رضي الله عنه وقراءة من قرأ قاتل معه ربيون كثير هي اعم في المدح
لانه يدخل فيها من قتل ومن بقي ويحسن عنده اي عند ابن عطية
على هذه القراءة استناد الفعل الى الربيين وعلى قراءة قتل
معه استناده الى ربيين نبي انتهى والذي يظهر ان قتل امدح
وهي ابلغ في مقصود الخطاب لانها نص في وقوع القتل
وتستلزم المقاتلة وقاتل لا يدل على القتل اذ لا يلزم من المقاتلة
وجود القتل اذ قد يكون وفي رواية اذ قد يكون مقاتلة ولا يقع
قتل وما ذكر من انه يحسن عنده ما ذكر لا يظهر حسنه بل القراءتان قد
يحتملان الوجهين قرأ قتادة رضي الله عنه وكأي من نبي قتل معه ربيون
كثير قال ابو الفتح ابن جني رضي الله عنه لا يحسن في هذه القراءة الا ان
يستند الفعل الى الربيين لما فيه من معنى التكثير الذي لا يجوز ان
يستعمل في قتل شخص واحد فان قيل يستند هنا الى قوله نبي مراعاة
لمعنى كم فالجواب ان اللفظ قد مشى على جهة الافراد في قوله من نبي
ودل الضمير المفرد في معه على ان المراد انما هو التمثيل بواحد واحد
فخرج الكلام عن معنى كم قال ابو الفتح رضي الله عنه وهذه القراءة تقوي
قول من قال لمن قتل وقاتل انما يستند الى الربيين انتهى كلامه رضي
الله عنه وليس بظاهر لان كأين هي مثل كم وانت اذا قلت كم من
عان فككته فافردت راعيت لفظ كم ومعناها الجمع فاذا قلت
كم من عان فككتهم راعيت معنى كم لا لفظها وليس مراعاة اللفظ
تارة ومراعاة المعنى تارة كان قال ومدلول كم وكأين كثير والمعنى جمع
كثير واذا اخبرت عن جمع كثير فتارة تفرد مراعاة اللفظ وتارة
تجمع مراعاة للمعنى كما قال تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر
سيهزم الجمع ويولون الدبر فقال منتصر وقال ويولون وقول ابي
الفتح في جواب السؤال الذي فرضه ان اللفظ قد جرى على جهة الافراد
في قوله من نبي اي روعي لفظ كأي لكون تمييزها جاء مفردا فناسب
لما مر ان يراعى لفظها والمعنى على الجمع وقوله ودل الضمير المفرد
في معه على ان المراد انما هو التمثيل بواحد واحد هذا المراد مشترك
بين ان يفرد الضمير او يجمع لان الضمير المفرد ليس معناه هنا افراد مدلوله

بل لا فرق

١٥٧

كلا فرق بين مفرد او مجموع من حيث المعنى فان لا فرق قد لا تدل
علامة على ذلك على كل فرد فرد وقوله تخرج الكلام عن معنى كم انما
خرج عن جمع الضمير على معنى كم دون لفظها لانها اذا وقعت لفظا لم
يكن مدلولها مفردا انما يكون جمعا كما قالوا ما احسن الضيفان واجلده
محياه واجلهم الذين كم واظاهر العموم وقال علي وابن عباس
رضي الله عنهما اجمعين المراد بهم ههنا المنافقون الذين قالوا للمؤمنين
لما رجعوا من غزوة احد لو كان نبيا ما اصابه الذي قد اصابه فارجعوا
الى اخوانكم سيلقى الذين هادوا يسمعون الى بني اوب في استقبال
من سوف وسرى في قتلى الذين كفروا الرعب تسكون العين وضمها
والباء في بما للسبب وقل اي بعضرته وقل ما هي المصدرية
اي بما شركهم بالله وسمى سلطانا لباء اي لوضوح امره سبحانه وتعالى وما
لم ينزل به سلطانا تريد الها او معبودا لم ينزل به سلطانا وليس لهم
المعنى هنا ان ثم سلطانا لم ينزله الله عز وجل وانما المعنى على نفي
السلطان فيستغني الانزال كما قال علي رضي الله عنه
لا حجة لا تعتدي بما اي لا ما لم فيهتدي به طالبو الحق هنا
السلطان والانزال كاينفي المسار والهداية ولقد صدقكم الله
وعده هذا جواب لمن رجع الى المدينة من المؤمنين قالوا وعدنا الله
بالنصر والملائكة فما بالنا انهزمنا وجرحنا اعلاما انه تعالى صدقهم الوعد ونصرهم اولا على اعدائهم اولا وكان
الامداد مشروطا بالصبر والتقوى فانفق من بعضهم من المخالفة
ما نقص الله تعالى في كتابه وجاب المخاطبة بجميع صبر المؤمنين
في هذه الاية وان كانوا لم يصدر منهم ما لحقت عليه من جميعهم
وذلك على طريقة العرب في ستة ما يقع من بعضهم للجميع على سبيل التجوز
وفي ذلك ايقاظ على من فعل وستر لمن لم يفعل وزجر لمن لم تفعل
ان يفعل وصدق الوعد انهم هزموا المشركين اولا وكان يعلى
ابن ابي طالب رضي الله عنه وحزة ابن عبد المطلب والزبير وابن
دحانة وعاصم ابن ابي الاقلح يقتلون كل من دنا منهم فلما ولى المشركون
انهزم الرماة الذين كانوا على الجبل ليغنموا فلم يبق منهم الا
نفر يسير وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الاخرة وكان المشركون في
ثلاثة الاف ومعهم مائتا فرس والمسلمون في سبعمائة رجل
وتعرف صدق هذا الى انتم واصلها ان يكون الذي بحرف الجر
من باب استغفر واختار والعامل في قوله اذ صدقكم ومعنى
تحسونهم تقتلونهم وكان قد قتل من المشركين اثنان وعشرين
رجلا وقرأ ابو عبيد ابن عمير تحسونهم وابن عباس تحسونهم اي تدبرون
حسهم بالقتل وعنى القتل وقت الفشل وهو الجبن وقيل
الضعف عن القتال وقيل هو التنازع وهو كناية عن التجاذب في الامر

والثاني صدر من الرماة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رتب
الرماة على فم الوادي وقال انضحوا خيلنا وان رأيتمونا نهزمنا فلا ترتلوا
عنا ولو رأيتمونا تخطفنا وعدهم النصر ان ثبتوا في المراكز فلما انهزم
المشركون قال بعض الرماة قد انهزموا فما موقفنا ههنا فذكر الغنيمة
الحق اثنا بالمسلمين وقال بعضهم بل نثبت مكاننا كما امرنا وقيل
الثاني بالوعاظ صدر من المسلمين من الاختلاف حتى صح ان محمدا قد
قتل والحصيان بن مروان ذهاب من ذهب من الرماة عن مكانه طلبا
للغنيمة والغنيمة وكان ذلك الحين الذي قلة الرماة مخالفة في خيله
وعمد علي من بقي من الرماة فقتلهم وحمل على عسكر المسلمين فانهزم
المشركون فاصيب من المسلمين يومئذ سبعون رجلا واذا قعد حي ٢
في موضع جرحت من الاعراب في الشرط قال ابن عباس رضي الله عنهما
وقد قال ابن جاج وابن عطية وغيرهما رضي الله عنهم اجمعين وقيل
تدخل حتى على اذا الشرطية وجواب اذا المحذوف انهزموا محذوف
لاعتضيم على زيادة الواو والاعلى زيادة ثم وقدر ابن عطية
يعني قد انهزمتم وانهزموا يعني قد منعكم نصره وغيرهما امتحنتم
ويظهر لي ان الجواب المحذوف غير ما قدروه وهو قد انتصرتم
الي حينئذ ونزل عليكم ما بعده وهو يظر قوله سبحانه وتعالى فلما
نجاكم الى البر اعرضتم كنظير قوله انفيا فلما نجاهم الى البر فمنكم مقتصد
مقتصد اقدر انقسموا فمنهم من فمنهم مقتصد لا يقال
كيف يقال انقسموا في حين قتل وتنازع وعصى لان هذه
الافعال لم تصدر من كلهم بل صدرت من بعضهم بخلاف ذكره في اول
الكلام على هذه الاية فمنكم من يريد الدنيا قال ابن مسعود رضي الله عنهما
هي الغنيمة كان رماة الذين امرهم صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا
من مكانهم ومنكم من يريد الاخرة اي ثواب الاخرة كان رماة الذين
ثبتوا قاتلوا حتى قتلوا في قتلوه الحسن منهم انس بن النضر
اذ تصعدون قرئ رباعيا من اصعدوا الاصعاد هو ابتداء
السفر وقرئ تصعدون مضارع صعد من صعد اذا ارتقى
في السلم وقرأ الحسن رضي الله عنه تلوون على احد وخرجوها على قولهم
همزة الوصل ونقل الحركة الى اللام وحذف الهمزة ويحتمل ان يكون مضارع
ولي وعدي بعلى لتضمنه اي توفلا تعطفون على احد قال ابن
عطية من ألوى عنه حذفت احدى الواوين الساكنتين وكان قد
قال في هذه الآية هي قراءة مشكلة على لغة من همز الواو المضمومة ثم نقلت
حركة الهمز الى اللام فاجتمع واوان ساكنان احدهما الواو التي هي
عين الكلمة والاخرى التي للضمير فحذفت احدى الواوين لانهما ساكنتان
وهذا قول من لم يجد في صناعة النحو لانهما اذا كانتا متحركتين على لغة

من همز

كان من همز الواو المضموم ثم نقلت حركة الهمز الى الساكن فاجتمع واوان ساكنا
احدهما الواو التي هي عين الكلمة والاخرى واو الضمير فحذفت
احدى الواوين لانهما ساكنتان وهذا قول من لم يعتن في صناعة
النحو لانها اذا كانت متحركة على لغة من همز الواو ثم نقل حركتها الى اللام فلت
الهمزة اذ ذاك تحذف ولا يلتقي واوان ساكنان ولو قال لسقطت
الضمة على الواو لان الضمة طارئة وصار ذلك كانه جمع بين ملامين واو
فنقلت الضمة الى الواو فالتقى ساكنان فحذفت الاولى منهما ولم يتنبه
في قوله احدى الواوين لامكان ذلك في توجيه هذه القراءة الشاذة
امكان ان يثبت ذلك لغة من همز على ذلك ولا يستصوب ذلك في الرسو
يدعوكم اي تقول لكم اي عباد الله اي عباد الله فاتاكم
كني به عن العاقبة على ان ارادهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
قد قيل في معنى ذلك بحتة بنهم ضرب وجيع قال الزمخشري رض
الله عنه ويجوز ان يكون الضمير في فاتاكم للرسول صلى الله عليه
وسلم اي فاساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية
والشجة وغير ما غمه فاثابكم غما متصلا بغم لكيلا تحزنوا على شيء
يسب عن غم يغمكم لاجله ولم يتبكم على عصيانكم ومخالفتكم
وانما فعل ذلك ليسلبكم ويفشي عنكم لكيلا تحزنوا على
ما فاتكم من نصر الله عز وجل وعلى ما اصابكم من جلبة العدو واتفق
وقوعه وهذا خلاف الظاهر لان السياق انما هو لحكاية ما وقع
وذلك في قوله ولقد صدقكم الله وعده وقوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم
ليسلبكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين فيكون قوله
فاثابكم مسندا الى الله سبحانه وتعالى وذكر الرسول اتما يجيء
حالية بمعنى عليهم في ايمانهم مع كونهم ممن اهتدوا على يديه وسمعوا كلامه فلم
يجيء مقصودا الا ان يجعل بعدا ايما الجملة التي ذكر فيها
في تقدير المفرد الذي حال قال ابن محمد رض الله عنه وانا
عطف على صرفكم انتهى وفيه بعد لطول الفصل بين المتعاطفين
والذي يظهر انه معطوف على قوله اذ تصعدون ولا تلوون
على احد لانه مضارع في معنى الماضي لان اذ تصرف المضارع
الى الماضي اذ هي ظرف لما مضى والمعنى ان صعدتم وما لويتم على
احد فاثابكم غما بغم اي ملتبسا بغم ويريد بذلك
كثرة الغم الذي حصل لهم وكان ابن عباس رض الله عنهما يقول
الاول هو ما اصابهم من الهزيمة والقتل والثاني اشراف
خالد بخيل المشركين عليهم كما لا تحزنوا لست لا ائدة وتقدير
لكي تحزنوا كما قدرت اليه الواو لئلا وقيل لا زائدة وتقدير
الكلام فاثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا لتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا

الجبل فلعله رأى من نزوا كما مني ان ذكي والناس يقولون قتل محمد
عليه الصلاة والسلام فقلت لا احد احدا يقول قتل محمد الا قتلته
هي احتجاجا على الحلف لن هذه الاية كلها انما استرهم الشيطان
ببعض ما كسبوا اي طلب منهم الزلل وعدم هو اليه لان ذلك هو
مقتضى الوسوسة وتحقيقه هكذا اقالوا قال الله تعالى لا يلزم من طلب الشيء
وطلب ارادة حصوله قالوا لي ان يكون استعمل هنا معنى
الفعل فيكون المعنى انهم ان الشيطان قد دل على حصول الزلل فيكون
اشتراك وان لك بمعنى واحد كاستان وابان واستد وانك وقالوا
اني قال بعضهم لبعض لاخوانهم اي لاجل اخوانهم اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها والمراد بالاخوان هنا اخوان النسب واخوان النساء لقد
واذ ظرف مستقبل لا يمكن ان يعمل فيه قال المصنف وقال الزمخشري
رضي الله عنه فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو حكاية
لحال الماضية كقوله تعالى حين يضربون في الارض الاية وقال ابن عطية
رضي الله عنه وحكمت اذا وهي حرف استقبال من حيث الذي فيه انهم فيه
ايقاع تعبير من قال في الماضي ومن يقول في المستقبل ومن حيث
هذه الاية لم تتصور في مستقبل الزمان وهذان اقوال
ضعيفان والذي يظهر ان العامل في اذا مضاف محذوف يدل عليه
الخبر تقديره لاجل قرابة اخوانهم اذا ضربوا اي سافروا في الارض للتجارة
وغيرها فماتوا او كانوا غزاة غازا اي في غزاة اي في كانوا مقيمين
عندنا فما ضربوا اي لم يسافروا في الارض فلم يغزوا وما قتلوا
الضرب في الارض سببا للموت والغزو سببا للقتل وعن اجمع غاز
جمع على فعل شاذ قد او اصله غزو كقاض وقاع وعفاة
والقياس غزاة وعفاة وقرئ غزا بتخفيف الزاي ووجه على
حذف احدى المضعفين تخفيفا وقيل حذفت التاء واصله
غزاة كرماة وقال ابن عطية رضي الله عنه وهذا الحذف كثير في كلامهم
واورد من ذلك الابر والبتو جمع ابر وابن كما قالوا عم وكموة وخاة
وخؤولة ثم حذفوا التاء فقال عمو انه قد يخصا وليس ابو وبنو
ما حذفت منه التاء لانهما قصدا ان الاعمان والاخوان وهو جمعان على
وزن فعول كما قالوا ابوة وخؤولة وان الناس الاعتلال فيقال
ابي وبني وهي كما قالوا عصي وعصي واما الحذف الذي ادعاه
في عمو من ان اصله عموة تعول لم يذهب اليه بحري وكذا ما ادعاه
في غزا وان اصله غزاة فلا يجوز ان قياله في رماة رمى وفي قضاة
قضا ولا في وان مشى ليعمل الله ذلك حسرة في قلوبهم لا يصح ان
يكون ذلك تعليلا لقولهم وانما قالوا ذلك تسلطا للمؤمنين على الجهاد
ولا يصح ان يتعلق بما نهي وهو لا تكونوا كالذين كفروا ان جعل الله ذلك

حسرة في قلوبهم

لتحشرون الى الله وقيل هو خطاب للمؤمنين كالخطاب السابق ولذلك
قدم الرحمن رضي الله عنه الى الرحيم الى نفع الرحمة المترتب العظيم
الثواب يحشرون قال ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقدمه
واخلال اللام على الحرف المتصل به شاب لتشريف اشعر بتشريف
بذلك الى مذهبه من ان التخصص يوافق بالاخذ فيما من حكاية الذي
عنده لا يرى الله الا الى عدم تحشرون وقد عندنا لا بذلك بالوضع على
ذلك وانما يدل التقديم على الاعتناء بالشيء والاهتمام بذكره كما
قاله سيبويه رضي الله عنه وذكر ايضا ان الخاج وغيره زاده حسنا
هنا ان تاخر المفعول فاصلة فلو تاخر المجرور لفات هذا
العرض فما رحمة من الله كنت لهم ما زائدة والمجرور متعلق
بلنت قال الراد ي قال المحققون دخول اللفظ المهمل اوضح
في كلام الحاكمين عجائبين وهنا يجوز ان تكون ما استفهامية
للتعجب فقدره فبأي رحمة من الله كنت لهم وذلك ما دان
جنايتهم لما كانت عظيمة ثم انه ما اظهر كنته تغلظ في القول
والخشونة في الكلام علم ان هذا لا يتأتى الا بتهيئة ربانية فلذلك
ذكر انتهى كلام المدقق فما قاله المحققون صحيح لكن زيادة ما للتوكيد
لا تنكره وفي اساكيه من لدني تعالى بالعربية فضلا عن من
تتعاطى تفسير كلام الله عز وجل وليس ما في هذا الكلام مما يتوهمه
احد منهما ولا يحتاج ذلك الى تاويل بان تكون استفهاما للتعجب
ان تقدير ذلك فبأي رحمة دليل على انه جعلها مضافة
للرحمة وهاذهب اليه خطأ بين وجهين احدهما انه لا يضاف
ما الاستفهامية ولا اسماء الاستفهام غير اي بلا خلاف وكم على مذهب
ابي اسحاق رضي الله عنه والثاني ان اذا لم يقطع الاضافة فيكون
اعرابه بدلا واذا كان بدلا من اسم الاستفهام فلا بد مما عاد في
همزة الاستفهام في البدل وهذا الرجل لحظ المغبي ولم يلتفت
الى ما له يحتد والمستور عليه قال الخاج رضي الله عنه في ما
هذه انها صلة فيها معنى التوكيد باجماع النحويين والرحمة
باي لين الكلمة ورقة وعطفه على المرحوم والملاطفة
للمجرم قولا وفعلا وغلظ القلب صلابته وشدته بحيث لا يلين
ولا ينفضوا من تفرق من حولك اي من جملتك فاعف عنهم فيما
من بما اخبروه من الفضائل حيث فروا واستغفر لهم الا طلبت
الغفران لهم من الله عز وجل وشاورهم في الامر فيه تنبيه على ان
رضاء صلى الله عليه وسلم عنهم وجعلهم اهلا لمشاورته وهذا الترتيب
في غاية الحسن امره تعالى بعفو عنهم باستغفار لهم ثم بمشاورتهم
وعاتبه في ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما فقد قطيعة حمزة

ثم لما رفعت رأسي من ركعتي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده
ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء الآية
قال سالم فحدثني عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ما يرفع رأسه من الركعة الآخرة من صلاة الفجر يقول
اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده
ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء الآية
قال سالم فحدثني عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام
بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فأنزل الله تعالى

انه لان ادعوتك من انفسهم اى بعثى العرب كما قال سبحانه وتعالى هو الذى
بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته وقال سبحانه وتعالى حكاية
عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ولذلك قال
عليه الصلاة والسلام انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى يظهر عليه
الصلاة والسلام وليس فى العرب قبيلة الا ولد نشأ فيها من جهة
الامهات الانصارى بنى نجار وقرى شاذا لمن من الغريب الجائة
ومن بحر فرها مدرك من قدمت فى ان تحذرى رضى الله عنه وكنيد حمار
ان يراد لمن من اهل على المعنى منه او لجنسه او لجنس هم رسولا من
انفسهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ فى محل الرفع كما ذكر فى قولك
اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت
بعثه فيهم اى اليهم رسولا اما الوجه الاول فهو سائغ وقد حذف
المبتدأ مع من فى مواضع منها قولهم وانا من اهل الكتاب اكتب من
به قل هو به وما منا الا له مقام معلوم وما منا الا وان ذلك على قول
واما الوجه الثانى فهو فاسد اذ جعل اذ ظرفا وليست تستعمل الا ظرف
متصرفة البتة وانما تكون ظرفا او مضافا اليها اسم زمان او اسم مكان
ومفعولا لما ذكرنا قول من ان تستعمل تصرفا فلم يثبت ذلك فى كلام
العرب الا الاخفش ولا يكون فاعلا ولا مفعولا ولا مبتدأ فى
انشى كلامه واما قوله فى محل الرفع كما فى قولك اخطب ما يكون الامير
به مرفوع بالابتداء والاشارة ليس مبتدأ انما هو ظرف فى موضع الخبر
على زعم من يرى ذلك وليس معنى الحقيقة فى موضع رفع بل هو فى موضع
نصب بالعامل المحذوف وذلك العامل الكمين هو مرفوع صار فى محله
فى موضع نصب كما ذكرنا واما قوله فى قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان
قائما فهذا فى غاية الفساد لان هذا الظرف على حد نقض من جعله فى موضع
خبر المبتدأ الذى هو اخطب لا يجوز ان ينطق به انما هو امر تقديرى وقد
نصر ارباب هذا المذهب وهم الاقلون باعراب اخطب مبتدأ ان
هذه الحال سدت مسد الخبر وانه مما قد يحذف الخبر فيه لسد
هذه الحال مسده وفى تقرير هذا الخلاف مذاهب ذكرت فى الكتب
المبسوطات من كتب النحو وقوى من نفسهم بفتح الفاء من الفساسة
وعن سيدنا ومولانا الامام الاعظم على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم فى
الدارين وجهه قال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
انا النفسكم نسبا وصهرا ولا فى اباى من لدن آدم الى ابوى
ولدتنى سفاح بل نكاح • والحمد لله رب العالمين • قال
الله تعالى وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم لفى ضلال
مبين حمل الضلال ظرفا لهم وهم فيه لان الظرف
لم يكونوا اهل كتاب وهم عباد اصنام من كون وتقدم الكلام

هـ اى من منذ خلق

على ان وهذه الام فى قوله وان كانت كثيرة ان على الذين هدى الله

وقال الزمخشري رضي الله عنه ان اي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينها وبين اخواتها النافية وتقديره وان الشان والحديث لقد وقار
في قال سيبويه ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والتقدير علمنا
قوله وانهم كانوا فظهر من كلام الزمخشري مجامعة حذف اسمها
وما وضمير الشان والحديث وهو ضعيف قائد على الوصف وكلاهما من
المواضع التي لا يحذف فيها ٭ اقول اصاتكم مصيبة الجملة
الجرة هنا للاستفهام الذي معناه الانكار قال الزمخشري رضي الله عنه
وانما نصب بقوله قلتم واصابكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره
اقلتم حين اصابتكم واني هذا نصب لانه سؤال والمراد به هنا
التقرير والتوبيخ واذ قلت شيء مر عطفت الواو هذه الجملة قلت
على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده فقيد بزمن
وهو بعيد ايضا اذ يقع مثله في القرآن واما العطف على محذوف
فمرجوح وعلى ما تقرر في غير موضع من مذهبه وقد رد وماه عليه وعلى
من ذهب الجمهور سيبويه وغيره فالواو اصلها التقديم وعطف هنا
الجملة الاسمية على فعلها واما قوله ولما نصب الى لحن وتقديره
وقلتم اتم حينئذ كذا وكذا فجعل لما بمعنى حين فهذا سوء مذهب
سيبويه والمبرد وهذا مذهب ابي علي رضي الله عنه وقال الفراء والزجاج رضي الله
تعالى عنهما ان حكم سيبويه رضي الله عنه فلما حرف لا ظرف وهو
حرف وجوب لوجوب وهذا مذهب سيبويه هو الصحيح وقد بينا فساد
هذا مذهب ابي علي من وجوه في كتابنا المسمى بالتحصيل والمصيبة هنا اي
ما نزل بالمؤمنين يوم احد من قتل سبعين منهم والكفار قالوا ابن عباس
رضي الله عنهما قتلنا يوم بدر سبعين واسرنا سبعين والملائكة فعلت في
العدو ما صانه ارطاك قلتم اني لنا هذا اي استفهام على جهة الانكار له
والتعجب والمعنى كيف اصابنا ذلك او كيف اصابنا ذلك او كيف
اصابنا هذا ونحن مقاتلة اعداء الله وقد وعدنا الله بالنصر
وامدادا لملائكة واني سؤال عن الحال والمعنى ان تكون هنا بمعنى
من اين لانه لما استفهم لم يقع عن الكفار ولا عن الزمان
هنا وانما استفهم وقع عن الحالة التي اضيفت لهم ذلك سألوا عما
على سئل استعجب وقال الزمخشري رضي الله عنه قلتم اني لهذا اي من اين
لنا هذا كقوله اني لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله
انتهى كلامه والظرف اذا وقع خبر المبتدا لم يقدر وهذا عليه حرف
جر عند في امثال يقدر واحدا علم من ولا له انما انتصب على اسقاط
في وتلك اذا اضمر الظرف تعدى الله الفعل بوساطة وان لا يتسع في الفعل فينصبه نصب المشبه بالمفعول به وتقدير الزمخشري
اني لهذا اي من اين لنا هذا وهذا تقدير غير سائغ ولا دال على هذا التقدير

من عند انفسكم وقوله من عند الله وقوف مع مطابقة الجواب للسؤال في اللفظ
وذهل عن هذه القاعدة التي ذكرناها واما على ما قررناه فان الجواب جاء على مراعاة
المعنى لا على مطابقة الجواب هنا للسؤال في اللفظ وقد تقرر في علم العربية
ان الجواب قد يأتي على حسب السؤال مطابقا له في اللفظ ومراعى فيه
المعنى لا اللفظ والسؤال بأني سؤال عن تعيين كيفية حصول هذا
الامر والجواب بقوله من عند انفسكم يتضمن تعيين تلك الكيفية
لانه بتعيين السبب تتعين الكيفية من حيث المعنى لو قيل على
سبيل التعجب والانكار كيف لا يحج زيد الصالح واجيب عن ذلك بان يقال
لعدم استطاعته حصل الجواب وانتظم من المعنى انه لا يحج وهو غير مستطيع
• قل هو من عند انفسكم قال الزمخشري رضي الله عنه المعنى انتم السبب فيما
قد اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي
الله عنه وكرم في الدارين وجهه اي اصابكم ذلك لاجل اخذكم الفداء
من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم انتهى وهو كلام ملفق من كلام بعض
المفسرين • وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله ما هنا شرطية
او هي موصولة وجواب الشرط او جواب لخبر المبتدا او خبر المبتدا قوله
فباذن الله وهو على اضمار اي فهو باذن الله ونصرا على ان فعل
الشرط وصلة الموصول لا تكون ماضية وهنا وفي قوله تعالى ما افاء الله
على رسوله منهم معلوم ان هذه الاصابة وتلك الافاءة معلوم مضيهما
فتاويلهما على معنى التبيين اي تبيين اصابتكم او ان تبين الافاءة
• وليعلم قالوا متعلق بمحذوف اي وفعل ذلك ليعلم والمختار ان
تكون معطوفا على باذن الله والباء واللام كلاهما للسبب تقدم
الكلام في تفسير علم الله المسند اليه في هذا التركيب في قوله ليعلم من يتبع
الرسول والذين نافقوا هنا هم عبد الله ابن ابي واصحابه وقيل
لهم القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عبد الله ابو جابر ابن
عبد الله تبعهم لما انخذلوا عن المسلمين ووعظهم وذكرهم فلما لم يجيبوه
لما سال منهم قال اذهبوا اعداء الله ثم رجع عنهم وقاتل حتى قتل
شهيدا رضي الله عنه آمين • اقرب منهم للايمان وجه الاقربية التي هي زيادة
في القرب اي والمراد بها الزيادة في القرب انهم كانوا يظهرون ولم تكن لهم
امارة تدل على الكفر فلما انخذلوا عن المؤمنين وقالوا ما قالوا ازدادوا
قربا للكفر وتباعدوا عن الايمان اي ازدادوا بقولهم للكفر قربا
وازدادوا به تباعدا عن الايمان واللامان يتعلقان باقرب ويومئذ
منصوب باقرب والتنوين في اذن للعوض من الجملة المحذوفة تقديره يوم ان
قالوا ذلك لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كما تقدم في قوله كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم
قال ابن عطية رضي الله عنه بافواههم توكيد مثل قوله ولا طائر يطير بجناحيه الا
امم امثالكم انتهى ولا يظهر انه توكيد اذ القول ينطلق هنا على اللساني وعلى

النفساني

فلم يخصص هذا الاطلاق فنحن اذا قلنا ان اطلاقه على النفساني مجاز
فكون ادراكه في كنه الحقيقة اقوى وقعد واصلة حالته او آثاره
يعني في القعود وفري ما قتلوا استبرد الثناء وتخفيفا قتل فادرأوا
اي ادفعوا عنه فادارأتم فيه والله مخرج ما كنتم تكتمون ومنه قوله
انضاوبدرا عنها العذاب ولا تحسبن بالتاء خطابا للسامع
وبالياء اي ولا تحسبن هو اي حاسب قال الزمخشري من
اقعد عنه وحمزة ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا تحسبنهم
الذين قتلوا اموتا اي لا تحسبن الذين قتلوا انفسهم اموتا
فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في ان هذا
مستبد الحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء والمعنى هم احياء والله
الكلام عليهما انتهى ملاصه اما تقدير ولا تحسبنهم الذين قتلوا فغنية
تفسير الضمير بالفاعل الظاهر وهو لا يجوز فلا تقول حسبته زيد
وظننته زيد حسب نفسه ولا ضربه زيد من يريد ضرب نفسه
وقد ذكر ذلك في السحر الواضح في تفسير الضمير الا ثم المتأخر
او الجملة افقا قاوا اختلافا فلم يفسر منها الضمير الذي يفسر
الظاهر الفاعل واما جوازه من حذف المفعول الاول في باب
حسب فقال الفارسي رضي الله عنه حذفه اختصارا لا
عن حد او قال بعض اصحابنا لا يجوز حذفه والله وبالجان
هكذا اقول ينبغي ان يحمل كلام الله عنه واما من حيث المعنى
فيتعذر ما قاله احد الآن من كان حيا عند ربهم مرزوقا فارحا
مستبشرا لا ينتهي ان يكتب نفسه ميتة فيجب ان يحمل قراءة
الياء على ان الذين استئناف مخبر عنهم بذلك لتتفق القراءتان في كون الذين
مفعولا ان اختلفتا من جهة اللفظ والصنعة واما احياء
بالرفع على تقدير هم احياء وقرئ احيا بالنصب على تقدير بل
احسبهم احياء والظاهر ان فرحين حال من الضمير في يرزقون
والذين لم يلحقوا هم الشهداء الذين يأتون بعد من احوالهم
الموصيت الذين تركوهم يجاهدون فيستشهدون فرحين
لانفسهم ولما يلحق بهم من انهم شهداء اذ يصيرون احياء صاروا
ايضا من كرامة الله سبحانه وتعالى وحصل ان عطية رضي الله تعالى
عنه استثنى بعيني الفعل المجرد لانه قال بشر كما هيك يجد
المرح والعقار بمعنى يجد والاحسن ان يكون استبشر مطاوع
اشر كفولهم اكاه فاستكان وطاوعه استفعل للافعل
كثيرا من حيث ان المطاوعة تكون منفعلا عن غير فحصلت له الشر
باتباع امة لدينك وان هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف
وقيل ان اسمها ضمير الشان وخبرها الجملة المنفية بلا وان وكايان

بعدها في تاويل مصدر مجرور على ابدل اشتمال من الذين فكون هو
المستبشر به هي الجملة او حذف على انه مفعول لاجله فكون
علة للاستشعار والمبشر به غير المقدر لانه لا خوف عليهم والذوات
لا تستبشر بها فلا بد من تقدير مضاف مناسب لذلك والظاهر
ان قوله يستبشرون بنعمة من الله وفضل هو مستأنف اخبار وليس
هو مؤكد للاول لاختلاف في متعلق الفعلين الاول والثاني
الخوف والحزن عن الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم والثاني قوله عز
وجل يستبشرون بنعمة من الله وفضل وذهب الزمخشري وابن
عطية الى انه تؤكيد عليهم ولا هم يحزنون اي وهو تؤكيد للاول
قال الزمخشري رضي الله عنه وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان
لقوله ان الخوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك
اجرهم على ايمانهم تحقيقا لعدم اصدقائهم وحسبه ان يحصل لهم ولا
يضيع انتهى وهو على طريقة الاعتزالي في ذكره وجوب الاجر
وتحصيله على ايمانهم وسلك ابن عطية رضي الله عنه طريق اهل السنة
فقال اذكر استئناف اخبار عن شأنهم يستبشرون هم من تقوله وفضل
اي لهم الجنة التي هي فضل منه لا يعمل احد واما النعمة في الجنة ورفع
الدرجات فقد تضمن سبحانه وتعالى انها على قدر الاعمال انتهى وقرئ
وان بكسر الهمزة وفتحها الذين استجابوا لله والرسول الاستجابة كانت
ان اصاب قرحا منهم واتقوا عظيم اجر الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله
والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
واستجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم
واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله

والظهور وفي اتباع العدو وحماية الحوزة وبفضل في الاجر الذي
حازوه والفخر الذي تجللوه وانها في غزوة احد في الخرجة الى حمراء
الاسد والجملة من قوله لم يمسسهم سوء من جملة قوله في موضع الحال
وبنعمة ايضا هي في موضع الحال ذلكم الشيطان ظاهر وهو
الاشارة الى مفرد ويكون على حذف مضاف اي فعل الشيطان
وانما نسب اليه واضيف لانه ناشئ عن وسوسته وعن اغوائه
والغاية يخوف اولياؤه فيه محذوفان مفعول وحرف
جر والتقدير يخوفكم باوليائه كما جاء ذانك المحذوفان
مصرحا بهما في قوله تعالى يخوف الله به عباده قال الزمخشري
رضي الله عنه والشيطان خبر ذلكم بمعنى ان ذلكم التثبيط هو
الشيطان ويخوف اولياؤه جملة مستانفة بيان لشيطنته
اذ الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد هنا
بالشيطان نعيم او ابو سفيان انتهى فعلى تقدير القول تكون
الجملة لا موضع لها من الاعراب وانما قال والمراد بالشيطان
نعيم او ابو سفيان لانه لا يكون صفة والمراد به ابليس لعنه الله تعالى
لانه اذا اريد به ابليس كان اذ ذاك علما بالغلبة اذ اصله
صفة كالعيوق ثم غلب على ابليس كما غلب العيوق على النجم
الذي ينطلق عليه اي يطلق عليه قال ابن عطية رضي الله عنه
وذلكم في الاعراب ابتداء والشيطان مبتدا اخر ويخوف اولياءه
خبر عن الشيطان والجملة خبر الابتداء الاول وهذا الاعراب
خير في تناسق المعنى من ان يكون الشيطان خبر ذلكم لانه يجيء في المعنى
استعارة بعيدة انتهى وهذا الذي اختاره اعراب لا يجوز ان كان
الضمير من اولياؤه عائدا على الشيطان لان الجملة الواقعة خبر عن
ذلكم ليس فيها رابطة تربطها بقوله ذلكم وليست نفس المبتدا في
المعنى نحو قولهم هجيزي ابي بكر لا اله الا الله وان كان عائدا على قوله
ذلكم ويكون ذلكم خبرا عن الشيطان جاز وصار نظير انما هند
زيد يضرب غلامها والمعنى اذ ذاك انما ذلكم الركب او ابو سفيان
الشيطان يخوفكم اولياءه او لياؤه اي اولياء الركب او ابي سفيان
قال الله عز وجل فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر قرئ يحزنك مضارع حزن ويحزنك مضارع احزن
والذين كفروا عام في كل من يسارع في الكفر وقرئ يسرعون مضارع
اسرع ولا يحسبن الذين كفروا الاية انما احتملت ان تكون موصولة
اسم ان والخبر خير واحتمل ان تكون ما مصدرية فيكون ذلك
المصدر اسم ان وخبر ان وخير فعلى التقدير الاول يكون معناه
ان الذي نمليه خير وحذف الضمير من نمليه وهو عائد على الذي وعلى التقدير
الثاني يكون ان املاءنا خير وسدت ان مسد مفعولي يحسبن

ومعنى قوله

وفي قوله تعالى اي يمهلهم ويمدّ في العمر والملاذ المدة من الدهر
والملوان هما الليل والنهار وقرأ الجمهور ولا يحسبن ما ليا فيكون
الذين كفروا فاعلا وعلى هذه القراءة يحتاج ذانك الاعرابان وقرأ
حمزة رضي الله عنه ولا يحسبن بالياء والذين كفروا مفعول اول و
ولا يكون ما بعده مفعولا ثانيا لان المعنى لا يكون الذات فخرج
على ان يكون الذين على حذف مضاف تقديره ولا يحسبن شدائد من
شاء ان الذين كفروا ان كان الحذف في الاول وعلى حذف بعد
الذين كفروا فقدير اصحاب اعمالهم لهم وخرج ابن الهادي قوله
الباد شر هذه العبارة على ان اعمالهم بدل من الذين ويكون المفعول
الثاني محذوفا اي فقدير هنا ايضا ولا يحسبن الذين كفروا خيرية
املائنا لهم كائنة او واقعة وعلى البدل خرجه الزمخشري رضي الله
عنه وقدرهما اليك ذلك الكسائي والفراء رضي الله عنهما
فخرجا الخبر بالنصف فيكون قوله اعمالهم بدلا من الذين والتقدير
ولا يحسبن املائنا لهم خيرا لانفسهم فخرجه ابن دقاب
رضي الله عنه ولا يحسبن ما نيابة عن اعمالهم ما الكسر فان كان
الفعل هنا مسندا للنبي صلى الله عليه وسلم فيكون المفعول الاول
الذين كفروا ويكون المفعول الثاني اعمالهم وقد يكون الجملة في موضع
المفعول الثاني ايضا وان كان مسندا للذين كفروا فيحتاج بحسبن الى
مفعولين فلو كانت ان ما في موضع حد سدت مسد المفعولين وكسر قراءة
ابن دقاب بالكسر تخرج ذلك على التعليق وكسرت ان وان لم
تكن اللام في خبرها والجملة المعلق عنها الفعل في موضع مفعولي
يحسبن وهو بحسب الحذف اللام وتظير تعليق الفعل عن العمل
مع حذف اللام من المبتدا قول الشاعر اني وجدت ملاك
الشيمة الادب اي لملاك والذين كفروا اسم ما هنا هو
خاص فيمن علم الله انه لا يؤمن اذ لا تأتي في قوله انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وله عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب اللام في قوله ليذر اللام الجحود وهي تأتي
بعد كون ناقص لفظا او معنى بحرف نفي وهما وهو هنا اما ولم يخبر
كان محذوف وعند البصريين يعلق عنه اللام وان تضمر بعد اللام
والتقدير عندهم ما كان الله مريدا لان يذر وعند الكوفيين ان اللام
زائدة وناصبة للفعل والخبر هو نفس يذر ولولا اللام لكان الفعل
ليذر والخطاب في قوله على ما انتم عليه للمؤمنين وغيرهم من الكفار
اي لا يترك الله تعالى المؤمنين جميع مستقرها حتى يميز الخبيث من الطيب
والمراد بالخبيث هنا الكافر وبالطيب المؤمن وقد العلم بالاحوال
وما ينتهي اليه كل واحد منهما فالمؤمن ممتحن بامتثال تكاليفه سبحانه وتعالى

فيمتثله الطيب وهو المؤمن ويجتنبه الخبيث وهو الكافر وهو العلم
بالأحوال وما ينتهي إليه كل واحد منهما ولذلك قال وما كان الله
ليطلعكم على الغيب والغيب هنا هو ما غاب عن البشر مما هو في علم الله
سبحانه وتعالى من الحوادث التي تحدث ومن الأسرار التي في قلوب المنافقين
ومن الأقوال التي يقولونها إذا غابوا عن الناس ولكن الله يجتبي أي يختار
ويصطفي من رسله من يشاء فيطلعه على ما يشاء من غيبه فآمنوا
بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم مناسبة هذه الآية
لما قبلها أنه سبحانه وتعالى لما بالغ في التحريض يعني في الحث على بذل
الأرواح في الجهاد وغيره وبين الوعيد الشديد لمن يبخل
والبخل الشرعي عبارة عن منع بذل الواجب وقرئ ولا تحسبن بالتاء
فيكون الذين أول مفعولين لتحسبن وهو على حذف مضاف أي
لا تحسبن بخل الذين يبخلون وقرئ بالياء والفعل مسند إلى ضمير
أحد فيكون الذين هو المفعول الأول محذوفا تقديره بخلهم
وحذف الدلالة هنا وفي رواية وحذف هنا لدلالة يبخلون عليه
وحذفه عزيز جدا عند الجمهور فكذلك الأولى تخريج هذه القراءة
على قراءة التاء من كون الذين كفروا هو المفعول الأول على حذف مضاف
وهو فصل وخيرا المفعول الثاني لتحسبن ويظهر لي تخريج
غريب في الآية وإن كان الذين هو الفاعل فيكون المفعول الأول
محذوفا تقديره بخلهم وحذف لدلالة يبخلون عليه وحذفه عزيز جدا
عند الجمهور فكذلك الأولى تخريج هذه القراءة على قراءة التاء من كون
الذين كفروا هو المفعول الأول على حذف مضاف وهو فصل
وخيرا المفعول الثاني لتحسبن ويظهر لي تخريج غريب في هذه الآية
تقتضيه قواعد العربية وهو أن تكون المسألة من باب الإعمال
إذا جعلنا الفعل مسندا للذين وذلك أن تحسبن يطلب مفعولين
ويبخلون يطلب مفعولا بحرف جر فقوله ما آتاهم يطلبه
تحسبن على أن يكون المفعول الأول ويكون هو فصلا وخيرا
المفعول الثاني ويطلبه يبخلون بتوسط حرف الجر فأعمل الثاني
على الأفصح في لسان العرب وعلى ما جاء في القرآن وهو يبخلون فعدي
بحرف الجر وأخذ معموله وحذف معمول تحسبن الأول وبقي
معموله الثاني لأنه لم يتنازع فيه وإنما جاء التنازع بالنسبة إلى المفعول
الأول وساغ حذفه وحده كما ساغ حذف المفعولين في مسألة
سيبويه رضي الله عنه متى رأيت أو قلت زيد منطلق لأن رأيت وقلت
في هذه المسألة تنازعا زيد منطلق وفي الآية لم يتنازعا إلا في المفعول
الواحد وتقدير المعنى ولا تحسبن بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم

الذين يبخلون

الناس

١٦٥

الذاسؤل الذين يجازون به فعلى هذا التقدير والتخريج يكون موصولا
ليا تام المحذوف والتقدير هم يجلم ويظهر هذا التركيب ظن الذي مرجعه
اي المطلقة المعنى ظن هذا الشخص الذي مر بها المنطلقة والذي
شأنه هذا العلان هو ان ثم الاول فاعل ثان وفي آية اول يطلبه
بحذوفا ويطلب المفعول الثاني منتبا اذلم يقع فيه التنازع ولما تضمن
تضمن الذي انتفاء كون المحل او المحمول به خبرا لهم وقال بحب هذا
الانتفاء قسمان احدهما ان لا خير ولا شر والآخر اثبات الشر اي شيا
بالجملة الى قسمين احد القسمين وهو اثبات كونه شرا لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة هذا تفسير المولى هو شرا لهم والظاهر حمله
على المجاز اي سيلزمون عقابه عقابا شديدا كاء لزام الطوق في
وسيدركهم الموت والا فهم قد يجازون خيره لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا الآية نزلت
هذه الآية في فنحاص ابن عازوراء حاوره ابو بكر الصديق رضي الله عنه
في الاسلام وان يقرض الله قرضا حسنا فقال هذه المقالة السمجة
فضربه ابو بكر رضي الله عنه وصفعه من قتله العهد فشكاه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانكر ما قال فنزلت هذه الآية تكذيبا
لفنحاص وتصديقا لابي بكر رضي الله عنه وذكر ذلك عند ابن
عباس رضي الله عنهما وشمل قوله الذين قالوا فنحاصا ومن قال
مثل مقالته كحيي ابن اخطب واليا بن عمرو سنكتب ما قالوا
الظاهر ان اريد الكتابة على انها حقيقة فتكتب الاعمال في صحف وان
ذلك الصحف يؤتى بها يوم القيامة ويجعل الله عز وجل فيها
الحفظة والنقلة وقيل الكتابة مجاز ومعناها الاحصار الشيء
وضبطه وتقدم الكلام على وكتبنا ثم في علم الله مثبتا محفوظا لا ينسى
كما ثبت المكتوب وقرئ سنكتب بالنون وقتلهم نصبا ونقول
بالنون وقرئ سيكتب مبنيا للمفعول وقتلهم رفعا ويقول
بالياء ولكان الظاهر منهم قولا وفعلا فاستأنف ليكون الجزاء قولا
وفعلا فتضمن القول والفعل قوله تعالى فعقول ذوقوا عذاب
الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد
وفي لفظ هم بين القول والفعل اعظم انتقام وبيان للمنتقم
منه احسن وذوق ذلك بما قدمت ايديكم الاشارة الى ما تقدم
من عقابهم وبسبب ما قدموه من المعاصي القولية والفعلية
وان عقابه ليس على سبيل التعذيب لان الايدي تتناول
اكثر الاعمال التي تزاول بها فخاطب كل عمل واقع بهما
وذلك لكمله واحاطتك القوى وقد تكون ايدلك وذكرهم كتب
الذي اوجب لهم العقاب وان الله ليس بظلام للعبيد هذا مخلوق في

ان الله عهد الينا

على قول ما قاتلتم ايديكم اى ذلك العقاب حاصل بسبب معاصيكم
وعدك الله فيكم وجاء لفظ ظلام الموضوع للكثير وهذا ان كثرة
بسبب التعلق قال ابن قال انزلت فى جماعة من اليهود منهم كعب ابن الاشرف
وعهد بمعنى اوصى والظاهر ان الاقرار بان هو ما تقرر وتعالى ان يجاء
وقال ابن عطية رضى الله عنه وقد ارتضى ابن عمر رضى الله عنه
بقرءان بضم الراء اتباعا لضم القاف وليس بلغة لان ليس فى هذا
الكلام فعل ان يضم الفاء والعين وحكى سيبويه الشك ان يضم اللام
وقال ان ذلك على الاتباع انتهى ولم يقل سيبويه اى ذلك على جهة
الاتباع بل قال ولا نعلم فى الكلام فعل الا فعل وافعل وانشا
من النحو لم يذكره ولكنه جاء على فعل وهو قليل قال الشاطبى
بضم اللام وهو اسم امق وقال الشارح صاحب هذه اللغة رضى الله
عنه لا يسكن ولا يتبع انتهى وزعموا ان هذا العهد فى التوراة
وقيل هو ما كلفهم على الله تعالى والظاهر من هذا العموم
الى قد مت قبلها ايضا ان ذلك او من فعل من اسلافهم الا ترى الى
قوله وقتلهم الانبياء بغير حق وقوله قل قد جاءكم رسل من قبلى
بالبينات وبالذى قلتم الى اخر الاية والمعاصرون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من اليهود لم يقتلوا الانبياء ولا جاءهم رسل
غير محمد صلى الله عليه وسلم ويظهر ما قلناه فى قولهم المتقدم
ايضا قال تعالى فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين وانما هذا كله من خطل
اسلافهم فوبخوا بذلك لرضاهم به اى بما صدر من اسلافهم فاذ كذبوك
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجواب الشرط محذوف تقديره
فتسلك بما صدر للرسل من تكذيبهم قبلك وما وحد من كلام المؤبين
ان جواب الشرط قوله فقد كذب رسل من قبلك انما اتى على سبيل
الحمل لان الماضى حقيقته لا يكون جوابا للشرط المستقبل ومعنى
بالبينات اى المعجزات الواضحات والزبر جمع زبور وهو الكتاب
قال ابن عطية ما رأيت كتبة وقد يكون مستقا من الزبر وهو الزجر
والجمع يدل على الكثرة ويعنى به الكتب الالهية والكتاب المنير
الظاهر انه التوراة او لموافقة الكتب المنزلة على بنى اسرائيل وفيه
تبيين شرعهم وقرئ وبالزبر وبالكتاب المنير بالباء فى الموضعين
وقرئ بتركهما ايضا كل نفس ذائقة الموت تضمنت هذه الاية وما بعدها
وفى رواية قد تضمنت هذه الجملة وما بعدها الوعظ والتسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا واهلها والوعد والنجاة فى الاخرة
او بذكر الموت والعكن فيه هون ما يصيبه من الكفار من تكذيب
غيره ولما تقدم ذكر المكذبين الكاذبين على الله عز وجل من اليهود
والمنافقين وذكر المومنين تهتز اكلهم على انهم ميتون ومعادهم الى
الاخرة وفيها يظهر الناجى والهالك وان ما تتعلق به فى دار الدنيا من

ملاى واهل

قال واهل وعشيرته انما هو على سبيل التمتع المغرور به وظلها فتمحل وزور
ولا يبقى له ما عمله الانسان فهو يوفاه في الآخرة على طاعته ومعصيته
وقال محمد ابن عمر الفخر الرازي رضي الله تعالى عنه في هذه الآية دلالة على ان النفس
لا تموت بموت البدن انتهى وهذا مكابرة في الدلالة فان ظاهر الآية
يدل على ان النفس تموت كما تموت البدن وقال ابن الخطيب النفس
مختص بالاحياء انتهى قرئ ذائقة موتنا الموتة قضاء وقرئ بغير
تنوين والموت نصبا ايضا ونظير قول الشاعر ولا ذاكر الله الا قليلا
حذف التنوين هنا لالتقاء الساكنين وقراءة الجمهور على الاضافة
وكل اذا اضيفت الى نكرة كان الحكم في الخبر والاضمار كتلك النكرة
كقوله دائقة الموت وقوله كل امرئ تماكسون رهين وكل رجل ما
وكل امرأتين قامتا وقوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم ومن ذلك
قول الشاعر وكل اناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الانامل
الانامل
والتذكير والتانيث والافراد والتثنية والجمع بحسب النكرة التي اضيف
اليها كل وفمن زحزح عن النار وابعد عنها بالجنة والازلاف الادناء
وادخل الجنة فقد فاز بنجاة الحياة الدنيا الاستمتاع الغرور
لتبلون في اموالكم وانفسكم نزلت في قصة عبد الله ابن ابي ابن سلول
حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرأ عليهم الرسول عليه السلام لان
والسلام شيأ من القرآن ان كان هذا الذي تقوله اي تقرأه حقا فلا
تؤذنا به في مجالسنا وارجع فهذا ابن رواحة فقال اغشنا به في مجالسنا
يا رسول الله والابتلاء هو الاختبار والضمير في قوله لتبلون للمؤمنين
خاطبهم بذلك لتشتد والمارد هنا من البلاء والابتلاء اي الاختبار
فصبر وانجلاف من بايته الامر وجاءة فتشق على ما يرد بخلاف من قد
تشتد وتهتاء للشيء فانه توطن نفسه على وقوعه وقدم الاموال
على الانفس على سبيل الترقي لان الاشرف او على سبيل الكثرة لان الرزايا
في الاموال اكثر من الرزايا في الانفس والاذى شامل للضرر يلحق
آبائهم في الرسول واصحابه في الله وانبيائه عليهم اجمعين الصلاة
والسلام والطاعن في الدين وتخطئة من امن وهجاء لعنه ونسبة
للنساء المؤمنين فان ذلك الاسان في الصبر والتقوى لدلالة على تيقظ
فعلهما وعزما لمزوع الحتى كما قال الشاعر
ان للخير والشر مدى ٭ وكلا ذلك وجه وقبل ٭ فتروى ولا
دفينك لوعزم الامور العزم الامضاء للامر الروي المستحق ٭ واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية اليهود اخذ عليهم الميثاق
في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموه ونبذوه قال ابن عباس وغيره
٭ وثمن وابه ثمنا قليلا الضمير عائد على الميثاق وكذلك قوله فنبذوه
والثمن القليل هو ما اخذوه من ان يتبعوا تبيين الميثاق وكتمه فبئس

تم ١

ما يشترون

تقدم الكلام فيما بعد بئس في قوله تعالى في سورة البقرة بئس ما اشتروا
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ۝ لا تحسبن الذين يفرحون بما
اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ۝ هذه الاية نزلت في المنافقين
كانوا يتخلفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو فاذا جاء من
الغزو استعذروا له اي ابدوا له اعذارا لا اصل لها فيظهر
القبول ويستغفر لهم ففضحهم الله بهذه الاية قاله ابو سعيد الخدري
وغيره وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة فلا يحسبنهم بالياء والذين
فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان لدلالة مفعولي يحسبنهم عليهما
والتقدير لا يحسبن انفسهم ناجين وفلا يحسبنهم توكيد لما سبق
ولا يصح ان يكون بدلا كما قاله ابن عطية رضي الله عنه لوجود الفاء
فانها تمنع من البدل وقول الفارسي رضي الله عنه في ان لا تحسبن
لغو لم يقع على شيء قول ضعيف جدا وقول الزمخشري رضي الله
عنه وفي رواية وتقدير قول الزمخشري رضي الله عنه لا يحسبنهم
الذين فيفسر الضمير الفاعل قد رددناه عليه في تقديره
لا يحسبنهم الذين كفروا ان ما نملي لهم خير فيطالع هناك وتعدى
يحسبنهم المضموم الباء الى الضمير المنصوب والفعل مسند الى ضمير
الجزاء المرفوع وهو الواو المحذوفة وذلك مختص بباب ظن وفقد
وعلم وبمفازة المفعول الثاني وقرئ لا تحسبن ولا تحسبنهم والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والذين المفعول الاول والثاني محذوف في
تقديره ناجين وقرئ لا يحسبن بياء الغيبة والذين فاعل والمفعولان
ليحسبن محذوفان وفلا تحسبنهم بتاء الخطاب وفتح الباء ان في
خلق السموات والارض روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع ربك يجعل لنا جبل الصفا
ذهبا حين ذكرت اليهود والنصارى لهم بعض ما جاء به من المعجزات
موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فنزلت هذه الاية واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض يقولون ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقوله هنا خلقت منصوب
بحال محذوفة تقديره يقولون ربنا والاشارة بقوله هذا الى
الخلق بمعنى المخلوق او الى السموات والارض بما فيهما من عجائب صنعه
وانتصب باطلا على انه نعت لمصدر محذوف اي ما خلقت هذا
خلقا باطلا ولا عبثا قال بعضهم هو منصوب على انه مفعول ثان
لخلق وهي بمعنى جعل التي تتعدى الى مفعولين انتهى وهذا عكس
المنقول في النحو وهو ان جعل بمعنى خلق فتعدى لواحد اما ان خلق
تكون بمعنى جعل فتتعدى لاثنين فلا اعلم احدا ممن له معرفة ذهب الى

تكون

ذلك

ذهب الى ذلك • ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اى فضحته من خزي
الرجل يخزى خزيا اذا افتضح وخزي خزاية اذا استحى والفعل هنا
واحد واختلف في المصدر فمن الافتضاح خزي ومن الاستحياء
خزاية ومن ذلك ولا تخزوني في ضيفي اى لا تفضحوني • وما للظالمين
من انصار ربنا انا سمعنا منادا ينادي للايمان وسمع هنا يتعدى
الى واحد وينادي صفة له وان امنوا بتقدير الباء اى امنوا وقيل
ان مصدرية على تقدير اسقاط حرف الجر تقديره بان امنوا وعطف
فآمنا بالفاء مؤذن بتعجيل التصديق وتسبب الايمان عن الاستماع
من غير تراخ والمعنى فآمنا بك او بنبيك والذنوب جمع ذنب
على وزن سبب اى على لسان رسولك اى على السنة رسلك وانظر الى حسن
مجاورة هؤلاء الاذكياء المفكرين قائمهم خاطبوا الله عز وجل بلفظة
ربنا وفي لسان الائمة ربهم واصلحهم وهيأهم للعبادة فاظهروا قوله
نتيجة الفكر وهي قولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب
النار ثم سألوه ان يغفر لهم الذنوب بعد ذنوب ثم نفى عن النبي واحدا
عن حال من يدخل النار وهم الظالمون الذين لا يذكرون الله تعالى
ولا يتفكرون في مصنوعاته ثم ذكروا ايضا ما ينبغي للمفكر من اجابة
الداعي الى الايمان او ذاك مرتب على انه سبحانه وتعالى ما خلق هذا
الخلق العجيب باطلا ثم سألوه عز ان ذنوبهم وكفاهم على الايمان
الذي اخبر انه في قولهم فآمنا ثم سألوا الله تعالى الجنة وان لا يخزيهم
يوم القيامة وذلك موعوده ما سألوه وتكرير لفظ ربنا
خمس مرات تلك لكن على سبيل الاستغاثة وقلت رحمه الله سر اتيانه
بهذا الاسم الشريف الدال على التربية والملك والاصلاح ولذلك تكرر
هذا الاسم في قصة آدم ونوح وغيرهما من الانبياء عليهم اجمعين الصلاة
والسلام وفي تكرار ربنا دليل على جواز الالحاح في المسألة واعلم ان
كثرة الطلب من الله سبحانه وتعالى وفي الحديث اطلبوا من ذي الجلال
والاكرام وقال الحسن رضي الله عنه ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى
استجاب لهم واستجاب بمعنى اجاب وقد تقدم الكلام عليه في سورة
البقرة عند قوله فلم استجيب لهم ولهم منوا بي لعلهم يرشدون ولما
كان تقدم قولهم ربنا ربنا اجاب هتافهم ولم يات اسم غيره ليكون
المدعو هو المستجيب لهم • فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع اى بان
لا اضيع وقرئ بانا لا اضيع وقرئ انى مكسورا لمدة على اضمار القول
كائنا وقائلا ان على مذهب البصريين او على ارادة القول بعد
على مذهب الكوفيين • وقرئ انى لا اضيع مضارع ضيع وظلم
في موضع الصفة لعامل ومن ذكر بدل من العامل بدل بعض من كل وقوله
انثى كقولك كنت ذوي رجلين رجل صحيحة • فان جعلت او بعضي

وانه اسلمتم

الواو

جاز بعضكم من بعض معناه تبين بشركة الدنيا مع الرجال فيما وعد الله به
عباده العاملين فالذين هاجروا وإن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت
يا رسول الله قد ذكر الله الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء في شيء من ذلك
فنزلت هذه الآيات والذين متداخرة جملة القسم المحذوف وقد تلزم
جوابها اللام كهذه وفي هذا حجة على ابطال مذهب من زعم أن
جملة القسم لا تكون خبرا للمبتدأ ويدارا ولا بالي أمن واو الجرة
وهي أشق شيء على النفس ففارقه الوطن الذي نشأ فيه حيث
لم يمكنه اقامة دين الله عز وجل فهاجر إلى المكان الذي يمكن فيه ذلك
وهو المدينة وفي بما يشاء عنه ما هو أعم من الهجرة وهو الخروج
من الدار وقد يخرج إلى الهجرة إلى المدينة أو إلى غيرها كخروج من
خرج إلى الحبشة وكخروج من خرج لجهاد إذا لم يترك بقيم بالمدينة
وفي تالله تذكر الآية وهو أعم من أن يكون بإخراج من الديار
أو غير ذلك من أنواع الإذاية وأن تفي بعيد هذه الأوصاف السنية
إلى رتبة جهاد في أحدها فما فوقه وهي شهادة في دين الله عز وجل
تجمع بين ثواب هذه الأعمال من تفصيل أحوال الحياة الدنيا لأن دين الله
تعالى بالمهاجرة وإخراجه من داره وإذايته في الله عز وجل ومقاتلة
أحق الأشياء بالقتل في سبيل الله عز وجل والظاهر من هذه الأوصاف
كلها الإيجاد عن من جمعت فيه هذه الأوصاف كلها بالخبر الذي
سيأتي بعد إن شاء الله سبحانه وتعالى وسبق أن يكون ذلك من
باب عطف الصفات والمعنى اختلافها بالموصول لا باتحاده فكأنه
قيل والذين هاجروا والذين آووا والذين قاتلوا والذين قتلوا
ويكون الخبر عن كل من هؤلاء وقرئ وقتلوا مبنيا للمفعول للمفاعلة
وقتلوا مبنيا للمفعول وقرئ ما يعكس لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم
جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن
الثواب قال أبو البقاء رضي الله عنه وانتصب هنا ثوابا على المصدر
المؤكد لمضمون الجملة وإن كان الثواب هو المثاب به كما أن العطاء هو
المعطى واستعمل في بعض المواضع بمعنى المصدر الذي هو الإعطاء
فوضع ثوابا موضع إثابة أو موضع تثويبا لأن ما قبله في معنى
لأثيبنهم ونظير وضع القدر وعد الله في قوله من عند الله
اتفاق وشذ خروج من ضمير المتكلم إلى الاسم الغائب لأكفرن عنكم تلك
الذين كفروا في البلاد متاع قليل الخطاب في لعل آمنة للسامع
والذين كفروا عام في تقلبهم في البلاد تصرفهم فيها للتجارات
وغيرها والتقلب وقرئ يشدد البلاد ويخفف متاع قليل خبر
مبتدأ محذوف أي ذلك متاع قليل ومبتدأ محذوف بتقدير متاع
قليل تقلبهم وتصرفهم والمأوى مفعال من أوى إذا رد به المكان الذي يأوي

إليه

آخر

قاتلوا

راوي اليه ورجع يعني في الاخر والمخصوص بالذم محذوف تقديره
وبئس المهاد جهنم قلت ان هذه الآية نزلت في شان اليهود لعنهم
الله تعالى كانوا مضرورين في الارض ان تجارتهم وزيهم التجمل فيفنون
الاموال الكثيرة قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل الذين اتقوا
لهم جنات تجري من تحتها الانهار قال مقاتل جهنم بالحبشات وقائل
قلت لهم بالحلود الذي هو الدوام مع التعظيم فوقعت لكن
احسن مواقعها لانه ان معنى الجملتين اي تعذيب الكفار والى
تنعيم المتقين فهو في غاية التضاد وان لك ان تعد
للبيان لان الصاقة والمراد ويجوز تسكين ميمه وقرئ ايضا
والتقدير لا على انه حال من جنات وبئس موضوعة تجري لتجري من
تحتها الانهار وخبرا فعل تضمن اي خير لهم مما كانوا فيه في
دار الدنيا وفي قوله وما عند الله خير الله على ما اعد لهم في الدار
الآخرة • وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل
اليهم خاشعين لله الآية روي ان الله تعالى لما مات اصحمة
النجاشي ملك الحبشة صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل
نصلي على هذا العلج النصراني وهو في ارض فنزلت هذه الآية
قاله جابر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم اجمعين ومن اهل الكتاب
عام فمن امن منهم كعبد الله بن سلام رضي الله عنه ومن امن من
نصارى نجران ونصارى الحبشة لمن يؤمن بالله لمن موصولة
وهي اسم ان دخلت عليها اللام كما دخلت في قوله اراك لاجرا
وحمل على لفظ من فاذ ورد الضمير في قوله وهو من ثم حمل على المعنى
فجمع في قوله وما انزل اليهم وفي خاشعين وما بعده اولئك لهم اجرهم
عند ربهم ان الله سريع الحساب • قال ابن عباس رضي الله عنهما قد
ورد في بعض الاحاديث ان الله سبحانه وتعالى يحاسب كل الخلق
في قدر نصف يوم من ايام الدنيا • قال الله عز وجل يا ايها الذين
آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون امرهم اولا
بمطلق الصبر ثم بما هو اخص منه وهو المصابرة على الجهاد في سبيل
الله عز وجل وثالثا بالمرابطة وهو الاقامة في الثغور
وابطن الخيل مستعدين للحرب • وقد روى البخاري ومسلم
رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم
في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وفي رواية لمسلم رضي الله عنه
رباط يوم وليلة في سبيل الله عز وجل خير من صيام شهر وقيامه
وان مات جرى عليه رزقه وامن من الفتان وفي سنن ابي داود
رضي الله تعالى عنه قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمو
له عمله الى يوم القيامة ويامن من فتان القبر • انتهى والحمد لله رب العالمين

م

ص مسلم

سورة النساء بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الجمهور على أنها مدنية ومناسبتها لما قبلها
انه سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال المزكين وأحوال المنافقين وأهل الكتاب
والمؤمنين أولي الألباب وكان سبحانه وتعالى يقول إني لا أضيع عمل
عامل منكم من ذكر وأنثى ذكر بعضهم بعضا عند المجازاة وأخبر أن
بعضهم من بعض في أصل الخلق بدء سبحانه وتعالى في أول
هذه السورة على اتحاد الأصل وتفرع العالم الإنساني منه ليحث على
التواصل والتوادد والتعاطف وعدم الاختلاف والتباين فدل على
أن أصل الجنس الإنساني كان عالما لله سبحانه وتعالى مفردة بالتوحيد
والتقوى طائعة له وكذلك ينبغي أن تكون فروعه إلى تناسل منه
فناداهم سبحانه وتعالى نداء عاما للناس وأمرهم بالتقوى التي هلك
الآخر وجعل سببا للتقوى فذكرهم تعالى إياهم بأنه أنشأهم
وابتدأهم من نفس واحدة ومن كان قادرا على مثل هذا الإنشاء العجيب
الصنع وإعدام هذه الأشكال والصنع والصنع فهو حقيق بأن تتقى
وبأن تتقوله من نفس واحدة على ما سيأتي ذكره في الطبائع من ميل بعض
الأجناس إلى بعض والله لا يدون غيره أنسب بذلك بدئ بالتقوى
والطاعة إلى الناس لعموم لا ان اللام والألف فيه للعهد وللأمر
بالتقوى وللحكمة أو لسبب مخصوص بل لما عاتاه من نفس
واحدة على ما سيأتي ومن لابتداء الغاية أو للتبعيض والأول
أظهر لأنهما ابتدئا من آدم نفسه وتحمل أن تكون المعنى في قوله منها من جنسها لا من نفسه حقيقة
كما في الآية السابقة ومنها أي من تلك النفس وزوجها
أي شقها وفرقت فيها وجود وتيل أن الله تعالى خلق حواء يقظانا
رجالا كثيرا ونساء أي كثيرة وحذف الموصوف هنا لدلالة ما قبله
عليه وفرق وخلق وبث باشر الفاعل على إضمار هو والتقوا
الله تكرار الأمر بالتقوى تأكيدا للأول وقيل كرره لاختلاف التعليل
وذكر أولا الوقت الذي يدرك على الإحسان والتربية وثانيا الله
الذي تذل له القلوب والهيبة بين أولا على الترغيب وثانيا على الرهبة
كقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وجرى تساءلون مجرى يسئل لاتحاد
أصله تتساءلون فادغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بتخفيف

الثانية

وجه

السين

السين على حذف التاء الثانية قال ابن عطية رحمه الله عز وذلك لا لم قد حذفوا
التاء الثانية تخفيفا وهذه تاء التفاعل وقد تقدم في لعمة وتحذف في
اخرى لاجتماع حروف متقاربة قال ابو علي رحمه الله عنده واذا اجتمعت
المتقاربة خففت بالحذف والادغام والادراك كما قالوا في طست
فابدلوا من السين الى احدى تاءا واذ الافصل طيئ قال بعضهم
حتى الهلكتين الطس انتهى وامّا قول ابن عطية حذفوا التاء
الثانية فهذا مذهب اهل الكوفة وذهب هشام ابن معاوية
الضرير الكوفي الى ان المحذوفة هي الاولى وهي تاء المضارعة
وهي مسألة خلاف ذكرت دلايلها في علم النحو واما قوله وهذه
تاء تفاعل وقد تدغم في لعمة وتحذف في اخرى كان ينبغي
ان يجيء على الاثبات او يكون الاثبات وهو الاصل والادغام
وهو قريب من الاصل اذ لم يذهب الحرف الا ما ذكر البدل منه مما
ما بعده وادغم والحذف لاجتماع المثلين وظاهر كلامه هنا كما
تقدم اختصاص الادغام والحذف بتفاعلوا او تتفاعلون
وليس كذلك اما الادغام فلا يختص به بل ذلك في الامر والمضارع ع
والماضي واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر واما الحذف
فمختص بما دخلت عليه التاء من المضارع وقوله لاجتماع حروف
متقاربة ظاهره تعليل الحذف فقط لقربه او تعليل الحذف والتقليل
الادغام وليس كذلك اذا كان تعليلا للحذف فليس كذلك
بل الحذف علته اجتماع مثلين لامتقاربين واما ان كان هو
تعليلا لهما فيصح في الادغام لا الحذف كما تقدم واما قول ابي علي
رضي الله عنه واذا اجتمعت المتقاربة خففت بكذا فلا يعني ان ذلك
حكم لازم انما معناه انه قد يكون التخفيف بكذا فكم وجد من اجتماع ع
متقاربين لم يخفف لا بحذف ولا ادغام ولا بدل واما تمثيله
بطست في طيس فليس البدل هنا لاجتماع متقاربين من
الكلمة بل هذا من اجتماع المثلين كقولهم في اصم لصت
وحتى يتأتى لون مضارع عال وترك يتأتى بحذف الهمزة
ونقل حركتها الى الساكن وترك والارحام عطف على الضمير في به وقد
بينه قراءة من قرأ بالارحام كذا اختاروا وان كان يحتاج الا هل النصرة
في انهم لا يخطفون على الضمير المخفوض الا بعد اعادة الخافض وقد
استدل للناس على صحة ما اختاروه عند اكلكم على قوله وكفر به والمسجد
الحرام ومن ذهب الى ان الحق هو الوقف فيعتذر عن الفصاحة
قال ابن عطية رضي الله عنه الضمير المخفوض اذا تصل فهو حرف من
الكلمة فان تحرك رضي الله عنه ولا يعطف على حرف من كلمة
عندي هذه القراءة يعني قراءة حمزة والارحام بالجر وجهان احدهما

ان ذكر الارحام مما يتساءل به لا معنى له في الحث على تقوى الله تعالى ولا
فائدة فيه اكثر من الاخبار بان الارحام يتساءل بها وهذا تفريق
في معنى الكلام وغض من فصاحته وانما الفصاحة في ان يكون في ذكر
الارحام فائدة مستقلة والوجه الثاني ان في ذكرها على ذلك تقدير
التساؤل بها والقسم بحرمتها والحديث الصحيح يرد ذلك وهو قوله صلى
الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت انتهى كلامه وما
ذهب اليه البصريون واتبعهم الزمخشري رضي الله عنه وكذا اتبعهم ابن
عطية رحمه الله تعالى من امتناع العطف على الضمير المجرور الا باعادة
الجار ومن اعتلالهم لذلك غير صحيح والصحيح وفي رواية بكل الصحيح
المنصوص عليه هنا مذهب الكوفيين في ذلك وانه يجوز وقد
اطلنا الاحتجاج على ذلك عند قوله وكفر به والمسجد الحرام
وذكرنا ذلك في لسان العرب نثرها ونظمها فاغنى ذلك عن اعادته
هنا واما قول ابن عطية رضي الله عنه ويرد عندي هذه القراءة من
المعنى وجهان احدهما ما تقدم الى اخره وقال بعضهم هذه جسارة
قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه اذ عمد الى قراءة متواترة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بها سلف الامة واتصلت باكابر
الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير واسطة عثمان وعلي وابن مسعود وزيد ابن ثابت
واقرأ الصحابة ابي ابن كعب رضي الله تعالى عنهم اجمعين عمد
الى ردها بشيء خطر له في ذهنه وجسارته هذه لا تليق الا بالمعتزلة
كالزمخشري فانه كثيرا ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم وحمزة
رضي الله تعالى عنه اخذ القرآن عن سليمان ابن مهران الاعمش وحمران ابن
اعين ومحمد ابن عبد الرحمن ابن ابي ليلى وجعفر ابن محمد الصادق ولم يقرأ
حمزة حرفا من كتاب الله عز وجل الا باثر وكان حمزة صالحا ورعا
ثقة في الطبقة الحديث وهو من الطبقة الثالثة ولد سنة مائة
وعرض عليه القرآن من نظرائه جماعة منهم سفيان الثوري رضي الله عنه
والحسن ابن صالح رضي الله عنهما ومن تلاميذه امام الكوفة في القراءة
والعربية ابو الحسن الكسائي وقال الثوري وابو حنيفة ويحيى ابن ادم
غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وانما ذكرت هذا واطلت
فيه لئلا يطلع غمر وعلى كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة
فيسيء ظنا بها وبقارئها فيقارب ان يقع في الكفر بالطعن في
ذلك ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم وكم حكم
ثبت بنقل البصريين لم ينقله الكوفيون وانما يعرف ذلك من له
استبحار في علم العربية لا اصحاب الكنانيش المشتغلون بضروب
من مبادي العلوم الآخذون عن الصحف دون الشيوخ وافهم ذلك

اي فيه الشريف

غمر

والله اعلم

والله اعلم وقرئ والارحام على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة
ما قبله عليه كانه قيل والارحام اى وقطعها مما يتقى ان الله كان
عليكم رقيبا او رقبت فعل لها لغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا
احقة النظر الامر لتحقق على ما هو عليه ويقرن به الحفظ وهو قتل الذى
يرقب خوف التهم رقيب والمعنى انه سبحانه وتعالى يراعى لكم
لا يخفى عليه امركم شيئا • وآتوا اليتامى اموالهم قتل نزلت هذه الآية
فى رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ
طلب المال فمنعه واليتيم اسم لمن كان قبل البلوغ ويشترك
فى جميع الحيوان والافات والظاهر ان قوله وآتوا الخ امر
لمن له ولاية على اليتامى والمعنى والله اعلم انهم اذا كانوا غير رشدا
كان معنى ايتاء ايصال ما يكفيهم من اموالهم ممن بلغ منهم رشدا
كان ايتاؤه ماله وايجابه ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب كان بعضهم
يتبدل ادسامة السمينة من مال اليتيم بالشاة الهزيلة من ماله والدرهم ٨
الطيب بالدرهم الزيف من ماله فنهوا عن ذلك • ولا تأكلوا اى
تضموا اموالهم الى اموالكم هذا مذهب العرب ضمن تأكلوا معنى
تضموا بالاكل فلذلك عداه بالى وقد قوله الى اموالكم اى مضمومة
الى اموالكم ان الحاطبين اعنى ذوى اموالكم وقد جاء من كان
فقيرا فليأكل بالمعروف ان النهى فى انه عامد على فعل المنهى عنه من
التبديل والاكل • انه كان حوبا كبيرا الحوب الاثم يقال منه حاب
يحوب حوبا وحوبا وحيابة • واذ خفتم ان لا تقسطوا فى
اليتامى الآية فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت هذه الآية
نزلت فى اولياء اليتامى الذين يجبهم جمالهم اولياتهم فيريدون ان
يخسوهم فى مهورهم فنهوا ان يقسطوا فى مهورهم حتى
يبلغوا بهن اعلى سنتهن من الصداق فامروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النساء
سواهن قال عروة قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله
بعد هذه الآية فانزل الله وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى اى
ان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فخافوا ايضا فى النساء اذا
رغبتم عنهن ان لا تعدلوا فيهن الا ان تقسطوا لهن واتوهن
حقوقهن وقال ابن عباس فى قوله وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى
كن ناكحا امرأة فلما تلح وان كان اريد به اليتيم الشرعى فيطلق
على الصغير اذا الاتى لم يبلغن وقد منع من نكاحهن امن شر منهن
والاصح واذا كان المراد باليتيم البالغ فيدرج فيه البالغات والبالغة
يكون تزويجها بدونهن لسبب اذا رضيت بذلك قاربى معنى للعدول
الى نكاح غيرها والحواله ان العدول انما كان لان الولى يستضعفها
ويستولى على مالها وهى لا تقدر على منعه قال الله عز وجل امرا لهن

فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فظاهر هذا التخصيص يقتضي
المنكوحات إلى أن لنا أن نتزوج اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا
ولا يجوز لنا أن نتزوج خمسا خمسا وله ما يفيده من الأعداد
ولا شيوع يدخل في هذا مكان الواو لأنه كان يصير المعنى أنهم إنما ينكحون
كلهم الا على أحد أنواع العدد المذكور وليس لهم أن يجعلوا بعضه على
تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع لأن أو لأحد الشيئين أو
الأشياء والواو تدل على مطلق الجمع فيأخذ أن لكل من أراد وأن يكحها
على طريق لهم إن شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد وإن شاؤوا متفقين
فيها محظورا عليهم ما زاد وقرئ ثنى معصورا وثلث وربع على وزان
فعل ممنوع الصرف قال الزمخشري رضي الله عنه إنما منعت من
الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها
وهي نكرات تعرفن بلام التعريف يقال لي لأدن يكح المثنى والثلاث
والرباع امثني وما دهاك إليه من إذا امتناعها الصرف لما فيها من العدلين
عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها لا أعلم أحدا ذهب إلى ذلك
بل المذاهب المنقولة في علة منع الصرف أربعة أحدها قول سيبويه
والخليل وأبي عمرو وصاحب العين إحداهما الوصف والأخرى
تأنيث العدل والتعريف لفظة الألف واللام ومنع ظهور الألف واللام
كونها في نية الإضافة وإنما ما نقل عن الزجاج أنها معدولة
عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وأنه عدل عن التأنيث
والرابع ما نقله أبو الحسن عن بعض النحويين أن العلة المانعة من الصرف
وهي تكرار لفظه لا تعدل عن لفظ اثنين وتعدل عن معناه وذلك
أنها لا تستعمل في موضع تستعمل فيه الأعداد غير العدد ولا تقول
جاءني اثنان وثلاثة ولا يجوز أن تقول جاءني مثنى وثلاث حتى
يتقدم ذكر جمع لأن هذا الباب جعل بيانا لترتيب الفعل فإذا قال
جاءني القوم مثنى فإنما أفاد أن ترتيبهم اثنين اثنين فأما الأعداد
غير العدد فليست فائدتها الإخبار عن مقدار المعدود وقد عرفت
فقد بان بما ذكرنا اختلافهما في المعنى فلذلك جاز أن تقوم العلة مقام هذين
الشيئين بخلاف المتقدم ذكرهما لإيجابهما حكما مختلفا انتهى ما قرره هذا
المذهب وآخر يحكى رضي الله عنه لم يسلك شيئا من طرق هذه العلل المتقولة
فإن كان تقدمه سلف ممن قاله فلا كلام وقد نقعه والا فلكون ممن
قد لغز بمقالته وأما قوله تعرفن بلام التعريف يقال فلان ينكح المثنى والثلاث
والرباع فمتعرض مني وجهين أحدهما زعمه أنها تعرف بلام التعريف وهذا

لم يرد ذهب

وهو العدل

وقع

لم يذهب اليه احد بل لم يستعمل في لسان العرب الا نكرات وانما
انه قد مثل بها وقد وليت العوامل في قوله ولان ينكح المثنى والثلاث
والرباع ولا تلي العوامل انما تقدمها ما تلي العامل ولا تقع الا خبر
كما جاء صلاة الليل مثنى مثنى او حالا نحو قوله تعالى فانكحوا ما طاب
لكم من النساء مثنى او صفة نحو اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع وقوله
وثلاث تنبئ الا تراهن مثنى وموحد وقد يجيء مضافا فلا يحتاج قوله
بمعنى ان وقاك لمنزعات والمخرج وقد ذهب بعضهم الى العوامل
في قلت وقد سدد لبعض الناس عز ضربت
ضربت خماس ضربة عنتهي ... او اربد اس ان لا يستقيما
ومن احكام هذا العدد وكل احد لا يؤنث ولا يقال ثمانية ولا تاء
ولا رابعة بل يجري بغير تاء على المذكر والمؤنث قال الله عز وجل فان
خفتم ان لا تعدلوا في ثلاث نكاح تسعين او ثلاثة او اربعة فواحدة
او ما ملكت ايمانكم عام عشر معتد بعد والحين
والحين او طبعا ما ملكت ايمانكم وذلك ادنى ان لا تعولوا اي ان اقرب ان
لا تكثر عيالكم وقيل ان لا يرابي رضي الله عنه احد فعال الرجل
واعال الرجل كثر عياله فلا التفات لمن رد على ابي علي رضي الله عنه
قوله ان تعولوا معناه تفتقروا اي تكثر عيالكم وانوا النساء صدقاتهن
نحلة العقد قد تقدم له على وزن سمرة وقد تسكن الدال وتقال
صدقة على وزن غرفة وقد تضم الدال اتباعا والنحلة اي
العطية عن طيب نفس والنحلة في الشرعة وآتوا امر للازواج ان
باعطائهم مهورهن وفي رواية باعطائهم مهور نسائهن عن طيب
والضمير في منه عائد على المهر المفهوم من قوله صدقاتهن وانتصب
هنا نفسا على التمييز والموصول اريد به الجمع ويجوز جمعه في غير القرآن
تقول الهند اطيب نفسا وطبن انفسا فكلوه اي تمتعوا
به تأكلون وغيره من انواع التصرف فيه هنيئا مريئا يقال هنأ
الطعام ومرأ اذا كان سائغا لا تنغص فيه ويقال هنا لغتان
بمعنى واحد وهما في الطعام ومرأني فاذا لم تذكر هنأني قلت امرأني
وربما غلبوا احدى اللغتين على الاخرى واستعمل مع هنأني ثلاثيا للاتباع واستعمل هنيئا
على ان نعت لمصدر محذوف اي فكلوه اكلا هنيئا مريئا او على انه
حال من ضمير المفعول هكذا اعربه الزمخشري رضي الله عنه وكذا اعربه
غيره وهو قول مخالف لائمة العربية لانه عند سيبويه رضي الله عنه وكذا
عند غيره منصوب باضمار فعل لا يجوز اظهاره وقد ذكرناه في كتابنا المسمى
بالبحر المحيط في الغرر التي نص سيبويه على ذلك فعلى ما قاله ائمة العربية يكون
هنيئا مريئا من جملة اخرى غير قوله وكلوه لا تعلق له به من حيث الاعراب
بل من حيث المعنى وقال كثير ابن عروة رضي الله عنه

هنا ساء مرتبا غير دار بخامره لحيرة من عراقنا ما اسمعت وقد
اه معنا الكلام على هذه المسألة في كتابنا المسمى بالبحر المحيط فوقف عليه
هناك وانتصب مرتبا على انه صفة لقوله هنا ساء ومذهب الكوفي رضي الله
او على انه منصوب بما انتصب به هنا ساء فالتقدير ترتيب مرتبا قال الفاضل
رضي الله تعالى عنه وله تعالى التي جعل الله لكم قياما هذا
عام في الكبير والاناث والسفه تبذير المال فيما لا ينبغي وإضافة الاموال الى
المخاطبين الناظرين في امور السفهاء تعطف الاموال على الملاك ليتصرفوا فيها للسفهاء
وإلا فاضافة قد تكون بادنى ملابسة وقرئ التي جمعا وقرئ التي بالافراد
وان كان تعالى جعل وجعل صلة حذف منها الضمير بتقديره جعلها ومعنى
قياما ما تقومون بها وتعيشون فهما اي تعيشون بسببها ولو ضيعتموها
لتلفت احوالكم وبقاؤها الحج وإليها واعمال البر وكانوا قد ابتلوا من اول الامر ومن
ومن الاشر ومن الفقر وقال فيها اي قال سبحانه وتعالى وارزقوهم فيها
فقال عز وجل فيها ولم يقل منها تنبيها على ما قاله عليه الصلاة والسلام
ابتغوا في اموال اليتامى التي هي ارباح لا تاكلها الزكاة فعلى هذا يكون الرزق
والكسوة من الارباح لئلا يحتاج من اصل المال وقد تكون معنى
الآية والله اعلم امنعوهم اي الاموال ان لا توتوا اموالهم للسفهاء فيبقون
فقراء لتدبير السفهاء الاموال كي يعطى زوجته وولد السفيهين
هكذا فاذا مر ان لا يفعل ذلك وان عمد فماله وارزقوهم فيها واكسوهم فيها اي
في اموالكم نفقة وقيل في بمعنى من فتكون اضافة الاموال اليهم
حقيقة لا مجازا وابتلى اليتامى الآية قيل توفي اوس ان ثابت عن
زوجته كبة وثلاث بنات وابني عم سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم
يعطيا المرأة ولا البنات شيئا من المال وقبل ان البالغ دلا منهن هو ابن
عم بنيها ثعلبة وكانوا في حجر اكاهلة لا يورثون النساء ولا الصغار ولا
الابن الذي لم يركب الفرس فشكتهما امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهما
فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكى عدوا فقال
انصرفوا حتى ننظر ما يحدث الله تعالى في قرلك تلك الآية وان لاد اليتامى
احتياطهم في حفظهم ودينهم وحفظ اموالهم وحسن تصرفهم وكيفية ابتلاء
الصغير انه يدفع اليه شيء من المال يتصرف فيه والولي يراعي حاله فيه لئلا
تتلفه واختبار الصغيرة ان يرد اليها امر البيت والنظر في الاشياء ادفعاك
واخرة واشتيفاء واختبار كل منهما بحسب ما يليق به وبما يجانسه من الاشخاص
والصنائع ولم تتعرض الآية لسن البلوغ وقد حدت الابتداء بسن البلوغ
فان آنستم منهم رشدا اي بعد البلوغ ودل دليل على انه لا يعطى ماله
الا باحد شيئين بلوغه وايناس رشده فلو بلغ غير رشيد وام عليه الحجر او رشد
منه رشد قبل البلوغ وكذلك هذا هو الظاهر ولهذا عامل في جميع ابواب
ولو عاش اربعين سنة بعد البلوغ من غير رشد فالحجر يكون عليهم في تلك المدة

وانتفت

وانتصب اسرافا وبدارا على انهما مصدران او على انهما في موضع الحال
اي مسرفين ومبادرين * وان يكبروا معمول لقوله وبدارا وخاف
ان ياكلوها او لاجل خصومته الاكل بل عتريد ان عراخذ ملال اليتامى
او الاكل اعظم منافع الاخذه ومن كان غنيا فليستعفف الظاهر انه يدل
على انه يستحب لحال الوصي على اليتيم فامره سبحانه وتعالى بالاستعفاف
عن مال اليتيم ان كان غنيا وافتناعه بما رزقه الله تعالى من الغنى واباح له
الاكل بالمعروف من مال اليتيم ان كان فقيرا بحسب حاجته من غير
كثرة فياخذ قوتا محتاطا في تقديره وظاهر هذه الاباحة انه لا تبعة
عليه ولا يترتب في ذمته ما اخذه مما يسد جوعته وستر عورته
مما لا يكون رفيعا من الثياب ولا يقتضي اذا ايسره قضاء واذا دفع
اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم امر سبحانه وتعالى بالاشهاد لقطع مادة
النزاع وسوء الظن بهم والسلامة من الضمان ومن الخوف على تقدير
انكار اليتيم وطيب خاطر اليتيم بفك الحجر عنه وانت ظامئ فيسكن
من جماحك وتقاعك واذا لم يشهد فادعى عليه صدق بيمينه
اذ مع يمينه عند الامام ابي حنيفة رضي الله عنه وكذا عند اصحابه
رضي الله تعالى عنهم اجمعين وعند الامام مالك والامام الشافعي رضي
الله تعالى عنهما لا يصدق الا ببينة فكان في الاشهاد الاحتراز
من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم تقم البينة
وكفى بالله حسيبا * اي كافيا للعباد في امورهم من حاسبه اذا كافاه
ان الواو فاعل لكفى وحسيبا تمييز او بالله اي وكفى الله وكيلا وحسيبا
يعني فعلى العباد ان يتوكلوا عليه ويكتفوا به في امورهم فانه كافيهم
محاسبهم * للرجال نصيب الآية كان الجاهلية يعطون جميع المال للرجال
لان الرجل لا يجوز عن ان يكتسب المرأة تعجز عنه وكان العرب لا يعطون
الصغار وان الله سبحانه وتعالى على الوجه الذي ذكرناه والمعنى للرجال الذكور
والنساء الاناث لقوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واليهم في توكيد
نصيب اي في الاقربين لم يتعين من هم قال الزمخشري رضي الله عنه
ونصيبا مفروضا حال من نصيب على الاختصاص وقد يقع على انه
لا يكون نكرة * واذا حضر القسمة اي قسمة الميراث * اولوا القربى
ممن لا يرث والصغار والمساكين فارزقوهم منه اي من المال المقسوم
* وقولوا لهم قولا معروفا * وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا هذه الجملة ان تعلقت
امر بخشية الله تعالى فالقول السديد من سبق في حال ذرية ضعافا
لتشبيه على ذلك بكون هو تركه ذرية ضعافا فيدخل في ذلك ولاة
الايتام وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما احسن الى يتيم ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

حسيبا

الآية قيل نزلت هذه الآيات في الأوصياء الذين يأكلون من أموال اليتامى
ما لم يباح لهم وهي تتناول كل آكل بظلم وإن لم يكن وصيا وانتصاب
ظلما على أنه مصدر في موضع الحال أو مفعول من أجله وخبر إن هي الجملة
من قوله إنما يأكلون في بطونهم نارا وفي ذلك دليل على جواز وقوع
الجملة المصدرة بإن خبرا لإن وفي ذلك خلاف وحسن ذلك هنا
تباعدهما بكون اسم إن موصولا فطال الكلام بذكر صلته وفي بطونهم
معناه ملء بطونهم وهو متعلق بيأكلون وقال أبو البقاء رضي الله عنه
هو في موضع الحال من قوله نارا انتهى والأولى تعلقه هنا بيأكلون
كما قلنا ونبه بقوله في بطونهم على نقصهم ووصفهم بالشره في الأكل
والتهافت في نيل الحرام بسبب البطن وظاهر قوله نارا أنهم يأكلون
نارا حقيقة وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن ليلة الإسراء وفي
رواية أخرى وفي حديث قصة الإسراء والمعراج عن أبي سعيد رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قوما في ليلة الإسراء
وفي رواية عنه أيضا رأيت ليلة أسري بي أقواما لهم مشافر كمشافر
الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا
من نار أي قطعا من نار جهنم فتخرج من أسافلهم فقلت لجبريل
عليه الصلاة والسلام من هؤلاء يا جبريل فقال لي يا محمد هؤلاء الذين
يأكلون أموال اليتامى ظلما وقرئ وسيصلون بفتح الياء وبضمها
وقد قال الله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين
الآية قال بعض المفسرين رضي الله تعالى عنهم أجمعين لما أبهم في قوله نصيب
مما ترك الوالدان بهم في قوله في أولادكم إجمال أيضا بينه بعد
وبدأ بقوله للذكر وتبيين ما له دلالة على فضله وكان تقديم
الذكر أدل على فضله من ذكر بيان نقص الأنثى عنه ولأنهم كانوا
يورثون الذكور دون الإناث فكفاهم أن ضوعف لهم نصيب
الإناث فلا يحرمن إذ هن يدلين بمثل ما يدلون من الولدية وقد
اختلف القول في سبب النزول ومضمن أكثر تلك الأقوال أنهم كانوا
لا يورثون البنات كما تقدم فنزلت تبيينا لذلك ولغيره فإن كن
نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ظاهر هذا التقسيم أن ما زاد
على الثنتين من الأولاد يرثن الثلثين مما ترك مورثها وظاهر السياق
انحصار الوارث فيهن ولما كان لفظ الأولاد يشمل الذكور والإناث
وقصد بها بيان حكم الإناث أخلص الضمير للتأنيث إذ الإناث
أحد قسمي ما ينطلق عليه الأولاد فعاد الضمير على أحد هذين القسمين
والضمير في كن ضمير الإناث كما قلنا أي فإن كان الوارثات نساء
حسن كونه خبرا الوصف بقوله فوق اثنتين وأجاز الزمخشري رضي الله عنه
أن يكون نساء خبرا وفوق خبرا ثانيا لكان وليس بشيء لأن الخبر بعد

هنا

أن تستقل به

يستقيم به فائدة الاسناد فوسكت على قوله وان كن نساء لكان نظير
إن كان الزيدان رجلا وهذا لم يقل به احد وقال بعض البصريين رضي الله
تعالى عنهم احتج بن الشقير بروان كان المتروك نساء فوق اثنتين
وقد روى البخاري رضي الله عنه ابنتا الولدان وقال البخاري
رضي الله عنه فان قلت هل يصح ان يكون الضمير النبي كر وانث
منهمين ويكون نساء واحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت
لا يعتد في ذلك الفهم والله اعلم ويجيء بالاتهام انهما لا يعودان على
مفسر متقدم فلم يكن مفسرا بما هو المنصوب بعدهما وهذا
الذي لم يبعد ان يخبري رضي الله عنه ما يعتد او هو ممنوع لانه
انما يتم لو كان ليست هي من الافعال التي يكون فاعلها مضمرا
يفسره ما بعده فلم يتحصل من الاقوال سوى مجرد دعوى وبيان وما
فحمل عليه يحتمل في باب الشذوذ على ما قد قرر في النحو ومعنى فوق اثنتين
اي اكثر من اثنتين بالغا ما بلغن من العدد فليس الا اثنتان
ومن زعم ان قوله نساء فوق اثنتين فما فوقهما وان فوق الكلام تقتضي
ذلك كان عطية اذا فوق زايده مستدلا بان فوق قد يرد
في قوله واضربوا فوق الاعناق فلا يحتاج في رد ما زعم الى رد لان
ذلك واضح كما تقدم لوضوح فساده هناك وذكروا ان سهم الشقيق
في الميراث انما كان كذلك قالوا ولم يخالف في ذلك الا ابن عباس
رضوانه عنهما فانه يرى لهما النصف اذا انفردا كالهما اذا اجتمعا
مع الاخ وورد في الحديث في قضية اوس بن ثابت رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعطى البنتين من الثلثين • وان كانت واحدة فلها
النصف اي وان كانت الوارثة واحدة قرئ بضم التاء على ان كان
تامة وبنصبها على الخبر وقرئ النصف بضم النون وكسرها ولابويه
لكل واحد منهما السدس ان كان له ولد ذكر المذكور ومقدار ما يرث
احدهما ذكر الاصول ومقدار ما يرثون فذكر ان الميت ترك منه ابواه
كل واحد السدس ان كان للميت ولد وابواه منهما ايوم وامه وعلت
لفظ الاب في التثنية كما قد العمران فعلت القمر لتذكير على
الشمس وفي تثنية لاشتقاس وحمل قوله وله ولد الذكور والانثى
والواحد والجماعة وظاهر الاية ان فرض الابوين السدس اذا كان
للميت ولد اي ولد كان وباقي المال للولد ذكرا كان او انثى
والحكم عند الجمهور انه لو كان ان ولد امه اخذ السدس فرضا
والباقي تعصيبا وفي رواية تعصيبا وتغلب الروافض بظاهر
ولد فقالوا السدس لكل واحد من ابويه والباقي للبنت او الابن
اذ الولد يقع على الذكر ويقع على الانثى والضمير في لابويه عائد على ما عاد
عليه الضمير في ترك وهو ضمير الميت الدال عليه معنى الكلام وما قبله

واذكر واحد منها بذلك من ابويه وبعد مني التعصيب وبيّن ان السدس
لكل واحد منهما اذ لو له قد البنت لكان الظاهر ان لها السدس
وهو السدس وهذا بلغ واكد بي فوان لكل واحد منهما السدس
اي من ابويه السدس اذ تكرر ذكرهما مرتين مرة بالاظهار ومرة
بالضمير العائد عليهما قال ابن مختري رضي الله عنه والسدس
مبتدأ وخبره لكل واحد وقد سقط منها انتهى وفي قوله
والسدس مبتدأ وخبره لابويه نظر لان البدل اما ان يكون
الخبر له دون المبدل منه كما مثلناه في قولك ابوك كل منهما
يضرب كذا او اعم منها كما مثلوا به في قولك ان زيدا عندك حسنة
فكذلك ينبغي ان يكون اذا وقع البدل خبرا فلا يكون البدل
منه اعم الخبر والمتفق عليه جعل البدل منه خبرا بدل كما استغنى
عن الاخبار عن اسم ان وهو المبدل منه بالاخبار عن البدل ولو كان
التركيب ولابويه السدسان لاذ وهم التنصيف او وهم الترجيح
في المقدار من الابوين فكان هذا التركيب اقرب الى غاية النصية
والصراحة وظاهر قوله لابويه انهما اللذان ولد الميت سواء كان
قريبا ام بعيدا لاحراده مثلا ولا من علا من الاجداد ويحتمل ان قوله
ان اولادكم بنيا وان من سفل من الابناء قال والاظهر ان الابوين لفظ مثنى
لا يحتمل العموم والاكم بخلاف قوله في اولادكم فيما قالوه نظر وهما
عندي سواء في الدلالة فان نظر الى حمل اللفظ على حقيقته فلا فرق
الا ان اضافة الدين وله مم الابوان قريبا لا من سفل مما لا يوقع الاشتراك
الا من ولداه قريبا لا من سفل فالى حمل اللفظ على مجازه فيشترك
اللفظ ان في ذلك فيطلق الابوان على من ولداه قريبا ومن علا كما
يطلق الاولاد على من ولداهم قريبا ومن سفل ويبين حمله على الحقيقة
في الموضعين ان ابن الابن لا مرفع مع الابن وان امكن لا يمنع منها
الثلث بالاجماع فلم يستغرق ان الابن منزلة الابن مع وجوده ولا الجد منزلة
الاب فان لم يكن له ولد ورثه اواه دليل على انهما انفردا بميراثه
لم يشركهما احد من اهل السهام لا ولد ولا عصبة فيكون قوله ورثه
اواه حكما لما يحتمل المال فاذا احاط للام الثلث كان لها في الواقع ثلث
المال قد اقتسم الواحد بذلك على الاخر كما تقول هذا المال لزيد وعمرو
ان يقدمه الثلث فتعلم قطعا ان باقيه لهما والسنان لعمرو فيكون
معنى ورثه اواه مستويا لهما صرفين او مع ولد وهذا يخالف لفظ الظاهر
قوله ورثه اواه ادل على انهما انفردا بالارث حتى سمى الله كر مثل
حظ الانثيين ولا شك ان الاب اقوى من الام في الارث اذ تضعف
نصيبه على نصيبها اذا انفردا بالارث وورث بالفرض والتعصيب
وهما معا وفي قول ابن عباس وشريح يكون لها مع الزوج والاب

مثل

١٧٤

وان يقل حظ الذكر لنصيب قوي من الاب وتصير الام بمنزلة حظ الذكر ولا دليل على ذلك من نص ولا قياس فان كان الاخوة والاخوات اكثر من اثنين كان للام السدس والحظ الاخوة من الثلثين الى السدس وصار للاب ما اخذ جميعه الا سدسا واحدا وذهب ابن عباس رضي الله عنهما الى ان الاخوة ما حجبوا الام عن الثلث وهو السدس ولا ياخذه الاب ورد ذلك عنه ايضا ان الاب يأخذه لان الاخوة كعول الجماعة وقال ابن مجزي رضي الله عنه الاخوة تنزيل الجمعة الظلمة تغير كميتها المنتهية كالثلث والربع في افادة الكثرة وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق وقولك بالاخوة على امه ولا تسلم لدعوى ان الاخوة تنزيل الجمعة الظلمة بل تنزيل الجمعة الى ان تكون بعد التثنية فيحتاج في اثبات دعواه الى دليل ظاهر اخوة الاطلاق فقيل والاخوة من الام فصاعدا يحجبون كما قلنا وقد ذهب بعض الروافض الى ان الاخوة من الام لا يحجبون الام الا انهم يذللون لها فلا حرمان يحجبوها ويجعلوها كغيرها فتصير ثلث ما بقي لها وما فعين لغيرها واستدل بهذه الاية على ان البنت فقط حوته الام من الثلث الى السدس بقوله فان كان له اخوة لانها اذا حرمت الثلث بالاخوة وانتقلت الى السدس فالاولى ان تحرم بالبنت اولى من بعد وصية يوصى بها او دين وليس تعلق الوصية والدين بالتركة سواء المعنى ان قسمة المواريث من ذكر ان ما يبقى بعد اخراج وصية او بدين وليس تعلق الوصية والدين بالتركة سواء اذ لو هلك من التركة شيء قبل القسمة ذهب من نصيب الورثة ومن الموصى لجميعا ويبقى الباقي بينهم بالشركة فلا يسقط من الدين شيء بعد ان شيء من التركة وليس تعلق الوصية والدين بالمال الموروث سواء اذ لا ترى ان الدين لا يسقط منه شيء بذهاب بعض المال بخلاف الوصية فانه يسقط منها ما بقي بعد بعض المال الذاهب وتعلق من بعد وصية بفعل محذوف تقديره يستحقون ذلك من بعد وصية وقرئ يوصين بكسر الصاد وبفتحها في موضع الجر في قول الحسن وابن سيرين قال الله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي فاقسموا الميراث على ما بين لكم من يعلم النفع والمصلحة فانكم لا تدرون ايهم ذلك وقال الزجاج رضي الله عنه ان الله سبحانه وتعالى قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتضعون الاموال على غير حكمة فلهذا اتبعه بقوله ان الله كان عليما اي بمصالح خلقه حكيما فيما فرض وقدر لخلقه وانهم قد يحسدون او خير على عباده ترد لانه من افعال القلوب والجملة في موضع نصب ويجوز ان يكون اليتم

من الاخياف والاعيان واولاد العلات فجمعوا على ان المراد في هذه
الاية الاخوة من الام ويوضح ذلك قراءة ابي رضي الله عنه وله اخ او
اخت من الام فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك
الضمير هنا عائد على الوارث ومعنى اكثر واحد على اخ او اخت من
الام فهم شركاء في الثلث وسياتي ايضاحكم الكلام على الكلالة وآخر
هذه السورة وجاءت الوصية مطلقة وفي مقيدة بالاشهاد بالثلث
فما خفية ان كان الحكم موصي وارث فان لم يكن موروث فالجائز شريك
والواحدة واصحابه رضي الله عنهم الوصية بجميع ماله من بعد
وصية توصي بها او دين غريمها انتصب على الحال من الفاعل في يوصي
وهذا القيد ليس هو المخصوص بالعدد الاخرة بل من معتبر
في قوله توصي اولاد توصيان اثنا وقوله صوت اثنا او اي كثرة
وحذف لدلالة ما تقدم عليه والمعنى غير مضار ورثته وتجوز
الضرر كثيرة كان توصي بالزيادة على الثلث او بحابي به او بعينه او بقصد
به وجوه الضرر من عتق او غيره فلا يأمن وارث يحتاج او
او بقصد لبس يمين على وانتصب وصية من الله على انه
مصدر مؤكد لقوله يوصيكم الله بذلك وصية كما انتصب فريضة من الله
او مصدر في موضع الحال والعامل فيه قوله يوصيكم الله اي
يوصيكم الله بذلك وصية كما انتصب فريضة من الله او وصر
في موضع الحال والعامل فيه قوله يوصيكم الله وقرئ بالصاد
مضار لوصيته والمعنى بحر مضار في وصيته حيف في واضاف
اسم الفاعل كما قال ثم ما رزق اللئيم اهل الدار اصله ما يرزقا
في الليلة وانظر الى حسن هذا التقسيم في الميراث وسبب الميراث هو الا
بالميت فان كان بغير واسطة فهو البنوة وبدا فيه بالفروع
والاصول بسبب وهو الزوجية فالاول في ذاتي والثاني عرضي ثم
ذكر آخر الكلالة وهو ميراث الحي بنتي وللبنت بني اصولا الى الاقرب فالاقرب
والمذكور وذكر في الايتين من قبل آية الكلالة لاستنباط احدهم في
الميراث بخلاف الكلالة تلك حدود الله فلا تقربوها الاية قبل ان تذكر
تلك اشارة الى الاحكام السابقة في اولاد الميت والزوجات
والوصايا والمواريث وجعل هذه الشرائع حدودا الانها مقدرة
غير قابلة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتعدوها الى غيرها ومن يطع
الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدا ولا يعطف من
في قوله يطع ويدخله فافرد ثم حمل على المعنى في قوله خالدين جمع
وانتصاب خالدين على الحال المقدرة والعامل فيه يدخله وصاحب
الحال هو ضمير المفعول في يدخله قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه وجمع خالدين
على معنى من بعد ان تقدم الافراد مراعاة للفظ من وعكس هذا يجوز الثاني

وما ذكر انه لا يجوز من تقدم الحمل على المعنى ثم على اللفظ جائز عند بعض
النحويين وفي مراعاة هذا من الجمل تفصيل وخلاف مذكور في كتب
النحو المطولة وقال ابن الحنبلي رضي الله تعالى عنه في بعض مؤلفاته
فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجناب وان قلت لا يجوز
لانها حرقا على غير من هما لها فلا بد من الضمير وهو في كخالدين
فيها وخالدا لم وقعا انتهى وما ذكره ليس مجمعا عليه بل فرع على مذهب
البصريين واما عند الكوفيين فيجوز ذلك ولا يحتاج الى ابراز
الضمير اذا لم يلبس على تفصيل لهم في ذلك ذكر مثله في النحو وقد
جوز ذلك في الآية ابن الحاج والشريف خذا بمذهب بعض
الكوفيين * ومن يحقر الله ورسوله حمل على لفظ من في جميع
الضمائر فافرد وذا دهمنا على الاحسان بعد ذكر الحدود وذكر
مقابله آلا ها تد الامة لا بعد آها الامن اعترفنا بسنة الاهلة
وافرد هنا قوله خالدا فيها وجمع في الآية قبله لان اهل الطاعة
اهل الشفاعة واذا شفع في غير وخلها لهم ومن يشفع فيه
واعاصي لا يدخل النار منه غير قليل وخذ انتهاك والذي
جمع الى التي وفي اخرى يجمع الى التي والخاصة هنا الزنا باجماع جمع
من المفسرين الا ما نقل انه مجاهد رضي الله عنه وشعبة ابو مسلم
الاصبهاني رحمه الله تعالى من ان الفاحشة هنا السحاقة وان
قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فاذوهما المراد به اتيان هنا الرجل
وقول غيرهما من المفسرين ان الآيتين في الزنا ومناسبة الآيتين
لما قبلهما انه ذكر فيما بعض سور مدنية وبعضها بعض حدوده فاتبع ذلك
ذكر بعض احوال العصاة * والذي بينت ان الفاحشة من نسائكم ارادة
الزنا فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في
البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا والذان يأتيانها
منكم فاذوهما قال الله تعالى او يجعل الله لهن سبيلا السبيل هو
ما اشتهر على ان الزنا من الحد وهو الكر بالكر جلد مائة وتغريب
عام والثيب بالثيب رجم بالحجارة وثبت بتفسير السبيل هذا من
حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه في صحيح مسلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم فوجب المصير اليه وحديث عبادة
رضي الله عنه ليس بناسخ لهذه الآية ولا لآية الحد فهو مبين
لمجمل في هذه الآية اذ عنى امسكوهن في البيوت الى ان
يجعل الله لهن سبيلا وهو مختص بعموم آية الحد ولم يتعرض
لها هذا وفي مسلم في الفاحشة انها السحاق فليستدل بها
ان تفسر الفاحشة في قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة منكم
دلالة على طلب الاستشهاد وجواز نظر الشاهد الى فرج المزني بها لاجل

حكم

الشهادة

لهما وقوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات الذي وعلى الذكر والمراد الى قوله الرابية
وقرئ آدم بنصب الكلمات اخر يا ايها الصبي عد مد على
الف حسنة منكم قاد وهي تدل على مطلق الاداء وسين في غير
الآية تفيد الاداء بالجد والرجم للمحصن والجلد فقط للبكر كما
سيأتي ان شاء الله تعالى واعتبار شهادة اربعة في هذه
الآية قد مضى في الحد الى قد مضت قبلها * وان تابا اي عن المعصية
* واصلحا عملهما في الطاعة * فاعرضوا عنهما اي متاركة وذلك ذكر
على ان الاذى المذكور في الآية ليس هو ما تقدم اخرا ان الشرع
من الحد والرجم لهو ظرف فالاذى والتعنيف ونحوهما لتعلم وما
سلكه ذلك * ان الله كان توابا رحيما اما التوبة على الله فهو محمول وقد
تقدم انما قبول التوبة على فضل الله وليس حكمه على سبيل الوجوب
كما ذهبت اليه المعتزلة ومن المعتزلة والمرتجم الكفر
والمعاصي وبها كذلك موضع الحال اي جاهلين عابرت على
المعصية من العفو بحيث لانه لو نفس التوبة لما عصوا ثم يتوبون
من قريب اي من زمن قريب من زمن المعصية ولا يصر على
تعالى كقوله تعالى ولم يصروا على ما فعلوا وليست التوبة للذين
يعملون السيئات بحيث تكون التوبة للعاصي الصائر في
حشرجة الياس عن الحياة ولا للذي قد بلغ على الكفر اول كم تقول
اذا لم ينفعه ما يدعه الآن وهو في غمرة الماء فالآن وكالذين قال
تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار فلئك اعتدنا لهم لما رأوا باسنا وحضور الموت
اول احد الآخرين وكما ان من مات على الكفر لا تقبل منه التوبة
في الآخرة فكذلك هنا الذي حضر الموت قال الزمخشري رضي الله
عنه فان قلت وكيف من الجاهلين بعملون السيئات ام المنافق
من اهل قبلتنا ام الكافر قلت فيه وجهان احدهما ان يراد به الكافر
لظاهر قوله ولم قال وماتوا وهم كفار المنافق لان الكلام انما وقع
في الذين والاعراض عنهما ان تابا فصلحا ويكون قوله وهم كفار
راجعا على سبيل التعليط كقوله تعالى ومن كفر فان الله غني حميد
عن العالمين وقوله فلتمنن ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك
الصلاة متعمدا فقد كفر اذ تعمد كان كافرا ومات وهو الحدث
نفسه بالتوبة حالة وقت من حال الكفار لانه لا يحكم على احد بالكفر الا وقد
علمت انه في كلامه وهو في غاية الاضطراب لانه قبل ذلك حمل الآية
على العناد انه على قسمين احدهما الذين سوفوا بالتوبة الى حضور الموت
والثاني الذين ماتوا على الكفر وفي هذا الجواب حمل الآية على انها
ان يليها احد القسمين اما الكفار فقط وهم الذين وصفوا بانهم
بالغرغرة الشهادة وبيوس له على الكفر وعلى هذا الوجه يقوله لظاهر

قوله وهم كفار

فجعل هذه الحال دالة على انه اراد بالذين يتجدون الكتابات هم
الكفار واما الفساق من المؤمنين فيكون قوله وهم كفار لا يراد به
الكفر حقيقة وانما جاء ذلك على سبيل التغليظ عليه وقد خالف تفسيره
في هذا الكتاب الجواب صدر تفسير الآية اولا وكذلك ذلك ابتصار
لمذهبه حيث رتب العذاب اما لكتمان فرواما للفاسق فخرج مدار
على قولين النحو والحمل على الظاهر لان قوله وهم كفار كنت
ظاهر في الآية قد لي قوله ولا الذين يموتون وهم كفار من الموالاة
على الكفر حقيقة وكما انه شرط في استقاء قبول توبة الذين يعملون
السيئات بجهالة استقاءها في حال حضور الموت كذلك شرط في
ذلك كفرهم حالة الموت وظاهر العطف هنا التعاير وان يحشر كان رضي
رضي الله عنه كما قال في الملحد الذي يحمي ويصيم يا ايها الذين امنوا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما وكذا قاله الحسن وعكرمة او مجلز كان
اولياء الميت احق بامرأته من اهلها ان شاء واحد وجها غيرهم وان شاء
تزوجها احدهم او منعوها وكان اسد من غيرها بتزوجها وكان ذلك
في الابتداء لان ما قبل قريش مباحا قال مجاهد رضي الله عنه
كان الابن الاكبر احق بامرأة ابيه من غيره يتزوجها وكان الشديد
رضي الله عنه ان سبق الولي فوضع ثوبه عليها كان احق بها او سبقه الى
اهلها كانت احق بنفسها قاله ابن الله ذلك لهذه الامة والخطاب
للاولياء ثم ان يرث الرجل المحتاج المحلفات عن الاجانب
المال والاولى في الوارث في حال الطوع والكراهة لان حوا هذا في حال
الطوع بدليل الآية الكريمة خرج قيد الكره يخرج الغالب
لان عقد على احوالهن ان يكن مجبورات على ذلك اذ كان اولياؤه
احق بها من انفسها ولا يعضلوهن لقد نهوا بعض ما استحوا من
اي لا تحبسوهن وتضيقوا عليهن وظاهر هذا الخطاب انه للازواج
لقوله ببعض ما اتيتموهن لان الزوج هو الذي اعطاها الصداق
وكان يكره صحبتها ولها عليه مهر فيحبسها ويضر بها حتى تفتدي
منه قاله ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل ان يكون الخطاب للاولياء
والازواج في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا فاذا ورجوا به هذا الخطاب
ثم ذكر الى النهي بما يناسب كل خطاب الاولياء بقوله لا يحل لكم
ان ترثوا النساء كرها وخطاب الازواج بقوله ولا تعضلوهن
فعاد كل خطاب الى ما يناسبه والظاهر ان قوله ولا تعضلوهن
ان لا نهي فالفعل مجزوم لها والى ذا عالمه حملة طلبية على جملة
خبرية لتضمن الخبر معنى النهي لان معنى قوله لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها هذا على قول من ذهب ان العطف في الجمل انما يكون
اذا تناسبت واما على مذهب سيبويه فلا يشترط فيجوز عطف جملة

الى

النهي على

الهي على جملة الخبر وقال ابن عطية رضي الله عنه ويحتمل ان يكون من
تعضلوهن نصبا عطفا على ان يرثوا فتكون الواو مشتركة وقد تعطف فعل
فعل وقرا ابن مسعود وابان لا تعضلوهن فهذه القراءة تقوي احتمال
النصب فان الفصل بما لا يحتمل بالنفي وعلى تاويل لكم ان يرثي تطلب
عرض تطلب لقرائن في التحريم والكراهة واحتمال النهي اقوى
انتهى ما ذكره من تجويز هذا الوجه وهو الجر وذلك انك اذا عطفت
فعلا منفيا بلا على مثبت وكانا منصوبين فان الناصب لا يقدر
الا بعد فعل او بعد حرف العطف لا بعد لا لانك اذا قلت
اريد ان اقوم ولا اجلس انما تريد ان تقوم وان لا تجلس ادخل
انما لان الفعل يطلب اولا على سبيل الثبوت والنهي على سبيل
النفي فالمعنى اريد القيام واتقاء دخول الدار فلو جاء الفعل
المسلط على المتعاطفين منفيا فكذلك ولو قدرت هذا
التقدير في الاية لم يصح كما لو قلت لا تجلس لكي ان تفعلوهن
لم يصح الا ان تجعل لا زائدة لا نافية وهو خطا في الظاهر
واما ان تقدر ان بعد لا النافية ولا يصح واذا قدرت ان بعد
لا كان من باب عطف المصدر المقدر على المصدر المقدر
لا من باب عطف الفعل على الفعل فالذي على ان عطية الوطء ان
وظن انه بصلاحية تقدر ان بعد لا يكون من عطف الفعل
على الفعل وفرق بين قولك لا اريد ان تقوم ولا ان تخرج
وقولك لا اريد ان تقوم ولا ان تخرج ففي الاول نفي وجود ارادة
قيامه وارادة انتفاء خروجه فقد اراد خروجه وفي الثانية
نفي وجود ارادة قيامه ووجود خروجه فلا يريد الا القيام ولا
الخروج وهذا في فهمه بعض غموض على من لم يتمرن في علم العربية
انتهى والله اعلم الا ان يا تين فاحشة مبينة وهذا استثنا
منقطع ولا حاجة لي دعوى الانقطاع فيه كما ذهب اليه بعضهم
وبان لنا من طرق زمان عام او من علة لانه فعل ولا تعضلوهن
في وقت من الاوقات لا وقت ان يا تين لعلة تعضلوهن لعلة من العلل
الا ان يا تين بفاحشة مبينة والظاهر ان الخطاب بقوله ولا
تعضلوهن للازواج اذ ليس لولي حكم حتى يذهب مالها اجماعا من
الامة وانما كان ذلك للزوج على ما بين وانما قلنا ذلك بالملاحظة هنا ان
ان ناه كما قاله ابو قلابة والحسن رضي الله عنهما وقال الحسن رضي الله
عنه اذا اتت المرأة بفاحشة ولو بعد سنة وجب عليها
ما اخذت منه وقال ابو قلابة رضي الله عنه اذا زنت امرأة الرجل
فله ما سامن ان يضارها ويشق عليها حتى تفتدي منه وقال ابن
رضي الله عنه اذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن وقال عطا كان هذا الحكم ثم نسخ
بالحدود

ادخل

وقال ابن سيرين وابو قلابة رضي الله عنهما لا يحل الخلع حتى يجد رجل
على بطنها وقال قتادة لا يحل لان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه
بشيء فان وجد قال ابن عباس رضي الله عنهما وقالت عائشة رضي الله عنها
والضحاك وابراهيم الفاحشة هنا النشوز فاذا نشزت قيل له
ان شئت اقمت معه على هذا وان شئت فارقته رضي الله عنه وقال
قوم الفاحشة هنا الزنا باللسان وسوء العشرة قولا وفعلا
قال الله عز وجل وعاشروهن بالمعروف وفي هذه الآية امر بحسن العشرة
والمعاشرة والظاهر ان هذا الخطاب للازواج لانا لم نتعبد بالمعاشرة غالبا
انما هو للازواج وكانوا يسيئون معاشرة النساء وقوله بالمعروف
اي بالعدل في القسمة والنفقة والاجمال في القول وقيل الخطاب
للحكام امروا بان يكرهوهن على ذلك معاشر من تعني عنها
الزوج وقد لك جاء الحرف مشروطا بالفاء في قوله فعسى ان تكرهوا شيئا
ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقوله شيئا اي شيئا من اخلاقهن ولم يعد
الضمير عليهن بعينه كقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
والضمير في قوله عائد على شيء او على المكاره هذا وهو المصدر المفهوم
من قوله ان كرهتموهن اي فعسى ان كرهتم صحبتهن او امساكهن
فاصبروا على ذلك فعسى ان يرزقكم الله ولدا صالحا تحبونه فيعطفكم
عليهن ويحسن اليهن بسبب حبكم ولده فتندمون على ما فرط منكم
من ايذائهن وقيل ان كرهتموهن لقبح في اخلاقهن او خلقهن فاصبروا
عليهن فعسى ان يرزقكم منهن ولدا صالحا تحبونه فيعطفكم عليهن
وقيل هو مخطوف على قوله ان خفتم الا ان يخافا الا ان يظن الظان
انه اذا كره الفراق من احدهما فلا حرج ان يستعمل من شاء وقد
استدل بعضهم بقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما اي ما لا تحل الا خذ وانه
شرط في اباحة الخلع حالة الصدفات اخذ منها قليلا او كثيرا
الا ان الكثير الذي يتحرج منه صاحبه منهما ينطلق على القليل
اذا اخذ منه هذا استدلال على سبيل الانكار اي فيحرم هذا مع ظهور
قبحه وكيف يحل لهم اذا اراد الزوج طلاق امرأته رموها بفاحشة
حتى يخاف وتفتدي بمهرها من ذلك فحوى الآية على اله مر الغالب
وكيف ناخذ وقد انكر اولا الاخذ وايكونا شيئا حالة الاخذ
وانما لبست ما يمكن ان يجامع حالة الافضاء لان الافضاء هو الجماع
وقيل هو الجماع ومعنى كناية حسنة والسياق الغلظ قوله تعالى في
الآية الاخرى واسرحوهن بمعروف وسرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا وقد كان قوم من الاوس تزوجون نساء ابائهم اذا ماتوا
فنهاهم الله عن ذلك بقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ومعنى قوله

ما نكح واقع على النوع كقوله ما طاب لكم والآباء هنا يشمل الاب ومن
قبله من عمود النسب • الا ما قد سلف استثناء منقطع والمعنى
لكن ما سبق في الجاهلية قبل ورود النهي فلا اثم عليه والضمير في انه
عائد على المصدر المفهوم من قوله ولا تنكحوا اي ان نكاح الآباء نساء
الآباء كان فاحشة اي زنا ومقتا المقت هو البغض باستحقار وساء
سبيلا ان كان الضمير في قوله ساء سبيلا عائد على ما قد عاد عليه
الضمير قبل ذلك كان سبيلا نصب على التمييز وهو منقول من الفاعل
والتقدير ساء سبيله وان كانت ساء اجريت مجرى بئس كقوله تعالى
ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا ففي ساء ضمير يفسره ما بعده وكان
سبيلا تمييزا للضمير المستكن في ساء والمخصوص بالذم محذوف
تقديره وساء سبيله سبيلا اي سبيل ذلك النكاح وفي الحديث
قال البراء ابن عازب رضي الله عنه لقيت خالي ومعه اكرابه فقلت
اين تريد قال ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امرأة
ابيه من بعده ان اضرب عنقه قال الله عز وجل حرمت عليكم
امهاتكم هو على حذف مضاف اي نكاح امهاتكم ويدل عليه قوله
قبل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء والام حقيقة هي الوالدة
وفي معناه كل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك او من جهة
امك • وبناتكم هي كل ابنة ولدتها وفي معناه كل انثى رجع
نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات باناث او ذكور وقد كان
في العرب من تزوج ابنته وهو حاجب ابن زرارة تمجس ومات
مجوسيا • واخواتكم الاخت المحرمة كل من جمعك واياها صلب
او بطن • وعماتكم وخالاتكم العمة اخت الاب والخالة هي اخت
الام وخص تحريم العمات والخالات دون اولادهن وتحريم
عمة الاب وخالته وعمة الام وخالتها وكذا عمة العمة واما خالة
العمة فان كانت العمة اخت اب لام او لاب وام فلا تحل خالة العمة لانها
اخت الجدة وان كانت العمة انما هي اخت اب لاب فقط فخالتها
اجنبية من بني اخيها تحل للرجال ويجمع بينها وبين النساء واما
عمة الخالة فان كانت الخالة اخت ام لاب فلا تحل عمة الخالة
لانها اخت جد وان كانت الخالة اخت لام فقط فعمتها اجنبية
من بني اخيها • وبنات الاخ وبنات الاخت تحرم بناتهما وان سفلن
وافرد هنا الاخ والاخت ولم يات جمعا لانه اضيف اليه الجمع فكان
لفظ الافراد اخف واريد به الجنس المنتظم في الدلالة الواحد وغيره
فهؤلاء سبع من النسب تحريمهن مؤبد واما اللواتي صرن
محرمات بسبب طارئ فذكرهن في القرآن سبعا وهن في قوله عز وجل
وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نبه بهذين المثالين

على ان الحال في باب الرضاع كالحال في النسب ثم انه عليه الصلاة والسلام
اكد هذا التصريح فقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فهذا صريح
الحديث مطابقة للاشارة الى الآية في قوله المرضعة ابوه وابواه جدا
واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده
فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من
ولد من بعد الرجل فهو لاخوته واخواته لابيه وامه وامما ولدها
من غيره فهم اخوته واخواته لامه وقالوا بتحريم الرضاع كتحريم النسب
الا في مسألتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب
ويجوز ان يتزوج اخته من الرضاع لان المعنى في النسب وطء
ابنها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه
من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الآباء وامهاتهم
وهذا المعنى غير موجود في الرضاع وظاهر الكلام اطلاق الرضاع والمتعرض
الآية الى سن الرضيع ولا عدد الرضعات ولا الى التفرق والارضاع
الرجلين تنشر للصبي او يجتمعان به او متعاقبين بحيث يصل الى
الجوف وفي هذا الحد خلاف مذكور في كتب الفقه وفرق
الشافعي والاولى ومن الرضاعة بكسر الراء وامهاتكم نسائكم الجمهور على
انها للعموم وسواء عقد عليها ولم يدخل بها او دخل بها وروي
عن علي رضي الله تعالى عنه انه اذا طلقها قبل الدخول فله ان يتزوج
امها وابنتها في ذلك كمنزلة الربيبة وربائبكم اللاتي في حجوركم ظاهره
انه شرط في تحريمها ان تكون في حجر والى هذا ذهب علي وبه اخذ داود
واهل الظاهر فلو لم تكن في حجره وفارقها قبل الدخول حل له ان
يتزوجها كما قاله بعضهم وقد قالوا ايضا حرم الله ربيبة بشرطين
احدهما ان تكون في حجر الزوج والثاني الدخول بها اي بالام فاذا
فقد احد الشرطين لم يوجد التحريم والتي صفة لنسائكم المخفوض
بمن والاحسن ان يكون التي وصفا لنسائكم من قوله وامهات نسائكم
ونسائكم المجرور بمن لان العامل في الموصولين فلما اختلف هذا
مجرور بمن وذلك مجرور بالاضافة والاحسن ان يكون من نسائكم
متعلقا بمحذوف ينتظم امهات نسائكم وربائبكم لاختلاف
مدلولي حرف الجر اذ ذاك راجع بالنسبة الى قوله وامهات نسائكم
يكون من نسائكم لبيان الجنس كالتي في الاوثان ويعتبر المدخول بها
من غير المدخول بها في قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن يكون من نسائكم لبيان ابتداء الغاية كما تقول
هذا لي من ولاية قال ابن عمر رضي الله عنه الآن اعلقه
بالنساء والربائب وجعل من الارقاء كقوله تعالى المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض كما تقول بعضهم فاني لست منكم ولست

منى • ما آتاهن من دين ولا الدم مني وامهات النساء منصلات النسا
لانهن امهاتهن كما ان الرباب منصلات بامهاتهن لانهن بناتهن انتهى
ولا نعلم احدا ادخلت الى ان من حمالي من الاتصال واما مشربة من
الابنة والشعر والحديث فمما قال وانا جعلنا من نسائكم متعلقا
بالنساء والربائب واما تركيبه مع الرباب ففي غاية الفصاحة
والحسن وهو نظم الاية واما تركيبه مع قوله وامهات نسائكم ومن نسا يكم
اللاتي دخلتم بهن فانه قصير وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن
فهذا ان كنت لا تكون ان يقع في القرآن ولا الى كلام فصيح لهذا ربما ح
في افادة هذا المعنى لي قوله من نسائكم والدخول هنا كناية عن
الجماع كقوله بني عليها وضرب عليها الحجاب والباء هنا للتعدية
والمعنى اللاتي ادخلموهن الستر وهذه رواية ابن عباس وغيره رضي
الله عنهم اجمعين • ولا جناح عليكم اي في نكاح الربائب اللاتي لم تدخلوا حلل
بامهاتهن وفارقتموهن فلو طلقها بعد السبي او قبل الجماع
جاز ان يتزوج ابنتها وفي تحريم الربيبة بالنظر الى امها بشهوة
او مسها بشهوة او النظر الى شعرها وصدرها بلذة او مسه بها
وان لم تدخل بالام خلاف وظاهر قوله وحلائل ابنائكم اختصاص
ذلك بالزوجات كما ذكرناه واتفقوا على ان مطلق عقد الشراء
للجارية لا يحرمها على ابيه وعلى ابنه ولا ابنه فلو لمسها
او قبلها حرمت على ابنه وابنه والاخلاف في تحريم ذلك ايضا
واختلفوا في مجرد النظر بشهوة والله اعلم الذين من اصلابكم
احتراز اما كانت العرب تفعله كانت العرب تسمي الشخص
وليس ولد بنه حقيقة وهم الذين قال الله تعالى فيهم ادعوهم
لآبائهم • وان تجمعوا اي في عقد النكاح في موضع رفع وبين الاختين
ظاهره العموم اما نكاح او ملك يمين وفي بعض التفاسير جاز قال
الامام قد سلف استثناء منقطع متعلق بالاخير وهو ان تجمعوا
بين الاختين والجمع في ذلك ما سلف من ذلك وقد وقع وانا لت
شريعة الاسلام حكم قال الله تعالى يغفر • والاسلام يجبه ويدرك
على عدد الواحدة من قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما والمحصنا ت
من النساء قرئ بكسر الصاد وفتحها والمعنى على ما قد قيل
الاولى بها ههنا المزوجات واستثنى من ذلك ملك يمين
فانه بالملك ينفسخ نكاحها من زوجها ويحل لمن ملكها • كتاب
الله عليكم انتصب باضمار فعل وهو مصدر من مؤكد لمضمون
الجملة السابقة من قوله حرمت عليكم وكانه قيل كتب الله عليكم
تحريم ذلك كتابا وله حجة لمن كساك في دعواه ان هذا من باب
ان عزاه وان النذر عليكم كتاب الله وقدم هنا المفعول ونجوز

ذلك عند البصريين

في ما لا عراق احل لكم كما ورد لكم لما سبق على المحرمات في النكاح
لم يرجع الى ما احل من سوى ما ذكر وظاهر ذلك العموم وبهذا
الظاهر استدل الخوارج ومن وافقهم من الشيعة على جواز نكاح
المرأة على عمتها وعلى خالتها والجمع بينهما وقد طال الاستدلال في ذلك
ابو جعفر الطوسي لخص علماء الشيعة الامامية عزيه في كتابه في التفسير
قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت على م عطف قوله واحل لكم
قلت عطفه على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله
عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم وبدل عليه قراءة اليماني رضي
الله عنه كتب الله عليكم واحل لكم ثم قال ومن قرأ واحل لكم فان
مبنيا للمفعول فقد عطفه على قوله حرمت انتهى كلامه فرق في الخط
بين الفواتح وما اختاره من التفرقة غير مختار لان انتصاب
كتاب الله عليكم انما هو على انه مصدر المؤكد لمضمون الجملة السابقة
من قوله حرمت فالعامل فيه وهو كتب انما هو تاكيد لقوله حرمت
فلم توقع الجملة على سبيل التاكيد للحكم وانما التاسيس هنا
فاصل تقوله حرمت والله حيث جاء على سبيل التاكيد للحكم انما قد جيء بها
لتلك الجملة التي تسيد وما كان سبيله هكذا فلا يليق ان
تعطف عليه الجملة الموسسة لحكم انما يناسب ان تعطف على جملة موسسة
مثلها لفظا ولجملتان متفقتان اذ احداهما للتحذير
والاخرى للتحريم فيناسب ان تعطف هذه على هذه وقد اجاز
الزمخشري ذلك في قراءة واحل بنيا للمفعول وكذلك يجوز
فيه بنيا للفاعل ان تنتصب اموالكم نصب على انه مرد بالاستمتاع
من قوله وابتغوا بالمال هو على وجه النكاح وقال الزمخشري رضي الله عنه
ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان تبتغوا
باستمتاعكم اموالكم بما يجب لها من صداق او ثمن محصنين
غير مسافحات لا تبتغوا اموالكم وتقتروا انفسكم فيما لا يحل لكم
فتخسروا دنياكم واخراكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع الخسرانين
وانظر الى حجة هذه الالفاظ وكثرتها وتجمل لفظ القرآن
ما لا مزيد عليه وتفسيره الواضح الجلي باللفظ المعقد ودس مذهب
الاعتزال في غضون هذه الالفاظ الطويلة دسا خفيا ان فسر
قوله واحل لكم بمعنى بين لكم ما يحل وحمل قوله ان تبتغوا على
حذف مضافين اي ارادة ان يكون ابتغاؤكم اي ارادة كونكم
ابتغاكم باموالكم وفسر ان تبتغوا بعد ما لهو وما يخرج في المناكح
فتضمن تفسيره انه تعالى بين لكم ما يحل لارادة كون ابتغائكم

بالمهور

بالمهور فاختصت ارادته بالحلال الذي هو النكاح دون السفاح وظاهر
الآية غير الذي فهمه الزمخشري رضي الله عنه اذ الظاهر انه تعالى
احل لنا ما سوى المحرمات السابق ذكرها باموالنا حالة الاحصان
لا حالة السفاح وعلى هذا الظاهر لا يجوز ان يعرب ان تبتغوا
مفعولا له كما ذهب اليه الزمخشري رضي الله عنه لانه فات شرط
من شروط المفعول له وهو اتحاد الفاعل في العامل والمفعول
له لان الفاعل بقوله واحل لكم هو الله سبحانه وتعالى والفاعل
في ان تبتغوا هو ضمير المخاطبين ولما احس الزمخشري رضي
الله عنه ان كان احس بهذا جعل ان تبتغوا على حذف ارادة
حتى يتحد الفاعل في قوله واحل وفي المفعول له ولم يجعل
ان تبتغوا مفعولا له الا على حذف مضاف واقامته مقامه
وهذا كله خروج عن الظاهر لغير داع الى ذلك ومفعول تبتغوا
محذوف اختصارا اذ هو ضمير يعود على ما من قوله ما وراء
ذلكم وتقديره ان تبتغوه وقال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا
وهو النساء واجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم
انتهى فاما تقديره اذا كان مقدرا بالنساء فانه لما جعله
مفعولا له غاير بين متعلق المفعول له وبين متعلق المعلول
واما قوله واجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم
فهو مخالف للظاهر لان مدلول تبتغوا ليس مدلول
تخرجوا ولان تعدي تبتغوا الى الاموال بالباء ليس على طريق
المفعول به الصريح كما هو في تخرجوا وهذا كله تكلف ينبغي
ان ينزه كتاب الله عنه والاحصان العفة وتحصين النفس
عن الوقوع في الحرام وانتصب محصنين على الحال وغير مسافحين
حال مؤكدة لان الاحصان لا يجاء مع السفاح فما استمتعتم به
منهن اي ما استمتعتم به من الزوجة وهو الوطء ولو مرة
فقد وجب اعطاء الاجر وهو المهر ولفظة ما تدل على ان
يسير الوطء يوجب ايتاء الاجر يعني المهر وقال الزمخشري رضي الله عنه
فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او
عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه انتهى وادرج في الاستمتاع
الخلوة الصحيحة على مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة لما امروا بايتاء اجور النساء
اي بايتائهن مهورهن المستمتع بهن كان ذلك يقتضي الوجوب
فاخبر سبحانه وتعالى انه لا حرج ولا اثم في نقص ما تراضوا عليه
او رده او تاخيره اعني الرجال والنساء بعد الفريضة فلها ان تزد عليه

هذا م

عل

د

وان نقص وان تؤخر فهذا يدل على ان الكلام وهو نظير قوله
تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الآية ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات الطول هو السعة في المال قاله
ابن عباس رضي الله عنهما والمحصنات من الاماء والطاهر ان المؤمنات
شرط في نكاحهن وكذلك في قوله من فتياتكم المؤمنات وفي
نكاح الحر غير المؤمنات وفي نكاح الفتيات غير المؤمنات خلافا
والظاهر انه لا يجوز نكاح الاماء لمن يجد الطول لان ينكح
مفعول يستطع ومما ملكت متعلق بفعل محذوف
تقديره فلينكح مما ملكت والله اعلم بايمانكم لما اطلع المؤمنين
بالحكم الذي ذكره من تحريم نكاح عادم الطول الحرة المؤمنة
الا الامة المؤمنة نبه سبحانه وتعالى على الايمان الذي هو وصف
باطني وان الله هو المطلع على ذلك اذ ان الله عز وجل هو المطلع
عليه فالمعنى انه لا شرط في ايمان الفتيات ان تكون عالمين
بذلك اذ العلم بالسرائر لا ان ذلك الا هو عز وجل فكيفي
من الايمان منهن اظهارهم فمن كانت مظهرة للايمان فنكاحها
صحيح وربما كانت حينئذ اولى من عفيفة اعجمية واظهرت الذي
فلتأتين منها بذلك والمحوهن بادن اهلهن امر اباحة والمعنى
تولية منه فلا كتب والمراد بالنكاح هنا العقد وكذلك ذكر
اسيادهن الاخر بعده اي المهور وسموا مهورا لان الاماء اهلا
لهن لانهم كانوا اهل اذ رجوع الاحد الى السيد في كثير من الاحكام
وقيل هو على حذف مضاف اي باذن اهلهن واهل
ولاية نكاحهن هم الملاك ومقتضى هذا الخطاب ان الاذن شرط
في صحة النكاح فلو نكح بغير اذن السيد لم يصح النكاح
وانما امر ان يؤتين اجورهن بالمعروف والمراد بالاجور هنا المهور وفيه
دليل على ايتاء وجوب الامة مهورها وانها احق بمهرها من سيدها
وهذا هو مذهب الامام مالك رضي الله عنه قال ليس لسيد
الامة ان ياخذ مهر امته وقد غنها قبل الدخول وجمهور العلماء على
انه يجب دفعه للسيد ودفعه بالمعروف متعلق بقوله واتوهن
والمعروف قيل معناه غير مطل ولا ضرار واحوج الى اقتضاء
محصنات عفائف غير مسافحات اي غير معلنات بالزنا ولا ذوات
اخدان لا تزنين سرا ولا مستحذات احدان من المسترات
كانت تلك عادة الجاهلية فاذا احصن اي تزوجن وقرئ مبنيا
للفاعل ومبنيا للمفعول فان اتين بفاحشة اي الى تأتين
تقدم فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر يعني اذا زنين

من العذاب

١٨١

من العذاب وما وعشرون جلدة ذلك اشارة الى نكاح عاد والطول
للحرة المؤمنة او الامة المؤمنة والعنت هنا الزنا قال ابن عباس
وغيره واصله في اللغة المشقة وعند قوله عز وجل ولو شاء الله لاعنتكم
اي لشق عليكم ولان تصبروا خير لكم ظاهر هذه الاخبار عن صبر خاص
وما روي عن نكاح الاماء قاله ابن عباس رضي الله عنهما وحجته الحرية
كونه لا يرق ولد وان لا يستدعي عنه مؤونة تفضل في العادة بنكاح
الامة وفي سنن ابي داود رضي الله عنه وفي رواية النسائي في سنن ابن ماجه
من حديث ابن رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من اراد ان يلقى الله عز وجل طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر
يريد الله ليبين لكم مفعول يريد محذوف وتقديره يريد الله هذا
اي تحليل ما حلل وتحريم ما حرم وقيل يريد
في معنى المصدر من غير سابك تقديره ارادة الله ليبين لكم وهذا ان القولان
عند البصريين وقال الكوفيون مفعول يريد هو ليبين واللام زائدة
والمعنى يريد الله التبيين لكم واللام ناصبة مضمرا وقال الزجاج
رضي الله عنه اصله يريد الله ان يبين لكم فحذفت اللام وهي
من كلمة الارادة التبيين كما حذفت في لا ابالك لتاكيد اضافة
الابوة والمعنى مرتد الله ان يبين لكم ما خفي عنكم من مصالحكم
واصلح لاعمالكم اعمالكم انبي كلامه وهو خارج عن اقوال البصريين
والكوفيين اما كونه خارجا عن قول الكوفيين فانهم يجعلون النصب باللام لا بان وهو جعل
النصب بان مضمرة بعد اللام ومفعول يبين محذوف تقديره
يبين لكم من امر دينكم ومصالح امورهم ويجوز عندي ان يكون من
باب الاعمال فيكون مفعول يبين ضميرا محذوفا تقديره
مفعول وهذكم كما في قولك ضربت واكرمت زيدا السمر قرر
ليبينها لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم هي مناهج الانبياء والصالحين
قال ابن مطهر رضي الله عنه وتكرار ارادة الله هنا ثلاث مرات غلب عليه
نفوسهم الاخبار الاول وليس القصد في الاية الا الاخبار عن
ارادة الذين يتبعون الشهوات ان يميلوا ميلا عظيما فقدمت ارادة
الله عز وجل في توطئة مطهرة لفساد ارادة متبعي الشهوات انتهى كلامه
فاحتاج مذهب الكوفيين الى ان جعلوا اللام في ليبين زائدة في معنى ان يبين لكم
فيكون مفعول اريد وعطف عليه ويتوب فهو مفعول مثله وكذلك
قال وتكرار ارادة الله للتوبة على عباده الى اخر انتهى وكان قد حكى
قول الكوفيين وقال هكذا ضعيف ثم رجع آخرا الى ما ضعفه وكان

وكان قد قدم ان مذهب سيبويه ان مفعول يريد محذوف والتقدير يريد
الله هذا ليبين لكم والشهوة هو ما قد يغلب على القلب محبته وهواه
ولما كانت التكاليف الشرعية فيها قمع النفس وردها عن مشتهياتها
كان اتباع شهواتها سببا لكل مذمة وعبر عن الكافر والفاسق بمتبع
الشهوات كما قال تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا الاية واتباع الشهوة في كل حال مذموم
لان ذلك ايتمار لها من حيث ما دعت الشهوة اليه اما اذا كان ذلك
الاتباع من حيث العقل او الشرع فذلك هو اتباع لها لا للشهوة
ومتبعوا الشهوات هنا هم الزناة كما قاله مجاهد ويريد الذين يتبعون
الشهوات ان تميلوا اي عن الحق واتباعه ميلا عظيما قال الله عز وجل
يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا اي لا يصبر
عن تعاطي الشهوات ولا على مشاق الطاعات يا ايها الذين امنوا
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تقدم تفسير نظيرها ومناسبة
هذه الاية لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما بين كيفية التصرف في
الاموال الموصلة الى النكاح والى ملك اليمين وان المهور والاثمان
المبذولة في ذلك لا تكون مما ملكت بالباطل والباطل هو
كل طريق لم تبحه الشريعة الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
وهذا الكلام هنا فيه استثناء منقطع وفي رواية
استثناء منقطعا اذ لم تندرج التجارة تحت اكل الاموال بالباطل
وقرئ تجارة بالنصب على خبر تكون وبالرفع وبالرفع على ان تكون
تامة وعن تراض اي من البائع والمشتري والظاهر انه اذا حصل
التراضي جاز بيع التافه اليسير بالنفيس الكثير ولا تقتلوا انفسكم
ظاهره النهي عن قتل الانسان نفسه ويجوز ان يكون المعنى على النهي عن
قتل بعضنا بعضا ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك الاشارة
هنا الى ما وقع النهي عنه في هذه الجملة من اكل الاموال بالباطل وقتل
النفس قال الله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه مناسبتها
ظاهرة لانه سبحانه وتعالى لما ذكر الوعيد على فعل بعض الكبائر ذكر
الوعد على اجتناب الكبائر والظاهر ان الذنوب تنقسم الى كبائر وسيئات
وهي التي عبر عنها اكثر العلماء بالصغائر قال ابن عباس رضي الله عنهما
كل ما ورد عليه وعيد بنار او عذاب او لعنة او ما اشبه ذلك فهو
كبيرة والى نحو ذلك ذهب الوزير ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن احمد بن
حزم الفارسي القرطبي رضي الله عنه قال قد اطلت التفتيش على هذا
منذ سنين فصح لي ان كل ما توعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر
ووجدت انه صلى الله عليه وسلم قد ادخل في الكبائر بنص لفظه اشياء غير
التي ذكر في الحديث يعني الذي في البخاري فمنها قول الزور وشهادة الزور ومنها

اي على فعله

عقوق الوالدين

١٨٢

عقوق الوالدين والكذب على صلى الله عليه وسلم وتعريض المرء اويره للست
دون ست اما الناس وذكر عليه الصلاة والسلام الوعيد الشديد
بالنار على الكذب وعلى كفران نعمة المحسن في الحق وعلى السباحة والنوح
وحلق الشعر فيه وخرق الجيوب اي شقها والنهبة وترك التحفظ
من البول وقطيعة الارحام وعلى شرب الخمر وعلى تعذيب الحيوان
بغير ذكاة كما رحل ما لا يحل اكله مهارا على اشغال الاذار على سبيل
النحوة وعلى المثل بما يفعل من الخنث على المشهور بلعنة بالنهي الكا
وعلى مانع فضل مائه من السارب وعلى العلول وعلى بيعة
الائمة للدنيا فان اعطي منها وفي لهم وان لم يعط منها لم يوف لهم
وعلى المستطيل بيمين حق امرئ مسلم وعلى الاحتكار اهاس لرعيته
وعلى من ادعى نسبة لغير ابيه وعلى العن الاتي وعلى من عل وعلى من
ادعى ما ليس له وعلى ازاحة من لا يستحق اللعن وعلى بعض المهاجرين
والانصار رضي الله عنهم وعلى ترك الصلاة وعلى منع الزكاة وعلى بعض من
سبنا على بن ابي طالب كرم الله وجهه وقد جاء الوعيد الشديد
قد جاءت الاثار على الزناة وعلى المفسدين في الارض بالمحاربة
فصح بهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما انه كفر لا كفر الى معهد رضي الله عنه
● وقرئ منخرا بضم الميم وفتحها وفي قراءة الضم هو مصدر
اقيم مقام الادخال وبفتح الميم هو مكان الدخول او مصدر وهو
منصوب بفعل محذوف تقديره فيدخلون مدخلا حذف الفعل
الفعل لدلالة ما قبله عليه ● وروي انه تمنى اما فضل الله به بعضكم على بعض
الاية قال قتادة رضي الله عنه وبه قال السدي رضي الله عنه لما بين الله
قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجو ان
نفضل على النساء في الحسنات كما لنا في الميراث وقال النساء انا لنرجو ان
يكون لنا من الوزر على النصف ما على الرجال كما لنا في الميراث فنزلت للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن الاية المعنى ان الله سبحانه
وتعالى قد جعل لكل من الصنفين مكاسب يختص بها فلا يتمنى
احدهما ما جعل للاخر بل يحمد الله على ذلك ويسأله من فضله
وجعل لكل اصناف المشاق في الاحكام والامارة والجهاد وغير ذلك
وجعل للنساء الحمل والمشقة وحسن التبعل وحفظ غيب الزوج وحفظ
البيوت وقيل المعنى مما اكتسبن من نعيم الدنيا فسبيل للعبد ان يرغب
فيما قسم له متعالى له فيه وهذا القول اليق بالسبب لاحوال الدنيا
وقال ابن عباس رضي الله عنه جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على
حسب ما عرفه الله من حكمته الموجبة للبسط والقبض بمسألة اسئل وفي قوله
عرف الله ادل على علم وقدر فانه لا يقال في شان الله تعالى عارف نص
الائمة على ذلك لان المعرفة في اللغة تستدعي قبلها جهلا بالمعروف وذلك بخلاف

ذا لم يستند الى حظ قبله وتسمية ما قسم الله له كسبا لرفيه وقد
ايضا وان الاكتساب يقتضي الاعتمال والتطلب كما قلناه الان
قلنا ان اكثر ما قسم له يستند الى اكتساب من البشر واطلق
الاكتساب على جميع ما قسم لتغليب الاكثر وفي تعليق الدين
بالاكتساب حض على العمل وتنبيه على كسب افعال الخير انتهى
• واسئل الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما وقرئ تسئلون
السين وبابدالها فاكان امر محاط وقيل الفا او الوا وقرئ
بفتح السين فاحتمل ان يكون اصله اسمع وقلبت حركتها الى الساكن
وحذفت الهمزة واحتمل ان يكون من سال يسال كخاف يخاف
فعين الكلمة واو بدليل قولهم سوال وذلك قليل بسيار لان
وبيتسا وآبار وزعم ابن عطية في ذكر الاجماع على قوله وسئالوا
ما انفقتم انه بالهمز لغير اعين ونصوص المقرئين على خلاف
قوله ونص على الخلاف فيه بخصوصه ابن شنبوذ في كتابه المشتهر
• ولكل جعلنا موالي الاية لما نهى عن التمني المذكور وامر بسؤاله
تعالى من فضله اخبر تعالى في من احوال الميراث ولما ذكر تعالى ان
للرجال نصيبا مما اكتسبوا وللنساء نصيبا مما اكتسبن وكان
ما حصل لهن ذلك بالتطلب والتكسب ذكر لهم فيما يخلفه
لهم بغير طلب ولا تعب فقال تعالى ولكل جعلنا موالي اي يكون امر في قسمة
ما ترك اي من اجل ما ترك ومن للتبيين • والذين اي
والذين ذلك الانسان وافرد باعتبار لفظ ما • والذين عاقدت ايمانكم
في الميراث واضح والمعنى ان الذين سبق لهم امر الميراث ويوصلونه لمن
تسبقه امره وابان يؤتوا ما يحصل من الميراث لذلك الانسان
وكان الامر في قوله تعالى فآتوهم نصيبهم للندب بدليل قوله
النظر في ذلك والضمير المنصوب في قوله فآتوهم راجع
على كل انسان مراعا فيه الجمع وهذا الذي فهمته من هذه الاية
وقد ذكرناه في كتابنا المسمى بالبحر المحيط اقوالا كثيرة يوقف عليها هناك
• ان الله كان على كل شيء شهيدا لما ذكر سبحانه وتعالى تشريع الميراث
وامر بايتاء النصيب اخبر انه مطلع على كل شيء شهيد او المجازي به
وفيه وعيد للعاصي ووعد للمطيع وتأكيد على ان شهيد على
المعاقدة بينهم والصلة فاوفوا بالعهد • الرجال قوامون على النسا
الاية لما ذكر سبحانه وتعالى امر الرجال والنساء في اكتساب المكتسب
واشركهم في الميراث اخبر سبحانه وتعالى ان الرجال يقومون بمصالح
النساء وقوامون صيغة مبالغة ومعنى بما فضل الله بعضهم
على بعض اي بتفضيل الله عز وجل بعض الرجال على بعض في كون هذا

رزق اكثر من هذا وحال هذا اسنى اي احل من حال هذا • وبما انفقوا
من اموالهم اي على النساء وما مصدرية في الموضعين ويجوز ان تكون ما في
قوله وبما انفقوا موصولة وحذف الضمير العائد عليها التقدير
وبالذي انفقوه من اموالهم وتقدير الاولى المصدرية بتفضيل الله تعالى
فالصالحات اي الخيرات في الدين والعفة • عابدات اي مطيعات
لله سبحانه وتعالى • حافظات للغيب اي لما غاب عن ازواجهن من سر
وغيره كما قال الشاعر • اذا غاب عنها البعل لم تفش سره •
وترضى اياب البعل حين يثوب • وما في قوله بما حفظ الله مصدرية
والمعنى ان حفظهن للغيب ليس هو من قبل انفسهن بل ذلك
بحفظ الله اياهن لذلك • واللاتي تخافون نشوزهن النشوز ان
تمتنع المرأة مما يريد منها زوجها من وطء واستمتاع وتصنع بتعطير
وغير ذلك ويقال بالشين والراء ويقال نشوص بالشين والصاد
والظاهر ان الخوف على بابه وامر بوعظها اذا خاف نشوزها ويكون معنى
قوله واهجروهن في المضاجع واضربوهن مقيدا بوقوع النشوز والتقدير
اذا نشزن لان الهجر في المضجع والضرب لا يترتب على الخوف انما يترتب
عليه الوعظ ودل على تقدير اذا نشزن معنى التقسيم وقوله واللاتي
تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن
مطلق في الضرب والمعنى والله سبحانه وتعالى اعلم انه يكون المراد به ضرب
غير مبرح كالضرب باللطمة باليد او بالقضيب اللين مما لا يحدث
شيئا ويؤذن بالاحتقار لها وقد كان بعض الصحابة يضرب
بالسوط المؤلم قال الله عز وجل • فان اطعنكم فيما تأمروهم
به فلا تبغوا عليهن سبيلا وقوله سبيلا اي من وعظ او هجر او ضرب
• ان الله كان عليا كبيرا ولما كان في تأديبهن بما امر الله به الزوج
اعتلاء الزوج على المرأة ختم تعالى هذه الآية بصفة العلو والكبر
ابينه على العبد بذلك على ان المتصف بهذا كله هو الله تعالى
حقيقة وانما اذن لكم فيما اذن على سبيل التأديب لهن فلا تستعلوا
عليهن فان ذلك ليس مشروعا لكم وفي هذا وعظ عظيم للازواج وانذار
ايضا ان قدرة الله تعالى عليكم فوق قدرتكم عليهن • وان خفتم
شقاق بينهما الشقاق هو المشاقة بان يتمادى نشوزها ولا ينفع
فيها وعظ ولا هجر ولا ضرب وتصير هي في شق ويصير هو في شق
والمعنى شقاقا بينهما اي بين الزوجة والزوج واضيف شقاق
الى بين وهو ظرف على جهة الاتساع كما قالوا هو تقي ما بين الحاجبين
والامر في قوله تعالى فابعثوا هو لمن يتولى امر الناس من
القضاة والولاة والظاهر انهما ليسا وكيلين بل هما ناظران في امرهما
على سبيل الصلح او الفرقة والضمير في بينهما ان يريدا عائد على

المراد بالبعل الزوج

تعالى

الحكمين اصلاحا اي بين الزوجين يوفق الله بينهما والضمير في بينهما
عائد على الحكمين اي فيما بعثا فيه من تمام الاصلاح او التفرقة على
حسب ما سيظهر لهما وقيل الضمير في بينهما عائد على الزوجين وفي
كتب الفقه تفاريع في الحكمين ينظر فيها ان الله كان عليما خبيرا
يعلم ما يقصده الحكمان وكيف يوفق بين المختلفين ويجبر
خفايا ما يلفظ به اي يعلم جميع ذلك قال الله تعالى واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا والجار ذي القربى اي والمراد به
صاحب الدار القريبة من دارك والجار الجنب هو البعيد الدار من دارك
والصاحب بالجنب اي المتصل المسكن بمسكنك وابن السبيل
هو المجتاز في سفره وما ملكت ايمانكم من الارقاء ان الله لا يحب
من كان مختالا المختال النساء الجهول الذي يتكبر عن اكرام
اقاربه ومماليكه ولا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم الذين يبخلون
هو بدل من من وقيل هو بدل من مختالا فجوزا حملا على لفظ
من ثم قال الذين حملا على معنى من ويجوز عندي ان يكون صفة
لمن ولم يذكروا هذا الوجه وقيل هو في موضع رفع على اضمار مبتدا
تقديره هم الذين يبخلون وهذه الاقوال على تقدير اتصال الذين بما
قبله ومن اعرب الذين مبتدا فهو قلق اذ لم يصرح في الاية
بخبر والذين ينفقون معطوف على الذين يبخلون وتقدم تفسير
نظيرها في سورة البقرة ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
لما ذكر سبحانه وتعالى من اتصف بالبخل والامر به وكتمان فضل
الله سبحانه وتعالى والانفاق رياء وانتفاء ايمانه بالله سبحانه وتعالى
وباليوم الاخر ذكر ان هذه من نتائج مقارنة الشيطان ومخالطته
وملازمته للمتصف بذلك لانها شر محض اذ جمعت بين سوء الاعتقاد
الصادر عنه الانفاق رياء وسمعة وساير تلك الاوصاف
المذمومة ولذلك قدم تلك الاوصاف وذكر ما صدرت عنه
وهو انتفاء الايمان بالموحد وبدار الجزاء ثم ذكر ان ذلك من مقارنة
الشيطان والقرين هو القارن وساء هنا بمعنى بئس وهي
لا تنصرف ولذلك دخلت الفاء في جواب من الشرطية وقال
ابن عطية رضي الله عنه وقرن الطبري هذه الاية بقوله تعالى
بئس للظالمين بدلا وذلك مردود لان بدلا حال وفي هذا
نظر انتهى والذي قاله الطبري صحيح وبدلا تمييز لا حال وهو مفسر
للضمير المستكن في بئس على مذهب البصريين والمخصوص بالذم محذوف
تقديره هم اي الشيطان وذريته وانما ذهب الى اعراب المنصوب
بعد نعم وبئس حالا الكوفيون على اختلاف بينهم مقرر في علم
النحو والظاهر ان هذه المقارنة في الدنيا وماذا عليهم اي في الايمان

قيل

نعم

بالله واليوم

بالله واليوم الآخر والانفاق في سبيل الله لو امنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما لحصلت لهم الشقا
ويحتمل ان يكون ذلك كله جملة واحدة وذلك على مذهب من يثبت
ان لو تكون مصدرية في معنى ان كله قل وماذا عليهم ان
امنوا اي في الايمان بالله والاجر لها اذ ذاك فيكون كقول الشاعر
• وما ذا عليه ان ذكرت له وانسى • كقول ابن رملي في تحارب اقبالك
وما ذا استفهام وفيه معنى الانكار قال ابن عطية رضي الله عنه
وجواب لو في قوله وماذا في جواب معدم انتهى ان اراد ظاهر هذا
الكلام فليس موافقا لكلام النحويين لان الاستفهام لا يقع جوابا
لقوله لو ولان قولهم اكرمتك لو قام زيد ان قدر ما من كلام آخر حتى يحمل
على ان اكرمتك ذلك على الجواب لا جواب كما قالوا في قولهم ائت طائفا
ان فعلت كذا وكذا وان اراد تقدير المعنى فممكن ما قاله ان الله
لا يظلم مثقال ذرة شاسة هذه الآية لما قبلها واضح اذ المناسبة
بينهما واضحة لانه تعالى لما امر بعبادته وامتثال الاحسان للوالدين ومن
ذكر معهم ثم اعقب ذلك بذم البخل والاقتصاد لكثرة معدة
ثم وبخ من لم يؤمن ومن لم ينفق في طاعة الله وجعل مكان ذلك الكلام
توطئة لذكر الجزاء على الحسنات وعلى السيئات فاخبر سبحانه وتعالى
بصفة عدله وانه سبحانه وتعالى لا يظلم اي شيئا ثم اخبر
بصفة الاحسان فقال • وان تك حسنة يضاعفها ويظلم
يتعدى لواحد وهو محذوف وتقديره لا يظلم احدا مثقال
ذرة ومثقال منتصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ظلما
مثقال ذرة ظلما مما تقول لا اظلم فلانا قليلا ولا كثيرا وقل اعتدا
قد ضمت يداي قدمي لا تثني وانتصب مثقال على انه مفعول
ثان والاول محذوف التقدير لا ينقص احدا ولا يغصبه فتيل او
احد مثقال ذرة من الخير او الشر وقرئ وان تك حسنة
بالنصب فتكون ناقصة واسمها مستتر فيها عائد على مثقال
وانث الفعل لعوده على مضاف الى مؤنث او على مراعاة المعنى
لان مثقال معناه زنة ذرة وقرئ بالرفع على ان تك تامة
بمعنى توجد • وتوقف من لدنا اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل
امة بشهيد هو نبيها ليشهد عليهم بما فعلوا كما قال الله عز وجل
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وان امة منها من بعث اليهم النبي
من هو من برق كافرا علم سبحانه وتعالى ان بعد له وانيا فضله لمن
يستاء
ارجح ذلك بانه قد على الحالة التي يحضرها الخزي والندم عليهم
فيها وكيف في موضع رفع ان كان الخبر للتذكير اي
فكيف حال هؤلاء السابق ذكرهم او كيف صنعهم وهذا التبكيت

العامل في خبره هو العامل في اذا او في موضع نصب ان كان المحذوف
فعلا اي فكيف يصنعون او فكيف يكونون والفعل ايضا هو
العامل في اذا ويومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى
بهم الارض التنوين في يومئذ هو تنوين العوض حذفت منه الجملة السابقة
وعوض منها هذا التنوين والتقدير يومئذ جئنا وقرئ تسوى
مبنيا للمفعول وتسوى بادغام التاء في السين ويسوى بحذف
التاء ومعنى التسوية انهم يسوون مع الارض فيكون ترابا كما قال
الله عز وجل في حق الكافر انه يتمنى يوم القيامة ان يكون ترابا
قال تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا والعامل في يومئذ يود ومفعول يود محذوف تقديره
تسوية الارض بهم ودل عليه قوله لو تسوى بهم الارض ولو حرف
لما كان سيقع لوقوع غيره وجوابه محذوف تقديره لسروا بذلك
وحذف لدلالة يود عليه ومن اجاز في لو ان تكون مصدرية
مثل ان جوز ذلك هنا وكانت اذ ذاك لا جواب لها بل تكون في
مفعول يود ولا يكتمون الله حديثا هو معطوف على قوله يود
او يكون الواو للاستيناف التقدير وهم لا يكتمون الله حديثا
وفي يوم القيامة مواطن كثيرة يكتمون الله تعالى في مواطن منها
كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وموطن لا يكتمون كقولهم يا ليتنا
نرد الاية فهذا معنى قول بعضهم يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون روي ان جماعة من
الصحابة شربوا خمرا قبل التحريم وحانت صلاة فتقدم احدهم
ليصلي بالناس فقرا قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت هذه
الاية ومناسبتها لما قبلها هي انه لما امر تعالى بعبادة الله عز
وجل والاخلاص فيها وامر ببر الوالدين ومكارم الاخلاق وذم
البخل واستطرد منه الى شيء من احوال القيامة وكان قد وقع
من بعض المسلمين تخليط في الصلاة التي هي راس العبادة بسبب
شرب الخمر فناسب ان تخلص الصلاة من شوائب الكدر التي يوقعها على
غير وجهها دون ما يفسدها ليجمع لهم بين اخلاص عبادة الحق وبين
مكارم الاخلاق التي بينهم وبين الخلق وبالغ سبحانه وتعالى في النهي عن
ان يصلي المؤمن وهو سكران بقوله يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لان النهي عن قربان الصلاة ابلغ
من قوله لا تصلوا وانتم سكارى ومنه لا تقربوا الزنا لا تقربوا الفواحش
ومنه قوله ايضا ولا تقربوا مال اليتيم والمعنى لا تنشئوا الصلاة
وغيا ذلك بقوله حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا حال معطوفة على
قوله وانتم سكارى اذ هي جملة حالية والجملة الاسمية ابلغ لتكرار

الضمير

الضمن والتقييد ابلغ في الانتفاء فمن ثم لم يقيد بالمفرد الذي هو
قوله ولا جنبا وخول لا دال على مراعاة كل قيد منهما بانفراده
وان كان النهي عن ايقاع الصلاة حقيقة لكل حال منهما بانفراده
فالنهي عن ايقاعها بهما مجتمعين اكد وادخل في الحظر • والجنب
هو غير الطاهر من ان الزاي مجاورة خان هذا قول الجمهور
من الائمة والجنب مأخوذ من الجنابة وهي البعد كانه جانب
الطهر ومن الجنب كانه ضاجع او مس بجنبه قال الزجاجي رضي الله عنه
الجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى
المصدر الذي هو الاجناب انتهى والذي ذكره هو المشهور في اللغة
والفصيح وبمجاز القرآن وقد جمعوه جمع سلامة بالواو والنون
قالوا قوم جنبون وجمع تكسير قالوا قوم اجناب واما قطربة
فقال اجنان • الا عابري سبيل اي مجتازي طريق والعبور المجاوزة
الخطو والجواز ومنه ناقة عبرة اي تطوي الهواجر وعابري
منصوب على الحال وهو مستثنى من الاحوال وتلحظ محذوف
اي ولا تقربوا مواطن الصلاة وانتم جنب الا في حال عبوركم
في الطريق وعناد ذلك بقوله تعالى حتى تغتسلوا فاذا اغتسل
حل له ان يصلي وان يمكث في المسجد • وان كنتم مرضى او على
سفر الآية قيل ان هذه الآية نزلت بسبب عدم الصحابة الماء في
غزوة المريسيع حين اقام على الماس لعقد مرضا او على سفر
اي اطلقوا هنا مطلق المرض ومطلق السفر فاذا لم تجد ماء تيمموا
• او جاء احد منكم من الغائط • والغائط كناية عن الحدث وحمل
عليه الريح والبول والغي والوذي ولا خلاف ان هذه الستة
احداث • او لامستم النساء وفرئ او لمستم بلا الف بمعناه
ماض بلا مس ولمستم مضارع بلمس قال الظاهرية قوله او لامستم انما اريد به
الجماع لا الجس باليد ولا المس ايضا وينبغي ان تحمل عليه لمستم
ومن العلماء من حمل ذلك على ان المراد الجس باليد او غيره من
الجوارح على تفصيل فيه مذكور في كتب الفقه فلم يجز وا انا
فتيمموا الضمير هنا عائد على من اسند اليه الحكم في الاجناب
الا بعد وقته تعلق الخطاب وقد اجتمع فيما خطاب
وغيبة فالخطاب في قوله ان كنتم مرضى او على سفر او لامستم
والغيبة في قوله او جاء احد منكم من الغائط وما احسن
ما جاء في هذه الغيبة لانه لما كنى عن الحاجة بالغائط كره مساد
ذلك الى المخاطبين فرجع به الى لفظ الغائب فقوله او جاء احد منكم
وهذا من احسن الالتفاتات واجمل المخاطبات ولسان المرء
والشعر وليس النسا الفيحل الخطاب بما كان على سبيل الخطاب

وظاهر انتفاء الوجدان سنى تطلب وعدم الوصول اليه فات
فى حق المريض فجعل الموجود حسا فى حقه اذا كان لا يستطيع استعماله
كالمفقود شرعا واما عدم ما يتى الا بعد فانتفاء وجدان الماء
فى حقهم هو على ظاهره * قال الله عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا اى
فاقصدوا * صعيدا طيبا اى تراما طاهرا * وامسحوا بوجوهكم
وايديكم منه معناه البدل بالماء وامسحوا بايديكم منه من غير غسل بفتح
الفاء المعجمة والظاهر من عموم الوجه تقول مسحت راسه ومسحت
راسه والمعنى فى ذلك واحد * وايديكم فى هذا القول اجمال اذ هو
قول محمل وجاء فى الحديث ان التيمم مسح الوجه ومسح اليدين الى
ومعناهما اليدين بالتراب وذكر ذلك فى صحيح مسلم وفى تحديد اليدين فى
التيمم خلاف مذكور فى كتب الفقه ان الله سبحانه عفو غفور كناية
عن الترخيص وعن التيسير الم تر الآية نزلت فى شان اليهود ولعلهم ان يقال
ومناسبتها لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما ذكر شيئا من احوال الآخرة وان
الكفار اذا ذاقوا لو يودون لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا جاءت
الآية بعد ذلك كالاعتراض بين ذكر احوال الكفار فى الآخرة وذكر
احوالهم فى الدنيا مع المؤمنين ذكر احوالهم فى الدنيا وما هم
عليه من عداوة المؤمنين وكيف يعاملون رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذى يأتى عليهم شهيدا وعلى غيرهم ولما كان اليهود اشد انكارا
للحق وابعد من قبول الخير وكان قد تقدم ذكرهم الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وهم
اشد الناس بخلا لهذين الوصفين * الم تر اليهم ان قوما نصيبا
من الكتاب الظاهر ان من الكتاب صفة لنصيبا او صفة
لقوله اوتوا نصيبا من الكتاب واريد بالكتاب الجنس والنصيب
المراد به هنا القلة وكون ان يتعلق من الكتاب بقوله اوتوا
* وشريت الضلالة اى بالهدى كما اخبر الله تعالى عنهم بذلك
والمعنى الا تعجب مما انزل عليه من الكتب الالهية ومع ذلك لم يتبع
ما انزل اليه واثر الضلالة على الهدى ويريدون ان تضلوا اى
تخطئوا السبيل الى الطريق اى ولم يكفهم ان ضلوا فى انفسهم
حتى تمنت اما لهم بضلالكم انتم ايها المؤمنون عن سبيل الحق
لانهم لما علموا انهم قد خرجوا من الحق كما اظن كرهوا ان يكون المؤمنون
مختصون باتباع الحق واراد ان يضلوكم كما ضلوا هم فى انفسهم فتكونوا
مثلهم كما قال الله عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء
وقرئ ان يضلوا بضم الياء وكسر الضاد من اضل وقراءة
الجمهور بفتح الياء وكسر الضاد من ضل * قال الله عز وجل
ومن لدن هاد والداه كرتعالى لهم اولا التوراة وانزل واستثناه

القتلة كذكر اوضاما قدم من ذم وهو تحريف الكلم عن مواضعه وقوله
يحرفون صفة لمبتدا محذوف وقدم خبره الجار والمجرور وفصله وحده فه
فصيح لقول العرب منا من ظعن ومنا من اقام واختار الفرا
رضي الله عنه ان يكون المحذوف الى صلة نكرة من تحريفون فيحرفون
صلة لمن المحذوفة • يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا
وعصينا الظاهر انهم شافهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهاتين الجملتين وخاطبوه بهما ولم يسمع غير مسمع وهذا كلام
موجه والظاهر انهم اذا دعاهم الوجه الى ذكر هو لسياق ما قبله
من قوله سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وانتصب غير مسمع على
الحال امن واسمع حال كونك لا تسمع فيكون ذلك على سبيل الدعاء كما انهم
قالوا في اسمع لا سمعت ويجوز ان يكون غير مسمع صفة لمصدر
محذوف اي واسمع سمعا غير مسمع • وراعنا تقدم ما فيه من طعنهم وطعنا في
الدين تقدم تفسيره وراعنا في سورة البقرة وليا بالفتح وتليين الهمزة
وتحريفا عن الحق الى الباطل وانتصاب ليا وطعنا على المفعول من
اجله او على انهما مصدران في موضع الحال وطعنهم في الدين هو انكارهم
نبوته عليه الصلاة والسلام وتغيير نعته • وقولهم قالوا سمعنا
واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وقوم اي لكونه لو قيل لهم
بعد قولهم سمعنا بالطاعة وبذلك من دعائنا بانظرنا لكان ذلك خيرا لهم
وقال ابن مجشر رضي الله عنه ولو انهم قالوا مكان قولهم سمعنا واطعنا كان
قولهم وذكر خيرا لهم وقال قوم اي لكان اعدل واسد انتهى سند
ابن مجشر رضي الله عنه من انهم قالوا مصدرا امر تقعا يتسبب على
الفعل عليه وهذا هو مذهب المبرد خلافا لسيبويه اذ مرى سيبويه
ان ان بعد لو مع ما عملت فيه تتقدم باسرها المبتدا وهل
يكون الخبر هنا محذوفا وقام لا يحتاج الى تقدير الخبر لجريان
المسند والمسند اليه في صلة ان قولان احدهما هذا اي ما قاله
ابن عطية رضي الله عنه قال ابن مجشر رضي الله عنه وافق هذا المذهب
رضي الله عنه وهو مذهب مرجوح في علم النحو • الا قليلا استثنا
من ضمير المفعول في لعنهم اي الا قليلا لم يلعنهم فآمنوا
او استثنا من الفاعل في فلا يؤمنون كعبد الله ابن سلام وكعب الاحبا
وغيرهما او هو راجع الى المصدر المفهوم من قوله فلا يؤمنون اي الا ايمانا
قليلا قلته اذ امنوا بالتوحيد وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبشرا
وقال ابن مجشر رضي الله عنه اي الا ايمانا قليلا اذ من صفته ان لا
يعتد به وهو ايمانهم بمن خلفهم مع تغرهم بضروب من الاباطيل لعدم
كقول بعضهم • قليل التشكي للمهم يصيبه • اي عديم التشكي
وقال ابن عطية رضي الله عنه من عبر بالقلة عن الايمان فاما هي عبارة عن عدمه

على ما حكاه سيبويه رضي الله عنه من قولهم ارض قلّ ما تنبت كذا وهي جملة
وهي لا تنبت جملة وهذا الذي ذكره الزمخشري وابن عطية رضي الله عنهما
من ان القليل قد يراد به العدم هو صحيح في نفسه لكن ليس هذا التركيب
الاستثنائي من تراكيبه فاذا قلت لا اقوم الا قليلا فيوجد منك
واذا قلت قلّ ما يقوم احد الا زيد واقلّ رجل يقول ذلك
احتمل هذا ان يراد به التقليل المقابل للتكثير واحتمل ان يراد
به النفي المحض وكانك قلت ما يقوم احد الا زيد وما رجل يقول
ذلك اما ان تنفي ثم توجب وتصير الايجاب بعد النفي فانه قد
يدل على النفي فلا اذ تكون الا وما بعدها على هذا التقدير
جيء بها لغوا لا لفائدة فيه مطلقا اذ الاستثناء قد فهم
من قولك لا اقوم فاي فائدة في استثناء مثبت يراد به الانتفاء
المفهوم من الجملة السابقة وايضا فانه يؤدي الى ان يكون ما بعد
الا موافقا لما قبلها في المعنى وباب الاستثناء لا يكون فيه ما بعد
الا موافقا لما قبلها وظاهر قوله فلا يؤمنون الا قليلا اذا جعلناه
عائدا على الايمان ان الايمان يتجزأ بالقلة والكثرة فيزيد
وينقص والجواب ان زيادته ونقصه هو يكون بحسب المتعلقات
او بقلة المتعلقات وكثرتها كما قاله بعض المفسرين يا ايها
الذين اوتوا الكتاب امنوا بما انزلنا الاية دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم احبار اليهود منهم عبد الله بن صوريا وكعب الاحبار
الى الاسلام وقال لهم انكم لتعلمون ان الذي جئت به هو الحق فقالوا
ما نعلم ذلك ولا نعرفه فنزلت تلك الاية قاله ابن عباس رضي الله عنهما
ومناسبة هذه الاية لما قبلها هو انه سبحانه وتعالى لما رجاهم
بقوله ولو انهم قالوا الاية خاطب من يرجى ايمانه منهم بالامر بالايمان
وقرن بالوعيد البالغ على تركه ليكون ادعى لهم الى الايمان واولى
التصديق به ثم ان الخوف من سوء الكبائر السابقة بقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الاية
وقد توعدهم ان لم يؤمنوا باحد امرين اما الطمس او اللعن
الموصوف والظاهر ان الطمس جعل الحاجبين والعينين
والانف والفم لوحا واحدا ثم يقلب مشرفا على الظهر ويصير
القفاء مشرفا على الصدر وهذا تشويه عظيم لمحاسن الانسان
وقيل هو على حذف مضاف اي نطمس اعين وجوه ونجعلها
في القفا وقرئ يطمس بضم الميم وكسرها واللعن هو المتعارف
وتقدم قبل ولكن لعنهم الله بكفرهم وهذا المتقدم لعن مطلق
وفي هذه الاية لعن مقيد بقوله كما لعنا اصحاب السبت قيل
اصحاب السبت هم اهل ايلة مسخوا قردة وخنازير ولما سمع عبد

الله ابن سلام

ان سلام هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله وخفقه
على ذلك فاسلم قال يا رسول الله ما كنت ارى لاحد ان اصل اليك
حتى يحرك له وجهي في قفاه ذي • وكان امر الله مفعولا المعنى الذي
اراده او حلب وتعلق امر به لا بد من وجوده ان الله لا يغفر
ان يشرك به الآية قيل نزلت في وحشي واصحابه وكان قد
جعل له على قتل حمزة ان يعتق فلم يوف فقد حكمه وقدم
على الذي صنعه اولا واصحابه ثم قدموا المسلمين وقع كيفية قتله
لحمزة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم غيب وجهك عني
فلحق بالشام وبقي فيها حتى مات وقصته مشهورة في السير
وقد اهب الناس في هذه الآية مختلفة فاجمع المسلمون على
تخليد من مات كافرا في النار وعلى تخليد من مات من امتنا
لم يتب قط في الجنة فاما تائب مات على توبته ففي الجنة
واما معذب ما لم تقبل توبته او مخرج بفضل الله تعالى من النار
سواء كان صاحب كبيرة ام صاحب صغيرة والموجبة تقول اولى
الجنة بالنار وادخلك الجنة يقولون امر في المشيئة فان
شاء الله سبحانه وتعالى غفر له وادخله الجنة من اول وهلة وان شاء
عذبه واخرجه من النار وادخله الجنة مخلدا افراد حجج
هذه المذاهب مذكورة في علم اصول الدين وقوله تعالى ان
الله لا يغفر ان يشرك به المعنى ان من مات مشركا لا يغفر له وهو
اصل مجمع عليه من النصوص القاطعة الادلة وقوله ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء دال على الخوارج وعلى المعتزلة لان ذلك
عام قد دخل فيه الكبائر والصغائر وقوله لمن يشاء رد
على الخوارج اذ يقولون ان غفران ما دون الشرك انما يكون
دون قوم على ما شاء تعالى خلافا لمن زعم ان كل من
مغفور له قال ابن عطية رضي الله عنه كيف يصح ان تكون في
موضع نصب بيغفرون ويصح ان يكون في موضع رفع بالابتداء
والخبر في قوله ويغفرون انتهى اما قوله يصح ان يكون في موضع
رفع بالابتداء والخبر في قوله يغفرون فهذا لم يذهب اليه احد لان
كيف ليست من الاسماء التي يجوز الابتداء بها وانما قوله كيف يغفرون
على انه الكلام في التركيب وتقدير قولك كيف تضرب زيدا تحركوا
ولو كانت يجوز الابتداء بها جاز ان تكون مبتدأ في هذا
التركيب لا نذكر ان الخبر هي الجملة من قوله يغفرون وليس فيها
رابط يربط هذه الجملة بالمبتدأ ونسبت الجملة نفس المسند اليه
المعنى فلا تحتاج الى رابط فهذا الذي قاله فيه ونصح هو
واستدل على كل تقدير • الم تر الى الذين يزكون انفسهم قديم الدهر وحديثه

وتزكيتهم قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وفي ذلك غض على من يزكي نفسه
بلسانه ويصفها بزيادة الطاعة والتقوى • بل الله يزكي من يشاء
ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما
مبينا • الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اجمعوا على ان المراد
هنا باهل الكتاب هم اليهود والمراد بالكتاب هنا التوراة كما قيل
وسبب نزولها ان كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وجماعة من
خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انتم اهل كتاب وانتم الى محمد اقرب منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا
ام محمد فقال كعب وماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده
وينهى عن الشرك قال كعب وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي
الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال لهم
انتم اهدى سبيلا • يؤمنون بالجبت والطاغوت قال ابن عباس رضي الله عنهما
الجبت والطاغوت هما صنمان كانا يعبدان في زمن الجاهلية كانا
لقريش وكان احدهما ذهبا والآخر فضة وقيل غير ذلك • ويقولون
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين
لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا • ام لهم نصيب من الملك
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا • ام هنا قال بعضهم هي منقطعة والتقدير
بل الهم نصيب من الملك انتقل بذلك من طرح الى آخر بام لانها
تاتي للفصل من شان الى شان وقد اسبقهم على سبيل الانكار ان يكون
لهم نصيب من الملك قال الازهري رضي الله عنه الفتيل والنقير
والقطمير يضرب مثلا للشيء التافه الحقير وخصت هذه الاشياء
الحقيرة بقوله فتيلا في قوله ولا يظلمون فتيلا وهنا بقوله نقيرا
لوفاق النظير من الفواصل • فاذا لا يؤتون الناس نقيرا هو تصريح
بكفرهم ببخلهم واذا حرف جزاء وجواب والتقدير من حيث المعنى انهم
ان كان لهم نصيب من الملك لا يسمحون بشيء وان كان باقيها لهم لفرط
بخلهم ثم انتقل من هذه الخصلة الذميمة الى خصلة اشد منها وهي
الحسد فالبخل منع فضول خير من الاسلام الى غيره والحسد هو
تمني زوال ما اعطى الله الانسان من الخير وايتاؤه له وفي ذلك
اشارة الى حسدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما اعطاه الله من
فضله وهي النبوة ولذلك جاء بعده فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب
والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما • وابراهيم هو الخليل جد رسول الله صلى الله
عليه وسلم والكتاب هي الصحف التي نزلت على ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابراهيم هو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصلي
وآل ابراهيم يحتمل ان يراد به شخص ابراهيم عليه الصلاة والسلام والكتاب هي الصحف

ما آتاه الله

التي نزلت

التي نزلت على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد يراد بالكل من كان من ذريته
كموسى عليه الصلاة والسلام ويكون الكتاب التوراة وآتيناهم
ملكا عظيما • هو ما كان في بني اسرائيل من الملوك كداود وسليمان عليهما
الصلاة والسلام الا ترى الى قول موسى عليه الصلاة والسلام
اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآية • فمنهم من آمن به الضمير
عائد على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل عائد على الكتاب اي
فمن آل ابراهيم من آمن بالكتاب • ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم
سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا لما ذكر ومنهم من
صد عنه اتبعه بما لهم من العذاب ثم ذكر ما للمؤمنين من
النعيم في الدار الآخرة فصار نظير قوله تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ثم قال تعالى
واما الذين ابيضت وجوههم الآية وقرئ نصليهم من اصلى وهو
ونصليهم من صليت وقرئ بضم الهاء وكسرها • وقوله
عز وجل خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا
ظليلا قال ابو مسلم الظليل هو القوي المتمكن قال ونعت هنا
الشيء بمثل ما اشتق من لفظه يكون مبالغة • كقولهم هذا
الليل ليل اليل وكقولهم هذه داهية دهياء • قال الله عز وجل
ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها سبب نزول هذه
الآية ما ذكروا في قصة مضمونها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
مفتاح الكعبة من سادنها عثمان ابن طلحة وابن عمه شيبة ابن
عثمان بعد تأب من عثمان ولم يكن اسلم فسأل العباس رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يجمع له بين السدانة والسقاية فنزلت
تلك الآية فرد المفتاح اليهما واسلم عثمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم الا ظالم وعن
ابن عباس وغيره نزلت في الامراء ان يؤدوا الامانة فيما ائتمنهم الله من
امر رعاياهم ومناسبتها لما قبلها هو ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر وعد
المؤمنين وذكر عمل الصالحات نبه على هذين العملين الشريفين
اللذين من اتصف بهما كان احرى ان يتصف بغيرهما من الاعمال
الصالحة واحدهما ما يختص به الانسان فيما بينه وبين غيره وهو اداء
الامانة التي عرضت على السموات والارض والجبال فابين ان
يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا والثاني هو
ما يكون بين اثنين من الفصل بينهما بالحكم العدل الخالي عن الهوى
وهو من الاعمال العظيمة التي امر الله بها رسله وانبياءه والمؤمنين
ولما كان التركيب الصحيح ان يبدأ الانسان بنفسه في جلب المنافع ودفع
المضار ثم يشتغل بحال غيره امره تعالى باداء الامانة اولا ثم بعده بالامر

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار

اي احق

داء

بالحكم بالحق

وان تحكموا ظاهره ان يكون معطوفا على ان تؤدوا وفصل بين حرف العطف
والمعطوف باذا وقد ذهب الى ذلك بعض اصحابنا وجعله كقوله ربنا
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وكقوله
ايضا في الآية الكريمة من سورة يس عليه الصلاة والسلام وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وكقوله
تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا وكقوله تعالى ايضا الله الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن ففصل
في هذه الآيات كلها بين الواو وبين المعطوف واتى فيها بالمجرور
وابوا علي رضي الله عنه قال انه يكون ذلك المعطوف عليه كالمجرور
وخص بعضهم هذان المحلان في الشعر فقط وليس هو بصواب
فان كان المعطوف مجرورا اعيد الجار نحو امر بزيد واغدوا
بعمرو ولكن قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
ليس هو من قبيل هذه الآيات المتقدمة لان حرف الجر يتعلق
في هذه الآيات بالعامل في المعطوف والظرف هنا ظاهره
انه منصوب بان تحكموا ولا يمكن ذلك لان الفعل في صلة ان
صلة ان ولا يمكن ان ينتصب بالناصب لان تحكموا لان الامر
ليس واقعا تحت الحكم وقد خرجه على هذا بعضهم والذي يظهر
ان اذا معمولة لان تحكموا مقدرة وان تحكموا المذكورة مفسرة
لتلك المقدرة هذا اذا فرعنا ذلك على قول الجمهور واما اذا
اذا قلنا بمذهب الفراء رضي الله عنه فاذا منصوبة بان تحكموا
فهذه هي الملفوظ بها لانه نعم يجيز قولهم يعجبني العسل ان يشرب
فيقدم معمول صلة ان عليها ان الله نعما يعظكم به تقدم ذكر
الكلام على نظيرها في سورة البقرة عند قوله فنعما هي ان الله كان
سميعا لاقوالكم الصادرة منكم في الاحكام بصيرا برد الامانات الى
اهلها قال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم قيل نزلت في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا
قصة طويلة مضمونها ان عمارا اجار رجلا قد اسلم وفر اصحابه حين
نذروا بالسرية فهربوا واقام الرجل وان اميرها اذ ذاك خالد
ابن الوليد اخذ الرجل وماله فاخبره عمار باسلامه واجارته فقال
خالد وانت تجير فاستبا واشتما ورفعا الامر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير على امير ومناسبتها
لما قبلها انه لما امر الولاة ان يحكموا بالعدل امر الرعية بالطاعة
واولي الامر منكم وهم كل من ولي ولاية صحيحة شرعية فردوه الى
كتاب الله عز وجل وسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته والى
سنته بعد وفاته ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير اي الرد الى

الكتاب

نخ
او انت

الكتاب والسنة خير واحسن تاويلا قد لا يراد بذلك افعل
التفضيل اذ لا خير ولا حسن في الرد الى غير الكتاب والسنة وتاويلا
معناه مآلا ومرجعا الم تر سبب نزول هذه الآية ان خصمين قد
قد اختصما فدعى احدهما الى الكاهن والآخر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت هذه الآية وهي قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
والطاغوت هنا هو الكاهن ودلت هذه الآية على ان احد المدعيين
كان كاهنا منافقا بدليل قوله عز وجل رايت المنافقين يصدون عنك
صدودا حيث مالوا الى الكاهن دون الرسول صلى الله عليه وسلم
فكيف في موضع نصب على الحال تقديره كيف تراهم او في موضع رفع
اي فكيف صنيعهم واذا ظرف منصوب بتراهم او بصنيعهم بما قدمت
ايديهم من الكفر ومن المعصية وما ظهر عليهم من الذلة ومن
المسكنة ومن الاستنقاص من المسلمين الخلص ثم جاؤك
يحلفون جملة في موضع الحال وقيل المصيبة هي هدم مسجد الضرار
الذي بنوه لئن اردنا جملة هي جواب القسم وان نافية بمعنى
ما اي ما اردنا في العدول عنك عند التحاكم الا احسانا اي
بالتقريب في الحكم وتوفيقا بين الخصوم دون الحمل على الحق قال
تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق وعبر عن المجازاة
بالعلم والقول البليغ هو الزاجر والرادع ويتعلق قوله في انفسهم
بقوله على احد معنيين اي قل لهم خاليا بهم لا يكون معهم احد
من غيرهم مشارا الان النصح اذا كان في السر كان انجع وكان
بصدد ان يقبل سريعا ومعنى قولا بليغا اي مؤثرا فيهم
او قل لهم في معنى انفسهم النجسة الخبيثة المنطوية على النفاق
قولا بليغا منهم ما يبلغ منهم ما يزجرهم عن العود الى ما فعلوا
وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم
قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في
قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا
وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق انتهى اعرابه
وتعليقه في انفسهم بقوله بليغا لا يجوز على مذهب البصريين
لان معمول الصفة لا يتقدم عندهم على الموصوف لو قلت هذا
رجل ضارب زيدا لم يجز ان تقول هذا زيد رجل ضارب
لان حق المعمول ان لا يحل الا في موضع يحل فيه العامل ومعلوم
ان النعت لا يتقدم على المنعوت لانه تابع والتابع لا يتقدم
على المتبوع واجاز ذلك الكوفيون اجازوا هذا طعامك رجل ياكل
والزمخشري قد اخذ في ذلك بمذهب الكوفيين واللام في ليطاع لام كي وهو

لا يكون

استثناء

مفرغ من المفعول من اجله اي وما ارسلنا من رسول لشيء من الاشياء الا لاجل
الطاعة وقال ابن عطية رضي الله عنه وعلى كلا التعليقين فالكلام هنا
قد يكون عام اللفظ خاص المعنى لانا نقطع ان الله تبارك وتعالى
قد اراد من بعض خلقه ان لا يطيعوه ولذلك خرجت طائفة معنى
الاذن الى العلم وطائفة خرجته الى الارشاد لقوم دون قوم وهذا
تخريج حسن لان الله سبحانه وتعالى اذا علم من احد انه يؤمن وفقه لذلك
فكانه اذن له انتهى ولا يلزم من ما ذكره من ان الكلام عام اللفظ خاص
المعنى لان قوله ليطاع مبني للمفعول الذي لم يسم فاعله ولا يلزم من
الفاعل المحذوف ان يكون عاما فيكون التقدير ليطيعه العالم بفتح
اللام بل المحذوف ينبغي ان يكون خاصا ليوافق الوجود فيكون
اصله الا ليطيعه من اراد طاعته وفي قوله باذن الله التفات
وهو الخروج من ضمير المتكلم في ارسلنا الى الاسم الغائب والعامل
في اذ خبر ان وهو جاؤك فلا وربك لا يؤمنون لا الاولى اكدت
معنى النفي ولا يؤمنون جواب القسم وهو قوله وربك ونظيره في
التوكيد قول الشاعر فلا وابيك لا يلفى لما بي ولا للما بهم ابدا دواء
وحتى هنا للغاية اي لا يصح ايمانهم الى ان يحكموك وقد تكون حتى هنا
بمعنى الا ان وهذا اظهر من الغاية وشجر الامر التبس شجر
شجورا وشجرا وشاجر الرجل في الامر نازع غيره فيه وتشاجروا
تنازعوا وان في قوله ان اقتلوا يجوز ان تكون مفسرة بمعنى
اي لانه تقدمها كتبنا وهو في معنى القول ويجوز ان تكون
مصدرية وقرا الجمهور الا قليل بالرفع وهو بدل من ضمير الفاعل
في قوله فعلوه وقرا ابن عامر وغيره بالنصب والرفع اكثر في لسان العرب لان
لان قبله فيء وقال الزمخشري رضي الله عنه وقرئ الا قليلا بالنصب
على اصل الاستثناء فهو الذي وجه الناس عليه هذه القراءة واما قوله
على الا فعلا قليلا فهو ضعيف لمخالفته مفهوم تاويل قراءة الرفع ولقوله
منهم فانه قد يتعلق على هذا التركيب ولو قلت ما ضربوا زيدا الا ضربا
قليلا منهم لم يحسن ان يكون منهم لا فائدة في ذكره وضمير النصب فيما فعلوه
عائد على احد المصدرين المفهومين من قوله ان اقتلوا او اخرجوا
وقال ابو عبد الله الفخر الرازي الكناية في قوله ما فعلوه عائد على
القتل او الخروج معا وذلك لان الفعل هنا جنس واحد وان
اختلفت صوره انتهى وهو كلام غير نحوي واذا لآتيناهم من لدنا
اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما
قال الزمخشري رضي الله عنه واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا

يكون لهم

يكون لهم ايضا بحد الثبات فقل واذا يثبتوا ان سيأتيهم
من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ان اذا
جواب وجزاء اتمنى وظاهر كلام ابن مخشري رضي الله عنه
ان اذا احراب وجزاء لفهم منه انها تكون لمعنيين
في حال واحدة على كل حال وهذه مسئلة خلاف وقف
الفاء سيبويه رضي الله تعالى عنه الى انها قد تكون جوابا فقط في موضع
وجوابا وجزاء في موضع اخر فمن مثل اذا اراك صادقا لمن
قال لي ورك بي جواب خاصة ومن مثل اذا اكرمك لمن قال
ان ورثك بي جواب وجزاء وذهب الفراء وابو عبيدة رضي الله عنه
الى انها تتعدد بالجواب والجزاء في موضع وقول سيبويه ظاهر
كلام سيبويه رضي الله عنه والصحيح قول الفارسي رضي الله عنه
وهي مسئلة غريبة بحث عنها في علم النحو واجاد الزاغب رضي
الله عنه اذ يمثل من النبيين بقوله ومن يطع الله والرسول
اي من النبيين ومن بعدهم ويكون قوله فاولئك الى الملا
ثم قال وحسن اولئك رفيقا ومن ذلك قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين الموت اللهم الحقني بالرفيق الاعلى
وهذا ظاهر انتهى وهذا الوجه الذي عندنا فاسد اي فاسد
الظاهر او هو فاسد من جهة المعنى لا من جهة النحو اما من جهة
المعنى فان المراد بالرسول هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم اخبر الله عز
وجل ان من يطيعه ويطيع رسوله عليه الصلاة والسلام فهو من
من ذكر ولو كان مع النبيين تبعا لقوله ومن يطع الله والرسول
لكان هو لمن النبيين تفسيرا لمن في قوله ومن يطع فيلزم ان
يكون في زمان الرسول ومن بعده انبياء يطيعونه وهذا غير
ممكن لانه قد اخبر تعالى ان محمدا عليه الصلاة والسلام هو خاتم
النبيين وقد قال عليه الصلاة والسلام لابي بكر انت صديق وانت
من جملة النبيين لو كان ثم احد لا بعد فيما بعدها لو قلت ان
ثم هنا فخر وذاهب صاحبة لم يكن من النبيين قال
الواحدي رحمه الله تعالى رضي الله عنه في هذه الآية تنبيه على امرين
من احوال المعاد الاول بيان ان الارواح بعد المفارقة وان تساوي
كونهم مع النبيين وليس المراد بهذه المعية في الدرجة فان ذلك
ممتنع بل معناه ان الارواح اذا قصته اذا استكملت علاقتها
مع الله وارواح الكاملين في الدنيا بقيت بعد المفارقة فتلك العلاقة
فيتعكس الشعاع من بعضها على بعض وتصير انوارها في غاية
القوة فهذا ما خطر لي الان كذا وجده وملوه بمقالة الفلاسفة
في الارواح اذا فارقت الاجساد وهل الاسلام يأذن هذه الالفاظ ومدلولها

ولكن من غلب عليه حب شيء جرى في كلامه والرفيق الصاحب سمي بذلك
للارتفاق به وعلى هذا يجوز ان ينتصب رفيقا على الحال من
اولئك او ينتصب على التمييز واذا انتصب على التمييز فيحتمل ان لا
يكون منقولا فيجوز دخول من عليه ويكون هو المميز وجاء هنا
مفردا اما لان الرفيق مثل الخليط والصديق يكون للمفرد
والمثنى والجمع بلفظ واحد واما لاطلاق المفرد في باب التمييز
اكتفاء ويراد به الجمع ويحسن ذلك هنا كونه فاصلة ويحتمل
ان يكون منقولا من الفاعل فلا يكون هو المميز والتقدير
وحسن رفيق اولئك فلا تدخل عليه من ويجوز ان يكون
اولئك اشارة الى من يطع الله والرسول وجمع على معنى من
ويجوز في انتصاب رفيقا الاوجه السابقة وقرا الجمهور
وحسن بضم السين وهي الاصل وهي لغة اهل الحجاز
وقرا ابو السمال وحسن اولئك رفيقا بسكون السين
وسكون الحاء على تقدير نقل حركة السين اليها وهي لغة لبعض
بني قيس قال الزمخشري رضي الله عنه وحسن اولئك رفيقا
فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله
بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب
وحسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم وقد
يكون مع التسكين انتهى كلامه وهو تخليط وتركيب مذهب على
مذهب فنقول اختلفوا في فعل المراد به المدح والذم فذهب
الفارسي رضي الله تعالى عنه وكذا ذهب اكثر النحويين
الى جواز الحاقه بباب نعم رفيقا فلا يكون فاعله الا ما يكون
فاعلا لهما وذهب الاخفش والمبرد الى جواز الحاقه بباب
نعم وبئس فيجعل فاعله كفاعلهما وذلك اذا لم يدخله معنى
التعجب والى جواز الحاقه بفعل التعجب فلا يجري مجرى نعم
وبئس في الفاعل ولا في بقية احكامهما بل يكون فاعله ما يكون
مفعول فعل التعجب فتقول اضربت يدك ولضربت اليد
والكلام على هذين المذهبين تصحيحا وابطالا مذكور في علم النحو
والزمخشري رضي الله عنه لم يتبع واحدا من هذين المذهبين
بل خلط وركب فاخذ التعجب من مذهب الاخفش واخذ
التمثيل بقوله وحسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك
من مذهب الفارسي واما قوله ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن
بسكون السين وذكر ان المتعجب يقول وحسن وحسن وهذا
ليس بشيء لان القراء ذكر ان تلك لغات للعرب فلا يكون ذلك
التسكين ولا هو اي النقل لاجل التعجب انتهى والله اعلم ذلك

الفضل

الفاصل من الفرق في ما علمنا انظاهر ان الاشارة الى كينونة المطيع
مع المؤمنين المبينين ومن عطف عليهم لا امر المحكوم به في قوله تعالى
فاولئك مع الذين وكانه على تقدير سؤال اي وما الموجب لهم ان يؤتوا
مع المبينين في الاخرة مع ان الفرق بينهم في الدرجات فذكر انه
انما عطى ذلك بفضله لا بوجوب عليه ومع استوائهم معهم في الجنة فهم يكونون
حسنا في قوله في المنازل ويا ايها الذين امنوا خذوا حذركم ما سبق
هذه الاية لما قدمها لانه سبحانه وتعالى لما ذكر طاعة رسوله
المصطفى عليه الصلاة والسلام وكان من اهم الطاعات احياء
دين الله سبحانه وتعالى امر بالقيام باحيائه وتبليغ دعوته
وامرهم ان لا يفحموا عن عدوهم على جهالة فقال خذوا حذركم
فعلمهم مباشرة الحرب ولما تقدم ذكر المنافقين ذكر في هذه
الاية تحذير المؤمنين من قبول اقوالهم وتثبيطهم عن الجهاد
فاذا كان لا يتم الايمان على اشارة تعالى اذا اراد ان يامر المؤمنين
او ان اراد ان ينهاهم والحذر والحذر بمعنى واحد قالوا ولم
يسمع في هذا التركيب الا خذ حذرك لا خذ حذرك ومعنى
خذ حذرك اي استعد بانواع ما تستعد به للقاء من تلقاه
فيدخل فيه اخذ السلاح وغيره فكانه قيل خذ حذرك اي اخذ
من الحذور كانه جعل الحذر آلة له فهو يتقي بها ويعتصم
والمعنى احترزوا من العدو بامر سبحانه وتعالى بالخروج
الى الجهاد جماعة جماعة وسرية سرية اي سرية بعد سرية
او كتيبة واحدة مجتمعة وقراءة الجمهور ثبات بضم الثاء وكسرها
فيهما وقراءة الاعمش بضمها فيهما وانتصاب ثبات وجميعا
على الحال ولم تجز اثبات فيما علمناه الا بكسر التاء وحكى
الفراء رضي الله عنه فيها الكسر اذا ضاق الفتح اذا ضاه الكتيبة
هي الجماعة والمراد بها الاثنان والثلاثة والخمسة وغيرها
اذ ليس في كلام العرب ما يدل على تكون فوق العشرة من الجهاد وفيها
فضله وان منها قليلا وقيل مياد وهي مشتقة من قمت على الرجل
اذا اثبت عليه حتى تجمعت بحلمه ومن قال ذلامها واو فقد
جعلها من ثبا يثبو مثل دلا يدلو وان منكم لحظات لعسكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم لمن ليبطئن هم المنافقون وجعلوا من المؤمنين
باعتبار الجنس والاستناد والانتماء الى الايمان ظاهرا ومن موصولة وقوله
ليبطئن هو جواب القسم المحذوف وجوابه صلة لمن وقد رد احمد
ابن يحيى رضي الله تعالى ان القسم وجوابه لا يكون صلة للموصول
وهو محتج بهذه الاية وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة هذه
الجملة اعترض بين قوله ليقولن ومعمول القول وهو قوله يا ليتني كنت معهم

وقد اختلف المفسرون في معنى هذه الجملة ودخولها بين القول وبين
معموله فقال ابن عباس رضي الله عنه والمعنى كما ان لم يتقدم لكم مودة
لان المنافقين كانوا اولاد في المومنين وبصادقتهم في الظاهر وان
كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن وقيل ايضا ان الظاهر من سياق
ما تقدم هو على سبيل التهكم بهم لانهم كانوا اعدى عدو للمومنين وكانوا
اشد حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بهم
ولان مودتهم لهم وقال ابن عطية رضي الله عنه المنافق يحاط المومنين
المودة قولا ويعاهد على الاسلام ثم يخلف نفاقا وشكا
وكفرا بالله ورسوله ثم يمتنى عند ما ينكشف الغيب الظفر والوصل
اي للمومنين اي وعلى هذا التقدير يجيء قوله تعالى كان لم يكن بينكم وبينه
مودة اري ملتبسة واعترضا بين القول والمقول بلفظ يظهر
زيادة في فتح افعالهم وكفرهم وذكر في البحر المحيط ايضا وملخص ما قالوا ان هذه الجملة الشبيهة
اما ان تكون لها موضع من الاعراب نصب على الحال من الضمير المستتر في
يقولن او نصب على المفعول بيقولن على الحكاية فتكون هو من جملة المقول
وجملة المقول هو مجموع الجملتين جملة التشبيه وجملة التمني وضمير
المخاطب هنا يكون للمنحرفين عن الجهاد وضمير الغيبة في وبينه للرسول صلى الله
عليه وسلم وعلى الوجه الاول ضمير الخطاب يكون للمومنين وضمير الغيبة يكون
للمنافقين واما ان لا يكون لها موضع من الاعراب لكونها اعتراضا في الاصل بين
جملة الشرط وجملة القسم وجواب القسم هنا المتوسط بين هاتين
الجملتين او لكونها اعتراضا بين القول ومحموله الذي هو جملة التمني وليس
هو اعتراضا مطلقا بمضمون هذه الجملة الاخرى بل يتعلق بمضمون الجملتين
والضمير الذي للمخاطب هو للمومنين وفي بينه للمنافقين واعترض بين هاتين
الجملة الاخيرة ولم يتاخر بعدها وان كان من حيث المعنى متاخرا
اذ معناه مستقبل بمضمون الجملتين لان معمول القول انما هو الفعل المقدم
لكنه قد حسن تاخيره كونه وقع فاصلة ولو تاخر جملة الاعتراض
لم يحسن لكونها ليست فاصلة والتقدير ليقولن يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة تحقق قائله
او صدر منه قوله وقت المصيبة قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
وقوله وقتا لغنيمة يا ليتني كنت معهم وهذا قول من لم تسبق منه
مودة لكم وفي الآيتين تنبيه على انهم لا يعدون من الملخ الا اغراض
الدنيا يمرحون بما نالوا منها ولا من المحن الا ما صابها فيتالمون لما قد
يصيبهم منها كقوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
ونعمه فيقول ربي اكرمن الاية والتقدير ليقولن وقوله كان لم يكن بينكم
وبينه مودة والضمير الذي قد يكون هنا للخطاب متعلق بمضمون الجملتين كما تقدم

قال ابن عطية

١٩٢

قال ابن عطية رضي الله عنه وكان مضمنه معنى الشبه ولكنها ليست كالمفعلة في الحاجة الى الاسم والخبر وانما تجيء بعدها الجملة انتهى وهذا الذي ذكره غير محرر ولا على اطلاقه اما اذا لم تحتف ولا يليها ما كانت يليها وهي مفعلة فالاكثر والاكثر فصيح ان يرتفع تلك الجملة في موضع خبر كان واذا لم يتوسط السائر جاز لعمار ان ينصب الاسم اذا كان لفظا او يرفع الخبر هذا اطلاق كلام سيبويه رضي الله عنه ولا يخص ذلك ما لشعر فقول كان زيد اقائم قال سيبويه رضي الله عنه وحدثنا من يثق به انه سمع من العرب من يوثق ان عمرا منطلق واهل المدينة يقرأون وان كلا لما جميع وينصبون كما قال وان كان مكرهم وذلك لان اذا في بمنزلة الفعل فلما حذف من مفعلة شيء لم يغير عمله كما لم يغير عمل لم يك ولم أك حين حذف انتهى وظاهر قول سيبويه رضي الله عنه ان عمرا وهو المنطلق يقوله كان مدعيه حسان جواز ذلك في الكلام وانه قد قيل انه لا يختص بالشعر وقد نقل صاحب رؤوس المسائل ان كان اذا خففت لا يجوز اعمالها عند الكوفيين وان البصريين اجازوا ذلك فعلى مذهب الكوفيين قد يتمشى قول ابن عطية رضي الله عنه في ان كان المخففة ليست كما لمفعلة في الحاجة الى الاسم والخبر واما على مذهب البصريين فلا يدل لها وقيل انها عند بعضهم الكوفيين اذا على مذهب بعض اهل الكوفة لا يدل لها عندهم من اسم وخبر وتشرق بتبيون عرض الحياة الدنيا وهو الفاني بسبيم الآجل وهو الباقي فقيل او بعلت عطف على فعل الشرط وجيء بالاكثر ثوابا وهو المستقبل وجواب الشرط فسوف يؤتيه والاجر العظيم هو زيادة الثواب وقيل الجنة فسوف نؤتيه اجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله الآية في هذا الاستفهام حث وتحريض على الجهاد في سبيل الله عز وجل وعلى تخليص المستضعفين وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية تدل على ما قدمناه لانه قد يكون في موضع الجار والمستضعفين معطوف على الجلالة تقديره وفي سبيل المستضعفين من الرجال والنساء وهم عند ابن عباس رضي الله عنهما والنساء منهن ام عند الله ومن جرى مجراهما والولدان وهم الصبيان واحدهم وليد ويجوز ان يكون واحدهم ولدا كقولك لعرف ورك وزند ثم ذكر سبحانه وتعالى حالة المستضعفين بقولهم في دعائهم الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية وهي مكة اي ظالم اهلها هم من كان بها من ضعاف المؤمنين الذين لا يقدرون على الهجرة ومن ظلم الكفار لهم واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين امنوا

يقاتلون في سبيل الله اي لاعلاء كلمة الاسلام والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت يعني الكفر فقاتلوا اولياء الشيطان ان
كيد الشيطان كان ضعيفا اي ومعناه ان الكافر يقاتل في سبيل
الطاغوت ليتبين لك من ترى ما بينهم وبين الكفار وقوتهم بدد لكن
وبشجعهم وبحرضهم واعلم ان من قاتل في سبيل الله هو الذي يقتل
لان الله سبحانه وتعالى هو ولية وناصره ومن قاتل في سبيل
الطاغوت فهو المخذول يعني المغلوب والطاغوت هنا الشيطان
لقوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان
ضعيفا ثم انه قد علل هذا المحذوف وهو علتكم ايام بان كيد
الشيطان ضعيف ولا يقاوم نصر الله وتاييده • الم تر الى الذين
قيل لهم كفوا ايديكم الآية خرج النسائي في سننه عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان عبد الرحمن ابن عوف واصحابا له اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون
فلما امنا صرنا اذلة فقال اني امرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم
فلما حوله الله تعالى الى المدينة امره بالقتال فكفوا فانزل الله
هذه الآية ومعنى كفوا ايديكم عن القتال وانوا مستمرون الى
قتال الكفار وجواب فلما كتب الى المخابية وما بعدها وذلك
ذلك على ان لما حرف وجوب لوجوب لاحرف ظرف لظرف بمعنى
حين اذ لو كانت ظرفا لكان لها عامل واذا المخابية لا يعمل فيها
ما بعدها فيما قبلها او اسناد اذا ينقلب اسندا على انه من قبيل
خشية مثل خشية الله او اشد من حشية الله فاشدا فعل
تفضيل والمفضل عليه محذوف تقديره من حشية الله • وقالوا ربنا
لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب الآية • الظاهر
ان القائلين هم المنافقون لان الله سبحانه وتعالى اذا امر نبيه
بالقتال عرف علته اي سببه من هو خالص الايمان كما قال الله عز
وجل في الآية الكريمة لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا
بامواله وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو اردوا الخروج لاعدوا له عدة
ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل لهم اقعدوا مع القاعدين
والاجل القريب هو زيادة في كفرهم عن القتال • قل متاع الدنيا قليل
اي يتمتع به قليلا ثم يضمحل وينفى • والآخرة اي ثوابها خير لمن اتقى
ولا تظلمون فتيلا اي ما تكونوا يدرككم الموت اينما تكونوا وان طال زمانكم
وقل ظرف مكان وقد تكون شرطا قبلها او بعدها ما وقد تخلوا
من ما كقول الشاعر • اين وضرب منا القراة نحدنا • وقد
تكون استفهاما ايضا كقولك اين زيد وتحفظ فائدة واحدة
اين اذا كانت استفهاما والزوج للمؤنث الفوقية الغاية • شيدة

ای مسنیة بالسلو وهو الجص قال البخاری رضی الله عنه ویکون اذن
تفعل بقوله ولا یظلمون فتیلا ای لا تنقصون شیأ مما کتب
من آجالکم این ما تکونوا ادرکی فی ملاجم الحروب او غیرها تم ابتدا
بقوله یدرککم الموت ولو کنتم فی بروج مشیدة والوجه ان یکون
الوقف هنا وعلی هذا الوجه این ما تکونوا ابتدا وهذا التخریج
لیس بمستقیم لا من حیث المعنی ولا من حیث الصناعة النحویة
اما من حیث المعنی فانه لا یسوغ ان یکون متصلا بقوله تعالی
ولا یظلمون فتیلا لان ظاهر انتفاء الظلم ایما کان فی الاخری
لقوله قل متاع الدنیا قلیل والاخرة خیر لمن اتقی ولا تظلمون
فتیلا واما من حیث الصنعة النحویة فان علی ظاهر کلامه یدل علی ان ما متعلق
بقوله ولا یظلمون فتیلا بمعنی ما تقدم من قوله ایتما ای لا تنقصون
شیأ من آجالکم این ما تکونوا ای فی ملاجم الحروب او غیرها یدرککم
الموت وقد قدمنا ان قولک این ما اسم شرط فالعامل فی ایما هو
فعل الشرط بعده والا ان اسم الشرط لا یتقدم علیه عامله ولا یمکن ان
یعمل فیه ولا یظلمون فتیلا اذا کان نحو اضرب زیدا ایتی اکن اجز
ان یکون الناصب لیتی ای فیتی اضرب فان قال نقدر له حواب فیحذف
وقد دل علیه ما قبله وهو قوله ولا یظلمون فتیلا کما نقدر فی قوله
اضرب زیدا ایتی اکن فالیقدر این ما تکونوا اذا لا تظلمون فتیلا
ای فلا ینقص شیأ من آجالکم وحذف اذا لدلالة ما قبله علیه قلنا
لا نحذف الجواب الا اذا کان فعل الشرط بصیغة الماضی
وفعل الشرط هنا مضارع فقولک انعرف ان ظالما ان
فعلت وان لا تقول ان ظالما ان لم تفعل وقوله یدرککم الموت
جواب ان ما وجواب لو محذوف تقدیره لادرککم الموت وان
تصبهم حسنة الظاهر ان هذا من کلام المنافقین والحسنة
ما یحصل لهم من الخیر والسیئة هو ما یصیبهم من السوء ومن
قال انهم الیهود فلیس بظاهر لانهم لم یکونوا فی طاعة الاسلام ولم
یکتب علیهم القتال والمعنی ان هؤلاء المنافقین اذا اصابتهم
حسنة نسبوها الی الله عز وجل وانها لیست بسبب اتباع
الرسول ولا بسبب الایمان به وان تصبهم سیئة اضافوها الی
الرسول صلی الله علیه وسلم وقالوا انما بسببه کما قد جاء فی قصة موسی
علیه الصلاة والسلام فی قوله عز وجل وان تصبهم سیئة یطیروا
بموسی ومن معه وقال تعالی اخبارا عن قوم صالح علیه الصلاة
والسلام قالوا اطیرنا بک وبمن معک وقد کان جماعة من المفسرین
ان النبی صلی الله علیه وسلم لما قدم المدینة قال الیهود والمنافقون
ما زلنا نعرف النقص فی ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علینا هذا الرجل واصحابه

قال بعضهم الحص هو الذی یسمیه العامة الجص انتهی

• قل كل من عند الله خلقا وتقديرا فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثا استفهام انكار حيث نسبوا اليه السيئة ولا يكادون يفقهون
فيه نفي المقاربة وهو ابلغ من نفي الفعل والحديث قيل هو
القرآن • ما اصابك من حسنة فمن الله الآية • الظاهر انه خطاب
عام يشمل كل سامع • وما اصابك من سيئة فمن نفسك وقوله فمن
نفسك اي بسبب ما قد يكتسبه الانسان من الذنب والله تعالى
هو المقدر لذلك كله وانتصب قوله رسولا على الحال المؤكدة للجملة
التي هي قوله وارسلناك ويقولون طاعة ارتفع طاعة على انه
خبر مبتدا محذوف تقديره امرنا طاعة وهم في حال تثبيتهم
يبغون لك الغوائل ويتكلمون بغير الطاعة كما اخبر الله عز
وجل عنهم بذلك • والله يكتب ما يبيتون كناية عن مجازاتهم
على ما بيتوا للرسول صلى الله عليه وسلم من السوء • اولا قال الله عز
وجل فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اي حافظا لك
ومحصي عليهم اعمالهم • افلا يتدبرون القرآن قرئ يتدبرون
ويدبرون بادغام التاء في الدال والمعنى افلا يتاملون ما نزل
اي نزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه فانه في تدبره
يظهر برهانه والضمير في فيه عائد على القرآن ووجه هذا
الدليل انه ليس من متكلم كلاما طويلا الا وجد في كلامه اختلاف
كثير اما في الوصف واللفظ واما في المعنى بتناقض اخبار
او الوقوع على خلاف ذلك المخبر به او اشتماله على ما لا يلائم ولا يلتئم
او كونه يمكن معارضته والقرآن العظيم ليس فيه شيء
من ذلك وقد رد الاستاذ محمد ابن المستنير الملقب بقطرب
على الملاحدة الذين طعنوا في القرآن وزعموا ان فيه تناقضا رد
عليهم في كتاب كبير صنفه بين فيه جهل الملاحدة بلسان العرب
وبعد افهامهم عن فصاحة الكلام وبلاغته وصحة معناه اثابه
الله سبحانه وتعالى ورحمه آمين • واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف اذاعوا به روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث سرية من السرايا فغلبت او
غلبت تحدثوا بذلك وافشوه ولم يصبروا حتى يكون هو
المحدث به فنزلت تلك الآية • ولو ردوه اي الامر الى اعلام الله
والرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ومعنى
قوله يستنبطونه اي يستخرجونه ويكشفون عن حقيقته باعلام
الرسول عليه الصلاة والسلام لهم ثم انتقل الكلام عن المنافقين
الى خطاب عام وهو قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
الآية ودلت على كثرة اتباع الشيطان وقلة من لا يتبعه ولذلك

ما نزل عليك

جاء

جاء الاستثناء بقوله الا قليلا وان ابن عطية وهم اذ عنده اري
لا اتبعتم الشيطان كلكم الا قليلا من الامور كنتم لا تتبعونه فيها انتهى
فشرع في الاستثناء بالمتبع فيه فيكون استثناء من المتبع فيه في
المحذوف لان من الاتباع ويكون استثناء معرغا والتقدير هنا
اري لا اتبعتم الشيطان في كل شيء الا قليلا من الاشياء فلا تتبعونه
فيه فان كان ابن عطية شرحه من حيث المعنى فهو صحيح لانه يلزم من
استثناء الاتباع القليل ان يكون المتبع فيه قليلا وان كان شرحه ح
من حيث الصناعة النحوية فليس بجيد لان قوله الا اتباعا
قليلا لا يراد فيه الا قليلا من الامور كنتم لا تتبعونه فيها انتهى
وقال لزوم الا قليلا كناية عن العدم مطلقا من غير ان لا اتبعتم
الشيطان كلكم قال ابن عطية وصار اليه هذا قول قلق وليس ٢
بسديد ما قد حكاه سيبويه رضي الله عنه من قولهم ارمي حتى ما تثبت
كذا بحتى الا قليلا اقر ان العلة بالاستثناء تقتضي حصول لها
ولكن ذكر الطرفي قلق وهذا الذي ذكر ابن عطية صحيح ولكن قد
جوزه هو في قوله تعالى ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا
قليلا ولم يعلق عنده هذا كان والارجح وقد رد وناه عليه هناك
فليتطلب ثمة ٭ قال قتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين البسيط
وقال ان هذه الآية نزلت في غزوة بدر الصغرى وهي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل لقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت تلك
الآية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الا سبعون رجلا ح
لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ومناسبة هذه الآية لما
قبلها من الآيات لما ذكر في الآيات قبلها تخليطهم في القتال وشرط من
ذلك الى ان الموت يدرك كل احد ولو اعتصم ما عظم معتصم
ولا حاجة في الامر من القتال واتبع ذلك بما اتبع من شروط
المنافقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفعلهم معه من اظهار
الطاعة بالقول وخلافها بالفعل وبثهم في عدم تأملهم حاجا
بما رسول عليه الصلاة والسلام من القرآن الذي فيه كتب القتال
عليهم عاد الى امر القتال وهكذا عادة كلام العرب تكون في شيء
ثم تشترط من ذلك الى شيء آخر لم يستند وتعلق ومعنى قوله
تعالى في هذه الآية لا تكلف الا نفسك اي لا تكلف في القتال
الا نفسك فقاتل وحدك وقيل المعنى لا طاقة لك ووسعك
ولا تضش بصيرتها عن القوة بما سقطت نفسه لك قوة وقراءة
الجمهور لا تكلف جزما عطفا على الممنوع وقد قالوا ايضا الكلمة صالحة
موضع الحال ويجوز ان يكون اخبارا من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم

لا كما لا شرع له فيها انه لا يكلف امر غيره من المكلفين المؤمنين وانما
يكلف امر نفسه فقط وقرئ لا نكلف بالنون وكسر اللام وقد
يحتمل وجهي الاعراب الحال والاستيناف وقرأ عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما لا تكلف بالتاء وفتح اللام والجزم على جواب
الامر وامره تعالى بحث المؤمنين على القتال وتحريك هممهم
الى قتال عدوهم وترغيبهم بما وعد الله لهم من حسن الجزاء ومن
فضيلة الشهادة • قال الله تعالى وحرض المؤمنين اي حثهم
• وقال تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها قال
ابن مخشري رضي الله تعالى عنه الشفاعة الحسنة هي التي يروعى
فيها حق مسلم ودفع بها عنه شرا او جلب اليه بها خيرا وابتغي بها وجه
الله سبحانه وتعالى ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز
لا في حد من حدود الله سبحانه وتعالى ولا في حق من الحقوق ايضا
• ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها والسيئة ما كان بخلاف
ذلك انتهى وهذا بسط ما قاله الحسن رضي الله عنه قال
الشفاعة الحسنة هي البر والطاعة والسيئة في المعاصي
والكفل هنا النصيب لقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته اي
نصيبين والظاهر ان من هنا تكون للسبب اي نصيب من
الخير بسببها وكفل من الشر بسببها وغاير في النصيب فذكره
بلفظ الكفل في الشفاعة السيئة لانه اكثر ما يستعمل
في الشر وان كان قد استعمل في الخير كما تقدم قبل قالوا وهو
مستعار من كفل البعير وهو كساء يدار به على سنامه
كم لم يركب عليه وسمي كفلا لانه لم يعم الظهر بل نصيبا منه
• وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا والمقيت قيل هو الحافظ
والشاهد وقيل هو مشتق من القوت والقوت هو ما يحفظ به
الانسان نفسه من التلف • قال الله عز وجل واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها او ردوها الظاهر ان المراد بالتحية هنا السلام
ووزنها تحيية تفعلة لانها مصدر حياه فنقلت حركة الياء
الى الحاء وادغمت الياء في الياء والظاهر ان قوله تعالى حييتم
خطاب للمسلمين يسلم عليهم من هو مسلم وظاهر الامر في قوله
فحيوا الوجوب فاذا قال سلام عليكم رد بقوله وعليكم السلام
ورحمة الله وبركاته ومغفرته او يكتفي بقوله وعليكم السلام
واذا زاد على ذلك وبركاته كما تقدم فلا باس بذلك فالاحسن ان يرد
عليه بمثل ذلك ولو اقتصر على قوله وعليكم السلام كان جائزا وقوله
او ردوها اي فردوها وهو على حذف مضاف تقديره فردوا مثلها
• الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه اي لا شك في اتيانه

عليه

قيل

قيل مناسبتها لما قبلها انه تعالى لما فرض القتال وقال المنافقون ما قالوا
شاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال وبتحريض المؤمنين
عليه وذكر حديث الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة وتعليم
رد السلام وانه تعالى حسيب على ذلك اخبر بجمعه تعالى العالم
في يوم القيامة للمجازاة وثواب الجهاد في سبيل الله عز وجل ولما ذكر
الجمع مقسما عليه اردفه بقوله ومن اصدق ءاني لا احد اصدق
من الله حديثا وقرئ باخلاص الصاد وباشمامها الزاي وانتصب
حديثا على التمييز فما لكم في المنافقين فئتين رجع في الاخبار الى
حال المنافقين الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال والخطاب في
لكم هو للمؤمنين قال ناس منهم نقتل المنافقين وقال ناس
منهم لا نقتلهم لانهم نطقوا بكلمة الاسلام فعتبهم الله سبحانه وتعالى
على كونهم انقسموا فرقتين وانتصب فرقتين على الحال وما هنا
استفهام انكار وهو مبتدا ولكم خبره والله اركسهم بما كسبوا قال
ابن عباس رضي الله عنهما ردهم في كفرهم ولذلك قال الله عز
وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء قال الزمخشري
رضي الله عنه فتكونون سواء ولو هنا نصبت على جواب التمني
لجاز ذلك بالمعنى المذكور والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا
واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء انتهى
وقد يكون هنا التمني بلفظ الفعل ويكون له جواب وفي ذلك
نظر وانما المنقول هنا ان الفعل ينتصب في جواب التمني
اذا كان بالحرف نحو ليت ولو والا اذا شربنا معنى التمني
اما اذا كان بالفعل فيحتاج الى سماع من العرب بل لو جاء لم يكن
ليتحقق فيه الجوابية لان ود التي تدل على التمني انما متعلقها
المصادر لا الذوات فاذا نصب الفعل بعد الفاء لم يتعين ان
تكون فاء الجواب لاحتمال ان يكون من باب عطف المصدر المقدر
على المصدر الملفوظ به فيكون من باب قولهم للبس عباءة
وتقر عيني • وقال الله عز وجل فلا تتخذوا منهم اولياء حتى
يهاجروا في سبيل الله لما نص سبحانه وتعالى على كفرهم وانهم تمنوا ان
يكونوا مثلهم بانت عداوتهم لا اختلاف الدينين فنهى سبحانه
وتعالى ان يوالي احدا منهم وان امنوا حتى يظاهروا بالهجرة
وهي الهجرة الصحيحة لاجل الايمان لا لاجل حظ الدنيا وانما عبر
بالهجرة فقط لانها تتضمن الايمان وفي هذه الاية دليل على
وجوب الهجرة الى المدينة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل حكمها
كذلك حتى فتحت مكة فنسخ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة
بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا اه

قال الله عز وجل

الا الذين يصلون هذا استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم
والوصول هنا البلوغ قال ابن عطية رضي الله عنه كان هذا الحكم
في اول الاسلام قبل ان يستحكم امر الطاعة من الناس فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد هادن من العرب قبائل كرهط هلال
ابن عويمر الاسلمي وسراقة ابن مالك بن جعشم وخزيمة ابن عامر
بن عبد مناف فاقتضت هذه الآية ان من وصل من المشركين
الذين لا عهد بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل
العهد ودخل في عدادهم وفعل فعلهم من الموادعة فلا سبيل
عليه قال عكرمة رضي الله عنه لما قوي الاسلام وكثر ناصره نسخت
هذه الآية والتي بعدها بما في سورة براءة انتهى او جاؤكم خطاب
للمؤمنين وهو معطوف على صلة الذين فاستثنى سبحانه وتعالى
من الذين لا يقتلون صنفين احدهما من يصل الى قوم بين المؤمنين
وبينهم ميثاق والصنف الثاني من جاء المؤمنين من الكفار وقد
امتنع من قتال المؤمنين وعن قتال قومهم وحصرت جملة في
موضع الحال ويبين ذلك قراءة من قرأ حصرة صدورهم وكذا قراءة
من قرأ حاصرات صدورهم بالجمع ومعنى حصرت اي ضاقت
واصل الحصر في المكان ثم توسع فيه ولو شاء الله لسلطهم عليكم
هذا تقرير للمؤمنين على مقدار نعمته تعالى عليهم اي لو شاء لقواهم
وجرأهم عليكم فلقاتلوكم واذ قد انعم عليكم بالهدنة فاقبلوها
قال ابن عطية رضي الله عنه واللام في قوله لسلطهم عليكم جواب
لو وفي فلقاتلوكم لام المجازاة والازدواج تسمية غريبة لم ار
ذلك الا في عبارة هذا الرجل وعبارة مكي رضي الله عنه فان
اعتزلوكم الضمير عائد على الذين جاؤكم اي لم يخالطوكم قال الزمخشري
رضي الله عنه الوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
الآية بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن
القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وترك الايقاع بهم فاذا قلت
كل واحد من سببي الاتصال له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق
ترك التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين
فهل لا جوزت الاخرى ان يكون العطف على صفة قوم ويكون
قوله فان اعتزلوكم تقديرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم
فيهم وجريهم على طريقتهم كما قد قيل بذلك قلت هو جائز
ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام انتهى وانما كان
اظهر واجرى على اسلوب الكلام لان المستثنى محدث عنه
محدث عنه محكوم له بخلاف حكم المستثنى منه واذا عطفت على
الصلة كان محدثا عنه واذا عطفت على الصفة لم يكن محدثا

عنه

تقوى

عنه وانما يكون ذلك تقييدا في قوم الذين هم قيد في الصلة المحدث
عن صاحبها واذا دار الامر بين ان تكون النسبة اسنادية في المعنى وبين
ان تكون تقييدية كان حملها على الاسنادية اولى للاستقلال الحاصل
لها دون التقييدية هنا من جهة الصناعة النحوية واما من حيث
ما يترتب على كل واحد من العطفين من المعنى فانه يكون تركهم القتال
سببا لترك التعرض لهم وهو سبب قريب وذلك على العطف على
الصلة ووصولهم الى من يترك القتال ومراعاة السبب القريب
اولى من مراعاة السبب البعيد • والقوا اليكم السلم اي الانقياد
فلا قتل لكم عليهم ولا قتال • فما جعل الله لكم عليكم سبيلا اي طريقا
الى القتل • ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا
قومهم كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا
اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
وقوله عز وجل ستجدون آخرين الآية لما ذكر صفة المحاقين
في المتاركة المجدين في القاء السلم نبه سبحانه وتعالى على
طائفة اخرى مخادعة يريدون الاقامة في مواضعهم مع
اهليهم يقولون نحن معكم على دينكم ويقولون للمسلمين كذلك
اذا وفدوا اليهم قيل كانت اسد وغطفان بهذه الصفات فنزلت فيهم
قاله مقاتل رضي الله عنه وقال تعالى فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
اي ظفرتم بهم لقوله تعالى ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء وما
دلت هذه الآية من موادعة الكفار وترك قتلهم منسوخ بآية
السيف التي في براءة • قال الله عز وجل واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الآية كان عياش
ابن ابي ربيعة قد اسلم وهاجر فتحنك ابو جهل وكان عياش اخاه
لامه والحارث ابن زيد ابن انيسة حتى اخرجاه من المدينة فجلده
كل واحد منهما مائة جلدة واتيا به الى امه بمكة فحلف عياش انه ان
ظفر بالحارث ليقتلنه فاسلم الحارث ثم لقيه عياش بظهر قبا
فقتله ولم يكن شعر باسلامه فنزلت وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
الا خطأ وهذا استثناء ظاهره الانقطاع لان قتل المؤمن على
قسمين العمد وهو لا يجوز البتة ومتوعد عليه فاعله بالخلود
في النار والخطأ وهو متجاوز عنه في الآخرة لكن يجب على القاتل ما ذكره
الله سبحانه وتعالى في هذه الآية من الاحكام قيل وانتصب خطأ
على انه مفعول من اجله او نصبا على الحال او نعتا لمصدر محذوف تقديره
الا قتلا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا
قال ابن عباس رضي الله عنهما التحرير معناه الاعتاق والعتيق الكريم لان
الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير

لكرامتها وخذ الوخر اكرم من ضع فيه والرقبة عبر بها عن الذمة كما عبر
عنها بالراس في قولهم فلان برئ الراس كذا اكد ان اسلم من الرضخ والطاير
ان الكل في رقبة اتصفت بان يحكم لها بالايمان منتظم قوله رقبة
مؤمنة انتظام عموم البدل فيندرج فيها من ولد بين مسلمين
ومن احد ابويه مسلم صغيرا كان او كبيرا ومن سباه مسلم من
دار الحرب قبل السباع واطلاق الرقبة المؤمنة لا يدل الاعلى
من تسمت موصفة من غير اعتبار شرط اخر والظاهر ان وجوب
التحرير والدية على العاقلة لانه مستقر في الكتاب وفي
السنة ان من قتل شيئا يكثر فيه مر من العرامات مثل
الكفارات انما يجب ذلك على فاعله قوله تعالى ودية مسلمة الى اهله
الا ان يصدقوا اصله مصدقن بها كدارة مدينة دية
وذلك عفو عن ما يغرم في قتل الخطا او يراد في كتابة اهد عز
وجل مقدار الدية ولا من اي شيء تكون وللعلماء في ذلك
اختلاف كثير وينبغي ان يرجع في تقدير الدية الى ما ثبت في
الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى
مسلمة الى اهله اي مؤداة مدفوعة الى اهل المقتول اي الى اوليائه
الذين يرثونه ليقسموها كالميراث لا فرق بينها وبين سائر
التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يكن له وارث
فهي لبيت المال وقال شريك رضي الله عنه لا تقضى من الدية
دين ولا تنفذ منها وصية وقال ان مسعود رضي الله عنه ترث
كل واحد منها عن الاخر قال ومعنى قوله الا ان يصدقوا اي الا ان يعفوا
اولياؤه عن الدية فلا دية وجاء بلفظ التصدق هنا تنبيها على
فضيلة العفو وحثا عليه وانه احب ما يجزى القتلة في
استحقاق الثواب الاجل دون طلب العوض العاجل وهذا
حكم من قتل في دار الاسلام خطاء وفي قوله الا ان يصدقوا دليل
على جواز ابراء من الدين بلفظ الصدقة ودليل على انه قد
لا يشترط القبول في الابراء خلافا لقتادة وداود قال لا يبرا الغريم
من الدين الا ان يقبل البراءة والظاهر ان اجماعة اذا اشتركوا في قتل
رجل خطاء ليس عليهم كلهم الا كفارة واحدة لعموم قوله تعالى ومن
قتل وترتيب تحرير رقبة ودية على ذلك وبه قال ابو بكر رضي
الله عنه وعلي عن الاوزاعي رضي الله عنه وقال الحسن وعكرمة
والنخعي وحماد ومالك والثوري والشافعي واحمد واسحاق وابو ثور واصحاب
الراي عليهم كل واحد منهم الكفارة وهذا الاستثناء قال انه منقطع
وقيل انه متصل قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت لم
تعلق قوله الا ان يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بتسلمه

مسئلة

مسلمة كانه قتل ويجب عليه الدية او يجب عليه تسليمها الى حين
يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حرف
الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا
من اهله بمعنى الا متصدقين انتهى وكلا هذين التخريجين
خطأ اما جعل ان مع ما بعدها ظرفا فلا يجوز كما نص على
ذلك جماعة من اهل النحو وانه مما قد انفردت به ما المصدرية ومنعوا
ان تقول اجيئك ان يصيح الديك اي حين صياحه تريد وقت
صياح الديك واما ان يسبك منها مصدر فيكون في موضع الحال
فنصوا ايضا على ان ذلك لا يجوز قال سيبويه رضي الله عنه قول
العرب انت الرجل ان تنازل او تخاصم ومعناه انت الرجل
نزالا وخصومة ان انتصاب هذا انتصاب المفعول من
اجله لان المستقبل لا يكون حالا فعلى هذا الذي قررناه
يكون قوله استثناء منقطعا هو الصواب • فان كان من قوم عدو
لكم وهو مؤمن قال ابن عباس وجماعة المعنى ان كان هذا المقتول
خطأ رجلا مؤمنا قد امن وبقي في قومه وهم كفرة عدو لكم فلا دية
فيه وانما كفارته تحرير رقبة والسبب عندهم اي عند
المفسرين في نزولها • ان جيوش المسلمين كانت تمر بقبائل الكفر
فربما قتل من امن ولم يهاجر او من هاجر ثم رجع الى قومه فيقتل
في حملات الحرب على انه من الكفار فنزلت هذه الاية وان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق الاية قال الحسن وجماعة ان كان
المقتول خطأ مؤمنا من قوم معاهدين لكم فعهدهم يوجب
انهم احق بدية صاحبهم فكفارته التحرير واداء الدية اليهم
وقال النخعي رضي الله عنه ميراثه للمسلمين وقال ابن عباس
وجماعة المقتول من اهل العهد خطأ سواء كان مؤمنا ام كافرا
على عهد قومه فيه الدية كدية المسلم والتحرير واختلف
على هذا في دية المعاهد فقال ابو حنيفة رضي الله عنه
وقال غيره ايضا ديته كدية المسلم وروي ذلك عن ابي بكر وعمر رضي
الله تعالى عنهما وقال مالك واصحابه نصف دية المسلم وقال
الشافعي وابو ثور رضي الله عنهما ثلث دية المسلم والظاهر ان قتل
المؤمن خطأ تارة يكون في دار الاسلام وتارة يكون في دار الحرب
وتارة في دار المعاهدين واطلق في قوله وان كان من قوم عدو
بينكم وبينهم ميثاق المراد تقييد المقتول بالايمان كما قيد فيما قبله
فحمل المطلق هنا على المقيد فيما قبل • فمن لم يجد يعني رقبة
ولا ما يتوصل به الى تملكها واعوزت الدية فالواجب عليه صوم
شهرين متتابعين لا يتخللها فطر فلو عرض حيض لم يعد

او ان تخاصم

قطعا

باجماع والمرض المتابع من الصوم كالحيض ومن يقتل مؤمنا متعمدا
الآية نزلت في مقيس بن صبابة حين قتل اخاه هشام بن صبابة رجل
من الانصار فاخذ له رسول الله صلى الله عليه وسلم الدية ثم بعثه مع
رجل من فهر بعد ذلك في امر ما فقتله مقيس ورجع الى مكة مرتدا
وجعل ينشد ويقول فقلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار
ارباب فارع حللت به وتري وادركت ثورتي وكنت الى
الاوثان اول راجع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا آمنه في حل ولا حرم وامر بقتله يوم فتح مكة وهو متعلق
بالكعبة والظاهر تخليد هذا القاتل في النار وتاول اهل
السنة على ان يكون القاتل استحق قتل المؤمن فيكون بذلك كافرا
او على ان معنى فجزاؤه جهنم اي فجزاؤه ان جازاه وقالت
المعتزلة بظاهر هذه الآية وهو تخليد من قتل مؤمنا متعمدا
في النار دائما قالوا وهذه الآية نزلت بعد قوله ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فخصت العموم كانه قال ويغفر لمن يشاء الا من
قتل مؤمنا متعمدا فلا يغفر له يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في
سبيل الله الآية ذكر المفسرون اسبابا كثيرة في نزول هذه الآية مضمنها
انهم ظهر لهم رجل اعتقدوه كافرا فتلفظ بما يدل على الاسلام من كلمتي
الشهادة او غيرها فقتلوه فنزلت هذه الآية كما قيل ومناسبتها
لما قبلها انه لما توعد من قتل مؤمنا خطأ متعمدا بما وعد امر
بالتثبت في قتل من يظن به انه كافر وقد اعلم بظهور الاسلام
وقرئ فتثبتوا وفتبينوا في الموضعين وفي سورة الحجرات فعند
الله مغانم كثيرة هذه عدة بما يسنى الله لهم من الغنائم على وجهها
من حل دون ارتكاب محظور يشبهه وغير تثبت وفي الكلام
حذف تقديره لست مؤمنا فتقتلوه تريدون عرض الحياة الدنيا
والكاف في كذلك للتشبيه اي كنتم مثل ذلك الذي القى اليكم
السلام فمن الله عليكم بالاسلام فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا
لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر الآية قيل انها نزلت
من اجل قوم كانوا اذا حضرت غزاة يستاذنون في القعود والتخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واما غير اولي الضرر فسببها قول ابن ام
مكتوم كيف من لا يستطيع الجهاد ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو
ان الله عز وجل لما رغب المؤمنين في القتال في سبيل الله اعدا الله الكفار
قسمهم الى قاعد ومجاهد وذكر عدم التساوي بينهما وقرئ غير بالرفع
بالرفع صفة لقوله لا يستوي القاعدون او بدل منه وبالجر صفة
لقوله من المؤمنين وبالنصب على الاستثناء كانه قال الا اولي الضرر
فهو استثناء من القاعدون وقيل استثناء من قوله من المؤمنين وقيل

انتصب على

انتصب على الحال فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة وكلا وعد الله الحسنى الاية الظاهر ان المفضل عليهم هم
القاعدون غير اولي الضرر لانهم هم الذين نفى التسوية بينهم
فذكر ما امتازوا به عليهم وهو تفضيله عليهم بدرجة فهذه
الجملة بيان للجملة الاولى جواب سؤال مقدر كان قائلا قال
ما لهم لا يستوون فقيل فضل الله المجاهدين والمفضل عليهم
هنا درجة هم المفضل عليهم اخيرا درجات وما بعدها وهم
القاعدون غير اولي الضرر وتكرار التفضيل ان هنا باعتبار
متعلقهما فالتفضيل الاول بالدرجة هو ما يؤتى في الدنيا من
الغنيمة والتفضيل الثاني هو ما يخولهم في الآخرة فنبه بافراد
الاول وجمع الثاني على ان ثواب الدنيا في جنب ثواب الآخرة
يسير وقيل المجاهدون تتساوى رتبتهم في الدنيا بالنسبة
الى احوالهم كتساوي القاتلين بالنسبة الى اخذ سلب من قتلوه
ونصيب كل واحد من الفرسان ونصيب كل واحد من الرجال
وهم في الآخرة متفاوتون بحسب اعمالهم ايمانهم فلهم درجات
بحسب استحقاقهم فمنهم من يكون له الغفران ومنهم من تكون
له الرحمة فقط فكان الرحمة ادنى المنازل والمغفرة فوق الرحمة ثم
بعد الدرجات نبه على اعلا الطبقات وعلى هذا نبه بقوله هم
درجات عند الله ومنازل الآخرة تتفاوت ان الذين توفاهم
الملائكة ظالمي انفسهم الاية روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سوادهم على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي السهم يرمى به فيصيب احدهم
او يضرب فيقتل فنزلت تلك الاية ومناسبتها لما قبلها انه تعالى
لما ذكر ثواب من اقدم على الجهاد اتبعه بعقاب من قعد عن الجهاد
وسكن في بلاد الكفر وقال ابن عباس رضي الله عنهما التوفي هنا
هو قبض الارواح وقرئ توفاهم احتمل ان يكون ماضيا
واحتمل ان يكون مضارعا وقرئ توفتهم وتوفاهم
والملائكة هنا ظاهره الجمع فيكون المتوفي ملك الموت واعوانه كما قال
الله تعالى توفته رسلنا ولذلك جاء الضمير في قوله مجموعا
في قوله قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض وهذا الاستفهام
معناه التوبيخ والتقريع والمعنى في اي شيء كنتم من امر دينكم وقيل
من احوال الدنيا وجوابهم للملائكة اعتذار عن تخلفهم عن الهجرة واقامتهم
بدار الكفر وهو اعتذار غير صحيح والذي يظهر ان قولهم كنا مستضعفين
في الارض جواب لقوله فيم كنتم على المعنى لا على اللفظ لان معنى فيم
كنتم اي في اي حال مانعة من الهجرة اي ما منعكم عنها قالوا كنا

مستضعفين في الارض

اي في حالة استضعاف في الارض بحيث لا تقدر على الهجرة وهل جواز
كذلك والآن من هنا ارض مكة وظاهر قوله فيها اجروا فيها انكم
مصروف على جواب قوله الم تكن ارض مخروجا معطوفا على قوله لم تكن
وقد كان من الرجال جماعة منهم عياش ابن ابي ربيعة وسلمة ابن هشام
والوليد ومن النساء جماعة كام الفضل لبابة بنت الحارث ام
عبد الله بن عباس ومن الولدان عبد الله ابن عباس وعلي رضي الله عنهما
• الا المستضعفين قال ابن مجرى رضي الله عنه صفة للمستضعفين
او الرجال والنساء والولدان قال وانما كان ذلك والجمل نكرات
لان الموصوف وان كان فيه التعريف فليس قد يكون التي تجيء
كقوله • ولقد امر على اللئيم يسبني • اي شتمه وهو
مخرج ذهب الى مثله بعض النحويين في قوله وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار واذا هم مظلمون وهذا اعدم للقاعدة المشهورة
ان النكرة لا تتعرف بالنكرة والمعرفة لا تتعرف الا بالمعرفة
وان يظهر انها جملة مفسرة لقوله المستضعفين لانه في معنى
الا الذين استضعفوا فجاز ما ذا يفسره الذي لا ان الاستضعاف
يكون بوجوه فبين الاستضعاف الذي وقع في التخلف عن الهجرة وهي
عدم استطاعة الحيلة وعلم اهتدا السبيل والتالي مندرج تحت الاول
لانه يلزم من انتفاء القدرة على الحيلة التي تتخلص بها انتفاء
اهتدا السبيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى
مستلمي مكة لقد نزلت الآية فقال جندب ابن ضمرة الليثي وكان جلدا
بالعين لو ضمرة ابن جندب لبنيه احملوني فاني لست من جملة
المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا اتيت مكة فتحملوه
متوجها الى المدينة وكان جملة على سرير وهو صحيح كيف فمات
بالتنعيم رضي الله عنه احتسب والحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل
• ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة
قيل نزلت هذه الآية في اكثم ابن صيفي وكان رغب بحمامه وقال في
البحر ذكر ما يترتب عليها من وجود السعة والمذاهب الكثيرة
ليذهب عنه ما سوى بهم وجوده في الحرية ومفارقة الوطن
من الشدة وعزها وهذا امر ما قالته الملائكة المتوفاهم
الله واسعة فتهاجروا فيها ومخوف مراغما مصدر لاذهب قال له
ابن عباس رضي الله عنهما فقد الجراح وسراح والحسن ابن ثمن ان مراغما
يريد الانف على وزن مقعد لا كمذهب قال ابن جني هو على حذف
الزائد من قوله راغم يرغم من ائمة وان سعة هنا في الرزق قاله
ابن عباس رضي الله عنهما واذا طرب بهم تيه رضي روي عن مجاهد
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلام

يعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد وقال المشركون لقد اصبنا
غرة لو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنتلناهم فنزلت اية القصر فيما بين صلاة
الظهر والعصر وقال الحسن في الاية السفر والطاعة جواز القصر
في مطلق السفر وبه قال اهل الظاهر واختلف فقهاء الامصار
في حد المسافة بما هو مذكور في كتبهم وقرئ تقصروا من قصر
وتقصروا من اقصر وتقصوا من قصر وقوله من الصلاة
مجمل اذ يحتمل القصر من عدد الركعات والقصر من هيات الصلاة
ويرجح في ذلك الى ما صح في الحديث وقوله ان خفتم طاهر الشرط
الخوف في القصر من الصلاة ولذلك ذهب جماعة والحديث الصحيح
يدل على ان مفهوم هذا الشرط لا مفهوم له فلا فرق بين ان من
وراء الخوف ان يفتنكم الذين كفروا قال بعضهم لعنة الله فعلة
الجبان فتن ولعنة تميم وربيعة وقيس افتن ان الكافرين كانوا
لكم عدوا مبينا اي بينن العداوة قال الله عز وجل واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلاة الاية استدل بظاهره الطحاوي كرود
صلى الله عليه وسلم من لم ير صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث شرط كونه فيهم اي مقيما بين اظهرهم ويكونوا معتمين لهم صلاة
الخوف وهو مذهب ابن علية وابي يوسف والظاهر ان صلاة
الخوف لا تكون الا في السفر ولا تكون في الحضر وان كان ثم خوف
وذهب الجمهور الى ان الحضر اذا كان خوف كالسفر اي تقام
فيه صلاة الخوف ومعنى فاقمت لهم الصلاة قال الطبري رحمه
الله صل باي اقمت حدودها واتمام ركوعها والذي يظهر ان الخطاب
فاقمت بهم وحضر لك الفاتحة اذ هي فرض على المصلي في
قول ومعنى فلتقم طائفة من الطائفتين وهو الذي قوي وقل فليقم
بالصلاتها حتى تتم على في صلاتك من قام بالاقرار اذا اهتم به
وجعله شغله والظاهر ان الضمير في قوله ولياخذوا حذرهم
واسلحتهم عائد على طائفة لتلها من الضمير وليكونوا هما ثم
في قوله فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم معناه صلوا وفيه دليل
على ان السجود قد يعبر به عن الصلاة ومنه اذا جاء احدكم المسجد فليسجد
سجدتين اي فليصل ركعتين فليكونوا من ورائكم ظاهره
ان المعهود في قوله فليكونوا حاضرين على الساجدين والمعنى اذا فرغوا
من السجود وانتقلوا الى الجراسة والسلاح هو ما يحتمى به الا
من سيف ورمح وخنجر ودبوس ونحو ذلك وطومار قد ذكر
لجمعه على اسلحة كحمار واحمرة وقد يوت ايضا قال الطرماح

نهز تسلا حائم بر بقاعها كلالة ٭ شكت لها منها عموص الحمايل

وقال الاخطل رضي الله عنه فليكونوا اخي بحر المصلبين من ورائكم بحر سوائكم

وجوز هذين الوجهين ابن عطية رضي الله عنه • ولتأت طائفة أخرى غير
المصلية أولا • لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم
ظاهره وجوب أخذ الأسلحة لاطمئنان المصلي ودلت هذه الكيفية التي
ذكرت في هذه الآية على أن كل طائفة صلت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعض صلاة ولا دلالة فيها على مقدار ما صلت معه ولا
كيفية إتمامهم وإنما جاز ذلك في السنة وذكر في صلاة الخوف عشر
كيفيات بيناها في كتابنا المسمى بالبحر المحيط • ود الذين كفروا لو
تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة • تقدم
الكلام على قوله يود في نظيرها في سورة البقرة في قوله عز وجل يود أحدهم
لو يعمر ألف سنة وإنما قال ميلة واحدة أي شدة واحدة لأنها
أبلغ في الاستئصال من الشدات • ولا جناح عليكم إن كان بكم
أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله
أعد للكافرين عذابا مهينا • لما كانت هاتان الحالتان وهما الأذى
من المطر ومن المرض مما قد يشق حمل السلاح فيهما رخص في ذلك
مع الأمر بأخذ الحذر والتحفظ من العدو لئلا يغفلوا فيهجم عليهم
العدو ورخص في ذلك للمريض لأن حمله السلاح مما يكربه ويشق
عليه ويزيد في مرضه ورخص في ذلك إن كان ثم مطر لأن المطر مما
يثقل العدو ويمنع من خفة الحركة للقتال • فإذا قضيتم الصلاة
أي فإذا أتممتم صلاة الخوف فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
فأمروا بالذكر هنا في سائر الأحوال من قيام وقعود وعلى جنب •
فإذا اطمأننتم أي من جهة العدو • فأقيموا الصلاة وهي الصلاة
المفروضة نبه بذلك على شرف العبادات • إن الصلاة كانت على المؤمنين
كتابا موقوتا أي واجبة في أوقات معلومة في الشرع • ولا تهنوا
في ابتغاء القوم أي الذين يقاتلونكم وقرأ الحسن رضي الله عنه تهنوا
بفتح الهاء لأنها أي لكونها حرف حلق وهذه الآية تشير إلى أنها في الجهاد
مطلقا وقيل نزلت في انصراف بعض الصحابة من غزوة أحد وكان صلى الله
عليه وسلم قد أمرهم باتباع أبي سفيان وأصحابه والمعنى أنهم مشتركون معكم
في الآلام • إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وأنتم ترجون من
الله ما لا يرجون • أي ترجون من الله المغفرة والجنة وهم لا يرجون ذلك
لكفرهم • وكان الله عليما بنياتكم حكيما فيما يأمركم به وينهاكم عنه
• إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن
للخائنين خصيما • اختلف في سبب نزول هذه الآية فعن قتادة
وغيره أنها نزلت في طعمة ابن أبيرق سرق درعا في جراب فيه دقيق
لقتادة ابن النعمان رضي الله عنه وخبأها عند يهودي فحلف طعمة ما لي
بها علم فاتبعوا أثر الدقيق إلى دار ذلك اليهودي فقال اليهودي دفعها إلي

طعمة

الى طعمة فنزلت تلك الآية وقوله بما اراك الله اي بما اعلمك من
الوحي ولا تكن للخائنين خصيما ظاهره انه خطاب للرسول عليه الصلاة
والسلام والمراد به من كان خصيما للخائنين من امته وكذلك النهي
في قوله ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم وقد يجيء النهي لمن لا يقع
منه المنهي عنه بحال من الاحوال كالرسول عليه الصلاة والسلام شهد الله
له بالعصمة وقوله خوانا اثيما صفتان بنيتا للمبالغة اذ اسم
الفاعل خائن واثم والضمير في قوله تعالى يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معهم الظاهر انه يعود على الذين يختانون
وفي ذلك توبيخ عظيم وتقريع حيث يرتكبون المعاصي وهم
مستترون بها عن الناس متباهين لهم ان اطلعوا عليها ودخل معهم في
ذلك من فعل مثل فعلهم وهو معهم جملة حالية ومعنى معهم
يعني بالعلم والاطلاع على احوالهم واذ ظرف لما مضى العامل فيه هو العامل
في قوله مع اي وهو كائن معهم بالعلم في وقت تبييتهم ولما كانت اعمالهم
منتشرة كثيرة المجادلة عن طعنه واضرابه وصف نفسه بالمحيط
والاحاطة الاحتفاف بالشيء من جميع جهاته وكان الله بما يعملون محيطا
ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا تقدم الكلام على
قوله تعالى ها انتم هؤلاء وعلى الجملة بعدها قراءة واعرابا في سورة
آل عمران فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا
معنى هذا الاستفهام النفي اي لا احد يجادل الله عنهم يوم القيامة
اذا حل بهم عذابه والوكيل هو الحافظ المحامي وهو الذي يكل الانسان
اليه اموره وهذا الاستفهام معناه النفي ايضا كانه قيل لا احد يكون
وكيلا عليهم فيدافع عنهم ويحفظهم وهاتان الجملتان انتفى في
الاولى منهما المجادلة وهي المدافعة بالقول وفي الثانية الوكالة
عليهم اي الحفظ وهي المدافعة بالفعل والنصرة بالقوة قال الله
عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما الظاهر انهما غيران اي متغايران عمل السوء وظلم النفس
وخصوصا للعطف بأو فانها تقتضي احد الشيئين والسوء هو
القبيح الذي يسوء به غيره وظلم النفس ما يختص به كالحلف الكاذب
يجد الله غفورا رحيما مبالغة في الغفران كان الرحمة والغفران
معدان مهيئان له متى طلبهما وجدهما وجاء جواب الشرط
مصرحا فيه باسم الله عز وجل ولم يأت فيه بالضمير فكان يكون يجده
لان في لفظ الله من الجلالة والتعظيم ما ليس في الضمير ولما تقدم
شأن عمل السوء وظلم النفس السابقين والمعنى ان وبال ذلك
لاحق له لا يتعداه الى غيره وهو اشارة الى الجزاء اللاحق له في الآخرة
وختمها بصيغة العلم لعلمه بجميع ما يكسب لا يغيب عنه شيء من ذلك

كان المغفرة والرحمة

بصفة

ثم بصنعة الحكمة لانه واضع الاشياء مواضعها مجازي على ذلك الاثم
بما تقتضيه حكمته سبحانه وتعالى فالصفات انسان وتعالى اعلم بحاله
وتعالى بذلك الاثم والي ما يستحق علة فاعله وفي لفظ علي
دلالة على استغلاء الاثم عنه وسلامه وقمن له ومن يكسب في
خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا قال بعضهم
وظاهره ان العطف هنا اذ قد يقتضي المغايرة فالخطيئة ما كان
عن غير عمد والاثم ما كان عن عمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قرئت في عبد الله ابن ابي ابن سلول حيث رمي بالافك من حفظه
الله عند والبهتان مفترية وانما مبينا اذ ظاهره
لكنه الخطيئة او الاثم فوجه المعنى انه قد يستحق عقابين عقاب
الكسب وعقاب البهت وقدم البهت لقربه من قوله ثم يرم به بريئا
ولانه اذا قطع من وكسب الخطيئة او الاثم وقيل احتمل
ابلغ من حمل لان افتعل فيه للكسب كاعتمل وكولا فضل
الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون
الا انفسهم وما يضرونك من شيء قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما فما نزلت في وحد بقتيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لهم ان شايعك على ان لا نحشر ولا نعشر وعلى
ان نمتنا بالعزى سنة فلم يجبهم فنزلت هذه الاية والهم
العزم على الشيء والاهتمام به وبعدي باعلى كما في قوله تعالى
وهموا بما لم ينالوا هموا بقتل الرسول وهو كذلك لصرف
عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين وقوله وان يضلوك
محذوف منه الباء اي بان يضلوك وان مع الفعل تاويل
المصدر من شيء من الكتاب ودخلت على لكم عامة في سياق النفي اي
لا يضرونك لاوكل لا كبير ولا صغير وعلمك ما لم تكن تعلم وآل امن عباس في
الله تعالى عنهما ان المراد به الشريعة المطهرة وغيرها من الحكمة وكان
فضل الله عليك عظيما قال الله عز وجل لاخير في كثير من نجواهم
الا من امر بصدقة او معروف قولوا صلاح بين الناس قال ابن عباس
رضي الله عنهما النجوى مصدر كالجوى والسار بين اثنين
فصاعدا وقيل جمع نجي فان كان مصدرا فلا بد في الكلام
من حذف اما من الاول تقديره من ذوي نجوى اي اصحاب نجواهم
او حذف من الاخر تقديره لا خير في كثير من نجواهم وان كان النجوى جمع
نجي فالخير في اخراج كثير من القوم الذين يتناجون لا من امر فيكون
استثناء متصلا ولا يحتاج الى حذف وقوله الا من امر بصدقة
يشمل الامر بالتطوع والمعروف هو عام في كل بر او اصلاح بين
الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله الاشارة بذلك الى

الامر بما ذكر

الامر عاذكر من الصدقة او من المعروف او الاصلاح بين الناس و قرئ
صوف بوصلها بالياء ففيه ضمير غيبة يعود الى الله تعالى وقرئ نؤته
بالنون وهو التفات حرج به من الغيبة الى التكلم والتعظيم معلوم
من اجله ومرضات مصدر بمعنى الرضاء قال الله عز وجل ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى لما نزلت هذه الآية
في طعمة ابن ابيرق لما فضحه الله تعالى بسرقته وبث اليهودي الذي
رماه الى مكة وقتل في اهلها فلما سمعوا ما ارتدوا فنزلت
ومن يشاقق عام فيدرج فيه طعمة وغيره من المشاقين وفي
سورة الحشر يشاقق بالادغام وهي لغة تميم والفك لغة اهل
الحجاز وقد قرئ بهما في قوله من يرتد منكم عن دينه والرسول
هو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى من بعد ما تبين له الهدى
اي اتضح له الحق الذي هو سبب الهداية وهذا اية تقتضي عظيم
من اتضح له الحق وسلك غير سبيل المؤمنين والذين اخبر
الذي هم عليه وهذه الجملة المعطوفة هي على سبيل التوكيد
والتشنيع والا فمن يشاقق الرسول هو متبع غير سبيل المؤمنين
ضرورة ولكنه بدئ بالاعظم في الاثم واتبع بلازمه توكيدا
واستدرك الشافعي وغيره بهذه الآية وان تحرك في تفسيرها
على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما يجوز مخالفة اللغة لكن
والسنة وما ذكره ليس بظاهر لان العطف على وصفين متغايرين
لا يلزم منه ان يترتب على كل واحد منهما ما يترتب على
من اتصف بهما فالوعيد انما يترتب على
من اتصف بمشاقة الرسول عليه الصلاة والسلام واتباع غير
سبيل المؤمنين ولو كان كما ذكر لكان العمل معطوفا على العمل ولم يعد
معه اسم الشرط فلو اعيد اسم الشرط فكان يكون ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ومن يتبع غير سبيل المؤمنين
لكان فيه ظهور ما ادعوا ابتداء وبعدا له على تسليم قولهم
ان يكون قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين مغايرا لقوله ومن
يشاقق الرسول وليس بما يريد هو اذ الاتم لمشاقة الرسول
وذكر على سبيل المبالغة والتوكيد وتقطيع الامر وتشتيته
والاية بعد هذا كلها هي في حق الكفار فلا دلالة فيها على
جريان الخلاف في وضع مسائل الفقه وقرئ نوله ونصله بالنون
والنون فيهما ونصله الفاء بين بين ياء واخلاس الحركة
فيهما وسكونهما وقرئ ونصد بفتح النون من صلاه ونصيهما
من اصلاه وصيرا تمييز والمخصوص من هنا ما الذي محذوف
مضمر يعود على جهنم اي وساءت مصيرا هي اي مرجعا
ان الله لا يغفر ان يشرك به تقدم تفسير مثلها الا ان آخر ما تقدم

فقد افترى اثما عظيما وآخر هذه فقد ضل ضلالا بعيدا ختمت كل آية بما يناسبها
فتلك كانت في اهل الكتاب وهم مطلعون من كتبهم على ما لا يشكون في صحته
من امر الرسول صلى الله عليه وسلم ووجوب اتباع شريعته ونسخها لجميع الشرائع
ومع ذلك فقد اشركوا بالله مع ان عندهم ما يدل على توحيد الله تعالى
والايمان بما نزل فصار ذلك افتراء واختلاقا مبالغا في الجراءة على الله
تعالى وهذه الآية في ناس ليسوا باهل كتب ولا علوم ومع ذلك فقد
جاءهم الهدى من الله عز وجل وبان لهم طريق الرشد فاشركوا بالله فضلوا بذلك
ضلالا بعيدا يستبعد وقوعه او يبعد عن الصواب ولذلك جاء بعده
ان يدعون من دونه الا اناثا وجاء بعد تلك الم تر الى الذين يزكون
انفسهم وقوله انظر كيف يفترون على الله الكذب ولم يختلف احد من
المتأولين في ان المراد بهم اليهود وان كان اللفظ عاما ولما كان الشرك
اعظم الكبائر كان الضلال الناشئ عنه بعيدا عن الصواب لان غيره
من المعاصي وان كان ضلالا لكنه قريب من ان يراجع صاحبه الحق
لان له راس مال يرجع اليه وهو الايمان بخلاف الشرك ولذلك قال
تعالى يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال
البعيد وناسب هنا ايضا ذكر الضلال لتقدم الهدى قبله ان يدعون
من دونه الا اناثا المعنى ما يعبدون من دون الله تعالى ويتخذونه
الها الا مسميات تسمية الاناث وكنى بالدعاء عن العبادة لان من عبد
شيئا دعاه عند حوائجه ومصالحه وكانوا يحلون الاصنام بانواع الحلي
ويسمونها انثى واناثا مفعول بيدعون وهو استثناء مفرغ وذكرها
شيطانا مريدا تحقيرا لشانه ومريدا فعيل للمبالغة في اسم
الفاعل الذي هو مارد من مرد اي عتى وعلا في الحذاقة وتجرد للشر
والغواية والمراد به ابليس يدل عليه ما قاله بعد لعنه الله وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا اي واجبا والمعنى اي
لاستخلصنهم بغوايتي ولاخصنهم باضلالي وهم الكفرة والعصاة
فهذه خمسة اقسم ابليس عليها احدها اتخاذ نصيب من عباد الله
وهو اختياره اياهم والثاني اضلالهم وهو صرفهم عن الهداية
واسبابها والثالث تمنيه لهم وهو التسويل ولا ينحصر في نوع واحد
لانه يمني كل انسان بما يناسب حاله من طول عمر وبلوغ وطر
وغير ذلك وهي كلها اماني كواذب باطلة ولآمرنهم فليبتكن
آذان الانعام والبتك الشق والقطع يقال بتك يبتك وقد
قيل انها للتكثير والبتك القطع واحدها بتكة قال الشاعر
حتى اذا ما هوت كف الوليد لها طارت وفي كفه من ريشها بتك
وتقديره هنا ولآمرنهم بالتبتيك وكذلك الثاني اي ولآمرنهم
بتغيير خلق الله وحذف لدلالة المعنى عليه وهي قوله فليغيرن خلق الله

وعن ابن عباس

وعن ابن عباس رضي الله عنهما اراد تبشير دين الله عز وجل بعدهم وبينهم اخر سبحانه وتعالى
بصدق ما وعدهم به ابليس واحتمل الذهب في قوله عز وجل ان يكون ذلك
مفعولا ثالثا للوعد هم او مفعولا من اجله اي لاجل الغرور او مصدرا
على غير المصدر لتضمن وعدهم معنى يغرهم ويكون هم وصف محذوف
اي الا غرورا او الا فتحا او كوفا او نعت المصدر محذوف على حرف
بتقدير وعدا حقا لا ذكر ان وعد الشيطان لهم غرور باطل وذكر ان
هذا العهد منه هو الحق الذي لا ارتياب فيه ولا شك في انجازه والذين
سندا وسندخلهم الجنة ويجوز ان يكون من باب الاشتغال اي وسندخل
الذين امنوا سندخلهم وانتصب وعد الله على انه مصدر مؤكد لقوله
سندخلهم وحقا مؤكد لوعد الله وهو لا منصوب على التمييز والفعل
والقول بمعنى واحد والاستفهام معناه النفي اي لا احد اصدق
من الله عز وجل وفي جملة مؤكدة ايضا لما قبلها وفائدة هذه التوا
المبالغة في حمل ما اخبر الله تعالى به عباده المؤمنين بدخول الجنة بخلاف
مواعيد الشيطان وامانيه وغروره واما نسبة الباطل الى الكافرة
ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب ضمير الخطاب في هو للكفار
مطلقا وقيل هو لاهل الكتاب والمشركين وانتم ليس فيما اختاره
ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله سندخلهم اي ليس دخول الجنة
بامانيكم وقيل هو اسم ليس يضمير يعود على وعد الله المؤمنين بدخول
الجنة وقرئ تا مانيكم بسكون الياء فيهما مع التخفيف ايضا من يعمل
سوءا يجز به قال الجمهور اللفظ عام والكافر والمؤمن يجازى كل بما
يستحق يعذبه فيجازاة الكافر النار ويجازاة المؤمن بكفارات الدنيا
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول
الله ما اشد هذه الآية من ذا منا تقصم الظهر فقال عليه الصلاة والسلام
ايما ما يصيبك في الدنيا وقرئ ولا يجد بالرفع وهو لحن فاما ليس
داخلا في جواب الشرط اولي جواز الشرط مطلقا ومن تعمل الآية من الاولى
للتبعيض ومن الثانية في قوله من ذكر او انثى لتبيين الجنس في
قوله ومن يعمل من ذكر او انثى تفصيل للعامل وهو من جملة حالية
قيد في عمل الصالحات اذ لا ينفع عمل صالح الا ما لابمان فاو ذكر جواب
الشرط وهو على معنى من قلد ذلك جازيناه وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل على ما قبل وكذلك نون مريم عليها السلام
والسلام ولا يظلمون فتيلا ظاهره انه يعود الى اقرب مذكور وهم
المؤمنون فيكون حكم الكفار كذلك اذ كل احد الفريقين يدان على الاخر
اذ كلاهما مجزي بعمله ومن احسن استفهام معناه النفي اي لا احد
احسن دينا ممن سلم وجهه لله وهو محسن ودينا منصوب على التمييز وجهه
كقولك مررت بالرجل حسنا ابوه واشرف اعضائه وسلم لله اي انقاد لامر الله

وشرعه • وهو محسن جملة حالية فانتصب حنيفا قيل على انه حال من ابراهيم
وقيل هو حال من ملة لانه بمعنى الدين والذي نختاره انه حال من الضمير
المستكن في اتبع اي واتبع ملة ابراهيم في حال كونه حنيفا اي مائلا عن
العقائد الفاسدة والشرائع الباطلة • واتخذ الله ابراهيم خليلا هذا
مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله
واتخذ هنا تعدت لمفعولين • ولله ما في السموات وما في الارض
والعالم مملوك له وعلى المملوك طاعة مالكه • وكان الله بكل شيء محيطا
اي علما واحاطة وقدرة • ويستفتونك في النساء الآية سبب
نزولها ان قوما من الصحابة سألوا عن امر النساء واحكامهن في المواريث
وغير ذلك ولما كانت النساء مطرحا امرهن عند العرب في الميراث
وغيره وكذلك اليتامى احد الحديث فيهن مرارا ليرجعوا عن احكام الجاهلية
وتقدم في صدر السورة شيء من احكام النساء والمواريث وعادة العرب
اذا ذكرت شيئا ان تطرد من شيء الى شيء آخر ثم ترجع الى الاول والاستفتاء
ايضا هو طلب الفتيا وهو ما يتضح به الحكم المطلوب والاستفتاء ليس
في ذوات النساء بل هو انما كان عن شيء من احكامهن ولم يبين فهو مجمل
ومعنى يفتيكم فيهن اي يبين لكم حال ما سألتم عنه وعن عائشة رضي الله
تعالى عنها قيل نزلت هذه الآية يعني قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا
في اليتامى اولا ثم سأل ناس بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
امر النساء فنزلت تلك الآية وهي قوله تعالى ويستفتونك في
النساء قل الله يفتيكم فيهن وفي اعراب ما في قوله وما يتلى عليكم
جوزوا وجوها منها الرفع عطفا على لفظ الله وعطفا على الضمير المستكن
في يفتيكم وعلى الابتداء وخبره محذوف تقديره في يتامى النساء بين
لكم وقيل الخبر في الكتاب وجوزوا في ما النصب تقديره ويبين
لكم ما يتلى عليكم وجوزوا في ما ايضا الجر من وجهين احدهما ان تكون الواو هنا
للقسم وبه قال الزمخشري رضي الله عنه والثاني ان يكون معطوفا على
الضمير المجرور في قوله فيهن وقاله محمد بن ابي موسى رضي الله عنه وهو الذي نختاره
وان كان لا يجيزه البصريون الا في الشعر وقد اجازه الكوفيون في الكلام وقد
استدللنا على صحة مذهبهم عند الكلام على قوله تعالى وكفر به والمسجد الحرام
قال الزمخشري رضي الله عنه وليس هذا القول بسديد ان يعطف على
المجرور فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى انتهى والذي اختاره هذا
الوجه وان كان ظاهر مذهب جمهور البصريين ان ذلك لا يجوز الا في الشعر
لكن قد ذكرت دلائل جوازه في الكلام وامعنت في تفسير قوله وكفر به
والمسجد الحرام وليس مختلا من حيث اللفظ لانا قد استدللنا على جواز
ذلك ولا من حيث المعنى كما زعم الزمخشري رضي الله عنه بل المعنى عليه ويكون
على تقدير حذف اي يفتيكم في متلوهن وفيما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى
النساء وحذف لدلالة قوله وما يتلى عليكم في الكتاب واضافة متلو

تضطرد

وحكمه

في

الى ضميرهن

الى ضميرهن سائغة اذ الاضافة تكون بادنى ملابسة لما كان متلوا فيهن فصحت
الاضافة اليهن كما جاء بل مكر الليل والنهار لما كان المكر يقع فيهما صحت
الاضافة اليهما من ذلك المقول وقد نقل ايضا قول الشاعر
اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة واما قول الزمخشري رضي الله عنه فان ذلك
قد يكون لاختلاله في اللفظ والمعنى فهو قول الزجاج بعينه قال الزجاج
رضي الله عنه وهذا بعيد بالنسبة الى اللفظ والى المعنى اما اللفظ
فانه قد يقتضي عطف المظهر على المضمر وذلك غير جائز كما لم يجز في قوله
تساءلون به والارحام واما المعنى فانه سبحانه وتعالى افتى في تلك
المسائل وتقدير العطف على الضمير يقتضي انه افتى فيما يتلى عليكم في الكتاب
ومعلوم انه ليس المراد ذلك وانما المراد انه تعالى يفتي فيما سألوه من المسائل
انتهى كلامه وقد بينا صحة المعنى على تقدير ذلك المحذوف والرفع
على العطف على الله تعالى او على ضميره يخرجه عن التاسيس وعلى
الابتداء يخرج الجملة باسرها عن التاسيس وكذلك الجر على القسم والنصب
باضمار فعل والعطف على الضمير يجعله تاسيسا وان دار الامر بين
التاسيس والتاكيد كان حمله على التاسيس اولى ولا يذهب الى
التاكيد الا عند ايضاح عدم التاسيس قال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت بم يتعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول
هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى
النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخرين فبدل لا غير انتهى
كلامه ويعني بقوله في الوجه الاول ان يكون وما يتلى في موضع رفع
فاما ما اجازه في هذا الوجه من انه يكون صلة يتلى فلا يتصور
الا ان كان في يتامى بدلا من في الكتاب او يكون في للسبب لئلا
يتعلق حرفا جر بمعنى واحد بفعل واحد وهو لا يجوز الا ان كانا
على طريقة البدل او بالعطف واما ما اجازه في هذا الوجه ايضا من ان
في يتامى النساء بدل من فيهن فالظاهر انه لا يجوز للفصل بين
البدل والمبدل منه بالعطف ونظير هذا التركيب زيد يقيم
في الدار وعمرو في كسر منها ففصلت بين في الدار وبين في كسر منها
بالعطف والتركيب المعهود زيد يقيم في الدار في كسر منها وعمرو قال الزمخشري
رضي الله عنه فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة
بمعنى من كقولك عندي سحق العمامة انتهى والذي قد ذكره النحويون
ان الاضافة التي هي بمعنى من هي اضافة الشيء الى جنسه كقولك خاتم
حديد وثوب خز وخاتم فضة ويجوز الفصل واتباع الجنس لما يكون
قلة ونصبه وجره والذي يظهر في يتامى النساء وفي سحق عمامة
انها اضافة في معنى اللام ومعنى اللام الاختصاص وقرئ في يتامى
النساء بياء من اصله ايامى جمع ايم فابدلت الهمزة ياء والايم هي من لا زوج لها

مخشري

عمامة

ومعنى ما كتب لهن قال ابن عباس وغيره هو الميراث وقال آخرون
هو الصداق والمحاط بقوله لا توتونهن اولياء المرأة كانوا ياخذون
صداق المرأة ولا يعطونها شيئا وقيل المحاط بها اولياء
اليتامى كانوا يرغبون في الوالي في حجورهن ولا يعدلون
في صداقهن ويرغبون ان ينكحوهن ورُوي عن الامام سيدنا ومولانا
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان ياخذ الناس بالشدة في الغضارة
في هذا المعنى فكان اذا سأل الولي عن وليته فقيل له هي ذميمة
قال له اطلب لها من هو خير منك واغرم لها عليها بالسنع واذا قيل له
هي فقيرة ذميمة قال لها وبالتستر عليها من شرك انتهى
• والمستضعف من الولدان معطوف هنا على يتامى النساء وذلك
ان العرب كانت لا تورث الصبي ولا الصبية الصغيرين ولا الذين
لا يغنيان بالمال وكانوا يقولون انما يرث من يحمي الحوزة ويرد
الغنيمة ويقاتل عن الحريم فعرض الله تعالى لذلك واحدا واحدا
• وان تقوموا لليتامى ظاهره انه في موضع جر اي وفي قيامكم لليتامى
• بالقسط اي بالعدل والمراد بالقسط في سائر القرآن معناه هو
العدل والذي قلته في هذا المعنى قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم
الى اموالكم وجوز البخاري رضي الله عنه ان يكون في موضع نصب
بعطف وامركم ان تقوموا في ربع الظاهر والله في موضع رفع على
الابتداء والخبر محذوف تقديره وقيامكم لليتامى بالقسط خير لكم
• وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ما شرطية معمولة لفعل
الشرط كانه قال واي شيء تفعلوا او من خير يتبين لما انفهم
في لفظة ما • وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا نزلت
تلك الآية في ابي السائب ان بعلته تزوج امرأة فكثر عيرها وذلك
والنشوز تقدم شرحه وشيء من احكامه في صدر هذه السورة والاعراض
دون النشوز وقرئ ان يصلحا من اصلح وقرئ يصالحا
اصله يتصالحا فادغم التاء في الصاد وقرأ ابن مسعود وان اصالحا
جعل ان شرطية وامتحا فعلا ماضيا منهما صلحا والصلح خير
• واحضرت الانفس الشح هذا من باب الالتفات حمل الكلام
على معنى في معان واذ احضرته الانفس وسقت اليه وطبعت
واحضر الشح الانفس فكون مسوقا الى الانسان من قبل الانفس سيقت
اليه لكون الشح معجونا لا علينه الانسان ومركوزا في طبيعته وذلك
عام لا يختص في شيء وان تحسنوا وتتقوا قال الاستاذ ابن المنير
رضي الله عنه يعني وان تحسنوا في ان تعطوهن اكثر من حقهن وتتقوا في
ان لا تنقصوا من حقهن شيئا او ان تحسنوا ابقاء حقهن والتسوية
بينهن وتتقوا الجور والميل وتفضيل بعض على بعض وختم آخر هذه

الآية

في كتاب
وتاوا سمركتاب

الاية بصفة الخبير وهو علم ما يلطف ادراكه ويدق لامه قد مكر بين
ان وجين من حقايا الامور مما لا يطلع عليه الا الله تعالى ولا نظهر ان
ذلك لاحد وكان عمل ابن حنطان الحاد حي من اولاد بني ادم وامرأته
من اجلهم فجاءت في وجهه فطرها يوما ثم تابعت ذلك يقولها
الحمد لله فقال مالك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة
قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت
مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الصابرين والشاكرين
• ولن تستطيعوا الاية به سبحانه وتعالى على انفسكم استطاعة لعدل
بين النساء والتسوية حتى لا تقع جنف البتة ولا زيادة ولا نقصان
فيما تدعو الحاجة اليه وذلك اني وجدت الانسان عند ميله الى شيء من النساء
في الميل القلبي والتعهد في النظر والتأنيس والمكالمة فان التسوية
في ذلك محال خارج عن حد الاستطاعة او بالغ من الصعوبة حدا
يكاد يكون كالمحال لهذا اذا كن كلهن محرمات وعلق انتفاء الاستطاعة
في التسوية على تقدير وجود الحرص من الانسان على ذلك وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم
هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني بما تملك ولا املك يعني المحبة لان
عائشة رضي الله تعالى عنها كانت احب نسائه اليه رضي الله تعالى عن
امهات المؤمنين اجمعين امين والحمد لله رب العالمين • قال انه عز
وجل ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة • والمعلقة كما قال
قاله بعضهم هي التي ليست مطلقة ولا هي ذات بعل تغني زوجها
قال الراجز وهل يرجى الاحظة او طلاق • او حلف وما بين
• وفي حديث ام زرع وعندك زوجي العشق ان انطق اطلق وان اسكت
اعلق شبهت المرأة بالشيء المعلق من شيء لانه لا على الارض استقرت
ولا على ما علق فيه • وان سفر قال الصهر معلق على الرفحين وقد ان يذ
ابن افلح رضي الله عنه وان سفارقها لفعلة والمعنى رضي كل
واحد منهما بالمقام من صاحبه وقيل غير ذلك وقيل ذلك هو الطلاق
قيل ولا مدخل للنساء في الطلاق واجيب عما ورد من اثبات سنة للطلاق
بمشافهتها الزوج وسوء عشرتها بانه استقرأ انهما • يعني ان كلا من
حنوك الحصا في كل منهما يعني كل واحد من اذى وجني والظاهر
في العلم انه على المال وكان الحسن ابن علي رضي الله عنه فيما روي واطلعه
وقعة فقيل له في ذلك فقال اني رأيت الله عز وجل قد علق الغنى
بالمرين فقال وان يكنوا الايامى الاية وقال وان يتفرقا يغني الله كلا
من سعته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ومعنى وصينا اياكم امرنا اياهم ووصينا
اليهم واليكم ومن قبلكم يحتمل ان يتعلق باوتوا او بالله قرأ ابو حنيفة

ذاك تعليق بمر

هلكة

والمعنى ان الوصية بالتقوى سنة الله في الامم اي مع الامم السالفة
يعني الامر لمقدمتها ايانا ضمير منفصل منصوب معطوف على الذين في
سورة النساء بحرف الرسول وايانا فقدم الموصول وفك الضمير
لتقدمه وان مكان وقدم في سورة الممتحنة لشرف الرسول عليه الصلاة
والسلام ومثل هذا صحيح في الكلام كمررت بزيد واياك ومن
حصر ذاك بالشعر كابن عصفور والاجدى فهو واهم وان اتقوا يحتمل
ان تكون مصدرية اي بان اتقوا الله وان تكون مفسرة لقدر
اي اتقوا الله * وكان الله غنيا عن خلقه وعن عبادتهم فلا
تنفعه طاعتهم ولا يضره كفرهم حميدا اي مستحقا لان يحمد
لكثرة نعمه وان كفروه انتم ومن في الله وكلا اي حافظا محصيا
لاعمال الخلائق وقيل قادرا هان اندر في فاعل كفى بمعنى وفي
فلان اذا كان في فاعلها كقوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال
اي وقاهم اياه ولا يجوز في الكلام كفى بالله الا من الشر ان شا
يذهبكم ايها الناس ويات باخرين اي غيركم وذلك عام قد دخل
قدرة الله تعالى في اذهاب من شاء واتيان من شاء وقد
خصه قوم بمن كان بعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب
وغيرهم * قوله وياتي باخرين اي سواكم اخرين يريدكم ويدلوكم
اخرين اي فكون من جنس افئدة تحوات زيدا واخر فلا يكون اخر
من جنس زيد ولو قلت مررت برجل واخر لكن اخر الا في جنس الرجل
واجاز الزمخشري وابن عطية رضي الله عنهما في قوله ياتي باخرين ان يكونوا
من غير جنس الناس وهو خطاء لان غير يقع على المغايرة في الجنس كما
عدوا به بعضهم انتهى والله اعلم * وكان الله على ذلك قديرا من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
قيل ان هذه الاية نزلت في خصام جرى عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله كونوا قوامين هي صيغة مبالغة من
القيام بالقسط يعني الحذف شهداء لله ظاهره انه من الشهادة في
الحقوق ولذلك اتبعه بما بعده ولو على انفسكم اي بان تشهدوا
على انفسكم وتقرون بالحق اي تقرون بالحق وتقيمون القسط
عليها وانتصب شهداء على اثر خبر بعد خبر ومجيء لو هنا
لاشتقاقها لجميع ما يمكن فيه الشهادة لما كانت الشهادة من الانسان
على نفسه بصدد ان لا يقيمها لما جبل عليه البشر من محاباة نفسه ومراعاتها
نبه على هذه الحال وجاء هذا الترتيب للاشتقاق في غاية من
الحسن والفصاحة فبدا بقوله تعالى ولو على انفسكم لانه لا شيء
اعز على الانسان من نفسه ثم ذكر الوالدين وهما اقرب الى الانسان

وسبب

والمعنى ان الوصية بالتقوى سنة الله في الامم اي مع الامم السالفة
يعني الامر لمقدمتها ايانا ضمير منفصل منصوب معطوف على الذين في
سورة النساء بحرف الرسول وايانا فقدم الموصول وفك الضمير
لتقدمه وان مكان وقدم في سورة الممتحنة لشرف الرسول عليه الصلاة
والسلام ومثل هذا صحيح في الكلام كمررت بزيد واياك ومن
حصر ذاك بالشعر كابن عصفور والاجدى فهو واهم وان اتقوا يحتمل
ان تكون مصدرية اي بان اتقوا الله وان تكون مفسرة لقدر
اي اتقوا الله * وكان الله غنيا عن خلقه وعن عبادتهم فلا
تنفعه طاعتهم ولا يضره كفرهم حميدا اي مستحقا لان يحمد
لكثرة نعمه وان كفروه انتم ومن في الله وكلا اي حافظا محصيا
لاعمال الخلائق وقيل قادرا هان اندر في فاعل كفى بمعنى وفي
فلان اذا كان في فاعلها كقوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال
اي وقاهم اياه ولا يجوز في الكلام كفى بالله الا من الشر ان شا
يذهبكم ايها الناس ويات باخرين اي غيركم وذلك عام قد دخل
قدرة الله تعالى في اذهاب من شاء واتيان من شاء وقد
خصه قوم بمن كان بعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب
وغيرهم * قوله وياتي باخرين اي سواكم اخرين يريدكم ويدلوكم
اخرين ان تكون من جنس افئدة تحوات زيدا واخر فلا يكون اخر
من جنس زيد ولو قلت مررت برجل واخر لكن اخر الا في جنس الرجل
واجاز الزمخشري وابن عطية رضي الله عنهما في قوله ياتي باخرين ان يكونوا
من غير جنس الناس وهو خطاء لان غير يقع على المغايرة في الجنس كما
عدوا به بعضهم انتهى والله اعلم * وكان الله على ذلك قديرا من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
قيل ان هذه الاية نزلت في خصام جرى عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله كونوا قوامين هي صيغة مبالغة من
القيام بالقسط يعني الحذف شهداء لله ظاهره انه من الشهادة في
الحقوق ولذلك اتبعه بما بعده ولو على انفسكم اي بان تشهدوا
على انفسكم وتقرون بالحق اي تقرون بالحق وتقيمون القسط
عليها وانتصب شهداء على اثر خبر بعد خبر ومجيء لو هنا
لاشتقاقها لجميع ما يمكن فيه الشهادة لما كانت الشهادة من الانسان
على نفسه بصدد ان لا يقيمها لما جبل عليه البشر من محاباة نفسه ومراعاتها
نبه على هذه الحال وجاء هذا الترتيب للاشتقاق في غاية من
الحسن والفصاحة فبدا بقوله تعالى ولو على انفسكم لانه لا شيء
اعز على الانسان من نفسه ثم ذكر الوالدين وهما اقرب الى الانسان

وسبب

مد

وما في السموات
وما في الارض

وسبب مشاركة وقد امر بهما وتعظيمهما والحوطة لهما ذكر الاقربين
وبالحوطة المحتاجة والتعصب واذا كان اولاد اسرا مامورين في
حقهم بالقسط والشهادة عليهم فالاجنبي احرى بذلك ومتعلق
قوله على انفسكم محذوف فان القدر وان كنتم شهداء على انفسكم
فكونوا شهداء لله هذا تقدير الكلام وقال ابن عطية رضي الله عنه
وكون على انفسكم مستقلا بشهادة اية يدعي بشهادة هذا الملفوظ
به فلا يصح ذلك وان عنى الذي قرناه نحن فصحيح وقال الزمخشري
رضي الله عنه ويجوز ان يكون المعنى اي وان كانت الشهادة وبالا
على انفسكم او على آبائكم واقاربكم وذلك ان تشهدوا على من
توقع ضرره من سلطان ظالم او غيره انتهى وما قاله الزمخشري لا يتأتى
ما خلق به الظرف كونه ذلك مقيدا ولا يجوز حذف الكون المقيد
لو قلت كان زيد فوقك وانت تريد مجتمعا فوقك لم يجز لان مجتمعا
كون مقيد وما اراد ذلك كائن في الكون المطلق وهو مقدر
كائن او مستقر • ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي ان
يكن المشهود عليه غنيا فلا يمتنع من الشهادة عليه لاجل غناه
او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه واشفاقا فعلى هذا يكون ذلك
الجواب محذوفا لان العطف هو با • وقوله بين الضمير اذا
عطف عليه بها بل بمجرد فقد الجواب فلتشهد عليه ولا تراعي
الغنى لغناه او الحق في غنيه ولا الفقر لمسكنته وفقره ويكون
قوله فالله اولى بهما تسير هو الجواب بل لما جرى هنا ذكر الغني
والفقير عاد الضمير على ما دل عليه ما قبله كما قد قيل فالله
اولى بجنس الغنى والفقر اي بالاغناء والافتقار وفي قراءة
ابي فالله اولى بهم ما يسهد بارادة الجنس وذهب الاخفش
وقوم الى ان او هنا بمعنى الواو وعلى قولهم يكون الجواب فالله اولى بهما
حيث شرع الشهادة عليهما وهواها نظر لهما منكم ولولا ان
الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها • وان تلووا او تعرضوا
او تعرضوا الظاهر ان الخطاب هنا للمامورين بالقيام بالقسط
والشهادة لله عز وجل والمنهيين عن اتباع الهوى ومعنى ان
تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل ان تعرضوا عن
الشهادة بما عندكم وتمتنعوا منها وقرئ وان تلوا بضم اللام بواو واحدة
• وان الله كان بما تعملون خبيرا هذا فيه وعيد شديد لمن لوى
او اعرض عنها • يا ايها الذين امنوا خطاب للمؤمنين ومعنى
امنوا ادوموا على الايمان ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما امر
المؤمنين بالقيام بالقسط والشهادة لله تعالى بين انه لا يصح
بذلك الا من كان راسخ القدم في الايمان بالاشياء المذكورة في هذه الاية

كتبه وهمه

ظ
ي

امنوا

وامرها ان الذين امنوا اي في المنافقين ام المراد عبد الله بن
ابي حيث قالوا للمؤمنين قالوا امنا وحيث خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم انما نحن مستهزئون وذلك جاء بعد ما سئل المنافقين بان لم عذلما اليما
فبقولهم لم يكن الله ليغفر لهم قال ابن عمر رضي الله عنه نفى المغفرة
والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد
بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الثابت الخالص الذي ظاهر
كلامه انه يقول الكوفيين واصحابهم يقولون اذا قلت لم ازد اليوم
ان خيرا لم يكن ما قولك يقوم واللام زيدت كيدر مدرت في النفي
والمعنى هما ما استقام وذكرت ان مضمرة بعد لكن اللام هي
الناصبة والمضارع يقولون انه نصب باضمار ان وينسبك من ان
المضمرة والفعل بعدها مصدر وذلك المصدر لا يصح ان يكون
خبرا لان فيحتاج الخبر عنه بحجة وكل الخبر محذوف واللام لها
معنوية لتعديته ذلك الخبر الى المصدر واضمرت ان بعدها
وصارت اللام كالعوض من ان المحذوفة ولهذا لا يجوز حذف
هذه اللام ولا الجمع بينها وبين ان ظاهرة او مضمرة ومعنى قوله
هنا والمراد بنفيهما نفي ما قد يقتضيهما ان المحق لم يكونوا ليوصفوا ان
فيغفر لهم ولا لتهديهم سبلا الذين يتخذون الذين خبر مبتدا
محذوف او منصوب على الذم كما قال اذم الذين او صفة لقوله
المنافقين وقد نزل عليكم في الكتاب ان اظاهره خطاب
للمؤمنين الذين يجالسون المنافقين ولذلك قال تعالى فلا تقعدوا
معهم نهوا عن القعود ولذلك جاء بعده انكم اذا مثلهم وقد
قال ابن في قوله ان اذا مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان محذوف
تقديره انه واجملة بعد الشرط خبرها وجوابه فلا تقعدوا
وحتى غاية نهوا ان تقعدوا معهم الا في وقت يخوضون في غير الكفر
والاستهزاء وذلك في قوله انكم اذا مثلهم توسطت بين اسم ان وبين
خبرها ومعناها معنى الشرط تقديره انكم اذا قعدتم معهم مثلهم
ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتخذون هم في
الدنيا اولياء جمع سبهم في الآخرة في النار والمراد من اتخذوهم في
ذلك تعليل تاكيدية النهي عن مجالستهم ومجالطتهم الذين يتربصون
بكم الدوائر ان يحوذا الاستيلاء والتغلب ويقال حاذ يحوذ
حوذ اوايا حاذ اذا كان الفعل ان يقال للحماد كما يقال استطال
وكلها سدت هذه النقطة فصحت الواو اي فصحت العين وهي
الواو فلم تقلب الفا كما قلبت في المقام واصله المقوم وفي الآية
الذين يتربصون بكم ما ينجر دمن الاحوال من ظفركم او بكم
فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم نظاهركم والمعنى قاسموا

لنا بحكم

يحكم ان تواليكم فلا تؤذكم ولا تترك احدا يؤذيكم فالله يحكم بينكم
يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يحتمل ان
يكون ثم معطوفا او محذوفا وقد مر وسيهم ويحتمل ان لا يكون
هناك ثم عطف ويكون قوله بينكم شاملا للمؤمنين والكفار
وعلى هذا فيه التفات وقوله سبيلا يعني في الآخرة وقيل سبيلا
اي للاستئصال بداءة الاسلام في الدنيا ومعنى خادعهم
اي مشرك الخادع بهم وهذه عبارة عن عقوبة سماها باسم
الذنب فعقوبتهم في الدنيا لهم وخوفهم في الآخرة بعذاب
عذاب النار الذي قدروا عدوه وقرئ خادعهم بسكون
العين وكسالى جمع كسلان وفعلان هذا يجمع على فعالى
كهذا وعلى فعالى كعصبان وعصابا والكسل معناه عند
العلماء هو التوقر عن الشيء والتواني اي التغافل عنه ويدل
ضد النشاط وقال بعض الشعراء في ذم من يميل الى الملذات
وما انتسابي الى الاسلام الا له لصون دمائهم اين لا نشالا
فيأتون المنكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالا
وانتصب قليلا على انه نعت لمصدر محذوف تقديره الا ذكرا
قليلا قال ابن مخشري رضي الله عنه يجوز ان يراد به الكثرة لانه
انتهى ولا يجوز ان يراد به هنا العدم لان الاستثناء يأباه وقد
رد وا هذا القول على ابن عطية بان هذا اسوء وقرأ
الحسن البصري رضي الله عنه مذبذبين بفتح الميم والذال بمعنى
مذبذبين قال ابن عطية رضي الله عنه وهي قراءة مردودة انتهى والحسن
البصري رضي الله عنه من افصح الناس يحتج به اي فكيف فلا ينبغي
ان ترد قراءته ولها وجه في العربية وهو ان اتبع حركة
الميم لحركة الذال واذا كانوا قد اتبعوا حركة الميم لعين الكلمة اي
لحركة عين الكلمة في مثل منين وسيما فخصص فلان تتبع
تتبع حاجز اولى وكذا اقص من اجل حركة عين منفعل لحركة اللام
في حالة الرفع فقالوا منحدر وهذا اقيس لان حركة الاعراب
ليس بناء بنية اي ليست ثابتة بخلاف حركة البناء وهذا كله توجيه
شذوذ وعلى تقدير صحة النقل عن الحسن البصري رضي الله عنه انه قرأ مذبذبين
بفتح الميم والله اعلم وقوله مذبذبين اي متحيرين بين ذلك
اي بين الايمان والكفر وذلك هو اسم لانسان متردد قد شارف ان
يثبت كما قال الله تعالى عوان بين ذلك اي بين الفارض والبكر
وقال لبيد رضي الله عنه

ان للخير ولشر مدى وكلا ذلك وجه وقبل

اي كلا ذينك وهو الخير والشر وروي متذبذبين بالتاء اسم فاعل

اي الامور المنكرة

اي مواجهة بالخير ومقابلة بالشر

من قد تدف اى اضطرب وانتصب مذبذبين على الحال من
ضمير فاعل يراؤن وقرئ ولا الى هؤلاء يعنى فاعل يذكرون فتكون الاشارة
قد اتى المرآة وفى الذكر الاذبذبة وصف ذات لهم فالاولى
ان تكون الاشارة الى الكم كما قيل ادم مذبذبين بين ذلك
قال الشاعر ولا الحجاج عيني بيت ماه كما قيل ادم عيني بيت
ماء هو قد يتعلق بما يحذف ايضا بقوله لا منسوبين اى هؤلاء
ولا منسوبين لاحد الى هو فى موضع الحال ومن يضلل الله فلن تجد
سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين هو عام يشمل المنافقين كبنى قريظة اذ كان منهم بين
الانصار حلف وضياع ويشمل الكافرين من غيرهم وقولهم من
دون المؤمنين يجيء المهاجرين ويكون ايها الذين امنوا خطابا
للانصار وغيرهم من امة المؤمنين سلطانا مبينا اى حجة
ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار قال ابن عباس رض
الله تعالى عنهما اكذبهم لله هل النار كالدرج لاهل الجنة
الا ان الدرجات بعضها فوق بعض والدركات بعضها اسفل من
بعض وقال ابو عبيدة رضى الله عنه الدركات فى الطبقات واصلها
من الادراك اى فى منزل ذكر مثل جحفة وقرئ فى الدرك بسكون
الراء الا الذين استثناء من المنافقين تابوا من النفاق واصلحوا
اعمالهم وتمسكوا بما هو كتابهم واخلصوا دينهم لله اى لا يبتغون
بعمل الطاعات الا وجهه سبحانه وتعالى ولما كان النفاق مصفا
بنفاق من هذه الاوصاف من الكفر وفساد الاعمال والموالاة للكافرين
والاعتذار بهم والمراآة للمؤمنين سلط فى توبتهم ما ينافى كل الاوصاف
وهو الثقة من النفاق وهى اوصف المحتوى على بقية الاوصاف من
حيث المعنى ثم فصل ما ادخل فيها وهو الاصلاح للعمل المستانف المقابل
لفساد اعمالهم الماضية ثم الاعتصام بالله عز وجل فى المستقبل وهو المقابل
لموالاة الكفار والاعتماد عليهم فى الماضى ثم الاخلاص فى الدين لله تعالى وهو
المقابل للرياء الذى كان لهم فى الماضى ثم بعد تحصيل هذه الاوصاف جميعها
اشار الى ذلك وفى رواية انه اشار اليهم انهم مع المؤمنين ولم يحكم عليهم بانهم
المؤمنون وله من المؤمنين وان كانوا قد صاروا من عينى تنفير لما كانوا
عليه من عظم كفر النفاق وتقطيعا لحال من كان متدسسا به وقوله مع
المؤمنين اى رفقاءهم ومصاحبوهم وسوف يؤت الله المؤمنين
اجرا عظيما اى فى سوف لان اتاءه الاجر هو يوم القيامة وهو
زمان مستقبل كثير قريبا من الزمان الحاضر وقد قالوا ان سوف
ابلغ فى التنفيس من السين ولم يعد الضمير عليهم فيقال وسوف
يؤتيهم بل اظهر ذلك الاجر للمؤمنين وهم رفقاؤهم شاركوهم فيه

وبشر المنافقين

وبيا امرهم ما تفعل الله بعذابكم ان شكرتم واتقيتم ما الاستفهامية
في موضع نصب بفعل يفسره اي شيء يفعل ومعناه النفي اي ما يعذ
واجيز ان تكون شرطية والباء في قوله بعذابكم زائدة يعني ان
شكرتم واتقيتم قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر ما عليه
من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا منهما في
اثره ثم النظر الى معرفة المنعم فمن ثم شكر شكرا مقدما فكان
الشكر متقدما على الايمان فكانه اول التكليف ومتداده
وكان الله شاكرا اي مثيبا موفيا اجوركم والي في صفة الشكر
باسم الفاعل دليل على انه مستقل ولو قلت شكر من
العمل تسمية عليما بشكركم وايمانكم فيجازيكم وفي قوله علما تحقيق
وندب الى الاخلاص لله عز وجل * لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم الآية سيقت وطا ومناسبتها لما قبلها ان الله تعالى
لما ذكر من احوال المنافقين ومذمتهم واظهار فضايحهم ما ذكر وبين
ظلمهم واهتضامهم حارب المؤمنين سوغ لهم ان يذبوا
بما فيهم من الاوصاف الذميمة وقد قال عليه الصلاة والسلام
اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس * وقوله عز وجل في الآية
الكريمة الا من ظلم اي الا لمظلوم فانه عز وجل لا يحب الجهر بالسوء
وفيه غمان لصدور معتزلي الف وهي مسالة خلاف وحد
سيبويه رضي الله عنه جواز ذلك قال ابن عطية رضي الله عنه واعرب
من يحمل في بعض هذه الاوقات النصب ويحمل الرفع على
البدل من احد المعذر انتفى بمعنى ما احد المقدر في المصدر اي ذو
العذر دون ان يجهر احد وما ذكره من جواز البدل لا يصح وذلك
لان الاستثناء المنقطع اذا تقدمه نفي سوغ فيه البدل وهو ما كان
توجه العامل عليه نحو ما في الدار احد الا حمار فهذا فيه
البدل في لغة تميم والنصب على الاستثناء المنقطع في لغة
اهل الحجاز وانما جاز فيه البدل لانك لو قلت ما في الدار الا
حمار صح المعنى وقسم يحتم فيه النصب على الاستثناء ولا يسوغ فيه
البدل البدل وهو ما لا يمكن توجه العامل عليه نحو ما زاد
الا النقص البدل هنا لكن النقص حصل له فهذا لا يمكن ان يتوجه
زاد على النقص ليصح المعنى والآية قد تكون من هذا القسم ايضا
لانك لو قلت لا يحب الله ان يجهر بالسوء من القول الا الظالم
فمن المتوقع ان يجهر لان يجعل في الظالم لم يصح المعنى فيها ايضا
قال ابن مجاهد رضي الله عنه ويجوز ان تكون مرفوعا قائمة فتقول
لا يحب ان يجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد
الا عمرو ومعنى ما جاءني الا عمرو ومنه قوله تعالى في الآية الكريمة قال لا يعلم

انتهى هذا الذي جوزه الزمخشري رضي الله عنه لا يجوز لانه لا يمكن ان يكون الفاعل
يذكر لغوا ابدا ولا يمكن ان يكون الظالم بدلا من الله ولا عمرو بدلا من زيد
لان البدل في هذا الباب راجع الى كونه بدل بعض من كل اما على
سبيل الحقيقة نحو ما قام القوم الا زيدا واما على سبيل المجاز نحو ما في
الدار احد الا حمار وهذا لا يمكن فيه البدل المذكور لا على سبيل الحقيقة
ولا على سبيل المجاز لان الله عليم وكذلك زيد هو زيد فلا يمكن ان يتخيل
فيه عموم فيكون الظالم بدلا من الله وعمرو بدلا من زيد واما ما يجوز فيه
البدل من الاستثناء المنقطع فانه يتخيل فيما قبله عموم ولذلك صح
البدل فيه على طريق المجاز وان لم يكن بعضا من المستثنى منه حقيقة واما
قول الزمخشري رضي الله عنه على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو فلا
نعلم هذه اللغة الا ان كان في كتاب سيبويه بعد ان انشد ابياتا من
الاستثناء المنقطع آخرها قول الشاعر عشية لا تغني الرماح مكانها
ولا النبل الا المشرفي المصمم كذا نصه رضي الله عنه وهذا يقوي ما تقدم
من قولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه لانها معارف
ليست للاسماء الآخرة اي لانها قد تكون مثلها وقد لا تكون منها ايضا
انتهى كلام سيبويه رضي الله عنه ولم يصرح ولا لوح ان قوله ما اتاني زيد الا
عمرو من كلام العرب وقال من شرح كلام سيبويه فهذا يقوي ما اتاني
زيد الا عمرو نظير البيت لانه يتخيل عموم في البيت على سبيل
المجاز كانه قيل لا يغني السلاح مكانها المشرفي بخلاف ما اتاني زيد
الا عمرو فانه لا يتخيل في ما اتاني زيد عموم البتة على انه لو سمع
هذا من كلام العرب وجب تاويله حتى يصح البدل فكان يقدر
ما جاءني زيد ولا غيره الا عمرو وكان يدل على حذف هذا
المعطوف وجود هذا الاستثناء اما ان يكون على الغاء الفاعل وزيادته
او على كون عمرو بدلا من زيد فانه لا يجوز لما ذكرناه واما قول الزمخشري رضي
الله عنه واما قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
فليس هو من باب ما ذكر لانه يحتمل ان يكون بدلا من مفعوله فالغيب
بدلا من من بدل اشتمال اي لا يعلم غيب من في السموات والارض الا الله
اي ما يسرونه وما يخفونه لا يعلمه الا الله عز وجل وان سلمنا ان من
مرفوعة فيجوز ان يكون الله بدلا من من على سبيل المجاز في من لان
من في السموات يتخيل فيه عموم كانه قيل قل لا يعلم الموجودون الغيب
الا الله او هو على سبيل المجاز في الظرفية بالنسبة الى الله عز وجل اذ جاء عنه
ذلك في القرآن وفي السنة كقوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وفي الحديث اين الله قالت في
السماء ومن كلام العرب لا وذو في السماء بيته يعنون الله تعالى واذا احتملت
الآية هذه الوجوه لم يتعين حملها على ما ذكرنا وتخفوه الظاهر ان الهاء

في تخفوه

٢٠٨

في نحوه تعود على الخبر قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد من اعمال البر كالصيام
والصدقة ان الذين يكفرون قيل نزلت هذه الآية في شأن
اليهود والنصارى وجعل ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض كفر
بالله ورسوله وقوله بين ذلك يعني بين الايمان والكفر والجملة
من قوله اولئك وما بعدها خبر لان والافعال التي قبل
ذلك صلات للذين بدأ اولا باشنعها وهو الكفر بالله وبرسله اذ هم متظاهرون
بذلك ثم الاعتقاد القلبي وهو ارادة التفريق بين الله ورسله ثم التلاعب
بالدين في كونهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه وانتصب حقا على انه
نعت لمصدر محذوف تقديره كفرا حقا ويجوز في اعراب هم ان يكون مبتدأ
والكافرون خبره ويجوز ان يكون هو فصلا والكافرون خبر عن اولئك ويجوز
ان يكون بدلا من اولئك والبدل من المبتدأ مبتدأ فيكون الكافرون خبرا
عن لفظ هم ويجوز ان ينتصب حقا على انه توكيد لمضمون الجملة والعامل محذوف
تقديره احق ذلك حقا لما تقدم ذكر الكافرين ذكر مقابلهم وهم المؤمنون
وذكر ما اعد لهم كما ذكر ما اعد للكافرين وختم آية المؤمنين بقوله غفورا
رحيما اي غفورا لمن يقع منه بعض ذلك رحيما به لكونه لا يؤاخذه يسألك
اهل الكتاب عام في اليهود والنصارى وقيل خاص باليهود وسؤالهم هنا
تعنت ولذلك قالوا ان تنزل علينا كتابا من السماء والتنزيل انما هو
لله عز وجل لا اليه وقد نزل عليكم اشرف الكتب واعظمها وهو القرآن فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وقدره ابن عطية قبل هذا كلاما
محذوفا فجعله الزمخشري شرطا هذا جوابه وتقديره وان استكبرت
ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وقدره ابن عطية رضي الله
عنه فلا تسأل يا محمد عن سؤالهم وتسطيطهم فانها عادتهم فقد
سألوا موسى اكبر من ذلك اي اعظم مما سألوك في نزوله واسند السؤال اليهم
وان كان انما وقع من آبائهم من نقبائهم السبعين لانهم راضون بفعل
آبائهم ومذاهبهم ومشابهون لهم في التعنت وقرئ اكثر بالثاء مكان الباء
وتقدم تفسير باقي الآية في سورة البقرة والباء في قوله فبما نقضهم
ميثاقهم تتعلق هنا بمحذوف فقدره الزمخشري اي فعلنا بهم ما فعلنا وقدره
ابن عطية لعناهم واذللناهم وجوزوا ان تتعلق بقوله حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله
فبما نقضهم ميثاقهم وقاله الزجاج وابو بكر والزمخشري رضي الله عنهما وهذا
فيه بعد لكثرة الفواصل بين البدل وبين المبدل منه ولان المعطوف
على السبب سبب فيلزم تأخر بعض اجزاء السبب الذي للتحريم في الوقت
عن وقت التحريم فلا يمكن ان يكون جزء سبب او سببا الا بتأويل
بعيد وبيان ذلك ان قولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا
المسيح متأخر في الزمان عن تحريم الطيبات عليهم فالاولى ان يكون التقدير

لعناهم وقد جاء مصرحا به في قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
قال ابن عطية رضي الله عنه وحذف هذا الكلام بليغ متروك مع
ذهن السامع انتهى نسبة ما يتعلق به المجرور بانه جواب اصطلاح
لم يعهد في علم النحو مطلقا ولا تساعده اللغة لانه ليس بجواب
والظاهر في قوله وبكفرهم وقولهم انه معطوف هنا على نسبة
الكفر اليهم بحسب متعلقاته اذ كفروا بموسى ثم كفروا بعيسى
ثم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم فعطف بعض كفرهم على بعض
فقال ايضا ما قد تقدم في شانهم انتهى قال الزمخشري رضي الله عنه
او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل
فجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبياء وقولهم
قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقولهم انا قتلنا
المسيح عيسى ابن مريم عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين
كفرهم وكذا وكذا وقال الزمخشري رضي الله عنه ايضا فان قلت
هل لا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه
قوله بل طبع الله عليها بكفرهم فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم
طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقرير
لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم ردوا انكار لقولهم قلوبنا غلف
فكان متعلقا به انتهى وهو جواب حسن ويمتنع من وجه اخر
وهو ان العطف بل يكون للاضراب عن الحكم الاول واثباته الثاني
على جهة ابطال الاول والانتقال عاما في كتاب الله تعالى في
الاخبار فلا يكون الا للانتقال ولا يستفاد من الجملة الثانية
ما لا يستفاد من الاولى والذي قدره الزمخشري رضي الله عنه لا يسوغ
فيه هذا الذي قررناه لان قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات
الله وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم اي بل طبع الله على قلوبهم
فهذا هو مدلول الجملة التي صحبتها بل وهو قوله بل طبع الله عليها
بكفرهم فافادت الجملة الثانية ما افادت الجملة الاولى وهو لا يجوز
لو قلت مر زيد بعمرو بل مر زيد بعمرو لم يجز وقد اجاز ذلك ابو
البقاء رضي الله عنه وهو ان يكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم
وكذا وكذا طبع على قلوبهم وقيل التقدير فبما نقضهم ميثاقهم لا يؤمنون
الا قليلا والفاء مقحمة وما في قوله فبما نقضهم كهي في قوله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم وتقدم الكلام فيها والبهتان العظيم
هو رميها عليها الصلاة والسلام بالزنا مع رؤيتهم الاية البينة في
ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام من كلامه عليه الصلاة والسلام
في المهد وقولهم رسول الله هو على سبيل الاستهزاء به منهم كقول فرعون
لعنه الله تعالى ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وفي الكلام حذف تقديره

وصلبناه

الجواب

وصلبناه ولذلك نفاه في قوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم هذا اخبار منه سبحانه وتعالى بانهم ما قتلوا عيسى
ولا صلبوه واختلف الرواة في كيفية القتل والصلب وفيمن القي
الشبه عليه اختلافا كثيرا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ذلك شيء وشبه مبني للمفعول ولهم في موضع المفعول الذي لم يسم
فاعله والذي نعتقده ان المشبه لهم هو الملك المخرق الذي
كان في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام لما رفعه الله تعالى اليه
فقدوه اخرج شخصا وقال لهم هذا عيسى فقتله وصلبه
قيل ولا يجوز ان يعتقد ان الله عز وجل القى شبه عيسى عليه
الصلاة والسلام على واحد منهم لان ذلك تطرق الى السفسطة
كما ادعى بعض الجهال في الشيخ القرشي رضي الله عنه وكان شيخا مجذوبا
انه كان اذا اراد ان يخلو بامرأته للوطء برز لها في صورة شاب امرد
حسن الوجه حسن الصورة وحكى لنا عن بعض من كان تولى مشيخة
الصوفية بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة انه تكلم مع بعض
العلماء في انه يكون في الآن الواحد بشكله وصورته في مكان ثم يكون
بشكله وصورته في ذلك الآن في مكان آخر وعند هؤلاء المنتمين للصوفية
من المكابرات وتجويز المستحيلات والالهامات شيء كثير وان الذين
اختلفوا فيه الضمير قيل عائد على اليهود واختلافهم انه ليس برسول وانه
ليس لرشدة والظاهر انه عائد على النصارى واختلافهم فيه ان
بعضهم يقول قتل وبعضهم صلب وبعضهم يقول قتل ناسوته
لا لاهوته وبعضهم يقول لم يقتل ولم يصلب واليقين الذي
صح فيه نقل الكافة عن حواسها هو ان شخصا صلب واما هل
هو عيسى ام لا فليس هو من علم الحواس الا اتباع الظن استثناء منقطع
اذ اتباع الظن ليس مندرجا تحت قوله من علم وقال ابن عطية رضي الله عنه
هو استثناء متصل اذ الظن والعلم يضمهما جنس واحد انهما من جملة
معتقدات اليقين ولان الظن ليس هو من معتقدات اليقين لانه ترجيح
احد الجائزين وعلى تقدير ان الظن والعلم يضمهما ما ذكر فلا يكون من
ايضا استثناء متصلا لانه لم يستثن الظن من العلم فليست التلاوة
ما لهم به من علم الا الظن وانما التلاوة الا اتباع الظن والاتباع للظن
لا يضمه والعلم جنس ما ذكر والظاهر ان الضمير في قتلوه عائد على
عيسى عليه الصلاة والسلام وانتصب يقينا على انه مصدر في موضع الحال او نعت
لمصدر محذوف او بمعنى حقا فيكون مصدرا لمضمون الجملة ومن ذهب
الى انه معمول لقوله رفعه الله اليه فيكون فيه تقديم وتأخير فقوله
خطأ لان ما بعد بل لا يعمل فيما قبلها وان من اهل الكتاب ان تأتيه
والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه التقدير وما احد من اهل

هنا

الكتاب

كما حذف في قوله وان منكم الا واردها وقال الزمخشري رضي الله عنه قوله
الا ليؤمنن به قبل موته هي جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره
وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام
مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى ما من اليهود احد الا
ليؤمنن به انتهى وهو غلط فاحش اذ زعم ان ليؤمنن به جملة
قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف الى آخره وصفة احد المحذوف
انما هو الجار والمجرور وهو من اهل الكتاب والتقدير كما قد
ذكرناه ايضا وان احد من اهل الكتاب واما قوله ليؤمنن به
فليست هي صفة لموصوف ولا هي جملة قسمية كما قد زعمه
انما هي جملة جواب القسم والقسم محذوف والقسم وجوابه في موضع
خبر المبتدا الذي هو احد المنظوم اذ لا ينتظم من احد والمجرور
اسناد لانه لا يفيد وانما ينتظم الاسناد بالجملة القسمية
وجوابها فكذلك هو محط الفائدة وكذلك ايضا الخبر الا له مقام
معلوم وكذلك قوله الا واردها اذ لا ينتظم من قبل الا تركيب اسنادي
والظاهر ان الضمير في به وقبل موته عائدان على عيسى عليه الصلاة
والسلام وهو سياق الكلام والمعنى من اهل الكتاب الذي
يكونون في زمان نزوله روي ايضا انه ينزل من السماء في
آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام قاله ابن عباس وغيره وقال ابن عباس
ايضا وجماعة الضمير في به لعيسى وفي موته للكتابي قالوا ومعنى الآية
انه ليس يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه الصلاة والسلام ويعلم انه نبي ولكن
عند المعاينة للموت فهو ايمان لا ينفع كما قال الله عز وجل ويوم القيامة
يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
والطيبات هي ما ذكره الله تعالى في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
عليهم كل ذي ظفر الآية واحلت لهم جملة في موضع الصفة لطيبات
والمعنى كانت احلت لهم وانتصب وانتصب على انه نعت لمصدر محذوف
تقديره صدا كثيرا وقد نهوا عنه جملة حالية تؤذن بتقبيح فعلهم
اذ ما نهى تعالى عنه يجب ان يبعد منه قالوا والزنا محرم في جميع
الشرائع وقوله بالباطل هو الرشا الذي كانوا ياخذونه على تغيير
شرائعهم لكن الراسخون في العلم منهم الآية مجيء لكن هنا في غاية الحسن
لانها داخلة بين نقيضين وجوابها وهما الكافرون والعذاب
الاليم والمؤمنون والاجر العظيم والراسخون الثابتون المتقون
المستبصرون منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون يعني
منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار والظاهر انه عام فيمن
آمن وان تقع الراسخون على الابتداء والخبر يؤمنون لا غير لان المدح قد

لا يكون

المحذوف

لايكون الا بعد تمام الجملة الاولى ومن جعل الخبر اولئك سيؤتيهم
فقوله ضعيف وانتصب قوله والمقيمين على المدح وارتفع قوله
والمؤتون ايضا على اصلهم على سبيل القطع الى الرفع والجوار
يعطف على المرفوع قبله لان القطع اذا وقع في شيء منه لم يعد
ما بعد ج اعراب المنعوت وهذا القطع لبيان فضل الصلاة وان كان
فكرة الوصف بان جعل في جملة فرق والمقيمون بالرفع عطفا
على المرفوع قبله قال ابن عطية قرئت بين الاية والبيت يعني بيت
الخرنق وكان ابن كثير قطع وقال ابن عطية قوله وفي البيت ثم ذكره
ايضا فقال وهم انان لك بكل محترك والطيبون منهم من عاقد
يعني بحرف العطف الذي هو مذكور في الاية فانه سمع عند بعضهم تقدير
الفعل في هذا نظر اتنهى وقد بين ان منع ذلك فهو فكي محجوج بثبوت ذلك
في كلام العرب مع حرف العطف ولا نظر في ذلك كما قال ابن عطية رضيا
عنه وقد قال الشاعر ايضا وارى لي بسوة عطل وحسانا
مثل الشعالي وذكر ان محترك صفة وجوها في قوله والمقيمين
انها قد تكون في موضع جر عطفا على الضمير في منهم اي ومن المقيمين او
عطفا على ذلك اي ومن قبل المقيمين او عطفا على الكاف في ظهورهن في تلك
واجاز ومن قرا والمقيمون بالرفع ان تكون في موضع خبر مبتدا محذوف
او عطفا على الضمير المستكن في قوله وان تحنوا او على الضمير المستكن في لوشئنا
او على الضمير المستكن في يؤمنون وهذه اعاريب قيلت كراهة الفصل بينها
ولا محل اعتقاد شيء منها ولولا ان البخاري وابن عطية ذكراها وهما يدعى
فيها انها اهل لمن صنف من التفسير لما ذكرت ذلك اسد ا انا اوحينا اليك
جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسولا صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم
كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر
الانبياء الذين سلفوا والنبيين جمع عامر جرد منهم ما ذكره تعالى في
قوله ولوحينا الى ابراهيم تعظيما لهم وتنبيها على انهم اشرف من غيرهم
اذ كانوا اصحاب ملك كملكه موسى عليه الصلاة والسلام وقرئ
زبورا بضم الزاي جمع زبور كرسول ورسل وعمدوا لزبور هو الذي
اتاه الله داود وقد انزل له عليه قرآن قيد وقد عرف وهو
يقتضي مواعظ وامثالا كثيرة والتصاق رسلا على اضمار فعل
اي قد قصصنا رسلا عليك نحو زيدا الاستغال ولجملة بعدها من
قوله قد قصصناهم مفسرة لذلك الفعل المحذوف ويدل على هذا قراءة
ابي ورسل بالرفع ويوقف على هذا قراءة ابي ورسل بالرفع ويوقف على
ما انكرة هنا لانه موضع تفصيل كما انه واقع بعد ولو ترى
باجر وقوله بشق لم يكن الا بمشق وفتح الميم على ارفع
كون العطف على جملة فعلية وهي وآتينا من داود زبورا وكلم الله موسى
تكليما

هذا اخبار بان الله سبحانه وتعالى قد شرف موسى بكلامه له واكدها بالمصدر
المفهوم دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجاز وهذا هو الغالب
وقد جاء التاكيد بالمصدر في المجاز الا انه قليل فمن ذلك قول هند بنت
النعمان بن بشير الانصاري على الحرث زوجها واكرمك وعجل عتقها
من حدام الطواف وقال وقعت لولا التاكيد بالمصدر لجاز ان يكون
كما تقول قد كلمت لكن فلانا بمعنى كتبت اليه رقعة وبعثت
اليه رسولا فلما كان كذلك وقال الله عز وجل تكليما لم يكن الا حقا
مسموعا من الله عز وجل وسئالة الكلام مما طال فيه الكلام واختلف
فيه علماء الاسلام وبهذه المسالة سمي متكلم اصول الدين علم الكلام
وهي مسالة يبحث عنها في اصول الدين وقرئ وكلم الله موسى بنصب
اي بنصب الجلالة ورسلا بدل من قوله ورسلا وجملة من قوله وكلم
الله موسى تكليما جملة اعتراضية بين البدل والمبدل منه افاد
تشريف موسى عليه الصلوة والسلام بتكليمه تعالى اياه وبندرج في قوله
ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل اي مبشرين بالثواب ومنذرين
بالعقاب ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل كما قال الله تعالى في
اية اخرى ان نقول الا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير
ونذير وكذلك الله شهد بما انزل اليك الاية استدراك بكن هنا
ليست هي فتقدم جملة محذوفة لان تكن لا تبتدا بها والتقدير
ما روي في سبب النزول وهو انه لما انزل الله تعالى انا اوحينا اليك
قالوا لنشهد ذلك لعبدك افترى لكن الله يشهد بما انزل اليك
انزله بعلمه اثباته باظهار المعجزات كما اثبت
الدعاوي بالبينات وقرئ لكن الله بالتشديد ونصب علمه حالا اي
انزله معلما به او ملتبسا بعلمه اي علما به والله يشهد
فيشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد
ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا قوله تعالى
الا طريق جهنم هو مستثنا من قوله طريقا وطريقا منصوب بنزع الخافض
لان الاستدراك لم يكن اصله مريدا اهداءهم واذا انتفت ارادة الهداية
انتفت الهداية للطريق واذا انتفت الهداية انتفت الطريق وهذا
على طريقة البصريين واما الكوفيون فالنصب عندهم اولا على الهداية
وتقدم الكلام على لام الجحود في قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم
يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق والغلو
التجاوز في الامر ومعنى في دينكم الذي انتم مطلوبون به لا دينكم المضلول
والظاهر ان اهل الكتاب المراد بهم النصارى بدليل اخر الاية وقيل
يشمل اليهود والنصارى وغلو اليهود كونهم انكروا رسالة عيسى عليه الصلوة

والسلام

والتنزيل ونسبوه لغير رشده وعلق النصارى قول بعضهم انه الله وقول
بعضهم انه ثالث ثلاثة وقول بعضهم انه روح الله وكلمته القاها الى
مريم وتقدم تفسير ذلك عند قوله بكلمة منه والقاها حملة حانية اى اوجز
فيها شيئا وروح منه اى من الارواح التى اوجدها والذى يظهر ان قوله
ثلاثة خبر مبتدا محذوف تقديره الاله اى المعبود ثلاثة لانهم قد
يثبتون الله وصاحبته وولده • انتهوا خيرا لكم تقدم قوله فامنوا خيرا
لكم وقوله نصب خبرا لكان اوخبر الاول مذهب الخليل وسيبويه المضمر
على ما يجب اضماره بتقدير وائتوا خيرا لكم والثانى مذهب الكسائى وابى
عبيد انه منصوب على اضمار يكن اوخيرا لكم ويكن اوائتوا خيرا
لكم والثالث مذهب الفراء رضى الله عنه ان انتصابه على اضمار
لتصيبوا محذوف فى تقديره فامنوا تصيبوا خيرا لكم وانتهوا تصيبوا خيرا لكم والرد
بين هذه الاقوال مذكور فى علم النحو وقوله عز وجل • لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وقال الفراء رضى الله عنه
الاستنكاف فى هذه الآية والترفع من قولك نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك
من خدك وصفعته من الحرى وقيل الاستنكاف من الانكف يقال
ما عليه فى هذا الامر نكف ولا كف ولا انكف ان يقال له سوء
واستنكف بمعنى دفع ذلك السوء وقوله ولا الملائكة المقربون
ظاهره ان يكون معطوفا على قوله لن يستنكف المسيح والمعنى
ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله وليس معطوفا
على قوله المسيح لاختلافهما فكيف قال ابن مخشرى رضى الله عنه وان قلت
من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على ان المعنى ولا من فوقه
قلت من حيث ان علم الله تعالى لا يقتصر عن ذلك وذكر ان الكلام انما قد
سيق هذا الرد مذهب النصارى وغلوهم فى رفع المسيح على منزلة المعبود
فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن منزلة العبودية ولا من هو ارفع منه
درجة كالملائكة المقربين فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة
واعلاهم منزلة وهو قوله تعالى • وما منا الا له مقام معلوم • ولا الجمع
لاشتماله على انه قصد هنا ما يحوزه ذوى الارواح وما هو فوق حاتم فى الحوز وكان
لابد وقف مع هذه الآية قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم فقوله هنا حتى تعترف بالفرق الذى انتم عليه وقال ابن مخشرى
رضى الله عنه لتفضيل بين الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام انما يكون
بالتسع اذ نحن لا ندرك جهة التفضيل بالعقل واما النقل فقد تقدم انه متى نفى شىء
عن شىء فلا يدل ذلك على ان المنفى ارفع من المنفى عنه ولا ان ذلك يكون من باب
الترقى فاذا قلت لرجل ما فلان ان يسجد لله عز وجل ولا عمرو فلا دلالة فيه على ان
عمرا افضل من زيد وان سلماه لك فليست الآية من هذا القبيل لانه قابل مفردا

حج

وقال ابن الحاج بلغ الحج

بلغ

وانما قيل مفردا ليس مفرد ولا جمعا يجمع فقد قيل الجمع افضل من المفرد ولا يلزم من
الآية تفضيل الجمع على المفرد ولا المفرد على الجمع وان سلمنا ان المعطوف في الآية
ارفع من المعطوف عليه فيكون ذلك بحسب ما اليق في الاذهان اذ الاذهان
العرف وغيرهم من تعظيم الملك او ترفيعه على انهم يعدون البشرية عن الممدوح
ويثبتون له الملكية ولا يدل تحليم ذلك على انه في نفس الامر افضل من واعظم
توانا وصادر من ذلك على حسب ما اليق في الاذهان قوله تعالى حكاية
عن النسوة اللاتي قطعن ايديهن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقال الشاعر
قلت ما نسوتي ولكن ملاك تنزل من جو السما يصوب وقال الزمخشري رضي
الله عنه فان قلت على م عطف قوله ولا الملائكة قلت اما ان تعطف على المسيح
او على اسم يكون او على الضمير المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته
على صاحب العبادة وكقولك مررت برجل عبد او مولى فالعطف على المسيح هو الظاهر
لاداء المعنى الى ما قدمنا بخلاف العطف على العبد لما فيه من الفصل بين
يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان عبد الله هو
ومن فوقه اسنى الاحتراف عن العرض الذي اشار اليه او كون الاستنكاف
يكون مختصا بالمسيح والمعنى التام اشراك الملائكة مع المسيح في انتفاء ان
الاستنكاف عن العبودية لانه يلزم من استنكافهم وجوده ان يكونوا ملوكا وارباب
عبيدا او ان يكون هو وهم يعبدونه استنكافهم هم فعند بعض المحققين
ان نصب لموقوف زيد عمرا ولا ترضى ذلك زيد ويظهر بضمير جوجهة
الجملتين من جهة دخول لا اذ لو اريد العطف على الضمير في يكون او على
المستتر في عبدا لم تدخل لا بل كان يكون التركيب بدونها فقوله ما يريد
زيد ان يكون هو وابوه قائمين وفتوك ما يريد زيد ان يضطهد ابوه وعمرو
فهذان ونحوهما ليسا من مظنات دخول لا فان وجد في لسان العرب
دخول لا فيحمل من هذا على زيادتها وقرئ عبدا بالتصغير واستدل من
قال بتفضيل الملائكة على الانبياء بهذه الآية اذ فيها ان في من الاعلا اعلا منها
تقدم وهي مسألة خلاف واجيب بانه لما كان ادرك في افضل البشر ما قد
تعظمونه وتعرفون هذا من قدره جاء ذكر الآية على ذلك الا ترى الى قول صواحب
امرأة العزيز في يوسف عليه الصلاة والسلام ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم لشهرته
وقوله قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء وسائر الكلام على ذلك ان شاء الله سبحانه
وتعالى عند قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الآية قال الله عز وجل ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر ويحشرهم اليه جميعا الآية حمل ابو حيان لفظ
من وافراد الضمير في يستنكف ويستكبر ثم حمل على المعنى في قوله تعالى
فسيحشرهم اليه جميعا والضمير عائد على معنى من وهذا نحو الظاهر
ويحتمل ان يكون الضمير عاما عائدا على الخلق لدلالة المعنى عليه
لان الحشر ليس مختصا بالمستكف ويكون ربط الجملة الواقعة بالعموم الذي فيها

ويحتمل ان

يكون

من على الملا
الاملا

ويحتمل ان يعود الضمير على معنى من ويكون قد حذف المعطوف عليه
لدلالة اياه فتكون التقدير وايضا فسيحشرهم ومن لم يستنكف انه
جميعا كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم تقيكم البرد ايضا وعلى
هذا التقدير او على الاحتمال المتقدم يكون ما فصل ما قبله
قبله وعلى الوجه الاول لا مطابق ولا اضمار بل خبر الله وعده الخلق
بالجمع يوم القيامة حيث لا يدعي فيه المستنكف والمستكبر انهما
الناس قد حاجكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا الجمهور على ان
البرهان هو ظهور محمد صلى الله عليه وسلم فيكم رسولا ونبيا واطلق عليه
برهانا لما ظهر على يديه من الحجج والدلائل والنور المبين هو القرآن
فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم
اليه صراطا مستقيما يستفتونك تقدم الكلام عليه قل الله يفتيكم
في الكلالة ان امرؤا هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها
ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا
اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا
الكلالة مبتدأ وخبر وقد تقدم الكلام على نظيره في اول السورة
في الكلالة متعلق بيفتيكم وهو من اعمال الثاني لان الكلالة قد
لان في الكلالة بطلها يستفتونك وفيتكم فاعمل الثاني وحذف من الاول
لدوام الفعل عن قوله يستفتونك ويرى ذلك حسنا وهو الجواز ان
حملت الاعمال على تنسيه احدهما بالاخر فلو قلت ضربني وسكت ثم
قلت وضربت زيدا لم يجز الا على اضمار فعل وقوله تعالى ان امرؤ
هلك ليس له ولد تفسير لكم الكلالة وقد يسمى الذكر والانثى وان ارتفع
امرؤ على انه فاعل بفعل محذوف وفسر ما بعده والجملة من قوله ليس
له ولد في موضع الصفة لامرؤ اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد
وفيه دليل على جواز الفصل بين النعت والمنعوت بالجملة المفسرة
في باب الاشتغال فعلى هذا تقول زيد اضربته العاقل على ان
العاقل صفة لزيد احرزت بتحديد الجملة المفسرة في هذا الباب
مجرى الجملة الخبرية في قولك زيد اضربته العاقل فكما كان الفصل
بالخبر جائزا كذلك بالمفسر ايضا ومنع الزمخشري من ذلك
ان تكون قوله له ولد الخ جملة حالية من الضمير في هلك فقال
وصحة ليس له ولد الرفع على الصفة لامرؤ اي لا المنصوبي
الحال واما ذلك ابن الانباري رضي الله عنه فقال ليس له ولد الجملة
في موضع الحال من الضمير في هلك ولك ان تجعل جملة حالية ايضا الذي
يقتضيه النظر ان ذلك ممتنع وذلك ان المسند الى حقيقة انما هو الاسم
الظاهر المعمول للفعل المحذوف فهو الذي ينبغي ان يكون التقدير له ولد
ينبغي ان يكون التقييد له اما الضمير فانه قد يكون في جملة مفسرة لا موضع
لها من الاعراب فصارت كالمؤكدة للمبتدأ واذا تحاذف الاسناد والتقييد
من مؤكد ومؤكد فالحكم انما هو للمؤكد بفتح الكاف ايضا او هو معتمد الاسناد
الاصلية فعلى هذا لو قلت ضربت زيدا ضربته العاقل انبغى ان يكون العاقل

الى

لعى الاخت
الى قبة
الاتى

لي الجملة الاولى لا يريد بي الجملة الثانية لانها جملة مؤكدة للجملة الاولى
و المقصود بالاسناد انما هو الجملة الاولى لان الثانية فضلة و قد
تحذف لدلالة الكلام عليه والتقدير كسير لولد
و لابوية و لاخت المراد لها الشقيقة او التي تكون لاب دون التي
تكون من ام لان ام كانه فعالى فرض لها السدس و جعل اخاها هنا
عصبة و قال للذكر مثل حظ الانثيين و اما الاخت لام فلها
السدس في آية الموارث مستوي فيه اخ اخ و الضمير في قوله
و هو سر لها ان لم يكن لها ولد يعود على ما تقدم لفظا و لا معنى
و هو من باب عندي درهم و نصفه لان الهالك لا مثل الجنة الا ترك
ادى لا توريث و نظيره في المعنى ان و ما يعمر من معمر و لا ينقص من
عمره الا في كتاب و هذه الجملة مستقلة لا موضع لها من الاعراب
و في دليل جواب الشرط الذي بعدها المحذوف في اعتقادي قال الله عز وجل
ان لم يكن لها ولد لما اريد هنا الا ان لا ان الا ان تسقط الاخت في البنت
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك قال بعضهم و الضمير
في كانتا اثنتين ضمير الاختين و دل على ذلك قوله تعالى له اخت
و قد تقرر في علم العربية ان الخبر يفيد ما لا يفيده الاسم
و قد منع ابو علي و غيره سيد الجارية مكلمها لان الخبر انما افاده
المبتدا و لا لف في كانتا فقد استفيد كما افاده الخبر و هو قوله
اثنتين و اجاب الاخفش و غيره بان قوله اثنتين يدل على عدم
التقييد بالصغر و الكبر او غيرهما من الاوصاف فاستفيد التثنيتان
بالاثنتين مجردة عن التقييد فلهذا كان مفيدا و هذا الذي
قالوه ليس بشيء لان الف الضمير هنا لا تثنية يدل ايضا على
مجرد الاثنينية من غير اعتبار قيد فصار مدلول الالف
و مدلول اثنتين سواء و صار المعنى و ان كانتا الاختا اثنتين
و معلوم ان الاختين اثنتان و ان كانوا اخوة قلت افضلة فان
كان من يرث بالاخوة اثنتين و ان كان من يرث بالاخوة ذكورا و اناثا
و بما قبله فان كانتا و ان كانوا لحاقتل من كانتا من فلما ان
ضمير من لكان تانث الخبر كذلك قيل و جمع ضمير من يرث في كانتا
و كانوا لكان تانث الخبر و جمعه انثى و هو تابع في هذا النحو بحر
عمرو و هو نحو بحر لا يصح و ليس قطر من كانت امك لان من صريح
لها و لها لفظ و معنى فمن انث راعى المعنى لان التقدير ايه ام كانت
امك و مدلول الخبر في هذا مخالف لمدلول الاسم بخلاف الاية فان
المدلول واحد و لم تؤنث في من كان امك لتانث اكثر و لما
انث مراعاة لمعنى من اذ اراد بها من انثى الا ترى انك تقول من
قامت فتؤنث مراعاة لمعنى اذا اردت السؤال عن مؤنث و لاخبر

هن

والاخر هنا ثبوت قامت الاحلة والذى يظهر لى فى تخريج الآية
غير ما ذكر وفاق ذلك وجهان احدهما ان الضمير فى كانتا لا يعود
على اخت بل انما يعود على الوارثين ويكون ثم صفة محذوفة لاثنتين
واثنتين بصفته هو الخبر والتقدير فان كانتا اى الوارثتان اثنتين
من الاخوات وبلها اثنتا وما ترك فصعد اذ ذاك الخبر بالاضمار
الاسم وحذف الصفة لفهم المعنى جائز والوجه الثانى ان يكون
الضمير عائدا على الاثنين اى وهما الاختان كما ذكر وان يكون
خبر كان محذوفا والتقدير فان كانت اختان لزاى للميت
الهالك ويدل على حذف الخبر الذى هو قوله ولد اخت فكانه قيل فان
كان اخا ولد وظهر ان ستقول ان كان ثم يدل على حكمه كذا واذ كانوا
اخوان فحكمهما كذا بل وان كان اخوان لزوان كانوا اخوة رجالا ونساء
الآية يعنى انهم كانوا يورثون الرجال على ما تقرر فى ارث الاولاد من ان للذكر
مثل حظ الانثيين والضمير فى كانوا ان عاد على الاخوة فقد افاد
الخبر بالتفصيل المختص على الرجال والنساء مما لا يفيده الاسم
لان الاشتراط اخر فى الذكور وان عاد على الورثة وظهرت افادة الخبر
ما لا يفيده المبتدا ظهورا واضحا والمراد بقوله اخوة الاخوة والاخوات
وغلب حكم المذكر قال الله تعالى فللذكر مثل حظ الانثيين ربنا الله
لكم ان تضلوا اى لاجل ان لا تضلوا وقد يكون الضمير هنا مفعولا
من اجله ومفعولا بينا محذوف اى يبين لكم الحق فقد النصب
والجر وغيرهما كراهة ان تضلوا وقد ارتكبوا فى وغيره لان لا تضلوا وحذف
لا ومثله عندهم قول القطامى رضى الله عنه وانا ما راى الرجال فاد لسا عظمها ان تباعا والظاهر ان الحق تبين الله لكم تبيانا
الملائكة كراهة ان تضلوا فيها والله بكل شئ عليم تعلم مصالح العباد
فى المبدا والمعاد وفيما كلفهم به من الاحكام وهذه السورة مشتملة
اولها على كمال بين به الله تعالى وسعة قدرته واخرها مشتمل على
بيان كمال العلم وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والالوهية
والجلال والعزة وبهما يجب ان يكون العبد منقادا للتكاليف

والحمد لله رب العالمين

سورة المائدة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا
بالعقود هذه السورة مدنية نزلت بعد سورة الممتحنة بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الحديبية ومنها ما نزل فى حجة الوداع ومنها ما نزل عام
الفتح وكل ما نزل بعد الهجرة فاكثره بالمدينة او فى سفر او بمكة فيوم مدنى
ومناسبة افتتاح هذه السورة لما قبلها انه تعالى لما ذكر استثنا
فى الكلالة واختتم فيها ذكر انه قد بين لهم كراهة الضلال ضمن فى
هذه السورة احكاما كثيرة مبينة مفصلة لذلك الجمل وقوله هنا اوفوا

ف
مسئلة

وهم

تقال وفاوا وفادوفي والعقود جمع عقد وهو ما الترمه
الانسان من مطلوب شرعي وهو عام يدرج تحته ما ربط الانسان
على نفسه او مع صاحبه مما كره شرعا واصل العقود في الاجرام
ثم توسع فيه فاطلق ذلك على المعاني اي في المعاني ايضا قال
الله عز وجل احلت لكم بهيمة الانعام هذا تفصيل بعد تعميم
وبهيمة الانعام هي الانعام نفسها او ما يشبهها من الوحش لما
اشتركا فيه طبا والمهاد بهيمة الوحشي والاكل والاريب مما لا يحل
تذوه الا ما تتلا عليكم هذا استثناء من بهيمة الانعام وما يتلا
عليكم منهم مفسر بقوله حرمت عليكم الآية وما تلي في السنة
تحريمه وما في موضع نصب لانه استثناء من موجب وهو قوله احلت
وموضع ما نصب على الاستثناء ويجوز الرفع على الصفة لبهيمة
قال ابن عطية وضعف عنده واحاز بعض الكوفيين ان يكون في موضع
رفع على الابتداء الا على البدل او المبدل منه وعلى ان تكون الا عاطفة
وذلك لا يكون عند البصريين الا من نكرة او ما قارب شيئا من اسماء
الاجناس نحو قولك جاءني رجال الا زيدا كما تك قلت غير واحد
انتهى وهذا الذي حكاه عن بعض الكوفيين من انه في موضع رفع على البدل
كذلك لا يجوز البدل او لا يصح هنا البتة لان الذي قبله موجب
فكما لا يكون قام القوم الا زيدا على البدل كذلك لا يجوز البدل
الا ما يتلا عليكم واما كون الا عاطفة فهو شيء ذهب اليه بعض
الكوفيين كما ذكر ابن عطية رضي الله عنه وقوله وذلك لا يكون عند
البصريين ظاهره الاشارة الى جهل الرفع البدل والعطف وقوله
الا من نكرة هذا الاستثناء منهم لان البدل من اي شيء هو ولا وجه للرفع
الا قبح ان يكون استثناء منه لان البدل من الموجب يجيزه
احد علمائه البصري ولا الكوفي واما العطف فلا يجيزه بصري البتة
واما الذي يجيزه البصريون ان يكون بعد لما قلته في مثل هذا التركيب
وشرط فيه بعضهم ما ذكر من انه قد يكون النعت نكرة او ما قد
يقارنها من اسماء الاجناس لان البدل والمبدل منه يجوز
اختلافهما بالتنكير والتعريف غير محلى بال العهد وتم حرم اتفق
الجمهور على نصب غير واتفق من وقف على ما قبله من القولين ومن
المفسرين من علل انه منصوب على الحال واختلفوا في صاحب الحال فقال
الاخفش رضي الله عنه هو ضمير الفاعل في قوله اوفوا وقال الجمهور هم
الذين خوطبوا بقوله احلت لكم وعزاه ابن عطية الى المحققين في احكامهم وقال
بعضهم هو الفاعل المحذوف الذي هو نائب مناب المفعول به
وهو وتتقوا الله وقال بعضهم هو الضمير المحذوف في قوله عليكم ونقل
القرطبي عن الاخفش ان قوله الا ما يتلا عليكم استثناء منقطع وقال

بعضهم

ابن عطية

وقال ابن عطية ويحتمل ان يكون استثناء من قوله احلت لكم بهيمة الانعام
وهي المستثنى منها والتقدير الا ما يتلا عليكم الا الصيد وانتم محرمون
خلاف قوله تعالى انا ارسلنا الى قوم مجرمين وسيأتي بيان الكلام
على هذه الاية في موضعها ان شاء الله سبحانه وتعالى وهو قول
مستثنى مما قبله من الاستثناء قال ولو كان كذلك لوجب اباحة
الصيد في الاحرام لانه مستثنى من المحظور ان كان الانعام تتلا
عليكم فمستثنى من الاباحة وهذا وجه ساقط فان معناه
احلت لكم بهيمة الانعام غير محلي الصيد وانتم حرم الانعام تتلا
سوى الصيد وقال ابن عطية رضي الله عنه وقد دخلط الناس في
هذا الموضع فنصب غير وقدروا تقديرات وتاخيرات وذلك
كله غير مرضي لان الكلام على اطراده هنا يتمكن استثناء
بعد استثناء اتى كلامه وهو انه ما خط على ما قد بينته
فاما قول الاخفش رضي الله عنه فضعيف لفعل سيبويه وذلك ان
جملة على اعتراضية بين يدي جملتين احكاما قد دل لا يجوز وصيد
فتفيد الانتفاء والقصد بانتفاء احلال الذين الصيد وهم حرم وهم
مامورون بانتفاء العقود بغير قيد وتقدير التقدير وانتم في حال
من احوالكم تحلون الصيد وانتم حرم وهذا تركيب قلق
متعقد تنزه القرآن ان يأتي فيه مثل هذا وكذلك يأتي على
الفصاحة على افصح تركيب واحسنه واما قول من جعله حالا من
وقد دخل الله لكم بهيمة الانعام غير محلي لكم الصيد
وانتم حرم قال كما تقول احلت لكم كذا غير مباحة لكم في يوم
الجمعة فهو فاسد لانهم نصوا على ان العامل المجرور في مثل هذا
التركيب لا يصير مستثنى لا يجوز وقوع الحال منه لو قلت ان زيدا
المطر للناس محببا لدعائهم اذا الا صلاه لم يتم ان الله المطر مجيبا
لدعائهم لم يجز وخصوصا على مذهب الكوفيين وهم واضعوا
من البصريين لان صيغة اسم الفعل لما سمي به المفعول صيغته وضعت
اصلا كما وضعت صيغة مبنيا للفاعل ولست هي معتبرة
من صيغة بنيت للفاعل وبابه بتقييد اطلاقه تعالى بهيمة
الانعام اذا ان قدرها ثمانية الاذواج بحال استثناء احلال لهم
الصيد وهم حرم اذا اريد بها ثمانية الاذواج بحال استثناء الحلال له
الصيد وهم حرم وهو تعالى قد احلها في هذه الحالة وفي غيرها واما
قول من جعله دليلا من الصيد في حلتم والذي يتلا لا يتقيد بها
بحال اذ ثبت استثناء احلاله لهم الصيد وهم حرم بل هو متلا عليهم في
هذه الحالة وفي غيرها واما ما نقله القرطبي عن البصريين فان كان
النقل صحيحا فهو يتجه على ما سنوضحه ان شاء الله تعالى فنقول لما عرض

ل

ولانه

الاشكال في الآية من جعلهم غير محلي الصيد حالا من الامرين ما فيه
العصر او من المحلل لهم اي من المحلل وهو الله سبحانه وتعالى او حال من المتلو
عليهم وعدهم في ذلك كنت محلا تاليا وقد رووه هم انه اسم فاعل
من احل وانه مضاف الى الصيد اضافة اسم الفاعل المتعدي الى المفعول
وانه جمع منه حذف النون للاضافة واصله غير محلين الصيد
واسم حرم الا في قولك جعلك حالا من الضمير الفاعل المحذوف فالتقدير
فيه حذف النون فحذف التنوين وانما يرد الاشكال وبيض العين
بان يكون قوله محلي الصيد من باب قولهم حسان الوجه وكما قد قال
بعضهم حسان الوجه والمعنى الوجه الحسان فكذلك هذا اصله
غير الصيد المحدود والحكم المحل صفة الصيد لا الناس ولا الوالفاعل
المحذوف ايضا وصف الصيد بانه محل على وجهين احدهما ان يكون
معناه دخل في المحل كما تقول احل الرجل اي دخل في الحل واحرم
اي دخل في الحرم والوجه الثاني ان يكون معناه صار ذا حل اي
ظ لا يحل الله تعالى وذلك ان الصيد حرام وحلال وقد ابن
عطية رضي الله عنه قال ابن محرز ايضا وذلك ان الصيد على قسمين
حلال حرام ولا يحتمل الصيد في لغة العرب الحلال الا ترى الى قول
بعضهم انه ليصيد لا ابن حيث انتقلت لكنه يحتمل شرعا وقد
يحتمل العرف فاطلقت الصيد على ما لم يوصف بحل ولا حرمة كقو
قول الشاعر لبئس لعمر بضطاد الرجال اذا ما كذب الليث او اله
صدقا وشعر اسلم موضع وقال آخر وقد ذهبت سلمى تعدك
الكال واقتلك عمرو وحجر قال ابن عطية رضي الله عنه ومحيي
الفعل على الوجهين المذكورين كثير في لسان العرب فمن مجيء الفعل
لبلوغ المكان ودخوله قولهم احرم الرجل اذا عرفة اسام وايمن وانجد
وانهم اذا بلغ هذه المواقع وحل بها ومن مجيء فعل بمعنى صار
ذا كذا قولهم اعشبت الارض وانقلت وعدي النبت
الشاة وغيرها واحرت الكلية واضرم النخل وانت الناقة
واحضر الرجل واحرم الرجل واحجب المرأة واذا تقرر ان الصيد
يوصف بكونه باعتبار احد الوجهين المذكورين من قوله كونه بلغ الحل
او صار داخل الحل اتضح كونه استثناء ثانيا ولا يكون استثناء من
استثناء اذ لا يمكن ذلك لتناقض الحكم لان المستثنى من المحل المحرم
والمستثنى من المحرم محلل اذا كان المعنى غير بهيمة الانعام
الا نعام انفسها فيكون استثناء منقطعا واذا كان المراد الظبا
وبقر الوحش وحمره ونحوها فيكون استثناء متصلا على ان
لا يعلم احد تغيير المحل استثنى الصيد الذي يبلغ الحل في حال كونهم

محرمين

محرمين. فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء بقيد بلوغ الحل وبلوغ
الصيد الذي في الحرم لا يحل ايضا قلت الصيد الذي في الحرم لا يحل
للمحرم ولا لغير المحرم وانما يحل لغير المحرم الصيد الذي في الحل
فنبه بانه اذا كان الصيد الذي في الحل يحرم على المحرم وان كان حلالا
لغيره فاحرى ان حرم عليه الصيد الذي هو بالحرم وعلى هذا التفسير
يكون قوله الا ما يتلى عليكم ان كان المراد به ما جاء بعده من قوله
حرمت عليكم الآية الآتية الى آخره اي بان كان استثناء منقطعا
اذ لا تختص الميتة وما ذكر معها بحمر الوحش ولا بالظباء وبقره ونحوهما
فيصير لكن ما يتلى عليكم اي تحريمه فهو محرم وان كان المراد ببهيمة
الانعام الانعام والوحوش اذ لا يمكن ان يكون الثاني استثناء من
الاستثناء الاول واذا لم يمكن ذلك وامكن رجوعه الى الاول بوجه
ما جاز وقد نص النحويون رضي الله عنهم على انه اذا لم يمكن استثناء
بعض المستثنيات من بعض كانت كلها مستثنيات من الاسم الاول
نحو قولك قام القوم الا زيدا الا عمروا الا بكرا. فان قلت ما ذكرته
من هذا التخريج الغريب هنا وهو ان يكون المحل من صفة الصيد لا من
صفة الناس ولا من صفة الفاعل المحذوف يعكر عليه كونه كتب في صفة
رسم المصحف بالياء فدل ذلك على انه من صفات الناس اذ لو كان
من صفة الصيد لم يكتب بالياء وكون القراء قد وقفوا عليه بالياء
يأتي ذلك ايضا ان شاء الله سبحانه وتعالى قلت لا يعكر على ذلك
التخريج لانهم كتبوا كثيرا في رسم المصحف على ما يخالف النطق به نحو
كتبهم لا اذبحنه ولا اوضعوا بالف بعد لام والف وكتبهم بايد
بياءين بعد الالف وكتبهم اولئك بواو بعد بعض الالف وينقصهم منه
الفا وكتبهم الصالحات ونحوها باسقاط الفين وهذا كثير
في الرسم واما وقفهم عليه بالياء فلا يجوز لانه لا يوقف على المضاف
دون المضاف اليه وانما قصدوا بذلك الاختبار او تنطيع
النفس فوقفوا على الرسم كما وقفوا على قوله سندع الزبانية من غير واو بعد
العين اتباعا للرسم على انه يمكن توجيه كتبه بالياء والوقف عليه لها
بانه جاء ذلك على لغة الازد اذ يقفون على يزيد بزيدي بابدال
التنوين ياء فكتب محلا بالياء على الوقف على هذه اللغة وهذا
توجيه شذوذ رسمي ورسم المصحف مما لا يقاس عليه كما تقدم
الكلام على ذلك مرارا كثيرة وقرأ ابن ابي عبلة غير بالرفع واحسن
ما يخرج عليه ان يكون صفة لقوله بهيمة الانعام ولا يلزم
من الوصف بغير ان يكون ما بعدها مماثلا للموصوف في الجنسية
ولا يضر الفصل بين النعت والمنعوت بالاستثناء وخرج ايضا
على الصفة للضمير في يتلى قال ابن عطية رضي الله عنه لانه غير محلي الصيد هو

المنية

في المعنى

بمنزلة غير مستحلي الصيد اذا كان ثم صيد اهـ ولا يحتاج الى هذا
لانه ليس في تحريمه تحريم لمحل الصيد وانتم حرم جمع حاله وحرم
جمع حرام وقيل اذا احرم الرجل دخل في الاحرام بحج او عمرة او بهما
فهو محرم واحرم الرجل اذا دخل في الحرم قال الشاعر فقلت لها
ضني اليك فاياما فاني حرام واني بعد ذاك لبيب وكمال
الوصف قوله وانتم حرم اذ الصيد محرم على من كان في الحرم
وعلى من كان احرم بحج او عمرة وهو قول اكثر الفقهاء وقال
الزمخشري رضي الله عنه وانتم حرم حال من محل الصيد كانه
قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال استثناكم عن الصيد وانتم
محرمون لئلا يحتج علكم اثنتر وقد علمنا كلا هذا القول
بان الانعام مباحة مطلقا لاجل التقييد بهذه الحالة اذ قد
يحكم ما يريد هذه الاحكام حادث فوقه لهذه الاحكام اثر بينة
المحال لتنه لهود احكام الحرم من الامر بايفاء العقود وتحليل
بهيمة الانعام والاستثناء منها ما يتلى عليكم مطلقا في الحل
والحرم الا في الاضطرار واستثناء الصيد في حالة الاحرام
ويتضمن ذلك جملة لغير المحرم فهذه خمسة احكام حتمها بقوله
ان الله يحكم ما يريد فموجب الحكم والتكليف ما اراده تعالى
لا اعتراض من عبد ولا معقب لحكمه لما تقوله المعتزلة من مراعاة
المصالح ويا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله تقدم تفسيرها
في البقرة والشعائر هي ما حرم الله تعالى طاعة سواء
كان في الاحرام او غيره والشهر الحرام فرد حلي بالجنس
فالمراد به عموم الاشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب والمعنى لا تحلوا قتالا ولا اغارة ولا نهبا ولا الهدي
لا خلاف ان الهدي ما اهدي من النعم الى بيت الله تعالى
وقصد به القربة وامر الله تعالى ان لا يستحل ولا يغار
عليه ولا انه لا قيد قال الجمهور بني ما كانوا في الجاهلية يقلدون
من شجر الحرم لبني من اذى المؤمنون عن فعل الجاهلية وعن اخذ
القلائد من شجر الحرم ولا آمين البيت الحرام ينتغون فضلا
من ربهم ورضوانا وقرئ آمي البيت الحرام بلا نون على اضافة
النون منه للاضافة وقال آمين الى اي قصدته ولا آمين
اي لا تحلوا منعوا من قصد البيت الحرام بحج او عمرة يبتغون
من ربهم ارباحا وهذه المعاطف الاربعة مندرجة في عموم قوله لا تحلوا
شعائر الله فكان ذلك تخصيصا بعد تعميم وقوله يبتغون جملة
حالية وقرئ ورضوانا بكسر الراء وضمها وهو مصدر رضي رضى
ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا تقدير ليبا ان احدا لا يحرم

الصيد

الصيد للمحرم لقوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني
قوله في الحملة الى قوله تلقى بقدها وما وقوله ولا آمين البيت
الحرام فيرجع قوله تعالى واذا حللتم للاول وقوله ولا يجرمنكم
للثاني وهذا من اهل الفصاحة والمعنى اي اذا حللتم من سبا
الحج فاصطادوا هو امر اباحة لا امر وجوب لان الصيد كان حل
الحج حلالا لا ممنوع منه للحاج فلما ان زال المانع رجع لاصله من الحل
وقد اتوا واقد رضي الله عنه والحرام وسعيد والحسن ابن عمران فاصطادوا
بكسر الفاء قال ابن مجيز قل هو مروي عن كسر الهمزة عند الابتدا
وقال ابن عطية رضي الله عنه هي قراءة مشكلة ومن توجيهها ان
يكون راعى كسرة اللام اذا اتصلت فقلت اصطادوا وانكسر
الفاء من اجاءة وبدلوا الكسرة الفا لوصل انتهى وليس عندي كسرا
محضا بل هو من باب الاتباع المحض لتم وجود كسرة ما قبل الوصل
كما اتبعوا الفاء في واذا الوحوش كسرة اذا قلت اخرج منها اي لا تخلنكم
يقال جرمني كذا على بغضك اي حملني عليه وقرئ شنان قوم تبغضكم
الفتح وسكونها وهو المصدر وفعله شنئ بكسر الكون وذكر له في المصدر
ثلاثة عشر مصدرا قال السمين رضي الله عنه كلها اذا كان من الصحيح
على فعلان بفتح العين لم يتعد فعله الا ان يشتد سبي كالسبا
وقرئ ان بكسر الهمزة حرف شرط وبفتحها على التعليل اي لان
صدوكم وقوله ان تعتدوا اي على الاعتداء اي لا يحملنكم بغضهم على
الاعتداء ومن قرأ ان صدوكم بمعنى لا تكلفوا يستسلم فهو يعود
الى اثنين احدهما ضمير الخطاب وانت الى حق لكم ان تعتدوا
فالمعنى لا يلتسكم البغض لان اعتداء عليهم على ان من قال فيه حملة
هنا فقد ذكر ابن عطية رضي الله عنهما البر ما امرت به والتقوى
ما نهيت ولا تعاونوا على الاثم والعدوان والاثم يعني المعاصي
والعدوان يحتمل العدي في حدود الله عز وجل واتقوا الله ان
الله شديد العقاب لمن امره ولمن نهاه عن شيء فلم ينته حرمت
عليكم تقدم الكلام عليها الا بقعة في سورة البقرة وقوله هنا
والمنخنقة اي التي تخنق نفسها حتى تموت سواء كان خنقها بحبل
او بيد او غير ذلك والموقوذة المضروبة بعصي او حجر لاحد لها تموت
بذلك كالرمية وبقاله وقدم البعض على غيره وقد ذكره الحلم سكنه
والمتردية الساقطة في بير او الهوة من جبل ويقال ردي وتردي
اي هلك ويقال ما ادري اين ردي اي اين ذهب والنطيحة
التي ينطح بعضها بعضا فتموت بالنطح وهي فعيلة بمعنى مفعولة
صفة جرت مجرى الاسماء فوليت العوامل وكذلك تبين فيها

• الا وادكيم استثناء راجع للانواع الخمسة قبلها وحدها بروق
وذكي حل اكله والتذكية في الذبح • قوله عز وجل وما ذبح على
النصب والنصب جمع نصاب وهي حجارة منصوبة حول الكعبة
وكان اهل الجاهلية يذبحون عليها لآلهتهم وفيها ايضا وتلطخ بالدماء
وتوضع عليها اللحم قطعا قطعا فساء كل منه التأنس والتطير منه
• وان تستقسموا بالازلام الازلام هي القداح واحدها
زلم وزلم بضم الزاي وقيل بفتحها وهي السهام كان احدهم
اذا اراد سفرا او غزوا او نكاحا او امرا من معاظم
الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى
بعضها امرني ربي وبعضها غفل وان خرج الامر مضى لطلبته
وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اعاد الضرب وذكر هذه
المحرمات تفصيلا اجمل في عموم قوله الا ما تلى عليكم ولهذا
صار المستثنى والمستثنى منه يعلمون وان تستقسموا هذا
معطوف على ما قبله اي وحرم عليكم ان تستقسموا بالازلام
وهو طلب معرفة القسم وهو النصيب او القسم وهو المقدر
وذكر مع المطاعم لانهم كانوا يقفون الاستقسام عند
البيت • ذلكم فسق الظاهر انه اشارة الى الاستقسام
بالازلام اذ كان فيه التحاج شيء من المغيبات الى الغرور
الله تعالى بجهلها • اليوم ييئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم
واخشون قطع الرجاء يقال يئس ييأس يأسا واياسا وقيل
اليأس هو المتوقع من بئس وبئس اذا قلت تخلف الحكم عن
ما ظاهره انه موجب له ان يترتب اي انهم لم يقدروا ايانا ان نحرفها
وافتتاح ما قبلها فلم يعوقني اسى كما قالوا هذا يهب واليوم
الالف واللام فيه للعهد وهو يوم عرفة قال مجاهد على ما
عنه فقال رجل من اليهود يا امير المؤمنين رضي الله عنه وقد هو يوم نزولها لنعد
العصر في حجة الوداع يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
في الموقف على ناقته والموقف مشرف وقيل اليوم
الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لثمان بقين
من شهر رمضان سنة ست وقيل سنة ثمان وقال مسلم بالامان
لمن تلفظ بشهادة الاسلام ولمن وضع السلاح ولمن اغلق بابه
والذين كفروا اعم من المشركين وغيرهم ومعنى من دينكم من نبيه
وقبلته اذ كان في جملة تلك صلى الله عليه وسلم كملت شرائع
الاسلام وكمال الدين وسعة الاحوال وغير ذلك مما انتظمت به
هذه الملة الحنيفية الى حول الجنة والى الخلود فيها وقيل بفتح مكة
وحجوا طاهرين مطهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وانه

لم يحج مشرك

لم يجز ولم يطب بادبت عربان وانتصب حينئذ الحال فمن اضطر في
مخمصة قال ابن عباس رضي الله عنهما والمخمصة المجاعة التي تحوج فيها
البطون الى تضميم وقال الاعلى رضي الله عنه يستثنى الشيء
متصلا وفي رواية متصلا بطوقكم وحاز سلم عربي سين جائعا اي من
اضطر لاكل شيء مما ذكر بحيث يجد في مجاعة فاكله غير متجانف لاثم
اي غير مائل بمعصية وله ما اكل اليها فاكل فلا اثم عليه
وان الله غفور رحيم يسالونك ماذا احل لهم سبب نزول هذه
الآية ما ثبت في صحيح مسلم وابي عند الله الحاكم بسنده الى ابي
رافع رضي الله عنه قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقتل الكلاب فقال ان امة من الامم سلط عليها من الكلاب ما اراد الله
ان يسلط فاقتلوا منها كل اسود بهيم فنزلت هذه الآية يسالونك ماذا
احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن
مما علمكم الله وحمل ان يكون ما اكلها اسلفها ما والجملة
خبر ويحتمل ان يكون ما استفهاما مبتدا واخبرا اي ما الذي احل
لهم والجملة من قولهم له ماذا احل لهم في موضع نصب بيسالونك
على اسقاط حرف الجر والسؤال هنا معلق وتقدم نظائره
قلت لكنه لما كان طريقا الى العلم اجري مجرى العلم فعلق لما
كان يسالونك الفاعل فيه ضمير عائد قال لهم لعلهم اذا علموا
ويجوز في الكلام ماذا احل لنا كما تقول اقسم زيد ليضربن
والاضربن وضمير المتكلم يقتضي حكاية ما قالوا كما ان قوله لاضربن
يقتضي حكاية الجملة المقسم عليها قال ابن عباس رضي الله عنه في السؤال
يعني السؤال عن ذلك وقع نعته ماذا احل لهم كانه قيل يقولون
ماذا احل لهم انتهى ولا يحتاج الى ما ذكره ابن عطية من باب التعليق كقولهم
سلهم ايهم بذلك زعيم فالجملة الاستفهامية في موضع المفعول
الثاني يسالونك ويحتمل على ان فعل السؤال يعلق ولو لم يكن
من افعال القلوب لانه سبب للعلم فكما تعلق العلم فكذلك
تعلق سببه والطيبات هنا هي المستلذات وما علمتم
معطوف على الطيبات وهو على حذف مضاف تقديره واكل
ما علمتم من صيد الجوارح والجوارح هي الكواسب من سباع البهائم
والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والباز
والشاهين وسميت بذلك لانها تجرح ما تصيده غالبا او لانها
تكسب لصاحبها اقتراف الجارح لهنا اي الاكتساب ومنه قوله عز وجل
ويعلم ما جرحتم بالنهار اي ما كسبتم فيه ويقال جرح واجترح
بمعنى كسب وقوله مكلبين الكلب بالتشديد معلم الكلاب
ومضريها على الصيد وبالتخفيف صاحب الكلاب اتفاقا وهذه الجوارح

من الكلب م

وان كانت عامة في الجوارح على سبيل التغليب لان التاديب اكثر
ما يكون في الكلب فاشتقت من لفظه لكثرة ذلك في جنسه وقيل
لان الغالب من صيدهم ان يكون بالكلاب او اشتقت من الكلب وهي
الضراوة ويقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به قال الزمخشري رضي
الله عنه اي لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد كما ورد ذلك في الاحاديث انتهى
ولا يصح هذا الاشتقاق مطلقا هنا لان كون الاسد كلبا هو وصف
فيه اي لتكلبه والتكليب من صفة المعلم والجوارح هي سباع بنفسها
وكلاب بنفسها لا بجعل المعلم لتعلمونهن مما علمكم الله اي ان
تعليمكم اياهن ليس هو من قبل انفسكم انما هو من العلم الذي قد
علمكم الله اياه وهو ان جعل لكم روية وفكرة بحيث قبلتم
العلم فكذلك الجوارح يصير لهم ادراك ما وشعور بحيث
يقبلن الايتمار والانزجار وفي قوله مما علمكم الله اشعار
ودلالة على فضل العلم وشرفه اذ ذكر ذلك في معرض الامتنان
ومفعول علم وتعلمونهن الثاني محذوف تقديره وما علمتموه
طلب الصيد لكم لا لانفسهن تعلمونهن ذلك وفي ذلك دلالة
على ان صيد ما لم يكن معلما حرام وآحرام لان الله سبحانه وتعالى
انما اباح ذلك بشرط التعليم والدليل على ذلك الخطاب في عليكم
في قوله فكلوا مما امسكن عليكم وغير المعلم انما يمسك لنفسه ومعنى
مما علمكم الله من الادب الذي ادبكم به تعالى وهو اتباع اوامره
واجتناب نواهيه فاذا امروا ايتمروا وانزجروا فانزجروا فقد
تعلم مما علمكم الله اي مما علمنا الله اياه وقوله تعالى فكلوا مما امسكن
عليكم ظاهره انه اذا امسك على مرسلة جاز الاكل سواء اكل الجارح
ام لم ياكل واذكروا اسم الله عليه اي على ما علمتم من الجوارح اي سموا
عليه عند ارساله لقوله صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك وذكرت
اسم الله فكل والتسمية عند الارسال اهي على الوجوب ام على الندب
مختلف فيها والاوجه هنا انها على الوجوب • واتقوا الله ان الله سريع
الحساب لانه لما تقدم ذكر ما احل وحرم من المطاعم امر بالتقوى
فان التقوى بها يمسك الانسان عن الحرام وعلل الامر بالتقوى
بانه تعالى سريع الحساب لمن خالف ما امر به من تقواه فهو وعيد
بيوم القيامة وان حسابه تعالى اياكم سريع اتيانه اذ يوم القيامة
قريب • اليوم احل لكم الطيبات كرر احلال الطيبات تاكيدا للجملة
قبلها ولما يعطف عليها من قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم وطعامكم حل لهم وهو عام مخصوص خصه الجمهور بذبائحهم
سواء اذكروا اسم الله على الذبيحة ام لم يسموا عند ذبحها وما كان حراما

كل ما يصيده

على المسلم

على المسلم اكله وان كان اهل الكتاب ياكلونه كالميتة والدم المسفوح
ولحم الخنزير فلا يجوز لنا اكل ذلك وان كان ذلك من جملة طعامهم
وذهبت الزيدية والامامية الى انه لا يجوز اكل ذبائحهم واما
ما كان من ما هو طعام لهم وليس من الذبائح كالخبز والفواكه
فلا خلاف بين المسلمين في جواز اكله واهل الكتاب هم اليهود
والنصارى المتاصلون في ذلك لا من يهود وتنصر من العرب وغيرهم
لانهم لم يؤتوا الكتاب ومن العلماء من اجرى هؤلاء مجرى الكتابي
الاصلي ومعنى قوله وطعامكم حل لهم اي يحل لكم ان تطعموهم من طعامكم
والظاهر ان المجوسي والصابي لا يحل لنا اكل ذبيحتهم لانهم ليسوا
من اهل الكتاب • والمحصنات من النساء المؤمنات اي احل
لكم نكاح المحصنات اي العفائف اللاتي ليسن بزوان • والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي العفائف منهن وظاهر
هذه الاية ان جواز نكاح الكتابيات ذمية كانت او حربية
وقد تزوج عثمان رضي الله عنه ماء ملة بنت الفرافصة وكانت
نصرانية وتزوج طلحة يهودية من الشام ومن العلماء من منع
نكاح الكتابيات واستدل بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن قال وأي اشراك اعظم من من يقول عزير ابن الله
والمسيح ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد تقدم الكلام على
نظير هذه الاية مسبوقا في سورة البقرة ومذهب الامامية تحريم
نكاح الكتابيات والمسلم يجد بينه وبين الكافرة نفرة
دينية وقد يقوى فيصير نفرة طبيعية وان شخصا
لا يؤمن بالله ويكذب الرسل خصوصا نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم لجدير ان يهجر ولا يعاشر ولا يتخذ فراشا بل لو كان مسلما
فاسقا او مبتدعا وجب هجره وترك معاشرته • اذا اتيتموهن اجورهن
اي مهورهن وانتزع العلماء من هذا انه لا ينبغي ان يدخل زوج
بزوجته الا بعد ان يبذل لها من المهر ما يستحقها به ومن جوز ان
يدخل بدون بذل ذلك راعى انه بحكم الالتزام فحكم ذلك المؤتى
محصنين غير مسافحين تقدم الكلام على شبهها في سورة النساء • ولا
متخذي اخدان اي اخلاء وصواحب يزنون بهن سرا • ومن يكفر
بالايمان اي بشرائع الايمان فقد حبط عمله اي اذا وافى على الكفر
وهو في الاخرة من الخاسرين • يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة
الاية نزلت في قصة عائشة رضي الله عنها حين فقدت العقد بسبب
الماء ولمشروعية التيمم وذلك في غزوة المريسيع ومناسبة هذه
الاية لما قبلها انه تعالى لما افتتح بالامر بايفاء العقود وذكر تحليلا
وتحريما في المطعم والمنكح فاستقصى ذلك وكان المطعم آكد من المنكح

كتابي

عن ما يقولون علوا كبيرا

فقدمه عليه

وكان السوءال من ذوات الدنيا الجسمية وهما لها للانسان والى معاملات
يتبوبة بين الناس بعضهم مع بعض المضطرة منها الى المعاملات الاخروية
التي بين العبد وبين ربه عز وجل وعيبي فلم ارد الهم الى القبلة
ولم يحذف في تقدير مختلفين لان من كان على طهارة الارض لا يحتاج
ان يتوضأ * فاغتسلوا وجوههكم والى الجه هو ما بين منابت شعر الرأس
الى منتهى اللحيين وهو ما واجه الناظر وداخل البياض الذي بين
الاذن والخد داخل في الجه وان الاذنين واللحية للسنة ليست
في الجه ايضا والغسل يمر الماء على العضو وهذه مسائل
رضي الله عنه ان الدلك داخل في الغسل وايديكم الى المرافق واليد في
اللغة هي من اطراف الاصابع الى المنكب وقد غيت الغسل اليها ايضا
واختلفوا في دخولها في الغسل فذهب الجمهور الى وجوب دخولها
وذهب رضي الله عنه الى انه لا يجب وبه قال داود رضي الله عنه وذهب
بعضهم الى انه لا يجب قال الزمخشري رضي الله عنه والى بتقدير
الغاية مطلقا ودخولها في الحكم وخروجها امر يدور عليه مع الدليل
وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين انتهى وقد
ذكر اصحابنا رضي الله عنهم اجمعين انه اذا لم تعتبر ما بعد الى قرينة دخول
او خروج فان في ذلك خلافا بينهم من ذهب الى انه داخل ومنهم من
ذهب الى انه غير داخل وهو الصحيح وعليه اكثر المحققين ودليل انه اذا
اقترنت به قرينة فان الاكثر في كلامهم ان يكون غير داخل فاذا عرى
من القرينة فيجب حمله على الاكثر وايضا فاذا قلت قد اشتريت الكتاب الى
الشجرة فما يجعل لي تملك الموضع الذي انتهى اليه الكتاب المشتري فلا
يمكن ان تكون تلك الشجرة المذكورة من الكتاب المشتري لان الكتاب
الشيء لا ينتهي على بقية منه شيء الا ان يكون فيجعل ما ورد من الانتهاء
انتهاء واذا لم يتصور ان يكون داخلا الا بمجاز وجب ان يحمل على الاعم
الداخل لانه لا يحمل على المجاز ما امكننا حقيقة الا ان يكون ثم قرينة
للمجاز على الحقيقة وقول ان محمدا رضي الله عنه عند انتهاء قرينة الدخول او الخروج
لا دليل فيه على احد الامرين فمخالف لنقل اصحابنا رضي الله عنهم اذ قد
ذكروا ايضا ان النحويين على مذهبين احدهما الدخول والاخر الخروج
وما الذي صححوه وعلى ما ذكر المحمدي رضي الله عنه نتوقف ونكون
من المجمل حتى يتضح ما يحمل عليه من خارج عن الكلام وعلى ما ذكر اصحابنا
قد يكون من المبين فلا يتوقف على شيء خارج عن ساقه قال ابن مطهر كرر
العباد في هذا المعنى ان يقال اذا كان ما بعد الى ليس مما قبلها فالحد
اول المذكور بعدها واذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها فالاحتياط
ان الحد آخر المذكور بعدها وذلك يرجح دخول المرفقين في الغسل
والروايتان محفوظتان عند الامام مالك رضي الله عنه وروي اشهب عنه انهما

غير داخلتين

غير داخلتين وروي غيره انها داخلتان الى المرفق وهذا التقسيم قد ذكره عتد
القديم الغزالي فقال ان لم يكن ما بعدها من جنس ما قبلها لم يدخل وان كان
يحتمل ان يدخل ويحتمل ان لا يدخل والاظهر ان لا يدخل انتهى وذهب
ابو العباس رضي الله عنه الى انه اذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها لم يدخل
وقيل ان كان من جنسه دخل في الحكم ان يتعالى • وامسحوا برؤوسكم
وارجلكم الى الكعبين • هذا امر ما لمسح للراس واختلفوا في مقدار
ما يجزئ هنا فقال ابو حنيفة الالصاق وهو مذهب سيبويه وهو الذي
يختاره والمراد الصاق المسح بالراس ما مسح بعضه ومستند
ما لمسح كلما ملصق ما لمسح براسه التي وليس هو كما ذكر لسيرما مسح بعضه
نطلق عليه انه ملصق المسح براسه حقيقة وايمان طلق عليه ذلك
على سبيل المجاز وتسمية البعض بالكل وقيل الباء هنا للتبعيض
وكونها للتبعيض يكثر ها اكثر النحاة وقيل لتاء ان اليمة موكدة در
مثلها في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم
وعيني الاية اي يرد الحاد او على هذه المفهوم وحاة السنة من ظهر
الاختلاف بين العلماء في مسح الراس هل مستوعب وذهب مستدل سوا انما
الا يامر مالك ابن انس رضي الله تعالى عنه وجوب تعميم الراس بالمسح
والمشهور من مذهبه ما مناه الشافعي رضي الله تعالى عنه وجوب
ادنى ما يطلق عليه اسم المسح والمشهور من مذهب الامام ابي حنيفة
رضي الله عنه مسح ربع الراس وقال الثوري رضي الله عنه اذا مسح
شعرة واحدة اجزاه ذلك • قوله وارجلكم الى الكعبين
قرئ بالجر عطفا على برؤوسكم وقرئ بالنصب عطفا على موضع برؤوسكم
فاقتضى ذلك اي اقتضى ظاهر مسح الرجلين ومذهب الجمهور الى ان
فرض الرجلين الغسل الاية وذلك لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الاحاديث التي قاربت التواتر من انه كان يغسل رجليه
في الوضوء وذهب الامامية الى فرضهما المسح لا الغسل وذهب
الحسن وابن محمد ابن جرير الطبري الى ان المتوضي مخير بين غسل
رجليه وبين مسحهما اذ قد ثبت غسلهما بالسنة ومسحهما في القراءة
فاي شيء فعل منهما جاز وذهب داود رضي الله عنه الى انه يجب الجمع
بين غسل الرجلين وبين مسحهما ومن ذهب الى ان قراءة النصب في قوله
وارجلكم هو عطف على قوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم وفصل بينهما
هذه الجملة التي هي قوله وامسحوا برؤوسكم بقوله بعيد لان فيه
الفصل بين المتعاطفين بجملة استانفية وقراءة وارجلكم بالجر
تاتي ذلك وعينا مسح الرجلين بالانتهاء الى الكعبين فعن الامام مالك
رضي الله عنه ان الكعبان هما العظمان الناتيان المتصلان للساق
المحاذيان للعقب وقال الامامية وكل من ذهب الى وجوب المسح الكعب

فرضهما

الذي هو وجه القدم ٧

فيكون المسح مغيا به • وان كنتم جنبا فاطهروا لما ذكر سبحانه وتعالى الطهارة
الصغرى ذكر الطهارة الكبرى وتقدم مدلول الجنب في قوله ولا جنبا
الا عابري سبيل حتى تغتسلوا والظاهر ان الجنب مامور بالاغتسال
وقال عمر وابن مسعود رضي الله عنهما لا يتيمم الجنب البتة بل يدع
الصلاة حتى يجد الماء والجمهور على خلاف ذلك وانه يتيمم ويصلي حتى
يجد الماء وقد رجعا الى ما عليه الجمهور والظاهر ان الغسل والمسح
والتطهر انما يكون بالماء لقوله تعالى فلم تجدوا ماء اي للوضوء
والغسل فتيمموا صعيدا طيبا فدل على انه لا واسطة بين الماء ولا بين
الصعيد وهو قول الجمهور وذهب الاوزاعي والاصم الى انه يجوز
الوضوء والغسل بجميع المائعات الطاهرة • وان كنتم مرضى او على
سفر تقدم تفسير هذه الجملة الشرطية وجوابها في سورة النساء الا
الا ان في هذه الجملة زيادة منه وهي مرادة في تلك التي هي في سورة
النساء وفي لفظة منه دلالة على ايصال شيء من الصعيد يعني
التراب الطاهر الى الوجه واليدين فلا يجوز التيمم بالشيء الذي لا يعلق
باليدين كالحجر والخشب والقصب والرمل العاري عن ان يعلق شيء
منه باليدين فيصل الى الوجه وهذا مذهب امامنا الشافعي
رضي الله عنه وقال ابو حنيفة ومالك رضي الله عنهما اذا ضرب
اليد بالتراب ولم يعلق منه شيء بها اي من الغبار اجزاه المسح بذلك
وظاهر الامر التيمم بالصعيد يعني بالتراب الطاهر والامر بالمسح
انه لو يممه غيره او وقف في مهب ريح فسفت عليه التراب
اي على وجهه ويديه وامر وجهه بيده عليه او لم يمرها او ضرب
ثوبا فارتفع منه غبار الى وجهه ويديه ان ذلك لا يجزيه وفي
كل من ذلك المسائل الثلاثة خلاف • ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج اي من تضييق بل رخص لكم في التيمم بالتراب عند فقد
الماء وتقدم الكلام على مثل اللام في قوله ليجعل اي قدمنا الكلام
على ذلك في قوله تعالى يريد الله ليبين لكم فاغنى ذلك عن اعادته هنا
والذي يقتضيه النظر انه كثر في لسان العرب تعدي لفظ الارادة
والامر الى معمول باللام كهذا المكان كقوله تعالى وامرت ان اسلم
اي لان اسلم لرب العالمين وقال الشاعر ايضا
اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل طريق فهذه اللام يجوز
ان تاتي ان بعدها وان يكتفى بها دون ان وان يؤتى بان وحدها
كقوله تعالى وامرت ان اسلم لرب العالمين وتاويل من جعل
يريد وامرت لاسلم على تاويل المصدر بغير حرف شامل فيقدر
ارادتي ليجعل وامري لاسلم فيكون مبتدا في التقدير والخبر في قوله
ليجعل وفي لاسلم تقديره ارادتي كائنة للجعل وامري كائن للاسلام

الطيب

فهو تاويل

فهو تأويل متكلف • واذكروا نعمة الله عليكم الآية والخطاب في هذه
الآية للمؤمنين والنعمة هنا الاسلام وما صاروا اليه من اجتماع
الكلمة والعزة والميثاق هو ما اخذه الرسول عليه الصلاة والسلام
عليهم في بيعة العقبة وبيعة الرضوان وفي كل موطن كذا قاله ابن
عباس رضي الله عنهما اجمعين • يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط تقدم تفسير مثل الجملة الاولى في النساء الا ان هناك
بدأ بالقسط وهنا اخر وهذا من التوسع في الكلام والتفنن
في الفصاحة ويلزم من يكون قائما لله ان يكون شاهدا بالقسط ومن
كان قائما بالقسط ان يكون قائما لله الا ان التي في النساء جاءت
في معرض الاعتراف على نفسه وعلى الوالدين والاقربين فبدئ
فيها بالقسط الذي هو العدل والسواء من غير محاباة نفس ولا والد
ولا قرابة وهنا قد جاءت في معرض ترك العداوات والاحن
فبدئ فيها بالقيام لله عز وجل اذ كان الامر لله بالقيام اردع
للمؤمنين ثم اردف بالشهادة بالعدل فالتي هي في معرض المحبة
والمحاباة بدأ فيها بما هو آكد وهو القسط والتي في معرض العداوة
والشنآن بدأ فيها بالقيام لله فناسب كل معرض ما جيء به
اليه وايضا فتقدم هناك حديث النشوز والاعراض وقوله
تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وقوله
فلا جناح عليهما ان يصالحا فناسب ذكر تقديم القسط
وهنا تأخر ذكر العداوة فناسب ان يجاورها ذكر القسط
وتعديته بجرمنكم بعلى هنا يدل على ان معناه يحملنكم لان
ما يستكم لا يتعدى بعلى الا ان ضمن معنى ما يتعدى بها وهو
خلاف الاصل قال الله تعالى ايضا اعدلوا هو اقرب للتقوى
اي ادخل في مناسبتها او اقرب لكونه لطفا فيها وفي الآية
تنبيه على مراعاة حق المؤمنين بالعدل اذ كان تعالى قد امر
بالعدل مع الكافرين • واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون الآية
لما كان الشنآن محله القلب وهو الحامل على ترك العدل امر
بالتقوى واتى بصفة خبير ومعناها عليم ولكنها تختص بما لطف ادراكه
فناسب هذه الصفة ان ينبه بها على الصفة القلبية لما
باداء المؤمنين وامرهم بالقيام لله والشهادة بالقسط ذكر موعودهم
بقوله وعد الله الذين آمنوا الآية ووعد تعدى هنا لاثنين
والثاني محذوف تقديره الجنة وقد صرح بها في غير هذا الموضع
والجملة من قوله لهم مغفرة مفسرة لذلك المحذوف تفسير السبب
للمسبب لان الجنة مترتبة على الغفران وحصول الاجر واذا كانت
الجملة مفسرة فلا موضع لها من الاعراب والكلام قبلها تام • والذين كفروا

بعلى

كر

وا

الآية لما ذكر ما أعد من ذكر ما أعده لمن كفر ولي الموصين قد
جاءت الجملة فعلية مقتضية الوعد بالمضي الذي هو دليل على
الوقوع فأنفسهم متشوقة لما وعدوا به متشوقة أتم مشتاقة هذه
الجملة بعد الوعد الصادق وذي الكافرين جاءت الجملة اسمية دالة على
ثبوت هذا الحكم له ولهم أصحاب أنارهم وأنهم وأنهم لهم عذاب
أليم لهم أصحاب الجحيم ولم يأت بصورة الوعيد فكأن
يكون الرجاء لهم في ذلك • يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم •
قال ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية نزلت من أجل كما آل قريظة
وقد تقدم ذكرهم في قوله عز وجل ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية
بغض قوم • ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل الآية مناسبة هذه
لما قبلها أنه لما ذكر الميثاق الذي أخذه الله تعالى على المؤمنين في قوله
تعالى وميثاقه الذي واثقكم به ثم ذكر وعد آبائهم ثم أمرهم
بذكر نعمه عليهم أو كف أيدي الكفار عنهم ذكرهم نقض بني إسرائيل
أخذ الميثاق عليهم ووعدهم لم يكفروا السيئات وأدخلهم الجنة وينصروا
الميثاق • واثني عشر نقيبا هم الملوك وقيل ما وفى منهم بالميثاق
إلا خمسة داود وابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام وطالوت وحزقيا
وابنه وكفر الستة وقد تلوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وخرج خلال الاثني عشر أتباع وقلاوون كلهم ماخذ الملك مع
السيف وثبت فيهم وهب سجاته وتعالى على إقامة الصلاة وإيتاء
الزكاة والإيمان بالرسل وتعظيمهم وأمرهم الله سبحانه وتعالى فرضا حسنا
تكفر سيئاتهم وأفعالهم الحسنات وقدم قبل هذا أنه تعالى معهم بالكلاءة
والحفظ ذكر ذلك كله البخاري رضي الله عنه وهذا الجواب فيه
لأكفرن عنكم سيئاتكم ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا انتهى
ليس كما ذكر لا يسد قوله لأكفرن مسد هما بل هو جواب القسم
فقط وجواب الشرط محذوف وقد لما علم سبحانه وتعالى أنه لا يفي بالميثاق
بعضهم قال تعالى فمن كفر بعد ذلك منكم ورتب على بعضهم الميثاق
لعنهم وجعل قلوبهم قاسية ثم ذكر تحريفهم لكلام الله سبحانه وتعالى
ونسيانهم حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع • الخطاب لهذا لرسوله صلى الله
عليه وسلم أي على خيانتهم وغدرهم معك ودوامهم على ما كان أسلافهم من
خيانة الرسل وقتلهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيهم لأن الوثوق بهم
وبكون عهدك وميثاقك عليك أعز لك وهمزك بالفعل أي يهمون
بفتكك وأن يسبوك وقوله خائنة صفة لمحذوف تقديره على نفس خائنة
وقد يراد بالخائنة المصدر أي خيانة فاعله كما قال تطلع على خيانة ثم استثنى
بقوله إلا قليلا منهم كمن أسلم كعبد الله بن سلام وغيره ثم أخر تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم بالعفو عنهم والصفح وأن ذلك من الإحسان إليهم فقال عز

بالسيف

ودوامهم

فاعفو

ظاهر عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ثم ذكر تعالى اخذ الميثاق على النصارى
والميثاق المأخوذ عليهم هو الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اذ
كان ذكره عليه الصلاة والسلام موجودا في كتبهم كما قال الله عز وجل
يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل قال الزمخشري رضي الله
عنه فان قلت فهلا قيل ومن النصارى قلت لانهم لما سموا انفسهم
بذلك دعاء لنصرة الله عز وجل وهم الذين قالوا نحن انصار الله ثم
اختلفوا بعد فمنهم نسطورية ومنهم يعقوبية ومنهم ملكانية انتهى
وقد تقدم في اول سورة البقرة انه قيل سموا نصارى لانهم من قرية يقال
لها ناصرة وقومهم هنا انصار اي وفي رواية وقال بعضهم ادعوا
انهم هم الذين قالوا لعيسى عليه السلام نحن انصار الله امنا
بذلك هم الحواريون وهم عند الحشر كفار وقد اوضح ذلك على زعمه
في آخر هذه السورة وهم عند غيرهم مسلمون لم يختلفوا هم وانما اختلف
من جاء بعدهم ممن بعد في نبوته • واغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم
القيامة ظاهره انه يعود على النصارى وقيل النصارى منهم النسطورية
واليعقوبية والملكية فكل فرقة تعادي الاخرى وقيل الضمير عائد على اليهود والنصارى اذ من بين اليهود وبين النصارى قتال وانهم اعداء تلاعن بعضهم
بعضا وتكفر بعضهم بعضا الى يوم القيامة • وسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون في هذه الآية تهديد ووعيد شديد بعذاب الآخرة اذ موجب
ما صنعوا انما هو الخلود في النار يا اهل الكتاب الخطاب هنا لليهود
والنصارى • قد جاءكم رسولنا هو محمد صلى الله عليه وسلم • يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب • من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومن رجم
الزانية وغير ذلك • ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام • والمراد بالنور هنا
القرآن اذ هو مزيل الظلمات الشرك والشك مبين اي واضح الدلالة
موضح طرق الاسلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط
مستقيم • لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم الآية ذكر سبحانه
وتعالى ان من النصارى من قال ان المسيح هو الله وقسم منهم من قال انه
ابن الله ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة وقد مر انهم ثلاث طوائف ملكانية
ويعقوبية ونسطورية وكل منهم تكفر بعضهم بعضا ومن بعض
اعتقاد ان النصارى ستبسط من شرقي الاسلام الى اواسط
القسطنطينية طول سنة الى في الصور الجملة ومن ذهب من ملاحدهم الى الكفر
بالاتحاد والوحدة كالحلاج والسهروردي وابن عربي الطائي الحاتمي
بدمشق الشام وابن الفارض واتباع هؤلاء كابن سبعين والتلمساني
تلميذه وابن مطرف الحكيم بمرسية والصفار المقتول بغرناطة وابن برجان واين
الحسن الحكيم بالمرية ومن رأيناه يميل لهذا المذهب المتصوف العفيف التلمساني

وله في ذلك اشعار كثيرة وابن عياش الماء لقي الاسود الاقطع المقيم بدمشق
وعبد الواحد بن الموخر المقيم كان مقيما بصعيد مصر والاسهل العجمي
الذي كان يولي المسجد بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من ديار مصر
وابي يعقوب ابن مبشر تلميذ الششتري المقيم كان بحارة زويلة بالقاهرة
والشريف عبد العزيز المنوفي وتلميذه عبد الغفار القوصي وانما سترت
اسماء هولاء نصحا لدين الله عز وجل يعلم الله ذلك وشفقة على ضعفا
المسلمين وليحذروا من ذلك كل الحذر فهم اشر من الفلاسفة الذين يكذبون
الله ورسله ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث وقد اولع جهلة
من ينتمي الى التصوف بتعظيم هولاء وادعائهم انهم صفوة الله عز
وجل واولياؤه والرد على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة
هو من علم اصول الدين ۞ قل فمن يملك من الله شيئا الاية هذا رد عليهم
والفاء في قوله قل فمن يملك للعطف على جملة محذوفة تضمنت كذبهم
في مقالتهم التقدير قل كذبوا او قل ليس كما قالوا فمن يملك والمعنى
من يمنع قدرة الله وارادته شيئا اي لا احد يمنع مما اراد الله شيئا
وهذا الاستفهام معناه النفي وان اراد شرط جوابه محذوف تقديره
فعل ذلك ومن في الارض عام معطوف على ما قبله وما قبله نص على
المسيح وامه وقد اندرجا في العموم فصارا مذكورين مرة في النص ومرة
في العموم ۞ ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير
والمسيح وامه عليهما الصلاة والسلام من جملة ما في الارض فهما
مقهوران له مملوكان له وهذه الجملة مؤكدة لقوله ان اراد ان يهلك
المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ودلالة على انه اذا اراد
فعل لان من له ذلك الملك يفعل في ملكه ما يشاء ۞ يخلق ما يشاء
اي ان خلقه ليس مقصورا على نوع واحد بل ما تعلقت
مشيئته بايجاده اوجده واخترعه فقد يوجد شيئا لا من ذكر ولا من انثى
كادم عليه الصلاة والسلام واوائل الاجناس المتولد بعضها من بعض
وقد يخلق من ذكر وانثى وقد يخلق من انثى لا من ذكر معها كالمسيح عليه
الصلاة والسلام وفي قوله يخلق ما يشاء اشارة الى ان المسيح وامه عليهما
الصلاة والسلام مخلوقان ۞ والله على كل شيء قدير وكثيرا ما يذكر القدرة
عقيب الاختراع وذكر الاشياء الغريبة ۞ وقالت اليهود والنصارى الاية
ظاهر اللفظ ان جميع اليهود والنصارى قالوا عن جميعهم ذلك وليس
كذلك بل في الكلام لف وايجاز والمعنى وقالت كل فرقة من اليهود
والنصارى عن نفسها خاصة ۞ نحن ابناء الله واحباؤه ۞ جمع حبيب فعيل
بمعنى مفعول اي محبوبون اجري مجرى فعيل من المضاعف الذي هو اسم
الفاعل نحو لبيب والباء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم طائفة من
اليهود خوفهم الرسول عليه الصلاة والسلام عقاب الله فقالوا له اتخوفنا

بالله ونحن

بالله ونحن ابناء الله واحباؤه يدل على ذلك وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء والبنوة
هنا بنوة الحنان والرافة واحباؤه جمع حبيب فعيل بمعنى مفعول
اي محبوبوه اجري مجرى فعيل من المضاعف الذي هو اسم الفاعل
نحو لبيب واللباء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم طائفة
من اليهود خوفهم النبي صلى الله عليه وسلم عقاب الله فقالوا اتخوفنا
بالله ونحن ابناء الله واحباؤه بعد قل محذوف تقديره كذبتم
في دعواكم قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق ومن كان محبوبا
لله وابنا له بمعنى الرافة لا يعذبه بل انتم بشر ممن خلق اضرب هنا
عن الاستدلال الاول من غير ابطال له وانتقل الى استدلال مشارك من
كونهم بشرا اي ثبوت كونهم بشرا ممن خلق اي من بعض من خلق فهم
مساوون لغيرهم في البشرية والحدوث وهما يمنعان البنوة
فان القديم لا يلد بشرا والاب لا يخلق ابنه فانتفى بهذين الوصفين
البنوة وامتنع بتعذيبهم ان يكونوا احباء الله فبطل الوصفان
اللذان قد ادعوهما يا اهل الكتاب شامل لليهود والنصارى قد
جاءكم رسولنا هو محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم مفعوله محذوف
تقديره يبين لكم شريعة الاسلام والدين على فترة من الرسل اي
على انقطاع من الرسل اذ لم يكن بين محمد وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام
رسول ولا فترة قال ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بين ميلاد عيسى
ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة سنة وتسع وستون سنة بعث في اولها
ثلاثة انبياء وهو قوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما
فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قيل الثالث كان اسمه شمعون
وكان من الحواريين كما قاله الكلبي رضي الله عنه وقال الفراء
رضي الله عنه مثل قول ابن عباس ايضا الا انه قال كان بينهما اربعة
انبياء واحد من العرب من بني عبس وهو خالد بن سنان الذي قال فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيعه قومه ان تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير قال
الفراء رضي الله عنه معناه لئلا تقولوا وهو متعلق بقوله قد جاءكم رسولنا
وقوله من بشير من زائدة وهو فاعل بقوله ما جاءنا فقد جاءكم بشير
ونذير وفي الاتيان بهذين الوصفين تكذيب لهم وخصوص اليهود
من معنى قوله واذ قال موسى لقومه الاية مناسبة هذه الاية لما قبلها
انه سبحانه وتعالى بين تمرد اسلاف اليهود على موسى عليه الصلاة
والسلام وعصيانهم اياه مع تذكيره اياهم بنعم الله تعالى وتعداد ما
العظيم منها وان هؤلاء الذين هم بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام هم
جارين معك مجرى اسلافهم مع موسى عليه الصلاة والسلام وعدد عليهم

النصارى

صفين

معنى

هو

من بعد ثلاثا

الا ولي جعل فيهم انبياء وذلك اعظم الشرف اذ هم الوسائط بين الله
وبين خلقه والملعون من سائر بقعة الثانية جعلهم ملوكا
طابع الامتنان عليهم بان جعلهم ملوكا اي جعل منهم ملوكا اذ الملك
شرف في الدنيا والجنة آه فذكرهم بآن منهم فادة الدنيا وخادة
الاخرة والثالثة اتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وقد فسره ايضا بالمن والسلوى وظلل الحجر
وتظليل الغمام ودخول الابواب المقدسة المطهرة وهي ايليا الشملة
على بيت المقدس الآن وقتل عزة ذلك وقال الفرزدق • • •
وبيتان بيت الله نحن نزوره • وبيت بناه ابراهيم مشرف •
وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى
ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى ومعنى
قوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم اي قدرها وسماها
وفي ذلك تنشيط لهم وتقوية اذ اخبرهم بان الله تعالى كتبها لهم
ولا ترتدوا على اعقابكم اي لا تنكصوا على اعقابكم من خوف الجبابرة
جبنا وهلعا فتنقلبوا خاسرين اي فتصيروا خاسرين
قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين قيل انهم من بقية قوم قد سلطوا على
الارض المقدسة وكانوا استحقوا ذلك وفي قوم وقيل كانوا من
ولد العيص بن اسحاق واما الذين خافوا حتى خرجوا منها تعالى
عنها او نسب بخروجهم الله تعالى وهم يخرجون فان خرجوا منها فادخلوها
داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم
الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
الاشهر عند المفسرين ان الرجلين هما يوشع ابن نون ابن افراثيم ابن
يوسف ابن يعقوب اخي وهو ابن اخت موسى وكالب ابن يوفنا حواري
موسى على اخته مريم بنت عمران وهما اللذان وحدا من النقباء الذين
بعثهم موسى في كشف حال الجبابرة فكتما ما اطلعا عليه من احوال الجبابرة
الا عن موسى عليه الصلاة والسلام واخبراه بذلك سنة النقباء في اتيانهم
فآل بهم ذلك الى الخوف والجبن بحيث امتنعوا من القتال ومعنى
من الذين يخافون اي من بني اسرائيل الخائفين انعم الله عليهما بان
ثبتهما وآتاهما اويلف مدينة الجبارين والمعنى اقدموا على الجهاد
وكافحوا حتى تدخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون قالوا
ذلك ثقة بوعد الله تعالى في قوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي
كتب الله لكم وقيل رجلان يخافهما بنو اسرائيل يصبر الله رسله وعلى ذلك شاع ظهم وما
نرى قوما في عدد آدم الا ذلوا واذا لم يكونوا حافظين باب مدينتهم حتى
دخلوها هو آخر قولان لتحيطوا ملوك ابابا ذلي وعلى الله فتوكلوا ان كنتم

الخوف

مرتين لما رأيا بني اسرائيل قد عصوا الرسول عليه الصلاة والسلام في
في الاقدام على الجهاد مع وعد الله السابق لهم باسرائيل في ايمانهم وامرهم
بالتوكل على الله اذا هو المنجاء والمفزع عند الشدائد وعلق ذلك
بشرط الايمان الذي لا يتم ايمان حصول ما يليق بالمرء عمله والتعاني في ذلك
فتوكلوا جواب امر محذوف اي ان كنتم مسلمين فتوكلوا وعلى الله متعلق
بتوكلوا وما قالت العرب زيدا فاضرب قد مر تحقيقه وامر زيدا
وكذا اماني معمول ما بعد الفاء مقدما عليها • قالوا اي موسى انا
لن ندخلها ابدا ما داموا فيها لما كرر عليهم امر القتال كرروا الامتناع
على سبيل التوكيد المؤيس منه وقيدوا انهم لا يتوقع ابدا دخولها للعرب
المختص بالاستقبال وحقيقته التأبيد وقد يطلق على الزمان
المتطاول وكانهم اولا نفوا الدخول طول الابد ثم رجعوا الى تعليق
ذلك بدءوبة الجبارين فيها وما في قوله ما داموا فيها مصدرية ظرفية
تقديره مدة دوامهم فيها والمراد ان ما انا مقيد امر زمان هو ظاهر
في العموم في الزمان المستقبل فهو مكون بدلا بعض من كذلك
• فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون • وطلبوا من الكلام
ان المراد لذهابهما هنا الانتقال وذلك يدل على انهم كانوا حسبما
ولذلك قال الحسن رض الله عنه هو كفر منهم بالله سبحانه وتعالى
ويدل على ذلك عبادتهم العجل واتخاذه الها يعبد من دون
الله وبكوهم حين مروا بقوم يعبدون البقر قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام
اجعل لنا الها كما لهم الهة وذلك معطوف على اضمار المستكن في
اذهب لك كذا بات وتقدم الكلام على نظيره في قوله تعالى لادم
عليه الصلاة والسلام اسكن انت وزوجك الجنة • انا ههنا قاعدون
هذا دليل على انهم حاربت طباعهم فلم يقدروا على الذهاب معه
للقتال ولا على الرجوع من حيث جاء ان اقاموا حتى تحاربت المجاوزة
بين موسى وبينهم وما من قوله ههنا قاعدون للتنبيه هنا
ظرف ومكان حال من المرتب والعامل فيه قوله قاعدون فقال
رب اني لا املك الا نفسي واخي لما عصوا امر الله عز وجل وتمردوا على
موسى وسمع منهم ما سمع من كلمة الكفر وسوء الادب مع الله ولم يبق عنده
تعويل الا هارون وقد علم الصلاة والسلام قال له كذا هذا من الكلام الذي
يصاحبه على الالتجاء الى الله عز وجل وشدة الاعتماد به والشكوى اليه ورقة
القلب التي تستخلب الرحمة وتستنزل النصرة واخي منصوب او مجرور معطوف على
نفسي وتعيين فيه هارون عليه الصلاة والسلام وكانه ما اعتد بهذين
الرجلين المؤمنين كما روي عن علي كرم الله تعالى وجهه انه خطب في مسجد
الكوفة فاستحث على قتال الخوارج فلم يجبه الا الاحداث فقال ان يبلغ
ما يريد اي لا ما اريد وقد جاز ان يكون هارون وابن عطية رحمه الله تعالى غنما

عن الكبائر به
الى الاستعانة به
والتوكل عليه

ان يكون واخي مرفوعا معطوفا على الضمير المستكن في املك وجاز
ذلك للفصل بينهما بالمفعول المحصور ويلزم من ذلك ان موسى
وهارون عليهما الصلاة والسلام لا يملكان الا نفس موسى فقط
وليس المعنى على ذلك بل الظاهر ان موسى عليه الصلاة والسلام
يملك امر نفسه وامر اخيه فقط • فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين ظاهره بان في ضمن هذا القول دعاء بان الله
تعالى يفرق بينهما • قال تعالى مجيبا لدعائه • فانها محرمة
عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض • والمعنى ان في قال ضمير
يعود على الله تعالى والمعنى في قوله فانها اي الارض المقدسة
محرمة عليهم اي محرم عليهم دخولها وتملكهم اياها وانتصب
اربعين على انه ظرف زمان والعامل فيه محرمة قيل وحكمة
هذا العدد انهم عبدوا العجل اربعين يوما فجعل لكل يوم
سنة قيل ان من كان جاوز عشرين سنة لم يعش الى الخروج من التيه
وان من كان دون العشرين عاش وكانه لم يعش المكلفون
العصاة يتيهون والتيه في اللغة الحيرة يقال منه تاه يتيه
ويتوه وتيهة وتوهته والتاء البر والارض التيهاء التي لا يهتدى
فيها الى طريق وارض تيه والعامل في قوله اربعين سنة يتيهون
في الارض قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه ويحتمل ان يكون
العامل في اربعين مضمرا يدل عليه يتيهون المتاخر انتهى
ولا ادري ما الحامل له على قوله ان العامل مضمر كما ذكر بل الذي
قد جوزه الناس في معنى ذلك هو ان يكون العامل فيه يتيهون
نفسه لا مضمر يفسره قوله يتيهون في الارض قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما كان التيه الذي مكثوا فيه تسعة فراسخ وقال
مقاتل هذا كان عرضها وكان طولها ثلاثون فرسخا • وروي
في كيفية تيههم في هذه المدة انهم كانوا يرحلون بالليل ويسيرون
ليلهم اجمع حتى اذا اصبحوا وجدوا حملتهم اجمع في الموضع الذي قد
ابتدأوا منه ويسيرون النهار جادين حتى اذا امسوا فاذا هم
في الموضع الذي ابتدأوا منه كذلك فكان سيرهم ذلك تخييليا
وحصول مشقة بلا فائدة وقيل انهم كانوا ستمائة الف
مقاتلين قيل والحكمة في عدم خروجهم من التيه هو انهم لما
قالوا اذا ههنا قاعدون عوقبوا بالقعود فصاروا في صورة القاعدين
وهم سائرون كلما ساروا يوما امسوا في المكان الذي اصبحوا
فيه وكان هذا التيه خرق عادة وعجبا من عجيب قدرة الله عز وجل
حيث كانوا عقلاء ولم يهتدوا للخروج من التيه ومات موسى
وهارون عليهما الصلاة والسلام في التيه فكان التيه لبني اسرائيل عقابا

ولهما رحمة

وانما رحمة واحدة وذرفها وستاتي الله تعالى وقع الوعد
موعدا يوشع ان نوبت بعد كمال الاربعين سنة فصدقه سبحانه اسرائيل
واخرهم بامر الله عز وجل امره بقتال الجبارة فسايعوه وسار
بهم الى ارمحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله لبني
اسرائيل وفي تلك الحرب وقفت له الشمس اي حبست عن
الغروب ساعة حتى اسمر هزم الجبارين * قال الشعر وجل
* فلان اسمر اي وجعناه فلا تحزن يقال اسى الرجل ياسى اذا حزن والظاهر
ان خطاب لموسى عليه الصلاة والسلام
ومعنى على القوم الفاسقين اي على عذابهم واهلاكهم * قوله عز
وجل واتل عليهم الظاهر من هذه الاية انه خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وقوله عليهم اي على امة بني اسرائيل الذين قد
عاصروه صلى الله عليه وسلم وقيل ابسط اليهم وقالوا انهم
ابناء الله واحباؤه وذكرهم موسى عليه الصلاة والسلام سمع الله
عز وجل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما سمعت هذه الاية
لما قالها انه كان من اخره لامم لموسى عليه الصلاة والسلام
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وذلك لجبنهم
وحور طباعهم اي خلوها عن القوة وعن قتال الجبارة وفي قصة
ابني ادم حسان قابل على قتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق
قد شابهتها من هذا الوجه وكان قابيل اول عاص على وجه الارض
هذه المعصية الشديدة وسوأة اول من خالف رسول لم يعرف
اذهب انت وربك فقاتلا والسوأة مقاة الحر وابن ادم هما
قابيل وهابيل اسماه لصلبه * اذ قربا قربانا او منصوبا بقوله
نبأ قال ابن مسعود رضي الله عنه ويجوز ان يكون بدلا من نبأ
اي اتل عليهم النبأ اقتصاص ابني ادم اي نبأ ذلك الوقت على تقدير
حذف المضاف فانتصب ما يجوز ما كان ان لا اضاف اليها الا الزمان
ونبأ ليس هو زمانا والقربان الذي قربا هو ضأن قابيل
وكبش هابيل وكانت علامة القبول اكل النار اياه دلالة من
السماء القربان وترك غير المتقبل قال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت فهو صدقة لا تحادي فاعلا لفعلين والمطاوعة مختلفة
فيها الفاعل فكيف يكون من احدهما فعل ومن الاخر انفعال نحو
قولك كسرته فانكسر وفلقته فانفلق وليس قربت صدقة
وتقربت بها من هذا القبيل ولا من نوع هذا الباب والا فهو غلط
فاحش فتقبل من احدهما هو هابيل * ولم يتقبل من الاخر
وهو قابيل * قال لاقتلنك * قال انما يتقبل الله من المتقين هذا
لفظ شديد ووعيد بالقتل لاخيه واكده هنا بالقسم المحذوف وخبره

لفاعله

لهم

تقديره هو

والله لقتلنك ولما هددوه بالقتل علم انه لم يكن مقتولا لله سبحانه
وتعالى لتهديدهم لهذه المعصية العظيمة وكان ذلك حسدا له
فقال انما يتقبل الله من المتقين ومن لم يرض بفعل الله تعالى لم
يكن متقيا له تعالى ثم قال له لئن بسطت الي يدك لتقتلني
الآية فبين التقاوت بينهما بانك ان اردت قتلي فما انا بقاتلك
قتلك واللام في قوله لئن هي الموطئة للقسم المؤذنة بقسم محذوف
وان شرطية وجواب القسم محذوف تقديره هنا قوله ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك وجواب لئن محذوف لدلالة جواب القسم
عليه وذكروا ان الحامل له على ان لا يريد قتله خوفه من الله تعالى
قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت لم جاز ان اسط بلفظ
الفعل والجزاء بلفظ الاسم اي اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت
ما انا بباسط يدي اليك قلت لتقييد انه لا يفعل ما يكتسب به
هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء الموكدة للنفي اهـ
واورد ابو حيان عليه الرد الذي هذا السؤال والجواب ولم يتنبه
للزمخشري رضي الله عنه وهو كلام فيه انتقاد وذلك ان قوله
ما انا بباسط قلت لتقييد انه لا يفعل ذلك بل هو جواب للقسم
المحذوف ولو كان جوابا للشرط لكان بالفاء فانه اذا كان جواب
الشرط منفيا بما فلا بد من الفاء الا ان كانت الاداة ليست
من الحروف مرفي الكلام فلا تحتاج اذ ذاك الى الفاء كقوله تعالى واذا
تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا
ان كنتم صادقين وانما علة النحويين انه اذا اجتمع قسم وشرط
كان الجواب للسابق منهما او لم يتقدمهما واخبر اسمي قوله
عز وجل اني اريد ان تبوء المعنى ان قتلتني وسيء ذلك قد
فاصاري ان اكون مظلوما منتصرا الله لي في الآخرة فطوعت
له نفسه قتل اخيه فقتله وهو فعل من اطوع وهو الانقياد
كان القتل كان ممتنعا عليه منعا صعبا واصله طاع له قتل اخيه
اي انقاد له وسهل ثم عدي هنا بالتضعيف فصار الفاعل
مفعولا والمعنى ان القتل في نفسه مستصعب عظيم على النفوس
فوجه هذه النفس الحجج الآمرة بالشجاعة منقادا حتى
اوقعه صاحب هذه النفس وقرئ فطاوعت بالالف يكون
فاعل فيه للامر اي كقولك ضاربت زيدا قال الزمخشري رضي
الله عنه فيه وجهان احدهما ان يكون مما جاء على فاعل بمعنى
فعل كوان مراد بكان ان قتل اخيه كان وقع منه الا قدام عليه
فطاوعه ولم يمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت زيدا
ما له انتهى واما الوجه الثاني فهو موافق لما ذكرناه واما الوجه الاول

فقد ذكر

ذكر ستويه رضي الله عنه صاعت وضيعت مثل ابعت وبعت
وقال نجا وأبه على مثال عاقته قاك وقد يجيء فعلت لا يراد
لها عمل اثنين ولكنهم سووا عليه الفعل كما سووا عليه فعلت
وذكر امثلة منها عافاه الله وهذا المعنى وهو ان فاعل بمعنى
فعل اعفله بعض المصنفين من اصحابنا في التصريف كأن عصفور
وابن مالك وناهيك بهما جمعا واطلاعا فلم يذكرا ذلك وفاعل بجيء
بمعنى فعل ولا فعل بمعنى فاعل وقوله وكله لزيادة الربط
في قوله فطوعت له نفسه يعني انه لو جاء فطوعت له نفسه قتل اخيه
لكان كلاما ناقصا غير جار على كلام العرب وانما جيء به على سبيل زيادة
الربط لان الكلام اذا الربط بعضه ببعض وبدونه كما انك لو قلت حفظ
مال زيد كان كلاما ناقصا صح بمعنى صار من النادمين قال
الله تعالى ارضاه فبعث الله غرابا يبحث في الارض الآية ذوي
اثنة او ذي قتل قتل على وجه الارض ولما قتله تركه بالعراء
لا يدري ما يصنع به فخاف على اخيه السباع فبعث الله غرابا انتهى
والغراب معروف ويجمع في القلة على اغربة وفي الكثرة على
غربان قيل هو مشتق من الاغتراب والعرب تتشاءم به قال
الشاعر
وما تدري العامرية غدوة ... سوانح ما تغدو به ام تعرج
بمعنى والمراد بهم كثرة الغربان ظاهر الآية ان الله سبحانه وتعالى بعث
غرابا يبحث في الارض فرأى انهما كانا غرابان قتل احدهما
صاحبه فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة ثم القاه فيها وصار
يحثو عليه تراجيه واراه ثم فارقه والبحث في الارض هو نبش
التراب واثارته ليريه كيف يواري سوأة اخيه اي ليعلمه
كيف يفعل باخيه كذلك والى الآية ذهب الاكثر والضمير الفاعل
في قوله ليريه عائد على الغراب ويجوز ان يكون عائدا على
المصدر المفهوم من قوله يبحث اي ليريه البحث وكيف منصوب بقوله يواري
والجملة استفهامية في موضع مفعول ثان لقوله ليريه بمعنى ليعلمه
والسوأة اي العورة • قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا
الغراب الآية استقصر ادراكه وعقله في جملة ما يصنع باخيه
حي يتعلم وهي ذوات العقل لمرك فيه الفكر والروية وانت ربما
من طائر لا يعقل ومعنى هذا الاستفهام الانكار على نفسه
والتنبيه اي لا اعجز عن كوني مثل هذا الغراب في ذلك فهلم الى نفسي
واستصغارها لقوله مثل هذا الغراب واقبل ما ندا دان يكون
لمن يعقل ثم قد تنادي ما لا يعقل على سبيل المجاز كقولهم يا عجبا
وياحسرة والمراد بذلك التنبيه كأنه قال انظروا لهذا العجب وهذه
الحسرة والمعنى تنبهوا لهذه الهلكة وتأويله هذا اوانك فاحضري

على ظهر الارض

وما تدري

وقرأ الجمهور يا ويلتا بالف هي منقلبة عن اهلية الياء كما قالوا في يا غلامي
يا غلاما وقرئ يا ويلتي على اصل ياء المتكلم وقرئ اعجزت بفتح الجيم
وهي اللغة الفصيحة وبكسرها وهي قراءة شاذة والعجز عن الشيء
انتفاء القدرة عليه وان اكون تقديره عن ان اكون فحذف عن
وان اكون هل هو في موضع نصب او هو في موضع جر فيه خلاف
• فاواري سوأة اخي معطوف على قوله ان اكون فالعجز متسلط على
الكون وعلى المواراة وقرأ طلحة ابن مصرف والعباس ابن غزوان فاواري
بسكون الياء فالاولى ان يكون على القطع اي فانا اواري او على التسكين في
موضع النصب للتخفيف انتهى يعني انه حذف الحركة وهي الفتحة
تخفيفا استثقلها على حرف العلة قال ابن عطية رضي الله عنه هي لغة لتوالي
الحركات لا ينبغي ان تخرج على النصب لان نصب مثل هذا او بظهور
الفتحة ولا تستثقل الفتحة فتحذف تخفيفا كما اشار اليه الزمخشري
رضي الله عنه ولا ذلك لغة كما زعم ابن عطية ولا يصلح التعليل بتوالي
الحركات فيه وهذا عند النحويين اعني النصب بحذف الفتحة لا يجوز الا في
الضرورة فلا تحمل القراءة عليها انا وجد حملها على معنى صحيح وقد وجد
وهو الاستئناف اي فانا اواري وقال الزمخشري فاواري بالنصب على جواب
الاستفهام انتهى وهذا خطأ فاحش لان الفاء الواقعة جوابا للاستفهام
تنعقد من الجملة الاستفهامية والجواب شرط وجزاء وهنا لا ينعقد
تقول اتزورني فاكرمك فالمعنى ان تزورني اكرمك ولو قلت
هنا اأعجز ان اكون مثل هذا الغراب اواري سوأة اخي لم يصح لان المواراة
لا ترتب على عجزه عن كونه مثل الغراب • فاصبح من النادمين قيل هنا
جملة محذوفة تقديرها فواري سوأة اخيه والظاهر ان ندمه
كان على قتل اخيه لما لحقه من عصيان ربه واسخاط ابويه وتبشيره
انه من اصحاب النار وهذا يدل على انه كان عاصيا لا كافرا • من
اجل ذلك متعلق بقوله كتبنا ويقال اجل واجل ومعناه من سبب
ذلك القتل كتبنا على بني اسرائيل يقال فعلت هذا من اجلك اي بسببك
وقيل يتعلق من اجل بقوله من النادمين اي صار من النادمين
بسبب القتل ويكون كتبنا على بني اسرائيل استئناف كلام وقوله
بغير نفس اي بغير قتل نفس او فساد في الارض هو معطوف على
نفس اي وبغير فساد والفساد قطع الطريق وقطع الاشجار
وقتل الدواب لا لضرورة وحرق الزرع وما يجري مجراه وهو الفساد
المشار اليه بعد هذه الآية والضمير في انه ضمير الامر ومن شرطية
وجوابه فكانما والجملة في موضع خبر انه ويشبهه قتل النفس الواحدة
بقتل الناس جميعا واحياؤها باحيائهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هو
من حيث انتهاك حرمتها بالقتل او صون حرمتها بالامتناع وباستحيائها

اجل

• ولقد

• ولقد جاءتهم الضمير في جاءتهم عائد على بني اسرائيل ومعنى البينات
بالمعجزات والكتب الالهية التي فيها ثم عادوا الى ما كانت عليه
فيما كانوا به من اهمال امر الله وعزوجل والانقياد لاحكامه ثم ان كثيرا
منهم بعد ذلك اي بعد مجيء الرسل في الارض لمسرفون اي متجاوزون
الحد في المعاصي وعدم اتباع الرسل ومنهم في موضع الصفة لقوله
كثيرا او بعد ذلك منصوب على الظرف والعامل فيه قوله
لمسرفون انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله الآية نزلت في قوم من
عكل وعرينة وحديثهم مشهور ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر في الآية
قبلها تغليظ الاثم في قتل نفس بغير نفس ولافساد في الارض اتبعه
ببيان الفساد في الارض الذي يوجب القتل مما هو فان بعض ما يكون
فسادا في الارض لا يوجب القتل كمحاربة الله ورسوله هو في الحرف
مضاف في تقدير محاربون اولياء الله والمحاربة مطلقة وفسرها
مالك رضي الله عنه بان المحارب هو من حمل السلاح على الناس سواء كان في
مصر او برية فكادهم عن انفسهم واموالهم دون ثائرة ولا دخل ولا عداوة
وبه قال ابو حنيفة وجماعة ان المحاربين هم القطاع للطريق خارج
المصر واما في المصر فملحق بمحدث ما اجترح من قتل او سرقة او غصب
او غير ذلك وقوله في الارض اظهر العموم فيشمل الامصار وغيرها وبما
قال مالك رضي الله عنه والسعي في الارض فسادا يحتمل ان يكون
المعنى بمحاربتهم او بتضييق فساد الى الحكام ويحتمل ان ينتصب فسادا
على انه مفعول له او مصدر في موضع الحال او مصدر من معنى قوله
ويسعون على ان معنى ويسعون في الارض اي يفسدون فيها والقتل
لقد اثر تثبت حنفي فقال ابو حنيفة ومحمد عزهما يقتلون
حتما ويصلبون حتى يموت وقال الشافعي وجماعة من الائمة رضي الله
تعالى عنهم اجمعين يقتلون ثم يصلبون نكالا لغيره واما القطع
واليد اليمنى من الرسغ ثم الرجل اليسرى من المفصل واختلفوا في
النفي فقال ابو حنيفة رضي الله عنه النفي ملوك يسجن وهو اخراجه
من الارض التي لاشاعره وهو مسجون خزيا من الدنيا ونكالا من اهلها
ولستاس الاموات فيها ولا الاحياء • وقال المدني هو ان يطلب
بالخيل والرجل فيقام عليه حد الله عز وجل ويخرج من دار الاسلام
وقال مالك رضي الله عنه لا يضطر مسلم الى دخول دار الشرك
• ذلك لهم خزي في الدنيا اي هذا الجزاء من القتل والصلب والقطع
والنفي والخزي الهوان والذل والافتضاح ولهم في الاخرة عذاب عظيم
ظاهره الجمع للمحاربين بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم الآية ظاهره استثناء من العاقبتين
عقاب قاطع الطريق فاذا تابوا قبل القدرة عليهم سقط عنهم ما تربت

وهذا هو ظاهر فعل علي رضي الله عنه بحارثة ابن مضرب العدواني فانه
كان محاربا ثم تاب قبل القدرة عليه فكتب له بسقوط الاموال والدم
عنه كتابا مفشورا وقالوا الا نظر للامام فيه الا كما ينظر في سائر
المسلمين فان طولب بدم نظر فيه واقيد منه وطلب اولياء وارش
طولب بمال فمذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما وكذا اصحاب
الراي يوخذ ما وجد عنده من مال وغيره ويطالب ببينة جميع
ما استهلكه وقال قوم من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى
عنهم اجمعين لا طالب بما استهلكه ويوخذ ما وجد عنده بعينه
وظاهر قوله غفور رحيم عدم المطالبة بشيء من الجرائم السابق لمن تاب
من المحاربين قبل القدرة عليه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله الاية
مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر جزاء المحاربين امر المومنين
المومنين بتقوى الله تعالى والتماس القربة اليه فان ذلك هو المنجي
من المحاربة والعقاب المعد للمحاربين والوسيلة هي القربة امر
بالوصف الذي خالف فيه المحارب فان لم يتق الله تعالى ولا التمس قربة
اليه وجعل الحرابة قربة للجهاد في سبيل الله عز وجل واستحق بذلك
العقاب العظيم في الدنيا والعذاب في الاخرة ورتب هنا رجاء
الفلاح على الاتصاف بهذه الاوصاف اليق في هذه الاية من ترتيبه
والتماس الوسيلة والجهاد ذه ان الذين كفروا الاية لما ذكر حال المومن
وحال الفلاح له ذكر حال الكافر وما يتوقى له ليس امر امره وخبره
ان هو لو وجوابها ومثله معطوف على ما من قوله ما في الارض الى
الذي في الارض وجواب لو حال مقيدا وان كان قد تقدمه ما شاء ان
فان قلت فهم ينتصب المفعول معه قلت بما تشعر عنه لو من كثرة
المثل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض جميعا انتهى وانما
توحد الضمير لان حكم ما قبل المفعول معه في الجواب والجزاء عود
الضمير عليهما حكمه متقدما فتقول المال والجمة استوى كما
تقول المال يستوي والجمة وقد راعى ان الاخفش في ذكره ان يعطف حكم
المعطوف فتقول المال مع الجمة يستويان وقد منع ذلك ابن كيسان
رضي الله عنه وقول الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان تكون الواو في
ومثله بمعنى مع ليس هذا في امر الامة يصير التقدير
مع مثله محالا اي مع مثل ما في الارض مع مثله كائنا
ضرورة فلا فائدة في ذكر معه لان كل معتد منهما لا بد
ان جعلت الضمير عائدا على مثله اي مع مثله مع ذلك المثل فيكون
المعنى مع مثلين فالتعبير عن هذا المعنى بتلك العبارة اي اذا كان
المتكلم ان يكون التركيب او اريد ذلك المعنى مع مثله وقول الزمخشري
فان قلت اي اختلاف بين هذا السؤال الاول ولانا قدمنا فيما ان تكون

الواو

الواو واو مع وعلى تقدير وروده فهذا بناء منه على ان اذا جاءت
بعد لو كانت في موضع رفع على الفاعلية فيكون التقدير على هذا لو
ثبت كينونة ما في الارض مع مثله لهم ليفتدوا به فيكون الضمير عائدا
على ما فقط وهذا الذي ذكره هو تفريع منه على مذهب المبرد في ان تعدلوا
في موضع رفع على الفاعلية والزمخشري رضي الله عنه لا يظهر من كلامه
في هذا الكتاب وفي تصانيفه انه وقف على مذهب سيبويه في هذه
المسألة وعلى التفريع على مذهب المبرد لا يصح ان يكون ومثله مفعولا
معه ويكون العامل فيه ما ذكر من الفعل وهو ثبت بواسطة الواو
لما تقدم من وجود لفظة معه وعلى تقدير سقوطها لا يصح لان
ثبت ليست رافعة ما العائد عليها الضمير وانما هي رافعة
مصدرا منسبكا من ان وما بعدها وهو كون اذ التقدير
لو ثبت كون ما في الارض جميعا لهم ومثله معه ليفتدوا به
والضمير عائد على ما دون الكون فالرافع للفاعل غير الناصب
للمفعول معه اذ لو كان اياه للزم من ذلك وجود الثبوت مصاحبا
للمثل والمعنى على كينونة ما في الارض مصاحبا للمثل لا على ثبوت
ذلك مصاحبا للمثل وهذا فيه غموض وبيانه انك اذا قلت
يعجبني قيام زيد وعمرو وجعلت عمرو مفعولا معه والعامل
فيه يعجبني لزم من ذلك ان عمرا لم يقم وانه اعجبك القيام وعمرو
وان جعلت العامل فيه القيام كان عمرو قائما وكان الاعجاب
قد تعلق بالكلام مصاحبا لقيام عمرو فان قلت هلا كان
ومثله معه مفعولا معه والعامل فيه هو العامل في لهم
اذ المعنى قد يكون راجع اليه قلت لا يصح ذلك لما ذكرناه من وجود
معه في الجملة وعلى تقدير سقوطها لا يصح لانهم قد نصوا على ان قولك
هذا لك واياك ممنوع في الاختيار وقال سيبويه رضي الله
عنه قد يكون العمل هنا لاسم الاشارة ومثله مفعولا على ان
العامل هو العامل في لهم انتهى قال الله عز وجل والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية قال السائب رضي الله تعالى
عنه نزلت هذه الاية في طعيمة ابن ابيرق ومضت قصته في سورة
النساء ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر جزاء
المحاربين بالعقوبات التي منها قطع الايدي والارجل من خلاف
ثم امر بالتقوى لئلا يقع الانسان في شيء من الحرابة ثم لما ذكر
حال الكفار ذكر حكم السرقة لان فيها قطع الايدي والارجل
بالقرآن والسنة على ما سيأتي في بيانه ان شاء الله سبحانه وتعالى
وهي ايضا حرابة من حيث المعنى لان فيها سببا بالفساد الا ان تلك
على سبيل الشوكة والظهور والسرقة على سبيل الاختفاء والستر والظاهر

والظاهر عموم السارق والسارقة فيمن سرق قليلا او سرق كثيرا واختلفوا
في قدر ما يقطع به يد السارق فقيل تقطع في القليل والكثير كما
دل عليه ظاهر العموم وهو مذهب جماعة من الصحابة والتابعين
رضي الله تعالى عنهم اجمعين وقيل انه مذهب داود والخوارج وقال
داود ومن وافقه لا تقطع في سرقة حبة واحدة ولا تمرة واحدة
بل في اقل شيء من ما يسمى مالا وفي اقل شيء يخرج الشح والمظنة
وقيل النصاب التي تقطع فيه اليد عشرة دراهم وصاعدا او
قيمتها من غيرها وهو قول بعض الصحابة وبعض التابعين
وبه قال ابو حنيفة والثوري رضي الله عنهما وقيل ربع دينار
فصاعدا او ما قيمتها من غيرها وهو قول الصحابة وبعض
التابعين وهو قول الاوزاعي والليث والشافعي وابي ثور
وقيل خمسة دراهم وهو قول انس وعروة وسليمان بن يسار
والزهري وقيل اربعة دراهم وهو مروي عن ابي سعيد الخدري
وابي هريرة وقيل تقطع في سرقة ثلاثة دراهم وهو قول ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما وبه قال الامام مالك بن انس واسحاق وكذا
قاله الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهم اجمعين اي الا ان كان ذهبا
فلا تقطع الا في ربع دينار وقيل درهم فما فوقه وبه قال عثمان
البتي رضي الله عنه وقطع عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في درهم
وللسرقة التي تقطع فيها اليد شروط ذكرت في كتب الفقه باطول
من ذلك فليراجع وقرأ الجمهور والسارق والسارقة بالرفع
والرفع في قوله والسارق والسارقة على الابتداء والخبر محذوف
والتقدير فيما يتلى عليكم او فيما فرض عليكم السارق والسارقة
اي حكمهما ولا يجيز سيبويه ان يكون الخبر قوله فاقطعوا ايديهما
لان الفاء لا تدخل الا في خبر مبتدا موصول بظرف او مجرور
او جملة صالحة لاداة الشرط والموصول هنا ال وصلتها اسم
فاعل او اسم مفعول وما كان هكذا لا تدخل الفاء في خبره عند
سيبويه وقد اجاز ذلك جماعة من البصريين اعني ان يكون السارق
والسارقة مبتدا والخبر جملة الامر اجروا ال وصلتها مجرى
الموصول المذكور لان المعنى فيه على العموم اذ معناه الذي سرق والتي
سرقت وقد تجاسر الفخر الرازي واساء الادب على سيبويه وتكلمنا معه
بما يوقف عليه في كتابنا المسمى بالبحر المحيط الملخص منه هذا الكتاب
وقرئ والسارق والسارقة بالنصب على الاشتغال اي اقطعوا
السارق والسارقة كما تقول زيدا فاضربه وللزمخشري رضي
الله عنه في هذه القراءة كلام عرب فهمه عن تحرير كلام سيبويه ورددناه
عليه في البحر ايضا والمخاطب بقوله فاقطعوا هو من تولى امور المسلمين ممن

يكون

قوله تعالى

يكون لها قاعدة الحد وعليهم من ولاة الامور والظاهر من قوله انه يقطع من السارق بداءة اليمنى لكن الاجماع على خلاف هذا الظاهر
وانما تقطع من اليسار ويمناه ومن اليسار قديمناها قال البخاري
رضي الله عنه صحفي اذ يمناه يد بها وكوع فقد صحفت قلوبكما اكشفي
بنشتة اضاف اليه عن تثنية الضاف واريد ما لليدين اليمنيان
بدليل قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما والسارقون والسارقات
فاقطعوا ايمانهم انتهى وسوى البخاري رضي الله عنه بين يديهما
وقلوبكما تستثنى لان ما في صحفت قلوبكما يضطرد فيه وضع الجمع
موضع التثنية ولو كان اثنتين من ثنتين كالعقبين والاثنين واوجه
والظهر واما ان كان في كل شيء منها اثنان كالاذنين والعينين وكذا
الفخذين والعقبين فان وضع الجمع موضع التثنية لا يضطرد وانما
وانما يحفظ ولا يقاس عليه ولم تتعرض الاية في قطع الرجل في السرقة
وفي ذلك خلاف ذكر في مسائل الخلاف وظاهر قطع اليد ان تكون من
المنكب وهو مذهب الخوارج ومذهب الجمهور على انها من الرسغ وفي
الرجلين المفصل ورد وي عن علي رضي الله عنه انه في القدم من الاصابع
وفي الرجلين نصف القدم وهو مقتضى اشتراك وال الظاهر ان المرتب
على السرقة هو قطع اليد فقط فان كان المال قائما تعين اخذه
صاحبه وان كان التالف قد استهلك ولا ضمان عليه وبه قال محمد
وجماعة من التابعين وقال الشافعي واحمد واسحاق انه يغرم ويغرم
وقال مالك رضي الله عنه ان كان موسرا غرم وان كان معسرا فلا شيء
عليه جزاء بما كسبا نكالا من الله الاية قال البخاري رضي الله عنه
انتصب هنا جزاء على المصدر وقد قال قطرب رضي الله عنه وقد قيل
انه انتصب انه مفعول المصدر اي جزاهما جزاء وقال الجمهور على المفعول
من اجله والنكال العذاب والنكل معناه القيد وتقدم الكلام فيه
في قوله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها اي جعلناها
عقوبة وعظة وقال البخاري رضي الله عنه جزاء ونكالا مفعولا لهما
انتهى وتبع في ذلك الزجاج رضي الله عنه قال الزجاج رضي الله عنه هو مفعول
من اجله يعني جزاء قال وكذلك نكالا من الله قال ابن عطية رضي الله عنه
انتهى وهذا ليس بجيد لان الا اذا كان الجزاء هو النكال فيكون ذلك على
طريق البدل واما ان كانا شيئين فلا يجوز ان يكونا مفعولين لهما
الا بواسطة حرف العطف والله عزيز حكيم في انتقامه من السارق وغيره من
اهل المعصية حكيم في فرائضه وحدوده روي ان بعض الاعراب سمع قارئا
يقرأ والسارق والسارقة الى اخره وختم هذه الاية بقوله والله عزيز حكيم فقال
ما هذا الكلام فصيح فقيل له ليس التلاوة كذلك وانما هي والله عزيز حكيم فقال
لعل عزيز حكم فقطع فمن تاب هذا عام في كل تائب من سرقة وحرابة وغيرهما

غفور رحيم

اي هو

وقوله من بعد ظلمه هو مصدر مضاف الى فاعله من ان ظلم غيره او ظلم
نفسه بالمعصية وقوله واصلح عطف على ان فلم يقتصر على توبته
دون صلاحه حتى يفعل من الحسنات ومعنى تاب عليه اي يتجاوز عنه
الم تعلم خطاب للسامع ولو تقرير ومعناه الاثبات اي قد
علمت وقد تم تعداد هنا على نحو لان تقدم ما يضع بالمحل
من العذاب وبالسارق من القطع فذكر التعذيب ولا اريد
له واطلق التعذيب فجاز ان يراد به التعذيب في الدنيا او
التعذيب في الآخرة او في كليهما وكلاهما مفعول مشاء
محذوف في تقدير من يشاء تعذيبه وكذلك قوله ويغفر لمن يشاء
اي يشاء غفران ذنبه يا ايها الرسول لا يحزنك سكت نزولها
ان يهود خيبر زنى منهم وفي رفع ادمرهما ليلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم
عليهما بالرجم فانكر اليهود ذلك وزعموا ان التوراة لم تسوّ بينهما وذكروا ان الرجم
فانيتها فوجد فيها الرجم فافتضحوا من الذين قالوا امنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم هم المنافقون وقوله سماعون للكذب يريد بهم اليهود
والمعنى على هذا لا تهتم بمسارعة المنافقين في الكفر واليهود اي باظهار
ما يلوح لهم من آثار الكفر وهو كيدهم لدينك ولم واهله فان الله
تعالى ناصرك عليهم ومسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه سرع
شيئا اذا وحدوا فرصة لم يحتطوا لها ويكون من الاولى والثانية على
هذا تبيينا وتفسيرا للذين يسارعون في الكفر فيكون قوله ومن الذين
هادوا معطوفا على قوله من الذين قالوا ويجوز ان يكون ومن الذين
هادوا مستأنفا كلاما ولا يكون معطوفا على قوله من الذين قالوا ان
وسماعون مبتدأ اي فريق سماعون ومن الذين هادوا خبره سماعون
لقوم اخرين قيل انهم اهل فدك كان اليهود تستمع منهم وتنقل
المراد عنهم يحرفون الكلم اي يزيلونه ويميلونه عن مواضعه بتغيير
اما كانوا يأتي وضعها الله فيها قال ابن عباس رضي الله عنهما بدلوا
الله الى حدها في التوراة وذلك انهم غيروا الرجم اي وضعوا الجلد
مكان الرجم يقولون ان اوتيتم هذا فاقبلوه اي ما حرفوه من تبديل
الرجم بالتجميم والجلد اي حكم عليكم بهذا فخذوه اي فاقبلوه
وان لم تعطوا ما تحكمون به من التجميم والجلد فاحذروا اي فلا تقبلوه
سماعون للكذب تأكيد لما قبله اكالون للسحت وهو الرشا
وقيل المال الذي ياخذ ويرشى على تبديل احكام الله تعالى وتحريفها
فان جاوك الآية تخيير للحكم بينهم خيره سبحانه وتعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم بين الحكم بينهم وبين ان يعرض عنهم اي عن الحكم بينهم
وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان اقتضت القسط بينهم وكيف يكون
الآية هذا التخيير مع تحكيمهم اياه مع انهم لا يؤمنون به ولا بكتابهم

في كتابهم

وفي كتابهم الذين يدعون الايمان به حكم الله نص جلي فلم يقفوا
قاصدين حكم الله حقيقة وانما قصدوا بذلك ان يكون عند صلى الله
وسلم رخصة فيما تحاكموا اليه فيه اتباعا لاهوائهم وانهماكا في تسلط
شهواتهم ومن عدل عن حكم الله الذي في كتابه الذي يدعي انه مؤمن به
الى تحكيم من لم يؤمن به ولا بكتابه فهو لا محالة اعرض عنه فيما يقصده
من مما لفته كائدا واذا خالفوا كتابهم كتوبة ليس على وفق شهواتهم
ولا يرتضون مخالفوك اذا لم توافقهم او في واحرى والاولى في قوله وعندهم
التوراة للحال لمستدا وخبر في قوله فيها حكم الله حال من التوراة والعامل
حكم على الفاعلية بالجار والمجرور اي كائنا فيها حكم الله ثم يتولون
ذلك اي من بعد كون حكم الله في التوراة في الرجم وما شهد
من الامور التي تخالف هواهم اشد مخالفة انتهى وهذه الجملة مستأنفة اي
ثم يتولون او ثم هم يتولون بعد ذلك وفي الجمل من لدن عز
وجل تعجيب رسوله على عادتهم في امثاله اذا وضح لهم الحق اعرضوا عنه وما
اولئك بالمؤمنين اي من ترك حكم كتابه وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو منتف عنه الايمان حقيقة وانتصابه على الحال والعامل فيه
استفهام لان اداة حقيقة بان يراد به التعجب من حالهم كيف تولوا حكم الله
في كتابهم وحكموا الرسول عليه الصلاة والسلام ان لنا التوراة
قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما نزلت في اليهود بن حكم الله عز
وجل وهي عامة في كل من جحد حكما من احكام الله تعالى والذين
اسلموا وصف مدح للانبياء عليهم الصلاة والسلام كالصفات التي
تجري على الله عز وجل واريد بها جريانها التعريض على اليهود والنصارى
حيث قالوا ان اليهود كانوا يهودا وقالت النصارى ان الانبياء
كانوا نصارى والربانيون تقدم مدلوله في قوله تعالى في حق
آل عمران كونوا ربانيين والاحبار هم العلماء ويقال لواحدهم هو
حبر اي عالم والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه
شهداء الظاهر ان الضمير عائد على كتاب الله اي كانوا عليه رقباء
كي لا يبدلوه وفي الكلام التفات خرج من ضمير الغيبة وهو
ضمير الرفع في يحكمونك لما ضمير الخطاب في قوله فلا تخشوا والاشتراء
قوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين
والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص
لان التوراة نزلت مكتوبة في الالواح والعاطف عطف جملة على جملة
التقدير لقد كتبنا عليهم فيها كذا وقلنا لهم كذا والنفس بالنفس اي من قتل
قتيلا عمدا وهو مكافئ له فقتل به وهذا في جميع الاعضاء
المشتملة على القصاص وقوله والجروح قصاص مراعاة لاسم ان
وقرئ بالرفع قطعا عن اسم ان وان فتحت الاسماء بالابتدا وخبرها في

هذه الآية

الانبياء

الحال والمجرور

بما قدرناه وخبر قوله والجروح قصاص والظاهر في قوله والنفس
بالنفس العموم فيخرج عنه ما يخرج منه بالدليل ويبقى الباقي
على عمومه والظاهر في قوله والعين بالعين العموم فتنقاد عين
الاعور بعين السليم اي بالعين السليمة وبه قال علي رضي الله عنه
وكذا قاله الشافعي وابو حنيفة رضي الله عنهما وهذه الخمسة
احكام ذكرت في كتب الفقه والجروح قصاص اي ذات قصاص
ولفظ الجروح عام والمراد به الخصوص وهو ما يمكن فيه القصاص وتعرف
المماثلة فلا يخاف فيها الحيف فان حيف كالموضحة وكسر العظم
وغير ذلك فلا قصاص فيها ومدلول والجروح قصاص يقتضي ان
يكون الجرح بمثله فان لم يكن بمثله فلا قصاص فمن تصدق به
اي وكي فقيل وبه عاد على القصاص الشامل للنفس والاعضاء
والضمير في به للجرح وروح اليه فيها القصاص وهو ضمير يعود على التصدق اي
فالتصدق كفارة للمتصدق والمعنى ان من تصدق بجرحه
او بما دونه فعفى عن جانيه في ذلك فان العفو كفارة له عن ذنوبه
يعظم الله عز وجل اجره بذلك ويكفر عنه ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الفاسقون الآية ناسب فيما تقدم ذكر الكافرين
لانه جاء عقب قوله فاولئك هم الظالمون اشارة فيها هنا ويؤيد الاول
اشارة الى انه لا يحكم بجنسها بل يحالف اساءة لذلك جاء قوله
واختر وا اباكم ثناء قبيلا عرضا فانيا من الدنيا وهذا
كفرهم حيث فعلوه فناسب ذكر الكافرين وهنا جاء عقب اشياء
مخصوصة من امر القتل والجروح فناسب ذكر الظلم المنافي للقصاص
وعدم التسوية فيه واشارة الى ما كانوا قدروه من عدم التساوي بين
بني النضير وبني قريظة قوله عز وجل وقفينا على اثارهم بعيسى
ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة الآية ومناسبة هذه
لما قبلها انه سبحانه وتعالى ذكر ان التوراة يحكم بها النبيون الذين اسلموا
للذين هادوا ثم ذكر انه قفى بعيسى عليه الصلاة والسلام تتميما
على انه من جملة الانبياء وشرطيا باسمه وشرطيا عن ما ادعته فيه
اليهود لعنهم الله تعالى من نسبتهم اليه الالوهية وانه من جملة مصدقي
التوراة ومعنى قوله عز وجل وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم
اي اتبعناه يقفوا اثارهم اي تتبعها والضمير في اثارهم يعود
على النبيين من قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا
وليس ذلك بتضعيف في قفينا للتعدية بل ضمن قفينا معنى جئنا
واتينا اذ لو لم تقدره بعلى وباتيا كما قال الله عز وجل في الآية
واتيناه لاتجيء هذه الجملة معطوفة على قوله تعالى وقفينا على اثارهم

وفيها تعظيم

وفيها تعظيم عيسى عليه الصلاة والسلام بان الله تعالى قد آتاه كتابا
الهيا وقوله فيه هدى في موضع الحال وان تقع هدى على الفاعلية بالجار
بالمجرور اذ قد اعتمد بان وقع حالا لذي حال اي كائنا فيه هدى ولذلك
عطف عليه ومصدقا لما بين يديه والضمير في يديه عائد على الانجيل انتهى
والمعنى ان عيسى عليه الصلاة والسلام وكتابه الذي انزل عليه هما مصدقان
لما تقدمهما من التوراة فتظافر على تصديقه الكتاب الالهي المنزل وليحكم
اهل الانجيل الآية امر سبحانه وتعالى اهل الانجيل ان يحكموا بما انزل
الله فيه من الاحكام ويكون هذا الامر على سبيل الحكاية اي وقلنا لهم احكموا
اي حين اتيانه عيسى عليه الصلاة والسلام امرناهم بالحكم فيما فيه اذ لا يمكن
ان يكون بعد بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم شريعة اذ شريعته
عليه الصلاة والسلام ناسخة لجميع الشرائع وقرا الجمهور ليحكم بلام الامر
وقرا حمزة وليحكم بكسر اللام وفتح الميم جعلها لام كي والظاهر ان نصب
هدى وموعظة على المفعول له وعطف عليه قوله وليحكم ولما كان
فاعل هدى وموعظة عائدا على الانجيل عطف عليه قوله وليحكم والى
هنا باللام لاختلاف الفاعل لان فاعل وليحكم اهل الانجيل والفاعل في
هدى وموعظة هو الانجيل فلما اختلفا عدي المفعول من اجله باللام
كما تقول ضربت ابني تاديبا ولخوف زيد منه ففاعل التاديب هو
الضمير وفاعل الخوف هو زيد ويجوز ان يكون وهدى وموعظة
معطوفان على قوله ومصدقا كانه قال وهاديا واعظا
ويكون قوله وليحكم على قراءة حمزة متعلقا بمحذوف تقديره
وآتيناه الانجيل ليحكم قوله عز وجل ومن لم يحكم بما انزل الله الآية
ناسب هنا ذكر الفسق لانه خروج عن امر الله عز وجل اذ تقدم
قوله وليحكم وهو امر كما قال الله عز وجل اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعة امره تعالى
وانزلنا اليك الكتاب بالحق الآية لما ذكر تعالى انه انزل التوراة فيها
هدى ونور ولم يذكر من انزلها عليهم عليه لاشتراكهم كلهم في انها
قد انزلت على موسى عليه الصلاة والسلام وترك ذكره للمعرفة بذلك ثم ذكر
عيسى عليه الصلاة والسلام وانه آتاه الانجيل فذكره مقيدا
انه من جملة الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ اليهود تنكر نبوته
واذا انكرته انكرت كتابه فنص عليه وعلى كتابه ثم ذكر انزال
القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الكتاب ومن انزله عليه
مقررا لنبوته وكتابه لان الطائفتين ينكرون نبوته وكتابه
وجاء هنا ذكر المنزل اليه بكاف الخطاب لانه انص على المقصود وقوله
بالحق معناه ملتبسا بالحق ومصاحبا له لا يفارقه وانتصب مصدقا
على الحال لما بين يديه اي لما تقدمه من الكتب والالف واللام فيه هنا

عظة

للجنس

لانه قد عني به حضر الكتب المنزلة قال الله تعالى ومهيمنا عليه قال
ابن عباس رضي الله عنهما يعني امينا عليه وعنه ايضا شاهدا عليه
وقال الخليل يعني رقيبا وبه فسر الزمخشري رضي الله عنه قال ومهيمنا
يعني رقيبا على سائر الكتب الله يسمد لها بالصحة والثبات
انتهى والله اعلم وقال بعضهم ادخاه
مثل على عرش السما مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد
قال الله عز وجل ايضا فاحكم بينهم بما انزل الله نهاه بالوجوب والضمير
في بينهم عائد على المحاكمين سواء حكموا بهود ام غيرهم ولا تتبع اهواءهم
اي لا توافقهم على اغراضهم الفاسدة من التفريق في الحكم بين الشريف
والوضيع وغير ذلك من اهوائهم التي هي راجحة لغير الدين والزيغ عن ما جاءك من
الحق الذي هو القرآن وتتبع معنى تتبع معنى تنحرف او تنصرف فلذلك
عدي بعن اي لا تنحرف وتنصرف عن ما جاءك متبعا اهواءهم
او نصب انهوا بهم قال ابو البقاء رضي الله عنه عن ما جاءك هو في
موضع الحال اي عادلا عما جاءك ولم تضمن تتبع معنى ما بعدي
بعن وهذا التفسير ليس ببعيد لان عن حرف جر فاذا وصل لا تصلح
ان يكون حالا من الكتب كما لا تصلح ان تكون خبرا واذا كان ناقصا
فانه يتعدى بكون مقيد لا يكون مطلق وانكون المقيد لا يجوز حذفه
الا في مواضع ليس هذا منها الآية الظاهر ان الخطاب في منكم للناس اي ايها الناس
اي لكل امة منكم شرعة ومنهاجا والخطاب لكل امة نبيها والمسلمين كذلك قاله
علي وغيره ويعنون بذلك الاحكام واما العقائد فواحد لجميع الامم
من حيث وجوب الايمان بالرسل وكتبها والشرعة والمنهاج لفظان بمعنى واحد
والثاني تأكيد للاول ● وكرر ما الحكم امة واحدة محذوف
التقدير ولو شاء جعلكم امة واحدة وحذف لدلالة الجواب عليه
وهو قوله لجعلكم امة واحدة اي في اتباع الحق واتباع الباطل
ولكن ليبلوكم فيما آتاكم اي ولكن شاء ذلك ليختبركم فيما آتاكم من
الكتب فاستبقوا الخيرات اي استبقوا الاعمال الصالحة وهي التي
عاقبتها احسن الاشياء الى الله مرجعكم جميعا هو استباق في معنى
التعليل لامره تعالى باستباق الخيرات كانه يقول بطريق استباق
الخيرات والمبادرة اليها في وقت الرجوع الى الله سبحانه وتعالى وبحاله انه
فينبئكم اي فيجزيكم باعمالكم وهي كناية عن المجازاة بالثواب والعقاب
وهو يقاع وهذه الآية ظهر الفضل بين الحق والمبطل وكذا
بين المشتبهين وبين المقصر في العمل وبناء المسلمات على وضعها
الاصلي من بعد نسخها الى الواحد بنفسه والى آخر حرف جر ولم نضمنها معنى
اعلم فيعدها الا تلاوة وان احكم بينهم بما انزل الله قال ابن عباس رضي الله

إجابة

تنبيه

عنهم اسبب نزول هذه الآية قال بعض مهود لبعضهم ائتوا محمدا لعلنا نفتنه عن
دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار يهود واشرافهم وان
اتبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفنا وبيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك
فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزلت تلك الآية قوله وان احكم قد ذكرنا في اعراب هذه الآية وجوها
والذي يحسن ان يكون في موضع رفع على انه معطوف على الخبر
المرفوع بالقدر وحكمك بما انزل الله اسدنا وقولنا او مقدرا
بالقدر ومن الواجب حكمك بما انزل الله واعلم ذهبت
الى انه في موضع نصب عطفا على الكتاب اي وانزلنا اليك
الكتاب والحكم ان في موضع جر عطفا على الحق اي بالحكم الحق او احذر
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يستزلوك ويستميلوك
وحذرن عن ذلك وان كان معلوما من فتنتهم اياه موضع ان
يفتنوك نصب على البدل بقدره واحذر فتنتهم اياك او يكون
مفعولا من اجله بقدره من ان يفتنوك وحذف من لدلالة ما
بعده عليه • وان تولوا الآية اي فان تولوا عن احكم ما انزل الله اليك ولا
يريد ومعنى ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بعذبهم ببعض ما منهم
وانما بعضها هنا ويعني به والله اعلم التولي عن حكم الله عز وجل
وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك وارادانهم
ذوو ذنوب جمة كثيرة العدد وهذا ادب مع عظم بعضها
• الحكم الجاهلية يبغون هذا استفهام ومعناه هنا الانكار
على اليهود حيث هم اهل كتاب وتحليل تحريم من الله عز وجل
ومع ذلك يعرضون عن حكم الله تعالى ويختارون عليه حكم اهل
الجاهلية وقرئ افحكم بالفتح اي بفصل بينهم وهو مفعول يبغون
وبالرفع على الابتداء والخبر يبغون وحذف العائد الى المبتدأ من الجملة
على المستكن من الجملة بقدره يبغونه كقول الشاعر •
فحال بحد بن شئت ايماسه بالحق لا يحد فانك اهله •
بقدر من يحد قال الله عز وجل • ومن احسن من الله حكما لقوم
يوقنون اي لا احد احسن من الله حكما وتقدير قوله وان احكم بينهم بما
انزل الله فحذف هذه الجملة مشيرة لهذا المعنى والمعنى ان حكم الله هو
الغاية في الحسن وفي العدل وهو استفهام معناه التقرير
وتضمن ثناء من الله عز وجل على حكمه واللام في لقوم يوقنون للبيان كاللام
في الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء الآية سبب
نزولها قصة عبد الله بن ابي وتلبسه بحلف يهود وتبرؤ عبادة
ابن الصامت من حلفهم عند انقضاء مدة واستحكام مرتبي فتنافع وكانوا

وكانوا حلفاء عبد الله بن سعد وكانت فيهم طول هذا الزمن وهو
ملخصها والله اعلم وقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة
اليهود والنصارى وقيل المعنى على ان ثم محذوفا والتقدير بعض
اليهود اولياء بعض وبعض النصارى اولياء بعض لان اليهود ليسوا
اولياء النصارى ولا النصارى اولياء اليهود ولم يكن ان يقال
جمعهم في الحكم على الاجمال وترك ما بينهم من العداوة على
التفصيل وان بعض اليهود لاولي الاحقاد وبعض النصارى
كذلك قال الهروي هي جملة من مبتدا وخبر في موضع النعت
لاولياء والظاهر انها جملة مستانفة لا موضع لها من الاعراب
فانه منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما فانه منهم في حكم الكفر
اي ومن يتولهم في الدين وهذا تشديد عظيم في الالتفات
من اهل الكفر وترك موالاتهم واجمعوا على ان الآية وان كانت
نزلت بسبب قوم مخصوصين فانها عامة في كل من اتصف بصفتهم ولا يدخل في الموالاة مقابلة انعامهم والصلة
من غير مصافاة فترى الذين في قلوبهم مرض اي الخطاف الرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وقال ابن وثاب فترى الذين
بالتاء فيحتمل ان يكون الذين فاعل يرى والمعنى ان تسارعوا
لحذفت ان واجاز فيحتمل جميع ذلك المتقدم انهى وهذا القول
ضعيف لان حذف ان من هذا الاسناد والضمير الفاعل ضمير يعود على
الله تعالى او يعود على الراءي والذين في قلوبهم مرض هم عبد
الله بن ابي ابن سلول ومن تبعه من المنافقين يسارعون
فيهم اي في مودتهم وموالاتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
هذا محفوظ من قول عبد الله ابي ابن سلول وقاله معه منافقوك
كثير قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نخشى ان لا يتم امر محمد
فيديروا امره على انه ان تاتي الفتح او امر من عنده
هذه نتيجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين بعده تعالى بالفتح والنصر قال قتادة رضي الله عنه عنى به الفتح في هذه
الموادعة والفتاح القاضي قال ابن عطية رضي الله عنه وظاهر
الفتح في هذه الآية ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلوه
كلمته واعلاء دينه على جميع الاديان او امر من عنده من ابادة بني
النضير واخذ اموالهم لم يكن للناس فيه فعل فاصبح الذين في
قلوبهم ارتياب قد غطوا ايديهم عن غرار ذي وقف عليهم بخيل ولا ركاب
وقتل وسبي ذراريهم فاصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين
اي فيصير قد نادمين على ما حدثتهم به انفسهم لان اخبار النبي
صلى الله عليه وسلم لا يتم ولا تكون الدلالة لهم وقد ندموا حين خبروا اصبحوا
وعلى ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين امنوا الآية راي

المؤمنون ما قد ظهر من المنافقين قالوا أهؤلاء أي المنافقون
الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم والمعنى يقول بعضهم
لبعض تعجبا من حالهم إذا غلطوا للمؤمنين بالإيمان إنهم معهم وإنهم
معاضدوهم وعلى اليهود فلما حل باليهود ما حل ظهر من المنافقين
ما كانوا يسرونه من موالاة اليهود والشمالي على المؤمنين وقرئ
يقول بغير واو وكأنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون
حينئذ فيقول يقول الذين آمنوا وقرئ ويقول بالواو ورفع
اللام وقرئ ويقول بالواو ونصب اللام وأما قراءة ويقول
بالنصب فوجهت على أن هذا القول لم يكن إلا عند الفتح
وأنه محمول على المعنى فهو معطوف على أن يأتي إذ معنى فعسى
الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده وهذا الذي يسميه النحويون
العطف على التوهم يكون الكلام في قالب تقدره في قالب
آخر إذ لا يصح أن يعطف على لفظ أن يأتي لأنه لا يصح أن يقال
فعسى الله أن يقول المؤمنون إذ ليس في المعطوف ضمير اسم الله
تعالى ولا سببي منه وأجاز ذلك أبو البقاء رضي الله عنه على تقدير
ضمير محذوف أي ويقول الذين آمنوا بالله فهذا
الضمير هنا يصح به الربط أهؤلاء استفهام تصغير وتحقير
واستصغار للمنافقين والجملة خبر من قوله إنهم لمعكم مؤكدة
بإن واللام مبالغة من المنافقين في إيمانهم إذ جمعوا بين
حرفي توكيد وهي إن واللام حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين
استئناف إخبار من الله عز وجل بحبوط أعمالهم والظاهر أنه
من كلام المؤمنين والحبوط هو البطلان وأعمالهم هي التي كانوا يظهرونها
من موافقة المؤمنين في الصلاة وغيرها وهم لا يعتقدون ثوابا
في ذلك • يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه نزلت هذه الآية
خطابا للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة كما قاله الحسن البصري
وغيره وقيل هي خاصة في قبائل معينة أي بأعيانهم فذكر المفسرون
أنه ارتد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع ورئيسهم
عيهلة ابن كعب ذو الخمار وهو الأسود العنسي قتله
خيرون على فراشه وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله وسمى
قاتله ليلة قتل ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتي
بقتله في آخر ربيع الأول وبني حنيفة ورئيسهم مسيلمة الكذاب
قتله وحشي وبنو أسد ورئيسهم طلحة ابن خويلد هزمه خالد
وأفلت ثم أسلم وحسن إسلامه فهذه ثلاث فرق ارتدت في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنا رؤساءها وارتد في خلافة أبي
بكر الصديق رضي الله عنه سبع فرق فزارة وهم قوم عيينة ابن حصن

آمنوا به أي بالله

وخلفان قوم قرة ابن سلمة القشيري وسليم قوم الهجناء عبد ياليل
وربيع قوم مالك بن نويرة وبعض من يتم قوم سجاح بنت
المنذر وقد سمات وتزوجها مسيلمة الكذاب لعنه الله تعالى انتهى
وقال شاعرهم اصبحت نبيتا انثى وطيئها واصبحت انبياء
الناس ذكرانا وقال ابو العلاء المعري امست سجاح وولاها
مسيلمة كذابين في بني الدنيا وكذاب وممن كفرة قوم الاسعث
وبكر ابن وائل بالبحرين قوم الحطم ابن زيد وكفى الله امرهم على يد
سيدنا ومولانا الامام الاعظم سيدنا ابا بكر الصديق رضي الله عنه
وفرقة في عهد سيدنا ومولانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وهم غسان قوم جبلة ابن الايهم نصرته الظلمة وسترته الى بلاد
الروم بعد اسلامه فمات نصرانيا وقرى ومن يرتد بالفتك
والاغتيال وباي جملة شرطية والجواب قوله فسوف يأتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه والفاء عند النحوية اذا اذا كان جواب الشرط
جملة واتم الشرط غير ظرف ولا بد من تقدير وعيده بقوم
غيرهم اي عن يرتد ويقوم فيه قال وفي المستدرك للحاكم باسناده انه لما نزلت هذه الآية اشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري فقال هم قوم هذا واشار
إلى مبين الشريعة وهذا هو اصح الاقوال وكان ارتدادهم في الاسلام
زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة فتوح عمر رضي الله عنه
كانت على ايديهم ووصف الله تعالى هؤلاء القوم بأنهم يحبهم ويحبونه
ومحبة الله لهم هي قوله فيهم للايمان كما قال الله عز وجل في الآية
الكريمة ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة
والله عليم حكيم واثبته على ذلك وعلى سائر الطاعات وتعظيمه
اياهم بثنائه عليهم ومحبتهم له طاعته تعالى واجتناب مناهيه
واجتلاب محبوباته وقدم سبحانه وتعالى محبته على محبتهم اذ هي اشرف
واسبق اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اي موجع وذل لاجمع
وذلك الذي هو نقيض الضعف لان ذل لا يجمع على اذلة بل على
ذلل وعدي اذلة بعلى وان كان الافصل باللام لانه ضمنه معنى
الحنو والعطف كانه قيل عاطفين على المؤمنين على وجه التذلل
وهذا الذي اضمن قل او لانه على احد وجهين في التقدير على فضلهم
على المؤمنين والمعنى انهم يذلون ويخضعون لمن تحتهم عليه
مع شرفهم وعلو مكانتهم وهو نظير قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء
بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في
وجوههم من اثر السجود الآية وجاء ان هذه الصفة بالاسم الذي في سالفة

لان الذل

لان اذلة جمع ذليل واعزة جمع عزيز وهما صفتا مبالغة وجاءت الصفة
قبل هذا بالفعل في قوله عز وجل يحبهم ويحبونه لان الاسم
يدل على الثبوت فلما كانت صفة مبالغة وكانت لا تتجدد
بل هي كالعزيزة جاء الوصف بالاسم ولما كانت الصفة قبل
تتجدد لانها عبارة عن افعال الطاعات والثواب المترتب
عليها جاء الوصف بالفعل الذي يقتضي التجدد ولما كان الوصف الذي
يتعلق بالمؤمن اكد وللموصوف اكرم قدم على الوصف المتعلق
بالكافر وشرف المؤمن ايضا ولما كان الوصف الذي بين المؤمن وبين
ربه اشرف من الوصف الذي بين المؤمن والمؤمن قدم قوله يحبهم
ويحبونه على قوله اذلة على المؤمنين وفي هذه الاية دليل على
بطلان قول من ذهب الى ان الوصف اذا كان بالاسم وبالفعل
لا يتقدم الوصف بالفعل على الوصف بالاسم الا في ضرورة
الشعر نحو قول الشاعر وفرع يغشى المتن اسود فاحم اذ
ما قد ادعى من انه يكون في الضرورة في هذه الاية فقدم يحبهم
ويحبونه وهو فعل على قوله اذلة بالنصب وكذا اعزة نصبا على الحال
من النكرة اذ قربت من المعرفة لوصفها يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم اي يجاهدون في سبيل الله لاعلاء كلمته ونصرة
دينه وظاهر هذه الجملة انها صفة ويجوز ان تكون استئنافا واخبارا
ولا يخافون في الله لومة لائم اي هم صلاب في اقامة دينه لا يبالون
بمن لام فيه فمتى شرعوا في امر بمعروف او نهي عن منكر امضوه
ولا يمنعهم اعتراض معترض ولا قول قائل وهذان الوصفان
اعني الجهاد والصلابة في الدين هما نتيجة تلك الاوصاف السابقة
لان من احب الله سبحانه وتعالى لا يخشى الا اياه ومن كان
عزيزا على الكافرين جاهد في اخمادهم واستيصالهم وناسب تقديم
الجهاد على انتفاء الخوف من اللائمين لمجاورته اعزة على الكافرين
ولان الخوف اعظم من الجهاد فكان ذلك ترقيا من الادنى الى الاعلى
ويحتمل ان تكون الواو في قوله ولا يخافون لومة لائم ان تكون
واو الحال اي يجاهدون وحالهم في المجاهدة غير حال المنافقين
فانهم كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا
اولياءهم اليهود وتخاذلوا وخذلوا حتى لا يلحق بهم لوم من جهتهم
واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله عز وجل لا يخافون لومة
لائم ولومة هي قد تكون للمرة الواحدة وهي نكرة في سياق النفي فتعم
اي لا يخافون قط شيئا من اللوم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع
عليم الظاهر ان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف التي تخلا بها المؤمن
ذكر ان ذلك هو من فضل الله يؤتيه من يشاء اي من اراده ليس ذلك بسابقة

ممن اعطاه اياه بل ذلك على سبيل الاحسان منه تعالى لمن اراد الاحسان
اليه وقيل غير ذلك وفيه اشارة الى حب الله لهم وحبهم له والله
واسع الاحسان والافضال عليهم بمن يصنع ذلك فيه • انما وليكم
الله ورسوله الآية • لما نهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء
بين هنا من هو وليهم وهو الله ورسوله والولي هنا الناصر والمعنى
لا ولي لكم الا الله وقال وليكم بالافراد ولم يقل اولياؤكم وان كان
المخبر به متعددا لان وليا اسم جنس او لان الولاية حقيقة هي لله عز
وجل على سبيل القاء صل ثم نظم في سلكه من ذكر على سبيل التبع
ولو جاء جمعا لم يتبين هذا المعنى من الاصالة والتبعية • والذين
آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون هذه
اوصاف ميز بها المؤمن الخالص الايمان من المنافق لان المنافق
لا يدوم على الصلاة ولا على الزكاة قال الله عز وجل واذا قاموا الى
الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال
تعالى في آية اخرى اشحة على الخير ولما كانت الصحابة رضي الله عنهم
وقت نزول هذه الآية من مقيم صلاة ومؤتي زكاة وفي كلتا
الحالتين كانوا متصفين بالخضوع لله والتذلل له نزلت تلك
الآية متضمنة لهذه الاوصاف الجليلة قال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من
الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون انتهى ولا ادري ما الذي
منعه من الصفة هنا لانه هو المتبادر الى الذهن ولان المبدل
منه في نية الطرح ولا يصح هنا طرح الذين آمنوا لانه هو الوصف
المترتب عليه صحة ما بعده من الاوصاف • ومن يتولهم الى الله ورسوله
يحتمل ان يكون جواب من محذوفا لدلالة ما بعده عليه اي يكن من حزب
الله عز وجل ويغلب ويحتمل ان يكون الجواب فان حزب الله ويكون من
وضع الظاهر فيه موضع المضمر فانتم الغالبون وفائدة وضع
الظاهر هنا موضع المضمر الاضافة الى الله فيشرفون بذلك وصاروا
بذلك اعلاما للدين واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم وهم
يجوز ان يكون فصلا والغالبون خبر ان ويجوز ان يكون مبتدأ
والغالبون خبره والجملة في موضع خبر ان • يا ايها الذين آمنوا قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان رفاعة ابن زيد وسويد ابن الحارث
قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما
فنزلت تلك الآية ولما نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن اتخاذ اليهود
والنصارى اولياء نهى هنا عن اتخاذ الكفار اولياء سواء كانوا يهودا
ام نصارى ام غيرها فكرر ذلك ذكر اليهود والنصارى بقوله تعالى
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كانوا مندرجين في عموم الكفار

على سبيل

عليهم

اي

على سبيل النص على بعض افراد الكلام المستقيم في الذكر في الآيات قبله
ولانهم اوغل في الاستهزاء وابعد انقيادا للاسلام او بمعنى انهم على
شريعة الهية ولذلك كان الموصوف من المشركين في غاية الكثرة
والموصوف من اليهود والنصارى في غاية القلة وقرئ والكفار
بالنصب عطفا على الذين اتخذوا وبالجر عطفا على من الذين
اوتوا الكتاب اي في موالاة الكفار وان لا قالوا لهم اذا كنتم مسلمين
ثم نبه سبحانه وتعالى على الوصف الحاصل عن التقوى وهو الايمان
اي من كان مؤمنا حقا باديا في موالاة اعداء الدين • واذا ناديتم
اي الكفار الى الصلاة اي واذا اردتم النداء الاذان قام المسلمون
اليها فتقولوا اليهود لعنهم الله تعالى قاموا لا قاموا صلى لا صلوا
يكمون الاركعوا على طريق الاستهزاء واللعب والضحك وذلك
تلك الآية وفي قوله عز وجل واذا ناديتم اي يا ايها الذين آمنوا
الصلاة الآية الجميع للعبادة وقال بعض العلماء رضي الله عنهم
في هذه الآية دليل على ان سنن الكفار لا يلتفت
وحكمها منسوخ ولا دليل على ذلك على مسار وعيه الا ما قالوه اذا ناديتم
ولم يقل واذا دخلتم على سبيل الامر وانما هذه جملة شرطية دلت على
سنن المستهزئين لا على اشخاصهم ولما قدم انهم اتخذوا الذين هزوا
ولعبا اندرج في ذلك جميع ما قد انطوى عليه الذين فخر رضي الله
اي عظم اركان الدين ونص عليه بخصوصه وهي الصلاة التي هي
صلة بين العبد وبين ربه عز وجل ففيه على انه من استهزأ
بالصلاة ينبغي ان لا يتخذ وليا وان يطرد ويتخذ عدوا
ففي الآية جاءت كالتوكيد للآية التي قبلها • ذلك اي التعصب منهم
كائن بسبب نقصان عقلهم وعماه عن كونهم لم ينتفعوا به في الدين
• قل يا اهل الكتاب الآية قل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهل استفهام معناه النفي وتعيبون بكسر العين وضمها وما قبلكم
وهي افصح من قولهم بتعيم ولا ان ما استثنى مفرغ اي ما
لا تعيبون منا شيئا الا الايمان بالله عز وجل وهذه محاورة لطيفة
وحجة تبكيت الزامية على انه ما انتقم عليهم الا ما لا يتم ولا يقع
عيبا ونظيره قول بعضهم • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • من قولك
• وما انزل الينا وما انزل من قبل هو معطوف على ان امنا بالله وبما
انزل الينا وهو القرآن وما انزل من قبل هي الكتب الالهية المتقدمة
كالتوراة والانجيل والزبور وغير ذلك وقرأ نعم ابن عامر وان اكثركم
فاسقون بكسر الميم وهو واضح لمعنى امره تعالى اي ان نقول لهم
هاتين الجملتين وقرأ الجمهور وان بفتح الميم وخرج ذلك على وجوه منها الرفع

من قراءة الكتاب

على الابتداء

ح

وقدر الزمخشري الخبر موجود وفاي وفسق اكرمكم معلوم عندكم لانكم
علمتم انتفاء الحق وانتم على الباطل انتهى وهو سيجيء ان يقدر الخبر اولا
تعتد فاي وفسق اكرمكم لان الاصح انه ان لم يتقدم احدهما
مستقدمة الابعد اما فقط ومنها النصب عطفا على ان امتنا بالله لانه
على حذف مضاف تقديره واعتقادنا فيكم ان اكثركم فاسقون
وهذا معنى واضح ويكون داخلا فيما تنقمون حسنة ومنها الجر عطفا
على قوله بما انزل الينا وما انزل من قبل اي وبما ان اكثركم فاسقون
• قل هل انبئكم الخطاب لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضمير
الخطاب لاهل الكتاب لابد من امر ان ينادبهم ويخاطبهم او يكون
خطابا للمؤمنين بقوله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان
امنا بالله فعلى تقدير ان الخطاب للكفار يكون ذلك اشارة الى الحال
حال من نقم ويكون من لعنه الله على حذف مضاف اي حال من
لعنه الله وللعرب لغة صفوحة ان اسم الاشارة يكون على كل حاد
من تانيث من تانيث وتثنيه وجمع كما تلون للواحد المذكر
فيحتمل ان يكون ذلكم من هذه اللغة ويحتمل ان يكون ذكم انقصا
اشار به الى تسحمص واخر هنا على معنى الجنس كانه قال قل هل
لنبكم بشر من جنس ادكاني او من جنس الومن على الاطلاق ارضا
وانقمة من الشابيت اي الله على سبيلنا وبكل ان اضافة
لعنه الله تفسير لشر تعريف وانتصب مثوبة على التمييز وجاز
على ان يكون لاكرار افصح من تقديم المفضل عليه على التمييز
كقوله تعالى ومن اصدق من الله حديثا وقد تقدم التمييز على
المفضل ايضا فصيح كقوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى
الله وعمل صالحا ومن في موضع رفع بانه قيل من هو فضل من لعنة
الله او في موضع جر على البدل من قوله بشر ومن موصولة في موضع الجر
عاد الضمير عليه على لفظه في قوله لعنه الله وفي قوله عليه واعاده
على معنى من في قوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت
هم على لفظة من في قوله وعبد قرا العامة قال ابن عباس رضي الله
عنهما هم اصحاب السبت مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير
وقرا جمهور القراء السبعة رضي الله عنهم وعبد الطاغوت وقرا
ابن وثاب والاعمش وحمزة وعبد الطاغوت اي بضم الباء
وكسر التاء من الطاغوت قال الزمخشري رحمه الله بعيدة ومعناه
الغلو في العبادة كقولهم رجل حذر وقطن للبليغ
في الحذر والفطنة وقال ابن عطية عبد لفظ مبالغة كيقظ
ونديس ممولف ظمر ويراد به الجنس ويبني بناء الصفات لان
عبدا في الاصل صفة وان كان قد يستعمل استعمال الاسماء وذلك

لا يخرج

لا يخرجه عن حكم الصفة ولذلك لم يمتنع ان يبنى من بناء مبالغة
وانشد هو والزمخشري ابني لبيني ان امكم امة وان اباكم عبد
وعد ابن مالك رضي الله عنه في ابنية اسماء الجمع فعلا فقال ومنها
فعل كسمرة وعبد على هذه القراءة يكون وعبد معطوفا على
قوله القردة والخنازير وعلى قراءة الجمهور يكون معطوفا على صلات
من وفي البحر ان في قوله وعبد الطاغوت اثنان وعشرون قراءة
وتكلم على توجيهها فيه منها قراءة الحسن رضي الله عنه في رواية
وعبد الطاغوت باسكان الباء ونصب التاء قال ابن عطية اراد
وعبدا منونا فحذف التنوين كما حذف في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا
ولا وجه لهذا التخريج لان عبدا لا يمكن ان ينصب الطاغوت بوجه
اذ ليس بمصدر ولا هو باسم فاعل والتخريج الصحيح ان يكون تخفيفا
من عبد بفتح الباء اولئك اشارة الى الموصوفين باللعنة وما بعدها
شر مكانا واضل سبيلا اي اخطأ عن طريق الهدى واذا جاؤكم قالوا امنا
الاية ضمير الغيبة في جاؤكم لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وخاصة للمنافقين منهم قاله ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال غيره
وضمير الخطاب في جاؤكم يقوي ان الخطاب في قوله قل هل انبئكم للمؤمنين
ونقول ان الجملة الاسمية الواقعة حالا المصدرة بضمير ذي الحال
آكد من الجملة الفعلية من جهة انه يتكرر فيها المسند اليه فيصير
نظير قام زيد زيد ولما كانوا حين جاؤا الرسول والمؤمنين
قالوا امنا ملتبسين بالكفر كان ينبغي لهم ان لا يخرجوا بالكفر لان رؤية
رسول الله صلى الله عليه وسلم كافية الا ترى في الايمان الا ترى الى قول
بعضهم حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد علمت ان وجهه
ليس بوجه كذاب مع ما يظهر لهم منه من خوارق الايات وباهر الدلالات
فكان المناسب انهم وان كانوا دخلوا بالكفر ان لا يخرجوا به بل يخرجون
بالرسول مؤمنين ظاهرا وباطنا فاكد وصفهم بالكفر بان كرر المسند
اليه تنبيها على تحققهم بالكفر وتماديهم عليه وان رؤيته عليه الصلاة
والسلام لم تجد عندهم ولم يتأثروا لها والله اعلم بما كانوا يكتمون
الاية عام اي من كفرهم ونفاقهم وتغيير صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته وفي هذا مبالغة في افشاء ما كانوا يكتمونه من المكر بامر
المسلمين والعداوة لهم وان قولهم امنا خالف ظاهر قول باطنهم
وترى كثيرا منهم الاية تحتمل ترى ان تكون بصرية فيكون
قوله يسارعون صفة لمصدر محذوف وان تكون علمية فيكون
مفعولا ثانيا والمسارعة الشروع بسرعة والاثم قيل الكذب والعدوان
هو الظلم وليس حقيقة الاثم الكذب اذ الاثم هو الحكم المتعلق بصاحب
المعصية او الاثم هو ما يختص بهم والعدوان هو ما يتعداهم الى غيرهم

والسنة تقدم الكلام عليه • ولانها هم ربانيون الآية لولا تخصيص
تتضمن توبيخ العلماء والعتاد على سكوتهم عن النهي عن معاصي الله
تعالى وامره بالمعروف قال العلماء رضي الله تعالى عنهم اجمعين ما في
القرآن آية اشد توبيخا للعلماء منها واشد ابن المبارك في شعره
وهل افسد الدين الا الملوك • واحبار سوء ورهبانها • وقالت
اليهود قال ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآية نزلت في مخاص
وفي ابن صوريا وغازر ابن ابي غازر قالوا ذلك ونسبوا ذلك
الى اليهود لان هؤلاء علماؤهم وهم اتباعهم في ذلك والبدء في الحاجة
كحقيقة وفي غير هما كان اخر ادبها النعمة والقوة والدالة •
والقدرة وظاهر قول اليهود ان لله تعالى يدا فان كانوا اراد
الجارحة فهو بئس مذهبهم اذ هو المجسم وظاهر الآية يدل على
انهم ان اوادوا احد اليدين وبسطها البخل وعن البخل دون
قوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل
البسط الآية • قال الله تعالى ارد عليهم ايضا غلت ايديهم خبر
وابعاد وقع بهم في جهنم لا محالة قاله الحسن رضي الله عنه او خبر
عنهم في الدنيا جعلهم الله ابخل قوم كذا قاله الزجاج وظاهره
ويظهر من ورد ان قولهم يد الله مغلولة هي الامساك من الاحسان
الصادر عن المقهور على الامساك وذلك كثير والمغلول لا يقدر
بخل الا ترى لقولهم غلت ايديهم دعاء عليهم بفعل لا يدري فيهم في
كل يد مع كل امة مقهورون مغلوبون لا يستطيع احد منهم ان يد
تبسط ولا يشتغلي فهو استعفاء عن ذلهم وقهرهم وان ايديهم
لا تنبسط لدفع ضرر نزل بهم وذلك مقابلة لما يتضمنه قولهم
يد الله مغلولة ولبست هذه المقالة ندعاء منهم فقد قالوا
انه فقير وهم اغنياء ولعنوا بما قالوا يحتمل ان يكون خبرا
ويحتمل ان يكون دعاء وبما قالوا يحتمل ان يكون براد به مقالتهم
هذه ويحتمل ان يكون عاما فيما يستوجب به الله سبحانه وتعالى ما
لا يجوز نسبته اليه فقد درج هذه المقالة من عموم ما قالوا من براءة
تنبسطتان نعتقد اهل الحق ان الله سبحانه وتعالى ليس هو بجسم
ولا جارحة له ولا يشبه شيئا من خلقه ولا تكيف ولا يتحيز ولا
تحله الحوادث وكل ذلك كفر في علم اصول الدين والجمهور على ان
هذا استعارة عن وجوده وانعامه وفضله الشائع واضاف
ذلك الى اليدين جريا على طريقة العرب في قولهم ولان تنفق وكلتا يديه
وسر قوله الشاعر تداك يدا مجد قديما مفندة وكف اذا ما طالب
بالمال تنفق وبويد ان اليدين هنا بمعنى الانعام وقوة الانفاق
ومن نظر في كلام العرب الذي نظر عرف يقينا ان بسطا ذي قبضا

تنفق بالنهار

للمغارة

استعارة للجود دون البخل ينفق كيف يشاء هذا تأكيد للوصف
بالسخاء وانه لا ينفق الا على حكم ما تقتضيه مشيئته ولا موضع
لقوله ينفق من الاعراب اذ هي جملة مستأنفة قال الحوفي رضي
الله عنه كيف سؤال عن حال وهي نصب بيشاء انتهى ولا يعقل
هنا كونها سؤالا عن حال بل هي تكون في معنى الشرط كما تقول
كيف يكون اكون ومفعول يشاء محذوف وجواب كيف هو
محذوف ايضا ويدل عليه ينفق المتقدم كما يدل في قولك
ان قام زيد قمت على جواب الشرط والتقدير ينفق كيف يشاء
ان ينفق كما تقول كيف يشاء ان اضربك اضربك ولا
يجوز ان يعمل في كيف ينفق لان اسم الشرط لا يعمل فيه
ما قبله الا اذا كان جارا فقد يعمل في بعض اسماء الشرط
ونظير ذلك قوله تعالى فيبسطه في السماء كيف يشاء وليزيدن
كثيرا منهم لان منهم من امن كعبد الله بن سلام واصحابه والقيا
بينهم البداوة والبغضاء الى يوم القيامة قيل الضمير في بينهم
عائد على اليهود والنصارى لانه جرى ذكرهم في قوله لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء ولشمول قوله قل يا اهل الكتاب
للفريقين وهذا هو قول الحسن وغيره وقيل هو عائد على
اليهود اذ فيهم جبرية وقدرية ومشبهة وموحدة وكذلك
فرق النصارى كالملكانية واليعقوبية والنسطورية
والذي يظهر من مفهوم الاية انهم لا يزالون متعادين ومتباغضين
الى يوم القيامة فلا يمكن اجتماع كلمتهم على قتالك ولا يقدرون
على حربك ولا يصلون اليك بسوء ولا الى اتباعك لان هذين
الطائفتين يعني اليهود والنصارى لا تواد بينهم فيجتمعان
على حربك وفي ذلك اخبار بالمغيب وهو انه لم يجتمع لحرب
المسلمين جيشا يهود ونصارى منذ كان الاسلام الى وقتنا
هذا كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله قال الجمهور
هو استعارة وايقاد النار عبارة عن اظهار الحقد والكيد
والمكر بالمؤمنين والاغتيال لهم والقتال لهم واطفاؤها
صرف الله عنهم ذلك وتفريق آرائهم وحل عزائمهم وتفريق
كلمتهم والقاء الرعب في قلوبهم لا يرون محاربة احد الا غلبوا
وقهروا ولم يبق لهم نصر اي لم يقم بهم نصر من الله على احد ابدا
ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين الظاهر
انه يراد به العمل والفعل اي يجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر
الرسول من كتبهم والارض يجوز ان يراد بها الجنس او ارض الحجاز
فتكون ال فيه للعهد ولو انهم امنوا واتقوا الاية قيل المراد اسلافهم

ذكر كثيرا

ومحو

ودخل فيها المعاصرون بالمعنى والغرض الاخبار عن اولئك الذين قد
اطفأ الله نيرانهم واذلهم بمعاصيهم والذي يظهر انهم معاصرو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك ترغيب لهم في الدخول في دين الاسلام
وذكر شيئين وهما الايمان والتقوى ورتب عليهما شيئين وهما انه قابل
الايمان بتكفير السيئات اذ الاسلام يجب ما قبله ورتب على التقوى
وهي امتثال الاوامر واجتناب النواهي دخول جنة النعيم واضاف
الجنة الى النعيم تنبيها على ما كانوا يستحقونه من العذاب لو لم يؤمنوا
ويتقوا وان في قوله ولو انهم حرف مصدري ينسبك منه مع ما بعده
مصدر فقيل يرتفع على الفاعلية والتقدير لو ثبت ايمانهم وتقواهم
لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم وقيل هو مبتدا
والخبر محذوف التقدير لو ايمانهم وتقواهم موجودان لكفرنا عنهم
سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
الآية هذا استدعاء لايمانهم وتنبيه لهم على اتباع ما في كتبهم وترغيب لهم
في عاجل الدنيا وبسط الرزق عليهم فيها اذ اكثر ما في التوراة من الموعود
به على الطاعات هو الاحسان اليهم في الدنيا ولما رغبهم في الآية المتقدمة
قبل هذه الآية في موعود الآخرة من تكفير السيئات وادخالهم الجنة
رغبهم في هذه الآية في موعود الدنيا ليجمع لهم بين خيري الدنيا
والآخرة وكان تقديم موعود الآخرة اهم لانه هو الدائم الباقي
والذي به النجاة السرمدية والنعيم الذي لا ينقضي ومعنى اقامة التوراة
والانجيل هو اظهار ما انطوت عليه من الاحكام والتبشير برسول
الله صلى الله عليه وسلم والامر باتباعه فهو كقولهم اقاموا السوق اي حركوها
واظهروها وذلك تشبيه بالقائم من الناس اذ هي اظهر هيئاته
وفي قوله والانجيل دليل على دخول النصارى في لفظ اهل الكتاب
وظاهر قوله وما انزل اليهم من ربهم العموم في الكتب الالهية مثل
كتاب اشعياء ودانيال فانهما مملوءة من البشارة بمبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل وما انزل اليهم من ربهم هو القرآن وظاهر قوله لاكلوا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم انه استعارة عن سبوغ النعم عليهم وتوسعة الرزق
عليهم كما يقال قد عمه الرزق من فرقه الى قدميه ولا فوق ولا تحت
وقال ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال غيره ايضا اي لاعطتهم السماء
مطرها وبركتها والارض نباتها لقوله عز وجل لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض منهم امة مقتصدة الضمير في منهم يعود على اهل الكتاب
والامة هنا يراد بها الجماعة القليلة للمقابلة لها بقوله وكثير منهم ساء
ما يعملون والاقتصاد هو ماخوذ من القصد وهو الاعتدال وهو
افتعل بمعنى اعتمل واكتسب اي كانت اولا جائرة ثم اقتصدت
وقيل هم مؤمنوا الفريقين كعبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من

النصارى

النصارى وافتقادهم هو بالايمان بالله عز وجل • قوله تعالى وكثير
منهم ساء ما يعملون هذا نوع في التفصيل والجملة الاولى جاء منهم
امة مقتصدة جاء الخبر فيها بالجار والمجرور وبمفرده وصف والجملة
الثانية جاء فيها الوصف بالجار والمجرور والخبر بالجملة من قوله ساء ما كانوا
يعملون وبين الجملتين تفاوت غريب من حيث المعنى وذلك ان
الاقتصاد جعل وصفا والوصف لا يلزم للموصوف من الخبر فالى
الطائفة الممدوحة بالوصف لا بلازم واخبر عنها بقوله منهم والخبر
ليس من شأنه اللزوم ولا سيما هنا فاخبر عنهم بانهم من اهل
الكتاب في الاصل ثم قد يتزول هذه النسبة بالاسلام فيكون
التعبير عنهم والاخبار بانهم منهم باعتبار الحالة الماضية واما
في الجملة الثانية فانهم منهم حقيقة لانهم كفار في الوصف بالاثم
ولم يجعل خبرا ولا جعل خبرا للجملة التي هي قوله ساء ما كانوا يعملون
لان الخبر ليس من شأنه اللزوم فهم وصدد ان يسلم بأس منهم
فيزول عنهم ان الاخبار بمضمون هذه الجملة واختار الزمخشري
في ساء ان تكون بمعنى بئس لانصرف قال فيه التعجب كما قال ما اشعرهم
علمهم ولم يذكر غير هذا الوجه واختار ابن عطية رضي الله عنه ان تكون
على بابها المتصرفة تقول ساء الامر يسوء واجاز ان تكون غير
المتصرفة فتستعمل استعمال نعم وبئس كقوله تعالى ساء مثلا
فالمتصرفة تحتاج الى تقدير مفعول اي ساء عملا ما كانوا يعملون على الوجهين
واما غير المتصرفة فتحتاج الى تقدير تمييز اي ساء عملا ما كانوا يعملون
انتهى فاذا كانت ساء للتعجب كان وزنها فعل كما تقول لقضو الرجل
اي ما اقضاه وكذلك يكون وزنها فعل اذا كانت من باب نعم
وبئس واذا كانت متصرفة متعدية كان وزنها فعل بفتح العين
ويجوز في ما ايضا ان تكون مصدرية اي ساء عملهم وان تكون
موصولة بمعنى الذي ويكون التقدير ساء الذي يعملونه وحذف الضمير
العائد على الموصول • يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم الآية • قال ما اشرنا
اليه في سبب نزول هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى لما انزل اليه وهو
عليه الصلاة والسلام قد بلغ ما انزل اليه من ربه فهو آخر ما نزل
اي حتم على ذلك • وان لم تفعل فما بلغت رسالته اي من يبلغ
ما انزل اليك والجواب لا بد ان يغاير الشرط حتى يترتب عليه فقال
الزمخشري رضي الله عنه المراد وان لم تفعل فانك ما وجبت كتمان
الوحي كله من العقاب فوضع التسبب هنا موضع المسبب ويعضده
قوله عليه الصلاة والسلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك
انتهى وقال ابن عطية رضي الله عنه يعني ان تركت شيأ مما امرتك
انك قد تركت الكل وصار ما بلغته غير معتد به فيغني وان لم تفعل وان لم تستوف

جل
نعم

ما ايها الرسول بلغ
ما انزل اليك من ربك

والله يعصمك من الناس قال محمد ابن كعب رضي الله عنه نزلت بسبب
الاعرابي الذي اخترط سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله وهو
غورث ابن الحارث وذلك في غزوة ذات الرقاع وهذه الآية نزلت
بالمدينة الشريفة والرسول عليه الصلاة والسلام بها مقيم سهر ليلة
فحرسه فيها سعد وحذيفة فنام حتى غط فنزلت تلك الآية واخرج
اليهما راسه من قبة آدم عليه الصلاة والسلام وقال انصرفوا ايها
الناس فقد عصمني الله تعالى من الناس لا ابالي من نصرني ومن
خذلني واصل هذا الحديث في صحيح مسلم ان الله لا يهدي من قضى
عليه بالكفر والموافاة عليه لا يهديه الله ابدا فليس لفظ
الكافرين على العموم لانه قد وجد كفار وقد هداهم الله تعالى
قل يا اهل الكتاب قال رافع ابن حارثة وغيره يا محمد الست
تزعم انك على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانك تؤمن بالتوراة
وبنبوة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وان ذلك حق قال
بلى ولكن احدثتم وغيرتم وكتمتم فقالوا انا ناخذ ما في
ايدينا فانه الحق ولا نصدقك فيما جئت به ولا نتبعك فنزلت
تلك الآية وتقدم الكلام على اقامة التوراة والانجيل
وما انزل فاغنى عن اعادته ونفى ان يكونوا على شيء جعل ما هم عليه
عدما صرفا لفساده وبطلانه فنفاه من اصله او لاحظ صفة
محذوفة اي على شيء يعتد به فيتوجه النفي الى الصفة دون
الموصوف والضمير في يقيموا عائد على اهل الكتاب من اليهود
والنصارى وقيل جمع الضمير والمقصود التفصيل اي حتى
يقيم اهل التوراة التوراة ويقيم اهل الانجيل الانجيل ولا يحتاج
الى ذلك ان اريد ما في الكتابين من التوحيد فان الشرائع فيه
متساوية • فلا تأسوا اي فلا تحزن عليهم فاقام الظاهر مقام
مقام المضمر تنبيها على العلة الموجبة لعدم التأسف وهو الفسق
او هو عام فيندرجون فيه • ان الذين آمنوا الآية تقدم الكلام
على نظيرها في سورة البقرة وقرأ ابي وعثمان وغيرهما والصابئين
منصوبا عطفا على اسم ان وما بعدها قال الزمخشري رضي الله عنه
وبه قرأ ابن كثير رضي الله عنه انتهى وليس ذلك مشهورا
عن ابن كثير وقرأ القراء السبعة والصابئون بالرفع ووجه
ذلك على وجوه منها مذهب سيبويه ومنها مذهب الخليل ونحاة البصرة
انه مرفوع بالابتداء وهو منوي به التأخير ونظيره ان زيدا وعمرا
قائمان والتقدير ان زيدا قائم وعمرو قائم فحذف خبر عمرو لدلالة
خبر ان عليه والنية بقوله وعمرو هنا التأخير ويكون وعمرو
قائم بخبره هذا الخبر المقدر المعطوف على الجملة من ان زيدا قائم

وكلاهما

القوم الكافرين اي من

بما

وكلاهما لا موضع لهن من الاعراب والى حد التالى اسم معطوف على اسم ان
لانه قبل دخول ان كان في موضع رفع فروعي هذا الوصف بهذا الموضع
وهذا مذهب الكسائي والفراء ودلائل هذه المسألة مقررة في
كتب علم النحو وقد علم وقد اخذنا الآية الاولى اخذنا عليهم ميثاقا
احتجوا وانتصب من لحن القول وهذا اخبار عما صدر من اسلافهم
المنهوج من نقض الميثاق الذي اخذه الله سبحانه وتعالى وما اخروهم
من كبائر الاثم والعظائم من تكذيب الانبياء وقتل بعضهم والذين هم
معاصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم اخلاف اولئك فعزموا على
ما يصدر منهم للرسول عليه الصلاة والسلام من الاذى وهن
العمل ان اذا اذاك الذي قد صدر وشبهته من لا فهم او كلما
جاءكم رسول الآية تقدم تفسيرها في سورة البقرة
وقال ابن محشري رضي الله عنه اراني قد ذكرت هنا وهذه الآية فان
قلت اين جواب الشرط فان قوله ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون ما
عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول
ان اكرمتك اخي اخاك اكرمتك قلت هو محذوف ودل عليه قوله
ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم فاصلوه وقو
وفريقا كذبوا واخر مستانف وقيل ان يقول وكيف فعلوا بهم
اسنى وقوله فان قلت اين جواب الشرط سمي قوله كلما جاءكم رسول
شرطا وليس بشرط بل كل منصوب على الظرف لاضافتها الى المصدر المسبك
من ما المصدرية الظرفية والعامل فيها هو ما في حيزها المدلول عليها
من الفعل كقولك اتخاني كل يوم ضحكت جلودهم بدلنا هم جلودا غيرها
الآية وقوله تعالى كلما الى قوله فيها في جاءهم آخرها الم يأتكم نذير وقد
اجمعت العرب على انه لا يحسن ان يجيء ماضيا وعلى تسليم شرطا
فقد كان قوله ففريقا كذبوا مبنيا عن الجواب لو خلص احدهما قوله لان
الرسول الواحد لا يكون فريقين وليس كما ذكر لان الرسول في هذا
الكتاب لم يرد به الواحد بل الجنس الا ترى انك اذا قلت لا
ما طلع نجم الا وهو واحد بل يراد به الجنس واي نجم طلع وان كان
المراد به الجنس انقسم الى القريقين ففريق كذب وفريق مثل الواحد
الثاني في قوله ولانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمتك
يعني انه لا يجوز تقديم منصوب فعل الجواب عليه والتبس كما ذكر المجيب
النصريين والكسائي ان ذلك كان حسنا ولم يمنعه الا الفعل
وحده وهذا كله على تقدير تسليم ان كلما شرط والا فلا يجوز بل يلزم ان
تعتقد ان هذا لم يجب تقديم منصوب الفعل العامل في كلما عليه
فتقول كلما جيتني اخاك اكرمت وعموم نصوص النحويين على ذلك لانهم
حين حصروا تقديم ما يجب فتقدير المفعول به على العامل اذا حصروا

ضحك

ما يجب تأخيره عنه قالوا وما سوى ذلك يجوز فيه التقديم على العامل
والتأخير عنه ولم يستثنوا هذه الصورة ولا ذكروا فيها خلافا فعلى
هذا الذي قررناه يكون العامل في كلما قوله كذبوا وما عطف عليه ولا
يكون محذوفا وقال الحوفي وابن عطية كلما ظرف والعامل فيه كذبوا وقال
ابو البقاء كذبوا جواب كلما انتهى وجاء بلفظ يقتلون على حكاية الحال
الماضية استفظاعا للقتل واحضارا لتلك الحالة الشنيعة
للتعجب منها قاله الزمخشري رضي الله عنه ويحسن مجيئه كونه رأس
آية والمعنى انهم كذبوا فريقا فقط وقتلوا فريقا ولا يقتلونه الا مع
التكذيب فاكتفى بذكر القتل عن ذكر التكذيب اي اقتصر ناس على
تكذيب فريق وزاد ناس على التكذيب القتل وحسبوا ان لا تكون
فتنة قال ابن الانباري رضي الله عنه نزلت في قوم كانوا على الكفر قبل
البعثة فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه بغيا وحسدا
فعموا وصموا بمجانبة الحق ثم تاب الله عليهم اي عرضوا للتوبة بارسال
الرسل وان لم يتوبوا ثم عموا وصموا كثير منهم لانهم كلهم لم يكونوا
اجمعوا على خلافه انتهى وقرئ ان لا تكون فتنة بنصب النون
بان وقرئ برفعها على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها
ضمير الامر محذوف تقديره انه لا تكون ولا تكون جملة في موضع خبر
ان وفي كلا القراءتين ان انت مناب مفعولي حسبت فعموا عن
النظر في دلائل الحق وصموا عن سماع الآيات الالهية ثم تاب الله
عليهم ببعثة عيسى عليه الصلاة والسلام وبعثة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم فاتبع ناس منهم عيسى عليه الصلاة والسلام ومحمدا عليه الصلاة
والسلام وكثير بدل من الضمير في صموا وعموا لان فيهم من آمن بالنبيين
المذكورين • لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم تقدم شرح
هذه الجملة مستوفى في اول هذه السورة وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا
الله ربي وربكم الآية رد الله سبحانه وتعالى عليهم مقالتهم بقول من يدعون
الالوهية فيه وهو عيسى عليه الصلاة والسلام انه لا فرق بينه وبينهم
في انهم كلهم مربوبون وامرهم باخلاص العبادة له ونبه على الوصف الموجب
للعبادة وهو الربوبية وفي ذلك اعظم دليل عليهم في فساد دعواهم
وهو ان الذي يعظمونه ويرفعون قدره عن ما ليس له يرد عليهم مقالتهم
وهذا الذي ذكره الله سبحانه وتعالى عنه هو مذكور في انجيلهم يقرؤونه ولا
يعملون به وهو قول المسيح يا معشر بني المعمودية وفي رواية يا معشر
الشعوب قوموا بنا الى ابي وابيكم والهي والهكم ومخلصي ومخلصكم
• انه من يشرك بالله الظاهر انه من كلام المسيح فهو داخل تحت القول وفيه
اعظم ردع منه عن عبادته اذا خبر الله من عبد غير الله تعالى منعه الله
دار من افرده بالعبادة وجعل ماواه النار ان الله لا يغفر ان يشرك به قيل هو

من كلام الله

من كلام الله عز وجل مستأنف لخبر مذكر على سبيل الوعيد لمن يشركه
بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما لظالمين من أنصار
في هذه الآية وعيد وتهديد شديد وظاهر ما تقدم أن هذا من
قول عيسى عليه الصلاة والسلام أخبرهم أنه من يجاوز ما وضع الله في غير
موضعه فلا ناصر له ولا مستغاث فيما افتراه ويقوله وذلك
رد على النصارى في دعوى ألوهيته وذلك ظلم أي جحدوا
ما هو مستحيل في العقل واجبا وقوعه أي فلا ناصر له ولا منجى من عذاب
الله عز وجل في الآخرة ويحتمل أن يكون من كلام الله سبحانه وتعالى أخبرهم
ظلموا وعدلوا عن الحق أي ذهبوا عن طريق الهدى والقول الحق في شأن عيسى
عليه الصلاة والسلام ويقولهم عليه فلا ناصر لهم لقد كفر الذين قالوا إن الله
ثالث ثلاثة أي أحد آلهة ثلاثة هو زعم الملكية من النصارى القائلون
بالتثليث وظاهر قوله ثالث ثلاثة أحد آلهة ثلاثة قال الدمنهوري
أراد والله تعالى أن الله تعالى وعيسى وأمه ثلاثة ويؤيده أنه
قيل للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ما اتخذ الله صاحبة
ولا ولدا أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ما اتخذ أمة من ولد وما
كان أحد من آله وحكى المتكلمون عن النصارى أنهم يقولون جوهر
واحد ثلاثة أقانيم آب وابن وروح قدس وهذه الثلاثة الذوات
كما أن الشمس تتناول الأقراص والشعاع والحرارة وعنوا بالآب الذات
وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا
إن الكلمة التي هي كلمة الله تعالى اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر
أو اختلاط اللبن بالماء وزعموا أن الآب إله والابن إله والروح إله وأن
الله واحد وهذا معلوم البطلان بصريح العقل إذ الثلاثة لا تكون
واحدا وأن الواحد لا يكون ثلاثة ولا يكون في المرتبة التي هي الثلاثة
إلا بالإضافة لأنك لا تقول ثلث الثلاثة واحد لكن أحمد
ابن يحيى التلمساني رد وه عليه بقوله وما من إله إلا إله واحد وتعالى
أن يكون الله في الوجود إلا متصفا بالوحدانية وكذلك زيادة من أي
الأشعرية وخص الله تعالى في صفة الوحدانية والله رفع على البدل
من الله على الموضع ولكان الزمخشري رضي الله عنه وكذا أجاز الكسائي
رضي الله عنه اتباعه على اللفظ فيدل على ما تقدم من نفي الآلهة فيحمل
لا تحيز زيادة من في الواجب والتقدير وما من إله في الوجود إلا إله
واحد من صون ما الوحدانية لأن في له وهو الله تعالى وإن لم ينتهوا
قيل إن قسم محذوف والأكثر تحقق اللام الموطئة لحرف الشرط المنفي كقوله تعالى لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وقد
تحذف اللام ويبقى التقدير ليس لم ينتهوا كما حذفت في قوله وإن لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وما في قوله عما يقولون أي عن قولهم أو عن

فقد بين عز الذي يقولون وحذف الضمير العائد على قوله ما وليمسن
الذين كفروا منهم عذاب اليم فيه جواب قسم محذوف قد اداة الشرط كما
قاله سيبويه وغيره واكثر ما يجيء هذا التركيب وقد صحبت ان اللام التي
المؤذنة بالقسم المحذوف كقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا
وقضى والذين كفروا اي الذين مثبتوا على هذا الاعتقاد فاقام الظاهر
هنا مقام المضمر اذ كان الربط يحصل بقوله وليمسنهم لتكرير
الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وفي ذلك اعلام بانهم كانوا بمكان من الكفر او جعل الموصول
صلة الذين وهي تقتضي كونها معلومة للسامع مقررة عنده وليست
كذلك لانها انما وصفوا بالكفر في هذه السورة وهي متاخرة النزول
وليست مقررة عندهم ومن للتبعيض اي كائنا منهم والرابط حاصل
بالعموم وكائنة قتيل كافرهم وليسوا كلهم كافرين على الكمال فقد آمن
كثير منهم من النصرانية ومن ادعت ان تكون من لبيان للجنس جاز
ذلك • افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه هذا تلطف بهم واستدعاء الى
التنصل من تلك المقالة الشنعاء بعد ان ذكر عليهم الشهادة
بالكفر والفاء في قوله افلا يتوبون للعطف محذوف بين همزة الاستفهام
وبين لا النافية والتقدير فاذا لا يتوبون اي فهلا يتوبون كما
ذكره الزمخشري وابن عطية رضي الله تعالى عنهما وقال ابن عطية رضي الله
عنه وقف الله بهم اي يخصهم بصدهم اياهم عن الكفر وحثهم على التوبة المؤدية
الى المغفرة انتهى وفساد قوله من الحث ومن التخصيص على التوبة هو
من حيث المعنى لا من حيث اللفظ لان افلا يعزمون لو جاء الآتي قد تكون
تاتي للحض والحث • ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
الآية لما حض سبحانه وتعالى على النصارى قولهم الاول ان المسيح
عليه الصلاة والسلام اعبدوا الله ربي وربكم وان الذي يقوله وما
من اله الا اله واحد اثبت له الرسالة بصورة الحصر فقال اي ما المسيح
ابن مريم شيء مما قدمته النصارى من كونه الها وكونه احد ثلاثة
بل هو رسول من جنس الرسل الذين خلوا قد تقدموا جاءوا بالآيات من عند
الله سبحانه وتعالى • وامه صديقة هذا البناء من ابنية المبالغة والاظهر
انه من ذلك لا الى المجرد نحو سكير من سكر ويحتمل ان يكون بناء من صدق
لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه كما قيل في ابي بكر الصديق
اي لكثرة صدقه وتصديقه رضي الله عنه امين • وانما اكدا ان الطعام
هذا التنبيه اسمه احد وفي طبيعته تبعد عن اعتقاد ما اعتقدته
النصارى فيهما من الالوهية لان من احتاج الى الطعام وما يتبعه من
العوارض لا يكون الها ولم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب
وخلاط وغير ذلك ولو تامل ذلك على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام

عدم

لم يكن الها

• انظر كيف

• انظر كيف بين لهم الآيات اى الاعلام من الادلة الظاهرة على
بطلان ما اعتقدوه وهذا امر لنبيه صلى الله عليه وسلم وفي ضمن ذلك
الامر لامته في ضلال هؤلاء وبعدهم عن قبول ما بينوا لهم • ثم
انظر اني يؤفكون كرر الامر بالنظر لاختلاف المتعلق لان الاول امر في كونه
تعالى اوضح لهم الآيات وبينها بحيث كان يتبع معها البين والامر
الثاني امر بالنظر في كونهم يصرفون عن سماع الحق وقبوله اوفي كونهم
يقلبون ما بين لهم الى الضد منه وهذا ان امر التعجب اى تعجب
من حالهم
وتدخلهم لتراخي ما بين هذين العجبين وكانه يقتضي العجب من توضيح
الآيات وتبيينها ثم النظر في حال من بلغت به قوة غراضهم عن
الايمان اعجب • قال القشيري ومن وقد الله ملائمك لكل احد ولا سيما
الآمة لما كان امرهم بالله تضمن القول والاعتقاد كما ان الكفر بقوله
والله هو السميع العليم اى السميع لاقوالكم العليم باعتقادكم وما قد
طويت عليه سرائركم ونياتكم وفي الاخبار عنه سبحانه وتعالى بهاتين الصفتين
تهديد ووعيد على ما تقولونه ولا تعتقدونه وقد تضمنت هذه الآية
الانكار عليهم حيث عبدوا من دونه من لا يملك نفعا ولا ضرا وجلب
نفع قليل ومن مرت عليه مدد لا تسمع دعاءه ولا تعلم وتركوا الدعاء على
الاطلاق السميع العليم يعني السميع للاصوات العليم بالنيات • قل يا اهل
لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا وهو نداء اهل الكتاب الحاضرين زمان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبتاوك من جاء بعدهم ولما سبق القول في اباطيل
اليهود وملي باباطيل النصارى جمع الفريقين في النهي عن الغلو في الدين
وانتصب غير الحق وقولوا الغلو الباطل وليس المراد هنا الدين مطلقا
عليه بل المراد الدين الحق الذي جاء موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام
ومن غلو اليهود لعنهم الله تعالى انكار نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام
وادعاؤهم فيه انه لغية ومن غلو النصارى لعنهم الله تعالى ما تقدم
من اعتقاد بعضهم فيه انه الله وانه ثالث ثلاثة وبعضهم انه احد
الهة ثلاثة • ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا
وضلوا عن سواء السبيل هؤلاء القوم هم اسلاف اليهود والنصارى ضلوا
في انفسهم واضلوا غيرهم كثيرا ثم عين ما ضلوا عنه وهو السبيل السوي المتو
في الذكر وتخصيص ابن عطية والزمخشري رضي الله عنهما عموم اهل الكتاب
باليهود والنصارى ضلوا في انفسهم واضلوا غيرهم وهو العموم من غير داعية
الى ذلك ثم عين ما ضلوا عنه وهو السبيل السوي المتوسط في الدين
وتخصيص ابن عطية والزمخشري رضي الله عنهما عموم اهل الكتاب باليهود
والنصارى خروج عن الظاهر وهو العموم من غير داعية الى ذلك فان
شمول وتوبيخ العموم قوله بعد وذكر على لسان داود وعيسى ابن مريم فداود
بالنسبة الى اليهود وعيسى بالنسبة الى النصارى • لعن الذين كفروا من بني

الطوق

الكتاب

بسط

سرائيل

على لسان داود وعيسى ابن مريم قال ابن عباس رضي الله عنهما لعنوا بكل
لسان لعنوا على عهد موسى عليه الصلاة والسلام في التوراة وعلى
عهد داود عليه الصلاة والسلام في الزبور وعلى عهد عيسى عليه الصلاة
والسلام في الانجيل وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن
ولعن مبنيا للمفعول حذف فاعله فيجوز ان يكون الله تعالى ويجوز
ان يكون الفاعل غيره تعالى كالانبياء عليهم الصلاة والسلام والافصح
انه اذا فرق متضمنا الحرفين اختير لفظ الافراد على لفظ التثنية وعلى
لفظ الجمع فلذلك جاء على لسان مفرد ولم يات على لسان داود
وعيسى عليهما الصلاة والسلام ولا على السن داود وعيسى عليهما
الصلاة والسلام فلو كان التضمنان غير مفرقين اختير لفظ الجمع على
التثنية وعلى الافراد كقوله فقد صغت قلوبكما والمراد باللسان
هنا الجارحة لا اللغة اي ان الناطق بلعنهم هو لسان داود
وعيسى عليهما الصلاة والسلام ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اي ذلك اللعن كائن بسبب عصيانهم وذكر على سبيل التوكيد
والا فقد فهم سبب اللعنة باسنادها الى من تعلق بهذا الوصف
الدال على العلية وهو الذين كفروا كما تقول رجم الزاني فيعلم
ان الرجم سببه الزنا كذلك اللعن سببه الكفر ولكن اكد بذكره
ثانيا في قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وما مصدرية
في قوله بما عصوا اي بعصيانهم وكانوا يعتدون يجوز ان يكون هذا
معطوفا على عصوا فيكون داخلا في صلة ما اي بعصيانهم ويجوز
ان يكون اخبارا من الله سبحانه وتعالى ان شانهم الاعتداء
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ظاهره التفاعل بمعنى الاشتراك
اي لا ينهى بعضهم بعضا وذلك انهم قد جمعوا بين فعل المنكر وبين
التجاهر به وعدم النهي عنه والمعصية اذا فعلت وقدرت
على العبد ينبغي ان يستتر بها فقد قال صلى الله عليه وسلم من
ابتلي منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر فاذا فعلت جهارا
وتواطاوا على عدم الانكار كان ذلك تحريضا على فعلها وسببا
مثيرا لافشائها ترى كثيرا منهم عود الضمير في منهم على بني اسرائيل
فقد قال مقاتل رضي الله عنه معنى قوله تعالى ترى كثيرا منهم هم
من كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولون الذين كفروا
اي يتولون الكفار وعبدة الاوثان والمراد كعب ابن الاشرف
واصحابه الذين استحاشوا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا تكون رأى بصرية ويحتمل ان تكون من رؤية القلب
لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون
قال الزمخشري رضي الله عنه ان سخط الله عليهم انه المخصوص بالذم ومحله الرفع

كانه قيل

كانه قيل لبيس راد هم الي الآخرة سخط عليهم والمعنى موجب سخط الله
عليهم انهي ولا يصح هذا الاعراب الا على مذهب الفراء والمازني في ان
كما موصولة او على مذهب من جعل في بيس ضميرا وصلها مميزا بمعنى
شيء وقدمت صفة للتمييز واما على مذهب سيبويه رحمه الله عنه
فلا يستوي صلة ولكنه لان ما عنده اسم تام ومعرفة بمعنى الشيء
والجملة بعده صفة المخصوص المحذوف والتقدير لبيس الشيء
شيء قدمت لهم انفسهم فيكون على هذا ان سخط في موضع رفع على البدل
من المخصوص المحذوف او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو ان سخط
وقال ابن عطية رضي الله عنه وان سخط في موضع رفع بدل من ما انتهى
ولا يصح هذا سواء كانت ما موصولة تامة لان البدل يحل محل
المبدل منه وان سخط لا يجوز ان يكون فاعلا لبيس لان فاعل بيس
ونعم لا يكون ان والفعل وقيل ان سخط في موضع نصب بدلا من
الضمير المحذوف في قدمت اي قدمت لهم انفسهم كما تقول الذي ضربت
زيدا الحوك زيد ضربته زيد وقيل على اسقاط اللام اي لان سخط
الله عليهم ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم
اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون الآية قال ابن عطية وابن عطية
رضي الله عنهما ان كان المراد بقوله ترى كثيرا منهم اسلافهم في النبي هو
داود وعيسى عليهما الصلاة والسلام او معاصري رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو النبي صلى الله عليه وسلم والذين كفروا منهم عبدة
الاوثان والمعنى لو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق اذ هو الآية
الكفار دليل على النفاق والظاهر في ضمير قالوا وضمير انه اعل
في قوله ما اتخذوهم اولياء انه يعود على قوله ترى كثيرا منهم وفي ضمير
المفعول انه يعود على الذين كفروا وقال ابن عباس رضي الله عنه
وفي ذلك وجها آخر وهو ان تكون الهاء ولو كان هؤلاء المنوه لون
من المشركين يؤمنون بالله ومحمد صلى الله عليه وسلم ما اتخذوهم
اليهود اولياء والوجه الاول اولى لان هذا الحديث انما هو عن
قوله ترى كثيرا منهم فعود الضمائر على شيء واحد اولى من اختلافها
وجاء هو آت لو سقطت با لخبر لام وهو الافصح ودخول اللام عليه
قليل نحو قول الشاعر لو ان ما لعلم نفطى ما بقبر سيد
ما ظلمت من الدنيا فتفروق وقوله تعالى ولكن كثيرا منهم
فاسقون خص الكثير منهم بالفسق اذ منهم قليل قد امن والخبر عنهم
اقل لانهم الكثير والضمائر يجده له وليس المعنى ولكن كثيرا منهم اي من ذلك
الكثير ولكنه طال اعتد بلفظه وكان من وضع الظاهر بلفظ موضع
المضمر لا موضع الضمير اذ كان السياق يكون ما اتخذوهم اولياء
ولكنهم فاسقون فوضع الظاهر هنا موضع المضمر قال الله عز وجل فتجدن اشد الناس

عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا قال قتادة رضي الله عنه
نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة مما جاء به عيسى عليه
الصلاة والسلام آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنى الله عليهم
قيل هو النجاشي وأصحابه قال علماؤهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه
حين هاجر إلى الحبشة سواه وبعثه عليها الصلاة والسلام فآمنوا
فأنزل الله عز وجل هذه الآية وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى
أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وظاهر اليهود هنا العموم
وذلك أنهم سعوا على تكذيب الأنبياء وقتلهم وعلى العتو
والتعاصي واستشعارا للغلظة وصرف الذلة والمسكنة
فتحرف عداوتهم وبغضهم وحسدهم وخبثهم وفي الحديث
ما خلا اليهود فإن يسلم الإهماء بغته وفي وصف الله عز وجل إياهم
بأنهم أشد عداوة استعمال بصعوبة إجابتهم إلى الحق لذلك قل
إسلام اليهود وعطف الذين أشركوا على اليهود وجعلهم تبعا لهم
في ذلك إذ كانوا أشهر في العداوة إذ تابوا وأسلموا
في الشريعة والجنس وسائر المسلمون والمشركون في الشريعة
لا في الجنس آدميهم وسائر خصلة من القرابات والانتساب
فتقطعهم على كل حال الرحم على المسلمين وأنهم لسبق على شريعة
من عند الله سبحانه وتعالى فهم أشرح وأدنى إيمان من كل أحد
من اليهود والنصارى واللام في قوله لتجدن جواب قسم
محذوف ومفعول تجدن الأول أشد الناس والمراد بالناس
الكفار والذين آمنوا متعلق بالعداوة والمفعول الثاني لليهود
وما عطف عليه وعداوة تمييز ولتجدن أقربهم مودة أي
هم الذين عرفتكم وأقربهم ودا ولم يصفهم بالود وإنما جعلهم
أقرب من المشركين وهم أمثالهم فجاء اليهود
لسبقهم على شيء من أخلاق النصارى بل شابههم الخفة والتحاب
والمكر والعداوة في البغضاء والحسد وقوله تعالى لتجدن
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى إشارة إلى
أنهم ليسوا متمسكين بحقيقة النصرانية بل ودك قولهم
منهم وزعمهم ذلك إشارة إلى قرب المودة وهو مبتدأ والخبر
قوله بأن منهم أي كائن بأن منهم وهو خبر لاسم إن أي بأن
منهم قسيسين ما أحد من قس بفتح القاف أي تتبع الشيء ويكسرها
ورئيس النصارى وقسيس بناء للمبالغة كشريف وجمعه
بالواو والنون جمع سلامة وجمع أضاجمه تكسير وقالوا في معنى
ذلك قساوسة قال أمية ابن أبي الصلت لولا مسقف كانت
قساوسه يجيبهم الله في أيديهم الزبر وقال الفراء هو مثل مهابيذ كزاف

التبيان فابدل احداهن واوا بعض اربعا بسر وساسة
وفي هذا التعليل دليل على جلالة العلم بقوله تعالى فسيشفيني
وانه سبيل الى الهداية وعلى الانقطاع والانفراد بقوله عز وجل
ولهما انا وانه طريق الى النظر في العاقبة وعلى التواضع
بقوله للمستكبرون وانه سبب كتعظيم الوجد تشهد من
نفسه ومن كل محدث انه مفتقر للمحدث فيعظم عنده
يخضع الاشياء الباري عز وجل • قوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول الآية تقدم قصة الحبشة ومن اسلم على يد جعفر
ابن ابي طالب رضي الله عنه والظاهر ان الضمير يعود على قسيسين
ورهبانا فيكون عاما ويكون قد اخبر عنهم بما يقع من بعضهم
كما خبر للنجاشي رضي الله عنه حين تلا عليه جعفر سورة مريم
الى قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ويؤيد ذلك
عليه الصلاة والسلام الى قوله هل اتاك حديث موسى اذ رآى نارا فقال
لاهله امكثوا الى انست نارا الآية فبكى وكذلك قوله للذين وفدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ عليهم يس عليه الصلاة والسلام فبكوا
والحامل من قوله تعالى في الآية الكريمة واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا
مع الشاهدين قال بعضهم هذه الآية تحتمل الاستيناف
وتحتمل ان تكون معطوفة على خبرانهم وقوله عز وجل واذا سمعوا
ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع هي من رؤية العين
واسند الفيض للاعين وان كان حقيقة للعيون كما قال
فما ربحت دموع العين مني صبابة • قال الزمخشري وابن عطية رضي الله
عنهما اقيم في ذلك المستتر مقام السبب لان الفيض سبب عن الامتلاء
فالاصل ترى اعينهم تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض على جوانب
الاناء ناشئ عن امتلائه • قال الشاعر عزه فوارض ثانيني وتحتفز وقفا
• وقد يملأ الماء الاناء فيفيض وتحتمل انه اسند الفيض الى الاعين
على سبيل المبالغة في البكاء لما كانت نابعا من فيها جعلت الفائضة
بانفسها على سبيل المجاز والمبالغة ومن في قوله مما عرفوا من
الحق للسبب بمعنى ان ما انتفت عنه من وما صدرت به في قوله
مما عرفوا من الحق يدل من قوله مما ويحتمل ان تكون ما موصولة
تقديره من الذي عرفوه وحذف العائد اي اتى عليها ومن للحق في
الحال اي مستقرا من الحق • يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع
الشاهدين • هذه جملة مستأنفة قال ابن عطية رضي الله عنه يقولون
في موضع نصب على الحال انتهى وقال مثله ابو البقاء رضي الله عنه ولم تبين ذا الحال ولا العامل فيها والاحسن ان يكون حالا من الضمير في اعينهم

محدث

يفيض

صبابة

لانه مجرور بالاضافة لا موضع له من اللفظ لا من الرفع ولا من
النصب الا على مذهب من يجوز تنزيل الخبر المضاف منزلة
المضاف اليه وقد بينا وجه خطاء ذلك في كتابنا البحر
المحيط ووضحناه باوضح المسالك من تاليفنا ولا جائز ان
يكون حالا من الضمير في الفاعل في عرفونا لانها قد تكون قيدا
في العرفان وهم قد عرفوا الحق في هذه الحال وفي غيرها
فالاولى ان تكون مستانفة اخبر سبحانه وتعالى عنهم بانهم
التبسوا بهذا القول والمعنى انهم عرفوا الحق بقلوبهم ونطقت
به واقرت به السنتهم السنتهم • امنا معناه انشانا الايمان
بالرسول والمعنى انهم عرفوا الحق ومع الشاهدين قال ابن
عباس رضي الله عنهما هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ذلك لانهم
شهداء على الناس • وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق
هذا انكار واستبعاد لانتفاء الايمان منهم مع قيام موجبه وهو
عرفان الحق والظاهر ان قولهم ذلك هو لانفسهم على سبيل
المكالمة معها لدفع الوساوس والهواجس اذ فراق طريق
وسلوك اخرى لم ينشا عنها ما يصعب ويشق وما تكون
استفهامية مبتدا ولنا في موضع الخبر التقدير اي شيء كائن
لنا ولا نؤمن جملة حالية والتقدير غير مؤمنين والعامل
فيها هو العامل في الجار والمجرور ونطمع ان يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين الظاهر انه استيناف اخبار منهم ويجوز ان
يكون في موضع الحال عطفا على قوله لا نؤمن فيكون في حيز
النفي قال الزمخشري رضي الله عنه والواو في ونطمع واو الحال
والعامل في الحال معنى الفعل العامل في لا نؤمن ولكن
مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها قلت ولنا نطمع لم يكن
ذلك كلاما انتهى ما ذكره من ان الحالين العامل فيهما واحد
وهو ما في الكلام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل
لنا غير مؤمنين طائعين ليس بجيد لانه اصح انه لا يجوز ان
يقتضي العامل حالين لذي حال واحدة الا بحرف عطف
الا افعل التفضيل والاصح انه يجوز فيه ذلك وذو الحال هنا
واحد وهو الضمير المجرور بلام لنا ولانه ايضا قد تكون
الواو دخلت على المضارع ولا تدخل واو الحال على المضارع
الا بتاويل فيحتاج ان يقدر ونحن نطمع قال الزمخشري رضي
الله عنه ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا
على انفسهم انهم لا يوحدون الله سبحانه وتعالى ويطمعون مع ذلك
ان يصحبوا الصالحين انتهى وهذا ايضا ليس بجيد لان فيه

يقولون ربنا

فاكتبنا مع الشاهدين

مما

دخول واو

دخول واو الحال على المضارع ويحتاج الى تاويل وقال
الزمخشري رضي الله عنه وان يكون معطوفا على قوله لا نؤمن على
معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين
او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما في الاسلام لان الكافر ما ينبغي
له ان يطمع في صحبة الصالحين ويظهر لي وجه غير ما ذكروه وهو
ان يكون معطوفا على نؤمن على انه منفي كنفي نؤمن التقدير وما لنا
لا نؤمن ولا نطمع فيكون في ذلك انكار لانتفاء ايمانهم
وانتفاء طمعهم مع قدرتهم على تحصيل الشيئين الايمان والطمع
في الدخول مع الصالحين انتهى وفيما قالوه اشارة الى قوله عز
وجل يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين الى آخر كلامهم
وتقدم قولهم مما عرفوا من الحق فاجتمع القول والمعرفة فكان
ذلك ايمانا محضا والمحسنين يجوز ان يكون ذلك من وضع الظاهر
موضع المضمر كانه قال جزاؤهم ونبه على الصفة الجليلة التي هي
اعظم مراتب العبادة الى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك ويجوز ان يكون المحسنين عاما واندرج هؤلاء فيهم
والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يعني المراد
هنا اليهود وغيرهم لما ذكر ما للمؤمنين ذكر ما اعد للكافرين
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين ذكر المفسرون ان سبب نزول هذه
الآية قصة طويلة ملخصها ان جماعة من الصحابة عزموا على
التقشف المفرط والعبادة الدائمة من الصيام الدائم وترك اتيان
النساء وترك اكل اللحم والودك وترك التطيب وانهم يلبسون
المسوح ويسيحون في الارض وحب المذاكير فنهاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت ومناسبة هذه
الآية لما قبلها هي انه سبحانه وتعالى لما مدح النصارى
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ومن عادتهم
الاحتراز عن تعاطي المستلذات والطيبات من مآكل الدنيا
ومشاربها ومفاخرها اوهم ذلك المدح ترغيب المسلمين في مثل
ذلك التقشف والتبتل فبين سبحانه وتعالى ان الاسلام
لا رهبانية فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انا
فاقوم وانام واصوم وافطر واتزوج النساء وانال الطيب
فمن رغب عن سنتي فليس مني واكل صلى الله عليه وسلم الدجاج
والفالوذج وكان عليه الصلاة والسلام يعجبه الحلواء والعسل
والطيبات هنا المستلذات من الحلال ومعنى لا تحرموها اي ومعناه

لا تمنعوها انفسكم

كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم
على تركها تزهدا منكم وتقشفا. يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيبا الاية في هذه الاية تاكيد للوصية بما امر الله به وزاده
تاكيدا بقوله واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يحمل
على التقوى في امتثال ما امر به واجتناب ما نهى عنه. لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم تقدم الكلام على تفسير نظير هذه الجملة
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي وثقتم بالقصد والنية
وقرئ عاقدتم وعقدتم وقال ابو علي الفارسي رضي الله عنه
يحتمل ان يكون كطارقت النعل وعاقبت اللص انتهى
ليس مثله لانك لا تقول طرقت النعل وعقبت اللص بغير
الف وهذا تقول فيه عاقدت اليمين وعقدت اليمين قال
الحطيئة اذا عقدوا عقدا لجارهم فجعله بمعنى المجرد هو الظاهر
كما ذكرناه والايمان هنا جمع يمين واليمين المنعقدة بالله تعالى
او باسمائه او بصفاته وقال الامام احمد رضي الله عنه اذا حلف
حالف برسول الله صلى الله عليه وسلم انعقدت يمينه لانه حلف
بما لا يتم الايمان الا به وفي بعض الصفات تفصيل وخلاف مذكور
في كتب الفقه قال الله عز وجل فكفارته اطعام عشرة
مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة
والضمير هنا عائد على قوله ما ان كانت موصولة اسمية وهو على
حذف مضاف التقدير بحنث الذي عقدتم عليه الايمان
وان كانت مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من المعنى وهو اثم
الحنث وان لم يجر له ذكر صريح لكن يقتضيه المعنى ومساكين
اعم من ان يكونوا ذكورا او اناثا او من الصنفين والظاهر
تعداد الاشخاص فلو اطعم مسكينا واحدا الكفارة عشرة
ايام لم يجز وبه قال الامام مالك والامام الشافعي رضي الله
تعالى عنهما وقال ابو حنيفة رضي الله عنه يجزئ وتعرضت
الاية لجنس ما يطعم منه وهو من اوسط ما تطعمون اهليكم
ولم تتعرض لمقدار ما يطعم كل واحد هذا هو الظاهر
وقد راى الامام مالك وجماعة من الائمة رضي الله تعالى عنهم
ان هذا التوسط هو في المقدر وراى جماعة انه في الصنف
وبه قال ابن عمر وغيره قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه الاوجه
ان يعم بلفظ الوسط القدر والصنف وبه قال عمر وغيره
انتهى والله اعلم وقال مالك وامامنا الشافعي رضي الله تعالى
عنهما اجمعين هو مد لكل مسكين بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
ابو حنيفة رضي الله عنه نصف صاع من بر او صاع من تمر والظاهر انه

لا يجزئ

لا يجزئ الاطعام بما فيه كفاية وقتا واحدا فان غداهم
وعشاهم اجزاه وبه قال ابو حنيفة ومالك رضي الله
عنهما وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه من شرط صحة الكفارة
تمليك الطعام للفقراء فان غداهم وعشاهم لم يجزه وبه
قال ابن جبير والحكم ابن سعد والظاهر انه لا يشترط الادام
وقال ابن عمر رضي الله عنهما قوله تعالى من اوسط ما تطعمون
اهليكم والاوسط المراد به الخبز والتمر والخبز والزبيب وخير
ما نطعم اهلينا الخبز واللحم وقال غيره هو الخبز والسمن
وقال ابن سيرين رضي الله عنه افضله اللحم واوسطه
السمن واحسنه الخبز مع التمر وروي عن ابن مسعود مثله
وقال ابن حبيب رضي الله عنه لا يجزي الخبز قفارا ولكن
بادام كزيت او سمن او لبن او زبيب او تمر او لحم او ما اشبه
ذلك مما قد يؤتدم به ونحو ذلك والظاهر ان المراعى ما يطعم
اهله الذين يختصون به اي من اوسط ما يطعم كل شخص
شخص اهله وقال ابن عبيد رضي الله عنه المراعى في هذه الاية
عيش البلد والمعنى من اوسط ما تطعمون ايها الناس اهليكم
في الجملة من مدينة او صقع ومن اوسط في موضع مفعول
ثان لاطعام والاول هو عشرة مساكين اي طعاما من اوسط
ما تطعمون والعائد على ما من ما تطعمون محذوف
تقديره تطعمونه اهليكم وجمع اهل هنا جمع تكسير كما قالوا
اهال وجمع سلامة كما قالوا اهل اي تطعمون اهليكم
وقد يكون بالواو والنون رفعا وبالياء والنون نصبا
وجرا وهو شاذ في القياس واهليكم هو المفعول الاول
وعلامة النصب فيه الياء والمفعول الثاني هو الضمير
المقدر في قوله تطعمون اي تطعمونه اهليكم كما تقدم ذلك
او كسوتهم هذا معطوف على قوله اطعام والظاهر ان الكسوة
هي مصدر وان كان يستعمل للثوب الذي يستر ولما لم
يذكر مقدار ما يطعم لم يذكر مقدار الكسوة فظاهره مطلق
الكسوة واجمعوا على ان القلنسوة بانفرادها لا تجزي وللعلماء
اختلاف كثير فيما يكتسي به الفقير في الكفارة مذكور في كتب الفقه
والظاهر اطلاق الاطعام والكسوة والرقبة ويجزي ما يدل
عليه الاسم مما جرت به العادة والظاهر حصول الكفارة
بتحرير ما يصدق عليه رقبة من غير اعتبار شيء اخر فيجزي
عتق الكافر وذي العاهة وبه قال داود وجماعة من اهل
الظاهر وقال مالك رضي الله عنه لا يجزي كافر ولا اعمى ولا ابرص ولا

ما يدل دل

مجنون

فمن لم يجد احد هذه الامور الثلاثة التي وقع فيها التخيير من الطعام
والكسوة والتحرير فالواجب عليه صيام ثلاثة ايام ومن في من لم
يجد شرطية وما بعده جملة الجزاء وقد قررناه فالواجب عليه
فالهاء في عليه عائد على من وصيام خبره ذلك كفارة ايمانكم اذا
حلفتم اي ذلك المذكور واستدل به الشافعي رضي الله عنه على
جواز التكفير بعد اليمين وقبل الحنث وفيها تنبيه على ان الكفارة
قبل اليمين لا تجوز وذهب الجمهور الى ان التكفير لا يكون الا بعد
الحنث فهم يقدرون محذوفا اي اذا حلفتم وحنثتم
• واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون • كلها
يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس
من عمل الشيطان قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت بسبب
قصة سعد ابن ابي وقاص حين شرب طائفة من الانصار
ومن المهاجرين فتفاخروا فقال سعد رضي الله عنه المهاجرون
خير فرماه انصاري بلحي جمل فغزر انفه وتقدم ذكر
الخمر والميسر في سورة البقرة وذكر واحد الانصاب في قوله تعالى
وما ذبح على النصب والازلام في قوله تعالى وان تستقسموا
بالازلام وذلك في اوائل هذه السورة والرجس قال الزجاج
اسم لكل مستقذر اي لكل ما استقذر من عمل يقال رجس
الرجل يرجس رجسا اذا عمل عملا قبيحا وقال ابن دريد
رضي الله عنه الرجس الشر ولما كان الشيطان هو الداعي الى التلبس
بهذه المعصية والمغري بها جعلت من عمله وفعله ونسبت
اليه على جهة المجاز والمبالغة في كمال تقبيحه كما جاء في قوله
فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان والضمير
في قوله فاجتنبوه عائد على الرجس المخبر به عن الاربعة فكان
الامر باجتنابه متناولا لها وقال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت الى م يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف
المحذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه
ذلك ومن اجل ذلك ذكر انه رجس من عمل الشيطان انتهى ولا
حاجة الى تقدير هذا المضاف كقوله تعالى انما المشركون نجس
• انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر الاية ذكر سبحانه وتعالى ان في الخمر والميسر مفسدتان
احداهما دينية والاخرى دنيوية فاما المفسدة الدنيوية فان
الخمر تثير الشرور والحقود وتؤول بشرابها الى التقاطع واما
الميسر فان الرجل لا يزال يقامر حتى يبقى سليبا وينتهي من سوء
الصنيع في ذلك ان يقامر حتى على اهله وولده فيؤدي به ذلك

قدرناه

الى ان يصير

الى ان يصير لاحدي عذر من قيام علة لا ذلك يوخذ منه على
سبيل القهر والغلبة واما الدنية فالخمر لعلة الشر وربها
والطرب على الفرس والاستعراض في المذاق الخساسة فلانه
عن ذكر الله سبحانه وتعالى وعن الصلاة والمشر ان كان غالبا
انشرحت نفسه وسعة حتى الغلب والقهر والكسب عن ذكر الله
تعالى وان كان مغلوبا فما حصل له من الانقباض والندم و الاحتمال
الى ان يصير غالبا صاحيا لا يخطر بقلبه ذكر الله تعالى وارد الخمر
والميسر هنا وان كانا قد جمعا مع الانصاب والازلام قبل ان
الخطاب كان للمؤمنين وانما ذكرهما لانصاب والازلام تاكيدا
لنهي الخمر والميسر وتبعيدا عن تعاطيها فنزل الذي لم يتركه المؤمنين من الانصاب والازلام والعداوة تتعلق
بالامور الظاهرة وعطف عليها ما هو اشد منها وهو البغضاء
لان متعلقها القلب كذلك ذكر الله عز وجل عطف عليه ما هو
الازم واوجب واكد وهو الصلاة وفيما ينتجه احدهما والميسر
من العداوة والبغضاء واحد عن كثير منه وعن الصلاة
اقوى دليل على تحريمها وعلى الدنية التي لم تسلم عنها ولذلك جاء
بلفظ فهل انتم منتهون وهذا الاستفهام من ابلغ ما ينهى به
وانه قبل حد قفي عليكم ما فيهما من المفاسد الدنيوية
والدينية التي توجب الانتهاء فهل انتم منتهون ام باقون على
حالكم مع علمكم بتلك المفاسد وجعل الجملة اسمية والمواجهة
لهم بانتم ابلغ من جعلها فعلية وقيل هو استفهام تضمن معنى
الامر اي فانتهوا ولذلك قال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا
واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا هذا امر والاحسن
ان لا يقيد الامر هنا بك امروا ان يكونوا مطيعين وانما جيء
لان الحذر وعدة اتي عمل احسان واتقاء السيئات
فان تولتم فاعلموا ان ما على رسولنا البلاغ المبين قوله فان تولتم
اي اعرضتم فليس على الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان يبلغ احكام الله
وليس عليه خلق الطاعة فيكم ولا يلحقه من تولكم شيء
ذلك لا حق لكم وفي هذا من الوعيد البالغ ما لا يخفى فيه
اذ تضمن ان عقابكم انما يتولاه المرسل لا الرسول ووصف
البلاغ بالمبين لانه بين في نفسه واضح وانما لانه مبين لكم
احكام الله سبحانه وتعالى • لما عرض على الذين امنوا الآية قال
ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان تعارف وانسوا من مكان لما نزل
تحريم الخمر قال قوم كيف بمن مات منا وهو يشربها
ويعمل الميسر وقد قرنت فاعلم سبحانه وتعالى ان الاثم في الخاص انما

الاحتمال

بفعل المعاصي والذين مالوا الى التحريم لسبب ابتعاسين والظاهر
من سبب النزول ان اللفظ عام ومعناه الحضور ثم اتقوا وامنوا
اي بقي مستقرا وداموا على الحالة المذكورة ثم اتقوا واحسنوا انتهوا
في التقوى الى اعلى مقاماتها من الفوائل في الصدقات
والصلاة وغيرها والله يحب المحسنين اي ومعناه بثيبهم • يا ايها الذين
امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم الاية
قيل انها نزلت عام الحديبية واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالتنعيم وكان الوحش والطير يغشاهم في رحالهم وهم محرمون
وقيل كان بعضهم احرم وبعضهم لم يحرم فاذا عرض صيد اختلفت
احوالهم واشتبهت الاحكام وقيل قتل ابو اليسر حمارا وحشي
برمحه فقيل قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ومناسبة
هذه الاية لما قبلها هو انهم لما امروا ان لا يحرموا الطيبات
ولخرج من ذلك الخمر والميسر وهما حرامان وانما اخرج بعده
ما حرم من الطيبات في حال دون حال وهو الصيد وكان
الصيد مما يعيش به العرب ويتلذذون به اذ لا يقتنا صيده
ولهم فيه الاشعار والاوصاف الحسنة والخطاب اذن للظاهر
ان الخطاب بقوله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا للمحل والمحرم
لكن لا يتحقق الابتلاء الا مع الاحرام فاو اكرم • ليعلم الله من
يخافه بالغيب هذا تعليل لقوله ليبلونكم الله بشيء من الصيد
وقيل ليعلم ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر
في الاخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه ويقدم عليه فمن اعتدى
بعد ذلك فله عذاب اليم المعنى فمن اعتدى بالمخالفة
فصادق وقد استدل الى النهي الذي يتضمنه معنى الكلام السابق
تقديره فلا تصيدوا ويدل عليه قوله تعالى ليعلم الله من
يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم قيل في
الاخرة وقيل في الدنيا قال ابن عباس رضي الله عنهما توسع بطنه
وظهره جدرا وتسيل قيحه • يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا
الصيد وانتم حرم جملة حالية وحرم جمع حرام والحرام يطلق
على من كان محرما وعلى من حل الحرم • ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم الظاهر يقتضي القتل بالعمد فمن
يعمد فقتل خطأ بان كان نائما او رماه ظانا انه ليس
بصيد فاذا هو صيد او عمد رميه الذي رماه لغير صيد فاصاب
صيدا او اخرا عليه وروي ذلك عن ابن عباس وابن جبير وطاوس
وعطاء وسالم وروينه قال ابو اويس وداود والطبري رضي الله عنهم وهو
احد قولي الحسن البصري ومجاهد واحد ابن حنبل وغيرهم وذهب ابو

حنيفة

حنيفة ومالك والشافعي واصحابهم ان الخطأ بنسيان او غيره
كالعمد والعمد ان يكون ذاكرا لاحرامه قاصدا للقتل
وروي ذلك عن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وقرا الكوفيون
فجزاء بالتنوين ومثل صفة اي فجزاء بمثل ما قتل
وقرا باقي السبعة فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع جزاء
واضافته الى مثل فقيل مثل كانها مقحمة كما تقول مثلك
يفعل كذا اي انت تفعل كذا والتقدير فجزاء ما قتل جزاء
وقيل ذلك من اضافة المصدر الى المفعول وكان الاصل
فعليه جزاء مثل ما قتل اي يغرم مثل ما قتل ثم اضيف الى
المفعول ويدل على هذا التقدير قراءة السلمي رضي الله عنه فجزاء
بالرفع والتنوين مثل ما قتل من النعم بالنصب ومن النعم
صفة لجزاء سواء رفع جزاء ومثل او اضيف جزاء الى مثل اي
كائن من النعم ويجوز في وجه الاضافة ان يتعلق من النعم
بجزاء اذ لا في الوجه الاول لان جزاء مصدر موصوف فلا يعمل
ووهم ابو البقاء رضي الله عنه في تجويزه ان يكون من النعم
حالا من الضمير في قتل يعني من الضمير المنصوب المحذوف
في قتل العائد على ما قال لان المقتول قد يكون من النعم
وغير النعم وليس المعنى على ذلك لان الذي هو من النعم
هو ما يكون جزاء لا الذي يقتله المحرم ولان النعم لا تدخل
في اسم الصيد والظاهر في المثلية انها تكون مثلية في الصورة
والخلقة والعظم والصغر وهو قول الجمهور وظاهر قوله
من النعم انه لا يشترط سن فتجزي الحفرة والعناق
على قدر الصيد وبه قال ابو يوسف ومحمد وقال ابو
حنيفة رضي الله عنه لا يجوز ان يهدي الا ما يجزي في الاضحية
يحكم به ذوا عدل منكم الاية اي يحكم بمثل ما قتل قال
ابن وهب من السنة ان يخير الحكمان من قتل الصيد كما
خير الله تعالى في ان يخرج هديا بالغ الكعبة واصلا اليها او
كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار الهدي
حكما عليه بما يريانه نظيرا لما اصاب وادنى الهدي شاة وما لم
يبلغ شاة حكما فيه بالطعام ثم خير بين ان يطعمه وبين
ان يصوم فكان كل يوم مدا مد يوما وكذلك قال مالك رضي
الله عنه والظاهر انه يحكم به عدلان وكذلك فعل عمر في حديث
قبيصة ابن جابر استدعى عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه
وحكما في ظبي بشاة وفعل ذلك جرير وابن عمر رضي الله عنهما والظاهر
ان العدلين ذكران فلا يحكم فيه امراتان عدلتان او كفارة

طعام مساكين

قرأ الصاحبان بالاضافة وذكر الزمخشري رضي الله عنه ان
هذه الاضافة شبيهة بقوله تعالى فكفارة طعام
مساكين كقولك خاتم فضة من فضة فلست من هذا الباب
لان خاتم فضة من باب اضافة المسمى الى الجنس والطعام
ليس جنسا للكفارة لانه لا يجوز بعتق خدم او قرامي في القراءة
الشكعة بالتنوين ورفع طعام وقرأ كذلك ابن عمر وعيسى ابن عمر الا انهما افردا مسكين على انه اسم جنس قال
ابو علي رضي الله عنه طعام عطف بيان لان الطعام هو الكفارة
انتهى وهذا لا يكون على مذهب بعض البصريين لانهم شرطوا في عطف
البيان ان يكون في المعارف لا في النكرات حالا ولي ان يعرف
قد لا قد احد في مقدار الطعام وفي عدد المساكين
والظاهر انه يكفي ما يسمى طعاما وانه يكفي اقل ما يطلق عليه
اسم جمع مساكين وحون وان يكون ذلك اسنادا الى المقتصد
المتوسط في الطعم ثلاثة ايام وفي الاهل عشرون يوما
وفي السخامة وحمار الوحش ثلاثون يوما قال ابن عباس رضي
الله عنهما وقال ابن جبير رضي الله عنه في صوم ثلاثة ايام الى
عشرة ايام والظاهر عدم تقييد الطعام والصوم بمكان وقد
قال جماعة من العلماء رضي الله تعالى عنهم اجمعين حيث ما شاء كفر
بهما وفي اعطاء غير الفدى والاطعام بمكة والصوم بمكان وقد
حث شاء لبعد وقت ما لامن الوقوف بعرفة والتعزير
هنا لما يوقف من عرامة او عقاب لتفريطه بالصوم والوبال هو سوء
العاقبة اي ذاق بعد وقت عقوبة امره وقيل الوبال هو عاقبة ما تعاطاه
وهو هتكه حرمة الاحرام بقتل الصيد قال ابن المنكدر رضي الله عنه
ليذوق متعلق بقوله لحزاء اي فعليه ان يجازى ويكفر
ليذوق انتهى وهذا لا يجوز الا على حزاء من اضاف فحزاء اوجب
وصف مثل واما على قراءة من نون ورفع مثل فلا يجوز ان تتعلق
اللام به لان مثل صفة لجزاء فاذا وصف المصدر لم يجز العمل ان يتأخر
عن الصفة مسألة لو قلت اعجبني ضرب زيد الشديد عمرا لم يجز
فان قدم المعمول على الوصف جاز ذلك والصواب ان تتعلق
هذه القراءة بفعل محذوف التقدير جوزي بذلك يذوق وبال
امره وعلى هذا سلف اي في الجاهلية من تكلم الصيد في الحرمة
قال ابن المنكدر كانوا متعبدين شرائع من قبلهم وكان الصيد
محرما انتهى وقال ابن زيد رضي الله تعالى عنه يعني الله عز وجل كلفكم
ايها المؤمنون من قتل الصيد قتل هذا الذي حرم من عاد فينتقم الله
منه قال ابن عباس رضي الله عنهما ان عاد عالما متعمدا لما حرمه والكفارة

عليه

٤٤٧

عليه وتتقيموا الله منه • والله عز وجل انتقام أحل لكم صيد
البحر وطعامه الآية قال الكلبي رضي الله عنه نزلت في بني مدلج
وكانوا يبرلون في ساحل البحر تتأتى أيمانهم نصب عنه المارمن السمك
فنزلت قال الحسن البصري رضي الله عنه صيد البحر ما صيد من البحر مما يؤكل
ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم
الانتفاع بجميع ما يصاد من البحر وأحل لكم أكل الطري منه وهو
السمك وخص عند أبي حنيفة رضي الله عنه وعند ابن أبي ليلى هو
جميع ما يصاد منه على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد
حيوان البحر وأن تطعموا أنتم ونقسر وطعامه بقوله
وأن تطعموا خلاف الظاهر ويكون عائدا إلى ابن أبي ليلى لا
الضمير في قوله وطعامه عائد إلى صيد البحر وأن يراد به
المطعوم لا الاطعام ويدل على ذلك ظاهر لفظة وطعامه
وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما وطعمه بضم الطاء وسكون العين
ويدل على أنه لا يراد به المصدر وقد فسر قوله وطعامه
بما يرمي به البحر ولم يصد وفي الآية دليل على أن السمكة الطافية
وهي الميتة التي طفت على وجه الماء وقد أكل جماعة من
الصحابة في سفر لهم من دابة عظيمة تسمى العنبر حين
عنها البحر وألقت ذلك مشهور وانتصب متاعا لكم
ابن عطية على المصدر والمعنى متعكم به متاعا تنتفعون به
وقافلتكم وقال الزمخشري رضي الله عنه متاعا لكم مفعول
له أي تمتيعا لكم وقد يكون في المعنى لمعنى الآية قوله
وكفى لهم إسحاق ويعقوب نافلة في باب الحال لأن قوله
متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة مختص
بيعقوب يعني أحل لكم طعامه تمتيعا لكم وتوسعة طريا وتزودا
تزودون وقد قدمنا كما تزودون موسى عليه الصلاة والسلام
الخوف وسيرة الخضر عليه الصلاة والسلام انتهى وتخصيصه هنا
المعنى له بقوله وطعامه جار على مذهبه أي على مذهب أبي حنيفة
رضي الله عنه بأن صيد البحر منه ما يؤكل ومنه ما لا يؤكل وأن قوله وطعامه
هو المأكول منه وأنه لا يبقى الممتع الا المأكول منه طريا وقديدا
وعلى مذهب غيره يجوز أن يكون مفعولا له باعتبار صيد البحر وطعامه
• وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما أي بحرمين الظاهر من قوله
تعالى صيدا لا تقتلوها العموم سواء اصاده محرم أم حلال وقرئ وحرم
مبنيا للفاعل صيد بالنصب • واتقوا الله الذي إليه تحشرون •
هذا تنبيه وتهديد جاء عقيب تحليل وتحريم وذكر الحشر
إذ فيه نيل كل جزاء من أطاع وجزاء من عصى • جعل الله الكعبة البيت

الحرام قياما للناس

مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة وذلك انه سبحانه وتعالى ذكر
تعظيم الاحرام بالنهي عن قتل الوحش فيه بحيث شرع بقتله ما شرع
وذكر تعظيم الكعبة بقوله هديا بالغ الكعبة فذكر سبحانه وتعالى
في هذه الآية انه جعل الكعبة قياما للناس اي ركز في قلوبهم
تعظيمها وجعل هنا بمعنى صير وقيل جعل هنا بمعنى بين وحكم وينبغي
ان يحمل هذا على تفسير المعنى اذ لم ينقل جعل مرادا اي ومعناه جعل
مرادفة لهذا المعنى لكنه من حيث التصيير يلزم منه التبيين والحكم
فلما كان لفظ الكعبة قد اطلقه الله تعالى بعض العرب على
غير البيت الحرام كالبيت الذي كان في خثعم يسمى كعبة اليمانية
بين سبحانه وتعالى في هذه الآية ان المراد بالكعبة البيت الحرام
الحرام والشهر الحرام ظاهره الافراد وهو ذو الحجة لاقامة موسم الحج
فيه وقيل المراد به الجنس فيشمل الاشهر الحرم الاربعة باجماع
من العرب وشهر مضر وهو رجب كان كثير من العرب لا يراه
ولذلك سمي شهر الله اذ كان الله سبحانه وتعالى قد الحقه في
الحرمة بالثلاثة فنسبه وشدده وكانوا لا يهيجون احدا في الشهر
الحرام ولا من ساق الهدي وجعله قياما للناس ليعلموا انه
سبحانه وتعالى يعلم تفاصيل الامور الكائنة في السموات والارض ومصالحكم
في دنياكم ودينكم • اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
هذا تهديد ووعيد شديد اذا خبر سبحانه وتعالى ان عقابه
شديد لمن انتهك حرمته وان الله غفور رحيم • وفي هذا ترجية
بالغفران والرحمة لمن حافظ على طاعة الله سبحانه وتعالى او تاب
عن معاصيه • قال الله عز وجل ما على الرسول الا البلاغ • اي التبليغ
البين الظاهر • والله يعلم ما تبدون وما تكتمون • اي ما تظهرونه
وما تخفونه في صدوركم لانه تعالى عالم بالاشياء خفياتها وجلياتها
• قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث
• روى جابر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي
فهل ينفعني ذلك المال ان عملته في طاعة الله تعالى فقال الله عز
وجل ان الله طيب لا يقبل الا الطيب فنزلت تلك الآية ومناسبتها
لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما حذر عن المعصية ورغب في الطاعة
بقوله تعالى اعلموا ان الله شديد العقاب واتبعها التكليف
بقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ ثم بالترغيب في الطاعة والتنفير عن
المعصية فقال تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب الآية وقال الله
عز وجل فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون يا ايها الذين آمنوا
لا تسألوا عن اشياء الآية روى البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله من ابي قال ابوك فلان فنزلت

رجل يا

الآية

الآية والسائل هو عبد الله بن حذافة والسبب أن حسين كفر فأمر
بإحضار سنوده رضي الله عنه أفلها شيئاً من لفظ شيء ثم
قلب فجعل آخره وهي الهمزة إذا أمكن فلما الكلمة توزنها
لفعاء وجعلت فاء الكلمة وهي الياء من قلي الكم وجعلت العين
مكان لام الكلمة وهي كانت عيناً لأن المادة هي الياء والقاف
والهمزة وفي وزنها أقوال أخر ذكرت في أوائل النحو واللغة
من قوله تعالى أن قتلكم ستوكم وما عطف عليها من الشرط ومن
الجزاء في موضع الصفة لأشياء • عفى الله عنها والله غفور حليم
وقوله عفى الله عنها أي عن الأشياء التي تقدم عن السؤال عنها وقد
سألها قوم ثم أبدوا بها يعود على الأشياء ولا يمكن أن الأشياء
التي تقدم عنها أي عن السؤال عنها ليست الأشياء التي سألها القوم الذين
في هذه الآية فيكون ذلك على حذف مضاف تقديره قد سأل
أمثالها قوم وكان سؤال أسرائيل يسألون أنبياءهم عن أشياء هي نظائر
وسؤالات لا كسؤالهم أرأيت الذين جهنم ثم أصحوا بها كافرين أي بتلك
السؤالات كافرين • ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام الآية مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما نهى عن سؤال ما لم
يأذن فيه ولا كلفهم إياه منع من التزام أمور لم تكن مشروعة
أي ليست بمشروعة من الله سبحانه وتعالى والبحيرة بفعيلة
بمعنى مفعولة كالنطيحة بمعنى المنطوحة وهي الناقة إذا انتجت
خمسة أبطن في آخرها ذكر شقوا أذنها وخلوا سبيلها لا تركب ولا
تحلب ولا تطرد عن ماء ولا مرعى والسائبة فاعلة من ساب
إذا جرى على وجه الأرض يقال ساب الماء وسابت الحية وقال
ابن عباس رضي الله عنهما السائبة هي التي نتجت الأصنام
أي يعتق وكان الرجل يسيب من ماله ما شاء فيجيء به إلى السدنة
وهم خدمة الأصنام فيطعمون لبنها لأبناء السبل أي المارين
بالطرق والوصيلة قال ابن عباس رضي الله عنهما إنها الأنثى تنتج
سبعة أبطن فإن كان السابع أنثى لم يستفع بألبانها على النساء
إلا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء وإن كان ذكراً أو ذكراً وأنثى
جميعاً وإن كان ذكراً واحداً ذبح قال وصلت لها فتركت مع أمها
ولا تنتج وما فعلوه للرجال دون النساء وإذا ماتت اشترك الرجال
والنساء فيها الحامي اسم فاعل من حمى وهو الفحل من الإبل
قال ابن مسعود رضي الله عنه وكذا قال ابن عباس أيضاً رضي الله عنه
هو الفحل ينتج من صلبه عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبون
لأصنامهم فلا يحمل عليه شيء ومن في قوله من بحيرة زائدة مفعولة
بجعل ويحتمل أن يكون المفعول الثاني محذوفاً أي ما شرع الله

لفعاء

الحام

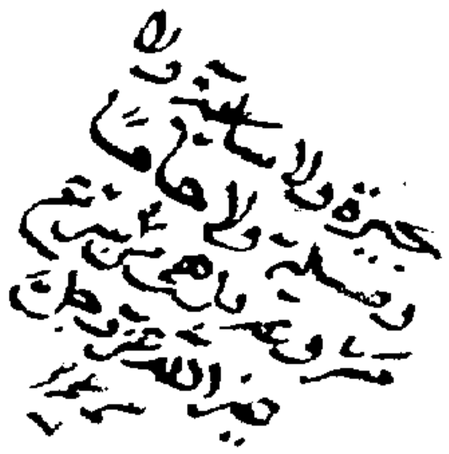

والانعام خلقها الله تعالى رفقا بعباده وتعم عدها عليهم
وسفحة بالغة واهل الجاهلية قطعوا طريق الانتفاع بها واذهبوا
نعمة الله تعالى فيها وكفر الذين كفروا يفترون على الله الكذب
هذا المدرك بعد في اي يجعلون البحيرة وما بعدها من
جعل الله تعالى ذلك وغيره بقوله افتريتم عليه ذلك اختلق
الى الله سبحانه وتعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما وقد تقدم نقله مثلها في
سورة البقرة وهنا تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه اباءنا وهناك اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا وهنا لا يعلمون شيئا وهناك لا يعقلون شيئا والمعنى
في هذه الاستعمالات لا يكاد يختلف قال ابن عطية رضي الله عنه في قوله
تعالى قولوا الا لف التوقيف دخلت على واو العطف كانهم عطفوا هذه
الجملة على الاولى فكان التقدير والوا فاعتنى بالهمز فقدرت
كقوله افلم يسيروا في الارض وليس كما ذكر منا نهم عطفوا هذه
الجملة على الاولى على ما سنبينه ان شاء الله سبحانه وتعالى قال
ابن محرز رضي الله عنه والواو في قوله اولو كان اباؤهم هي واو
الحال لكن يحتاج ذلك الى تبيين وذلك انه قد تقدم من كلامنا
ان لو تجيء هذه المجيء هي شرطية وقد بقي لا سيما ما قبلها والتنبيه
على حالة داخلة فيما قبلها واذا كان مما ينبغي ان لا يدخل فقوله
عليه الصلاة والسلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وقوله والساعي
ولو بطيء محرق وابقوا النار ولو بشق تمرة وقول الشاعر
قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت باطهار
والمعنى اعطوا السائل على كل حال ولو في الحالة التي تستعر ملعنا
وهي مجيئه على فرس وكذلك تقدير ما ذكرنا من المثل على ما قد
بان لك فالواو عاطفة ومن حيث ان العطف على الحال حال صح ان
يقال لها واو الحال وقد تقدم الكلام على ذلك في النحو باشبع
من هذا فالتقدير في هذه الحسنة اتباع ما وجدوا عليه اباءهم
على كل حال ولو في الحالة التي يستغني عنها بقيم العلم والهداية
فالمعنى حالة تسعى الى تستهم فيها الا ما ذلا ذلك حال من غلب
عليه الجهل المفرط ويا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم قال ابو
امية الشعباني رضي الله تعالى عنه سالت ابا ثعلبة الخشني
عن هذه الاية فقال لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر
واذا رايت دنيا مؤثرة وشحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب
كل ذي راي برايه فعليك بخويصة نفسك ودعنا هذه الاية

لما قبلها انه لما بين انواع التكاليف ثم قيل ما على الرسول الا
البلاغ الى قوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا
حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا الاية كان المعنى ان هؤلاء الجهال
بما تقدم من المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب
والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه بل بقوا مصرين على جهلهم
فلا تبالوا ايها المؤمنون بجهالتهم وضلالتهم فان ذلك لا يضركم
بل كونوا متعادين لتكاليف الله عز وجل مطيعين لاوامره
وعليكم من كلم الاعزاء وله باب معقود في النحو وهو معدود
في اسماء الافعال فان كان الفعل متعديا كان اسمه متعديا
وان كان لازما كان لازما وعليك اسم كقولك الزم فهو متعد
فلذلك نصب المفعول به والتقدير هنا عليكم اصلاح
انفسكم او هداية انفسكم بان تفوضوا الامر في ذلك كله الى الله عز
وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا اي
مرجع المهتدين والظالمين وغلب الخطاب على الغيبة كما
تقول انت وزيد تقومان وهذا فيه تذكير بالحشر وتهديد
بالمجازاة فينبئكم بما كنتم تعملون اي فيجازيكم به يا ايها
الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم الاية روى البخاري وغيره عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال كان تميم الداري وعدي يختلفان الى مكة
فخرج معهما فتى من بني سهم فتوفي بارض ليس فيها مسلم
فاوصى اليهما فدفعا تركته الى اهله وحبسا جاما من فضة مخوصا
بالذهب فاستحلفاهما وفي رواية فحلفهما بعد صلاة العصر اي
عصر يوم الجمعة اي حلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم انكما ما كتمتما
ولا اطلعتما ثم وجد الجام بمكة فقالوا قد اشتريناه من عدي وتميم
فجاء الرجلان من ورثة ذلك السهمي فحلفا ان هذا الجام للسهمي
ولشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا قالوا فاخذوا الجام
وفيهم نزلت هذه الاية ومناسبتها لما قبلها هو لما ذكر يا ايها
الذين امنوا عليكم انفسكم الاية كان في ذلك تنفير عن الضلال
والاستبعاد عن ان ينتفع بهم في شيء من امور المؤمنين من شهادة او غيرها
فاخبر الله عز وجل بمشروعية شهادتهم او الايصاء اليهم في السفر
على ما سياتي بيانه ان شاء الله سبحانه وتعالى وقرا الجمهور شهادة
بالرفع بينكم بالجر وشهادة مبتدا واثنان خبره على احد تقديرين
احدهما ان يكون التقدير ذوا شهادة بينكم اثنان والتقدير
الثاني ان لا يحذف من الاول ويحذف من الثاني فتقدر شهادة
اثنين فيطابق المبتدا الخبر في التقديرين اذ لو حذف على غير حذف

اذ هو

دة

ين

لم يصح

اذ لو حمل على غير حذف لم يصح لان الشهادة ليست تفسير
الاثنين وقرأ السلمي شهادة بالنصب والتنوين
فقدره الزمخشري رضي الله عنه ليقم شهادة اثنان فجعل
شهادة مفعولا لهذا الامر باضمار هذا الامر واثنان هنا
مرفوع بليقم على الفاعلية وهذا الذي قدره الزمخشري
رضي الله عنه هو تقدير ابن جني بعينه قال ابن جني رضي الله
عنه التقدير ليقم شهادة بينكم اثنان انتهى وهذا الذي
ذكره ابن جني مخالف لما قاله اصحابنا رضي الله تعالى عنهم اجمعين
قالوا ولا يجوز هنا حذف فعل ولا ابقاء فاعله الا ان اشعر
بالفعل ما قبله كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والاصال
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله
احسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب
وعلى قراءة من فتح الباء من قوله تعالى يسبح له فيها فقرأه
مبنيا هنا للمفعول وقد ذكروا في اقتباس هذا خلافا اي ومعنى
الاية اي يسبحه رجال فدل يسبح على يسبحه او اجيب به
نفي كان يقال لك ما قام احد عندك فتقول بلا زيد اي
قام زيد او اجيب به استفهام كقول الشاعر الا هل اتى ام الحويرث
مرسل بلى خالد ان لم تعقه العوائق التقدير اتى خالد او
سيأتيها خالد وليس حذف الفعل الذي قدره ابن جني وتبعه الزمخشري
احدا من هذه الاقسام الثلاثة والذي عندي ان هذه القراءة
الشاذة تتخرج هنا على وجهين احدهما ان يكون شهادة منصوبا
على المصدر المقدر الذي ناب مناب الفعل بمعنى الامر واثنان
مرتفع به والتقدير هنا اي ليشهد بينكم اثنان والوجه الثاني
ان يكون ايضا مصدرا ليس بمعنى الامر بل يكون خبرا ناب
مناب الفعل في الخبر وان كان ذلك قليلا كقولهم افعل وكرامة
ومسرة اي خالي اكرمك واسرك اي ويشهد اثنان ذوا عدل
صفة لقوله اثنان ومنكم صفة اخرى ومن غيركم صفة لآخران قال
ابن عباس وغيره امر الله عز وجل باشهاد عدلين من القرابة اذ هم
احق بحال الوصية وادرى بصورة العدل فيها فان كان الامر
في سفر ولم يحضر قرابة اسندها الى غيرهما من المسلمين الاجانب وهذا
القول مخالف لما ذكره الزمخشري رضي الله عنه وذكره غيره من
المفسرين حتى ان ابن عطية قال لا نعلم خلافا ان سبب هذه الاية ان تميما
الداري وعدي كانا نصرانيين وساق الحديث المذكور اولا وقال ابو جعفر
النحاس وناصر القول ابن عباس ان هذا القول مبني على معنى غامض في العربية

ذلك صح

مررت بكريم

تقول مررت بكريم وكريم آخر فقوله آخر يدل على انه من جنس الاول
ولا يجوز عند اهل العربية ان تقول مررت بكريم وخسيس آخر
ولا مررت برجل وحمار آخر فوجب من هذا ان يكون معنى قوله او آخران
من غيركم اي عدلان والكفار لا يكونون عدولا انتهى وما ذكره في
المثل صحيح الا ان الذي في الآية مخالف للمثل الذي ذكرها النحاس
في التركيب لانه مثل تركيب آخر وجعله صفة لغير الجنس الاول
واما الآية فمن قبيل ما تقدم فيه آخر على الوصف واندرج آخر في الجنس
الاول واما الآية فمن قبيل ما تقدم ولا يعتبر وصف جنس الاول
تقول جاءني رجل مسلم وآخر كافر ومررت برجل قائم وآخر
قاعد واشتريت فرسا سابقا وآخر مبطئا فلو اخرت آخر في هذه
المثل لم تجز المسألة لو قلت جاءني رجل مسلم وكافر آخر ومررت
برجل قائم وقاعد آخر واشتريت فرسا سابقا ومبطئا آخر
لم يجز وليست الآية من هذا القبيل لان التركيب فيها جاء اثنان ذوا
عدل منكم وآخران من غيركم فآخران من جنس قوله اثنان ولا سيما اذا قدرته
رجلان اثنان فآخران هما من جنس قولك رجلان ولا يعتبر وصف
قوله ذوا عدل منكم وان كان مغايرا لقوله من غيركم كما لا يعتبر وصف
الجنس في قولك عندي رجلان اثنان مسلمان وآخران كافران
اذ ليس من شرط آخر اذا تقدم ان يكون من جنس الاول تقيد وصفه
وعلى ما ذكرته هو لسان العرب قال تعالى قد كان لكم آية في فئتين
التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة قال ابن عطية رضي الله
عنه واخرى تكون تأنيث لآخر قال الزهير ابن ابي سلمى فأتوا
فريقين يضعون الزجاج على • قعس الكواهل في اكنافها شمم
وآخرين ترى الماذي عدتهم من • نسج داود او ما ارورثت ارم
وقوله يضعون اي يميلون والزجاج عنى به الاسنة وقعس جمع
اقعس وهو الاحدب والشمم الارتفاع والماذي الدرع اللين
الصافي وارم امة قديمة وسميت ذات العماد لطولهم كان
طول الطويل منهم سبعون ذراعا والقصير منهم اربعون كما جاء
ذلك في بعض الاحاديث والله اعلم قوله عز وجل الم تر كيف فعل
ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد والتقدير
كانوا فريقين فريقا او ناسا يضعون الزجاج ثم قال وآخرين
ترى الماذي فآخرين من جنس قولك فريقا ولم يعتبره بوصفه وهو
قوله يضعون الزجاج لان الشاعر قسم من ذكر الى قسمين متباينين
بالوصف متحدين في الجنس وهذا الفرق قل من يفهمه فضلا
عن من يعرفه والظاهر ان او للتخيير وقال به ابن عباس رضي الله عنهما
فمن جعل قوله من غيركم اي من غير عشيرتكم كان مخيرا بين ان يستشهد

قلوبه او الاجانب من المسلمين ومن زعم ان قوله من غيركم اي من الكفار فاختلفوا
فقيل غيركم يعني به اهل الكتاب وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما
وقيل اهل الكتاب والمشركين وهو ظاهر قوله من غيركم وقيل او هنا
للترتيب اذا كان قوله من غيركم يعني به من غير اهل ملتكم فالتقدير ان
لم يوجد من ملتكم ان انتم ضربتم في الارض الاية هذا التفات من الغيبة
الى الخطاب ولو جرى على لفظ اذا حضر احدكم الموت لكان التركيب
اذ هو ضرب في الارض فاصابته مصيبة الموت وانما جاء الالتفات
جمعا لان قوله احدكم معناه اذا حضر كل واحد منكم الموت
والمعنى اذا سافرتم في الارض لمعاشكم ومصالحكم وظاهر الاية
يقتضي ان استشهاد اخرين من غير المسلمين مشروط بالسفر في
الارض وحضور علامات الموت • تحبسونهما من بعد الصلاة
قال الفارسي والجوني وابو البقاء رضي الله تعالى عنهم هذان صفتان
لقوله فاخران وقد اعترض بين الموصوف والصفة بالشرط وما
عطف عليه وافاد الاعتراض هنا ان العدول الى اخرين من
غير الملة او القرابة حسب اختلاف العلماء في ذلك انما يكون مع
ضرورة السفر وحلول الموت فيه واستغنى عن جواب ان لما قد
تقدم من قوله او اخران من غيركم انتهى وقال الزمخشري رضي الله
عنه فان قلت ما موضع قوله تحبسونهما من بعد الصلاة قلت هو
استيناف كلام معطوف على جملة الشرط كانه قيل بعد اشتراط العدالة
فيهما فكيف ان ارتبنا فيهما فقيل تحبسونهما انتهى وما قاله هنا
الزمخشري من الاستيناف اظهر من الوصف لطول الفصل بالشرط
والمعطوف عليه بين الموصوف وصفته وانما قال الزمخشري بعد
اشتراط العدالة فيهما لانه اختار ان يكون قوله او اخران من غيركم
معناه او عدلان اخران من غير القرابة والخطاب في ذلك لمن يلي
ذلك من ولاة الاسلام وضمير المفعول عائد في قوله على اخرين من
غير المؤمنين والظاهر عوده على اثنين منا او من غيرنا سواء كانا
وصيين او شاهدين وظاهر قوله من بعد الصلاة ان الالف
واللام للجنس اي من بعد صلاة وقد قيل بهذا الظاهر وقيل
هي صلاة العصر ورجح بان رسول الله صلى الله عليه وسلم استحلف
عديا وتميما بعدها عند المنبر الشريف • فيقسمان بالله الاية ظاهره
تقييد حلفهما بوجود الارتياب فمتى لم توجد الريبة فلا تحليف
لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى فيكون من جملة المقسم عليه ايضا
واضاف الشهادة الى الله عز وجل لانه هو الامر باقامتها الناهي عن
كتمانها وقرا الاعمش وابن محيصن لملاء ثمين بادغام نون من في لام
الاثمين بعد حذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام واذا ههنا تؤدي

معنى الشرط

معنى الشرط والمعنى فاتاه ان اشتريا او كتما من الايمان • فان
عثر اى فان اطلع بعد حلفهما على انهما استحقا اثما اى ردنا بخيانتهما
فى اليمين بانها استحقت مطالبة للوافق فاخران اى فرجلان آخران
يقومان مقامهما اى مقام ذينك من الورثة استحقا اثما باطلاعنا
من خيانتهما فى الحلف يقومان مقامهما فى الايمان انهما استحقا ذلك
الحلف ويكونان من الورثة لمال الميت الذى كان مسافر وقد ردا
استحق عليهما الاوليان وموجب الشهادة الايمان لان الايمان هنا
تثبت بها الحقوق كما تثبت بالشهادة لشهادتنا احق من شهادتهما
هو جواب القسم المحذوف وما اعثرنا معطوف عليه كما جاء
قسم الآخرين لهو ابلغ لا نشترى ولا نكتم كذلك جاءهما
جواب الشهادتنا وما اعتدينا اما اذا انا اذا لمن الظالمين
واعثرناه لمن الظالمين وهذه الآية نزلت فى قصة معينة
على ما دل عليه سبب النزول فى صحيح البخارى رضى الله عنه ولم يقيدها
العدلين بالسفر وقيدت بشهادة آخرين من غير المسلمين بقوله تعالى
ان انتم ضربتم فى الارض ولم يحذف فى نقديره ووضعتما ايديكما على
جميع ما ظهر الميت ثم اردتما ذلك للورثة فان ارتيب فيهما خلف
اليمين المذكورة بعد الصلاة اى بعد صلاة العصر فان اطلع على خيانة
منهما فى شئ من خلف الآخران على استحقاق ذلك واخذاه وذكر فى البحر
فقادير من الاعراب ولم اجد فيه ذلك الا ان قد ذكر الى الحاكم
السابق ولما كان الشاهدان له لم يحلفا ذكر فيه اذا شهدا
فاذا ذكر بحسبان بعد الصلاة ويحلفان اليمين الشرعية الا
وحالة لا نطلع فيها اذا شهدا على انهما بالشهادة وكذبهما فى الحلف
اى بالحلف وانه اذا ذاك لا نلتفت الى ايمانهم ونرد الى شهود آخرين
فيحلفان ويأخذان ما ادعياه فقولك لحالة بما يناسبها وكان العطف بأو
لانها لاحد الشيئين والاشارة بالفاسقين الى من حرف الخائنين
واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدى القوم الفاسقين • يوم يجمع الله الرسل
الآية مناسبتها لما قبلها انه لما اخبر تعالى بالحكم فى شهادة
ذكر تهدا اليوم المخوف المهول وهو يوم القيامة يجمع به ذلك
بين فضيحة الدنيا وعقوبة الآخرة لمن حرف الشهادة ولمن لم
يتق الله عز وجل • فيقول هذا اليوم ينفع الصادقين صدقهم لهم
ليوم المحنة عليهم وانتصاب ما وافاه يوم القيامة لمضمر
محذوف على معنى اذكر شيئا جرى به اى اذكر اخبارهم كما نقل
ما ادى اليوم من قد تقوم تؤدى اى قيام نقوم وندق فقد قالوا
هو اناصب لقوله يوم يجمع الله الرسل والسؤال عن الاجابة مستمر
المجاب بحسب فهمهم العلم عند ربى لا علم لنا قال ابن عباس رضى الله عنهما

معناه لا علم لنا الا علما انت اعلم به منا وقرئ انك انت علام
الغيوب بنصب الميم وهو على حذف الخبر لفهم المعنى فيتم الكلام هنا
بالمقدر في قولك انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة
من العلم وغيره قال الزمخشري رضي الله تعالى عنه ثم نصب علام الغيوب
على الاختصاص او على النداء وهو صفة لاسم ان انتهى وهذا الوجه
الاخير لا يجوز لانهم اجمعوا على ان ضمير المتكلم وضمير المخاطب لا يجوز
ان يوصف واما ضمير الغائب ففيه خلاف شاذ للكسائي رضي
الله عنه • اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
اذ ايدتك بروح القدس واذ هنا بدل من قوله يوم يجمع الله
الرسل وقوله يا عيسى وصف عيسى بانه ابن مريم واحتمل
عيسى ان يكون مضموما ومفتوحا في التقدير كما كانتا في
الاولتين ظاهرتين في قولك يا زيد ابن عمرو ويا زيد
ابن عمرو والنعمة هنا جنس النعم ويدل على ذلك ما قد
عدده بعد هذا التوحيد اللفظي من النعم واضافها اليه
تشريفا له وتنبيها على عظمها ونعمته عليه قد عددها عليه
هنا وفي البقرة وآل عمران ومريم وفي مواضع كثيرة من
القرآن ونعمته على امه عليها الصلاة والسلام نسبتها براءتها
مما نسب اليها وتكفيلها لزكريا عليه الصلاة والسلام وتقبلها
بقبول حسن وما ذكر في سورة التحريم وسورة مريم فقال
تعالى ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا
واضافها اليه تنبيها على عظمها ونعمته قد عددها عليه هنا
وفي البقرة وآل عمران ومريم عليها الصلاة والسلام وفي مواضع كثيرة
من القرآن ونعمته على امه براءتها مما نسب اليها وتكفيلها
لزكريا وتقبلها بقبول حسن وما ذكر في سورة التحريم ومريم
ابنة عمران الى آخره وغير ذلك وامر بذكر نعمة امه لانها نعمة صائرة
اليه وايدتك معناه قويتك مشتقا من الايد وايد وزنه
فعل مضارعه يؤيد قال الزمخشري رضي الله عنه يكون على
افعلتك قال ابن عطية رضي الله عنه على وزن فاعلتك
ويظهر ان الاصل في القراءتين ايدتك على وزن افعلتك
ثم اختلف الاعلال والمعنى فيهما قويتك من الايد انتهى
لو كان افعل لكان المضارع يؤيد كمضارع امن يؤمن واما
من قرأ ايدتك فيحتاج الى نقل مضارعه من كلام العرب
وان كان يؤيد فهو فاعل وان كان يؤيد فهو افعل واما قول
ابن عطية رضي الله عنه في القراءتين يظهر ان وزنه افعلتك ثم
ثم اختلف الاعلال فلا افهم ما اراد قال الله عز وجل تكلم الناس في

المهد

قوله

قوله براءتها مما نسبها اليه اليهود

اي تكفيله لها

المدد وكما لا تقدر تفسير هذه الجمل والعبارات التي في آل عمران وسائر
ما تقدم ذكره مما نقول وجاء هنا كهيئة الطير فتنفخ فيها وتكون
طيرا باذني قال مكي رضي الله عنه عاد في آل عمران عائد على الطائر
وفي المائدة عائد على الهيئة قال وربما عكس هذا وقال الضمير
المذكر عائد على الطين في آل عمران عطية رضي الله عنه ولا يصح عود
هذا الضمير على الطين ولا على الهيئة لان الطين او الطير الذي
يجعل الطين على هيئته لا تنفخ فيه البتة وكذلك لا تنفخ في هيئة
الخاصة به وكذلك الطين العام ولا تنفخ في ذلك البتة
وقال ابن محشري رضي الله عنه ولا مرجع يعني الضمير الى الهيئة المضاف
اليها لانها ليست من خلقه ولا تنفخ في شيء وكذلك الضمير في يكون انتهى
والذي ينبغي ان يحمل كلام مكي انه لا يريد به ما فهم عنه بل يكون قوله
عائد على الطائر لا يريد به الطائر المضاف الى الهيئة بل الطائر
الذي صورة عيسى عليه الصلاة والسلام ويكون التقدير واذ تخلق
من الطين هيئة مثل هيئة الطير فتنفخ فيها اي في الهيئة الموصوفة
بالكاف المشبه خلقها الى عيسى واذ تخرج الموتى اي تحيي الموتى
فعبر بالاخراج عن الاحياء كقوله تعالى كذلك الخروج بعد قوله عز وجل
وحل فاحببنا به بلدة ميتا اذ يكون التقدير واذ تخرج الموتى
من قبورهم احياء واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات
اي اذكر نعمتي عليك اذ كففتهم عنك اي منعتهم من قتلك حين
هموا بذلك حاطوا بالبيت الذي انت فيه والبينات هنا هي المعجزات
التي تقدم ذكرها وظهرت على يديه عليه الصلاة والسلام ولما
ولما فصل سبحانه وتعالى نعمته ذكر ذلك منبها لعيسى عليه الصلاة
والسلام دون امته لان من هذه صفته النعمة نعمة النبوة
وظهور هذه الخوارق فنعمته عليه اعظم منها على امته فخص بالذكر
اعظم النعمتين وكان جميع ما وصف به عيسى عليه الصلاة والسلام
هو مختار الله اذ ولدت مثل هذا النبي الكريم وقال الشاعر
شهدا لعمر الحمد لما تنحيت ٭ بدر تبلى ما ولدت من النجباء
٭ فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين قرئ ساحر بالالف هنا
وفي سورة هود والصف فهذا اشارة الى عيسى عليه الصلاة والسلام
وقرئ سحر فهذا اشارة الى ما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام
من البينات ويجوز ان يكون قوله هذا اشارة الى عيسى ويكون
قوله سحر اي ذو سحر فيكون على حذف مضاف او جعلوا عيسى
سحرا على سبيل المبالغة واذ اوحيت الى الحواريين ان الظاهر ان الوحي
على لسان الرسل والرسول هنا هو عيسى عليه الصلاة والسلام وفي
الايحاء الى الحواريين من تعظيم الله تعالى على عيسى بان جعل له اتباعا

هذا
نصدقه

ويعملون بما حاء به ان امنوا بي وبرسولي اي تفسيرية بمعنى
اي ويجوز ان تكون مصدرية اي بالايمان قالوا امنا اي
بك وبرسولك مسلمون اي واشهد بانا مسلمون اي منقادون لامرك
او قال الحواريون ظاهر اللفظ ان قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى
ابن مريم اذكر نعمتي عليك الى آخر قصة المائدة كان ذلك قبل
ذكر عيسى بعده وما اخباه عما اندبه من المعجزات وما جملا في اسرائيل
عليه وانقسامهم الى كافر وموحد وهم الحواريون ثم استطرد الى قصة
المائدة اعلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما صدر من الحواريين
في قصة المائدة بعد اقرارهم بالايمان بالله تعالى وبعيسى عليه
الصلاة والسلام اذ في سؤال المائدة بعض نقيصة من الحواريين وفي
قولهم يا عيسى ابن مريم سوء ادب اذ لم يقولوا يا روح الله او يا رسول
الله وفي قولهم هل يستطيع ربك بانا ربك وانتصاب اي في قولهم
ذلك سوء ادب ايضا وقراءة الجمهور هل يستطيع ربك بالتاء ربك بالرفع
وربك بالرفع وقراءة الكسائي هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب
وهو على حذف مضاف اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تستطيع
ان تسأل ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء وهذه القراءة
حسنة في المعنى ومرجح من قراءة الجمهور على ما ائدة المائدة الى ان
الذي عليه طعام فاذا لم يكن عليه طعام فليس بمائدة قال اتقوا الله
ان كنتم مؤمنين في هذا القول انكار عليهم اقتراح هذه الآية في
وساغ هذا اللفظ في قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء بعد قولهم اشهد بانا مسلمون وترك على اضطرابهم ان هذه
التي بعدها روي ان عيسى عليه الصلاة والسلام لبس جبة شعر
وردا شعر وقام يصلي ويبكي ويدعو والآية فقالوا نريد
ان نأكل منها ونطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها
من الشاهدين اي نريد ان نأكل مما على المائدة ونطمئن قلوبنا بأن
ونعلم ان قد صدقتنا وان هذه هي المخففة من الثقيلة ونقدر ضميره
واسمها ضمير الشان ايضا كما قاله البخاري رضي الله عنه وهي على حذف
مضاف تقديره اننا قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال
البخاري رضي الله عنه عاكفين عليها على ان عليها ان وضع الحال التي
وهذا التقدير ليس بجيد لان حرف الجر لا يحذف ويعمل وجوبا
الا اذا كان كونا مطلقا لا كونا مقيدا او العكوف كون مقيد
لان المجرور اذا كان في موضع الحال كان العامل فيها عاكفين
المقدر وقد ذكرنا ان ليس بجيد والقول ان تحذف مضطرة
لان عليها اذ لو كان ما يتعلق به هو عاكفين كانت في موضع الحال
كان العامل فيها عاكفين المقدر وقد ذكرنا انه ليس بجيد ثم

ان ينزل

القول

ان قول الزمخشري رضي الله عنه مضطرب لان عليها اذا كان مما
يتعلق به هو عاكفين كانت في موضع نصب على المفعول الذي تعدى
اليه العامل بحرف الجر واذا كانت في موضع الحال كان العامل
فيها كونا مطلقا واجب الحذف فظهر التنافي بينهما والله سبحانه
وتعالى اعلم ثم ان عيسى عليه الصلاة والسلام باسمه العلم الذي
لا شركة فيه اي لا شريك له فيه ولا مضادد وهو اللهم
وربنا اي مصلحنا ومالك امرنا انزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا وآية منك المعنى يكون
يوم نزولها عيدا قيل وهو يوم الاحد ومن اجل ذلك
اتخذه النصارى عيدا الى يوم القيامة والعيد هو السرور
والفرح ولذلك يقال يوم عيد والمعنى ان يكون لنا سرورا
وفرحا والعيد المجتمع لليوم المشهود وعرفه ان يقال فيما
يستدير من السنة او بالشهر او بالجمعة ونحوه اي يكون لنا عيدا
لاولنا واخرنا كلنا كقولك مررت بكم صغيركم وكبيركم اي كلكم
وضمير المتكلم والمخاطب لا يبدل منهما الا بتوكيد نحو قمت انا
نفسي وقمت انت نفسك الا ان كان البدل يفيد معنى
التوكيد فيجوز كهذه الآية وآية منك علامة شاهدة
على صدق عبدك وارزقنا عام في طلب الرزق من المائدة وغيرها
وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم الآية اختلفوا
في كيفية نزولها وفي الذي كان عليها وفي من اكل منها وفيما
آل اليه حال من اكل منها اختلافا مضطربا متعارضا ذكره
المفسرون اضربت عنه صفحا اذ ليس فيه شيء يدل على لفظ
الآية واحسن ما يقال فيه ما خرجه الترمذي في ابواب
التفسير عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزلت المائدة من السماء خبزا ولحما وملحا وامروا ان لا يدخروا
منها شيئا لغد وان لا يخونوا فخانوا وادخروا ورفعوا منها
لغد فمنعت عنهم من ذلك اليوم ومسخوا في ليلتهم تلك قردة
وخنازير قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم
فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وهذه
كلها جملة شرطية جوابها فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من
العالمين قال الحسن ومجاهد رضي الله عنهما لما سمعوا هذا الشرط
اشفقوا فلم تنزل عليهم واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون
لي ان اقول ما ليس لي بحق قال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهما وكذا
قال الجمهور ايضا هذا القول انما هو من الله سبحانه وتعالى يوم القيامة

دعى الله عز وجل

قصة انزال المائدة

خرط

بقوله على رؤوس الاشهاد فيعلم الكفار ان ما كانوا فيه باطل
فيكون هذا من تمام قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
اذ ايدتك بروح القدس الاية المقول له ذلك في الاخرة وفصل
بينهما باية المائدة تنبيها على ما صدر من بني اسرائيل وان كانوا قد
اظهروا الايمان بالله سبحانه وتعالى وبعيسى عليه الصلاة والسلام
لينبه المؤمنين على ان سؤال الاقتراح ينبغي ان يتحرز عنه وكثيرا
اقترح بنو اسرائيل ما لا يكون كقولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة
وكقولهم ارنا الله جهرة وفي ايلاء الاستفهام الاسم ومجيء الفعل بعده
دالا على صدور الفعل في الوجود لكن وقع الاستفهام عن النسبة اكان
هذا الفعل الواقع صادرا عن المخاطب او ليس بصادر عنه بيان
ذلك انك تقول اضربت زيدا فهذا استفهام هل صدر
منك ضرب لزيد ام لا ولا اشعار فيه بان ضرب زيد قد
وقع فاذا قلت انت ضربت زيدا كان الضرب قد وقع بزيد
لكنك استفهمت عن اسناده الى المخاطب وهذه مسالة بيانية
نحوية نص على ذلك ابو الحسن الاخفش رضي الله عنه وذكر المفسرون
انه لم يقل احد من النصارى بالهية مريم عليها الصلاة والسلام
فكيف قيل الهين واجابوا بانهم لما قالوا انها لم تلد بشرا وانما ولدت
الها لزمهم ان يقولوا من حيث البعضية بالهية من ولده فصاروا
بمثابة من قاله انتهى والظاهر صدور القول في الوجود لا من
عيسى عليه الصلاة والسلام ولا يلزم من صدور القول وجود
الاتحاد قال سبحانك اي تنزيها لك عن ان يقال هذا وينطق به
او ان يكون لك شريك بدا او لا يتنزه الله تعالى ثم ثانيا
بانكار ذلك القول بقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق ثم ثالثا بقوله ان كنت قلته فقد علمته علق مستحيلا على
مستحيل وهو نفيه علمه تعالى بذلك القول فانتفى ذلك القول
ثم رابعا باحاطة علمه تعالى بما في نفس عيسى عليه الصلاة والسلام
بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب
وذلك قد يكون من باب المقابلة ولا يقال ان لله نفسا وان كان
قد جاء قوله عز وجل ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قالوا
ومعناه يحذركم الله عقابه ونظيره في المقابلة قوله تعالى ومكروا
ومكر الله والله خير الماكرين ما قلت لهم الا ما امرتني به اخبر انه لم يقعد
امر الله تعالى في ان امر بعبادته واقر بربوبيته وفي قوله ربي
وربكم براءة مما ادعوه فيه قال الحوفي وابن عطية وان في ان
اعبدوا مفسرة لا موضع لها من الاعراب ويصح ان يكون بدلا مما
وقال الحوفي وابن عطية رضي الله عنهما وان في ان اعبدوا مفسرة

لا موضع لها

لا موضع لها من الاعراب ويصح ان تكون بدلا مما ويصح ان تكون
بدلا من الضمير في به وزاد ابن عطية رضي الله عنه انه يصح ان تكون
في موضع خفض على تقدير بان اعبدوا واجاز ابو البقاء رضي الله عنه
الجر على البدل من الهاء والرفع على اضمار هو والنصب على اضمار
اعني او بدلا من موضع به وقال ابو عبد الله الرازي رضي الله عنه
كان الاصل ان يقال ما امرتهم الا بما امرتني به الا انه وقع القول
موضع الامر نزولا على موجب الادب قال الحسن رضي الله عنه انما
عدل لئلا يجعل نفسه وربه امرين معا ودل على ان الاصل
ما ذكر ان المفسرة انتهى وقال الزمخشري رضي الله عنه ان في قوله ان
اعبدوا الله ربي وربكم ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بدلا من مفسر
والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له
اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف
التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ربي وربكم
ولكن ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله واما فعل الامر
فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم
لم يستقم لان الله تعالى لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها
موصولة بالفعل لم يخل ان تكون بدلا مما امرتني به او من الهاء
فيه وكليهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام
المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى
ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا
جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء
فقلت الا ما امرتني به اي بان اعبدوا الله ربي وربكم صح ذلك
لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان قلت
فكيف تصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى
ما قلت لهم الا ما امرتني به اي الا ما امرتهم الا بما امرتني به
حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز
ان تكون ان موصولة عطفا على بيان الهاء لا بدلا انتهى
وفيه بعض تعقب اما قوله واما فعل الامر الى اخره
المنع وقوله لان الله تعالى لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم
فانما لم يستقم لانه جعل الجملة وما بعدها مضمومة الى فعل
الامر ويستقيم ان يكون فعل الامر مفسرا بقوله اعبدوا
الله ويكون ربي وربكم هو من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام
على اضمار اعني اي اعني ربي وربكم لا على الصفة التي فهمها
الزمخشري رضي الله عنه فلم يستقم ذلك عنده واما قوله
لان العبادة لا تقال فصحيح لكن ذلك قد يصح على حذف مضاف اي

ما قلت لهم الا القول الذي امرتني به وهو ان اعبدوا الله ربي
وربكم اي ما قلت لهم الا القول الذي امرتني به قول عبادة
الله اي القول المتضمن عبادة الله وانما قوله لقاء الموصول
بغير راجع الى من صلته فلا بد لزم في كل بدل ان يحل محل
المبدل منه الا ترى الى نحو زيد مررت به وقد
قال الزمخشري واني عبد الله الخ رضي الله عنهما ولو قلت
زيد مررت ما في عبد الله لم يجز لان عندهم الاعلى رأي
الاخفش رضي الله عنه واما قوله عطفا على البيان الها فهذا
فيه بعد لان عطف البيان اكثره بالجوامد الاعلام وما اختاره
الزمخشري وجوز غيره من كون ان حفف من الثقيلة ايها كان
تعد الا وكل ما كان بعد الا المستثنى به فلا بد ان يكون له موضع
من الاعراب وان التفسيرية لا موضع لها من الاعراب وظهر
ان تكون ان مصدرية لفعل محذوف قدر على معنى القول وقد
يكون التقدير في قد امرتهم ان اعبدوا الله ربي وربكم
وقال وان الله ربي وربكم فاعبدوه ولو ذهب ذاهب الى ان
ان زائدة لحرف التوكيد واتى بقول اعبدوا الله ربي وربكم
من قوله ما امرتني به لكان ذلك وجها شائعا وصار التقدير
الا ما امرتني به وهو ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم اي رقيبا كالشاهد على الشهود عليه احفظهم من خوان
ذلك وان تعذبهم فانهم عبادك اي تديمن لعبادة غيرك والي بصيغة
فعيل للمبالغة اي كثير الحفظ عليهم والاستقراء وما طريقة
ودمت فاتحة اي ما بقيت فيهم اري شهيدا اني الدنا فلما توفيتني
اي قبضتني ورفعتني من الدنيا الى السماء الوفاة الموت الامر كما قوله
وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وتظافرت الاخبار عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ينزل الى السماء ويقتل
الدجال وقد قال الله عز وجل وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
قبل موته اي يعني قبل موت عيسى الى الوفاة الحقيقية التي هي الوفاة والخروج
من الدنيا فاما ان قلت كيف اتاب عليهم ولم تزل على ما يحمد ان
تذكرهم فاهم عبادك قال اهل الكشف مقصود عيسى عليه الصلاة
والسلام تفويض الامور كلها الى الله عز وجل وترك الاعتراض بالكلية وذلك
ختم الكلام بقوله انك انت العزيز الحكيم اي قادر على ما تريد بحكمتك
في كل ما تفعل لا اعتراض عليك قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم قرأ الجمهور هذا يوم بالرفع على ان هذا مبتدأ ويوم خبره والجملة محكية
بقال وبني لاضافته الى غير متمكن لقاله وقرأ نافع يوم بالنصب
فقيل يوم ينصب بفتح الميم فحكاه الكوفيون على انه مبني حذف منه او بني لاضافته

الى الجملة

الى الجملة الفعلية المصدرة بالمضارع فتتحد القراءتان والبصريون
لا يجيزون هنا الظرف الا اذا كانت الجملة مصدرة بالفعل الماضي
نحو عجبت من يوم قدم زيد وهذه المسألة ذكرت في علم النحو
• لهم جنات تجري من تحتها الانهار هذا يقدر جواب سائل
سأل ما يكون لهم جزاء على الصدق فقيل لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه اشارة الى
تأبيد الديمومة في الجنة مع مزيد الرضا والرضوان وحصول
الغفران • ذلك الفوز العظيم اشارة الى ما تقدم من كينونة
الجنة لهم على التأبيد واشارة الى رضوان الله عنهم لان الجنة
بما فيها كالعدم بالنسبة الى رضوان الله عز وجل وقد ثبت في
الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يطلع الله عز
وجل على اهل الجنة فيقول لهم يا اهل الجنة هل رضيتم
فيقولون يا ربنا وكيف لا نرضى وقد بعدتنا عن نارك وا
جنتك فيقول الله عز وجل ولكم عندي افضل من ذلك
فيقولون وما افضل من ذلك يا الهنا وسيدنا فيقول لهم الله
عز وجل احل عليكم رضاي فلا اسخط عليكم بعدها ابدا
وكان ابو عبد الله الفخر الرازي رضي الله تعالى عنه يقول
مفتتح هذه السورة كان بذكر العهد المنعقد بين الربوبية
والعبودية فيشرع العبد في العبودية وينتهي الى الفناء
المحض عن نفسه فالاول هو الشريعة وهو البداية والآخر
هو الحقيقة وهي النهاية فمفتتح السورة من الشريعة ومختتمها
بذكر كبرياء الله وجلاله وقهره وعزته وعلوه وذلك هو
الوصول الى مقام الحقيقة فما احسن المناسبة بين ذلك
المفتتح وهذا المختتم انتهى وليست الحقيقة والشريعة والتمييز
بينهما من الفاظ الصحابة والتابعين وانما ذلك من كلام بعض
الصوفية رضي الله تعالى عنهم اجمعين ولهم في ذلك كلام طويل
قال الله عز وجل • ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما
سورة الانعام بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق
السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون هذه السورة مكية الا آيات قيل نزلت بالمدينة الشريفة
ومناسبة افتتاح هذه السورة لاول آخر المائدة انه تعالى لما ذكر
ما قالته النصارى في عيسى وامه من كونهما الهين من دون الله
وجرت تلك المحاورة وذكر ثواب الصادقين واعقب ذلك
بان له ملك السموات والارض وما فيهن وانه قادر على كل شيء
ذكر بان الحمد له المستغرق جميع المحامد فلا يمكن ان يثبت معه شريك

دخلتنا

فيهن وهو على كل شيء قدير

في الالهية

فحمد نفسه على العلة المقتضية لجميع المحامد والمقتضية كون ملك
السموات والارض وما فيهن تسبحا لله تعالى بوصف خلق السموات
والارض لان الموجد للشيء المقرر باختراعه له الاستيلاء والتسلط
عليه ولما تقدم قوله في عيسى عليه الصلاة والسلام وكلمته
بذلك وذكر انها في وجزاء ما اعقب خلق السموات
والارض بجعل الظلمات والنور فكان ذلك مناسبا للكافر والصانع
وقال الزمخشري رضي الله عنه جعل بمعنى احدث واستأنف كقوله تعالى وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والفرق بين الخلق وبين
الجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التصيير
كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او تنقله من مكان
الى مكان وجعل الظلمات والنور للاد الظلمات في الاجرام
المتكاثفة والنور من النار انتهى وما ذكره من ان جعل
بمعنى صير في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا لا يصح لانهم لم يصيروهم اناثا وانما قال ابن عطية بين النحويين
الفارسي بمعنى سمى وتقدم الكلام في سورة النمل على جمع السموات
وافراد الارض وجمع الظلمات وافراد النور ثم بما قدر تقدر
في اللسان العربي اصلها للمهلة في الزمان قال ابن عطية ومذهب
عبد الله بن عمر والحسن قبح فعل الذين كفروا الا ان المعنى ان خلق السموات
والارض وغيرها قد تقرر بالآيات فعدولهم عن عبادة من هذه قدرته
بعد ذلك قبيح مذموم بعد هذا كله عدلوا بربهم فهذا مما
تقول لك فلان اعطيتك واكرمتك واحسنت اليك ثم تشتمني
اي بعد وضوح هذا كله وعلى وقع العطف في هذا ونحوه
بالواو ولم يلزم الترتيب كما مر في ثم انتهى وقال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا بربهم بعد وضوح
آيات قدرته وكذلك قوله ثم انتم تمترون استبعاد ان يمتروا
فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم انتهى وهذا الذي
ذهب اليه ابن عطية رحمه الله عنه من ان ثم للتوبيخ والزمخشري
من ان ثم للاستبعاد ليس بصحيح لان لم توضع لذلك واما التوبيخ
او الاستبعاد فمفهوم من سياق الكلام لا من مدلول ثم والله اعلم
احد النحويين ذكر ذلك بل ثم هنا للمهلة في الزمان وهي عاطفة
جملة اسمية على جملة خبرية اخبر تعالى بان الحمد كله ونسبه على الجملة
المقتضية للحمد من جميع الناس وهي خلق السموات والارض والظلمات
والنور ثم اخبر ان الكافرين به يعدلون فلا يحمدونه قال الزمخشري
رضي الله عنه فان قلت علام عطف قوله تعالى ثم الذين كفروا

بربهم يعدلون

ثم

يعدلون حقا واما على معنى قوله الحمد لله على معنى ان الله عز وجل
حقق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا بعجة ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون اى بنكيره وبعجة واما على قوله خلق السموات والارض
على معنى انه خلقها خلقا لا يقدر عليه احد سواه ثم هم بعد ذلك
به ما لا يقدر على شئ منه انتهى وهذا الوجه الثاني الذي
جوزه لا يجوز لانه اذ ذاك يكون معطوفا على الصلة والمعطوف
على الصلة صلة فلو جعلت الجملة من قوله ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون صلة لم يصح هذا التركيب لانه ليس فيها
رابط يربط الصلة بالموصول الا ان جعلت على قولهم ابو اسعيد
الذي رويت عن الخدري يريد رويت عنه فيكون الظاهر
قد وضع موضع المضمر فكانه قيل ثم الذين كفروا به يعدلون
وهذا من الله وبحبث لا يقاس عليه ولا يحمل كتاب الله
عليه مع ترجح حمله على التركيب الصحيح الفصيح والذين
كفروا الظاهر فيه العموم وقيد زيد فيه عبدة الاصنام وعبدة
النصارى المسيح واليهود عزير من اهل الكتاب الذين اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمجوس عبدة النار
والمانوية عبدة الكواكب والسباة في زعمهم يحتمل ان يتعلق
بكفروا وقد فيه اشارة الى ان ما الكلام لا تقتضي ان يكفروا به
ويعدلوا عن طاعته ويحتمل ان يتعلق بيعدلون ويكون
الباء بمعنى عن اى يعدلون عنه الى غيره مما لا يخلق ولا يقدر
او يكون المعنى يعدلون به غيره اى يسوون به غيره في
استحقاقه بالعبادة والهاء في الخلق والايجاد وعدل التي هي
التسوية تعدى في الآية الى على القدرية في قولهم الخير من الله
والشر من الانسان فعدلوا به غيره في الخلق والايجاد انتهى
• هو الذي خلقكم من طين ظاهره انشاء مخلوقين من الطين
لان اصل ادم عليه الصلاة والسلام خلق منه وذكر ذلك المهدوي
ومكي والزمخشري عن طائفة والنطفة التي تخلق منها الانسان
اصلها من طين ثم تقلبها الله نطفة قال ابن عطية رضي الله عنه
وهذا اثر على قول من يقول ترجع بعد الموالد والتعدد
الانثى الاف الكثيرة نطفة فذلك مردود عند الاصوليين
انتهى والمشهور عند الاصوليين والمفسرين ان المخلوق من
الطين هنا هو ادم عليه الصلاة والسلام قال المجاهد وقتادة
والسدي وغيرهم المعنى خلق ادم من طين والبشر كلهم من ادم
عليه الصلاة والسلام فلذلك قال خلقكم من طين وذكر ابن عطية
في الطبقات عن ابي هريرة رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام

قال

الناس من قد اذر وادر من تراب ۞ وقال بعض شعراء الجاهلية
لي حين قالت لي وسحت عرقا في ۞ وهذا الموت تسلبني سنابي
وفسره الشراح ايضا بان عرق الثرى هو ادم عليه الصلاة والسلام
وعلى هذا يكون ان قبل على حذف مضاف اي متاني خلقكم اي
خلق اصلكم وابتاء من طين اي من عرق طين وقوله ثم قضى
اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وقضى ان كانت هنا بمعنى
قدر وكتب كانت ثم هنا للترتيب في الذكر لا في الزمان لان
ذلك سابق على خلقنا اذ هي صفة ذات وان كانت بمعنى اظهر
كانت للترتيب الزماني على اصل وضعها لان ذلك متاخر عن
خلقنا فهي صفة فعل والظاهر من تنكير الاجلين انه تعالى
ابهم امرهما وقيل الاول هو اجل الدنيا من وقت الخلق الى
الموت والثاني اجل الاخرة لان الحياة في الاخرة لا انقضاء
لها ولا يعلم كيفية الاجل في هذا الحال الا الله تعالى وقال
الزمخشري رضي الله عنه فان قلت الابتداء النكرة اذا كان
خبره ظرفا وجب تقديمه فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى
عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقاربت المعرفة كقوله
تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم انتهى وهذا الذي
ذكره الزمخشري رضي الله عنه من مسوغ الابتداء بالنكرة كونها
وصفت لا يتعين هنا ان يكون هو المسوغ لانه يجوز
ان يكون المسوغ هو التفصيل لان من مسوغات الابتداء بالنكرة
ان يكون الموضع موضع تفصيل نحو قوله
اذا ما بكى من خلفها انحرفت ۞ له بشق وشق عندنا لم يحول
قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت الكلام انما يتم ان تقدر
عندك نوع تحقيق عندي كثير وما اظنه ولكن قلت
اوجه ان المعنى واجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة
ولما جرى منه هذا المعنى وجب التقديم انتهى وهذا لا يجوز
لانه اذا كان التقدير واجل مسمى عنده كائن اي صفة
لموصوف محذوف تقديره واجل اي اجل مسمى ولا يجوز حذف
الصفة اذا كانت ايا ما ولا حذف موصوفها ولا اقامتها قاذا قلت
مررت باي رجل تريد برجل اي رجل لم يجز وقوله اي كما في
ضعف او حذف موصوف اي وان والكلام في تمامها المتقدمة
كالكلام فيها في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون والذي يظهر ان قوله
تعالى هو الذي خلقكم عام في جميع الخطاب هو الثقلان من ظهر الغائب
الذي هو قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فان كان الخلق وقضاء
الاجل ليس محققا بالكفار اذ استوى فيه المؤمن والكافر لكنه

فقصدوه الكافر بسببها ثم عجل اصلاحه وقضا الله تعالى على
وقدرته وانما قلت انه من باب الالتفات لان قوله تم انتم
تمترون لا يكاد يندرج في هذا الخطاب من اصطفاه الله عز
وجل بالايمان والتقوى • وهو الله في السموات وفي الارض يعلم
سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون الاية لما تقدم ما يدل على القدرة
التامة والاختيار وكرما يدل على العلم التام فكان في التتمة
على هذه الاوصاف دلالة على كونه تعالى قادرا مختارا عالما
بالكليات والجزئيات وابطال الاشتمة منكري المعاد قيل
هو ضمير الانسان وما يفعل منه لجزم قوله يعلم في السموات
وفي الارض متعلق بيعلم وقيل هو ضمير عائد على الله عز
وجل وما بعده خبره وهو يعلم المتقدم في الاية اوضح
ويقال انه علم تضمن معنى العلم وفي السموات وفي الارض
متعلق به والاسم العلم قد تضمن معنى المشتق فعمل فيما
بعده كما قال الشاعر • اما الوا المهال بعض الاحيان تضمن
الوا المهال معنى المشهور فلذلك نصب بعض الاحيان
وبعض ظرف زمان اي لاضافته لظرف الزمان وقال
بعضهم من هذا المخبر قلبي عطية • ويعلم ما تكسبون
عام لجميع الاعتقادات والاقوال والافعال وكتب كل
انسان عمله المفضي به الى احد دفعي او دفع ضر فهذا
لا يوصف به الله عز وجل • وما تأتيهم من اية من اياة ربهم
الا كانوا عنها معرضين من الاولى آية تدل على الاستغراق
والثانية فاعل تأتيهم ومن الثانية في موضع الصفة للتنكير
تقديره من اية كائنة من اياة ربهم اي تلك الاية بعض
اياة الله سبحانه وتعالى والمراد بالاية والاياة علامة تدل على
الوحدانية والقدرة وانه لا اله الا هو وهي الرسالة والمعجز الخارق
والقرآن وفي تأتيهم التفات وهو خروج من خطاب في قوله
يعلم سركم وجهركم الى غيبة في قوله فاتيهم ومن ذلك الرد على
المالك المصلح الناظر في مصالح عباده سبحانه وتعالى
فكان الناسب ان لا يعرضوا عن اياة ملكهم ومصلحهم وكانوا قد
اه لانه من صح نصب على الحال ولم يجئ في القرآن هذه الحال
بعد الا الا بلفظ الماضي وقد جاءت في كلام العرب مضمونة
بعد قال الشاعر • حييت هذا الموت لا بل حاجة لنفسي
الا قد قضيت قضاها قال الزمخشري رضي الله عنه يعني
ما يظهر لهم قط دليل من الادلة الذي يجب بها النظر والاعتبار
والله عنهم ما كانوا عنه معرضين الا في وقت سماع الزمخشري قط

سند الحال

المضارع في قوله وما يظهر لهم وقد دليل ليس بجيد لان قد ظرف
مختص بالماضي الا ان كان اراد بقوله وما يظهر وما ظهر والحاجة
الى استعمال ذلك ومعنى عنها اي عن قبولها وسماعها والاعراض
ضد الاقبال وهو مجاز اذ حقيقته في الاجسام فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم كذب فعل متعد الى مفعول بنفسه كقوله
تعالى وان يكذبوك فقد كذب رسل من قبلك وجاء هنا متعديا
بالباء كما جاء في قوله يكذب بالدين وقوله وكذب به قومك
وهو الحق قل لست عليكم بوكيل فضمن معنى الاستهزاء فتعدى بالباء
والحق عام في القرآن والاسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم وفي
انشقاق القمر والوعد والوعيد والفاء في قوله فقد كذبوا
للتعقيب وان اعراضهم عن الآية اعقبهم التكذيب وقال
الزمخشري رضي الله عنه فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كانه
قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية
واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على
تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه انتهى ولا ضرورة تدعوا الى
تقدير شرط محذوف اذ الكلام منتظم دون هذا التقدير فسوف
يأتيهم هذه رتب ثلاث صدرت من هؤلاء الكفار الاولى من
ذلك اي من الرتب الثلاثة الاعراض عن تأمل الدلائل ثم التكذيب
ثم الاستهزاء والنبأ الخبر الذي يعظم وقوعه في النفس وكنى
بالانباء عما يحل بهم في دار الدنيا من القتل والسبي والجلاء وما
يحل بهم في الآخرة من عذاب النار وبه متعلق بيستهزؤن ورد
قوله يستهزؤن على ان المراد بقوله فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
اي استهزؤا به ومن اجل ذلك قد عداه بالباء الم يروا اي ينظروا
ويعتبروا اي يتأملوا في عاقبة امورهم كم اهلكنا من قبلهم من
قرن الآية لما تهددهم واوعدهم على اعراضهم وتكذيبهم
واستهزائهم اتبع ذلك بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة
وحض على الاعتبار بالقرون الماضية ويروا هنا بمعنى يعلموا
وكم في موضع المفعول باهلكنا ويروا معلقة والجملة في موضع
مفعوليها ومن الاولى لابتداء الغاية ومن الثانية هي تكون هنا
للتبعيض والمفرد بعدها واقع موقع الجمع كانه قال من القرون ويعني
بهم اي بالقرون قوم نوح وعاد وثمود واشباههم ممن اهلكوا بكفرهم
ومكن في مكناهم متعد لمفعول كقوله ما مكني فيه ربي خير
ويتعدى باللام في قوله لكم وكقوله مكنا ليوسف في الارض
وارسلنا السماء المراد بالارسال الانزال والسماء قيل عبر بها
عن المطر كقول الشاعر اذا نزل السماء بارض قوم يعني اذا نزل

المطر

٢٥٨

المطر وقيل هو على حذف مضاف اي وارسلنا مطر السماء ومدرارا
منصوب على الحال من السماء او من المضاف اليه وهو المطر ومدرارا
مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث وجعلنا الانهار تجري من
تحتهم تقدم تفسيره اي تفسير نظيره في البقرة والظاهر ان الذنوب
هنا هي كفرهم وتكذيبهم برسل الله وآياته وانشانا من بعدهم
قرنا آخرين فائدة انشانا قرنا بعد قرن اظهار القدرة
على الهلاك ناس وانشاء ناس وقرن مفرد وصف بالجمع مراعاة
لمعناه اذ كان تحته افراد كثيرون ولو وصف في غير القرآن
لقيل قرنا آخر على اللفظ ولكن روعي المعنى فجمع مراعاة
لاجل الفواصل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية سبب
نزولها اقتراح عبد الله ابن ابي امية وتعنته اذ قال للنبي
صلى الله عليه وسلم لا اؤمن بك حتى تصعد الى السماء ثم تنزل
بكتاب فيه من رب العزة الى عبد الله ابن ابي امية يامرني
بتصديقك وما اراني بعد هذا كنت اصدقك ثم اسلم
بعد ذلك وقتل شهيدا بالطائف ولما ذكر تعالى تكذيبهم بالحق
لما جاءهم ثم وعظهم وذكرهم باهلاك القرون الماضية بذنوبهم
ذكر مبالغتهم في التكذيب بانهم لو راوا كلاما مكتوبا في قرطاس
ومع رؤيتهم جسوه بايديهم اي لمسوه لم تزدهم الرؤية واللمس الا
تكذيبا وادعوا ان ذلك من باب السحر لا من باب المعجزة
عنادا وتكبرا وتعنتا والفاء في قوله فلمسوه للتعقيب اي
بنفس ما راوا الكتاب لم يكتفوا برؤية البصر بل اعتبروا ذلك
بحاسة اللمس وهي اليد اذ كانت اقوى في الاحساس من غيرها
وجاء لقال الذين كفروا لان مثل هذا الفرض والتقدير يقتضي
انقسام الناس الى مؤمن وكافر فالمؤمن يراه من اعظم المعجزات
والكافر يجعله من باب السحر ووصف السحر بمبين اما لكونه
بينا في نفسه واما لكونه اظهر من غيره اي اظهر غيره وقالوا لولا
انزل عليه ملك قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النضر ابن الحارث
وعبد الله ابن ابي امية ونوفل ابن خالد يا محمد لن نؤمن لك حتى
تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون
انه من عند الله عز وجل وانك رسوله والظاهر ان قوله وقالوا
استيناف اي استيناف اخبار من الله سبحانه وتعالى حكى عنهم
انهم قالوا ذلك ويحتمل ان يكون معطوفا على جواب لو اي لقال
الذين كفروا ولقالوا لولا انزل عليه ملك ولولا بمعنى هلا وهي
قد تكون هنا للتحضيض ولو انزلنا ملكا الآية قال ابن عباس
وغيره رضي الله تعالى عنهم اجمعين في الكلام حذف تقديره ولو انزلنا

مسلكا فكذبوه فقضى الامر بعذابهم ولم يوحز واحدث ما سلف في
كل امة افترحت ايتا فكذبت بعد ظهورها ولو جعلناه ملكا
لجعلناه على الادي ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون
لولا انزل علي محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء
الله لانزل ملائكة ولقضي لجعلناه رجلا اذ لصيرناه في صورة رجل
كما كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غالب الاحوال في صورة دحية وكما يتمثل لمريم عليها الصلاة
والسلام في صورة بشر وكما في حديث سؤال جبريل عليه الصلاة
والسلام بحيث راه الصحابة في صورة رجل يسألك عن الايمان
وعن الاحسان • وللبسنا عليهم اي لخلطنا عليهم ما يلبسون
اي ما يخلطون على انفسهم حينئذ بانهم يقولون اذا رأوا الملك
في صورة انسان وليس بملك ولقد استهزئ برسل من قبلك •
• في هذه الاية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يلقى
من قومه وفارس ممن سبق من الرسل • ومن قول الحسن شعر
ولو اكثره اساكن حولي • على احواله لقتلت نفسي • وما يكون
مثل اخي ولكن • ارسلني المفسر عنه بالناسي • قوله عز وجل
لحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون حاق بمعنى
حفا وحيوقا وحقيقا اي احاط ومعنى سخروا استهزأوا
الا ان استهزأ قد يأتي وسخر بمعنى كما قال ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون وبالبناء تقول سخرت به وكان
الاصل سخروا فان كان معناه استهزأوا لان الاكثر في الجملة الواحدة
لفظ الاستهزاء اذا قدم وقد استهزئ برسل من قبلك واحرهم
واخر هنا استهزؤن فكان سخروا افصح • قل سيروا في الارض
الاية لما ذكر تعالى ما حل بالمكذبين استهزئ بهم وبمحاورة المحاطبين
بذلك امة امية لم تدرس الكتب ولم تحالس العلماء فلهذا ان مكان في
الاهلاك اخبار بهلاك من هلك بذنوبهم امروا بالسير في الارض والنظر
فيما حل بالمكذبين ليعتبروا بذلك وتطابق مع الاخبار الصدق
الحس فللرد وقيد من مزيد الاعتبار بما لا يكون في الاخبار قال بعض
المحققين • لطائف معنى في العيان ولم تكن • لتدرك الا بالسير او رد
والنقاة • والظاهر ان السير المامور به هو الانتقال من مكان الى مكان
وان النظر المامور به هو نظر العين وان الارض هو ما قرب من بلادهم
حيث وقع الهلاك بعد نوحهم كارض عاد وثمود ومدين ومدائن قوم
لوط وثمود وقال قوم الارض هنا عام لان في كل قطر منها آثار
الهالكين وعبرا للناظرين وحاد هنا خاصة ثم انظروا بحر في المهلة
وفي ما سبق ذلك بالنسبة الى الغيب للتحقيب وقال الزمخشري رضي

الله عنه

صفة

اية

عنه في الفرق جعل النظر مسببا عن السير في قوله تعالى فانظروا
فعانه قد يسير والاصل النظر والسير واسم العاقلين
وهنا معناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع
وايجاب النظر في آيات الله لكن واقع هم ويدل على ذلك انهم
لم يعدوا من الواجب والمباح الا ما ذكر ولا مناقضة
لانه حمل النظر فيها عن السير وكان السير سببا للنظر
ثم قال فكانه قيل سيروا لاجل النظر فجعل السير معللا بالنظر
والنظر هو قد يكون سببا لما قضاه وعسى ان الامر تكون
سببية دل عليها وانما معناها التعقيب فقط وان
مثل ضربت زيدا فبكى وربما عزر رجم فاستثنى فهم
من يضمون الجملة الا ان المراد موضوعة له وانما تفيد تعقيب
الضرب بالبكاء وتعقيب الزنا بالرجم فقط وعلى تسليم ان
المراد تفيد الاستئناف فلم كان السير فيها سيرا اباحة وفي غيره
سيرا واجبا فيحتاج ذلك الى فرق بين هذا الموضع وبين تلك
المواضع وعاقبة الشيء منتهاه وما ال اليه والمراد به هنا
العذاب على العصيان قال النابغة ومن عصاك فعاقبة معا
شتى الحسود ولا تحسد على نعمه والعهد هو الحجة لما ذكر
تعالى تصريفه فمن اهلكهم بذنوبهم امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بسؤالهم ذلك فانهم لا يمكنهم ان يسعوا الا ان ذلك لله عز وجل
فليس بيدك ذلك انه تعالى هو المالك المهلك لهم وهذا
السؤال سؤال تبكيت وتقرير وما موصولة بمعنى الذي
او نكرة موصوفة والعموم وهي مبتدأة ولمن في موضع الجر امر تعالى
بنسبة ذلك الى الله تعالى ليكون اقرب من مادرأ الاعتراف
بذلك وقد كتب على نفسه الرحمة ظاهره كتب الله بمعنى سطر
وخط وقيل اوجب ايجاب فضل وكرم لا ايجاب لزوم والرحمة
هنا الظاهر انها عامة فتعم المحسن والمسيء في الدنيا وهي
عبارة عن الافضال عليهم والاحسان اليهم ليجمعنكم جواب قسم
وهو ان كتب ارجى محذوف القسم فاجيب بجوابه وهو
ليجمعنكم جواب قسم مراعى قوله تعالى الا عليها وارسلنا والظاهر
ان الى للغاية والمعنى ليحشرنكم منتهين الى يوم القيامة
لا ريب فيه اي لا شك ولا مرية فيه الذين خسروا انفسهم
فهم لا يؤمنون الظاهر ان الذين مرفوع على الابتداء والخبر قوله
فهم لا يؤمنون ودخلت الفاء لما تضمن المبتدأ من معنى الشرط كانه
قيل من خسر نفسه فهو لا يؤمن وخسروا في معنى قضي عليهم بالخسران

وترتب على ذلك عدم ايمانهم قوله عز وجل • وله ما سكن في الليل
والنهار وهو السميع العليم لما ذكر سبحانه وتعالى ان له ملك ما حوى
المكان من السموات والارض ذكر ما حواه الزمان من الليل والنهار
وان كان كل واحد من المكان والزمان يستلزم الاخر لكن النص
عليهما ابلغ في الملكية وقدم المكان لانه اقرب الى العقول والافكار من
الزمان والظاهر انه استيناف اخبار وليس مندرجا تحت
قوله والظاهر ان السكون ضد الحركة واقتصر عليه لانه ما من متحرك
الا سكن ولا ينعكس الحكم في ذلك وقيل هو على تقدير معطوف
حذف تقديره وما تحرك • قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات
والارض الاية لما تقدم انه سبحانه وتعالى اخترع السموات والارض
وانه مالك لما تضمنه المكان والزمان امر تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يقول لهم ذلك على سبيل التوبيخ لهم اي من هذه صفاته
هو الذي يتخذ وليا وناصرا ومعينا لا اله الا هو لا الالهة
التي لكم اذ هي لا تنفع ولا تضر لانها ما بين جماد وحيوان مقهور
ودخلت همزة الاستفهام على الفعل لاسم دون الفعل لان
الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي كقولك لمن ضرب
زيدا وهو ممن لا يستحق الضرب بل يستحق الاكرام ازيدا
ضربت تنكر عليه ان يكون مثل هذا يضرب ونحوه قوله تعالى
افغير الله تامروني اعبد وكقوله ايضا الله اذن لكم ام على الله
تفترون وقرا الجمهور فاطر بالجر فوجهه ابن عطية والزمخشري
رضي الله عنهما وقبلهما الحوفي رضي الله عنه على انه نعت لله عز وجل
وخرجه ابو البقاء رضي الله عنه على انه بدل وكانه راى ان الفصل
بين المبدل والمبدل منه وبين البدل اسهل من الفصل بين
المنعوت والنعت اذ البدل على المشهور على نية تكرار العامل
وقرا ابن ابي عبلة برفع الراء على اضمار هو قال ابن عطية او على الابتدا
انتهى ويحتاج الى اضمار خبر ولا دليل على حذفه وقرئ بالنصب
على المدح اي امدح فاطر السموات والارض يقال فطر اي خلق واخترع
من غير مثال سبق • وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق ولا يرزق
كقوله عز وجل ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو
الرزاق ذو القوة المتين والمعنى في الاية المتقدمة ان المنافع كلها
من عند الله عز وجل وخص الاطعام من انواع الانتفاعات لمس
الحاجة اليه كما خص الربا بالاكل وان كان المقصود بالربا الانتفاع انتهى
• قل اني امرت ان اكون اول من اسلم قال الزمخشري رضي الله عنه لان النبي
صلى الله عليه وسلم سابق امته في الاسلام كقوله عز وجل وبذلك امرت
وانا اول المسلمين وكقول موسى عليه الصلاة والسلام سبحانك تبت اليك وانا

اول المسلمين

اول المسلمين وقال ابن عطية المعنى اول من اسلم من هذه الامة
وبهذه الشريعة وفي هذا القول نظر لانه عليه الصلاة
والسلام لم يصدر منه امتناع عن الحق وعدم انقياد اليه
وانما هذا على طريق التحريض على الاسلام كما يامر الملك رعيته بامر
ثم يتبعه بقوله انا اول من يفعل ذلك ليحملهم على فعل ذلك
• قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم الظاهر ان الخوف
هنا على بابه والخوف ليس بحاصل لعصمته بل هو معلق بشرط هو
ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم • من يصرف عنه قرئ مبنيا
للمفعول ومن مبتداة والضمير في يصرف عائد على من والضمير
في عنه عائد على العذاب والفاعل في رحمه عائد على الله عز وجل
وقرئ من يصرف مبنيا للفاعل والفاعل بيصرف ضمير يعود
على الله تعالى ومن مفعول مقدم تقديره اي شخص يصرف الله
عنه العذاب فقد رحمه • وذلك الفوز المبين الاشارة بذلك
الى المصدر المفهوم من يصرف اي وذلك الصرف هو الظفر
والنجاة من الهلكة والمبين البين في نفسه او المبين غيره
• وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له اي يصبك وينلك
بضر وحقيقة المس تلاقي جسمين وكشف الضر ازاله وكشفت
عن ساقيها ازالت ما يسترها والضر اخص من الشر فناسب ذلك
المسيس الذي هو اخص من الاستيلاء وفي قوله فلا كاشف له
محذوف تقديره عنك • وان يردك بخير فهو على كل شيء قدير
اراد قد يتعدى لمفعولين احدهما بنفسه والآخر بالباء والباء
قد تدخل على الذات وينتصب الثاني كقوله يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر وتارة تدخل الباء على المعنى
كقول الشاعر اردت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
وعرار اسم رجل وكقوله او ارادني برحمة وجاء جواب
الاول بالحصر في قوله تعالى فلا كاشف له الا هو مبالغة
في الاستقلال بكشفه وجاء جواب الثاني بقوله تعالى فهو
على كل شيء قدير دلالة على قدرته تعالى على كل شيء فيندرج
فيه المس بخير وغيره ولو قيل ان الجواب محذوف لدلالة الاول
عليه لكان وجها حسنا وتقديره فلا موصل له اليك الا هو
والاحسن تقديره فلا راد له للتصريح بما يشبهه في قوله تعالى وان
يردك بخير فلا راد لفضله ثم اتى بعد بما هو شامل للخير والشر
وهو قدرته على كل شيء • وهو القاهر فوق عباده قال ابن عباس رضي
الله عنهما القهر هو الغلبة والحمل على الشيء من غير اختيار المحمول
لما ذكر انفراده تعالى بتصرفه بما يريده من خير وضر وقدرته على الاشيا

ذكر قهره وغلبته

وان العالم محصورون ممنوعون من بلوغ مرادهم وفوق حقيقة
في المكان ولا مراد به الحقيقة اذ الباري سبحانه وتعالى منزه
عن المكان في جهة والعرف يستعمل فوق اشارة الى علو المنزلة
وعلو قهر على غيرها من الرتب وعينه قوله تعالى يد الله فوق ايديهم
وقال تعالى وفوق كل ذي علم عليم ومن كلام العرب انا بغينا
بلغنا السما مجدنا وجدودنا والمراد بالرجوع فوق ذلك مظهرا
يريد علو الرتبة والمنزلة وفوق العالم اضيافه الهاهنا
اي المستعلي مقهورون فوق عباده اوفي موضع رفع على
انه خبر ثان هو له خبر عنه بشيئين احدهما انه القاهر
والثاني انه فوق عباده بالرتبة والمنزلة وهو الحكيم
اي المحكم افعاله متقنة امنة من وجوه الخلل والفساد
الخبير اي هو العالم بحقيقات الامور كلها فما ظن اي شهادة
قل الله شهيد بيني وبينكم الآية قال الكلبي رضي الله عنه
سبب نزول هذه الآية ان رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى احدا
يصدقك فيما تقول من امر رسالتك ولقد سألنا اليهود والنصارى
عنك فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد
لك انك رسول الله كما تزعم فانزل الله هذه الآية وقال
ابن الحنفية رضي الله عنه هنا الشيء لا عموم العام لوقوعه على
كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجوهر والعرض
والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل انه شيء
لا كالاشياء فان قلت مقلوم الاكسار المعلومات ولا يصح
جسيم الاكالاجسام وان اداي شهيد اكبر شهادة فوضع سبحانه
فكان شهيد المبالغة في التعميم انتهى وقال ابن عطية وان
لا يطلق على الله عز وجل لفظة شيء وجلالة المحمود في ذلك
وشهادة منصبة على التمييز وقال ابن عطية رضي الله عنه
ويصح على المعنى ان يجعل اكبر على التشبيه بالصفة المشبهة
باسم الفاعل انتهى هذا كلام غريب لانه لا يصح نصبه على
المفعول ولان افعل ممن لا تنسبك بالصفة المشبهة باسم
الفاعل لان شرط الصفة المشبهة باسم الفاعل ان تؤنث وتثنى
وتجمع وافعل شيء لا يكون فيها ذلك وهذا منصوص عليه من
النحاة فجعل ابن عطية المنصوب في هذا مفعولا وجعل
اكبر شيء بالصفة المشبهة وجعل منصوبه مفعولا وقد
تخلط فاحذر ولعله يكون من الناسخ لا من الصفة قل الله
شهيد بيني وبينكم هذا مبتدأ وخبر في جملة مستقلة
بنفسها لا تعلق لها بما قبلها من جهة الصناعة الاعرابية بل

قوله اي

قوله اي على اكبرها حق هو الشهادة على جهة التقرير والتوبيخ
ثم اخبر سبحانه وتعالى بانه قال الاشياء والمشهود هو
الشهيد بيني وبينكم وانتظم الكلام من حيث المعنى والجملة
ليست جوابا صناعيا واما قالوا ايما يتم وانما يتم ما قالوا لو اقتصر
على قل الله وقد ذهب الى ذلك بعضهم فاعربه مبتدا الخبر و
الجملة دليل الجواب ما تقدم عليه من التقدير وقل الله اكبر شهادة ثم
اصمر مبتدا يكون سبحانه خبرا له تقديره هو سبحانه بيني
وبينكم لا ادري ولا ابشركم فحذف المعطوف لدلالة
المعنى عليه وقد صرح به في قوله تعالى لينذر بأسا شديدا
من لدنه ويبشر المؤمنين واقتصر على الانذار لانه في
مقام يحق فيه القول المكذبين بالرسالة المنجذبين عن
الهتها والظاهر ان من في موضع نصب عطفا على مفعول
لانذركم والعامل فيه من ضمير منصوب محذوف وفاعل
بلغ ضمير يعود على القرآن اي ومن بلغه هواي القرآن
ومن بلغ عام في العرب والعجم ويجوز ان يكون في موضع رفع
عطفا على الضمير المستكن في لانذركم وجاز ذلك للفصل بينه
وبين الضمير بضمير المفعول والجار والمجرور واي ولينذر
به من بلغه القرآن انكم لتشهدون فرق ابن عطية بين
بصيغة الايجاب فاحتمل ان تكون خبرا محضا واحتمل ان تكون
على تقدير حذف اداته وبين ذلك قراءة الاستفهام وهذا الاء
معناه التقرير لهم والتوبيخ والانكار عليهم فان كان كما قالوا
لاهل مكة قالا لهة الاصنام فانهم كانوا اصحاب اوثان وان كان
لجميع المشركين فالالهة كل ما عبد غير الله عز وجل من وثن او
كوكب او حيوان وقال ابو حيان وآخرون صفة لالهة وصيغة
جمع ما لا يعقل كصيغة الواحدة المؤنثة كقوله تعالى ما آرث
اخرى قل لا اشهد الى آخره وما ابرع هذا الرد بتبا امرا
او لا بان يخبرهم بانه لا يقيم في الشهادة ولا يلتزم من ذلك افراد
الله تعالى بالالوهية فامر بريئا ليجتمع مع انتفاء ما
اثبت الوحدانية لله سبحانه وتعالى ثم اخبر انا بريء
من اشراكهم وهو كاف لتوحيدنا فلذلك قل انما هو اله واحد
واني بريء مما تشركون الذين اتيناهم الكتاب الآية تقدم شرح
الجملة الاولى في البقرة وشرح الثانية في هذه السورة وفيها
الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا
انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا تقدم
الكلام عليها والآية سيقت لمعناه الاخلاق والمعنى لا احد اظلم ممن

شهادة

ثم

عجيب

كذب على الله

او كذب بآيات الله جمعوا بين الامرين متناقضين فكذبوا على الله عز
وجل بلا حجة عليه وكذبوا بما يثبت بالحجة البينة والبرهان
الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا
من شيء وقالوا الله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على
الله ما لا تعلمون وقالوا الملائكة بنات الله تعالى وهو لا شفعاؤنا
عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وكذبوا
بالقرآن والميزان وسموه سحرا وكذبوا محمدا صلى الله
عليه وسلم وسعيهم لا يفلح الظالمون اي لا يظفرون بمطالبهم لا في
الدنيا ولا في الآخرة بل يبتون في الحرمان والخذلان وفي
الفلاح عن الظالم فدخل فيه الاظلم والظالم غير الاظلم
واذا كان هذا لا يفلح فكيف يفلح الاظلم وقوله
الناصب ليوم رفعه اقول اذا ذكرت في المحرا حذفها الا مضطرا
لاذكر محمد وفقه على انه حقق الله وهو خطاب للتابع
والثاني لمحذوف متاخر تقديره ويوم يحشرهم كان كيت
وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو اول في التخويف
والتهويل المنصوص في قوله يحشرهم عاما في العالم كلهم
وعطف ثم للتراخي الحاصل بين مقامات يوم القيامة
في المواقف فان فيه مواقف بين كل موقف وموقف تراخ على حسب
طول ذلك الموقف والذين اشركوا عام في المشركين وابن شركاؤكم
عام وهو سؤال توبيخ وتقريع وشركاء مفعول ثان لزعم
اشركاءهم اي تلك الاصنام قد اضمحلت فلا وجود لها
واضيف الشركاء اليهم لانهم اشركوا في الحقيقة بين الاصنام وبين
شيء وانما افتروا عليها اسم الشريك بمحض تسميتهم الكذب لها شركاء
فاضيفت اليهم لهذه النسبة والزعم القول لا مطلقا بل
القول في اكثر الكلام وقد يطلق على مجرد القول ومن ذلك قول
سيبويه زعم الخليل اي قال والذين موصول صلته
كنتم تزعمون والعائد عائد محذوف تقديره كنتم تزعمونهم شركاء
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين تعدم
قول الفتنة وشرحت هنا بجميع انواعها والاعتذار به مما تقول الى
قد فتنت زيدا فعلى هذا يكون المعنى ثم لم يكن جوابهم للاصنام
واعتذارهم لها واتباع الشهوات باتباعها لما سئلوا عنها وقفوا
على عجزها الا التبري منهم والانكار لها وفي هذا توبيخ لهم
وقرئ لم تكن فتنتهم فيه قراءات الجار فيها على الاشهر قراءة
فتنتهم بالنصب الا ان قالوا او بتاء التانيث كما مر بيانه
وارتفاع ما بعدها اجري في التعريف مجرى المضمر واذا

اجتمع

والراجح الاعرف وما وقع في التعريف فذكروا ان
الاشهر جعل الاعرف هو الاسم وذلك احد القراءات
على ذلك اي في تحمل الاقل على الاخر وذلك احد القراءات
المستفيضة على ذلك في قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان
قالوا فما كان حجتهم الا ان قالوا وقد سبق ما كان مشتركين
في قراءة بالنصب ورفع الفتنة فذكر الفعل لكون تأنيث
الفتنة مجازيا والفتنة اسم يكن والخبر الا ان قالوا
فجعل غير الاعرف الاسم والاعرف الخبر ومن قرأ لم تكن فتنتهم
بالتاء ورفع الفتنة فانث لتانيث الفتنة والاعراب كما
مر قبله ومن قرأ لم يكن فتنتهم اي الا مقالتهم فعبر بها عن
القول وقولنا ربنا الخ صفة لله تعالى وما الصقت على
الله اذ اردنا اردناه انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم
ما كانوا يفترون الخطاب في هذه الآية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والنظر هنا قلبي اي كيف صوروا الكذب تارة بصورة
يصح ان ينظر ان انظر متعلقة وكذبوا فعل ماض وهو
ان لم يقع لكنه كائن من احوالهم يوم القيامة ولا اشكال في تسمية
الماضي فيها موضع المستقبل تحقيقا لوقوعه ولابد وصل يحتمل
ان يكون عطف على وكذبوا فيدخل في حيز انظر ويحتمل
ان يكون اضرابا فاستئنافا ولا يدخل في حيزه ولا يتسلط
النظر عليه • وضل عنهم ما كانوا يفترون قال ابن عطية رضي الله
عنه ما مصدرية قال معناه وذهب افتراؤهم في الدنيا كذبهم
بادعائهم لله الشركاء وقال الزمخشري ما موصولة بمعنى الذي قال
ومعنى ضل بعني غاب عنهم ملكانوا يفترون اي من ملكهم وادعاء
الالهية وشفاعته • ومنهم من يستمع اليك الآية روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه ان ابا سفيان وجماعة من كفار قريش استمعوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما أدري ما يقول محمد فقال
ما يقول الا اساطير الاولين مثل ما احدثكم عن القرون الماضية
وكان صاحب اسفار كان سمع بها اقاصيص في ديار العجم مثل
قصة رستم واسفنديار قال ابو عثمان رضي الله عنه اساطير
جمع اسطارة وهي الكرهات وقيل غير ذلك قال ابن عطية
رضي الله عنه وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه كعباديد وشماطيط
التي هذا الاسم سمي الاساطير اسم جمع لانه على قول الجموع لم يسمع له
جمعا وان لم يلفظ له بواحد واضمر في ومنهم عائدا على الذين
اشركوا وحدا وحد الضمير في اسنهم حملا على لفظ من وجمعه
في على قلوبهم امدي وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا اي

وجمعه في قلوبهم وفي اذانهم جعلا على معناها ويستمع صفة اذا
فعوله اذا كان من جنس الاذان كقوله تعالى سماعون للكذب
فلما حضروه قالوا انصتوا عندي هنا بالي لتضمنه معنى يصغون
باسماعهم اليك والجملة من قوله وجعلنا معطوفة على الجملة
قبلها عطف جملة فعلية على جملة اسمية فتكون اخبارا
من الله سبحانه وتعالى انه جعل كذا وقد ألوا واو الحال
اي وقد جعلنا ما ذكر نصب الى سماعك وتم في حدود وسلاسل
وتم من الغساق في حد من قبله في كحاف وآذانهم صماء
وجعل هنا بمعنى ان تكون التي تتعلق على ما وبمعنى صيرة
فتتعلق بمحذوف اذ هي في موضع المفعول الثاني ويجوز
ان تكون بمعنى خلق فتكون في موضع الحال لانها في موضع
نصب لو تاخرت فلما تقدمت حالا والاكنة جمع كنان كعنان
واعنة والكنان الغطاء الجامع قال الشاعر
اذا ما انتضوها اي عن من اكنة ... حسبت برق الغيث هبت
غيومها وان يفقهوه في موضع المفعول من اجله اي
كراهة ان يفقهوه وقيل المعنى ان لا يفقهوه وتقدم نظير
هذين التقديرين في قوله تعالى ان تضلوا والضمير المنصوب
في يفقهوه عائد على القرآن الدال عليه سياق الكلام
ومنهم من يستمع اليك والى قرهو المتقدم في الاذن ويقال
بفتح الواو وكسرها وقيل بفتح الواو وكسرها وكذا يفتح
الثاء وكسرها وهذه عبارة عن ما جعل الله في نفوس هؤلاء القوم
من الغلظ ومن الصد عن قبول الخير كانهم لم يكونوا سامعين لاقواله
وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لما ذكر سبحانه وتعالى عدم انتفاعهم
بعقولهم انتقل من حاسة الاكنة الى قرالى الحاسة التي
هي ابلغ من حاسة السماع وهي الرؤية وهي ابلغ ما ترتب على
ادراكها وهو الايمان وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل آية اي معناها
كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لاخر ما جعل على قلوبهم اكنة انتهى
ومقصود هذه الجملة الشرطية الاخبار عن المبالغة التامة
في العناد والتفريط في عدم ايمانهم حتى ان الشيء الذي الدال على
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة لا يرتبون عليه
مقتضاه بل يرتبون عليه ضد مقتضاه وحتى اصلها ان تكون
حرف غاية وقد تاتي بمعنى الفاء فاذا كانت بمعنى الغاية
كانت حرف ابتدا تعلقت بقوله ومنهم من يستمع اليك اي بمنتهى
اسماعهم ومكثهم الى ان يقولوا في القرآن ان هذا اساطير الاولين
فيكون المبتدا محذوفا وما بعدها تقديره حتى اذا جاءوك والجملة الشرطية

خبر المبتدا

المبتدا واذ كانت بمعنى الفاء كان لا تقدير فاذا آتوك وبحا لونك
هي جملة حالية اي مجادلينك وبلغ تكذيبهم بالايات الى المجادلة.
وتقول حواك اذا اتى بسا طير جمع اسطار واسطورة او جمع اسطور
واذ ان كفروا قام مقام الضمير اذ لو جرى على القياس لكان الغيط
لقالوا وهم ينهون عنه وينأون عنه النبي صلعم يقال ناى ينأى نأيا
ونايا والضمير في قوله وهم عائد على الكفار وتقدم ذكر الرسول
في قوله بجادلونك وتقدم ذكر القرآن في قوله ان هذا اي القرآن
فاحتمل ان يكون الضمير في عنه في الموضعين عائدا على الرسول
فيكون من الالتفات اذ هو خروج من خطاب الى غيبة ومعنا
ينهون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اتباعه وينأون
عنه اي يتباعدون عنه عليه الصلاة والسلام وعن ما جاء
به وهو القرآن ويحتمل ان يكون الضمير في عنه عائدا على
القرآن المسدا اليه ينهون اذ هذا الاسالم الاولين فلا يكون من
باب الالتفات وفي قوله ينهون عنه وينأون عنه تجنيس
تحنيس التصريف وقيل بل هو تجنيس التحريف وهو ان تغير
كل كلمة عن الاخرى بحرف فينهون انفرد تحرك بالهاء وينأون انفرد
بالهمزة • وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون هو لو ترى اذ وقفوا
على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين
جواب لو هنا محذوف لدلالة المعنى عليه وتقديره لرأيت امرا
شنيعا وهولا عظيما ورأى هنا في معنى رأيت ومفعوله محذوف
تقديره ولو تراهم واذ ظرف لما مضى وهو لبعد ذلك المتقدم
بالتناول ولا نكذب بجاف ربنا الآية ترك بنصب نكذب ونكون
وهذا النصب عند جمهور البصريين بإضمار ان بعد الواو على
فهو منسبك من ان المضمرة والفعل بعدها مصدر مرفوع
معطوف على مصدر متوهم من مقدر من الجملة السابقة وقد
يكون التقدير يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء تكذيب وكونا من
المؤمنين وقد ترا ما توجد في كتب النحو ان هذه الواو المنصوب
بعدها هو على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من
المؤمنين انتهى وليس كما ذكر فان نصب الفعل بعد الحذف ان الواو ليس على
جهة الجواب لان الواو لا تقع في جواب الشرط فلا يتعقد مما قبلها ولا
مما بعدها شرط وجواب وانما هي واو الجمع تعطف ما بعدها
على المصدر المتوهم قبلها وهي واو العطف تتعين مع النصب احد محاملها
الثلاثة وهي المعتمد تميزها من الفاء فقد تقع موضعها كما ان فاء
الجواب اذا كان بعدها فعل منصوب تميزها تقدير شرط قبلها او
حال مكانها وشهد من قال انها جواب لهما تنصب في الكواضح اني منقب

فتح الفاء في الفعل المنصوب

وتوضيح ذلك انها لا تستحق اعراب افعال لزوالها بانها اذا حذفت الجزم
الفعل بعدها بما قبلها لما فيه من معنى الشرط الا ان صلت بعد النفي
وسقطت الفا فلا تجزم واذا تقرر هذا فالاوفق ان الاشارة من
حيث المعنى مسماة على سبيل الجمع بينهما الا ان كل واحد يحتمل وحده
اذ التقدير كما قلنا لا تستأثر واي يكون ليبارد مع انتفاء التكذيب
وكونها من الموصين برفع النار والنون على نرد فتكون ان داخلان في التمني
او في فعل على الاستئناف والقطع اي نحن لا نكذب ونكون
وقرئ برفع ولا نكذب عطفا على نرد او على الاستئناف ونكون
بالنصب عطفا على مصدر متوهم وتكون ان مضمرة بعد الواو اي
وان نكون في التقدير يكن مني رد وكوني من الموحدين من حل
بهم ما كانوا يحذرون من قبل بل هم ذاقوا ضرابه وكذا قال
ابن عباس انتقال من شيء الى شيء من غير ابطال للسابق والهم اي للهود والنصارى
سئلوا في الدنيا هل تعاقبون على ما انتم عليه وقد كفار مكة
ظهر لهم ما كانوا يخفون من امر النبي قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا
اولئك قوم كانوا يخفون الكفر فظهر لهم وبالة يوم القيامة
وكونه وبالا الدنيا بغته وقوفهم على النار وتمنيهم الردة لما شاهدوا
لما نهوا عنه من الكفر وانهم لكاذبون تقدم الكلام على هذه الجملة
وهل التكذيب راجع الى ما تضمنه جملة التمني من الوعد بالايمان
او ذلك اخبار من الله عز وجل عن عادتهم ودأبهم وما انهم مقترون
عليه من الكذب وتحاورهم في محاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيكون ذلك منقطعا مما قبله من الكلام وقالوا ان هي الا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين الاية لما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفار مكة بالبعث قالوا هذا قالوا ذلك المتقدم من انكار البعث
وان ما فيه وفي ضمير الحياة قالوا ان الحياة الا حياتنا الدنيا فنفوا
ان يكون ثم حياة اخرى في الاخرة وقد كذبوا في قولهم وما نحن
بمبعوثين يعني الى الحشر والجزاء وما نحن بمبعوثين لما ذكر
الكلام على في البعث لما تضمنه من الحصر صرحوا بالنفي المحض الذي
على عدم البعث بالمنطوق وكذبوا اذ كذبوا بالبناء الدال على الخبر
على سبيل المبالغة في الانكار وهذا يدل على ان هذه الاية في
مشركي العرب ومن وافقهم في انكار البعث ولو ترى اذ وقفوا
على ربهم الاية جواب لو هنا محذوف وكما حذف في قوله ولو ترى
اذ الا وذلك مجال عن الحس والتوبيخ والسؤال كما قد يوقف احدهم
الجاني بين يدي سيده لينعاقبه قال الزمخشري هذا ما يحل ظاهرا
الفاعل بقبال هو الله عز وجل فيكون السؤال منه تعالى لهم سؤال تقرير

وتوبيخ

وتوبيخ والاشارة بهذا الى البعث ومتعلقاته وقال ابو الفرج
ابن الجوزي رضي الله عنه التفسير هذا العذاب بالكفر وكانه قد
لاحظ في قوله قال فذوقوا العذاب قال الملاء ربنا بلاجواب
للتفسير واكدوا جوابهم باليمين في قولهم وربنا فاما اقرار بالايمان
حيث لا ينفع وانما التوكيد بقولهم وربنا صدرا لاية في وقعوا
على ربهم وانما في قوله بما كنتم وكفرتم كان ما تبعث وغيره
• قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • فخسر الذين كذبوا
بلقاء الله قال ابن عباس رضي الله عنهما معفخسرانهم انهم استعاضوا
الكفر عن الايمان وصار ذلك شبيها بحالة الذي اخذوا واعطا
وكان ما اخذ سببا لهلاكه وما اعطاه من الايمان سببا لنجاته •
ومعنى بلقاء الله بلوغ الاخرة وما يكون فيها من الجزاء ورجوعهم
الى احكام الله تعالى فيها وحتى غاية لتكذيبهم وخسرانهم • حتى
اذا جاءتهم الساعة بغتة البغت والبغتة المجاءة بقتال
بغتة بنغتة اي بجئة وهو مجئ الشئ سرعة من غير حعل بما لك
اليه وغير علمك بوقت مجيئه • قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها
يقال فرط اي قصر مع القدرة على ترك التقصير وقال الرواة
عثمان رضي الله عنه فرطتها اضيع وانكدت بغتا فاجرة
لانه لا ينال بها الا تكذيب الى قولهم ياحسرتنا وتتمحتى الساعة
والضمير في فيها عائد على الحياة الدنيا اذ قد تقدم ذكرها وما
في قوله ما فرطنا فيها تكون مصدرية اي على تفريطنا فيها والجملة
من قوله وهم يحملون حملة حالية وذو الحال الضمير في قالوا والاوزار
هي الخطايا والاثام واصله الثقل من احمل ثقيل وذرعه اي
حمله واوزار الحرب ثقالها من السلاح وهو مجاز عن عمر يحمل
الى ربه على ما يجده الانسان من المشقة والالم بسبب ذنوبه والمعنى
انهم يقاسون عقاب ذنوبهم فقاساة مستقل عليهم • الا ساء ما يزرون
وبئس مستعملة لمفعول محذوف تقديره ساءهم وما مصدرية
اي ساء هم وزرهم او موصولة بمعنى الذي وحذف الضمير العائد عليه
والتقدير ساءهم الذي يزرونه اي يحملونه ويكون في ساء ان
يكون فيها فعل الي فتكون في التعجب كقوله وقضوا الجل اي
ما اقتضاه فيكون تقدير ما ساء الذي يزرونه فتح
بار لا تنبيها واشارة نبيهم وتكبيهم • وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو
الاية لما ذكر قولهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ذكر مقدارها
وان منتهى امرها الفاجاة مستقصرة عن قريب فصارت شبيهة
باللعب واللهو هما لا يدوم ان ولا طائل تحتهما وقرئ ولدار
الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون وقيل على حذف من صوت تقديره ولـ

تثقل

لدار الحياة الاخرة

• قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون الآية قيل نزلت في الحارث
ابن عمرو ابن نوفل ابن عبد مناف فانه كان يكذب في العلانية
ويصدق في السر ويقول نخاف ان تتخطفنا العرب ونحن اكلة
راس وقيل نزلت في الاخنس ابن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم
اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا
فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب
بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون
لسائر قريش فنزلت قد نعلم وعبر هنا بالمضارع عن الماضي
لان علم الله عز وجل لا يتجدد وهي هنا معلقة وانه والجملة
بعدها في موضع مفعولي نعلم ويقولون اي بالسنتهم ولا يكذبونك
اي ببواطنهم بل يعتقدون صدقك وقرئ لا يكذبونك
بالتشديد اي لا يعتقدون كذبك • ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون نبه على الوصف المؤدي بهم الى جحود الآيات وهو الظلم
• ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وفي ذلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما سلاه الله عز وجل بانهم
بتكذيبك انما كذبوا الله سلاه الله عز وجل ثانيا بان عادة
اتباع الرسل قبلك تكذيب رسلهم وان الرسل قد صبروا فتأس
بهم في الصبر • واوذوا حتى اتاهم نصرنا يحتمل ان يكون معطوفا
على قوله كذبت ويحتمل ان يكون معطوفا على قوله فصبروا على
ما كذبوا وانكروا واوذوا حتى اتاهم نصرنا • ولا مبدل لكلمات الله
اي لمواعيد الله في نصر رسله نحو قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون الآية وقوله تعالى ولقد
جاءك من نبأ المرسلين قال الفارسي من زائدة وفاعل جاء
نبأ بعد من وهو نبأ المرسلين والذي يظهر ان الفاعل مضمر
تقديره هو ويعود على ما دلت عليه المعنى من الجملة السابقة
اي ولقد جاءك هذا الخبر من تكذيب اتباع الرسل للرسل
والصبر والايذاء الى ان نصروا وان هذا الاخبار هو بعض
نبأ المرسلين الذين تتأسى بهم ومن نبأ في موضع الحال
وذو الحال ذلك المضمر • وان كان كبر عليك اعراضهم الآية
ومعنى قوله كبر اي شق وصعب عليك اعراضهم عن الايمان وعن
وعن اتباع ما جئت به فان شرط ثان وان تخلص الماضي للاستقبال
وكبر اعراضهم واقع ماض لكن يتأول على معنى الاستقبال
اي وان يتبين كبر اعراضهم والتبيين مستقبل والاستطاعة
مستقبلة فصار عطف مستقبل على مستقبل وهو التبيين
والنفق هو السرب في داخل الارض الذي يتوارى فيه وقرأ نبيح

اتباع

استطعت هو

الغنوي

النفق ان تبتغي نفقا في الارض وهو في اللغة احد جحرة اليربوع
قال الشاعر يسبخ ادريوع حتى نافقاءه ومن جحره
بالسبخة التي تنقطع وقال البراء بن عازب رضي الله عنه والنسل هو
الذي تصعد عليه ويبقى ومعنى الآية ان استطعت
ذلك والمراد بيان حرصه عليه الصلاة والسلام على اسلام قومه
وانه لو استطاع ان ما تيهم بآية من تحت الارض او من فوق السما
لاتى لها وجاء لاجلهم والظاهر من قوله فات تيهم بآية ان
الآية ان لا تيهم عن غير بتغاء النفق في الارض والسلم في السما
وان المعنى ان تبتغي نفقا في الارض فتدخل فيه وسلما في السما
فتصعد فيه اي تصعد عليه لتاتيهم بآية غير الدخول في
السرب والصعود الى السما بما يقترحون ايمانهم بسببها او مما اقترحوه
رجاء في ايمانهم وتلك الآية من احد الجنسين قال ابن عطية
رضي الله عنه فتاتيهم بآية اي بعلامة ويريد اما في فعلك ذلك
اي فتكون الآية نفسك وتحولك في الارض وارتقاءك في السما
واما ان تاتيهم بآية من احد الجنسين انتهى وقال بعضهم
من ذلك ان مخبرا رضي الله عنه وما جوزاه من ذلك الظاهر
من دلالة اللفظ اذ لو شاء ذلك كما جوزاه كان التركيب
فلا تاتيهم بذلك آية وايضا فاي آية في دخولك سربا في الارض
او ارتقائك الى السما فتكون ذكرت آية واسم كان في قوله
وان كان كبر عليك اعراضهم هو ضمير الامر والشان وكبر عليك
اعراضهم هو فعل وفاعل جملة في موضع خبر كان واحسن
فيما اذا كان ضمير الشان ان يكون اعراضهم اسم كان وكبر في موضع نصب على الخبر
وجواب الشرط في قوله فان استطعت محذوف وتقديره نفقا
فافعل احد الامرين ابتغاء النفق وابتغاء السلم ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى اي ما كان يخلق ذلك في قلوبهم اولا فلا تكن
احدا واما ان يخلقه فيهم بعد ضلالهم وذلك بهذا التعليق
على انه سبحانه وتعالى ما شاء منهم جمعهم الهدى بل اراد
ان لا فرعلى كفره ومفعول شاء محذوف دل الجواب او علمه
تقديره ولو شاء جمعهم على الهدى وحذف مفعول شاء كثير
في القرآن لدلالة جواب لو عليه • فلا تكونن من الجاهلين
قد ذكر المفسرون والائمة في ذلك اقوالا كثيرة مدخولة ذكرت
بعضها في كتابي المسمى بالبحر المحيط والذي اختاره ان هذا
الخطاب ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه تعالى قال ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى فهذا اخبار وعقبه بالنهي فدل ان
في الوجود الا ما شاء الله وقوعه ولا يختص هذا الاخبار بهذا الخطاب

عن الآية

جوزاه

رض

نقا

ب

يا رسول عليه الصلاة والسلام مل الرسول صلى الله عليه وسلم عالم
بمضمون هذا الاخبار فانما ذلك للسامع فالخطاب والتلقي
فلا يكون للسامع حد ان الرسول عليه الصلاة والسلام ولو شاء الله
لهيأ السامع الذي لا يعلم ما وقع في الوجود هو مشيئة الله تعالى
جمعهم على الهدى لجمعهم عليه ولا تكون اهيأ السامع من الجاهلين
وان ما شاء الله اتفاقه وقع وان الكائنات بعد وقوعها
سحانه وتعالى • انما يستجيب الذين يسمعون سماع
قبول واصغاء كما قال سبحانه وتعالى ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقوله يستجيب بمعنى يجيب وفرق
الزوزني بين اجاب واستجاب بان استجاب فيه قبول المدعي
ويستجيب جاء معدى باللام كقوله تعالى فليستجيبوا
لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال تجاب لهم ربهم وجاء معدى
بنفسه قال الشاعر وفي معنى ذلك • وداع دعى ما من يجيب
الى الندا • فلم يستجبه عند ذاك مجيب • قال الله عز وجل
والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون • هذه الآية ظاهرها ان هذه
والظاهر ان الموتى هنا الموتى حقيقة وذلك اخبار
من الله عز وجل ان الموتى على الكفر المؤمن من مستجيب عز يستجيب
• يبعثهم الله فيجازيهم على اعمالهم وقيل الموتى والبعث هنا
مجاز ان استعير للموت بالكفر والايمان للبعث وقيل الجملة من قوله
والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وهو مبتدأ وخبر اي والموتى
بالكفر يحييهم الله بالايمان • وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه تعنتا
منهم والا فقد جاءهم صلى الله عليه وسلم ما يات كثيرة فيها معجز لنبي
• قل ان الله قادر على ان ينزل اية اي ما سألتموه من الاية
الله قادر على ذلك كما انزل الايات التي اقترحتموها فلا فرق في تعلق
القدرة بالايات المقترحة على سبيل التعنت والايات التي لم
تقترح وقد اقترحتم ايات كما تشاؤون فلم فلم تجدوا عندكم
ولا ان تأتيكم فيما قدمتم هذا سحر مستمر لا تعلمون قدرته على
انزال الايات • ولكن اكثرهم لا يعلمون قال الله تعالى • وما من دابة
في الارض تقدم شرح الدابة • وفي هذا نبي ساق النبي مصحوبة
بمن الى ان قلت استغراق الجنس فهي عامة تشمل كل ما يدب
فيدرج فيها الطائر بعد ذكر دابة تخصيص بعد تعميم وذكر
بعض من كل وصار من باب الخبر به كقوله تعالى وحور فلكم
وملائكته بعد ذكر الملائكة وانما خص الطائر هنا لان
تصرفه في الجو دون تصرف غيره من الحيوان ابلغ في القدرة ودل على
عظمها من تصرف غيره من الحيوان في الارض آدا الارض جسم كثيف

يمكن

يمكن تصرف الاجرام عليها والهواء جسم لطيف لكن عادة تصرف
الاجرام الكثيفة فيه الا بباهر القدرة الالهية ولذلك قال
الله عز وجل ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله
الآية وجاء قوله في الارض اشارة إلى انتظام جميع الاماكن لما كان
لفظ من دابة وهو المتصرف اي التصرف فيه عاما وهو الارض
ويشمل الارض البر والبحر وقوله تطير بجناحيه تأكيد
لقوله ولا طائر لانه لا طائر الا وهو يطير بجناحيه ويرتفع
الجناح الذي كان كمالة قوله ولا طائر لوا وتضرع له الا ترى
إلى استعمال الطائر للعمل في قوله تعالى وكل انسان ألزمناه
طائره في عنقه وقولهم طار لفلان طائر كذا اي الفتسمة اي
سهمه وطائر السعد والنحس فيه تنبيه على تصور رقيبه
على حالة الطيران والتحضار لمشاهدة هذا الفعل العجيب
وجاز الوصف بلفظه يطير لانه مستعار للدعوة والعلة
لان اكثر احوال الطائر كونه يطير فقل ما يسكن حتى ان
المحبوس منها يكثر منه توقعا لطيران في المكان الذي حدد فيه
من قفص وعش ومن دابة في موضع رفيع فالابتداء من
ثم ابتدع في النفي وحذره امم امثالكم • ما فرطنا في الكتاب
من شيء الا تدوينا ما نسيت لك من ظاهر الآية لهذه
الآية وقوله من شيء صيغ اي ادخلت من الاخوان
الاحكام التكليفية كلها والتفريط معناه التقصير واصله
فعل ان يتعدى بفي كقوله على ما فرطت في جنب الله واذا
كان كذلك فيكون قد تضمن معنى ما اغفلنا وما تركنا
ويكون من شيء في موضع المفعول به ومن زائدة والمعنى ما تركنا
ولا اغفلنا في الكتاب شيئا يحتاج اليه من دلائل التوحيد
والالهية والنبوات • ثم الى ربهم يحشرون الظاهر
انه يراد به بعث يوم القيامة الهائم والدواب والطير
وكل شيء فيبلغ من عدل الله عز وجل ان ياخذ للجماء من القرناء
ثم يقول كوني ترابا وذلك قوله عز وجل ويقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا • والذين كذبوا بآياتنا قال المتأولون
الله حشرت هذه الآية لهم تبعث عند الدواب ثم استحقت على من سواهم
وانه قال هنا القرآن وما اظهر على يدي الرسول صلى الله عليه وسلم
من المعجزات والدلائل والحجج والاخبار عنهم بقوله صم وبكم
في الظلمات حصرهم وحجاء قوله في الظلمات كناية
عن عمي البصيرة فهو بيطر لقوله صم بكم عمي لان قوله في الظلمات
ابلغ من قوله عمي اذا جعلت الظلمات ظرفا لهم وجمعت لاختلاف جهات الكفر

أمم

• من يشاء الله فضلله الآية حتى هنا جملة شرطية ومن يشأ فجزم
بمن ومفعول يشأ محذوف فقدره اذ ومن يشأ جعله
وظاهر الآية يدل لمذهب اهل السنة في ان الله تعالى هو الهادي
والمضل خان ذلك معروف بمشيته لا بشيء مما يفعله
وهم يسألون • قل ارأيتكم الآية قال الفراء رضي الله عنه العرب
في ارأيت لغتان ومعنيان احدهما ان تسأل الرجل ارأيت زيدا
اي بعينك فهذه مهموزة وبينهما ان تقول لرأيت وانت تقول
اخبرني فههنا ترك الهمز اذ شئت وهو اكثر كلام العرب يعني
الى ترك الهمز للفرق بين المعنيين انتهى واذا كانت
بمعنى اخبرني جاز ان تختلف التاء مفتوحة كحالها للواحد
المذكر ومذهب البصريين ان التاء اسم الفاعل وما لحقها
حرف خطاب يدل على اختلاف المخاطب ومذهب الكسائي
رضي الله عنه ان الفاعل هو التاء وان اداة الخطاب اللاحقة
في موضع المفعول الاول ومذهب الفراء رضي الله عنه ان التاء هي
حرف خطاب كما في انت وان اداة الخطاب بعدها في موضع الفاعل
لما تغيرت ضمائر النصب للرفع والكلام على هذا المذاهب
ابطالا وتصحيحا مذكورة في علم النحو وكون ارأيتك
بمعنى اخبرني نص عليه سيبويه وغيره من ائمة العربية وكون
ارأيت بمعنى اخبرني او تفسير معنى لا تفسير اعراب لان اخبرني
تتعدى بعن فتقول اخبرني عن زيد وارأيت تتعدى للمفعول
به صريح وفي جملة الاستفهامية التي تكون في موضع المفعول الثاني
كقولك ارأيت زيدا ما صنع فما بمعنى اي شيء صنع وهو
مبتدأ وصنع في موضع الخبر واما في هذه الآية فتقول هو من
باب الاعمال وان ايتكم مطلب مفعولا به وانتكم مطلب مرفوعا
وقوله او اتتكم الساعة اعم الله تدعون اي اغير الله تدعون
لكشفه علم وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه
تقديره ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة فاخبروني
وان اتاكم عذاب الله اي ان اتاكم حق منه واما اتاه واتى اليه مثل الحرب
والباساء وان اتى من الآيات يخاف منها الهلاك ولا يحتاج الى تاويل
العذاب بمقدماته بل اذا حل بالانسان العذاب واستمر عليه
لا يدعوا الا الله سبحانه وتعالى وقوله اغير الله تقديره اتدعون
غير الله تدعون لكشف ما نزل بكم وهي استفهام توبيخ وتقرير
تدعون اي لكشف ما حل بكم واياه معمول مقدم اشتغل من
الاستفهام التوبيخي ما حصر تدعونه بقوله بل اياه اي بل الله تدعون
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون اي تتركون الاصنام التي انتم

الى تتركون
بها

إلى قوله تركون لها ركبكم • ولقد ارسلنا الى امم من قبلك الآية
هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان عادة الامم مع
رسلهم التكذيب والمبالغة في قسوة القلب حتى هم اذا اتاهم حذف
ما لابد لهما لا ستدلال بما بقي ولا تسألونه كشفها وتأول الامم
الذين بعث الله اليهم الرسل ابلغ انحراف واشد شكيمة واجلد
من الذين بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ خاطبهم
بقوله قل ارأيتكم آياته واخبارهم عند الله ما زالوا لا يدعون
لكشفها الا الله عز وجل وفي الكلام حذف اليقدر ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك فكذبوا فاخذناهم فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا ولكن لا حرف تحضيض من قلبها الفعل ظاهرا او
مضمرا او فصل بينهما بظرف فعل بين لولا اذ تضرعوا اما ورد في
متعلق لم تضرعوا والتحضيض يدل على انهم لم يتضرعوا حين
جاءهم البأس فعناه اظهار معاتبة مذنب عاتب واظهار سوء
فعله وفساد المجيء الى الباس بمكان عن وصوله اليهم والمراد
اوائل البأس وطلائعه • ولكن قست قلوبهم اي صلبت وصرفت
على ملاءمة الشدائد لما اراد الله تعالى من كفرهم وقوع كل ما
حسن لان المحنى انتفاء التذلل عند مجيء البأس وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون يحتمل ان تكون الجملة واردة تحت
الاستدراك ويحتمل ان تكون استئنافا لجملة فلما نسوا
ما ذكروا به اي فلما تركوا الاتعاظ والانزجار بما ذكروا به
من البأس استدرجناهم بتيسير مطالبهم الدنيوية وعبر عن
ذلك بقوله تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي يقتضي شمول
الخير وبلوغ التطلعات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
ومعنى هذه الجملة بمعنى قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما
نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وفي الحديث
الصحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد ما يشاء وهو
على معاصيهم فانما ذلك استدراج ثم تلا قوله عز
وجل فلما نسوا الآية • والابواب هنا عبارة عن الاسباب التي قد
هيأها الله لهم المقتضية لبسط الرزق عليهم والابهام في هذا
العموم لتهويل ما فتح عليهم وتعظيمه وفي آفتح بعزهم بما اوتوا
وتربيت على فرحهم اخذهم بغتة اي اهلكناهم فجاءة وهو اشد
الاهلاك اذ لم يتقدم شعور به فتتوطن النفس على لقائه ابلاسهم
اولا بالمباسأة والضراء فلم يتعظوا بها فتلهيهم الى ما اوجب سرورهم
من بلوغ النعم عليهم فلم يجدوا ذلك عندهم ولا تضدوا

حذف

الامم كذبوا

اي مع كثرة معاصيهم

ولا ادخروا الى ان اتيه تلك لم يحتفلوا الا على فرح بما اشتبع عليهم
قال محمد ابن النضر الحارثي اهلكهم والله الهوم عشر سنين متتابعة فاتاهم
ثم مبلسون اي باهتون ويائسون من كل خير متحيرون
لا يحيرون جوابا فقطع دابر القوم الذين ظلموا عبارة عن اخذهم
واستئصالهم فاهلكوا ولم يبق منهم احد والاستئصال يذكر
الوصف الذي هو الظلم وهو هنا الكفر والدابر هو التابع للشيء
من خلفه فيقال قطع دابر الوالد اذا قدر موته وقال ابن عباس ان الرجل
الفتك فاستووا هلكوا العذاب خصهم ان هم فما استطاعوا ان
صرفا ولا انتصروا والحمد لله رب العالمين اظهر ان الله سبحانه وتعالى
لما ارسل الرسل الى هؤلاء الامم كذبوا وآذوهم فاسلمهم الله تعالى نكاية
تارة بالبلاء وتارة بالرخاء فلم يوحدوا فاهلكهم واستراح الرسل من
شرهم وتكذيبهم وصار ذلك نعمة في حق الرسل اذ بخبر الله وعلمه
على لسانهم هذا ان مكذبيهم فاستحقوا هذا الفعل كله اللهم يا الحمد لله
رب العالمين • قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم
على قلوبكم الاية لما ذكر سبحانه وتعالى اولا التهديد بهم بايتان
العذاب او الساعة كان ذلك اعظم من هذا التهديد
فالخطاب للصنف بحرف الخطاب فقل ارايتكم ولما كان التهديد
اخف من ذلك لم يؤكد بل اكتفى بخطاب الضمير فقل ارايتم
وقد قرر قتادة ذلك من الاعتناء باحراز كل نعمة ان الساعة وقدم
الكلام على افراد السمع وجمع الابصار وعلى الختم على القلوب في اوائل
البقرة فاغنى عن اعادته في هذا المحل وكانه قيل من يأتيكم بد
غير الله اي لا يأتيكم به الا هو ويكون التقدير ما يأتيكم بها احد
• انظر خطاب للسامع وتصريفها من تاتي بالنعمة ومن تاتي
بالنقمة ومن بلزعيب ومن بالترهيب والصدف والصرف
الاعراض والنفور وتصدفون اي انتم تعرضون ولا تصرون
• قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا
القوم الظالمون • هذا التقدير ثان فالاول واجد امن من
العذاب ام الساعة والثاني بالاخذ والختم والثالث بالقدرة
فقط وبغتة مفاجاة لا يتقدمكم منه علم وجهرة مقدمات امامكم مخايله
ولما كانت البغتة تضمنت معنى الخفية صح مقابلتها
للجهرة وفائدتها الاخبار عن الجملة من قوله
هل يهلك الا القوم الظالمون معناها النفي والرابط هنا محذوف
اي هل يهلك به الا القوم الظالمون وفي ذلك تنبيه على علة الاهلاك
• وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين الاية اي مبشرين بالثواب
ومنذرين بالعقاب • فمن امن واصلح اي من صدق بقلبه واصلح

في عمله

عملہ • ولا تحض على طعام المسكين ويعني بمتهم الاعراب بما كانوا
كانوا يفعلون ما شاء كما يرد واحاة تفعل بهم ما شاء ومن
الا لام • قل لا اقول لكم عندي خزائن الله الآية قال الطبري
رضي الله عنه المعنى اني لا اقول لكم اني ملك فاتصف بصفاته
من كنوز خزائنه عندي وعلم الغيب • ولا اعلم الغيب ولا اقول
لكم اني ملك قال الزمخشري رضي الله عنه وفي ان الملائكة اشرف
جنس خلقه الله تعالى وافضلهم واقربهم منزلة منه وهو
جار على مذهب المعتزلة وقد تكلمنا على ذلك في قوله تعالى
ولا الملائكة المقربون وهذه الثلاثة احوجه لها سالة
المشركون فالاول لقولهم ان كنت رسولا فانا لله عز وجل
حيث وسع علينا خزائن الدنيا والثاني جواب لقولهم ان كنت رسولا
فاخبرنا بما سيقع في المستقبل من المصالح والمضار فلشقه
لتحصيل ذلك ودفع هذه والثالث جواب لقولهم مالهذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الخ وقال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا
على محل اقول لكم عندي خزائن الله قال لانه من جملة القول
كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول
ايضا انتهى ولا يتعين ما قاله بل الظاهر انه محطوف على
لا اقول ولا معمول له ولكان علم الغيب ممكن ان
يظهر على لسان المرسل فقد يدعيه كثير من الكهان
وضرابا الرمل والمنجمين وكان صلى الله عليه وسلم قد اخبر
بشيء من المغيبات وطابقت ما اخبر به نفي علم الغيب من
افضل فقال ولا اعلم الغيب تنصيصا على محض العبودية
فقال ان اتبع الا ما يوحى الي كما قال رضي الله عنه ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وقوله
ان اتبع الا ما يوحى الي اي انا متبع لما اوحي الي مرشارع سا
من جهتي وظاهره حصر اتباعه الوحي قل هل تستوي الاعمى
والبصير اي لا تستوي الناظر المعتبر في الآيات والمعرض
الكافر الذي يهمل النظر • افلا تتفكرون هذا عرض وتحضيض
معناه ان مثل اي تفكروا ولا تكونوا ضالين عما شاء الله منهم
• وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الخ امره ان يتبع
الا ما يوحى اليه امره تعالى ان ينذر به وقال وانذر
به اي بما يوحى اليك وظاهر قوله الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
عموم من خاف الحشر وامن بالبعث الى ربهم اي ليجازيهم كسوء
لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون • متعلق بقوله وانذر اي

على لعنة لا والام

رجاء ان يخافوا ربهم
التقوى منه

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قال
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه نزلت في ستة انا وابن
مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال قالوا فراد ان
الله ان يكون لهؤلاء اشقياء فاطردهم عنك فنزلت هذه
الآية والملائكة سبحانه وتعالى بانذار عن المتقين لعلهم يتقون
اردف ذلك بتقريب المتقين واكرامهم ونهاه عن طردهم ووصفهم
بموافقة ظاهرهم باطنهم من دعائهم ربهم بالغداة والعشي
في قوله يدعون ربهم بسائر وجوه وجهه وعليجا دون غيره ويقصدون به
بالدعاء والعبادة فما عبده والغداة والعشي كناية عن الزمان
الدائم والمراد بهما خصوص زمانهما كما تقول احمد سرك واصلا
تريد في كل حال فكني بالغداة عن النهار وبالعشي عن الليل
وخصهما بالذكر لان الاشتغال فيهما غالب على الناس ومن كان
في هذين الوقتين يغلب عليه ذكر الله عز وجل ودعاؤه
كان في وقت الفراغ اغلب عليه وقرا ابن عامر وحمزة
بالغداة ● يريدون وجهه وجهه جملة حالية وذو الحال
الواو في يدعون وتنكير الفاعل في يدعون هو العامل في الحال
ووجهه هو كناية عن الله تعالى اذ الجسمانية تستحيل بالنسبة
الى الله سبحانه وتعالى ● ما عليك من حسابهم من شيء الآية قال
الزمخشري رضي الله عنه كقوله ان حسابهم الا على ربي ولو شاء
انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء
ذمهم بالاخلال بالاخلاص وارادة وجه الله سبحانه وتعالى في اعمالهم
وان كان الامر كما يقولون عند الله تعالى فما لك الا اعتماد
الظاهر والاستدلال بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي
يحسبهم عليهم اي ولازم لهم لا تتعداه الى ان تكلف بما ان حسابك
كذلك لا تتعداك الى ان تكلف بما في قوله وما من شيء وما من دابة
انتهى لا يمكن حمل ما ذكره من الرد في قوله وان كان الامر
الى آخره لانه تعالى قد اخبر انهم يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه واخبار الله سبحانه وتعالى هو الصدق الذي لا شك
فيه ولا تعارضهم وان كان الامر كما يقولون وان كان لهم باطن غير
مرضي لانه فرض محال لما اخبر به تعالى من خلوص بواطنهم وظواهرهم
لله عز وجل وقوله من شيء هو في موضع المبتدا ومن زائدة ومن حسابهم
في موضع الحال لانه لو تاخر كان في موضع الصفة وهذا هو المعنى
في قوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تستقل بهذا المعنى
الا الجملتان جميعا كما مر قال لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب قال
الزمخشري رضي الله عنه فان قلت اما يجيء قوله ما عليك من حسابهم من

من شئ حتى ختم وما من حسابك عليهم من شئ قلت قد جعلت
الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصدتا بما مؤدى واحد وهو
المعنى في قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا يستقل
بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كأنه قيل لا تؤاخذ انت
ولا هم بحساب وقد ان كنت غير عرى ولا يكون عوادا منهم
هناك آيبا ولا محاطبا لانه اذا اعيد عليه ما قد تقدم
له اسم مفرد غائب نحو عليه ما قدم قوله ولا هم ولا يتقدم
العود عليه على اعتقاد الاستغناء بالمفرد عن الجمع لانه
بمنزلة تركيب بحساب صاحبهم وان اعيد محاطبا لم يتقدر
له محاطبا يعود عليه انما تقدم قوله لا تؤاخذ انت
ولا هم ولا يمكن العود عليه لانه ضمير محاطب فلا يعود عليه
غايبا قولا مرتبة محاطبا لم يصح ان يكيب ايضا فاصلاح
هذا التركيب ان يقال لا تؤاخذ كل واحد منا ولا منهم
بحساب صاحبه عوادا قولا تؤاخذ انت بحسابهم ولا هم
بحسابك اولا تؤاخذ انت قولا هم بحسابكم وقوله لتكونن
من الظالمين بموجب النهي في قوله فلا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي كقوله لا تقربوا على الله كذبا فيسحتكم
بعذاب فصار جواب كل منهي ومن النفي على ما بيناه
وكذلك فتنا بعضهم ببعض الآية الكاف كاف التشبيه في موضع
نصب والاشارة بذلك الى فتون سابق وهو افتتان الكفار
الذين اشاروا بطرد من كان اسلم من ضعفاء المؤمنين وهم الذين
نهاه الله تعالى عن طردهم وفتنى ببعضهم عن اولئك الكفار وقوله
ببعض كناية عن اولئك المؤمنين وقوله ليقولوا علة للفتون
اي فتنا اشقياء اولئك المؤمنين واسعدهم بهؤلاء الكفار بهذا
الذي يعلمه من احوالهم اهؤلاء اي قولهم اهؤلاء الذين
عليهم اي بالدين علياء الشرف بما علم ما بشاكرين هذا استفهام
معناه التقرير والرد عليهم اولئك القائلين اي انه اعلم بمن شكر
فيصنع شكره هدايته دون من يكفر فلا يقدر به وجاء لفظ الشكر
هنا في غاية من الحسن اذ تقدم من قولهم ما هؤلاء من الله عليهم من
بيننا اي انعم فناسب ذكر الانعام لفظ الشكر والمعنى
انه تعالى عالم بهؤلاء المنعم عليهم الشاكرين لنعمائه • واذا
جاء الذين يؤمنون بآياتنا الآية لجمهور انها نزلت في الذين نهى الله
عن طردهم فكان اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل
في امتي من امرت ان ابدأهم بالسلام ولفظة الذين يؤمنون عامة في كل
من يجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امره بافشاء التحية لهم كتب ربكم

على نسقه الى آخره •

قد ورد في صحيح البخاري ان الله عز وجل كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان
رحمتي سبقت غضبي وانكتب بمعنى كتابة عز انصاف رحمته تعالى لعباده
• انه من عمل منكم سوءا بجهالة الآية الاستئناف هنا معناه الشرك وتقدم تفسير
عمل السوء في سورة النساء فاغنى عن اعادته هنا • ثم تاب من بعده اي من بعد
عمل السوء واصلح شرط لاستدامة الاصلاح في الشيء الذي تاب منه
وقرئ انه بفتح الهمزة على البدل من الرحمة والضمير في انه ضمير الامر
والشان وانه بدل من الرحمة والرحمة منصوبة وكتب ومن في قوله من عمل
يجوز ان تكون شرطية والفاء في فانه جواب الشرط وما بعده مقدر
بالجملة بعد وقيل مبتدأ يكون الخبر محذوفا والتقدير فالامر غفران
الله له ويجوز ان يكون من مبتدأ والفاء دخلت لتضمن وهذه الجملة
المقدرة في موضع خبر المبتدأ الذي هو من وقرئ بكسر الهمزة فيهما
الاولى على جهة التفسير لرحمة والثانية في موضع الخبر او يجاب على
التقديرين في قراءة من عمل اي شرط او موصول وقرئ بفتح
الاولى على البدل من الرحمة كما تقدم ويكسر ان انثنى على جهة
التقديرين الذين سلفا وما احسن مساق هذا المقول لامره صلى
الله عليه وسلم اولا ان يقول للمؤمنين سلام عليكم ثنى اولا بالسلامة
والامن لمن امن ثم حالهم ثانيا بوجوب الرحمة ولهذه الكتابة
الرحمة اي كتب لنا ظنكم في مصالحكم والذي يربكم ويملككم
الرحمة فهذا تنشيط لعموم الرحمة ثم ابدل منها شيئا خاصا
وهو غفرانه ورحمته لمن تاب واصلح • وكذلك نفصل الآيات الكاف
هنا للتشبيه وذلك اشارة الى التفصيل الواقع في هذه السورة
اي ومثل ذلك التفصيل الذي فصلت آيات القرآن وفلخصها في صفة
احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اقلاعه ومن يرى
فيه امارات القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن
دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده • ولتستبين سبيل
المجرمين يقال استبان تكون لازما ومتعديا بمعنى واهل
الحجاز قد كثر عندهم استبان وأهل الحجاز يؤنثون السبيل وقرئ بالياء
اي ليستبين بالياء سبيل بالرفع اي وليظهر سبيل المجرمين وقرئ
وليستبين بتاء الخطاب سبيل المجرمين بالنصب فاستبان هنا متعدية
فقيل هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل ظاهرا والمراد
امته وخص سبيل المجرمين لانه يلزم من استبانتها استبانة سبيل المحسنين
والمؤمنين • قال الزمخشري لهذه الامة امر من تعالى ان يجاهرهم بالتبري
من عبادتهم غير الله ولما ذكر سبحانه وتعالى تفصيل الآيات لتستبين
سبيل المحقين لتبطل بها عن سلوك سبيلهم وحتى تستبين وخرت
والذين تدعونهم الاصنام غيرها والذين على زعم الكفار حين انزلوها منزلة

قال ابن عباس

قال ابن عباس رضي الله عنهما تغتابون وقيل تسمونهم
الهة من دعوت ولدي زيد اسميته وقيل تدعون في امركم
وحوائجكم وفي قوله تدعون من دون الله استئناف ووصف
بالله فتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة ولفظة ما غلبت ابلغ من التي
بلا تعبد اذ فيه دلالة تكلف • قل لا اتبع اهواءكم الآية ولما
كانت اصنامهم مختلفة كان لكل عابد صنم هوى يخصه فلذلك
جمع واذا معناها الخ اي قد ضللت ان اتبعت اهواءكم
• وما انا من المهتدين جملة موكدة لما قبلها والي بالاولى بقوله
ضللت والثانية تدل على التجدد وفي الثانية باسم الفاعل
وهو المهتدين وبدل على الثبوت فنفى تجدد الضلال وثبوت
الهداية • قل اني على بينة من ربي اي على شريعة واضحة
والبينة هي المعجزة التي تبين صدقي • وكذبتم به ما عندي ما
به اخبار عنهم لم تكونوا منه والظاهر عود الضمير على ربي اي
وكذبتم ربي في ما عندي ما تستعجلون به والذي تستعجلون به العذ
والاستعجال لما بات في القرآن للعذاب • ان الحكم الا لله
اي لا حكم على الاطلاق وهو الفصل بين الخصوم المختلفين
بايجاب الثواب والعقاب وقرئ يقضي الحق من القضاء والحق هنا
نعت لمصدر محذوف اي يقضي القضاء الحق وقيل الحق
مفعول بيقضي ومعنى يقضي يقضي ويصنع قال الشاعر • •
وعليهما مسرودتان قضاهما داود • اي صنعها وقرئ
يقص الحق من قص الخبر كقوله تعالى نحن نقص عليك احسن
القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن او هو ما خوذ من قولهم امر
اي ائتمر • وهو خير الفاصلين اي اعدل الحاكمين • قل
لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم من حلول
العذاب اي لبادرت الله وقوع الانفصال بيني وبينكم
• والله اعلم بالظالمين الظاهر ان المعنى والله اعلم بكم
فوضع الظاهر المشعر بوصفهم بالظلم موضع المضمر ومعنى اعلم
بهم اي بحالهم انتقم نقمته وعذبهم بعذابه • وعنده مفاتح الغيب
الآية لما قال تعالى ان الحكم الا لله وقال وهو اعلم بالظالمين بعد
قوله ما تستعجلون به اعقبه من احاطة علمه بجميع الامور الغيبية واستحال
ان يعلمها الا هو لان المفاتح لما كانت سببا للوصول
الى الشيء فاندرج في هذا العام ما يستحيل ان يوتاه وعنه والمفاتح
جمع مفتح بكسر الميم وهي الآلة التي يفتح بها ما اغلق قال الزهراوي رح
الله عنه ومفتح افصح من مفتاح وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله عز وجل ان الله عنده علم

• لا يعلمها الا هو حصر انه لا يعلم تلك المفاتح ولا يطلع عليها
الا هو ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة الى الصوفية اشياء من
ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب اتباعهم وانهم
معهم في الجنة مقطوع لهم ولاتباعهم بها يخبرون بذلك على
رؤوس المنابر ولا ينكر ذلك احد هذا مع خلوهم عن العلوم يوهمون
انهم يعلمون الغيب وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ومن
زعم ان محمدا يخبر بما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى
يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ولقد
كثرت هذه الدعاوي والخرافات في ديار مصر وقام بها ناس
صبيان العقول يسمون بالشيوخ • ويعلم ما في البر والبحر لما
كان ذكره تعالى مفاتح الغيب امرا معقولا اخبر سبحانه وتعالى
باستئثاره بعلمه واختصاصه به ذكر تعلق علمه بهذا المحسوس
على سبيل العموم ثم ذكر علمه بالورقة والحبة وبالرطب واليابس
على سبيل الخصوص فتحصل اخباره تعالى بانه عالم بالكليات
والجزئيات مستأثر بعلمه وبما نعلمه نحن وقدم البر على
ذكر البحر لكثرة مشاهدتنا له ولما فيه ولما اشتمل عليه من المدن
والقرى والمفاوز والجبال والحيوان والنبات والمعادن
او على سبيل الترقي الى ما هو اعظم في الجملة لان ما فيه من اجناس
الحيوانات اعجب وطوله وعرضه اعظم وما في البحر من حيوان ومن
جواهر وغير ذلك وعبر بلفظ ما التي هي لاحاد ما لا يعقل
لكثرة اجناسه وانواعه واشكاله فشمل النوعين العاقل
وغيره تغليبا لما لا يعقل وقال سيبويه ما مبهمة تقع على
كل شيء وظاهر كلامه انها لا تختص بما لا يعقل ومن في قوله من
ورقة زائدة ورقة فاعل يتسقط ويعلمها مطلقا قبل
السقوط وبعده ومعه ويعلمها في موضع الحال من ورقة وهي حال
من النكرة كما تقول ما جاء احد الا راكبا • ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين اتى هنا بجزئين
لطيفين احدهما علوي وهو سقوط ورقة من علو الى سفل والثاني
سفلي وهو اختفاضه في بطن الارض وقوله الا في كتاب مبين
وهذا الاستثناء جار مجرى التاكيد لان قوله ولا حبة ولا رطب
ولا يابس معطوف على قوله من ورقة والاستثناء الاول منسحب
عليها كما تقول ما جاءني من رجل الا اكرمته ولا امرأة فالمعنى هنا
اكرمتها ولكنه لما طال الكلام اعيد الاستثناء على سبيل التوكيد
وحسنه كونه فاصلة راس آية والرطب واليابس وصفان
معروفان والمراد العموم في المتصف بهما والكتاب المبين كناية عن

الآخر

علم الله تعالى

علم الله سبحانه وتعالى المحيط بجميع الاشياء وهو الذي سوف يقوم بالملك
ويعلم ما حرحتم بالنهار اي قدمتم منها لما فناها الله سبحانه
وتعالى لما وكل استيداده والعلم التام لكل كاتب والجزيات ذكر
هنيئا ان معاقدة التامة تنبيها على ما يختص به الالهية وذكر
شيئا محسوسا قائما لا دائما وهو التوفي بالليل والبعث بالنهار
وكلاهما ليس الانسان فيه قدرة بل امر توفاه الله تعالى بالليل
والتوفي عبارة في العرف عن الموت وهنا المعنى به النوم على سبيل
المجاز للعلاقة التي بينه وبين الموت وهي زوال احساسه
وتعرفه به وفكن وقوله وعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم فيه
ومنه جوارح الطير اي كواسبها واجترحوا السيئات اكتسبوها والمراد
منها اعمال الجوارح ومنه قيل للاعضاء جوارح والضمير في فيه
عائد على النهار وقضا الاجل فصل مدة العمر من غيرها ومسمى
في علم الله سبحانه وتعالى ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف
الحساب فينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده تقدم
الكلام عليه وظاهر قوله ويرسل عليكم حفظة ان يكون معطوفا على
قوله وهو القاهر فوق عباده فعله على جملة اسمية وهي وان اتى
المضارع وعليكم ظاهره انه متعلق بيرسل كقوله تعالى يرسل
عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران الله وحفظة على
مسلمة بالعلو والاستيلاء ليتمكنهم مما جعلوا لله ذلك علوا
وحقوا وان يكون متعلقا بحفظة اي حافظين عليكم
وحفظة جمع حافظ وهو قياس مضطرد في فاعل كفوهم
بان وبررة حتى اذا جاء احدكم الموت اي بسبب الموت
وتوفته اي قبضته رسلنا وهم لا يفرطون حالة هنا
جمعا فتعين به ملك الموت واعوانه والظاهر ان ارسل هنا غير
الحفظة ولا تعارض بين قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
وبين قوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وبين قوله
رسلنا لان نسبة ذلك اليه تعالى اما لخلقه وتقديره
وتعلقه لا يفرطون في شيء مما امروا به من الحفظ والتوفي ثم
ردوا الى الله مولاهم الحق الظاهر عود الضمير على العباد وانتقل
من ضمير الخطاب في عليكم الى ضمير الغيبة في ردوا وفاعل الرد
هو الله تعالى كان الاصل ثم ردهم الله وقرئ ردوا بكسر الراء
واصله ردد وقد تقدم حركة الدال الى الراء ثم سكنت الدال
للادغام فصار ردوا كما قرئ ردت البنا في سورة يوسف عليه الصلاة

وظاهر الاخبار ما لرد الى الله سبحانه وتعالى انه يراد به الموت
والرجوع الى حكم الله سبحانه وتعالى وجزائه يوم القيامة
ويدل عليه اخر الاية وهو لاء هم فيه استعار باحسانه تعالى
اليهم اذ مولاهم هو سيدهم ومالكهم وهم عبيده وخصه سبحانه
وتعالى بالحق تعظيما لقدره الذي لا يحكم الا بالحق ادلالة الحكم
تنتهي من الله عز وجل لعباده فان جميع التصرفات كذلك وهو
اسرع الحاسبين وقدم الكلام في سرعة حساب سبحانه وتعالى
في قوله والله سريع الحساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
الاية لما تقدم ذكره تعالى ولائل الوهية من العلم التام والقدرة
الكاملة ذكر نوعا من امنهما وهذا لا يحاذ من الشدائد وهو الاستغاث
يراد به التقرير والاذكار والتسبيح والتوقيف على معتقد من
عقد الاصنام وتركه الذي يجيء من الشدائد وبالنجاء الله في كشفها
والظلمات اربع حقيقة الظلمة وجمعت باعتبار موازرها
ففي البر والبحر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الضيق وفي البر
ايضا ظلمة الغبار وظلمة الغيم وظلمة الريح وفي البحر ايضا
ظلمة الامواج ويكون ذلك على حذف مضاف اي شدائد من مهالك
ظلمة البر والبحر وبحارهما وذكر المفسرون على ان الظلمات
هي محان عن شدائد البر والبحر وبحارهما وهو الهما والعرب
تقول يوم ذو ظلمة ويوم مظلم ويوم ذو اكلكت وتعبر به جملة حالية
وذو الحال ضمير الخطاب اي تنادونه مظهرين الحاجة اليه وتخصها
والتضرع وصف بادعاء الانسان والخفية الاخفاء وقال
الحسن رضي الله عنه تضرعا علانية وخفية اي سره وابدا صا
على المصدر اي تتضرعون تضرعا وتخفون خفية لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين بعد رد قبله قسم محذوف واللام
هي الموطئة لجواب القسم وهي كائنون من الشاكرين والاشارة
بهذه الى الظلمات والشرط بعد اللام وجوابه محذوف لدلالة
جواب القسم عليه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون
الضمير في منها عائد الى ما اشار اليه بقوله من هذه ومن كل معطوف
على الضمير المجرور واعيد حرف الجار ليصح واسر تعالى بالمسابقة
الى اب ليكون هو صلى الله عليه وسلم اسبق الى الخير والى الاعتراف
بالحق ثم ذكر انه تعالى ينجي من هذه الشدائد الى حضر بهم ومن
كل كرب فعم بعد التخصيص ثم ذكر قبيح ما يأتون بعد ذلك
وبعد قراءته بالدعاء والتضرع وقعدهم اياه بالشكر من اشراكهم
فيه في العبادة عز قال ابن عطية رضي الله عنه وعطف بثم المهلة
لما بين فتح فعلهم اي ثم بعد مقرفتكم بهذا الله وكفتكم انتم تشركون

ف اصر
الشكار

قال ابن عباس رضي الله عنهما

قال ابن عباس رضي الله عنهما القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض ثم ان ذلك هذه الامة استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال في الثالثة هذه اهون او ايسر والظاهر ان الخطاب لامة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاية مشتملة للوعد وقوله عذابا من فوقكم كما فعل بعوم نوح واصحاب الفيل ارسلت عليهم حجارة فاهلكوا او من تحت ارجلكم كما فعل بقارون وتبداد وقوله ويذيق بعضكم باس بعض كما جرى في حرب صفين بين علي واصحابه وبين معاوية واصحابه وكما يجري بينك وبين بني علي والحق ارج وكل هؤلاء مستولون على ممالك او ليلبسكم اي يخلطكم شيعا جمع شيعة وانتصب على الحال اي يخلطكم شيعا مختلفين اي متفرقين فرقا مختلفة واليأس هو الشدة • انظر كيف تصرف الآيات هذا استرجاع لطيف ولفظه تحت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انا نتلطف في محيي الآيات انواعا رجاء ان يفهموا ويفهموا عن الله تعالى لان في اختلاف الآيات ما قد يقتضي افهامهم ان عزبت اية لم يعز اخرى • وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل الضمير عائد على تكذيبهم بالقرآن وقيل عليه ذكر الآيات قبله وهو الحق لتباين اي جملة مستأنفة اخبرتها ان القرآن هو الحق ويحتمل ان يكون حالا من الضمير في به وهو استخفاف عليهم في التكذيب بشيء هو الحق • قل لست عليكم بوكيل اي لست بقائم عليكم لاكرهكم على التوحيد • لكل نبأ مستقر اي لكل شيء ينبأ به وقت لاستقرار وحصول لا بد منه • وسوف تعلمون مبالغة في التهديد والوعيد الشديد لهم • واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه المؤمنون لان علة النهي وهو سماع الخوض في آيات الله قائمة فيهم وفيهم رأيت هنا بصرية وذلك تعدت الى واحد ولا بد من تقدير حال محذوفة اي واذا رأيت الذين يخوضون في اياتنا وهم حائضون فيها والخوض اصله في الماء ثم استعير وشبه تلبسهم في آيات الله بالخوض في الماء وتلفظهم في الآيات هو قولهم هذا سحر هذا افتراء هذه اساطير الاولين • فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره امر له عليه الصلاة والسلام بالاعراض عنهم وهجرتهم بالكلية والحكم منسوخ بقتالهم بقوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب الاية وفيها فلا تقعدوا معهم • واما ينسينك الشيطان اي يشغلنك عن التأسي بي في الاعراض عنهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى اي بعد تذكرك اياهم

وما احسن محي الشرك الاول اذا الى مي للمحقق لان كونهم
يخصون في الآيات يحقق ومحي الشرط الثاني ما يدل لان اذن
فكون لغير المحقق وجاء مع القوم الظالمين تنبيها على علة الحكم من
في الآيات والطعن فيها فان مست ذلك ظلمهم وتجاوزهم الحد
وما ان الآية بعد ان الشرطية والفعك قد حققت الوعيد الشديد
وكثر ذلك في القرآن قال الله عز وجل فاما تذهبن بك وقوله
ايضا واما تتوفينك ويجوز حذف ما في غير القرآن وحذف
نون التوكيد وحذفها سيت فتقول آمنا قم اقم
واذن فقم من اقم نص على ذلك سيبويه رضي الله عنه قال
الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان يراد وان كان الشيطان
ينسيك قبل النهي فنهي محال لكنه نهي عن انها مما تنكره
العقول ولا تقعد بعد الذكرى اي بعد ان ذكرناك
فنهاك وانهاك على ذلك اي فلا تقعد معهم انتهى وهذا خلاف
ظاهر الشرط لانه قد نهي عن القعود معهم فلم يعطف على
الشرط السابق هذا الشرط وكله سيقتل وما على الذين يتقون
من حسابهم من شيء ولكن ذكرى المؤمنين والضمير في حسابهم عائد على
المسهم ثم الى اقرب في الآيات وروي ان المؤمنين قالوا لما
نزلت هذه الآية فلا نقعد وامعهم قالوا لا يمكننا طواف
واعباء في الحرم فنزلت ومن زائدة وشيء مبتدأ خبره على الذين
وذكرى يحتمل ان تكون في موضع نصب اي ولكن تذكروا ثم ذكرى
او ذكروهم او في موضع رفع اي ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون
الوعيد فيتذكرهم قال الزمخشري ويجوز ان يكون عطفا
على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله
من حسابهم يأبى ذلك انتهى فانه يحتمل ان في العطف يلزم
القيد الذي في المعطوف عليه وهو من حسابهم لانه قيد
في شيء فلا يجوز عنده ان يكون من عطف المفردات عطفا على
من شيء على الموضع لانه يفسد المعنى عنده ولكن ذكرى من
حسابهم ليس المعنى على هذا وهذا الذي تخيله الشيء يستثنى
لانه لا يلزم في العطف ولكن ما ذكر يقول ما عندنا رجل
سوء ولكن رجل صدق وما عندنا رجل من تميم ولكن رجل من
قريش وما قام من رجل عالم ولكن رجل جاهل فعلى هذا الذي
قررناه يجوز ان يكون من قبيل عطف الجمل كما تقدم ويجوز ان
يكون من عطف المفردات والعطف انما هو للواو ودخلت
لكن للاستدراك وذكر ان لتتخذوا ضميرهم اعيا ولعوا هذا امر
يترتب وكان ذلك لقلة اتباع الاسلام حينئذ ودينهم هو ما كانوا

عليه من

وعليهم الحياة الدنيا

عليه من البحائر والسوائب والحوامي والوصائل وعبادة الاصنام
وطواف البيت عراة يصفرون ويصفقون * وذكر به الصفير
فجعله عابدا على المجاز وتسلط قال ابن عباس رضي الله عنهما اي
تقضض وقال قتادة تحبس وترفق وان تسلم لتعقلها انه
في موضع المفعول من اجله وقد رأوا هذا ان تسلم ومخافة
ان تسلم ولا تستسلم ويجوز عندي ان يكون في موضع جر على
البدل من الضمير والضمير مفسر بالبدل واضمر الاسناد لما في
الاضمار من التفخيم كما اضمروا الامر والشان وفسر بالبدل
وهو الاسناد في التقدير وذكر بارطهاة النفوس وحبسها بما
كسبت * وقد روي ايضا اذا اردت لم تسلم بعود اركضه *
تخذل واستاكت به عود اسمه تحرعود على انه بدل من
الضمير * ليس لها من دونه ولي ولا شفيع * هذه جملة لهما في
اخبارهذه جملة لهما في اخبار ومن دون الله اي من دون عذاب
الله ولي فينصرها ولا شفيع فيدفع عنها بمسألته * وان
تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اي تفدكل فداء والعدل
الفدية لان العادي يعدل الفداء بمثله * اولئك الذين
استسلموا بما كسبوا الظاهر انه يعود على الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
وقال ابن عطية اولئك اشارة الى الحشر المذكور الذي دل عليه
بقوله ان تسلم بما كسبت * لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون والحميم الماء الحار الاظهر انها جملة مستأنفة
عن الاخبار ويحتمل ان تكون حالا وشراب فعال بمعنى
مفعول كالطحان والخضاب بمعنى مشروب ومخضوب
* قلت مدعوا من دون الله مما لا ينفع ولا يضر فانا لا نجد هذا
استفهاما بمعنى الانكار اي لا نفع شيء من هذا من دون الله
النافع الضار المبدع للاشياء القادر على ما يريد اي وقوله
مما لا ينفعنا اي هي اصنام من حجارة وغيرها لكنك * وفرد
معطوف على ان ندعو اي وفوق داخل في حيز النهي اي نرد على
اعقابنا اي الى الشرك اي رد المهتدي وهو الرجوع الى وراء وهي
المشية الدنية ويستعمل المثل لما فيمن رجع من خير الى شر
قال الطبري رضي الله عنه وكذا قال غيره اي او الرد على العقب
ويستعمل في من اضل امرا فخاف فيه امله * كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران وقوله استهوته موضع كالذي نصب
على انه نعت لمحذوف اي رد امثل رد الذي والاحسن
ان يكون حالا اي كالذي كما تقدم والذي ظاهره انه مفرد
ويجوز ان يراد به معنى الجمع اي كالفريق الذي استهوته الشياطين جملة

على انه موضع نصب اى كالذى سمعوه فنصب على انه نعت لمقدر
محذوف اى رد امثل رد الذى سمعوه الشياطين والاحسن
ان يكون حالا اى كائنين كالذى قالوا ذى ظاهر انه مفرد ويجوز
ان يراد به معنى الجمع اى كالفريق الذى سمعوه الشياطين حملة الزمخشرى
رضى الله عنه على انه من الهوى الذى هو المحبة والمراد قد
قيل كالذى اماتته الشياطين عن الطريق الواضح الى الهمجية
وحمله على انه من الهوى اى الهبطة اى الهبة فى هوة وتكون
المستفعلن بمعنى افعل نحو استرك وادرك فى الارض مستعلن بالتهوية
حال صير الشعب فى التهوية وهو لا ينصرف وموءنثه حرى
اصحاب قال ابن محمد رضى الله عنه اى هذا المستهوى اصحاب
ادى رفقة يدعونه الى الهدى اى الى ان يهتدوا الى الطريق المستهوى
قال ابن عباس رضى الله عنهما فى معنى الآية مثل داعى الضلالة مثل من دعاه
الغول فتبعه فيضيع وقد الهمزة فى مهمة ومهلكة فهو حائر
فى تلك الهمهمة وقوله ائتنا معمول لقول محذوف تقديره
قائلين ائتنا وهو من الاتيان بمعنى جئنا فقل ان هدى
الله هو الهدى ومن قال ان قوله لنا اصحاب يعنى من جملة
الشياطين وان قوله ائتنا الخ من عندهم كانت هذه الجملة رداعليهم
اى ليس ما زعمتم هدى بل هو كفر وانما الهدى هدى الله وهو
الايمان ومن قال ان قوله لنا اصحاب مثل للمؤمنين الداعين الى
الهدى الذى هو الايمان كانت اخبارا ان الهدى هدى الله من شاء
الا انه يلزم من دعائهم الى الهدى وقوع الهداية بل ذلك مسئلة
عن وجل من هداه اهتدى وامرنا لنسلم لرب العالمين اللام
اللام لام كى ومفعول امرنا اى فى محذوف وقدروه وامرنا
بالاخلاص لكى نسلم او نستسلم لرب العالمين قال ابن عطية رضى
الله تعالى عنه ومذهب سيبويه رضى الله عنه ان لنسلم فى موضع
المفعول وان قولك امرتك لافوم وامرت ان اقوم بجريان سواء
وما ذكروه عن سيبويه رضى الله عنه ليس كما ذكر بل ذلك مذهب
الكسائى والفراء ان معنى اللام كى تقع فى موضع ان فى اردت
وامرت قال الله عز وجل يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين
من قبلكم الآية وان اقيموا الصلاة اى ان مصدرية نصبت على الامر
فنسبك منه مصدر ولا يلحظ فيه معنى الامر وليكون معطوفا على
قوله لنسلم لرب العالمين اى للاسلام والاقامة الصلاة والتقوى
الله عز وجل والضمير فى واتقوه عائد على رب العالمين وقل واتقوه
معطوف على واقيموا فيكون مامورا بالاخلاص للاسلام والاقامة
الصلاة والتقوى لله عز وجل وهو الذى اليه تحشرون جملة خبرية

فتضمن

خبر ان

تتضمن التنبيه والتحذير لمن ترك امتثال ما امر به من الاسلام
والصلاة وافتقاء الله عز وجل وانما تظهر ثمرات فعل هذه الاعمال
وحسرة تركها يوم الحسرة في القيامة • وهو الذي خلق السموات والارض
بالحق اذكر انه سبحانه وتعالى لما جزاه بحشر العالم ونشر
من شاء منهم ما توعد به امر هنا بذكر مبتدا وخبر العالم واختراعه لا
بالحق اي بما هو حق لا عبث فيه ولا هو باطل اي لم يخلقها ملابسا
ولا عاملا صدر عن حكمة وصواب ولتستدل بها على وجود
الصانع الذي هو المخلوقات العظيمة الظاهر على بعضها سمات الحدوث
لا بد لها من صانع واحد عالم قادر مريد حي وعلاه ويوم
تقول كن فيكون يوم خبر مبتدا او هو وقوله الحق صفته
والتقدير قوله الحق كائن يوم يقول كما تقول اليوم القتال
ولكن محمول ليقول وفيكون خبر مبتدا محذوف والتقدير
فهو يكون وهذا تمثيل لاخراج الشيء من العدم الى الوجود
وسرعته لا ان ثم شيئا يؤمر به قوله الحق ولله الملك يوم ينفخ في
الصور الملك مبتدا وخبره المجرور قبله ويوم منصوب بما تعلق
به الجار والمجرور اي الملك كائن له يوم ينفخ في الصور كقوله تعالى
لمن الملك اليوم عالم الغيب والشهادة عالم مبتدا خبره محذوف
تقديره هو عالم وهو للحكم الخبير لما ذكر خلق الحق وسرعة
ايجاده لما شاء وتضمن التنبيه اقتضاء ذكر ما سبب ذكر
الوصف بالحكيم ولما ذكر انه عالم الغيب والشهادة ناسب ذكر
الوصف بالخبير اي صفة تدل على علم لطائف ادراكه
من ان يشاء • واذ قال ابراهيم لابيه ان آتتخذ اصناما الفتة الآية
لما ذكر قوله قل ادعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ناسب
ذكر هذه الآية هنا وكان الله قد اكرم نبيه ان اهتم مع ابيه ف
ارشد لرجوع العرب اليه اذ هي جدهم الاعلى فذكروا بان
انكار هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم عليكم عبادة الاصنام فهو
مثل انكار جدكم ابراهيم على ابيه وقومه عبادتها ففي ذلك تنبيه
على اقتفاء من سلف من صالحي الآباء والاجداد وهم وسائر
الطوائف يعظمون ابراهيم عليه الصلاة والسلام والظاهر ان آزر
اسم ابيه قاله ابن عباس وغيره وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية
تارخ فعلى هذا يكون لابراهيم ان كنيتموه واسرائيل وهي عطف
بيان او بدل وامتنع من الصرف للعلمية والعجمة وقرئ
ازر بالضم على النداء اي يا ازر • اتتخذ اصناما آلهة
تعبدها لقال ف هو استفهام معناه الانكار والتوبيخ وقوله
اصناما آلهة مفعولان للتتخذ وبدا بقوله اصناما تعظيما لها

وتبعيدا امر

لله ان يحتج زمانا كان من حجر او خشب معبودا لقومه لما انكر على ابيه
اجرامه وقومه في ضلال مبين وجعلهم حطبا وقيل للضلال
ابلغ من وصفهم بالضلال كانهم انفس الضلال صار ظرفا لهم وقيل
يعني ظاهرا بينا وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض
هذه جملة اعترضت بين قوله واذ قال ابراهم منكرا على ابيه عبادة
الاصنام وبين جملة الاستدلال عليهم فافراد المعبود وكونه لا يشبه
المخلوقين وما في قوله فلما جن عليه الليل والى بالكاف في قوله
وكذلك للتشبيه وذلك اشارة الى الرؤية المفهومة من قوله
لي ان اراك اي مثل ذلك الرؤية نري ابراهيم ونري هي بمعنى
اريناه ويجوز ان تكون الكاف هنا للتعليل بمعنى اللام كما في
قيل وذلك ٥ وقوله ملكوت السموات والارض اي وعناه هنا
الملك كالرحموت بمعنى الرحمة والرغبوت بمعنى الرغبة وفي هذا
البناء على فعلوت اشعار بالتكثير والاراة هنا بمعنى الابصار
لانها تعدت الى شيئين الاول ابراهيم والثاني ملكوت
واللام فيها للتعليل اراه لعلمه بري فاصل الفعل رأى بمعنى
ابصر يتعدى الى واحد فلما ادخلت همزة النقل تعدى
الى اثنين وعن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كشف الله له عن السموات والارض حتى عن العرش وعن اسفل الارضين
فليس شيء محجوبا الا بصار ولكن وقع له بعضها من الاعتبار ومن
العلم الرفيع لاهل زمانه الذي بعث اليهم قال ابن عباس رضي
الله عنهما وكذا قال بعضهم هنا شعرا ٥ وتكرير الاعتبار لطيف معنى
٥ وتكون من الموقنين اي ارياه الملكوت ٥ فلما جن عليه الآية
هذه الجملة معطوفة على قوله واذ قال ابراهيم على قوله من حصل
وكذلك نري اعتراضا وهو قول الزمخشري رضي الله عنه وقال ابن
عطية رضي الله عنه الفاء في قوله فلما رابطة جملة لما بعدها
بما قبلها وهي نحو ان المراد بالملكوت هو هذا النفس الذي في هذه
الآية وقوله فلما جن عليه الليل بمعنى جن واجن اذا اظلم هذا
تفسير المعنى وهو نحو ستر مستعد وما قال الشاعر ٥

وماء ورد قد سقيت الكرى ٥ قد حدا الستر الادهم
٥ وقوله فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال ابن عباس رضي الله عنهما
ورفعه قوم وجعل عند البصريين فالواو زائدة واصوله الكواكب
والتاء ٥ قال هذا ربي هنا قال ابن عباس ان ابراهيم حين رأى الكوكب وقال
الصاغاني حق لفظ كوكب ان يذكر في ب ك ب وكذا ذكره
عند حذاق النحويين فانها صدرت بكاف زائدة عندهم الا ان الجوهري
اوردها في فصل ك و ك ب وقد تبع فيه الليث رضي الله عنه

فانه ذكره

الملك

فاذكره في الزائد ذاهبا الى الواو فقلت انها واو ولب شعري من
خلاف النحويين الذين تكون الكاف عندهم من حروف الزيادة
فضلا عن زيادتها اي لا لكلمة والكاف لست من حروف
الزيادة ولا يدريك الاعتقاد وانما ذلك مثل ان ترى
رجلا ضعيف الركن ضعيف القوة لا تكاد تهتف صوت انسان
هذا ناصر يعني انه لا يقدر على نصرة في مثل ذلك وقال
وقال الزمخشري رضي الله عنه كان ابوه وقومه يعبدون
الاصنام والشمس والقمر والكواكب فلما رآه ان سنهم في الخطاء
في دينهم وان مرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم
ان النظر الصحيح هو الذي ادى اليه ان منها لا يصح ان يكون لها
لتمام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا
صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها ونقلها ومسيرها
وسائر احوالها انتهى • فلما افل قال ابن عطية رضي الله عنه
تفول العرب افل فاذا قيل افول فهو الاسم الذي غاب عن موضعه
وزال عن مكانه وقد قال ذلك ايضا
مصابيح ليست طلبة يعوذها • عجوم ولا بالاوليات اول
• قال الا احب الآفلين اي عبادة الآفلين المتغيرين من حال الى حال
المتنقلين من مكان الى مكان وذلك من صفات الاجرام
والله عز وجل منزه عن ذلك كله • فلما رأى القمر بازغا قال هذا
ربي لم يأت في الكوكب بقوله رأى كوكبا بازغا لانه اقل لما ارتفع
حيث بزغ الكوكب لانه بالظلام الليل نظهر الكواكب جلية وحاله
مع القمر ومع الشمس واضحة لما اوضح لهم ان هذا اكبر وهو اكوكب اذ
رآه لا يصلح ان يكون ربا ارتفع ما هو اوفى منه واضوأ على سنن الخا
بالكوكب والاستدلال على انه لا يصلح للعبادة فتراه اقل طلوعه
وهو اصغر فلم يعمل كذلك في الشمس ارتفعها اذ كانت اوفر
من القمر واضوأ واكبر جرما وانعم نفعا ومنها يستمد القمر على
ما قيل فقال ذلك على سنن الاحتجاج عليهم وبين انها مساوية
للقمر وللكوكب في صفة الحدوث • فلما افلت قال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين • تنبيه لقومه على ان من كان القمر
الها فهو بنظر الكوكب في الافول فصوصا فان الهداية الى الحق
بتي بتي امة عن ذلك • فلما رأى الشمس بازغة • قال هذا ربي هذا
اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون • قال بعضهم والشهور
في الشمس انها مؤنثة وقتل انها تذكر وتؤنث فان اقل على الشهور
وذكر في الاشارة الى اللغة القليلة من اجاءه ومسلمة للخبر فرجحت
لغة التذكير التي اقل على لغة التانيث ويمكن ان يقال ان اكثر لغة

قه

مثل هذا

الاعاجم ح

انهم لا يفرقون في الضمائر ولا في الإنسان بين المذكر والمؤنث
ولا علامة عندهم للتانيث بل المذكر والمؤنث في ذلك عندهم سواء
فلذلك اشار الى المؤنث عند فاحين حكى كلام ابراهيم لما يشار
به الى المذكر لو كان المؤنث بحرج لم يكن لهم علامة تدل عليه في
كلامهم وحينئذ اخبر سبحانه وتعالى عنها بقوله بارئة واعلمك
ان ذلك على مقتضى العربية اذ ليس ذلك بحكاية حال ماضية
ولما اقلعت الخمس ولم يبق لهم شيء يتمسكون به وظهر حجته وقرئ
بذلك على مشاهدتهم تبرأ من شركهم وقاطبتهم بقوله يا قوم اني
ليتبين لهم على تحقق براءته من الشرك قال يا قوم اني بريء مما تشركون
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
اما انه وهذا من التجنيس الغاير للاول وهو فعل والثاني اسم
والمعنى قصدت وعبادتي وفطر السموات ظرف للكل اي وانتم
والشمس معبوداتهم من دون الله تعالى والارض ذكر لنظر فلكي فيها
اصنامهم المتخذة منها او من الخشب والحجارة وانتصب حنيفا على
الحال وذو الحال التاء في قوله وجهت والعامل الفعل وقدم
للتشويق الى المنيف وهو المائل عن الاديان كلها الى دين الحق وختم ذلك
بانتفاء كونه من المشركين وما احسن ختم هذه الجمل اولا بالكون في رتبة
الكوكب في قوله لا احب الآفلين وثانيا بنفي الصلالة
على انتفاء الهداية وثالثا بنفي الشركة عن انتفاء الخوف والحزن
التي يتضمنها انتفاء ان يكون من المشركين وحاجه قومه
المحاجة صناعة من اثنين مختلفين في حكمين فدلى كل منهما
بحجة على صاحبه اي على صحة دعواه والمعنى وحاجة قومه في
توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه مشركين لذلك ومحاجة مثل
قولك آرماك بالسهم فاتقاك ابانهم تقلدوا بالحق في
من حاجه وقيل من الاصنام كقول قوم هود عليه الصلاة والسلام
ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فاجابهم بان الله تعالى قد
هداه بارهان القاطع على وحدته ونفي ما سواه والا يخاف
من الهتهم وقد هدني جملة حالية ولا اخاف هذه جملة
مستانفة اخبارا بانه لا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا
لكن مشيئته ربه عز وجل وسع ربي كل شيء علما ذكر عقيب الاستثناء
سعة علم الله سبحانه وتعالى التي تتعلق بجميع الكائنات وانتصب علما
على التمييز المحول من الفاعل اصله وسع علم ربي كل شيء واكثر
ما يجيء التمييز المحول من الفاعل مع الفعل اللازم نحو تصبب زيد
عرقا وهنا جاء مع الفعل المتعدي لان كل شيء معلوم لربي وسع

وسع

تحقيق

وسع مقعده وقال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم وقوله تعالى افلا تذكرون تنبيه على غفلتهم حيث عبدوا من دونه ما لا يضرهم ولا ينفعهم وشركوا امة عجز وعلى ما جاءهم من اظهار الدلائل الى اقلها على عدم صلاحية الاصنام للربوبية وكما خاف ما اشركتم هذا استفهام معناه التعجب والانكار كما مر تقديره من هما دعقوبتهم حيث يخوفون خسافا خجانة لا تضر ولا تنفع وهم لا يخافون عقوبة شركهم بالله وهو الذي بيده النفع والضر والامر كله ولا يخافون معطوف هنا على اخاف فهو داخل في التعجب والانكار واختلف هنا متعلق الكوفي الخوف فالدرسة الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الخوف بالاصنام وبالنسبة الينهم عليه باشراكهم بالله عز وجل تركا للمقابلة ولئلا يكون الله عدولا حسنا لو كان الشرك ولا يخافون الشفاء كي يلفظ ما الموصول على الاصنام لان العقل لان الاصنام لا تعقل اذ هي خشب وحجارة وكونك ما لم ينزل به سلطانا واستلطان الحجة والاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة ولا برهانا اقام الدليل العقلي على بطلان اشراكهم بوتيهم بقي انما ان يكون على ذلك دليل سمعي فالمعنى ان ذلك ممتنع عقلا وسمعا فوجب اطراحه فاي الفريقين احق وان استفهام كنتم تعلمون لما خوفوهم في مكان الامن ولم يخافوا في اي مكان الخوف ايبن الاستفهام في صورة الاحتمال لو كان قد علم قطعا انه هو الامن لانهم قال الله عز وجل فلئن لقيتك خاليين لتعلمن اني وايكم فارس الاحزاب اي آثار ومعلم عند الله بمن فارس الاحزان لا المخاطب واضاف اتى الى الفريقين وبين فريق المشركين وفريق الموحدين وعدل عن قوله انا احق بالامن ان انتم احزان من تخويفه نفسه فيكون ذلك تركيبة لفظا وحوف الشرط محذوف اي ان كنتم من ذوي العلم والاستبصار فاخبروني اي هذين الفريقين احق بالامن من امن وآمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بشرك عليه الصلاة والسلام لما استفهمهم استفهام عالم بمن هو الامن نصت على من له الامن فقال الذين امنوا الآية والذين خبر مبتدا محذوف تقديره هم الذين او مبتدا او لئك مبتدا ثان وهم مبتدا خبره محذوف اي وقوله او لئك لهم الامن خبر او لئك والجملة من اولئك وما بعده خبر عن او لئك ولم يلبسوا يحتمل ان يكون معطوفا على الصلة فلا موضع لها من الاعراب ويحتمل ان تكون الجملة مستأنفة حالا

والعامل فيها آمنوا أي آمنوا غير لابسي إيمانهم بظلم وما قد
ذهب إليه ابن عصفور رضي الله عنه من أن وقوع الجملة المنفية بلم
قليل جدا ليس كذلك ألا ترى إلى قوله عز وجل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل لم يمسسهم سوء وكذلك ما ذهب إليه ابن خروف رضي
الله عنه من وجوب إلى أو فيها إذا كان فيها ضمير يعود على ذي
الحال خطأ ألا ترى إلى قوله تعالى لم يمسسهم سوء فيه ضمير يعود
على ذي الحال وهو ضمير النصب في يمسسهم ولم تدخل إلى أو على لم
• وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه الآية قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما الإشارة بتلك إلى ما وقع به الاحتجاج من قوله
فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون هذا هو الظاهر
وأضافها إليه سبحانه وتعالى على سبيل التشريف وكان المضاف
إليه بنون العظمة لإيتاء المتكلم وآتيناها أي أحضرناها
بباله وخلقناها في نفسه إذ هي من الحجج العقلية أو آتيناها
بوحي منا ولقناه إياها وتلك مبتدأ وحجتنا خبره آتيناها
خبر ثان على قومه في موضع الحال من الهاء في آتيناها أي آتيناها
مستعلية على قومه هو على حذف مضاف تقديره على حجج قومه
نرفع درجات من نشاء أي مراتب ومنزلة من نشاء وأصل الدرجات
الدرجات في المكان ورفعها بالحجة والبيان وقرئ درجات
بالتنوين فمن مفعول بنرفع ودرجات منصوب على الظرف أي في
درجات وقرئ مضافا لمن فدرجات مفعول بنرفع إن ربك حكيم
عليم هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بقوله وتلك
حجتنا إلى آخره • ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا
هدينا من قبل الآية هذه الجملة معطوفة على قوله وتلك حجتنا
عطف جملة فعلية على جملة اسمية قال ابن عطية رضي الله عنه ووهبنا
عطف على آتيناها انتهى وقد لا يصح هذا الترتيب لأن آتيناها لها
موضع من الإعراب إما خبر وإما حال ولا يصح في ووهبنا شيء
منهما وذكر ما من به عليه من هبته له هذا النبي الذي تفرعت منه
أنبياء بني إسرائيل كلا هدينا أي كل واحد من إسحاق ويعقوب
هدينا وفي قوله تعالى ونوحا هدينا من قبل تنبيها على قدمه وفي
ذكره هنا دقيقة لطيفة وهو أن نوحا عليه الصلاة والسلام عبدت
الأصنام في زمانه وقومه أول قوم عبدوا الأصنام ووحد
هو الله تعالى وكذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام عبدت الأصنام
في زمانه ووحد هو الله تعالى ودعا إلى رفضها وترك عبادتها
• ومن ذريته عائد على نوح عليه الصلاة والسلام لأنه أقرب مذكور
ولأن في المذكورين لوطا عليه الصلاة والسلام وليس هو من ذرية

إبراهيم

ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه ابن اخيه فهو من ذرية نوح عليه
الصلاة والسلام • داود وسليمان قدم داود عليه الصلاة
والسلام لتقدمه في الزمان ولكونه صاحب كتاب ولكونه اصلا
لسليمان وهو فرعه • وايوب ويوسف قرنهما لاشتراكهما
في الامتحان امتحن ايوب بالبلاء في جسده ونبذ قومه له
وامتحن يوسف عليه الصلاة والسلام بالسجن وتغريبه عن اهله
وكان مآلهما الى السلامة والعافية وقدم ايوب لانه
اعظم في الامتحان • وموسى وهارون قرنهما لاشتراكهما في الآخرة
وقدم موسى عليه الصلاة والسلام لانه كليم الله سبحانه
وتعالى وصاحب كتاب وهي التوراة والمعجزات التي ذكرها
الله عز وجل في كتابه العزيز • وكذلك نجزي المحسنين اي
مثل ذلك الجزاء من ايتاء الحجة وهبة الاولاد الخيرين
نجزي من كان محسنا في عبادتنا مراقبا في اعماله لنا •
• وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين وقرن
بينهم هنا لاشتراكهم في الزهد الشديد وكثرة الاعراض عن
الدنيا وبدا بزكريا ويحيى لسبقهما عيسى عليه الصلاة والسلام
في الزمان وقدم زكريا لانه والد يحيى عليه الصلاة والسلام
فهو اصل ويحيى فرع وقدم عيسى عليه الصلاة والسلام لانه
صاحب كتاب ودائرة متسعة وتقدم ذكر انساب هؤلاء
الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا الياس عليه الصلاة والسلام
وهو الياس ابن مسير ابن فنحاص بن العيزار ابن هارون
ابن عمران وقيل الياس هو الخضر عليه الصلاة والسلام وفي
ذكر السيد عيسى عليه الصلاة والسلام هنا دليل على ان ابن البنت
داخل في الذرية ولهذه الآية قد استدلوا على دخوله في الوقف
على الذرية وسواء كان الضمير في ومن ذريته عائدا على
نوح او على ابراهيم فتقول الحسن والحسين ابنا فاطمة رضي الله عنهم
اجمعين هما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذه الآية
استدل ابو جعفر الباقر ويحيى ابن يعمر على ذلك وكان الحجاج
ابن يوسف طلب منهما الدليل على ذلك اذ كان هو ينكر ذلك فسكت
في قصتين جرتا لهما معه • قال الله عز وجل • كل من الصالحين
لا يختص كل بهؤلاء الاربعة بل يعم جميع من سبق ذكرهم • واسمعيل
هو ابن ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هاجر وهو اكبر ولده وقيل
هو نبي من بني اسرائيل كان في زمان طالوت وهو المعني بقوله ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله الآية • وليسع قرأ الجمهور واليسع
كان ال دخلت على مضارع وسع يسع فقيل هو عربي دخلت ال عليه

وقرئ والليسع على وزن فيعل كضيغم والصحيح انه في الاعجمية
اعجمي لان منه آلا في القرآنين وقال ابن مالك رضي الله عنه
ما قارنت ان بعدها كالمسمى بالنصر او بالنعمان او زيادة
كاليسع والسموأل فان الاعلم شوقت ان فيه وهذه الاسما
لهما لا تنصرف للعلمية والعجمة او اليسع فانه منصرف لكثرة
بالكسر ولانسوان والالوطاق لوحظ فيها مصروفان
لخفة الساكن وسكون وسطها وان كانت تلك العلتان موجودتان
فيها وهما العلمية والعجمة الشخصية * وكلا فضلنا على العالمين
فيه دلالة على ان الانبياء افضل من الاولياء خلافا لمن قد
ينمي الى التصوف في زعمهم ان الولي افضل من النبي محمد ابن
العربي الحاتمي صاحب الفصوص وكتاب الفتوحات المكية
وغيرها طوف وغير ذلك من كتب الضلال وفيه دلالة على ان
الانبيا افضل من الملائكة لعموم العالمين وهو الموجودات
سوى الله تعالى فيدرج في العموم الملائكة * ومن آبائهم وذرياتهم
واخوانهم المجرور عطفا على هدينا هو في موضع نصب قال الزمخشري رضي الله عنه
عطفا على نوحا لا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم فمن تكون هنا للتبعيض
والمراد من آبائهم نبيا كان او غيره اي او غير نبي * واجتبيناهم
عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وكرر الهداية على سبيل
التوضيح والتوكيد * وهديناهم الى صراط مستقيم * ذلك هدى
الله يهدي به من يشاء من عباده اشارة الى الهدى السابق وفيه
دليل على ان الهدى بمشيئة الله تعالى * ولو اشركوا اي فرضا
لحبط اي بطل عنهم ما كانوا يعملون هذا فرض تقديري لامتناع
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام كقوله عز وجل في آية اخرى لئن اشركت
ليحبطن عملك والخطاب مترتب على مستحيل اذ الانبياء عليهم
الصلاة والسلام معصومون فلا يمكن ان يقع منهم اشراك البتة *
* اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة اشارة الى
ما سبق ذكره من ما فضلوا به والكتاب جنس للكتب الاربعة
صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام والتوراة والانجيل والزبور
والحكم اي الحكمة او الحكم بين الخصوم فان بكفرها هؤلاء الضمير في
لها عائد على النبوة او على الكتاب والحكم والنبوة والاشارة هي
الى كفار قريش او كافري اهل المدينة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى
وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اي قد منا الايمان بها والتوكل هنا
استعارة للتوفيق للايمان بها والقيام بحقوقها والقوم الموكلون بها هم
من شهد من اهل المدينة قاله ابن عباس وقيل هم ابو رافع وعكرمة رضي الله عنهم اجمعين
* اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فبالهداية التي هدى
الله بها رسوله اقتد يا محمد فاعمل بما امرت به من التوحيد
وترك الاشراك وهذا امر لنبينا صلى الله عليه وسلم وهو

وهم الانبياء

كمتي الدين

وهم الانبياء السابق ذكرهم وامره تعالى ان يقتدي بهداهم
والهداية السابقة هي توحيد الله تعالى وتقديسه عن
الشريك والشبيه والنظير فبطريقتهم في الايمان بالله وتوحيده
واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة فلا يمكن ان
يؤمر بالاقتداء بالمختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا
نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها كلها هدى
ابدا فبهداهم متعلق باقتده • وقرئ اقتده بالهاء الساكنة
وصلا ووقفا وهي هاء السكت اجروها وصلا مجراها
وقفا وقرئ بحذفها وصلا واثباتها وقفا وهذا هو
القياس وقرئ اقتده باختلاس كسرة الهاء وصلا
وسكونها وقفا وقرئ بكسرها ووصلها بياء وصلا وسكونها
وقفا وتؤول على انها ضمير المصدر لا هاء السكت قل
لا اسألكم عليه اجرا اي على الدعاء الى القرآن وهو الهدى
والصراط المستقيم ومعنى اجرا اي اجرة اتكثر بها واخص
بها • ان هو اي ما القرآن • الا ذكرى اي موعظة وعظة
لجميع العالمين • وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما نزلت تلك الآية في مالك ابن الصيف اليهودي
اذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالله الذي
انزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام اتجد فيها ان
الله تعالى يبغض الحبر السمين قال نعم فقال له انت الحبر
السمين فغضب وقال ما انزل الله على بشر من شيء واصل
القدر معرفة الكمية يقال قدر الشيء اذا حذره وسبره
قال ابن عطية رضي الله عنه ومعنى ما قدروا الله حق قدره
اي ما عظموا الله حق تعظيمه وانتصب قدره على المصدر
وهو في الاصل وصف اي قدره الحق ووصف المصدر
اذا اضيف اليه انتصب نصب المصدر والعامل في اذ
قدروا من شيء مفعول بانزل ومن زائدة تدل على
الاستغراق • قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى هدى
للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا •
الآية فيها دليل على ان النقض يقدح في صحة الكلام وذلك
انه نقض قولهم ما انزل الله على بشر من شيء بقوله قل من انزل
الكتاب فلو لم يكن النقض دليلا على فساد الكلام لما كانت
حجة الله مفيدة لهذا المطلوب والكتاب هنا التوراة ايضا
وانتصب نورا وهدى على الحال والعامل انزل او جاء وقوله
تجعلونه قراطيس اي تجعلونه ذا قراطيس اي اوراقا وبطائق وقوله

حق قدره

نورا وهدى

تبدونها اي تظهرونها

ويخفون كثيرا كما خفاتهم الايات الدالة على نبوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وغيره كثير من الاحكام التي اخفوها وادرج تحت هذا
وتعالى تحذير المؤمنين وذمهم بسوء حالهم لكتابهم حين فعلوا
وامثاله بعض ما فعل اخفاء بعض قال الله عز وجل وعلم بحالهم تعلمون
انتم ولا آباؤكم كخطاب الله خطاب لنبيه اشارة الى ان ما مقصود به الاحتجاج
عليهم وعلى امثالهم ممن بان على امر من دين الله عز وجل وهذا امر عالم
يكونوا به عالمين • قل الله اي امرهم الله سبحانه وتعالى بما تجادره
اليه الجواب اي قل الله امرني به قلهم لا يقدرون ان ينكروه وكيف
لان الكتاب الموصوف بالنور والهدى الآتي به من اشد
المعجزات • ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اي في باطلهم الذي
يخوضون فيه وقيل لما كان في عمل لا يخلي عليه اما ان
لاعب ويلعبون حال من مفعول ذرهم او من ضمير خوضهم وفي
خوضهم متعلق بذرهم او يلعبون او حالان من يلعبون كما قيل
• وهذا كتاب انزلناه مبارك الاشارة الى القرآن لما قرر ان
الكتاب من الله ان يكون الله انزل على بشر شيئا اخبر ان هذا الكتاب
الذي انزلناه على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم مبارك كثير النفع والفائدة
ولكثرة الاخبار انما وقع على الامر الذي هو القرآن كما ان الله على كل شيء
وذلك مثل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
كان قد تقدم وصفه بالانزال آكد من وصفه بكونه مباركا ولان
ما آتى الله تعالى فهو مبارك قطعا فصار ترك الصفة مكروها
مباركا كما انها صفة مؤكدة او تضمنها ما قبلها • ولتنذر قرى
ملتا او الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرى فيه بالياء والضمير
فيه عائد على الكتاب ام القرى مكة سميت بذلك لانها مسماة الدين
ولدحو الارض منها ولانها في وسط الارض ولكونها قبلة وموضع
الحج ومكان اول بيت وضع للناس ومن معطوف على ام القرى والمحذوف
ولا يجوز حذف من والعطف على ام القرى لانه يكون معطوفا
على المفعول به وحرف ملتزم فيه الظرفية فلا يصح عطفه على اسم
القرى فكان يكون مفعولا به وهو لا يجوز لان ام الظرفية
• والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به الظاهر ان الضمير في به عائد
على الكتاب اي الذين يصدقون ما ان لهم جزاء وثوابا
بهذا الكتاب لما تنطوي عليه من ذكر الوعد والوعيد والترغيب
والترهيب وهم على صلاتهم يحافظون خص الصلاة لانها عماد الدين
ومن كان محافظا عليها كان محافظا على اخواتها • ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا الآية نزلت في النضر بن الحارث ومن بعده من المستهزئين

لا مدعا وص افترا ومن كلام سحيف لا يذكر لسخفه ويندرج في
عموم من افترى مسيلمة والاسود العنسي وكل من افترى على الله
كذبا وقد ذم الكلام على من ظلم وفتر وده بما استفهم معناه
النفي اي لا احد اظلم منه * او قال معطوف على صلة من وبداءة
او لا بالطعام وهو افتراء الكذب على الله عز وجل وهو عم من ان
يكون ذلك الافتراء بادعاء وحي او غيره ثم قسم قسما ثانيا خاصا
وهو افتراء مسبوق الى وحي من الله عز وجل * وقوله هنا اوحي
اليه ولم يوح اليه شيء جملة حالية اي غير موحى اليه لان من قال
اوحي الي وهو غير موحى اليه صادق ثم يا خص مما قبله لان الوحي
قد يكون بائنا لافتراء وبخبر ما قبضة ابن ابي سرح بما كاده
الله سيرد لك قرآنا مثل ما انزل الله على عكرمة واعتاده
من تنزل على نحاريره قوله لمدلول من المقدمة والذي قال
سانزل غير ما انزل او قال اوحي الي وان كلا منطلق عليه
ما قبله اطلاق الجنس على الجنس وقوله سانزل هو وعد
كاذب وسمعته ان الامحاز وانما المعنى سانزل نظم كلاما ما
ما ادعتم ان احدا منزله وهذه الاية وان كان سبب نزولها
في اناس مخصوصين فهي شاملة لكل من ادعى دعواهم
اي مثل دعواهم ومثل ما قد ادعوه كطليحة الاسدي والحمار
ابن ابي عبيد وسجاح ابن ابي عنسة وغيرهم وقد ادعى اليوم عالم
كثير كان ممن عاصرناه امر اتهم العنان اني اقصد ادعى ذلك بمدينة
مالقة وقتله السلطان ابو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر
الحبري ملك الاندلس بغرناطة وصلبه * ولو ترى اذ الظالمون في
غمرات الموت الآية ترى بمعنى رأيت واذ ظرف معمول لمحذوف
لو يحذف اي لرأيت امرا عظيما مهولا والظالمون عام اندرج
فيه الهو والمنتبئة وغيرهم والظالمون مبتدأ وخبره في غمرات الموت
والملائكة جملة حالية وباسطوا ايديهم اي بالضرب بدليل يضربون
وجوههم وادبارهم * اخرجوا انفسكم معمول لمحذوف تقديره
قائلين اخرجوا انفسكم وهذه عبارة عن العنف في السياق والالجاء
والتسديد من غير تنفيس وامهال وقيل هو من باب التجريد اليوم
* تجزون عذاب الهون اليوم مبتدأ تجزون والهون الهوان
والعذاب ما عذبوا به من شدة النزاع * بما كنتم متعلق بتجزون
غير الحق نعت لمصدر محذوف تقديره قولا غير الحق وعلى
جزاء العذاب بما كذب على الله سبحانه وتعالى وعلى استكبارهم عن اياته
اي عن الايمان بها وعن الانقياد لها * ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة هو فعل ما من معناه هنا المصائر والظاهر انه من كلام الله عز وجل

ثم

وكنتم عن اياته تستكبرون

خلقناكم او امتة والخطاب للكفار وقوله فرادى بعيني واحدا واحدا من غير اهل ولا مال
ولا ولد كما كنا اركانا هذا للتشريف نقدس مجيئا مثل خلقناكم اياكم
وانتصب اول مرة على الظرف اي اول زمان خلقناكم اي ابرزناكم للوجود
وتركتم ما خولناكم اي تفضلنا به عليكم من المخول والاهل والمال وراء
ظهوركم مستعار بقوله وتركتم وكنى به عن الدنيا وما ترى حتى شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء وقسمهم على الخطاء في عبادتهم الاصنام في
تعظيمها وكانوا يعتقدون شفاعة الملائكة انهم فيكم متى ان يسد
فتقطع بينكم وقيظهر ان شركاء المعنى في استعبادكم اياهم حين
دعوهم الهة وعبدوها فقد جعلوا شركاء فيهم وفي استعبادهم
لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون قرئ بينكم بالرفع
على انه فاعل تقطع اتسع فيه واسند اليه الفعل فصار اسما
كما استعمل اسما في قوله عز وجل ومن بيننا فبيك محاب
وقرئ بينكم بالنصب فعلى الحرية هنا تكون حركة بناء وبني هنا
لاضافته الى المبني وهو ضمير الخطاب فتكون فاعلا متقطع
فتتفق القراءتان وقيظهر ان الفاعل ضمير يعود على المصدر
المفهوم مما قبله تقديره لقد تقطع الواصل الذي كان بينكم وبين
شفعائكم وقيظهر ايضا ان يكون من باب الاضمار قبل الذكر فقدم فتقطع
وعطف عليه وضل فشارك على ما قاله عمل الثاني مما فاعل
بصبك واضمر في تقطع الفاعل وهو ضمير ما ومفعول تزعمون
محذوف وان اختصار الدلالة ما قبله عليه تقديره تزعمونهم شركاء
فيكم ان الله فالق الحب والنوى اظهر انه تعالى فالق الحب اي شاقه
فمخرج منه النبات والنوى فمخرج منه الشجر والحب والنوى هما
عامتان اي كل حبة وكل نواة وقد مر استدلالا على فعل الله سبحانه
وتعالى في ان يسوق جميع الحب عن جميع النبات الذي يكون منه
وشق النوى عن جميع الاشجار الكائنة فلما كان قد تقدم
ذكر البعث منه سبحانه وتعالى على قدر قدرته مع في شق النواة
مع ملابستها واخراجه منها ناسب ان يذكر له ما تعرفون مما فيه
لقدرته الباهرة والانسان الى البعث والنشور بعد الموت • يخرج
الحي من الميت تقدم الكلام على ذلك في قابل سورة آل عمران وعطف عليه
قوله ومخرج الميت من الحي على قوله الحب والنوى اسم فاعل على اسم فاعل ولم
يعطفه على يخرج لان قوله فالق الحب والنوى من جنس اخراج الحي من الميت
لان الناجي في حكم الحي ان الامر في قوله عز وجل يحيا الارض من بعد موتها وقع
قوله يخرج الحي من الميت من قوله فالق الاصباح موقع الجملة المبينة
فلذلك عطف على اسم فاعل لا على الفعل ولما كان هذا معقودا
في آل عمران وتقدم قبله ذلك جملتان فعليتان وهما يخرج الذي

النهار

النهار ويولج النهار في الليل ان العطف بالفعل على انه يجوز
ان يكون معطوفا وهو اسم فاعل على المضارع لانه في معناه
كما قال الشاعر • بات يعشيها بعضب باتر • يقصد في اسوقها
وجائر • ذلكم اهدى فاني تؤفكون اي فالى اين تصرفون فكيف
تكيف تصرفون عن عبادة من له هذه القدرة العظيمة وهو
الله عز وجل المستحق للعبادة • قال في الاصباح والاضباح هنا
مصدر سمي به الصبح قال الشاعر • وما الاصباح فيك بامل •
والمراد بتعليقه هنا اخراج هذا النور المنتشر من ظلمة الليل
وغيبتها • وجاعل الليل سكنا اذ هو اعظم ما في فلق الحب من
فلق النوى المتقدم ذكرهما اذ هو من الآثار العلوية والاحوال
الفلكية اعظم وقعا في النفوس من الاحوال الارضية سكنا
فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض وسبان هنا
نصبه على انه مفعول ثان لجاعل واضيف جاعل الى
المفعول الثاني وهو الليل وقرئ وجعل فعلا ماضيا
ونصب الليل والحسبان جمع حسبانة كشهاب وشهبان
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعني بها عدد الاشهر
والشهور السنين ومن قرأ وجعل عطف والشمس وما
بعده على محل الليل ومن قرأ بالاضافة فظاهر عطف
على موضع الليل لان اضافته في موضع نصب وقد الاخوان
على مذهب سيبويه رضي الله عنه قبله لانه عطف على اسم فاعل
عمل بل بضمير فعلة تقديرين وجعل الشمس والقمر قلت
الزمخشري رضي الله عنه اذ يلحظهما ان على محل الليل فان قلت
كيف يكون الليل محلا والاضافة حقيقة لان اسم الفاعل
المضاف اليه في معنى المضي ولا يقع في نحو ضارب
عمرا واحسن قلت هو في معنى الماضي وانما هو دال
على حدث مستمر في الازمنة التي يخبر انه ليس اسم فاعل
ماضيا فلا بد ثم ان يكون عاملا فيكون للمضاف اليه موضع
من الاعراب وقد اعلى مذهب الكسائي ان اسم الفاعل الذي
لا يعمل واما قوله انما هو دال على حدث مستمر في الازمنة
يعني فيكون اذ ذاك عاملا ويكون الليل مجرورا بعده موضع
فيعطف عليه والشمس والقمر وهذا ليس بصحيح اذ كان لا يقدر
بزمان خاص وانما هو للاستمرار فلا يجوز ان يعمل ولا يجر
محلا وقد نص على ذلك وانشد ظهذا الكتف ينبت
الكاسهم في فخر مظلمة • فليس الكاسهما مقيدا بزمان
في هذا البيت لاجتماع الاخبار من قوله فالي الحب والنوى الى آخره

• وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر سبحانه
وتعالى على اعظم فوائد خلقها وهي الهداية للطرق والمسالك
واتجهات التي تقصد والقبلة اذ حركات الكواكب في الليل تدرك
لها على القبلة كما تستند لحركة الشمس في النهار وعلمها والخطاب
هنا عام لكل الناس ولتهتدوا متعلق بجعل مضمن لاقتضائه معنى
اي جعل ذلك لاهتدائكم وجعل معناها خلق فهي تتعدى الى
واحد قالها تعالى وجعل الظلمات والنور وتقدر المفعول
الثاني من لتهتدوا اي جعل لكم النجوم هداية اثنتي هل ضعيت
لبنود وحذف احد مفعولي ظن واخواتها • قد فصلنا الآيات
اي بينا وشرحنا وخص من يعلم لانهم الذين ينتفعون بتفصيلها
• وهو الذي انشأكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام
• فمستقر ومستودع اي موضع مستقر او موضع استقرار او مصدر
اي فاستقرار او استقرار وحتى فمستقر بكسر القاف اسم
فاعل وعلى هذه القراءة فكون ومستودع بفتح الدال اسم مفعول
• قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون لما كان آيات هذا النجوم
واضحا ختمه تعالى بقوله يفقهون اي يعلمون اي من له ادنى
ادراك ينتفع بالنظر في النجوم وفائدتها ولما كان الانشاء من
نفس واحدة والتصريف في احوال كثيرة يحتاج الى فكر وتدقيق
نظر ختمه بقوله يفقهون اذ الفقه هو استعمال فطنة ودقة نظر
وفكر فناسب ختم كل جملة بما صدرت به الكلام • وهو الذي انزل
من السماء ماء لما ذكر انعامه تعالى بخلق السماوات ذكر انعامه علينا
بما فيه ارزاقنا ومعاشنا واسماها هنا السحاب والظاهر
ان المعنى بنبات كل شيء مما قد يسمى نباتا في اللغة وهو ما ينمي
من الحبوب والعود كالنوى والبقول والحشائش والشجر ومعنى كل
شيء اي مما تنبت واشار هنا الى ان النبات واحد والنابت
كثير وقال الطبري نبات كل شيء جميع ما ينمو من الحيوان
والنبات والمعادن وغيرذلك لان ذلك كله تتغذى وتنمو
بشرب الماء من السماء وفي قوله فاخرجنا التفات من غيبة
لما تكلم بنون العظمة فلخرجنا منه اي من النبات خضرا غضا
نضرا طريا نخرج منه حبة حائية في موضع الصفة محضرا ويجوز
ان يكون للنبات اخرجنا منه خضرا اي من الخضر كالبر والشعير
وسائر الحبوب ومن الثمار كالرمان والتفاح وغيرهما مما يركب
حبه ويركب بعضه بعضا • ومن النخل من طلعها قنوان دانية
قدك من قوله ومن النخل اعد فيه حرف الجر والطلع اول ما يخرج
من النخلة في اكمامه يقال اطلعت النخلة اخرجت طلعها • قنوان

وكانيه

دابية العنق بكسر القاف وضمها العذق بكسر العين وهو الكباسة وهو
عنقود النخلة وجمعه في القلة اعناق وفي الكثرة عنوق بكسر القاف
في لغة الحجاز وضمها في لغة قيس وبالياء بدل الواو في لغة ربيعة
وتميم بكسر القاف وضمها ويجمعون في الجمع على فنو وقنوا بالواو
ولا يقولون فيه قني ولا في دابة اي قريبة من المتناول
وهذه الجملة مبتدأ وخبر قطعت مما قبلها في الاعراب لما في
تجريدها من عظم المنة والنعمة اذ كانت من اعظم نوع العرب
لسد على الثبوت والاستقرار وان ذلك مفروغ منه فلم تشأ بالجملة
المراكب في الصوت والحاشية بالمفكة كالعنب المذكور فباشرت هذا
الاعراض فصلت الجملة بينهما فان عطفت عليها من عطف على التحليل
تقدم ويخرج من التحليل ومن طلعها قنوان آبتدا وخبر مقدم
والجملة في موضع المفعول يخرج انتهى هذا خطأ لان ما يتعدى
الى مفعول واحد لا تقع الجملة في موضع مفعوله الا اذا كان
الفعل مما تعلق وكانت الجملة فيها ما يمنع من ان تعمل في شيء
من مفرداتها اذ لو كان الفعل هنا مقدرا التسلط على ما بعده
ولكان التركيب والتقدير ويخرج من النخل من طلعها قنوا فا
دانية بالنصب قال الزمخشري وهو معطوف ويجوز ان يكون الخبر
محذوفا والدلالة اخرجنا عليه تقديره ويخرج من طلع النخل
قنوان دانية انتهى لا حاجة الى هذا التقدير اذا الجملة مستقلة
في الاخبار بذلك وفيه ومن قرأ قنوانا دانية بالنصب اشرك بين
ذلك وبين المنصوب قبله والمنصوب بعده وقال
الحاجري رضي الله عنه قرن هنا الجنات بالرمان لانهما يجريان
تعرف العرب ان وصفهما يشمل على الخمس من اصله الى آخره
حتى ثمارها اي بعضه حتى ثمره بعضه غير متشابه في القدر
واللون والطعم وانتصب مشتبها على انه حال من الرمان
لقربه منه وحذفت الحال من الاول لوجود ما يدل عليها
والمشتبه مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك • افطروا الى ثمره
اذا اثمر وينعه انظروا هذا نظر رؤية ولذلك عداه بالى لكن
يترتب عليه الفكر والاعتبار والاستبصار والاستدلال
على قدرة باهرة تنقله من حال الى حال وذلك على حالين الاول
وهو وقت ابتداء الاثمار والانتهاء والثاني وقت نضجه •
الينع مصدر ينع بضم العين في لغة اهل الحجاز وضمها في لغة بعض نجد
وكذا الينع بضم الياء والينوع والينوع بواو بعد الضمتين
يقال ينعت الثمرة اذا ادركت ونضجت وانيعت
اقضاك الله رضي الله عنه بمعنى اسرع اي احمر او العامل في

بدا

بنعه

ابدا انظروا او بنعه
معطوف على ثمره

ان في ذلكم لآيات لقوم يتفكرون الاشارة مدركم الى جميع ما سبق
ذكره من قوله ان الله فالق الحب والنوى الى آخره وهو شامل لجميع
ما خلق الله سبحانه وتعالى وجميع ما امتن به والآيات هي العلامات
الدالة على قدرة الله تعالى الآدي على كمال قدرته وإحكام صنعته
وتفرده بالخلق دون عيسى وظهور الآيات لا تنفع الا لمن
قدر الله تعالى له الايمان واما من سبق قدر الله تعالى له ما للكفر
فانه لا ينتفع بهذه الآيات فسيد بتخصيص الايمان على هذا المعنى
وانظر الى حسن سياق هذا الترتيب لما تقدم ان الله قال في آخر
والذي جاء ان الترتيب بعد ذلك تابعا لهذا الترتيب حين ذكر
انه اخرج نبات كل شيء ذكر الزرع وهو المراد بقوله خضرا نخرج
منه حبا متراكبا وابتدأ به كما ابتدأ به في قوله تعالى فالق الحب
ثم ثنى بما له نوى فقال ومن النخل من طلعها قنوان دانية الى آخره
كما ثنى به في قوله والنوى وقدم الزرع على النخل لانه غذاء الناس
فاكهة والغذاء مقدم على الفاكهة وقدم النخل على سائر الفواكه
لانه يجري مجرى الغذاء لدخوله في الفاكهة كما في طريقة اهل
الحجاز وقدم العنب لانه اشرف الفواكه وهو في جميع النواحي
مشتمل به خوطب به حضر ثم عرب فقيل ان عصر بحان منه
حلو وحامض وان جف بحان منه زبيب وقدم الزيتون لانه
كثير المنفعة في الاكل ومما يعصر منه من الدهن العظيم النفع في
الاكل والادهان صباح والدهن اي الادهان به وعرد ذكر
الرمان لغرابته وعزته في اشجار كثيرة من قطر وتخم وعجم
وماء والنخلة بارزة بادية ارضه كسقيه قابضة عصفه
قوية في هذه الصفات وفاكهة بالضد لذة الاشربة والطفها
واقربها الى حتى الاغذية وفيه تقوية للمزاج الضعيف غذاء
من وجه ودواء من وجه جمع تعالى فيه بين المتضادين الذين
المتعاقدين فما اتهن قدرته واعجب ما خلق وجعل الله سركا
الحمد الآية لما ذكر سبحانه وتعالى ما اختص به من باهر قدرته
ومتقن صنعته واتسانه على عالم الانسان بما اوجد له مما يحتاج
اليه في قوام حياته وبين ان ذلك آيات لقوم يعلمون ولقوم يفقهون
ولقوم يومنون ذكر ما عاملوه به مقابلتهم من العدم ومن جحد الربوبية
من اشرك غيره له في عبادته ونسبة ما هو مستحيل عليه من وصفه
بسمات المحدثات من البنين والبنات والصاحبة والشريك وجعلها
عائدة على الكفار لانهم مشركون واهل الكتاب يقولون عزير ابن الله
اقول وقد يستدل به على ان الحمد مفعول وان واعرب الشاذ
العلامة ابو جعفر احمد بن ابراهيم ابن الزبير الثقفي رضي الله عنه

قال رحمه
الله الخبر على اضمار فعل جواب سؤال مقدر كانه قيل من
جعلوا لله شركاء قيل الجن او جعلوا الجن شركاء لله ويؤيد هذا
المعنى قراءة ابن حبوة وزيد ابن قطيب الجن برفع النون على تقدير
هم الجن جوابا لمن قال من الذي جعلوهم شركاء فقيل لهم
الجن ويكون ذلك على سبيل الاستعظام لما فعلوه والاستفاضة
لمن جعلوه سريكا لله سبحانه وتعالى فعلى قراءة الرفع في الجن
يكون شركاء مفعولا اول وسبحانه وتعالى في موضع المفعول
الثاني اي صيروا واشركاء كائنين لله قال الزمخشري رضي الله
عنه وكذا قال ابن عطية الجن مفعول اول لجعلوا وهو بمعنى
صيروا واشركاء مفعول ثان ولله متعلق بشركاء قال الزمخشري
رضي الله عنه فان قلت فما فائدة التعديم هنا قلت فائدة
الاستعظام ان تجعل اي شريك من كان مذكرا او جنيا او انسيا
فله ذلك قدم اسم الله على الشركاء انتهى اذا اما والجن في قوله
ان يكون الجن بدلا من شركاء وقد مضى الكلام على المفعول الثاني وشركاء هو
المفعول الاول وما اجازه لا يجوز لانه لا يصح للبدل ان يحل محل
المبدل منه فيكون الكلام مستقيما لو قلت وجعلوا لله الجن لم يصح
وشرط البدل ان يكون على نية تكرار العامل على اسم المقول من
او معمول للعامل في المبدل منه على قول وهذا لا يصح هنا البتة
كما ذكرنا والضمير في قوله وخلقهم عائد على الجاعلين اي هم
المحدث عنهم وهي جملة حالية اي وقد خلقهم وانفرد ما يجادلهم
دون من اتخذوه شريكا له وهم الجن فجعلوا من لم يخلقهم
شريكا لخالقهم وهذه غاية الجهالة وخص قوله قرئ هنا
بتخفيف الراء وبتشديدها اي اختلقوا وافتروا وقيل
خلق الافك وحرفه واختلقه واخترقه وافتعله وافتراه
وحرصه اذا كذب فيه قاله الفراء رضي الله عنه واشار بقوله
تبين لي قول اهل الكتابين وهم اليهود والنصارى في المسيح وعزير
وقوله وبنات الى قول قريش في الملائكة سبحانه وتعالى عما
يصفون • بديع السموات والارض خبر مبتدا محذوف تقديره
هو بديع السموات والارض وتقدم تفسيره في سورة البقرة
• اني يكون له ولد اي كيف يكون له ولد وهذه حالة اي ان الولد انما
يكون من الزوجة والتي لا زوجة له قط ولا ولد له وضه بطل الوجه في ثلاثة
اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة
لا يسوغ ان توصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام و مخترع
الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة
لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو تعالى متعال عن مجانسة

فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء
الا وهو خالقه ورازقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان
غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج اليه • ذلكم الله ربكم
لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه اي ذلكم الموصوف بتلك
الصفات السابقة من كونه بديعا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا
خالق الموجودات عالما بكل شيء هو الله بدا بالاسم العلم
ثم قال ربكم اي مالككم والناظر في مصالحكم ثم حصر الالوهية
فيه ثم كرر وصف خلقه كل شيء ثم امر بعبادته لان من اجتمعت
فيه هذه الاوصاف كان جديرا بالعبادة وان يفرد بها فلا يتخذ
معه شريك ثم اخبر ان مع تلك الصفات السابقة التي
منها خلق كل شيء هو المالك لكل شيء من الارزاق والاجال
رقيب على الاعمال • لا تدركه الابصار • اختلف المفسرون في الادراك
في هذه الاية ما هو فقيل الادراك هنا الرؤية وبه قال جماعة من
الصحابة وقيل الادراك هنا هو الاحاطة بالشيء وليس هو بمعنى
الرؤية وهو قول جماعة من الصحابة ايضا • وسياتي الكلام على الرؤية
في سورة الاعراف عند قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام
رب ارني انظر اليك • قد جاءكم بصائر من ربكم هذا وارد على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة
هي نور القلب التي يستبصر بها كما ان البصر نور العين الذي به تبصر
اي جاءكم من الوحي والتنبيه بما يجوز على الله سبحانه وتعالى وما لا يجوز
ما هو للقلوب كالبصائر • فمن ابصر فلنفسه اي فالابصار
لنفسه اي نفعه وثمرته • ومن عمي فعليها اي فالعمى عليها اي
فجدوى العمى عائد على نفسه والابصار والعمى كنايتان عن الهدى
والضلال والمعنى ان ثمرة الهدى والضلال انما هي للمهتدي
والضال لانه تعالى غني عن خلقه وهذه من الكنايات الحسنة
لما ذكر البصائر اعقبها بالابصار والعمى وهذه مطابقة لطيفة
• وكذلك نصرف الايات اي ومثل ما بينا تلك الايات التي هي
بصائر وصرفناها نصرف الايات ونرددها على وجوه كثيرة
• وليقولوا دارست اي اهل مكة حين تقرا عليهم القران • درست
وقرئ دارست يا محمد غيرك في هذه الاشياء اي قراءته وناظرته اشارة
منهم الى سلمان وغيره من الاعاجم واليهود وقرئ درست مبنيا هنا
للفاعل مضمرا فيه اي درست الايات اي ترددت على اسماعهم حتى
بليت وقدمت في نفوسهم وامحت وقرئ درست اي يا محمد في الكتب القديمة
ما تجيئنا به واللام في قوله وليقولوا ولنبينه هي لام كي وقيل هي لام
الصيرورة والمعنى وليقول من كفر ولنبينه لمن علم وامن وتتعلق

الصفات

ان شاء الله تعالى

اللامان

الامان بمحذوف تقديره لتكون كذا ويكون كذا صرفنا الآيات ولا
يخفى ما ذكر المعزول والمشير وفي من ان اللام التي للتعليل هي لام
كي او لام الصيرورة بل الظاهر انها لام الامر والفعل مجزوم بها
للمصوف بالصماد ان وسيوقد قراءة من سكن الراء والمعنى عليه
ممكن كما قد فصل وحمله ولكن نصرف الآيات ولكن قولوا لهم ما يقولون
من كونها درست وتعلمتها او درست في البلية وقدمت
فانه لا يحمل بهم ولا يلتفت الى قولهم وهو امر معناه الوعيد
والتهديد وعدم الاكتراث لهم وبما يقولون في الآيات اي لنصرف
وليدعوا انهم ما شاءوا فلا اكتراث بدعواهم * والخطاب لغيره لعلهم يتعلمون
اي كانه قال كذلك نصرف الامر ان نصرف الآيات واعاد الضمير
مجموعا اقالوا على معنى الآيات لانها للقرآن * اتبع ما اوحي
اليك من ربك لا اله الا هو اعرض عن الشرك فامر تعالى بما يتبع
بتتبع ما اوحي اليه وبان يعرض عن من اشرك والامر بالاعراض
عنهم كان قبل تشديد بالقتال والمتوفى في الدين طوعا او كرها
والجملة بين الامرين اعتراض لا محل له وجوز اتباع الى حي وهو
في موضع الحال المؤكدة * ولو شاء الله ما اشركوا اي ان اشراكهم
ليس في الحقيقة بمشيتهم وانما هي بمشيئة الله عز وجل وظاهر
هذا الا يرد على المعتزلة وسيأتي لهم في مشيئة الشر والكفر
* وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا تحفظهم من ان يشركوا
* وما انت عليهم بوكيل اي بمسلط عليهم والجملتان متقاربتان
في المعنى الا ان الاولى فيها نفي جعل الحفظ منه تعالى عليهم والثانية
فيها نفي الوكالة عليهم والمعنى انا لم نسلطك عليهم ولا انت في ذاتك
بمسلط فما بالك ان تعرض عنهم اذ لست مأمورا بان
تكون حفيظا عليهم ولا انت وكيل على من تلقائك * ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم قال ابن عباس
رضي الله عنهما سببها ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما ان تنهى محمدا
واصحابه عن سب آلهتنا والا سببنا الهه فنزلت وحكم هذه الآية باق في هذه الامة اذا كان الكافر في منعة
وخيف ان سب الاسلام او الرسول عليه الصلاة والسلام او الله عز
وجل فلا يحل لمسلم ذم دين الكافر ولا صنمه ولا صليبه ولا التعرض
لما يؤدي الى ذلك ولما امره تعالى باتباع ما اوحي اليه ونهاه عن
الشرك بين كيف عدل عن خطابه الى خطاب الموحدين فنهوا عن صنيع المشركين
ولم يواجه صلى الله عليه وسلم بالخطاب وان كان هو الذي حاست
الاصنام على لسانه الشريف واصحابه تابعون له في ذلك لما في مواجهته
وحده بالنهي من خطاب ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاخلاق الكريمة

سب ١

اذ لم يكن صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا صخابا ولا سبابا فلذلك جاء الخطاب
للمؤمنين فقيل ولا تسبوا ولم يكن التركيب ولا تسب كما جاء في قوله
واعرض عن المشركين واذا كانت الطاعة تؤدي الى مفسدة خرجت
عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها كما يجب ان ينهى عن المعصية
والذين يدعونهم الاصنام اي يدعوهم المشركون وعبر عن الاصنام
وهي لا تعقل بالذين كما قد يعبر عن العاقل على معاملة من لا
يعقل معاملة من يعقل اذ كانوا انزلوهم منزلة من يعقل في عبادتهم
واعتقادهم فيهم انهم شفعاء لهم عند الله سبحانه وتعالى وقيل يحتمل ان
يراد بالذين يدعون الكفار وظاهر قوله فيسبوا الله عدوا
انهم يقدمون على سب الله عز وجل اذا سبت الهتهم وان كانوا
معترفين بالله عز وجل لكن يحملهم على ذلك انتصارهم لالهتهم
وشدة غيظهم لاجلها فيخرجون عن الاعتدال الى ما ينافي العقل
كما يقع من بعض جهلة المسلمين اذا اشتد غضبه وانحرف
مزاجه فانه قد يتلفظ بما يؤدي الى الكفر اعاذنا الله سبحانه وتعالى
من ذلك كله امين وقوله فيسبوا جواب للنهي في قوله ولا تسبوا
وانتصب باضمار ان بعد الفاء كقوله تعالى لا تفتروا على الله كذبا
فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى وقوله عدوا مصدر
عدى وكذا عدوا وعدوانا بمعنى اعتدى اي ظلم وانتصب على
المصدر او في موضع الحال المؤكدة او على المصدر من غير لفظ بالفعل
فيسبوا يعتدوا على الله ومعنى بغير علم اي على جهالة بما يجب لله
تعالى ان يذكر به وهو بيان لمعنى الاعتداء كذلك زينا لكل
امة عملهم اي مثل تزيين عبادة الاصنام للمشركين زينا لكل امة
عملهم وظاهر قوله لكل امة عملهم العموم في الامم وفي العمل فيدخل
فيه المؤمنون والكافرون وتزيينه هو ما يخلقه ويخترعه في النفوس
من المحبة للخيرات للشر والاتباع لطرقه وتزيين الشيطان هو
ما يقذفه في النفوس من الوسوسة وخطرات السوء ثم الى ربهم
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية
اي مقترحة نحو قولهم تجعل الصفا ذهبا فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليدعو فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له يا محمد
ان شئت اصبح ذهبا فان لم يؤمنوا هلكوا عن آخرهم معاجلة لهم
بالعقوبة كما قد فعل بالامم الماضية اذ لم يؤمنوا بالايات المقترحة
وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال عليه الصلاة والسلام
بل حتى يتوب تائبهم وانما اقترحوا اية معينة لانهم شكوا في القرآن
ولهذا قالوا دارست اي العلماء وباحث اهل التوراة والانجيل
وكابر اكثرهم وعاند والمعنى انهم حلفوا غاية حلفهم وسمي الحلف

ما يخلقه

قسما

فسمّاها لانه يكون عند انقسام الناس الى الصدق والكذب
وكان اقسامهم بالله غالبًا في الحلف وكانوا يقسمون بآبائهم وبما
فاذا كان الامر عظيمًا اقسموا بالله عز وجل والحمد بفتح الحاء
المهملة قد تضمها الطاء وبعضهم يجعلها بمعنى واحد انتصبا
وانتصب حقه على المصدر المنصوب بافعلوا اي اقسموا
اقساما تحلفون بالاعتداد بها بمعنى الاقسام ولمن جاءتهم
اجازتهم لان حكاية لقولهم اذ حكي قولهم كان لمن جاءتهم
انه ويتعامل الاخبار عن القسم معاملة حكاية القسم بلفظ
ما نطق القسم به وانه لا يراد به مطلق اتيانه اذ قد جاءتهم آيات
كثيرة ولكنهم اراد واتيانه مقترحة كما ذكروه • قل انما الآيات
عند الله هذا امر بالرد عليهم وان يجيبهم الآيات ليست لي انما ذلك
لله تعالى وهو القادر عليها ومنزلها على وجه المصلحة كيف يشاء
بحكمته ولست عندي فتقترحوني على شيء من ذلك جواب
القسم • وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون واما الخطاب فقيل
هو للمؤمنين وقيل للخاطبين بالمؤمنين وقرئ لا يؤمنون بتاء الخطاب
وقرئ بها على ان الجملة اخبر بها الله تعالى عنهم انهم لا يؤمنون البتة
على التقدير الاول تم الكلام وقوله وما يشعركم اعتراض
بين الفعل ومتعلقه وما يشعركم مخاطب ايها المؤمنون
فان كان الخطاب للكفار كان التقدير وما يشعركم ايها المؤمنون
ما يكون منهم ثم استأنف اخبارا للمؤمنين بعلة ذلك انهم لا يؤمنون
وقرئ بكسر الهمزة والمناسب ان تكون الخطاب للكفار لكن في
هذه القراءة كما قيل قلق وما يدريكم ايها الكفار ما يكون منكم
ثم اخبرهم على جهة الجزم انهم لا يؤمنون على تقدير مجيئها
• ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة الآية
الظاهر انها جملة مستأنفة اخبر سبحانه وتعالى ان من فعل بهم
ذلك وهي اشارة الى الحيرة والتردد وقرئ وتقلب بالتاء على
اي عن وجه الحق لا خلل والمعنى انه تعالى يحول بينهم وبين الهدى
ويزيدهم في الضلال والكفر وكما للتعليل اي نفعل بهم ذلك
لكونهم لم يؤمنوا اول وقت جاءهم فيه هدى ونور وحق كما قال
فنذرك وتعالى واما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجسا الى رجسهم
وماتوا وهم كافرون وقيل كذلك هذا الختم اهز الآية قوله ونذرهم
في طغيانهم يعمهون اي نتركهم في تمردهم في الشر والافراط فيه نتحيرهم
وهذا كله اخبار من الله سبحانه وتعالى بفعله بهم في الدنيا

اذكا في التعليل لا للتشبيه وما مصدرية والمعنى انه تعالى يقلبهم
حاذركلتهم لم يؤمنوا به اي بالقرآن اول وقت خاطرهم اذكان ذلك
تتبعني المبادرة الى الايمان به وتذرهم اي يتركهم في طغيانهم
يعمهون اي يتحيرون ولو انا نزلنا اليهم الملائكة الآية اي
لو اتيناهم بالآيات التي اقترحوها من انزال الملائكة في قولهم لولا انزل
عليه ملك وتكليم الموتى اياهم في قولهم فاتوا بآبائنا ان كنتم
صادقين وفي قولهم احيي لنا قصي بن كلاب وجدعان اما عطفوا
وهما اثنيا العرب والوسط ان ضم وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
اي عليهم كل شيء من الاسناخ والدواب والطيور وشهادتهم تصديق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجواب لو محذوف اي لما كانوا ليؤمنوا وقبلا
الحمزة رضي الله عنه لما كانوا قال وحذفت اللام وهي مرادة انتهى
وليس بجيد لان السبق بما اذا وقع جوابا للوحا باكثر في لسان
العرب ان لا تدخل اللام على ما وقد دخولها على ما لا تقول
ان اللام حذفت مع لما دخولها عليها مشبهها للمنفي بما
بالموجب الا ترى انه اذا كان السبق بقد لم فانها لم قد دخل
اللام على ذلك فدل على ان قبل السبق ان لا تدخل عليه اللام واللام
في ليؤمنوا هي لام الجحود التي نعت كون ما مضى منفيا وضرورة ان محذوف
تقديره ما كانوا هذا الايمان لاذن ان مقدرة بعد اللام ف
فليستبك منها ما بعدها مصدر والكشاف حذف وخبر
كان في هذا الترتيب وقد جاء مثله في قول الشاعر مشوف
ولم تكن اهلا للتسول وقوله الا ان يشاء الله هو استثناء
متصل من محذوف في موضع نصب اي ما كانوا ليؤمنوا
لشيء من الاشياء الا لمشيئة الله تعالى والظاهر ان الضمير في
اكثرهم عائد على ما عاد عليه الضمير قبل وهم الكفار وانما كان
اكثرهم لان منهم من هو لاء الكفار من شاء الله تعالى ايمانه فامن وصدق
ومعنى يجهلون اي الحق الذي جئت به من عند الله عز وجل وهو القرآن
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا الآية المعنى مثل جعل هؤلاء الكفار
المقترحين الآيات وعنادهم اعداء لك جعلنا لمن قبلك من الانبياء
اعداء شياطين الانس والجن اي متمردين الصنفين يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غرورا اي يلقي تحسينه بعضهم الى بعض اي بعض
الصنف الجني الى بعض الصنف الانسي او يوحي شياطين الجن الى
شياطين الانس زخرف القول اي محسنه ومن ثم يأتي الاباطيل
ليغروهم ويحملوهم على ما يموهون انهم على شيء وليسوا كذلك ولو شاء
ربك خلاف ما ذكر من الوحي الى بعضهم الى بعض زخرف القول وتمم هذا الخذل الا يمان
وفي هذه الآية اكرم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتأنيس

وناس ممن تقدمهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانك
لست منهم ببعيد او من غابر منك ببعيد شبهه بمن كان وذلك
من الانبياء اذي عاداهم مع امهم واسنت عزورا على انه مفعول
من اجله للعزور او هو مصدر في موضع الحال اي عادين لغيهم
والناصب لهما اوحى • ولو شاء ربك ما فعلوه الضمير المصوت
حوفوا ان يكون عائدا الى العداوة المفهومة من عدو او
الى الايحاء المفهوم من اوحى او على الزخرف او على القول او على
الغرور واحدها خمسة • فذرهم وما يفترون ومن ذلك
وهذه الاية تتضمن الوعد والوعيد وقال قتادة رضي
الله عنه كل كلمة ذكرت في كتاب الله سبحانه وتعالى فهو منسوخ
بالقتال وما سمعت النبي ذكر عاهدها محذوف تقديره
تتركه وشانه او مضروب عنه بتقدير وافتراقهم ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة اي ولتميل اليه والتصغية
هنا تعود على ما عاد عليه في فعلوه • وليرضوه وليقترفوا
ما هم مقترفون اي وليكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام
واللام هنا هي لام كي وهي معطوفة على لو لم غرورا والمعنى
معناه للغرور وهي متعلقة بوحي وتضمن غرورا الاجتماع
شروط النصب فيه وغرورا نوحي اليه هذا اذا اللام لغوت
شرط اصريح المصدرية واختلف اذا هنا على ان فاعل يوحي هو
بعضهم فاعل بصفي هو افتراه وترتيب هذه المفاعيل ذكر
في غاية الفصاحة لانه او لا كون الخداع فكون المخدوع
فكون الرضا فكون فعلك ان قترافوا فكان كل واحد
سببا عما يكون قبله • ارضخ الله اسنخك قال مشركوا
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك
حكما من احبار اليهود وان شئت من اساقفة النصارى ليخبرنا
عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت تلك الاية والفاء في
افغير للعطف فرتبتها قبل الهمزة فقدمت الهمزة لان
الاستفهام له صدر وان كلامك هذا قدمت على الواو في قوله اولم
يروا على ثم في قوله تعالى ثم اذا ما وقع امنتم به وهذا
استفهام معناه النفي اي لا ابتغي حكما غير الله سبحانه وتعالى لانه
والحكم ابلغ من الكلام لانه من عرف معنى الحكم مرة بعد احدى
والحاكم اسم فاعل يصدق على الواحد وحوزوا في اخر ب
غير ان يكون مفعولا اي ابتغي وحكما حال وكساء واجاز
الحوفي وابن عطية ان ينتصب على التمييز وغير كتولهم ان لنا غيرها الا له

* وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا وهذه الجملة قد تكون في موضع
الحال وقوله مفصلا اي موضحا فيه الاحكام من الامر والنهي والحلال
والحرام والواجب والمندوب والضلال والهدى * والذين اتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك فلا تكن اي اتيناهم علم التوراة ولا تجد
والي يوزو الصحف والمراد علماء اهل الكتاب وهذه الجملة تكون في
استيناف او تتضمن معنى الاستشهاد بمن يعي اهل الكتاب وكذا
تتضمن في ذم الطعن على مشركيهم وحسدهم * فلا تكونن من الممترين
هذا خطاب للسامع الذي يمكن ان يجوز فيه الامتراء لا للنبي صلى الله
عليه وسلم * وتمت كلمات ربك هو القرآن وكل ما اخبر به من امر
وتهي ووعد ووعيد انتصب صدقا وعدلا على انهما مصدران
في موضع الحال وقيل تمييز قوله تعالى وتمت يعني قد استمرت لا اوكان
فيها نقص فكملت كما قال وتم حمزة على اسلامه اي استمر
* وان تطع اكثر من في الارض اي دانوا في امر دينهم بما هم عليه من عبادة
غير الله عز وجل وشرع مشركو مكة في مخاصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
او ذاك كما قال او الارض هنا هي الدنيا * قال ابن مسعود رضي الله عنه
يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن اي لشيوا احتمن في
عبادتهم لا علم ولا قياس يقوم لهم احكم الله عز وجل * وان هم الا يخرصون
اي يقدرون ويحدسون وهذا كالدليل لما قبله * ان ربك هو
اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين لما ذكر تعالى يضلون عن سبيل
الله اخبر بانه اعلم بالضالين بالضلال وبالضلال وبالمهتدي والمعنى
انك انما اعلم بهم وبكفرهم انهم الضالون وانت المهتدي ومن قال
اي في موضع جر على اسقاط حرف الجر وافضاء علم وهذا الذي يجيد
لان مثل هذا لا يجوز الا في الشعر ضرورة وقال ابو الفتح في موضع نصب
بأعلم بعد حذف حرف الجر وهذا ليس بجيد لان افعل التفضيل
لا يعمل النصب في المفعول به وقال ابو علي في موضع نصب بمحذوف دل
الفعل اي وقد يكون بفعل محذوف اي يعلم من يضل ودل عليه
اعلم ومثله يا اسفا اي يطرف القوائس وهي اداة ذاك موصولة وصلتها يضل
* وهو اعلم بالمهتدين * فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ذكر ان السبب في نزولها
انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل الشاة التي مات قال
الله عز وجل قالوا افترعم ان ما قتلت انت واصحابك بما قتله
الصقر احل مما قتله الله حرام فنزلت هذه الآية ولما
تضمنت الآية ليقتلها الانكار على اتباع الضالين الذين يحلون الحرام
ويحرمون الحلال وكانوا يسمون في كل ما يذبح مما لم يجر اسم الله عليه امر المؤمنين

ما لم يسم عليه ذكر اسم الله تعالى لا عبرة بما يهتمه ان كنتم
مؤمنين على تعالى اكل ما سمي الله عليه ذكاة بالايمان بما تقول
اطيعني ان كنتم ولدي اي ان كنتم مؤمنين فلا تخالفوا امر
الله عز وجل وهو حث على اكل ما اكل وترك ما حرم انتهى
• وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اي واي غرض لكم في الاباحة متاع
من اكل فاذكر اسم الله عليه وهو استفهام بمعنى التعجب والانكار على من
قد امتنع من ذلك اي اي شيء ثبت في ذلك وقد فصل
لكم ما حرم عليكم اي في هذه السورة وغيرها الا ما اضطررتم
اليه مما نقتل
فصل راجعا الى تفصيل البعض والمائدة اما آخرها في النزول
عن هذه السورة والجملة من قوله وقد فصل في موضع الحال
وقرئ فصل وحرم مبنيا للفاعل والمفعول • الا ما اضطررتم
اليه استثناء من قوله ما حرم عليكم • وان كثيرا ليضلون
باهوائهم بغير علم اي وان كثيرا من الكفار المجادلين في المطاعم
وغيرها ليضلون غيرهم بالتحليل والتحريم بما تهوى انفسهم وتشتهيه
بغير علم لهم بشيء مشروع من الله عز وجل بل بمجرد اهوائهم
كعمرو بن لحي ومن دونه من المشركين كما في الحديث ان صاحبكم
لجنمي قد بدل دين اسمعيل فعبد الاوثان وحلس ان زيدا الخير يعني
الذين اتخذوا التجارة والسوائب • ان ربك هو اعلم بالمعتدين •
وذروا ظاهر الاثم وباطنه الامر بالاجتناب عن جميع المعاصي لما عقب
عليهم في ترك اكل ما لم يسم الله عليه امر وارتكاب الاثم حافعل
منه ظاهرا وباطنا اي وما فعل في خفية فكانه قال اتركوا
المعاصي ظاهرها وباطنها قاله ابو العالية وعنه • ان الذين
يكسبون الاثم اي في الدنيا سيجزون في الاخرة بما كانوا يقترفون
وعد او عيد وتهديد للمصاة • ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
الاية لما امر باكل ما سمي الله عليه وكان مفهومه انه لا يباح اكل
مما لم يذكر اسم الله عليه اكد هذا المفهوم بالنص عليه والظاهر
تحريم اكل ما لم يذكر اسم الله عليه عمدا كان ترك التسمية اوفي
نسيانا وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة كثيرون ارضاوروي
عن ابي الدرداء وعبادة ابن الصامت رضي الله عنهما وكذا روي مثل
ذلك عن جماعة من التابعين انها منسوخة بقوله تعالى وطعام الذين
اوتوا الكتاب حل لكم وذبائح اهل الكتاب وان لم يذكروا اسم
الله عليها ولا يسمي وذلك مما لا هو مخصص وروي عن علي
وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم ان الاية محكمة ولا يجوز لنا ان
ناكل من ذبائحهم الا ما ذكر اسم الله تعالى عليه والضمير في انه عائد الى ما مصدرية الا عليه تاكيد في امر

اي وان الاكل مما لم يذكر اسم الله عليه لفسق اي لمعصية وهذه
الجملة لا موضع لها من الاعراب وتضمنت معنى التعليل فكانه
قيل لفسقه وان الشياطين عام في شياطين الانس والجن كما في
اول الحزب عدوا شياطين الانس والجن ليوحون اي ليلقون في خفاء
ووسوسة بالتمويه والتلبيس الى اوليائهم يعني من الانس ككفار
قريش وغيرهم ليجادلوكم عليه للاحتجاج وان اطعتموهم هذا
اخبار ان ما صدر من جدال الكفار للمومنين ومنازعتهم انما
هو من الشياطين يوسوسون لهم به ولذلك ختم بقوله وان اطعتموهم
انكم لمشركون لان طاعتهم وذلك اشراك وزعم الحوفي انه على حذف
مضاف في الثاني اي فانكم لمشركون وهذا الحذف قد يكون من
الضرورات ولا يكون في القرآن وانما الجواب محذوف وقوله انكم
لمشركون جواب قسم محذوف التقدير والله ان اطعتموهم
وكقوله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم واكثر ما يستعمل هذا التركيب بتقديم اللام المؤذنة بالقسم
المحذوف على ان الشرطية كقوله تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم
وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه او من كان ميتا فاحييناه
الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حمزة وابي جهل رمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر بذلك حمزة رضي الله عنه
حين رجع من قنصه وبيده قوس وكان لم يسلم فغضب فعلا بها
ابا جهل وهو يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا
وخالف آباءنا فقال له حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة
من دون الله تعالى ثم اسلم من يومه ذلك ولما تقدم ذكر المومنين
والكافرين مثل تعالى فيهما بان شبه المومن بعد ان كان كافرا
بالحي المجعول له نور يتصرف به كيف يشاء والكافر بالمختبط
في الظلمات المستقر فيها دائما ليظهر الفرق بين الفريقين
والموت والحياة والنور والظلمة مجاز فالظلمة مجاز عن
الكفر والحياة مجاز عن الايمان والموت مجاز عن الكفر والجملة
من قوله او من معطوفة على ما قبلها والاصل تقديم واو
العطف وانما قدمت الهمزة لان الاستفهام له صدر الكلام
وكان الاصل وامن ومن مبتدا موصول بمعنى الذي وكان
متاصلته ولما ذكر صفة الاحسان الى العبد المومن نسب ذلك اليه
فقال فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وفي صفة
الكافر لم ينسبها الى نفسه بل قال كمن مثله في الظلمات ليس بخارج
منها وكمن في موضع خبر من المتقدمة الذكر ومن في كمن موصولة
ومثله في الظلمات من مبتدا وخبر صلة لمن ومثله معناه صفته

وعبر بها

فانما

الضرائر

اي قبل هذه القصة

وعبر بها عن الذات كما مر قيل لكن هو في الظلمات وفي الناس اي سائر
الى سوء في نفسه على غير من الناس فذكر ان منفعة المؤمن
ليست مقتصرة على نفسه وقابل بصره بالنور وملازمة النور له
وباستقرار الكافر في الظلمات وكونه لا ينفارقها واكد ذلك
بدخول الباء في خبر ليس وكذلك الكافرين ما كانوا يعملون
الاشارة بذلك الى احباط اعمالهم اي كما احبطنا اعمال المؤمنين زين
للكافرين ما كانوا يعملون فقابل التي بصدة اي بمثله وكذلك
جعلنا اي مثل ذلك الجعل جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا
فيها اي جعلنا ذلك في كل قرية وتضمن ذلك فساد حال الكفرة
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ حالهم من بعثهم من
نظرائهم الكفار وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولها الاول اكابر
مجرميها وفي كل مرة المفعول الثاني واكابر على هذا مضاف الى
قوله مجرميها واجاز ابو البقاء ان يكون مجرميها بدلا
من اكابر واجاز ابن عطية ان يكون اكابر مجرميها المفعول
الاول واكابر المضاف الثاني والى قوله
مجرميها ولكن ما اجاز ابو البقاء هنا هو خطأ وهو على قاعدة النحو
وهو ان فاعل التفضيل اذا كان من ملفوظها افعل مقدرا
مضافا الى نكرة جاز ان يكون مفردا مذكرا ابدا سواء كان
المذكر لمؤنث مفردا او مثنى او مجموعا فالالف او الواو او ياء
جمع طابقت ما هو له في ذلك وكذلك احد من اما الالف واللا
او الاضافة لمعرفة واذا تقرر هذا فالقول بان مجرميها بدل
من اكابر او ان مجرميها مفعول اول خطأ لالتزامه ان يبقى
الكافر مجموعا وليس فيه الف ولام ولا هو مضاف الى معرفة
وقد ذكر انه لا يجوز الحاق الهاء في مجرميها تاء تأنيث على قوله فلا يكون تقدم
اكابر مجرميها على قوله في كل قرية ولام ليمكروا واللام في ليمكروا قد
تكون متعلقة بجعلنا وحذف الممكور به للعلم به وما يمكرون
الا بانفسهم وما يشعرون ان وبال مكرهم عليهم ولا تغفل
نفي شعورهم على الاطلاق وهو مبالغة في نفي العلم او نفي عنهم
الشعور الذي هو كالك للبهائم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى
نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنه رواه ابن
ابي حاتم قال كان الوليد بن المغيرة قال لو كان ما يقول محمد حقا لكنت اولى به منه
لاني اكبر منه سنا واكثر منه مالا فقد روي ان ابا جهل قال زاحمنا
بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا
وحي كما ياتيه فنزلت تلك الآية وهي قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسا
لانه

والصبر في حاجتهم عاجز على الاكابر وتغييظ اء بما هم بقولهم حتى
تؤتى مثل ما اوتي رسل الله دليل على تحكمهم في دعواهم واستبعاد
منهم ان الايمان لا يتبع منهم لتشاور علقوم بمستحيل عندهم
وقولهم رسل الله ليس فيه اقرار بما رسل من اجله ذلك وانما قالوا
ذلك على سبيل التهكم والاستهزاء بالرسل ولو كانوا مؤمنين وغير
معاندين لاستحوا رسل الله عز وجل والملئكة كيف يحركن على يديهم
المعجزات فيجيبهم الى ما اقترحوا وتنقلب لهم البحيرة ويحيى ذلك كما حرت
على ايدي الرسل عليهم اجمعين الصلاة والسلام والله اعلم حيث
يجعل رسالاته هذا استئناف انكار عليهم وانه سبحانه وتعالى
لا يصطفي للرسالة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالجهة
التي يضعها فيها وقد وضعها في من اختاره لها وهو رسوله
المصطفى صلى الله عليه وسلم دون اكابر مكة كابي جهل وابي ابن
الحارث وبحوهما وقالوا حيث لم يمكن ان ارسل على الظرفية فيكون
مفعولا به على السعة ولا يعمل فيه اعلم لانه اذا فعل التفضيل
لا ينصب المفعول به فاحتاجوا الى اضمار فعل يفسره اعلم تقديره
يعلم حيث هكذا قال الحوفي وانت بريء وان عصبة دعى الله بها
وكذا شنعهم ابو البقاء رحمه الله عنه وما اكثر وهمي انه مفعول به على
السعة او مفعول به على غير السعة تاباه قواعد النحو لان النحاة
قد نصوا على ان حيث من الظروف التي لا تتصرف وتلزم اضافة
لذي الجملة وحرها ما كاذ وعسى ونصوا على ان الظروف التي يتوسع
فيها تكون متصرفة اذا كان الامر كذلك امتنع حيث
ان تنصب على المفعول به لا على السعة ولا على غيرها والذي
يظهر لي اقتران حيث على الظرفية المجازية على ان يضمن
اعلم معنى ما يتعدى الى الظرف فيكون التقدير الله اعلم
حيث يجعل رسالاته اي يهتدي اعلم في الموضع الذي
يجعل فيه رسالته والظرفية هنا مجاز كما قلنا سيصيب هؤلاء
وعند شديد والذين اجرموا عار في الاكابر وغيرهم كما تقدم
والصغار مقابل الاكابر وهو الهوان والذل يقال منه صغر
يصغر وصغر يصغر واسم الفاعل صاغر وصغير لقد اصابهم
اي في عرصة القيامة وقدم الصغار على العذاب لانهم تمردوا
عن اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وتكبروا طلبا للعز والكرامة
فقوبلوا اولا بالهوان والذل بما كانوا يمكرون الآية هذا الشدة وهم
هذه الامة بقوله يمكرون مراعاة لقوله ليمكروا فيها ومن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام قال مقاتل نزلت في رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي ابي جهل والهداية هنا مقابلة الضلال

والشرح

والشرح كناية عن جعله قابلا للاسلام متسعا لقبول
تكاليفه والضمير في يجعل عائد على الله سبحانه وتعالى ومعنى
يجعل اي يصير لان الانسان يخلق اولا على الفطرة وهي
كونه مهيأ لما يلقى اليه ولما يجعل فيه فاذا اراد الله تعالى
اضلاله وجعله لا يقبل الايمان وقرئ ضيقا حذف التاء
التي هي عين الكلمة اذ وزنه قبل الحذف فيعل وبعد الحذف
فيع كقولهم لين ولين وحرجا اسم فاعل من حرج يحرج
فهو حرج ومن قرأ حرجا فهو وصف بالمصدر • كانما يصعد
في السماء هذه الجملة التشبيهية معناها انه كما يزاول امرا
غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يقصد ويمنع من الا
الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة وقرئ يصاعد
ويصعد ويصعد • كذلك يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون الاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من قوله يجعل
والرجس بمعنى العذاب قاله اهل اللغة وتعديته بجعل
بعلى يحتمل ان يكون معناها يلقى كما تقول جعلت متاعك
بعضه فوق بعض وان يكون بمعنى يصير وعلى هي قد
تكون في موضع المفعول الثاني • وهذا صراط ربك مستقيما
الاشارة بقوله وهذا الى القرآن والشرع الذي جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس رضي الله عنهما وانتصب هنا
مستقيما على انه حال مؤكدة لعاملها لان صراطه سبحانه وتعالى لا
لا يكون الا مستقيما • قد فصلنا الآيات اي بيناها ولم نترك
فيها اجمالا ولا التباسا • لقوم يذكرون اي يتدبرون
بعقولهم • لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون • اي
لهم الجنة وسميت دار السلام لكثرة سلام الملائكة عليهم والسلام هو
من اسماء الله عز وجل كما قد قيل في الكعبة هي بيت الله
واضيفت اليه تشريفا قاله ابن عباس وقتادة وعكرمة
ومعنى عند ربهم اي في نزله وضيافته كما تقول نحن اليوم
عند فلان اي في كرامته وضيافته وهو وليهم اي هو
مواليهم او ناصرهم على اعدائهم او متوليهم بالجزاء على اعمالهم
بما كانوا يعملون • ويوم نحشرهم جميعا اعرب بعضهم يوم هنا
مفعول باذكر محذوفة والاولى ان يكون الظرف معمولا لفعل
القول المحكي به النداء اي ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن
وهو اولى مما اجاز بعضهم من نصبه باذكر مفعولا به لخروجه عن
الظرفية قال الزمخشري رضي الله عنه ويوم نحشرهم منصوبا
بفعل مضمر غير فعل القول واذكر تقديره عندهم اي اذكر يوم نحشرهم

قاله ابن عباس رضي الله عنهما ويوم نحشرهم جميعا اعرب مفعوله يوم مفعول
باذكر محذوفة والاولى ان يكون الظرف معمولا لفعل القول المحكي
الذي هو اي ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن وهو اولى مما اجاز
بعضهم من نصبه باذكر مفعولا به لجزوجه عن الظرفية واذا زنجاري
رضي الله عنه ويوم نحشرهم منصوب بفعل مضمر غير بعد القول
واذكر يقدر عند ابن هشام ويوم نحشرهم فنقول يا معشر الجن كان
مما لا يوصف انقطاع عنه انتهى وما ذكره يستلزم حذف جملتين
جملة وقلنا وجملة الحامل وهو ان يكون يا معشر في موضع
الحال بفعل محذوف تقديره وقلنا ذلك على سبيل التوبيخ لهم
ويكون قوله وقال اولياؤهم ما تقدم ما كنتم ايانا تعبدون
تقولهم ربنا على سبيل الاشعار والحامل في يوم وقال
اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا قال النار مثواكم وادعاؤهم في قوله لحشرهم عائد على
الثقلين وجمعها هنا لتوكيد وتعني الانس كثارهنا اضلوا
اضلالهم منهم كثيرا وجعلهم اتباعهم كما تقول استكثر فلان
من الجنود واستكثر فلان من الاشياع فقال اولياؤهم من
الانس ربنا استمتع اي انتفع بعضنا ببعض وانتفاع
الانس بالشياطين هو حيث دلوهم على الشهوات وعلى التوصل
اليها وانتفاع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على
مرادهم في اغوائهم وما اطلق من انه مفعول به على السعة
او يقدر على غير السعة باتساع قواعد النحو لان النحاة قد نصوا على ان
حتى من الظروف التي لا تتصرف وهذا اضافة لدى اليها وجرها بالفتحة
وبقي ونصوا على ان الظرف التي يتوسع فيه لكونه الامتضمنا
او اضافة الا ذلك اي يتوسع نصبه حيث على المفعول به لا على السعة
وعلى غيرها والذي يظهر لي قياسا ان حيث على الظرفية المجازية فتكون
التقدير كما قلنا والضمير في يجمعهم عائد على الله عز وجل واذ قدت
مستقبلا على انه حكاية حال مولده كان حقه تعالى لا يكون الا مستقبلا وقوله
عز وجل قد فصلنا الآيات اي بيناها ولم نتركها اي ولم نترك فيها اجمالا او لا
التباسا لقوم يذكرون اي يتدبرون بعقولهم لهم دار السلام عند ربهم الجنة
والسلام من اسماء الله تعالى كما قدمنا في الكعبة بيت الله واضيفت اليه تشريفا
قاله ابن عباس رضي الله عنهما وهو عند ربهم اي في نزلهم وضيافته عز وجل كما تقول لك
نحن اليوم عندك اي في كرامتك وضيافتك وتولاهم اي متولي امورهم
او ناصرهم على اعدائهم او متولي جزائهم على اعمالهم ويوم نحشرهم جميعا اعرب
بعضهم يوم مفعول باذكر محذوفة والاولى ان يكون الظرف معمولا لفعل

القول المحكي

القول المحكي به النداء اي ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن وهو اولى
مما اجاز بعضهم من نصبه باذكر مفعولا به لخروجه عن الظرفية قال الزمخشري
رضي الله عنه ويوم نحشرهم منصوبا بفعل مضمر غير فعل القول واذكر
تقدير عندهم ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف
لفظاعته انتهى وما ذكره يستلزم حذف جملتين جملة وقلنا
وجملة العامل ويجوز ان يكون يا معشر في موضع الحال بفعل
محذوف تقديره قائلين على سبيل التوبيخ لهم ويكون قوله
وقال اولياؤهم مقولهم ربنا على سبيل الاستعذار والعامل
في يوم قال النار مثواكم والضمير في نحشرهم عائد على الثقلين
وجميعا لتوكيد ومعنى الاستكثار هنا اضلالهم منهم كثيرا
وجعلهم اتباعهم كما تقول استكثر فلان من الجنود واستكثر
فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس اي وقال
اولياء الجن من الانس اي الكفار من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض اي انتفع بعضنا ببعض وانتفاع الانس بالشياطين
حيث دلوهم على الشهوات وعلى التوصلات اليها وانتفاع الجن
بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم في اغوائهم
روي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما والاجل الذي بلغوه هو
الموت قال النار مثواكم اي مكان ثوائكم اي مكان اقامتكم
قال ابو علي رضي الله تعالى عنه هو عندي مصدر لا موضع وذلك
لعمله في الحال التي هي خالدين فيها والموضع ليس فيه معنى
فعل فيكون عاملا والتقدير النار ذات ثوائكم الا ما شاء
الله اضطربت اقوال المفسرين في هذا الاستثناء ولا اراه يصح
منها شيء ونظيره الاستثناء الذي في سورة هود عليه الصلاة
والسلام وسيأتي الكلام عليه هناك ان شاء الله تعالى ان ربك
حكيم عليم هذه صفتان مناسبتان لهذه الآية لان
تخليد هؤلاء الكفرة في النار صادر عن حكمته وعلمه وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون لما ذكر سبحانه
وتعالى انه ولي المؤمنين بمعنى انه يحفظهم وينصرهم
بين ان الكافرين بعضهم اولياء بعض في الظلم والخزي
وقد قال قتادة رضي الله عنه يجعل بعضهم ولي بعض في الكفر
والظلم يريد ما تقدم من ذكر الجن والانس واستمتاع
بعضهم ببعض يا معشر الجن والانس هذا النداء ايضا يوم
القيامة والاستفهام هنا للتوبيخ والتقريع حيث اعذر
الله اليهم بارسال الرسل فلم يقبلوا منهم والظاهر ان من الجن
رسلا اليهم كما ان من الانس رسلا اليهم بعث الله رسولا واحدا من الجن

اليهم

وقيل رسل الجن هم رسل الانس فهم رسل الله بواسطة إذ هم رسل رسله
وبوحيه قوله تعالى ولوا إلى قومهم منذرين قال ابن عباس رضي الله عنهما
قالوا اشهدنا على انفسنا بظاهر ان هذه حكاية لتصديقهم ولجابتهم
قوله الم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار
فكان تقريرا لهم ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم الاية الاشارة
بذلك الى قرب مذكور ذاك على ان الكلام وهو اتيان الرسل قد انقضى الا انه
وعذرين بالحجة والحساب والحق ان سبب انشاء اهلاك القرى تقديم
اهلها لم يتبعوا حجة الرسل اليهم قال ابن عباس رضي الله عنهما جزاء موسى
الجن احارتهم من النار وقال ابو حنيفة رضي الله عنه لتيسر الجواب
لان الثواب فضل من الله فلا يقال فيه لم الا بيان من الله عز وجل
ولم يذكر الله تعالى في حقهم الا عقوبة عاصيهم لا ثواب طائعهم والحكمة
في ذلك صاحباه ابو يوسف ومحمد فقالا لم يثب وعفا اي لم يثب
على الطاعات وعفا على المعاصي وذلك عموما الكفار واستدلوا على
على انفسنا بظاهر ان هذه حكاية لتصديقهم ولجابتهم قوله الم يأتكم لان الهمزة
الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم ذلك ان لم يكن ربك
انفسنا بيان ان الرسل انبياء انذارهم اياهم هذا اليوم وهذه الجملة ماتت
بذاتها وقد صرح بها في قوله قالوا بلى اقول وابان حجة الله تعالى ارسله لهم وانهم
مخبرون بها وغرتهم الحياة الدنيا هذا اخبار عنهم من الله عز وجل وتنبيه على السبب الموجب
لكفرهم وافصاح لهم بادم الى حتفهم الذي تلوا لخداع قال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية
لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتحطئة لرأيهم
ووصف لقلة نظرهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا والشهوات الحاضرة وكانت
وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
لربهم وتسجيل عذابه وانما لا ادرك تحذير السامعين مثل حالهم
انتهى لم تتكرر الشهادة لاختلاف المخبر ومتعلقها اذ الاولى حذارهم عن
انفسهم والثانية اخباره تعالى عنهم والاولى متعلقها الاقرار باشتداد كفرهم
الثانية قاصرة وهذه متعدية والثانية اخباره تعالى عنهم انهم شهدوا على
انفسهم بالكفر بقولهم استدرجني في الاية فهذه الشهادة غير الاولى

ذلك ان لم

• ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم الاية الاشارة بذلك
الى اقرب مذكور دل عليه الكلام وهو اتيان الرسل قاصين الايات
ومنذرين بالحشر والحساب والجزاء بسبب انتفاء اهلاك القرى
بظلم واهلها لم ينتهوا ببعثة الرسل اليهم والاعذار اليهم وكذا
يتقدم الاخبار بما يحل بهم اذا لم يتبعوا الرسل وقد ورد
في الحديث ايضا ليس احد احب اليه العذر من الله عز وجل
فمن اجل ذلك انزل الكتب وارسل الرسل ولكل درجات مما عملوا
اي ولكل من المكلفين مؤمنهم وكافرهم درجات متفاوتة
من جزاء اعمالهم وتفاوتها بنسبة بعضهم الى بعض وبنسبة
عمل كل عامل فيكون هو في درجة فيترقى الى اخرى كاملة
ثم الى اكمل منها والظاهر اندراج الجن في العموم في الجزاء كما اندرجوا
في التكليف وفي ارسال الرسل اليهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما جزاء مؤمني الجن اجارتهم من النار وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه ليس للجن ثواب لان الثواب فضل من الله
عز وجل فلا يقال لهم به الا ببيان من الله عز وجل ولم
يذكر الله تعالى في حقهم الا عقوبة عاصيهم لا ثواب طائعهم
وخالفاه صاحباه ابو يوسف ومحمد رضي الله عنهما فقالا لهم
ثواب على الطاعات وعقوبة اي عقاب على المعاصي ودليلهما
عمومات الكتاب والسنة • وما ربك بغافل عما يعملون اي
ليس بساه تخفى عليه مقادير الاعمال وما يترتب عليها من الاجور
وفي ذلك تهديد ووعيد شديد • وربك الغني ذو الرحمة
لما ذكر سبحانه وتعالى من اطاع ومن عصى والثواب والعقاب
ذكر انه هو الغني من جميع الجهات لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية
• ان يشأ يذهبكم هذا فيه اظهار القدرة التامة والغنى المطلق
والخطاب هنا عام للخلق كلهم كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم
ايها الناس ويأت بآخرين فالمعنى ان يشأ اخفى هذا العالم
واستخلاف ما يشاء من الخلق غيرهم فعل وكما انشأكم هو في موضع
مصدر على غير المصدر لقوله ويستخلف ومعناه وينشئ والمعنى
ان يشأ الاذهاب والاستخلاف محذوف بمشيئته تعالى ومن
هي لابتداء الغاية • وما ذلك على الله بعزيز انما توعدون لآت ظاهر
ما العموم في كل ما توعدونه والاشارة الى هذا الوعيد المتقدم خصوصا
واما ان تكون للعموم مطلقا • وما انتم بمعجزين اي بفائتين
يقال قد اعجزني الشيء اي فاتني اي لا تفوتونا عما اردنا بكم • قل يا قوم
اعملوا على مكانتكم وقرئ مكاناتكم بالجمع حيث وقع فمن جمع قابل
جمع المخاطبين ومن افرد فعلى الجنس والمكانة مصدر مكن فالميم

اندرجوا

بمن لهم

اقائم

لان معناه

هو

اصلية

ومعنى المكان وقولك المكانة مفعال ومفعلة من الكون
والمعنى اتيه فيحتمل ان يكون المعنى على تمكنكم من امره كرة
وافضى لسلطانكم وامكانكم والظاهر ان من مفعول يعلمون
واجازوا ان تكون منه اسم استفهام وخبره تكون والفعل
معلق والجملة في موضع المفعول ان كان يعلم معدى الى واحد او
في موضع المفعولين ان كان معدى الى مفعولين وعاقبة الدار
ومآلها ما تنتهي اليه والدار يظهر فيها دار الاخرة انتهى
• وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا • روي عن ابن عباس
وعمرو ان الحرث كانوا يحملون من غلاتهم الى رسول الله ﷺ
والانعام جراد تسمين وجزار تسمية لاصنامهم فكانت من
عادتهم ان تابع فيحتمد في اخراج نصيب الاصنام اكثر منهما في
نصيب الله عز وجل اذا كانوا يعتقدون ان الاصنام فقراء
وليس ذلك بالله تعالى فكانوا اذا جمعوا الزرع فهبت الريح
فحملت من الذي لله الى الذي لشركائهم تركوه ولم يردوه الى نصيب
الله عز وجل ويفعلون عكس هذا بالذي جعلوه لشركائهم
واذا تفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب شركائهم تركوه وفعلوا
بعكس ذلك وسموا سدوه واذا لم يجدوا شيئا من نصيب الله
جعلوا نصيبا لله تعالى لها وكذا في الانعام واذا اخذ لوا
اكلوا نصيب الله وتركوا نصيب شركائهم وقد ذكر تعالى في طرفة مشركي
العرب في انكارهم البعث ذكروا انعاما من جهالاتهم يتنبهم
ضعف عقولهم وفي قوله تعالى ما ذا انه تعالى كان اولى
ان يجعل له الاجود والاحسن واذ يكون لخالقه تعالى هو
الارجح اذ كان تعالى لا موجد لما جعلوا لديه نصيبا وانه
هو المنفرد على تنميته دون اصنامهم الجاهزة عن دفع ما يحل
بها فضلا عن ان تخلق شيئا او تنميه • ساء ما يحكمون هذا
ذم بالغ عام لاحكامهم فيندرج فيه حكمهم هذا الساقط وغيره
او في آبائهم الذين سنوا لهم السوء وقد ذكروا في ما اعرابا
غير ما ذكرناه مبنيا على ان في الكلام حذفا وقال ابن عطية وما في موضع
رفع كانه قال ساء الذي يحكمونه ولا يتجه عندي ان يجري
هنا ساء مجرى بئس ونعم لان المفسر قضاء ضمير ولا يوقف
اظهاره ما تضاف من الجهة وانما يتجه ان يجري مجرى بئس
في قوله تعالى ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا لان المفسر
ظاهر في الكلام وهذا قول من لم ير اضمار في العربية ولم يرجح

قد صرفها

قدمه فيه ولا اذا جرت سائر مجرى نعم وبئس كان
حكمها حكمها سواء لا تختلف في شيء البتة من فاعل مضمر
او من ظاهر او من تمييز ولا خلاف في جواز حذف المخصوص
بالمدح والتمييز فيه لدلالة الكلام عليه فقوله لان المفسر
هنا مضمر ولا بد من اظهار ما يتفاق النحاة الى آخره كلام
ساقط ودعواه الاتفاق مع ان الاتفاق على خلاف ما ذكر
عجب عجاب • وكذلك زين لكثير من المشركين الآية • الاشارة
بذلك الى المصدر المفهوم من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء
فقدر ومثل ذلك الجعل المزين زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم شركاؤهم الآلهة وكان الرجل يحلف لي
الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد
المطلب وجر لي ان سببا للمفعول وقتل مفعول ما لم
يسم فاعله وشركاؤهم مفعول مرفوع بفعل محذوف يدل
عليه ما قبله تقديره زينه شركاؤهم ونظير قراءة يسبح له
فيها الغدو والآصال رجال سببا للمفعول ورجال فاعل
بفعل محذوف يدل عليه ما قبله تقديره يسبحه رجال
وقرأ ابن عامر رضي الله عنه كذلك الا انه نصب اولادهم
وجر شركائهم ففصل بين المصدر المضاف الى الفاعل
والمفعول وهي مسألة مختلف في جوازها فجمهور البصريين
يمنعونها ويقبحونها وبعض النحويين اجازها وهو الصحيح
لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة الى العربي الصريح
المحض ابن عامر الا ترى ان القرآن عربي الا ما نوعمان ان عثمان
رضي الله عنه قال ان في لحن المن في لسان العرب واوجودها
ايضا في لسان العرب في عدة ابيات من ذلك قول الشاعر
فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة قال الزمخشري
رضي الله عنه والفصل بينما اجنبي بين المضاف والمضاف اليه
لو كان في كلام الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا
كما سمج وردود زج القلوص ابي مزادة فكيف به في كلام المولى
فلا كيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله
على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء
وكتبوا بجر الاولاد والشركاء الا ترى الى قوله ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن فكذلك مسد وجه عن هذا الا تكاف اتقى واعجب لا عجمي ضعيف
في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة من جهة اثبتها في لسان
العرب في غير ما بيت واعجب لمن يظن هذا الرجل بالقراءة الائمة الذين تخيرت

في

لهم

هذه الامة لفقد كتاب الله شرقا وغربا وقد اعهد المسلمون
على تعليمهم لمعرفتهم وضبطهم ودرايتهم • ليردوهم من الردى وهو
الهلاك • ويسلسوا عليهم دينهم اى ولم يخلطوا ودينهم بما كانوا
عليه من دين اسماعيل عليه الصلاة والسلام حتى ولى امة الى الترك
• وكونهم ما تعلم الظاهر عود الضمير الى التتار لانه
المصرح به والمحدث عنه والى اى فعلوم عائدة على الكتب
• فمنهم ومنا من قرأ وفى كتلقون من الالقاء فك على الله عز
وجل والاحكام التى شرعوها وهو امر بتقديد وتهديد
ومصدر مثله الى واقترأ وهم او موصولة بمعنى الذى
والعائد من الصلة محذوف تقديره تفترونه • وقالوا
هذه انعام وحرث حجر اعلم سبحانه وتعالى بكيفية ما شرعوها
وبقسمات اسندوها والشرعوها على جهة التعزية
والكذب منهم على الله سبحانه وتعالى افرد وامن انعامهم
وزروعهم وانعامهم نصيبا وقالوا هذا حجر اى حرام ممنوع
والحجر بمعنى الحرام كالذبح والطحن والضمير فى طعمها
عائد على الانعام والحرث وصفة لنعام محذوف تقديره
من نشاء طعمه بقولهم الرجال دون النساء وقيل هم سدنة
الاصنام اى خدمتها • وانعام حرمت ظهورها كالبحائر والسوائب
والحوامى وتقدم تفسيرها فى المائدة • وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها افتراء عليه اى عند الذبح وقال ابو وائل لا يرضى
افعله اى لا يحجون ولا يلبسون عليها كانت تترك فى كل وجه الا الحج
• افتراء عليه اى اختلاقا وكذبا على الله سبحانه وتعالى
حيث قسموا هذه الانعام هذا القسم وسووا ذلك الى الله
عز وجل وانتصب افتراء على انه مفعول من اجله او مصدر على
اضمار فعل معلل اى يفترون • وقالوا ما فى بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا اى وهى الاجنة يعنون فى البحائر
والسوائب ما ولدته حيا فهو خالص للذكور ولا
تاكل منه الاناث وما ولدته ميتا اشترك فيه الذكور والاناث
وقيل ما فى بطونها يعنون به اللبن وقال الاطرى رضى الله
عنه اللفظ تعم الاجنة والدين كما تقدم ذكره والظاهر انها
الاجنة فقط لانها التى فى البطن حقيقة واما الدين فانه فى
الضروع لا فى البطون الا بمجاز بعيد وما شرطية خبرها خالصة
ابث على المعنى ثم ذكر فى قوله وتحرم حملا على لفظ ما وقرئ
خالصة بالنصب على الحال وخالصا بالنصب على الحال ايضا
وقرئ خالص بالرفع بعيد قال حجر لما • ولذكورنا متعلق

بخالصة

بخالعهن او خالصنه • وان يكن فتنة فهم فيه شركا كانوا اذا حرّ ج
الجنين ميتا اشتركن في اكله الرجال والنساء وكذلك ما مات
من أولاد الموقوذة بقسمها وقرئ وان تكن نسأ لتاسنث
فتنة بالنصب اي وان تكن الاحتراق تخرج فتنة وقرئ
وان تكن بالتذكير فتنة بالرفع على ان كان بمعنى تمّ وحدثت
الاحتراق رضي الله عنه ان تكون ذات فتنة وجعل الخبر وحده وما
التقدير وان تكن في بطونها فتنة قال ابن مجشر عن ابن
ابي عبلة وقراءة اهل مكة وان تكن غيبة بالرفع والتاء
والتاء انثية ان عنى بقوله اهل مكة ابن كثير فهو وهم
وان عنى غيره من اهل مكة فيمكن ان يكون نقلا صحيحا وهذه
المسئلة آلت الى عزاها ابن مجشر الى اهل مكة يريد قراءة ابن عامر
• سجرتهم وضعتهم اي جزاء وضعتهم • انه حكيم خبير قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها بغير علم كان جهور العرب لاباة ودون
بناتهم وكان بعض ربيعة ومضر يئدون وهن وثمود فمن احياء
فبعضهم كان يئد خوف العيلة والافتقار وبعضهم خوف
السبي او خوف العار فزلت هذه الاية في ذلك احنف المحرّ ان
قاتلك وكلك ولما تقدم تزيين قتل الاولاد وتحريم ما حرّ م
في قولهم هذه انعام وحرث حجر هنا تقديم قتل الاولاد
وتلاه التحريم وفي قوله سفها بغير علم اشارة الى خفة عقولهم
وجهلهم بان الله هو الرازق عباده وما هو المقدر الغنى
وغيره وخرصوا مما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا
مهتدين • وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات
مناسبة هذه الآية لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما اخبر عنهم انهم
حرّ موا انعاما رزقهم الله اياها اخذ يذكر ما امتن عليهم به
من الرزق الذي تصرفوا فيه بغير اذنه سبحانه وتعالى افتراء
منهم عليه واختلافا ذكر نوعي الرزق انسابي والحيواني •
فبدأ بالنباتي كما بدأ في الآية المستشهد بقوله والنظر في
الحيواني اذ كانوا قد حرموا اشياء من النوعين وقال
عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا فتعطف عليه اقضيا ان
والنخل قدمه على الزرع لان العرف كانت احوج اليه اذ كان من
من عالب اقواتهم واختلاف اكله وهو ان اكل ضروب يأكل كل نوع من
انواع النخل اكثر طعما ولونا وحجما والحب مخالف في النوع
الآخر والعين مختلفا اذ كل ثمر وانتصب مختلفا على ان حال
مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء مختلفا قال ابن مجشر رضي
الله عنه والاصل في اكله عائد على النخل والزرع وافرد لدخوله في حكمه

بالمظلة

انتهى وهذا التقدير لا يجدي لان العطف بالواو لا يجوز افراد
ضمير المتخاطبين وقال الحوفي واللها في اكله عائد على ما تقدم
من ذكر هذه الاشياء انتهى وعلى كل هذا لا يكون ذوا
الآل النخل والزرع فقط مع جمع ما اسند لاثنيرا كما مر
في اختلاف اكله ولو كان كما زعم لكان التركيب مختلفا اكلها
الا ان يحمل على حذف مضاف اي ثمر حنات وزرع هذا اي
ذلك المحذوف فقال اكله بالافراد على مراعاته فتكون ذلك
نحو قوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج اي او كذي ظلمات
والظاهر عوده على اقرب مذكور وهو الزرع فتكون قد
حذفت حال النخل لدلالة هذه الحال عليها والتقدير النخل
مختلفا اكله والزرع مختلفا اكله كما في زيد وعمرو قائم ابوه
وتقدم الكلام على قوله والزيتون والرمان كلوا من ثمره اذا
اثمر لما كان مجيء تلك الاية في سورة الانعام لان الله تعالى
الصانع وقد برز في الحشر واعادة الارواح الى اجسادها بعد
العدم وان الجسد وتكوينه من العظم الرميم وهو محل الدين
قال انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه اشار الى الايجاد اولا
والى غايته عند انتهائه اي نضجه وهما لما كان معرض الآفة
العاهة الامتنان واظهار الاحسان بما خلق لنا قال كلوا من ثمره
اذا اثمر فحصل بمجموعها الحياة الاولية والحياة الدنيوية السريعة
الانقضاء وتقدم لنا طرف هو المذكر على الاكل هذا السبب وهذا
امر باباحة الاكل واستدل به على ان الاصل في المنافع الاباحة
والاطلاق وتقدم بحث له اذا اثمر وان كان من المعلوم انه اذا لم
يثمر فلا اكل فنبه على انه لا ينتظر به محلا ادراكه وليتوانه حتى
يتمكن الاكل منه فعله وآتوا حقه يوم حصاده والذي ظهر
وظهر عود الضمير على ما عاد عليه من ثمره وهو جميع ما تقدم
ذكره مما يمكن ان يؤكل اذا اثمر والحق هنا مجمل واختلف في
اهو الزكاة ام غيرها وقرن حصاده بنفخ الحب وكرها
ولا تسرفوا امة لا يحب المسرفين روي عن عباس رضي الله عنهما
ان ثابت ابن قيس بن شماس حد حماية نخله وقسمها في
يوم واحد فلم يترك لاهله منها شيئا فنزلت تلك الآية ولما امر
تعالى بالاكل من ثمره وما يتأتى حمله يوم حصاده نهى عن مجاوزة
الحد فقال ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وهذا النهي يتضمن
افراد الاسراف فدخل فيه الاسراف في اكل الثمرة حتى لا يبقى منها
شيء للزكاة والاسراف في الصدقة حتى لا يبقى للنفس ولا لعيال
شيء ومن الانعام حمولة وفرشا والحمولة ما يحمل عليه من الابل

والبقر

والسرر والحمولة الاحمال وقال لها الحمول بغير الحاء بمعنى
الحمولة قال الشاعر * في الحمول كجانب العزل * وقوله وفرشا المراد
لها الغنم وقدم الحمولة على الفرش لانها اعظم في الانتفاع او قد
تنتفع بها في الاكل فالحمل * قال الله عز وجل كلوا مما رزقكم الله
ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين * ثمانية ازواج
تقدم تفسيرها الحل المركوب وما حمولة وسنتهم ذلك الى
الله سبحانه وتعالى فلما قام الاسلام وثبتت الاحكام جاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك ابن ابي عوف الى
ابي لاحوص الجشمي فقال يا محمد بلغنا انك تحل اشياء فقال لهم
قد حرم عليكم اشياء على عهد اصل وانما خلق الله تعالى هذه الازواج لكم
للاكل والانتفاع بها فمن اين جاء التحريم أمن قبل الذكر ام
من قبل الانثى فقال مالك بن عوف وسكت * وقوله هنا ثمانية
ازواج بدل من قوله حمولة وفرشا من الضان اثنين الواحد
ضائن وهو بسكون الميم وفتحها ويقال ضيئن مثل قيم وقيام اسم
جمع لضائنة وضائنة * ومن المعز اثنين الواحد معزة بسكون
العين وفتحها ويقال وعكة وعكرة وهي اسم جمع
لماعزة وماعزة ومعوزة * قل آلذكرين حرم الانثيين
ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين وهذا استفهام تقرير
استقرهم انكار وتوبيخ وتقريع حيث نسبوا ما حرمه
الى الله سبحانه وتعالى وكانوا يحرمون الذكر من الانعام مرة
ومن الاناث مرة اذا كانوا اولادها كما مر وقد يختلطه فبين سبحانه وتعالى
ان هذا التقسيم لم يكن من قبل انفسهم لا من قبله عز وجل
* نبئوني بعلم ان كنتم صادقين في نسبة ذلك اليكم ام الى الله عز
وجل فاخذوا في عد ما لله تعالى جعل لا ما تشاءون ولا يحرمون وانتم
لا علم لكم بذلك اذ لم يأتكم بذلك وحي من سبحانه وتعالى
فلا يمكن حكم فيه كذلك فصل لهذه الجملة المعترضة بين
المتعاطفين على سبيل التقريع لهم والتبكيت حيث لم يستندوا
في تحريمهم الا الى الكذب والافتراء وان مذهبا لجماد الواحد
والجمع ويجمع على آباك وفاءت الرجل اتخذ الالاف قوله هم
ما اكل الرجل في النحب هو شاذ وقدم الابل على البقر لانها اعلا
ثمنا واعز نفعا في الرحلة وحمل الاثقال عليها ولانها اكثر
صبرا على الجوع والعطش والطوع واكثر انقيادا في الاناخة والاثارة
* ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا استفهام توبيخ اي ما كنتم
بذلك الذي تدعون فتشهدون به ذلك وقت ان وصاكم الله به اذ لم
يبق بعد ذلك الا ان تدعوا مشاهدتكم ذلك وهيهات ان تدركوا
ذلك لان مدركات الاسماع المعنوية للمحسوس فاذا انتفى ان يكون

ف

اي اكثر نفعا

يحكم بتحليل او تحريم فمن اظلم اي لا احد اظلم ممن افترى على
الله كذبا اي فنسب اليه تحريم ما لم يحرمه فلم يقتصر على افترا
الكذب في حق نفسه وضلالها حتى قصد بذلك ضلال غيره
فسن هذه السنة الشنعا وعاينه بها اضلال الناس فعليه
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ان الله لا يهدي
القوم الظالمين نفي هداية من وجد منهم الظلم فكان من
فيه الاظلمية اولى بان لا يهديه وهذا عموم في الظاهر
وقد تبين تخصيصه مما يقتضيه الشرع قل لا اجد فيما
اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الاية لما ذكر انهم حرموا ما حرموا
افتراء على الله امره تعالى ان يخبرهم بان مدرك التحريم
انما هو الوحي من الله تعالى وشرعه لا بما تهوى الانفس ولا
تختلقه على الله عز وجل وجاء الترتيب هنا كالترتيب
الذي في سورة البقرة وسورة المائدة وجاء هنا هذه
المحرمات منكرة والدم موصوفا بقوله مسفوحا والفسق
موصوفا بقوله اهل لغير الله به وفي هاتين السورتين
المتقدمتين معرفا لان هذه السورة مكية فعلق بالمنكر
وذلك السورتان مدنيتان فجاءت تلك الاسماء معارف
بالعهد وحوالة على ما سبق تنزيله في هذه السورة والا
ان يكون استثناء منقطع لانه كون والمحرم عين من الاعيان
ويجوز ان يكون بدلا على لغة بني تميم ونصبا على لغة اهل
الحجاز كقوله تعالى ما لهم من علم الا اتباع الظن لان اتباع
الظن ليس هو بعلم حقيقة فهو استثناء منقطع واسم كان
ضمير مذكر يعود على محرم تقديره الا ان يكون المحرم ميتة
ومعنى مسفوحا اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق
كالطحال والكبد وقد رخص في دم العروق بعد الذبح
وقيل لابي مجلز القدر تعلوها الحمرة من الدم فقال
انما حرم الله تعالى المسفوح اي السائل والمصبوب وفي قوله
او دما مسفوحا دلالة على ان دم البق والبراغيث والذباب
ليس بنجس ليس بمسفوح اي سائل والظاهر ان الضمير في
فانه عائد على لحم الخنزير وزعم ابو محمد ابن حزم رضي الله عنه
انه عائد على لحم خنزير فانه اقرب مذكور واذا احتمل هنا
الضمير في العود الى شيئين كان عوده على الاقرب ارجح وعورض
بان المحدث عنه انما هو اللحم وجاء ذكر الخنزير على سبيل الاضافة
اليه لا انه هو المحدث عنه المعطوف ويمكن ان يقال ذكر
اللحم تنبيها على انه اعظم ما ينتفع به من الخنزير وان كان سائره

مشاركا له

مث وكالة في التحريم بالتنصيص على العلة من كونه رجسا أو لانه طلاح
الاكثر على كله أو الاصل على التابع لان الشحم وغيره تابع للحم
أو فسقا أهل لغير الله به وهو معطوف على ما قبله قال الزمخشري
فسقا منصوب على انه مفعول من اجله مقدم على العامل
لاعلى العامل فيه وهو اهل كقولك طربت وما شوقا الى البيض
اطرب ه وفصل بين أو واهل بالمفعول له لانه ليس هذا
اعراف مكلف حد ١٢ ولو كنت على هذا الاعراب خارج عن
الفصاحة وغير جائز على قراءة من قرأ الا ان يكون
ميتة بالرفع فبقي الضمير في به لا يصح لما يعود عليه ولا يجوز
ان تكلف محذوف حتى يعود الضمير عليه فيكون ه
المقدر او شيأ اهل فالله لان مثل هذا لا يجوز الا في ضرورة
الشعر وسمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب
الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه
لفسق واهل في موضع الصفة له واختلف في هذه الآية
الى ماذا يرجع تحريمه وهو قول الشعبي وابن جبير فعلى هذا الاشياء محرمة
من الحيوان الا ما ذكاه ولا يصح هذا القول وقيل الى ما ستر حرمة
بانية المتأخرة وينبغي ان يفهم هذا الشرح بانه شرح لكن ضرر
فقط وقيل جميع ما حرم داخل في الاستثناء سواء كان
منصوصا ان امر حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشتراك
في العلة التي هي الرجسية والذي نقول به ان الآية محكمة
وما ادعت عقيلة من انها نسخت بتحريم ما كان الجاهلية يحرمون
ما يحرمون من البحائر والسوائب والى صائل والى غير ذلك مما في هذه
الثمانية فالآية حاكمة محكمة واخر ما استلم يحد فيها فيما
اوحي اليه اذ ذاك من القرآن كما ذكرت لك انت صلة ما جملة
مصدرة بالفعل الماضي فحرم ما حرم بالمدينة لم يكن اذ ذاك
سوغه وحي فيه بمكة ولا تعارض بين ما حرم بالمدينة وبين
ما اخبر انه اوحي الله بمكة تحريمه وذكر الخنزير وان لم يكن من ثمانية
الازواج لان من الناس من كان يأكله اذ ذاك وله فنه اشبه شيء
بثمانية الازواج في كونه كسر هو سبحانه معتبرا ما يأكل اللحوم وتتغذى
بها وانما لوحظ من غط الثمانية تعيش بالنبات وترعى كما ترعى الثمانية
وذكر المفسرون لها اسماء اختلفوا هل لها مسمى فتذكر ما هي في
البحر المحيط فترجح ه ثم اصطرد تقرير تفسير ومثل هذا ولما كان
صدر الآية مفتتحا بخطاب الله تعالى بقوله قل لا اجد اختتم الآية
بالخطاب فقال فان ربك غفور رحيم وذلك يدل على اعتناء بشأن
خطابه افتتاحا واختتاما ه وآخر ما نزل في ظهر الآية مناسبة الفصل

الما يعني ان التحريم انما استند للوحي لا الى اجتهاد محرم على
بعض الامم اشياء تحريما حرم على اهل هذه الملة اشياء
مما ذكرها في الآية قل لا تحريم انما هو راجع الى الله سبحانه وتعالى
في الامم جميعها وفي قوله حرمنا كذب لليهود في قولهم ان الله تعالى لم
يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا واحرم الله تعالى على نفسه قال
ابن عباس وجماعة من السلف رضي الله تعالى عنهم اجمعين هي ذات
الظلف كالابل والنعام وما ليس بذي اصابع منفرجة كالبط والاوز
وكل ما له حافر والحافر من الشعر من مستغلقه كرسنا والصمة
الشيء في نحو مها عائد على البقر والغنم قال ابن عباس هو ما على ظهرها
من الشحم والجنب من داخل بطونها وما حوصوله والشحم الخالص
على ما يحذف وقد يقدم جملة الكلام اذا قدر ودونها فواعل فجمع
كاهية وكواهل ورواية وروايا وجمع حاوية حواوي وقواصع وادن
قدر ودونها فاعل فجمع حوية كطية وطوايا وقد يقدر فيها
ضرورة ذلك الى حوايا مذكور في علم التصريف وفيه الدليل
الى ان الشحوم في بطون الشاة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
هو كل شحم في البطن فاحتمل واشتد اذ وقال ابن عباس رضي الله عنهما
الا ما حملت ظهورهما من الحوايا قال ابن سيرين انتهى قال الذي قاله النحويون ان في هذا
الكلام حذفا ويحسن لان يجالسها معا واذ يجالس احدهما
والاحسن في الآية اذا قلنا ان ذلك معطوف على شحومهما ان تكون
او فيه للتفصيل فصل بها ما حرم عليهم من البقر والغنم
• او ما اختلط معطوف على ما حملت ظهورهما نعم هو شحم الالية
لانه على العضو عرفا لا السرين وان خرج • ذلك اشارة الى المصدر
الدال عليه الجزيناهم كانه قال ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم وانا
لصادقون اخبارا عن ما حرم الله تعالى عليهم لا ان ذلك من تحريم اسرائيل
• فان كذبوك الظاهر عود الضمير هنا على او من مذكور وهم اليهود اي
فان كذبوك فيما اخبرت به انه تعالى حرمه عليهم وقالوا لم يحرمه وانما
حرمته اسرائيل تعجبا من حالهم ومعظما لافترائهم مع علمهم بما قلت لهم
• فقل ربكم ذو رحمة واسعة حيث لم يعاجلكم بالعقوبة مع سوء
هذا الجرم بما تقول بعد سرد تلك قصصه عظيمة ما احلم الله وانت
تريد لاهل مكة الخير • ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين والقوم
المجرمون عام فيندرج فيه مكذبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم
من المجرمين ويحتمل ان يكون من وضع الظاهر موقع المضمر
اي ولا يرد بأسه عنكم وجاء معمولا قل لاول استمتاعها انها ابلغ
في الاخبار من الجملة الفعلية فانت الا بلغية ووصفه تعالى

بالرحمة الواسعة

بالرحمة الواسعة وجاءت الجملة الاسمية فعلية ولم تأت اسمية
فتكون التركيب وذوا مرتبة لايحاد الاخبار عن الوصفين وبأن
الرحمة اوسع فلا تعاودك مسئولة الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا
ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء هذا اخبار مستقبل وقد وقع وفيه
اخبار بغيب معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان كما اخبر به
وهذا القول ورد منهم حين بطل احتجاجهم وثبت الرد عليهم فحد
لي امر حق وهو ان الله لو اراد الله سبحانه وتعالى ان لا يقع شيء من ذلك
لم يقع وارد واه لك على سبيل الحوالة على المشيئة والمعاندة مغالطة
وحيدة عن الحق والجاد الاعتناد اصحيحا والذين اشركوا
عام في مشركي قريش وغيرهم ومفعول شاء محذوف تقديره لو شاء الله
عدم اشراكنا ما اشركنا لا اباؤنا فاعطوف على الضمير في اشركنا
ولم يحتج الى تكرار لا وفصل بين الضمير والمعطوف عليه لفظة لا
ولو كان في غير القرآن لاحتيج الى فصل الضمير كما في قولك ما قمت انا
ولا زيد وهذا على مذهب اهل البصرة والكوفيون لا يشترطون
الفصل بالضمير في العطف وكذلك كذب الذين من قبلهم اي
مثل ذلك التكذيب الشنيع الذي قوله ان كذبوك فقد كذبت الامم
الى قوله رسلها فمتعلق التكذيب هو غير قولهم لو شاء الله ما اشركنا
الآية اي بنحو هذه الشبهة من ظنهم ان تركه الله تعالى دليل على
رضاه بحالهم وقوله حتى ذاقوا بأسنا غاية لامتداد التكذيب الى وقت
اتيانه اياهم اذ لم يبق تكذيب اشد من ذلك
هل عندكم من علم فتخرجوه لنا هذا استفهام على معنى التهكم وهو
انكار اي ليس عندهم من علم يحتجون به فتظهروه لنا ان ما
تتبعون في دعائكم الا الظن الكاذب الفاسد وان انتم الا تخرصون
اي وما انتم الا تكذبون او تقدرون وتكرزون ومن متعلقا
وتريد فيه من علم وعندكم للخبر فتخرجوه جواب الاستفهام
وهو منصوب بحذف النون كقوله تعالى هل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا او رد فنعمل غير الذي كنا نعمل وان في الوضعين
نافية فقد جئتمونا ما انتم الا تكذبون فيما تشيعونه قل فلله
الحجة البالغة اي لما لغة في الاحتجاج اتعالى عن ان يحتج عليه
خلقه عقولا تعقل بها واسماعا تسمع بها وابصارا تبصر بها
في كل هذه قدائل للتوحيد ولاتباع ما جاءت به الرسل عن الله عز
وجل فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان
الله حرم هذا بين سبحانه وتعالى كذبهم وافترائهم عليه سبحانه وتعالى
في تحريم ما حرموا بنسبتهم الى الله سبحانه وتعالى قال الشيخ في العلم وقال ان كنتم
شهداء ولما انتفى قدان ان يكون عندهم ما ينقل الى وجه ليس بهذين او جبين

وهو ان يستدعي منهم من يشهد لهم بتحريم الله ما حرموا وهلم
هنا على لغة اهل الحجاز اسم فعل وهي متعدية ولذلك قد
انتصب المفعول به بعدها وتاتي لازمة كقوله تعالى هلم
الينا اي اقبلوا الينا واضافة الشهداء اليهم تدل على انهم غيرهم
وهذا امر على سبيل التعجيز اي لا يوجد من يشهد لهم بذلك
شهادة حق لانها دعوى كاذبة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا
بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة الظاهر في العطف انه يدل
على تغاير الذوات والذين لا يؤمنون بالآخرة والذين كذبوا
بآياتنا يعم جميع من كذب الرسل وان كان مقرا بالآخرة
كاهل الكتاب والذين لا يؤمنون بالآخرة قسم من المكذبين
بالآيات وهم عبدة الاوثان والجاعلون لربهم عديلا وهو
المثل عدلوا به الاصنام في العبادة والالوهية ويحتمل ان يكون
العطف من تغاير الصفات والموصوف واحد وهو قول
الاكثرين وبربهم متعلق بيعدلون ومفعول يعدلون محذوف
والتقدير وهم يعدلون بربهم غيره من الالهة التي عدلوها
قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم لما ذكر تعالى ما حرموه افتراء
عليه ثم ذكر ما اباحه تعالى لهم من الحبوب والفواكه والحيوان ذكر ما حرمه
تعالى عليهم من اشياء نهاهم عنها وما اوجب عليهم من اشياء امرهم
بها وتقدم شرح قوله تعالى في قوله تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
والخطاب في قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي تعالوا قيل هو
للمشركين وقيل لمن بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مؤمن
وكتابي ومشرك وسياق الآيات يدل على انه للمشركين وان
كان حكم غيرهم في ذلك حكمهم امره تعالى ان يدعوا جميع الخلق الى
ما حرم الله بشرع الاسلام المبعوث به الى الاحمر والاسود واتل
اسرد وانص من التلاوة وهي اتباع بعض الحروف بعضا وقال
كعب الاحبار هذه الآيات هي مفتتح التوراة بسم الله الرحمن الرحيم
قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى آخره وقال ابن عباس رضي الله
عنهما هذه الآيات هي المحكمات التي ذكرها الله تعالى في سورة آل عمران
اجمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط في ملة من الملل المتقدمة
وقد قيل انها العشر كلمات المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام
وما بمعنى الذي وهي مفعولة باتل اي اقرأ الذي حرم ربكم
عليكم وعليكم هنا متعلق بحرم لا باتل ان لا تشركوا به شيئا الظاهر
ان ان تفسيرية ولا ناهية لان اتل فعل بمعنى القول وما بعد
ان جملة فاجتمع في ان شرطا التفسيرية وهو ان يتقدمها معنى القول
وان يكون بعدها جملة قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت اذا

جعلت

اذا جعلت ان مضمرة لفعل التلاوة وهو متعلق بما حرم علیکم
وجب ان یکون ما بعدها منهیا عنه محرما کلهم فان قلت وما
بعده مما دخل علیه حرف النهی مما ینضم الی الاول قلت لما اوردت
هذه الاوامر مع النواهی وتقدمهن جمیعا فعل التحریم وشرک
فی الدخول تحت حکمه علم ان التحریم راجع الی ارتضاد اضدادها
وهی الاساءة الی الوالدین وبخس الکیل والمیزان وترک العدل
فی القول وفک عهد الله عز وجل انتهی وکون هذه الاشیاء
قد اشترکت فی التحریم ای قد اشترکت فی الدخول تحت حکم
التحریم وکون التحریم راجعا الی اضدادها امر یعتد جدا
والعاقل فی المعانی والاضرون قد عولوا علی ذلک واما عطف
هذه الاوامر فیحتمل وجهین احدهما انها معطوفة علی الما
قبلها فیلزم استحباب التحریم علیها حیث کانت فی حیز
ان المفسرة لفعل وذلک علی المنهی عنه الذی هو عدم التحریم
وفعل الامر المخاطب فی الامر الذی استدعوا ان تقول امرتک ان
تکرم خالدا وان تکرم عالما اذ کون عطف الامر علی النهی والنهی
علی الامر کما قال امرؤ القیس یعتوقن لا یهتلک انی وتحملی وهذا
لا یعلم فیه خلاف بخلاف الجمل المستانفة بالخبر والاستفهام والامر
فان فی جواز العطف فیها خلافا قال ابن مجتبی رضی الله عنه فان
قلت هلا قلت فی الی تنتصب بفعل وجعلت ان الامر
بدلا من ما حرم قلت وجب ان یکون لاشتراکهما فی ان کلا منهما
ولا تقتلوا اولادکم هو الملاق فنحن نرزقکم وایاهم وقوله من هنا
وان تقولوا اذا اقلم فاعدلوا ولو کان ذا قربی وبعهد الله اوفوا انتهی
ولا تبخسوا ان جمیع الاوامر معطوفة علی جمیع ما دخل علیه
الا فانیا جواز عطف وبالوالدین احسانا علی انا لن وما بعده
معطوف علیه ولا یکون قوله وبالوالدین احسانا معطوفا علی
ان لا تشرکوا وقد مر فی سورة البقرة تفسیره ونظیره وبالوالدین
احسانا ولا تقتلوا اولادکم من املاق نحن نرزقکم وایاهم وقوله من هنا

اي من فقر يقال املق الرجل اذا افتقر ولما امر سبحانه وتعالى الى الوالدين
بالاحسان اليهما نهى عن الاساءة الى الاولاد ونبه على اعظم الاساءة الى
الاولاد وهو اعدام حياتهم بالقتل خوف الفقر كما قال في الحديث
وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن اكبر الكبائر فقال الشرك بالله تعالى
وهو قوله ان تجعل لله ندا وهو خلقك ثم قال وان تقتل ولدك
خشية ان يطعم معك وقال وان تزاني حليلة جارك وجاء
هذا الحديث منتزعا من هذه الاية وجاء التركيب هنا من املاق
نحن نرزقكم واياهم وفي سورة الاسرا خشية املاق نحن نرزقهم
واياكم فيمكن ان يكون ذلك من التفنن في الكلام ويمكن ان يقال
في هذه الاية جاء من املاق وظاهره حصول الاملاق للوالد
لا توقعه وخشيته وان كان واحدا للمال فبدا اولا بقوله
نحن نرزقكم خطابا للاباء وتبشيرا لهم بزوال الاملاق واحالة
الرزق على الخالق الرازق ثم عطف عليهم الاولاد واتى في
سورة الاسرا وظاهر التركيب انهم موسرون وان قتلهم اياهم
انما هو لتوقع حصول الاملاق والخشية منه فبدئ فيه بقوله
نحن نرزقهم واياكم اخبارا تكفله سبحانه وتعالى برزقهم فلستم انتم
برازقيهم وعطف عليهم الاباء وصارت الايتان مفيدتان
معنيين احدهما ان الاباء نهوا عن قتل الاولاد مع وجود المال
املاقهم والاخر انهم نهوا عن قتلهم وان كانوا موسرين لتوقع الاملاق
وخشيته وحمل الايتين على ما يفيد معنيين اولى من التاكيد
• ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن المنقول فيما ظهر وفيما
بطن كالمنقول في وذروا ظاهر الاثم وباطنه • ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق هذا مندرج تحت عموم الفواحش
اذ الاجود ان لا تخص الفواحش بنوع ما وانما جرد منها قتل
النفس تعظيما لهذه الفاحشة واستهوالا لوقوعها ولانه لا يتاتى
الاستثناء بقوله الا بالحق الا من القتل لا من عموم الفواحش
وقوله التي حرم الله حوالة على سبق العهد في تحريمها فلذلك وصفت
بالتي والنفس المحرمة هي المومنة والذمية والمعاهدة وما الحق
ادى بالسبب الموجب لقتلها كالردة والسرقة والقصاص والزنا
بعد الاحصان والمحاربة • ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون اشارة
الى جميع ما تقدم وفي لفظ وصاكم من اللطف والرافة وجعلهم اوصيا
له تعالى ما لا يخفى من الاحسان ولما كان العقل هو مناط التكليف قال
تعالى لعلكم تعقلون اي فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا
والوصاة الامر المؤكد المقرر قال الاعشى • اجدك لم تسمع وصاة محمد •
• نبي الاله حين اوصى واشهدا • قال الله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا

فذكر

الا بالتي

الا بالتي هي احسن هذا نهي عن القرب لذي يتيم حتى يحتلم وحتى للغرض
وقيد بسداد الذريعة • الا بالتي هي احسن اي الا بالخصلة التي هي
احسن في حق اليتيم ولم يات الا بالتي هي حسنة لان افعال
المتصل رعاية لمال اليتيم وانه لا يكفي في الحالة الحسنة بل الخصلة
الحسنى واموال الناس ممنوع عن مس بها ونص على قال اليتيم
لان الطمع فيه اكثر لضعفه وقلة مراعاته • حتى تبلغ اشده هذه
غاية من حث المعنى لان من حث هذا التركيب المقتضي ومعناه اي
احفظوا على اليتيم ماله الى بلوغ اشده فاذا فهموا انه وبلوغ
الرشد هنا لليتيم هو بلوغ الحلم مع ان لا يثبت معه سفه
• واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية ونفى الوسط
هنا ادنى زيادة ليخرج بها عن العهدة محقق لما روي
اذا وزن ثم قال زد فقال قد فعل امر وبعده او امر ارضا
وبعده ساواه ايضا فيحتمل ذلك الى جهتين المتقدمتين التي
تقول لا اهلك اسخى وتحمل • لا نكلف نفسا الا وسعها الاية
تقدم الكلام على نظيرها في سورة النساء • واذا قلتم فاعدلوا ولو كان
ذا قربى اي ولو كان المقول له او عليه ذا قربى فلا ينبغي ان يميل
ولا ينتصر وسيدخل في ذوي القربى نفس القائل واله واقاربه
واقاربه فهو منظور اليه قوله تعالى ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
وعني بالقول هنا ما لا تطلع عليه الا من قول من امر وحكم وشهادة
وخبر وسائط بين الناس وعزل ذلك عهد جهد الله اضيف
يحتمل ان يكون مضافا الى الفاعل اي بما عهدكم الله اليه عليه او هو
ان يكون مضافا الى المفعول اي بما عهد منكم الله عليه او خواه ذكم
وصاكم به لعلكم تذكرون ولما كانت الخمسة المذكورة قبل هذا من ان ترك
الظاهرة الجلية وجب تعقلها وفهمها فختمت بقوله لعلكم
تعقلون وهذه الاربعة خفية عامضة لا يدرك من الاجتهاد ومن
الذكر الكثير حتى تقف على موضع الاية الاخيرة بقوله لعلكم تذكرون
• وان هذا صراطي مستقيما قرئ هنا بكسر الهمزة وتشديد النون على
الاستئناف وواو ما بعدها جملة معطوفة على الجملة المستأنفة وقرئ بفتح
الهمزة وتشديد النون على الاستئناف وما بعدها جملة معطوفة
على الجملة المستأنفة وقرئ بفتح الهمزة وتشديد النون وهو على اضمار
اللام التقديرية والاصل كقوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم فقوله تعالى
فليعبدوا او ليشهدوا البيت وقرئ وان وهي على اضمار اللام وان مخففة
من الثقيلة وفيها ضمير الشان والاشارة بهذا الى الامات التي
اعقبها هذه الاية من الاوامر والنواهي التي هي احكام التي لم تنسخ
في ملة من الملل ومستقيما حال مؤكدة لان صراطه تعالى لا يكون الا مستقيما

قربين
ة
ول

• ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله في مسند الدارمي عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا يوما خطا فقال
هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن يساره ثم قال هذه
سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليها ثم قرا هذه الآية وهي
قوله عز وجل ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وانتصب هنا
قوله فتفرق لاجل النهي جوابا له اي فتتفرق فحذف التاء وقرئ
فتفرق بتشديد التاء • ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون كرر التوصية
على سبيل التوكيد وقيل ايضا انه لما كان الصراط المستقيم هو الجامع
للتكاليف وامر سبحانه وتعالى باتباعه ونهى عن بنيات الطريق
ختم ذلك بالتقوى التي هي اتقاء النار اذ من اتبع صراطه نجى النجاة
الابدية وحصل على السعادة السرمدية • ثم آتينا موسى
الكتاب تماما على الذي احسن ثم تقتضي المهلة في الزمان
هذا اصل وضعها ثم تاتي للمهلة في الاخبار قال الزمخشري
رضي الله عنه عطف على وصاكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه
بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية
قديمة لم تزل تتواصاها كل امة على لسان نبيها عليه الصلاة
والسلام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هن محكمات لم ينسخهن
شيء من جميع الكتب فكانه قال ذلكم وصاكم به يا بني آدم
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك ان آتينا موسى الكتاب وانزلنا
هذا الكتاب المبارك انتهى والذي قاله الزمخشري رضي الله عنه
هو انه رام ابقاء ثم على المهلة الزمانية فصار التقدير ان
وصاته تعالى تقدمت قبل زمان موسى عليه الصلاة والسلام
ثم آتينا ففيه خروج عن ضمير الغائب في به الى ضمير المتكلم في قوله
ثم آتينا والكتاب هنا التوراة وتماما منصوب على الحال
وهو مصدر في الاصل والذي احسن ايضا هنا جنس اي على
من كان محسنا ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه على الذين
احسنوا وقراءة ابي تماما للمحسنين وهاتان القراءتان تفسير
لا قرآن بلقاء ربهم اي البعث للحساب • وهذا كتاب انزلناه مبارك
في هذا اشارة الى القرآن وانزلناه ومبارك صفتان للكتاب وكان
الوصف الاول جملة فعلية مسندة لضمير الله سبحانه وتعالى بنون
العظمة وكان الوصف بالانزال آكد من الوصف بالبركة فقدم لان
الكلام هو مع من ينكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وينكر انزال الكتب
الالهية وكونه مباركا عليهم هو وصف حاصل لهم منه متراخ عن
الانزال فلذلك تاخر الوصف بالبركة وتقدم الوصف بالانزال
وبركته هو ما يترتب عليه من النفع والنماء بجمع كلمة العرب به والواعظ

والحكم

والحكم والاء علام ما اختار الامم السالفة والاجوال السالفة لنا فيه
واستغنا من ان نوحي اليه والاستغناء كقاريه وعدته من اهل الله تعالى
• فاتقوا وا تقوا لعلكم ترحمون • ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين تبيين
من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين • ان تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
فقد جاءكم الكتاب لئلا تقولوا ولا تحلوا ان تقولوا وقدرة البصريون
كراهة ان تقولوا او لا تعاملوا من كلا المذهبين ان لئلا محذوفة
يدل عليه ان كناه المتقدمة والكتاب هنا حسن والطائفتان
هم اهل التوراة والانجيل اي اليهود والنصارى ملا خلاف والخطاب
متوجه الى كفار قريش باثبات الحجة عليهم بانزال هذا الكتاب
لئلا يحتجوا بهم وكفاية العرف بانهم لم يكن لهم كتاب فكانه
قيل وهذا القرآن بالغ الغرابة انزل حجة عليكم لئلا تقولوا
انما انزل التوراة والانجيل بغير لساننا على غير نا ونحن لم
نعرف ذلك فهذا كتاب بلسانكم مع رجل منكم وانما قال الزمخشري
وان كنا بالمخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها
وبين النافية وان صلة وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء
هنا ضمير الشان وما ذهب اليه من انها صلة وان كنا الهاء بنا
هي ضمير الشان فلزم منه ان ان المخففة من الثقيلة عاملة في مضمر
محذوف وفي حالة التخفيف بما قال النحويون في ان المخففة
من الثقيلة والذي نص عليه الناس عليه ان ان المخففة من
الثقيلة اذا لزمت اللام في احد الجزئين بعدها او في احد
معمولي الفعل الناسخ الذي قبلها انها مهملة لا تعمل في ظاهر
ولا في مضمر لاشتباه وان محذوف فهذا الذي ذهب اليه
مخالف للمنصوص وليست اذا ولها الناسخ داخلة في الاصل على
ضمير الشان البتة او نقول ان ان التي على اسم الكتاب هو
انتقال من الاخبار بحصر انزال الكتاب على عظم وانه لم ينزل عليهم
الا الاخبار بحكم على تقدير والكتاب هو الكتاب السابق
ذكره ومعنى الهدى لهم اي ارشد واشرع اهتدى الكوفيون نزل علينا
اي بلسان عربي فهمه وفي رواية لكونه نزل علينا لسانا فنحن
نتفهمه وندرس وندرك ما تضمنه من عز الكبرياء وكبر والاعلام
ان خلاف الكتاب الذي انزل على الطائفتين قامة وغير لساننا
ونحن لا نعرفه ونغفل عن دراسته فقد جاءكم بينة من ربكم
وهدى ورحمة هذا قطع لاعتذارهم باحصار انزال الكتاب
على الطائفتين وكونهم لم ينزل عليهم كتاب ولو نزل لكانوا
اهدى من الطائفتين والظاهر ان البينة هي القرآن وهو
الحجة الواضحة الدلالة البينة حيث نزل عليهم بلسانهم واشتمل العالم احكامه

وشريعته وان الهدى والنور من صفات القرآن وصدق عنها اعرض وصد
وتاخر الاعراض لانه تاش عن التكذيب والاعراض عن الشيء هو عدم رؤيته
وظهور سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون
فيه وعيد شديد وعلق الجزاء على الصدوف لانه ناش عن التكذيب
• هل ينظرون الا الصيحة التي ينظرون عائد على الذين قيل لهم فقد
جاءكم بينة من ربكم اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة لقبض
ارواحهم وتعذيبهم او قيام ربك بعلمه وقدرته تعالى بلا اين
ولا كيف لفصل القضاء بين خلقه في الموقف يوم القيامة او بالي
بعض آيات ربك يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض
آيات ربك هي اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك
• يوم يالي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل
لا تنفع وايمانها فاعل ينفع واحتاج الى العود عليه لانه مؤنث مجازي
كقولك ضربت زيدا اعلامه وتقدم نظيره في سورة الكهف او اذا تلا
امراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال ابن مجشري رضي الله عنه لن تنفع
بانتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعض كفوهم
ذهبت بعض صنائعه انتهى هذا غلط لان الايمان ليس بعضا
للنفس ويحتمل ان تكون اذ آيات على معنى الايمان وهو المعرفة او هو
العقيدة فتكون مثل جاءته كتابي فاحتقرها على معنى الصحيفة
ووصف نفسا بحالة السفينة ومعنى لم تكن آمنت من قبل دلك على ان
ان ايمانها وحدها اذا ان ايمانها وحدها نافع قبل ذلك اليوم نفعها
ذلك وملخص هذا انه حمل ذلك اليوم ينفع الايمان وحده او ينفع مع
كسب الخير • قل انتظروا هذا امر تهديد ووعيد • انا منتظرون
ما يحل بكم • ان الذين فرقوا دينهم قرئ فارقوا وفرقوا اي بالتخفيف
والتشديد وبالالف واسقاطها دينهم وكانوا شيعا كاليهود افترقوا
على فرق ايمن وربانيين وسمرة وكالنصارى افترقوا على ملكية ويعقوبية
ونسطورية واهل الضلال من هذه الامة واصحاب البدع والاهواء
منهم كالخوارج وهم طوائف كثيرة شيعة اي متفرقة عن اتباع الحق لست
منهم في شيء من احوالهم عن السابقية التامة والمقاربة كقول الناصحة
اذا حادلت في اسد فحورا • فاني لست منك ولست مني • قوله عز وجل
انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
روى ابو سعيد الخدري وابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في الاعراب
الذين آمنوا بعد الهجرة ضوعفت لهم الحسنة بعشر وضوعفت
لمهاجرين بسبعمائة انتهى لما ذكر حال من فارق دينه ورتب عليه ان الله
تعالى ينبئه بما فعل وذكر الجزاء عليه والظاهر عموم من جاء وعموم الحسنة
وحصر العدد فيما ذكر فاي شخص ما جاء بحسنة ما جوزي عليها بعشر امثالها

ومن جاء

ومرجآء بسبب جودي مثلها وقرئ بسكون مثلها على الاضافة
وقرئ غير امثالها فامثالها صفة لغير والضمير في امثالها
عائد على الحسنة • قل اني هداني ربي الى صراط مستقيم امره
تعالى بالاعلان بالشريعة وبذم ملتهم اولا وقوله هداني
لا عوج فيه وقوله اشارة الى ربي تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
والتفت دينا قيما على اضمار فعل بعد من هداني دينا قيما ودل
على ذلك قوله قل هداني ربي وتعدي هداي تارة بالى كقوله
الى صراط مستقيم وتارة بنفسه الى مفعول ثان كقوله تعالى في
الآية الثانية وهديناهما الصراط المستقيم وقرئ قيما وقيما
وجهه في اوائل سورة النساء وقرئ فيما كتبوا وفي كتابا الغرابين
هو وصف لقوله دينا قيما وملة بدل من قوله دينا وحنيفا حال
وقد مر نظيره في سورة البقرة • وما كان من المشركين نفي عليهم
في اتخاذهم الهة واشراكهم مع الله سبحانه وتعالى وابراهيم عليه
الصلاة والسلام برئ من ذلك كله فكان يجب عليهم اتباع ابيهم ابراهيم
عليه الصلاة والسلام اذ هو الذي يفتخرون عليه وعلى تعظيمه مرجع
الطوائف • قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
لا شريك له ظاهر العموم من الصلاة المفروضة وغيرها ونسكي
قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الذبائح اي تذبح لله سبحانه وتعالى
وجمع بينهما كما جمع في قوله تعالى فصل لربك وانحر ومعنى
ومحياي ومماتي يحصل في اثنائهما اي فلا يشغلهما الا الله سبحانه وتعالى
لا شريك له في امر ما والاشارة بذلك الظاهر امره الى قل اني هداني
ربي الى صراط مستقيم والالف واللام في المسلمين للعهد ويعني
به هذه الامة اي وانا اول المسلمين من هذه الامة لان اسلام
كل نبي سابق على اسلام امته لانهم منه ياخذون شريعته قل
اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء حكي ان المشركين قالوا
له روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد
الى ديننا واعبد الهتنا وانا نتحمل ما اصابك عليه ونحن نتكفل
لك بكل ما تحتاج اليه في دنياك وآخرتك فنزلت هذه
الآية والهمزة للاستفهام ومعناه الانكار والتوبيخ وهو رد
عليهم اذ دعوه الى الهتهم والمعنى انهم دعوه غير الله ربا وغيره
مربوب له • ولا تكسب كل نفس الا عليها تقدم الكلام غنيا
في سورة البقرة • ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون والتنبيه عبارة عن الجزاء والذي اختلفوا
فيه هو امر الاديان والمذاهب قال ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى
يجازيكم بما يترتب عليه من الثواب والعقاب وسياق هذه الجمل سياق
الوعيد والتهديد

• وهو الذي جعلكم خلائف الارض اذكرهم تعالى بنعمته عليهم اذكان المنة
المعروف وهو محمد عليه افضل الصلاة والسلام خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم
فانه خلفت سائر الامم ولا نبي بعده امة تخلفها اذ عليهم تقوم
الساعة • ورفع بعضكم فوق بعض درجات قال ابن عباس رضي الله عنهما
رفع الدرجات الذي ذكر الله تعالى في القرآن هو ان امة الدعوة
والاسلام وسعة الرزق الى غير ذلك مما لا نهاية في ابداء الاحتمال • وقوله
عز وجل ليبلوكم فيما آتاكم متعلق بمحذوف اي ورفع بعضكم فوق بعض درجات
اي ليبلوكم فيما آتاكم من ذلك جاها ومالا علما وكيف تكونون
في جميع ذلك اي ليختبركم فيما آتاكم • ان ربك لسريع العقاب وانه
لغفور رحيم لما كان الابتلاء بظهر المسيء والمحسن والطائع
والعاصي ذكر هذين الوصفين وختم بهما هذه السورة الشريفة
ولما كان العقاب على فواصل الآي اي فيما يتهدد به عباده
بقوله سريع العقاب يعني لمن كفر ما اعطاه الله سبحانه وتعالى هو
وسرعة عقابه ان كان في الدنيا فالامر ظاهر وان كان في الآخرة
فوصف بالسرعة لتحققه اذ هو كل ما هو آت آت ولما كان
جهة الرحمة ارجى اكد ذلك بدخول اللام في الخبر وبكون الوصفين
ببناء المبالغة ولم يات في جهة العقاب بوصف بذلك فلم يات
ان ربك معاقب وسريع العقاب من باب الصفة المشبهة
سورة الاعراف بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك
الآية هذه السورة مكية كلها بالاجماع كما قال ابن عباس وغيره وقال
مقاتل رضي الله عنه الا قوله واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر
الى قوله من ظهورهم ذرياتهم وان ذلك عدد ورؤي ذلك ايضا عن ابن عباس
رضي الله عنهما وقيل الا قوله عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة واعلم ان
هذه السورة مما قبلها من حيث انه لما ذكر تعالى قوله وهذا كتاب انزلناه
مبارك فاتبعوه واستطرد منه لما بعده والى قوله اخر السورة وهو الذي
جعلكم خلائف الارض وذكر ابتلاءهم فيما آتاهم وذكر ان لا يكون الا ذلك
ما لتكاليف الشرعية ذكر ما يكون به التكاليف وهو الكتاب الالهي
وذكر الامر وما يتبعه كما امر في قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه
واتقوا لعلكم ترحمون وتقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة اول السورة
في اول سورة البقرة وذكرنا ترتيبه الناس فيها ولم يتم دليل واضح على شيء من
تفسيرها يتعين به ما قالوه او رادوا فيها الا حمل الصفا او الا يقوم
الدليل على صحة شيء منها وانه تعالى اراد ان يكون في صدر كل سورة منها اي بين
سببه لما تضمنته من اعباء الرسالة وتبليغها الى المؤمن بكتاب ولا
اعتقد صحة رسالة وتكليف الناس احكامها وهذه امور فظيعة
وصعابها يستحق عليه ذلك واشد الذي الى الحرج ومعناه نهي المخاطب عن

التعرض

التعرض للحرج وكان ابلغ من نهي المخاطب عما فيه الحرج وكان مما
نهي نبيه عليه عنك وانتفت عنه بعدم التعرض له ولان فيه
تنزيه نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينهاه فيأتي التركيب ولا يحرج
منه لان ما انزله تعالى اليه فيأبى ان يشرحه وينشرح لما فيه
من تخصيصه بذلك وذكر بعد حث امته لان الكتاب
عليه وجعله سنة لمن بعده من امته فلهذه الفوائد عدل
عن ان ينهاه وهي الحرج هذا كتاب خير فتدبر احذر وفقك
هذا كتاب وانزلنا اليك هذه جملة في موضع الصفة لكتاب
والظاهر ان الضمير في منه عائد على الكتاب وذهب الفراء
وتبعه الحوفي والزمخشري وابن عطية رضي الله عنهم اجمعين الى ان قوله
لتنذر به متعلق بقوله انزل اليك وقوله انزل ماض ان اريد
ولتنذر مستقبل ان اريد لذلك احتيج الى جعله معمولا
من اجله للام الجر لما اختلف زمانها والجملة من قوله فلا تكن
اعتراض بين انزل وبين لتنذر وذكرى مصدر وهو محمول
عطفا على المصدر المنسبك من ان والفعل المنصوب باضمارها
في قوله لتنذر اي لانذاركم وذكرى وعبر بذكرى هنا المراد
به ولتذكروا الموعظة كقوله تعالى وما يتذكر الا من ينيب
وحذف مفعول لتنذر اي لتنذرهم الكافرين ويدل على حذفه
تقدم في قوله وذكرى اي عظة للمؤمنين • اتبعوا ما انزل اليكم من
ربكم يشمل القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى والضمير في من دونه عائد على ربكم • ولا
تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون اي ما تتذكرون وهم من دونه
اولياء كالاصنام والرهبان وانكحتهم الاحبار والنار والكواكب
والحيوان واكلها دون الله وانتصب قليلا على انه نعت لمصدر
محذوف وما اندرة اي تتذكرون تذكرا قليلا • وكم من
قرية اهلكناها كثرة تقدير وكثر من القرى اهلكناها
واعاد الضمير في اهلكناها على معنى كم وهي تكون في موضع رفع
بالابتدا واهلكناها جملة في موضع الخبر واجاز الاخفش ان تكون في
موضع نصب باضمار فعل يفسره اهلكناها تعذيرا وكم من قرية
اهلكناها اي والمراد اهلها اي وكثير من القرى اهلكناها
ولا بد في الآية من تقدير محذوف مضاف لقوله فجاءها
باسنا بياتا اوهم قائلون اي وقت قيلولتهم فمنهم من قدره
وكم من اهل قرية ومنهم من قدر اهلكنا اهلها ويناسبني
ان يقدر عند قوله فجاءها اي فجاء اهلها وجاء الحال من
اهلها بقوله بياتا فما بدل اوهم قائلون لانه يكرر الامر بالمجيء

والكاف

والهاء وعيد لكل من

فلا ضرورة تدعوا الى حذف المضاف قبل قوله فجاءها والضمير في قوله
اهلكناها المرفوع ضمير المتكلم المعظم نفسه وفيه التفات اذ
فيه خروج من ضمير الغائب المفرد الى ضمير المتكلم وقائلون هو من
القيلولة نوع مجيء الباء الى نوعين الاستراحة وهو بياتا اي ليلا اذ
هو وقت سكون وراحة والى زمان القيلولة وهو وقت الراحة
ايضا واو هنا انت للتفصيل بين الزمانين قال الزمخشري رضي الله
عنه فان قلت لا يقال جاء زيد هو فارس بغير واو فما بال
قوله تعالى او هم قائلون قلت قد قدر بعض النحويين ان
الواو محذوفة ورده الزجاج رضي الله عنه فقال لو قلت
جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج الى
واو فيه هنا لان الذكر قد عاد الى الاول والصحيح انها اذا
عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي
عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت هنا للوصل
فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس فخبيث انتهى فاما بعض
النحويين الذي ابهمه الزمخشري رضي الله عنه فهو الفراء رضي الله عنه
واما قول الزجاج رحمه الله تعالى في التمثيلين لم يحتج فيه الى
الواو لان الذكر قد عاد الى الاول ففيه ابهام وتعيينه لم
يجز دخولها في المثال الاول ويجوز دخولها في المثال الثاني فانتفاء
الاحتياج ليس على حد سواء لانه في الاول لامتناع الدخول وفي
الثاني لكثرة الدخول لا لامتناعه فاما قول الزمخشري رضي الله عنه
والصحيح الى اخره فتعليله ليس بصحيح لان واو الحال ليست حرف
عطف فيلزم من ذكرها اجتماع حرفي عطف لانها لو كانت للعطف
للزم ان يكون ما قبل الواو حالا حتى تعطف حالا على حال فمجيئها
فيما لا يمكن ان يكون حالا دليل على انها ليست واو عطف ولا لحظ فيها
معنى واو عطف تقول جاءني زيد والشمس طالعة فجاء زيد
ليس بحال فتعطف عليه جملة حال وانما هذه الواو مغايرة
لواو العطف بكل حال وهي قسم من اقسام الواو كما تاتي للقسم
وليست فيه للعطف اذا قلت والله ليخرجن واما قوله فخبيث
فليس بخبيث وذلك انه بناه على ان الجملة الاسمية اذا كان فيها
ضمير ذي حال فان حذف الواو منها شاذ وتبع في ذلك الفراء وليس هو
بشاذ بل هو كثير وقوعه في القران وفي كلام العرب نثرها ونظمها
وهو اكثر من رمل يبرين ونهر فلسطين وقد رجع الزمخشري عن هذا
المذهب الى مذهب الجماعة • فما كان دعواهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما معنى قوله دعواهم يعني تضرعهم الا اقرارهم بالشرك
انتهى ودعواهم اسم كان واذ ظرف معمول لدعواهم وخبر كان ان قالوا

اي الا قولهم

اى الا قطعهم واذا وما بعدها معمول للقول • فلنسئلن الذين
ارسل اليهم اى نسأل الامم المرسل اليهم عن اعمالهم وعن ما لقوه المرسلين
المرسل وعما اجابوا به من ارسل اليهم او ارسلوا اليهم لقوله تعالى يوم يجمع
الله الرسل فيقول ما ذا اجبتم وسؤال الامم تقريع وتوبيخ لعبدة الاصنام
الكفار والعصاة عذابا وسؤال الرسل تأنيس لعبدة الانبياء
عليهم الصلاة والسلام توابا وكرامة • فلنقصن عليهم بعلم اى نسردن
عليهم اعمالهم قصة قصة بعلم منا لذلك واطلاعنا عليه وما كنا
غائبين • عن علم منه وهذا من اعظم التهديد والتقريع حيث
نفى عنه ما لا يليق به وشهد عليهم بثباتهم ونقش الله عليهم
اعمالهم • والوزن يومئذ الحق مبتدأ وخبر اى والوزن ثابت في القيامة موازين
توزن بها اعمال العباد انما غاير الطوامير المنصوص في ذلك
وذهب مجاهد والضحاك والاعمش وجماعة وهو قول
الغزالي الى ان ما ورد من الوزن والموازين هو كناية عن العدل
ومجاسبة اقل الخلق كما في اعمالنا والوزن مبتدأ ويومئذ
ظرف منصوب بالوزن والتنوين في اذ تنوين العوض من
جملة محذوفة تقديرها يوم اذ تسأل وتنقص فحذف ذلك
وعوض منه التنوين ولذلك قد لا يجتمعان وكذا في كل موضع
يلحق التنوين فيه لان والحق خبر عن المبتدأ الذي هو الوزن • فمن
ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون الظاهر هنا الميزان وذكر انه
ذو كفتين ولسان ولم تنقل مثل هذا نصا لا في القرآن ولا في
السنة والثقل والخفة انما هما من صفات الاجسام والحسنات
والسيئات من صفات الاعراض فكيف يوزن الا ان الذي ورد في الصحيح
الى كتبت فيها الحسنات والسيئات في قوله مولاه اورد الضمير
من حيث اللفظ من ثم جمع في قوله فاولئك مراعاة لمعنى من
ايضا ويتعلق وبآياتنا بقوله يظلمون لتضمنه معنى يكذبون
ولانها بمعنى يجحدون وفيه والقد مكناكم في الارض تقدم معنى
مكناكم في قوله في اول سورة الانعام ومكانهم في الارض مكانة
بمكن لكم والخطاب راجع للذين يحوطونه اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
وما بعدها او رجوع الى الاعتبار والالتفات بتذكيرهم في الدنيا
وما يؤول اليه في الآخرة قليلا ما تشكرون بالام تشكرون
تشكرا من حيث العدد الحروف والحركات والا فالواو للتكثير
والمعيشة هي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها مما يتوصل به
الى ذلك وفي الاصل معيشة بترك همزة اتى الالف واعراب قليلا
ما تشكرون كاعراب قليلا ما تذكرون • ولقد خلقناكم اى على حذف
من المهلة و

قد تقدم

في الزمان فعاد إلى الخلق وهو خارج من العدم الصرف إلى وجوده الذي
اكتسبه بقوله تعالى خلقه من تراب ثم سواه بالتصوير وهو تشكيله
بالصورة الآدمية وتفسير قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم الذي في سورة البقرة فاغنى عن اعادته هنا وقوله لم يكن من الساجدين
جملة لا موضع لها من الاعراب وهو كذلك لمعنى ما آخر حد الاستثناء
من نفي سجود إبليس كقوله إلى وإستكبر بعد قوله إلا إبليس في
سورة الحجر قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك استفهم
ضمير المتكلم المعظم نفسه لما ضمر الغيبة في قال وما
استفهامية مبتدأة والجملة بعده خبره وإلى ان لا تسجد
تأويله لدلوك كقولك عرفت إلى ان لا تسجد
وإذ معمولة لقولك كمنعك والمعنى انه وقعه وقوع علي
امتناعه من السجود وان كان تعالى عالما بما منعه من السجود
وما استفهامية تدل على التوبيخ كما قلنا قال انا خير منه
هذا ليس بجواب مطابق ليسر ألكنه متضمن لجواب إذ معناه
مختص فضلني علي لشرف عنصري على عنصره ولم ينظر الى ما
لمن أمره بالسجود وهو الله سبحانه وتعالى فامتثال الامر طاعة
لله تعالى وقد تكلم الناس في تفضيل النار على الطين وفي تفصيل
الطين على النار بما هو مذكور في كتابنا المسمى بالبحر المحيط فراجعه
ان شئت قال فاهبط منها لما كان امتناعه من السجود لظهور كبر
على آدم عند نفسه قابله الله تعالى بالهبوط الشعر بالكبر وكل
من عدل الى سفل والضمير في منها عائد على الجنة وان لم يجر لها ذكر
قال ابن عطية اهبط او اخرج او اخرج من الجنة وصار في
السماء لان الاخبار تظافرت انه اغوى آدم وحواء من خارج
الجنة ثم اهبط من السماء مع آدم وحواء عليهما السلام
والسلام ومعنى فما يكون لك ان تتكبر فيها اي لا يسوغ لك او لا يتم
لك او لا ينبغي لك والضمير في فيها عائد على ما عاد عليه منها
ولا معمول قرهذا الظرف لا لتكبر منهي عنه في كل موضع وكرر هنا
معنى الهبوط بقوله فاخرج منها لان الهبوط منها خروج ولكنه اخرج
بصغار وذلة اي ذلة وهوانه جزاء على قلة فضيلة ما تصغر
ما اتصف به وهو الصغار الذي هو ضد التكبر والتكبر تعظم
منه لآدم خلق كثيرا عظيما فلم يكن هو الذي تعاطى الكبر فاي
ان تنظرني الى يوم يبعثون هذا يدل على اقرار ما كتب وعلم ما
آدم سيكون له ذرية ورسل يعمرون الارض ثم يموتون والضمير
في قوله يبعثون عائد على ما ذكر على المعنى او لبس في اللفظ هنا
ما يدل عليه ومعنى ان تظرني اي اخرني الى يوم يبعثون قال انما

اغويتني

اغوينني الطاء ان الباء للقسم وما مصدرية والدليل
تلقنت الحلف بقوله لاقعدن واغويتني بمعنى اضللتني
قال ابن عباس رضي الله عنه والاغواء منسوب الى الله تعالى لابليس
وهو فعل من قال الله سبحانه وتعالى جار على الحكمة الا ان يستجار
ان يقسم به قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت هم تعلقت
الباء قلت تعلقها بلاقعدن بصد عنه لام القسم لانك تقول والله
لئن قدر لامرك قلت قد تعلقت تفعل القسم المحذوف فقد تنزع
فيما اغويتني اقسم الله لاقعدن اي بسبب اغوائك اقسم فنفي
ما ذكره الزمخشري من ان اللام تصد عن تعلق الباء بلاقعدن
ليس مجمعا عليه فلك في ذلك خلاف وعرا لقعود عن الشوق
في الثاني والثلث فيه قالوا واستصعب صراطك على استقامة
على قاله الزجاج رضي الله عنه وعنهم يقول العرب صعب يصعب
الظهر والبطن اي يتعلى الظهر والبطن وبقاطع والحر لا يفارق
في مثل ذلك اني ومثل هذا الا ان فيما اقعدن الحسد وقد
تعدى على الحسبة والاولى ان يضمن لاقعدن معنى ما
ما يتعدى بنفسه فينتصب الصراط على انه مفعول به
والتقدير لازمن تعودني صراطك المستقيم وهذا الصراط
هو دين الاسلام وهو الصراط اي الطريق المستقيم الموصل الى
الجنة • ثم لاتينهم من بين ايديهم الظاهر ان اتيانه من هذه
الجهات الاربع كناية عن وسوسته واغوائهم والحد في اضلاله
من كل وجه يمكن ولما كانت هذه الجهات يأتي منها العدو
غالبا ذكرها لانه يأتي من الجهات الاربع حقيقة وعبارة في
الحرف الذي هو من وعن لانه لو كان الكلام من او عن لكان في
تكرار ذلك قلق في التركيب • حذروما تعاذ واحذر دائما
دائما عامله معاملة الجمع ويجوز ايدلها التاء منه محذورا تعا ل
حرج ابعده واقصاه حورا قال الشاعر • حرت بي الحصب قد
وقد كانوا ذوي اشر وفخر • وهذه دلالة لواسرار مرتعا للهبوط
مطلقا وامر بالخروج مخبرا انه ذو اصغار وادر فيرتا لخروج
معتدا بالدم والطرد • لمن تبعك منهم قرأ الجمهور لمن بفتح اللام
والظاهر انها اللام الموطئة للقسم ومن شرطية في موضع رفع على الابتدا
وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم المحذوف وذلك
اللام الموطئة ويجوز ان تكون اللام لام الابتدا ومن موصولة
ولا يلزم ان جواب قسم محذوف بعد من تبعك وذلك القسم
المحذوف وجوابه في موضع جر وقد يكون خبر من الموصولة
وقرأ الحدري وعصمة عن ابي بكر عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام واختلفوا

ن نحن بجها قال ابن عطية رضي الله عنه المعنى لاحل من يتبعك
لاملان جهنم انتهى وظاهر هذا التقدير ان اللام تتعلق بقوله
لاملان ويمتنع ذلك على قول الجمهور وان ما بعد لام القسم
لا يعمل فيما قبلها قال الزمخشري رضي الله عنه يعني لمن يتبع منهم
الوعيد الشديد وهو قوله لاملان جهنم منكم اجمعين على ان
لاملان في موضع الابتداء ولمن تبعك خبره انتهى ان اراد ظاهر
كلامه فهو خطاء على مذهب البصريين لان قوله لاملان جملة
جواب قسم محذوف فمن حيث كونها جملة فقط لا يجوز ان تكون
مبتدأة ومن حيث كونها جواب القسم المحذوف يمتنع ايضا لانها
اذ ذاك من هذه الحيثية لا موضع لها من الاعراب ومن حيث
كونها مبتدأة لها موضع من الاعراب ولا يجوز ان تكون الجملة
الواحدة لا موضع لها ولها موضع لانا نقول لم يلزم ان تكون في موضع
رفع لا موضع رفع واحد لا عليها عامل عنه دخل عليها عامل
وذلك لا يتصور * وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة اي وقلنا
يا آدم اسكن وتقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة الا ان
هنا فكلا حذف منه رغدا وفي سورة البقرة اثبت منه رغدا حيث
شئتما قالوا وجاءت على احد محامليها وهو ان يكون الثاني بعد
الاول وحذف رغدا هنا على سبيل الاختصار واثبت هناك
لان تلك مدينة وهذه مكنة فوفى المعنى هناك باللفظ فوسوس
لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما اي فعل الوسوسة
لاجلهما واما قوله فوسوس اليه فمعناها اي اتى الوسوسة
اليه * ليبدي اللام هنا لام كي وهي علة الى وسوسة * ما ووري
اي ما ستر وقرا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه اودي بابدال
الواو همزة وهو بدل جائز وقد ذكرنا ما ووري لواو وهو مفعول مفسر
من غير واو بعدها على وزن كسي وقراءة مجاهد والحسن من سوآتهما
بالافراد وتسهيل الهمزة وبابدالها واوا اقاد عامر الواو فيها * وقال
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين استثناء مفرغ من المفعول من اجله اي ما نهاكما ربكما
لشيء الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين اي من الذين لا يموتون
ويبقون في الجنة ساكنين * وقاسمهما اي لكما لمن الناصحين
لم يكف ابليس بالوسوسة ولم الالقاء في خفية حتى اولا بالقول حتى اقسم
على انه ناصح لهما والمقاسمة معاملة تقتضي المساواة في الفعل وهنا
فما بمعنى وقاسمهما اي اقسم لهما لان الممن لم يشاركه فيه وهو كمنوت
الساعة * وقاسمهما انه لمن الخالدين ثم ما لكم من الشاوى اذا ما نشورها *
واعلم قد يأتي بمعنى افعل نحو باعدت بالشيء واباعدته وكما

متعلق بمحذوف تقديره ناصح لكما او اعني او بالناصحين على ان
موصوفة وقد يتسامح في الظرف والمجرور ما لا يتسامح في غيرهما
• فدلا بما يورى به لهما اى سترهما الى الاكل من الشجرة بغروره
اى بخداعه اياهما واظهار النصح لهما واصل ان العش واضعهما
ان يكون امكنين او ظالمين وبما قاسماه انه ناصح لهما جعل من بعثه
بالكلام حتى تصدق فيقع في مصيدته كالذي يدلي من علو الى سفل
بحبل ضعيف فينقطع به فيهلك • ولما ذاقا الشجرة اى وجدا
طعمها اكلت منها كما قال سبحانه وتعالى فاكلا منها فبطرت
عنهما ملابس الجنة وظهرت لهما عوراتهما وقدم ايهما كان اشد في
الاسترار بها من بعضهما والاخر هما من الاخر وطفقا وطفق من افعال
المقاربة بفتح الفاء وكسرها وبالياء فكان الفاء مكسورة وتحصفان
خبر طفقا ومعنى يخصفان اى جعلا يلصقان ورقة على ورقة
ليلصقا بها والاقرب ان يعود الضمير في عليهما على عوراتهما كما قيل
يخصفان على سوأتهما من ورق الجنة وعاد بضمير الاثنين
لان الجمع يراد به اثنان وعليها ظرف يخصفان بمعنى فوق لا حرف
جر وفائدة هذا التركيب قوله تعالى امسك عليك زوجك
وقول الشاعر هوين عليك فان الامور بكف الاله مقاديرها
• وقد اختلفوا ايهما لكان وقت النهي شرع في التصريح باسمه في
النداء فقيل وياآدم اسكن وحسن كان وقت العتاب اجراء له
واداء ولم يصرح باسمه والظاهر ان الله عز وجل كلمهما ملاقاة بغير
واسطة والجملة معمولة لقول محذوف اى قائلا الم انهكما وهو تفسير
معناه العتاب على ما صدر منهما والنهي قوله تعالى ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وثم مضاف محذوف تقديره
عن قرباد تلك الشجرة واتى بها باسم الاشارة واللام للبعد
حذف ياء الفاعل الساكنين وكما خطاب للاثنين واقله
كما اشار اليه قوله تعالى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وسياتي الكلام عليها في سورة طه عند قوله
والسلام ولتكونن حواء فتتم محذوف تقديره عن قرباد تلك
الشجرة واتى بها باسم الاشارة كقوله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم انتهوا واتقدروا الله ان لم تعفرلنا
واكثر ما ياتي ان هذه واللام التوطئة قبلها كقوله لئن لم ينتهوا ثم
قال لنغرينك بهم ثم قال اهبطوا فقدم نشزه في سورة البقرة قال
فيها مخبرون هذا التفسير لتولدكم والارض مستقر ومتاع اى بلاغ الى
حين اى حين الموت • ومنها تخرجون اى الى النشاة بالاولى والوقوف
• يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا واريشا سواءاتكم • مناسبة هذه الاية

لما قبلها

لما أنه تعالى لما ذكر قصة آدم عليه الصلاة والسلام وما جرى بينه وبين إبليس
وصل إلى الأرض مستقرا ومتاعا إلى حين ذكر سبحانه وتعالى ما امتن به
على نبيه صلى الله عليه وسلم وما أنعم به عليهم من اللباس الذي
يوارى السوآت والرياش الذي يتمكن به المستقر ارهم في الأرض وكذا
ذكر سبحانه نعمه بما خلق لهم أي بما أعطاهم من نعمه سبحانه وتعالى • يا بني
آدم قد أنزلنا الآن سبحانه عن إطلاق السبب على مسببه
فإن المطر هو سبب ما يهيئ لباس الناس والناس يعم جنس
ما يلبس وستر والريش مخرج وهو ما عاش عن سعة الرزق
وكثرة المعاش والنعمة وقال الزمخشري رضي الله عنه لما كان
الريش مستعارا من لباس الطاير لأنه لباسه وريشه أي أنزلنا
عليكم لباسا يواري سوآتكم ولباسا من نعتكم لأن الزينة
غرض صحيح وكما قال تعالى لتركبوها وزينة ولكونها جمالا انتهى
وكتبته قوله خلقه تلبسونها وقرئ ولباس التقوى عطفا على
ما قبله وقرئ بالرفع وهو مبتدأ وذلك خبره مبتدأ وخبرا
خبره عن قوله ولباس وأراد بسهما اسم الإنسان كما يوسط الضمير
وكأنه قال ولباس التقوى هو خير والإشارة بقوله ذلك من
آيات الله إلى ما قدر من أنزال اللباس والرياش ولباس التقوى
والمعنى من آيات الله أي الدالة على فضله ورحمته على عباده •
لعلهم يذكرون هذه النعم فيشكرون الله تعالى عليها • يا بني آدم
لا يفتننكم الشيطان أي لا يضلنكم ويغلبن عليكم وهو نهي
للشيطان والمعنى نهيتم أنفسكم عن الاصغاء إليه والطواعية
لأمره كما قالوا لا أرينك ههنا ومعناه النهي عن الإقامة بحيث تراه
وكما لا يوضع نصب أي ونشبه مثل فتنة أمكم آدم في إخراج أبويكم
من الجنة ونزع لباسهما فيمن قرأ يخرج أبويكم كما لا يدخل الجنة
فيها فتنة الشيطان وصنيعه في الأبوين ونتف النزع والإزاءة إلى الشيطان
لما كان مستتبعا فيه • إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم قال
الزمخشري رضي الله عنه الضمير في إنه يراكم ضمير الشأن والحديث
انتهى لا ضرورة قد دعوا إلى هذا بل الظاهر أنه ضمير عائد على
الشيطان أي إن الشيطان وهو الذي يراكم أي يبصركم هو وجنوده
من الجهة التي لا تبصرونهم منها وهم أجسام لطيفة معلوم من هذه
الشريعة وجودهم كما أن الملائكة أيضا معلوم وجودهم من هذه
الشريعة ولا مستند لوجود أجسام لطيفة غير الإدراك فما لنا نحن
لا نراهم إذ الهوى جسم لطيف لا ندركه نحن وقد قام البرهان
العقلي القاطع على وجوده وقد صح تصورهم في الأجسام الكثيفة
ورؤية بني آدم لهم في تلك الأجسام كالشيطان الذي رآه أبو هريرة

حتى حمل بالقسط من الصدق والغرب الذي رآه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال لوادعوا الى سليمان عليه الصلاة والسلام لرفضة
في مارية من سواري المسجد وكحديث خالد بن الوليد سيف من سيوف
الله صلصة وكحديث سوداء ان قارف من ربيعة من الحق الا ان وراءهم في
الصور تادون بحار ان الملائكة سدوا في صور الحديث كحديث جبريل
عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى انذرتكم او قتله هو تعليمك
للنبي وكحديث من قتله بانه بمنزلة الغدر الملاحي بكم
واحتالكم من حيث لا تشعرون اما جعلنا اي صيرنا الشياطين
اولياء للذين لا يؤمنون اي ناصريهم وعاضديهم في الباطل
واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اما الظاهر انه اخبار مستأنف
عن بعض الكفار بما كانوا يفعلون اذا ارتكبوا المعاصي وقولهم
وجدنا عليها اباءنا تقليد لآبائهم في فعل ذلك والتقليد ليس هو
طريقا لحصول العلم وقولهم والله امرنا بها افتراء على الله تعالى
وكانوا يقولون لو كره الله ذلك لنقلنا عنه قل ان الله لا يأمر
بالفحشاء اي بفعل الفحشاء وانما لم يرد التقليد لظهور بطلانه
وابطل سبحانه وتعالى دعواهم ان الله تعالى امرهم بها او هددهم لذلك
انما هو الوحي على لسان الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام
ولم يقع ذلك • اتقولون على الله ما لا تعلمون وتهم سبحانه
وتعالى على كذبهم وقفهم على ما لا علم لهم به ولا دراية لهم فيه بكل
اي دعوى واختلاق • قل امر ربي بالقسط اي بالعدل
• واقيموا وجوهكم عند كل مسجد هو معطوف على ما يحمل عليه
المصدر الذي هو القسط اي بان اقسطوا واقيموا وكما يحمل
المصدر على الفعل الماضي نحو عجبت من قيام زيد وخرج
فقدر من ان قام زيد وخرج ولان والمضارع نحو يعجبني ان يسرع
وتسرعني فقدر من لان الدين عبارة وقد سرعتني ولما اشكل
هذا المخرج جعل الزمخشري رضي الله عنه واقيموا على تقدير
وقل اقيموا وقل اقيموا وجوهكم قال ابن عباس رضي الله عنهما
المعنى اذا حضرت الصلاة فصلوا في كل مسجد ولا يقل احدكم
اصلي في مسجدي • وادعوه مخلصين له الدين الدعاء بها على انها به
امر به مقرونا بالاخلاص كما بدأكم تعودون هذا على ما تبعث
اي كما اوجدكم واخترعكم كذلك تعيدكم بعد الموت والكاف في محل
النصب على انها صفة مصدر محذوف والمعنى تعودون اعادة مثل بدئه اياكم شبه الاعادة بالبدء
بين للوثنين وبين الكافرين وانتصب فريقا على انه مفعول به هدى وفريقا
الثاني اي الذين حقت عليهم الضلالة انتصب باضمار فعل يفسره ما بعده

طين

ذف

تقديرين واصلك وريقا وهذه من باب الاستخدام فيسر فكل ناصب
من معنى قوله حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين تعليل
للمعلق الذي حقت عليهم الضلالة يا بني ادم خذوا زينتكم عند
كل مسجد الاية كانت اهل الجاهلية يطوفون ما لبيت عراة وكانوا
لا يأكلون في ايام حجهم دسما ولا ياتون من الطعام الا قوتا تعظما
لحجهم فنزلت هذه الاية والمراد بعامة من المتدين وهو استعمال
له بمحال من اصابه وغيرها كقوله تعالى وان تنتم اي بالنساء
والمراد بها المامور باخذها هو ما ستر العورة في الصلاة وفي
صحيح مسلم عن عروة رضي الله عنه ان العرب كانت تطوف عراة
الا الحمس والحمس هم قريش ومن دانها كبني كنانة وخزاعة
فتعطي الرجال الرجال والنساء النساء وفي غير مسلم من لم
يكن له صديق بمكة يعيره ثوبا طاف عريانا او في ثيابه ثم القاها
فلا يمسها احد فسمي اللقاء وقال بعضهم كنى حرفا
جرى عليه كاتبه • لقي بين ايدي الطائفين حريم • قلت بعد
امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وامته ان يأخذوا
زينتهم عند كل مسجد اذن مؤذن برسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
• وكلوا واشربوا الظاهر ان المراد اباحة الاكل والشرب
من اكل اللحم والدسم ايام احرامهم والنهي عن الاسراف يدل
على التحريم بقوله تعالى • انه لا يحب المسرفين والظاهر تعلق
الاسراف بالاكل والشرب كما يوجد في المشاهدين في الدنيا من
جهالات النساء فوق في الاكل اي بحيث تضر على الدجاجة الواحدة
نحوا من عشرين درهما وكما تضر على الرطل من الحلوى او غيرها
نحوا من اربعين درهما ولقد شاهدنا بعض اكابرهم رسم ان
يعمل له خميرة وزنها مائتي من الغاني في كل سنة
اربعة اواق فقيل له ان الورد الآن كما قد طلع وهو غال فقال
اذ ليس هو موجودا فقيل له نعم هو موجود فقال لكم لقمة
كل موجود ليس بحلال وقد بلغنا عن بعض التابعين انه تأول
الاستثناء والله مستثنى ان بالسكر اسراف في الاقطاف انتهى
وقد سئل بعضهم في حال من يأكل ضر الورد من الجوع والفقر فقال
ذلك ان تحل كلما فقد اثم وانا تلام ان اكلت والى الاستثناء
وهما لا تتم في امانتها فكثير وتسألون درهما فقير ولا يسر ونه
• قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والمراد
بالزينة هنا ما يتجمل به من اللباس في الاقطار اشتهى
وقد سئل بعضهم في حال من يأكل ضر الورد من الجوع والفقر فقال
ذلك ان تحل كلما فقد اثم وانا تلام ان اكلت والى الاستثناء
وهما لا تتم في امانتها فكثير وتسألون درهما فقير ولا يسر ونه
• قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والمراد
بالزينة هنا ما يتجمل به من اللباس في الاقطار اشتهى
وغيرها واضيفت الى الله تعالى لانه هو الذي اباحها والطيبات المستلذات

من المأكول

د

اي اعلم

الماكول من المشروب بطريقه وهو الجن ومعنى الاستمتاع بها هو
ذكار تحريم هذه الاشياء وتبيح محرمها وقد كانوا يحرمون اشياء
من لحوم الطيبات وادماتها والاستمتاع اذا تضمن الانكار لاجواز
له ومعنى اخرج لعباده اى اظهرها واظهرها وفصل حلالها
من حرامها • قل هى للذين امنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة
وقرئ خالصة بالرفع وقرأ باقى السبعة بالنصب فالنصب
على الحال والتقدير قل هى مستقرة للذين امنوا فى حال
خلوصها لهم يوم القيامة وهى حال من الضمير المستكن فى الجار وكذا
فى المجرور الذى هو واقع عن الخبر وهو خبر الا ان وفى الحياة
متعلق بامنوا واما الرفع فجوز فيه ان يكون خبر الا ان وللذين
امنوا متعلق بخالصة وفى الحياة الدنيا متعلق بامنوا ويصير
المعنى قل هى خالصة يوم القيامة للمؤمنين فى الدنيا ولا تعنى
يوم القيامة وقت الحساب وخلوصها كونهم لا يحاقون عليها وفى
هذا المعنى نشير ابن جبير رضى الله عنه وجوز فيه اذ تكون
خبرا بعد خبر والاول هو للذين امنوا فى الحياة الدنيا
متعلق بما يتعلق به الذين وهو الكون المطلق قل هى كائنة
فى الحياة الدنيا للمؤمنين وان كان غيرهم فيها اى فى الحياة الدنيا
اشكاك وخالصة لهم يوم القيامة وجوز ان يكون حالا من الضمير المستكن فى الجار
والم

وجواب اذا قوله لا يستاخرون وقال الكوفي رضي الله عنه لا يستقدمون
معطوف على قوله يستاخرون انتهى وهذا لا يتم لان اذا شرطية فالذي
يترتب عليه هنا انما هو مستقبل ولا يترتب على مجيء الاجل في المستقبل
الا مستقبل وذلك يتصور في انتفاء ان يستاخروا لا في انتفاء
ان يستقدموا لان الاستقدام لم يسابق على مجيء الاجل في الاستقبال
فقصير نظر وقوله اذا اقمت في المستقبل لم تقدم قيامك في الماضي
ومعلوم انه اذا قام في المستقبل لم يتقدم قيامه هذا في الماضي
وهذا تشنيع سوء رديء كذاني لست بحمد لله معترضا
ولا سابقا شيئا اذا اراد حياتي ومعلوم ان الشيء اذا اراد حياتا
اليه لا يسبقه والذي يخرج عليه ان قوله تعالى لا يستقدمون
منقطع من الجواب على سبيل الالتفات اخبارا عنهم لا يستقدمون
الاجل الذي لا يستمرون وصار معنى الآية انهم لا يستقون الاجل
ولا يتاخرون عنه يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي هذا الخطاب هو لبني ادم في آل ذلك وقيل هو خطاب
وقت الانزال يعني تصور ان يستقبل اذ لتقوي الاشارة
بصحة الشرط الى محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى اتيان الرسل
اتيان كتبهم وقيل اتيان رسل من الجن فاما من اتقى واصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
الكذابين وذكر من هو اشد حالا منهم وهو من يفتري الكذب
على الله تعالى وذكر اصنافا من كذب بآياته اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب وكل المفسرون في هذه الآية اقوالا كثيرة
والذي يظهر ان الذي كتب لهم في الدنيا من رزق واجل
وعمر هو نيالهم فيها فذلك حالة الغيبة بعدها بحق
في قوله عز وجل حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم تقدم الكلام
على نحو اذا في اوائل سورة الانعام والمعنى انهم ينالهم حظهم
مما كتب لهم الى ان يأتيهم رسل الموت يقبضون ارواحهم وينالهم
سؤال توبيخ وتقرير اين معبوداتكم من دون الله تعالى
فيجيبون بانهم ضلوا عنهم اي ذهبوا واضمحلوا وارشدهم ملك الموت
واعوانه وسيقولون هم في موضع الحال وكتب اينما متصلة وكان
قياس كتابتها الانفصال لان ما موصولة كما في قوله ان ما توعدون
لآت وما هم اذا لقدير ايا لا لهة التي كنتم تعبدون من دوني
قد غون اي تستغيثونهم لقضاء حوائجكم وجواب سؤال لقمان
ليس مطابقا من جهة اللفظ لانه سؤال عن مكان واجيبوا ان
يقال وهو مطابق من جهة المعنى اذ تقدير السؤال ما فعل معبوداتكم
من دون الله معكم قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم بهذا هو
استيناف اخبار من الله تعالى بما قرارهم على انفسهم بالكفر قال

ادخلوا

ادخلوا فی امم ای سقول لاحدیهم ای لکفار العرب وهم المقرون
بالکذب والکذبون بالایات وذلک یوم القیامة وعبر بالماضی
لتحقق وقوعه وذلک لان الملایکة یسحبون الامم فی النار
بادخلوا والمعنی فی جملة امم وجوز ان یتعلق بمحذوف فیکون
فی موضع الحال وقد خلت قبلکم ای بقدامکم فی الحیاة الدنیا
او بتقدم دخولها فی النار وقدم الجن لانهم الاصل فی الاغواء
والاضلال ودل ذلک علی ان عصاة الجن یدخلون النار وفی النار
متعلق بخلت علی الاول بمعنی تقدم دخولها او بمحذوف وهو
صفة لامم ای فی امم سالفة کائنة فی امم کائنة من الجن والانس
کائنة فی النار کلما ما دخلت امة لعنت اختها کلما اتت هنا
للتکرار ولا تستوی دلک ان الامة الاولی والاخیرة تلعنان
السابقة او تلعن بعض الامة الاخری بعضها ومعنی اختها ای فی
الدین والمعنی کلما دخلت امة من الیهود والنصاری وعبدة
الاوثان وغیرهم من الکفار حتی اذا ادارکوا فیها جمیعا حتی علم
لما قبلها والمعنی انهم یدخلون فوجا فوجا لاعنا موضلهم بعضا
ای امة اختها فی الدین والمعنی حتی اذا ادارکوا فیها جمیعا
ای تداعوا فی الدرک فاجتمعت ثم قالت اخراهم ای
هنا بمعنی آخر مؤنث آخر مذکر ولا یؤنث آخر بمعنی
غیر کقوله تعالی وآخری من دونهم لام الاجل
ای لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله سبحانه وتعالی لانهم
قولهم اضلونا الی شرعوا لنا الضلال وجعلونا نضل وجلونا
علیه فاتهم عذابا ضعفا الی ذا تداعی عذابنا وعذابهم کفرهم
مستتبعوا کفرنا قال لکل ضعف ای لکل من الفریقین الاولین الی
عذاب مضاعف زائد الی غیر نهایة ویدل ان العذاب قوی بقید
فکل لم یقله اخر وقرأ الجمهور یا ایها علی الخطاب للتبعیض
ولکن لا تعلمون ای لا تعلمون ما لکل فریق من العذاب او لا
تعلمون المقادیر مصورة العذاب او خطاب لاهل الکتاب
ای ولکن یا اهل الکتاب لا تعلمون مقدار ذلک وهذه الکلمة رد
علی آولئک السائلین وعدم اسعافهم لما طلبوا وقالت اولاهم
لاخراهم ای قالت الطائفة الاسبق للطائفة المتبعة واللام
فی لاخراهم لام التبلیغ نحو قلت لک اصنع کذا لان الخطاب
هنا مع اخراهم بخلاف اللام فی لاولاهم فانها اذکرت لام السبب
لان الخطاب هناک مع الله سبحانه وتعالی فتدبر وما بین
جملة محذوفة وتقدیرها فاجابهم الله تعالی الی ما طلبتم
من تضعیف العذاب لنا فما لکم علینا من فضل بانا اغوینا کم ایانا فی الدنیا بل انتم

کفرتم اختیارا اخر

لا انا حملناكم على ذلك اجبارا وان قوله فذوقوا العذاب من كلام الاولى
خطابا للاخرى على سبيل التشفي منهم وان ذوق العذاب لاكسبتم
من الاثام لا بسبب دعواكم انا اضللناكم • ان الذين كذبوا باياتنا
واستكبروا عنها اي عن قبولها والتفكر فيها والايمان بها وقال
الزمخشري رضي الله عنه ان الاستكبار هو نتيجة التكذيب • لا تفتح
لهم ابواب السماء قرئ لا تفتح مخففا ومثقلا وبتاء الغيبة وبتاء
الخطاب ابواب السماء قال ابن عباس رضي الله عنهما اي لا تفتح لاعمالهم
ولا لدعائهم ولا لما يريدون به طاعة الله تعالى اي لا يصعد لهم عمل
صالح فتفتح لهم ابواب السماء وقيل المعنى لا تفتح لهم ابواب السماء في
القيامة ليدخلوا منها الى الجنة • حتى يلج والولوج معناه هنا
التقحم في الشيء اي الدخول فيه • الجمل هو الحيوان المعروف
والجمل بضم الجيم هو حبل كبير من احبال السفينة ولغاته تاتي
في المركبات ان شاء الله تعالى • في سم الخياط وهو ثقب الابرة
وتضم سين سم وتفتح وتكسر وقيل هو الثقب الذي يكون
في الانف او الذي يكون في الاذن او غير ذلك فالعرب تسميه سما
والخياط هو المخيط وهما آلتان كازار ومئزر ولحاف وملحف
وقناع ومقنع ويلج هذا نفي مغيا بمستحيل وذكر الجمل لانه
اعظم الحيوانات المزاول للانسان جثة فلا يلج الا في باب واسع
اي فلا يدخلون الجنة ابدا وقال الشاعر ايضا •
لقد عظم البعير بغير لب • فلم يستغن بالعظم البعير
وقرا ابن عباس رضي الله عنهما اي جماعة وابان عن عاصم الجمل بضم الجيم
وتشديد الميم وفسر ايضا بالقلس الغليظ وهو حبل من حبال
السفينة قد تجمع له حبالة كثيرة وتضم الى بعضها بعضا ثم تفتل
وتصير حبلا واحدا • وكذلك نجزي المجرمين اي مثل ذلك الجزاء
نجزي اهل الجرائم • لهم من جهنم مهاد هذه استعارة لما قد تحيط
به النار لانها تحيط بهم من كل جانب كما قال الله عز وجل لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ومن فوقهم غواش قال ابن عباس رضي الله
عنهما الغواشي جمع غاشية وهي في اللغة تطلق على اللحف • وكذلك
نجزي الظالمين • والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا
الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون لما اخبر سبحانه
وتعالى بوعد الكفار اخبر بوعد المؤمنين وخبر والذين الجملة من
لا نكلف نفسا الا وسعها وهذا هو اعتراض بين المبتدا والخبر وفائدته
انه لما ذكر قوله وعملوا الصالحات نبه على ان ذلك العمل وسعهم
وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم محلها
وارتفاعه يوصل اليها بالعمل السهل من غير مشقة • ونزعنا ما في صدورهم

الحيوان

من غل

من غل قال ابن عباس رضي الله عنهما الغل هو الحقد والاحنة التي
تخفيها النفس وجمعها غلال ومنه الغلول وهو اخذ الشيء خفية
وفي رواية اخذ الشيء خفاء وقوله ونزعنا اي اذهبنا في الجنة
ما انطوت عليه صدورهم من عدم الغل والحقد فلا يبغض
بعضهم بعضا ولا يحسد بعضهم بعضا ولا يؤذي بعضهم بعضا بل
هم في تفاضل منازلهم وكني بالصدر عن الشخص جميعه والذي
يظهر لي ان النزع للغل كناية عن خلقهم في الآخرة سالمي القلوب
ظاهريها متوادين متعاطفين كما قال تعالى اخوانا على سرر
متقابلين تجري من تحتهم الانهار وقوله تجري هو حال قاله
الحوفي رضي الله عنه قال والعامل فيه ونزعنا وقال ابو البقاء
رضي الله عنه هو حال ولكن العامل فيها هو معنى الاشارة او معنى
الاضافة وكلا القولين لا يصح لان تجري ليس من صفات الفاعل
الذي هو ضمير نزعنا ولا من صفات المفعول الذي هو ما في
صدورهم من غل ولان معنى الاضافة لا يعمل الا اذا كانت
اضافة يعمل يمكن للمضاف ان يعمل اذا جرد للاضافة او جرد
من الاضافة الى الانتقال رفعا ونصبا فيما بعده والظاهر انه
خبر مستأنف عن صفة حالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ومعنى هدانا اي وفقنا
لتحصيل هذا النعيم الذي صرنا اليه بالايمان والعمل الصالح
اذ هو نعمة عظيمة يجب عليهم بها حمده والثناء عليه وما كنا
وقرئ ما كنا باسقاط الواو ومعنى وما كنا لنهتدي من ذوات
انفسنا لولا ان هدانا الله وجواب لولا الجملة قبلها وهو
وما كنا لنهتدي ولا ينكر تقديم جواب لولا عليها الا ترى الى قوله
عز وجل ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون
من المؤمنين اي من المصدقين وقوله همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه وان كان الاكثر في لسان العرب تأخير جواب لولا كقوله
تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا
وقولهم لولا ان هدانا الله اي هو في موضع رفع بالابتداء تقديره
لولا هداية الله ايانا لقد جاءت رسل ربنا بالحق اي بالموعود الذي
وعدونا في الدنيا قضوا بان ذلك حق قضاء مشاهدة بالحس
وكانوا في الدنيا يقضون بذلك وكانوا في الدنيا يقضون بذلك
قضاء استدلال ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم
تعملون يحتمل ان يكون النداء من الله عز وجل وهو اسر لقلوبهم
وارفع لقدرهم ويحتمل ان يكون من الملائكة ويحتمل ايضا ان
تكون ان هي المخففة من الثقيلة اي ونودوا بانه تلكم الجنة واسمها

ضمير الشان

تحذف اذا خففت ويحتمل ان تكون اذ مفسرة لوجود شرطها وهما ان
يكون قبلها جملة في معنى القول وبعدها جملة وكانه قيل لكم
الجنة وقيل لكم اسكنوا انتم وازواجكم والذي بعدها خطاب للحاضرة والمعنى ان
الله عدها باعتبار سبق الوعد لها في الدنيا والجنة صفة لكم او لازواجكم او
خبر عن قبلكم والهمزة في اوتمنوها بدل من واو وجد لاجاز الا ان اصل
المادة الواو والواو اذا تقرأ وورث وزن وقوي ووتمنوها كان
عربيا لان فاعل من واو اواو ونحوه اوتي اذا اثبت هنا للمفعول
يجوز ان يسند اليه فتقول اوتيت وأوتيك ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قالوا نعم عبر عنها بالماضي عن المستقبل لتحقق
وقوعه وهذا الندا فيه تقريع وتوبيخ وتوقف على مكالمة الفريقين
وتأوه في كرب اهل النار ويجوز ان يشرف عليهم اهل الجنة ويخلق فيهم
ادراك اهل النار لذلك النداء في اسماعهم وقال في اخبار اهل الجنة
ما وعدنا بذكر المفعول وفي قصة اهل النار ما وعدكم بذكر مفعول
وعد لان اهل الجنة مستبشرون بحصول موعودهم فذكروا ما وعدهم
الله تعالى مضافا اليهم ولم يذكروا حين سألوا اهل الجنة متعلق وعد
باسم الخطاب فيقولون ما وعدكم ليشمل كل موجود موعود من عذاب
اهل النار ونعيم اهل الجنة وتكون اجابتهم بقولهم نعم تصديقا
لجميع ما وعد الله تعالى بوقوعه في الآخرة للصنفين ويكون ذكر
ذلك اعترافا منهم بكونه موعودا لموصوفين بالشر واعلى ما نالهم من
النعيم الدائم اذ نعيم اهل الجنة مما يحزن اهل النار ويزيد في
عذابهم وان يجعل اذ تكون تفسيرية فان تكون مصدرية مخففة
من الثقيلة واذا وقعت المخففة فعل متصرف غير دعاء فصل بينها
وبين الجملة بعد كقوله ان وجدنا وان زمزم اي اعلم معلم
وانهم سبحانه وتعالى من الوجدان فضلهم اشارة الى علة الصلة والراكم
صاحب الصور وقيل عزرة وبينهم هذا ظرف لاذن معمول له والضمير
في بينهم عائد على الفريقين وان المخففة من الثقيلة او التي مفسرة ان
لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا
تقدم تفسير مثله وهذا الوصف بالموصول طرحكاية عن حالهم
السابقة والمعنى الذين كانوا يصدون عن سبيل الله لانهم وقت الاذان
لم يكونوا متصفين بهذا الوصف والمعنى هنا الظالمين يعني ام الكفار
بدل قوله وهم بالآخرة كافرون لان الفاسق ليس كافرا بالآخرة بل هو
مؤمن مصدق بها ويبغونها اي يبغون لها والضمير عائد على
السبل والسبيل يذكر ويؤنث وبينهما حجاب اي بين الفريقين لانهم هم
المحدث عنهم وهو الطامر وقيل بين الجنة وبين النار وهذا ابدا ابن

عطية

عطية وابن مسعود وتبعه البخاري رحمه الله تعالى وفسر الحجاب
بارتفاع المعنى بقوله فضرب بينهم بسور قال ابن عباس رضي الله عنهما
وبمعنى انه تبين الفريقين لفظ سيم او موضعه العقلا ولا تحتمله
ضرب السور بعدما بين الجنة والنار وان كانت تلك التسمية
والكلام اسفل اي في الارض السفلى وعلى الاعراف
رجال والاعراف جمع عرف وهو المرتفع من الارض قال الشماخ
فظلت باعراف تعالى كانها ورماح تحاماها وجهة الريح راكزه
ومنه عرف الفرس وعرف الديك لعلوهما وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنه الاعراف حبل بين الجنة والنار يعرفون كلا بسيماهم
اي بعلامتهم من فريقي الجنة والنار وعلامتهم انهم يمتازون بها
من ابيضاض وجوه واسوداد وجوه وفي هذه الجملة من التجنيس
المماثر لا يخفى وضوحه وهو ان يكون احد الكلمتين
اسما والاخرى فعلا فالاعراف اسم ويعرفون فعل والرجال
هم قوم بلغت حسناتهم وسيئاتهم وقوله ما الله ما شاء
الله سبحانه وتعالى لم تبلغ حسناتهم بعد دخول الجنة ولا سيئاتهم
دخول النار وروي في مسند ابن ابي خيثمة عن جابر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حديث فيه قيل يا رسول الله ممن الملائكة
حسناته وسيئاته قال لهم اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم
يطمعون وقالوا اصحاب الجنة الذين نادوا عائد على رجال
وان تفسيرية او مخففة من الثقيلة كما تقدم ولم يدخلوها
جملة حالية العامل فيها نادوا وعند اصحاب الجنة وهم يطمعون جملة حالية
ايضا اي وهم يطمعون في دخولها واختار الزمخشري رضي الله عنه
ان تكون لم يدخلوها وهم يطمعون صفة لرجال وهو بعيد للفصل
بين الموصوف والصفة بجملة نادوا وليست هي بجملة اعتراض
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وقالوا ربنا لا تجعلنا مع
القوم الظالمين انصرفت في ابصارهم عائد على رجال الاعراف لانهم
يسلمون على اهل الجنة واذا نظروا الى اهل النار دعوا الله سبحانه
وتعالى ان يخلصهم منهم قال ابن عباس وجماعة من المفسرين رضي الله عنهم
اجمعين وفي قوله صرفت دليل على ان اكثر احوالهم النظر الى تلقاء اصحاب
الجنة وان نظرهم الى اصحاب النار لكونهم صرفت ابصارهم تلقاءهم
فليس الصرف من قبلهم بل هم محمولون عليه مصروفون بهم وكان لان ذلك
المطلع محول من سماعه فصلا عن رؤيته وصلا عن التلبس به ايضا
والمعنى انهم اذا جعلوا على صرف ابصارهم وارادوا ان يطلعوا
بوجوههم شطر ان يجعلهم معهم ولفظ ربنا مستعمل بوصفه سبحانه وتعالى بانه
مصلحهم وسيدهم وهم عبيده فالدعاء به طلب رحمته والتعطف برحمه

وتلقاء تفعال من اللقاء استعمل ظرف مكان تقول زيد تلقاء
عمرو اي مكان لقائه وجهته • ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم الآية هذا الفداء واولئك الرجال في النار ومعرفتهم
اياهم في الدنيا بعلامات • قالوا ما اغنى عنكم جمعكم في الدنيا
يعني المال والولد والاتباع والحجاب وكثرة الجيش وما اغنى
استفهام توبيخ وتقريع ومعنى ما اغنى يجوز ان تكون نافية وما
وما كنتم مصدرية اي وكونكم تستكبرون وقرأ ابن كثير
تستكبرون بالشاذ المثلثة من الكبر • ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله هذا
السياق يقتضي كلا سماع كل من الفريقين كلام الآخر وهذا جائز
عقلا على بعد المسافة بينهما من العلو والسفل وجائز ان يكون ذلك
مع رؤية ولطلاع من الله عز وجل وذلك اخزى واشفى للكفار
وجائز ان يكون ذلك وسيم الجمال والسواد وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار
في الفرج بعد اليأس فقالوا اي ربنا قد رأينا من اهل الجنة
واردت لنا حتى نراهم وكلمهم فنظروا اليهم والى ما هم فيه من النعيم
فعرفوهم ونظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم
قد سلوحت وجوههم وصار واحدا منكرا فنادى اصحاب الجنة باسمائهم
واخبروهم بقراباتهم فينادي الرجل اخاه فيقول يا اخي
قد احترقت فافض علي فيقول ان الله حرمهما على الكافرين ويحتمل
ان تكون مصدرية ومعترضة وكلام ابن عباس رضي الله عنهما يدل على
ان هذا النداء كان عن رجاء وطمع في حصول ذلك وقيل معنى اليأس لانهم
قد علموا وارعفالهم وانهم لا تفتر عنهم العذاب وكل اليأس من الشيء قد
يطلبه كما قال ك في الليل الذئب العربي يختلق بالزبد وان علم انه
لا يعيبه تعلقه به وقولهم افيضوا الخ يمكن من شهوتنا لانها تقتضي الارتوا
كما قال اغاثه الله عليه فعمه اي وسعها وسق اليهم الماء لشدة التهابهم
واحراقهم وعطشهم ولان من عادة الماء اطفاء النار او مما رزقكم الله لان
الجنة والبسرية لا تستغني عن الطعام اذ هو مقوم لها ولرجائهم
الرحمة بأكلهم من طعام اهل الجنة ومعنى التحريم هنا المنع • فاليوم
ننساهم اي نتركهم في العذاب كما نسوا لقاء يومهم هذا اي كما تركوا النظر
للقاء يومهم هذا اليوم والكاف هنا للتعليل • ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه على علم الظاهر انه حال من فاعل فصلناه وقد
اضمر هدى ورحمة على الحال وقيل مفعول من اجله اي لاجل الهدى
وقرئ بالرفع اي هو هدى ورحمة • هل ينظرون الا تأويله الى آل
امره وعاقبته قال ابن عباس رضي الله عنهما ما آلته يوم القيامة • يوم يأتي تأويله

اي يظهر

اي يظهر عاقبة ما اخبر به من الوعد والوعيد يسال تاركوا اتباع
الرسل فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا والناصب ليوم يقول
والجملة بعد يوم في جملة تقدير مصدر اي يوم اتيان تاويله يقول
الذين نسوه من قبل اي تركوا العمل به واتباعه قد جاءت رسل
ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا هو جواب لمعمول القول
ومن زائدة وشفعاء مبتدا ولنا في موضع الخبر وفيشفعوا جواب
الاستفهام منصوب بحذف النون او نرد هو على اضمارها اي هل
نرد وجوابه فنعمل عطف جملة استفهام فعلية على جملة
استفهام اسمية قد خسروا انفسهم اي خسروا في تجارة انفسهم
حيث ابتاعوا الخسيس الفاني من الدنيا بالنفيس الباقي من
الاخرة وبطل عنهم افتراؤهم على الله سبحانه وتعالى ما لم
يقله ولا امر به وكذبهم في اتخاذهم الهة من دونه تعالى
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الاية
لما ذكر سبحانه وتعالى اشياء من مبدا خلق الانسان وانقسامهم
الى مومن وكافر ومعادهم وحشرهم الى جنة ونار ذكر مبدا
العالم واختراعه ثم بعد الى النبوة والرسالة اذ مدار
القران على تقرير المسايل الاربع التوحيد والقدرة والمعاد
والنبوة وربكم خطاب عام للمومن والكافر في ستة ايام قد ورد
في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ بيدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق
الجبال فيها يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه
يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم
الخميس وخلق ادم عليه الصلاة والسلام بعد العصر من يوم الجمعة
اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر
الى الليل واما استواؤه تعالى على العرش فحمله على ظاهره من الاستقرار
بذاته على العرش قوم والجمهور من السلف السفيانان ومالك
والاوزاعي والليث وابن المبارك وغيرهم في احاديث
الصفات على الايمان بها وامرارها على ما اراد الله تعالى من غير
تعيين مراد وقوم تاولوا ذلك على عدة تاويلات ومسالة
الاستواء مذكورة في علم اصول الدين والعرش في اللغة هو السقف
وكل ما علا واظل فهو عرش يغشي الليل النهار التغشية هي
والمعنى انه يذهب الليل نور النهار فالليل للسكون والنهار
للحركات ونحوي الكلام يدل على ان النهار يغشيه الله الليل وهما
مفعولان لان التضعيف والهمزة معديان وقرئ بالتضعيف
والهمز وقرا حميد ابن قيس رضي الله عنه يغشي الليل بفتح وسكون

وقوله تعالى

التغطية

الغين

وفتح الشين وضم اللام كذا قاله عنه ابو عمرو الداني رضي الله تعالى
عنه وقال ابو الفتح ابن جني رضي الله عنه وكذا نقله عن حميد بن
بفتح الليل ورفع النهار قال ابن عطية وابو الفتح رضي الله عنهما
اثبت هذا الذي قالاه من ان ابا الفتح اثبت كلاما لا يصح اذ
رفعه لابي عمرو الداني رضي الله عنه في اقرآت ومعرفتها
وضبطها واياها واختصاصه بذلك بالمكان الذي لا يدانيه
احد من ائمة القراءة فضلا عن النحاة الذي لا يساوي مقربته
ولا يدوى القمران عن احد ولا روى عنهم القرآن احد هذا
مع الدراية الزائدة والتثبت في النقل وعدم التجاسر وقوة
الخط من العربية فقد رأيت له كتابا في ذلك وكنا وكنا
في الادغام الكبير لابي عمرو رضي الله تعالى عنه والاعلى اطلاعه على
ما لا يكاد يطلع عليه ائمة النحاة ولا المقرئين الى سائر ما ينبغه
والذي نقله ابو عمرو الداني عن حميد رضي الله عنه امكن من حيث
المعنى لان ذلك موافق لقراءة الجماعة او النيل في قراءتهم وان كان
منصوبا هو الفاعل من حيث المعنى اذ همزة واكتضعف قد
صيرته مفعولا ولا يكون ان يكون مفعولا ثانيا من حيث المعنى
فتلزم ان يكون الاول منهما كما لزم ذلك في ملكت زيدا عمرا
اذ رتبة المقدم في الصحة ان الفاعل يكون من حيث
المعنى كما لزم ذلك في ضرب موسى عيسى لان التضعيف والهمزة
متعديان فيهما قال ابن عطية رضي الله عنه عن حميد وقد اثبت
هذا الذي قاله ابو الفتح رضي الله عنه وذلك قد يكون امكن من حيث
المعنى لان ذلك موافق لقراءتهم وان كان اي لقراءة الجماعة وان كان وان
منصوبا هو الفاعل من حيث المعنى فيلزم ان يكون الاول منهما
وقدم الليل هنا كما قدم في قوله الليل والنهار في قوله ولا
الليل سابق النهار وفي قوله وجعل الظلمات والنور وغيره
ذلك من الآيات كما سيأتي ان شاء الله تعالى وهو عبارة عن
تعاقبه اللازم اذ هو المحترز عنه فتل التقدير ويقدر ان
يكون حالا من النهار ويجوز ان ينتصب تعالا لمصدر محذوف وبنية
الطلب الى الليل بحثا ثانية وقوله تعالى يطلبه حثيثا الجملة
من يطلبه حال من الفاعل اي من حيث المعنى لان المنصوبين
تعتريهما الفعل واحدهما فاعل من حيث المعنى وهو الليل
اذ هو المحترز عنه فتل التقدير وتقدير حالا ويجوز ان يكون
حالا من النهار كما قدمنا الاشارة اليه في الآية المتقدمة وقد قدر
محثوثا ويجوز ان ينتصب تعالا لمصدر محذوف اي طلبا حثيثا
وهو كناية عن تعاقبه اللازم وكان طالبا له لا يدركه بل هو في اثره بحيث يكاد

وقدم الليل هنا

وقدم اللت اهنا كما قدمه في قوله يولج الليل في النهار وكذا في الاية
الثانية وسمى قوله عز وجل والا الشمس سابق النهار وفي قوله
تعالى وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون •
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والنصب مسخرات
على الحال من المجموع اي وخلق الشمس وقرئ بالرفع في الاربعة
على الابتداء والخبر وقراءة ابان بن تغلب برفع والنجوم
مسخرات بالجر فقط على اله بتداء والخبر ومعنى بامره
اي بمشيته وتقديره وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن
جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها
سمى ذلك امرا على الاستعارة كما سمى ما مورات به ذلك •
الا له الخلق والامر لما تقدم ذكر الخلق وامر فيها قال ذلك
اي له الايجاد والاختراع وجرى ما طبق واخترع على ما يريده
وما يشاء فيه لا احد غيره يدل ولا في شيء منه • تبارك
اسمت اي دام ولزم اذ تعالى وعظم وقد تقدم ان بركم
اسم صدر لا انه جاء آخرها قوله فتبارك الله رب العالمين
وجاء العالمين اعم من ربكم لانه خلق ذلك الاشياء
التي لا تعد وهي عوالم كثيرة في العالمين حما لجميع العوالم
وقد ترجح ضمير المخاطبين بربكم وغيرهم وتبارك فعل
جامد لا تتصرف فلا يقال منه مضارع ولا اسم فاعل ولا
فاعل ومعناه انه فعل امر انما اي ولا يقال فيه تباركا
ولا تباركن ولا تباركوا • ادعوا ربكم تضرعا وخفية
الظاهر انه دعاء عام وما حاه الله تعالى بسؤاله لطلب الشيء ودفع
ضده والنصب تضرعا وخفية على الحال اي متضرعين ومخفين
او ذوي تضرع وخفاء في قلوبكم وفي الحديث الصحيح انكم
لستم تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا
• انه لا يحب المعتدين وهذا اللفظ عام يدخل فيه اولا الدعاء
على غيرهم من الوجوه من عدم الخفية والتضرع بان يدعو وهو
ملتبس بالكبر والزهو اوان ذلك داخل في الواعتدوا ان الله
فصار لهذا لذلك صنعة وعادة ولا يلتفت تضرع وورد في الباب
يدعو بالجهر البليغ والصياح كدعاء الناس عند الاجتماع في المشاهد
والمسارات وقال العباس رضي الله تعالى عنهم اجتمعت الامة
في الدعاء على وجوه كثيرة منها الجهر والمكث والصياح وغيرها
• ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قد نهى عن ايقاع الفساد في
في الارض وهو كالماهية في الوجود فيتعلق بجميع انواعه من
افساد النفوس والاموال والانساب والعقول والاديان ومعنى بعد

هذا نهي عن ايقاع الفساد في الارض وادخال ماهيته في الوجود
فيتعلق بجميع انواعه من افساد النفوس والاموال والانساب
والعقول والاديان ومعنى بعد اصلاحها اي بعد ان اصلح الله
خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين • وادعوه خوفا
وطمعا لما كان الدعاء من الله سبحانه وتعالى بمكان كرره فقال اولا
ادعوا ربكم تضرعا وخفية وهاتان الحالتان من الاوصاف
الظاهرة لان الخشوع والاستكانة واخفاء الصوت ليسا من
الافعال القلبية ثم كرر فامر بالدعاء خوفا وطمعا وهما من
الاوصاف القلبية اي وجلين مشفقين وراجين مؤملين
فبدا اولا بافعال الجوارح ثم ثانيا بافعال القلوب وانتصب
خوفا وطمعا على انهما مصدران في موضع الحال او انتصاب المفعول
له وعطف احدهما على الآخر يقتضي ان يكون الخوف والرجاء هنا
متساويان وقد قال كثير من العلماء رضي الله تعالى عنهم
اجمعين ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء طول الحياة فاذا جاء
الموت غلب الرجاء • ان رحمة الله قريب من المحسنين والرحمة
مؤنثة فقياسها ان يخبر عنها اخبار المؤنث فيقال قريبة قال
الفراء رضي الله عنه اذا استعمل في النسب والقرابة فهي مع
المؤنث بتاء ولا بد تقول هذه قريبة ولان واذا استعملت
في قرب المسافة او الزمن فقد تجيء مع المؤنث بتاء وقد تجيء
بغير تاء تقول دارك مني قريب وفلانة منا قريب
ومنه هذا وقول الشاعر • عشية لا عفراء منك قريبة •
فتدنوا ولا عفراء منك بعيد • وقد جمع في هذا البيت
بين الوجهين انتهى وقال الله عز وجل وما يدريك لعل الساعة
قريب وفي الآية الثانية لعل الساعة تكون قريبا • وقال
الشاعر • له الويل ان امسى ولا ام هاشم • قريب ولا البسباسة
ابنة يشكرا • وهو الذي يرسل الرياح لما ذكر سبحانه وتعالى الدلائل على
كمال الوهيته وقدرته وعلمه من العالم العلوي اتبعها بالدلائل من
العالم السفلي وجعل الخبر موصولا في ان ربكم الله الذي وفي وهو
الذي دلالة على كون ذلك معهودا عند السامع مفروغا من تحقق
النسبة فيه والعلم به ولم يات التركيب ان ربكم خلق ولا وهو
يرسل الرياح قرئ نشورا جمع نشور كصبور وصبر وقرئ
نشرا باسكان الشين تخفيفا من الضم كرسل ورسل ونشرا
مصدر نشر ونشري والالف هنا للتانيث وهو مصدر نشر
كوجعى ومعنى بين يدي رحمته اي امام نعمته وهو المطر الذي هو
من اجل النعم واحسنها اثرا والتعبير عن امام الرحمة بقوله

بين يدي

بين يدي رحمته من مجاز الاستعارة اذ الحقيقة هو ما بين
يدي الانسان من الاجرام • حتى اذا اقلت سحابا ثقالا هذه غاية
لارسال الرياح والمعنى انه سبحانه وتعالى يرسل الرياح منشرات
او مبشرات الى سوق السحاب وقت اقلاله الى بلد ميت والسحاب
اسم جنس بينه وبين مفرده تاء التانيث فيذكر كقوله تعالى
ثقالا وثقله بالماء الذي فيه ونسب السوق اليه تعالى بنون
العظمة التفاتا اذ فيه خروج من ضمير الغيبة في رحمته الى ضمير
المتكلم في سقناه لما فيه من عظيم المنة وجليل النعمة وذكر الضمير
في سقناه رعيا للفظه كما قلنا انه يذكر واللام في البلد لام
التبليغ كقولك قلت لك وقال الزمخشري رضي الله عنه اي سقناه
لاجل بلد ميت فجعل اللام هنا لام العلة ولا يظهر وفرق
بين قولك وقد سقت لك مالا وسقت لاجلك مالا فان الاول
معناه اوصلته لك وابلغتك هو والثاني لا يلزم منه وصوله
اليه بل قد يكون الذي وصل اليه المال غير الذي علل به السوق
الا ترى صحة قول القائل لاجل زيد سقت لك مالك ووصف
البلد بالموت هنا استعارة حسنة لجدبه وعدم نباته كانه من
حيث عدم الانتفاع به كالجسد الذي لا روح فيه • فانزلنا
به الماء الظاهر ان الباء ظرفية والضمير عائد على بلد ميت
اي فانزلنا فيه الماء وهو اقرب مذكور فحسن عوده اليه
• فاخرجنا به اي بالماء من كل الثمرات ظاهره العموم • كذلك
نخرج الموتى من قبورهم احياء الى الحشر لعلكم تذكرون •
باخراج الثمرات وانشائها خروجكم للبعث اذ الاخراجان
سواء فهذا الاخراج المشاهد نظيره الاخراج الموعود به
• والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه الطيب الجيد التربة الكريم
الارض • والذي خبث يعني به المكان السبخ الذي لا ينبت
ما ينتفع به وهو الردي من الارض لا يخرج الا نكدا اي لا يخرج
نباته وافيا ولما قال فاخرجنا به من كل الثمرات تمم هذا المعنى
بكيفية ما يخرج من النبات من الارض الكريمة والارض السبخة
وفي الكلام حال محذوفة اي يخرج نباته وافيا حسنا وحذفت
لفهم المعنى ولدلالة البلد الطيب عليها ولمقابلتها بقوله الا نكدا
ولدلالة باذن ربه لان ما اذن الله تعالى في اخراجه لا يكون الا
على احسن حال وباذن ربه في موضع الحال وخص خروج نبات
الطيب بقوله باذن ربه على سبيل المدح له والتشريف ونسبة الا
شياء الشريفة الطيبة اليه تعالى وان كلا النباتين لا يخرج الا با
ذنه عز وجل وبتيسيره وحذف من الجملة الثانية الموصوف ايضا والتقدير

والبلد الذي خبث للدلالة والبلد الطيب عليه فكل من هاتين
الجملتين فيه حذف • كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون
أي مثل هذا التصريف والترديد والتنويع ننوع الآيات
ونرددها وهي الحجج الدالة على الوحدانية والقدرة التامة
الباهرة والفعل بالاختيار ولما كان ما سبق ذكره من إرسال
الرياح مبشرات ومنشرات سببا لإيجاد النبات الذي هو
سبب إيجاد الحياة وديمومتها كان كذلك أكبر نعمة على الخلق
فقال تعالى لقوم يشكرون هذه النعمة التي لا تكاد توازنها
نعمة وخص الشاكرين لأنهم هم المنتفعون بهذه النعم
• لقد أرسلنا نوحا إلى قومه لما ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة
مبدأ الخلق الإنساني وهو آدم عليه الصلاة والسلام وقص
من أخباره ما قص واستطرد من ذلك إلى المعاد ومصير أهل
السعادة إلى الجنة وأهل الشقاوة إلى النار قص تعالى على نبيه
صلى الله عليه وسلم أحوال الرسل الذين كانوا قبله وأحوال من
بعثوا إليه على سبيل التسلية له صلى الله عليه وسلم والتأسي بهم فبدأ
بقصة نوح عليه الصلاة والسلام إذ هو آدم الثاني وأول رسول
بعث إلى من في الأرض وأمته أدوم تكذيبا له وأقل استجابة
له وتقدم رفع نسبه إلى آدم عليه الصلاة والسلام وكان نجارا
بعثه الله تعالى إلى قومه وهو ابن أربعين سنة قاله ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وقال الزمخشري رضي الله عنه فإن قلت
ما بالهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد وقل عنهم
نحو حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا • قلت إنما كان
كذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدا لجملة القسم
التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد
عند استماع المخاطب كلمة القسم انتهى وبعض أصحابنا يقول إذا
أقسم على جملة مصدرة بماض مثبت متصرف وكان فيها من
زمان الحال أتيت مع اللام بقد الدالة على التقريب من زمن
الحال ولم تأتي بقد بل باللام وحدها إن لم ترد التقريب
• قال يا قوم في ندائه قومه تنبيه لهم لما يلقيه إليهم واستعطاف
وتذكير بأنهم قومه فالمناسب أن لا يخالفوه ومعمول القول
جملة الأمر بعبادة الله وحده ورفض آلهتهم المسماة ودا
وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وغيرها والجملة المنبهة
على الوصف الداعي إلى عبادة الله عز وجل وهو انفراده بالألوهية
المرجو إحسانه المحذور انتقامه دون آلهتهم • ما لكم من إله غيره
قرئ غيره بالجر نعتا للإله على اللفظ وقرئ غيره بالرفع نعتا للإله

على الموضع

الموضع وكم من آية وآية اسدادا وكم حجة واداة على ما بها من الكوف
الخوف لانه يجوز عندان يكونوا امنوا او دون بعضهم ويوم عظيم هو
يوم القيامة او يوم حلول العذاب بهم في الدنيا هو الطوفان وهذه
الجملة اطهات الشفقة والحنو عليهم • قال الملا من قومه اراذلهم
الاشراف وسادتهم وهم الذين يتعاظمون على الرسل لاستغراق
عقولهم بالدنيا وطلب الرياسة والتعاون فيها وترك النظر
انها من رذيلة البصر وفي صلاة جعلوا مرقا لنوح عليه
الصلاة والسلام وجعلي حبس واضح وجاءت جملة حوابهم مؤكدة
بان واللام • قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب
العالمين لم يرد البتة منه على لفظ ما قالوا فلم يات التركيب نفت
في ضلالة مبين كما جاء في عابد الحسن من شقي اذ تلتبس
به ويختلط ضلالة ما واحد فاراني يكون في ضلال فهذا
ابلغ من الانتفاء في الضلال اذ لم يعلق به ضلالة واحدة وفي
هذا ايجاب لهم ثابتا والاغراء من عن جفائهم ما مدك على سعة
صدره والتلطف بهم ولما نفى عنهم عنه التلبس ضلالة اثبت
ذلك على اتم الطريق المستقيم فعجز ان تشدرك كما تقول
ما زيد ضنال لكنه مهتد ولكن هي واقعة بين نقيضين
لان لا يسوغ ان يخلو من احد الشيئين اما الضلال او الهدى
ولا تجامع الضلالة الرسالة وفي قوله من رب العالمين تنبيه على انه
ربهم لانهم من جملة العالمين اي من ربكم الكلاءة لامركم الناظر لكم
بالمصلحة حيث وجه اليكم رسولا يدعوكم الى ما فيه سعادتكم
• وابلغكم استيناف على سبيل البيان لكونه رسولا او جملة في موضع
الصفة لرسول ملحوظ فيه ما هو حق الفعل المتكلم كما تقول اني
ارسل من يامر بالمعروف فتراعي لفظ انا وكون يامر بالمعروف
تراعي لفظ رجل والاكثر من اجله ضمير التكلم والمخاطب فيعود له
الضمير ضمير متكلم لضمير مخاطب قال الله تعالى بل انتم قوم
تفتنون بالتاء ولو قرئ بالياء لكان عربيا مراعاة للفظ
قوم لانه غائب وجمع رسالات باعتبار ما اوحي اليه في الازمان
المختلفة او باعتبار المعاني المختلفة من الامر والنهي والزجر
والوعظ والتذكير والانذار او باعتبار ما اوحي الله الى من قبله
وتقدم الكلام في نصح ونحوه بما دلام الى المفعول وبغير
اللام نحو نصحت زيدا ونصحت لزيد وتقول الناصح
نصحت بني فلان فلم يقبلوا • وصاني ولم افتح لديهم وسائلي
في قوله ما لا تعلمون اتهام عليهم وهو صادم ولكن ساق ذلك
مساق المعلوم الذي لا يخفى عليهم ولم يسمعوا قط بامة عذبت •

وما احسن سياق هذه الافعال قال اولا انا لكم رسول امين
وهذا كان مبدوء امرهم معهم وهو ان يبلغ كما قال ان عليك الا
البلاغ ثم قال وانصح لكم اي اخلص لكم في تبليغ الرشد والاستقامة
في العاقبة اذا عدتم الله تعالى وحده ثم قال واعلم من الله ما لا
تعلمون من بطشه بكم وهو ما آل امركم اذا لم ترجعوا بالعبادة فتنبه
على مبدأ امرهم معه ومنتهاه * او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على لسان رجل منكم لتنذركم الآية هذا تضمن معنى قولهم
انا لنراك في ضلال مبين استبعادهم واستجهالهم ما اخبرهم به من
خوف العذاب عليهم وانه نعمة امتن الله تعالى بها عليهم بعد حدة
وزقص السمع فتعجبوا من ذلك وانتهى الانكار والتوبيخ
الى هذا امما لا يتعجب منه اذ لله سبحانه وتعالى ان يصرف
انعامه بارساله من يشاء لمن يشاء قال ابن محيريز رضي الله تعالى عنه
الواو وهنا للعطف والمعطوف محذوف وتقديره قد اكان لكم
وعجبتم انجاء كم الخ وهذا الكلام مخالف لكلام سيبويه رضي
الله عنه وكذا مخالف لكلام النحاة لانهم يقولون ان الى او
للعطف اي لعطف ما بعدها على ما قبلها من الكلام والمحذوف
هناك وكان الاصل واعجبتم لكنه اعتني بهمزة الاستفهام
فقدمت على حرف العطف لان الاستفهام له صدر الكلام او ان كلام
ذكر اي كتاب من ربكم على رجل منكم هو على حذف مضاف تقديره
على لسان رجل منكم ان مجاءكم هو على اسقاط حرف الجر بتقديره لان
جاءكم وهو تعليل لتعجبهم لينذركم برأي مجيء كم المذكور بالانذار
للمحقوق او للانذار بالمحقوق لاجل وجود التقوى منكم ووجود التقوى
لرجاء الرحمة وحصولها فعلل المجيء بجميع هذه العلل المرتبة
لان المرتب على السبب سبب وفي قوله واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
اعلام بعلة الغرق وهي التكذيب وباياتنا يقتضي ان نوحا عليه
الصلاة والسلام كانت له اياة ومعجزات تدل على رسالته والفلك
يذكر ويؤنث كقوله تعالى في الفلك المشحون وتجرين كقوله تعالى
وجرين بهم بريح طيبة وتعلق في الفلك بما تعلق به الظرف
الواقع صلة اي والذين استقروا معه في الفلك ويحتمل ان يتعلق
بانجيناه اي انجيناهم في السفينة من الطوفان وقوله انهم كانوا
قوما عمين هو من عمي القلب اي غير مستبصرين ويدل على ان
هذا الوصف كونه حاصلا وقت فعل ولا يقصد الحدوث لجاء على
وزن فاعل وقال معاذ النحوي رضي الله عنه يقال رجل عم في امره
لا يبصره واعمى في البصر * قال الشاعر ولكني عن علم ما في غد عمي *
* والى عاد اي معطوفة بمحذوف بتقدير وارسلنا الى عاد وعاد

اسم للحي والقبيلة وكذلك صرفه وبعضهم جعله اسما للقبيلة ٥
فمنعه الصرف للشاعر لو شهد عاد في زمان عاد لا نثرها ناما
وسميت القبيلة باسم أبيهم وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن
نوح عليه الصلاة والسلام وهود قيل لسبعا ان شاء الحافظ
ابو الحسن الامدي النحوي المعروف ان هودا عليه الصلاة والسلام
عربي والذي يظهر من كلام سيبويه رضي الله تعالى عنه لما عده مع
نوح ولوط عليهما الصلاة والسلام وهما عجميان انه عجمي عنده انتهى
وهود هو عامر ابن شالخ ابن ارفخشد ابن سام ابن نوح وقد كان
ارض اليمن فهو ابو اليمن كلها • قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
الهٍ غيره تقدم الكلام على هذا • افلا تتقون استفتاح منه
لهم وتحضيض على تحصيل التقوى مخافة ان يحل بهم واقعة
تشبه واقعة قوم نوح عليه الصلاة والسلام • قال الملا الذين
كفروا من قومه اي بوصف الملا بالذين كفروا علامات لهذا
الوصف في قوم نوح عليه الصلاة والسلام لان قوم هود عليه
الصلاة والسلام كان في اشرافهم من كان امن به منهم مرثد ابن
سعد ابن عفير ولم يكن في اشراف قوم نوح عليه الصلاة والسلام
مؤمن قط قبل ذلك قالوا والله انا لنراك في سفاهة اي في خفة حلم وسخافة عقل وفي سفاهة
يقتضي انه قد اعتراك عليه كاذب المجنون على المسيء
والا تتعوذ بمولاهم وانا لنظنك من الكاذبين قد دلك على
انه لحرهم بالحيك بهم من العذاب ان لم يتقوا الله سبحانه وتعالى
• قال يا قوم ليس في سفاهة تقدمت كينونة هذا الظرف في قوله
ليس في ضلالة وهناك جاء ناصح لكم وهنا جاء وانا لكم ناصح امين
ناصح امين لما كان اخر جوابهم جملة اسمية جاء قوله كذلك قف الى
هنا وانا لنظنك من الكاذبين قال هود وانا لكم ناصح امين
وجاء بوصف الامانة وهي الوصف العظيم الذي حمله الا
والامانة اعظم من امانة الرسالة وانما تحمل اعباءها الى المكلف
• او بحتم تقدم الكلام عليه • واذكروا اذ جعلكم خلفاء من
بعد قوم نوح اذكروا لما مضى فالقصد محذوف تقديره واذكروا
انعمه عليكم وقت جعلكم خلفاء فالمقام مستدعٍ ان يؤمروا
قال الزمخشري رضي الله عنه اذ مفعول به وهو مصوب بما ذكروا
اي اذكروا وقت جعلكم وهذا ليس بجيد لان اذ من الظروف
التي لا تتصرف فلا تكون مبتدأة ولا فاعلة ولا مفعولة ومعنى
خلفاء اي ملوكا في الارض • وانما لكم انها من بعد قوم نوح
هذا يدل على قرب زمانهم من زمان نوح عليه الصلاة والسلام وزادكم

ظاهر بعض التواريخ ان البسطة الامتداد والطول والجمال في الصور
والاشكال وكحمل ان يكون المعنى وزادكم بسطة اي اقتدارا على
المخلوقين وتسلطا عليهم واستيلاء • فاذكروا آلاء الله لآلاء
النعم واحدها الا لا نحو معا وانعاما ذكرهم اولا نعما خصوصية
حملهم خلفاء وزيادة البسطة وذكرهم انانعمه مطلقا
وما طلب كرمه رجاء ولا خوفه قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده
الظاهر انهم انكروا ان يتركوا اصنامهم ويفردوا الله سبحانه
وتعالى بالعبادة مع اعترافهم بانه سبحانه وتعالى خالق كل شيء
ومشيئه واعلنوا بقالهذا فردوا عليه • وننزل ما كان
يعبد اباؤنا اي نتركه لا نعبده لاجل قولك • فأتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين في ذلك فيه دليل على انه كان لهم
بعذاب الله سبحانه وتعالى ان اقاموا على الكفر وقولهم ذلك مبني
على تقضيهم واحتقارهم لامر النبوة واستحالة العقوبة الاخروية
عندهم لافتقاد اصلا • قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب
قال ابن عباس رضي الله عنهما الرجس العذاب اي حل بكم وسخط
عليكم • اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل
الله بها من سلطان هذا ان كان منه لخاصمهم له فيما الذي
فيه الخصام وهو ذكر الفاظ ليس تحتها مدلول تستحق
العبادة فصارت المنازعة باطلة بذلك ومعنى سميتموها
اي احدثتموها انتم وآباؤكم قريبا وهي صنم وصداد والهبا
وقد ذكره ذلك من قال بن سعد في شعره فقال •

عصت عاد رسولهم فاصحوا • عطاشا ما تلم السماء •
الهم صنم يقال له صمود • فنابله صداد والهباء •
فسقنا اليهم بسل رسلا • فابصرنا الهدى وعلا الغطاء •
وان الله هود هو الهنا • علي الله اتوكل وانى جاء •
فانتظروا اني معكم من المنتظرين وهذا غاية في التهديد
وقال عند اي انتظروا عاقبة امركم في عبادة غير الله تعالى وفي
تكذيب رسوله وهذا غاية في الوثوق بما يحل بهم وانه كائن
لا محالة • فانجيناه والذين معه برحمة منا يعني من آمن معه برحمة
سابقة لهم من الله سبحانه وتعالى وفضل علمنا حيث جعلوك
منهم فكان ذلك سببا لنجاتهم مما اصاب قومه من العذاب •
• وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وذكر
كناية عن استئصالهم بالهلاك وتقدم الكلام في دابر في قوله عز
وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا وفي قوله الذين كذبوا شعيبا
كأن لم يغنوا فيها قطع دابرهم وفي قوله بآياتنا دليل على انه كان لهم وعليه

الصلاة والسلام معجزا وكذلك لم تذكرنا بعقيبها • وما كانوا مؤمنين
جملة من لفظ له كذبوا ما يأتنا ويحتمل ان يكون اخبارا من الله سبحانه
وتعالى انهم ممن علم الله سبحانه وتعالى انهم لو عمروا لم يؤمنوا ما كان
منهم احد ممن يقبل الايمان البتة • وقالى ثمود اخاهم صالحا
وثمود اسم للقبيلة سميت باسم ابيهم الاكبر وهو ثمود اخو جديس
وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكانت
مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام والى وادي القرى وصالح عليه
الصلاة والسلام هو ابن عابد بن اسف بن كاسح بن ارم بن ثمود بن عابر
ابن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام • قد جاءتكم
بينة من ربكم اي دلالة ظاهرة جلية وشاهد على صحة نبوتي
وقوله قد جاءتكم بينة من ربكم كانه جواب لقولهم ائتنا بآية
اي بمعجزة تدل على صدقك وانك مرسل الينا ومن ربكم
متعلق بجاءتكم او في موضع الصفة لبينة • هذه ناقة الله لكم آية
لما ابهم في قوله قد جاءتكم بينة من ربكم بين ما الآية فكانه قيل
والبينة قال هذه ناقة الله واضافها الى الله عز وجل تشريفا
وتخصيصا لحق تملك الله سبحانه وتعالى وكونها خلقا لله
لا واسطة ذكر ذلك لانه لا مدخل لها في غرم ولانها حجة
على القوم ولما اودع فيها من الآيات الآتي ذكرها في قصتها فهو صالح
وتكميل لمن لم تكن له آية موجبة لطلب الايمان وهم ثمود لانهم قد
عاينوها او سامع الذين سمعوا خبرها عنها كانه قال لكم خصوصا انتم
وانتصب آية على الحال والعامل فيها على ما تخصان فعل تخذوا في
قوله تعالى انظروا اليها في حال كونها آية • فذروها تاكل في ارض
الله لما اضاف الناقة الى الله عز وجل اضاف محل رعيها الى الله عز
وجل اذ الارض ما ثبت فيها ملك لغير الله تعالى • ولا تمسوها بسوء
فيأخذكم عذاب اليم نهاهم عن مسها بشيء من الاذى وهذا تنبيه
بالاولى على الاغلاظ اذا كان قد نهاهم عن مس الناقة بسوء كرامة لآية الله
تعالى فنهيه عن نحرها وعقرها ومنعها من الماء والكلا اولى واحرى
واللمس والاخذ هنا استعارة وهذا وعيد شديد لمن مسها بسوء
والعذاب الاليم هو ما حل بهم اذ عقروها وما اعد لهم في الدار
الآخرة وقوله فيأخذكم جواب النهي والناصب للفعل ان مضمرة
بعد الفاء • واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ذكر صالح
قومه نعما خاصة وهي جعلهم خلفاء بعد اهة الى سعتهم و
في الارض اي ارضكم واسكنكم اياها والمباءة المنزل في الارض وهو من
بوأ اذا جمع تتخذون من سهولها قصورا جمع قصر جمع قصرة
يوآكم ومعناه تعملون كقوله تعالى تتخذون بيوتا فتعدي

وقد ذكرتم

اتحد لمفعول واحد وتتحتون من الحبال بيوتا والنحت النحر والنشر
في الشيء الصلب كالحجر والخشب وغيرهما وقال الشاعر
• آما الها رمن صلد وسلسلة • والدر في بطن معنوق من الساج
وانتصب بيوتا على انه حال قدرة لانها وقت النحت لم تكن
بيوتا فصارت بيوتا بعد ذلك كقولك خط لي هذا قميصا قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الفطور كانت لصائغهم والبيوت
في الجبال لمستقاهم ولا تعثوا في الارض مفسدين • تقدم الكلام على
هذه الكلمة في البقرة في قصة استسقاء موسى عليه الصلاة والسلام لقومه
• قال الملا الذين استكبروا من قومه قرأ ابن عامر رضي الله عنه
وقال الملا بواو العطف والجمهور قال بغير واو والذين استكبروا
وصف الملا اما للتخصيص لان من الملا فيهم من آمن وهو جذع
ابن عمرو وقوله هنا والذين استكبروا اي طلبوا المنزلة لانفسهم وهو
من الكبر فيكون استفعل للطلب وهو ما بها او يكون استفعل كه
بمعنى فعل اي تكبروا لكثرة المال والجاه فيكون مثل عجب واستعجب
والذين استضعفوا اي استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم
وهم السفلة وهم اتباع الرسل ولمن آمن بدل من الذين استضعفوا
والضمير في منهم ان عاد على المستضعفين كان ذلك بعض من كل
من كل وتكون الذين استضعفوا قسمين مؤمنون وكافرون وان عاد
على قومه كان بدل من كل اعيد معه حرف الجر وهو اللام وكان
الاستضعاف مقصورا على المؤمنين وكان الذين استضعفوا قسما
واحدا ومن آمن حصر لمن المستضعف من قومه اي للمستضعفين
منهم واللام في للذين للتبليغ والجملة المقولة اهتموا بها على جهة الاستهزاء
والاستخفاف وفي قولهم من ربه احتصاص ما من رصاح على العلاة
والسلام ولم يقولوا من ربنا ومن ربكم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
وجواب المستضعفين وعدولهم عن قولهم مؤمن رسل الى قولهم انا
بما ارسل به مؤمنون في غاية الحسن اذ امر رسالته معلوم واضح لا مدخل
ريب لها في من المعجزات العظمة الخارقة فلا يحتاج ان يشار عن
رسالته ولا ان يستفهم عن العلم برسالته فاخبروا انهم مؤمنون بما ارسل
به لانه لا يلزم بعد وضوح رسالته الا التصديق بما جاء به فضمن لهم
العلم بانه مرسل من الله تعالى ومؤمنون خبر انا وبما ارسل به
متعلق به وقدم لانه متعلق بارسل فعقروا الناقة وعتوا عن امر
ربهم نسب العقر الى الجميع وان كان صادرا من واحد لما كان
عقرها عن تمالئ واتفاق في قصة عاد وثمود مشهورة عند العرب
قال الاقوم الآخرون رضي الله عنه •
فيا معاشر لم يتبوا لعقرهم • وان بني قومهم ما اقسروا واعادوا •

اضحوا كهشيم المحتظر • اذا هلكت بالذي سدي لهلعاد
او بعد كقدار حين بارها • على العوالم اقوام وقد بادوا
وقيل ان عمر هود بعد شيث عاد قوم هود • وعتوا عن امر ربهم
اي شكروا عن كفتال امرهم بقتال عنى وعتوا عتوا • وقالوا
ما صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب لانه كان قد سبق منه
قوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم فاستعجلوا ما وعدهم
به من ذلك او كانوا ممكذبين له في الاخبار الاخبار بذلك الوعيد
وغيره وقد دل على ما بهم • كافرون وهو كونه من المرسلين
• فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين روي ان السنة
وهو ولد الناقة لما عقروها ارعفت لان مرات فقال لهم صالح
عليه الصلاة والسلام لكل رعفة احل يوم اي امهال يوم تمتعوا في
داركم ثلاثة ايام فقالوا لها ولصالح بئسما رئيتنا به منذ ولدت وما آية
علامته فقال تصبحون غداة مونثين مقمرة وجوهكم وغداة
الثالث وجوهكم محمرة ويوم سيا مسودة فلما كان صبيحة اليوم
اول وهو يوم الاحد فاخذتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة
وصوت كل شيء له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم وهلكوا
وقد ذكر علقمة السعد في شعره فقال •
رعافيق فهم سعد الهنا فراحوا بشكته • فما قد يستقل وسليب
وانما نسبه للسماء لانه اية من آيات الله سبحانه وتعالى وقوله
جاثمين الجثوم هو الصوق بالارض على الصدر مع قعود الساقين
كما يبرك قد الارنب والطير • فتولى عنهم الآية ظاهرة العطف بالفا
تدل على ان هذا التولي كان بعد هلاكهم وعاينها هود وما جرى عليهم
وما حل بهم فيكون الخطاب على سبيل التفجع عليهم والتحسر لكونهم لم
يؤمنوا فهلكوا او للاعتبار عليهم وليستمع ذلك من كان معه من
المسلمين فيزدادوا ايمانا وانتهاء عن معصية الله عز وجل واقتفاء
لما جاءت به نبيه صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ويكون معنى قوله
ولكن لا تحبون الناصحين ولكن كنتم لا تحبون الناصحين فتكون
حكاية حال ماضية حاضرة وقد خاطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل قليب بدر • ولوطا اذ قال لقومه الآية لوط هو ابن
هاران ابن اخي ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وما حوردهم منوا مارح
ان ماحور وانتصب لوطا باضمار وارسلنا لوطا على الاشتغال
واذ معمول لا ارسلنا وجوز ان يحشري وابن عطية رضي الله عنهما
نصبه باذكر مقدرا او مضمرة اي واذكروا وقت اذ قال لقومه
وقد تقدم الكلام على كون اذ تكون مفعولا بها بحا اذكروا او ذلك
تصرف فيها • اتاتون الفاحشة الاستفهام هنا هو على جهة الانكار

اي في ديارهم ومنازلهم
وسبي الفعيل ايضا

عقبه

اي حر

والتقبيح والتشنيع والوقوف على هذا الفعل القبيح وهي
الفاحشة هنا اتيان ذكران الادبار ولما كان هذا
الفعل مفهوما قبحه وذكرا في القرآن بلفظ الفاحشة اي متعرفا
بالالف واللام ام تكون ان فيه للجنس على سبيل المبالغة كانه
كله شدة فبعد حصل جميع الفواحش وبعد العرب عن ذلك
البعد التام وذلك بخلاف الزنا فانه قال فيه ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة وساء سبيلا فالى به منكرا اي فاحشة من الفواحش
وكان كثيرا من العرب يفعله ولا يستنكرون فعله ولا ذكره في بعض
اشعارهم ولحملة المنقبة يتركون على انهم ثم اول من فعل بهذه
الفعلة القبيحة وانهم مستكرهها فالمالغة بي من احدثت ما
زدت لتاكيد في الجنس وفي الاتيان بعموم العالمين جميعا
قال عمرو ابن دينار رضي الله عنه ما رؤي ذكر على ذكر حتى قوم
لوط وها سفتكم جملة حالية من الفاعل او من الفاحشة لان
في سفتكم بها ضميرهم وضميرها وقال الكرخي رضي الله عنه
هي جملة مستانفة انه انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم
وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر
كانهم قالوا لم لا ننارتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تعملوا عملا لم
تسبقوا اليه وقال ابن مخشري رضي الله عنه واما هنا انت للعدية
من قولهم سفته بالكرة اذا طربتها مثله ومنها قوله عليه الصلاة والسلام
سفك بها عكاشة انتهى ومعنى التعدية هنا فلق لحدا لان الت
المحدثة في الفعل المتعدي الى واحد هي تجعل للمفعول الاول
يفعل ذلك الفعل بما دخلت عليه التاء فهي كالهمزة وبيان ذلك
انك لو قلت سككت الحجر اي جعلت الحجر يسك الحجر
وكذلك وقعت زيدا عن عمرو كالدبعمرو وعن خالد معناه دفعت
زيدا او عمرا عن خالد اي جعلت زيدا يدافع عمرا عن خالد
فالمفعول الاول قاصر في الثاني وللاتياني هذا هنا اذ الاصح
ان تقدر اسقت زيدا ام الكرة اي جعلت زيدا يسق لكن الا
يمكن ان تكلف وهو ان يجعل ضربك الكرة اول جعل ضربه قد
سقتها اي قد تقدمها في الزمان فلم يجتمعان هنا وطفقاه اتيكم
لتاتون ارجالا منهن من دون النساء هذا استفهام لقوله اتاتون الفاحشة
وارى هنا من قولهم الى المرأة اذا اشتهاها وهو استفهام على جهة
الانكار والذي يجيء مشتهين حذر من منع الحال اي مشتهين ان
كانت حالا من الضمير في تاتون او مشتهون ان كان حالا من الرجال
ويجوز ان ينتصب مفعولا من اجله اي للشهوة ويدل هنا المحذوف من
قصة لوط قصة يبنى بانهم سجاون وفي الحديث في الاعتداد جاء هنا

مشرفون ما شم الفاعل لتدرك على الثبوت ولموافقتها ما سبق من
ر و س ان آتي في حتمها بالاضحاك • وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فاخرجوه عابد علي
لوط ومن امن به وما آخر ورد هذه السورة عن سورة النمل الا ضمر
ما ستر هم الظاهر في النمل من قوله ا خرجوا آل لوط من قريتكم انهم
اناس يتطهرون قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما اي يتنزهون
عن اتيان ادبار الرجال والنساء • فانجيناه واهله من العذاب
الذي حل بقومه واهلكهم المؤمنون معه • الا امرأته قدرنا
انها وأهلها كانت منافقة تستر الكفر وقوله انا مهلكو
شدو مرو محض من الخابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا
والجملة من قوله انا تأكيد لما تضمنه الاستثناء من عدم نجاة
امرأته وامطرنا عليهم مطرا اضمن امطرنا معنى ارسلنا فلذلك
عداه بعلى كقوله فامطرنا علينا حجارة من السماء والمطر هنا حجارة
وقد ذكر في غير آية • فانظر كيف كان عاقبة المجرمين هذا
خطاب للسامع آي قصتهم كيف كان مآل من اجرم وفيه انبساط
وارتجاز ان لا تسلك هذه الامة مسلكهم والمجرمين عام في قوم
نوح وهود وصالح ولوط وغيرهم وهو من نظر النثر او من نظر النثر
فمن نعت لها او ما ذكر ومساكن كمود وقوم لوط كما قال
الله عز وجل وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم
وكيف كان وهو حتى كان ارضا وعاقبة اسم كان والجملة في
موضع نصب لان انظر معلقة عنها • والى مدين اظهم شعيبا
قال الفراء وصل عنه مدين اسم بلد وقطرب والجمهور على ان مدين
اسم اعجمي فان كان علما احتمل ان يكون فعيلا من مدن بالمكان
اذا اقام به وهو من آدر او قد يكون مفعلا من دان فتضحيحه
شاذ وكان قياسه مدان وشعيب اسم عربي تصغير شعب
او شعف واختلف في نسبه حتى اختلافا كثيرا ذكرناه في المحرر
الوجيز وشعيب قيل هو ابن بنت لوط عليه الصلاة والسلام وقيل
نوح بينه • قد جاءتكم بينة من ربكم هذا دليل على انه جاء
بالمعجزة اذ كل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تدله
من معجزة تدل على صدقه ولكن لم يحك هنا ما المعجزة ولا من
اي نوع هي • فاوفوا الكيل والميزان امرهم اولا بشيء خاص وهو ايفاء
الكيل والميزان ثم نهاهم عن شيء عام وهو قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم
والكيل مصدر كيل به عن الآلة التي يكال بها ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها تقدم تفسير هذه الجملة فراجعه ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين
الاشارة بذلكم الى ايفاء الكيل والميزان وترك البخس والافساد وخيرها هنا

ولكنه

هم

هو من افعل التفضيل
او هو خير من الشر على
ما مر

• ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن
به تبغونها عوجا ظاهر من العموم قال الزمخشري رضي الله عنه ولا
تقعدوا بكل صراط اي ولا تقعدوا بالشيطان في قوله
لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط
اي بكل مسلك وطريق من الطرق وفي رواية
اي بكل مناهج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط
سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن فان
قلت صراط الحق واحد وهو قوله تعالى وهذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
فكيف قعد بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه قد
تشتعب الى معارف وحدود وآداب كشرع مختلفة فكانوا
اذا رأوا واحدا شرع في شيء منها عدته اوعدوه وهددوه
وصدوه عنها انتهى وحمل القعود والصراط على المجاز وقد
تقدم ان الظاهر انه حقيقة وانهم كانوا يقعدون على الطرق
المفضية الى نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام فيتوعدون
من اراد المجيء اليه ويصدونه ويقولون انه كذاب فلا
تذاهب اليه على نحو ما كانت قريش تفعله مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا تظهر الدلالة على ان الصراط سبيل الحق من قوله
وتصدون عن سبيل الله فيكون كل صراط حقيقة في الطرق
وسبيل الله مجاز عن دين الله عز وجل والباء في بكل صراط ظرفية
كقولك زيد بالبصرة اي ومعناه في كل صراط وبالبصرة
قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت الى م يرجع الضمير في
امن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به
وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير
زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على اعظم ما يصدون عنه وهو
وهذا تعسف في الاعراب لا يليق ان تحمل عليه القرآن امتاني
التقديم والتاخير ووضع الظاهر موضع المضمر من غير حاجة
الى ذلك وعود الضمير الى بعد مذكور مع امكان عوده الى اقرب
مذكور الامكان الشائع الحسن الراجح وجعل من آمن منصوبا
بتوعدون فتصير من اعمال الاول وهو قليل وقد قاد بعض ائمة
النحو رضي الله تعالى عنهم اجمعين انه لم يرد في القرآن الا قليلا تقديره
توعدون من آمن به وتصدون عنه ولو قال هذا هو من اعمال
الاول لزم ذكر الضمير في الفعل الثاني وكان يكون التركيب
وتصدون عنه او تصدونه وبهم او هذا الضمير لا يحوز حذفه
على قول الاكثرين او لا ضرورة تدعو اليه وعلى قول بعض النحاة

تحذف

حذف في قليل من الكلام ويدل على ان من امن منصوب بفعله وان
الآية الاخرى وما يدريك لعله مرفوع بقل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من امن فعلتموه بتوعدون وتبغونها هذا مع
الكلمات الخبيثة ليا ذكك فكان جديرا بادغم لما في
ذلك من التعقيد البعيد عن الفصاحة قال ابن عطية
رضي الله تعالى عنه يجوز ان يعود على شعيب كما قيل من
رأى لقعود على الطرق لمن رد عن شعيب وهذا بعيد لان
القائل ولا تقعدوا هو شعيب عليه الصلاة والسلام فكان
يكون الكلام من امن بي ولا يسوغ هنا ان يكون التفاتا قلت
يا هذا انا اقول لا تهتم من اكثر قد تريد ذكره لم يصح
ان تعدون ان تكون ها جملة حالية اي من جاء ذلك الايمان
بشعيب وتصدون معطوف على تعدون وتبغونها
الضمير عائد على سبيل الله والسبيل قد يذكر ويؤنث وهي جملة
حالية اي من جاء للايمان بشعيب وتصدون معطوف
على تعدون وهي جملة حالية اي باغيها والمقصد بتبغونها
لها عوجا وقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ظاهر المعنى
قال ابن مخرمة رضي الله عنه ولا تقعدوا بكل صراط اي ولا
تقتدوا واما قسطاس في قوله وزنوا بالقسطاس فقد ذكر لهم صراط المستقيم
فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل
على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله فان
قلت صراط الحق واحد قال الله عز وجل وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل
بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام مختلفة فكانوا اذا اراد واحد الشرع في شيء
منها وعرف وصد عنه انتهى وحمل التوعد والصراط
على المجاز وقد تقدم ان الظاهر انه حقيقة وانهم كانوا
يقعدون على الطريقات المفضية الى شعيب عليه الصلاة
والسلام فيتوعدون من اراد المجيء اليه وتصدونه وتبغونها
انه كذا فلانا هيأ اليه اي وذلك على نحو ما كانت قريش
تقعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تظهر الدلالة على
ان الصراط سبيل الحق من قولهم له وتصدون عن سبيل الله كما ذكر
بل الظاهر هنا التغاير لعموم كل صراط وخصوص سبيل الله عز
وجل فتكون كل صراط حقيقة في الطرق وسبيل الله هو مجاز عن
دين الله والسادة في كل صراط طريقة نحو زيد بالبصرة اي في محل
صراط وبالبصرة في البصرة قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت لم ترجع الضمير

في من امن به قلت يرجع الى كل من الفريقين في الوعد والمعنى من امن منهم وقصدوا
عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تشنيع امرهم
والدلالة على عظم ما قصدوا عنه انتهى وهذا تخبط في الاعراب
لا يليق ان يحمل عليه القرآن اما اولا فالتقديم والتاخير ووضع
الظاهر موضع المضمر من غير حاجة لا ذكر ولا عود والضمير على البعد مذكور
مع امكان عوده على اقرب مذكور الا ما كان الشائع الحسن الراجح
وجعل من امن منصوبا هنا بتوعدون فتصير من اعمال الاول
وهو قليل وقد قال بعض النحاة ايضا انه لم يرد في القرآن
لقلته ولو كان من اعمال الاول لذكر الضمير في الفعل الاخر
وكان يكون التركيب وتصدونهم او تصدونهم اذ هذا ان
الضمير لا يجوز حذفه على قول الاكثرين الا ضرورة وعلى قول يجوز
النحاة تحذف في قليل من الكلام ويدل على ان من امن منصوب
تصدون الآية الاخرى وهي قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من امن فنصبه بتوعدون بعيد هذا مع ان كلمات
المصاقبة الى ذلك فكان جديرا بالمنع لما في ذلك من التعقيد
البعيد من الفصاحة قال ابن عطية رضي الله عنه يجوز ان
يعود على شعيب عليه الصلاة والسلام في قول من راى العود
على الطريق لم يرد عن شعيب وهذا بعيد لان الضمائر لا
تتعقد واهو شعيب عليه الصلاة والسلام فكان يكون التركيب
من امن بي ولا سبيل هنا ان يكون المتعاقبون تصدون هنا
معطوف على قوله توعدون وصدهم اكثر جاء على سبيل الحكاية
والسبب قد ذكر وبئت وهي جملة حالية اي راغبين والتقدير
تبغون لها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم روي ان مدين
ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام تزوج بنت لوط عليه الصلاة
والسلام فولدت اولادا كثيرة فرمى الله تعالى في نسلها بالبركة
والنماء فكثروا وصفوا وانظر اكيف كان عاقبة المفسدين هذا
تهديد لهم وتذكير بعاقبة من افسد قبلهم وتمثيل لهم حل بهم
العذاب من قوم نوح وهود وثمود وصالح وقوم لوط وكانوا
قريبي عهد بما اصاب المؤتفكة وهي مدائن قوم لوط واعرف
هذه الجملة كما عرف هذه الجمل الواقعة اثر قصة قوم لوط
قال الزمخشري رضي الله تعالى عنه او مفعول به غير ظرف اي
واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله
وفي عددكم انتهى وذكر غيره انه منصوب على الظرفية فلا
يمكن ان يتعمد فيه واذكروا الاستحضار اذكروا وقت كونكم اذ ظرفا لما
مضى والقلة والتكثير هنا بالنسبة الى الاشخاص او الى الاقتدار والغنا

او الى قصر الاعمار وطولها اقوال ثلاثة اظهرها الاول وقال
الزمخشري وصف عنه معناه او كنتم اقلة واذلة فاعزكم بكثرة
العدد والعدد والاضرورة قد عوا الى حذف وصنوبي او ذلة
ولا الى تحميل قوله على كم مضى بالعدد انه الاتي اذ القلة
لا تستلزم الذلة ولا الكثرة تستلزم العزة قال الشاعر
تعيرنا انا قليل عديدنا • فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا • عزيز وجار الاكثرين ذليل
وقيل المراد بجموع كثرة عددهم واموالهم وارزاقهم وطول اعمارهم
واعزتهم بعد ان كانوا على مقابلتها • وان كان طائفة منكم امنوا بالذي
ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو
خير الحاكمين الآية هذا الكلام من احسن ما تلطف به في المحاورة
اذا اراد المتحدث في صورة المشكوك فيه وذلك انه قد امن به
طائفة بدليل قول المستكبرين عن الايمان لنخرجنك يا شعيب
والذين امنوا معك من قريتنا وهم ايضا من بارح القسم اذ لا
فرق من القسم اي ان يكونوا قسمين والذي ارسل به هنا
هو ما امرهم به من ارادة الله سبحانه وتعالى بالعبادة وانما الجدل
والمران وما نهاهم عنه هنا البخس من الاضداد ومن الكفر
المذكور ومتعلق لم يؤمنوا محذوف دل عليه ما قبله ومن
وثقدير لم يؤمنوا به والخطاب بقوله حكم لقومه وشعيب
ان يكون قوله فاصبروا خطابا للفريقين قومه من امن ومن
كفر اي ومن لم يؤمن منكم وبيننا اي بين المحق فيكون ذلك وعدا
للمؤمنين بالنصر الذي هو نتيجة الصبر فصبروا على ما كذبوا
حتى اتاهم نصرنا ووعيد الكافرين بالخيبة والخسارة
• قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قيل هي جواب لقسم محذوف والقسم يكون على فعل
القسم كقوله لنخرجنك وعلى فعل غيره كقولهم او لتعودن في ملتنا
وهذا ابدل على صعوبة مفارقة الوطن او قرنوا ذلك بالعود الى الكفر
وفي الاخراج والعود طباق مفنوى والعود هنا بمعنى الصيرورة
• قال او لو كنا كارهين اي اتعيدنا منكم هذين الامرين على كل حال
حتى في حال كراهيتنا لذلك والاستفهام للتوبيخ للتوقف على علمه
المغيبة بما افتروا عليه من الاخراج عن مولدهم ظلما او الاقرار بالعود
الى ملتهم قال ابن الحسن رضي الله تعالى عنه ولم يعد ههنا للاستفهام
وان لو وان الحال تقدره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهيتنا او
مع كوننا كارهين انتهى فحمل الاستفهام حاصلا العود في ملتهم
وليس كذلك بل الاستفهام هو عن احد الامرين الاخراج او العود وجعل

ولما

الواو في ولما للحال

انى عليه دنا

وقوله في حال كراهتنا ولسنا واو الحال التي يعبر عنها
النحويون بواو الحال بل هي واو العطف عطفت على
حال محمد وقته كقوله صلى الله عليه وسلم ردوا السائل
ولو بظلف محرق ليس المعنى ردوه في حال الصدقة
عليه بظلف محرق بل المعنى ردوه وسموا له الصدقة
ولو مضمومة بظلف محرق وتقدم لنا الشاهد الشاذ في هذا
المعنى فقد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها الآية هذا احتمال مقدر حسب المعنى
بان شرط وجواب الشرط محذوف من حيث الصناعة النحوية
وتقديره ان عدنا في ملتكم فقد افترينا وليس قوله قد
افترينا على الله كذبا هو جواب الشرط الا على مذهب من يجيز
تقديم جواب الشرط على الشرط اذا دل قرينة ان يكون هذا عليه
وتصير هذا التركيب الفصيح قول الاستاذ الخفي رضي الله عنه
واسمه الحارث ايضا كما قيل

• • • •

٣١٩
نتشر نظيرها في سورة الانعام فاعنى عن اعادته في هذا
المحل اي في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام • على الفريق حلنا
اي في دفع ما توعدتمونا به وفي حاشيتا من الصلاة في دلائل
استسلام سعد لحكمك وعصمتك اللطيفة وحمايته • ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين اي الحاكم
والقاضي والفتاح الفاصل بلغة حمير وقيل بلغة مراد
وقال بعضهم انضاه •
الا لا ادلع بي عصم رسلاه قالي عن فتاحتكم غني •
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت اعرف ما معنى هذه
الكلمة حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها تعال
الا فاحكم اي احكم بيننا وقال الفراء ما سمعت اهل عمان
يسمون القاضي الا الفاتح • وقال الملا الذين كفروا
من قومه اي قال بعضهم لبعض اي وهم كبراؤهم لئن اتبعتم
شعيبا عن الايمان بي انتم شعيبا اي فيما امركم به
ونهاكم عنه انكم اذا لخاسرون اي مغبونون قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه فان قلت ما جواب القسم الذي وطأت
اللام في قوله لئن اتبعتم شعيبا وجوابه ساد مسد جواب الشرط ايضا
قلت في قوله انكم اذا لمن اخبر بسد مسد الجوابين انتهى
والذي يظهر لي قول النحويون ايضا ان جواب الشرط محذوف
لدلالة جواب القسم عليه ولذلك قد وجب مضي فعل
الشرط ايضا كما في كلام ابن الخباز رضي الله عنه بقوله هو
ساد مسد الجوابين انه اجتزي به عن ذكر جواب الشرط وهو
قريب مما تقدم وان عني به ان ذلك يكون من حيث الصناعة
النحوية فليس هو كما تقدم لان الجملة يمتنع ان تكون لا موضع
لها من الاعراب واذا هنا متعلقا بالشرط وهو مستقبل وما الجزم
الذي هو جواب ويكون جملة الجزاء قد تكون هنا ايضا
الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم
الخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين
كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون • تقدم تفسير وهذه الجملة قال قتادة
رضي الله عنه اتى رسل شعيب عليه الصلاة والسلام الى اصحاب
الايكة فاروهم كوافا بالظلة والى اصحاب مدين فصاح بهم جبريل
عليه الصلاة والسلام صيحة فهلكوا جميعا • الذين كذبوا شعيبا
كان لم يغنوا فيها اي كان لم يقيموا فاعجب البلاد خوت العين في
ديارهم وفيها فوت الاخبار عن هلاكهم وخلو الكفر منهم والتنبيه على
الاعتبار بهم كقوله عز وجل فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس

بل

اي كان لم تكن

وقي كان ضمير الشان محذوف بتقدير قبل الحذف كانه
والجملة بعدها في موضع الخبر منصوبا بلم فهو لكثير وقد جاء
اليقين بلما في قول صخار الكلبي وكاين لم يكون قط لم ولا لما
بلما قليل وكانوا هم الخاسرون بهم فصلا بين الاسم والخبر
ويجوز ان يكون بدلا من الاسم في كانوا ولما كان قولهم انكم لانتم
لخاسرون قيل بل هم بعينهم هم الخاسرون وافادة الفصل الاختصاص
• فتولى عنهم بتقدم تفسير نظيره في قصة نبي الله صالح عليه
عليه الصلاة والسلام • فكيف اسى على قوم كافرين اي فكيف
احزن على قوم لا ينبغي ان يحزن عليه وتقدم تعالى العلة الموجبة
لعدم الحزن عليهم وهي الكفر اذ هو اعظم ما يعادي به المرء
• وما ارسلنا في قرية من نبي الا اية لما ذكر سبحانه وتعالى
ما حل بالامم السالفة من باسه وسطوته عليهم احرامهم
حين لا يجدي فيهم من عظة ذكر سبحانه وتعالى ان عادته تلك
وقال ابن عطية رضي الله عنه ذكر سبحانه وتعالى ان تلك عادته
في اتباع انبيائه عليهم الصلاة والسلام اذا اصروا على تكذيبهم
وجاء بعد الا فعل ماض وهو اخذنا وليها فعل ماض
الا ان تتقدم فعل او صحت بقد فمثال ما تقدم فعل
مثال هذه الاية ومثال ما صحت بقد قولك ما ديد الا لا
قد قام قال الشاعر • متى ما ات هذا الموت لا تلف حاجة
لنفسي الا قد قضيت قضاءها والجملة من قوله اخذنا
حالية اي الا اخذنا اهلها وهو استثناء مفرغ من الاحوال
وتقدم تفسير نظير قوله الا اخذنا الى اخره • ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة الاية اي مكان الحالة السيئة من البأساء
والضراء الحالة الحسنة من السراء والنعماء ومكان هو محل
الشيء اي بمكان السيئة وفي لفظ مكان اشعار بتمكن
الباساء منهم كانهم صاروا للشدة عندهم مكان حتى عفوا
اي كثروا وتناسلوا • وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء اي
ابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر ضراء وسراء
وقراصاب اباءنا وامثال ذلك وليس ذلك قائلا بل وقفد
بل ذلك قالوه على ما تخبر به الانبياء عليهم الصلاة
والسلام جهلا منهم وما اصابهم مثلا لهم ولما قد يصيب
ولا ينبغي ان تذهب العادة الى افعال الدهر كما تقدم
ذلك لانبيائه واسلافهم لله عز وجل فاخذناهم بغتة
وهم لا يشعرون • وقد تقدم الكلام على تفسير مثل ذلك
وذلك لما افسدوا على هذين التقديرين المذكورين اخذوا هذا

• ولو ان اهل القرى امنوا الآية اى لو كانوا ممن سبق فى علم الله تعالى
ان يتلبسوا بالايمان بما جاء به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبا
التى هى ثمرة الايمان لتنزلنا لهم من بركات السماء ولكن كانوا ممن سبق فى علمه
تعالى انهم يكذبون الانبياء فيؤاخذون باخبارهم وكل من الايمان
والتكذيب والثواب والعقاب قد سبق به القدر واصل الايمان
والتكذيب الى العبد كسبا والموجد لهما هو الله سبحانه وتعالى لاشتمال
عما يفعلون وهم يسألون والظاهر ان قوله بركات من السماء والارض
ليس المراد بها معنى معين وكذلك حذف نكرة وقبل بركات السما الطر
وبركات الارض النبات ونحوه او من اهل القرى ايمانا دخلت على امنوا
للاشعار بها على جهة التوقيف والتوبيخ والانكار والوعيد للكافرين
المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان تنزل بهم مثل ما نزل بأولئك
والفاء ههنا لعطف هذه الجملة على ما قبلها قال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية
بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة افعدوا فكذبوا
او من اهل القرى اذ يأتيهم بأسنا ليلا او نهارا فامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى
انتهى وهذا الذي ذكره الزمخشري رضي الله عنه من ان حرف
العطف الذي بعد ثم الاستفهام يأتي عطفا ما بعدها على ما قبل
الهمزة من الجمل رجوعا الى مذهب الجماعة في ذلك وتخريج
هذه الآية على خلاف ما قرر هو من مذهبه في غير ما آية اذ يقدر
محذوف بين الهمزة وحرف العطف اي المعطوف عليه ويصح
تقديره بعد حرف ما بعد الحرف عليه وحرف العطف بصح لنا
تقديره على الهمزة في جملة التقدير المقدرة وان الهمزة وحرف
العطف اذا كانا في موضعهما من غير اعتبار تقديم حرف
العطف على الهمزة في التقدير وانه قدم الاستفهام اعتناء
لانه له صدر الكلام كما تقدم • او امن اهل القرى الآية اى في حال
الغفلة والاعراض والاشتغال بما لا يجدي كأنهم يلعبون وضحى
منصوب على الظرف اي ضحوة وقيد بحال ظرف بما يناسبه من
الحال فقيد البيات بالنوم وقيد الضحى باللعب وجاء
قوله نائمون باسم الفاعل لانه حالة ثبوت واستمرار كالبيتوتة وجاء
يلعبون بالمضارع لانهم مشتغلون بافعال متجددة شيئا فشيئا
في ذلك الوقت • او امن امكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
جاء العطف هنا بالفاء واسناد الفعل الى الضمير لان الجملة المعطوف عليها
ذكرين في قوله او امن اهل القرى اذا هم وهو بيتون وكذلك الجملة
المقدرة فناسب اعادة الجملة معطوفة بالفاء وكل اضيف الى الفاعل وهو
استعارة لاحد العبدين حيث لا يشعر وزر الكفر مضافا الى الله عز وجل تحقيرا

اطلاعات

امنوا

عطف م

ل

مضمر
لوقوع خبر الكبير

• اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الاية قال ابن عباس رضي
الله عنهما يهدين والفاعل بنهد يحتمل وجوها اخر احدها
ان يعود على الله تعالى ويؤيده قراءة من قرا نهد بالنون والثاني
ان يكون ضميرا عايدا على ما يفهم من سياق الكلام اي اولم يهد
ما جرى للامم السالفة اهل القرى وغيرهم وعلى هذين الوجهين
يكون ان لو نشا وما بعده في موضع المفعول بنهد اي اولم يبين الله
او ما سبق من قصص القرى ومال امرهم للوارثين اصابتنا
اياهم بذنوبهم لو شينا ذلك اي علمهم باصابتنا او قدرتنا
على اصابتنا اياهم والمعنى انهم مذنبون كهم وقد علمتم
ما حل بهم افما تحذرون ان يحل بكم ما حل بهم فذلك ليس
بممتنع علينا لو شينا والوجه الثالث ان يكون الفاعل بنهد
قوله ان لو نشا فعلى هذا المصدر من جواب لو والتقدير اولم
نبين ونوضح للوارثين مالهم وعاقبتهم اصابتنا اياهم بذنوبهم
لو شينا ذلك اي علمهم باصابتنا او قدرتنا على اصابتنا اياهم
على التقديرين اذا كانت ان مفعولة وان هنا هي المخففة
من الثقيلة لان الهداية فيها معنى العلم واسمها ضمير لشان
محذوف والخبر الجملة المصدرة بلو ونشا في معنى شينا
لان لو التي هي حرف جر لما كان سيقع لوقوع غيره اذا جاء بعدها
المضارع صرفت معناه الى المضي ومفعول نشا محذوف دل
عليه جواب لو والجواب اصبناهم ولم يات باللام وان كان
الفعل مثبتا اذ حذفها جائز فصيح كقوله تعالى لو نشا جعلناه
اجاجا والاكثر الاتيان باللام كقوله تعالى لو نشا لجعلناه حطاما
وقوله ايضا ولو شينا لرفعناه بها • وقوله للذين يرثون الارض من
بعد اهلها اي يخلفون فيها من بعد هلاك اهلها وظاهره
هنا التسميع لمن كان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشركي
قريش وغيرهم • ونطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون الظاهر انها جملة
مستانفة اي ونحن نطبع على قلوبهم والمعنى ان من اوضح الله تعالى
له سبيل الهدى وذكر له امثالا ممن اهلكه تعالى بذنوبهم وهو مع
ذلك دائم على غيه لا يرعوي ان يطبع الله على قلبه فينبو سمعه
عن سماع الحق واجاز الزمخشري رضي الله عنه في عطف ونطبع
وجهين احدهما ضعيف والاخر خطا قال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت بم يتعلق قوله ونطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون • قلت
فيه اوجه احدها ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد لهم
كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او هو عطف على
قوله يرثون الارض انتهى فقوله انه معطوف على مقدر وهو يغفلون

عن الهداية

الهداية ضعيف لانه اضمار لا يحتاج اليه اذ قد صح ان يكون على الاستئناف
من باب العطف في الجمل فهو معطوف على مجموع الجملة المصدرة باداة
الاستفهام وقد قاله الزمخشري رضي الله عنه وكذا قال به
غيره ايضا كابن عطية والحوفي وغيرهما وقوله انه معطوف على
يرثون خطاء لانه اذا كان معطوفا على يرثون كان صلة للذين
لان المعطوف على الصلة صلة ويكون قد فصل بين ابعاض الصلة
باجنبي من الصلة وهو قوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم سواء
اه قدرنا ان لو نشاء في موضع الفاعل ليهدام في موضع المفعول فهو معمول
ليهد لا تعلق له بشيء من صلة الذين وهو لا يجوز تلك القرى نقص عليك
من انبائها الخطاب في هذه الاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقرى
هي بلاد قوم نوح وهود وصالح وشعيب بلا خلاف بين السادة
المفسرين وجاءت الاشارة بتلك اشارة الى بعد هلاكها وتقادمه
وحصل الربط بين هذه وبين قوله ولو ان اهل القرى كما تقدم ذلك
ونقص يحتمل على بقية على حاله من الاستقبال فالمعنى قد قصصنا
عليك من انبائها ونحن نقص عليك ايضا منها في السور مفرقا
ايضا ويجوز ان يكون قد عبر بالمضارع عن الماضي اي تلك
القرى قصصنا والانباء هنا اخبارهم مع انبيائهم ومآل عصيانهم
وتلك مبتدا والقرى خبر ونقص جملة حالية نحو قوله
تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وفي الاخبار بالقرى
معنى التعظيم لها ولمهلكها كما قيل في قوله ذلك الكتاب وفي
قوله صلى الله عليه وسلم اولئك الملأ من قريش ولما كان الخبر
مقيدا بالحال افاد كالتقييد بالصفة ومعنى من انباء من
هنا للتبعيض فدل ذلك على ان لها انباء اخر لم يقصه
عليه وانما قص عليه ما فيه عظة وازدجار واذكار بما
جرى على من خالف الرسل ليتعظ بذلك السامع من هذه
الامة • فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الذي يظهر
ان الضمير في كانوا وليؤمنوا هو عائد على اهل القرى وان الباء
في بما ليست هي سببية والمعنى انهم انتفت عنهم قابلية الايمان
وقت مجيء الرسل بالمعجزات بما كذبوا له قبل مجيء الرسل بالمعجزات
بل حالهم واحد قبل ظهور المعجزات وبعد ظهورها لم تجد عنهم
شيئا وفي الاتيان بلام الجحود في ليؤمنوا مبالغة في نفي القابلية
والوقوع وهو ابلغ في تسلط النفي على الفعل بغير لام وما في بما كذبوا
موصولة والعائد هنا منصوب ومحذوف اي بما كذبوه وجوز
ان تكون مصدرية • وما وجدنا لاكثرهم من عهد اي لاكثر الناس
واهل القرى والامم الماضية ومن في قوله من عهد تدل على استغراق الجنس

يقصها

وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ان هي المخففة من الثقيلة ووجد
بمعنى علم ومفعول وجدنا الاولى لاكثرهم ومفعول الثانية
لفاسقين واللام للفرق بين ان المخففة من الثقيلة وان
النافية وتقدم الكلام على ذلك في قوله وان كانت لكبيرة الا على
الذين هدى الله ودعوى بعض الكوفيين ان ان في مثل هذا اي
في نحو هذا التركيب هي النافية واللام بمعنى الا وقال الزمخشري
رضي الله عنه وان الشان والحديث وجدنا انتهى ولا يحتاج الى
هذا التقدير وكان الزمخشري رضي الله عنه يزعم ان ان اذا
خففت كان محذوفا منها الاسم وهو الشان والحديث
ابقاء لها على الاختصاص بالدخول على الاسماء وقد تقدم
لنا تقدير نظير ذلك ورددناه عليه ثم بعثنا من بعدهم
موسى الآية لما قص سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
اخبار الانبياء وما آل اليه امر قومهم ذكر موسى عليه الصلاة والسلام
ومناسبة هذه الآية لما قبلها ان بين موسى وشعيب عليهما الصلاة
والسلام مصاهرة كما حكى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز
ونسب لكونهما من نسل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولما ان
قد استفتح قصة نوح عليه الصلاة والسلام بارسلنا بنون العظمة
اتبع ذلك بقصة موسى عليه الصلاة والسلام فقال ثم بعثنا
والضمير في من بعدهم عائد على الرسل من قوله ولقد جاءتهم
رسلهم بالبينات وتعديته ظلموا بالباء على سبيل التضمين بمعنى
كفروا وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين فهذه
محاورة من موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون وخطاب له باحسن
ما يدعى به واحبها اليه اذ كان من ملك مصر يقال له فرعون كنمرود
في يونان وقيصر في الروم وكسرى في فارس والنجاشي في الحبشة وعلى
هذا لا يكون فرعون وامثاله علما شخصيا بل يكون علم جنس كاسامة
وثعالة ولما كان فرعون قد ادعى الربوبية فاتحه موسى عليه الصلاة
والسلام بقوله اني رسول من رب العالمين لينبهه على الوصف الذي
ادعاه وانه فيه مبطل لا محق ولما كان قوله حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق دعوى اردفها بما يدل على صحتها وهو قوله قد جئتكم
ببينة من ربكم ولما قرر رسالته فرع عليها تبليغ الحكم وهو قوله
فارسل ولم ينازعه فرعون في هذه السورة في شيء مما ذكره موسى
عليه الصلاة والسلام الا انه طلب المعجزة ودل ذلك على موافقته
لموسى عليه الصلاة والسلام وان الرسالة ممكنة لامكان المعجزة
اذ لم يدفع امكانها بل قال ان كنت جئت بآية ومعنى حقيق يعني
جدير وخليق وارتفاعه على انه صفة لرسول او خبر بعد خبر وان لا

أقول

اقول اشكال ولا يخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب
من الكلام لان من الناس يقول الشاعر ويشق الرماح ما رضا
طرة الجمة معناه ويشق الصطر بالرماح انتهى هذا نفور
الوجه واصحابنا يحتجون الاقلب بالشعر ولا يجيزونه في فصيح
الكلام فيبعد ان مزه القرآن عنه وعلى هذا يصير معنى هذه
القراءة فمعنى قراءة نافع رضي الله عنه وانا اني ان حال لك
فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان او حقيقا
على قول الحق اي لازما له قال الزمخشري رضي الله عنه وانا آت
ان يضمن حقيق معنى حريص فيصير هيحتي معنى ذكر في
قيت الكتاب اية بمعنى بالكتاب كما سيوضح رضي الله عنه
وانا آت السند ضعفه واقتضى حمام الاريك هيحتي
ولو سلمت عنها ام عمار قال الزمخشري والرابع وهو الاوجه
والاوضح في ذلك القرآن ان يفرق موسى عليه الصلوة والسلام بين
بالصدق في ذلك المقام لاسيما وقد روي انه بعد ان قال فرعون
قال لما قال له موسى اني رسول من رب العالمين كذبت فقول اني
حقيق على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون اقاقاله
والقائم به ولا ترجع الضمير فاطفا مما تقدم ولا يصح هذا الوجه الا
ان معنى انه يكون على ان الاول قوله صفة له كما يقول انا على قول الحق
اي طريقتي فعادلي قول الحق وقال ان معكم حقين من ربكم
الرسول اي رسول حقيق من رب العالمين ان ارسلت على ان الاول
على اصله ان الحق وهذا معنى صحيح واضح وقد عضد الزمخشري
من رواية اللهم عن نعلق على رسول واما الاخر فلا يجوز
على مذهب البصريين لان رسولا قد وصف فلا يجوز ان ياخذ
معمولة وذلك لا يجوز واما النقدير الاول وهو انما ارسلت
وتقديره لفظ رسول فمن قدر سابقا وتبادل كلام ابن عصفور
اخيرا في قوله عن تعلق على رسول اي متعادل عليه رسول قال ان
كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين الآية لما عرض
موسى عليه الصلوة والسلام رسالته على فرعون وذكر الدليل على
صدقه وهو حيته باحية والخارق المعجز استدعى منه فرعون
خرق العادة بالدال على الصدق في هذا الاستدعاء يحتمل
ان يكون على سبيل الاختبار ويجوز ذلك ويحتمل ان يكون على
سبيل التعجيز لما تمرد في دهر فرعون ان موسى عليه الصلوة والسلام
لا يقدر على الاتيان بتلك والمعنى ان كنت جئت بآية من ربك فاء
عندي لتقطع دعواك في نبوتك صدقك فالقى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين هذا الذي في الآية وفي الاعراف مذكور في المحيط

لا يمشي

خضرها

بدأ بالعصا دون سائر المعجزات لانها معجزة تحتوي على معجزات
كثيرة منها انقلابها ثعبانا وانقلاب خشبة وقاوحيوانا
مع الحياة من اعظم الامتحان ويحصل في انقلابها ثعبانا من التهويل
ما لا يحصل في غيرها وتلقفها كان السحر وعصيهم وابطالها
لما صنعوا من كيدهم وسحرهم والالقاء حقيقة في الاخرى
• ونزع يده اي حذب يده قبل من جيبه وهي لغة لهذيل
تقول ادخل قدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وللناظرين
اي في للنظارة وفي ذكرذلك تنبيه على عظم بياضها لانه
لا غرض لها للنظارة الا ان بياضها كان خارجا عن العادة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما صارت نورا ساطعا يضيء
ما بين السماء والارض مثل لمعان البرق فخروا على
وجوههم وما اعجب هذا من المختار وقيل الطمس احد هما ان يشد
وكذلك اليد التي تضمها وادها خرى تحت عضدها وهي العصاء وهي
وجمع عضد اي شدد اليد واقوى من الخشبة الحية
وقيل سؤل الاعراض من الدم الى بياض الشاطئ فكانا دالتين
على جواز ان الامرين واحدا هما ممكن الوقوع وكان موسى عليه الصلاة
والسلام اسمر وقال الملا من قوم فرعون وفي سورة الشعراء قال
للملا حوله والجمع بين ذلك ان فرعون وهم قالوا هذا الكلام
فحكى هنا قولهم وهناك قوله او قاله ابتداء وتلقفه الملا منه
والكاف الانقلاب وما في انبذها هو مستقل في الشرط
وهم يكررون الشيء ات تنبيها على السحر وصفوف كعنب
لما لقته عندهم في السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فتشقوا
نفوسكم ما صار اليه امرهم من اخراجهم من ارضهم وخلو مساكنهم
ومواطنهم منهم وخراب سوطهم فاشاروا الى الاخبار بذلك وكان
الامر كما استشاروا اذ اغرق الله تعالى فرعون وجنوده
واخلاصاب لهم منهم وتنوا على هذا الوصف الذي هو مضاد
لقتل النفس قال الله عز وجل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من ديارهم الآية تحتمل ما اذا ان تكون ما لتفهيم امتان
فتكون مفعولا آتانا تأمرون على سبيل التوسع فيبرأ ان حذف
منه حرف الجر كما قال امرتك الخير ويكون المفعول الاول محذوفا
اي لفهم المعنى اي اي شيء تأمرونني واصله ماي شيء ويجوز
ان تكون ما استفهاما مبتدأ وذا موصولة بمعنى الذي خبره
تأمرون صلته او يكون قد حذف مفعولي تأمرون
وهو ضمير المتكلم والثاني وهو ضمير العائد على الموصول والتقدير
فاي شيء الذي تأمرونيه اي تأمرونني به وكلا الاعرابين

في هذا

ني حاذا حاسن في قراءة من كسر النون الاامر حذف ياء المتكلم
وابقى الكسرة دلالة عليها وقد روى ابن عطية رضي الله عنه الضمير
الى يدل على ذا اذا كانت من صولة مقرونا بحرف الجر فقد روى
ابو عمرو وفي قوله تامرون ضمير عائد على الذي يتدبر
تأويه انتهى وهذا ليس بمتعين لجواز حذف الضمير
في موضع رفع وانجر ذلك الحرف الموصول او الموصوف به
او لصاف اليه ويتعلق به الجار فان لفظا ومعنى ويتحد
متعلق الحرف ايضا وان عنى هنا لابن عطية انه قدره على
الارتحال ثم اتسع فيه فتعدى الى المفعول بغير واسطة
الحرف ثم حذف بعد الاتساع قالوا ارحله واخاه اي ما ل
من حضرتي ما ظرف مبني على السكون من عقلاء ورعون
واشرافه وقد قيل انما ان فرعون لم يكن جالسا ولا قاعدا وانما
كانوا اشرافا وكذلك اشار واعليه بالارتحال ولم يشيروا عليه
بالقتال قالوا ان قتلته دخلت على الناس شبهة ولكن اغلبه
بالحجة وقرئ بالامر وبغيرهم فقيل هما بمعنى واحد والمعنى
ارحمه واحبسه وقيل ارجئه بغير همز من معنى اطمعه
جعله من رجوت اذا دخل عليه هاء السكت اي ارطمعه واخا ه
ولا تقتلهما حتى يظهر كذبهما فانك ان قتلتهما ظن انهما صادقا
قال ابن عطية رضي الله عنه وقرأ ابن عامر رضي الله عنه لوجه
بكسر الهاء بهمز قال القارسي رضي الله عنه وهذا غلط
وسئة ابن عطية رضي الله عنه هذه القراءة الى ابن عامر لسن بجيد
لان الذي روى ذلك انما هو ابن ذكوان ولم يخبر بها رويس عليه
الصلاة والسلام ذكر في صدر القصة وقد تبين في غير ما آية انهما
هما معا وان رسلا الى فرعون وكلاهما رسول فقال في دعواه
ومن ان الارسال واما رجاؤهما اي فيما اختارهما وارسل
المدائن حاشرين اي قدام مصر وقراها والحاشرين قال
ابن عباس رضي الله عنهما اصحاب الشرط حاشرين اي حاشرين للسحرة
وكان معين لهم في الكلام حذف تقديره فبعث فاتوه فلما جاء
السحرة واد على انما قد صدر من موسى عليه الصلاة والسلام من انقلاب
العصا ثعبانا وياض يده حتى صارت شعاعا يضئ كالبرق الخا طف
وان هذا من السحر قال لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
وقرئ ان بهمزة الاستفهام وقرئ ان على حذف الاثبات فجاز
ان يكون الاستفهام من بعض السحرة والاثبات من بعضهم وفي
خطاب السحرة لفرعون بذلك دليل على استطالتهم عليه لاحتياجه
اليهم وربما يحمل للعالم بالشيء من الترفع على من يحتاج اليه وعلى من لا يعلم

اي العذر له

اي في آيات كثيرة متعددة

باحتياجه

مثل علمه

وبحن اما تاكيد للضمير واما فصل وجواب الشرط محذوف كما
قيل وقال نعم وانكم لمن المقربين اي نعم ان لكم لاجرا
وانكم لمن المقربين تعطف هذه الجملة على الجملة المحذوفة بعد
قوله نعم التي هي نائبة عنها والمعنى انكم لمن المقربين عندي اي
عندي اي لا انقص عن الجعل والثواب على غلبة موسى قيل
اراد لهم ان يكونوا من المقربين عندي فعوروا الى الامر اكراما لهم
بالرتبة والرفعة والحباء والمنزلة قالوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون نحن الملقين تقدم قبل هذا محذوف وتقديره
مخير بيني بعصاك واذي يظهر ان تخييرهم اما هو تخيير لشيء هو
من باب الاولى معه كما قال ابن محرز رضي الله عنه مثل ذلك
من باب الادلال بما يعلمون من انفسهم والاهتمام بالعلم والثقة
بانفسهم وعدم الاكتراث بامر موسى عليه
الصلاة والسلام واحبان واما ان تلقي وفي ان يكون التقدير
اي اختر ايها شئت اما القاؤك والقاؤنا والمعنى فيه
البداءة والشروع اي اما القاؤك مبدوء به واما القاؤنا
فيكون مبتدا واما امر ترك الالقاء اي البداءة به واما ان
يكون امر اذن الالقاء بحتم فيكون خبر مبتدا محذوف وكذا
يكون المعمول من تلقي محذوفا اي اما تلقي عصاك ومعمول الملقين محذوف تقديره حبالنا وعصينا
قال لهم موسى عليه الصلاة والسلام بالتقدم
وثوقا بالحق وعلما ان الله تعالى سيبطله كما قد حكاه الله في الآية
قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قال لهم فلما القوا
سحروا اعين الناس اي ارقوا العين بالحبال والخيلات
والاحقته له كما قال الله سبحانه وتعالى يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى وفي قوله سحروا اعين الناس دلالة على ان السحر
لا يقلب عينا وانما هو من باب التخيل للناس واسترهبوهم
اي ارهبوهم واستفعل هنا بمعنى فعل كاثل واستبل
والرهبة معناها الخوف والفزع وقال ابن محرز رضي الله عنه
استرهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم قد استدعوا
رهبتهم وقال ابن عطية رضي الله عنه واسترهبوهم بمعنى
وارهبوهم فكان فعلهم اقتضى واستدعى الرهبة من الناس
انتهى ولا يظهر هنا ما قدراه ايضا لان الاسترهاب والطلب
لا يلزم منه وقوع المستدعى والمطلوب انتهى والظاهر هنا ما
قدمناه من حصول الرهبة فلذلك قلنا ان استفعل فيه موافق
افعل ووصف السحر بعظيم لقوة ما حمل وكثرة الآلة من
الحبال والعصي روي انهم جاؤا بحبال من ادم اي مطفورة من الجلد

واخذ

٣٢٤

واحشا بحوفة مملوءة زنتفا واقروا فالوادي نار تلهب
بالنار من تحت وبالشمس من فوق فتحركت ورتب بعضها
وهذا من باب السعدنة والدك وجاء بسحر عظيم وانجا
الموسى ان الق عصاك الظاهر انه وحي اعلام كما روى ان جبريل
عليه الصلاة والسلام اتاه وقال له ان الهي يامرك ان تلقى
عصاك وكونه وحي اعلام فيه تثبيت للحواس وتبشير اي
اعلام بالنصر وان يحتمل ان تكون هي المفسرة بمعنى اي لانه
تقدمها معنى القول وهو قوله اوحينا فالمعنى اي القى عصاك
وان تكون هي الناصبة دخلت على فعل الامر فتسبك منها
منها مصدر تقديره بالالقاء وفي الكلام حذف قبل الجملة
العجائبية اي فالقاها فاذا هي تلقف ما يأفكون وتكون
الجملة العجائبية اخبارا اي اخبار بما ترتب على الالقاء وقرئ
تلقف بحذف التاء واصلها تتلقف ما يأفكون وما دعاهم
التاء في التاء هي تلقف وقرئ تلقف مضارع لقف وما
موصولة اي ما يأفكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل وزوروه
او مصدرية اي تلقف افكهم نسبة للمعنى الى المصدر ايضا
قوله تعالى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون قال ابن عباس رضي الله عنهما
وكذا قال الحسن ايضا رضي الله عنه اي ظهر الحق وسلطانه وقال ابن
العباس اي وقع ظهور الذي بوجوده فادلاله مستقرة قال العباس
ابو البقاء رضي الله عنه فوقع الحق يقتضي قوة الظهور والثبوت لكن
بحيث لا يصح معه البطلان كما لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا وقع
الحق بطلت وزالت تلك الاعيان التي افكوها وهي الحبال
والعصي فعلبوا هنالك اي غلبوا جميعهم في مكان اجتماعهم او في
اجتماعهم وانقلبوا صاغرين اي ذليلين وادلاء وصاغرين حال
والقي السحرة ساجدين لما كان ادهى امرهم قتل مسببا اخر الموجب
واريد تجردوا بالذكر والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين
اي ساجدين فاكتفى بذلك وقالوا في موضع الحال من الضمير
في ساجدين او من السحرة وعلى التقديرين فهم ملتبسون بالسجود
لله سبحانه وتعالى شكرا على المعرفة والايمان وبالقول المتأخر
عن التصديق الذي محله القلوب ولما كان السجود اعظم الطرق
الذي اذا كرف ما يكون العبد من ربه وهو ساجد بادروا متلبسين بالقول
الذي لا قدمه عند القادر عليه اذ الدخول في الايمان انما تدل
عليه الاقوال وقولهم امنا برب العالمين وقالوا لقول موسى عليه الصلاة
الى رسول رب العالمين ولما كان قد يوهم هذا اللفظ عند سامعه
تعالى كقول فرعون انا ربكم الاعلى نصوا بانه لا على ان رب العالمين رب

والله
موسى وهارون صلى
عليهما الصلاة والسلام

وابيهم ان قوا فرعون وكفروا بربوبيته والظاهر ان قائل ذلك جميع
السحرة قال فرعون آمنتم به قبل ان اذن لكم قرئ آمنتم على
الخبر وقرئ آمنتم على الاستفهام والضمير في له عائد الى رب
العالمين وقيل ان اذن لكم وهن في امن لانه انما جعل ذنبهم
بمفارقة الاذن فلم يجعله نفس الايمان • ان هذا لمكر مكرتموه
في المدينة اي ان صنعكم هذا الجملة احكمتموها انتم وموسى
في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء او تواطأتم
على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا
فيها بني اسرائيل قال هذا مبهوتا يا ايها الناس ليلا تتبعوا السحرة
في الايمان وقد روي ان مسعودا وابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان موسى عليه الصلاة والسلام اجتمع مع رئيس السحرة ثم عاودوا فقال
فقال له موسى عليه الصلاة والسلام ان آمنكم ان علمتكم
الرسول لكبيركم فقالوا نعم اي فقال لا بل نعم في مذهبك فانظروا
فرعون بذلك فقال ما قال انتهى ولما خاف فرعون ان يكون ايمانهم
امتحن حجة لقومه التي في الحال التي عين من السحرة احدهما
ان هذا لحاذق اطوئتهم لا ان ما جاء به حق والثاني ان ذلك طلب
منهم للملك فسوف تعلمون في هذا تهديد ووعيد منه لهم
ومفعول تعلمون محذوف اي سوف تعلمون ما حل بكم اذا لقيتم
في مستقبل تعلمون شر عقبى ما فعلتم ثم قال مقسما لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف لما ظهرت الحجة عاد الى عادته
ملوك السوء المتجبرين في الارض اذا غلبوا من غلبت من اولاه
وان كان محقا ومعنى من خلاف اي قد يمنى ورجل يسرى
وهذا الموعد الذي توعده فرعون بالسحرة لم نص في القرآن
نص على انه انفذه واوقعه بهم • قالوا انا الى ربنا لمنقلبون •
هذا استسلام وانكال على الله سبحانه وتعالى وثقة بما عنده
والمعنى انا نرجع ليلقى ربنا ولم الجزاء على ما نال لقاؤه من الشدائد
• وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا اي ظهرت وصحت
لنا والذي يظهر من تعديته بمن ان اليمن وما تنقم منا اي
ما نالك منا كقوله فنيتم الله منه والله عز وجل والمتكلم وقوله
فسيتم الله منه اي نالكم وكون فعلوا وافعل له بمعنى واحد
كقدر واقتدر وعلى هذا يكون قوله الا ان آمنا مفعولا
من اجله او يكون استثناء مفرغا اي ما نالك مني ذنب قط
من الاشياء الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وعلى هذا المعنى ترك
تفسير عطاء رضي الله تعالى عنه قال اي عطاء رضي الله عنه اي ما كانت
عندك ذنب تعذبنا به الا ايماننا بآيات ربنا لما جاءتنا • ربنا افرغ

علينا صبرا

• عدنا صغرا او قوفا مسلمين فقدم الكلام على نظيره في سورة
الدخان • وقال الملأ من قوم فرعون تضمن قول الملأ اذ عزا آل
فرعون موسى وقومه وكثر بصيده على قلتهم او تعزيهم حتى انهم
لا يكون لهم خروج عن دين فرعون • اتذر موسى وقومه ليفسدوا
في الارض ويذرك والهتك • وكان الترك هو لذلك وبدا
اولا بالعلة الغائية وهي الافساد ثم اتبعوه بالخاصة
ليدلوا على ان ذلك الترك من فرعون لموسى وقومه هو اضياع ولا
الى شيء تحتقر فرعون فرخوا لذلك وان تعتظ على موسى وقومه
لكون ذلك اغيظ عليهم اذ هم الاشراف وترك موسى وقومه بعضر
يذهب ملكهم وشرفهم ويجوز ان يكون الكلام على حذف
اداة الاستفهام والمعنى الى يكون الجمع بين ترك موسى وقومه
للافساد وبين تركهم اياك وعبادة الهتك اي ان هذا مما لا يمكن
وقوعه • قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم
قاهرون وانما لم يحاول فرعون موسى وقومه بالقتال لانه كان قد
علم من موسى عليه الصلاة والسلام رعبا والمعنى انه قال سنعيد
عليهم ما كنا فعلناه بهم قبل من قتل ابنائهم لئلا يذهب
الذين يقع الافساد بذهابهم والفوقية هنا بالمنزلة والتمكن
في البلاد وهم قاهرون يقتضي تحقيرهم اي قاهرون لهم
فهم اقل ممن هم فوقهم فنحن على ما كنا عليه من العلة او ان
علة موسى لا اثر لها في ملكنا واشتد لابنائنا ولذلك لا تتوهم العامة
انه المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده
فيتسلطهم وذلك عرظ عتا وفرعونهم الى اتباعه وانه مستطرد
لذكره • قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين اي والمراد بالارض
هنا ارض مصر وان فيه للعهد وهي الارض التي كانوا مقهورين فيها
• قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا اي ما زلنا
نؤذى بالقتل ابتداء من ان يتوقع فرعون من هلاك ملكه على يد
المولود الذي سولد فينا وان مصدرية مخلصة للفعل لا حل
الاستقبال وكانت ادتهم الاولى بعد مجيء موسى عليه الصلاة
والسلام واذيتهم الثانية بعد مجيئه وذلك حادث ما هنا
مصدرية وجاء بعدها الفعل الماضي • قال عسى ربكم ان يهلك عدو

فهذا رجاء من موسى عليه الصلاة والسلام ومسلم من الانبياء عليهم اجمعين
الصلاة والسلام ليتقوى قلوب اتباعهم فينتظرون الى وقوع ما
متعلق الرجاء ومعنى فينظر كيف تعملون اى في المستقبل لا فكم
من الاصلاح والافساد وفي جملة تحريض محرض الفعل
والتحريض على طاعة الله عز وجل وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة
وان الله عز وجل مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ولما
اخذنا آل فرعون بالسنين الآية اخذناهم انتقاما لك ما لبدوا معناه
هنا الامتلاء وملء الى اتمام سنيم موسى عليه الصلاة والسلام يدعوهم
الى الله عز وجل اى الى التوحيد والطاعة ومعنى ونقص
بالسنين اى بالتحوط والجدوب وهو عدم المطر وقلة النبات
والسنة تطلق على العام وتطلق على الجدب والجدب هو ضد
الخصب وقد اشتقوا منها لهذا المعنى فقالوا اسنت القوم اذا
اجدبوا ومنه قول الشاعر ايضا
عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اما السنون فكانت لبادتهم ومواشيهم
واما نقص الثمرات فكلت لي اموالهم وهذه سيرة الله تعالى في الامم
يبتليهم بالنعم ليروا حولية خيروا ويتذكروا ذلك ما كانوا فيه من
النعم فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه اي بالشر باد فلي بحتي
الحسنة وبي تحقق وجوده لان احسان الله تعالى هو المعهود الواسع
العام لخلقه بحيث ان احسانه لخلقه عام حتى في حال الابتلاء الى
ان طيارهم في اصابة الشيء وهي الامكان لعلمك ان اصابة الشيء
مما قد يقع ومما قد لا يقع وان نصيبهم سيئة يتطيروا بموسى ومن معه
اي يتشاءموا واصله يتطيروا فادغمت التاء في الطاء الا انما طائرهم
عند الله قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما طائرهم بمعنى نصيبهم اي ما قدر
ما طاب لهم في القدر ما هم لاقوه وسوء ما يخوف من زجر الطير سمي
ما عند الله من القدر للانسان طائرا لما كان يعتقد ان كل ما يصيبه
انما هو بحسب ما يراه في الطائر فهي لفظة مستعارة وكان اكثرهم
لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك
بمؤمنين فقالوا ذلك على سبيل التأكيد والمبالغة في نفي الايمان
عن انفسهم وتكذيبهم ولم يكتفوا بذلك حتى نسبوا ما اصابهم
من السنين الى ان ذلك بسبب موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه
حيث واجهوه بهذا القول الباطل على انه لو اتى بما اتى من الآيات
فانهم لا يؤمنون فقالوا انى ما تأتنا هنا وقد اتوا بها التي يقتضي العمر
العمر ثم فسر بآية على سبيل الاستهزاء بتسميتهم ذلك آية كما قالوا
في قوله انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وتسميته لها بآية

على نعمك

على زعمك وقد ذكر عدلوا الاتيان بمن لهم يستحضروا لها فما بخن لك
بمؤمنين وما لعوا في انتفاء الايمان فان صدروا الجملة بنحن
واردخلوا الباء في بمؤمنين اي ان ايمانك لك لا يكون ابدا
ومهما من يقع بالابتداء او هو منصوب باضمار فعل يفسره فعل
الشرط فيكون هذا من باب الاشتغال اي اي شيء يحدث يأتيك به
والضمير في به عائد على مهما وفي لها عائد ايضا على معنى مهما لان
المراد به آية او اية ما تنسخ كما عاد عليها ما في قوله تعالى ه
ما ننسخ من اية او ننسأها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان
الله على كل شيء قدير ومهما كلمة بسيطة ليست مركبة من
ما ضمت اليها ما التي هي اسم الفعل وما وافقها اذا صلتها ما زيدت
تأكيدا بدليل انها هاء فقلبت الفا وقد جاء في الشعر مهما
قال الشاعر امالك مهما تستتر في صدوركم اقاويلهم
هذا الناس ما فيك يندم وارسلنا عليهم الطوفان قال
الاخفش رضي الله عنه الطوفان جمع طوفانة عند البصريين
وعند الكوفيين مفرد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الطوفان
هو الماء المتعرف وقال جماعة هو المطر اي ارسل عليهم دائما
اي مستمرا عليهم ثمانية ايام بلياليها وقيل كان ذلك مع ظلمة شديدة
حتى كانوا لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره
وقيل امطروا حتى كادوا يهلكون وبيوت القبط وبني اسرائيل
مشتبكة اي بعضها لاصق لبعض فلا يمتلئ بيوت القبط
حتى قاموا في الماء الى تراقيهم والتراقي التي عظام الصدر فمن
جلس غرق وبيوت بني اسرائيل لم يدخلها قطرة من ذلك وفاض
الماء على وجه ارضهم وزكد زعيهم من الحرث والبناء والتصرف
ودام ذلك عليهم سبعة ايام والحراد جمع جرادة وهو اسم جنس
كتمرة وبين مفرده تاء التأنيث وانبتوا الجراد بعد انبتاهم
بالماء سبعة ايام فاكل عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل
شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل
منها شيء فكشف ذلك عنهم بعد سبعة ايام وسلط الله عليهم القمل
قال ابن عباس رضي الله عنهما القمل هو الدبا او هو صغار الجراد قبل
ان تنبت له اجنحة ولا يطير وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام
مشى الى كثيب اهيل فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فمكثوا
يأكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين جلد القبطي
وثيابه حتى يمنعه النوم ويمنعه الطعام فملا وارسل الله عليهم بعد ذلك
الضفادع فملأت بيوتهم وطعامهم ومضاجعهم ومن يتقحمها في القدور
وهي تغلي وفي الاتنور وهي تفور تكلم احدهم وتثب الى فيه ثم بعد ذلك

ارسل الله عليهم الدم حتى صار ماؤهم كله دما حتى كان الاسرائيلي
ليضع الماء في فم القبطي فيصير دما لوقته وعطش فرعون
حتى اشرف على الهلاك فكان يمص من غصون الاشجار الرطبة فاذا
مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا ٭ آيات مفصلات
ومعنى تفصيل الآيات اي تبيينها وازالة اشكالها وحكمة
التفصيل بالزمان انه يمتحن فيه احوالهم ايوفون بما عهدوا
ام ينكثون وانتصب آيات مفصلات على الحال والذي دلت
عليه الآية انه ارسل عليهم ما ذكر فيها واما كيفية الارسال ٭
ومكث ما ارسل عليهم من الازمان والهيئات فمرجعه الى النقل عن
الاخبار الاسرائيليات اذ لم يثبت من ذلك في الحديث النبوي شيء
ومع ارسال هذه الآيات المتقدمة استكبروا عن الايمان وعن قبول
امر الله سبحانه وتعالى فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين اخبار
منه تعالى عنهم بالفم مجرمين اي مستكبرين عن الايمان وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اخبر سبحانه وتعالى في هذه الآية باجترامهم على
الله وعلى عباده ٭ ولما وقع عليهم الرجز الظاهر ان الرجز هو
ما كان قد ارسل عليهم من الآيات التي تقدمت قبل ومعنى
وقع عليهم اي نزل عليهم وثبت وفي قولهم ادع لنا ربك وفي
اضافة الرب الى موسى عليه الصلاة والسلام عدم اقرار بانه ربهم
حيث لم يقولوا ادع لنا ربنا ومعنى بما عهد عندك اي بما
اختصك به فنبأك او بما وصاك به ان تدعوا به فيجيبك
كما اجابك في الآيات والظاهر تعلق بما عهد بادع لنا ربك
ومتعلق الدعاء محذوف تقديره ادع لنا ربك بما عهد عندك
في كشف هذا الرجز لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولئن كشفت
جواب لقسم محذوف في موضع الحال من قالوا اي قالوا ذلك
مقسمين لئن كشفت وفي قولهم لنؤمنن دلالة لك دلالة على انه
طلب منهم الايمان كما انه طلب منهم ارسال بني اسرائيل وقدموا
الايمان لانه المقصود الاعظم الناشئ منه الطواعية وفي اسناد
الكشف الى موسى عليه الصلاة والسلام حيدة عن اسناده الى الله سبحانه
وتعالى لتدم اقرارهم بذلك ٭ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم
بالغوه اذا هم ينكثون في الكلام حذف دل عليه المعنى وهو
فدعا موسى فكشف الله عنهم الرجز واسند سبحانه وتعالى الكشف
اليه لانه هو الكاشف حقيقة فلما كان من قولهم اسندوه الى موسى
عليه الصلاة والسلام وهو اسناد مجازي ولما كان اخبارا من الله عز
وجل اسنده تعالى اليه لانه اسناد حقيقي والاول اسناد مجازي وقوله
الى اجل متعلق بكشفنا ولا يمكن حمله على التعلق به لان ما دخلت عليه

لما ترتب

لما ترتب جوابه على ابتداء وقوعه والغاية بقوله الى اجل يأتي
التعليق على ابتداء الوقوع فلا بد من تنقل الابتداء والامتداد
والاستمرار حتى تتحقق الغاية وهم بالغوه جملة في موضع
الصفة لاجل وفي الحكم من اوصف بالمفرد تكرر الضمير فليس
في حسن التركيب كالمفرد فاذا الملفاجاه تدل على انه لم يكن بعد بلوغ
الاجل وبعد امتداد زمان يتخلله ما يكل بتقضيه ما بلغوا
الاجل فكفوا عما اقسموا عليه من الايمان والارسال فاستقيما
منهم فاعرضنا عنهم اي احللنا بهم النقمة وهي ضد
النعمة فان كان الانتقام هو الاغراق فتكون الآية تقريرة
وذلك على اي من اثبت هذا المعنى للعفاء والا كان المعنى
فاردنا الانتقام منهم والباء في قوله بسبب ما بهم سببية
اي بسبب انهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والآيات التي
المعجزات التي ظهرت على يد موسى عليه الصلاة والسلام والظاهر
عود الضمير فيها الى الآيات اي غفلوا عن ما قد تضمنته
الآيات من الهدى والنجاة وما فكن واقفا وتلك الغفلة هي
سبب التكذيب • واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها الآية لما قال موسى عليه
الصلاة والسلام عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
كان كما ترجى عليه الصلاة والسلام فاغرق الله سبحانه وتعالى
اعداءهم في اليم واستخلف بني اسرائيل في الارض والذين كانوا
يستضعفونهم بنو اسرائيل كان فرعون يستعبدهم ويستخدمهم
وفي الكلام حذف مضاف تقديره واورثنا وارض مصر القوم
الذين كانوا يستضعفون لان القوم المستضعفين لم يسودوا
ولم يرثوا ديار عبادهم اذ كانوا اجانب والبحر وقاموا بالارض
المقدسة وما ملكت مصر وديارهم ومنهم سليمان ابن داود عليهما
الصلاة والسلام وقوله مشارق الارض ومغاربها منصوبان على
انهما مفعول ثان لاورثنا وحذفت مشارق ومغارب مبالغة
في كثرة وكرها وعرضها • وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا اي مضت وتمت من قولهم تم على الامر اذا مضى
عليه وقوله بما صبروا اما هنا سببية وما مصدرية
اي بصبرهم ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي حرثنا ومعوا
واسيتهم والتدمير الاهلاك وخراب الابنية • وما كانوا
يعرشون اي يرفعونه من الابنية المشيدة كصرح هامان
وغيره وجاوزنا ببني اسرائيل البحر • لابن عساكر وتعالى
انوع نعمة على بني اسرائيل باهلاك عدوهم انتج بالنعمة العظمى من

من آياتنا هذه الآية العظيمة وقطعنا بهم البحر مع السلامة
والمراد بالبحر هنا هو بحر القلزم ومعنى جاوزنا الى
قطعنا بهم البحر يقال جاوز الوادي اذا قطعه والتاء هنا
للمقارنة فيقال جاوز البحر اذا قطعه وجاوزه بعضه
البحر عن قريب فكانه قال وجرنا ببني اسرائيل البحر اي
لجن فاهم البحر وفاعل بمعنى المجرد يقال جاوز وجاز
بمعنى واحد فاتوا اي مروا على قوم يعكفون على اصنام لهم
اي يقيمون على عبادتها اي على عبادة اصنام لهم والاصنام قيل
الراد بها هنا البقر وقيل هي احناش وتماثيل كهيئة البقر
وقيل كانوا قوما من لخم وجذام * قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما
لهم آلهة الظاهر ان طلب مثل هذا كفر وارتداد وسفاهة
وعبادة خرجوا في ذلك على عادتهم في تعنتهم على انبيائهم وطلبهم
ما لا ينبغي وقد تقدم من كلامهم قولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة وغير ذلك مما هو كفر وربما كان الاقوى من بعضهم
نسب الى جميعهم قال الحكم قوم يجهلون تحمل من غير علة الاهلاة
قالت لام من قولهم على ابن مسعود وامر الاماء العظيمة والعجائب
الباهرة ووصفهم بالجهل المطلق وانكر جاهل لا جهل اعظم من هذه
المقالة ولا اشنع منها وانى تلمظ بجهلون ولم يقل جهلتم
اشعارا بان ذلك منهم كالطبع والغريزة لا ينتقلون عنه
ما عشوا ولا مستفتك ان هؤلاء مبر ما هم فيه الا باطل
الا الذي كانوا على عبادة تلك الاصنام ومعنى متبر اي مهلك
مدمر باطل اخبر عنه واصله هنا الكسر قال الزمخشري رضي
الله تعالى عنه وفي اتباع هؤلاء اسماء تقديم خبر المبتدأ من
الجملة الواقعة خبرا لها واسم الاشارة الاصنام بانهم هم المعرضون
للتبار الذي لا بد منه لهلاك والله لا بعد وهم البتة والله لهم طرقة
لا رب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبعثهم لم تاحوا انتهى
لا بعد فيما قاله من ان قدم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا
لان الاحسن في اعراب مثل هذا ان يكون خبر ان متبر وما بعده
مرفوع على انه مفعول لم يسم فاعله وكذلك ما كانوا هو مفعول
فاعل بمعوله وباطل هو فكون اذ ذاك قد اخبر عن اسم ان بمفرد لا بجملة
وهو ظاهر ان رفع باطل خلافا لمن شرط في الاخبار
ان تكون علاقة جزء فرعا على انه مفعول لم يسم فاعله ومضروب
خبر ان والوجه ان آخر ان تكون مبتدأ ومضروب خبره جاء في
وهذا قول مرجوح * قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على
العالمين فما احسن ما خاطبهم موسى عليه الصلاة والسلام بداهم اولا

بسم

فنسبتهم الى الجهل ثم ثانيا اخبرهم بان عباد الاصنام ليسوا
على شيء بل مآل امرهم الى الهلاك وبطلان العمل وثالثا
انكر وتعجب ان يقع هو عليه الصلاة والسلام في ان يبغي لهم
غير الله الها اي اغير الله المستحق للعبادة والالوهية
اطلب لكم معبودا وهو الذي شرفكم واختصكم بالنعم التي
لم يعطها من سلف من الامم قبلكم لا غير فكيف ابغي لكم الها
غيره ومعنى على العالمين اي على عالمي زمانهم او بكثرة
الانبياء فيهم وانتصب غير مفعولا بابغيكم اي ابغي
لكم غير الله والها تمييز عن غير او حال او على الحال
والها مفعول اي المفعول هنا على هذا التقدير اي لا ابغي
لكم الها غير الله فكان غير صفة فلما تقدم انتصب
حالا وقال ابن عطية رضي الله تعالى عنه وغير منصوبة
بفعل مضمر هذا هو الظاهر ويحتمل ان ينتصب
على الحال انتهى ولا يظهر نصبه هنا بفعل مضمر لان
ابغي مفرغ له او لقوله الها فان تخيل انه منصوب بابغي
مضمرة يفسرها هذا الظاهر فلا يصح لان الجملة المفسرة
لا رابطة بط فيها لا من ضمير ولا من ملابس يربطها بغير
فلو كان التركيب اغير الله ابغيكموه لصح المعنى ويحتمل
وهو فضلكم ان يكون حالا وان يكون مستانفا انتهى
قال الزمخشري رضي الله عنه وفي ايقاع هو لا اسما لان وتقديم
خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وهو اسم هنا لعبدة
الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار اي للهلاك وانه لا يعدوهم
البتة وانه لهم ضربة ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض لهم
ما احبوا انتهى ولا يتعين ما قاله من انه قدم خبر المبتدا من
الجملة الواقعة خبرا لان الاحسن في اعراب مثل هذا ان يكون
خبر ان مبتدا وما بعده مرفوع على انه مفعول لم يسم فاعله
وكذلك ما كانوا هو فاعل بقوله وباطل فيكون اذ ذاك قد
اخبر عن اسم ان بمفرد لا جملة وهو نظير ان زيدا مضروب غلامه
فالاحسن في الاعراب ان يكون غلامه مرفوعا على انه مفعول لم
يسم فاعله ومضروب خبر ان والوجه الآخر ان يكون مبتدا
ومضروب خبره جاءني وهو مرجوح قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين ما احسن ما خاطبهم موسى عليه الصلاة والسلام بدا لهم
اولا بنسبتهم الى الجهل ثم ثانيا اخبرهم بان عباد الاصنام
ليسوا على شيء بل مآل امرهم الى الهلاك وبطلان العمل وثالثا
انكر وتعجب ان يقع هو عليه الصلاة والسلام في ان يبغي لهم غير الله الها

اي اعبدوا الله المستحق للعبادة والالوهية الملك لكم معبودا وهو
الذي خلقكم واخذ منكم ما نعمه اليكم لم يعطها من سلف من الامم
لا فضله فكيف لا يعبد لكم ايها غيره ومعنى فضلكم على العالمين
اي على عالمي زمانكم او بكثرة الانبياء فيكم وانتصب غير مفعولا به
بأعبدكم اي ابغي لكم الملجأ غير الله عز وجل فكان غير صفة
فلما تقدم انتصب حالا وقال ابن عطية رضي الله عنه وغير
منصوبة بفعل مضمر هذا هو الظاهر ويحتمل ان ينتصب
على الحال ايضا اني ولا يظهر نصبه هنا بفعل مضمر لان ابغي
مفرغ له او لقوله الهاقان تحتمل امه منصوب ما يجيء مضمرا
يفسرها هذا الظاهر ولا يصح لان الجملة المفسرة لا رابط عائد
فيها لا من ضمير ولا من ملابس يربطها بغير فلو كان اتركت
اعبد الها غيركم لصح المعنى ويحتمل وهو فصلكم ان يكون حالا
وان يكون مستأنفا قال تعالى * واذ انجيناكم من آل فرعون الخطاب في
هذه الآية لمن كان في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم تقريعا
لهم بما فعل آباؤهم وبما جاوامه وتقدم تفسير نظير هذه
الآية في آل سورة البقرة فاغنى عن اعادته هنا * وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة روي ان موسى عليه الصلاة والسلام
وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عز وجل عدوهم انا هم
بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما يأتون وما يذرون
فلما هلك فرعون سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه عز
وجل في انزال الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر
ذي القعدة وانتصب ثلاثين على انه مفعول ثان على حذف
مضاف فقدره ابو البقاء رضي الله عنه اتيان ثلاثين او
اتمام ثلاثين اي تمام ثلاثين وقال ابن عطية رضي الله عنه
وثلاثين نصب على التقدير واحدنا اوناجاه ثلاثين
وليست منتصبة على الظرف لان المواعدة لم تقع في الثلاثين
والضمير في قوله واتممناها يعود عائدا على المواعدة المفهومة
من واعدنا وقال الحوفي رضي الله عنه الهاء والالف نصب
باتممناها وهما اجتزأن بهما من الثلاثين التي ذكرها ولا يظهر لانه ان
الثلاثين لم تكن ناقصة فتممت بعشر وحذف مميز عشر اي
بعشر ليال لدلالة ما قبله عليه وفي مصحف ابي رضي الله عنه
وتممناها شهرا والميقات ما وقت له من الوقت وضربه
له وجاء بلفظ ربه ولم يأت على واعدنا فكان يكون اتركت
ثم عقبا قال ان لفظ رب دال على انه مصلحه وناظر اليه في
امره وتالكه والمتعرف فيه والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات

ما قدر

ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء وقد
انتصب اربعين هنا على الحال كما قاله الزمخشري رضي الله عنه وبه
قال ابن عطية ايضا رحمه الله تعالى وقدر الزمخشري الحال
فيه فقال اي تم بالفاء هذا العدد فعلى هذا لا يكون الحال اربعين
بل الحال هذا المحذوف فينافي قوله واربعين ليلة نصب
على الحال وقال ابن عطية رضي الله تعالى عنه ويصح ان يكون
اربعين ظرفا من حيث هي عدد ازمنة وقيل اربعين
مفعولا به بتم لان معناه بلغ والذي يظهر انه تمييز منقول
من الفاعل واصله فتم اربعون ميقات ربه اي كملت
ثم اسند التمام لميقات ربه وانتصب اربعون على التمييز
قال والضمير في قوله واتممناها بعشر هو عائد على المواعدة
المفهومة من واعدنا وقال الحوفي رضي الله عنه الهاء والالف
نصب باتممناها وهما راجعتان الى قوله ثلاثين انتهى
ولا يظهر لان الثلاثين لم تكن ناقصة فتممت بعشر
وحذف مميز عشر اي بعشر ليال لدلالة ما قبله عليه وفي
مصحف ابي رضي الله عنه وتممناها مشددا والميقات
هو ما وقت له من الوقت وضربه له وجاء بلفظ ربه ولم يات على
واعدنا فكان يكون التركيب فتم ميقاتا لان لفظ ربه دال على
انه مصلحه وناظر في امره ومالكه والمتصرف فيه والفرق
بين الميقات والوقت ان الميقات هو ما قدر فيه عمل من الاعمال
والوقت وقت الشيء وانتصب اربعين على الحال قال
الزمخشري رضي الله عنه وكذا قاله ابن عطية ايضا وقدره الزمخشري
اي قدر فيه الحال فقال اي تم بالفاء هذا العدد فعلى هذا
لا يكون الحال اربعين بل الحال هذا المحذوف فينافي قوله واربعين
ليلة نصب على الحال وقال ابن عطية ايضا ويصح ان يكون
اربعين هنا ظرفا من حيث هي عدد ازمنة وقيل اربعين مفعولا
به بتم لان معناه بلغ والذي يظهر انه تمييز منقول من الفاعل
واصله فتم اربعون ميقات ربه اي كملت ثم اسند التمام لميقات
وانتصب اربعون على التمييز ايضا وقال موسى لاخيه
هارون وقرئ شاذا هارون بضم النون على النداء
اي يا هارون امره حين اراد المضي الى المناجاة والمغيب
فيها ان يكون خليفته في قومه وان يصلح في نفسه او ما يجب
ان يصلح في امر قومه ونهاه ان يتبع سبيل من افسد وفي النهي
دليل على وجود المفسدين هو على سبيل التاكيد لا لتوهم انه يقع
منه خلاف الاصلاح واتباع تلك السبيل لان منصب النبوة منزه عن ذلك

ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام لاخيه اخلفني اي كن بعدي
بالامر وذلك في حياته اذ راح الى مناجاة ربه عز وجل والمعنى
المعنى انك تكون خليفتي بعد موتي الا ترى الى هارون
عليه الصلاة والسلام لما مات قال اخيه موسى عليه الصلاة
الصلاة والسلام ولما جاء موسى لميقاتنا اي للوقت الذي
صربه له اي قدره له وهو تمام الاربعين كما تقول اتيته
لعشر صلون من الشهر وخص اللام الاختصاص والجمهور على
انه وحله خص بالتكلم اذ جاء للميقات وقال القاضي ابو
البقاء رضي الله عنه سمع هنا والسبعون كلام الله عز وجل وقال
ابن عطية رحمه الله تعالى خلق له ادراكا سمع به الكلام القائم
بالذات القديم الذي هو صفة ذاته وقال ابن عباس وابن
خبير رضي الله تعالى عنهما آذن الله عز وجل موسى عليه الصلاة
والسلام حتى سمع صريف اقلام في اللوح وقال ابن المنكدر
رضي الله عنه وكلمه ربه من غير واسطة كما تكلم الملك ويكلمه
قبل ان يخلق الكلام مطرقا به في بعض الاجواء كما خط محطوطا
في اللوح وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يسمع الكلام من كل
جهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمه وقد اربعين يوما واربعين
ليلة وكنت له الالواح وقد تم الكلام في اول الاربعين انتهى وقال
وهب بن منبه رضي الله عنه كلمه في الف مقام وعلى اثر المقام ترى
وخمسة وثلاثة ايام ولم يمر به من الكلام مد كلمة ربه الا وقد
اورد في هذا الخلاف الذي في كلام رب العزة تبارك وتعالى وهو
من كونه ازليا وادلة المختلفين في ذلك الاصول وكلمة معطوفة
على حاورني وقيل حال وعدي عن فوكد وكلمناه الى قوله وكلمه ربه
للمعنى الذي عدي عنه الى قوله ثم منصات ربما ربعين ليلة قال
رب ارني انظر اليك اي ارني بصري ذاتك والمفعول الثاني
محذوف تقديره ارنيك اراني اراك اياك وقد قال
السري رضي الله تعالى عنه وكد اذنه انه ليس لعبد خير عند
الله تعالى له من كلمه وخصت هذه الامة بطي ذكرها الى امة
الرؤية وتشوف الى ذلك فسأل ربه ان يريه نفسه قال ابن
عطية رضي الله تعالى عنه ورؤيته سبحانه وتعالى عند الاشعرية
واهل السنة جائزة عقلا لانه من حيث هو موجود فهو مرئي
وفيه وقوله تعالى لن ترني ولكن انظر الى الجبل ليس هو
بجواب لمن سأل مما لا قط وسأل موسى عليه الصلاة والسلام محالا لكان
في الجواب رجوعا وبنية بذلك على ان الجهل مع شدته وصلابته اذا لم
يستمر والآدمي مع ضعف بنيته اولى بان لا يستمر وفي الرؤية لام كبرى انتهى

وخر

• وقد ورد في الشريعة المطهرة رؤية الله عز وجل في الآخرة ومنعت
من ذلك في الدنيا بظواهر الشرع فموسى عليه الصلاة والسلام
لم يسأل محالا وإنما سأل جائزا وقوله تعالى لن تراني ولكن انظر
إلى الجبل ليس بجواب من سأل محالا وقد فاكه سبحانه وتعالى
ليوح عليه الصلاة والسلام فلا تسألني ما ليس لك به علم
ولو سأل موسى عليه الصلاة والسلام محالا لكان في الجواب زجر
ما وتبيين ولم يعرض لرد ما هذا صدوره لا كثير في الرؤية
ذكرناه في كتابنا المسمى بالنبراس لمن تأمله وكل ناظر إلى الجبل قال
ابن عطية رضي الله عنه تعليق الرؤية على استقرار
موجود عند عدمها إذ لم يستقر وتبعه قد لك على أن الجبل مع
شدته وصلابته إذا لم يستقر فالآدمي مع ضعف بنيته
إذ فالجبان لا يستقر وقد استكن لقلب موسى عليه الصلاة
والسلام وتخفف عنه من ثقل اعتاد المنع والتجلي الظهور
والدك مصدر دككت الشيء دكا فانده وتحقيقه مصدر
في معنى الفعول والدك والدق بمعنى واحد وقال ابن عطية
رضي الله عنه أي جعله دكا مستويا بالأرض والخرور معناه
السقوط فلما أفاق قال أنه حسنه وجعله • فلما تجلى ربه
للجبل جعله دكا ترفت على المحققين أمران أحدهما تعلق الجبل
وتفرق أجزائه والثاني خرق رمى معنى عليه والتجلي
بمعنى الظهور للحسابي مستحيل على الله عز وجل قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وجد قالت طائفة من المفسرين لما وضع
الله تعالى على الجبل تدكدك وفي رواية صار رمادا أعما
• فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك نزه الله سبحانه وتعالى
سمات الحدوث والنقص • قال يا موسى إني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي لما طلب موسى عليه الصلاة والسلام
الرؤية ومنعها عدد سبحانه وتعالى عليه وجوه نعمه
العظيمة عليه وأمره أن يستعمل شكرها وهذه تسلية لمن
الله عز وجل وقد قيل في الناس هو لفظ عام ومعناه هنا
الخصوص أي اصطفيتك على أهل زمانك وقدم بعض بر سالاتي
على قوله وبكلامي لأن الرسالة أشق في النفوس أو لأنها تنقل
من شخص إلى أشرف منه وأمره تعالى بأن يأخذ ما آتاه من
النبوة لأن في الأمر بالأخذ مزيد تأكيد وحصول أجر بالامتثال
والعفو خذ ما أتيتك فاحبها وفي تبليغه وحد إلى نفع
• وكن من الشاكرين على ما أتيناك وفي ذلك إشارة إلى الشكر
والرضا بما أعطى الله تعالى عبده ومداومة الشكر عليه • وكتبنا له في

الألواح من كل شيء
موعظة وتفصيلا
لكل شيء

والالف

ومآر

اهل

لعنتهم

اى امر والامر بالكتابة واضاف الكتابة الى نفسه تعالى لما كان
امرا بالكتابة والضمير في له عائد على موسى عليه الصلاة والسلام
والالواح جمع قلة والالام فيها للعهد اى بعض الواح موسى عليه
الصلاة والسلام قيل والضمير قامت عنه الالف والالام اى في الواحه
من كل شئ يحتاج اليه في شريعتهم موعظة للاوامر والاعتبار
وتفصيلا لكل شئ من التكاليف والاحكام والاوامر والنواهي نصا
والقصص والعقائد والاحكام والمعتبات فخذها بقوة الظاهر
ان الضمير في خذها عائد على الالواح ومعنى بقوة قال ابن عباس رضي الله
عنهما اى بجد واجتهاد فعلل او في العزم من الرسل وقال الامر
ان ياخذ باشدها امره قومه وقوله باحسنها ظاهره انه افعل
تفضيل وانما لتفضيل وفيها الحسن والاحسن كالقصاص
والعفو والانتصار والصبر سأوريكم دار الفاسقين الاراءة
هنا من رؤية العين ولذلك قد تعدت الى اثنين ودار الفاسقين
هي مصر لهما قيل دار فرعون وهم حال يخدوقه تقديره مقدرة
الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
وما كانوا يعرشون الاية وقيل المراد بها ارض الشام الذي كان لهما الفراعنة
وقيل من الادمة المقدسة قال ابن مجرى رضي الله عنه كيف اصرف
منهم وهم متوعدون بالعقوبة لا فاصرفهم اسلوب امثل فيهم فتفكر
بكم مثل تكابرهم اتيتي وقرأ الحسن رضي الله عنه سأوريكم دار الفاسقين
بواو ساكنة تخفيفا لهمزة على ما يقتضيه رسم المصحف الشريف ووجهت
قراءة الجمهور احدهما ما ذكره ابو الفتح رضي الله تعالى
عنه وهو ارادته اشباع الضمة واطالتها فنشأ عنها الواو قال
ويحتمل احتمالا اخر في هذا الموضع انه موضع وعيد واغلاظ
فكأن الصوت فيه انتهى فيكون كقوله اذهبوا انظروا اي فانظروا
وهذا التوجيه ضعيف لان الاشباع انما يكون ضرورة الشعر والثاني
ما ذكره ابن مجرى رضي الله عنه قال وقرأ الحسن رضي الله عنه
سأوريكم وهي لغة فاشية بارض الحجاز يقال اوريك كذا واوريته
كذا فوجهه ان تكون من اوريت الزند كانت الحبلى تنتلي وارزه
لاستبشاعه اتى وهي ايضا لغة الا ان تدبيرهم تلقفوها من لغة
اهل الحجاز وتضيفي لسانهم الى الكاف وينبغي ان تنظر في تخفيف هذه
اللغة اي في لغة اهل الحجاز اهلا وقرأ ابن عباس وحسانة
ابن زهير سأوريكم قال ابن مجرى رضي الله عنه وهي قراءة حسنة
تصححها قوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق الاية لما ذكر
تعالى سأوريكم دار الفاسقين ذكر ما تفعل بهم من صرفها اياهم عن اياته

لفسقهم وخروجهم عن طورهم الى وصف ليس لهم ثم ذكر سبحانه
وتعالى من احوالهم ما استحقوا به اسم الفسق • وان يروا كل آية
لا يؤمنوا بها صرف هذا الوصف الذميم وهو التكبر عن الايمان
حتى لو عرضت عليهم كل آية لم يروها آية فيؤمنوا بها وهذا
حتم منه سبحانه وتعالى على الطائفة التي قدر ان لا يؤمنوا
• وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا الآية اذا هما الله سبحانه وتعالى السبيلين
فرأوهما فآثروا الغي على الرشد كقوله تعالى فاستحبوا العمى
على الهدى • ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي
ذلك الصرف عن الآيات بسبب تكذيبهم بها وغفلتهم عن
النظر والتأمل فيها والتفكر في دلالتها والمعنى انهم قد استمر
تكذيبهم بها وغفلتهم عن النظر فيها والتفكر في دلالتها والمعنى
انهم قد استمر تكذيبهم وصار لهم ذلك ديدنا حتى صارت
تلك الآيات لا تخطر لهم ببال فحصلت الغفلة عنها ودام
النسيان لها حتى كانوا لا يذكرونها ولا شيئا منها والظاهر
ان الصرف سببه التكذيب والغفلة من جميعهم ويحتمل
ان الصرف سببه التكذيب ويكون قوله وكانوا عنها غافلين
استئناف اخبار منه تعالى عنهم اي من شأنهم انهم كانوا غافلين
عن الآيات ومدبرها فاورثتهم الغفلة التكذيب بها والظاهر
ان ذلك مبتدأ وخبره بانهم اي ذلك الصرف كائن بهم اي بسبب
انهم كذبوا وجوز الزمخشري رضي الله عنه ان يكون منصوبا
فقدره ابن عطية رضي الله عنه اي فعلنا ذلك بهم وقدره
الزمخشري ايضا اي صرفهم الله تعالى ذلك الصرف بعينه
• واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الآية
ان كان الاتخاذ بمعنى اتخاذه الها معبودا فصح نسبته
الى القوم وذكر انهم كلهم قد عبدوه الا هارون عليه الصلاة والسلام
ولذلك قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت
ارحم الراحمين وقيل انما عبده قوم منهم لا جميعهم كقوله تعالى
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وقال تعالى ومن قوم موسى امة
امة يهدون بالحق وان كان بمعنى العمل كقوله تعالى كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا اي عملت وصنعت فالمتخذ
انما هو السامري واسمه موسى ابن ظفر من قرية تسمى سامرة
ونسب ذلك الى قوم موسى مجازا كما قال لبني تميم قتلوا
فلانا وانما قتله واحد منهم ولكونهم راضين بذلك ومعنى

من بعده اى من بعد وفاته لمناجاة ربه عز وجل ومن حلتهم
متعلق باتخذ وبها متعلق بمن بعده وان كان حرفي جر بلفظ
واحد وجاز ذلك لاختلاف مدلوليها لان من الاولى لابتداء
الغاية وان الثانية للتبعيض وقرئ من حليهم مفردا ومن
حليتهم جمعا واصله حلوى على وزن فعول فاجتمعت
واو وياء فقلبت الى وادغمت فلما تم كسر ما قبلها
لتصح الياء ثم اذ تبعت حركة الحاء حركة اللام فصار حلي كما
قالوا عصي والعجل هو ولد البقرة القريب الى الاده وقيل
جسدا جثة حمار له خوار مصورا اى حيا طويلا ومنه قولهم
وكان ذلك بسبب ما كان قد تقدم من انهم مروا بقوم
يعبدون الاصنام فقالوا اذلك الهتنا الشنعة له
خوار ظاهرهم انه قامت به الحياة ولذلك كان له خوار اى
صوت وقيل انه لما صنعه السامري اخوف بحيل تصويته
بان جعل في جوفه انابيب على شكل مخصوص وجعله في
مهب الرياح تدخل الرياح في تلك الانابيب فتظهر
له صوت شبيه الخوار فاذا رآه السمري وآله واذا سكت رفعوا
رؤوسهم الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا
ظالمين ان كان اتخذ بمعنى عمل وصنع فلا بد من تقدير
بخوار وقد مر بك على هذا الانكار وهو تعدوه وجعلوه
الها لهم وان كان بمعنى اتخذ فالها ليتخذ فعلى لاحد اثنين
خوارا الها فالاحتياج الى الحذف في احد هذين المفعولين
عيب واحد واحوجا اعجز اعلم ان الصنعة لا يمكن ان
تعلم ولا يهدي سبيلا وقد ذكر في العقول ان من كان بهذه
الثابة بحيث لا يمكن ان يكون الها وهذا نوع من انواع البلاغة
يسمى الاحتجاج النظري وبعضهم يسميه الاحتجاج الكلامي
والظاهر ان يروا بمعنى يعلموا وسلب كلامه ولا تعالى عنه
هذين الوصفين دون باقي اوصاف الالهية لان انتفاء التكليم
يستلزم انتفاء العلم وانتفاء الهداية لا يستلزم انتفاء القدرة
وانتفاء كل من الوصفين وهما العلم والقدرة يستلزم
انتفاء باقي الاوصاف فلذلك خص هذان الوصفان بانتفائهما اتخذوه وكانوا ظالمين اي اقدموا على ما اقدموا
عليه من هذا الامر الشنيع وكانوا اصحين الشيء في غير موضعه
اي ومن شانهم الظلم فلقيل مشكورين صنع الشيء في غير
موضعه ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قال الزمخشري

رضي الله عنه

رضي الله عنه لما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان عادة
من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مشدودة طا
فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسندا الى ساعد يديه وهو من
الكناية انتهى واصل السقوط الوقوع من علو الى سفل قال الله
تعالى لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين اى بتلك
الفظاعة الا الله سبحانه وتعالى واعراف عظيم ما اقدموا
عليه ولما كان هذا الذنب وهو اتخاذ غير الله الها اعظم الذنوب ب
قدروا ان رحمة الله وسعت كل شيء ومن شأنها غفران الذنب
* ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني
من بعدي الآية اخبر ربه سبحانه وتعالى انهم قد فتنوا
بعبادة هذا الذي قد صنعه لهم السامري وصدوه فكذلك
رجع وهو غضبان ويدل على هذا القول قوله تعالى انا
قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري وغضبان
صيغة مبالغة والغضب هو غليان دم القلب بسبب
حصول ما يؤلم او اصابة حزن والفعل منه اسف وتأسف
قال بئسما خلفتموني من بعدي تقدم الكلام على بئسما
في اوائل سورة البقرة ومعنى من بعدي اي بعد انفصالي عنكم
للمناجاة وتمام على عبادة غير الله عز وجل * واعجلتم استفهام
انكار وتمام عجل عن الامر اذا تركه واعجله عنه غيره
والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى عليه الصلاة والسلام
حافظين لعهده وما وصاكم به * والقى الالواح اي الواح التوراة
وكان حاملا لها فوضعها بالارض غضبا على ما فعله قومه من عبادة
العجل وحمية لدين الله عز وجل والظاهر انه اخذ برأس اخيه
اي امتلأ رأسه جانبه اليه والظاهر ان سبب هذا الاخذ
هو غضبه على اخيه كيف عبدوا العجل وهو قد استخلفه فيهم
وامره بالاصلاح وان لا يتبع سبيل من افسد وكيف انه
لم يكن لتكفهم عن ذلك * قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني الآية نادى هنا ابن ام واستعطف وترفق وكان
شفقته وفي عادة العرب تلطف وتحنن تذكر الام كما قال
رب ابن امي ويا شقيق نفسي انت خلفتني لدهر شديد وقرئ
بكسر الميم اخرا بالكسر عن الياء اذ اصله يا ابن امي وقرئ
وقرئ يا ابن ام بفتح الميم اخرا بالفتحة عن الالف اذ اصله
يا ابن امه فتكون الهاء سقطت عن يا ابن ام قال الشاعر
يا ابنة عما لا تلومي واهجعي يريد يا ابنة عمي ومعنى
استضعفوني اي وجدوني مستضعفا بينهم ولا امديد ك د

ما كان منهم من الاستضعاف له ومقاربة قتلهم اياه سأله
ترك ما يسرهم بفعله فقال له فلا تشمت بي الاعداء اي
فلا تسرهم بما تفعل بي فاكون ملوما منهم ومنك قال الشاعر
والموت دون شماتة الاعداء • قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا
في رحمتك وانت ارحم الراحمين لما اعتذر اليه اخوه استغفر
لنفسه وله وقد قال بعض المفسرين ان استغفاره لنفسه
بسبب فعلته مع اخيه وعجلته في القاء الالواح واستغفاره
لاخيه من فعلته في الصبر لبني اسرائيل • ان الذين اتخذوا العجل
سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي
المفترين • الظاهر انه من كلام الله سبحانه وتعالى اخبارا عما ينال
عباد العجل ومخاطبة لموسى عليه الصلاة والسلام بما ينالهم يدل
عليه قوله اخر الاية وكذلك نجزي المفترين • والذين عملوا
السيئات من الكفر ومن المعاصي • ثم تابوا اي رجعوا الى
الله تعالى من بعدها اي من بعد عمل السيئات • وامنوا
اي داوموا على ايمانهم واخلصوا فيه والذين مبتدا وخبره
ان ربك والعائد على المبتدا محذوف تقديره لغفور رحيم
• ولما سكت عن موسى الغضب الاية سكوت غضبه كان
والله اعلم بسبب اعتذار اخيه المتقدم في الاية السابقة وكونه
لم يقصر في نهي بني اسرائيل عن عبادة العجل ووعد الله تعالى
اياه بالانتقام منهم وسكوت الغضب استعارة شبه خمود
الغضب بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته بجعل الغضب كانه
انسان يناجي موسى ويهيجه لما فعل قومه من اتخاذهم العجل
الها ولذلك القى الالواح ثم انه سكت عنه ذلك الغضب وهذا
من بديع الاستعارة جعل سكون الغضب سكوتا وقرا معاوية
ابن قرة ولما سكن بالنون عوض التاء • اخذ الالواح هو
جواب لما وكان القاها غضبا على قومه بما اتخذوه الها اي
بسبب عبادتهم العجل واستضعافهم لجانب اخيه هارون عليه
الصلاة والسلام فلما سكت الغضب اي سكن عنه اخذها • وفي
نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون اي فيما نقل
وحول منها واللام في لربهم مقوية لوصول الفعل الذي هو يرهبون
الى المفعول المتقدم كقوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون • واختار
موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا اختار افتعل من الخير وهو التخير
والانتقاء واختار من الافعال التي تعدت الى اثنين احدهما
بنفسه والاخر بواسطة حرف الجر ثم يحذف حرف الجر ويتعدى
اليه الفعل فتقول اخترت زيدا من الرجال واخترت زيدا

الرجال

ارحم ك قال الشاعر احترك ان مرا ورب خلا يقهم
• واعلم من حان ربي عند السؤال •
وقوله لموسانا قال وهب ابن منبه رضي الله عنه قالوا سر يل
لموسى عليه الصلاة والسلام ان طاقة تزعم ان الله لا يكلمك فخذ
منا من يذهب معك ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فاوحى الله عز
وجل اليه ان كانوا سبعين رجلا من خيارهم فسار بهم
الجبل انتهى وهارون واستخلف يوشع ابن نون على قومك من
بعدك فلما سمعوا كلام عز وجل ساء كلامي عليه الصلاة
والسلام ان سيهم الله جهرة فاخذتهم الرجفة وفي الكلام ما حذف
تقديره فرجف بهم الجبل فصعقوا • فلما اخذتهم الرجفة قال رب
لو شئت اهلكتهم من قبل وايا ي ومفعول شئت محذوف تقديره
لو شئت اهلاكنا وحواله اهلكتهم من قتل ولم يات الجواب
بالام • واياي ضمير المتكلم معطوف على الضمير المنصوب في قوله
اهلكتهم • اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الظاهر انه استفهام
استعلام يتضح اهلاك المختارين وهم خير بني اسرائيل بما فعل بعضهم
او من الحائرين في العقل ذلك ان يرى قوله تعالى واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقوله عليه الصلاة
والسلام وقد قيل له انهلك وفينا الصالحون فقال نعم
على ما تقهم وفي رواية انهلك وفينا الصالحون قال نعم
اذا كثر الخبث يعني اذا كثر الزنا اذ كلاما هذا معناه وكما قد ورد ان
قوما يخسف بهم قرب الساعة قيل وفيهم الصالحون فقال يبعثون
على نياتهم او نحو ما هذا معناه وقوله اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا وهم عباد العجل اي اني لا افتتنك اي ما فتنة بمعنى ما
في صبر يعود على ما تقدم من سياق الكلام اي ان الفتنة
الا فتنتك اي راجعة اليك اذ انت موجد الخير والشر وانت
توقع ضلال من فتنته وهدايته من شئت هدايته وهذا
هو الاعتقاد الصحيح ان الله عز وجل يضل من يشاء ويهدي
من يشاء ومفعول شاء محذوف تقديره من شاء
اضلاله ومن شاء هدايته • انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا
اي انت القائم بامرنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين
سال الغفران لهم والرحمة لما كان قد اندرج قومه في قوله انت
ولينا في سؤال المغفرة والرحمة لهم وكان قومه اصحاب
ذنوب اكد المنعطف على ربه تعالى وغفر ان تلك الذنوب
فاكد ذلك وتمه بقوله وانت خير الغافرين ولما كان هو واخوه
عليهما الصلاة والسلام من المعصومين من الذنوب لحين سال المغفرة

وهارون عليهما الصلاة والسلام

له ولاخيه وسال الرحمة لم يوكد المغفرة بل قال وارحمنا وانت
ارحم الراحمين فنبه على انه سبحانه وتعالى ارحم الراحمين الا ترى
الى قوله سبحانه وتعالى ورحمتي وسعت كل شيء وكان تعالى
خير الغافرين لان غيره يتجاوز عن الذنب طلبا للثناء عليه
او الثواب او دفعا للصفة الخسيسة عن القلب وهي صفة
الحقد والباري سبحانه وتعالى منزه عن ان يكون غفرانه لشيء
من ذلك واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي ومعناها هو جميع
ما يحسن من نعمة وطاعة وغير ذلك وحسنة الآخرة هي الجنة
لا حسنة دونها انا هدنا اليك هذا تعليل لطلب الغفران
والرحمة وقرا الجمهور هدنا بضم الهاء من هاد يهود اي
تبنا اليك قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقرا زيد ابن علي وابو
وجزة بكسر الهاء من هاد يهيد اذا حرك اي حركنا انفسنا
وحدبناها لطاعتك قال الشاعر
قد علمت سلمى وجاراتها ... اني من الله لها هائد
اي مائل قال عذابي اصيب به من اشاء الظاهر انه
استيناف اخبار عن عذابه ورحمته ومفعول من اشاء محذوف
تقديره اشاء اصابته به وقرا زيد ابن علي والحسن وطاوس
وعمرو ابن فائد من اساء من الاساءة وقرا بها سفيان بن عيينة
مرة واستحسنها وذكر ان الشافعي رضي الله عنه صحف من اشاء
بقوله من اساء ثم وجدت قراءة كما ذكرناه فساكتبها اي
اقضيها واقدرها والضمير عائد على الرحمة لانها اقرب مذكور
وفهم المفسرون من قوله تعالى للذين يتقون الى اخر الاوصاف
ان المتصفين بذلك هم امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الآية هذا من بقية خطابه تعالى
لموسى عليه الصلاة والسلام وفيه تبشير له ببعثة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر لصفاته واعلام له ايضا انه ينزل كتابا
يسمى الانجيل ومعنى الاتباع الاقتداء فيما جاء به اعتقادا
وقولا وفعلا وجمع هنا بين الرسالة والنبوة لان الرسالة في
بني ادم اعظم شرفا من النبوة او بالنسبة الى الادمي والملك
اعم فبدئ به والامي هو الذي على صفة امة العرب انا
امة امية لا نكتب ولا نحسب فاكثر العرب لا تكتب ولا تقرا
وكونه صلى الله عليه وسلم اميا من جملة المعجز اي من جملة معجزاته
عليه الصلاة والسلام ومعنى يجدونه اي يجدون وصفه ونعته
قال ابن عباس رضي الله عنهما يامرهم بالمعروف اي بخلع الانداد
وبمكارم الاخلاق وصلة الارحام ويحل لهم الطيبات اي

اساء من الاساءة

لانها

المعجز

المستلذات

المستلذات ويبعد تفسيره هنا بالحلال ويحرم عليهم الخبائث
وهو ما كانت العرب تستخبثه كالحية والعقرب والحشرات
والدم والميتة ولحم الخنزير وما أمر بقتله كالحداة والغراب
والفارة والعقرب وغير ذلك ويضع عنهم اصرهم تقدم تفسير
الاصر في سورة البقرة والاغلال التي كانت عليهم هذا مثل لما
كلفوا به من الامور الصعبة كقطع موضع النجاسة من الجلد
ومن الثياب ايضا واحراق الغنائم والقصاص حتما من القاتل
عمدا كان او خطأ وترك الاشتغال يوم السبت وتحريم العروق
التي في داخل اللحم فالذين آمنوا به وعزروه اي اثنوا عليه ومدحوه
وقرئ وعزروه بتخفيف الزاي وقرئ بزاءين اي عززوه
واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القرآن الذي انزل عليه وهو
على حذف مضاف اي اتوا مع نبوته لان استنباءه صلى
الله عليه وسلم كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا لما ذكر سبحانه وتعالى للناس
لموسى عليه الصلاة والسلام صفة محمد صلى الله عليه وسلم
واخبر ان من ادركه وآمن به افلح امر تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم باشهاد دعوته ورسالته الى الناس كافة والدعاء الى الايمان
بالله سبحانه وتعالى وبرسوله وكلماته واتباعه ودعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عامة للانس والجن وتقتضيه الاحاديث
النبوية والذي في موضع نصب على المدح او رفع واجاز
الزمخشري رضي الله عنه ان يكون مجرورا صفة لله عز وجل
وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم وقال ابو
البقاء ويبعد ان يكون صفة لله تعالى وبدلا منه لما فيه من
الفصل بينهما باليكم وبالحال واليكم متعلق برسول وجميعا
حال من ضمير اليكم وقال الزمخشري رضي الله عنه الذي له
ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت هذا بدل من
الصلة التي هي ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت
وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو
الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية
لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره انتهى وابدال
الجمل من الجمل غير المشتركة في عامل لا نعرفه وكان الزمخشري
الزمخشري رضي الله عنه لاحظ ان كلا من هاتين الجملتين يصح
ان يكون صلة والظاهر ان تكون هذه جملا مستقلة من
حيث الاعراب وان كان متعلقا بعضها ببعض من حيث
المعنى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه

لعلكم تهتدون

لما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم بالايمان بالله تعالى وبه وعدل
عن ضمير المتكلم الى الظاهر وهو الالتفات لما في ذلك من البلاغة
بانه هو النبي السابق ذكره في قوله تعالى الذين يتبعون الرسول
النبي الامي وانه هو المامور باتباعه الموجود بالاوصاف السابقة
والظاهر ان كلماته هي الكتب الالهية التي انزلت على من تقدمه
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعليه ايضا وهو القرآن
ولما كان الايمان بالله سبحانه وتعالى هو الاصل ويتفرع عنه
الايمان بالرسول والنبي بدا به ثم اتبعه بالايمان بالرسول
ثم اتبع ذلك بالاشارة الى المعجز الدال على نبوته وهي كونه
اميا وظهر عنه من المعجزات في ذاته ما ظهر من القرآن الجامع
لعلوم الاولين والآخرين مع نشأته في بلد عار من اهل
العلم لم يقرأ كتابا ولم يخط ولم يصحب عالما ولا غاب
عن مكة غيبة تقتضي تعلما قال الله عز وجل ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون الآية لما امروا بالايمان
بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وامر باتباعه ذكر ان من
قوم موسى عليه الصلاة والسلام من وفق للهداية وعدل
ولم يجر ولا تكون له هداية الا باتباع شريعة موسى عليه الصلاة
والسلام قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وباتباع شريعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه فهذا اخبار عن من
كان من قوم موسى بهذه الاوصاف فكان المعنى انهم كلهم لم
يكونوا في ضلال بل كان منهم مهتد كعبد الله بن سلام واصحابه
• وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما واثنتي عشرة حال واجاز
ابو البقاء رضي الله عنه ان يكون قطعنا بمعنى صيرنا وان
ينتصب اثنتي عشرة على انه مفعول ثان لقطعنا ولم يعد
النحويون قطعنا في باب ظننت وجزم به الحوفي رضي الله عنه
فقال اثنتي عشرة مفعول لقطعناهم اي جعلناهم اثنتي عشرة
وتمييز اثنتي عشرة محذوف لفهم المعنى تقديره اثنتي عشرة
فرقة واسباطا بدل من اثنتي عشرة وتقدم تفسير الاسباط في
سورة البقرة فاغنى عن اعادته في هذا المحل وانما قال ابو البقاء
رضي الله عنه هو نعت لاسباطا او بدل بعد بدل ولا يجوز ان يكون
اسباطا تمييزا لانه جمع وتمييز هذا النوع لا يكون الا مفردا
• واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر
تقدم تفسير نظيره في سورة البقرة قوله فانبجست اي عرفت
وانفجرت بمعنى سالت وقال الواحدي رضي الله عنه الانبجاس هو
الانفجار يقال بجس وانبجس بمعنى واحد قال الزمخشري رضي

الله عنه

اسم
اسعد اناس جمع غير تكسير يجوز حاء وسآء ويقال مرواحوان لها
ويجوز ان يقال ان الكسر فيها هو الاصل وفي رواية ايضا انه
يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسر كما
اقول في نحو سعادي وعاري انهي لا يجوز ما قال هنا لان
سيبويه رضي الله عنه نص في كتابه على ان فعال جمع تكسير
اصلا ان قال كذلك ولم يسمع كسر همزة اناس كما سمع
الضم في قوله تعالى قوله عز وجل واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
تقدمت هذه القصة وتفسيرها في سورة البقرة وكان
هذا مختصرا من ثلث اذ هنالك واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية وهنا واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وهناك
رغدا وسقطت ههنا وهناك وسنزيد المحسنين
وهنا سنزيد وهناك فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء
عليهم وسيأتي بيان في بعض الالفاظ لاتناقض فيه فقوله
اذ قيل لهم وهناك واذ قلنا فيها حذف الفاعل للعلم
به وهو الله سبحانه وتعالى وهناك ادخلوا وهنا اسكنوا
والسكنى ضرب من الدخول وامروا وهناك نغفر
لكم وهنا سنزيد عن الدخول وهناك فكلوا رغدا
وهنا وكلوا منها واوفى بحذف الى اوعلى احد محتملاتها من
كون ما بعدها وقع بعد ما قبلها وقيد الدخول حالة
منقضية فحسن ذكر فاء التعقيب بعد وكلوا حالة
حالة مستمرة فحسن الامر بالاكل بعد لا عقيب فحسنت
الواو الجامعة للامرين في الزمن الواحد وهو احد محتملاتها
وقيل تحت رغدا بعد الامر بالدخول لانها حالة قدم
ذا الاكل فيها الدال واتم وهم الله احوج بحلال السكنى فانها
حالة استقرار واطمئنان فليس الاكل فيها الذ ولا هم
احوج اليه واما الكفر والتاخير في وقولوا وادخلوا
فقال ابن عطية دخل السين سواء قدموا الحطة على دخول
الباب او اخروها انهم جامعون الاتحاد بينهما اهـ وقوله
سواء قدموها او اخروها فيه نظر كيف يتأتى واصلاحه
هنا سواء قدموها ام اخروها كما قال تعالى سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ويمكن ان يقال ناسب
تقديم الامر بدخول الباب سجدا مع تكبر دخلوا خاوا
على العزة لانه فعل دال على الخضوع والذلة وحطة
قول والفعل اقوى في اظهار الخضوع من القول فناسب
ان يذكر مع مبدا الذي وهو الدخول وان قيل ادخلوا هذه

او

القرية

فامروا هناك بمبدإ الشيء وهنا بما تسبب عن الدخول وهناك
فكلوا بالفاء وهنا بالواو فجاءت الواو على احد محتملاتها من كون
ما بعدها وقع بعد ما قبلها وقيل الدخول حالة منقضية فحسن
ذكر فاء التعقيب بعده والسكنى حالة مستمرة فحسن الامر
بالاكل معه لا عقيبه فحسنت الواو الجامعة للامرين في الزمن
الواحد وهو احد محاملها وقيل ثبت رغدا بعد الامر
بالدخول لانها حالة قدم فالاكل فيها الذ واتم وهم اليه
احوج بخلاف السكنى فانها حالة استقرار واطمئنان فلذلك
الاكل فيها الذ ولا هم احوج اليه واما التقديم والتاخير في
وقولوا وادخلوا فقال الزمخشري رضي الله تعالى عنه سواء اقدموا
الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون للايجاد بينهما
انتهى وقوله سواء اقدموا واخروها تركيب غير عربي واصلاحه
سواء اقدموا ام اخروها كما قال الله عز وجل في اية اخرى سواء علينا
اجزعنا ام صبرنا ويمكن ان يقال ناسب تقديم الامر بدخول
الباب سجدا مع تركيب ادخلوا هذه القرية لانه فعل دال على الخضوع
والذلة وحطة قول والفعل اقوى في اظهار الخضوع ولان
دخول القرية لا يمكن الا بدخول بابها فصار باب القرية كانه
بدل من القرية اعيد معه العامل بخلاف الامر بالسكنى
واما سنزيد المحسنين في هذه الاية فقال الزمخشري رضي الله عنه
هو موعد بشيئين بالغفران والزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك
لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران
فقيل له سنزيد المحسنين وزيادة منهم بيان وارسلنا وانزلنا
ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرأ الحسن رضي الله عنه
حطة بالنصب على المصدر اي حط عنا ذنوبنا وحطا يا فاحطة
ويجوز ان ينصب بقوله وقولوا حطة على حذف التقدير
وقولوا قولا حطة اي ذا حطة فحذف ذا وصار حطة وصفا
للمصدر المحذوف كما تقول قلت حسنا وقلت حقا اي
قولا حسنا وقولا حقا واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ
يعدون في السبت الاية قال الزمخشري رضي الله عنه والضمير في قوله
واسالهم عائد على من بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام من اليهود
وذكر ان بعض اليهود المعارضين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا له لم يكن من بني اسرائيل عصيان ولا معاندة لما امروا به فنزلت
هذه الاية توبيخا لهم ومقررة كذبهم ومعلنة بما جرى على اسلافهم
من الاهلاك والمسخ وكانت اليهود تكتم هذه القصة فهي مما
لا يعلم الا بكتاب او وحي من الله عز وجل فاذا اعلمهم بها من لم يقرا كتابهم

علم انه

علم انه من جهة الوحي وقوله عن القرية فيه حذف تقديره اي عن
اهل القرية والقرية هي ايلة وقيل هم اهل طبرية قاله
ابن عباس وجماعة ومعنى حاضرة البحر اي بقرب البحر مبنية
باثنا طيه ويحتمل ان يكون بمعنى الحضارة على جهة التعظيم
لها اي هي الحاضرة في قرى البحر والتقدير حاضرة قرى
البحر اي يحضر اهل قرى البحر اليها لبيعهم وشرائهم وقضا
حوائجهم اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون فيه ما امرهم
الله تعالى وقوله يعدون اي يعتدون وكان قد تقدم منه
تعالى النهي عن العمل فيه وعدم الاشتغال بالصيد وغيره
الا انه في هذه النازلة كان عصيانا حادثا منهم اي حدث
عصيانهم عتوا واستكبارا عن ما امروا به وقرئ يعدون
من الاعداد وكانوا يعدون الآلات الصيد يوم السبت
وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير عبادة الله عز وجل
وان ظرف والعامل فيه قال الحوفي رضي الله عنه اذ متعلقة
بقوله واسالهم انتهى ولا يتصور لان اذ ظرف لما مضى واسالهم
مستقبل ولو كان ظرفا مستقبلا لم يصح المعنى لان العا دين
وهم اهل القرية متقدمون فلا يمكن سؤالهم والمسؤول
غير اهل القرية العادين وقال الزمخشري اذ يعدون بدل
من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل واسالهم عن اهل
القرية وقت عدوانهم اي اعتدائهم في السبت وهو من بدل
الاشتمال انتهى وهذا لا يجوز لان اذ من الظروف التي لا تتصرف
ولا يدخل عليها حرف جر وجعلها بدلا يجوز دخول عن
عليها لان البدل هو على نية تكرار العامل ولو ادخلت
عن عليها لم يجز وانما تصرف فيها بان اضيف اليها بعض الظروف
الزمانية نحو يوم اذ كان كذا واما قول من ذهب الى انها
تتصرف فيها بان تكون مفعولة باذكر فهو قول من عجز عن
تاويلها على ما ينبغي لها من ايقاعها ظرفا واذ تاتيهم العامل
في اذ يعدون والعامل في اذ محذوف تقديره واسالهم
عن قصة اهل القرية وقت عدوهم اي اذ عدوا في السبت
اذ تاتيهم لان اذ ظرف لما مضى يصرف المضارع للمضي وقال
الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل انتهى
يعني بدلا من القرية بعد بدل اذ يعدون وقد ذكرنا ان ذلك
لا يجوز اي كانت تاتيهم حيتانهم شرعا ظاهره الواحد شارع
والعامل في يوم قوله لا تاتيهم وفيه دليل على ان ما بعد
لا تكون للنفي تعمل فيما قبلها وفيه ثلاثة مذاهب ايضا انتهى

والضمير في قوله واسألهم عائد على من بحضرة الرسول من اليهود ومعنى قوله
حاضرة البحر اي نقرب البحر منه وشاطئه ويحتمل ان يكون معنى
الحضور عليه حقيقة التعظيم لها اي بنى الحاضرة في قرى البحر والتقدير
حاضرة قرى البحر اي بحضرة اهل قرى البحر اذ يعدون في السبت
ويشرع اليهم اذ يبعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم
ظاهرة على وجه الماء ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم
بما كانوا يفسقون وقوله نبلوهم اي نبلوهم ونمتحنهم بما كانوا يفسقون
واذ قالت امة منهم اي جماعة من اهل القرية من صلحائهم
الذين جروا الى وعظهم لم ترو بحذف والظاهر ان القائل
غير المقول لهم لم تعظون قوما الله مهلكهم فتكون ثلاث فرق
فرقة اعتدوا وفرقة وعظت وفرقة اعتزلت فلم
تنه ولم تعتد وهذه الطائفة هي القائلة للواعظة لم
تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وقرئ معذرة
بالرفع اي موعظتنا اقامة عذر الى الله سبحانه وتعالى وقرئ
معذرة بالنصب وقالوا للقراء وعلى الله عز من قنت
حملها هنا على المفعول من اجله اي وعظنا للمعذرة اي
لتكون سببا لها وقيل هو مصدر اي يعتذرون معذرة وقالت
مثل ذلك امة محمدية وابن عطية رضي الله عنهما فلما نسوا ما ذكروا
به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس
بما كانوا يفسقون الضمير في نسوا للمنهيين اي تركوا ما قد
ذكرهم به الصالحون وجعل الترك نسيانا مبالغة او اقوى
احوال الترك ان يبقى المتروك وما موصولة بمعنى الذي والسوء
عام في المعاصي وبئيس فعيل من بئس يبأس اذا اشتد والمعنى ان الذين
ظلموا انفسهم العاصون منه على العلة في اخذهم
وهي الظلم وقرئ بيس على وزن فعل وبيس على
وزن فعل وبيس على وزن فعل وهذه المشهورات في هذه
الكلمة وذكر النحويون اثنتين وعشرين وجها فيها فلما عتوا
عن ما نهوا عنه اي لما استعصوا والعتو هو الاستعصاء والعاتي
في الشر وباقي الآية يتقدم تفسيره في البقرة والظاهر ان
العذاب والمسخ والهلاك انما وقع بالمعتدين في السبت والامة
القائلة لم تعظون قوما الله مهلكهم هم من قرن الساكتين
الناجين واما سألوا احوالهم عن حكمة وعظم وهم لا يجدي فيهم
شيأ الله واذ قال ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من
يسومهم سوء العذاب الآية لما ذكر تعالى فتح افعالهم واستقبالهم
اخبر سبحانه وتعالى انه حكم عليهم بالذل والصغار الى يوم القيامة

وقوله

وقوله واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم
سوء العذاب وقوله تاذن اي اعلم ماخوذ من
الاذن وهو الاعلام بالشيء واجري هنا مجرى القسم
فتلقى بما يتلقى به القسم وهو قوله ليبعثن عليهم الى يوم
القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب
وانه لغفور رحيم وذلك اخبار يتضمن سرعة ايقاع
العذاب بهم وقوله تعالى في هذه الاية وانه لغفور رحيم
ترجية لمن امن منهم ومن غيرهم ووعد لمن تاب منهم واصلح
وقطعناهم في الارض امما اي فرقا متباينين في اقطار
الارض فعل ارض لا يكون فيها منهم شرذمة وهذا حالهم وهم
في كل مكان تحت الهوان والصغار والذلة وامما حال وقال
الحوفي رضي الله عنه هو مفعول ثان وتقدم قوله هذا في
وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما منهم الصالحون ومنهم
دون ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى هذه الاية اي منهم
من امن بعيسى ومنهم من امن بمحمد عليهما الصلاة والسلام وذلك
اشارة الى الصلاح المذكور في الاية ومنهم قوم دون ذلك
اي دون اهل الصلاح لانه لا يعتدل التقسيم الا على
هذا التقدير او يكون مقدرا هنا على حذف مضاف او قد
يكون ذلك المعنى به اوليك فكانه قال ومنهم قوم دون
اوليك وقد ذكر النحويون ان اسم الاشارة المفرد قد
يستعمل للمثنى والمجموع فيكون ذلك بمعنى اوليك على هذه
اللغة ويعتدل بذلك هنا التقسيم وقال الزمخشري رضي الله
عنه فان اريد بالصلاح الايمان فدون بمعنى غير يراد بها
الكفرة انتهى ان اراد دون ترادف غير فهذا ليس بصحيح
وان اراد انه يلزم ممن كان دون شيء ان يكون غير فصحيح
ودون ظرف في موضع الصفة لمبتدا محذوف خبره في المجرور
قبله اي ومنهم قوم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات
لعلهم يرجعون اي بالصحة والرخاء والجدب والغلاء وقوله
والسيئات للمقابلة هنا بقوله وبلوناهم بالحسنات اي لتكون
مقابلة لها لعلهم يرجعون الى الطاعة ويتوبون عن المعصية
فخلف من بعدهم خلف اي خلف صدق للصالح وخلف
سوء للطالح ومنه قول الشاعر

ذهب الذين يعاش في اكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وقوله تعالى ورثوا الكتاب يعني ورثوا التوراة وبقيت في ايديهم

بعد يسلمهم بعيرا وفا ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي
والمحللات والمحرمات ولا يعملون بها وغرضهم بهذا الاداء هو
ما اخذ حقا ما اخذوه من الرشا والمكاس الخسيسة ارضا
والعرض هو ما يعرض ولا يثبت وفي قوله عرض هذا الادنى
الاولى تحسيس لما باخذوه وتحقير له ويقولون ايضا
سيغفر لنا وقولهم ذلك هو قطع على الله عز وجل فخسران
حاصلهم اي لا واخذ الله تعالى لهم بذلك ولنا هي في
موضع الحال الذي لم يسم فاعله تقول عفا الله لزيد الذنب
فتحذف الفاعل وتقيم المفعول وتقيم المجرور وتقام الفاعل
فتقول عفر لزيد الذنب فان ما بهم عرض مثل ما اخذوه الظاهر
ان هذا استئناف اخبار عنهم بانهما كم في المعاصي اي وان
اتاهم عرض الرشا والمكاس الخسيسة لم يتوقفوا عن اخذها
تائبة وانما هم مصرون على المعاصي ولم يتفوق الى
شيء غيرها الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على
الله الا الحق الاية هذا قبيح وقد مر لهم وتقرر لما تضمنه
الكتاب من اخذ الميثاق انهم لا يكذبون على الله تعالى قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنه كان ما بهم الحق يرشون فيحرفون له
كتاب الله فيحكمون له به فاذا جاء المبطل اخذ واعلم ان الرشوة
واخر اكلهم الذي كذبوا بايديهم وحكموا له به وان لا يقولوا
في موضع رفع على البدل من ميثاق الكتاب وقيل ما عطف
هو معطوف على قوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب وفي ذلك تعظيم
لتوبيخ وتقريع وهو اء بهم درسوا ما في الكتاب وعرفوا ما فيه
المعرفة التامة من الوعد على قبول التوبة والاقلاع على
الله سبحانه وتعالى وان الدار الاخرة خير للذين يتقون اولا
يتقون اي للتوراة والدار الاخرة خير من تلك الرشوة الخسيسة
الخسيسة المنغصة خير لكم في الدنيا وعقوبة الاخرة والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة اما ان يضمر اخر المصلحين
قوله والذين يمسكون بالكتاب اي بما تضمنه من حرام وحلال وعبادة
والتمسك بالكتاب فعل ما امر الله به فيه لكنها افردت بالذكر
تعظيما لها ولشانها لان بها عماد الدين بين العبد وبين ربه
والذين استئناف اخبار مبتدا خبره انا لا نضيع اجر المصلحين
الا اخبر والرابط بينهما العموم في المصلحين او ضمير محذوف
تقديره المصلحين منهم انتهى واذ فتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة
السين للحذف تقول وقتر يعصمهم بعابث وهو المنبع
وتقول العرب ادص انا تفتقت الارض من قبل القرية اذا خرجت

وارتفعت

و ارفعت والناقي ارحم لي تتلع الى الدنيا رطب وفاك
الى بعد ادرياني رضي الله عنه
لم يخرجي احسن الحزن وامهم طبخت عمك فاتي مذكار
وقوفهم العامل فيه تتقاضمن معنى رفعنا فاستثنى
رفعنا الجبل فوقهم كانه ظلة وهو كقوله عز وجل ورفعنا فوقهم
الطور بميثاقهم وقوله كانه ظلة في موضع الحال من الجبل
والظلة ما فعناها الغمامة وظنوا انه واقع بهم قال
الزمخشري رضي الله عنه هنا باضية على بابها من ترجيح احد الجائزين
خذوا ما آتيناكم بقوة بتقدم تفسير نظير هذه الآية في سورة
البقرة قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه وان اريد بالاخذ
الايمان فذوف بمعنى غير اي اخذها الكفة انتهى وان اراد اذن
دون تراد فيه عنى فهذا اتى صحيح وان اراد انه يلزم ممن كان
دون شيء ان يكون غيرا فصحيح ودون ظرف في موضع الصفة
لمستدا محذوف خبره في الجرور وقبله اي ومنهم قوم دون
ذلك وقوله تعالى في الآية المتقدمة ولوناهم بالحسنات والسيئات
لعلهم يرجعون اي بالصحة والرخاء والشدة والسيئات هي
مما لا تهاكا لشعم والاثلاء وغيرها لعلهم يرجعون الى الطاعة
وسكنون عن المعصية فخلف من بعدهم خلف وريثوا الكتاب يأخذ
عرض هذا الادنى وقوله وريثوا الكتاب هو التوراة اي صيرت في
ايديهم بعد سلفهم يقرأونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي
والتحليل والتحريم ولا يعملون بما وعرض هذا الادنى هو ما يأخذونه
من الرشا ومن المكاسب الخبيثة الخسيسة والعرض هو ما يعرض
ولا يثبت وفي قوله عرض هذا الادنى تحسين لما يأخذونه
ويحتجون له وقولهم سيغفر لنا قطع على الله سبحانه وتعالى بغفران
ما صنعوا اي لا نؤاخذ فيما الله من ذلك ولنا هو في موضع المفعول
الذي لم يسم فاعله تقول عفر الله لزيد الذنب فتحذف الفاعل
والمفعول وتقيم المجرور مقام الفاعل فتقول غفر لزيد
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الظاهر ان هذا استئناف اخبار
عنهم بأنهم مصممون على المعاصي اي وان امكنتهم الرشا والمكاسب الخبيثة
لم يتوقفوا عن اخذها ثانية وديدنهم وصفتهم وديدن العاصي ايضا
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق الآية وقوله
ودرسوا ما فيه تقريع لهم وتقرير لما تضمنه الكتاب من اخذ الميثاق انهم
لا يقولون على الله عز وجل قال ابن زيد رضي الله عنه كان بأيديهم الحق
بالرشوة يحرفون به الكتاب عز وجل فيحكمون به واذا جاء الباطل اخذوا
منه الرشوة واخرجوا كتابهم الذي كتبوه بايديهم وحكموا به وان لا يقولوا

لمن في موضع رفع على البدل من ميثاق الكتاب ودرسوا ما
فيه عطف على قوله ألم يؤخذ عليهم وفي ذلك اعظم تبكيت وتقريع
وأمرهم كرروا على ما في الكتاب وعرفوا ما فيه المغرم التامة
من الوعيد الشديد على قول الباطل والافتراء على الله عز وجل والدار
الآخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون أي ولثواب دار الآخرة
خير من قليل الرشوة الخسيسة المعقبة خزي الدنيا
وعقوبة الآخرة والذين يمسكون بالكتاب وإقاموا الصلاة إما
لا نضيع أجر المصلحين وقوله يمسكون بالتخفيف والتشديد
أي يتمسكون بالكتاب أي بما تضمنه من حرام وحلال وعبادة
وتمسك بالكتاب يستلزم إقامة الصلاة لكونها أم وقت
بالذكر تخصيصا لشأنها لأنها عماد الدين وصلة بين العبد وربه
والذين يمسكون خبر مبتدأ حذف أي إنا لا نضيع أجر المصلحين
والرابط بينهما العموم في المصلحين أو هو ضمير محذوف أي منهم
المصلحين منهم وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة النتق الجذب
بقوة وقسر بعضهم بغايته وهو القلع وقيل العرب
تقتلت الولد من قومه الغوية والناتق الرحم الذي تقلع
الولد من الرحل وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
لم يحزن أحسن العهود منهم طمعت عليك بناتق يعني كافرا وقوله
فوقهم العامل فيه نتقنا أي قلعناه من أصله وصير فوقهم
رفعا فوقهم والنتق كقوله تعالى ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
وقوله كأنه ظلة في موضع الحال من الجبل والظلة هنا معناها الغمامة
وكل ما أظلك فهو ظلة يريد أنه رجح أحد الجائزين من حذر وأما أنسأكم
بقوة تقدم تفسيره وتطهيره في الآية التي في سورة البقرة لعلكم تتقون
وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال الزمخشري
رضي الله عنه هذا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه سبحانه
وتعالى نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وسهدت بها
عقولهم ونصابرهم إلى ركبها فيهم وجعلها متمكنة من الصلاحية
والهدى فكأنه سبحانه وتعالى أشهدهم على أنفسهم وقررهم
وقال ألست بربكم قالوا بلى ومعنى هذه الآية فكأنهم قالوا بلى
أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بالوحدانية وباب
التمثيل واسع في كلام الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وفي كلام العرب نصا وتعلم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل
وتصوير للمعنى أنه لو كان ثم قول ومقول لكان هذا
الجمع أن تكون مقولا أخذ ميثاقك وفي الفهم الثاقب وذرياتهم
بدل من ضمير ظهورهم كأن من ظهورهم بدل من قوله من بني آدم

والمقول

والمفعول المحذوف هو الميثاق كما قال سبحانه وتعالى واخذنا
منهم ميثاقا غليظا وتقديره الكلام واذ اخذ ربك من ظهور رواية
بني آدم ميثاق التوحيد وافراده بالعبادة وانما اراد ان يكون
اخذ الميثاق من الظهر كان الميثاق اصعب واللازم به
والوفوء عنده شيء قد يحمل على الظهر الست بربكم الهمزة
هنا قد قيل ان الهمزة الاستفهام دخلت على النفي فصار معناه
التقرير وهذا النوع من التقرير يجاب بما يجاب به النفي
الصريح قالوا قلت لست من بني فلان اي احببت بلا وصار معنا ٥
اي انت من بني فلان فكذلك هنا احببت بلا ومعناه انت
ربنا شهدنا والظاهر ان الضمير في تعالى اشارة عن هذا
اشارة الى اخذ الميثاق والاقرار بالربوبية اي قالوا بلى شهدنا
ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك
اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
او تقولوا لو انا اشركنا اباؤنا والمعنى انا لكنا لم نوحد عليهم
عهدا ولا حاجتهم مذكرا بما تضمنه العهد من توحيد الله تعالى
وعبادته لكانت لهم حجتان احدهما كنا غافلين والاخرى
كنا تبعا لاسلافنا فكيف تهلكنا وانت منا ابانا ولن طرق
لنا واصلنا فوقعت الشهادة لتنقطع عنهم الحجج افتهلكنا الحجج
بما فعل المبطلون هذا من تمام القول اتاني اي جاؤا بالست
بشركنا اسنتهم الشرك وتقدمهم فيه وتركت سنة لنا وكنا
فصل الآيات اي مثل هذا التفصيل الذي فصلنا فيه
الآيات السابقة فصل الآيات اللاحقة ولعلهم يرجعون
اي عن شركهم وعن عبادة غيرهم سبحانه وتعالى ويرجعوا الى
توحيده وعبادته واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها قال الجمهور هو بلعام وهو رجل كنعاني اوتي
خصوصية من الله عز وجل والانسلاخ من الآيات امر معنوي
والسرك والنفاذ اي لم تعمل بما في نفسه وعمينا عليه
وقرأ الجمهور فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين وقوله
فاتبعه من اتبع رباعيا اي لحقه وصار معه وفي مبالغة
حتى اذا جعل كانه هو امام الشيطان يتبعه وكذلك فاتبعه
شهاب ثاقب اي عدا وادركه اتبعه ولو شئنا لرفعناه اي
ولو شئنا ان نشرفه ونرفع قدره بما اتيناه من الآيات لفعلنا
ولكنه اخلد الى الارض اي مال اليها لذاتها ورغب فيها واتبع
ما هو ناشئ عن الهوى وحاول الاستدراك هنا بينها على السبب
الذي لاجله لم يرفع ولم يشرف كما فعل غيره ممن والى الهدى

واخلد الى الارض اي رمى بنفسه اليها ومال الى الارض اي الى
ما فيها من الملاذ والشهوات قاله ابن عباس رضي الله عنهما ايضا
وذكره بعض المفسرين رضي الله تعالى عنهم اجمعين • فمثله كمثل الكلب
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث الآية اي فصفته ان تحمل
عليه بالحكمة لم يحملها وان تركته لم يحملها فهو كصفة الكلب ان كان
مطرودا لهث وان كان رابضا لهث قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقال
الزمخشري رضي الله عنه وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه
بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوقع قوله
فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في
اخس احواله واذلها في معنى ذلك انتهى وقوله هنا وكان حق الكلام الى
آخره فهذا سوء ادب على كلام الله عز وجل واما قوله فوقع قوله فمثله الى
آخره فليس واقعا موقع ما ذكر ولكن قوله ولكنه اخلد الى الارض وقع موقع
فحططناه الا انه تعالى لما ذكر الاحسان اليه اسند ذلك الى نفسه ذاته
الشريفة فقال آتيناه آياتنا ولو شئنا لرفعناه بها ولما ذكر ما هو في حق الشخص
اساءة اسنده اليه فقال فانسلخ منها وقال ايضا ولكنه اخلد الى الارض
فجاء على حد قول الخضر عليه الصلاة والسلام في امر السفينة فاردت ان
اعيبها وقوله فان ربك في نسبة ما كان حسنا الى الله عز وجل
ونسبة ما كان بخلافه الى الشخص وهذه الجملة الشرطية في موضع
الحال اي لاهثا في الحالتين قاله الزمخشري رضي الله عنه وبه
قال ابو البقاء رحمه الله تعالى وتفسيرهما لاهثا من حيث المعنى
لا ان جملة الشرط هي الحال • ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
فاقصص القصص لعلهم يتفكرون اي ذلك الوصف وصف
الذين كذبوا بآياتنا اي صفتهم كصفة الكلب لاهثا في الحالتين
فكما شبه وصف المؤتى الآيات المنسلخ منها بالكلب في اخس
حالاته كذلك شبه به المكذبون بالآيات حيث اوتوها وجاءتهم
واضحات تقتضي التصديق بها فقابلوها بالتكذيب
وانسلخوا منها وقوله ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا اي
بئس مثلا هو وتقدم لنا ايضا ان اصلها التعدي تقول
ساءني الشيء يسوءني ثم لما استعملت استعمال بئس بنيت على
فعل وجرت اليها احكام بئس ومثلا تمييز للضمير المستكن
في ساء فاعلا وهو مفسر بهذا التمييز وهو من الضمائر
التي يفسرها ما بعدها ولا بد ان يكون المخصوص بالذم بالذم
من جنس التمييز فاحتيج فيه هنا الى تقدير حذف اما في دائرة
التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم واما ان تكون في دائرة المخصوص
المخصوص اي ساء مثلا مثل القوم وهذه الجملة تاكيدا للجملة السابقة ايضا انتهى

من يهدي الله

٣٤٠

• من يهدي الله فهو المهتدي لما تقدم ذكر المهتدين والضالين
اخبر تعالى انه هو المتصرف فيهم بما شاء من هداية وضلال وقد
تقرر من مذهب اهل السنة انه سبحانه وتعالى هو خالق الهداية
والضلال في العبد ومن شرطية مفعولة بيهد وحمل على
لفظها في الجواب وهو قوله فهو المهتدي ومن الثانية كذلك
وحمل على معناها في الجواب في قوله واولئك هم الخاسرون
فناسب الافراد هناك لان المهتدي قليل وناسب الجمع في الثانية
لان الضالين كثير • ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
هذا اخبار منه سبحانه وتعالى بانه سبحانه وتعالى قد خلق
لجهنم كثيرا من الصنفين • ومناسبة هذا لما قبله انه تعالى
لما ذكر انه هو الهادي وهو المضل اعقبه بذكر من خلق للخسران
والنار وذكر من اوصافهم ما ذكر وفي ضمنه وعيد للكفار
والمعنى لعذاب جهنم واللام للصيرورة على قول من اثبت لها
هذا المعنى او لما كان مآلهم اليها جعل ذلك سببا على جهة
المجاز لهم قلوب لا يفقهون بها الآية لما كانوا لا يتدبرون
شيئا من الآيات ولا ينظرون اليها نظر اعتبار ولا يسمعونها سماع
سماع تفكر جعلوا كانهم فقدوا الفقه بالقلوب والابصار
بالعيون والسماع بالآذان وليس المراد نفي هذه الادراكات
عن هذه الحواس وانما المراد نفي الانتفاع بها فيما قد طلب منهم
من الايمان • اولئك كالانعام في عدم الفقه والتأمل في عواقب
الامور والنظر للاعتبار والسماع للتفكر ولا يهتمون بغير الاكل
والشرب • بل هم اضل بل هنا للاضراب وليس ابطالا بل هو
انتقال من حكم وهو التشبيه بالانعام الى حكم آخر وهو كونهم
اضل من الانعام • اولئك هم الغافلون هذه الجملة بين الله
سبحانه وتعالى بها سبب كونهم اضل من الانعام وهو الغفلة
عن ما اعد الله تعالى لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب
• ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها الآية قال مقاتل رضي الله عنه
دعى رجل الله تعالى في صلاته ومرة دعى الرحمن فقال ابو
جهل اليس يزعم محمد واصحابه انهم يعبدون ربا واحدا فما
بال هذا يدعو اثنين فنزلت هذه الآية ومناسبتها لما قبلها
انه سبحانه وتعالى لما ذكر انه ذرأ لجهنم كثيرا من الجن والانس
اي جعلهم وقود النار في الآخرة ذكر نوعا منهم وهم الذين يلحدون
في اسمائه وهم اشد الكفار عتيا ابو جهل واضرابه والحسنى
هنا تأنيث الاحسن ووصف الجمع الذي لا يعقل بما وصف به
الواحد كقوله تعالى فعدة من ايام اخر لان جمع ما لا يعقل

يخبر عنه ويوصف
بجمع المؤنثات

وان كان المفرد مذكرا قال ابن عطية رضي الله تعالى عنه والاسماء
هنا بمعنى المسميات اجماعا من الامة اولين لا يمكن غيره
انتهى لا تحرير فيما قال لان التسمية مصدر واراد بها
هنا الالفاظ التي يطلق على الله تعالى وهي الاوصاف
الدالة على تغاير الصفات لا تغاير الموصوف كما تقول
جاد زيد الفعلة السماح والكريم وكون الاسم الذي امر
الله سبحانه وتعالى ان يدعى به حسنا هو ما قرن الشرع ونص عليه
في اطلاقه على الله تعالى ومعنى فادعوه بها اي ناد وه بها كقولك
يا الله يا رحمن يا رحيم بايا ما تدعو فله الاسماء الحسنى
وما اشبه ذلك كما قد تقول لاحد والاحة لغتان
بمعنى واحد وهو العدول عن الحق والالحاد مخالفة ما ليس
منه قال ابن السكيت ومعنى يلحدون في اسمائه يدخلون
فيقولون بجهلهم يا ابا القاسم يا انفع وجهه وغير ذلك من
الالحاد لي لم تسمه في الشرع اطلاقها على الله سبحانه
وتعالى وقوله سيجزون ما كانوا يعملون وفيه وعيد
شديد وادرج تحت قوله ما كانوا يعملون الالحاد في اسمائه
وسائر افعالهم القبيحة وممن خلقنا امة يهدون بالحق
وبه يعدلون الآية تتاذكر سبحانه وتعالى من ذرأه للنار
ذكر مقابلهم وفي لفظة وممن دلالة على التبعيض وان
المعظم من المخلوقين لسواهداة الى الحق والى العادلين
به والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال ابو عبيدة رضي الله عنه الاستدراج ان تدرج الى
الشيء في خفية قليلا قليلا ولا تهيج عليه واصله من
الدرجة وذلك اذا رقى وانك لا ترقى ولن نؤمن لرقيك
من رقاه ومنه قولهم درج الكتاب طواه شيئا بعد
شيء ودرج القوم اي ماتوا الواحد في اثر بعض وقوله من حيث
لا يعلمون اي من جهة لا تخطر ببالهم وقيل الاستدراج هو المذكور
وقال الاعشى في الاستدراج فلو شئت حلت بالحزن قاتمة
وراقت لاضياف السماء سلم لسنستدرجهم الفوادح شيئا
وتعلم اني شكر غير منحم وارد في لهم ان كيدي متين
معطوف على قوله سنستدرجهم فهو داخل في الاستئناف
وهو خروج من ضمير التكلم بنون العظمة الى ضمير تكلم
المفرد والمجاء وآخره ملاوة من الدهر اي مدة فيها طي وادلاوة
بضم الهمزة وضمها وكسرها ومنه قوله واهجرني ملية اي دهرا
او ما كثيرا وسمي بعقله ذلك بهم كيدا لانه تشبيه بالكيد

من حيث

من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان انتهى
والمتين من كل شيء يعني القوي منه يقال متن متانة
• اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين
اي بين الانذار قال الحسن وقتادة رضي الله تعالى عنهما
سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ليلة
على الصفا فجعل يدعو قبائل قريش يا بني فلان يا بني فلان
يحذرهم ويدعوهم الى الله عز وجل فقال بعض الكفار
حين اصبحوا هذا مجنون بات يصوت حتى الى الصباح وكانوا
يقولون هو شاعر هو مجنون فنفى الله ذلك عن نبيه ورسوله محمدا
صلى الله عليه وسلم ثم اخبر انه محذر من عذاب الله عز وجل
والآية باعثة لهم على التفكر في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانتفاء الجنة عنه اي الجنون المنسوب اليه من كفار قريش وهذا
الاستفهام قيل معناه التوبيخ وقيل معناه التحريض على
التامل والجنة معناه الجنون او الجن والمعنى من مس جنة
او من تخبيط جنة • والظاهر ان قوله اولم يتفكروا معلق
عن الجملة المنفية وهي في موضع نصب بيتفكروا بعد
اسقاط حرف الجر لان التفكر من افعال القلوب فيجوز هنا
تعليقه والمعنى اولم يتاملوا ويتدبروا في انتفاء هذا الوصف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه منتف عنه لا محالة ولا
يمكن لمن امعن الفكر ان ينسب ذلك اليه • اولم ينظروا في
ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء الآية لما حضهم
على التفكر في امر حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مفرعا
على تقرير دلائل التوحيد اعقبه بما يدل على التوحيد ووجود
الصانع الحكيم والملكوت هو الملك العظيم وتقدم شرح
ذلك في الانعام ولم يقتصر على ذكر النظر في الملكوت بل نبه
سبحانه وتعالى على ان كل فرد فرد من الموجودات محل للنظر
وللاعتبار والاستدلال على الصانع ووحدانيته كما قيل
وكل شيء له آية • تدل على انه واحد
• وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ان هي المخففة من الثقيلة
واسمها محذوف او ضمير لشان محذوف وخبرها عسى وما
تعلقت به وقد وقع خبرا لها والجملة هنا غير الخبرية
في مثل هذه الآية وفي مثل قوله عز وجل والخامسة ان غضب
الله عليها فغضب الله عليها جملة دعاء وهي غير خبرية كما قاله
الفراء رضي الله عنه واجاز ابو البقاء رضي الله عنه ان تكون ان
هي المخففة من الثقيلة وان تكون مصدرية يعني ان تكون هي

اي وفيما خلق الله من كل شيء لان جميع ما خلقه فيه دليل على قدرته وعظمته ووحدانيته انتهى

اي علامة

الموضوعة على حرفين

وهي ان اصبه هنا للفعل المضارع وليس حتى لانهم نصوا على انها
توصل بفعل متصرف مطلقا يعنون ماضيا ومضارعا وامرا
شرطوا فيه التصرف وعسى فعل جامد فلا يجوز ان تكون
صلة لان وعسى هنا تامة وان تكون فاعلا بها نحو قولك
عسى ان يقوم زيد واسم يكون قال الحوفي رضي الله عنه اجلهم
وقد اقترب الخبر قال المحسري وغيره اسم يكون ضمير الشأن
فيكون قد اقترب اجلهم في موضع نصب في موضع خبر فكون
واجلهم فاعل باقترب وما قاله الحوفي رضي الله عنه قد
رده ● فبأي حديث بعده يؤمنون معنى هذه الجملة وما قبلها
توقيفهم وتوبيخهم على انه لم ينفع منهم نظر ولا تدبر في شيء
من ملكوت السموات والارض وفي اي مخلوقات الله عز وجل ولا
في اقتراب اجالهم فبأي حديث بعد يؤمنون ● اي امر
ينفع ايمانهم وتصديقهم اذ لم ينفع ما يرى بعينه مجاهرة ودخولهم
تحته وبحو قول الشاعر فهل اتى نفس بعد ما قال
والمعنى اوالم اره قاله عن نفسي فكيف اقال عن غيرها
● من يضلل الله فلا هادي له نفي نفيا عاما ان لا يكون
ثم هاد لمن اضله الله تعالى فيتمسك الياس من ايمانهم والمقت
لهم ● ويذرهم في طغيانهم يعمهون اي يتردد ون فيه يتحيرون
وقرئ ويذرهم بالنون ورفع الراء وقرئ ويذرهم والياء ورفع
الراء وهو استيناف اخبار لقطع الفعل او اضمر قبله
ونحن فنكون جملة اسمية وقرئ ويذرهم بالنون والجزم
على انه مجزوم عطفا على محل فلا هادي له وانه في موضع جزم
جوابا للشرط والجملة من يذرهم تقدم تفسيرها في اوائل سورة
البقرة ● يسألونك عن الساعة ايان مرساها
قال ابن عباس رضي الله عنهما اعلمت لليهود قال الحسن بن ابي فتيز
وسمويل بن يزيد ان كنت نبيا فاخبرنا بوقت الساعة فانا
نعرفها وان صدقت آمنا بك ومناسبتها لما قبلها انه سبحانه
وتعالى لما ذكر التوحيد والنبوة والوعد او الوعيد اتبع ذلك
بذكر المعاد وايضا فلما تقدم قوله وان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم وكان ذلك باعثا لهم على المبادرة الى التوبة اتى بما يتسوءل
عن السر الساعة لتعلم ان وقتها مكتوم عن الخلق فيكون ذلك سببا
للمبادرة الى التوبة والساعة هي القيامة وهي اسم لكون من كان حيا
حينئذ حيا وقت الجمع يقع عليه الساعة واسم القيامة والساعة
من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا ومرساها مرساؤها من ارساها اذا
اثبتها وقرأ ابو السوار مرساها والرسو هو ثبات الشيء الثقيل

ومنه

تحلوف الله

اي لتعرف مني تفجؤهم

ومنه رسي الجبل اي ثبت واوسنت السفينة اذا وقفت
عن السير والرسا المكان الذي ترسو فيه وقال الزمخشري
رضي الله عنه مرساها اي وقت ارسائها او ارساؤها بمعنى
اثباتها وقرأ بها انبي وقدر وقت ارسائها وليس ذلك
بجيد لان ايان اسم لسؤالهم عن الوقت ولا يصح ان يكون
خبرا عن الوقت الا بمجاز لانه فيكون التقدير في اي وقت
وقت ارسائها وايان مرساها مبتدأ وخبره وعلى ابن
عطية عن ابن عباس رضي الله عنه ان مرساها مرتفع باضمار
فعل ولا حاجة الى هذا الاضمار وايان مرساها جملة استئنافية
في موضع البدل من الساعة والدال على ان تكرار العامل
وذلك اذا كان المبدل منه غير مقصود بالنسبة بل هو كالملقى
فيها استفهام ولما علق الفعل وهو بمعنى صار
الجملة في موضع نصب على اسقاط حرف الجر فهو مذهب في
الجملة على موضع عن الساعة لان موضع الجر نصب قل
انما علمها عند ربي اي استأثر بعلمها ولما كان السؤال
عن الساعة عموما لم خصص ما السؤال وقع فيها بادخال الجواب
عموما عنها بقوله قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها
لا يجليها لوقتها الا هو لم خصصت من حيث الوقت فقيل لا يجليها
لوقتها الا هو وعدم الاشعار من الجملة لي نص على ما من الغيب انه
تعالى لم يعلمها الا هو وقال الشعبي رضي الله عنه معنى ثقلت
يعني خفيت في السماوات والارض فلم يعلم احد من الملائكة المقربين
ولا الانبياء المرسلين متى تقوم وما خفي امر فعل على الجمهور انتفى
• لا تاتيكم الا بغتة يعني مجازاة على غفلة منكم وعدم شعور
بمجيئه • يسالونك كانك حفي عنها متعلق بيسالونك •
والحفاوة معناها الاعتناء والبحث والتعدي بالباء
والمعنى حفي بها اي معتن بها او بالسؤال عنها او عن مخافاتها قل
انما علمها عند الله وكرر ليبنى عليه قل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا الا ان شاء الله الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما
سبب نزول هذه الاية ان اهل مكة قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان نغلو فنشتري
ونربح والارض لك مخصبة فترحل عنها الى مكان اخصب فنزلت
تلك الاية ووجه مناسبتها لما قبلها ظاهر جدا وهذا
منه عليه الصلاة والسلام اظهار للعبودية وانتفاء عن
ما يختص بالربوبية من القدرة وعلم الغيب ومبالغة في لا
املك لنفسي نفعا ولا ادرك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر الا ما شاء الله ولو

بين

لت

سبب

كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير اي لكانت حالي على خلاف
ما هي عليه من استكثار الخير واستقرار المنافع واجتناب
السوء والمضار حتى لا يمسني سوء منها وظاهر قوله ولو كنت
اعلم الغيب على جهة انشا العلم عن الغيب على جهة عموم العلم كما
روي عنه عليه الصلاة والسلام لا اعلم ما وراء هذا الجدار
الا ان يعلمني ربي بخلاف ما عرف به هؤلاء الذين يدعون
الكشف وانهم بتصفية نفوسهم تحصل لها اطلاع على
المغيبات واخبار بالكوائن التي لم تحدث وما اكثر افتراء
هذا الخبر وخصوصا في ديار مصر حيث لم يسئل ذلك الى
رجل يستصبح بالنجاسة يظلم وهو لا يصلي ولا يستنجي من
نجاسة ويكشف عورته للناس حين يتوضأ وهو عار
من العلم والعمل الصالح فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
انا لله وانا اليه راجعون * الذي خلقكم من نفس واحدة
وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها انه لما تقدم قول الكفار
عن الساعة وقد فيها قال كان منهم من لا يؤمن بالبعث وكذا
خلق الانسان وانشاءه نبه على ان الاعادة ممكنة كما ان
الانشاء ممكن وقد مر تفسير نظرها * وجعل منها زوجها
ليسكن اليها اي ليطمئن ويميل اليها ولا ينفر عنها لان الجنس
الى الجنس اميل وآنس وان كان منها على حقيقة فالسكون
والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى الدرة ويحبها محبة تشد
او اكثر لكونها بعضا منه وانث في قوله منها ذهابا الى لفظ
النفس وذكر في قوله ليسكن اليها حملا على معنى النفس ليبين
ان المراد بها الذكر آدم او عين وان الذكر هو الذي يسكن الى
الانثى ويميل اليها فكان اذكر احسن طباقا للمعنى
* فلما تغشاها العشيان هو كناية عن الجماع ومعنى
حملا خفيفا انها استمرت بالحمل فلم تلق منه مشقة من
الكرب وما قد يعرض للحامل وحملت به قضى لحالي وحين لا مصدرا او ان
يكون ما في البطن ونخل بفتح الحاء ساكنا في بطن او على
رأس شجرة وبالكسر وكان على ظهر او على رأس غير شجرة * فمرت
به قال الحسن رضي الله عنه اي والمرا استمرت به او مضت به
اي وقت مسيرها من غير حرج ولا ارتياب فلما اثقلت
دخلت في الثقل كما يقول اصبح وامسى او صارت ذا
ثقل كما يقول ايمن الرجل والنبت اذا صار ذا يمن وبين
* دعوا الله ربهما اي الله او هما ومعنى الدعاء تحدث وقد يدل
عليه جملة جواب القسم اي دعوا الله ربهما لئن اتيتنا ولدا

صالحا ثم اقسما على انهما يكونان من الشاكرين ان اتاهما صالحا
ومن جعل الكلام لآدم وحواء عليهما الصلاة والسلام وهو
الظاهر جعل تسميتهما الولد الثالث عبد الحارث اذ كان قد
مات ولدان قبله كانا سميا كل واحد منهما عبد الله فاشار
عليهما ابليس لعنه الله تعالى في ان سميا هذا الثالث عبد
الحارث حرصا على حياته فالشرك الذي جعل لله سبحانه
وتعالى هو في التسمية فقط وقال الزمخشري رضي الله عنه
في الكلام حذف تقديره جعل اولادهما لهما شركا فيما اتاهما
بدليل قوله فتعالى الله عما يشركون فجمع لان آدم وحوا معصومان
عن الشرك فتعين ان المراد اولادهما وقرأ السلمي رضي الله عنه
عما تشركون بالتاء خطاب للكفار وكذلك الياء وتمت
قصة آدم وحوا عند قوله فيما اتاهما ثم استانف تنزيه الله
تعالى وتقديسه عما وقع من الكفار من الاشراك بالله عز
وجل ويدل على انتقال الكلام من قصة آدم وحواء عليهما
الصلاة والسلام الى حال الكفار الآيات الآتية بعد هذه
وهو قوله اتشركون الآية ومصدر الآية في قوله هو الذي
خلقكم اذ ضمير الخطاب يشمل المشركين وغيرهم ومنصب
آدم عليه الصلاة والسلام منزه ان يجعل لله شريكا اذ هو نبي
مرسل مكلم وقرئ شركا بالافراد وشركاء بالجمع • ايشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اي ايشركون الاصنام وهي لا تقدر
على خلق شيء كما يخلق الله تعالى ويوجدهم كما اوجدكم ويحتمل
ان يكون وهم عائدا على ما عاد عليه ضمير الفاعل في ايشركون
اي آ وهؤلاء المشركون يخلقون اي كان يجب ان يعتبروا
لكونهم مخلوقون فيجعلوا آلهتهم خالقهم لا من لا يخلق شيئا
• وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون الظاهر ان الخطاب للكافرين انتقل من
الغيبة الى الخطاب على سبيل الالتفات والتوبيخ على عبادة
غير الله عز وجل ويدل على ان الخطاب للكفار قوله بعد ان
الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم • وضمير المفعول
عائد على ما عادت عليه هذه الضمائر قيل وهي الاصنام والمعنى
وان تدعوا هذه الاصنام الى ما هو هدى ورشاد او الى ان
يهدوكم كما تطلبون من الله الهدى والخير لا يتبعوكم على
مرادكم ولا يجيبونكم اي ليست فيهم هذه القابلية لانها جماد
لا تعقل وعادل همزة الاستفهام في قوله ادعوتموهم بقوله
ام والجملة الاسمية بعدها من المبتدا والخبر لانها في معنى الفعل

اذا لتقدير امم صممت وحسن المجئ بالجملة الاسمية كونها فاصلة كالتي قبلها قال ابن عطية رضي الله عنه وفي قوله ادعوهم او انتم صامتون عطف الاسم على الفعل اذا التقدير امهم صموت ومثل هذا في قول الشاعر سواء عليك النفر او ثلبت لبكة باهل الفباب من نمير بن عامر انتهى وليس هذا من عطف الاسم على الفعل وانما هو من عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية واما الكسائي فليس من عطف الاسم على الفعل حتى من عطف الجملة الفعلية على الاسمية وهو المقدر في الجملة الفعلية اذا صل التركيب سواء عليك انفرت او ثبت لبكة فاذا وقع النفر موضع انفرت وتقدم الكلام في سواء على ما تقدمها في اوائل سورة البقرة ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم الآية في هذه الجملة على سبيل التوكيد لما قبلها في انتفاء كون الاصنام قادرة على شيء من نفع او ضر اي الذين تدعونهم وتسمونهم الهة من دون الله الذي وجدتموهم عبادا امثالكم وسمى الاصنام عبادا وان كانت جمادات لانهم كانوا يعتقدون انها تضر وتنفع وقال الزمخشري رضي الله عنه قوله عباد امثالكم هذا هو لنهر اد بهم اي فقايسوا امرهم ان تكون الاصنام عقلاء فاذا ثبت ذلك اي فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لان قائل ذلك ان قال فقد اخطأ في قياسه فهم عباد امثالكم لان المشبه بالشيء امثال ان لم يكن مثله في كل شيء فلا بد من مشاركة ما في بعض الاشياء فلا يلزم من كونهم عبادا امثالكم ان يكونوا احياء مثلكم ولا ان يكونوا مسمعين ولا ناطقين ولا ان يكونوا على صورتكم وشكلكم انتهى وليس كما ذكر لانه تعالى قد حكم على هؤلاء المدعوين من دون الله عز وجل انهم عباد امثالكم الداعين ولا يقال في الخبر من الله سبحانه وتعالى فان ثبت ذلك لانه قد ثبت ولا يصح ان يقال ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم فقال انهم ارجل يمشون بها لان قوله انهم ارجل ليس ابطالا لقوله عباد امثالكم لان المشبه بالشيء امثال في انهم مملوكون مقهورون وقد يكون المشبه بالشيء امثال في انهم مملوكون مقهورون وقد يكون المشبه بالشيء امثال في انهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ولا ينفعون بها مع ثبوت كونهم امثالكم فيما ذكروا بطل الابطال لا يتصور بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى لانه دال على كذب احد الخبرين وذلك مستحيل بالنسبة الى الله تعالى وقرأ سعيد بن جبير ان الذين حقيقة وعبادا امثالكم بنصب الدال والنون وانفق المفسرون رضي الله تعالى عنهم على تخريج هذه القراءة على ان ان هي الناصبة اعملت عمل ما المشبهة بليس ورفعت الاسم ونصبت الخبر فعبادا اسم امثالكم خبر منصوب قالوا والمعنى بهذه القراءة تحقير شأن الاصنام ونفي مماثلتهم للبشر بزعم قل واحقر اهي جمادات لا تفهم ولا

تعقل

٢٤٤

ولا تغفلوا عما لك ان اذعانك ما اتى الجمان بعيد خلافا لجار
ذلك الكسائي وابي الكوفيين رضي الله تعالى عنهم اجمعين من
البصريين ابن السراج والفارسي وابن جني ومنع من اعمالها
المبرد وكثير البصريين واختلف النقل عن سيبويه والمبرد
والصحيح ان اعمالها لغة ثبت ذلك في النثر والنظم
وقد بينا الكلام على ذلك بيانا شافيا مستوفى في شرح التسهيل
وقال النحاس رحمه الله عنه هذه قراءة لا ينبغي ان تقرأ بها
لثلاث جهات احدها انها مخالفة لسواد المصحف الثانية
ان سيبويه يختار الرفع في خبر اذا اذا كانت بمعنى فاجأ قال
ابن زيد لمستطيل ان عمدا صاعد وان يغنها فتكون
اضعف منها والثالث ان الكسائي راى انها في كلام العرب
لا تكون بمعنى ما الا ان يكون قبلها ايجاب انتهى وكلام
النحاس هذا هو الذي لا ينبغي ان يعمل لانها قراءة مروية عن
تابعي جليل وهي وجه في العربية واما الثلاث جهات
التي ذكرها فلا يقدح شيء منها في هذه القراءة اما كونها مخالفة
لسواد المصحف فلو خلا سطر الا نقطة وكتب المصحف
على لغة وبقعة في الوقف على المنون بغير الف فلا يكون
فيه مخالفة لسواد واما ما حكي عن الكسائي رضي الله عنه
وسيبويه حكيا عن سيبويه رضي الله عنهما فقد خلط لهم
هذا الرجل سيبويه في ان فجاءة عن الكسائي والنقل عنه
ايضا انه حكى اعمالها وليس بعدها ايجاب فهو الذي يظهر
لي ان هذا التخريج الذي خرجوا من انا رن للنفي ليس بصحيح لان
قراءة الجمهور تدل على ان اثبات كون الاصنام عبادا امثالا
عابديها وهذا التخريج يدل على نفي ذلك فيؤدي الى عدم مطابقة
احد الخبرين وهو لا يجوز بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى
وقد خرجت هذه القراءة على وجه غير ما ذكروه وهو ان تكون ان
اي المخففة من الثقيلة واعملها عمل المشددة وقد ثبت
ان ان المخففة يجوز اعمالها عمل المشددة في غير المضمر
بالقراءة المتواترة وان كلا لما لما نقل مصرح به عن العرب كذلك قد
نصب في هذه القراءة اخرها بما قضية عمر التي ابي ربيعة في
قوله ان حرا سادرا شد او قد وقف جماعة من النحاة الى
جواز وقف احمار ان واحوالها ليستدل على ذلك بسواد المصحف
ظاهر الدلالة على صحة ما قلناه فالخبر الذي بسواد المصحف
القراءة الشاذة يخرج على هذه اللغة او تحاول على تاويل
المخالفين لاهل هذا المذهب ونحاتهم قالوا ان تقديره انه كان راجعا

فكذلك تؤول هذه القراءة على اضمار فعل تقديره ان الذين
تدعون من دون الله خلقناهم عبادا امثالكم وتكون القراءتان
قد توافقتا على معنى واحد وهو الاخبار انهم عباد ولا يكون تنافٍ
بينهما وتخالف لا يجوز في حق الله عز وجل وترى ايضا ان
مخففة ونصب عباد على انه حال من الضمير المحذوف العائد
من الصلة على الذي وامثالكم بالرفع على الخبر اي ان الذين تدعون من
دون الله في حال كونهم عبادا امثالكم في الخلق او في الملك
فلا يمكن ان يكونوا آلهة الهم ارجل يمشون بها هذا هو استفهام
انكار وتعجب في تبيين انهم جماد لا حراك لهم اي لا حركة ولا بطش
وانهم فاقدون لهذه الاعضاء ومنافعها التي خلقت لاجلها فانتم
افضل من هذه الاصنام اذ لكم هذا التصرف وهذا الاستفهام
الذي معناه الانكار قد يتوجه الانكار فيه الى انتفاء هذه
الاعضاء وانتفاء منافعها فيسلط النفي على المجموع كما فسرناه
لان تصويرهم هذه الاعضاء للاصنام ليست اعضاء حقيقية
وقد يتوجه النفي الى الوصف اي وان كانت لهم هذه الاعضاء
النافعة وام هنا منقطعة فتقدر ببل والهمزة هنا
للاضراب اي وقد يكون اضراب على معنى الانتقال لا على
معنى الابطال وانما هو تقرير على نفي كل واحدة من هذه
الجمل وكان ترتيب هذه الجمل هكذا لانه بدا بالاهم
ثم اتبع بما دونه الى اخرها قل ادعوا شركاءكم لما انكر تعالى
عليهم عبادة الاصنام وحقر شانها واظهر كونها جمادا عارية
عن شيء من القدرة والاحساس امر سبحانه وتعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يقول لهم ذلك اي لا مبالاة بكم ولا بشركائكم
فاصنعوا ما تشاؤون وهو امر تعجيز اي لا يمكن ان يقع منهم
دعاء لاصنامكم ولا كيد لي وكانوا قد خوفوه الهتهم ومعنى
ادعوا شركاءكم استعينوا بهم على ايصال الضر الي ثم كيدوني
اي امكروا بي ولا تؤخرون عما تريدون بي من الضرر
وسمى الاصنام شركاءهم اي من حيث ان لهم نسبة اليهم
بتسميتهم اياهم الهة وشركاء لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين الاية
لما احالهم على الاستنجاد بالهتهم في ضره وان هم ان الله هو القادر
على كل شيء عقب ذلك بالاسناد الى الله عز وجل والتوكل عليه
والاعلام بانه تعالى هو ناصره عليهم وبين جهة نصره عليهم بان
اوحى اليه كتابه واعزه برسالته ثم انه عز وجل يتولى الصالحين
من عباده وينصرهم على اعدائهم ولا يخذلهم وقرئ ان وليي الله

بياء مشددة

٢٤٥

مشدّدة والذين تدعون من دون الله وهذه الآية
بيان لحال الاصنام وعجزها عن نصرة انفسها فضلا عن نصرة
غيرها وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا قرئ تاسق
الضمير بها يقتضي ان الضمير المنصوب في وان تدعوهم
هو للاصنام ونفي منهم السماع لانها جماد لا تحس وانت
لم تنظر هنا على سبيل المجاز بمعنى انهم صوّر وهم دوكما ترى
فمنهم من ينظر ومن قلت حدقته لك نظر فمعنى
الدين اني ايها الداعي وان لا تدعوهم قولا وترا هم ينظرون
اليك من جملة الشرط وجملة النفي لا محل لها من الاعراب خذ العفو
وامر بالعرف الآية هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعم جميع امته وهي امر بمكارم الاخلاق ه
وقرأ ابو عمرو امر على اسناد الامر الى الله عليه وسلم اي اني قو
عليه الصلاة والسلام يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا
وقال حاتم الطائي رضي الله تعالى عنه

خذ العفو مني تستديم مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

واعرض عن الجاهلين وامّا ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله انه سميع عليم اذ وامّا يسدّنك بدل يحملنك
بوسوسة على ما لا يليق فاطلب العياذ بالله تعالى منه ونبي
اللواذ والاستحياء قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت
قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف والغضب فنزلت وامّا ينزغنك الى آخر الآية
وان شرطية وما زائدة وتنزغ نقوى الفاعل وهو مصدر
يراد به اسم الفاعل اي نازغ من الشيطان وهذا التركيب
جاء في القرآن كثيرا تزاد ما وسمّي التأكيد كقوله
تعالى وامّا تخافن من قوم خيانة وكقوله ارضا وامّا ينزغنك
بعض الذي نعدهم وقد حتم هذه الآية لها من الصبر
لان الاستعاذة تكون باللسان ولا تحدي لا بما يحضر
معناها والمعنى انه تعالى سميع للاقوال عالم بما في الضمائر
ان الذين اتقوا آذا مسّهم طيف من الشيطان تذكروا اذا هم
مبصرون الآية قرئ طيف مخففا من طاف كما قالوا ميت
في ميت قال ابن عطية وقال الكسائي الطيف اللمم وانطاف
بهم طاف حول الانسان وقد بعد او قد قال الاصمعي
ويقبح عن عرب الشرى وكاءها ... القرّ بها من طائف الجن اولق
انتهى ولا يتجه ما ذكر الكسائي رضي الله عنه الطائف ساطا ف
حول الانسان بعد الطيف لانه يصح فيه معنى ما قاله الكسائي

امر

بر

اغضب

عليم

بن

لانه ان كان يعتقد وانكاره من حيث خصوص الانسان قالت
قائلة الاعشى سلسلة لا تعقل كانها وان كان يعتقد من حيث
تسخر بالمد ما طاف حول الانسان فطائف الجن يضع اين تيمل
طاف حول الانسان وسبته اي الناقة في شرعتها وتشاطها
وقطعها اعنيا في عملة بحالها اذا ارتطمها او دلق من طائف
الجن والنزغ من الشيطان اخف من مس الطائف من مكر الشيطان
لان النزغ اعم في حركة والمس ادنى الاصابة والطائف هو
ما يطوف ويدور عليه فهو ابلغ لا محالة فحال المتقين في ذلك
غير حال الرسول عليه الصلاة والسلام وانظر الى حسن هذا
البيان حيث كان الكلام للرسول صلى الله عليه وسلم كان الشرط
بلفظ ان المحتملة للوقوع وعدمه وحيث كان الكلام للمتقين
كان المجيء باذا الموضوعة للتحقق اللهم رجح وعلى هذا
فالنزغ يمكن ان يقع ويمكن ان لا يقع والمس واقع لا محالة
او مرجح وقوعه ولهذا في المس باكسر وهنا استعاذ
وفي تلك الجملة امر هو صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة وهنا
حاز الجملة خبرية في ضمنها الشرط وجاء الخبر تذكروا اذ
فلك عن تمكن من الطائف حتى حصل نسيان فتذكروا فاذا نسوة
والمعنى تذكروا ما امرتم تعالى وما نهى عنه وتفتش التذكر
حصل انصارهم وما حاسم ابصار الحق وانشراد وانقمعوا
وطردوا عنهم مس الطائف وانقوا بارعاية في كل ما تتقي
واخوانهم يمدونهم بي كالصبيان الغاوين في قوله واخوانهم يمدونهم
المضمر يعود على ما عاد عليه الضمير في واخوانهم وفي يمدونهم
من امد ويمدونهم من مد ومما بمعنى واحد وفي اليمن
مفعل يمده ويمنهم ثم لا يقصرون اي لا يكفون عن امدادهم
في الغواية واذا لقائهم ما قد قالوا لولا اجتبيتها روي ان الوحي
كان متأخرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا فكان الكفار
يقولون هلا اجتبيتها ومعنى هذه اللفظة في كلام العرب وهي
تخيرها واصطفيتها قال ابن عباس رضي الله عنهما قبل لهم يعجبون
لهذه اللفظة هلا اخترعتها واختلقتها من قبلك ومن عندك
نفسك فقل لهم للمتخصصين بمعنى هل لا قل انما اتبع
ما يوحى الي من ربي الآية بين انه ليس يجيء الآيات البتة انما
هو متبع ما اوحاه الله تعالى اليه وليست بمفتعلة هذا
بصائر من ربكم ان هذا الوحي الذي انا اتلوه لا ابتدعه
وهو لقرآن بصائر اي هو حجج وتبيانات يتبصر بها وبه قد تتضح
الاشياء الحقيات وهي جمع بصيرة كقوله ادعو الى الله على بصيرة

انا وزاينجي

انا ومن اسبحي اي على امر جبلي منكشف واخبر عن المفرد بالجمع لاشتمال على
صور واجبة وقيل هو على حذف مضاف اي ذوا وضمائره وهدى
ورحمة للمؤمنين اي دلالة الى الرشد ورحمة في الدين والدنيا
وخص المؤمنون لانهم هم الذين تنتفعون
بالوحي ويتبعون ما امر به ويجتنبون ملهما نهم عنه اي ما نهوا
عنه ويؤمنون بما تضمنه واذا قرئ القران فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحمون الآية روي انها نزلت في المشركين
كانوا اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون لا تستمعوا
لهذا القران والغوا فيه فنزلت جوابا لهم وكما ذكر ادب
القران بصائر وهدى ورحمة امر باستماعه اذا شرع في قراءته
وبالانصات وهو السكوت مع الاصغاء اليه لان ما اشتمل على
هذه الاوصاف من البصائر والهدى والرحمة حري بان يصغى
اليه حتى يحصل منه المنتحت هذه النتائج العظيمة وينتفع
بها فلسنتصر من العمى والصمم على الصلاة وترحم بها والظاهر
استدعاء الانصات والاستماع او اخذ في قراءة القران ومعنى
قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة لما امرهم بحالة وهما
بالاستماع والانصات اذا شرع في قراءة القران ارشد الى ما هو بحالة
ونفع الى اخص عباده صلى الله عليه وسلم بذكر يتهم في نفسه اي بحيث
يوافقه وبذكرني الحالة التي لا يشعر بها احد وهي الحالة الرفيعة
العلماء اس ان يذكره دون الجهر من القول اي بذكره بالقول
الخفي الذي يشعر بالتذلل والخضوع من غير صياح ولا نصوت
كما ينادي الجلوف ويستجلب منهم الغائب وكما قال صلى الله عليه
وسلم للصحابة وقد جهروا بالدعاء انكم لا تدعون اصم ولا غائبا
ادعوا على انفسكم واذكر ربك اي ما كل امرك والسائر في مصالحك
وفي نفسك متعلق باذكر وتضرعا وخيفة مفعولان من
اجله اي للتضرع وخيفة او مصدران منصوبان على الحال اي ذا
متضرعا وخائفا ودون الجهر معطوف على قوله في نفسك
اي بذكر اني نفسك وبذكر دون الجهر بالغدو والآصال كان جمعا لغدوة
فهو مقابل بالجمع وهو قوله والآصال وان كان مصدر الغدو
فيكون على حذف تقديره باوقات الغدو والظاهر اقتضاء
الامر بالذكر على هذين الوقتين وقيل المراد بهما الاوقات
والقصر عليهما لانهما طرفا ذلك الاوقات والآصال هي العشايا جمع
اصل وهي العشية ولما امر تعالى بالذكر اكد ذلك بالنهي عن
ان يكون من الغافلين اي لستدم الذكر ولا تغفل عنه طرفة عين ومعلوم
انه عليه الصلاة والسلام تستحيل عليه الغفلة لعصمته عليه الصلاة والسلام

اي احق

فهو نهي لهم والمراد اعتقاده ان الملك عند ربك لا يستكبرون
اي لا يتكبرون عن عبادته ويسبحونه ولا يسجدون قال ابن
عباس رضي الله عنهما ومعنى العندية هنا الزلفى والمرتبة
اي انهم عنده تعالى بالمكانة لا بالمكان وذلك لموقرهم على طاعته
واستغراقهم في محابه ولما امر سبحانه وتعالى بالذكر ورغب في كثرته
المواظبة عليه كرر سبحانه ذلك فاخبر عنهم باختيار فلاقة
الاول في الاستكبار عن عبادته وذلك هو اصل اظهار العبودية
وفي الاستكبار هو الموجب للطاعات كما ان الاستكبار هو الموجب
للعصيان لان المستكبر يرى لنفسه شرفا ومرتبة فيمتنع
وذلك من الطاعة والثاني اثبات التسبيح منهم لله تعالى وهو التنزيه
والتطهير عن جميع ما لا يليق به تعالى والثالث السجود
لله تعالى وقد كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار
فكانت على قسمين عبادة قلبية وعبادة جسمانية فنفى هاهنا
القلبية فقد اثبت الله تعالى عن الملائكة والجسمانية التسبيح
وهو الخاتم ليكون فيه العبد قريبا من ربه عز وجل كما ورد في
الحديث اربط النعال وحق لها ان تنشط ما فيها موضع شبر
الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد وقال بعضهم هنا سؤال
في تقديم الجار والمجرور في قوله لله يسجدون اشعارا بانهم لا يسجدون
لغيره وقد سجد ولاد آدم عليه الصلاة والسلام فاجيب عنه بان الذين
سجدوا لآدم عليه الصلاة والسلام ملائكة الارض خاصة وكرد
عليه فوق العموم في قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون ويمكن ان
يجاب عن ذلك بان السجود لآدم كان لله في الحقيقة وآدم كالقبلة

سورة الانفال بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال
الآية هذه السورة مدنية كلها الا سبع آيات اولها واذكروا اذ انتم
الذين كفروا الى آخر الآيات قال ابن عباس رضي الله عنهما واجدادي
لها ان لست في يوم بدر وفي عسكره وقال ابن زيد رضي الله عنه
لم نسخ فيها انما الخبر ان الغنائم لله تعالى من حيث امر ملكه
ورسوله والرسول صلى الله عليه وسلم من حيث هو مبين لحكم
الله تعالى والصادع فيها لجميع المسلمين فيها من الناس وحكم القسمة
بينهم في حلال ذلك وانفال جمع نفل قال ابن عباس رضي
الله عنهما وجماعة ايضا هي الغنائم فاتقوا الله واصلحوا ذات
بينكم امر باصلاح ذات البين وهذا يدل على انه كانت بينهم
مباينة ومباعدة وربما خيف ان تفضي بهم الى افساد ما بينهم
من المودة والمصافاة وتقدم الكلام على ذات في قوله ذات
الصدور والبين هنا هو الفراق والتباعد وان هنا نعت لمفعول

محذوف

انتهى والله اعلم

محذوف اي واصلحوا احوال ذات افتراقكم لما كانت الاحوال
ملابسة للبين اضيفت صفتها اليها كما تقول اسقني ذا ان
اي ما صاحت آفاك لما لابس الماء الان او صف بذا وقار
اي صنيعك الى الاخاء والمعنى اصلحوا ما في الان من المساءة
• واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم كاملي
الايمان قال ابن عطية رضي الله عنه جواب الشرط في قوله
المتقدم واطيعوا هذا مذهب سيبويه وقد ذهب ابو العباس
رضي الله عنه ان الجواب محذوف متأخر يدل عليه المتقدم
تقديره ان كنتم مؤمنين اطيعوا ومذهبه في هذا ان لا
يتقدم الجواب على الشرط انتهى والذي قاله مخالف لكلام بعض
النحاة فانهم يقولون مذهب سيبويه رضي الله عنه ان الجواب
محذوف وان مذهب ابي العباس وابي زيد الانصاري
والكوفيين جواب تقديم جواب الشرط عليه وهذا هو النقد
الصحيح • انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
قرئ بفتح الجيم وهي لغة فلما كان معنى قوله ان كنتم
مؤمنين اي ان كنتم كاملي الايمان قال انما المؤمنون اي
الكاملوا الايمان ثم اخبر عنهم بموصول وصلت بثلاث
مقامات عظمة في مقام الخوف ومقرا الى زيادة الايمان
ومقام التوكل ويحتمل قوله اذا ذكر الله ان يذكر اسمه فقط
ويلفظ به فقط وقولهم لذكره استعظاما له وتهيبا واجلالا
ويحتمل ان يكون ذكر الله على حذف مضاف اي ذكر وقت
عظمته تعالى وقدرته وما خوف به من عصاه • واذا
تليت عليهم زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات
عند ربهم ومغفرة ورزق كريم حسن ان يكون الذين صفة
للذين السابقة حتى تدخل في حيز الخبرية فيكون ذلك حكما
على المؤمنين بثلاث الصلاة القلبية وعنهم بالصفة الاولى
والصفة الثالثة وجمع افعال القلوب لانها اشرف وجمع
في افعال الجوارح والظاهر ان قوله ومما رزقناهم ينفقون
عام في الزكاة ونوافل الصدقات وصلة الارحام وغير
ذلك من المبار الثالثة • اولئك هم المؤمنون حقا وقوله
حقا اما مصدر محذوف تقديره ايمانا حقا او يجوز ان يكون توكيدا
لمضمون الجملة السابقة فيكون العامل فيه هنا محذوفا تقديره
احقه حقا وهم من قولهم المؤمنون يجوز ان يكون فصلا
بين المبتدا والخبر وان يكون مبتدأ خبره المؤمنون والجملة خبر

ويجوز ان يكون فصلا بين المبتدا والخبر ويجوز ان يكون توكيدا
للمضمون الجملة السابقة فيكون الخامل منسحبا وفائدة
احتمالا وهم في قولهم المومنون يجوز ان يكون فصلا بين المبتدا
والخبر وان يكون مبتدا خبره المومنون والجملة خبر اولئك
ويجوز ان يكون بدلا من اولئك • لهم درجات عند ربهم ومغفرة
ورزق كريم لما تقدمت ثلاث صفات قلبية وبدنية
ومالية ترتب عليها ثلاثة اشياء فقوبلت الاعمال القلبية
بالدرجات والبدنية بالغفران وقوبلت المالية بالرزق الكريم
وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع • كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق ذكر في الكشاف في تاويل هذه الآية خمسة اوجه
قول لم يصح شيء منها ومن دقة كلام الله خفاء وجه النظم في انشاء
اقاصيصه وتداول الفصاحة والبلاغة المستحسن منها
من تلك الاقوال وان كان بعض فيها له اتساعة في علم
النحو ورسوخ قدم فيه لكنه لم يتمكن بذوق الكلام ولم يكن
في طبعه صنوعة احسن صنوع ولا التصرف في النظر فسر من تحت
الفصاحة وما به يظهر الاعجاز وقل تشطر هذه الاقوال
في التحذوف فلنذكر ها جملة منها فلم يقع بخاطري منها شيء فرات
في المنام اني امشي في رصيف ومشى رجل امامي فقوله عز
وجل كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فقلت لرما مر بي
شيء مشكل في القرآن مثل هذا او لعل ثم محذوفا
يصح به المعنى وما وقفت فيه لاحد من المفسرين على شيء طائل
ثم قلت لقد ظهر لي الساعة تخريجه واذا ذاك التحذوف
هو نصرك والمحسنات الاذكار الى اجل هذا التخريج بهما انتبهت
من النوم وانا اذكر والتقدير وكارهون فريقا منهم كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق اي بسبب اظهارك دين الله عز وجل واعزاز شريعته وقد كرهوا
خروجك لقيا القتال وخوفا من الموت اذ كان امرا عليه الصلاة
والسلام بخروجهم بغتة وما كانوا مستعدين للقتال وحاذلوك في الحق
بعد وضوحه نصرك وامدك بملائكته ودل على هذا التحذوف
الكلام الذي بعده وهو قوله تعالى في الآية الآتية اذ تستغيثون
ربكم الآيات وظهر ان الكاف في هذا التخريج الما ليس هو
لمحض التشبيه بل فيها معنى التعليل وخرجوا عنه قوله تعالى واذكروه
واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين وقوله اشداء بعضهم
لاشتم الناس كما لا تشتم اي لا تشاء ان لا تشتمك الناس فلا
تشتمهم ومن اذ كلام الشافعي على هذا المعنى كما نطيع الله يدخلك
الجنة اي لا اطاعتك الله يدخلك الجنة فكان المعنى لاجل ان اخرجك

لا عمران

لاعزاز دين الله وقتل اعدائه وان لا تكلمت نصرك الله تعالى
وامدك بالملائكة والظاهر ان من بيتك هو مقام سكناه
بالمدينة لانها مهاجن ومختصة به والواو في قوله وان فريقا هي واو
الحال ومفعول كارهون هو الخروج اي كما يكارهون الخروج
والظاهر ان ضمير الرفع في قوله يجادلونك عائد على فريق من
المومنين الكارهين وحدا لهم هو قولهم كما نخرجنا الا للغير
ولو عرفنا لاستعددنا للقتال والحق هنا نصر دين الاسلام
ويحتمل ان يكون قوله هنا يجادلونك استيناف اخبار وما في
قوله ما بدت من مصدرية اي بعد تبينه وقد ابلغ في الانكار
لجعله اللمز بعد وضوح الحق كما سبق ان قتال الموت وهم ينظرون
شنعة حالهم في رد قرعهم وهم شاهدوا الظفر والغنيمة
بجدارس ساق على حالة الصغار والذل الى الموت وهو مشاهد
لاسبابه فاطمأن اليها لا شك فيها وهل كان خوفهم لقلة العدد
وانهم كانوا حالة تشتد لهم اي مشاة وركبانهم ما كان
فيهم الا فارسان وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وكان العسكر
في نحو الف رجل وقصة بدر مستوعبة في كتب السير وانه
يعدكم احدى الطائفتين انها كلم الالهية هنا غير معينة
والطائفتان هما طائفة عير قريش وكانت ذات تجارة عظيمة لهم
ومعها اربعون راكبا ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام
وطائفة من الدين استنفرهم ابو جهل وكانوا في العدد الذي ذكرنا
وعرفت الشوكة هي الحد لانها لسيت ذات قتال بها في غيمة
باردة ومعنى احقاق الحق تثبيته واعلاؤه وكلمات مائة المنزلة
في محاربة ذات الشوكة وما امر الملائكة من ردفهم ولم تلهم
وبما قضوه من بعض وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وبما اظهر من
خبره صلى الله عليه وسلم قطع دابر عباد عن استيصالهم
والمعنى انكم ترغبون في الفائدة العاجلة وسلامة الاخوال وامره
تعالى يريد معالي الامور واعلاء الحق والفوز في الدارين وشتان ما بين
المرادين ولذلك اختاركم ذات الشوكة وان اكثر عيانا حذف نصب
ونصركم واذلالهم واعزازكم وحصد بكم ما اذرى على فائدة العدد
وما ادماه واقل حيرة منها او تغلبون ركبكم او مدد من اذ يعدكم
واستغاث اي طلب الغوث تعلمون انه لا بد من المتالي شرعوا
فطلب الغوث من الله سبحانه وتعالى والدعاء بالنصر والظاهر
انه خطاب للمحاطب بقوله واذ يعدكم الله وفي دون وان الخطاب
في قوله كما اخرجك وبحادلونك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولذلك افرد فالخطاب لاثنين مختلفين ينعدي بنفسه كما لوفي

مستغيثون ربكم

الآية الكريمة

وكما مر في قوله فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه
وسيعود بحر وآخر ايضا مما جاء في لفظ س في باب الاستغاثة
وكقول الشاعر ايضا حتى استغاثت بماء لا رشاء له
من الاباطح في حافاته البرك والظاهر ان قوله من قوارف فيه
بسكون الراء وفتح الالف انه صفة لقوله بماء اي ارد في
بعضهم بنجف وما جعله الله الا شرى الضمير في قوله وما هذه
عائد على الاله هذا الذي تسكه من قوله ان ممدكم وتقدم تفسير
هذه الآية والمعنى الا شرى لكم وثبت في آل عمران لان القصة
فيها مشتملة وهنا موجزة فناسب هناك الحذف وهنا تقدم به وآخر
هناك على سبيل التفنن والاتساع في الكلام وهنا جاء ان الله
عز بحكيم من اعاه لاقاه آخر الاي وهناك ليست بآخر آية
لتعلق لم يقطع بما قبله فناسب ان يأتي العزيز الحكيم على سبيل
الصفة وكلاهما مشعر بالعلة كما تقول اكرم زيدا العالم وآكرم زيدا
وآكرم زيدا انه عالم وقد اجاز ذلك الكسائي والاخفش
رضي الله عنهما واما كونه منصوبا من معنى الفعل وضعفه
المعنى لانه يصير كقولك ان النصر يعتمد بالظرف والنصر من عند
الله مطلقا في وقت على الناس دونه واما كونه منصوبا
بما جعله الله فقد سبقه اليه الحوفي رضي الله عنه وهو ضعيف ايضا
لطول الفصل ولكنه معمول لما قبل الا وليس في آخر تكذيب الله
وانتصب له على انه مفعول من اجله لاتحاد الفاعل في قوله
من قراره فغشيكم والمعنى والله تعالى اعلم ليطهركم به اي من
الجنابات وكان المؤمنون لحق اكرام في سرهم الجنابات وفقدوا
الماء وكانت بينهم وبين ماء بدر مسافة طويلة من رمل دهس
ليس مستوحش تسوخ فيه الارجل وكان المشركون قد سبقوهم
الى الماء فنزلوا وكان نزول المطر قبل ذلك كما قال تعالى اذ يغشاكم
النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب
عنكم رجز الشيطان اي عذابه لكم بوسوسته والرجز مخاة العذاب
والظاهر ان تثبيت الاقدام هو حقيقة لان المكان الذي وقع فيه القتال كان وحلا تغوص فيه الاقدام وليدم المطر حتى تثبت
عليه الاقدام والضمير في به عائد على المطر وانظر الى فصاحة
محيي هذه التعليلات في ادائها وفي لائمها التعليل الظاهر وهو
تطهيرهم من الجنابة وهو فعل حسماني اعني اعتسالهم من الجنابة
وعطف عليه بغير لام العلة ما هو من لازم التطهير وهو اذهاب
رجز الشيطان حيث وسوس اليهم بكونهم فصلوا ولم يغتسلوا
من الجنابة ثم عطف بلام العلة ما ليس بفعل حسماني وهو فعل

محله القلب

محله القلب وهو التشجيع والاطمينان والصبر على اللقاء
وعطف عليه بغير لام العلة ما هو من لوازمه وهو كونهم قد
لا يفرون وقت الحرب فحين ذكر التعليل الظاهر الجسماني
والتعليل الباطن القلبي ظهر حرف التعليل وحين ذكر
لان مهما لم يوكد بلام التعليل وبدا اولا بالتطهير لانه الاكد
والاسبق في الفعل والذي يؤدي به افضل العبادات
ويحيى به القلوب اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا
الذين امنوا هذا ايضا من تعدد النعم اذ الايحاء الى الملائكة
بانه تعالى معهم اي ينصرهم ويعينهم تقدم ان الخطاب السابق
مر للمؤمنين وهنا جاء الخطاب في قوله اذ يوحي ربك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وحده من ربه اي مالكه والناظر في اصلاحه
والمراد بالملائكة هاهنا الذين امد الله بهم المؤمنين وقوله اني معكم
اي بالتاييد والعون والنصر ثم امر الملائكة بتثبيت المؤمنين
واخبر انه سيلقي الرعب في قلوب الكفار ثم امره بضرب ما فوق
الاعناق وهي الروس وضرب كل بنان وهي الاصابع اسم
جنس الواحد منها بنانة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله الاشارة
الى ما حل بهم من القاء الرعب في قلوبهم وما اصابهم من الضرب
والقتل والكاف لخطاب السامع وذلك مبتدا وبانهم خبره
والضمير هنا عائد على الكفار وتقدم الكلام في المشاقة
في قوله تعالى فانما هم في شقاق والمشاقة هنا مفاعلة فكانه
تعالى لما شرع شرعا وامر بامر بامر وكذبوا هم وضدوا
تباعد ما بينهم وانفصل وانشق وعبر المفسرون عن قوله
شاقوا الله اي صاروا في شق غير شقه والضمير في جملة الجواب
العائد على اسم الشرط الذي هو من محذوف تقديره شديد
العقاب له ذلكم فذوقوه الاية جمع تعالى لهم بين العذابين
عذاب الدنيا وهو المعجل وعذاب الاخرة وهو المؤجل والاشارة
بذلكم الى ما حل بهم من عذاب الدنيا والخطاب هنا للمشاقين
ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الاخرة يسير سمي ما قد
اصابهم منه ذوقا لان الذوق يعرف به الطعم وهو يسير
ليعرف به حال الطعم وذلكم مبتدا خبره محذوف تقديره
ذلكم العقاب او خبر مبتدا مقدر محذوف الخبر تقديره
العقاب ذلكم وقال الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان يكون هو
نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه انتهى
ولا يجوز هنا هذا التقدير لان قوله عليكم من اسماء الافعال فلا
تضمر وتشبيهه له بزيد فاضربه ليس بجيد لانهم لم يقدروه

ابين
شاقه

بعليك زيدا فاضربه

واعلم ان الموصول صفة على الاصح شتقبال وان للكافرين عذاب النار
قال ابن عطية رضي الله عنه اما على تقدير وحتم ان فيقدر ابتداء
محذوف فيكون ان جردوا اما على تقدير واعلموا ان فهي على هذا
في موضع نصب بنتي وقرأ الحسن وزيد بن علي وسليمان التيمي رض
انهم بها وان بكسر الهمزة على الاستئناف واخبار موقنة على العلة وكون
عذاب النار لهم وهي الكفر بالقيا الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا فلا تولوهم الادبار وانتصب زحفا على الحال من المفعول
اي زاحفين اليكم في من الفاعل اي زاحفين اليهم او منهما اي متزاحفين
وآل الامر الى هذا الزحف هو الدنو قليلا قليلا يقال زحف البعير
يزحف زحفا اذا مشى ومن قولهم ترميد دبر الامر فالقتال
او مستحيز الى فئة الاية وانتصب قوله هنا ومن يولهم يومئذ
دبره فقد باء بغضب من الله كان المعنى فقد ولى مضمونا
بغضب الله عز وجل قال الشاعر ولشاغل الاعقاب يحرى كلومها
ولكن على اقدامنا تقطر الدما والظاهر ان الجملة المحذوفة
بعد اذا وخوض عليها التنوين اي قوله اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا اي اذا لقيتم الكفار وانتصب متحرفا ومتحيزا على الحال
من الضمير المستتر في يولهم العائد على من وقوله الا متحرفا والتحرف
للقتال هو الكر بعد الفر يخيل لعدو انه منهزم
ثم يعطف عليه وهذا من باب خدع الحرب ومكايدها وقوله
تعالى ان متحيزا اسم فاعل من تحيز اصله تحيوز تفعل
من الحوز اجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون وقلبت
الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصار تحيز ونحوه وقوله
وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس المصير
هي اي جهنم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم رجع الصحابة
من بدر ذكروا مفاخرهم فقول انا قتلت منهم قتلت كذا
وكذا واسرت كذا وكذا فنزلت تلك الاية قال الزمخشري
رضي الله عنه والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم
بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم انتهى وليست الفاء جواب
شرط محذوف كما زعم وانما هي للربط بين الجمل لانه لما قال
فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان كان امتثال المامور
به سببا للقتل فقيل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اي لستم انتم
مستبدين بالقتل بل الله اقدره عليه فالحق لم اما هو سبب
وحث لستر للقاتل فيها شيء لكذا جرى عليه فنفى عنهم انفراد
القتل واثبته لله سبحانه وتعالى وعطف الجملة المنفية على
الجملة المثبتة بلم لان لم نفي للماضي وان كان بصورة المضارع

وما رميت

• وصاوصت اذ رميت ولكن الله رمى قال ابن عباس رضي الله عنهما
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قبضة من تراب
فرماهم بها وقال شاهت الوجوه اي قبحت فلم يبق مشرك
الا دخل في عينيه وفي منخريه وفي فمه منها شيء وتحتي لكن رميها
في الموضعين احسن تحييري لكونهما بين نفي واثبات فالمثبت
لله تعالى وهو المنفي عنهم وهو حقيقة القتل وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا قال السدي رضي الله عنه اي ينعم عليهم بالغنيمة
عليهم فقال ابلاه اذا انعم عليه وبلاه اذا امتحنه والبلاء
يستعمل للخير والشر والبلاء الحسن قيل ما ينصر والغنيمة
وقيل الشهادة والكلام في قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا
اي يتفضل بالمحذوف بعد الواو بتقديرين وفعلنا ذلك اي
قتلهم ورميهم ان بعد المحذوف في اخر الجملة بتقدير بلاء حسنا
فعلناه لان الله سميع عليم اي سميع لكلامكم وما تفخرون
به عليم بما انطوت عليه الضمائر وذلكم وان الله موهن كيد
الكافرين قال الزمخشري ولكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع
وان الله موهن معطوف على قوله وليبلي يعني ان الغرض ابلاء
المؤمنين وتوهين كيد الكافرين انتهى وهذا فيه بعد لفصل
المعطوف الذي هو ان الله على المبتلو بجملتين احداهما وان الله سميع
عليم والاخرى ما قدرتم في قوله ولكن الله قتلهم وقال ابن عطية ولكم اشارة الى
ما تقدم من قتل الله لهم ورميه اياهم وموضع ذلك من الاعراب
رفع قال سيبويه التقدير الامر ذلكم وقرئ موهن من
وهن والتعدية بالتضعيف فيما علمته حرف حق غير الهمزة
قليل نحو ضعفت وهنت وبابه ان تجيء بالهمز نحو اوهنه
واوهنه وقرئ موهن اسم فاعل من اوهن وقرئ بالتنوين
ونصب كيد ومجنه فر وجر كند على الاضافة ان تستفتحوا
خاطب المشركين قال الجمهور وهي خطاب لاهل مكة على جهة التهكم وذلك
انهم حين ارادوا ان يسيروا وان يخلقوا استاروا الكعبة وقالوا
اللهم انصر اعلى الفئتين واكرمهما وافضلهما للرحم
وارفع مكانا للعاقبة ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على
حق فانصرنا فنزلت فلك الآية • وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا
نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله الظاهر انه خطاب للمؤمنين
الخلص حضهم بالامر على لطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وانهم بالامر رفعا لان ارهم • ولا تولوا عنه وانتم تسمعون الضمير
في عنه عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وانتم تسمعون اي القرآن

هلته

شيل

بالطاعة والله اعلم

• ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون • ان شر الدواب الآية
تقدم الكلام على القسم التي لكم في البقرة وقيل نزلت في طائفة
من بني عبد الدار كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عن ما جاء به
محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا كافرين حديث وكان في اصحاب
اللواء • ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم قال ابن عطية روى انه
اخبر سبحانه وتعالى بانتفاء سمعهم وهذا انما هو بما علم
الله تعالى منهم وسبق من قضائه عليهم فخرج ذلك في عبارة بليغة
عن ذمهم بفقد ما لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم والمراد هنا
اي لا اسمعهم سماع هدى وافهام ثم ابتدأ عز وجل
الخبر عنهم بما هم عليه من حتمه عليهم بالكفر فقال عز وجل •
ولو اسمعهم اي ولو فهمهم لتولوا وهم معرضون تحكم القضاء
السابق فيهم ولا عرضوا عن ما تبين لهم من الهدى يا ايها الذين
امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم تقدم الكلام
على استجاب في قوله فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون
وارد الضمير في دعاكم كما افرده في ولا تولوا وانظاهر تعلق لما
بقوله دعاكم ودعي يتعدى باللام قال الشاعر دعوت لما نابني مسورا
وقال اخر وان ادع للجلي اكن من حماتها • واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه العمر انه تعالى هو المتصرف في جميع الاشياء
والقادر على الحقيقة ومن الانسان وبين ما تسهيله قلبه فهو
الذي يبغي ان تستجاب اذا دعي اذ بيده ملكوت كل شيء ورماه
وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
هذا الخطاب طامن الهموم بانقضاء الفتنة اي لا تجتمعن ما ظالم
ولا غير الصالح والطالح والجملة في قوله لا تصيبن جزم صفة
لقوله فتنة اي غير مصيبة الظالم خاصة الا ان دخول نون التاكيد
على المنفي بلا مختلف فيه والجمهور لا يجيزونه ويحملون ما جاء منه
على الضرورة او على الندور الذي يختاره الجواني والدماميني بين
النحويين واذا كان قد جاء لحاقها الفعل منفيا بلا مع الفعل
نحو فلا اقسم لئن لم تترك للنعمان واد قال قرطي وخذر شوة
لئن والان تلحقه مع غير الفعل ارق فلحق لا تصيبن وزعم
الزمخشري رضي الله عنه ان الجملة صفة وهي نهي قال وكذلك
اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا
فيها لا تصيبن وزعم الفراء رضي الله تعالى عنه ان الجملة هنا
جواب للامر كقولك اي نحوفوك اترك عن الدابة لا تطرحنك
اي تترك منها لا تطرحنك ومنه لا يحطمنكم اي ان تدخلوا لا
لا يحطمكم فدخلت النون فيه هنا لما فيه من معنى الجزاء انتهى

وهذا المثال

وهذا المثال وقوله ادخلوا ليس نظير قولك واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لانه يلتظم من المثال والاية
شرط وجزاء كما قدمنا ولا يلتظم ذلك هنا الا ترى انه لا يصح
تقدير ان تتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة لانه لا
تترتب اداة الشرط على مقتضاه من جملة المعنى واحد
الى محترى قول الزمخشري رضي الله عنه وزاده فسادا وخبط فيه وغلط
فقال وقوله لا تصيبن لا يخلو امن ان يكون جوابا للامر
او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى
ان اصابتكم فتنة لا تصب الظالم منكم خاصة ولكنها تعمكم انتهى
تقرير هذا الوقوف فانظر اليه كيف صور ان يكون جوابا للامر
الذي هو واتقوا فتنة ثم اخذ في بيان ان اداة الشرط داخلة على غير
مضارع الامر فقال والمعنى اذا اصابتكم يعني الفتنة و
انظر كيف قدر الشرائي قوله انزل عن الدابة لا تطرحك
وفي قوله ادخلوا فلا تطرحك اداة الشرط على مضارع فعل الامر و
تقدر وكان جوابا للامر وفسر بحذر تحاف اخر وكرباها في
كتابه المسمى بالبحر المحيط انتهى وقد قال ان محترى رضي الله عنه
معنى قوله خاصة اصلة ان يكون نعتا لمصدر محذوف اي
اصابة خاصة وهي حال من الفاعل المستكن في قوله لا تصيبن
ويحتمل ان يكون حالا من الذين ظلموا اي مختصين بها
بل يعمهم وغيرهم قال ابن عطية ويحتمل ان يكون خاصة حالا
من الضمير في ظلموا انتهى ولا اتعقل انا هذا الوجه
• واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض هذه الاية نزلت
عقب غزوة بدر فقيل خطاب للمهاجرين بمكة وقبل العدد
مفهومين فيها بحاتون ان تستلبهم المشركون قاله ابن عباس
رضي الله عنهما • واواكم وايدكم بنصره اي واواكم بالمدينة وايدكم
بنصره يوم بدر ورزقكم من الطيبات يعني الغنائم وما فتح
به عليكم لعلكم تشكرون • يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون قال ابن عمر رضي الله عنهما
نزلت في ابي لبابة حين استشارته قريظة فاشار الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان نزلوا على حكم سعد فعل
ببني النضير فاشار الى حلقه اي انه ليس عند سواه
الله صلى الله عليه وسلم الا الذبح فكانت هذه خيانته وقد
ذكر في قصته طويل عليه ايضا • واعلموا ان اموالكم واولادكم فتنة
وان الله عنده اجر عظيم وفي كون الاجر العظيم عنده تعالى
اشارة الى ان لا يفتن المرء بماله وولده فيؤثر محبة لهما على ما عند الله

وغلط

هكذا

خاصة كانوا

ذ

ر

عز وجل

فيمنع المال وكيف الولد حتى يلجئوه كما فعل الولاة بالاحرار
كون ماله وقد قال كانوا عندي وديعة يا ايها الذين امنوا ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا الآية الفرقان مصدر بمعنى فرق
بين الشيئين اي حال بينهما قال ابن عباس وجماعة فرقانا نجاة
ومخرجا كما قال في الآية الاخرى وكيف ارجو الخلد والموت طالبي
وقال مجاهد مخرجا في الدنيا والآخرة وقال قتادة فرقان اي مخرج ويخلص واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية
لما تذكر الموبخين نعمة ربهم عليهم ذكرهم صلى الله عليه وسلم
نعمة عليه في خاصة نفسه وكانت قريش قد تشاوروا في دار
الندوة بما تفعل برسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قائل
يحبس وقيد ومن قائل يخرج حتى
كلمة لشيخ نجدي فصوب لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة
شيخ نجدي فقبل هذين الرايين ومن قائل يخرج من كل
قبيلة رجل ويضربونه ضربة واحدة فاستراح بنو هاشم فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقدر بنو هاشم على محاربة قريش كلهم
فوضون باخذ الدية فصوب ابليس لعنه الله هذا الرأي
فاوحى الله عز وجل اليه صلى الله عليه وسلم بذلك وامره
ان لا يبيت على فراشه في مضجعه واذن له في الخروج الى المدينة
فامر عليا رضي الله عنه ان يبيت في مضجعه ويتسجى ببرده
وبات الملك الثلثة ينتظرون خروجه عليه الصلاة والسلام للصلاة
فيثبوا اليه فيضربوه فاعمى الله تعالى ابصارهم فلم يروا عليا فهموا وكان صلى الله عليه
وسلم قد خلف عليا رضي الله عنه ليرد ودايع كانت عنده لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وخرج صلى الله عليه وسلم الى المدينة
وقولهم لو نشاء الآن لو نشاء لقلنا مثل هذا الذي يتلوه
وذكر على معنى القول وهذا القول منهم على سبيل الهزء والمسارة
وليس ذلك في وسعهم فقد طولبوا مرارا منه فعجزوا عن الاتيان
بشيء من مثله وكانوا احق الناس بالعلم وخصوصا ما كان لسانهم
فقد كانوا متمالئون وفي تناصرون وحكم منهم في ذلك وكانوا
احرص الناس على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم • ان هذا
الا اساطير الاولين تقدم تفسير نظير هذه الآية في سورة الانعام
• واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم قائل ذلك النضر بن الحارث وقتل
ابو جهل لعنه الله قتلا رواه البخاري ومسلم رضي الله عنهما
والاشارة في قوله ان هذا الى القرآن الذي اتى به النبي صلى الله عليه
وسلم وما جاء به من التوحيد وغيره او نبوته عليه الصلاة والسلام

من سبق

من بين سائر قريش وتقدم الكلام على اللهم وقرأ الجمهور هو الحق بالنصب
جعلوا هو فصلا وقال ابن عطية رضي الله عنه ويجوز في العربية
رفع الحق على انه خبر هو والجملة خبر كان قال الزجاج رضي الله
عنه ولا اعلم احدا قرأ بهذا الجائز وقراءة الناس انما هي بنصب
الحق انتهى وقد قرأ بها الاعمش وزيد ابن علي رضي الله عنهما
وهي جائزة في العربية والجملة خبر كان وهي لغة تميم يرفعون
بعد هو التي هي فصل في لغة غيرهم قال الزمخشري
رضي الله عنه فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار
لا تكون الا منها قلت كانه اراد ان يقال امطر علينا حجارة
من السجيل اي وهي الحجارة المسومة للعذاب ومعنى مسومة
اي عليها اسم من يرمى بها كما فعل بالامم المتقدمة فوضع
حجارة من السماء موضع السجيل كما يقال صب عليه مسرودة
من حديد يريد به درعا من حديد انتهى ومعنى جوابه
ان قوله من السماء جاء على سبيل التوكيد كما ان قوله من حديد
معناه التوكيد لان المسرودة لا تكون الا من حديد كما ان
الامطار لا تكون الا من السماء وقال ابن عطية وقولهم
من السماء مبالغة واستغراق في القول انتهى والذي يظهر لي ان
حكمة قولهم من السماء هي مقابلتهم مجيء الامطار من الجهة
التي ذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يأتيه الوحي من جهتها
اي انك تذكر انك يأتيك الوحي من السماء فأتنا بعذاب
من الجهة التي يأتيك منها الوحي اذ كان يحسن ان يعبر
عن ارسال الحجارة من غير جهة السماء بقولهم فامطر علينا
حجارة وقد قالوا ذلك على سبيل الاستبعاد والاعتقاد
ان ما اتى به ليس بحق • وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
اللام في ليعذبهم لام الجحود والنصب في الفعل باضمار ان
بعد اللام وتقدم الكلام عليها في البقرة عند قوله وما كان
الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه وقال ابن اثري تركت
الجملة الاولى بمكة اثر قوله بعذاب اليم والثانية عند خروجه
من مكة في طريقه الى المدينة وقد بقي بمكة مؤمنون يستغفرون
والثالثة عند بدر اي ضد ظهور العذاب عليهم قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم تعذب امة قط ونبيها فيها
انتهى • وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الاية فانظر
الى حسن مساق هاتين الجملتين لما كانت كينونته فيهم سابقة
سببا لانتفاء تعذيبهم اكد خبر كان باللام على رأي الكوفيين
او جعل خبر كان الارادة المنتفية على رأي البصريين وانتفاء

بعد م

الارادة م

للعذاب ابلغ من انتفاء العذاب ولما كان استغفارهم دون تلك
الكينونة الشريفة لم يؤكد باللام بل جاء خبر كان قوله معذبهم
فشتان ما بين استغفارهم وبين كينونته صلى الله عليه وسلم
فيهم والظاهر ان هذه الضمائر لها تكون في الجمل عائدة على الكفار
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما مقتضاه ايضا ان الضميرين
عائدان على الكفار وكانوا يقولون في دعائهم غفرانك غفرانك
ويقولون لبيك لا شريك لك ونحو هذا مما هو دعاء واستغفار فجعله
الله تعالى امنة من عذاب الدنيا وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم
يصدون عن المسجد الحرام الظاهر ان ما استفهامية اي اي شيء
لهم في انتفاء العذاب وهو استفهام معناه التقرير اي كيف
لا يعذبون وهم متصفون بهذه الحال المقتضية للعذاب وهي
وهي صدهم المؤمنون عن المسجد الحرام وليسوا بولاة البيت
ولا هم متأهلون لولايته اي ليسوا اهلا لولاية البيت اصلا ومن
صدهم ما فعلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال عام الحديبية
واخراجه مع المؤمنين داخل في الصد فكانوا يقولون نحن ولاة
البيت نصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا
المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء
وتصدية الآية لما نفى عنهم ان يكونوا اولياء البيت ذكر من فعلهم
القبيح ما يؤكد ذلك وان من كانت صلاته ما ذكر لا يتأهل
ان يكونوا من ولاة البيت فالمعنى والله اعلم ان الذي يقوم مقام
صلاتهم هو المكاء والتصدية وكانوا قد وضعوا مكان الصلاة
والتقرب الى الله عز وجل بالطاعات اي جعلوا مكان هذين الخصلتين
التصفير والتصفيق وكانوا يطوفون بالبيت عراة رجالهم ونساؤهم
مشبكين بين اصابعهم يصفرون ويصفقون يفعلون ذلك
اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلطون عليه في صلاته
وقراءته ومكاء مصدر مكا يمكو وجاء على فعال ويكثر فعال
في الاصوات كالصراخ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي فاذاقهم
الله القتل في يوم بدر ايضا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
ليصدوا عن سبيل الله نزلت في نفقة المشركين الخارجين الى بدر كانوا
ينحرون يوما عشرا من الابل ويوما تسعا وقيل غير ذلك ليميز
الله الخبيث من الطيب هذا اخبار بما يؤول اليه حال الكفار في
الآخرة من حشرهم الى جهنم اذا اخبر بما آل اليه حالهم في الدنيا
من حسرتهم وكونهم مغلوبين ومعنى قوله والذين كفروا من وافى
على الكفر واقام الظاهر هنا مقام المضمر لان من انفق ماله من الكفار قد
اسلم منهم جماعة ولام ليميز متعلقة بقوله يحشرون والخبيث والطيب

نزلت صح

وصفان

وصفان يصلحان للآدميين والخبيث هم الكفار والطيب هم
المؤمنون وبعضه بدل من الخبيث أي ويجعل بعض الخبيث
على بعض فيركمه أي يضمه وأولئك إشارة إلى الخبيث والخبيث
اسم جنس لوحظ أولا إفراده في قوله بعضه على بعض وفي قوله
فيركمه ولوحظ ثانيا جمعه في قوله أولئك هم الخاسرون
• قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لما ذكر
ما يحل بهم من حشرهم إلى النار وجعلهم فيها وحشرهم تلطف بهم
وأنهم إذا انتهوا عن الكفر وآمنوا غفرت لهم ذنوبهم السالفة
وليس ثم ما يترتب على الانتهاء عنه غفران الذنوب سوى
سوى الكفر فلذلك كان المعنى وإن ينتهوا عن الكفر ويسلموا
واللام في للذين الظاهر أنها هنا للتبليغ وأنه أمر أن يقول
لهم هذا المعنى الذي قد تضمنته ألفاظ الجملة المحكية
بالقول وسواء أقالوه له بهذه العبارة أم بغيرها • وإن يعودوا
فقد مضت سنة الأولين العود يقتضي الرجوع إلى شيء سابق
ولا يكون الكفر لأنهم لم ينفصلوا عنه فالمعنى عودهم إلى ما أمكن
انفصالهم عنه وهو الارتداد بعد الإسلام وجواب الشرط
قالوا فقد مضت سنة الأولين ولا يصح ذلك على ظاهره بل ذلك
دليل على الجواب والتقدير وإن يعودوا انتقمنا منهم وأهلكناهم
بتكذيب أنبيائهم وكفرهم • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
تقدم الكلام على نظير هذه الجملة في سورة البقرة وهنا زيادة كله توكيدا
للدين فإن انتهوا أي عن الكفر ومعنى قوله بصير أي بإيمانهم
فيجازيهم على ذلك ويثيبهم وإن تولوا أي أعرضوا عن الإسلام والمخصوص
بالمدح محذوف تقديره ونعم النصير الله تعالى • واعلموا أن ما
غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول قال الواقدي رضي الله عنه
كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام
للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وقوله فأن
لله خمسه قال ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال جماعة أيضا •
قوله هنا خمسه استفتاح كلام كما يقول الرجل لعبده أعتقك
الله وأعتقتك على جهة التبرك وتفخيم الأمر والدنيا
كلها لله تعالى وقسم الله تعالى وقسم رسوله صلى الله عليه وسلم واحد
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم الخمس على خمسة أقسام
والظاهر أن ما موصولة وغنمتم صلة ما والعائد محذوف
ومن شيء هو تفسير لما قد أبهم في لفظ ما أريد بها العموم فلذلك
دخلت الفاء في خبر أن لتضمن العموم معنى الشرط وأن لله هو في
موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي فالحكم أن لله خمسه وأجاز

الفراء رضي الله عنه

ان تكون حالا شرطية منصوبة بفعلتم وان ضمير الشان محذوف
تقديره انه وحذف هذا الضمير مع ان المشددة محفوظ ومن
عند سيبويه بالشذوذ وتقدم الكلام على اذ وهي الزرقي وما بعدها
في البقعة وظاهر العطف يقتضي التغاير فلا يحسن
احد ممن ذكر وما انزلنا معطوف على باهله ويوم الفرقان هو
يوم بدر بلا خلاف فيه بين المفسرين لان الله تعالى فرق فيه
بين الحق والباطل والجماعتان هما جمع المؤمنين وجمع الكافرين
والمراد بالالتقاء والملاقاة والنصر وجمع بصيغة القدرة
القدرة لانه تعالى اراد المؤمنين على قلتهم على الكافرين على كثرتهم
ذلك اليوم هو اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى
والعدوة هي شاطئ الوادي وسمي شفيرا وضفة سميت بذلك
لانها تعدت ما في الوادي من الماء ان يتجاوزه اي منعت قال
الشاعر عدتني عن زيارتها العوادي وحالت دونها حرق وبون
وسمي ارضا الفضاء المشارف للوادي عدوة للمجاورة وقرئ
بالعدوة بكسر العين وضمها ومعنى الدنيا القربى والقصوى
البعدى وقلبت الواو في القصوى شاذ في القياس فصيح
في الاستعمال والركب اسم للقصى الخارج قد حاله بعض العرب
لان الفعلى من ذوات الواو تقلب ياء كالدنيا من الدنو
والقصا من القصو والمدة من المادي هي موضع الوقعة منه في
الشرق وبهما مرجلتان وقرئ اسفل بانتصب منصوبا على
الظرف وهي في موضع الحال للمبتدإ قلد واصله وصف فحول فوصف
محذوف في تقدير وانتم ركب مكانا اسفل منكم اي في مكان اسفل
منكم وقرئ اسفل بالرفع اسم في الظرف فجعل حرف الكلمتدا
قتله وذلك ان العدوة القصوى كانت رملة ذات اثاج لا ماء بها
فيها الماء وكانت ارضا لا ماء بها كانت لاياس بالعدوة الدنيا
وهي الارض اللينة التي تغوص فيها الاقدام ولا يمشي فيها الا
بتعب ومشقة وكانت الحرة وراء ظهر العدو ومع كثرة عددهم
• ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد يعني وان الالتقاء على
غير ميعاد فاذا بحاهدة قتل ابو جهل واصحابه بخلاف من اشام
لم يشعروا واما اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا اصحاب عير ولم
يشعروا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ولا الكفار قريش
بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى التقوا على ماء بدر استقوا
كلهم فاقتتلوا فعلتموهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
• ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا اي وكن فلا قيتم على غير
ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا آية من نصر دينه واعزاز

كلمته

كلمة وكسر الكاف واذ لا لهم وقوله كان مفعولا اي موجودا
مستحقا واتعا ليهلك من هلك عن بينة بدل من ليقضي اي
فيتعلق بمثل ما تعلق به ليقضي والظاهر ان المعنى ليقتل
من قتل من كفار قريش وغيرهم عن بيان حقه واعذار الحجة لاحد
عليه ويحيى حي بيان ان على الكفر وحي بالاسلام اذ يريكهم
الله في منامك قليلا لمخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقطائر الروايات انها رؤيا منام رآى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها الكفار قليلا فاخبر بها اصحابه فقويت نفوسهم
وشجعت على اعدائهم وقال ابن عباس رضي الله عنه وسلم لاصحابه حين
التقوا الا اشرفوا لعل الله ان يطوف الى حصارع القوم والمراد بالقلة
قلة العدد في العين والتحقيق انهم منهزمون مقهورون مغلوبون
ولا تحمل على قلة العدد لانه صلى الله عليه وسلم رؤياه حق
وقد كان علم انهم ما بين تسعمائة الى الف فلا يمكن حمل ذلك على
قلة العدد وانتصب قليلا على انه مفعول ثان لترى والاول
هو ضمير الخطاب والثاني ضمير الغيبة اجريت الحلمية
مجرى العلمية فتعدت الى ثلاثة مفاعيل وجواز حذف
هذا المنصوب بسبك هذا بقولك رأيتك نائما في المنام اي الكفار
وان اراك الله نائما اي في النوم وقال ابن عباس رضي الله عنه انه
انتصب قليلا على الحال وما قاله ظاهر لان الذي سيقوله
بالمنام من رأى البصرية فتعدت هنا الى مفعول واحد والكاف
للخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والثاني ضمير الكفار قليلا
وكثرهم سبحانه على الحال وقوله لفشلتم عطف على الامر اي لتعرفت
آراءكم في امر القتال فكان يكون ذلك سببا لاختياركم
وعدم اقدامكم على قتال اعدائكم لان لهم نفيرا خمسة امثالكم
فتفشلتم ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الفشل
مخصوصا من القائص اسند الفشل الى من يمكن ان في حقه
فعل تعالى لفشلتم وهذا من محاسن القرآن وكل ذلك مدة سلم
من الفشل ومن التنازع ولاختلاف ما رآه له صلى الله عليه وسلم
الكفار قليلا فاخبرهم بذلك انه علم بذات الصدور وانه يكفيهم
الآية هي الوعد بقوله لامسا كم وقلل الكفار في اعين المؤمنين
تحقيرا لهم ولئلا يحجموا عن لقائهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه
لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل بجانبي اترانهم سبعين وقال
ارانا مائة وقلل المؤمنين في اعين الكفار حتى قال بعضهم
لبعض انما هم اكلة جزور ورد ذلك مثل القائه ليجترؤا على
المؤمنين فيتم بينهم الحرب وقللهم القتال اذ لو كثرهم لفشلوا ولتنازعوا في

لا تحموا وتحلوا في الخلاص واستعدوا واستعدوا • يا ايها الذين امنوا
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اي
اذا لقيتم فيه كافين فحذف هنا الوصف لان المؤمنين ما كانوا يلقون
يكونون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالبا وامرهم سبحانه وتعالى
بالثبات وهو ضد علامة الضعف وفي الحديث لا تتمنوا لقاء
العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا واسرهم
تعالى بذكره كثيرا في هذا الموطن العظيم من مصارع العدو
والملاحم بالرياح والسيوف وفي حال يقع فيها الذهول عن
كل شيء فامرهم بذكر الله سبحانه وتعالى اذ هو الذي ينزع الله عن
الشدائد والاهوال بكل من تفضل واجابه الى ما سئل فهو منصور
وان ذلك عطف على منصورون لانه نهى عن التنازع الفشل
وهو الجبن عن لقاء العدو ويجوز ان يكون فتفشلوا
مجزوما عطفا على ولا تنازعوا ذلك على قراءة من قرأه
رضي الله عنه وتذهب ريحكم بالتاء ويكون التأنيث
قال الزمخشري رضي الله عنه والريح هنا معناه الدولة شبهت
بريح الورها وتسييرها كالريح وهو بها فيقال هبت رياح
فلان اذا اتاه النصر والدولة وقد امر وقال الشاعر
انتظران قليلا ريث غفلتهم • او يقعدوا ان فاء الريح للقاعد
انتهى وهو قول ابي عبيدة رضي الله عنه ان الريح هي الدولة
وقال آخر • اذا هبت رياحك فاغتنمها • وان لكل عاصفة سكون
• ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس تركت ابو
جهل واصحابه خرجوا لنصرة العير بالقيان والمعازف ولما رأوا
الجحفة نبعت حنفاء الكتائب وكان صد بنا لهم ايام مع ابنه
وقال ان شئت افد دمك ما زجاد وان شئت تسقي مع من خفي
من قومي فقال ابو جهل ان كنا نقاتل الله تعالى كما تزعم محمد فوالله
ما لنا بالله طاقة وان كنا نقاتل الناس فوالله ان بنا على الناس
لقوة والله من جمع عن قتال محمد وحي يرد بدرا فنشرب فيها الخمور
وتعزف علينا القيان فان بدرا من اكرم مواسم العرب وسوق
من اسواقهم حتى تسمع العرب بمخرجنا فتهابنا آخر الامد فوردوا
بدرا فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم الروايح مكان
المعازف والقيان فهي الله تعالى ان يكون امثال هؤلاء نطرين
طريين من اين باعمالهم وشأن الناس عن سبيل الله عز وجل فقاتل
جبريل عليه وسلم اللهم ان قريشا اقبلت بخيلائها تحادك
وتكذب رسولك اللهم فارهنها الغداة وفي قوله واقعة ما تعلون محيط
وعيد وتهديد لمن بقي من الكفار وانتصب سطرا وراء الناك على ادنى

مراجعه مسعود

انه مفعول من اجله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت
الفئتان نكص على عقبيه فقد واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم وهى ملاكاتهم افيد من الشرك وعبادة الاصنام
ومسيرهم الى بدر وعزمهم على قتال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا الذى يناسب والقول والمأثور من وسوسة
الشيطان على سبيل المجاز وهو من باب مجاز التمثيل
نكص على عقبيه رجع قال ضد اقبل اى رجع الى ورائه
وقال انى برئ منكم ما لعنى لكم لا ناصر لكم والانفصال
عنهم لم يكتف بالفعل حتى اكده بذلك ما لقول اى تولى
انى ارى ما لا ترون لا اى بحسب العادة وهو ملك الملائكة
انى اخاف الله قال قتادة وابن الكلبى هذه من معذرة
كاذبة لانه لم يخف الله تعالى قط وقال الزجاج وغيره
بل خاف عما اى من القول انه يتلى فى هذا النبى والذى اراه
الله انتهى وحكم ان تكون من كلام الله سبحانه وتعالى
استانفه بقد الملائكين ومن تابعه من مشركى قريش
وغرهم ان يقول المنافقون الآية ظاهر العطف
هنا يقتضى المغايرة فقيل المنافقون هم من الاوس
والخزرج لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعضهم نخرج معه وقال بعضهم لا نخرج غرتهم دينهم
الذين يزعمون انهم على حق وانهم لا يغلبون هذا معنى قول ابن
عباس رضى الله عنهما والذين فى قلوبهم مرض هم قوم اسلموا وقد
سمعتم اثر قتادة وهم من الهجرة فاخرجتهم وقشم معها كرها
فلما نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وقالوا غر هؤلاء دينهم
فقتلوا جميعا ولم يذكر ان منافقا شهد بدرا مع
المسلمين الا معتب بن قشير فانه ظهر منه يوم احد قوله
لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا والذين فى قلوبهم
مرض هو من عطف الصفات وهى لموصوف واحد وصفوا
بالنفاق وهو اظهار ما لا يخفيه وما لم من قوله تعالى
فى قلوبهم مرض وهم منافقوهم ومن يتوكل على الله فان
الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
يضربون وجوههم وادبارهم وقواعد ان الحرف الآتية لو التى
لا تستدعى شرطا فى المستقبل تقلب الصارع للمضى والمعنى
لو رأيت وشاهدت وحذف جواب لو لتذهب بليغ لحذفه
فى مثل هذا الا فديك على التعظيم اى لرأيت امرا عجيبا

وشناعا لا يدخل تحت الوصف

والظاهر ان الملائكة فاعل يتوفى وقد ذكر علة قراءة من قرأ
تتوفى بتاءين وعلل في هذه القراءة الفاعل ضمير الله
والملائكة مبتدأ والجملة حالية اي في بعض بوذ قال ابن عطية
رضي الله عنه في ضعفه سقوط واو الحال فانها في الاغلب
تلزم مثل هذا انتهى ولا ضعف اذا جاء بغير واو في كتاب
الله عز وجل وفي كثير من كلام العرب الحرف ولكن يضعفه هنا
تفكيك الكلام من حيث صار جملتين وانتصاب الشهادة على الكينة
في حال ضربهم وجوه الكفار والملائكة امامهم ورد
وضربون حال من الملائكة وجوههم حال الاقتران وادبارهم
حالة هزيمتهم لان الضرب في الادبار اخزى واشد نكالا
ونقول ذوقوا عذاب الحريق هو كلام مستأنف من كلام الله عز
وجل يقوله لهم في الاخرة * ذلك بما قدمت ايديكم من الكفر
والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد كداب آل فرعون تقدم
نظير ذلك في سورة آل عمران * ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة
انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم الآية ذلك خبر ابتدا
وخبره ان الله الى آخره اي ذلك العذاب او الانتقام بسبب
كذا وكذا وظاهر النعمة اندراد ما يكون فضلا من سعة الحال
والرفاهية والثمرة والامن والخصب وكثرة الاموال والاولاد
حتى يغيروا ما بانفسهم حتى هنا للغاية المعنى الى ان يغيروا
وما موصولة بمعنى الذي وبانفسهم صلته والباء ظرفية
اي في انفسهم من بذل الشكر عند وجود النعمة وكثرة
الطير كداب آل فرعون الدأب معناه العادة وهذه الجملة تاكيد
للجملة السابقة * وكل الحاء والواو الملتقيان جمل على معنى كل
الضمير في كانوا اذ لو حمل على اللفظ لم يجمع
قوله قل كل يعمل على شاكلته وربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
فاورد هنا الضمير وحملا اورده في قوله وكلا اخذنا بذنبه
قال في مختصر ابن الحسين رضي الله عنه وكلا من عني الضبط وقتلى
قريش كانوا ظالمي انفسهم بالكفر والمعاصي انتهى وقد لا يظهر فيما
تخصيص ابن الحسين كما لا يخفى في الضبط وقتلى قريش اذ الضمير
في كانوا واهلكناهم لا يختص بهما ايضا فالذي يظهر عموم
المشبه به وهم آل فرعون والذين من قبلهم او عموم المشبه هنا
والمشبه بهم * ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
الآية نزلت في بني قريظة منهم كعب ابن الاشرف واصحابه عاهدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعاونوا عليه فنكثوا اما ان اعانوا
مشركي مكة بالسلاح وقالوا انسيا واخطانا ما عاهدهم فنكثوا وقالوا

معهم

معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم فهم
لا يوفون اخبارا منه تعالى انهم لا يوفون فلا يمكن ان يقع منهم
ايمان قط قال ابن عباس رضي الله عنهما شر الناس الكفار
وشر الكفار منهم المصرون وشر المصرين الناكثون للعهد
فاخبر سبحانه وتعالى انهم جامعون لاقباح اثر الذين
عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم من كل دين • فاما تثقفنهم في الحرب
اي فاما تظفرن بهم وتمكنن منهم فاقتلهم
ان التشريد لا يشعر الا بالظفر فقط دون القتل
والتشريد التطريد والابعاد من خلفهم اي من الكفار
وقرا الاعمش بخلف عنه وشرذ بالذال المعجمة وكذا هو
في مصحف عبد الله ابن مسعود ثم شذ عنه والوا ولم يحفظ
هذه المادة في لغة العرب وقيل الذال مبدل من الدال كما قالوا
لحم خراديل وخراذيل • واما تخافن من قوم خيانة فلنبذن
اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين الظاهر ان هذا استيناف
كلام اخبره تعالى بما يصنع في المستقبل مع من يخاف منه خيانة
وقوله من قوم يدل على انهم ليسوا الذين تقدم ذكرهم اذ لو كانوا
اياهم لكان التركيب واما تخافن من منهم فامر سبحانه وتعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم انه احق من اهل العهد ما ذكروا وخاف خيانتهم ان
يلغي اليهم عهدهم وهو النبذ ومفعول فانبذ محذوف اي
فتكون النابذ واليهم عهدهم اي ارمه واطرحه وفي قوله
فانبذ عدم اكتراث به كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وعبر
على سواء اي على طريق مستو فتصدق ذلك ان تظهر لهم نبذ
العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك
وبينهم وان تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون قال
الزهري رضي الله عنه هذه الاية نزلت في من افلت من الكفار
يوم بدر والمعنى لا تظنهم ناجين مفلتين لا يعجزون الله انهم
لن يفلتوا بل لا بد من اخذهم في الدنيا وقرئ ولا تحسبن بتاء الغيبة
اسند فعل الرؤية فيها حمزة كما ذكر في قراءة ابن عامر رضي الله عنه
وهو من العرب الذين يسقطون النون وقرا على عثمان وحفص عن عاصم
وابو جعفر بن يذان الفعفاع وابو عبد الرحمن وابن محيصن
وعيسى والاعمش وحماد الراوي عن عاصم ان الفاعل الذين فما
لمستأنف لم وحمزة يحسبن بتاء الغيبة الخطاب والمفعول
الاول الذين كفروا والثاني سبقوا وقرئ انهم بكسر الهمزة وقد
استبعد ابو عبيد وابو حاتم هذه القراءة والاستبعاد فيها لانها
تعليل للنهي اي لا تحسبنهم فائتين انهم لا يعجزون اي لا يقع منك حسبان

لقولهم

انهم لا يعجزون وقرئ انهم بفتح الهمزة وهو تعليل للنهي اي لا
لا يعجزون من طلبهم • واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم قال ابن عباس رضي الله عنهما
اتفق في قصة بدر ان قصدوا الكفار بلا تحمل عدة ولا آلة
وامرهم تعالى بالتسريد وبشد العهد للناقض كان ذلك سببا
للاخذ في قتاله والتماني علمه فامر سبحانه وتعالى والمؤمنين باعداد
ما قدروا عليه من القوة للجهاد وان عداده هو الان مصادر مساد
وعلق ذلك بالاستطاعة لطفا منه تعالى والمخاطبون هم الموسرون
والصحيح الذي لم عاد على الكفار المستدمى ذكرهم وهم المامور بحربهم
في ذلك الوقت والظاهر العموم في كل ما يتقوى به على حرب العدو
والالات كالرمي وذكور الخيل وقوة الضرب واتقان الكر
والحصون الشد والات الحرب وعددها الاواني والملابس
الناهية ورباط جمعه رطط قال ابن عطية رضي الله عنه ورباط
جمع ربط ككتب وكتاب ولا يكسر ربطها الا هي كثيرة ويجوز ان
يكون الرباط مصدرا من ربط يصاح صياحا لان مصدار الثلاثي
غير المزيد لا ينقاس اشق وليس هو صحيح بل له مصدار منقاسة
ذكرها النحويون ايضا وقوله من قوة ومن رباط الخيل تفسير
لما ابهم في قوله ما استطعتم وفي صحيح مسلم عن عقبة ابن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي ومعناه
والله اعلم ان عظم القوة واذكاها للعدو الرمي ترهبون
به عدو الله وعدوكم اي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد
واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم الظاهر انهم هم
المنافقون لانه قال لا تعلمونهم الله يعلمهم اي لا تعلمون انتحاصهم
اذ هم مستترون حالهم عنكم ونحن مطلعون على ما هم عليه
اي وقال ابن عطية رضي الله عنه اذ هم يسترون عنكم ان تعلموهم
بالان لام العلم هنا كالمعرفة تعدي الى واحد وهو معلق هنا
بالنفاق وليس متعلقا بالنسبة • وما تنفقوا من شيء في سبيل
الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون من اجور اعمالكم شيئا
• وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم
الضمير في جنحوا عائد على الذين شد انهم على سواء وهم سواء
قريظة والنضير يقال جنح الرجل الى الارض اذا مال اليه وجنحت
الابل اذا مالت اعناقها في السير قاله ابو عبيدة والرتة
اذا جاءت فوق الرجل اخذت وجده • يذكرك والعيس المراسيل جنح
اي مائلات اعناقهن وجنح سيقدي يا لي وبالام والسلم يذكر ويؤنث

شنبل

فقل ان ذلك لحقه وقل هو على وجه المسالمة وقيل هو جملة
على التقديم وهو الحق * وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك
الله اي وان يريدوا بذلك الحاكون للتسلم بان يظهروا السلم ويبطنوا
الخيانة فالله يعاجلهم فاصبح لها فما عليك من شأنهم الكفاية
فان حسبك وكافيك هو الله تعالى ومن كان الله سبحانه وتعالى
حسبه ولا يبالي بمن نوى له شيأ ثم ذكره بما فعل بعد اذ قال
من تأييده بالنصر وبأن لا في المؤمنين على اعدائه ونصره
على اعدائه فكما لطف بك لا يلطف بك احرار المومنين
هنا المادهم الاوس والخزرج وكان بين هاتين الطائفتين
من العداوة الى حرق بسببهم من اجل الحروب التي جرت بينهم
ما كان لولا الاسلام ما ينقضي ابدا وكل الله سبحانه وتعالى
من علمهم بالاسلام فالف بينهم بالعداوة محبة وبالبغضاء مودة
ومعنى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الف بينهم اي لو انفقت ما في الارض جميعا على ما
قلوبهم واجماعها على محبة بعضها بعضا وكونها في الاوس
والخزرج نظاهر هذه الاقوال احدين والله تعالى اعلم بالصواب
ما لك الى حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وقوله
حسبك اي كافيك فهذه الاية نزلت بالمدينة وهي مكية قيل
انها نسخ والظاهر رفع ومن عطفا على ما قبله اي حسبك
الله والمؤمنون وقال الشعبي وابن زيد معنى الاية حسبك
الله وحسب من اتبعك من المؤمنين قال ابن عطية رضي الله عنه
ومن في هذا التاويل في موضع نصب عطفا على موضع الكاف والذي
موضعها نصب على المجيء بكفيك الذي شاع سد مسد
المفعول الاول وحسبك هنا سد مسد المفعول الثاني ارضا
انتهى وهذا ليس بجيد لان حسبك ليس مما تكون الكاف فيه
في موضع نصب بل هذه اضافة صحيحة ليست من قبيل
وحسبك مبتدأ مضاف الى الضمير وليس هو بمصدر ولا اسم
بل هو فاعل او ما يكون في اسم الفاعل المحذوف الذي ينبغي ان يحمل
عليه كلام الشعبي وابن زيد هو ان يكون ومن مجرورة على حد
مضاف وحسب دلالة حسب عليه فيكون كقول الشاعر
* اكل امرئ تحسبين امرءا * ونار توقد بالليل نارا *
اي وكل نار فلك فتكون من العطف على المعنى المجرور وقال ابن عطية
وهذا الوجه من حذف المضاف مكروه بانه في ضرورة الشعر انتهى
وليس بمكروه ولا ضرورة وقد اجاز سيبويه في الكلام وخرج
عليه البيت وغيره من الكلام الفصيح قال المحتسب ويحتمل ان يكون الواو بمعنى

لا يقتضي

ليس

مع

اي مع من اتبعك من المؤمنين

وما بعده منصوب تقول حسنك وزيدا درهم ولا يجر
لان عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال الحسنك والمتحاك
سيف حسنه والمعنى كفاك وكفى اشياعك من المومنين الله ناصرا
انتهى وهذا الذى قاله الزمخشرى رضى الله عنه مخالف لكلام
سيبويه رضى الله عنه قال سيبويه قالوا احسنك وزيدا درهم
لما كان فيه معنى كفاك وفيه ان يحمل على الضمير لو والفعل
كانه قال احسنت ويحسن اخاك درهم انتهى قال الله عز وجل
يا ايها النبى حرض المومنين على القتال الاية هاتان الجملتان
شرطيتان فى ضمنهما الامر بتصبر عشرين لمائتين وبصبر مائة
لالف ولذلك دخلها النسخ اذ لو كان خبرا محضا لم يكن فيه النسخ
لكن الشرط اذا كان فيه معنى التكليف جاز فيه النسخ وقد
من ذلك ولذلك نسخ بقوله تعالى الان خفف الله عنكم وعلم
ان فيكم ضعفا والنقد بالصيرفى او كل بشرط لفظا هو محذوف
من الثانية لدلالة الاولى عليه تقديره علم ضعفكم الاية بقوله
تعالى وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والنقد بالصيرفى
من الثانية لدلالة ذكره فى الاولى وتقدير الشرط الثانى بقوله
من لدن كفرط لفظا هو محذوف من الشرط الاول فى قوله
تعلموا قاتلين فى نظم لى فصاحة هذا الكلام حيث اثبت
قيدا فى الجملة الاولى وحذف نظيره من الثانية واثبت
قيدا فى الجملة الثانية وحذف نظيره من الاولى ولما كان الصبر
شديدا المطلوبة اثبت فى اولى جملتى التخفيف وحذف
من الثانية لدلالة الاولى عليه ثم ختمت الاية بقوله
تعالى والله مع الصابرين مسالعتين شدة المطلوبية ولم يات
فى جملتى التخفيف قيد الكثر اكتفاء بما قبله ما كان
لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض نزلت فى اساري
بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استشار ابا بكر
وعمر وعليا رضى الله تعالى عنهم اجمعين فاشار ابو بكر بالاستبقاء
واشار عمر بالقتل فى حديث طويل وقف عليه فى صحيح
مسلم وقرا ابو الدرداء وابى حتى ما كان لنبى معرفا
والمراد به نفى الكثرة والشرف فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكل فى انكسر ايهما فى كان الذى لم يوجد عليه معتبا
وقدم مثل هذا التركيب وكيفية هذا النفى فى سورة ال
عمران فى قوله عز وجل وما كان لنبى ان يغل ولو هنا على حذف مضاف
اى وما كان لاصحاب نبى او لاتباع نبى فحذف اختصارا ولذلك
ولذلك جاء الجمع فى قوله تريدون عرض الدنيا ولم يجئ التركيب تريد

عرض الدنيا

عرض الدنيا لانه صلى الله عليه وسلم انما مشى باستعداد الرجال
وقت الحرب ولا اراد عرض الدنيا قط وانما فعل جمهور مشى
الحرب حتى يتمرن في الارض والامتحان هي السلامة في القتل
والجراحات يقال امتحنته الجراحات اي اثبتته حتى
تثاقل عليه الحركة والمحنة المرض اثقله من الممات الى تمر
الملاظ والكافة • ولولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم قال ابن عباس ومقاتل رضي الله تعالى عنهما
لولا ان الله عز وجل كتب في ام الكتاب انه سيحل لكم الغنائم
لمسكم فيما غنمتم منها ومن الفداء يوم بدر قتلا واسرا
بذلك عذاب عظيم • وكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا
الله ان الله غفور رحيم • يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من
الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
ويغفر لكم والله غفور رحيم قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت
هذه الآية حين فدى اهل بدر اسارى بدر اعلموا ان لم يسلموا
الى الاسلام وانهم يريدون ان قدروا رجعوا الى قومهم واخذوا
ان الصميم في قوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل اي بكفرهم
المشركين • فامكن منهم والله عليم حكيم • ان الذين امنوا وهاجروا حروا
وجاهدوا اي سبل الله الآية قسم الله من امن الى المهاجرين
والانصار والذين لم يهاجروا فقد ابان المهاجرين لانهم اصل
الاسلام واول من اسلم لله سبحانه وتعالى فهاجروا قوم الى
المدينة وقوم الى الحبشة وقوم الى ان دخلوا ثم هاجروا
الى المدينة وكانوا قد وقع لغيرهم في الايمان وسبب لتقوية
الدين وقد قال عليه الصلاة والسلام من سن سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومثى بالانصار
لانهم ساووهم في الايمان وفي الجهاد بالمقترحات لكنه
عادك الهجرة الاولى والنصر والفرد المهاجرون بالسبق
وذكرت الثامن امن ولم يهاجر ولم ينصر فنالهم بها ثلاثان
الفضيلتان وحرموا الولاية حتى يهاجروا ومعنى اولياء
بعض اي في النصرة والمعاونة والموازرة كما جاء في عز الآية
والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض وآخى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار فكان المهاجري
يرث اخيه الانصاري اذا لم يكن له بالمدينة ولي مهاجري ولا يرث ابن

حروا

وبين الله المسلم غير
المهاجر

قال ابن زيد رضي الله عنه واسمار هم كذلك الى فتح مكة ثم نزلوا
بعد لما لم تكن هجرة بعض ما كلم من ولايتهم من شيء هي نفي
الموالاة في التوارث وكان قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض ناسخا ذلك • وان استنصروكم في الدين فعليكم
النصر والعطف معان للمعطوف عليه فوجب ان تكون
الولاية المنفية عن الكل نصرة اشياء ولما ترك قوله عز وجل ما لكم
من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فالاولى ان يعم نفيها جميع
امر ان استنصروا فاما ترك قوله تعالى وان استنصروكم في الدين
فعليكم النصر والاستثناء في قوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
معناه ان من بينا وبينكم بينهم ميثاق لا تنصروا المستنصرين
الذين لم يهاجروا علينا بل نترحم واياهم والذين كفروا
بعضهم اولياء بعض لما ذكر اقسام المؤمنين الثلاثة قال وانهم
اولياء بعض بعضهم بعضا وترك بعضهم بعضا بين ان
نفي الايمان كذلك اذ كانوا قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحادي اهل الكتاب منهم قريظة والنضير يعطونهم الدية اذا
قصاص والتحد بعثته عليه الصلاة والسلام يوالي بعضهم بعضا
والتاوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا على رياستهم
وتحرزا على الموسرين • الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد
كبير الضمير عائد على الاستنصار وهو المصدر المفهوم
من قوله وان استنصروكم في الدين وتكون تامة وفتنة فاعل
بها والفتنة هي ايهام المسلمين المستنصرين بانا حين نسلط
عليهم عدوهم من الكفار وقرأ ابو موسى الحمادي عن الكسائي
كثير بالتاء المثلثة • والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
هذه الآية فيها تعظيم للمهاجرين والانصار وهي مختصرة اذ
حذف منها اموالهم وانفسهم وليست تكرارا لان السابقة
تضمنت ولاية بعضهم بعضا وقسمت الموصين الى الاقسام
الثلاثة وبان حكمهم في ولايتهم ونصرهم وهذه تضمنت
الثناء والتشريف والاختصاص وما اراه حذفهم من المعنى
والذي اقدم وتقدم بغير نظير ذلك في اوائل السورة • ن
والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم يعني
الذين لحقوا بالمهاجرين من سبقهم حكم تعالى بانهم من الموصين اتباعهم
في الثواب وان حروا كان للسابقين شرف الاجر السبق وتقدم
الايمان والهجرة والجهاد ومعنى من بعد اي من بعد الهجرة الاولى كما
قاله المحققون وذلك بعد عقد الحديبية كما قاله ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان

الله بكل شيء عليم

قتادہ نے کہا اس سورت میں اٹھارہ منسوخات ہیں
علی قول ذوی الارحام وقیل لیست فی شان المواریث ہے واللہ اعلم

سورۃ براۃ

قولہ عزوجل براۃ من اللہ ورسولہ الی الذین عاھدتم
من المشرکین تلک السورۃ مدنیۃ کلھا وقیل الا آیتان من
آخرھا فانھما نزلتا بمکۃ وھذا ھو قول الجمہور وقال
برئت من فلان ابراء وبراءۃ ای انقطعت بیننا العصمۃ
وعنہ برئت من الدین وارتفع براءۃ علی الابتداء والخبر الی الذین
عاھدتم ومن اللہ صفۃ مسوغۃ لجواز الابتداء بالنکرۃ او علی
اضمار مبتدا ای ھذہ براءۃ وقرأ عیسی ابن عمر رضی
اللہ عنہ فسر آہ بالنصب قال ابن عطیۃ رضی اللہ عنہ ای
الزموا براءۃ وفیہ معنی الاغراء وقال الزمخشری
اسمعوا قراءۃ الی الذین عاھدتم من المشرکین قال ابن اسحاق
وعنہم کانت العرب قد اقرتھا رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم
عھدا عاما الا ان لا یصد احد احدا عن البیت الحرام ونحو
ھذا من المواد عات فنقض ذلک لھذہ الایۃ واجل لجمیعھم
اربعۃ اشھر لمن کان لہ مع رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم عھد خاص
ولیس فیہ اقل من الاربعۃ الیھ بتمامھا ومن کان امدہ
اکثر اتم لہ عھدہ واذا کان ممن یخشی منہ نقض العھد
قصر علی اربعۃ اشھر ومن لم یکن لہ عھد خاص فرضت لہ الاربعۃ
تسیح فی الارض ای تذھب فیھا مسرعا آمنا وظاھرہ
قولہ من المشرکین العموم فدخل فیہ مشرکو قریش وغیرھم
فسیحوا فی الارض امر اباحۃ وفی ضمنہ تھدید وھو
التفات من غیبۃ الی خطاب ای قل لھم سیحوا وتمتعوا سیاحۃ
وسوحا وسیحانا ومنہ سیح الماء وھو الجاری المنبسط
قال ابن عباس رضی اللہ عنہما اوقع اللہ الاشھر الحرم التی نزلت
الآیۃ وانقضاؤھا انقضاء المحرم بعد یوم النحر وان اذان ای یوم
الاعلام بخمسین وکان اھل من لہ عھد اربعۃ اشھر من یوم
النزول واجل سائر المشرکین خمسون لیلۃ من یوم الاذان واعلموا
انکم غیر معجزی اللہ وان اللہ مخزی الکافرین ای لا تفوتونہ وان
اھلکتم فھو مخزیکم ای مذلکم فی الدنیا بالقتل والاسر والنھب
وفی الاخری بالعذاب الشدید واذان من اللہ ورسولہ الی
الناس یوم الحج الاکبر ان اللہ بری من المشرکین ورسولہ قرئ واذن
بکسر الھمزۃ وسکون الذال وقرئ وایذن اللہ بکسر الھمزۃ والفتح علی لغۃ

والكسر على اضمار القول على مذهب البصريين او لان الاذان هو في
معنى القول فكسرت على مذهب الكوفيين وحكى ابو عمرو عن اهل نجران
انهم يقرأون واذان من الله بكسر النون على اصل التقاء الساكنين
واتباعا لكسرة الميم • يوم الحج الاكبر • الظاهر انه يوم واحد
فقال عمر وجماعة هو يوم عرفة وروي مرفوعا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ابو موسى وجماعة هو يوم النحر وقيل يوم
الحج الاكبر ايام الحج كلها قاله سفيان بن عيينة رضي الله عنه
والذي قد تظاهرت به الاحاديث ان عليا كرم الله وجهه
اذن بتلك الايات يوم عرفة واثر خطبة ابي بكر ثم راى اذنه
لم يعم الناس بالاسماع فتتبعهم بالاذان بها يوم النحر وفي ذلك
اليوم بعث ابو بكر رضي الله عنه من يعينه بها كابي هريرة
وغيره من الصحابة وتتبعوا بها ايضا اسواق العرب كذي المجاز
وغيره وبهذا يترجح قول سفيان رضي الله عنه وجملة براءة من
الله ورسوله اخبار بثبوت البراءة وجملة واذان من الله ورسوله
اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت واقترنتا وعلقت البراءة
بالمتعاهدين لانها مختصة بهم ناكثهم وغير ناكثهم وعلق الاذان
بالناس لاجل شموله للمعاهدين وغيرهم ناكثا وغيره مسلما وكافرا
وقوله هنا ورسوله معطوف على اسم ان اذ كان قبل دخول
ان كان في موضع رفع على الابتداء وفي العطف على هذا الموضع هنا
خلاف ويجوز ان يكون معطوفا على الضمير المستكن في قوله بريء
هو ورسوله والاجود ان يكون مرفوعا على الابتداء وخبره محذوف
تقديره ورسوله بريء منهم وحذف الخبر لدلالة ما قبله عليه • فان تبتم
اي من الشرك الموجب لتبري الله ورسوله منكم فهو اي التوب منه
• خير لكم في الدنيا لعصمة انفسكم واموالكم واولادكم وفي الاخرة
لدخولكم الجنة وخلاصكم من النار • وان توليتم اي عن الاسلام • فاعلموا
انكم غير معجزي الله اي لا تفوتونه • اي عن ما يحل بكم من نقماته
• وبشر الذين كفروا بعذاب اليم جعل الانذار بشارة على سبيل الاستهزاء
بهم والذين كفروا عام يشمل المشركين وغيرهم من عبدة الاوثان
وغيرهم وفي هذا وعيد شديد بما يحل بهم • الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام الاظهر ان يكون هذا استثناء منقطعا بمعنى لكن
ويبعد ان يكون متصلا وان كان قال به قوم لعسر ظهور المستثنى
منه قبله الذي هو بعض منه • فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي الى
انقضاء مدة عهدهم والظاهر ان قوله الى مدتهم يكون في المدة التي كانت
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم امروا باتمام العهد الى تمام المدة

بالمعاهدين

وعن ابن عباس

٣٦٠

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان قد بقي من كنانة تسعة
اشهر فاتمها الله عهدهم • ولم يظاهروا عليكم احدا اي لم يعينوا
عليكم احدا بما فعلت قريش بني بكر حين اعانوهم بالسلاح
على خزاعة وقد مضى ان تعدي انما تعلق اي بفعل هنا بالي تضمنه معنى
فادوا اليهم اي فادوه تاما كاملا • فاذا انسلخ الاشهر الحرم قال
ابن عباس رضي الله عنهما الظاهر ان هذه الاشهر هي التي
للناكثين ان يسيحوا فيها وفي صفت بكر مما لا يحرم فيها
القتال وتقدم ذكر الخلاف في ابتدائها وانتهائها واذا انقد م
السكن وذكرت بعد ذلك فالوجه ان يوفى ما اضمر بحو لفت
رجلا فضربته وبحوز ان يعاد اللفظ معرفا بان بحو لفت
رجلا فضربت الرجل والمعنى حيث وجدتموهم عام في الاماكن
من حل وحرم وقوله هناه وخذوهم واحصروهم عبارة عن
الاسر والاخيذ هو الاسير وقد دل على جواز اسرهم وقوله هنا
واحصروهم اي قيدوهم وامنعوهم من التصرف في بلاد الاسلا م
مع المسلمين وقيل معناه اي اسروهم وحاصروهم
ان تحصنوا وقد ذكر القرطبي رضي الله عنه في قوله عز وجل
واقعدوا لهم كل مرصد في دلك دليل على جواز اغتيالهم
قبل دعوة لان المعنى اقعدوا لهم مواضع الغرة وهذا يدل
على ان المقصود ارصاد الاذى لهم بكل طريق اما بطريق اغتيا ل
واما بطريق الاعتياد وقد اجمع المسلمون على جواز اسر قتل
اموال اهل الحرب واتلاف اموالهم اذا عجزوا
عن اخراج لها الى دار الاسلام الا ان يتعالجوا عن قتل وكل قا ل
ان المحصر في كل مرصد اي كل ممر وان يرصدوا لهم فيه وانتصا ب
على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم انتهى
وهذا الذي قاله الزجاج رضي الله عنه قال كل مرصد ظرف
كقولك ذهبت مذهبا ورده ابو علي رضي الله عنه لان المرصد
المكان الذي يترصد العدو فيه فهو مكان مخصوص لا يحذ ف
الحرف منه الا سماعا كما حكي عن سيبويه رضي الله عنه دخلت في قولك
البيت وكما عسل الطريق الثعلب انتهى واقول قد يصح هنا
انتصابه على الظرف لان قوله واقعدوا لهم كل مرصد
ليس معناه حقيقة القعود بل المعنى ارصدوهم في كل
مكان يرصد فيه ولما كان هذا هو المعنى جاز قياسا
ان يحذف منه في كما قال الشاعر •
وقد قعدوا ارمافهما كل مقعد • وقوله هنا فمتى كان
العامل في الظرف المختص عاملا من لفظه او من معناه جاز ان

بصل الله بغير
وساطة حو
حو

في فيجوز ان تقول جلست مجلس زيد وقعدت مجلس زيد تريد
في مجلس زيد فكما يتعدى الفعل الى المصدر من غير لفظه
اذا كان بمعناه فكذلك يتعدى الى الظرف وقال الاخفش
رضي الله عنه معناه على كل مرصد فحذف على واعمل الفعل
وحذف على ووصول الفعل الى مجرورها فينصبه وقد
يخصه هنا اصحابنا بالشعر وقد انشدوا في ذلك ارضا
تحن فتبدي ما بها من صبابة • واخفي الذي لولا الاسا لقضاني
• وقوله هنا لقضاني اي لقضى علي • قوله عز وجل فان
تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين اي فان
تابوا عن الكفر والغدر والتوبة تتضمن الايمان وترك
ما كانوا فيه من المعاصي فخلوا سبيلهم • ان الله غفور رحيم • وهذا
كناية عن الكف عنهم واجرائهم مجرى المسلمين في تصرفاتهم
حيث ما شاءوا ولا يتعرضوا لهم • وان احد من المشركين استجارك
فاجره حتى يسمع كلام الله الظاهر انها محكمة وعن ابن جبير رضي
الله عنه قال جاء رجل الى علي كرم الله وجهه وقال ان اراد الرجل
منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل ليسمع كلام الله او
ياتيه لحاجة قبل قال لا لان الله تعالى قال وان احد من المشركين
استجارك فاجره الاية انتهى ولما امر تعالى بقتل المشركين
حيث وجدوا واخذهم وحصرهم وطلب غرتهم ذكر لهم حالتين
لا يقتلون فيهما ولا يؤسون اذا جاء واحد منهم مسترشدا طالبا
للحجة والدلالة على ما تدعوا اليه من الدين والمعنى وان
احد من المشركين استجارك اي طلب منك ان تكون مجيرا له
وذلك بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله سبحانه وتعالى وما
نص من التوحيد ويقف على ما بعث به فكن مجيرا له حتى يسمع كلام
الله ويتدبره ويطلع على حقيقته اي على حقيقة الامر بما جاء به
ثم ابلغه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان ثبت من
غير غدر ولا خيانة • ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي ذلك الامر
بالاجارة وابلاغ المامن بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام
وما حقيقته وما تدعوا اليه اي لا يعلمون حقيقة ما تدعوهم
اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق • كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا استفهام معناه
التعجب والانكار والاستبعاد وفي الاية اضمار وحذف
اي كيف يكون للمشركين عهد مع اضمار الغدر والنكث ايضا
والاستفهام قد يراد به النفي كثيرا قال الشاعر في معنى ذلك
• فهذي سيوف يا هدى ابن مالك • كثير ولكن كيف بالسيف ضارب

اي ليس

اي ذبح بالسيف ضارب ولكان الاستعمال ومتعارف السلف
صلح محتي الاستثناء فانه متصل وقيل هو منقطع اي لكن الذين
عاهدتم منهم ثم ينقضون عهدك كل مرة قال ابن عباس رضي الله عنهما
قريش وقال السدي بنو خزيمة ابن الدئل وقال ابن اسحاق
هم قبائل من بكر كانوا دخلوا وقت الحديبية في المدة
التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كنف
في موضع نصب حتما لتكون وعهدا اسما لتكون والظاهر ان ما
او اي طريقة اي استقيموا لهم مدة استقامتهم ونسبت شرطية
وقال ابو البقاء رضي الله عنه وبه قال ابن اسحاق انه اي قبائل
من بكر كانوا قد دخلوا وقت الحديبية في المدة التي كانت بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش وقال ابو البقاء رضي الله عنه
شرطية كقوله تعالى فايتم الله لكم سورة فاستقيموا لهم
انتهى ذلك وقد علم وقال ابن عطية رضي الله عنه وكان العقد
ما استقاموا لكم من مدة فاستقيموا لهم وقال الحوفي رضي الله
عنه ما شرط في موضع رفع بالابتداء والخبر استقاموا لكم هنا
متعلق باستقاموا فاستقيموا لهم استئناف هذا هو جواب الشرط
انتهى فكان التقدير فاي وقت استقاموا لكم فاستقيموا
لهم وانما جوز ان تكون شرطية لوجود الفاء في قوله فاستقيموا
لان الصدرية الزمانية لا تحتاج الى الفاء كيف وان
يظهروا عليكم الظاهر ان الفعل المحذوف بعدها هو من جنس
اقرب مذكور لها وحذف للعلم به اي كيف الاستقامة والعقد
وكيف تكون لهم عهدا وحالهم هذه والاولى انها للحال ومعنى يظهروا
اي يغلبوا وجواب الشرط لا يرقبوا قال الشاعر في حذف الفعل
بعد كيف وخبر ما في ايما الموت فالرى فكيف وها فاصبر
اي فكيف تفاجأ وليس في قريبة انتهى وقوله عز وجل لا يرقبوا فيكم
الا ولا ذمة الا الحلف والذمة العهد وقال ابو عبيدة الامان
وان اباءه لمخالفته للقلب لما جرى على اللسان من القول الحسن
واكثرهم فاسقون بنقضهم ما ايمانا وانهم ظلما فصدوا عن سبيله
الظاهر هنا عود الضمير على من قتله من المشركين المأمور بقتلهم
ويكون المعنى استثنوا الذين عاهدتموهم ولم ينقصوكم شيئا
وهو اتباع الشهوات والاهواء ولانهم ما تركت دين الله سبحانه
وتعالى واشرف الكفر على الايمان كان ذلك كفرا او البيع
انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس العمل عملهم ذلك لا يرقبوا
في مؤمن الا ولا ذمة تواقيكم هم المعتدون هذا انتباه على الوصف
الموجب للعداوة وهو عدم ايمانهم ولما كان قوله لا يرقبوا فيكم

جزية

مصدرية

وكتب وح

جوابه ان ذلك
محصوص
ه

ام حسبتم ان تتركوا تقدم تفسير نظير هذه الجملة والمعنى انكم لا تتركون
على ما انتم عليه حتى يتبين الخائف منكم ممن لم يجاهد ولم
يسبل الله والذين لم يتخذوا بطانة من غيرهم ولم يتخذوا
معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة ويجوز ان تكون
الجملة حالا من ضمير جاهدوا اى جاهدوا غير متخذين
وليجة والوليجة فعيلة من ولج كانه ما يدخل فيه من دخل في
البطانة والمدخل يدخل فيه على سبيل الاستتار
روي انه لما قفل المهاجرون والانصار عن اشاري
قد يجاورهم المشركون ويطوفون على نوق التجار فقال
ناس نظهر ون مساكينا ونكتسبون محاسننا فقال
له اوكلكم محسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا
انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج
وفك الغاني فانزل الله هذه الاية رادا عليهم وانتفى
شاهدين على الحالة العاملة فيه نعمر وصاحب الحال هو
الضمير وشهادتهم على انفسهم بالكفر وهو قولهم في الطواف لبيك
لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك او قولهم اذا سئلوا
عن دينهم قالوا نعبد اللات والعزى من اعاد الضمير على
على لفظ من في قوله امن ومن عطف عليه راعى المعنى
في قوله فنعم اولئك وعسى من الله تعالى واجب حتما
ما وقعت في القرآن وفي ذلك قطع اطماع المشركين ان
ان يكونوا مهتدين اذ من هم هذه الخصال الا ان يعتريهم
حاله حال من تحق له هذه الهداية فكيف بمن هو عار
منها وقال تعالى اولئك ان يكونوا من المهتدين اى من الذين
سبقت لهم الهداية وتم يأتي التركيب ان يكونوا مهتدين
بل جعلوا بعضا من المهتدين وكونهم منهم اقتضى التعظيم
من ان يجرد لهم الحكم بالهداية • اجعلتم سقاية للحاج الاية
في صحيح مسلم من حديث النعمان بن بشير قال كنت عند
منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا
اعمل عملا بعد ان لا اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل
عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله
افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم
عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكني
اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما اختلفتم فيه فنزلت هذه الاية وسقاية هنا على حذف

حنا ف تقدير في وي سقاية الحاج سعادك ولم يكن امن
ولما نفى الشاء امنهما اوضح ذلك بقوله والله لا يهدي
القوم الظالمين من انزاح وكامنهما وان الكافرين تاهدهم
الظالمون ظلموا انفسهم بترك الايمان بالله سبحانه وتعالى
وما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم وظلموا المسجد الحرام
اذ جعله الله مسعدا لهم فجعلوه مسعدا للاوثان بهم الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الاكثر اذ تاهدهم
الآية وصوحا للمومنين في الترجيح للمومنين المتصفين بهذه
الاوصاف على المشركين المتجردين عن السقاية والعمارة
فطهروا انفسهم من دنس الشرك بالايمان وطهروا اماكنهم
بالحج لما حوطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك ديارهم
الى ديار المسلمين واموالهم واهلهم في الجهاد في سبيل الله عز وجل بالمعاني
المرضية بالنهي للتلف فهذه الى صاد اعظم درجات
البر قوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباكم الآية نهى عن اتخاذ
الآباء والاخوان اولياء اذ كانوا قد آثروا الكفر على الايمان
وحكم بان من تولاهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم
هذه الآية تقتضي الحض على الهجرة وذكر الآباء لانهم اعلق
بالنفس وقدم الآباء لانهم هم الذين يجب برهم واكرامهم
وحثهم وثنى بالابناء لانهم اعلق بالقلوب ولما ذكر الاصل
والفرع ذكر الحاشية وهي الاخوان ثم ذكر الازواج وهن
في المحبة والايثار كالابناء ثم الاقربون بعد الازواج اقرب في
القرابة فقال وعشيرتكم ثم قال واموال اقترفتموها اي
اكتسبتموها لان الاموال تعاد لاجلها حتى القرابة لاجلها
اشد وكان الاموال في ذلك الوقت عزيزة واكثر الناس كانوا
فقراء ثم ذكر وتجارة تخشون كسادها والتجارة لا تتهيأ الا
بالاموال وجعل سبحانه وتعالى التجارة سببا لارادة الاموال
وبما بهما ثم ذكر مساكن ترضونها وهي المقصورة الدور وسميت
مرضوة لها اي تختارونها لاقامتها واتنصبت احب على
انه خبر كان واسمها اباؤكم وقل وما بعده وقرا الحجاج
ان توسف بالنصب لرفع تحظاره كحتى ان يعمر من حيث ارادوا
لانه لم يرد الا النصب وان كان الرفع جائزا من حيث العربية
لانه كان يكون في كان ضمير الامر والشان وملؤهما واناؤكم
وما عطف عليه مبتدا واحب خبره والجملة في موضع خبر كان
احب اليكم من الله ورسوله اي من الايمان بالله واتباع رسوله صلى الله عليه
وسلم وجهاد في سبيله فتربصوا اي انتظروا وهو امر يتضمن التهديد
والوعيد الشديد

حتى يأتي الله بأمره قال ابن عباس رضي الله عنهما هو فتح مكة
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين والمراد بالمواطن
هنا هي مقامات الحرب ومواقفها وهذه المواطن هي وقعات
بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ووصفت
بالكثيرة وقال أئمة التاريخ إنها كانت ثمانين موطنا ويوم حنين
هو واد بين مكة والطائف قريب من ذي المجاز وصرف مذهوبا
به مذهب المكان ولو ذهب به مذهب البقعة لم يصرف كما قال
الشاعر نصروا نبيهم وشدوا أزره بحنين يوم تواكل الأبطال
وإذ بدل من يوم وأضاف الإعجاب إلى جميعهم وإن كان
صادرا من واحد منهم لما رأى الجمع الكثير أعجبه ذلك وقال
لن نغلب اليوم من قلة وهذه الكثرة قال ابن عباس رضي الله
عنهما كانوا ستة عشر ألفا والباء في قوله بما رحبت للحال وما
مصدرية أي ضاقت بكم الأرض مع كونها رحبة واسعة
لشدة الحال عليهم والرحب السعة وبفتح الراء المكان الواسع
يقال فلان رحب الصدر وبلد رحب وأرض رحبة وقد
رحبت رحبا ورحابة ثم وليتم مدبرين أي وليتم
فارين على أدباركم منهزمين تاركين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأسند التولي إلى جميعهم وهو واقع من أكثرهم إذ ثبت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ناس من الأبطال على ما سيأتي ذكره إن شاء
الله عز وجل فنقول لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
كان في عشرة آلاف من أصحابه وانضاف إليه ألفان من الطلقاء
فصاروا اثني عشر ألفا إلى ما انضاف إليهم من الأعراب أي من سليم
وبني كلاب وعبس وذبيان وسمع بذلك كفار العرب فشق عليهم
فجمعت له هوازن وأحلافها وعليهم مالك ابن عوف النصري
وثقيف عليهم عبد ياليل بن عمرو وانضاف أخلاط من
الناس حتى كانوا ثلاثين ألفا فخرج إليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد استعماله عتاب بن أسيد على مكة حتى
اجتمعوا بحنين فلما تصاف الناس حمل المشركون على تحاتي
الوادي وكانوا قد كمنوا بها فانهزم المسلمون قال قتادة
رضي الله تعالى عنه ويقال إن الطلقاء من أهل مكة فروا وقصدوا
إلقاء الهزيمة في المسلمين وبلهم فلهم مكة وثبت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مركزه على بغلة شهباء تسمى دلدل لا يتخلخل
والعباس قد أكتنفه آخذا بلجامها وابن عمه أبو سفيان ابن الحارث
ابن عبد المطلب وابنه جعفر وعلي ابن أبي طالب وربيعة ابن الحارث
والفضل ابن العباس وأسامة ابن زيد وأيمن ابن عبيد وهو

أيمن ابن أم

وكان السبي اربعة الاف رجل وقتل كان ستة آلاف من الابل
اثنى عشر الفا سوى ما لا يعلم عدده من الاغنام وقسمها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وفيها قصة عبد الله ابن عباس
ابن مرداس وشعره وكان مالك بن عوف قد اخرج الناس
للقتال والذراري لتقاتل عنها فخطاءه في ذلك دريد ابن
الصمة وقال هل يرد المنهزم شيء وفي ذلك الامر قتل درید
المقتلة الشهورة وقتله ربيعة ابن رفيع ابن اهبان
السلمي وقال له ابن الدغنة ثم يثوب الله من بعد ذلك
على من يشاء واخبار الله تعالى ما زينوب على من يشاء
فيهدي من شاء ممن بقي من الكفار للاسلام وقد غفر
والله تعالى لكثير من المشركين وفي غزوة الطائف
محمد من قومه وروي ان ناسا منهم جاؤا اختيارا الى الاسلام
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وانت ابر الناس وقد سبي
اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقال صلى الله عليه وسلم
ان خير القول اصدقه فاختاروا اما اموالكم ونساءكم
واما احوالكم فقالوا يا رسول الله خيرتنا بالاحساب فاختاروا
نساءهم وذراريهم وقام في الحديبية انهم اخذوا نساءهم
وذراريهم الا امراة هو في علمها صفوان بن امية فحملت
منه فلم يردها عليها الذين امنوا انما المشركون نجس الاية
امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يمر
على المشركين بمكة اوان يراد ويخبرهم عهدهم وان ذمة من
من المشركين ورسوله قال انا سن يا اهل مكة تعلمون ما تلقون
من الشدة وانقطاع السبل وقد الجلات فنزلت الظاهر
الحكم عليهم بانهم نجس اي ذوو نجس قال ابن عباس والحسن
وعمر ابن عبد العزيز والطبري وغيرهم اشتركوا في نجاستهم
فاغسالهم نجسة كالخمر والدم لا ولا يطهر بالمطر وقال
الحسن ابن صالح من صافح مشركا فليتوضأ وفي الحديث وبالغ الحسن
رضي الله عنه حتى قال ان الوضوء يجب من مصافحة المشرك ولم
ياخذ احد بقول الحسن لا الضحاك من انزيده وقال قتادة وعمر
ابن عبد العزيز وغيرهما وصف المشرك بالنجاسة لا لحدث اذ غسله
من الجنابة ليس بغسل وعلى هذا القول يجب الغسل على من اسلم
من المشركين وهو مذهب مالك رضي الله عنه وقال ابن
عبد الحكم لا يجب ولا شك انهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا
يجتنبون النجاسة فجعلوا نجسا مبالغة في وصفهم بالنجاسة
ولا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الظاهر ان النهي مختص

بالمشركين

والمشركين وبالمسجد الحرام وعزم وجوب عامة الاوقات
في سائر المساجد وقال ابن نافع رضي الله عنه عني عامة
في الكفار خاصة في المسجد الحرام وقال اباح دخول اليهود
والنصارى والوثنيين في سائر المساجد وقاس مالك
جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم على المشركين وقاس
سائر المساجد على المسجد الحرام ومنع من دخول الجميع في جميع
المساجد وان خيف عليه فسوق يعلكم ايس وصلبان
قال ابن عباس رضي الله عنهما العنبة بالحبشية والزبيب
وهو يضرب الى الحمرة او يعت لمخروق لي هلال غائلة
فسوق يعيكم الله من فضله اي في جواب الشرط يسوق
وهي اكثر منالعة في التفتيش من السين والاعتنا بما
وقع كثيرا بعد استقرار ملك الاسلام وفتح البلاد
حكي عن ابن سيرين وطلحة انهما ابلغا من استقراء المال
ما يتعجب منه وعلق الاعتناء بالمشيئة لان يقع في حق
بعض دون بعض وفي وقت دون وقت قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الخبر امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعزو الروم بعد موته وغلبتهم على دمشق
وقتل من قتل في فلسطين والاردن وصالحهم وكانت
اول الجزية صالحهم عليها خالد رضي الله عنه اهل
الكتاب نابذ المسلمين والظاهر اختصاص اخذ الجزية
من اهل الكتاب وهم بنو اسرائيل والروم نصارى واجمع الناس
على ذلك واما المجوس فقال ابن المنذر في الاشراف لا اعلم
خلافا ان الجزية توخذ منهم انتهى وروي ان عمر كان
يعت في المجوس ثلثي واسقط الثلث واختلف اصحاب
مالك رضي الله عنه في مجوس العرب واما السامرة
والصابئة فالجمهور على انهم فرق من اليهود والنصارى
توخذ منهم الجزية وسوكل فيما يحكم ويفتي الى فرقة الا توخذ
منهم جزية لان كلا منهم وان ظاهر يعتقدون جميع اهل
الكتاب في اعطاء الجزية ولم يرد نص في مقدار الجزية
وعن الشافعي وعمر رضي الله عنه على كل حالم دينار وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه على المتمول اربعة وعشرون قيراطا وعلى
المتوسط اثنا عشر قيراطا وعلى الفقير خمسة قراريط
ثمانية وان يعون درهما ولا توخذ عنده من فقير لا كسب له
وقال ابن عباس رضي الله عنهما معنى قوله عز وجل عن يد اي
يعطونها بايديهم ولا يرسلون وهم صاغرون حالة اي

ذلك لان حقيروا ذكروا كفايات في اخذها منهم وفي شدة
صغارهم ولم تتعرض الآية لتعيين شيء منها وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم
بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله اني يؤفكون
الآية بين سبحانه وتعالى لحاق اليهود والنصارى بالمشركين
المشرك قد اختلف طريق الشرك ولا فرق بين من يعبد
الصنم او يعبد المسيح وغيره وقيل ذلك في مرحبا من اليهود كانوا
يقولون ذلك قاله ابن عباس ومن معه قالها ان يعقوب احبارهم
سلام ابن مشكم ونعمان ابن اوفى وشاس ابن قيس ومالك
ابن الصيف وقيل قاله فنحاص واسند الطبري ان هذا
القول كان فيهم ان الآية نزلت عليهم فما انكروا ولا كذبوا
فجاءهم كلام على التكذيب وسبب هذا القول ان اليهود قالوا
ان التوراة بعد موسى عليه السلام اضاعوا وان الكلام قد رفع الله تعالى عنهم
التوراة فيما حفظوا من قلوبهم فخرج عزير فرحا كان وهو غلام
شاب في الانصل فاتاه جبريل عليه السلام فقال له الى
اين تذهب قال الى طلب العلم الذي اطلقت العلم فحفظته
التوراة جميعها خرقا خرقا في قوته فاملاها عليهم حرفا
حرفا كما علمه فاياها حسر لذلك عليه الصلاة والسلام عن ظهر قلبه
ولسانه لا يجري من ذلك حرف فاخرق فقالوا ما جمع الله التوراة
في صدره وهو غلام الا لانه ابنه وظاهر قول الصحاح
الحديث ان الله بشرة لم يسل كما قال العرب في الملائكة
وبما قاله هؤلاء لعنهم ليعتقدوا ان المسيح ابن الله وان الله وقيل
ان بعضهم يعتقدها حقيقة حتى في رجحه وهذا القول
لا يظهر الا بعد ان صح النقل بتواتر ان ذلك قولهم وان صح
خلطوا المسلمين ان ناظروهم فرجعوا عن ذلك كما كانوا يعتقده وقد
في صحيح مسلم بالتاء وادغام الدال وقرئ بضم الواو بلا همزة
وقرئ بضمها فيهمز ومعناه مطابق لما يقولونه وهو على
حذف مضاف اي قول افواههم يضاهي قول الذين كفروا اي الذين
كفروا بهذا القول الكاذب من قدماء الوثنيين او قول امم الله عليه وسلم قاتلهم
الله اني يؤفكون ما دعا عليهم تعليما لانواع الشر وقوته
اي توفكون كيف تصرفون عن الحق مع قيام الدليل ووضوح
بيانه طرق الحق وتوكيد ما امر به من الحذر من احبارهم
ورهبانهم ازيادتان في ذوق الله والصحيح في هذا الاستعمال
على اليهود والنصارى وان خصا بالذكر لان اليهود والحكم كثير
والرهبان اكثر عبادا والنصارى الذين يعهدون في الدنيا وانقطعوا

اي

عن الحق

عن الخلق في الصوامع اخبر عن المجموع وعاد كل الى ما ينسبه
اي اتخذ اليهود احبارهم والنصارى رهبانهم والنسخ
ابن مريم عطف على رهبانهم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون الظاهر ان الضمير عائد
على من عاد عليه في اتخذوا اي اذ مروا في التوراة والانجيل
وعلى السنة انبيائهم ورسلهم علنيهم افضل الصلاة والسلام ويحتمل
ان يكون دلالة على اطلاق اسم الشرك على اليهود والنصارى
يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم مثلهم ومثل حالهم
في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب
كحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم حسبما تراءى الاقوال ونور الله
تعالى هداه الصادر عن القرآن والشرع المنتشر فمن حيث
سماه نورا اسند محاولة افساده الى الافواه ومن حيث
جعلته وصفتها اخبرهم بحاولون امرا خسيسا شيئا
ضعيفا فكان الاطفاء تمثيلا لابطاله وما ابعد هذا من قول
نور الائمة قال بعضهم ان الكره اجريت معنى الى بمعنى
الجعل المتعدي لامه قال يريد الله فلذلك دخلت اللام
في الايجاب نحو ما معناه المنفي وان تم في موضع نصب ونظير
ذلك قول الشاعر ابى الله ان اسمو امام وامهاتي
* فلا المكرم معروف ولا الدرع ضايع *
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره الكافرون الظاهر ان الضمير في ليظهره عائد على
الرسول صلى الله عليه وسلم لانه المحدث عنه والعائد هنا
لدين محمد والدين هنا جنس الاديان اي ليعليه على
اهل الاديان كلها فهو على حذف مضاف فهو صلى الله عليه
وسلم علت ملته اليهود واخرجهم من بلاد العرب وعلت
النصارى على بلاد الشام التي هي ناحية الروم والعرب وعلت
المجوس على ملكهم وعلت اعتاد الاصنام على كثير من ملكهم مما
يلي الترك والهند وكذلك سائر الاديان في الاقاليم
وانذر جوابي عموم الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله

فجمعوا بين الخصلتين الذميمتين اكل المال بالباطل وكنز
المال واكلهم المال بالباطل هو اخذهم المال من اتباعهم اي
من امن الاتباعهم ضرائب باسم الكنائس والبيع وغير
ذلك مما يوهمونهم به ان النفقة فيه من الشرع والتقرب الى
الله عز وجل وصدهم عن سبيل الله اي صدهم الناس عن دين
الاسلام وعن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين مبتدا
اسم موصول ضمن معنى اسم الشرط فلذلك دخلت الفاء
في خبره في قوله عز وجل فبشرهم بعذاب اليم والضمير في قوله تعالى
ولا ينفقونها عائد على المكنوزات الدال عليها الذهب والفضة
يوم يحمى عليها في نار جهنم الاية يوم منصوب بقوله اليم
والضمير في عليها عائد على المكنوزات اي يوقد عليها في نار
جهنم اذ يجوز ان يجمع الله تعالى تلك المكنوزات كلها فيحمى
عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
وخصصت هذه المواضع بالكي لانه في الجبهة اشنع وفي
الجنب والظهر اوجع ولانها مجوفة فتصل الى اجوافهم النار
بخلاف اليد والرجل ثم يقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون وهذا على اضمار قول تقديره فيقال
لهم هذا وفيه اشارة الى المصدر المفهوم من قوله فتكوى اي
هذا الكي جزاء ما كنزتم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة
الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض
منها اربعة حرم الاية كانت العرب لا عيش لاكثرها الا من
الغارات اي كانوا يغيرون على بعضهم بعضا وينهبون من بعضهم
بعضا اي من غاراتها واعمال سلاحها فكانت اذا توالت عليهم
الاربعة الحرم صعب ذلك عليهم واملقوا وكان بنو فقيم
من كنانة اهل دين وتمسك بشرع ابراهيم عليه الصلاة والسلام
فانتدب له القلمس وهو حذيفة ابن عبيد ابن فقيم فنسأ
الشهور للعرب ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم ابنه قلع ثم ابنه
امية ثم ابنه عوف ثم ابنه جنادة ابن عوف وعليه قام الاسلام
وكانت العرب اذا فرغت من حجها جاء اليه من شاء منهم مجتمعين
فقالوا انسئنا شهرا اي اخر عنا حرمة المحرم فاجعلها في صفر
فيحل لهم المحرم ويغزون فيه ويعيشون ثم يلتزمون
حرمة صفر لمواعدة الاشهر الاربعة ويسمون ذلك الصفر
المحرم ويسمون ربيعا الاول صفرا وربيعا الاخر ربيعا الاول
وهكذا في ساير الشهور يستقبلون نسيئهم في المحرم الموضوع
لهم فيسقطون فيسقط على هذا حكم المحرم الذي حلل لهم ويجيء

السنة

وتجيء السنة من ثلاثة عشر شهرا اولها المحلل ثم المحرم الذي
هو في الحقيقة صفرا وربيعا الآخر ربيعا الاول وهكذا
في سائر الشهور تستقبلون نسيئهم في المحرم الموضوع لهم ويسقط
على هذا حكم المحرم الذي حلل لهم ايضا كما ذكرنا وقال مجاهد
رضي الله عنه ثم كانوا يحجون كل عام شهرين ولاء وبعد ذلك
يبدلون فيحجون عامين ولاء ثم كذلك حتى كانت حجة ابي بكر
الصديق رضي الله عنه في ذي القعدة حقيقة وهم كانوا
يسمونه ذا الحجة حقيقة فذلك قوله يا ايها الناس ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة
اثنا عشر شهرا اربعة منها محرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب الذي بين جمادى وشعبان ومناسبة هذه
الآية لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبائح انواعا
من قبائح اهل الشرك واهل الكتاب ذكر ايضا نوعا
منه وهو تغيير العرب احكام الله تعالى لانه حكم في
وقت بحكم خاص فاذا غيروا ذلك الوقت فقد غيروا
حكم الله عز وجل والشهور جمع كثرة واعاد الضمير
عليها كما عاد به على الواحدة المؤنثة فقال منها اي
من تلك الشهور اربعة حرم ولما كانت الاربعة
الحرم للقلة عاد الضمير عليها بالنون في قوله فيهن
وقول الشعر بالجذوع انكسرت لانه جمع كثرة والاجذاع
انكسرن لانه جمع قلة وانتصب كافة على الحال
من الفاعل او من المفعول اي في قوله وقاتلوا المشركين
كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين ومعناه
جميعا ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخله الرمل ولا يتصرف
فيها بغير الحال وتقدم بسط الكلام فيها في قوله عز وجل
ادخلوا في السلم كافة والمعية هنا هي بالنصر والتأييد
وفي ضمنه الامر بالتقوى والحث عليها وقد قال
الله عز وجل انما النسيء زيادة في الكفر والنسيء
مهموز على وزن فعيل وقرئ النسي بتشديد
الياء من غير همز وتقدم الكلام عليها في قوله ما ننسخ
من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها الم الم
تعلم ان الله على كل شيء قدير وقوله زيادة في الكفر جاءت
مع كفرهم بالله سبحانه وتعالى لان الكافر اذا احدث معصية
ازداد كفرا والضمير في به عائد على النسيء يضل به الذين
كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله واللام

في قوله لئلا طول امتعلقة بقوله وبحرمة وذكر على طريق
الاشتمال ومعنى لئلا طوا اي لئلا يتعمطوا في تحليلها او تحريمها
اشهر في العدد فان الواو الفصلة او بمعنى ثم الى آخره
ان شهر الحرم وحرمها مما كان قد طرأ رمضان ونصاب
شهرا من ان كفة تغير وعوض الله سبحانه وتعالى لهم سوء اعمالهم ولام
لا يهدي القوم الفاسقين لها اذ قد اتضح امرها لكم اذا قد
لكم انفروا اي سل الله اني اقسم الا ان تقول امر
الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول وكان
في زمان حديث وحر شديد وقد طال اليوم عظم
قوله على الناقة واضعا قدمه على ركبة عثمان رضي الله عنه
قوله صلى الله عليه وسلم وعثمان يسمع كلامه فجعل
يعلم عز الله ان روم ولي عثمان من امرها فيه راجع وراكب
وشجاعة عنه ان لا يكون سائرا وراجلا
كل وهما فقول نوحي الله تعالى اليه بان يصنع
حكايتهم من الصحيحة اه ولم يخالف الخبر وهو ثقة
بهم وكان مخالفهم ذلك عن عزمه حتى ما يسئلك
اذ شاء الله سبحانه وتعالى وبنا طرح معاذ الكتاب
رفعت في مقابلتهم وقد قال تعالى معلما اي افعل لكم انفروا
وقيل لك منهم لما امروا بالخروج وان كان
وكم فلم اذكر لهما خلاف وشجاعة عليه السلام وضبط الشكوة
عليه الصلاة والسلام اي اجعل الى الوضوء والرمية من اخذه
واختلاف امم علماء الصلاة الكفر وتكذيبه ان لا يقدر الا الله
اني مكنتم في الارض اي ارض الحرث الارض
وذكر حكم تمثيل الاستعمار وسلم فلان اذا مات وصفكم
وقيل فيمن خلق لهم والصلاة وقدرتي ما لهم وانها توكل
ارضكم من الاوكار والاستحواذ الى ارضهم للمتعلم
اعلم ان الدعاء قد لك التعليم اياك في طريق لك الموت آثار
الذي يعيش على ابهامها بمعنى يزيد الاخوة لقوله تعالى وكونوا
مسلم ان تكذبوا الارض تخالفون اي سوء لكم وعن ذلك
قول الاسا عن حلت تناقض ما تقوم سلم
سجدة وحالت على ابهامها ان اذن قد لامع فلان فرد الهيئات
عوف تلفت ناحية الله الهيئات التعلق سنة الحفظ اما
الخبر في الصحيحين لا يقبلون ان من تكون للعدد ويتعلق
في الموت حتى يحضر وقت تقدير فامتاع الحياة الدنيا محسوس

في حسب

في حب نعم الاجنة الاقلال اي الاعتداد به بل هو
كالعدم المنثور قال تعالى ان تنفروا يعذبكم
عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم الاية وعيده
لمتأولين عظيم حتى اوعدهم بعذاب اليم مطلق وقد
يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل لخيرتك
خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح
تثاقلهم فيها شيئا بما قال تعالى الا تنصروه فقد نصره
الله فيه التفات الى الغيبة اي طريق كان من نصر او غيره
وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله او يكون تقديره
محذوف الخبر تقديره فسينصره الله ودليل عليه قوله
فقد نصره الله اي ينصره في المستقبل كما نصره في الماضي
وصحح اخراج الذين كفروا اياه في قوله تعالى اذ اخرجه الذين
كفروا اي تعلم به حاين ادى الى الخروج والاشارة الى خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة الشريفة
على ساكنها افضل الصلاة واكمل السلام وسنذكر الاخبار الدالة
بمجملها كما قدمت في قوله وتبتل اليه الى اخرك وقصة
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي الله عنه
حدثوا مرة ومثنى ومتعددة اذ كنت السر وانتصب
قوله هما ثاني اثنين على الحال اي احد اثنين وهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه وروي ايضا
عن بعضهم انه لما ارتد من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج
قال لجبريل عليه الصلاة والسلام من يخرج معي قال
يخرج معك صديقك ابو بكر رضي الله عنه وقال
الليث رضي الله تعالى عنه ما جمعت الانبياء عليهم الصلاة
والسلام مثل ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم وقال
سعيد بن جبير رضي الله عنه خرج ابو بكر رضي الله عنه
هذه الاية من الحاجة التي في قوله الا تنصروه فقد نصره الله
قال ابن عطية رضي الله عنه لم يخرج منها كل من شهد غزوة
تبوك وانما المعاتبة لمن تخلف فقط وهذه الاية منوهة
بفضل ابي بكر الصديق رضي الله عنه وتقدمه وسابقته
في الاسلام وفي هذه الاية ترغيبهم في الجهاد وتضرع في الله عز
وجل اذ بين فيها ان الله ينصره كما نصره اذ كانا في الغار
وليس معه فيه احد كما ابو بكر رضي الله عنه والغار نقب في
اعلا ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة من مكة مكث
فيه صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام اذ هما بدل قوله اذ يقول

الصف

بدل قوله

وكلم

وقال العلماء رضي الله تعالى عنهم من انكر صحبة ابي بكر لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقد كفر لانكاره ما علم مجانة ونعالي ودليس
كفاسد اعتقاد صحابة وكان سبب حزن ابي بكر رضي الله عنه خوفه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاه عليه الصلاة والسلام
لسكانه قلبه واخبره بقوله ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر
فقال ابو بكر يا رسول الله اني لا اقتل فانا رجل
واحد وان قتلت هلكت الامة وذهبت دين
الله عز وجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ابو بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاسند ابو بكر رضي
الله عنه يقول

قال النبي ولم يجزع نبي ولم

ونحن سندف من ظنه الخاسر
لا تحزن ان الله ثالثنا ... وقد تكفل ربنا بالظهر
وانملكت من يحيى نوادره ... كيد الشياطين قد كادوا لكفار
وبدد الله طرا ما صنعوا ... وعاجل النهي منهم الى النار
فانزل الله سكينته عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما
السكينة الرحمة وقيل ان الصحابة كانوا في علية فاتى على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدث عنه وقال
اتق عظيم رضي الله عنه واسكنه عندي اما ترى ما فيه
انعم علينا على ثنائه علينا عليهم الصلاة والسلام من لطائف
لطفه واتحفنا بقرآنه لا يضل من الهم كقوله فيه سكينته من
ربكم وتحته في قوله ثم انزل الله سكينته اي احق بما اراده به
ما صنعه الله تعالى كتبه عليه الصلاة والسلام الى وقت غزوة
تبوك سكن الطمأنينة والتسوح لا ان يكون هذا الحديث
محتملا لغير ما ذكرته الغار وكلمة الذين كفروا هي الشرك وما
يقولون وكلمة الله تعالى هي التوحيد وهي افضل من الحمد
والخير او هي الغلبة والظهور والجملة خبر لقوله وكلمة
الله هو قال الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا امرا بالنفر
بحالة وقالي من لم ينفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصرف له من الاعمال ما ضرت النعمة لعدم الامر الحزم والمعنى
انفروا على الوصف الذي يحق عليكم الجهاد فيه اي الزحف
الذي يثقل والخفة والثقل هنا مستعاران لمن يمكنه السفر
بسهولة ومن يمكنه بصعوبة واما من لا يمكنه كالاعمى ونحوه
فخارج عن هذا السبيل المتقدم لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا
لاتبعوك اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا

اي لعليا

اي وسطا مقاربا

وسطا مقارنا وهذه الاية فى قصة تبوك حين استنفرهم
للموجين فتثاقلوا واعتذروا بمعاذير لا تحالة ورق لاسيما من
القبائل المجاورة للمدينة لا تتثاقل اى لتبادروا الى
لا لوجه الله تعالى ولا لظهور كلمته ولكن تحدق عليهم الشقة
اى المسافة الطويلة فى غزو الروم والشقة السفر البعيد
وربما قالوه بالكسر فى الشين وسيحلفون اى المنافقون
وهذا اخبار بغيب قال ابن مجشر رضى الله عنه ما قصده
ان الله سبحانه وتعالى وحلفون او هو من كلامهم والقول
مراد فى الوجهين اى سيحلفون متخلفين عند رجوعك
من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالعبر لو استطعنا
لخرجنا معكم وقوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا
والاخبار بما بعد سوف يكون بعد القول من خلقهم
واعتذارهم وذلك من جملة المعجزات ومعنى الاية
الاستطاعة بمنطاعة العدة او استطاعة الابدان كانهم
تمارضوا واد عوا عدم استطاعتهم للخروج اشتى وما ذهب
اليه من ان قوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا
ليس بسديد للنحويين رضى الله تعالى عنهم اجمعين فى هذا
مذهبان احدهما ان قوله لخرجنا من جواب القسم وجواب
لو هنا محذوف على قاعدة اجتماع القسم والشرط اذا تقدم
القسم على الشرط وهذا اختيار الى الحسن ابن عصفور رضى الله
تعالى عنه وقال ابن عطية رضى الله عنه والقول الاخر
ان قوله لخرجنا من جواب لو وجواب القسم محذوف لدلالة
وهذا اختيار ابن مالك الراسخ رضى الله عنه اما قوله
لخرجنا سد مسدهما فلا اعلم احدا ذهب الى ذلك قال
الله عز وجل يهلكون انفسهم اى يوقعونها فى الهلاك
به والله تعالى اعلم القسم الكاذبون فيما ادعوه من التخلف واليمين
والحلف الكاذب والظالم انها جملة مستانفة اخبار الله سبحانه
وتعالى وقال الزمخشري جرى الله عنه قوله يهلكون
انفسهم اما ان يكون بدلا من قوله ويحلفون بالله لو استطعنا
لخرجنا معكم او حالا بمعنى مهلكين انفسهم والمعنى انهم يوقعونها
فى الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف
ويحتمل ان يكون حالا من فى لخرجنا اى لخرجنا معكم وانا
مهلكا انفسنا لعلمنا انها تهلكه بما يحملها من المشاق
فى تلك الشقة وجاء به هنا على لفظ الغائب لانه يخبر
عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا كان

سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة
في حكم الاخبار والتكلم على الحكاية انتهى اما كون قوله يهلكون
انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون اي فيكون بدلا من سيحلفون
بالله فبعيد لان الاهلاك ليس مرادفا للحلف ولا هو نوع
من الحلف ولا يجوز ان يبدل فعل من فعل الا ان يكون مرادفا
له او نوعا منه واما كونه حالا من قوله لخرجنا فالذي قد
يظهر ان ذلك لا يجوز لان قولهم لخرجنا معكم فيه هنا ضمير
المتكلم فالذي يجري عليه قاعدة النحويين انه انما يكون هنا
بضمير المتكلم فلو كان ذلك حالا من ضمير قولهم لخرجنا معكم
لكان التركيب يهلك انفسنا اي يهلكي انفسنا واما قياسه
هنا على حلف بالله ليفعلن ولافعلن فليس بصحيح لانه اذا
اجراه على ضمير الغيبة لا يخرج منه الى ضمير المتكلم فلو قلت
حلف زيد ليفعلن كذا وكذا وانا قائم على ان يكون
وانا قائم حالا من ضمير ليفعلن لم يجز واما قوله وجاء به
على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم فمغالطة ليس مخبرا
عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا معكم بل هو حاك لفظ قولهم
ثم قال الا ترى لو قيل لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا الى
اخره صحيح لكنه سبحانه وتعالى لم يقل ذلك اخبارا عنهم بل حكاية
حال والحال من جملة كلامهم المحكي فلا يجوز ان يخالف بين ذي
الحال وحاله لاشتراكهما في العامل والشرط اذا تقدم القسم
على الشرط كان في درجة الحال وهذا اختيار ابي الحسن رضي الله عنه
والظاهر انها جملة استيناف اخبار من الله سبحانه وتعالى وقال
الزمخشري رضي الله عنه يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا
من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها
في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف
ويحتمل ان يكون حالا من قوله خرجنا اي لخرجنا معكم
وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير
في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه
لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان ذلك قولا سديدا
يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة في حكم الاخبار
ثم قال الا ترى لو قيل لو استطاعوا لخرجوا لكان ذلك سديدا
الى اخره فذلك هو الصحيح ايضا لكنه تعالى لم يقل ذلك اخبارا عنهم
بل حكاية والحال من جملة كلامهم المحكي فلا يجوز ان يخالف بين ذي
الحال وحاله لاشتراكهما في العامل واما قوله وجاء به على لفظ الغائب
لانه مخبر عنهم فمغالطة ليس مخبرا عنهم بقوله لو استطعنا لخرجنا معكم

وذلك لم يجز انتهى

عفى الله عنك

• عفا الله عنك لم اذنت لهم اللام في قوله لم هي لام التعليل
وما استفهامية حذف منها الالف واللام الثانية للتبليغ
وهما متعلقتان باذنت وجاز ذلك لاختلاف معنييهما وحتى
تكون هنا غاية للاستفهام وقوله الذين صدقوا في استئذانك
وانك لو لم تاذن لهم خرجوا معك حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين يريد في انهم استاذنوك يظهرون لك انهم يقفون
عند حدك وهم كذبة وقد عزموا على العصيان سواء اذنت
لهم ام لم تاذن • لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما قبل هذه الاية وما بعدها
ورد في قصة تبوك والظاهر ان متعلق الاستئذان هو قوله
ان يجاهدوا اي ليس من عادة المؤمنين في ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا وان كان الخلص من المهاجرين والانصار
لا يستاذنون النبي صلى الله عليه وسلم ابدا بل يقولون
لنجاهدن معه باموالنا وانفسنا • انما يستاذنك الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم • اي وهم المنافقون وكانوا
تسعة وثلاثين رجلا ومعنى ارتابت شكت ويترددون
اي يتحيرون لا يتجه لهم هدى فتارة يخطر لهم صحة امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتارة يخطر لهم خلاف ذلك
• ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس رضي الله عنهما
اي عدة من المال والزاد والماء والرواحل والسلاح لان
سفرهم بعيد وكان في زمن حر شديد وفي تركهم العدة دليل
على انهم ارادوا التخلف • ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم
قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت كيف موقع حرف الاستدراك
قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة معطيا
معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل هنا ولكن كره الله
انبعاثهم فثبطهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج
لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء
الي انتهى وليست الاية نظير هذا المثال لان المثال واقع
فيه لكن بعد ضدين والاية واقع فيه لكن بين متفقين
من جهة المعنى والانبعاث الانطلاق والنهوض قال ابن عباس
رضي الله عنهما قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم يعني
كسلهم وفتر نياتهم • وقيل اقعدوا مع القاعدين • لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضرب عسكره اسفل منها ولم يكن باقل العسكرين فلما سار تخلف
عنه عبد الله فيمن تخلف فنزلت والخبال وقال ابن عباس رضي الله عنهما

معناه هنا الفساد

ومراءاة اجهاد الكلمة وتقدم شرح الجبال في سورة آل عمران وهذا
الاستثناء متصل وهو مفرغ عنه اذ المفعول الثاني لزاد لم
لم يذكر وقد كان في هذه الغزوة منافقون كثير وهم لا شك
خبال فلو خرج معكم لا الناس معكم اي كثروا فراد الجبال خبالا
اي لزاد الفساد فسادا والله اعلم • ولا وضعوا خلالكم الايضاع
هنا معناه الاسراع قال الشاعر •
اذا قامتا تضوع المسك منهما • ونحمل الطعام وما الطراب
وفعولك اذ وضعوا محذوف تقديره ولا وضعوا ركابهم بينكم
لان الراكب اسرع من الماشي والخلال جامع للخلل وهو الفرجة
بين الشيئين وجلسنا خلال البيوت وخلال الديار اي بينها
ويبغونكم الفتنة اي يبغون لكم الكفر وفيكم سماعون لهم
قال الحسن رضي الله عنه اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه
اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم انتهى قال
في الكشاف الاول اولى لان الاول للتعليل وفي الثاني للتقوية التعديد
كقوله فعال لما يريد والقول الاول قال سفيان ابن عيينة
ومجاهد والحسن وابن زيد قالوا معناه جواسيس يسمعون
الاخبار وينقلونها اليهم وروى الطبري رضي الله عنه والقول
الثاني قول الجمهور قالوا معناه وفيكم مطيعون سماعون
اي سامعون اياه لقد ابتغوا الفتنة من قبل تقدم ذكر السبب
في نزول هذه الاية والتي قبلها من قصة رجوع عبد الله ابن ابي
باصحابه في هذه الغزاة حرشا بينهم في هذه الاية واخبارهم
فيما سمعوا على الاسلام فابطل الله سعيهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما يعني بعوا ذات العوائل وقال ابن جريج رضي الله عنه وقت
اتى غير رجلا من المنافقين على الثنية ليلة العقبة كي يمشوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي من قال اي من مثل هذه
الخرجة وذلك ما كان من حالهم وقت خروج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورجوعهم عنه في احد وغزاها وتكلم الكل
الامر حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون قال ابن عباس رضي
الله عنهما المراد هنا تقليبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم الامور
ليوقدوا شرها ظهر البطن والنظر في وجهها واصنامها والسعي
بكل حيلة وقوله حتى جاء الحق اي القرآن وشريعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولفظة جاء مشعرة بانه كان قد ذهب • وظهر امر الله
وصفه بالظهور لانه كان كالمستور اي علا وعلا دين الله على جميع
الاديان • وقوله وهم كارهون اي لمجيء الحق وظهور دين الله تعالى
• ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد ابن قيس

سعوا له

ذكر ان

ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالغزو الى بلاد الروم
حرض الناس فقال للجد ابن قيس هل لك العام في جلاد بني الاصفر
وقال له وللناس اغزوا تغنموا بنات بني الاصفر فقال الجد ابن
قيس ائذن لي في التخلف ولا تفتني بذكر بنات بني الاصفر فقد علم
قومي انني لا انما لك نفسي عن النساء اذا رايتهن وتصيفني اي
ولا تفتني بالنساء هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما والفتنة
التي سقطوا فيها هي فتنة التخلف قال الله عز وجل الا في الفتنة
سقطوا اي وقعوا في فتنة التخلف عن الجهاد وظهور كفرهم ونفاقهم
ولفظة سقطوا تنبئ عن وقوعهم فيها • وان جهنم لمحيطة
بالكافرين قال الله عز وجل • ان تصبك حسنة تسؤهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما الحسنة يوم بدر والمصيبة يوم احد وينبغي
ان يحمل قوله على التمثيل واللفظ عام في كل محبوب ومكروه
وسياق الجمل يقتضي ان يكون ذلك في الغزو ولذلك قالوا ان
الحسنة هي الظفر والغنيمة والمصيبة الخيبة والهزيمة
مثل ما قد وقع في غزوة احد ومعنى امرنا اي الذي نحن
متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم في التخلف
عن الغزو من قبل ما وقع من المصيبة ويتولوا وهم فرحون اي
بما اصابكم ايها المؤمنون • قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو
مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى
الحسنيين الاية اي ما تنتظرون بنا الا احد العاقبتين
كل واحدة منهما هي الحسنى من العواقب اما النصرة واما
الشهادة فالنصرة مآلها الى الغلبة والاستيلاء والشهادة مآلها
الى الجنة • ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده
او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون • قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين • قرئ بضم الكاف
ويعني في سبيل الله تعالى ووجوه الخيرات والبر والتقوى وهو
امر معناه التهديد والتوبيخ • وقوله هنا انفقوا قال ابن عطية
رضي الله عنه هذا امر فيه اي في ضمنه جزاء وهذا مستمر في
كل امر معه جزاء والتقدير ان تنفقوا لن يتقبل منكم واما
اذا عري الامر من الجواب فليس يصحبه تضمن الشرط انتهى
ويقدح في هذا التخريج ان الامر اذا كان فيه معنى الشرط كان
الجواب كجواب الشرط فعلى هذا يقتضي ان يكون قوله فلن يتقبل بالفاء
لان لن لا تقع جوابا للشرط الا بالفاء فكذلك ما ضمن معناه
وانتصب طوعا او كرها على الحال والطوع هو ان يكون من غير الزام
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والكره الزام ذلك وسمي الالزام اكراها

لانهم ما نفقوا قصاد لهم لزام ساقا عليهم كالاكراه وعلل انتفاء القبول بالفسق والمراد به هنا الكفر ويدل عليه قوله وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا فان هذه الآية قد ذكر السبب الذي هو بمجرده انه مانع من قبول نفقاتهم وهو الكفر اي وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا كفرهم فذكر السبب الذي هو بمجرده انفعه مما هو ناشئ عن الكفر ومستلزم له وهو قيل علته وذلك اتيان الصلاة وهم كسالى وانفاقهم وهم كارهون فالكسل في الصلاة وترك الاحتياط لها وعدم احترامها بالاقبال عليها من ثمرات الكفر فانتفاؤها عندهم لا يرجون به ثوابا ولا يخافون بتركه عقابا وكذلك الانفاق لا يكون الا كذلك الا وهم لا يرجون به ثوابا ولا يخافون بمنعه عقابا والا لما قطع رجاء المنافقين عن جميع منافع الآخرة بين ان الاشياء التي يظنون انها من باب منافع الدنيا جعلها الله تعالى سببا لتعذيبهم في الدنيا بها اي ولا تعجبك ايها السامع بحيث لا تستحسن وكل نفسك بما آتى قوما من زينة الدنيا وفي هذا تحذير لسائر المنافقين والضمير في بها قد علق الاموال واللام في قوله ليعذبهم لام كي ومفعول يريد محذوف تقديره يريد كسبهم للاموال والاولاد اي لاجل تعذيبهم وزهاق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم اي انهم من جملة المسلمين وقد اكذبهم الله عز وجل بقوله وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ومعنى يفرقون يجانبون القتل وما يفعل بالمشركين فتسبط ايديهم بالاسلام تقية لا هم من القتل والم من العقوبة ويتم يبطنون النفاق لو يجدون ملجأ اي حصونا او غارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون لما ذكر ان المنافقين من المؤمنين اجرى عليهم حكمهم مما يوجبه الظرف وهو انهم لو امكنهم الهرب منهم لهربوا ولكن صحبتهم لهم ضمنة اضطرارا فيجمعهم اختيار والملجأ الحرز والمغارات جمع مغارة ويجمع على مغار يقال مغار يغور اذا دخل قد اذ او لاجلا لعمر وهو الملجأ ان يطلق على كل ما يلجأ اليه الانسان ثم شيء بالمغارات وهي الغيران في الجبال ثم اتي ثالثا بالمدخل وهو النفق في باطن الارض وقوله تعالى لولوا اليه اي لاحد من الثلاثة وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يردهم شيء * ومنهم من يلمزك في الصدقات قال ابن عباس رضي الله عنهما الآية هذا هو حرقوص ابن زهير التميمي وهو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله الحديث وقيل

الآية

الامر عن والعين من يعينك في قسم الصدقات وضمير القول
لي وضمير لما فقني واذكاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ور هذا
الرد قيد من الشرطين بذلك عادتهم وعادتهم
اذلا يهم وان لم يرضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو
لشرههم في تحصيل الدنيا وحبهم جمع المال وان رضاهم
وسخطهم انما يتعلقان بالحظ والهوى ظاهر مطلق حقوق الاعطاء
او تقييد مطلقا وما احسن محيي حواب هذين الشرطين
ان ان لا يلزم اذا تعارضا ولا ان يتعلقا بل يجوز ان
يكون ان يتأخر جوابه ان اسلمت دخلت الجنة وانما يقتضي
مطلق الترتب واما جواب الشرط الثاني فمحذوف يدل
عليه ما ذكر اي ان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
ولم يكن ما حكم سخطهم ولم يمكن ما حكم لما سلف
عليه من عادتهم المنافي التشفي في تحصيلها ومفعول رضوا
محذوف اي رضوا ما اعطوه منها وليس المعنى رضوا عن الرسول
عليه الصلاة والسلام وانهم منافقون ولان رضاهم
وسخطهم لم يكن لاجل الدين بل لاجل الدنيا وجاءت اذا هم
المجازية رابطة لجواب الشرط مقام الجزاء بجملة الشرط ولا تحفظ جاءت
اذا جوابا للشرط الا وحرف الشرط ان وكذلك في قوله اذا هم
يقنطون وسائر ادوات الشرط لكانت انما لكن وما ومهما
لوظرف زمان كمتى وايان او مكان كحيثما لا تعلم جاء هنا
جواب شيء منها فاذا الفجائية على كثرة وقطالعتي لدلالتها على الفور
* ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا
الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون الآية هذا وصف لحال
المستقيمين في دينهم اي رضوا ما قسم الله ورسوله وقالوا كفانا
فضل الله سبحانه وتعالى وعلموا ان امالهم بيد الله تعالى وحده
وكانت رغبتهم الى الله لا الى غيره وجواب لو هنا محذوف وتقديره
لكان ذلك خيرا لهم في دينهم ودنياهم * انما الصدقات
للفقراء والمساكين الآية لما ذكر تعالى من يعيب الرسول عليه
الصلاة والسلام في قسم الصدقات بانه يعطي من شاء ويحرم
من شاء او يحابي قاربه ويأخذ لنفسه ما يبقى وكانوا يسألون
فوق ما يستحقونه بين سبحانه وتعالى مصرف الصدقات
وانه عليه الصلاة والسلام انما قسم الا على ما فرضه الله عز وجل
ولقطة آيما ان كانت وضعت للحقر فالحصر مستفاد من هذا
لقطها وان لم توضع للحقر فالحصر مستفاد من الاوصاف واذا
الحكم ما وصف بمقتضى التعليل هو والتعليل بالثاني يقتضي الاشتراك
عليه والظاهر ان حصر الصدقات ما هو لا الاضافة المذكورين

والظاهر ان العطف مشعر بالتغاير فيكون الفقراء غير المساكين
والظاهر بقاء هذا الحكم للاصناف الثمانية دائما اذ لم يرد نص
في نسخ شيء منها وتقدم الكلام على الفقراء والمساكين وقوله
وفي الرقاب وابن السبيل في سورة البقرة وقوله والعاملين عليها
هو الذي يستنيبه الامام في السعي في جمع الصدقات وكل من
تصرف لا يستغنى عنه فيها فهو من العاملين ويسمى جابي الصدقات
او الساعي والمؤلفة قلوبهم هم اشراف من العرب مسلمون لم
يتمكن الايمان في قلوبهم اعطاهم منها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليتمكن الايمان في قلوبهم فمن المؤلفة ابو سفيان ابن حرب وسهيل
ابن عمرو والحارث بن هشام وحويطب بن عبد العزى
وصفوان بن امية ومالك بن عوف النصري والعلاء ابن
حارثة الثقفي فهؤلاء اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل واحد منهم مائة بعير مائة بعير ومخرمة ابن نوفل الزهري
وعمير ابن وهب الجمحي وهشام ابن عمرو العامري اعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم دون المائة ومن المؤلفة سعيد ابن
يربوع والعباس ابن مرداس والاقرع ابن حابس وزيد الخيل
وعلقمة ابن علاثة وابو سفيان الحارث ابن عبد المطلب
وحكيم بن حزام وعكرمة ابن ابي جهل وسعيد ابن عمرو وعيينة ابن
حصن وحسن اسلام المؤلفة حاشى عيينة فانه لم يزل مغموصا
عليه والغارمين قال ابن عباس رضي الله عنهما الغارم من عليه
دين وزاد مجاهد وقتادة في غير معصية ولا اسراف والجمهور
على انه يقضى منها دين الميت اذ هو غارم وقال ابو حنيفة رضي الله
عنه وكذا قاله ابن المواز انه لا يقضى منها دين الميت قال ابو
حنيفة رضي الله تعالى عنه ولا يقضى منها كفارة ولا نحوها من
حقوق الله عز وجل وانما الغارم من عليه دين يحبس فيه وقيل
يدخل في الغارمين من تحمل حملات في اصلاح وبر وان كان
غنيا اذا كان ذلك يجحف ماله وهو قول الشافعي واصحابه
وكذا الامام احمد رضي الله تعالى عنهم اجمعين وفي سبيل الله هو
المجاهد يعطى منها اذا كان فقيرا والجمهور على انه يعطى منها وان
كان غنيا ما ينفقه في غزوته وقال الشافعي والامام
احمد وعيسى ابن دينار وجماعة لا يعطى الغني الا ان احتاج في
غزوته وغاب عنه وفره وقال ابو حنيفة وصاحباه
لا يعطى الا ان كان فقيرا او كان منقطعا به فاذا اعطي
ملكه وان لم يصرفه في غزوته وقال ابن عبد الحكم ويجعل من
الصدقات في الكراع والسلاح وما قد يحتاج اليه من آلات الحرب

وكفن العدو

وكف العدو عن الحوزة لانه كله في سبيل الله عز وجل ومنفعته
والجمهور على انه يجوز الصرف منها للحجاج والمعتمرين وان كانوا
اغنياء وانتصب فريضة لانه في معنى المصدر المؤكد لان قوله
انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله لهم الصدقات وقرئ
فريضة بالرفع على تلك فريضة من الله والله عليم حكيم لان ما صدر
منه سبحانه وتعالى هو عن علم منه لخلقه وحكمته اي لحكمة منه
تعالى في القسمة التي فرضها وقدرها اي عليم بمقادير المصالح
حكيم لا يشرع الا ما هو الاصلح ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو اذن كان خدام بن خالد وعبيد بن هلال والجلاس
ابن سويد في اناس اخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بعضهم لا تفعلوا اي لا تقولوا ذلك فانا نخاف ان يبلغه
فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا فان محمدا اذن سامعة
ثم نأتيه فيصدقنا ونزلت هذه الاية وقيل غير ذلك
يقال رجل اذن اذا كان يسمع مقال كل احد وقد قيل
انه يستوي فيه الواحد والجمع قاله الجوهري رضي الله عنه وقال الشاعر

ومذ صرت اذنا للوشاة سميعة
ينالون من عرضي ولو شئت ما نالوا

وارتفع اذن على اضمار مبتدا محذوف الخبر اي قل هو اذن
خير لكم يؤمن لله ويؤمن للمؤمنين تعدية يؤمن اولا بالباء وثانيا
باللام قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر فعدي
بالباء وقصد الاستماع للمؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون
فعدي باللام وقرئ ورحمة بالرفع عطفا على اذن وبالجر
عطفا على خير ورحمة للذين امنوا منكم وخص المؤمنين
وان كان رحمة للعالمين لان ما حصل لهم من الايمان هو بسبب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحصل لغيرهم وخصوا هنا بالذكر
وان كانوا قد دخلوا في العالمين لحصول مزيتهم وابرز اسم الرسول
عليه الصلاة والسلام ولم يات به مضمرا على نسق يؤمن بلفظ
الرسول تعظيما لشانه وجمعا له في الاية بين الرتبتين
العظيمتين من النبوة والرسالة واضافته اليه زيادة في تشريفه
وحتم على من اذاه بالعذاب الاليم وحق لهم ذلك والذين
يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وذلك عام يندرج فيه
هؤلاء الذين اذوا هذا الايذاء الخاص وغيرهم يحلفون بالله
لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الظاهر ان
الضمير في قوله يحلفون عائد على الذين يقولون هو اذن انكروه
وحلفوا انهم ما قالوه واللام في ليرضوكم لام كي اي لكي ان يرضوكم قال ابن عطية

رضي الله عنه مذهب سيبويه رضي الله عنه انهما جملتان حذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها والتقدير عنده والله احق ان يرضوه
ورسوله احق ان يرضوه ومذهب المبرد ان في الكلام تقديما
وتاخيرا وتقديره والله احق ان يرضوه ورسوله انتهى فقوله
مذهب سيبويه انهما جملتان حذفت الاولى منهما ان كان الضمير
في انهما عائدا على كل واحدة من الجملتين فكيف يقول حذفت
الاولى ولم تحذف الاولى ايضا انما حذف خبرها وان كان الضمير
عائدا على الخبر وهو احق ان يرضوه فلا تكون جملة الا باعتقاد كون
ان يرضوه مبتدا واحق المتقدم خبره لكن لا يتعين هذا القول
اذ يجوز ان يكون الخبر مفردا بان يكون التقدير احق بان يرضوه
وعلى التقدير الاول يكون التقدير والله ارضاؤه احق بان يرضوه
وقدره الزمخشري رضي الله عنه والله احق ان يرضوه ورسوله
كذلك انتهى وفي تقديره تفكيك للكلام حيث جعل احق ان يرضوه
خبرا عن قوله والله احق فنوى به التقديم او اضمر خبرا لقوله
ورسوله وقدره كذلك والذي نقوله انه لما كانت طاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله عز وجل كما قال من يطع الرسول
فقد اطاع الله صار ذلك متلازمين كالشيء الواحد فافرد
الضمير كما قال الشاعر بها العينان تنهل ولم يقل تنهلان
وقالت العرب ايضا رب يوم وليلة مر بي يريد مر ابي
فافرد الضمير لتلازمهما ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم اي ألم يعلم المنافقون
وهو استفهام معناه التوبيخ والانكار وقرئ بالتاء وهو
التفات خرج من ضمير الغيبة الى ضمير الخطاب واسم ان هو
ضمير الامر والشان وخبر ان هو جملة الشرط والجزاء فمن مبتدا
ويحادد مجزوم به قال ابن عباس رضي الله عنهما المحادة هنا هي
المخالفة ويحادد خبر لمن والفاء داخلة في جواب الشرط ايضا
وينسبك من ان وما بعدها مصدر خبر لمبتدا محذوف تقديره
فجزاؤه كينونة النار له قال الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان
يكون معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره ألم يعلموا
انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم انتهى فيكون فان
له نار جهنم في موضع نصب وهذا الذي قدره لا يصح لانهم نصوا على انه
اذا حذف الجواب لدلالة الكلام عليه كان فعل الشرط ماضيا في
اللفظ او مضارعا مجزوما بلم فمن كلامهم انت ظالم ان فعلت
ولا يجوز ان تفعل وهنا حذف جواب الشرط وفعل الشرط
ليس هو ماضي اللفظ ولا مضارعا مقرونا بلم وذلك ان جاء في كلامهم

فمخصوص

فخصوص بالضرورة وانضاف محمد الكلام قاصدا دون قصد ره الجزء ٢٠
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ٥
الآية قال ابن كثير رضي الله عنه وقف جماعة منهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة عند مرجعه من غزوة تبوك اي
ليبطشوا به فاخبر جبريل عليه الصلاة والسلام فنزلت وقيل ٦
قالوا في غزوة تبوك انرجو ان هذا الرجل ان فتح له قصور الشام وحصونها
فهيهات فانزل الله عز وجل قل استهزؤا ان الله مخرج
ما كنتم تحذرون والظاهر ان يحذر خبر وقد دال على قوله ان الله
مخرج ما كنتم تحذرون فقد واقع منهم حقيقة لما شاهدوا
الرسول صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما يكتمونه وقع الحذر والخوف في
قلوبهم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب اي ولئن
سألتهم عما تقول لامر القبيح في حقك وهو اصحابك من قول بعضهم
انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وقول بعضهم
كانكم غدا في الحبال اسارى لبني الاصفر وقول بعضهم ما رأينا كهؤلاء
ارغب بطونا ولا اكذب السنة ولا اجبن عند اللقاء فاطلع الله
نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك كله فعنفهم فقالوا يا نبي الله انما
كنا نخوض ونلعب ولا كنا في شيء من امرك ولا امر اصحابك
انما كنا في شيء مما يخوض فيه الركب وكنا في غير حقيقة فلما اتاهم
الله قد تكفرتم بعد ايمانكم هذا تقريع وتوبيخ لهم
على استهزائهم وضمنه الوعد والاقصاد باعتذارهم لانهم كانوا
كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود
منهم حتى وبخوا باخطائهم موضع الاستهزاء احب جعل الاستهزاء
به على حرف التقرير وذلك انما يستقيم بجحود وقوع الاستهزاء
وشيوعه وانه حاصل وقد مر ما لله وهو معمول لجزم كما في بد ٧
عليها اي مد لعلي حوان قد عد عليها وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال رأيت قائل هذه المقالة يعني انما كنا نخوض ونلعب
واسمه وديعة ان ثابت متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى
الله عليه وسلم تنكبها والحجارة تنكبه اي تضربه في وجهه وهو يقول
انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابالله وآ ٨ باية
ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
نهيا عن الاعتذار لانها اعتذار عن استهزاء به فهي لا تنفع
وقوله قد كفرتم بعد اي اظهرتم الكفر بعد ايمانكم اي بعد اظهار
ايمانكم كانوا يسرون الكفر اظهروا بكلمة واحدة وحاء التقسيم
بالعفو عن طائفة والتعذيب لطائفة وكان المنافقون
صنفين صنف امر كبارهم في غزوة تبوك بالكفار والمنافقين وهم

روحاء ٩

المعلنون بالاراجيف فعذبوا باخراجهم من المسجد وانكشاف معظم
احوالهم وصنف ضعفة مظهرون الايمان وان ابطنوا الكفر
لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفى عنهم وهذا العذاب
والعفو في الدنيا وقيل العفو عن من علم الله انهم سيخلصون من النفاق
ويخلصون الايمان والمعذبون من مات منهم على نفاقه وقرئ
ان يعف تعذب طائفة مبنيا للمفعول وقرئ ان نعف نعذب
بنونين وقرئ ان تعف بالتاء مبنيا هنا للمفعول التقدير
ان تعف هذه الذنوب • المنافقون والمنافقات بعضهم من
بعض بين سبحانه وتعالى ان ذكورهم واناثهم ليسوا من المؤمنين
كما قال الله عز وجل ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم بل
بعضهم من بعض في الحكم والمنزلة والنفاق فهم على دين واحد
وليس المعنى على التبعيض حقيقة لان ذلك معلوم ووصفهم بخلاف
ما عليه المؤمنون من انهم يأمرون بالمنكر والكفر وعبادة غير الله عز
وجل وكذا يأمرون بالمعاصي وينهون عن المنكر ويقبضون ايديهم
وقوله وينهون عن المعروف يعني الايمان والطاعات وقبض الايدي
عبارة عن عدم الانفاق في سبيل الله عز وجل والنسيان هنا
الترك للطاعة وافعال الخيرات اي تركوا طاعة الله وطاعة رسوله صلى
الله عليه وسلم فنسيهم اي تركهم من الخير واما من الشر فلم
ينسهم منه • وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار فارجهم
خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم والمراد بالكفار
في هذه الآية هم المعلنون بالكفر وخالدين فيها حال مقدرة
لان الخلود لم يقارن الوعد وقوله هي حسبهم اي كافيهم وذلك
هو مبالغة في عظم عذابهم اذ عذابهم شيء لا يزاد عليه
ولعنهم اي اهانهم مع التعذيب ولما ذكر تشبيههم بمن قبلهم
وذكر ما كانوا فيه من شدة القوة وكثرة الاموال والاولاد واستمتاعهم
بما قدر لهم من الانصباء شبه استمتاع المنافقين باستمتاع الذين
من قبلهم وابرزهم بالاسم الظاهر فقال كما استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم ولم يكن التركيب كما استمتعوا هم بخلاقهم ليدل ذلك على
التحقير لانه كما يدل باعادة الظاهر مكان المضمر على التفخيم
والتعظيم كذلك يدل باعادته على التحقير والتصغير
لشان المذكور منهم كقوله في الآية الآتية ايضا في قصة ابراهيم
عليه الصلاة والسلام يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن
عصيا وكقوله ان المنافقين هم الفاسقون ولم يأت التركيب انه
كان ولا انهم هم وخضتم كالذي خاضوا اي دخلتم في اللهو والباطل
وهو مستعار من الخوض في الماء ولا يستعمل الا في الباطل لان التصرف

بذلك

في الحق

الباطل ان التصرف في الحق الا امام على ترتيب ونظام وامور
الباطل ايام اياي خوضهن ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال
في مال الله عز وجل ليس اخذ يوم القيامة كالذي خاضوا
اي كالخوض الذي خاض من كان قبلكم من الامم وكذا قاله الفراء
رضي الله عنه وقيل كالنوع الذي خاضوا فيه وقيل الكون هنا
بمعنى وقتا اي كالذين خاضوا اي كخوض الذين خاضوا وقيل
الذي مع ما بعدها تشبيه مصدر اي كخوضهم والظاهر
ان اولئك اشارة الى الذين وصفهم بالشدة وكثرة الاموال
والاولاد والمعنى وانتم كذلك تخبط اعمالكم الباطلة
كما خبطوا الذين من قبلهم لما شبه الكفار بالكفار اتحد
في الرعونة في الدنيا وتكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وحاز لفظ الذين من قبلكم فيها القيام نصب على طرفي ما
سنة لانهم كان عندهم شيء من اثارهم اي اخبارهم وكانت
بلادهم قريبة من بلاد العرب وكانوا اكثر الامم عددا واموالا
وهم اعظم واله نساء عليهم الصلاة والسلام نوح عليه
الصلاة والسلام اول رسل ابراهيم عليه الصلاة والسلام
هو الاب الثاني للعرب وما بينهما من الامم ممن ان لهم
في الشدة وكثرة المال والولد قوم نوح اهلكوا بالغرق
وعاد بالريح الشديدة وثمود بالصيحة وقوم ابراهيم نسخ
عنهم حين سلطت البعوضة على ملكهم النمرود وذكر وهي ان البعوضة
اليتي دخلت في انفه فصارت قدر عصفور كبير حتى خرقت دماغه
راسه حتى صار يضرب راسه بالمطارق بها بالنعال نسال الله
تعالى السلامة والعافية امين واما اصحاب مدين فاخذهم
عذاب يوم الظلة والمؤتفكات جعل عاليها سافلها
وامطار الحجارة اليتي اهلكوا بها والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض لما ذكر المنافقون والمنافقات
وما هم عليه من الاوصاف القبيحة والاعمال الهاسدة
ذكر المؤمنين والمؤمنات وقال في اولئك تعضهم من بعض وفي
الاول بعضهم اولياء بعض اذ لا ولاية بين المنافقين ولا
شفاعة لهم ولا يدعي بعضهم لبعض فكان المراد هنا الولاية
في الله عز وجل وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار لما اعقب المنافقين بذكر ما اوعدهم به
من نار جهنم اعقب المؤمنين بذكر ما وعدهم به من نعيم الجنات
ولما كان قولكم له تعالى اولئك سيرحمهم الله وعدا احقا فصله
هنا تنبيها على ان تلك الرحمة في هذه الاشياء ايها الفاجد

ص

ط

ف

ن

ض

ظ

ع

ق

ك

ل

م

ه

و

ي

هنا

خ العصفور الكبير

الكفار والمنافقين

لما ذكر وعيد غير المعينين وكانت السورة تتنزل في المنافقين بدأهم
بذلك بقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار
جهنم ولما ذكر أمر الجهاد وكان الكفار غير المنافقين لمباشرة
شكيمة وقوي بلسانه في القتال وإنكاء بتصديهم للقتال قال
تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما معنى هذه الآية والله أعلم بي جاهد الكفار
بالسيف وجاهد المنافق بالسان والحجة يحلفون بالله
ما قالوا الآية عاد على المنافقين فقيل هو حلف الجلاس
وقد مر قصته مع عامر بن قيس وهو ما تم يقالوا قال مجاهد
رضي الله عنه نزلت في خمسة عشر رجلا منهم فقتل عليه الصلاة
والسلام ورق فقوا على أن ترفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا استتم
العقبة فأخذ عمار بن ياسر بخطام ناقته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فبينما هم كذلك إذ سمع حذيفة وقع أخفاف الإبل
وقعقعة السلاح فالتفت إليهم فإذا القوم مسلمون فقال
إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا وكان فيهم عبد الله بن أبي
وعد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق والجلاس
بن سويد وداعوا عامر بن شهاب الأشجعي فقال ما لنا
بك خبرا لهم هذا احتسان منه سبحانه وتعالى ورفق ولطف بهم
حتى فتح لهم باب التوبة بعد أن ركاب تلك الجريمة العظيمة
وكان الجلاس بعد حلفه وإنكاره الله ما قال ما نقل عنه
فلما عرف وصدق العاقل عنه وتاب وحسنت توبته ولم
يرد أن لمحمد أصحابا قلت في تفسير الجلاس قيل وفي هذا
دليل على قبول توبة الزنديق المستتر بكفره المظهر للإيمان وهو
مذهب أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما وقال مالك رضي الله عنه
لا تقبل توبته قال وإن جاء تائبا من قبل نفسه قبل أن يعثر
عليه قتل في مذهبه بلا خلاف وقوله لهم خيرا لهم واسم لكن ضمير
يعود على المصدر المفهوم من قوله يتوبوا فقد من لك هو أي التوب
خيرا لهم ومنهم من وقف هذا الوقف قال الضحاك رضي الله عنه هو
نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير وثعلبة
بن حاطب وفيهم نزلت الآية والظاهر أن الضمير في قوله واعفهم
هو عائد على الله عز وجل عاقبهم على الذنب بما هو أشد منه والظاهر
عود الضمير في يلقونه على الله سبحانه وتعالى وقيل جزاء أفعالهم
لم يعلموا هذا الاستفهام يتضمن التوبيخ والتقريع وقرأ علي وابن أبي عبلة
الرحمن والحسن وعكرمة بالتاء وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير
والله تعالى فاضح المنافقين ومعلم المؤمنين أحوالهم التي يكتمونها

شاهدنا

أي اذهبوا

شافشاسرهم وبخواهم هذا التقسيم عبارة عن احاطة علمه تعالى
بهم والظاهر ان الاية في جميع المنافقين من عاهد ومن
اخلف وغيره الذين يلمزون المطوعين في الصدقات الاية
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه الاية نزلت فيمن عاب
المتصدقين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حثهم على
الصدقات فتصدق عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف وامسك
عنده مثلها فبارك له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اعطى
وفيما امسك وتصدق عمر رضي الله عنه بنصف ماله وعاصم بن
علي بمائة وسق وعثمان بصدقة عظيمة وابو عقيل الاراشي
بصاع تمر وترك لعياله صاعا وكان قد اجر نفسه لسقي
نخيل بهما ورجل بناقة عظيمة كانت عنده قال هي وذو
وذو بطنها صدقة يا رسول الله والقى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطامها فقال المنافقون ما تصدق هؤلاء الا رياء وسمعة
وما تصدق ابو عقيل الا ليذكر مع الاكابر وليذكر بنفسه
فيعطى من الصدقات والله غني عن صاعه فقال بعضهم
تصدق بالناقة وهي خير منه وكان الرجل اقصر الناس قامة
واشدهم سوادا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال بل هو خير منك ومنها يقوله ثلاثا والذين لا يجدون
الا جهدهم مندرجون في المطوعين ذكروا تشريفا لهم حيث
ما فاتتهم الصدقة بل تصدقوا بالشيء وان كانوا اشد
الناس اليه حاجة واتعبهم في تحصيل ما تصدقوا به كابي عقيل
وابي خيثمة وكان قد لمز في التصدق بالقليل ونظرائهما
والذين يلمزون مبتدا وفي الصدقات متعلق بيلمزون والذين
لا يجدون معطوف على المطوعين كانه قيل يلمزون الاغنياء
وغيرهم وفيسخرون معطوف على يلمزون وسخر الله منهم
وما بعده خبر عن الذين يلمزون • استغفر لهم او لا تستغفر
لهم الاية سال عبد الله ابن عبد الله ابن ابي وكان رجلا صالحا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل
فنزلت تلك الاية فقال صلى الله عليه وسلم قد رخص لي فازيد
على السبعين فنزلت تلك الاية سواء عليهم استغفرت لهم ام لم
تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وعلى هذا فالضمائر كلها عائدة على جميع
المنافقين والخطاب بالامر هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر
ان المراد بهذا الكلام التخيير وهو الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد قال له عمر رضي الله عنه كيف تستغفر لاعداء الله وقد نهاك
الله عن الاستغفار لهم فقال عليه الصلاة والسلام ما نهاني ربي عن الاستغفار

ولكنه خيرني

فكانه قال ان شئت فاستغفر وان شئت فلا تستغفر
ثم اعلمه انه لا تغفر لهم وان استغفر سبعين مرة فرح
المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله لما ذكر سبحانه وتعالى
ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه الى غزوة
تبوك عن المنافقين ذكر حال المخلفين الذين لم يخرجوا
معه وتخلفوا عن الجهاد واعتذروا اليه اعتذارا حتى يأذن
لهم فيكشف الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم عن اخوانهم
واعلمه سوء ضمائرهم فانزل عليه قوله فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله اي فرحوا بتخلفهم عن الخروج معه لغرض نفوسهم
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خلفهم بالمدينة لما
اعتذروا اليه وهذه الاية تقتضي التوبيخ والوعيد وقطع
المخلفون تقتضي الذم والتحقير ولذلك جاء قوله عز وجل
صواب ان يكون اسم الخلاف وهي اصح من نسط المخلفين
اذ هم فعلوا بهم ذلك ولم يفرح الامتثال فخرج من ذلك
الثلاثة واصحاب العذر وقطع المقعد يكون الزمان والمكان
والمقعد وهو هنا للمكث ورأى يقعدهم وهو عار عن
الاقامة بالمدينة الشريفة وانتصب خلاف على الظرف اي
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى فلان خلاف فلان اذا
جاء بعده اي بعد ذهابه او مخالفا له في رأيه ومنه قول الشاعر
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تاهب لاخرى مثلها وتقدر
فان رحمك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل
لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول
مرة فاقعدوا مع الخالفين الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى فان رحمك الله من سفرك هذا فهو عز وجل بشرك
فاستاذنوك عطف على محذوف تقديره فارادك الخروج بعد
الرجوع فاستاذنوك للخروج وجواب الشرط قوله فقل لن تخرجوا
معي ابدا وامره الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فقل
لن تخرجوا معي ابدا اعلمه عقوبة لهم واظهارا لقبائحهم وسوء
حالهم واكد نفي الخروج في المستقبل بقوله ابدا او لموطن
فستقتلوا وانتقل بالنفي من الشاق عليهم وهو الخروج الى الغزاة
الى الاشق وهو قتال العدو لانه اعظم الجهاد ورتبة الخروج ووضع
بارقة الشروع الى تحتها الجنة ثم عدل انشاء الخروج والقتال
بكونهم رضوا بالقعود اول مرة ورضاهم ناشئ عن نفاقهم وكفرهم
وخداعهم وعصيانهم امر الله عز وجل في قوله انفروا خفافا وثقالا
وقالوا هم لا تنفروا في الحر فعلل بالسبب وهو الرضا الناشئ

عن السبب

عن السنة وهو النفاق واق لمرة هي الخرجة الى غزوة تبوك
ومرة مصدر كانه قيل اول خرجة عينها لانها لم تكن
اق ل خرجة خرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم للغزاة فلا بد
من تقييدها اذ الاولية هنا تقتضي السبق وقيل التقدير
اول خرجة خرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم
بنفسه وقيل اق لمرة قبل الاستئذان • ولا تصل على احد
منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الخ عن الصلاة على المنافقين
اذا ماتوا عقوبة ثانية وجزي مثاله اي دايم لا ينقطع
عنهم وكان صلى الله عليه وسلم يصلي على المنافقين اذا ماتوا
كما في بعض الروايات ويقوم على قبورهم بسبب ما يظهرونه
من الاسلام فانهم كانوا يتلفظون بكلمتي الشهادة ويصلون
ويصومون فبني الامر على ما ظهر من اقوالهم وافعالهم
وكل سرائرهم الى الله عز وجل ولم ينزل عليه وحي حين وقعت
واقعة عبد الله ابن ابي ابن سلول وهي اشهر ابن مالك رضي الله
عنه انه لما قام ليصلي عليه جاءه جبريل عليه الصلاة
والسلام فجذبه بثوبه وقال له لا تصل على احد منهم مات
ابدا ولا تقم على قبره الآية فانصرف ولم يصل عليه وما في صفة
الرجل تقدم الوصف بالجود ورسم بالجملة وهو ماض بمعنى
المستقبل لان الموت عزم على وجوده لا محالة نهاه تعالى عن
الصلاة عليه والقيام على قبره وهو الوقوف عند دفنه حتى قد
يفرغ من دفنه • ولا تعجبك اموالهم وأولادهم تقدم
الكلام عليه نظرها واعد ذلك لان الجد والهزل لا يجتمعان
في تقرير ما نحن فيه • واذا انزلت سورة الآية ان يحتمل ان تكون
تفسيرية بمعنى اي ويحتمل ان تكون مصدرية اي والاول
والظاهر ان الخطاب للمنافقين اي اقبلوا قولكم كما امنتم
بالله لنستكم ولتاذنوك حواب اذا اولوا الطول الكبراء والرؤساء
قال ابن عباس رضي الله عنهما والطول معناه الغناء والمعنى
لتاذنك ذوو الغناء منهم في القعود في تاذنك التفات
اذ هو خروج من لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب
وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين اي مع النساء والصبيان
ومن تركك لحراسة المدينة وفي قوله رضوا بان يكونوا مع
الخوالف تحقير لهم ومبالغة في الذم والخوالف هم النساء والظاهر
ان قولهم وطبع على قلوبهم هو اخبار من الله عز وجل بما فعل بهم
فلاجل الطبع لا يفقهون ولا يتدبرون ولا يتفهمون ما في الجهاد
من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك

لكن الرسول والذين آمنوا معه لكن وضعها ان تقع بين متنافيين
ولما تضمن قول المنافقين ذرنا واستئذانهم في القعود كان ذلك
تصريحا بانتفاء الجهاد وكانه قيل رضوا بكذا وكذا ولم يجاهدوا
لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم والمعنى
ان تخلف هؤلاء المنافقون فقد توجه الى الجهاد من هو خير
منهم واخلص نية واولئك لهم الخيرات جمع خيرة وهو الحسن
اي المستحسن من كل شيء فيتناول محاسن الدنيا والآخرة لعموم
اللفظ وكثر استعماله في النساء فمن ذلك قوله تعالى فيهن
خيرات حسان وجاء المعذرون من الاعراب وقرئ هنا
بالتشديد والتخفيف والظاهر ان هؤلاء الجائيين كانوا
مؤمنين كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لان التقسيم قد يقتضي ذلك
الا ترى الى قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب
الذين كفروا منهم عذاب اليم فلو كان الجميع كفارا لم يكن لوصف
الذين كفروا قعدوا بالكذب اختصاص وكان قوله سيصيبهم
عذاب اليم والمعذرون هم اسد وغطفان وقيل غير ذلك
ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج الآية لما ذكر سبحانه وتعالى حال من تخلف عن الجهاد
مع القدرة عليه ذكر حال من له عذر في تركه والضعفاء
جمع ضعيف والضعف هنا المراد به الهرم ومن خلق في اصل البنية
شديد النحافة والضوء وله بحيث لا يمكنه الجهاد والمريض هو من عرض
له المرض او كان زمنا ويدخل فيه العمى والعرج والذين لا يجدون
ما ينفقون هم الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة ونفى
الحرج عنهم في التخلف عن الغزو ونفي الحرج لا يتضمن المنع من
الخروج الى الغزو فلو خرج احد هؤلاء ليعين المجاهدين
بما يقدر عليه من حفظ متاعهم او تكثير سوادهم ولا يكون كلا عليهم
كان له في ذلك ثواب جزيل فقد كان عمرو ابن الجموح اعرج وهو من
اتقياء الانصار وهو في اول الجيش وقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله عذرك فقال والله اني لاخفرن بعرجتي
هذه في الجنة وكان ابن ام مكتوم رضي الله تعالى عنه اعمى فخرج
الى احد وطلب ان يعطى اللواء فاخذه فاصيبت يده التي فيها
اللواء فامسكه باليد الاخرى فاصيبت اي فضربت فامسكه
بصدره اي احتضنه ثم تلا قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل الآية وشرط في انتفاء الحرج النصح لله سبحانه
وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو ان تكون نياتهم واقوالهم
سرا وجهرا خالصة لله سبحانه وتعالى من الغش ساعية في ايصال

الخير للمؤمنين

للموحدين داعية لهم بالنصر والتمكين فقد ورد في سنن ابي داود
رضي الله عنه لقد تركتم بعدكم قوما ما سرتم مسيرا ولا انفقتم
من نفقة ولا قطعتم واديا الا وهم معكم فيه قالوا يا رسول الله
وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة قال حبسهم العذر وقرا
اردوا حشوة او انصحوا الله ورسوله منصب الجلالة والمعطوف
فاعل المحسنين من سبيل اي من زيادة تشاطبهم او عقوبة ولفظ
المحسن عام في كل من احسن لتحملهم اي على ظهر تركك ونحوك
عليه اطلاق المجاهد واذا اقتضى هو ابا والاولى ان يكون نحو
ما يترك منها وهو قليل ويكون قوله تولوا حوابا لسؤال مقدر
كانه قيل فما حالهم اذا جاءهم الرسول عليه الصلاة والسلام
قيل تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون
فان قلت هل يجوز ان يكون قوله قلت لا احد ما احملكم
عليه تفسيرا لتولوا يعني مثل رضوا بان يكونوا مع الخوالف
كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم قولوا فقيد ما لهم في الواو ما كنى بك
قلت لا الصوما احملكم عليه لانه قد وسط بين الشرط والجزاء
لاعراض قلت نعم وحسن ذلك والله اعلم ولا يجوز
ذلك كان الضمير الذي اضيفت اعين اليه وهو ضمير من وايضا
فانه معرفة ولا يجوز الا على رأي الكوفيين الذين يجيزون مجيء
التمييز معرفة وانتصب حزنا على المفعول له والعامل فيه
تفيض وقال ابو البقاء هو مصدر واقع موقع الحال
وان لا يجدوا مفعول له ايضا والناصب لحزنا وقال ابو البقاء
رضي الله عنه ويجوز ان تجعل تفيض ولا يجوز ذلك على
اعرابه حزنا مفعولا له والعامل فيه تفيض لان العامل
لا يقتضي اثنين من المفعول له الا بالعطف او البدل وقوله
ان لا يجدوا ما ينفقون فيه دلالة على انهم مسدرجون تحت قوله
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج وتقدم نظيران في
الحرج عن من ذكر وانك اني في السبيل بمعنى الائمة والعتب عن المحسنين
فيكون قوله ولا على الذين معطوفا على المحسنين عطف الخاص على
العام ويحتمل هذا قوله انما السبيل معرفا باللام ادعاد على
النكرة في قوله من سبيل • انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم
اغنياء الآية اثبت في حق المنافقين ما نفاه في حق المحسنين
فدل لاهل العلم قلة ان قولا مستون الى ارباب الاعذار اعظم
من النفاق والتخلف عن الجهاد الى عتبة ما نفاهم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم رضوا بان يكونوا مع الخوالف تقدم الكلام عليه
• يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا الن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله

انتهى

وأي

الاعتذار

لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب
في اعتذاره كف عنه • قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء التصديق
لانه تعالى اذا اخبر الرسول والمؤمنين بما انطوت عليه سرائرهم
من الشر والفساد لم يمكن تصديقهم في معاذيرهم سيحلفون بالله لكم
الآية لما ذكر انه يصدر منهم الاعتذار اخبر انهم سيؤكدون ذلك
الاعتذار بالحلف الكاذب وان سبب الحلف هو طلبهم ان تعرضوا
عنهم فلا تلوموهم ولا توبخوهم اي فاعرضوا عنهم اي فاجيبوهم
الى طلبتهم وعلل الاعراض عنهم بانهم رجس اي مستقذرون بما
انطوت عليه من النفاق فيجب مباعدتهم واجتنابهم كما قال
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • يحلفون لكم
لترضوا عنهم الآية قال مقاتل رضي الله عنه نزلت هذه
الآية في عبد الله ابن ابي ابن سلول حلف بالله الذي لا اله الا هو
لا يتخلف عنه بعدها وحلف ابن ابي سرح لا يكونن معه على عدوه
وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فنزلت وهنا
حذف المفعول من اجله اي المفعول به وفي قوله سيحلفون بالله
اثبت كقوله سبحانه وتعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا
يستثنون وقوله واقسموا بالله فلا فرق بين اثباته وحذفه
في انعقاد ذلك يمينا وغرضهم من الحلف رضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين عنهم لنفعهم في دنياهم لا ان مقصدهم بذلك
وجه الله سبحانه وتعالى ولا البر اذ هي ايمان كاذبة واعذار مختلفة
فاسدة لا حقيقة لها وفي الآية قبلها لما ذكر حلفهم لاجل الاعراض
جاء الامر بالاعراض نصا لان الاعراض من الامور التي تظهر للناس
وهنا ذكر الحلف لاجل الرضاء فابرز النهي عن الرضاء في صورة شرطية
لان الرضا من الامور القلبية التي تخفى وخرج مخرج المتردد فيه وجعل
جوابه انتفاء رضا الله تعالى عنهم فصار رضى المؤمنين عنهم
ابعد شيء في الوقوع لانه معلوم منهم انهم لا يرضون عن من لا يرضى
الله ورسوله عنهم ونص على الوصف الموجب لانتفاء الرضى وهو
الفسق وجاء اللفظ عاما فيحتمل ان يراد به الخصوص كانه قيل
فان الله لا يرضى عنهم ويحتمل بقاءه على جهة العموم فيندرجون فيه
ويكونون اولى بالدخول اذ العام اذا نزل على سبب مخصوص لا يمكن
اخراج ذلك السبب عن العموم بتخصيص ولا غيره • الاعراب
اشد كفرا ونفاقا نزلت في اعراب من بني اسد وتميم وغطفان
واجدر اي احق ان لا يعلموا اي بان لا يعلموا والحدود هنا الفرائض
• ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما نزلت في اعراب من بني اسد ومن
سبق ذكرهم كانوا يتخذون منهم من الصدقات مغرما والمغرم هو الغرم والخسر

ومن الاعراب

ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر انزلت في بني مقرن
من مزينة قاله مجاهد رضي الله عنه ولما ذكر سبحانه وتعالى من
يتخذ ما ينفق مغرما ذكر مقابله وهو من يتخذ ما ينفق مغنما
وذكر هنا الاصل الذي ترتب عليه انفاق المال في القربات
وهو الايمان بالله واليوم الآخر اي جزاء ما ينفق انما يظهر ثوابه
الدائم في الآخرة وفي قصة اولئك اكتفى بذكر نتيجة الكفر
وعدم الايمان وهو اتخاذه ما ينفق مغرما وتربصه بالمؤمنين
الدوائر والاجود تعميم القربات من جهاد وصدقة والمعنى
يتخذه سبب وصل عند الله عز وجل وادعية الرسول صلى
الله عليه وسلم وكان عليه الصلاة والسلام يدعو للمتصدقين
بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
صل على آل ابي اوفى وقال الله عز وجل وصل عليهم اي ادع
لهم والظاهر عطف وصلوات على قربات • وممن حولكم من
الاعراب منافقون ذكر في هذه الآية ان منافقين حولكم
من الاعراب وفي المدينة لا تعلمونهم اي لا تعلمون اعيانهم
اذ لا تعلمونهم منافقين ومعنى حولكم اي حول بلدتكم
وهي المدينة والذين كانوا حول المدينة جهينة واسلم
واشجع وغفار ومزينة وعصية وبني لحيان وغيرهم
ممن جاور المدينة ومن اهل المدينة معطوف على ممن حولكم
فاشتركا في النفاق ويكون مردوا اخبارا عن الصنفين ويجوز
ان يكون ومن اهل المدينة استئنافا خبر مبتدا محذوف
تقديره قوم مردوا على النفاق ويجوز حذف هذا المبتدا الموصوف
بالفعل كقولهم منا ظعن ومنا اقام يريدون منا جمع ظعن
ومنا جمع اقام ويكون الموصوف بالمرد منافقو المدينة قال
الزمخشري رضي الله عنه كقولهم انا ابن جلا انتهى ان كان شبهه
في مطلق حذف الموصوف فحسن وان كان شبهه في خصوصيته
فليس هو بحسن لان حذف الموصوف مع من واقامة صفته
مقامه وهي في تقدير الاسم ولا سيما في التفصيل منقاس
كقولهم منا ظعن ومنا اقام • واما انا ابن جلا فضرورة شعر
كقوله يرمي بكفي كان من ارمى البشر اي بكفي رجل وكذلك
ابن جلا تقديره انا ابن رجل جلا اي كشف الامور وبينها
وفي قوله نحن نعلمهم تهديد وترتب عليه الوعيد الشديد
بقوله سنعذبهم مرتين والظاهر اراءة التثنية ويحتمل ان
يكون لا يراد بها شفع الواحد بل يكون المعنى على التكثير كقوله
ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة كذلك يكون معنى قوله عز وجل

مرتين اي مرة بعد مرة وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية نزلت في جماعة من
الصحابة اوثق ثلاثة منهم انفسهم بسواري المسجد منهم ابو لبابة
كانوا قد رغبوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفسهم وتخلفوا عن
الغزو مع المسلمين فنزلت خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير عائد على الذين
خلطوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق
بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت هذه
الآية الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده الآية قال الذين لم
يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون
فنزلت وقل اعملوا تقدم نظيره وآخرون مرجوون لامر الله
قال ابن عباس رضي الله عنهما وكذا قال مجاهد وعكرمة رحمهما الله تعالى
نزلت في الثلاثة الذين خلفوا قبل التوبة عليهم وهم هلال ابن
امية الواقفي ومرارة ابن الربيع وكعب ابن مالك وقرئ مرجؤون بالهمز
وبغير الهمز ومعناه التأخير لامر الله عز وجل اي لحكمه اما يعذبهم
ان اصروا ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا والذين اتخذوا
مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله
ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون
لا تقم فيه ابدا الآية لما ذكر سبحانه وتعالى طرائق ذميمة لاصناف
المنافقين اقوالا وافعالا ذكر ان منهم من بالغ في الشر حتى ابتنى
مجمعا للمنافقين يرتبون فيه ما شاؤوا من الشر وسموه مسجدا
وكان بنو عمرو ابن عوف مسجد قبا وبعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فجاء وصلى فيه ودعا لهم حسدهم بنو اعمهم بنو غنم ابن
عوف وبنو سالم ابن عوف وحرضهم ابو عامر الفاسق على بنائه
حين نزل الشام هاربا من وقعة خيبر فراسلهم في بنائه وقال
ابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر آتي بجند من الروم فاخرج
محمدا واصحابه فبنوه على مسجد قبا وكانوا نحو اثني عشر رجلا من
المنافقين حذام ابن خالد ومن داره اخرج المسجد وثعلبة
ابن حاطب ومعتب ابن قشير وحارثة ابن عامر وابناه مجمع
وزيد ونبتل ابن الحارث وعباد ابن حنيف ونجاد ابن عثمان
ووديعة ابن ثابت وابن حنيفة ابن الازهر ومخرج ابن عمرو ورجل
من ضبيعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي
لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح
سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه وكان امامهم
مجمع ابن حارثة وكان غلاما قارئا للقرآن حسن الصوت وهو ممن حسن اسلامه



وولاه عمر

و ولاه عمر رضي الله عنه إقامة مسجد قبا بعد رجعته ثم بعثه إلى الكوفة
يعلمهم القرآن فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة
تبوك نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار
فنزل عليه القرآن في شأن مسجد الضرار فدعى مالك أبن
الدخشم ومعنا وعاصما ابني عدي وقال انطلقا إلى هذا الظالم
وحرقا عليه بيته فانطلقا مسرعين فاخرجا أهله وحرقا بيته
بنار في سعف وأضرموها في دار كثير بن حزام فاحترقت
وتفرق الناس عنه وأما احتمال أن يكون مؤولا من قوله وآخرون
مرجون لأمر الله وان يكون خبرا لمبتدأ تقديره منهم الذين وان
يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره منهم الذين اتخذوا هذا
تعدي لواحد كقوله تعالى أني حدث أتخذت بيتا أي عملت بيتا
وضرارا مفعول من أجله وقولهم اذا أردنا أي بناءه الا الحسنى
فوفقا أي قولهم ذلك في جملة القسم المحلوف عليها مصدرة
بإن النافية التقدير ما أردنا الا الحسنى كقوله ولئن زالتا
ان امسكهما أي ما امسكهما من أحد من بعده بمعنى ربه غرهم
ان لا يقوم فيه أبدا ه إن يقوم فيه الا أن مسجد بناه كما زعموا
قد حان وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم قم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشيء معهم وسنده عن تعميصه ليهضم معهم فترك علة ذلك الآية
وفي قوله عز وجل لا تقم فيه ابدا وعيد بالقيام عن الصلاة
فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة من الصحابة والتابعين
المسجد المؤسس على التقوى هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصلى فيه اياما وفاجأه نفاقهم وهو يوم الاثنين والثلاثاء
والاربعاء والخميس فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب
المطهرين وقد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ذات يوم يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم بالطهور
في الوضوء والصلاة فما طهوركم فقالوا يا رسول الله انا لنتبع الغائط
بالماء يريد ان الاستنجاء بالماء فعلمناذلك فلما حاذاه سلام
لم يدعه اي لم يترك فعله ولكن قال لا تدعوه اذا ابدا او قرئ
اسس على البناء للفاعل واسس مبنيا للمفعول فيهما
شفا الشيء حافته والهاء مسلمة عن واو ولذلك يقال في تثنيه
شفوان والحرف ما حرفه التلين الاودية او الهوى قابلة للانهيار
رضي الله عنه وقيل الجرف البئر لم تطو وهار اي ساقط يقال
هار يهور وهار يهير واسم الفاعل هائر فعل حذفت
الهمزة فبقي هار وهل قلبت الكلمة من هائر لي هار ثم حذفت
لاجل التنوين وصار الاعراب في الآخر فقالوا في الرفع هار وفي النصب هارا

لنجاشي أسس على التقوى
من أول يوم أقوال
فقوم فيه

ليا وفي الجر هار

وقوله عز وجل لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم يحتمل ان يكون البنيان هنا مصدرا
اي لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان هنا مصدرا اي
لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان ويحتمل ان يراد به المبني
فيكون على حذف مضاف اي لا يزال بناء المبني ريبة في
قلوبهم اي شكا يريد سبب ريبة وقطع وقرئ تقطع مبنيا
للمفعول وتقطع مبنيا للفاعل واصله تتقطع اي تتقطع
حذفت التاء الثانية فبقي تقطع • ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله
الآية قال ابن عباس رضي الله عنه هذه الآية نزلت في البيعة
الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي اناف فيها رجال الانصار
على السبعين وكان اصغرهم سنا عقبة ابن عمرو وذلك انهم
قد اجتمعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا
اشترط لك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله ابن رواحة
فاشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم حمايته مما يحمون منه انفسهم
واشترط لنفسه التزام الشريعة وقتل الاحمر والاسود
في الدفع عن الحوزة فقالوا ما لنا على ذلك فقال صلى الله عليه
وسلم لكم الجنة فقالوا نعم ربح البيع لا نقيل ولا نقايل
وفي بعض الروايات ولا نستقيل فنزلت والآية عامة في كل
من جاهد في سبيل الله من امة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم
القيامة والظاهر من قوله في التوراة والانجيل والقرآن
ان كل امة قبل هذه من الامم المتقدمة امرت بالجهاد
ووعدت عليه الجنة فيكون في التوراة متعلقا بقوله اشترى
والامر بالقتال والجهاد مامور به وموجود في جميع الشرايع
• ومن اوفى بعهده من الله هذا استفهام على جهة التقرير
اي لا احد اوفى ولما اكد الوعد بقوله عليه حقا ابرزه
هنا في صورة العهد الذي هو اكد واوثق من الوعد اذ الوعد
في غير حق الله جائز اخلافه والعهد لا يكون الا الوفاء به اذ هو اكد
من الوعد قال الزمخشري رضي الله عنه ومن اوفى بعهده من الله
لان اخلاف الوعد قبيح لا يقدم عليه اكرام من الخلق مع جوازه عليهم
لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا يرى
ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ منه انتهى وفيه دسيسة
الاعتزال واستعمال قط في غير موضعه لانه اتى به مع قوله لا يجوز
عليه قبيح قط وقط ظرف ماض ولا يعمل فيه الا الماضي ثم
قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم

المتعاد

خاطبهم على

خاطبهم على سبيل الالتفات لان في مواجهته تعالى لهم بالخطاب تشريف
لهم وهي حكمة الالتفات هنا وليست استفعل هنا لطلب
بل هي بمعنى افعل كاستوقد واوقد والذي بايعتم به وصف
على سبيل التاكيد ويحتمل على البيع السابق ثم قال وذلك هو الفوز
الفوز العظيم اي الظفر للحصول على الربح التام والغبطة
في البيع لحط الذنب ودخول الجنة التائبون العابدون
الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الآية قال رجل يا رسول
الله وان زنى وان سرق وشرب الخمر فنزل قوله تعالى التائبون
الى آخره وهذه الاوصاف للكمل من المؤمنين ذكرها الله تعالى
ليشفق الى التحلي بها عباده وليكونوا على اوفى درجات
الكمال التائبون قيل هو مبتدا خبره العابدون وما بعده
خبر بعد خبر اي التائبون في الحقيقة الجامعون لهذه
الخصال وقيل خبره الآمرون وقيل خبره محذوف
بعد تمام الاوصاف وتقديره من اهل الجنة وترتيب
هذه الصفات في غاية من الحسن اذ بدا اولا بما يخص
الانسان مرتبة على ما ينبغي ثم بما يتعدى من هذه الاوصاف
من الانسان لغيره وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ثم بما يشمل ما يخصه في نفسه وما يتعدى الى غيره
وهو الحفظ لحدود الله تعالى ولما ذكر سبحانه وتعالى مجموع
هذه الاوصاف امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يبشر
المؤمنين وفي الآية قبلها فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به امرهم بالاستبشار فحصلت لهم المزية التامة بان
الله تعالى امرهم بالاستبشار وامر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يبشرهم ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم هذه
الآية نزلت في شان ابي طالب حين احتضر فوعظه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اي عم قل لا اله الا الله محمد رسول الله
كلمة احاج لك بها عند الله وكان بالحضرة تلك ابو جهل
وعبد الله بن ابي امية فقالا له يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد
المطلب فقال ابو طالب لولا اني اخاف ان يعير بها ولدي
من بعدي لاقررت بها عينك ثم قال انا على ملة عبد المطلب
ومات فنزلت انك لا تهدي من احببت فقال صلى الله عليه
وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فكان يستغفر له حتى
نزلت تلك الآية فترك الاستغفار لابي طالب وما كان استغفار

ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية

ولما كان استغفار ابراهيم لابيه مصدرا ان يقتدي به ولذلك
قال جماعة من المؤمنين نستغفر لموتانا كما استغفر ابراهيم لابيه
بين ان علة في استغفار ابراهيم لابيه وذكر انه حين ان تصح
له عداوة لله تبرأ منه والموعدة التي وعدها ابراهيم اياه هي
قوله سأستغفر لك ربي وقوله لاستغفرن لك والضمير في انه
هو الفاعل في قوله وعدها وهو عائد على ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وكان ابو نعيم الحباة وكان ترحم ايمانه فلما تبين
له من جهة الوحي من الله تعالى انه عدو لله وانه يموت كافرا
وانقطع رجاؤه في ايمانه تبرأ منه وقطع عنه استغفاره ويدل
على ان الفاعل في وعدها ضمير يعود على ابراهيم قراءة لحق
وان استمتع فهي في تهيك وعباد القارئ وحماد الراوية
وعدها اباه وقبل الفاعل ضمير والد ابراهيم عليه الصلاة
والسلام واباه ضمة ابراهيم وعده ابوه ان يسلم فلما
ابراهيم قد فلك طمعة في ايمانه فجلده ذلك على الاستغفار له
حتى نهاه الله عن ذلك وان رواه الحاسم المتضرع وقيل
غير ذلك قال ابن مخيري رضي الله عنه اذا رواه فعار من اوبة
كلاه من اللوم لو ابو الذي يكثر التاوه وهما اوه
لغة طيئ رحمة وراقه وحلمه كان يعطف على ابيه الكافر
الى آخر وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين
لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ما ان قوم كان عملهم على الامر
الاول كما شقشار بيت المقدس وشرب الخمر فساد قوم من امة
صلى الله عليه وسلم بعد محي النسخ ونزول الغرائض عن ذلك
فنزلت وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم اي وما كان الله
ليحدثهم الا ضلال لقوم او يسدهم الى الهدى حتى يبين لهم
ما يتقون اي يجتنبون فلا يجري ذلك فيهم فيحدثهم ضلالهم
• لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في
ساعة العسرة الآية قال ابن عطية رضي الله عنه التوبة من الله عز
وجل رجوعه بعبده من حالة الى حالة ارفع منها وقد تكون
في الاكثر رجوعا عن حالة المعصية الى حالة الطاعة وقد تكون
رجوعا من حالة طاعة الى حالة اكمل منها وهذه توبته في هذه الاية
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه رجع به من حالة قل تحفل
العزوة ويحمل مشاقها اي مشقاتها الى حالة بعد ذلك اكمل
منها واما توبته على المهاجرين والانصار فحالها معرضة لان
تكون من نقصان الى طاعة وحد في العزو ونصرة الدين
واما توبته على الفريق فرجوع من حالة محطوطة الى حال غفران

ورضي

وصى القعود اى انتعلى العسرة في ساعة العسرة وهي الضنك والشدة
والكدر وهذا هو جيش العسرة الذي قال فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهز عثمان ابن
عفان رضي الله عنه مائتي حمل ومائتي دينار وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلب الدنانير بعد اثر بقه وقال وما على
عثمان ما عمل بعد هذا وجاء انصاري مسعامة وسق من تمر
وقال مجاهد وصح بلغت العسرة بهم الى ان كان العشرة
منهم يعتقبون على البعير الواحد حتى بعد حين من قلة
الظهر والى ان قسموا التمرة بين الاثنين وكان النفر
ياخذون التمرة الى الحلق فمصها احدهم وشرب عليها الماء
وكانوا يمصون النوى ويشربون عليه ما فطرسه حتى
استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه يدعو فما عاد
حتى جاء رجل بصبة فجعل الشرب يفحق انسكبت سحابة
فشربوا وادخروا فاتم ان يحملوا فاذا السحابة لم تجاوز
عن العسكر وفي هذه الغزوة نزلت الجائحة بخبر الابل فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع ازوادهم حتى اجتمع منه على
النطع شيء يسير فدعا عليه بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم
فملاؤها كلها حتى لم يتبق وعاء منها بالا ملاؤه واكل القوم كلهم حتى
شبعوا وفضل فضلة وكان لحنين او ذاك ثلاثين الفا
وزيادة وفي اخر غزواته صلى الله عليه وسلم وفيها خلف عليا
رضي الله عنه بالمدينة فقال المنافقون خلفه تقصا فيه واخرد
بغضا لهم فقال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى عليهما
الصلاة والسلام وصل صلى الله عليه وسلم الى اوائل بلاد العدو وبلغ
السرايا فصالحه اهل ادرح واهل اذيلة على الجزية وانصرف
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما غزا نبي قط فلوى او فريق منهم
اي تعدل عن الحق في المتابعة وكاد تدل على القرب لاصل التلبس
بالزيغ وقرئ بالتاء فتعين ان يكون في كاد ضمير الشان
وان يتبع قلوب بالتاء فتعين ان يكون قلوب اسم كاد وزيغ
في موضع الخبر لان التاء علامة التانيث ولا يكون من بعد ما كاد
قلوب بزيغ بالياء وقرئ بالتاء فاحتمل ان يكون في كاد ضمير الشان
كقراءة الياء واحتمل ان يكون قلوب اسم كاد وزيغ الخبر
وسط بينهما كما فصل ذلك ركان وفي هذه الاعرابين كلام ذكر
في الحجر وقوله قلوب فريق منهم قال الحسن رضي الله عنه همت فرقة
بالانصراف لما لقوا من العسرة والشدة وقيل نيفا بثلاثين فما فوقها تابت
في معنى عفو الرسول على تلك الغزوة لما لقوا من شدة الحمة وقلة الزاد

ص
اى الجماعة منهم

ما فضل من هم

وغيرهما

وتعلق الشغف وفق
الشغاف والمشغوف

• وعلى الثلاثة الذين خلفوا او معطوف على قوله والانصار
ومعنى خلفوا عن غزوة تبوك • حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما
رحبت تقدم تفسيره وضاقت عليهم انفسهم استعارة لان الغم
والهم لما لهما كحيث لا يسعها انس ولا سرور او خرجت من شرط
الوحشة والغم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اي قد علموا
وقال قوم الظن هنا على بابه من ترجح احد الجائزين لانه وقف
وقف امرهم على الوحي ولم يكونوا قاطعين بانه سيترل في شانهم
فان كانوا قاطعين بانه سيترل في شانهم قرآن او كانوا
قاطعين كلهم يكون وقف تطويل لمدة في بقائهم في الشدة
فالظن عاد الى كون تلك المدة قصيرة وعلق هذه المحل
في كيف اذا في غاية الحسن والترتيب قد ذكرا ان لا ضيق الا عليهم
وهو كناية عن لمتخلفين وقرن الناس عن كلامهم وما بانا
وضاقت عليهم انفسهم وهو كناية عن توالي الهم والغم
على قلوبهم حتى لم يكن فيها متسع من الارتياح والانشراح قد ذكرا ان لا
ضيق المحل وثانيا ضيق الحال فيه لانه قد يضيق المحل
وتكون النفس منشرحة قد ذكرا ان لا ملجأ يسيرا من الخلق
عدتي امورهم بالله عز وجل وقطعوا الامل وعلموا انه لا مخلص
من الشدة والكرب الا الله سبحانه وتعالى ثم تاب عليهم
ليستقيموا اعلى توبتهم وينيبوا اذ استقاموا اضافة
تشعر لمن فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تعالى يتوب
على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة • يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وكونوا مع الصادقين حيث هو خطاب للمؤمنين امروا بكونهم
مع اهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم
وان اخبرهم عن رتبة انفاق واعرفت هذه الجملة تنبيها على
رتبة الصدق وتعني بها ثانية لرتبة النبوة في قوله فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا ما كان لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نزلت فيمن
تخلف من اهل المدينة عن غزوة تبوك وفي من تخلف ممن
حولهم من الاعراب من مزينة وجهينة واشجع وغفار
وقناسبتها لما قبلها انه لما امر المؤمنين بتقوى الله عز وجل وامرهم
بكينونتهم مع الصادقين وافضل الصادقين رسول الله صلى الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار اقتضى
ذلك موافقة الرسول وصحبته اي التي توجد من العرب ومن

ا ي
ا ي كيف توجه
والى من توجه

الشاهد

المشاهده ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه قال الزمخشري رضي
الله عنه اي بان يحبوه على الباساء والضراء وبكابدوا معه
الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يقيسوا انفسهم في الشدايد
مع جميع ما تلقاه بنفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم علما
بانها اعز نفس عند الله عز وجل واكرمها عليه فاذا تعرضت
واذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في الشدايد والهول
وجب على سائر الانفس اذ تهافت فما قد تعرضت له ولا تكره
بها اصحابها ولا تضنوا لها ورفاهة ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ
ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطاون موطئا يغيظ
الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان
الله لا يضيع اجر المحسنين الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما
والظمأ معناه العطش ولما كان العطش اشق واشد
الاشد على المؤدية على المسافر بكثرة الحركة وان عالج العطش
وخصوصا اذا كان ذلك في شدة الحر كعزوة تبوك هدى
به اي لاي شيء ما لنصب وهو التعب لانه اكثر الالم الذي يلحق
المسافر والاعياء الناشي عن العطش والتعب واني ثانيا بالخروج
الى مكان يكثر فيه العلف والماء بعد ان ذكر ما يعرض للمسافر اولا في ذاته
وموطئا فعل من وطئ فاحتمل ان يكون مكانا واحتمل
ان يكون مصدرا والفاعل في يغيظ عائد على المصدر
اما على موطئ ان كان مصدرا واما على ما فهم من موطئ ان
كان مكانا اي يغيظ وطئهم اياه الكفار والنيل مصدر واحتمل
ان يبقى على موضوعه واحتمل ان يراد به المنال واطلق هنا
نيلا لنعم القليل والكثير من حاسوهم قتلا واسرا
وغنيمة وهزيمة وقرئ في هاتين الجملتين بالاستئناف
ابتداء هو الذي وطد لكم بالنصر من العدو وجاء العموم
في الكفار بالالف واللام وفي قوله من عدو لكونه اذى بين في سائر
النفس وجزاء اوقال انما يحض المسافر في الجهاد في نفسه ثانيا
بما يترتب على تحمل تلك المشاق من غيظ الكفار والنيل من العدو
ولا ينفقون نفقة صغيرة قال ابن عباس كالتمرة ونحوها
ولا كبيرة اي وهي ما زاد على التمرة وقدم صغيرة على جليلة
اهتماما كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال
تعالى ايضا ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين واذا
كتب اجر الصغيرة فاحرى ان يكتب اجر الكبيرة ومفعول كتب

مضمر يعود على المصدر المفهوم من ينفقون او

ويقطعون كانه قيل كيف لهم بهذا الانفاق والقطع وتاخرت هذه
الحملتان وقدمت تلك الجملة الشانية لانهما اشق على النفس
وانكاء للعدو وهما اللتان يهمان الاموال وقطع الارض
الى العدو وسواد حصل عقيب انكسار والتحرز من العدو امر مهم
يخص الكل فهذا اعم وتلك احض وكان تعليل تلك الاكد
اوجاء بالجملة الاسمية المؤكدة بان وذكر فيه الاجر والعظم
الحسن نبه على انهم حازوا رتبة الاحسان الى بلوغ اعلاه
رضا المومنين وفي هاتين الجملتين الى بلوغ اعلاه وهي
معللة وكتب لهم والتقدير احسن جزاء الذي كانوا يعملون
لان عملهم لهم جزاء احسن ولجزاء احسن وما كان المومنون
لينفروا كافة لما سمعوا قوله عز وجل ما كان لاهل المدينة ومن
حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله الاية ارهبهم ذلك
فنفروا من المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا نفر من كل
فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وليندروا قومهم اذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون اي ليجعلوا غرضهم في التفقه انذار
قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لعلهم يحذرون اي ارادة
ان يحذروا الله تعالى فيعملوا عملا صالحا يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار لما حض على التفقه في الدين
وحرض على رحلة طائفة من المومنين فيه امر سبحانه وتعالى
المومنين كافة بقتال من يليهم من الكفار فجمع بين الجهادين
جهاد الحجة وجهاد السيف وقال بعض الشعراء

• من لا يعد لله القران كان له من الجهاد ويبغي الذي يعد •

وليجدوا فيكم غلظة الغلظة تجمع الجراءة والصبر على القتال
وشدة العداوة والغلظة خشونة في الاحمار وضعف
هنا للشدة في الحرب وفي قوله واعلموا ان الله مع المتقين فيه
تبشير لهم بالنصرة واذا ما انزلت سورة قال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت هذه الآية والتي بعدها في المنافقين كانوا اذا نزلت
سورة فيها عيب المنافقين وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرض بهم في خطبته فنظر بعضهم الى بعض يريدون الهرب
ويقولون هل يراكم من احد ان قمتم فان لم يرهم احد خرجوا
من المسجد فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فالمعنى ان
يكون ذلك خطاب بعض المنافقين لبعضهم تعجبا على سبيل
الانكار والاستهزاء بالمومنين ويحتمل ان يقولوا ذلك لاحد
قرابتهم من المومنين تسترا لهم ويطعنون في ردهم الى النفاق ويعني
قولهم ذلك على سبيل التحقير للسورة والاستخفاف بها كما تقول

اي عرب في هذا واي دلب رفيده اولا ترون قريبا العذبة
يجيء بها الكفار وبناء الخطاب يعجبي به المؤمنون والرؤية اما
بصرية واما علمية وعلى الاية اولا يرون جوابا لاولا الذين تفضح
سرائرهم كل سنة مرة او مرتين بحيث واحد واحد ويعلمون
ان ذلك من عند الله عز وجل فيتوبون ويتذكرون وهذا توبيخ
وتعال الى وعيد واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل
يراكم من احد الاية ذكر اولا ما تعدت عنهم من القول على سبيل الا ستهزاء
ثم ذكر ثانيا ما تصدر منهم من الفعل على سبيل الاستهزاء
وهو الامر والتغامز بالعيون انكارا للوحي وسخرية فقيل
هل يراكم من احد منكم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يتفقهون
اي انصرفوا من الايمان والذكر والسورة التي نزلت في شانهم
صرف الله قلوبهم لظهور انه خير لما كان الكلام في معذرين
ذكر لهم بعد ذلك ما فعل المنسوب اليهم وهو قولهم انصرفوا
صرف الله قلوبهم وذكر قد يكون على سبيل المجازاة على فعلهم
كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال الله تعالى لقد
جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم اي من جنسهم او من نسبهم عربيا فصيحا ولما مدح
الله سبحانه وتعالى اول هذه السورة براءة قدر سورة من المشركين
وقفى قبحا لحال المنافقين شافههم خاطب الحبيب
على سبيل امتداد النعمة عليهم والمن بكونه جاءهم رسول من
انفسهم اي من جنسهم ونسبهم عربيا فصيحا يبلغهم
عن الله تعالى متصفا بالاوصاف الجميلة من كونه
يعز عليه مشقتهم في سوء العاقبة من الوقوع في العذاب
ويحرص على هداهم ورشادهم ويرأف بهم ويرحمهم صلى الله عليه وسلم
ثم لو تأملت حالة الصلاة والسلام ثم الله الرحمن الرحيم
آي تلك آيات الكتاب الحكيم هذه السورة مكية الا ثلاث
آيات والها نزلت بالمدينة وهي قوله عز وجل فان كنت
في شك الاية الى آخرها قال ابن عباس رضي الله عنهما وسبب
نزولها ان اهل مكة قالوا لم يجد محمد رسولا الا يتيما ابي طالب
فترك ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما انزل واذا ما انزلت
سورة وذكر تكذيب المنافقين ثم قال لقد جاءكم رسول
من انفسكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم اتبع ذلك بذكر الكلام
الذي ارسل به الى الخلق وان بين الشرك والتوحيد
مشافههم وشركهم في التكذيب ما لكتب الانبياء ومن جاءها

ستهزاء

والله تعالى اعلم

ف

ب

الصابون

ولما كان ذكر القرآن مقدمات ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر
السورة جاء في أول هذه السورة كذلك فقدم ذكر الكتاب
على ذكر الرسول ﷺ والظاهر أن تلك باقية على موضوعها من السعة
لبعد المشار إليه وقال مجاهد وقتادة والسدي تلك
إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل والزبور فتكون
الآيات هي القصص التي وصفت في تلك الكتب وقال
الزجاج ومجاهد أيضا إلى آيات القرآن التي تجري ذكرها والمعنى
في كان للاستفهام على سبيل الإنكار لوقوع التعجب من إنكارهم
إلى رسولهم بالإنذار والتبشير أي لا تعجب من ذلك فهي عادة
الله تعالى في الأمم السالفة أوحى إلى رسلهم الكتب بالتبشير
والإنذار على أيدي من اصطفاه منهم وأيم كان فأوحينا
وعجبا الخبر والناس قيل لو في موضع الحال إذ لو تأخر
لكان صفة فلما قدم كان حالا وقيل يتعلق بكان وإن
كانت ناقصة وهذا الأيم إلا إذا قدرت دالة على الحدث
فإنها إن تخصصت للدلالة على الزمان لم يصح تعلق بها وقرأ
عبد الله ابن أبي وعبد الله عن كان ذا بأس بحذف الرفع ولا الف
فعل بحذف اسم كان وإن أوحينا هو الخبر فيكون
نظير قوله فيكون مراده عسل وماء وهذا محمول على السدي
وهذا تخصيص للوحي وقد قال ابن عطية رضي الله
عنه وقد كان ثابتة وعجب فاعل به والمعنى أحدث
للناس عجبا لأن أوحينا وقد الذي رجحه حسن وإن أنذر
أن تفسر بأي أو مصدرية مخففة من الثقيلة وأصله أنه
أنه أنذر الناس على معنى أن اللسان قولنا إن أنذر الناس
قالهما الزمخشري رضي الله عنه ويجوز أن تكون أن مصدرية
أوحى ضمير الشأن للوضع لا المخففة من الثقيلة لأنها توصل بالماضي
والمضارع ولا أمر فو صلت هنا لأمر وتمسك معدمها
مصدر تقدير أنذر الناس وهذا الوجه أولى من التفسيرية
لأن الكوفيين لا يشترطون لأي أن تكون تفسيرية ومن المصدرية
المخففة من الثقيلة الفصل برحف اسمها وإضمار خبرها وهو
القول بنحو فيها حذف الاسم والخبر وإن الأصل خبر من دعوى
الحذف بالتخفيف قدم رصد قال ابن عطية رضي الله عنها وكذا أمره
ما يعم الأعمال الصالحة من العقائد وما عندهم من الفقه وفضائله
وعزائمه ورقائقه ولما كان السبق والتقدم سميت السعاة
المتقدمة والسابقة فرعاكما سميت السعة مراراً لأنها تعطى بالبر
قال الكافرون وإن هذا والإشارة في قوله هذا إلى الإنجاء بالإنذار

والتبشير

وهو

والتسخير التحريك على سبيل الاقتدار لشئ يعتد به وبنى على الحقيقة
لم كما قال الشاعر وتسخر بالطعام وبالشراب اى تعتد بهما ان ربكم الذى خلق السموات والارض تقدم نظير
تفسير هذه الجملة فى سورة الاعراف ذلكم الله ربكم الآية اى
المتصف بالايجاد والتدبير والكم بامور لكم ان اظر
فى مصالحكم فهو المستحق للعبادة اذ لا يصلح للعبادة
الا هو عز وجل فلا تشركوا به بعض خلقه افلا تذكرون
حض تعالى على التدبر والتفكر فى الدلائل الدالة على ربوبيته
وانها من العبادة له تعالى الله محكم الآية ذكر جميع
ما يقتضى الذكر وهو كون من خلق لجميع اليه واكد هذا
الاخبار بانه وعد الله الذى لا شك فى صدقه ثم التفت
الاخبار وفيه معنى التعليل بامتداء الخلق واعادته
وان مقتضى الحكمة يذكر هو حث المكلفين على اعمالهم
وانصب وعدا مؤكدا على انها مصدر اى موكدان لمضمون
الجملة والتقدير وعد الله وعدا فلما حذف الناصب
اضاف المصدر الى الفاعل وهو لك كقوله تعالى صنع
الله والتقدير فى حقا اى حق ذلك حقا وقيل انتصب
حقا بوعد على تقدير اى وعد الله حق وقال على ابن
سليمان رضى الله عنه التقدير وقت حق وحذا اشد
بعضهم ايضا فقال * احق عباد الله ان لست طارحا *
ولا واجدا الا على نصب * ملوك الذى جعل الشمس ضياء والقمر
نورا الله لما ذكر سبحانه وتعالى الدلالة على ربوبيته
من ايجاد هذا العالم العلوى والسفلى ذكر ما قد اودع فى
العالم العلوى من هذين الجوهرين النيرين المشرقين فجعل
الشمس ضياء اى ذات ضياء او عظيمة او نفس الضياء مبالغة
وجعل بعضهم ان يكون بمعنى ضئ فيكون ضياء مفعولا ثانيا
ويجعل ان تكون بمعنى خلق فتكون حالا والقمر نورا اى ذا
نور او منورا او نفس النور مبالغة اذ هما مصدران ولما كانت
الشمس اعظم جرما خصت بالضياء لانه ما والذى له سطوع
ولمعان وهو اعظم من النور وانظر كيف عود الضمير على العمر
اى مستنيرة نورا او ذا منازل او قدر ذا منازل وعاد الضمير
عليه وحده لانه هو المراعى فى معرفة عدد السنين والحساب
عند العرب والمنازل هى البروج وكانت العرب تنسب الزمان
الى الاثنى عشر وهى ثمانية وعشرون منزلة الشرطين والبطين والثريا

والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة
والزبرة والصرفة والعوا والسماك والغفر والزبانان والاكليل
والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد
بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرغ المقدم والفرغ
المؤخر والرشا وهو الحوت • واللام هنا متعلقة بقوله
تعالى وقدره منازل • ان في اختلاف الليل والنهار الاية
اختلافهما هو تعاقبهما وكون احدهما يعقب الاخر وما خلق
الله في السموات من الاجرام النيرة التي فيها والملائكة المقيمين
بها وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل • والارض من الجوامد
والمعادن والنبات والحيوان وخص المتقين لانهم الذين
يخافون العواقب فيحملهم الخوف على تدبرهم ونظرهم كما
هو مشاهد فيهم • ان الذين لا يرجون لقاءنا الاية الظاهر
ان الرجا هو التأميل والطمع اي لا يؤملون رجاء ثوابنا وعقابنا
او معنى لا يخافون والظاهر والظاهر ان قوله والذين هم
هو قسم من الكفار غير القسم الاول وذلك قد يكون هنا لتكرير
الموصول فيدل على المغايرة ويكون معطوفا على اسم ان ويكون
اولئك اشارة الى صنفي الكفار ذي الدنيا المتوسع فيها الناظر في
الايات فلم تؤثر عنده لقاء الله تعالى بل رضي بالحياة الدنيا لتكذيبه
بالبعث والجزاء والعادم المتوسع الغافل عن ايات الله عز وجل
الدالة على الهداية ويحتمل ان تكون الواو هي واو الحال وقد
يحتمل ان تكون من عطف الصفات فيكون قوله والذين هم عن اياتنا
غافلون هم الذين لا يرجون لقاء الله عز وجل والظاهر ان قوله
واطمانوا بها عطف على الصلة ويحتمل ان تكون واو الحال اي
وقد اطمانوا بها والايات قيل هي ايات القران او العلامات
الدالة على الوحدانية والقدرة • ان الذين امنوا الاية اي
يزيدهم في هداهم بسبب ايمانهم الصادق السابق في علمه تعالى
ويثبتهم ويهديهم الى طريق الجنة بسبب ايمانهم والظاهر ان
يكون قوله تجري مستانفا فيكون قد اخبر عنهم بخبرين
عظيمين احدهما هداية الله تعالى لهم وذلك في الدنيا والاخرة
وبجريان الانهار وذلك في الاخرة كما قد تضمنت الاية
المتقدمة ما اعد للكفار اي وفي رواية مما اتصفوا به وهو
شيئان احدهما اتصافهم بابتغاء رجاء لقاء الله عز وجل
وما عطف عليه والثاني مقرهم ومأواهم فصار تقسيما للفريقين
في المعنى لما هداهم ونعمهم بالجنة نزهوا الله تعالى وقدسوه بقولهم

سبحانك
اللهم

سبحانك اللهم وتعظم الكلام على ذلك * وتحيتهم فيها سلام
اى تحيتهم بعضهم لبعض او تحيتهم الملائكة اياهم كما قال تعالى
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وان ذى المحذوفة من
الثقيلة واسمها ضمير الشان لازم الحذف والجملة بعدها
خبر ان وان وصلتها خبر قوله واخر دعوانا ان الحمد لله
اى لما لمين ودعم صاحب النظم ان ان هنا زائدة والحمد
لله خبر واخر دعوانا هم ان الحمد لله رب العالمين قال الرجا ج
رضى الله عنه وهذا القول الاول مخالف لنص الحديث
والله اعلم ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى
اليهم اجلهم قال مجاهد رضى الله عنه من لك هنا الاية فى علم
الرجل على نفسه او ماله او ولده ونحو ذلك فاخر سبحانه
وتعالى الاية لو فعل مع الناس فى اجابته الى المكروه مثل ما يسر مدون
فعله معهم من اجابته الى الخير لاهلكهم ولكنه صبر استعجالهم
على انه مصدر تشبيهى نقدير استعجالا مثل استعجالهم
وقال الزمخشرى رضى الله عنه اصله ولو يعجل الله للناس الشر
تعجيله لهم الخير يعنى فى ذلك اسعافا مسرعة اجابته لهم
واسعافهم وطلبتهم كان استعجالهم ما كره تعجيلا لهم انتهى
ومدلول محل عرمدلول المستعجل لان عجل تدل على الوقوع ح
والمستعجل قد لا يطلب التعجيل وذلك واقع من الله سبحانه وتعالى
وهذا مضاف اليهم فلا يكون التقدير على ما قاله الزمخشرى
نحتمل هنا وجهين اظهرهما احدهما ان يكون التقدير
تعجيلا مثل استعجالهم بالخير فسره التعجيل لا الاستعجال
لان طلبهم للخير وقوع تعجيله مقدم عندهم على كل شئ
والثانى ان يكون ثم محذوف وقد عدل عليه المصدر والتقدير ه
ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوا به استعجالهم بالخير
لانهم كانوا يستعجلون بالشر وقوعه على سبيل انهتكم كما كانوا
يستعجلون بالخير وقوعه لقضى مسببا للمفعول الجليل
بالرفع ولقضى مسببا للفاعل وقد ضمير يعود على الله تعالى
واجلهم نصب على المفعول والمعنى فى قوله فندر الذين
لا يرجون لقاءنا اى لا نجعلهم فى طغيانهم يتمادون حتى
قاله الحوفى رضى الله عنه وقال ابو البقاء رحمه الله تعالى فندر
معطوف على فعل محذوف تقديره ولكن نمهلهم فندر *
واذا مس الانسان الضر الاية مناسبتها لما قبلها انه لما استدعوا
حلول الشر بهم وانه تعالى لا يعجل لهم بل يترك من لا
يرجو لقاءه يتمادى فى طغيانه بين شدة انتقام الناس لانفسهم

واضطرارهم الى استمطار احسانه مسبتهم ومحسنهم والظاهر ان
لا يراد بالانسان هنا شخص معين فالمراد به الكافر
بل المراد به الانسان من حيث هو سواء كان كافرا ام عاصيا بغير
الكفر وخص بحال حال اي مضطهما ولذلك عطف عليه
الحالان وهو والحال الصبر في عافاه والعامل فيه دعانا اي
دعانا فلم يسألنا احد هذه الاحوال واحتملت هذه الاحوال
الثلاثة ان تكون لشخص واحد واحتملت ان تكون لشخص
اذا الانسان جنس والمعنى ان الذي اصابه الضر لا يزال داعيا
ملحا راغبا الى الله عز وجل في جميع حالاته كلها وابتدأ
بالحالة الشاقة وهي اضطجاعه وعجز عن النهوض وهي اعظم
في الدعاء واكد ثم بما يليها وهي حالة القعود وهي حالة التحرز
عن القيام ثم بما يليها وهي حالة القيام وهي حالة التحرز عن
قعوده يضطرب ولا يهدأ من لسعي حالة الجرح المؤلم والجملة من
قوله كان لم يدعنا الى ضر مسه في موضع الحال او الى كشف ضره
مسه والكاف من كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك
والاشارة بذلك الى تبين الله اعراض من الابتهال الى الله تعالى
عند كشف الضر وعدم شكره وذكره على ذلك ولقد اهلكنا
القرون من قبلكم لما ظلموا الآية هذا احبار لمعاصري رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخطاب لهم بأهلاك من سلف قبلهم من
الامم بسبب ظلمهم وهو الكفر على سبيل الردع لهم والتذكير بحال
من سبق من الكفار والى عندهم وضرب الامثال فيما فعل
بهو لا تفعال بكم ولما لمتا مشعرة هنا بالعلية وهي
حرف تعليق في الماضي وجابهم ظاهره انه معطوف على ظلموا
اي لما حصل هذان الامران مجيء الرسل بالبينات
فكذبوهم وظلموا اي مع كفرهم فاهلكوا والظاهر ان الضمير
في قوله وما كانوا ليؤمنوا عائد على القرون وانه معطوف على قوله
ظلموا والكاف في كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك الجزاء
وهو الاهلاك نجزي القوم المجرمين فهذا وعيد شديد
لمن اجرم كدخل فيه اهل مكة وغيرهم والخطاب في جعلناكم
لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى استخلفناكم
في الارض من بعد القرون المهلكة لننظر اتعملون خيرا ام شرا
فنعاملكم على حسب اعمالكم ومعنى لننظر اي لنتبين في اي حد
مما علمناه وان لا فالنظر محال عن هذا واذا تتلى عليهم اياتنا
الآية قال ابن عباس وابن الكلبي رضي الله تعالى عنهم اجمعين هذه

الآية

الآية نزلت في المشركين قالوا ائتنا بقرآن غير هذا أو بدله كما قالوا ائت بقرآن غير هذا إنه ما ينبغي أن يكون قرآن إلا من عند الله فإذا بدلت آية مكان آية وأنت لا تعلم ما ينزل عليك فلعله شيء قلته من تلقاء نفسك فأنزل الله تعالى ما ينسخ ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب إسلام قومه فلما صرفت القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليه فأنزل الله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب نسخ آية الحجاب بآية الرحمة ولما كان الإتيان بقرآن غير هذا أمرا مقدورا للإنسان لم يحتج إلى الإشارة فيه إلى مقدور وهو الإتيان وإن ذلك مستحيل في حق محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به الآية هذه مناقضة في النبوة مما طلبوا منه إذ كان تلاوته عليهم هذا القرآن إنما هو بمشيئة الله عز وجل وفي هذه الآية أمر غريب جار في العادات وخارج عن العادات وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يسمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا أثر في بلده منهم علماء فيقرأ عليهم كتابا فصيحا يحتوي على علوم كثيرة وفصيح ومنظوم منحوتا بعلوم من الأصول والفروع وأخبار ماضية وقصص وأيضا فالغيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى قد بلغ إلى بني ظهرانيكم أمي بين أظهركم وعاش معكم أربعين سنة تظعنون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسراره ولا سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفتم أحدا من أقرانه الناس منه وأصحابهم به ومع هذا يأتي قل لو شاء الله أن لا أتلو عليكم ما تلوته ولا أدراكم به وجاء جواب لو على الفصيح من عدم إتيان اللام لكونه منفيا بما وقال درت به وأدرت زيدا به والمعنى ولا أعلمكم به على لساني وفيه على أن ذلك وحي من الله سبحانه وتعالى ما قاله فيهم عمن أقاموا ستين سنة من قبل ظهور القرآن على لساني يا فعا وكف لم تحن مني في كذب ولا تعاطيت شيئا من هذا ولا عانيت شيئا لا فكيف أفتكم باختلاقه والظاهر عود الضمير في من قبله على القرآن أي فقد لبثت فيكم عمرا من قبل القرآن فلم تروا مني ما يدل على أني افتريت القرآن ولا ادعيت أني أتيت به من عند الله فكيف تقولون في القرآن إنه مفترى وقيل الضمير في قبله عائد على الكفار قبل الذين نقلت محاوراتهم وما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني به تلك الأصنام أي هم جماد لا يقدرون على نفع ولا ضر فكيف تعبدونها لم تنفعهم وإن تركوها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة يعبدون العزى

وفاة

واسافٍ وبائلة وطبل وبنى قوله من دون الله دلالة على انهم يعبدون
الاصنام والملائكة دون الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما
يحزنون في الآخرة اي النفع والضر وقوله استفهام
على سبيل التهكم بهم اي بما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة
الاصنام واعلامٌ بانه الذي اشتمل عليه باطل غير منطوٍ تحت العقل
فكانهم مكروهة بحيث لا يتعلق به علمه وما كان الناس
الا امة واحدة واختلفوا لتذكر سبحانه وتعالى الدلالة على
فساد عبادة الاصنام ذكر الحامل على ذلك وهو الخلاف الحادث
بين الناس والظاهر عموم الناس ويتصور في ادم وبنيه
الى ان وقع الاختلاف بعد قتل احد ابنيه الآخر وقوله
امة واحدة تقدم الكلام عليها في البقرة والكلمة هنا هي
القضاء والتقدير لبني ادم بالآجال الموقتة ويقولون لولا انزل
الآية هذا من جملة اقتراحهم وكانوا لا يعدون ويتمادون
من الآيات للعظام المكاثرة اي لم نترك على احد من الانبياء
مثلها وفي ما لهم ان وخبره تاقة على ممر الدهور وهو ابلغ
بديعة غريبة في الآيات دقيقة السلك من بين المعجزات
تخفى اذ وهي تلائد ولبكائه لم ينزل عليه اي فتخرج
قالوا لا اسوة علمائه من دونه واحدة وذلك لفرط عنادهم
وتمادهم في الغي وانهماكهم في الحمية • قل انما الغيب لله
اي هو المختص بعلم الغيب لستأثره به لا علم لي ولا لاحد
به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب
لا يعلمه الا هو وان ادعاء الناس الاكثر سبتر وهما اذ
لم يدع نبي صلى الله عليه وسلم على اهل مكة بالجدب فتحطوا سبع
سنين فاتاه ابو سفيان فقال ادع لنا فلعل فان اهلنا
صدقناك فسأل الله تعالى لهم فسقوا وما يؤمنوا والرحمة
هنا هي الغيث بعد القحط والله من بعد الخوف والصحة
بعد المرض والغنا بعد الفقر وما اشبه ذلك ومعنى مسهم
خالطتهم وفي هذه الجملة دليل على سرعة تقلب ابن ادم
من حالة الخير الى حالة الشر وعكسه وذلك بلمحة او فناكانه
قيل اذا ذاقوا رحمة قال ان بداهم استعطاء مكرمة
والى بلمحة من المسعة مبتدأ الغاية اي يبني المكر
كشف الضر لا مهل ذلك وبلمحة اذا الفجائية الى وقفة حوابا
لاذا الشرطية اي في وقت اذاقة الرحمة فاجؤوا المكر وكلمات
هذه الجملة كما قلنا تقتضي سرعة المكر منهم قيل قل الله اسرع
مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون وفي ذلك هنا اعمل التفصيل

ومعنى

ق وفي وصف المكر بالاسرعية انه تعالى يمهل ان تدبروا
مكائدهم فيضي تعقلهم وطوي توقعهم ولم يسند رحكم بانها
من قبيل ما يسر ويسر والمراد بالمكر الامة مناسبتها لما قبلها
انه سبحانه وتعالى لما ذكر ان الناس اذا اصابهم الضر تعاطوا
الى هرتكم الى ربهم اذا قهم الرحمة عاد والى عادتهم من اشراكهم
جاب الله تعالى ولكن في آياته وكان المذكور الى الاشعر امرا
كليا اوضح ذلك الامر ا تعالى بما دل على كاشف عن خبيثه
ذلك الضعف الذي يقطع فيه رجاء الانسان عن كل متعلق
به الا الله سبحانه وتعالى فيخلص له الدعاء وحده في كشف
هذه النازلة لانه تعالى لا يكشفها الا هو تعالى وقرئ ينشركم
بالنون من النشر وهو نشر الموتى بعد احيائهم وجمع
الضمير عائدة على الفلك ومراده بالجمع او الفلك يكون مفردا
كقوله تعالى من الفلك المشحون ويكون جمعا كهذا وقد اعاد
الضمير عليه جمعا وانا في بهم كليتحدثه وفي بهم للسكنة
وفي قوله بهم الضمات او اسوخ وجع من خطاب في قوله كنتم
الى عنه في قوله لهم وقوله او ما بعده دل من ضمير الغيبة
وقال ابن مجري وصلا عنه واتدة الالفات في قوله تعالى
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ريح طيبة المبالغة كما قد يذكر
لغيرهم حالهم لتعجبهم منها وشدة وقعها من الانكار والتقبيح
انتهى والذي يظهر والله اعلم ان حكمة الالتفات بيانا ان الذي
هو الذي يسيركم في البر والبحر خطاب فيه امتنان واظهار نعمة
للمخاطبين والمسيرون في البر والبحر من المؤمنين ومن الكفار
والخطاب ست اقل تحسن خطابهم بذلك ليستديم الفائح
الشكر ولعل الطائح قد تستدرك هذه النعمة فرجع فلما ذكرت حالة
عدل عن الخطاب الى الغيبة حتى لا يكون المؤمنون مخاطبون
بصدد وامثالهذه الحالة ومعنى حطبهم اي للهلاك كما قد
يحيط العدو بمن يريد اهلاكه وهي كناية عن تمثيل احاطة الهلاك
• دعوا الله مخلصين له الدين ولئن انجيتنا اللام دخلت طلبة
القسم محذوف في موضع الحال قد مرة مقسمين من هذه الشدة
فلما انجاهم اذا يبغون الآية وجواب لما اذا الفجائية وقد
يكون بعدها فاء تحيي اذ وما بعدها جوابها ذكر على انها
حرف ويترتب عليه ما بعدها من الجواب على ما قبلها من الشرط
الذي بعد لما وانها تفيد الترتيب والتعقيب في الماضي وانها
كما قال سيبويه حرف حتى محذوف وقد ذهب عن انها تكون
ظرفا لخبر معتبر وقد اوضحنا ذلك فيما كتبناه في علم النحو والحواشي

والخوف بادا الجهات ودليل على انه لم تتاخر بعثهم من اجابتهم بل بعثهم
ما وقع الانجاء وقع التبغي وان ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى الاية
اري انهم يقولون بالدعاء الى عبادة غير الله تعالى والعمل بالمعاصي
وانشاء والخطاب يقوله يا ايها الناس وقال الجمهور هو لاهل
مكة الذي يظهر انه خطاب لاولئك الذين اجابوا الله ورسوله
وحكمه كما قالوا العموم فسدرج اولئك فيهم وهذا ادم للبغي في
اوعر لفظ ومعنى على انفسكم وقال السعي ولا يعني بمتاع الا انه
وقرئ متاع بالنصب على الطرفية اي وقت قليل متاع الحياة
الدنيا وقرئ متاع دما رفع على انه مبتدا محذوف تقديره هو
متاع واجاز الحسن وشبعة البحتري رضي الله عنه ان يكون على
انفسكم خبرا ويتعلق بقوله بغيكم كما تعلق في قوله فبغي عليهم
ويكون الخبر هنا قوله متاع اذا رفعته ومعنى على انفسكم
اي على اشباكلكم والذين حسنكم جنسهم يعني بغي بعضكم على بعض
منفعة الحياة الدنيا ثم يصحلي ومرجوك وانما مثل الحياة
الدنيا الاية مناسبة هذه الاية لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما
قال في الاية المتقدمة فبغيها الناس انما بغيكم على انفسكم
ضرب مثلا لحقيقا عريبا للحياة الدنيا بذكر من سعى فيها على
سرعة زوالها وانقضائها وانها تحال ما بعد وتسر وتضمحل
وتؤول امرها الى الفناء والمثل هنا كمثل ان ان ادم الصفة
وان تراد به الفوك الشائر المشبه حال الثاني بالاول وقوله
من السماء اما ان يراد من السحاب واما ان يراد من جهة
السماء والظاهر ان معنى الاية ان تقول ان الماء اختلط
بالماء الماء قد اختلط بالنبات اي اختلط كل منهما بصاحبه
فلما كان النبات يتقوم بالماء كل وعبر بين ان المراد لجدهين
المتميزين بمن فقال تعالى مما يأكل الناس كالحبوب والثمار
والبقول هو الانعام كالحشيش وتبن قرما يرعى دما يأكل
من النبات والعامل فيه محذوف تقديره تنوعا مما يأكل
الناس والانعام وما موصولة صلته يأكل والضمير يحذوف
تقديره يأكله الناس ويأكل منه الانعام ايضا كالذي تقدم
حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت هذه جملة بديعة
اللفظ جعلت الارض اخذة زخرفها مبالغة وذلك على جهة
التمثيل بالعروس اذا اخذ النساء الفاخر في كل لون فاكتست
وتزينت بانواع الحلي فاستعير الاخذ وهو للناس والبالبة
لاشتمال نبات الارض على بهجة وحسن وقرئ وظن اهلها
وليتعين لذلك البهجة والنضارة والالوان المختلفة لان الزخرف
والزخرف قيل هو كثرة الماء والعراس والثمار والازهار وظن اهلها

لهم قادرون

وطن اهلها انهم قادرون عليها اي على التمكن من تحصيلها وصفتها
وقوع ذلك لموتها وخصبها وسلامتها من العاهات والضمير
في اهلها عائد الى الارض وهي على حذف مضاف اي على ما قدروها
من الغلات وما قد ينتفع به وجواب اذا قوله • اتاها امرنا
كالريح والصر والحمم وغير ذلك من الافات كالنار والجراد
ومثل اتاها امرنا الاري باهلاكهم والمراد اهلها ولذلك قوبل قوله فجعلناها
اولفناها وقد علم تعالى فيما لم يزل انها ستؤل الى ان تكون اولتشقق يوم لان
بعض الارض يابسة ومنه ليلا وبعضها نهارا ولا يخرج كذلك عن قدرته
والحصيد فعيل بمعنى مفعول اي المحصود وعبر بحصيد عن التا لف
لتعلقه بما هلك من الزرع بالآفة قبل اوان حصده
لتعلقه بما بينهما من الطرح على الارض فكان لم تغن بالامس مبالغة
في التلف والهلاك حيث كانها لم توجد قبل ولم تقم بالارض لحظة
خضرة نضرة تسر اهلها • كذلك نفصل الآيات اي مثل هذا
هذا التفصيل الذي فصلناه في الماضي نفصل في المستقبل
• والله يدعو الى دار السلام لما ذكر تعالى لحياة الدنيا وما تؤول
اليه من الفناء والاضمحلال وما يتضمنه من الآفات والعاهات
ذكر ذلك الى الدعاء الى دار السلام والصحة والامن وهي الجنة ولان
اهلها لكون من كل مكروه ولما كان الدعاء عاما لم يتقيد بالمشيئة
ولما كانت الهداية خاصة تقيدت بالمشيئة فقال ويهدي من يشاء
اي من سبق له في علمه ان يختار الحسنى وزيادة اي في كل
ما تعتد وابد اي يوفق بالامور كما ينبغي واجتنب المنهي عنه دق
والحسنى هي الجنة وزيادة هي النظر الى وجه الله عز وجل في الجنة
ولا يلحقها خزي والخزي يتغير به الوجه ويسود فكني بما وجه عن
جملة ما يلحقه شرفه وظهور اثر السرور والحزن فيه • والذين
كسبوا السيئات الآية والذين مبتدا وجزاء مبتدا ثان وخبره
بمثلها فعل لتباين آحاده والضمير العائد على المبتدا محذوف
تقديره جزاء سيئة منهم بمثلها وقيل خبر والذين قوله ما لهم من
الله من عاصم والجملة اعتراض بين المبتدا وخبره
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما هذه مبالغة لهم
فيما يلحقهم يوم القيامة في سواد الوجوه وقد جاء مصرحا به في قوله
وتسود وجوه وقوله اغشيت معناه كسيت ومنه الغشاوة
وكون وجوههم مسودة اما حقيقة لا مجاز فتكون الوانهم مسودة
وقرئ قطعا بسكون الطاء ومظلما صفة له وقرئ بفتح الطاء
فتكون مظلما حالا من الليل قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت
اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت يحلوا اما ان يكون

اغسلنه من قبل ان الليل صفة لقوله قطعا فكان اضاف اي
الى موصوف كاد فصار بمثل الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من
الليل اسري واما الوجه الاول فهو بعيد لان الاصل ان يكون
العامل في الحال هو العامل في ذي الحال والعامل في قوله
من الليل هو مستقر الى اصل الكلام بمن واعشيت عامل
في قوله قطعا اي هي مستقرة او كائنة من الليل في حال ظلامه
وقال ابن عطية رضي الله عنه واذا كان قطعا بمعنى مظلما فمعناه
لقطع فكانه الحق بها وكان حقه ان يبناك وان كان قبل
الجملة ولكن قد يجيء بعدها وتقدير الكلام قطعا اسير
من الليل مظلما على نحو قوله وهذا كما ان لنا مبارك وابنى
ولا يتعين تقدير العامل في المجرور بالفعل فتكون اي
جملة قبل الظاهر هو اذ تقدر باسم الفاعل فيكون ذا من قبيل
الوصف بالمفرد والتقدير قطعا كائنة اي كائنا من الليل مظلما
ويوم يحشرهم الآية الضمير في حشرهم عائد على من تقدم من هذين
الفريقين وانتصب يوم على فعل محذوف اي اذكر يا محمد او احوالهم ونحو
وهو سبحانه وتعالى المراد هنا بالشركاء هم من عبد من دون
الله تعالى كائنا من كان وخاطبهم عليه النحويون من اسماء
الاقسام لقد ربا شيئا كما قال الشاعر في معنى ذلك شعرا
وقولي كلما جشأت وجاشت ٭ مكانك تحمدي وتستريحي
اي اثبتي مكانك وتكونها بمعنى اسكني حرم سيدي وجعلت ضميرا
فاكد وعطف عليه في قوله انتم وشركاؤكم وقال الزمخشري
رضي الله عنه وانتم اكد به الضمير في مكانكم ليسد مسد قوله
الى من اشركوكم ثم عطف عليه ما بعده والاوضح ان لا يجوز حذف
المؤكد في التاكيد المعنوي فكذلك قد يسامح في الحذف ٭ فزيلنا
بينهم قال الزمخشري اي عن مكانهم الذي كانوا عليه وزعم ابو البقاء رضي
الله تعالى عنه وتبعه ابن عطية وابن قتيبة والزجاج ان قوله
فزيلنا من مادة زال يزول فقد تكون عين الكلمة واوا والصحيح
انه من مادة ذوات الياء والام هي الفارقة وتقدم الكلام على
ذلك في قوله تعالى وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله هنا
فعل اكل يتعدى وقد استعمل هنا كذلك ظرف مكان اي في ذلك الموقف والمقام
المقتضي للحيرة والدهشة فتعرف كيف هو افتيح ام حسن ام نافع
ام ضار او مقبول او مردود وقرئ سلوا وقرئ تتلوا تتلوا اي ردوا
ورجعوا الى الله مولاهم الحق اي الى جزائه وضل عنهم اي ذهب وبطل
ما كانوا يفترونه من الكذب فلم يرزقكم من السماء والارض الآية
لما بين فضائح عبدة الاوثان اتبعها بدلائل الاملاء على فساد

مذهبهم

منهم بما يوجهم ويجمعهم بحال يمكن الا الاعتراف به من حال ربوبيتهم
وحاجتهم واظهار القدرة التامة في الموت والحياة فسداء بما
فيه حياتهم وهو الرزق الذي لا يدرك من السماء ما لم يطر ومن
الارض ما لم يثار فمن هنا كانت لابد الغاية هي الرزق
بالعالم العلوي والعالم السفلي معا يعني الى صلاحيتها جميعا
ولم تقتصر على جهة واحدة توسعة منه تعالى واحسانا ثم ذكر ملكه
لهاتين الحاستين الشريفتين وهما السمع والبصر اذ هما سببا
لمدارك الاشياء والبصر الذي يرى ملكوت السموات والارض ومعنى
ملكهما انه متصرف فيهما ما شاء تعالى من انشاء وحفظ وذهاب
ومن مخرج الحي من الميت تقدم تفسيره ك ومن يدبر الامر
شامل لكل جزئية اي جميع ما يقدر من اله شيء المذكور وغيرها
والامور راجعة اليه تدبيرها الله سبحانه وتعالى لا لغيره فلذلك
جاء بالاسم الكلي بعد تفصيل بعض الامور واعراضهم ما دامت
الرازق والمالك والمدبر والمخرج هو الله تعالى وهو امر
لا يمكنهم انكاره ولا المباهتة فيه ف ذلكم الله ربكم الحق اشارة
الى من اختص بهذه الاوصاف السابقة وما دا استفهام ومعناه
هنا النفي ولذلك دخلت الا صيحة التقرير والتوبيخ كانه
قيل ما بعد الحق الا الضلال وهذا امتداد كاره قيل اي
شيء والخبر بعد الحق فاني تصرفون اي كيف يقع صرفكم
عنه وصح الحق وقيام الحجة عن عناده من تشبثهم العناد
وكيف تشركون معه غيره وهو لا شارك في شيء من ذلك الا وصاف
ك كذلك حقت اكاف قفا للتشبيه في موضع نصب والاشارة
بذلك الى المصدر المفهوم من تصرفون مثل صرفهم عن الحق بعد
الاقرار به في قوله فسيقولون الله فمثل حق العذاب عليهم اذ
كان امرهم مثل افعالهم قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده
الاية قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون اي تصرفون
وتقلبون عن اتباع الحق ه قل هل من شركائكم من يهدي الى
الحق قل الله يهدي الحق ه لما بين سبحانه وتعالى بحجج اصنامهم عن
الالهية والاعادة اللذين هما اقوى اسباب القدرة واعظم من
دلائل الالوهية بين عجزهم عن هذا النوع الذي هو من صفات
الالهية وهو الهداية الى الحق والى منهاج الصواب وقد اعتنا كلتا
بالهداية في القرآن في مواضع فقال تعالى حكاية عن الكليم عليه
الصلاة والسلام قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فالله
بالخلق والهداية على وجوه الصانع سبحانه وتعالى وبهما حالان
للجسد والروح وقرئ لا يهدي مخففا مضارع هدى وهدي

فيهدي بفتح الهاء وتشديد الدال واصله يهتدي فنقلت حركة التاء الى
الهاء وادغمت التاء في الدال وقرئ يهدي بكسر الهاء وتشديد
الدال وقرئ بكسر الياء لاتباع الحركة الهاء وتشديدها وقوله
تعالى فما لكم كيف تحكمون استفهام بمعنى التعجب والانكار
اي اي شيء لكم في ارتكابكم وقاحة الذكاء اذكائي اعاجز في
عن هداية انفسهم فكيف يمكن ان تهتدوا بغيركم وكيف تحكمون
استفهام آخر اي وكيف تحكمون بالباطل وتجعلون له اندادا
وشركاء وهاتان جملتان انكريتان لا فرق بينهما ومعنى من اتباعهم
من لا تهتدي الا ان تهتدي اي ولا هو مهتد فلا هاد وانكر
في الثاني حكمهم بالباطل وتسويته لاصنامهم رب العالمين
• وما يتبع اكثرهم الا ظنا الظاهر ان اكثرهم شامل بالذين
لا منهم من تنصر في الاصنام فرضها اي ترك عبادتها كما قال
الشاعر ارى بعول الثعلبان ذراعه فحسبها من مالك علة
والمعنى ما يتبع اكثرهم في اعتقادهم في الله تعالى وفي صفاته
الا ظنا لا يغني من الحق شيئا ولا يستند الى برهان وانما ذلك
شيء تلفقوه من اهوائهم والطن في معرفة الله عز وجل لا يغني
من الحق شيئا اراد من ادراك الحق ومعرفته على ما هو عليه لانه
يحوز لا قطع • وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله الاية
لما تقدم قولهم انت بعض ان غير هذا او بدله وكان من قولهم ان قد افتراه
قال تعالى وما كان هذا القرآن اه ان يفترى من دون الله اي ما صح
وما استقام ان يكون هذا القرآن المعجز مفترى والاشارة
بهذا الى ما تضمنه المشار اليه وكونه جامعا للاوصاف التي
تستحيل وجودها في غيره ان يكون مفترى والظاهر ان ان يفترى
هو خبر كان اي افتراء او ذا افتراء او مفترى
وقد قعت كان هنا احسن موقع اذ كانت بين نقيضين وهما الكذب
والتصديق المتضمن الصدق والذي بين يديه يعني الكتب
الالهية المتقدمة وانتصب تصديق على انه خبر كان مضمرة
وهو على حذف مضاف اي ذا التصديق ام يقولون افتراه ام منقطعة
تقدر ببل والهمزة تقدير من انكر ان يقولوا افتراه والاستفهام
على سبيل الانكار وتقدم له الكلام على نظير هذه الاية في سورة البقرة
قل فاتوا بسورة مثله بعشر سور مثله فاتوا بسورة مثله
بالعنوان الذي لم يتقدم لهم به معرفة ولا احاطوا بمعرفة عنوانه
فانظر كيف كان كيف اتت في موضع نصب قال ابن عطية رضي الله عنه
وكيف تصرفات تحتك محل المصدر الذي هو كيفية وتحمل هذا
الموضع ان تكون منها ومن تصرفاتها ومن ذلك قولهم كن كيف شئت فانا

اتقدوا اكرم

ايه وذاكر ومن نظر الى هذا المعنى الذي ذكر وانما يشرطيه
وهو معنى الا الى الذي لها وجواب محذوف التقدير كيف
شئت فكن كما تقول ثم متى شئت فمتى اسم شرط وقلما يقع
الا بعد فيه خم والحوف محذوف وفي تقدير متى شئت
وقتا وفيهم من يؤمن به الآية الظاهر انه اخبار بان
من كفار قريش من سيؤمن فيه ومؤمن سبقت له السعادة ومنهم
من لا يؤمن فيه وانما على اقيم وان كذبوك الاية ان
تماد واعلى تكذيبك فتبرأ منهم فعلى غرور وقعت
تعوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ومعنى
لي عملي اي سائر جزاء عملكم ومعنى عملي ان
الصالح المشتمل على الايمان والطاعة ولكم عملكم المشتمل على
الشرك والعصيان والظاهر انها آية محايدة لهم ومواعدة
وفي ضمنها الوعيد الشديد ايضا لمن عصاه وحال لامره ومنهم
من يستمعون اليك الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية ن
في النضر ابن الحارث وغيره من المستهزئين وهذه الآية فيها
تقسيم من لا يؤمن من الكفار الى قسمين بعد تقسيم اكثر بين
الى من يؤمن ومن لا يؤمن والضمير في قوله ومنهم يعود
على من والعود على المعنى دون العود على اللفظ في الكرة
والمرة كقوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون
عملا دون ذلك والمعنى ومنهم من يستمعون اليك اي اذا قرأت
القرآن وعلمت الزاي تغني ومعنى الاية تعني وان المعنى
انك لهم صم عن ادراك ما تلقيه اليهم لسوء فهمهم وعجزهم لا لتولك
وله سماعا فاضاف الى الصمم انتفاء العقل لتبين عدم
السماع والعقل ان لا تكون له ادراك اشي البتة بخلاف الضمير
ان لو كان الاصم عاقلا وانه بعقله يقدر الى السماء وارعاد
في قوله ومنهم من ينظر اليك الضمير مفرد امذكر على لفظ من
وهو الاكثر في لسان العرب قال ابن عطية رضي الله عنه حاء نظر
على لفظ من واذا جاء الفعل على لفظها فحق ان يعطف عليه اخر
على المعنى المندرج في اللفظ واذا جاء اولا على معناها فلا يجوز ان
يعطف ظاهر على اللفظ لان الكلام يستحيل اشي وليس نحاة ك
مما يجوز ان يراعى المعنى اولا فيعيد الضمير على حسب ما يريد من المعنى
من تانيث وتثنية وجمع ثم يراعي اللفظ فيفقد الضمير
مفردا مذكرا وفي ذلك تفصيل ذكر في علم النحو والمعنى انهم عمي
فلا يقدرون على هداهم لان السبب الذي يهتدي به الى رؤية
الدلائل فقدوه هذا وهم مع فقد البصر قد فقدوا البصيرة

اذ من كان اعمى فانه يعذر فيما يأتيه الى السماء بالحدس وهذا قد
جمع بين فقدان البصر والبصيرة وهذه مبالغة عظيمة في عدم
قبوله الحق الى هؤلاء اذ جمعوا بين الصمم وانتفاء العقل
وبين العمى وفقد البصيرة وفي قوله اوان تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم واذ لا يكترث بقومه في قولهم فان الهداية انما
هي بيد الله عز وجل وقد اوكل شأنهم ونعيهم الى اهوائهم
وما هم عليه من التكذيب وغيره وذكر تعالى انه لا يظلمهم شيئا
اذ قد اتاح عليهم نعمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذرهم
من عقابه وانهم ظلموا انفسهم بالتكذيب والكفر واحتمل
هذا الشيخ الظلم ان يكون في الدنيا اي لا يظلمهم شيئا من مصالحهم
واحتمل ان يكون في الاخرة وان ما يلحقهم من العقاب هو
عدل منه لانهم هم الذين تسببوا فيه باكتساب ذنوبهم
كما قرر تعالى عليهم لا تسألون عما تعملون وهم يسألون ويوم
يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار وقوله كان لم يلبثوا
هي جملة تشبيه في موضع نصب من الضمير المنصوب في قوله
ونوم يحشرهم وان تكون الجملة التشبيه في موضع صفة لقوله
يوم انتهى واما قوله انه نعت لمصدر محذوف فيحتاج الى رابط
في قوله كان لم يلبثوا ومثل هذا الربط لا يجوز حذفه واما قوله
ان الجملة في موضع الصفة ليوم يحشرهم فلا يكون لان الجملة التي
التشبيه هي كان لم يلبثوا ويوم يحشرهم معرفة اذ التقدير ويوم
حشرهم وقوله توصف المعرفة بالنكرة وما كانوا مهتدين اخبر
تعالى عنهم بأحد امرين اما خسرانهم معادا وانه متعلقا
هنا بالتكذيب بلقاء الله سبحانه وتعالى والثاني اخبار بكفرانه وتعالى
بانتفاء هدايتهم وامانرينك الآية قال ابن عطية رضي الله عنه
والاجلها حان دخول النون الثقيلة ولو كانت ان وحدها لم يجز
انتهى وهذا الذي ذكره مخالف لظاهر كلام سيبويه رضي الله عنه فقد
اجاز سيبويه رضي الله عنه ومعنى هذه الآية الوعيد بالرجوع
الى الله عز وجل اي ان ارنيك عقوبتهم او لم نرك فمرجعهم على كل حال
راجعون الينا الى الحساب والعذاب قال ابن محشري رضي الله عنه
والتمام رجعهم جواب او نتوفينك وجواب نرينك محذوف وقد
كان قال وامانرينك بعض الذي نعدهم فذاك او نتوفينك
قبل ان نريكه فنحن نريك في الآخرة انتهى والاحاجة الى تقدير
جواب محذوف لان قوله فالينا مرجعهم صالح ان يكون جوابا للشرط
والمعطوف عليه ايضا فتوفي الزمخشري فذاك اذ اسم مفرد
لا يتقدم منه جواب شرط فكان ينبغي ان يأتي بجملة يتضح بها جواب

الشرط

الشرط او لانهم من قبل ذلك الخبر الذي حذف الذي صلة
قائلين له ساء وتم مع ذلك اسوء شهد من قال ذلك لهم على
جميع اعمالهم فلم هاتوبيخ الاحرار لكونهم اتصفوا في
الدنيا وكل امة برسولها الاية • لانهم الله عز وجل حال الرسول
صلى الله عليه وسلم في قومه من حال الانبياء عليهم الصلاة
والسلام مع اقوامهم تسلية له صلى الله عليه وسلم وتطمينا
لقلبه الشريف ويقولون في هذا الوعد الاية • الضمير في ويقولون
عائد على مشركي قريش ومن تابعهم من مكذبي الحشر لتستعجلوا بما قد
وعدوا به من العذاب على سبيل الاستهزاء او على سبيل الاستعجال
ولذلك قالوا ان كنتم صادقين فيما قد وعدتم به ولا يقدم
شيء عليه • قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ان شاء الله الاية
لما التمسوا تعجيل العذاب او تعجيل الساعة امره ان يقول
لهم لست ذلك الي بل الى الله تعالى وان كنت لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا فكيف املكه لغيري اي انكيف اطلع على ما لم يطلعني
الله تعالى عليه • لكل امة اجل اثر قد تعالى بعلمه وتقدم الكلام
على قوله عز وجل لكل امة اجل في سورة الاعراف • قل ارايتكم
ان اتاكم الله جل شانه تقدم الكلام عليها في الاعراف وقررنا هناك
ان الرؤية تتضمن الاتيان معنى اخبروني وانها تتعدى الى واحد
مفعول من والمعنى قل لهم يا محمد اخبروني عن عذاب الله ان اتاكم
اي شيء تستعجلون منه وليس شيء من العذاب تستعجله عاقلة
او العذاب كله مر لما ذاق من حيث لنفار الطبع منه فتكون
جملة الاستفهام جاءت على سبيل التعجب والتهويل للعذاب
اي اي شيء شديد تستعجلون منه اي ما اشد واهول ما قد
تستعجلون به من العذاب وتقدم الكلام في قوله بياتا في الاعراف
هذا ليلا واعرابا وانتصابه وما بعده على الظرف والمعنى
ان اتاكم عذابه وانتم ساهون غافلون اما سكرى بنوم واما
باشتغال بالمعاش والمكاسب وهو نظير قوله بغتة لان العذاب
اذا فاجأ من غير شعور به كان اشد واصعب بخلاف ان يكون قد
استعد له وهيأ لحلوله ويجوز في ماذا ان يكون ما استفهاما
وذا خبره وهو بمعنى الذي ويستعجل صفته وحذف الضمير
العائد على الموصول التقدير اي شيء الذي يستعجله من العذاب
المجرمون وقال الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان يكون ما واحدا
ماذا استعجل منه المجرمون لوحوا بالشرط كقولك ان اتيتك
ماذا تطعمني والمعنى ان اتاكم عذابه اتعتمه به بغتة وفوته حين
لا ينفعكم ان يبان انتهى اما تجويزه ان يكون ماذا جوابا للشرط والاصح

عراف

لان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء تقول ان زارنا
فلان فاي رجل هو وان زارنا فلان فاي بدله بذلك ولا يجوز
حذفها الا ان كان في ضرورة فالمثال الذي ذكره وهو ان اتيتك
ماذا تطعمني هو من تمثيله لا من كلام العرب واما قوله تتعلق
جملة الشرط هنا بارايتم ان عني بالجملة ماذا يستعجل منه المجرمون فلا يصح
ذلك لانه قد جعلها جوابا للشرط وان عني بالجملة جملة الشرط قد فسر
هو ارايتم بمعنى اخبرني واخبرني تطلب متعلقا مفعولا ولا تقع
جملة الشرط موقع مفعول اخبرني واما تجويزه ان يكون اثم اذا ما وقع
امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا فلا
يصح ايضا لما ذكرناه من ان جملة الاستفهام لا يقع جوابا للشرط
الا ومعها فاء الجواب وايضا فثم هنا وهي حرف عطف تعطف الجملة
التي قبلها على التي تكون بعدها فالجملة الاستفهامية معطوفة واذا
كانت معطوفة لم يصح ان تقع جواب شرط وايضا افرايتم بمعنى
اخبرني تحتاج الى مفعول ولا تقع جملة الشرط موقعه والظاهر
عود الضمير في منه على العذاب وبه يحصل الربط بجملة الاستفهام
بمفعول ارايتم المحذوف الذي هو مبتدا في الاصل وقيل
يعود على الله سبحانه وتعالى والمجرمون هم المخاطبون في قوله
ارايتم ان اتاكم ونبه على الوصف الموجب لترك الاستعجال وهو
الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك
فزعا من مجيئه وان ابطا فكيف يستعجله اثم اذا ما وقع
امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون وتقدم الكلام على همزة
الاستفهام كما تقدمت على الواو وقد تقدم الكلام على ذلك
قال الطبري رضي الله عنه في قوله اثم بضم الثاء ان معناه
اهنالك قال وليست ثم هذه التي تاتي بمعنى العطف انتهى
وما قاله الطبري رضي الله عنه من ان ثم هنا ليست هي للعطف
وفاعل وقع ضمير يعود على العذاب وقرئ الان على الاستفهام
بالمد وقرئ بهمزة الاستفهام بغير مد وهو على اضمار
القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به
فالناصب لقوله الان هو انتم وهو محذوف وقد كنتم جملة حالية
لان استعجالهم للعذاب تكذيب لوقوعه ثم قيل للذين ظلموا الاية
اي يقول لهم خزنة جهنم هذا الكلام والظلم هو ظلم الكفر ثم قيل هذا من
عطف الجمل وهو استيناف اخبار عما يقال لهم يوم القيامة
• ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق • امر سبحانه وتعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم مجيبا اي وربي انه لحق وهي قد
تكون بمعنى نعم ولا تستعمل الا مع القسم وجواب القسم انه لحق

قال الزمخشري

قال الزمخشري رضي الله عنه وسمعتهم يقولون في التصديق
اي ويصلون بواو القسم ولا ينطقون به وحده انتهى وقد
قيل انه لا حجة فيما سمعه الزمخشري من ذلك لعدم الحجة
في سماعه لفساد كلام بعض العرب اذ ذاك وقبله بازمان
كثيرة وقوله وما انتم بمعجزين اي فائتين ولو ان لكل
نفس ظلمت الاية ذكر بعض احوال الظالمين في الاخرة وقيل
ان في قوله ظلمت صفة لنفس والظلم هنا الشرك والكفر
وافتدى يأتي مطاوعا لفدى تقول فديته فافتدى
وبمعنى فدى فيتعدى وهنا يحتمل الوجهين وما في
الارض اي ما كان لها في الدنيا من الخزائن والاموال والمنا فع
واسروا من الاضداد ويأتي بمعنى اظهروا وبمعنى
اخفوا الا ان لله ما في السموات والارض الاية قيل ان تعلق
هذه الاية بما قبلها انه سبحانه وتعالى لما ذكر الادلة على الالهية
والوحدانية والقدرة ذكر الدلائل الدالة على صحة النبوة وذ كر
الطريق المؤدي اليها وهو القرآن والمتصف بهذه الاوصاف
الشريفة هو القرآن قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفضل الله يعني الاسلام الذي
انقذوا به من الكفر ومن الشرك وبرحمته يعني نزول القرآن
قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل غير ذلك والظاهر
ان قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
جملتان وحذف ما يتعلق به الباء والتقدير قل
بفضل الله وبرحمته ليفرحوا فعطفت الجملة الاولى على الجملة
الثانية ثم عطفت الجملة الثانية على الاولى على سبيل
التوكيد قال الزمخشري رضي الله عنه والتكرير هنا للتأكيد
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
من فوائد الدنيا فحذف احدى الفعلين لدلالة المذكور
عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما
بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله
وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا انتهى اما اضمار فليعتنوا
فلا دليل عليه واما تعليقه بقوله قد جاءتكم فينبغي
ان يقدر ذلك محذوفا بعد قل ولا يكون متعلقا بجاءتكم
الاولى للفصل بينها بقل قل ارأيتم الاية مناسبتها لما قبلها
انه لما ذكر تعالى قل يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من
ربكم وشفاء لما في الصدور الاية والضمير هنا محذوف تقديره
الله اذن لكم وهي جملة استفهام دل على حذفها قوله بعد امر الله تعالى

• قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور قال تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم وهدى ورحمة الآية ما سبقها لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما ذكر قد جاءتكم موعظة من ربكم وكان المراد بذلك كتاب الله المشتمل على التحليل والتحريم ممن يستحق ذلك تعالى وسادة شرائعهم واحكامهم من الحلال والحرام من غير تقيد في ذلك بأمر ولا نهي ولا اتيم لهما بمعنى اخبرني وقد مر انها تتعدى لمفعولين فالاول هنا ما من قوله ما انزل الله وما موصولة وصلتها انزل والضمير محذوف تقديره انزله والضمير من رزق تبيين لما انهم من لفظها وقوله فجعلتم معطوف على انزل والمفعول الثاني محذوف وتقديره آلله اذن لكم وهي قد تكون هنا جملة استفهامية دل على حذفها قوله وبعد امر الله تعالى له قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون وام اظاهرة متصلة والمعنى اي احدى وقتئذ اذن لكم في التحليل وفي التحريم فانتم تفعلون ذلك بإذنه ام تكذبون على الله عز وجل بنسبة ذلك اليه فسبحانه وتعالى موقفهم على احد الشقين وهم لا يمكنهم ادعاء ان الله تعالى في ذلك فثبت افتراؤهم وقائل الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة الآية ما استفهامية مبتدأة خبرها ظن والمعنى اي شيء ظن المفترين يوم القيامة فانهم ان امرها على سبيل التهديد والانعام يوم تكون الخلائق في الاحسان والاسادة ويوم منصوب بظن ومفعول الظن قل تقديره ما ظنهم ان الله فاعل بهم ايجيبهم ام بعذبهم • وما تكون في شان الآية مما سبقها لما قال انه تعالى لما ذكر جملة من احوال الكفار ومذاهبهم وارد عليهم ومحاورة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ذكر فضله تعالى على اتباعه وان اكثرهم لا يشكرون على فضله وذكر اطلاعه تعالى على احوالهم وحال الرسول معهم في مجاهدتهم وتلاوة القرآن عليهم وانه شاهدهم وقائلهم وقال لنبيه وما تكون في شان وما تتلوا منه من قرآن للرسول صلى الله عليه وسلم وعلى كل امر من جميع شؤونه عليه الصلاة والسلام وما تتلو امتدرج تحت عموم شان واندرج من حيث المعنى في الخطاب في كل ذي شان وما في الجملتين ضمير منه عائد على شان ومن قرآن تفسير لضمير وخص من العموم لان القرآن هو اعظم شؤونه صلى الله عليه وسلم والخطاب في قوله ولا تعملون من عمل

هو عام

هو عام والجملة بعده في الاحال وشهودا يعني رقبا يحصى
عليكم وان منصوب لقوله شهودا واذا كانت الافعال السابقة
الدالة على الحال الدائمة وقد تنسحب على الافعال الماضية كان
الظرف ماضيا وكان المعنى وما كنت في شأن وما تلوت من
قرآن وما عملتم من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه
واذ تخلقون الصنائع لتعيين الماضي ثم وعمم تعالى الخطاب
وخص في قوله وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء تشريفا لرتبته عليه الصلاة والسلام وتعظيما لما
ذكرناه ونبه تعالى على اعمال الخلق استدراك تقديم الارض التي
هي محل المخاطبين على السماء بخلاف ما في سورة سبأ وان كان
الاكثر تقديرها على الارض وقرئ يعزب بكسر الزاي وكذا في سورة
سبأ ومعنى الجمع اي لا يغيب عن ادراك علمه شيء والمثقال
اسم لا صفة ومعناه هنا وزن ذرة والذرة هي صغار النمل
ولما كانت الذرة اصغر الحيوان المشاهد والخردل المشهور النوع عندنا
جعلها الله تعالى مثلا لاقل الاشياء واحقرها فهي احقر ما نشاهد
ثم قال عز وجل ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
اي اصغر منها ولا اكبر ثم ابتي بقوله ولا اكبر على سبيل احاطة
علمه بجميع الاشياء ومعلوم ان من علم ادق الاشياء واحقرها
واخفاها كان علمه متعلقا باكثر الاشياء واظهرها
وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء فيهما ووجه على انه عطف
محظوف على ذرة او على مثقال على اللفظ وقرئ برفع الراء فيهما
ووجه على انه عطف على موضع مثقال لان من زائدة فهو مما
يتعرف وقال الزمخشري رضي الله عنه تابعا لاخبار الزجاج
والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء بكون كذا مما مبتدا
وفي العطف على محل مثقال ذرة وانما استكل عنده
لان التقدير يصير الا في كتاب فيعزب وهذا لا يلزم لانه يصح
وخرجه ابن الانباري على انه مستثنا منقطع تقديره لكن هو في
كتاب مبين وفيه ما فيه لامتحال هذا التقدير الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية قال ابن عباس رضي
الله عنهما واولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم
بالكرامة وعن سعيد ابن جبير رضي الله عنه سئل عن اولياء الله
فقال عليه الصلاة والسلام فقال هم الذين ذكر الله يزول بهم
يعني التمسك الصالح والهيئة وهذه الآية تدل ظاهرها
على ان من امن واتقى فهو داخل في اولياء الله عز وجل هذا ان الذين
تقتضيه الشريعة في اولي وانما بينا هذا التنبيه حذرا من مذهب

رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصوفية وبعض المنتسبين اليهم

في معرفة الولي وبشرائهم في الحياة الدنيا قد تظاهرت الروايات والآثار
والاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها الرؤيا الصالحة
يراها المؤمن او ترى له وبشرائهم في الآخرة هي تلقي الملائكة
اياهم مسلمين وتبشيرهم بالفوز والنجاة والكرامة وما
يرون من مباشرة الوجوه واعطاء الصحف باليمين الى غير ذلك
مما يخطر ببالهم فوق ما تقر اعينهم به وغير ذلك
من البشرات • لا تبديل لكلمات الله اي لا تغيير
لاقواله ولا خلف في مواعيده الى غير ذلك مما لا تقف
عليه الا بعد الوقوف على جميع الكلمات • وقوله لا يحزنك قولهم قال ابن
عطية رضي الله عنه اما ان يكون قولهم انه بعض افراده
وهو التكذيب والتهديد وما قد يشاور ويدبر في امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون من اطلاق العام وارادة
الخاص واما ان يكون مما قد حذفت عنه الصفة المخصصة
اي قولهم الدال على كذبك ومعاندتك ثم استانف وكل بقوله
• ان العزة لله جميعا اي لا عزة لهم ولا منعة فهم لا يقدرون
لك على شيء ولا هو ذهب انك ان الله وحده هو القادر
على الانتقام منهم فلا يحار شيء ولا يحاله • الا ان لله من في
السموات ومن في الارض الناسة هنا ظاهرة في هذه الآية
لتذكر ان العزة لله تعالى وهي القهر والغلبة وما تناسب
القهر وهو كون المخلوقات لله سبحانه وتعالى ومن الاصل فيها ان
تكون للعقلاء وهي هنا شاملة لهم ولغيرهم على حكم التغليب
وحسن مجيء ما كان تغليبا للكثرة اذ اكثر المخلوقات
لا تعقل والظاهر ان ما نافية وشركاء مفعول يتبع
ومفعول يدعون محذوف لفهم المعنى تقديره الهة او
شركاء اي ان الذين حكموا الحقة واشركوهم مع الله في الربوبية
ليسوا شركاء حقيقة اذ الشركة في الالوهية مستحيلة وان
كانوا قد اطلقوا عليهم اسم الشركاء وجوزوا ان تكون ما استفهامية
في موضع نصب لشركاء منصوب بتدعون اي واي شيء
تتبع على جهة تحقير التبع كانه قيل من يدعو اشركاء
لله تعالى لا يتبع شيئا ومعنى يخرصون اي يكذبون ويمترون
• هو الذي جعل لكم الليل هذا تنبيه منه سبحانه وتعالى على
عظم قدرته وشمول نعمته لعباده فهو المستحق بان يفرد
بالعبادة وقوله تعالى لتسكنوا فيه اي مما تقاسون من الحركة ومن
التردد وغير ذلك في طلب المعاش وعبر بالنهار رواصاف الابصار
بالنهار مجازا لان الابصار يقع فيه كما قال الشاعر •

ومنه ومسائل الطي مبانيهم • اي يبصرون منه مطالب
مطالب معانيهم وقال بعضهم ايضا ومن قوله ان حاج
وابن عطية وقرئ رضي الله تعالى عنهم اجمعين بتاك •
اظلم الليل اي صار اظلمة واضاء النهار وابصر اي صار
ذا ضياء وبصر انتهى وذكر علة خلق الليل وهو السكون وفي
قوله لتسكنوا فيه وحذفها من النهار وذكر النهار وحذفه
من الليل وكل من الحذف وفي دال على مقابله والتقدير
جعل الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا
فيه في كاسلم وما يتماحون الله بالهركة ومعنى يسمعون
سماع معتبر • قالوا الخطاب للرسول الآية • الشهيد قال
على من سبق الله الولد من قال الملائكة بنات الله وعزير ذلك
مما يسندونه اليه تعالى الله عز ذلك علوا كبيرا وسبحانه وتنزيها له عن
اتخاذ ولد او صاحبة او غيرهما مما لا يليق بجلاله وعظمة كبريائه
وفي ذلك تعجب ممن يقول ذلك • سبحانه هو العلم
علة لنفي الولد لان اتخاذ الولد انما يكون للحاجة اليه والله تعالى
غني لا يحتاج الى شيء فكيف هو غني عن اتخاذ الولد ان ما
واسلطان ما عندكم من حجة بهذا الكفر وانتم
عليهم نبأ نوح الآية لما ذكر سبحانه وتعالى انه لا مثل على وحدانيته
عز وجل وذكر ما جرى بين الرسول وبين الكفار ذكر قصصا
من قصص الانبياء عليهم اجمعين الصلاة والسلام وما جرى لهم
مع قومهم من الخلاف وذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتأسيا بمن قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والضمير
في عليهم عائد على اهل مكة الذين تقدم ذكرهم وذكر معناه
عظم مقامي ان طال مقامي فيكم او قيامي للوعظ
قال ابن عطية رضي الله عنه ولم تقرأ هنا بضم الميم انتهى
وليس كما قال بل قرأ مقامي بضم الميم ابو جعفر وابو رجاء
وابو حيوة والمقام هو الاقامة والمكان والمقام هنا مكان القيام
وجواب الشرط فعلى هذا توكلت ولا املي منكم وقرئ فاجمعوا
من اجمع الرجل اذا عزم عزمه اي عزم على فعله ونواه وان الشأن عزم
جمعوا امرهم ليلا فلما اصبحوا اصبحت لهم صوصاة وقرئ
فاجمعوا امر من جمع وشركاءكم معطوف على امركم وهو على حذف
مضاف فتقديره وامر شركائكم ومعنى اقضوا الي آي انفذوا
قضاءكم نحو ومعول اقضوا محذوف او افعلوا دل عليه ذلك الامر
وامضوا ما تريدون انتهى وانظروني اي لا تؤخروني ولا تمهلوني والنظرة هي الامهال والتأخير وان

سبحانه

سلم

وا

تولیتم الآیۃ ای فان دام تولیکم عن ما جئت بہ الیکم من توحید
اللہ وفرض الصلوٰۃ علیکم ای شق علیکم عبادتہا فلست ابالی بکم
اذ ما دعوتکم الیہ وذکرتکم بہ وعظتکم لم اسالکم علیہ
اجرا ان اجری الا علی اللہ علیہ فکذبوہ ای فمادوا فاصروا
علی تکذیبہ ای تکذیبہ بما یدعوہم الیہ من التوحید وذلک
عند مشاہدۃ الہلاک والطوفان وفی الفلک متعلق
بالاستقرار الذی تعلق بہ معہ او بمحذوف ای کائنین فیہ وجعلناہم
ضمیر المعلوم علی محیی من وخلائف ای یخلفون الغارقین
المہلکین ثم امر بالنظر فی عاقبۃ المنذرین بالعذاب الی
ما صار الیہ حالہم وفی ہذا الاخبار توعد للکفار بمحمد
صلی اللہ علیہ وسلم وضرب مثال لہم فی انہم بمادہ ہؤلاء
من التکذیب فسیکون حالہم فی عاقبۃ امرہم کالۃ تولد
فی التعذیب ثم بعثنا من بعد نوح رسلا الی قومہم ای من بعد
ای من بعد تبلیغ نوح علیہ الصلاۃ والسلام رسلا الی قومہم یعنی
کہود وصالح علیہما الصلاۃ والسلام ولوط وابراہیم وشعیب
والبینات ای المعجزات والبراہین الدالۃ علی صدقہم
الواضحۃ الملتبسۃ لما قد جاءوا بہ وجاء الذی مضمون الکلام
الجمع لبیان علیہ ان ایمانہم فی حیز الاستحالۃ وان متابعۃ
قال ابن عطیۃ رضی اللہ عنہ ویحتمل ہذا اللفظ عندی معنی
آخر وہو ان تکون ما مصدریۃ والمعنی فکذبوا بارسلہم
فکان عقابہم من اللہ ان لم یکونوا لیوصفوا تکذیبہم بتلک
من قبل ای من قبل تکذیبہ ومن حیز ارادہ ویرید ہذا التاویل
قولہ کذلک نطبع انتہی والظاہر ان ما موصولۃ ولذلک
عاد الضمیر الہا فی قولہ فی قولہ بما کذبوا بہ ولو کانت مصدریۃ
لجئ الضمیر غیر عائد علی مذکور فیحتاج ان تتکلف ما یعود
علیہ الضمیر والضمیر فی کذبوا عائد علی ما عاد الیہ ضمیر کانوا
وہم قوم الرسل والمعنی انہم کانوا قد تعتہ الرسل فعل
جاہلیۃ وتکذیب للحق وتسافہ ظاہر ثم قبل البعثۃ
وبعدہا کانوا لم یتبعوا الیہم احد ومن قبل متعلق بکذبوا
ای من قبل بعثۃ الرسل علیہم الصلاۃ والسلام ثم بعثنا
من بعدہم موسی الآیۃ لا یحسن قولہ والضمیر بالاستاذن
ہی عائدۃ لقوم فرعون ستر بعثہم ومسیرہم واستئذانہم الی
فاظہروا عن قبولہا والحق ہو العصاۃ والید انتہی لما
استفہام ان کان ومعنی معمول القول محذوف تقدیرہ
ہذا سحر ثم انکر علیہم ایضا باستفہام وثان وہو قولہ اسحر

ہذا

هذا اي اسحر هذا الذي قد جئت به من معجز العصى واليد
ثم اخبر عليه الصلاة والسلام بقوله ولا يفلح الساحرون
قالوا اجئتنا الآية معنى القول في جئتنا خطاب لموسى
عليه الصلاة والسلام وحده لانه هو الذي ظهرت على يديه
المعجزات وهي العصاة واليد البيضاء وقولهم لتلفتنا
اي لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة غير الله
واتخاذ آلهة دونه فنحن مقتفون على آثارهم والكبرياء
مصدر ولما ادعوا ان ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام
هو سحر اخذوا في معارضته بانواع من السحر ليظهر لسائر
الناس ان ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام هو من باب
السحر والمخاطب بقوله ائتوني خدمة فرعون والمتصرفون
بين يديه وقرئ بكل سحار على المبالغة وقرئ بكل ساحر
على الافراد وفي قوله القوا ما انتم ملقون استطالة عليهم
وعدم مبالاة بهم وبما يلقونه وفي ابهام ما انتم ملقون تحقير
وتقليل واعلام بانه لا شيء يلتفت اليه وقرئ السحر
بغير اداة استفهام فما مبتداة موصولة بمعنى الذي وصلتها
جئتم به وخبر المبتدا السحر وقرئ السحر بالاستفهام
فما استفهامية مبتداة تقديره اي شيء وجئتم الخبر
والسحر بدل من ما ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
ويكون استفهاما ثانيا تقديره اهو السحر قال ابن عطية
رضي الله عنه والتعريف هنا في السحر ارتب لانه قد تقدم
منكرا في قوله ان هذا لسحر فجاء هنا بلام العهد كما يقال
ان اول الرسالة سلام عليك وفي آخرها فالسلام عليك انتهى
قال الفراء رضي الله عنه وانما قال السحر بالالف واللام
لان النكرة اذا اعيدت اعيدت بالالف واللام وما ذكره
هنا في قوله السحر ليس هو من باب تقدم النكرة على المعرفة
ثم اخبر عنها بعد ذلك لان شرط هذا ان يكون المعرف
بالالف واللام هو النكرة المتقدمة على المعرفة ولا يكون
غيره كما قال الله عز وجل كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى
فرعون الرسول وتقول زارني رجل فاكرمت الرجل ولما
كان اياه جاز ان يأتي هنا بالضمير بدله فتقول فاكرمته
والسحر هنا ليس هو السحر الذي في قولهم ان هذا لسحر اي ان
الذي اخبر عنه بانه سحر هو ما ظهر على يدي موسى عليه
من معجزة العصا واليد وغيرهما والسحر الذي في قول موسى عليه
الصلاة والسلام انما هو سحرهم الذي جاؤا به فقد اختلف

الصلاة والسلام

المدلولان

اذ قالوا هم عن معجزة موسى وقال موسى عن ما جاؤا به ولذلك لا يجوز
ان يؤتى هنا بالضمير بدل السحر فيكون عائدا على قولهم
لسحر وسيبطله اي يمحقه بحيث يذهب ويظهر بطلانه
باظهار المعجزة على الشعبذة الى اقوالها قال الله تعالى فما امن
لموسى الا ذرية من قومه الاية الظاهر في الفاء من حيث ان مدلولها
التعقيب ان هذا الايمان الصادر من الذرية لم يتاخر
عن قصة الالقاء كما قيل والظاهر ان الضمير في قومه عائد
على موسى عليه الصلاة والسلام وانه لا يعود على فرعون لان موسى
عليه الصلاة والسلام هو المحدث عنه في هذه الاية وهو اقرب
مذكور لانه لو كان عائدا على فرعون لم يظهر لفظ فرعون وكان
هذا التركيب على خوف منه ومن ملائهم ان يفتنهم وهذا
الايمان من الذرية كان اول مبعثه اذ قد امن به بنو اسرائيل
قومه كلهم كان اولا دعي الاباء فلم يجيبوا خوفا من فرعون
واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون وملائه
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين الاية الظاهر انهم سالوا
الله سبحانه وتعالى ان لا يفتنوا عن دينهم وان يخلصوا من الكفار
فقدموا ما كان عندهم اهم وهو سلامة دينهم لهم واضروا
سلامة انفسهم اذ الاهتمام بمصالح الدين آكد من الاهتمام
بمصالح الابدان كما قاله العلماء المحققون واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا الاية ان يجوز ان تكون
تفسيرية بمعنى اي وان تكون مصدرية وتبوآ فعل
امر اي اتخذا مباءة وهو المكان الذي يرجع الانسان اليه
والظاهر من هذه الاية انها اتخاذ البيوت بمصر وهي مصر
المعروفة ومصر من البحر الى اسوان والاسكندرية من ارض
مصر كما قيل واجعلوا بيوتكم قبلة اي قبل القبلة ثم
ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة
فيها ثم خص موسى عليه الصلاة والسلام بالتبشير الذي هو
الغرض تعظيما له وللمبشر به وقال موسى ربنا انك اتيت
فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا الاية والزينة
هنا هي عبارة عما يتزين به ويتحسن من الملبوس ومن المركوب
والاثاث والمال ما يزيد على ذلك من الصامت ومن
الناطق وفي تكرير ربنا توكيد للدعاء والاستغاثة واللام
في ليضلوا هي لام كي على معنى اتيتهم ما اتيتهم على سبيل الاستدراج
فكان الايتاء لكي يضلوا ويحتمل ان يكون هي لام الصيرورة
والعاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا

وحزنا

فحزنا وكما قال الشاعر ولكل ما تؤتى كل صفة ... وللحزن
تحدث الناس عمر اباه ربنا اطمس على اموالهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما صارت دراهمهم حجارة منقوشة صحاحا وافلا نا
وانصافا فلم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع
بواحد بعده واشدد على قلوبهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما معنى الآية اي اطبع عليها واد غفها من الايمان فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم منصوب على انه جواب الامر وجواب
والامر وجوابه ينعقد منهما شرط وجزاء وتقدير ذلك
هنا ان تشدد على قلوبهم يؤمنوا قال قد اجيبت دعوتكما
فاستقيما الآية قال محمد بن كعب العرظي رضي الله عنه كان موسى
عليه الصلاة والسلام يدعو وهارون يؤمن فلذلك اضاف الدعوة اليهما وهم
على دعائه فسميت الدعوة لهما ويمكن ان يكون دعوا جميعا
ثم امر ابالاستقامة على العبادة والمعنى الدوموا عليها وعلى
هذا امر كل داع الى الله تعالى وان امر حمة الله عز وجل والذين
لا يعلمون هم فرعون وجنوده وقال ابن عباس رضي الله عنهما
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر تقدم الكلام في اسماء من بني
اسرائيل وكم كانوا الذين جاوزوا البحر مع موسى عليه الصلاة والسلام
في سورة الاعراف وادتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا
الآية واتباع فرعون هو بمجاوزة البحر ومعنى ان فرعون
لما اسري الى البحر فوجده قد انفرق ومعنى فيه سولا سرا عليه
قال لقومه انما انفرق فارقي وكان فرعون على فرس ادهم فلما
فتح الله لجبريل عليه الصلاة والسلام على فرس انثى
ورد فتوهم قد دخلوا فدخلها البحر ولج فرس فرعون وراءه وخلف
الجيوش خلفه فلما راى ان الانفراق قد تمت وسلم له وبعث
الله تعالى ميكائيل عليه الصلاة والسلام يسوق الناس حتى حصل
جميعهم في البحر وانطبق عليهم وما لحقه من الدهشة والحيرة
ما لحقه ذكر المعنى بقوله عبارات اما على سبيل التغليظ
او ذاك حقا رجحان فيه القلوب او حرصا على القبول ولم يقبل
الله تعالى منه ذلك لانه وقت القبول وهو حالة الاختيار
ولقاء التكليف والتوبة عند المعاينة لا تنفع الا ترى
الى قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا سنة الله
التي قد خلت في عباده وتقدم الخلاف في قراءة الآن في قوله
الآن وقد كنتم تستعجلون في هذه السورة والمعنى اتؤمن
الآن الساعة في حال الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من
نفسك قيل انه قال ذلك حين الجمه الغرق فاليوم ننجيك ببدنك الآية

اي نلقيك بجوف من الارض وهي المكان المرتفع وببدنك يجعل
بدرعك وكان من لؤلؤ منظوم لامثال له وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما والبدن دون الانسان وقيل البدن هي الدروع
القصيرة قال الشاعر في معناه ايضا
ترى الابدان فيها مشيعات * على الابطال والبيض الصفينا
يعني الدروع وقيل نلقيك ببدنك عريانا لنسير عليك قتال
ولا سلاح ولا لمعان الحديد وذلك ابلغ في اهانته ولقد بوأنا
بني اسرائيل مبوأ صدق الآية الظاهر ان بني اسرائيل هم الذين قد
كانوا امنوا بموسى عليه الصلاة والسلام ونحوا من الغرق وساق
الآيات شهد لذلك ثم بعد ذلك ايضا واسقب مبوأ صدق
على ان ثم مفعولا وان لبوأنا كقوله تعالى لنبوئنهم من الجنة
غرفا فالحرى من تحتها الانهار او على المصدر وقيل صدق
اي فضل وكرامة ولما ذكر تعالى انه بوأهم مبوأ صدق ذكر
امتنانه عليهم بما رزقهم من الطيبات وبالمآكل والمشارب
او الحلال فما اختلفوا اي كانوا على ملة واحدة وطريقة مع موسى
عليه الصلاة والسلام في اول احواله حتى جاءهم العلم اي علم التوراة
فاختلفوا وهذا دم لهم اي ان سبب الاختلاف هو العلم فصدر
عندهم سبب الاختلاف فتسعوا شعبا بعد ما قرأوا التوراة
فان كنت في شك الآية الظاهر ان ان شرطية يقتضي
تعلق شيء على شيء ولا تستلزم تحتم وقوعه ولا امكانه
بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كقوله عز وجل قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين ويستحيل ان يكون له ولد
فكذلك هذا يستحيل ان يكون عليه الصلاة والسلام في شك
وهذه الآية من ذكر وقيل ان نافية وقيل الخطاب لغير معين
الله صلى الله عليه وسلم وقيل معنى في شك اي في ضيق ولا يراد به
حقيقة الشك وهو تساوي الجانبين ورد وفي عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال لا اشك ولا اسأل قل اشهد ان الحق فيكون
منصوبا باضمار ان بعد الفاء وهو جواب النهي قبله ان
الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية ذكر عباده
قضى عليهم بالشقاوة فلا تتخير الكلمة التي حقت عليهم وهي اللعنة
والغضب ولا حتى يروا العذاب الاليم يعني الوقت الذي لا ينفعهم
فيه ايمانهم فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الآية
كل لما سامي التخصيصية الى صحة التوبيخ وكم قد كثر اماطت
في القرآن للتخصيص فهي بمعنى هلا والتخصيص ان يريد الانسان
فعل الشيء الذي يحض عليه واذا كانت للتوبيخ فلا يريد المتكلم

الحض على ذلك الشيء وهنا وحرم على ترك الايمان الذي هو المعنى
فهل كان اهل قرية ويم على مهلكم ليلتبس العذاب بهم فيكون
الايمان نافعا لهم في هذه الحالة والا قوم يونس استثنا منقطع
او لم يدرج قوم يونس في قوله قرية والى الانقطاع فيه ذهب
سيبويه والكسائي والفراء وان خفش وقد هو مستثنا
متصل لان التخصيص انما يكون على شيء لم يقع فتضمن معنى
النفي وصار المعنى لم يكن قرية بعينها اهلها امنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس وهم افضل يستوي من بلاد الموصل كانوا
يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم يونس عليه الصلاة والسلام
فاقاموا على تكذيبه سبع سنين فوعدهم العذاب بعد ثلاثة
ثلاثة ايام وقيل بعد اربعين يوما الى حين اي الى وقت
انقضاء آجالهم ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم
جميعا الاية قيل انزلت هذه الاية في شان ابي طالب
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفق لوعة على ملة عند الطلب
وكان حريصا على ايمانه وكان عليه الصلاة والسلام اخرص الناس
على هداية من في الارض من اولها فكرره الناس حتى يكونوا موصوفين
بتقديم الاسم في الاسقبها مر على الفعل ليدل على امكان
حصول الفعل كلن من جبر عز ذلك الاسم فلله عز وجل ان يكره
الناس على الايمان ولكن شاء وليس ذلك بعين ولا ضرر وجعل
سبحانه المتكلم ويجعل بناء الغيبة قل انظروا ما ذا في
السموات والارض اذ السبيل الى معرفته تعالى هو ما يتفكر
في مصنوعاته عز وجل في العالم العلوي في حركات الافلاك
ومقاديرها واوضاعها والكواكب وما يختص بدركات من
المنافع والفوائد وفي العالم السفلي في احوال العناصر
والمعادن والنبات والحيوان وخصوصا حال الانسان وكثيرا
ما ذكر الله عز وجل في كتابه الحض على التفكر في مخلوقاته
تعالى وقال فاذا في السموات والارض ننبههم على القاعدة الكلية
والعاقل من ينتبه لتفاصيلها اي تفاصيل تلك الامور وانسامها ثم لما
امر نبيه صلى الله عليه وسلم والله تعالى بالنظر اخبر انه حق له يؤمن لا تغني الآيات
والنذر جمع نذير اما مصدر بمعناه والانذار او اسم
واقامه مقام المصدر والرسل وما الظاهر انها
للتكثير ويجوز ان تكون استفهاما اي واي شيء تغني الآيات
والنذر الدلائل وهو استفهام على جهة التقرير وفي هذه الاية
توبيخ لحاضري رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ومعنى
نجي رسلنا لما تقدم قوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين

خلوا من قبلهم

وكان ذلك مشعرا بما حال بالامم الماضية المكذبة وصرحا
بهلاكهم في غير آية اخبر سبحانه وتعالى عن حكاية حالهم
الماضية فقال تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا
علينا ننجي المؤمنين والمعنى ان الذين هلكناهم هلكوا لتكذيبهم الرسل
ثم نجينا الرسل والمؤمنين والظاهر ان كذلك في موضع نصب نعتا لمصدر
مثل ذلك الانجاء الذي نجينا الرسل ومن آمن بهم ننجي من آمن منا
بك يا محمد ويكون حقا على تقدير حق ذلك حقا قل يا ايها
الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون خطاب لاهل مكة يقول ان كنتم لا تعرفون
ما ان عليه واني اتيقنه لكم فلا اعبد الا ولا بالانتفاء من عبادة
ما كانوا يعبدون من الاصنام وغيرها وسميها لانهم وانت
ثانيا من الذي يعبده وهو الله سبحانه وتعالى الذي يتوفاكم
وفي ذكر هذا الوصف الوسط الدال على التوفي دلالة على
الذي هو الاعادة فكانه اشار الى انه يعتقد الله الذي
خلقكم ثم يتوفاكم ويعيدكم وكثيرا ما صرح بهذه الاطوار الثلاثة
وكان التصريح بهذا الوصف لما فيه من التهديد
بالموت وارهاب النفوس به وحثهم الى الله تعالى بعبادته
فهو الحري بان يخاف ويتقى ويعبد لا المحكم الى انهم
مقيمون على عبادتها وامرت ان اكون من المؤمنين لما ذكر انه
يعبد الله تعالى وكانت العبادة اغلب ما عليها عمل الجوارح اردفه
اخر بانه امر فاراد ان يكون من المصدقين بالله الموحدين له
المتعبدين بالعبادة فانتقل من عمل الجوارح الى نور المعرفة وطابق
الباطن الظاهر وان اقم يحتمل ان تكون معمولة لقوله
وامرت ومن حرفها المعنى لان معنى قوله ان اكون من المؤمنين
فتكون ان مصدرية وصلها الامر والى حذفها المحل والمقصد
اي لتسلم للدين ولا تحد عنه وحنيفا حال من الضمير في اقم
او من المفعول فان فعلت كما نهيت عن الدعاء من دون الله
فان دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك وجواب ان شرط
فلا تدعه وخبرها ولو سقطت اذا لبين اسم ان والخبر وربطها
بعد الخبر لكن روعي في ذلك انفاصلة وان يمسسك الله
بضر الا كاشف له الا هو اي في الضر بلفظ المس وفي الخير بلفظ الارادة
وطابق بين الضر والخير فطابق بمحتوم لا لفظة لا ترفع
مقابل الضر النفع ومقابل الخير الشر فجاء لفظة الضر
الطف واخص من لفظة الشر وجاءت لفظة الخير اعم من
لفظة النفع ولفظة المس ادخل من لفظ الارادة
ونص على الاصابة وانسب لقوله فلا كاشف له الا هو

ولفظ الارادة

حكام

فانا

على

اي الا حق

فلا كاشف له الا هو

ولفظ الارادة ادل على الحصول في وقت الخطاب في غيره
وليست للفظ الخبر وان كان المس والارادة معناهما الاصالة
وجاء جواب وان يمسسك بضر عام وايجاب وجاوب
وان يردك بضر عام لان مالا رادة لارد لا هو صلى
الله عليه وسلم ولا عن قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم
الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى الهدى في هذه الآية هو
انتال القرآن ومحمي الرسول عليه الصلاة والسلام وظهور الايمان
فمن اهتدى فانما تهتدي لنفسه قال ابن عباس رضي الله عنهما
والمعنى صاروا اهل غلبة اي فانما ترك ان هداية لنفسه حاصل
لها وقد بان ضلاله على حامل لها انصاف الهداية والضلال
والفعال بارادة الله سبحانه وتعالى وقد روي انصاف امالما نزلت
واصبر جمع رسولك الله صلى الله عليه وسلم الا نصار فقال
انكم سترون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني •

سورة هود عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم
الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال ابن
عباس رضي الله عنهما هذه السورة مكية كلها وعنه انصار رضي الله
تعالى عنه انها مكية الا قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك الآية وكتاب خبر مبتدا محذوف مدل عليه طهوره
بعد تقدير الحروف المقطعة كقوله اتم ذلك الكتاب
واحكمت صفة له ومعنى الاحكام نظمه نظما صحيحا اي
لا نقض فيه ولا خلل والميم في قوله احكمت للنقل واصله حكم
فصر حكيم ثم ادخلت عليه ميم النقل فصار ويتعدى الى واحد
ثم فصلت كما تفصل الدلائل بالدلائل من دلائل التوحيد
والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة
واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة
او فصل بالامر والنهي او الوعد والوعيد وحذف من لدن
وتقدم الكلام عليه في سورة ال عمران وحكيم محكم وهي صفة
راجعة لقوله احكمت خبير اي عالم بخفايا الامور
وهو راجع الى قوله ثم فصلت وكان العطف هنا ثم
لتراخي او اخر التفصيل وتوابعه عن المنزل بالاحكام
ومن لدن تتعلق باحد الفعلين من باب الاعمال ومن
حيث المعنى تتعلق بهما ايضا وان لا يعتد باحدهما
ان حرف جر او حرف تفسير لان في تفصيل الاباب معنى القول
وهذا ظاهر ويجوز ان تكون الناصبة للمضارع ولا نفي وعلامة
النصب حذف النون والظاهر عود الضمير في منه الى الله تعالى اي

اي انني لكم نذير من جهته وبشير فتكون في موضع الصفة
فتتعلق بالمحذوف اي كائن من جهته او تتعلق بنذير
اي انذركم من عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه
ان امنتم وان استغفروا هذا امر بالاستغفار يرجح ان
يكون ان لا تعبدوا نهي كنهي ثم امر كامر وهو قوله فكما قد
قيل فيه والاستغفار هو طلب المغفرة وهي الستر والتوبة
هي الانسلاخ عن المعاصي والندم على ما سلف منها والعزم
على عدم العود اليها وتقدم امران بينهما تراخ وترتب عليها هنا
جوابان بينهما تراخ فترتب على الاستغفار التمتيع الحسن
وترتب على التوبة ايتاء الفضل في الاخرة وناسب كل جواب
لما وقع جوابا له لان الاستغفار من الذنب اول حال الراجع
الى الله عز وجل فناسب ان يرتب عليه حال الدنيا والتوبة
هي المنجية من النار والتي تدخل الجنة فناسب ان يرتب
عليها حال الاخرة والضمير في فضله يحتمل ان يعود على الله
تعالى اي يعطي في الاخرة كل من كان فضل في عمل الخير وزيادة
ما تفضل به سبحانه وتعالى عليه وزيادة ويحتمل ان يعود
على كل اي جزاء ذلك الفضل الذي عمله في الدنيا لا يبخس
منه شيء والظاهر ان تولوا مضارع حذف منه التاء اي
فان تتولوا وقيل هو ماض للغائبين والتقدير فقل لهم
اني اخاف عليكم ووصف يوم بكبير وهو يوم القيامة لما
يقع فيه من الاهوال الى الله اي الى جزائه مرجعكم اي
يوم القيامة وهو على كل شيء قدير ومنه البدء والاعادة
الا انهم يثنون صدورهم الاية قال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت في الاخنس ابن شريق كان يجالس رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويحلف انه يحبه ويضمر خلاف ما يظهر وقيل
غير ذلك ليستخفوا منه اي من الله عز وجل ولا يطلع رسوله
والمؤمنين على ازورارهم والضمير في منه عائد على الله عز
وجل والذي يظهر من اسباب النزول انه عائد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما قيل ان هذه الاية نزلت في الكفار
الذين كانوا اذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تطامنوا وثنوا
صدورهم كالمستقر وردوا اليه ظهورهم وغشوا وجوههم
بثيابهم تباعدا منه صلى الله عليه وسلم وكراهة للقائه وهم
يظنون ان ذلك يخفى عليه او عن الله تعالى فنزلت هذه الاية
مبينة ومفضحة لهم فعلى هذا يكون قوله ليستخفوا متعلقا
بيثنون صدورهم ومعنى يستغشون ثيابهم يجعلونها اغشية

ومنه قول

فصل اتماري

ومن قول الخنساء ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى
وانتصب حين بقوله يعلم وقال الزمخشري رضي الله عنه يريدون
الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم وقال ابو البقاء الا حين
الفاصل في الظرف محذوف اي الا حين يستغشون ثيابهم
يستخفون وتقدير الزمخشري وابي البقاء اضمار لا يحتاج
اليه وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الاية الدابة
هنا عام في كل حيوان يحتاج الى رزق وعلى الله ظاهر في الوجوب
وانما هو تفضل منه تعالى ولكنه لما ضمن تعالى انه
يتفضل عليهم ابرزه في حيز الوجوب قال ابن عباس رضي الله عنهما
ومعنى مستقرها يعني حيث تاوي من الارض اليه ومستودعها
يعني الموضع الذي تموت وتدفن فيه وقوله وما من دابة
الى اخره هو في موضع رفع مبتدا ومن زائدة لاستغراق الجنس
ورزقها مبتدا وعلى الله خبره والجملة خبر المبتدا والتقدير
وما من دابة الا ورزقها كائن على الله وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام لما ذكر سبحانه وتعالى ما يدل على كونه عالما
ذكر ما يدل على كونه قادرا وتقدم تفسير الجملة الاولى في سورة
يونس عليه الصلاة والسلام والظاهر ان قوله وكان عرشه على الماء
تقديره قبل خلق السموات والارض وفي هذا دليل على ان الماء
والعرش كانا مخلوقين قبله والظاهر تعلق ليبلوكم بخلق اي
خلقهن بحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم
عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم فعل الطاعات واجتناب
المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه
ومعنى ليبلوكم اي ليختبركم وايكم احسن عملا هو مبتدا وخبر
في موضع نصب بقوله ليبلوكم وهو معلق لان الاختبار فيه
معنى التمييز والعلم وذكر الزمخشري رضي الله عنه ان استمع
تعلق ومثله بقوله استمع ايهم احسن صوتا انتهى ولا اعلم
احدا ذكر ان استمع تعلق وانما ذكروا من غير افعال القلوب
سل وانظر وفي جواز تعليق راى البصرية خلاف
والظاهر الاشارة بهذا القول الى ما تقدم اي ان قولكم انكم
مبعوثون الا سحر اي بطلان هذا القول كبطلان السحر
والظاهر ان العذاب هو العذاب الموعود به والامة هنا
هي المدة من الزمان ما يحبسه استفهام قالوه على سبيل التكذيب
والاستهزاء والظاهر ان يوم منصوب بقوله مصروفا فهو معمول
لخبر ليس وقد استدل به على تقديم خبر ليس عليها اي على جوازه
قالوا لان تقدم المعمول يؤذن بتقدم العامل ونسب هذا المذهب

لسيبويه رضي الله تعالى عنه وعليه اكثر البصريين وذهب الكوفيون
والمبرد الى انه ○ يجوز ذلك وقالوا لانه ظرف فقدم
المعمول على جواز تقدم العامل واضافوا ان الظرف وشبهه
والمجرور يتسع فيها مالا يتسع في غيرها ويقعان حيث لا يقع
العامل فيهما نحو ان اليوم زيدا مسافر وقد تتسع
جملة من واو ونون الا ترى ظرفا يتقدم خبر ليس عليها
ولا معمولة الا ما دلت عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر
فيا بي فما ان كاد ان لحاجة ○ وكنت ابيا في الحنا لست اقدم
وتقدم تمر حلة وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ○ والذين
اذ قنا الانسان الآية الظاهر ان الانسان هنا هو الجنس
والمعنى ان هذا الخلق هو في سجايا الناس اي في طباعهم ثم
استثنى منهم الذين رزقهم الله تعالى الايمان الى الصبر والعمل
الصالح ولذلك جاء الاستثناء منقطعا في قوله الا الذين صبروا
متصلا فلعلك تارك الآية كانوا يقترحون عليه اتيانه
بعتاد الرسل اذ لا يهم لو كانوا مستبشرين لكانت اية واحدة
مما جاء به كافية في رشادهم وضائق اسم فاعل من ضاق
وعكسه ضائق دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع تارك وان
كان ضيق اكثر استعمالا لانه وصف لازم وضائق وصف
عارض ولان اسم المفعول واسم الفاعل هنا قد يكون من الثلاثي
اذا لم يأت على وزن فاعل نحو فرح وثقيل وارق لحد ورقه
نحو قوله اذ ليس دان ودنفا لا دما ○ انما انت نذير اي ليس عليك
الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم بما ارمت بتبليغه وما
عليك ردوا او قبلوا او اقترحوا ○ والله على كل شيء وكيل
يحفظ عليهم ما يقولون ويحصيه وهو فاعل بهم ما يحق ان
يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه فهو كافيك شأنهم
○ ام يقولون افتراه الآية الظاهر ان ام منقطعة فتقدر
اذ بل ابقولهم افتراه والضمير في افتراه عائد على قوله يوحى
اليك وهو القرآن ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه لا تتعلق
اطماعهم بان تترك بعض ما اوحي اليك ربك ربك الدواعي لم
انه ليس من عند الله وانه هو الذي افتراه وانما تحداهم
اولا بعشر سور مثله مفتريات قل فأتوا بعشر سور اذ كانت هذه
السورة مكية والسور مدنية وسورة يونس ايضا عليه الصلاة
والسلام مكية وتقتضي التحدي بعشر سور مثله ان تكون قبل طلب
المعارضة بسورة فلما انسوم الى الافتراء طلب منهم ان يأتوا
بعشر سور مثله مفتريات ارخاء لعنانهم وكأنه يقول هبوا

الخ قد اختلفته

قد اخلقته ولم يوح الى وادعوا انهم مثله بكلام مختلق من عند
انفسهم وانتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل
ما ادعوه وعلمه من الكلام وانما عنى بقوله مثله في حسن
النظم والبيان وان كان مفتريا وشان من سلم تعجيز
شخص ان يطالبه او لابائه ان يفعلا مثالا مما يفعله هو
ثم اذا اتى لم يعجزه قال له افعل مثله الاخر فان لم تستجيبوا
لكم الذي يظهر ان الضمير في قوله تعالى فان لم تستجيبوا
لكم عائد على من استطعتم وفي لكم غاية على الكفار
لعود الضمير الى اقرب مذكور ويكون الخطاب فيه لواحد
ولترتب الجواب على الشرط ترتبا حقيقيا من الامر بما يعلم ولا
يتجوز بانه ان تدبره فقد وصل الى العلم بان لا اله الا هو
وان لا ان يكون قوله فهل انتم مسلمون تحضيضا على تحصيل
الاسلام لا انه يراد به الاخلاص وما طولبوا بالمعارضة
والامر واباذن قد عورض من يساعدهم فلم تكن المعارضة
ولا استحالت اصنامهم والهتهم لهم طولبوا الى امر وا باذن تعلموا
انه من عند الله تعالى وليس هو بمقتض يمكن معارضته
وانه تعالى هو المختص بالالوهية لا شركة في شيء منها
الهتهم واصنامهم فلا يمكن ان يجيبوا لظهور عجزهم
وانها لا تنفع ولا تضر في شيء من الطالب من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها وهم فيها
لا يبخسون قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية لما قبلها
ان الله سبحانه وتعالى لما ذكر اشياء من احوال الكفار والمنافقين
في القرآن ذكر شيئا من احوالهم الدنيوية وما يؤول اليه امرهم
في الآخرة وظاهره من العموم في كل من يريد الحياة الدنيا
وزينتها والجزاء مقرون بمشيئته سبحانه وتعالى وكافعل
الشرط ما ضيا في قوله من كان وفعل الجزاء مضارعا مجزوما
وملوفوف والجزم افصح من الرفع اذ لو جاء نوف مرفوعا كان
جائزا كما قال وان الله على كل شيء مسألة يقول لا عذبت
فريقا وليتوبن ولو جزمه كان افصح كالآية واورد الضمير في
قوله من كان يريد على لفظ من وجمعه في قوله اليهم اعمالهم
للمعنى والضمير في قوله ما صنعوا فيها الظاهر انه عائد
على الاخرة والمجرور متعلق بحبط والمعنى وظهر حبوط
ما صنعوا في الاخرة ويجوز ان يتعلق بقوله صنعوا فيكون
عائدا على الحياة الدنيا كما عاد عليها في قوله ايمن كان على
بينة من ربه الآية لما ذكر حال من يريد الحياة الدنيا ذكر

وما مالي والاجرام

وظهر حبوط ام

حال من يريد وجه الله عز وجل تاعمالهم الصالحة ام

وحذف العائد الذي وصلت عليه الهمزة والتقدير لمن يريد
الحياة الدنيا وكثيرا ما حذف في القرآن كقوله تعالى امن
لا يأتي بخير هل يستوي هو وقد آتاه حسنا وآتيناهم من آمن منهم
كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهم ممن آمن افمن كان على
بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام
حق وهو دليل العقد وتتلوه اي ويتبع ذلك البرهان
شاهد منه اي شاهد يصحبه وهو القرآن منه اي من الله عز
وجل وشاهد من القرآن ومن قبله اي ومن قبل مجيء القرآن
ونزوله وبعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب موسى وهو
التوراة اماما ورحمة والاشارة بأولئك الى من كان على
بينة وقد روعي معنى من فجمع ومن يكفر به من الاحزاب فالنار
موعده اي مكان وعده الذي يصير اليه وقال حسان ان رهطه
اوردوه تموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والموت لاقيها
قوله عز وجل ممن افترى على الله كذبا انتقدم نفسه نظير
هذه الجملة والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب او جمع
شهيد كشريف واشراف والاشهاد هم الملائكة الذين يحفظون
عليهم اعمالهم في الدنيا وهي في قوله هؤلاء اشارة الى كفرهم
وضلالهم بتسويل تكبهم وفي قوله على ربهم اي على من يحسن انهم
وبملك تواضعهم وكانوا يحدثون بان لا يكذبوا عليه ومن اذ ولما اسم
لكان ومن زائدة والضمير في ما كانوا عائد على اولئك
ومعنى انه من لا يستطيع ان يسمع ولا يبصر وكيف يضل الاوثان
ويكون قوله يضاعف لهم العذاب اعم اضاء وقيل ما مصدرية
اي يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم وابصارهم والمعنى
ان العذاب وتضعيفه دائم لهم مستمر لا ينقطع عنهم وخسروا
انفسهم خسران انفسهم كونهم محشورا واعبادة الاصنام بعبادة الله
عز وجل خسروا في تجارتهم خسرانا لا اعظم منه ولو على حذف
مضاف اي ذي خسران او على عادة انفسهم لاحرم مذهب الخليل
وسيبويه رضي الله عنهما ان ها تين الكلمتين ركبتا من الصدر
المستكن وقد اسند بقول الكسائي رضي الله عنه فيكون قوله
ان لهم على الساطح فاجأته الجارة اذ صار التقدير لا بد من ان
لهم النار اي من كونهم النار لهم وكان حشر ان
النفس اعظم الخسران لحكم عليهم بانهم هم الذين يرد في الخسران على
كل خاسر ممن سواهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الآية
والفريقان هما الكافر والمؤمن ولما كان قد تقدم ذكر الكفار
وادعيت بذكر المؤمنين جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال

كالاعمى

كالاعمى والاصم والبصير والسميع ويمكن ان يكون من باب
تشبيه اثنين باثنين وقول الاعمى بالبصير وهو طباق في
الحواس وقول الاصم بالسميع وهو طباق الحواس ايضا
هل يستقيم بان مثلا فلا تتذكرون لتفهم معناه انتفى
اي لا يستويان مثلا لاي صفة ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
آية ان لا تعبدوا الا الله ظاهر في انهم كانوا يعبدون الاوثان
كما حاءه ذلك مصرحا به في غير هذه السورة ويحتمل ان تكون
معمولة لارسلنا اي بان لا تعبدوا الا الله وذكر والي ما دعي
الراي انه منصوب على الظرف والظاهر ان العامل فيه
قوله واصنعك وخبري ما دعي بالماء من بداءة يبدو اذا
ومعناه ظاهر الراي قال يا قوم لما حكى شبههم في انكار
نبوته عليه الصلاة والسلام ومحاي قولهم ما نراك الا
بشرا مثلنا ذكر ان المساواة في البشرية لا تمنع من حصول
المفارقة في صورة صفة النبوة والرسالة ثم ذكر الطريق الذي
على اكابره على جهة التعليق والامكان وهو متعلق انه
على بينة من ربي اي من معرفة الله وتوحيده وما يجب له
وما يمتنع لكنه اورده في طريق الشرط والجزاء على جهة
التعليق والامكان او على سبيل الفرض لهم والاستدراج للاقرار
بالحق وقيام الحجة على الخصم والبينة البرهان والشاهد
بصحة دعواه ورحمة قال ابن عباس رضي الله عنهما الرحمة
هنا في هذه الاية الاسلام والنبوة فعميت عليكم منعنا هاكم المعلوم
مع تشديد الميم والظاهر ان الضمير عائد على البينة وقد
تحصل الذم لهم من انتفائي ما لمعجزة الدلالة التي اوضحت
وابنها على وضوحها وطلبتم ابطالها خفيت عليهم التي هي حكمها
تتعدى هنا لمفعولين احدهما ضمير الخطاب والثاني مهمز
العنبة وانصالها افصح ويجوز في الكلام انفصالها فتترك
الف فكم اياها وما نؤمركموها استفهام انكار عليه
عليه الصلاة والسلام بمداناته اياهم بقوله وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا في قبول ايمانهم كما تلطف نوح
بقوله يا قوم ما قوم والضمير في عليه عائد على الايمان وافراد
تعالى بالعبادة المفهوم من قوله اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا
الا الله وتقدم تفسير الجمل الثلاث في سورة الانعام ونزدري
نستعمل من الازدراء وله تزدري اعينكم التفات لو جرى
على نمط الكلام الاول لقيل ما نراك اتبعك الا الذين
نرى ارذل السخف فنزدريهم وفي قوله اسدد هضم صور
والعائد على الموصول محذوف اي تزدريهم اي تستحقرهم اعينكم ولن

في ضوء وضوحها

قوم

الله

بينهم

تحمل الفعل في قوله ولا أقول وللذين معناه لأجل الذين
تزدري أعينكم قالوا يا نوح قد جادلتنا أطلت المبالغة
في المخصومة والمناظرة فأتنا بما تعدنا فيه استعجل إلى
قوله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم وما يجوز أن تكون هنا
موصولة بمعنى الذي وحذف العائد بتقدير بما تعدنا
إياه ويجوز أن تكون مصدرية أي بوعدك إيانا قال
إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين الآية أي ليس
ذلك إلي وإنما يأتيكم به الله إن شاء إني أما الآخرة فكله هو فهو الذي
يجازيكم على عصيانكم إن شاء فعل ولما قالوا قد جادلتنا
وطلبوا تعجيل العذاب وكان مجادلته إياهم إنما هو على سبيل
النصح لهم والإشفاق من عذاب الله عز وجل قال ولا ينفعكم
نصحي وهذا إن الشرطان اعتقبا الأول منهما قوله ولا
ينفعكم نصحي وهو دليل على جواب الشرط تقديره إن أردت
أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي وهو من حيث المعنى كالشرط
إذا كان ماضيا نحو إذا كان أمس يوم الجمعة فإن يعجبك أن
أنصحكم فلا ينفعكم نصحي أم يقولون افتراه الظاهر أن الضمير
في يقولون عائد على قوم نوح أي بل أيقولون افتراه فما قد
أخبرهم به من دين الله عز وجل وعقاب من أعرض عنه فقال
لهم عليه الصلاة والسلام قل إن افتريته فعلي إجرامي أي إن قدر
إجرامي في الإجرام مصدر أجرم وأنا بريء مما تعملون أي بريء
من عملكم وهي عبادتكم غير الله تعالى مع كفركم وعصيانكم وشركم
وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون نفاه تعالى عن ابتئاسه وهو حزنه عليهم
في لهجة قاسية وأنا بائس وقد تعالى أيضا أبأس أفعل
من البؤس وتعالى أبأس الرجل إذا لقي شيئا يكرهه قال
أنا ابن عدوم من خليل في حميم ريدة فلم تبئس ولم ترث فيعل
واصنع الفلك ما عيننا لك تمثل إذ منا وحفظنا وكلاءتنا ووحينا
ووحي حاكية هيئة صنعه كيف تصنع وعن ابن عباس رضي
الله عنهما أنه لم يكن يعلم صنعة الفلك فأوحى الله تعالى إليه
أن يصنعها مثل جؤجؤ الطير وبصنع الملك الآلة
أي حكاية حال ماضية والملك أي السفينة قال ابن عباس
رضي الله عنهما الخشب من خشب الشمشار وهو الشوحط وسخروا منه
كلما مر عليهم وأتاهم وقد تعالى أيضا أبأس وقد تعالى أيضا أبأس أفعل
من البؤس وتعالى أبأس الرجل إذا لقي شيئا يكرهه قال
أتاعد وكم من خليل في حميم ريدة فلم تبئس ولم ترث فيعل
واصنع الفلك ما عيننا لك تمثل إذ منا وحفظنا وكلاءتنا ووحينا
ووحي حاكية هيئة صنعه كيف تصنع وعن ابن عباس رضي
الله عنهما أنه لم يكن يعلم صنعة الفلك فأوحى الله تعالى إليه
أن يصنعها مثل جؤجؤ الطير ويصنع الملك الآلة
أي حكاية حال ماضية والملك أي السفينة قال ابن عباس
رضي الله عنهما الخشب من خشب الشمشار وهو الشوحط وسخروا منه
حتى سد لكوا فيم رأوه يبني السفينة ويطليها بالقار يغني
أن نجت ولم يكونوا شاهدوا قبلها سفينة بنيت فقالوا
يا نوح ما تصنع قال أبني بيتا يمشي على وجه الماء فتعجبوا من



قوله

من قوله وقال الواحدي الذي يزعم انه نبي فقد صار نمارا
وكلما مرت عليه ملا من قومه سخروا منه وما قد تكون بنا
مضت سنة او طرقنا قحط وكل وقت مر فيه سخروا منه
والذي صنعه لكل سخروا قال الآن نسخر منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون اي اذا نجوتم وغرقتم فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
يبلغ ويوعد بالعذاب من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
عذاب مقيم قال ابن عباس رضي الله عنهما والعذاب المخزي
هو الغرق والعذاب المقيم هو عذاب لا خرق لانه دائم
لا ينقطع ومن يأتيه مفعول تعلمون ومن موصولة وتعدي
تعلمون الى واحد لتضمنها لانها استعمال عرف في التعدية
الى واحد قال ابن عطية رضي الله عنه وجائز ان تكون
التعدية الى مفعولين واقتصر على الواحد انهي ويجوز حذف
الثاني اقتصارا على الاول لان اصله خبر مبتدا والاختصار
هنا انه لا دليل على حذفه وحتى هنا غاية لقوله ويصنع
الفلك وقوله ويصنع الفلك كما تقدم مرارا حكاية حال ماضية
اي وكان يصنع الفلك الى ان جاء وقت الوعد الموعود به
والجملة من قوله وكلما مرت عليه ملا الى قومه حال كانه قيل
ويصنعها قائلا انه كلما مر واحد الاشراف منهم
اي امر ناقوره ان او ارسال السحاب بالمطر او للسحاب بالارسال
والملائكة في ذلك حتى اذا جاء امرنا وفار
التنور ومعناه انبعث بعثرة والتنور هو وجه الارض والعرب
تسمية تنورا وهو محل الحنان الذي يخبز فيه وكان ذلك
علامة لنوح عليه الصلاة والسلام وقال بعضهم ايضا التنور
هو مستوقد النار قلنا احملها من كل زوجين اثنين
واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وقرئ من كل بالتنوين
بالتنوين فيكون زوجين مفعولا لاحمل مفعولا بقوله
احمل فيها الى آخره وقرئ بغير تنوين على الاضافة فيكون اثنين
مفعول احمل واهلك ومن معطوفا ان على المفعول مثله وكان
كان الطريق كما قالوا الف فرسخ لوحوش نقلب وسط
الماء الارض هربا من الماء حتى اجتمعت عند السفينة
فامرهم الله تعالى ان يحمل فيها من كل زوج اثنين يعني ذكرا
وانثى ليبقى اصل النسل بعد الطوفان فروي انه كان مع الله
انواع الحيوانات فيضع يمينه على الذكر ويسار على الانثى وكان
السفينة ثلاث طبقات السفل للوحوش والوسطى للطعام
والشراب والعليا له ولمن امن معه قال الله عز وجل •

وما امن معه الا قليل

قال ابن عباس رضي الله عنهما قيل كانوا ثمانين رجلا وقيل كانوا
نصفهم رجال ونصفهم نساء ولما خرجوا من السفينة بنوا
قرية تدعى اليوم قرية الثمانين بناحية الموصل وقال
اركبوا فيها الآية الضمير في وقال عائد على نوح عليه الصلاة
والسلام اي قال نوح عليه الصلاة والسلام حين امر بالحمل في
السفينة لمن امن معه ومن امر بحمله اركبوا فيها والظاهر انه
خطاب لمن يعقل خاصة لان هذا لا يليق بمن لا يعقل وعدي
اركبوا بفي لتضمنه معنى صيروا فيها او ادخلوا فيها والتقدير
اركبوا الماء فيها والباء في باسم الله هي في موضع الحال اي متبركين
باسم الله وقوله مجراها ومرساها منصوبان اما على انهما
ظرفا زمان او مكان لانهما يجيئان لذلك او ظرفا زمان على
جهة الحذف كما حذف من قوله ان جئتك مقدم الحاج اي وقت
قدوم الحاج ويجوز ان يكون مجراها ومرساها مرفوعين
على الابتداء وباسم الله هو خبرها وهي تجري بهم في موج كالجبال
اي في العظم والارتفاع وذلك اخبار من الله عز وجل بما جرى
للسفينة وبهم حال اي ملتبسة بهم والمعنى تجري وهم
فيها في موج كالجبال اي في موج الطوفان شبهت كل موجة منه
بجبل في تراكمها وارتفاعها وقوله في موج يدل على ان الموج
كان ظرفا لهم وهم مظروفون فيه وكانت السفينة تسبح
لهم في الماء كالسمكة ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني
اركب معنا ولا تكن مع الكافرين الآية الواو لا ترتب وهذا
النداء كان قبل جري السفينة في قوله وهي تجري بهم وفي اضافته
اليه هنا وفي قوله ان ابني من اهلي وندائه دليل على انه ابنه
لصلبه قاله ابن عباس رضي الله عنهما والضمير في قوله كان عائد
على ابنه وادغم بعض القراء الباء في الميم من اركب معنا اي
وذلك لاشتراكهما في انهما من حروف الشفة ولذلك ابدلت
في قول بعضهم باسمك يريدون ما اسمك ونداؤه بالتصغير
خطاب تحنن ورافة والمعنى اركب معنا في السفينة فتنجو
ولا تكن مع الكافرين فتهلك وظن ابن نوح ان ذلك المطر
والتفجر على العادة ولذلك قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء
اي من وصول الماء الي فلا اغرق وهذا يدل على تماديه في
الكفر وعدم وثوقه بابيه فيما اخبره به قيل والجبل الذي عناه
في قوله هو جبل طور سيناء فلم يمنعه ذلك من امر الله والظاهر
هنا ان ابقاء عاصم هنا على حقيقته وانه نفي كل عاصم من امر
الله في ذلك الوقت وان من رحم يقع فيه من على المعصوم والضمير

الفاعل

والضمير الفاعل يعود على الله عز وجل وضمير المفعول محذوف
ويكون الاستثناء منقطعا اى لكن من رحمه الله معصوم
وحال بينه وبين الموج فكان من المغرقين اى حال بينه وبين
نوح عليه الصلاة والسلام قلت وفائدة احضار الكلام فيما
استمتع الداعية حيث حاق موجة عظيمة وكان راكبا على فرس
وقد نطق واعجب نفسه والنعمة وفرسه وحل بينه
وبين نوح فغرق وقيل يا ارض من ابلع ماك الآية فى هذه
الآية احد وعشرون نوعا من البديع المتجانس للمناسبة
فى قوله ابلعى والسماء اقلعى والمطابقة بذكر الارض والسماء والماء
فى قوله ماءك اقلعى والجناس المضارع بين السماء والاستعارة فى قوله
اقلعى والاشارة فى قوله وغيض الماء فانها اشارة الى معان
كثيرة والتمثيل فى قوله وقضى الامر وعثر واهلاك
الهالكين ونجاة الناجين وبلطفه فيها نعت عن لفظ الى ص ع
له والارداف فى قوله واستوت على الجودى فقوله استوت
كلام تام وعلى الجودى ردف فصد المبالغة فى التمكن بهذا
المكان والتعنيد فى قوله وغيض الماء فان ذلك علة الاستواء
وصحة التقسيم باستيعاب اقسام الماء فى حالة نقصه اذ ليس
الا احتباس ماء السماء او احتفان ماء الارض وغيض الماء حاصل
على ظهرها والاحتراس فى قوله وقيل بعدا للقوم الظالمين
وهو ايضا دعاء عليهم اى هلاكا وقيل تعجبا لهم
والايضاح بقوله للظالمين بيانا لهم القوم الذين سبق
ذكرهم فى قوله وكل ما مر عليه ملا من قومه سخروا منه والالف
واللام فى القوم للعهد لو سقط لفظة القوم هنا حصل النقص فى
المعنى والمساواة فلفظها مساو لمعناها وحسن النسق هنا
لعطف قصايا بعضها على بعض والايجاز بذكر القصة بلفظ اى
بالفظ قصير مساو معناها لمعنى الجملة والتسهيم لان اول الآية
يا ارض ابلعى وقضى آخرها وياسماء اقلعى فعلة هذه الآية
تسع عشرة لفظة فيها احد وعشرون نوعا من البديع والجودى
اسم جبل بقرب بلاد الهند وادى فوح ربه فلان نعيه
من الله عنه ومعنى هذه الآية والله اعلم ومعنى وبادى نوح ربه
اى اراد ان ينادى ولذلك ادخلت الفاء فى هذا القول اذ المراد
حقيقة القول الكناية والاخبار عن وقوعه فلم يدخل الفاء فى
فقال ولسقطت والواو فى هذه الجملة لا تثبت ايضا وذلك
ان هذه القصة كانت اول ما ركب نوح السفينة ومعنى من ابلعى
اى الذين اى ميز ان اخلهم فى السفينة فى قوله احمل فيها من كل زوجين

اى مو

اى ركبهم

اى ركبوا

ولم يظن انه داخل فيمن قد استثناهم الله تعالى بقوله الا من سبق
عليه القول لظنه انه مؤمن وعموم قوله ومن آمن يشمل المؤمن من
اهله ومن غيرهم وحسن الخطاب بقوله وان وعدك الحق ومعنى
قوله ليس من اهلك على قول من قال انه ابنه لصلبه اي الناجين او
الذين عمهم العذاب والوعد ومن زعم انه ربيبه فهو
ليس من اهله حقيقة اذ لا نسبة بينه وبينه بولادة فعلى هذا
نفى ما قدر انه داخل في قوله واهلك ثم علل انتفاء كونه
ليس من اهله بانه عمل غير صالح والضمير في انه عائد على ابن
نوح وقرئ عمل منونا غير رفعا صفة له فاحتمل
قوله انه ان يكون على حذف مضاف تقديره اي ان عمله عمل غير
صالح او يكون الحذف في عمل تقديره انه ذو عمل غير صالح او جعله هو
نفس العمل مبالغة في ذمه عمل فعلا ماضيا وغير منصوب به
ومعنى قوله فلا تسألني ما ليس لك به علم اي اذ وعدتك فاعلم
يقينا انه لا خلف في الوعد فاذا رأيت ولدك لم يحمل معك فكان عليك
ان تقف وتعلم ان ذلك بحق واجب عند الله سبحانه وتعالى ولكن
نوحا عليه الصلاة والسلام حملته شفقته وشفقة النبوة
وشفقة النبوة ايضا وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة
والتذكير وعلى هذا القدر وقع عتابه ولذلك جاء بترفق
وتلطف في قوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين اي لئلا تكون
من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم
اي في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأديبا بادبك واتعاظا بموعظتك
قيل يا نوح اهبط بسلام منا الآية القائل هو الله سبحانه وتعالى
لقوله منا وسنمتعهم امر بما عند نزوله بالهبوط من السفينة او من
الجبل مع اصحابه الانتشار في الارض والباء للحال اي مصحوبا بسلام
اي بسلامة وامن وبركات وهم الخيرات النامية في كل الجهات
والظاهر ان من لابتداء الغاية ويدل على ان الممتعين
تقع منهم معاص فلذلك قال وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب
اليم تلك من انباء الغيب الآية تلك الاشارة الى قصة نوح عليه
الصلاة والسلام وتلك اشارة للبعيد لان بين هذه القصة وبين
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مددا لا تحصى ومن انباء الغيب من هنا
للتبعيض وهو الذي تقادم عهده ولم يبق علمه الا عند الله تعالى
وقوله نوحيها اليك اي لتكون لك هداية واسوة فيما لقيه غيرك من الانبياء
ولم يكن علمها عندك ولا عند قومك فاعلمناهم بها لتكون لهم مثالا
وتحذيرا ان يصيبهم اذا كذبوك ما اصاب اولئك المكذبين اي
فاصبر على اذى قومك مجتهدا في التبليغ عن الله تعالى فالعاقبة لك كما كانت

تأديبا

لنوح

لنرج عليه الصلاة والسلام في هذه القصة ومعنى ما كنت تعلمها
اي مفصلة كما سردناها عليك وعلم الطوفان كان معلوما
عند العالم على سبيل الاجمال والجملة من قوله ما كنت تعلمها
في موضع الحال من مفعول نوحيها اليك ومن مجرور بقوله
نوحيها اليك والى عاد اخاهم هودا الآية قوله والى عاد
معطوف على قوله ارسلنا نوحا عطفت الواو المجرور على المجرور
والمنصوب على المنصوب وقوله ان انتم الا مفترون قال الحسن
الضمير في جعلكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة واضحة
تدل على صدقك وقد كذبوه في ذلك وبهتوه وما نحن بتاركي
الهتنا عن قولك اي لاجل قولك لنا فيما ادعوته كانه قيل صادرين
عن قولك ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء اي نسبوا
ما دعاهم اليه من عبادة الله وترك عبادة الاصنام الى
الخبل والجنون وان ذلك مما اعتراه به بعض الهتهم لكونه سبها
وحرض على تركها ودعى الى ترك عبادتها واعتراك جملة محكية
بنقول فهي قد تكون في موضع المفعول ودلت على بله
حتى حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم اني
توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها الآية
وصف قدرة الله تعالى وعظم ملكه من كون كل دابة في قبضته
وملكه وتحت قهره وسلطانه فانتم من جملة اولئك المقهورين
وقوله آخذ بناصيتها تمثيل اذ كان المالك القادر يقود
المقدور عليه بناصيته كما يقاد الاسير والفرس بناصيته
حتى صار الاخذ بالناصية عرفا في القدرة على الحيوان وكانت
العرب تجر ناصية الاسير الممنون عليه علامة انه قد
قدر عليه وقبض على ناصيته والظاهر ان الضمير في تولوا
عائد على قوم هود وخطابه لهم من تمام الجمل المقولة قبل
وتولوا اصله تتولوا حذفت التاء الثانية للاستثقال
فصار تولوا وجواب الشرط قوله قد ابلغتكم وصح ان يكون
جوابا لان في ابلاغه اليهم رسالته تضمن ما يحل بهم من العذاب
المستاصل فكانه قيل فان تتولوا استوصلتم بالعذاب ويدل
على ذلك الجملة الخبرية وهي قوله ويستخلف ربي قوما غيركم
ولما جاء امرنا نجينا هودا الآية قيل كانوا اربعة آلاف
وقيل كانوا ثلاثة آلاف والظاهر ان تعلق برحمة منا
بقوله نجينا اي نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم لا باعمالهم
الصالحة وقال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت ما معنى
تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم

رضي الله عنه صح

ب

نجاهم صح

ثم قال ونجينا بهم من عذاب غليظ على معنى وكانت التنجية
من عذاب غليظ قال وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم ريح
السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فكانت
تقطعهم عضوا عضوا وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم الآية
وفي هذه الآية اشارة الى قبورهم وآثارهم بانه قيل سيحوا في الارض
فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف الاخبار عنهم فقال جحدوا
بآيات ربهم اي انكروها واضاف الآيات الى ربهم تنبيها
على انه مالكهم او مربيهم فانكروا آياته والواجب اقرارهم
بها واصل جحد ان يتعدى بنفسه لكنه اجري
مجرى كفر فعدي بالباء كما عدي كفر بنفسه وعصوا
رسله قيل عصوا هودا والرسل الذين كانوا من قبله وقيل
انه قد ينزل تكذيب الرسول الواحد منزلة تكذيب الرسل
لانهم كلهم مجمعون على الايمان بالله سبحانه وتعالى والاقرار بربوبيته
لقوله تعالى في الآية الكريمة لا نفرق بين احد من رسله واتبعوا
اي اتبع سقاطهم امر رؤسائهم وكبرائهم والمعنى انهم
اطاعوهم فيما امروهم به وقوله واتبعناهم عام في المتبعين
والمتبوعين وانتصب بعدا على انه مصدر بمعنى الدعاء
كانه قيل ابعدهم الله بعدا ومعناه الدعاء بالهلاك وقوم
هود بدل من عاد وانما خصهم بالذكر لان ثم عادا اخرى
وهم المشار اليهم بقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وهم
عاد ارم ذات العماد والى ثمود اخاهم صالحا الآية وقوله هو
انشاكم من الارض واستعمركم فيها اي اخترعكم من الارض اي كما اخترعه
اي باختراعه آدم عليه الصلاة والسلام اصلهم فكان انشاء
الاصل انشاء للفرع واستعمركم فيها اي جعلكم عمارا وقيل
استعمركم من العمر اي استبقاكم فيها ان ربي قريب اي داني الرحمة
مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
قال كعب الاحبار رضي الله عنه كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم
لانه كان ذا حسب وثروة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اي
وكان فاضلا خيرا ومعنى الآية اي نقدمك على جميعنا والاشارة
بهذا الى الامر بعبادة الله عز وجل وافراده بالعبادة وما
يعبد آباؤنا هذه حكاية حال ماضية وفي انا لغتان
لقريش قال الفراء رضي الله عنه قال انا اخرج الحرف على اصله لان
كناية المتكلمين نا فاجتمعت ثلاث نونات وارضا فقد
عهد حذف هذه النون مع غير ضمير المتكلمين قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي الآية تقدم الكلام على قوله ارايتم في

اي ريحا مسمومة

اي لانهم

قصة

قصة
نوح عليه الصلاة والسلام غير كثير عن ابن الخير كما في شكم
إلى الخسران واقول لكم لكن فعل هذا النسبة كضيقه
وتحريكه اي نسبته الى الفسق والفجور قال الزمخشري رضي الله
فان قلت فبم يتعلق بقوله لكم قلت بما تعلق به لا منها متقدمة
لها لو تاخرت كانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت
على الحال انتهى وهذا متناقض لانه من حيث تعلق لكم بما تعلق
كان لكم معمولا لا لها واذا كان معمولا لها امتنع ان يكون
هو حالا منها لان الحال قد يتعلق بمحذوف فتناقض ظهرا الكلام
لانه من حيث كونه معمولا لها كانت هي العاملة ومن حيث
كونه حالا منها كان العامل غيرها ومعنى تمتعوا استمتعوا
بالعيش من زارع وتسمى البلاد الديار ذكر اني الوعد لكم
بالعذاب غير مكذوب اي صدق حق والاصل غير مكذوب
فيه فاتسع فيه بحذف الجار واجري الضمير مجرى المفعول به
فلما جاء امرنا نجينا صالحا الكلام في جاء امرنا كالكلام السابق
في قصة هود عليه الصلاة والسلام ومن متعلق بمحذوف اي
ونجيناهم من خزي يومئذ وخزي ومن خزي بالتنوين ويوم
بفتح الميم على الظرف معمول لاخزي وقرئ بالاضافة وبضم
الميم والتنوين في اذ تنوين عوض من الجملة التي وقعت المنتظر
الكدري اي وقت قضيته يوم اذ جاء الامر وحل بهم
الخزي ويجوز ان يراد بيومئذ هو يوم القيامة كما فسر العذاب
الغليظ بعذاب الاخرة انتهى وقد ليس بجيد لان التنوين
في اذ تنوين العوض ولم يتقدم الا قوله فلما جاء امرنا ولم يتقدم
جملة فيها ذكر يوم القيامة والجملة التي بعدها لم تتقدم الكلام
عليها في سورة الاعراف ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى الاية
اورج هنا شيء من اخبار ابراهيم عليه الصلاة والسلام بين قصة صالح
ولوط عليهما الصلاة والسلام لان لم يجر خلال قصة لوط عليه الصلاة
والسلام وكان امر ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان خالة لوط والرسل هنا
الملائكة عليهم الصلاة والسلام وقرئ ابراهيم عليه الصلاة والسلام بلا
تشاور بالواو والخلة وبالجاء لوط عليه الصلاة والسلام ومن
معه قيل كانت الملائكة اثني عشر ملكا وقيل سبعة وقيل ثلاثة
وانتصب سلاما على اضمار الفعل اي سلمنا عليك سلاما وسلام
خبر مبتدا محذوف اي امري وامر سلام فهو مبتدا محذوف
الخبر اي عليكم سلام والجملة محكية وان كان قد حذف منها لصد
حرفيا مما لك ان جاء بعجل حنيذ ومعنى حنيذ اي مشوي
وكان مال ابراهيم عليه الصلاة والسلام البقر فقدم احسن ما فيه وهو

في م

ق

مئذ

مرة

ف

ث

العجل ... وهو ... العجل ...

فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم أي أنكرهم قال الشاعر
وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعاء
وأوجس منهم خيفة قال الحسن رضي الله تعالى عنه حدث به
نفسه والظاهر أنه لم يكن يعرف أنهم ملائكة لمجيئهم إليه
في صورة البشر وكان مشغوفا بإكرام الضيف فلذلك جاؤوا
في صورة أضياف وإنما عرف أنهم ملائكة بقولهم لا تخف
إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة وهي سارة بنت هاران
ابن ناحور وهي ابنة عمه قائمة أي لخدمة الأضياف
وكانت نساؤهم لا يحتجبن كعادة العرب ونازلة البوادي
والصحراء ولم يكن التبرج مكروها في زمنهم وكانت عجوزا
وخدمة الضيفان مما تعد من مكارم الأخلاق فضحكت
قال مجاهد رضي الله عنه يعني فحاضت وقال الجمهور
هو الضحك المعروف فقيل هو مجاز معبر به عن طلاقة الوجه
والتبسم أي حصل لها سرور بنجاة أخيها وهلاك قومه
فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب هذا موافق
لقوله ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما
قال سلام والمعنى فبشرناها على لسان رسلنا أي بشرتها
الملائكة عليهم الصلاة والسلام بإسحاق وبأن إسحاق سيلد
يعقوب قالت يا ويلتا آلد وأنا عجوز والألف في يا ويلتا
بدل من ياء الإضافة ويا ويلتا هي كلمة تخف على أفواه النساء
إذا طرأ عليهن ما يعجبن منه واستفهمت بقولها آلد
استفهام إنكار وتعجب وأنا عجوز وما بعده جملتا حال
وانتصب شيخا على الحال والإشارة بهذا إلى يعني تعجيب من
حدوث ولد بين شيخين وهرمين واستغربت ذلك
من حيث العادة للنساء والرجال لا إنكار لقدرة الله سبحانه وتعالى
قالوا أي الملائكة أتعجبين من أمر الله استفهام إنكار لتعجبها
رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد فلما ذهب
عن إبراهيم الروع أي الخيفة التي كان قد أوجسها في نفسه حين نكر
أضيافه والمعنى اطمأن قلبه بعلمه أنهم ملائكة والبشرى تنتهي
تبشيره بالولد أو أن المراد بمجيئهم غيره وجواب لما محذوف
تقديره اجترأ على الخطاب ودل على ذلك الجملة المستأنفة وهي
قوله يجادلنا وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط يا إبراهيم أعرض
عن هذا أي قالت الملائكة له ذلك والإشارة بذلك إلى الجدال والمحاورة
في شيء مفروغ منه والأمر ما قضاه وحكم به من عذابه الواقع
بهم لا محالة ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم الآية خرجت الملائكة

من قرية

من قرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى قرية لوط عليه الصلاة
والسلام وكان بينهما ثمانية اميال وقيل اربعة فراسخ فاتوها
عشاء وقيل نصف النهار فوجدوا لوطا عليه الصلاة والسلام في
حرث له وقيل وجدوا امرأته تستقي ماء من نهر سدوم وهي اكبر
حواضر قوم لوط فسألوها الدلالة على منزل ضيفهم وراعت هيئتهم
فخافت عليهم من قوم لوط فقالت لهم امكثوا مكانكم فذ
الى ابنها فاخبرته فخرج اليهم فقالوا انا نريد ان تضيفنا
الليلة فقال لهم اذا ما سمعتم بعمل شر الا القوم فقالوا وما
علمهم فقال اشهد بالله انهم شر قوم في الارض وقد كان الله
عز وجل قد قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع
شهادات فلما قال هذه واحدة فردوا القول بينهم حتى
كررها اربع مرات اي اربع شهادات ثم دخل لوط المدينة
فخبئهم سرا اي في خبء بيته وضاق ذرعا اي قدرا
وقال هذا يوم عصيب اي شديد لما كان يخافه من قومه
على اضيافه وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات
اي لما جاء لوطا اضيافه لم تعلم بذلك احد الا اهله وبنيه
فخرجت امرأته حتى اتت مجالس قومها فقالت ان لوطا اضاف
هذه الليلة قوما احدا اي مثلهم جمالا وكذا وكذا فخبث
جاءوا يهرعون اي يسرعون اليه كأنما يدفعون دفعا فعل
الطامع الخائف من فوات ما يطلبه ومن قبل كانوا يعملون
السيئات اي كانت هذه ديدنهم وعادتهم اصروا على ذلك
وصروا عليه فلم يزدجروا بما جاء هذه المخصمة جاءوا يهرعون
اليه لانكفهم حياء اي لضراوتهم عليها ولقد جاءني وفي من قبل اي
من قبل مجيئهم الي هؤلاء الاضياف وطلبهم اياهم قال يا قوم
هؤلاء بناتي هن اطهر لكم هو مبتدأ وخبر وهن مبتدأ ايضا
ولكم خبره والجملة كلام قد رد بان الفصل لا يقع بين
جزئي الجملة ولا بين الحال وذي الحال قال فوالذي نفسي
بيده قال ذلك على سبيل التحقيق اي لتبطشن بكم وجواب
لو محذوف تقديره لفعلت بكم وصنعت قالوا لما لوطا انا
رسل ربك لن يصلوا اليك روي ان لوطا عليه الصلاة
والسلام علم وهم انكروا الباب وهو يمسكه فقال له جبريل
عليه الصلاة والسلام تح عن الباب فنحى عنه فانتفخ الباب
ففتحهم جبريل عليه الصلاة والسلام بجناحه فطمس اعينهم
فعموا وانصرفوا على اعقابهم يقولون النجا النجا فعند لوط قوم
سحرة وتوعدوا لوطا فحينئذ قالوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك

والجملة من قوله لن يصلوا اليك موضحة للذي قبلها لانهم
اذا كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره
ثم امروه بان يسري باهله بقطع من الليل ولا يلتفت
منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابها ان موعدهم
الصبح فقال لهم اريد اعجل من ذلك فقالوا له اليس الصبح ببعيد
قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى قوله عز وجل بقطع من الليل
اي بطائفة من الليل قال الزمخشري رضي الله عنه
وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر
ان لا يلتفت منهم احد لئلا يرى عظيم ما يحل بهم من العذاب
فالتفتت وخالفت امره فلما سمعت هدة العذاب اي
صوت انقلاب قراهم كما هو مذكور في الاية التفتت
وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها وروى ابن عباس
رضي الله عنهما ان الحجر كان يترك على راس الرجل منهم فيخرج من دبره
فيقطع امعاءه وروي بانه امر بان يخلفها مع قومها
لان هواها كان اليهم ولم يسر بها واختلاف القراءتين
لاختلاف الروايتين اي قراءة الهمزة وقراءة قطع الهمزة انتهى
وهذا وهم فاحش اذ بنى القراءتين على اختلاف
الروايتين من انه سرى بها او انه لم يسر بها وهذا تكاذب
في الاخبار يستحيل ان تكون القراءتان وهما من كلام الله عز وجل
يترتبان على التكاذب والضمير في انه ضمير الشان ومصيبها
مبتدا وما اصابهم الخبر ان موعدهم الصبح اي موعد هلاكهم
الصبح اي جعله الله ميقاتا لهلاكهم لان النفوس فيه اودع والراحة
فيه اجمع ويروى ان لوطا عليه الصلاة والسلام خرج بابنتيه
وليس معه غيرهما عند طلوع الفجر وطوى الله تعالى له الارض في
وقته حتى نجا ووصل الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام انتهى
والضمير في قوله جعلنا عاليها سافلها عائد على مدائن قوم لوط عليه
الصلاة والسلام روي ان جبريل عليه الصلاة والسلام جعل جناح
من اجنحته في اسفلها واقتلعها من الماء الاسود ثم رفعها الى السماء حتى
سمع اهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها عليهم ثم
اتبعوا بالحجارة من فوقهم وهي المؤتفكات كانت سبع مدائن
وقيل كانوا خمس مدائن قد عدها المفسرون وفي ضبطها اشكال
وامطرنا عليهم مطرا اي على اهلها اي الحجارة شبهت بها بالمطر لكثرتها
وروي ان الحجارة اصابت منهم من كان خارج مدنهم حتى
قتلتهم اجمعين وان رجلا كان منهم بالحرم فبقي الحجر معلقا
في الهوى حتى خرج من الحرم فقتله والى مدين اخاهم شعيبا

الاية

الآية كان قوم شعيب عليه الصلاة والسلام عبدة اوثان
فدعاهم الى عبادة الله تعالى وحده وبالكفر استوجبوا العذاب
ولم يعذب الله سبحانه وتعالى امة عذاب استئصال الا بالكفر
وان انضافت الى ذلك معصية كانت تابعة قال ابن عباس
رضي الله عنهما في تفسير قوله عز وجل اني اراكم بخير اي في رخص
الاسعار وغير ذلك وقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم محيط
اي مهلك من قوله عز وجل واحيط بثمره واصله من احاطة
العدو وهو العذاب الذي حل بهم في اخذهم وقيل هو
استئصالهم بالعذاب ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ
من وصف العذاب لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث
فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه
كما اذا احاط بنعيمه قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك
ما يعبد اباؤنا لما امرهم شعيب عليه الصلاة والسلام بعبادة
الله تعالى وترك عبادة اوثانهم وايفاء المكيال والميزان
ردوا عليه على سبيل الاستهزاء والهزؤ بقولهم اصلواتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا
ما نشاء وروي ايضا انه كان كثير الصلاة وكان اذا صلى
تغامزوا وتضاحكوا واستهزؤا به وسخروا منه وقولهم
اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا مقابل لقوله
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقولهم او ان نفعل في اموالنا
ما نشاء مقابل لقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان
وكون الصلاة امرة هو على سبيل المجاز كما كانت ناهية في
قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويقال انها
تامر بالمعروف والجميل اي تدعوا اليهما وتبعث عليهما الا
انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة امرة
على سبيل التهكم بصلاته والمعنى تامرك بتكليفنا ان
نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف لان الانسان
لا يؤمر بفعل غيره والظاهر انه اراد بالصلاة الصلاة المعهودة
في تلك الشريعة انك لانت الحليم الرشيد ظاهره انه اخبار
منهم على سبيل الاستهزاء والتهكم قال يا قوم ارايتم ان كنت على
بينة من ربي هذه مراجعة لطيفة واستنزال حسن ودعاء
واستدعاء برفق ولذلك قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك خطيب الانبياء وهذا النوع يسمى استدراج المخاطب عند
ارباب علم البيان وهو نوع لطيف غريب المعنى والمقرى قد
يتوصل به الى بلوغ الغرض قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت

قال بعضهم والطنز
هو السخرية

اين حواريك وابنهم وقاله لم تبت كما تشتفي قصة نوح وهود
وصالح عليهم الصلاة والسلام قلت جوابه محذوف وانما لم
يثبت لانه اثباته في الصفتين دل على كلامه ومعنى الكلام
ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين
من ربي وكنت نبيا على الحقيقة اليصح لي ان لا امركم بترك عبادة
الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يشفعون الا كذلك
انتهى وتسميته هذا حوارا لانه راسم لمتبع بالمتطلع على هذه
الجملة التي قدرناها في موضع المفعول الثاني قال الزمخشري
ومعنى قوله ان اريد الا الاصلاح ما استطعت فقدرناه ان
يكون على حذف مضاف اي ان الا الاصلاح اصلاح ما استطعت
ومعنى لا يجرمنكم اي لا يكسبنكم شقاقي وان يصيبكم مثل
ثان لمجرمكم ومثل مشروف به وما قوم لوط منكم ببعيد
بقعيد اي ان اتاكم اكرمان لقرب عهدهم لا لكثرتهم من عهدكم او ظلم
اوقف الهاكين او معناه وما دارهم قالوا ما سمعت ما سفقة
كثيرا مما تقول لانه كانوا لا يفقهون اليه اذهانهم رغبة عنه
وكراهة له او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به في اعينهم ولولا رهطك
لرجمناك احترموه لرهطه اذ كانوا كفارا مثلهم او كان في عزة
ومنعة منهم وقولهم لنرجمناك اي لنقتلناك وطاهره
القتل بالحجارة وابشر القتلات وما انت علينا بعزيز
اي بذي منعة علينا قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذ تموه
وراءكم ظهريا والظاهر من قوله واتخذ تموه وراءكم ظهريا ان الضمير
عائد على الله تعالى اي ونسيتموه وجعلتموه وراء ظهوركم والمنسي
وراء الظهر لا يلتفت اليه والظهري مكثر الظاء منسوب الى الظهر
من نقصان النسب وتطريره قولهم في النسب الى امرئ امرئي
بكسر الميم وبابه وما يوم اعمالي تقدم نظيره قال الزمخشري
رضي الله عنه فان قلت قد ذكر اعمالهم على مكانتهم فكيف
مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان
القياس ان يقول حتى يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق
حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو
صادق الى الكاذب الموعود انهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم
كانوا يعدونه ويكاذبونه قال ومن هو كاذب يعني فيزعمكم
ودعواكم تجهيلا لهم انتهى وفي الفاظ هذا الرجل سوء ادب
والذي قاله ليس بمبالى به ان التهديد الذي وقع ليس هو
بالنسبة اليه ولا تدخل في التهديد الذي اريد بقوله سوف
تعلمون اذ لم يأت الذي كنت اعمل على مكانتكم واعمل على مكانتي

ولا سوف

ولا تسرف تعلمون واعلم وانما الهتديد مختص بهم والمتشلف
الزمخشري رضي الله عنه قوله قد ذكر علمهم على مكانتهم وعقله
على مكانته فبني على ذلك سوء الاقاسد لان الذي اغتر على ما ليس
مذكورا لا يصح البتة وجميع الاية والذي قبلها انما هي تكون
بالنسبة اليهم على سبيل التهديد وقطره في سورة قل يا
من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم فهذا
جار بالنسبة الى المخاطبين في قوله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
كما جاء هنا من يأتيه وقوله من يأتيه يجوز ان تكون موصولة
مفعولة بقوله تعلمون اي تعلمون الشقي الذي يأتيه
عذاب يخزيه والذي يحل كاذب ويجوز ان تكون استفهامية
في موضع رفع على الابتداء وتعلمون معلق كانه قيل ايانا
يأتيه عذاب يخزيه وايانا كاذب وان تنتظروا اي انتظروا اني
معكم رقيب اي منتظر لهلاككم ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
الآيات المعجزات التسع وهي اليد والعصا والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم ونقص من الاموال والانفس والثمرات
ومنهم من ادخل النقص بالطلاء الجبل وقتل الاقارب على ترك
التوراة عليه وهذا القول هنا ليس بسديد لانه كان الى فرعون
وملائه والتوراة انما انزلت بعد هلاك فرعون وقومه
والسلطان المبين هو الحجة التي امنحه تعدم قومه يوم القيامة
يقال قدم فلان قومه يقدمهم قدما وقدوما تقدمهم
والمعنى انه يتقدم قومه الى النار كما كان قدوة لهم في
الضلال مستتبعا كذلك يتقدمهم الى النار وهم متبعون وعدل
عن ضمير هم الى فاوردهم النار للتعريف وورد يتعدى الى
واحد فلما ادخلت الهمزة هنا تعدى الى اثنين فتضمن واردا
ومورودا او يطلق الورد على الوارد فالمورد لا يكون المورود
فاحتيج الى حذف ليطابق فاعل بئس والمخصوص بالذم المورود
وهي كذلك قال ابن عطية رضي الله عنه والمورد صفة
للمورد اي بئس مكان الورد المورد النار ويكون المخصوص محذوفا
لفهم المعنى كما حذف في قوله وبئس المهاد انتهى وهذا التخريج
ينبني على جواز وصف فاعل نعم وبئس وفيه خلاف وذهب
ابن السراج والفارسي رضي الله عنهما الى ان ذلك لا يجوز وقال الزمخشري
بئس الورد المورود فذهم اي بئس العون المعان وذلك ان النعمة
في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقرن فدق بالعنق في
الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى استهزاء كقوله الهم بشرهم
اري بئس مسائر قد وان بئس بعنة العرق النار وذلك من انباء الغرب

الآية الاشارة بذلك الى ما تقدم من ذكر الانبياء وقومهم وما
حل بهم من العقوبات اي ذلك النبأ بعض انباء القرى
والضمير في منها عائد على القرى قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى
قوله منها قائم اي عامر وحصيد اي دامر قال الزمخشري رضي
الله عنه فان قلت ما معنى هذه الجملة قلت هي مستأنفة
لا محل لها انتهى وقال ابو البقاء رضي الله عنه منها قائم ابتداء وخبر
في موضع الحال من الهاء في نقصه وحصيد مبتدأ خبره محذوف
اي ومنها حصيد انتهى وما ذكره ابو البقاء رضي الله عنه يجوز اي
نقصه عليك وحال القرى ذلك فالحال ابلغ في التخويف
وضرب المثل للحاضرين اي نقص عليك بعض انباء القرى
وهي على هذه الحال يشاهدون فعل الله تعالى بها فما اغنت
ما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء الذي كانوا يدعون
وغير تتبيب اي تخسير وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وهي ظالمة الآية اي ومثل ذلك الاخذ اخذ الله الامم السابقة
اخذ ربك والقرى عام في القرى الظالمة والظلم يشمل ظلم
الكفر وغيره ذلك اشارة الى يوم القيامة الدال عليه قوله عذاب
الآخرة والناس مفعول لمن لم يسم فاعله رافعه مجموع الخبر
واجاز ابن عطية رضي الله عنه ان يكون الناس مبتدأ ومجموع
خبر مقدم وهو بعيد لافراد الضمير في مجموع وقياسه على
اعرابه مجموعون ومجموع له الناس عبارة عن الحشر ومشهود عام
يشهده الاولون والآخرون من الانس والجن والملائكة والحيوان
وما نؤخره اي ذلك اليوم وقيل يعود على الجزاء الا لاجل معدود
اي القضاء السابق قد تعدد تعدده باجل محدود لا يتقدم
عليه ولا يتأخر عنه والظاهر ان الفاعل بياني ضمير يعود على
ما عاد عليه الضمير في نؤخره وهو قوله ذلك يوم مجموع له الناس
والناصب له لا تكلم نفس الا باذنه وذلك من عظم المهابة
والهول في ذلك اليوم فاما الذين شقوا ففي النار الآية
قال بعضهم والزفير هو اول نهيق الحمار والشهيق آخره
وانتصاب خالدين على انها حال مقدرة وما مصدرية ظرفية
اي مدة دوام السموات والارض والمراد بهذا التوقيت التأبيد كقول
العرب ما اقام ثبير وما لاح كوكب وضعت العرب ذلك للتأبيد
من غير نظر لفناء ثبير او الكوكب او لعدم فنائهما الا ما شاء ربك
قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت ما معنى الاستثناء في
قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة فيها وخلود اهل
النار فيها في الآية من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود

وذلك ان

وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل
يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب يساوي انواع
عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم
وخشوعه لهم واهانته اياهم وهكذا اهل الجنة مع سوء
الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم منه وهو رضوان الله
الله تعالى كما قال تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار الى قوله ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل
الله تعالى بهم به عليهم سوى ثواب الجنة ما لا يعرف كنهه الا
هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير
مجذوذ ومعنى قوله في مقابلة ان ربك فعال لما يريد انه
يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة
عطاءه الذي لا انقطاع له فتامله فان القرآن يفسر
بعضه بعضا قال ابن عطية رضي الله عنه وكذا حكاه
عنه الفراء ايضا الا في هذه الآية بمعنى سوى والاستثناء
فيها منقطع كما تقول لك عندي الف درهم الا الالف
الذي كنت اسلفتك بمعنى سوى تلك ويؤيد هذا التاويل
قوله تعالى بعد هذا عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع
وانتصب عطاء على المصدر اي اعطوا عطاء بمعنى اعطاء
كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اي انباتا ومعنى
قوله غير مجذوذ اي غير مقطوع بل هو ممتد الى غير نهاية فلا تك
في مرية اي فلا تك في شك لما ذكر سبحانه وتعالى ذكر قصص
عبدة الاوثان من الامم السالفة واتبع ذلك بذكر احوال
الاشقياء والسعداء شرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم احوال
الكفار من قومه وانهم متبعوا آبائهم كحال من تقدمهم من الامم
الماضية في التقليد والعمى عن النظر في الدلائل والحجج وهذه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وعده بالانتقام منهم
لان حالهم معه كحال الامم السالفة مع انبيائهم وقد قصصنا
عليك ما جرى لهم من سوء العاقبة والتشبيه في قوله ما يعبدون
الا كما يعبد آباؤهم من قبل معناه ان حالهم في الشرك مثل
حال آبائهم من غير تفاوت بينهم وقد بلغك ما نزل باسلافهم
فسينزل بهم مثله وما يعبد استيناف جرى مجرى التعليل
للنهي عن المرية وما في مما وكما تحتمل ان تكون مصدرية
او بمعنى الذي والنصيب هنا قال ابن عباس رضي الله عنهما هو
ما قدر لهم من خير وشر وقال الزمخشري فان قلت
ما وجه الخطاب في قوله عز وجل فلا تك في مرية قلت هو موجه الى من دا

وفي كما

خلة الشك
لا الى الرسول صلى
الله عليه وسلم
صح

والمعنى والله اعلم قل يا محمد لمن شك لا تك في مرية مما يعبد
هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل فان الله تعالى لم
يامرهم بذلك بل انما اتبعوا في ذلك اباءهم تقليدا لهم واعراضا
عن حجج العقول ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فاختلفوا
فيه اي فقبله بعض وانكره بعض اخر والظاهر عود الضمير في
فيه على الكتاب لقربه ويجوز ان يعود على موسى عليه الصلاة والسلام
ويلزم من الاختلاف في احدهما الاختلاف في الاخر وان كلا لما ليوفينهم
ربك اعمالهم الاية الظاهر عموم كل وشموله للمؤمن والكافر
وقرئ وان كلا بالتشديد وكلا اسمها وقرئ وان بالتخفيف
وكلا اسمها واعمالها مخففة ثابت في لسان العرب ففي كتاب سيبويه
ان زيدا المنطلق بتخفيف ان وقرئ لما بتخفيف الميم
فاللام هي الداخلة في خبر ان المخففة والمشددة وما زائدة
واللام في ليوفينهم جواب لقسم محذوف وذلك القسم في
موضع خبر ان وليوفينهم جواب ذلك القسم المحذوف فالتقدير
وان كلا لاء قسم ليوفينهم وقرئ لما بتشديد الميم وهي لما
الجازمة فاستقم كما امرت امر بالاستقامة وهو عليها وهو
امر بالدوام والثبوت والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه الذين تابوا من الكفر ولسائر الامة بالمعنى وامرت
مخاطبة تعظيم ولا تطغوا قال ابن عباس رضي الله عنهما في القرآن
فتحلوا وتحرموا ما لم آمركم به ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال
ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى الركون الميل الى الذين ظلموا فتمسكم
النار هو جواب للنهي منصوب باضمار ان بعد الفاء كقوله
تعالى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب واقم الصلاة
طرفي النهار الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما سبب نزول هذه
الاية ما في صحيح مسلم من حديث الرجل الذي عالج امرأة اجنبية
منه فاصاب منها ما سوى اتيانها فنزلت وانظر الى الامر والنهي في
هذه الايات حيث جاء الخطاب في الامر فاستقم كما امرت
واقم الصلاة موحدا في الظاهر وان كان المامور به من حيث
المعنى عاما وجاء الخطاب في النهي ولا تطغوا ولا تركنوا موجها
الى غير الرسول عليه الصلاة والسلام مخاطبا به امته فحيث كان
الامر بافعال الخير توجه الخطاب فيه اليه وحيث كان النهي
عن المحظورات عدل عن الخطاب عنه الى غيره من امته وهذا من
جليل الفصاحة ولا خلاف ان المامور باقامتها هي الصلاة المكتوبة
واقامتها دوامها وانتصب طرفي النهار على الظرف وطرف الشيء
يقتضي ان يكون من الشيء فالذي يظهر انهما الصبح والعصر لانهما

وهو

الآية

يعني

به

طرفا النهار

طرفي النهار وزلفا من الليل قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني
قبل لها هما الغرب والعشاء والظاهر ان الاشارة بذلك
الى اقرب مذكور وهو قوله تعالى اقم الصلاة اي اقامتها
في تلك الاوقات ذكرى اي سبب عظة وتذكرة للذاكرين اي
المتعظين اي وخصوا انا لتذكرهم هم المنتفعون بالمواعظ
دون غيرهم فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية
ينهون عن الفساد في الارض الآية لولا هنا للتحضيض فيفيد
معنى التحضيض والتاسف الذي ينبغي ان يقع من البشر على هذه
الامم التي لم تهتدي والقرون هم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم
والبقية هنا بمعنى الخير والنظر في عواقب الامور الا قليلا
ممن انجينا منهم هذا استثناء منقطع اي لكن قليلا ممن انجينا
منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا ما ارتفوا فيه اي
ما تنعموا فيه من حب الرياسة والثروة وكطلب لذات العيش
الهنيء ورفضوا اشتغال اصلاح دينهم اي ما فيه صلاح دينهم
وكانوا مجرمين اي ذوي جرائم غير ذلك قال ابن الحسن رضي
الله عنه ان كان معناه وانتفوا الشهوات كان منقطعا على
معنى لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد في
الارض واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا
* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون الآية تقدم
تفسير نظيرها في سورة الانعام الا ان هنا ليهلك القرى
وهناك الله في اللفظ اي وآهلها مصلحون بالايمان به سبحانه
وتعالى قال ابن الحسن واهلها مصلحون يتنزه الله تعالى عن
الظلم وانما اراد الاغلب ان اهل الارض المصلحين من الظلم انتهى
وهو مصادم للحديث انهلك وفينا الصالحون قال نعم
اذا كثر الخبث وزاد الكثير عليه وانما افتقر الا تفسير عن
الذين ظلموا منكم خاصة ولو شاء ربك لجعل الناس امة قاهرة
قال ابن الحسن رضي الله عنه يعني لا اضطرهم الى ان يكونوا اهل
ملة واحدة وهذا كلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يقهرهم
على الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس
التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك اي الا ناسا هداهم الله لطفه بهم
فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه انتهى وهو على طريقة الاعتزال
وقال ابن عباس فتكون امة مؤمنة حتى لا يقع منهم كفر لكنه لم
يشأ ذلك الا من رحم ربك فلا يقع منهم اختلاف والانسان بحق
ولد كذلك خلقهم وكما قال الشاعر اذا اهوى الصفيه جرى اليه *

فعاد الضمير على المصدر المفهوم من اسم الفاعل كما مر قيل والاختلاف
خلقهم ويكون على حذف مضاف اى لتمام الاختلاف من الشقاوة
والسعادة خلقهم وقال الزمخشري رضي الله عنه ولذلك اشارة
الى ما دل عليه الكلام اولا من التمكين والاختيار الذي عقبه
الاختلاف خلقهم لتتبين مختار الحق بحسن اختياره ويتعلق
مختار الباطل بسوء اختياره انتهى وهذا على طريقة الاعتزال
• وتمت كلمة ربك اي نفذ وقضاء وحق امره واللام في
قوله تعالى لاملأن متعلق بها اهتم اذ الجملة قسمية
معنى القسم كقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين ثم
قال لتؤمنن به ولتنصرنه والحق بمعنى واحد قال ابن عطية
رضي الله عنه والهاء فيه للمبالغة وان كان الحق يقع على الواحد
والجنة جمعه انتهى فيكون مما يكون فيه الواحد مؤنثا وجمعه
بالقياس كقول تحفر العرب كمء للواحد وكماءة للجمع ولا
نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك اي والتقدير
وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل اذى وقد يكون دالا على
موضع الصفة لقوله وكلا اذ هي مضافة في التقدير الى
نكرة موصوفة وما زائدة كما هي في قوله قليلا ما مذكورون الآية
وقوله عز وجل مما خطيئاتهم نحو فؤادك وقال ابن عباس رضي الله عنهما
ومعنى هذه الآية اذ ما نسكن به فؤادك ونثبت الفؤاد هو
بما جرى للانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذبهم اياهم المؤمنين
وبما لقوا من تكذيبهم من الاذى ففي هذا كله اسوة لهم اذ المشاركة
في الامور المتعبة تهون ما يلقى الانسان من الاذى ثم
الاعلام بما جرى على مكذبيهم من العقوبات الساصلة بانواع
العذاب من غرق وريح ورجفة وخسف وصيحة وغير ذلك فيه
طمأنينة للنفس وتأنيس والاشارة بقوله في هذه الى انباء
الرسل التي قصها الله عز وجل عليه اي النبأ الصدق الحق الذي هو
مطابق لما جرى ليس فيه تغيير ولا تحريف كما يقع شيء من
ذلك الى خوف وموعظة اي اتعاظ وازدجار لسامعه وذكرى لمن
امن اذ الموعظة والذكرى لا ينتفع بهما الا المؤمن لقوله تعالى في
الآية الكريمة وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم اعملوا صيغة امر ومعناه التهديد والوعيد
والخطاب لاهل مكة وغيرها ومكانتكم اي حيثيتكم وحالتكم التي
انتم عليها وانتظروا انا اذا منتظرون ان ينزل بكم ما هددتم
الله من النقم انا ان لنا ما سلف لنا من العز والظفر
واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون

ما اقتضت

الآيات

الآيات اضاف سبحانه وتعالى علم الغيب بما في السموات وما
في الارض له توسعا لا يخفى عليه شيء من اعمالكم ولا حظ
لمخلوق في علم الغيب فالجملة الاولى دلت على ان علمه سبحانه
وتعالى محيط بجميع الكائنات كلياتها وجزئياتها اي
جزئيتها وكليتها حاضرها وغائبها لانه اذا احاط علمه بما خاب
فهو بما حضر محيط اذ علمه سبحانه وتعالى لا يتفاوت والجملة
الثانية دلت على القدرة النافذة والمشيئة والجملة الثالثة
دلت على الامر بافراد من هذه صفاته بالعبادة الجسدية
والقلبية والعبادة اولى الرتب التي يتجلى بها العبد
والجملة الرابعة دلت على الامر بالتوكل وهي اخيرة الرتب
لانه بنور العبادة ابصر ان جميع الكائنات مغدوقة بالله
تعالى وانه هو المتصرف وحده في جميعها لا مشركة في شيء
منها احد من خلقه فوكل نفسه اليه تعالى ورفض سائرها
انه سبب في شيء منها والجملة الخامسة تضمنت التنبيه على
المجازاة فلا يضيع طاعة مطيع ولا يهمل حال متمرد
لا اله الا الله وحده لا شريك له والحمد لله رب العالمين

سورة يوسف عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين
انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون هذه السورة مكية
كلها وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد رضي الله عنهم اجمعين
الا ثلاثة آيات من اولها وسبب نزولها ان كفار مكة امرتهم
اليهود ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي
احل بني اسرائيل بمصر ووجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها ان
في آخر السورة التي قبلها وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت
به فؤادك الآية وكان في تلك الانباء المقصوصة فيها ما لاقى
الانبياء عليهم الصلاة والسلام من قومهم فاتبع ذلك بقصة
يوسف عليه الصلاة والسلام وما لاقاه مع اخوته وما آلت
اليه حاله من حسن العاقبة ليحصل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم التسلية الجامعة لما يلاقيه من اذى البعيد والقريب
وجاءت هذه القصة مطولة مستوفاة فلذلك لم تتكرر في
القرآن الا ما اخبر به مؤمن آل فرعون من سورة غافر والاشارة
بتلك آيات الكتاب المبين الى الم وسائر حروف المعجم
التي تركبت منها آيات القرآن والظاهر ان المراد بالكتاب المبين
اما المبين في نفسه الظاهر امره في اعجاز العرب وتبكيتهم واما
المبين للحلال والحرام والحدود والاحكام وما يحتاج اليه من امر الدين

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما آمين

والضمير في انزلناه عائد على الكتاب الذي فيه قصة يوسف
عليه الصلاة والسلام وانتصب قرآنا على الحال من الضمير وعربيا
صفة له وهو منسوب الى العرب والعرب جمع عربي وقوله
لعلكم تعقلون ما تضمنه من المعاني واحتوى عليه من البلاغة
والاعجاز فتؤمنون ولعل فيه معنى التعليل لقوله انزلناه
نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن
وان كنت من قبله لمن الغافلين والقصص مصدر قص كالطلب
بكونه احسن انه اقتص على احسن طريقة وابدع اسلوب
او لان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب
التواريخ والذي اقتصاصه في كتاب منها مقارنا لاقتصاصه
في القرآن وكل نقص احسن على المصدر لاضافته الى الاصدر
بما اوحينا اليك الباء للسبب وما مصدرية وهذا القرآن
تنازعه عاملان احدهما نقص والثاني اوحينا فاعمل
الثاني على الافصح في باب التنازع والضمير في من قبله يعود
على الايحاء وقعي من الغافلين اي لم يكن لك سعور بهذه
القصة ولا سبق لك علم فيها والهاء في ادقال رايتي كما
تقول اذ قام زيد قام عمرو ويبقى اذ على وضعها الاصلي
من كونها ظرف لما مضى وقال الزمخشري وابن عطية رضي الله عنهما
اذ قال في العامل في اذكرت في الزمخشري لصقه وتوسف لما اسم
عبراني امتنع من الصرف للعلمية والعجمة وتقدمت في
لغاته وفرق بالتاء بفتح الكاف وجمهور القراء على كسرها
وهي عوض من ياء الاضافة فلا يجتمعان لا تقال يا ابتي الى ان
تحمل للقول فتهوي موضع نصب وابت هي علمته لدلالته
متعلقها على ارتكبه مقام والظاهر انه رأى في منامه كواكب السمس
والقمر والظاهر من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه جاء
حبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن اسماء
الكواكب التي رآها يوسف في منامه فسكت عنه فنزل جبريل عليه الصلاة
والسلام فاعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمائها فدعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك اليهودي فاتاه عنها فقال له هل انت مؤمن
ان اخبرتك بذلك قال نعم فقال لهم جرثان والطارق
والذيال وذو الكتفين وقابس ووثاب وعمودان ورهط
والفليق والمصبح والضروح وذو الفرع والضياء والنور فقال
اليهودي اي والله ان هذه لاسماؤها فاسلم قال ان محمدا رضي
الله عنه وان قلت لم ار الشمس والقمر قلت ارى انهما يعطفهما على
الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما وانفرادهما بالمزية على غيرهما

من الطوالع

من الطلع كما اخرجه ابن مردويه عن ابن عباس وسلطانهما
عليهما دليل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع
الشمس والقمر ان يسجدوا الذي يظهر هنا والله اعلم ان الساجدين
من باب الترقي من الادنى الى الاعلى لانه لم يقع الترقي في الشمس و
القمر شيء على ما اشتهر في التفاسير من ان احدهما قدمت
عليه والاشياع ان يجمع الشمس والقمر في احد شطري كوكبا لانهم
اخوته فليس الكلام عنده بالشمس والقمر واخلافهم والظاهر ان
الشمس كرر على سبيل التوكيد للطول بالفاعيل وقوله والشمس
والقمر رأيتهم لي ساجدين وقوله ساجدين ثم منصوب على الحال
ولما خاطب يوسف عليه الصلاة والسلام اباه بقوله يا ابت
وفيه اظهار للطواعية واشرف النفس على محل الشفقة
بطبع الابوة خاطبه اباه يعقوب عليه الصلاة والسلام بقوله
يا بني تصغير التحبيب والتقريب والشفقة والحق
والرحمة بالولد قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا وهو منصوب باضمار اذن في جواب
النهي وعندي فيكيدوا لك بالذهن ومن فيكيدون
بعينه واحتمل ان يكون من باب التضمين فيكيدون
فيكتفون وامعنى ما يتعدي باللام نحاه قال فيحتالوا
لك بالكيد والسقم من الشيء الدلالة على معنى الفعلين
فلهما لختم الكيد بالصدر وختم يعقوب عليه الصلاة والسلام
على سبب الكيد وهو ما من فيه الشيطان للانسان وتسويله له
وذلك للعداوة التي بينهما فهو يحسده وانما ان يوقعه في
المعاصي ويدخله فيها ويحضه عليها وكما قال الله عز وجل ان
الشيطان للانسان عدو مبين اي بين العداوة وقال تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا قال ابن عباس رضي الله
عنهما والدليل من هذه الرؤيا والله اعلم ان رؤيا يوسف عليه الصلاة
والسلام كانت اي دلت اباه يعقوب عليه الصلاة والسلام
على انه سيبلغ مبلغا اي يبلغه الله عز وجل مبلغا من الحكمة
ويصطفيه للنبوة ويتم عليه شرف الدارين كما فعل
بآبائه فخاف عليه من حسد اخوته فنهاه ان يقص رؤياه
لهم وفي خطاب يعقوب ليوسف عليهما اجمعين الصلاة
والسلام تنبيه على ان يقص على اخوته مخافة كيدهم ولا ترهلي
تحذير المسلم اخاه من كائد عليه والتنبيه على بعض ما لا يليق و
لا يكون ذلك قادحا في باب العصمة وكذلك يجتبيك ربك
اي مثل ذلك الاجتباء وهو ما اراه من الرؤيا التي دلت على

جليل قدره

وشريف منصبه ومآله الى الرسالة والنبوة والملك ومعنى يجتبيك
اي يختارك ربك للنبوة والملك وما احسن لفظة ربك
هنا لانه المالك لامره الناظر في مصلحته ويعلمك هو كلام مستانف
ليس داخلا في التشبيه كانه قال وهو يعلمك وتاويل الاحاديث
عبارة عن مآل الرؤيا وعاقبة امرها وهي اسم جمع للحديث
وليس هي جمع احدوثة ويتم نعمته عليك واتمامها بانه
سبحانه وتعالى وصل لهم نعمة الدنيا بان جعلهم انبياء وملوكا
بنعمة الاخرة بان نقلهم وصيرهم الى اعلا الدرجات في الجنة
وعلى آل يعقوب وهم اولاده ونسله اذ جعل النبوة فيهم واتمام
النعمة على ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالخلة والانجاء من النار
واهلاك عدوه النمرود لعنه الله تعالى وقيل في هذه الاية
دليل بان الله سبحانه وتعالى من على اسحاق باخراج يعقوب
من صلبه وجعل جميع الاسباط من صلب يعقوب وسمى الجد
واباء الجد ابوين لانهما في عمود النسب كما قال واله آبائك
ولهذا يقولون ابن فلان وان كان بينهما عدة في عمود
النسب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم بمن
يستحق يضع الاشياء مواضعها وهذان الوصفان مناسبان
لهذا الوعد الذي وعده يعقوب لولده يوسف عليه الصلاة والسلام
في قوله وكذلك يجتبيك ربك لقد كان في يوسف واخوته
آيات للسائلين الاية يعني هنا بالايات التي سالوا عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي للذين سالوه من اليهود عنها واخبرهم بالصحة
عنها من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب والذي يظهر ان الايات
هي الدلالات على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما اظهره
الله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام من عواقب البغي عليه وصدق
رؤياه وصحة تاويله وضبط نفسه وقهرها حتى قام بحق الامانة
وحدوث السرور بعد الياس والضمير في قالوا عائد على اخوة
يوسف عليه الصلاة والسلام واخوه هو بنيامين ولما كانا
شقيقين اضافوه ليوسف عليه الصلاة والسلام واللام في ليوسف
لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة اي كثرة حبه لهما
ثابت لا محالة اي لا شبهة فيه واحب افعل تفضيل وهو مبني
على المفعول شذوذا ولذلك عدي بالى لانه اذا كان ما يتعلق به
فاعلا من حيث المعنى عدي اليه بالى واذا كان مفعولا عدي اليه
بفي تقول زيد احب الي من عمرو ومن خالد فالضمير في احب
مفعول من حيث المعنى وعمرو هو المحب واذا قلت زيد
احب في عمرو من خالد كان الضمير فاعلا وعمرو هو المحب ومن خالد

في المثال الاول

في المثال الاول محذوف وفي الثاني فاعل ولم يبن احب
لتعديه بمن وكان نبيا من اصغر من يوسف عليه الصلاة
والسلام فكان معروفا عند الصلاة والسلام بحبها بسبب
صغرها وموت امها وحب الصغير والشفقة عليه مركوز
في فطرة البشر وقد نظم بعض الشعراء ابياتا في محبة
الولد الصغير قديما فاحد منها ممن ذلك ما قاله ابو هريرة
ابو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري في قصيدة نعت
بها الى اولاده وهو في السجن

وصغير كعهد العنبر فاتني ٭ ارطوى لم يشم حوى لم يضع
ذاك الملثم في المواقد غدا ٭ كفوا انكم في المشمش والقصر
ان السنان الخمس اكفا معكا ٭ وان الحلي دون جمعها لمختصر
واذا الفتى فقد السنان سمجه ٭ حب البنين والكحل الاصغر

وقولهم وكنت عصبة ملحمة حالية اريد انهم يفضلهما علينا
في المحبة وبما لا كفاية فيهما ونحن حماة نقوم بمرافقها اي بمنافعه
وقضاء حوائجه فنحن احق من زيادة المحبة منهما وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما العصبة ما زاد على العشرة وعنه انها ما بين العشرة
الى الاربعين والاصلان هنا هو المعنى قاله ابن عباس رضي
الله عنهما والظاهر ان اقتلوا موصول من جملة قولهم والظاهر
ان واطرحوه ارضا من قولهم ايضا اي يفعل به احد الامرين
وانتصب ارضا على اسقاط حرف الجر اي في ارض بعيدة من الارض
التي فيها ابوهم يعقوب قال الزمخشري اي ارضا مجهولة منكورة بعيدة
من العمران وهو حسن منكرها واذا ابقاها من الناس وابعادها من نفسه
اوجب نصب الظرف وقد توسعه وقال ابن عطية رضي الله عنه
ذلك خطأ واحسن بعضهم كونها منصوبة على الظرف قال لان الطرف
ينبغي ان يكون منهما وقد لست انه ذلك بل يكون ارضا مبهمة بانها
بعيدة او قاصية وكون ذلك قد ازال بذلك ابهامها ومعلوم ان
يوسف عليه الصلاة والسلام لم يكن يمكن ان يكون في ارض بعيدة
انهم اراد والا ارضا بعيدة عن الحاضرة وقريبة من ابيه انتهى وهذا
الذي صحيح لو قلت دارا بعيدة او مكانا بعيدا او بعدت مكانا
بعيدا لم يصح الا واسطة في ولا يجوز حذفها الا في ضرورة شعر
قال قائلهم لا تقعدا وابيا مالكا ٭ واقعد فانت الطاعم الكاسي
وكان احلمهم واحسنهم قيلا وهو الذي قال فلن ابرح الارض
حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين وقال لهم القتل
عظيم وهنا عطف منهم على اخيهم لما اراد الله تعالى من انقاذ
نبيه وابقاء على نفسه وتسبب لنجاتهم من الوقوع في هذه

ولم تلا والنفس لقتل قال الهروي رضي الله تعالى عنه العيابة
في لحب شد لحف طاق في البئر فوق الماء تغيب ما فيه عن
الحيوف ليلتقطه بعض السيارة قال الزجاج وأنث فطبة رضي الله عنها
والسيارة جمع سيار وهو كثير السير في الارض ومفعول فاعلين
محذوف اي فاعلين ما يحصل به غرضكم من التفريق بينه وبين
ابيه • قالوا يا آبانا مالك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون •
لما تقرر في اذهانهم التفريق بين يوسف وابيه اخذوا الحيلة على
تحقيقه وتلطفوا به اي في اخراجه معهم وذكروا نصحهم له
وما في ان سالبة معهم من افتراح صدرهم بالانتعاء واللعب
اذهما مما يشرح قلوب الصبيان عادة وذكروا حفظهم له ممتا
تسوءه وتخيفه وفي قولهم مالك لا تامنا على يوسف دليل على انهم
قد فقدوا منهم شيئا قبل ذلك في ان يخرج معهم وذكروا سوء الامن
وهو النصح اي لم لم تامنا عليه وحالنا شاهدة والنصح دليل
على الامانة ولهذا قرنا في قولهم ناصح امين وكان قد احس منهم
قبل ذلك ما اوجب ان لا يامنهم عليه ولا تامنا جملة حالية وهذا
استفهام صحيح يجيء للتعجب وقرئ لا تامنا باختلاس الحركة
والادغام وقرئ لا تامنا اشمت نونه ارشة معنا دليل على انه كان يمتنعه
ويصحبه معه دائما وانتصب قوله غدا على الظرف وهو ظرف
مستقبل يطلق على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمان المستقبل
من غير تقييد باليوم الذي يلي يومك واصله غدو فحذفت لامه
وقد جاء تاما وقد يجر بمن وقلب بالياء المدغمة وقرئ
بالنون الخفيفة في الموضعين والحب ههنا مدار الاشتاق والاعتناء
يقال ترتع وترتد لك لغتان الاولى من الرتوع وهو سعة الاكل بصورة
اللعب ولم تكن ذلك للهو بل لتمرن نفوسهم اذ ههنا تشتفي ولكان
لعب لهو لما اقدموا عليه يعقوب عليه الصلاة والسلام ومن كسر
العين من نرتع فهو بمعنى نفتعل قال مجاهد هي من المراعاة
اي يرعى بعضنا بعضا ونحرسه ثم اعتذروا لئلا يعقوب عليه
الصلاة والسلام بشيئين احدهما عامل في الحال وهو ما يلحقه
من الحزن بمفارقته وكان لا يصبر عنه والثاني خوفه عليه من
الذئب ان غفلوا عنه في لعبهم ورعيهم وعدي الحزن بالى يوسف عن
احد الشيئين وهو حزنه على ذهابهم به لقصر مدة الحزن وانقطاعهم
انهم سيرجعون به اليه سريعا اي عن قريب وعدلوا الى قصة الذئب
وهو اشبه الاقوال في سعيد ان يذهبوا به فخلوا الم لئن كان
ما خافه من خطفة الذئب اظهر من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال
بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي

لما رأته

هالكون

ها لكون ضعفا وحزنا او عجزا ٢ فلما دهبوا به واجمعوا ان
يجعلوه في غيابة الجب وتم هذه الجملة واكمل الذي تقدمت
قبلها محذوف تدل عليه المعنى تقديره فاحابهم الى ما سالوه
وارسل معهم يوسف فلما دهبوا به واجمعوا اي عزموا واتفقوا
على الفاته في الجب وان يجعلوه مفعول اجمعوا يقال اجمع
الامر واجمع بمعنى العزم عليه واحتمل ان يكون الجار
هنا بمعنى الالقاء وبمعنى التصيير وجوابا لقولهم افاذ هبنا
نستبق واحتمل ان يكون الجار هنا بمعنى الالقاء وبمعنى
التصيير وانتصب غيابة على الظرف ويكون حال اي
ياكنه قبل وانما خاه واعيا لكي يوافق قوله على الاعذار في
الظلمة ولذلك قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الحاجات في
الحبائل ولا تعتد في النهار من دنب فتستحي في الاعتذار
وفي الكلام حذف تقديره وجاءوا اباهم دون يوسف عشاء
يبكون فقال لهم اين يوسف فقالوا ٣ اذا دهبنا نستبق وتركنا
يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو
اي بمصدق لنا
اي ما انت الان بمصدق لنا ولو كنا صادقين فيما انت
بمؤمن لنا على كل حالة ولو في حالة الصدق وروي بعض
المفسرين رضي الله تعالى عنهم اجمعين انهم اخذوا احدا او سخلة
فذبحوه ولطخوا قميص يوسف بدمه وقالوا لنعقوب هذا
قميص يوسف فاخذه ولطخ به وجهه وبكى على فقده
ثم تامله فلم ير فيه خرقا ولا ارتاب واستدل بذلك
على ظلمهم فعند ذلك قال لهم متى كان هذا الذئب حليما فمزق
يوسف ولم يخرق قميصه قيل كان في قميص يوسف عليه
الصلاة والسلام ثلاث آيات كان دليلا للمعقوب عليه الصلاة
والسلام على ان يوسف لم يقتل وشاهدا على وجهه
وان قد يصير ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر وان
الزمخشري وسقه الله الخوف رضي الله عنه قال قد سولت
لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
اي لطلوف منه العون على احتمال ما تصفون من حد كان
يوسف فالصبر على الرزية اجمل وجاءت سيارة قيل كانوا
من مدين قاصدين لمصر فارسلوا واردهم وهو مالك بن ذعر
الخزاعي فارسلوا لمطلك لهم الماء والوارد الذي يرد الماء لمستقي
للقوم واضافة الوارد الى الضمير ليست اضافة الى المفعول
بل المعنى الذي يرد لهم الماء قال وقد ولوا اي ارسلوا لمستقي
الماء قال يا بشرى اي هذا غلام ٤ في الكلام هنا حذف تقديره

اي يصدق لنا

اي صار بصيرا لوقته

فنقل يوسف بحمل الرّكب فلما بصر به الحدثي قال يا بشرى
وتعلقه بالجب بدل على صغره اذ لو كان ابن سبعة عشرة
او ثمانية عشرة سنة لم يحمله الجن غالبا ولفظة غلام
ترجح ذلك اذ يطلق عليه ما بين الحولين الى البلوغ حقيقة
وقد يطلق على الرجل الكامل وقوله يا بشرى هو على سبيل
التودد والتفرح بيوسف عند الفتاة وانت لم اذ راى
احسن ما خلق لانه كان قد اعطي شطر الحسن اي نصف
الحسن واضاف البشرى الى نفسه وقرئ يا بشراي بالالف
الاضافة ويا بشرى اي وقد قيل ان الوارد ذهب به الى اصحابه
فسرهم وقالوا استروه اي اخفوا امره وكتموه اي كتموا امره
من وجدانهم له في الجب وقالوا وقعة لنا اهلا لان
لنبيعه الهم بمصر وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضمير
في واشتروه وشروه لاخوة يوسف عليه الصلاة والسلام وانهم
قالوا للرفقة هذا غلام قد ابق لنا فاشتروه منا وسكت يوسف
عليه الصلاة والسلام مخافة ان يقتلوه وانتصب بضاعة
على الحال اي مسخى امرهم ومكسبا والله عليم بما يعملون اي لم
تخف عليه اسرارهم او هو وعيد لهم حيث استضعفوا
حاله وشروه اي ومن جملة ما يعلمه ذلك وشروه اي
باعوه والظاهر ان الضمير في قوله وشروه عائد على السيارة
اخيه وباعوا يوسف ومن قال ان الضمير عائد على اخوة يوسف
عليه الصلاة والسلام جعلهما عائدا عليهم ايضا اي وباعوا
اخاهم يوسف بثمن بخس وبخس مصدر وصف به بمعنى مبخوس
اي ناقص فاسد الهيار ودراهم بدل من ثمن اي فلم يتبعوه
بدنانير وعدوده اشارة الى القلة وكانت عادتهم انهم لا يزنون
الا ما بلغ اوقية وهي اربعون درهما لان الكثيرة تعرف فيها
العدد بخلاف القلة فانه لا يجرون فيها العدد قال ابن عباس
رضي الله عنهما كانت اربعون درهما وقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين
الضمير عائد على يوسف عليه الصلاة والسلام وفيه الاحتمالات
ان يكون متعلقا بالزاهدين وان كان في اصله الالف واللام
لان الظرف والمجرور قد يتسامح فيهما ما لا يتسامح في غيرهما خلاف
المعمول وتقدم الخلاف في قوله اني لكما لمن الناصحين وقال
الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه الآية لما تفرس فيه الامانة والاستقامة
وذكر المفسرون فيه اختلافا كثيرا ومثواه يعني مكان اقامته
وهو كناية عن الاحسان اليه في مأكل ومشرب ومقام ولام لامرأته
تتعلق بقال فهي للتبليغ نحو قلت لك قولا اي فلا تعلي لها هنا

ويا بشراه

باشتراه • عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا يعني اذا تدرب
وراض الامور وعرف مجاريها نستعين به على بعض ما نحن
بصدده فينفعنا بكفايته او نتبناه ونقيمه مقام الولد
وقيل كان عقيما لا ولد له فتفرس فيه الرشد فقال ذلك
• وكذلك اي مثل ذلك التمكين بالمحبة في قلب العزيز حتى
عطف عليه وامر امراته باكرام مثواه • مكنا ليوسف في الارض
اي ارض مصر • ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي تعبير
الرؤيا والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون الآيات
وقوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر
يتصرف فيها بامره ونهيه اي حكمناه فيها ولام لنعلمه متعلقة
بمحذوف اما قبله لنملكه واما بعده لنعلمه اي ولنعلمه
من تاويل الاحاديث كان ذلك الايحاء والتمكين والاحاديث
هي تعبير الرؤيا والاشد عند سيبويه رضي الله عنه جمع واحده
شدة وقال الكسائي رضي الله عنه والاشد هو بلوغ الحلم
والحكم الحكمة والعلم والنبوة وقيل الحكم بين الناس
والعلم الفقه في الدين وهذا اشبه لمجيء قصة المراودة
الآتية بعد • وكذلك اي مثل ذلك الجزاء لمن صبر ورضي
بالمقادير تجزي المحسنين وفيه تنبيه على ان يوسف عليه
الصلاة والسلام كان محسنا عن عنفوان شبابه فآتاه
الله الحكم والعلم على جزاء احسانه • وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه وغلقت الابواب الآية • المراودة الطلب برفق وهو
ماخوذ من قولهم راد يرود اذا ذهب وجاء وهي مفاعلة
من واحد نحو داويت المريض وكنى به عن طلب النكاح
والمخادعة لاجله كان المعنى وخادعته عن نفسه ولذلك
عداه بعن وقال تعالى التي هو في بيتها ولم يصرح باسمها
ولا بامراة العزيز سترا على الحرم والعرب تضيف البيوت
الى النساء فتقول ربة البيت وصاحبة البيت وكما قال الشاعر
يا ربة البيت قومي غير صاغرة • وقوله وغلقت الابواب
هو تضعيف تكثير بالنسبة الى وقوع الفعل بكل باب باب
وقيل كانوا سبعة ابواب وقالت هيت لك اسم فعل و معناه
اسرع ولك للتبيين اي لك اقول اي امرته بان يسرع
اليها وزعم الكسائي والفراء رضي الله عنهما انها لغة حورانية
وقعت لاهل الحجاز فتكلموا بها ومعناها تعال او هلم الي
قال معاذ الله • وانتصب معاذ الله هنا على المصدر اي عياذا
بالله عز وجل من فعل السوء والضمير في انه يعود على الله عز وجل اي ان الله ربي احسن مثواي

اذا نجاني من الجب واستنقذني منه على يد من شاء من عباده
واقامني في احسن مقام • انه لا يفلح الظالمون اي المجاوزون
الاحسان بالسوء وما احسن هذا التفصيل من الوقوع في السوء
استعاذ اولا بالله الذي بيده العصمة وملكوت كل شيء ثم نبه
على ان احسان الله تعالى اليه لا يقابل ولا يناسب ان يجازى
بالسوء ثم نفى الفلاح عن الظالمون وهو الظفر والفوز بالبغية
فلا يناسب ان اكون ظالما اضع الشيء في غير موضعه • ولقد
همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه • قال المفسرون ومعنى
الاية والله اعلم الذي نقوله فيها ان يوسف عليه الصلاة والسلام
لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي عنه لوجود البرهان كما تقول
لقد وارقت لولا ان عصمك الله قال ابن عطية رضي الله عنه
قول من قال ان الكلام قد تم في قوله ولقد همت به وان
جواب لولا في قوله وهم بها والمعنى فيها والله اعلم لولا ان راى برهان
ربه لهم بها فلم يهم يوسف عليه الصلاة والسلام يرده لسان
العرب واقوال السلف انتهى اما قوله يرده لسان العرب
فليس كما ذكر وقد استدل من ذهب الى ذلك بوجوده في لسان
العرب قال تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على
قلبها لتكون من المؤمنين اي المصدقين للوعد فقوله ان كادت
لتبدي به هو دليل الجواب والتقدير لولا ان ربطنا على
قلبها لكادت تبدي به والبرهان الذي راه هو ما اتاه
الله من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله تعالى ولا يمكن الهم
به فضلا عن الوقوع فيه • كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء
انه من عبادنا المخلصين والتقدير مثل ذلك الرؤية
نريه براهيننا لنصرف عنه السوء والفحشاء اي الخيانة والزنا
وقوله لنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف انتهى
• واستبق الباب اي بادر اليه وقوله هنا واستبقا الباب
اي واستبق يوسف وامراة العزيز الى الباب وكان استباقه الى الباب
لاجل الخروج والهرب منها وهي لمنعه من ذلك ومراودتها اياه عن
نفسه وقدت قميصه من دبر اي قدته وقطعته والقد
معناه القطع والشق واكثر استعماله فيما كان طولا وقوله من دبر
اي من وراء • والفيا سيدها وارا لدا الباب اي وجدا وصادفا
زوجها لدا الباب اي وراءه والمراة قد تقول لبعلها هذا هو سيدي
ولم تضف اليهما لان زوجها ليس بسيد يوسف على الحقيقة قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم • وما هنا
نافية وبدات بالسجن ابقاء لمحبوبها ثم ترقت الى العذاب الاليم

رؤيته

قيل هو

قتل هو الضرب بالسياط وقولها فما حزاء اي ان الذنب ثابت
مستقر في حقه وانث بلفظة سوى اي سواء اي بما يسوءها
وليس تضاؤل مغصبه كشرى ان يحط خطابه لها بما يسوءها
يسرها او خبره اياها وقولها الا ان يسجن او عذاب اليم
يدل على عظم موقع السجن من ذوي الاقدار حيث قرنه
بالعذاب الاليم ولما عرف يوسف واظهر تهمة احتاج الى ازالة
التهمة عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولم يسبق او لا الى
القول ممن اعلمها فلما خاف على نفسه وعلى عرضه الطاهر
قال هي راودتني عن نفسي واتى بضمير الغيبة اذ كان قد علت
عليه الحياء ان يسند الفعل اليها وتعيينها بالاسم فقول هي راودتني او نحو
راودتني لان في المواجهة ما يقبح ما يستر في الغيبة ولما تعارضت
قولاهما عند العزيز وكان رجلا فيه اناة وتصفحه طلب الشاهد
من كل منهما فشهد شاهد من اهلها فقيل كان ابن خالها طفلا
في المهد انطقه الله تعالى تبرئة ليوسف عليه الصلاة والسلام
وليكون ادل على الحجة وجواب الشرط فصدقت وكذبت
وهو على اضمار قد اي قد صدقت وقد كذبت
فلما رأى زوجها قميصه قد من دبر اي من خلف قال انه
من كيدكن اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا الى آخره او ان هذا
الامر وهو طعنها في يوسف والخطاب في كيدكن لها ولجاراتها او لها
وللنساء ووصف كيدهن بالعظم وان كان قد يوجد في الرجال
اعظم منه لانهن الطف كيدا بما جبلن عليه وبما تمرن عن له
واكتسبت بعضهن من بعض وهن اقدر حيلة كما قال الله
عز وجل في الآية الكريمة ومن ثم كانت المعاقبات في العقود والتي
اللواتي هن في التصور بمعزل من ذلك ما لا يوجد بعشر معشار
لكوطهن اكثر تعرضا من غيرهن واكثر نسيانا منهن يوسف
اعرض عن هذا اكتم هذا الامر واكتمه ولا تتحدث به وفي قد قد
باسمه تقريب له وتلطف في الجواب ثم اقبل عليها فقال واستغفري
لذنبك انك كنت من الخاطئين ثم ذكر سبب الاستغفار وهو قوله
لذنبك ثم اكده ولكن بقوله انك كنت من الخاطئين ولم يقل
من الخاطئات لانه الخاطئين اعم ولانه يطلق على الذكور وعلى الاناث
ايضا وقال الزمخشري رضي الله عنه وما العزيز الا حليما روي
انه كان قليل الغيرة انتهى وترتيب الحكم مصرا فنضت هذا
وان هذا مما جرى بعض ملوكنا انه كان ذات يوم جالسا
عند مائدته المختصين به في مجلس خلوة واذن لهم وجاريته تغني
لهم من وراء ستر فاستعاد بعض خلصائه اي عند مائدته هذين البيتين

ي
وقف الخطي اذا الف
متعمدا ام

حـ
وهذا دليل على ذكاء
عقل الرجل
والله اعلم
٧

من الجارية وكانت
قد علمت بهما قبل
صحيحه

ثم التفت الاول وقد بدا له هذه الجارية مقطوعة في طشت فقال
له الملك لتسعدن هذين النسيين من هذه الارض فسقطت في
حجر ذلك المستعبد وهي من نسب ذلك الملك منذ حياة ذلك الملك
ولم ينتفع ذلك الرجل بنفسه بعد ذلك اليوم وقال نسوة في المدينة
امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها
في ضلال مبين الآية لم تلحق تاء التأنيث بهذا لانه جمع تكسير
المؤنث ويجوز فيه الوجهان ارضاء وسوق كما ذكرنا جمع قلة
وكن على ما قد مثل خمسا امرأة حاشرة وامرأة ساقيه
وامرأة نوادبه وامرأة بجانبه وامرأة صاحب دوابه
وقوله في المدينة والمراد مصر ايضا وسميت في المدينة لانهم اشاعوا
هذا الامر حين راجت امرأة العزيز ليوسف وصرحوا بخطيئتها ليوسف
الى العزيز خلافة في التشنيع لان النفوس اميل لسماع اخبار
ذوي الاخطار وما يجري لهم وعشرن نسوة اي نحادعة وانما
عن نفسه ما تقول زليخا يعطى ويمنع ولم يقل ابتغاء ارادتها
فتاها عن نفسه بل بنى على علة وجوب الارادة وهي كونها قد
شغفها حبا اي بلغ حبه شغاف قلبها والشغاف قيل هو حجاب القلب
وقيل سويداؤه كما قال الشاعر

• • • •

الوصف من جرح ابدها وغلب على ظنها ان ما راين من يوسف وجما له
وحسنه لا يهتز لم يكن رايه انه قبل ذلك قلن حاش لله ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم اى حاشا ليوسف ان يفارق
ممتارمنه وعفى لله اى لطاعة الله او لمكانة من الله
او لتربيع الله ان شرى بما عصته به او فدى عن الى مثله
لان تلك افعال البشر وهو لدس منهم ان هو الا ملك
كريم فعلى هذا تكون اللام فى لله للتعليل اى حاشا
ليوسف لاجل العصمة لاجل الله عز وجل قال الزمخشرى رضى
الله عنه حاشا فى كلمة تنزيه ومعنى التنزيه فى باب
الاستثناء تقول اساء الفتور حاشى زيدا كما قال الشاعر
حاشا ابا ثوبان انه • ضناء عن الملحاة والسعم
وفى حرف من حروف الحبر فوضعت موضع التنزيه والبراءة
فمعنى حاشا لله اى براءة الله وتنزيها لله انتهى وما ذكره من
ان فقد معنى التنزيه فى باب الاستثناء غير معروف
عند النحويين • قالت فذلكن الذى لمتننى فيه الاية ذا اسم
الاشارة واللام لبعد المشار وكن خطاب لتلك المتوج
والمعنى ان الذى صدر منكن من الاكبار وتقطيع الايدى
وقعى الشرة عنه واثبات الكيد له هو الذى هتنى
فيه اى فى محبته ثم جعلت تنوعد مقسمة على ذلك
وهو يسمع قولها • ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا
من الصاغرين والعائد هنا على الموصول محذوف تقديره
ما امره به اى ش الموافقة لى فيما اريده منه واللام فى لئن موطئة
لقسم محذوف وجوابه ليسجنن وجاءت النون ياى
المؤدة لانها آكد من الخفيفة ثم عطف عليه وليكونا
بالنون الخفيفة لان الصغار احق من السجن فقالت له
ذلك المتوعدة اى طلع وافعل ما امرتك به فقال • رب
السجن احب الى مما يدعونني اليه فاشد الفعل الهين كلهن
لما تضمن لدوقن تيسيرا له طوعا وسهنه عن العاء نفسه
فى السجن والصغار فالتجا مستعينا بالله تعالى مما يدعونه
اليه والتقدير دخول السجن احب الى وقرا لعقوبة وجما عن
السجن بفتح السين وهو مصدر سجن اى حبسهم اياى
فى السجن احب الى مما يدعونني اليه واحب هنا لست على بابها
من التفضيل لانه لم يحب ما يدعونه اليه قط ولم يقع منه ذلك
لعصمته وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما هذا من باب
قول احد الكريمين على الاكرم وان كان فى احدهما مسقة

لكن لما ثبت على تلك الامة من معصية الله تعالى وسوء
العاقبة لم يحط لها بال ولا ولما في احتمال الاهون من
احتمال المشقة في ذات الله والصبر على النوائب وانتظار
الفرج والحضور مع الله تعالى في كل وقت داعيا الى ان
تخليصه اشرة شرط العصمة بالله ولم يسلم له كفاه
الانبياء والصالحين والله تعالى لا يصرف السوء الا هو
فقال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
وقوله استجبنا له اي اجبنا ما دعوني اليه وجعل جواب
الشرط قوله اصب اليهن وهي كلمة شعرة تأكيد فقط لا مشقة
المعصية وقوله ان من الجاهلين اي من الذين لا يعملون بما
يعلمون يعلمون لانه لا احد وفي لعلمه فهو فيمن لا يعلم سواء
وذكر الجاهلية الله تعالى لم وقد لم يتقدم لفظ دعاء الا ان قوله
والا تصرف عني كيدهن فيه معنى طلب الصرف والدعاء وكانه
قال رب اصرف عني كيدهن فصرف عنه كيدهن اي حال بينه
وبين المعصية انه هو السميع لدعاء المتجي البه العليم بما
وما انطوت عليه سريرته ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
اي ظهرت لهم والفاعل ليسجننه ضمير يفسره ما يدل عليه
المعنى اي بدا لهم رأي ظهر لهم من ان ابهم الفاسد
ليسجننه حتى حين والآيات هي الشواهد الدالة على براءة
يوسف عليه الصلاة والسلام والحين يدل على قطعي الوقت
ومن عين لرهطه مانا فاعلم ان قدره باعتبار مرض يوسف
عليه الصلاة والسلام لانه موضوع في اللغة كذلك وكان رقما
اقترحت نما نا حتى تنصر ما يكيد قتله منه وفي سجنهم ليوسف
عليه الصلاة والسلام دليل على تكذيب النساء وهتك المرأة
لزوجها ومطاوعته لها وعشقه وجلد غلام امرأة عزيز
هذا مع ظهور صيانته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام
روي انه لما امتنع يوسف عليه الصلاة والسلام من المعصية
وبحثت عنه امرأة العزيز قالت لزوجها ان هذا العلج العبراني
قد فضحني في الناس وهو يعتدي الهم ونصف الامر حسب
اختياره وانا محبوسة محجوبة فاما اذنت لي فخرجت الى الناس
واعتذرت وكذبته واما حبسته كما انا فسيوسته فجيئه
قد الهم سجنه قال ابن عباس رضي الله عنهما فامر به فجعل في حبس
وضرب اربعة اسواط بالطل ونوزي عليه في سواق مصر
ان يوسف العبراني اراد سيدته فلهذا اخزاوه ان يسجن
قال ابو صالح ما ذكر ابن عباس هذا الحديث الا وبكى حزنا عليه

لكن لما ثبت على تلك الامة من معصية الله تعالى وسوء العاقبة لم يحط لها بال ولا ولما في احتمال الاهون من احتمال المشقة في ذات الله والصبر على النوائب وانتظار الفرج والحضور مع الله تعالى في كل وقت داعيا الى ان تخليصه اشرة شرط العصمة بالله ولم يسلم له كفاه الانبياء والصالحين والله تعالى لا يصرف السوء الا هو فقال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين وقوله استجبنا له اي اجبنا ما دعوني اليه وجعل جواب الشرط قوله اصب اليهن وهي كلمة شعرة تأكيد فقط لا مشقة المعصية وقوله ان من الجاهلين اي من الذين لا يعملون بما يعلمون يعلمون لانه لا احد وفي لعلمه فهو فيمن لا يعلم سواء وذكر الجاهلية الله تعالى لم وقد لم يتقدم لفظ دعاء الا ان قوله والا تصرف عني كيدهن فيه معنى طلب الصرف والدعاء وكانه قال رب اصرف عني كيدهن فصرف عنه كيدهن اي حال بينه وبين المعصية انه هو السميع لدعاء المتجي البه العليم بما وما انطوت عليه سريرته ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات اي ظهرت لهم والفاعل ليسجننه ضمير يفسره ما يدل عليه المعنى اي بدا لهم رأي ظهر لهم من ان ابهم الفاسد ليسجننه حتى حين والآيات هي الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه الصلاة والسلام وحتى حين يدل على قطعي الوقت ومن عين لرهطه مانا فاعلم ان قدره باعتبار مرض يوسف عليه الصلاة والسلام لانه موضوع في اللغة كذلك وكان رقما اقترحت نما نا حتى تنصر ما يكيد قتله منه وفي سجنهم ليوسف عليه الصلاة والسلام دليل على تكذيب النساء وهتك المرأة لزوجها ومطاوعته لها وعشقه وجلد غلام امرأة عزيز هذا مع ظهور صيانته وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام روي انه لما امتنع يوسف عليه الصلاة والسلام من المعصية وبحثت عنه امرأة العزيز قالت لزوجها ان هذا العلج العبراني قد فضحني في الناس وهو يعتدي الهم ونصف الامر حسب اختياره وانا محبوسة محجوبة فاما اذنت لي فخرجت الى الناس واعتذرت وكذبته واما حبسته كما انا فسيوسته فجيئه قد الهم سجنه قال ابن عباس رضي الله عنهما فامر به فجعل في حبس وضرب اربعة اسواط بالطل ونوزي عليه في سواق مصر ان يوسف العبراني اراد سيدته فلهذا اخزاوه ان يسجن قال ابو صالح ما ذكر ابن عباس هذا الحديث الا وبكى حزنا عليه

اي لانه كالجاهل

سجن

رضي الله عنه

ودخل معه السجن فتيان الام في الكلام فيه حذف تقديره
فسجنوه فدخل معه السجن فتيان روى انهما كانا للملك
الاعظم الوليد بن الريان احدهما خبازه والآخر ساقيه
واسمهما الملك بان الخباز اراد سمه وواقعه على ذلك
الساقي فامر الملك بسجنهما ومع تدل على الصحة ويستدل بها
فدل ذلك على انهم سجنوا الثلاثة في وقت واحد
ولما دخل يوسف عليه الصلاة والسلام في السجن حسن اليه
الناس بحسن حديثه وفضله وسلمه وكان يسلي انه اك
في السجن اذ كان يسلي حزينهم ويعود مريضهم ويسأل
لفقيرهم ويدبرهم الى الخير واحد ذلك الفتيان ورآه
واحد صاحب السجن والعبر عليه وقال انه كن في
اي الفتوة سنك وكان يوسف عليه الصلاة والسلام قال
لاهل السجن اني اعبر الرؤيا وارجو ان يراي الجنة
حرف تحري هذا الفعل في جواز كونه واعلها ونصبها
ضميرين مستدي المعنى فاراني فيه ضمير الفاعل المستكن
وقد تعدى افعل الى الضمير المتصل وهو رافع الى
الضمير المتصل وكلاهما لمدلول واحد ولا يكون ان تقول
اضربني واكرمني اي وحسن اسيء المعصور انما عصر ماؤه
ويؤول الى الخمر فحذف عنه ما يكون ماله الى الخمر
نتيجة او قيل قد ذل على انه عليه الصلاة والسلام كان
قد نام فلم فانه تحسن تعبر الرؤيا فقال لا يأتيكما طعام
ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما الآية لما
استعبراه وصفاه بالاحسان اعترض ذلك فوصف يوسف
نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه
يتيسر لهما بما يجعل لهما من الطعام قبل ان يأتيهما ويصفه لهما
وقيل كان ذلك في الفطنة وقيل كان في النوم فقالا
له وهل ان لك هذا اي قادر عن العلم وانت لست بكاهن
ولا منجم فقال لهما ذلكما مما علمني ربي وحمل ذلك تحذيرا
الى ان يذكر لهم التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويرغبهما
ويقبح لهما الشرك بالله عز وجل وروي انه نبي في السجن
والظاهر ان قوله اني تركت لم يكن في اخبار ما هو عليه اذ
كان قد اكتفاه وكفاه وحسن اخلاقه ليعلمهما ما هو عليه من
مخالفة قومهما فتتبعاه وفي الحديث لان يهدي الله بك رجلا
واحدا خير لك من حمر النعم وقد يقوله اني تركت مع انه

اي خير من الصدقة بها

قط احرار لترك مجرى البحث من اقرار حاله وسحلا قالها
لان سترى تلك المدة التي كانا عليها والذين لا يومنون
هم اهل مصر وفقه عليه الصلاة والسلام على اصنام
عظيمين ان الايمان بالله والايمان بدار الجزاء وكرر لفظة
هم على سبيل التوكيد وحسن ذلك الفصل بينهما قال
ابن محرز رضي الله عنه وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا
كافرون بالاخرة وان غيرهم مومنون بها وتوكيدهم
بالجملة تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لاجلها
الكافرة بدار الجزاء انتهى فليست هم عندنا قرن على
الخصوص وباقي الفاظ الفصل المعترضة واتبعت ملة ابائي
ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله
من شيء وانما ذكرنا ذلك ليتبين ايها اي ليظهر لها ام من بيت
النبوة ملم عرفهما انه نبي وفي رواية انه اخبرهما بما
نبي الله من اخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع
له والميل اليه واتفاق قوله ما كان لنا اي ما صح وما
استقام لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء في هذه
الآية عموم في الملك والجني والانسي اذ المعنى ما شرك
بالله من شيء والاشارة بذلك الى ما عليه ابواهم وملتهم ذلك من
فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون تأمل
السجن الارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار
لما كان كل ما هو عليه من الدين الحنيف في ذلك لطف في
حسن الاستدلال والخطاب في قوله ما تعبدون لهما ولقومهما
من اهل مصر ومعنى الاسماء اذ ليس الا الفاظا اخذ سموها
اسما واشاروا في فارغة لا مسمى لها وتقدم تفسير
مثل هذه الجملة في سورة الاعراف اي ان الحكم لله امر ان لا تعبدوا
الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لما ألقى اليهما
ما كان اهم وهو امر الدين شجاه في انهما ما داما ثابتا
لتجمع انفسهما لسماع الجواب فوفى لهما فالاظهر انها
حين قص عليهما تعبير ما رآياه وانما تحاكما اليه لتبرئته فاخبرهما
يوسف عليه الصلاة والسلام عن علم من قبل الله عز وجل
ان الامر قد قضي ووافق فقال لهما قضي الامر الذي فيه
تستفتيان سواء صدقتما ام كذبتما وسواء اتحاد ذلك وتكامه
حلما امر محالا واورد الامر لان المقصود انما هو عاقبة امرهما الذي
اداهما لسجن السجن وهو انهما مالك ايا بما سمته فرارا
مما رآه ي ومحالا ما فعله ك وقال اي يوسف عليه الصلاة والسلام

كافرون

اي بما ذكره

للذي

للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك وقوله للذي ظن
اي بالظن هو اي يوسف انه ناج وهو الساقي والذي
يظهر ان يوسف عليه الصلاة والسلام انما قال للساقي
الملك اذكرني عند ربك ليتوصل لي هدايته والى ايمانه
بالله تعالى كما توصل لي ارشاد الله للساقي ورفعه
والضمير في فانساه عائد على الساقي ومعنى ذكر
ربه اي ذكر يوسف عليه الصلاة والسلام لسيده
والاضافة تعتبر فكون فاعل في مذ الستة والسبب الشيطان
له ما يوسوس اليه من ذلك لما حينئذ هذا عاقبة
لم يوسف عليه الصلاة والسلام لما اراد الله تعالى ان يوسف
عليه الصلاة والسلام من احراز اجر بطول مقامه في السجن
وبضع سنين محتمل فقد سبع سنين وقيل اثنتي عشرة
سنة والظاهر ان قوله في السجن اخبار عن مدة
مقامه اي مكث في السجن مذ سجن الى ان خرج منه
وقال الملك اني اري سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن
بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة
اي خلاص من الشدة اني انبئكم بتأويله فارسلون
يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع
عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس
لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم
فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك
سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون
ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم
قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله
ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم
اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي
ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم
وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال
انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها
حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين
ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم
قال ائتوني بأخ لكم من ابيكم ألا ترون اني اوفي الكيل وانا
خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
قالوا سنراود عنه ابأه وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم
لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا
الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل
آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير
حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا
ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك
كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله
لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على
ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم
الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء
الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف آوى
اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن
مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا
تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير
وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا
جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين
فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه
كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم
عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما
تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ
احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان
نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما
استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان
ابانا قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في
يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي
وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان
ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين
واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا
لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل
عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم
وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من
الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون
حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله
واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من
يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها
العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا
الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا
أئنك لأنت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله
علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه ابي يأت بصيرا
وأتوني بأهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني
لأجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا تالله انك لفي
ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه
فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا
تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين
قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما
دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر

اي وهو خير المحسنين

الى اضغاث احلام

والاضغاث جمع ضغث اى مخالط احلام وهو ما يكون من
حديث النفس او وسوسة الشيطان او مزاج الانسان وقد
وصله اخلاط السبات لسمعه للاحلام وجمعوا الاحلام
وان كانت رؤياه واحدة اما باعتبار متعلقاتها او من
اجزائها ويفتوا عن انفسهم العلم بتاويل الاحلام اى لانشأ من قلة
تعبير الرؤيا وقال الذى نجى منهما الآية وادكر بعد
امة اى تذكر ما سبق له مع يوسف عليه الصلاة والسلام فى السجن
بعد امة اى بعد نسيان طويل لان مكان بينهما عدة طويلة والجملة من
قوله وادكر حالية واصله اذ تذكر فادغم التاء الاولى فى الدال
فيها حصار ذكر انا انبئكم بتاويله فارسلون الا جبه اى اخرجه
عمن عنده علم ذلك وقوله فارسلون اى فى التعبير وفى
الكلام حذف تقديره فارسلوه الى يوسف عليه الصلاة والسلام فجاءه
فاتاه وقص عليه رؤيا الملك قال تزرعون سبع سنين
دابا الى اخره تضمن هذا الكلام من يوسف عليه الصلاة والسلام
ثلاثة انواع من العلوم احدها تعبير الرؤيا والثانى العلم
الثانى عرض رأى وامر به وهو قوله ثم ذروه فى سنبله اى لئلا
يفسد والثالث الاعلام بالغيب فى امر العام الثامن
والظاهر ان قوله تزرعون سبع سنين دابا الى اخره تضمن
هذا الكلام من يوسف عليه الصلاة والسلام وقوله تزرعون سبع
سنين دابا جواب امر لهم هذه السنون السبع الخصب
فيها زرعهم للذى يوجد وذروه فى سنبله اشارة الى بقاء
بحسب طعام مصر وضبطها الى لا تفنى عامين من وجه الا بحلة
ابقائها فى السنبل فاذا اتيتم فيه بالحفظ والمعنى اتركوا
الزرع فى السنبل الا ما لا غنى عنه للاكل فجففتم الطعام وبرك
وبوكل الاقدم فالاقدم واذا اتت السنون الجدبة يتفق
بالاقدم فالاقدم من ذلك المدخر وحذف الممتد فى قوله سبع
شداد اى سبع سنين شداد لدلالة قوله سبع سنين عليه
وسمى الاكل اكلهن فى قوله يأكلهن على سبيل المجاز من حيث انه
يوكل فيها كما قال تعالى والنهار مبصرا ومعنى تحصنون
تحرزون وتكتنزون ما خزن من الحصن وهو الحرز والمخازن
وقرئ دأبا بفتح الهمزة وسكونها ومسكنة وحوابه فذروه
قال ابن عباس رضى الله عنهما نجات من العيب وقيل من العوب
وهو الفرج وفى الاول ينبئ من ثلاثى وفى الثانى من الرباعى
يقول غاثنا الله من العيب واغاثنا من العوب وقرئ تعصرون
بالتاء على الخطاب وقرئ بالياء على الغيبة والجمهور على انه من

عصر النبات

عشر النساء كما لعنت في القصص والرسول والمتمشر وجميع
ما يحصر ومصر هي بلد عصير الاشياء كثيرة وفي الكلام
حذف تقديره فاتي المستفتي يوسف الي الملك واخبره
بمعنى يوسف اي بتعبير ما راه فقال الملك ائتوني به
فلما جاءه الرسول قال له ارجع الى ربك وهو الملك فاسأله
ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن لتعلم الملك براءة يوسف
عليه الصلاة والسلام مما نسبت اليه فاحضر الملك تلك
النسوة وقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه
ومن كرم يوسف وحسن خلقه انه سكت عن ذكر امرأة العزيز
مع ما صنعت به وتسببت له فيه من السجن والعذاب
واقتصر على ذكر النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن
بكيدهن اي بما صنعن علي ان كيدهن عظيم لانه
الاضرار بمحاسنه وتعالى لتعذر عوارضه وتستحيل بعلم الله سبحانه
وتعالى على انه لكن قد وانه تركب مما قذف به والضمير في قوله
بكيدهن عائد على النسوة المذكورات لا للحسن لانها حالة
لن قيف عليها وقد جاء النسوة بالالف واللام للعهد في
قوله تعالى وقال نسوة كما قال الله عز وجل فارسلنا الى
فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول واخبر بما قال يوسف
عليه الصلاة والسلام فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز وقال
لهن ما خطبكن وما الذي دعاكن ان تعلمنه بالقدة وذكرن
براءة يوسف عليه الصلاة والسلام بقوله اذ راودتن يوسف
عن نفسه وبرأنه لقولهن اطع مولاتك فيما تدعوك
اليه فاجاب النسوة بجواب جيد قطعن به مراة العزيز
محملة وقررنه يوسف عليه الصلاة والسلام بقولهن
ما علمنا عليه من سوء فلما سمعت امرأة العزيز مقالهن في
براءة يوسف عليه الصلاة والسلام اقرت هي باعظم مما اقررن
به اذ كانت هي اقوى سببا فيما جرى من المراودة فقالت يوسف
قالت الان حصحص الحق وقرئ حصحص مبنيا للمفعول
والمعنى ذلك يعلم انه ما راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد
الخائنين الظاهر ان هذا من كلام امرأة العزيز وهو داخل
تحت قول قالت والمعنى ذلك الاقرار والاعتراف بالحق
ليعلم يوسف اني لم اخنه في ما يقع فيه التهمة عليه ولم اكذب
عليه وارصد بذلك ليرى ربي منه فلم اعتذر عما وقعت
فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات لقولها وما ابرئ نفسي

يوسف

والنفوس امارة بالسوء ومن ذهب الى ان قوله ذلك ليعلم
الى اخره من كلام يوسف يحتاج الى تكلف ربط بينه وبين
ما قبله ولا دليل يدل على انه من كلام يوسف اذ لم يكن يوسف
حاضرا وقت سؤال الملك النسوة واقرار امراة العزيز
بما اقرت به وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي الاية
روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا
لاهله فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره
واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعى له
بالعبرانية فقال له ما هذا اللسان قال لسان اباي وكان
الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه يوسف عليه الصلاة
والسلام بجميعها فتعجب منه ومن فصاحة لسانه وتكلمه بهذه
اللغات كلها ومعنى استخلصه اي اجعله خالصا لنفسي وخاصا
بي وفي الكلام حذف تقديره فاتوه به والظاهر ان الفاعل
يكلم هو ضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام اي فلما كلم يوسف
الملك ورأى الملك حسن منطقه بما صدق به الخبر الخبر
قال انك اليوم لدينا مكين امين اي ذو مكانة ومنزلة
امين اي مؤتمن على كل شيء ولما وصفه الملك بالتمكن عنده
والامانة طلب من الاعمال ما يناسب هذين الوصفين
فقال اجعلني على خزائن الارض اي ولني خزائن ارضك اني
حفيظ اي احفظ ما تستحفظه عليم بوجوه التصرف وصف
نفسه بالامانة والكفاية وهما مقصود الملوك ممن يولونه
اذ هما يعمان وجوه التثقيف والحياطة ولا خلل معهما لعامل
وجاء هنا قوله حفيظ بصفة المبالغة وهي مقصودة ولمناسبة
قوله عليم وكان الملك لا يصدر عن رأي يوسف ولا يعترض
عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع وكذلك ادى مثل
ذلك التمكين في نفس الملك مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر
يتبوأ منها حيث يشاء اي يتخذ منها مباءة ومنزلا
كل مكان اراد فاستولى على جميعها ودخل تحت سلطانه
وروي ان الملك توجه بتاجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه
ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فجلس على
السرير ودانت له الملوك وفوض اليه امره وعزل قطفير
العزيز ثم مات بعد فزوجه الملك امراته زليخا فلما دخل
عليها وجدها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها بكرا
عذراء لان العزيز كان لا يطأها فولدت له ولدين افرائيم ومنشا
واقام العدل بمصر واحبه الرجال والنساء واسلم على يده الملك

وكثير

وكثير من الناس وباع من اهل مصر فى تلك المجاعة الطعام
بالدراهم والدنانير فى السنة الاولى حتى لم يبق معهم منها شئ
ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم ثم استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا
كاليوم ولا احتج ولا اعظم منه فقال للملك كيف رأيت
صنع الله عز وجل بى وفيما خولنى فما ذا ترى قال فقال
الرأى رأيك فقال انى اشهد الله عز وجل واشهدك
انى قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم
اموالهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر
من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان
وبلاد الشام مثل ما اصاب اهل مصر فارسل يعقوب
عليه الصلاة والسلام اولاده الى مصر ليمتاروا واحتبس ابى
ابنى عنده وهو بنيامين نصب رحمتنا من شأ اى بنعمنا
من الملك والغنى وغيرهما ولا نضيع اجر المحسنين اى
لا نضيع اجرهم فى الدنيا اخرج من احسن شيء وكذلك اجر الآخرة
خير للذين امنوا وكانوا يتقون اى لانه الدائم الذى لا ينقطع
وفى الآية اشارة الى ان حال يوسف فى الآخرة احسن
اى خير من حاله فى الدنيا وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه
فعرفهم وهم له منكرون اى جاهلون من ارض فلسطين
بخور الشام لما اصاب مصر لميثاروا واصابها فتوصلوا الى يوسف عليه الصلاة
والسلام ليطلبوا الميرة فعرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى
ذلك فريا من رؤياه اذ ذاك ولان الله كانت تخون بهم
وعرفتهم كانت بيا مثل وبيامين ونكرهم اياه كان لطول
العهد بينهم وصغارقته اياهم فى سن الحداثة ولاعتقادهم
انه قد هلك اى توفى ولذهابه عن قلة ارتكارهم فيه ولبعد
حاله التى تلعها من الملك والسلطان عن حاله التى فارقهم عليها
طرحا فى الجب مستورا بدرام فعدوده حيا لو تخيل لهم انه هو
لكذبوا انفسهم ولان الملك ما يبدل الذى وللنبى ما يحدث
من الهيئة والاستعظام ما ينكر عنده العريف فلما جهزهم
بجهازهم وكان الجهاز الذى لم هو الطعام الذى امتاروه
وفى الكلام حذف تقديره وكان قد استوصى منهم انه طعم اخ
وقد فعد عند ابيهم رؤيا امنه لما عرفهم اراد ان يخبره
بجميع امرهم فباحثه بان قال لهم ترجمانه انكم لجاسوس
فاحتاج الى التعريف بانهم خفتا لوا نحن ابناء رجل صديق
وكنا اثنى عشر فهلك منا واحد فى البرية وبقى اصغرنا عند ابينا

ونحن حينا للميرة وسقنا بعير السابق منا وكانوا عشرة ولهم احد
عشر بعيرا فقال لهم يوسف عليه الصلاة والسلام ولم تخلف اخوكم
قالوا لمحبة ابينا فيه وانك سوف لي بعد الاخ حتى اعلم حقيقة
قولكم وارى ليراحته ابوه اكثر منكم ان كنتم صادقين ثم
ذكر ما يحرضهم على الاتيان باخيهم بقوله الا ترون اني اوفي
الكيل اي اتمه وانا خير المنزلين اي المضيفين
يعني في قطري وفي زمانه ليوسهم بذلك ويسلمهم ثم
توعدهم ان لم ياتوا به الا كيلا بحرمانهم من الميرة في المستقبل
واحتمل قوله ولا تقربون ان يكون نفيا وان يكون
نفيا مستعملا ومعناه النهي وحذفت النون وهو مرفوع
كما حذفت في قوله فبم تبشرون وان يكون نفيا داخلا في
الجزاء معطوفا على محل فلا كيل لكم عندي فيكون مجزوما
والمعنى انكم لا تقربون لي بلدا ولا تطأون بساحة وطاعة
ما فعله يوسف عليه الصلاة والسلام معهم انه كان يوحى من
الله عز وجل والا فانه كان مقتضى الرأي ان يبادر الى ايفاء
ما يستدعيه لكن الله تعالى اراد ان يحملهم على ان يتعنوه عليه الصلاة
والسلام ويحتالوا ويجتهدوا ليريهم الاولى قالوا سنراود عنه
اباه اي سنحتال عنه ونستميله في رفق الى ان يتركه بالي معنا
انك لفاعلون اكدوا ذلك انوعدوا بهم فاعلوا ذلك لا محالة
اي لا نفرط في اتيانه ولا نتوانى وفرق الفتيان ولفتيته
فان الكثرة على مراعاة المأمورين والقلة على مراعاة المتناولين
وهم اخذوا قفزا لكي لا يأكلون امتعتهم بحمل المال الذي سلموا
به الطعام في رحالهم مبالغة في اتمامه لعلهم يعرفونها اذا
يقلبون حق ردها وحق الكرم واعطاء الذليل فاعتبروا
فيها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا عيونهم اي وعيتم ولعلهم
يعرفونها هو متعلق بالجعل ولعلهم يرجعون تعلقوا ترجي معرفة
المتاعة للرجوع الى يوسف عليه الصلاة والسلام قيل وكانت
بضاعتهم النعال والادم فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا

كلم

منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون
الآية اي كما رجعوا من مصر ممتارين بادروا بما كان اهم الاشياء
عندهم من التوطئة لارسال اخيهم معهم وذلك قبل فتح
متاعهم وعلمهم باحسان العزيز اليهم من رد بضاعتهم واخبروه
بما جرى لهم مع العزيز الذي على اهل مصر وانه قد استدعى منهم
العزيز ان ياتوا باخيهم حتى يتبين صدقهم انهم ليسوا جواسيس
وقولهم منع منا الكيل اشارة الى قول يوسف عليه الصلاة والسلام

الآيات

فان لم

فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ويكون منع مراده
به في المستقبل فقالوا لا فقد كيل لهم وجاؤا بابلهم فاشيرة
لكن لما افردوا بمنع الكيل اي قالوا قد منعنا منا الكيل
وقد اشار والى تعبير بنيامين الذي منع من الميرة وهذا
القول اقوى لحمل منع على ما صح حقيقته ولقولهم فارسل
معنا اخانا نكتل ويعقوب قرأه نكتل بالنون اي يكتل
اخونا فاما منع كذلك بحق نفسه فانى يقال امنكم
عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل الاية هذا تقرير
وتوقيف وقتاده لم من فراقه بنيامين ولم يصرح بمنعه
من حمله لما راى في ذلك من المصلحة وشبه هذا الايمان
بما في امر هذا بيمانهم في حق يوسف عليه الصلاة
والسلام فلستم فيه وامثاله لحافظون كما قلتم في هذا
واخاف ان تكذبوا له كذبا كما كذبتم ليوسف لكن يعقوب
عليه الصلاة والسلام لم يخف عليه كما خاف على يوسف عليه
الصلاة والسلام ولم يستثن بل اي لامن الله عز وجل وانقاد
فقال فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين وقرئ حافظا
اسم فاعل وانتصب حفظا وحافظ على التمييز والمنسوب
له الخير هو حفظ الله تعالى والحافظ الذي هو من جملة
الله عز وجل واجاز الزمخشري رضي الله عنه ان يكون حافظا
حالا وليس بجيد لان فيه تقييد خير هذه الحالة وهو ارحم
الراحمين اعتراف بان الله عز وجل اولى الرحمة الى اسعة
وان رحمته حفظه وان لا حجر على مشيته ومشيته اخير
ولا فتحوا متاعهم الاية وقولهم ما نبغي استفهام بمعنى
اي شيء نبغي وطلب من الكرامة هذه اموالنا ردت
الينا وكانوا اعتقدوا او الا بهم انه قد قدم منا على خير رحل وافر لنا
واكرمنا اعتقدوا كان رحلا من الاكرام يقصون لما اكرمنا الله
والجملة من قوله هذه بضاعتنا ردت الينا موضحة لقولهم
ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على تقدير نستظهر
بها او نستعين بها ونمير اهلنا اي نرجع عنا الا الكيل ونحفظ
اخانا فلا يصيبه شيء مما خافه وكرر حفظ الاخ مبالغة في الحفظ
على ارساله وفي زاد كيل بعير ذلك كيل يسير لانه انما كان يحمل
لهم عشرة انفس ولم يحمل لكل واحد بعيرا لخاصة نفسه والاشارة
بذلك الى ظاهر امتلاء الكيل بعيرا وقوله ذلك كيل يسير يعني
قليل يجيبنا الله الى ذلك ولا يضايقنا فيه قال الزمخشري رضي الله عنه
اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا اي ما يكال لهم فان زاد ولا يسامحنا الكيال

لاضيم

ويجوز ان يكون ذكر من كلام يعقوب عليه الصلاة والسلام اى
حمل بعير واحد شيء يسير لاخاطر ما لولد كقوله ذلك
نعلم انى اخذه ما لعتب يعني طاير الكلام انه من كلامهم
وقوس من كلام يعقوب عليه الصلاة والسلام كما ان قوله
ذلك نعلم ظاهر انه من كلام امراة العزيز وهو من كلام يوسف
عليه الصلاة والسلام وهذا كله تحميل لفظ القرآن ما يبعد
تحمله وفيه مخالفة الظاهر لغير دليل ولما كان يعقوب
عليه الصلاة والسلام غير مختار لارسال ابنه والحوا عليه في ذلك
على ارساله اخذ الموثق عليهم وهو الحلف بالله عز وجل اذ به
توكد العهود وتشد وقد استثنى به جواز الحلف لان معنى
حتى توتوني موثقا تحلفون اني لتاتنني به وقوله الا ان يحاط
بكم لفظ عام لجميع وجوه العلة والعجز تعلم العلة من جميع
الجهات حتى لا تكون لكم حيلة ولا وجه مخلص وهذا
الاستثناء من المفعول من اجله مراعى في قوله لتاتنني به
وان كان مستثنا بعد النفي لان المعنى لا تمتنعون من الاتيان
به لشيء من الاشياء الا ان تحاط بكم ومثاله من المثبت
في اللفظ ومعناه النفي قولهم انشدك الله ان لا فعلت اذ
ما انشدك الا الفعل وفي الكلام حذف وتقدير فاحالوا على باطن
فلما اتوه موثقهم قال يعقوب لبنيه الله على ما نقول وكيل
واعطاه وكيل اي رقيب ومطلع ونهاهم ان يدخلوا من باب
واحد وهو خشية اصابة العين وكانوا احدى عشر رجلا لكل رجل
واحد وكانوا اهل جمال وبسطة قاله ابن عباس رضي الله عنهما
والعين حق وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر وتدخل
الجمل القدر وفي التعوذ من كل عين لامة احاديث واردة ايضا
فخيفهم ان خوف عليهم من العين في هذه الكرة بحسد ان يجدوه فيهم
وهو بنيامين الذي كان يسليه عن شقيقه يوسف ولم يكن فيهم في
الكرة الاولى فاهمل امرهم ولم يحتفل بهم لسوء صنيعهم بيوسف
عليهم الصلاة والسلام ان الحكم الا لله اي هو الذي يحكم وحده ويفعل
ما يريد فعليه وحده توكلت ولما دخلوا من حيث امرهم اي من ابواب
متفرقة روي انهم لما ودعوا اباهم قال لهم لا تعوا ملك مصر
سلامي فقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك ويشكر صنيعك
معنا وفي كتاب ابي منصور العمداني رضي الله عنه انه خاط عمر كتاب
قرئ على يوسف عليه الصلاة والسلام فبكى وحوالى فقوله ما كان
يغني عنهم من الله من شيء وفيه حجة لمن زعم ان لما حرف وجوب
لوجوب لاظرف زمان بمعنى حين اذ لو كانت ظرف زمان جاز ان

تكون

ليلة ٢

اى

اى بضبطه العين فتقتله باذن الله تعالى

اى المرة الاولى

ابوهم

ان تكون معمولا لما بعد ما التي قد ذكرنا لك على ان
ما حرف نزيت حوائجهم عما بعده اي على ما بعلمه ايضا
وانه لذو علم لما علمناه يعني لقوله ان الحاكم الا لله امر
ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم وعلمه بامر الله
لانه دفعة الحذر وهذا ثناء من الله عز وجل على يعقوب
عليه الصلاة والسلام ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه
وروي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال
لهم يوسف عليه الصلاة والسلام والله لقد احسنتم واثمتم
وستجدون ذلك عندي فانظروا كرمهم واصنامهم
واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده
فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاحب ان يكون معه
فقال لهم يوسف عليه الصلاة والسلام بقي احوكم وحيدا
فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكلهم جميعا وقال
لهم بعد ذلك اشتم عشرة فليبت كل اثنين منكم بيتا وهذا
لاخي له فيكون معي وبات يوسف يضمه الى صدره ويشم
رائحة حتى اصبح وسأله عن ولده فقال بقي عشرة بين
مفقود وميت واسم احدهم هالك فقال يحق ان اكون
اخاك بدل اخيك الهالك فقال له من يجد اخا مثلك
ولكن لم يدرك يعقوب ولا اجتمع بكى يوسف عليه الصلاة
والسلام وقام الى بيته وحده وقال لهم انا اخو يوسف
فلا تبتئس ولا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله
قد احسن الينا وجمعنا على خير فلا تعلمهم بما علمت به
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما تعرف الى اخوته انه اخوهم وهو
الظاهر قال ابن عطية رضي الله عنه ويحتمل ان يشير بقوله
الى ما كانوا يعملون الى ما تحمله فتيان يوسف من امر
السقاية وضعها في رحله ويحتمل ان يشير الى ما تقدم
ذكره لانه لو كان اشارة الى ما يعملون بعد كانوا لا يمكن على
بعد لان الكلام انما هو مع اخوة يوسف واما ذكر فتيانه
فبعيد جدا الا ان لم تتقدم لهم ذكرا في قوله وقالت
لفتيتها وقد حال بينهما قصص واشتغال الكلام مع الاخوة
انتهى قال لا ينبغي ان يعدل عن ان الضمير عائد اليهم وان
ذلك اشارة لما كان تلقاه منهم قديما من الاذى اذ قد
امن من ذلك باجتماعه بأخيه يوسف عليه الصلاة والسلام
ولما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن
ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا

نفقد صواع الملك

وصواع الملك هو الذي كان يكتال به وهو السقاية سماه اولا اناء لحقارته
حمله وسماه آخرا السقاية لنفاسته ولمن جاء به اذ لمن دل على سارقه
وفضحه وهذا اخذوا اناءه زعيم هذا من كلام المؤذن او
الى واما بحمل البعير كفيل او رمز الى من جاء به واراد به
وسق بعير من طعام هذا لمن حصلت في الوعاء ان الله اقسموا بالله
من حروف القسم لانها قد يكون فيها التعجب غالبا كانهم عجبوا
من رسلهم لهذا الامر العظيم وروي انهم رووا البضاعة
الى وجدوها في الرحال وتحرجوا من اخذ الطعام ولا ثمن
وكانوا قد اشتهروا بمصر بصلاح وعفة وكانوا يحملون الاكلة
في افواه ابلهم لئلا تتناول شيئا من زروع الناس وانسموا على
ابيات شيخ قد علموه منهم فسألوه ما وصفتهم قبل وعاد اليه
قبل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم
فانطلق بهم الى يوسف عليه الصلاة والسلام فبدأ بتفتيش
اوعيتهم قبل وعاء اخيه بنيامين لينفي التهمة عنه ويمكن
الحيلة وانما ظهورها حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا
اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركك حتى ننظر رحلك وانك فانه اطيب
لانفسنا ولنفسك فاستخرجوه منه كذلك كدنا ليوسف يعني
علمناه اياه واوحينا به اليه وقولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من
قبل لا يدل على الجزم فلعله سرق بل اخر حوادلك يخرج الشرط
اي ان كان وقع منه سرقة فهو متأس بمن قبله ممن سرق قبله
فقد سرق اخ له من قبل والجمهور على ان السرقة التي قد نسبت
ليوسف عليه الصلاة والسلام هي ان زبيبة وثبت عندها فاراد
بعقوب اخذه من عندها فاستفت من ورائه فاخذ منطقة
اسحاق عليه الصلاة والسلام وكانت متوارثة عندهم فشقها
من تحت ثيابه ثم صاحت وقالت افتقدت المنطقة فتشت
فوجدتها مع يوسف عليه الصلاة والسلام فاسترقته عندها
حتى مما كان عندهم في شرعهم فبقي عندها حتى مات
فصار عندها واضمر في قوله تعالى فاسرها يوسف في نفسه
ولم يبدها لهم اي الحزازة التي حصلت في نفسه منهم اي من قولهم
ذلك والظاهر من قوله انتم شر مكانا خطابهم لقد القول في الوجه
فكانه استركره منطقهم ثم رد بخم بقوله انتم شر مكانا
وفيه اشارة الى قبح سيرتهم ومعنى اعلم بما تصفون اعلى هو
اعلم بما تصفونه منكم لانه عالم بحقايق الامور وكيف كانت
سرقة اخيه التي اعلمتم سرقتم عليها عنه تعالى ايها
العزيز ان له اباشيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين

تتمة

مقالتهم

لمستغفرون

قد تعطفوا يوسف عليه الصلاة والسلام اذ كان قدامكم اذ كان قدامكم اذ كان قدامكم اذ كان قدامكم
ومعنى كبيرا في السن او لقدره وكانوا قد اعطوا يوسف عليه الصلاة
والسلام بانه كان له ابن هلك وهذا استقبله تسيا من بر
والاحاطوم بالعذر اذ كان في تلك الحظة يعدلك قطعة
وموده على سابق ومعنى وكانه اي يدل على حقه الاستحقاق
والاستعداد وقيل له من المحسنين وصنوه بما قد شاهدوه
من مع احسانه لهم ولعلهم او من المحسنين اليناي هذه المدة
اذ ان اسد منها الينا ومعاذ الله تقدم الكلام على اذ لله في قوله
معاذ الله انه ربي احسن مثواي فلما استيأسوا سؤامنه اي
يئسوا من اخيهم ان يرد هت معهم خلصوا نجيا تقابلوا يسر وسيا
بمعنى واحد يقال سخر واسخر واستسخر وغى واستغنيت
ومعنى خلصوا نجيا معجي انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم
بعضا والنجي المفعل بمعنى مناجين كالخليط والعشير
وبمعنى المصدر الذي هو المناجي كما قيل النجوى هي
بمعنى المناجي وهو لفظ يوصف به من له نجوى واحد
كان او جماعة قد كرا وموثنا قال كبيرهم اي كان اسنهم رويبل
وكرهم لبناني في قوله اي في قول ابنيه يعقوب عليه الصلاة
والسلام لتاتنني به الا ان يحاط بكم وما ابدة اي
ومن قبل هذا فرطتم في يوسف اي مقصرتم في يوسف
وقال ابن عطية رضي الله عنه ولا يكون ان يكون في قد من
قبل متعلقا بفرطتم وانما تكون ما في هذا هو مصدرية
التقدير ومن قبل تفريطكم في يوسف وهذا قول البخاري
رضي الله عنه وهو راجع الى معنى واحد ومن قبل قد
تكون وقعت في موضع الحال وهذا على قلة عرفة
وحق لهما ان يدهلا ومعنى اذهب الطروق الى هضبات
اذا بكيت لا تقع اخبارا للمبتدا سواء حتف او لم يخبر
بقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا يكون والسفر
بعد والتقدير هنا الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا
من قبل تفريطكم في يوسف وقدره ابن مجاهد رضي الله عنه
وتفريطكم من قبل في يوسف وهذا لبيك قد ذهبا
اليه ليس بجيد وقد زعم ابو علي الفارسي رضي الله عنه
انه لا يجوز ذلك الا في ضرورة الشعر وقد ذكر ابن مالك
فيما قد سماه ان ذا لا يجوز لان اذ ان اضيفه لليوم من حكم
الله تعالى في معاقبة ارض مصر وبني لهم عنهم الاسف وتولى
اي اعرض عنهم كراهة لما جاء وابه وانه ساء ظنه بهم لم يصدق قولهم

واسعيت عيانا من لحزن فهو كظيم اي ممتلئ غيظا قالوا فما زالت
تعشق وتذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين
قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون
اي اني اعلم من صنعه ورحمته وحسن لطفه به اني يأتي بالفرج
من حيث لا احتسب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون امرهم ابوهم بتعرف عليه الصلاة
والسلام ما لذهاب الى الارض التي جاء منها وتركوا اخويهم لدى
بنيامين والمتاع وامرهم بالتحسس وهو الاستقصاء
وان طلب الخبر والشر وقد يستعمل في الخير والشر وقد يجيء
اي فتحسسوا شيئا من امر يوسف واخيه واخصهما هنا
بالذكر لان الذي جاء لاجله قال فلما ان جاء البشير القاه
على وجهه فارتد بصيرا وروح الله هي رحمته وفرجه وتنفيسه قالوا
عليه قالوا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر في الكلام
هنا حذف قدير قد مسهم واهلهم الضر فحذفوا من الاسم الاول
والضمير عليه عائد على يوسف عليه الصلاة والسلام
وكان اكد ما حدثوه به شكوى ما اصابهم من الجهد
قبل ما وصاهم به من التحسس عن بنيامين ويوسف واخيه
وانضر اليهم الى الشدة والجوع والبضاعة كانت لوفا
قال ابن عباس رضي الله عنهما ثم التمسوا منه ابلا لكل وقد
استدل بهذه الاية الامامية على ان الكيل على البائع ولا دليل فيه
في هذه الاية فانه انما كال لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي
المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه الاية
تسمى اما الى جهل المعصية واما الى جهل الاستلاب وقلة الحيلة
وقيل اقامهم من جهة امين الدين وكان عليه الصلاة والسلام
حليما موقفا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه الصنع الذي
يجب ان يراعى الوقت فقال هل علمتم اي قبح ما فعلتم بيوسف
بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون اي لا تعلمون قبحه فلذلك
اقدمتم عليه وقيل هل علمتم فتخدعونني الا الله عليه لان علم
الغيب قد عوا في الاستفتاح والاستفتاح يجر الهيبة فكان كلامه
لهم شفقة عليهم ونصحا لهم في الدين واستدراجا لحق الله تعالى
على حق نفسه في ذلك المقام الذي تنمحض فيه الكروب
وتضعف فيه الصدور وتستفرغ الحفيظ الجمع ويدرك
قاله ذا النون قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا
اخي لما خاطبهم بقوله هل علمتم ادركوا انه لا يشبههم ملك ولم يبينا

عليهم

عند امام ولا تتبع اخوانهم وليس منهم فيما يظهر الا وعندهم منه
علم وبحالهم فقال انه كان يكلمهم من وراء حجاب اي ستر
رفيع ووضع التاج عن راسه ثم تنسم وكان عليه الصلاة
والسلام يضع ما حوله من تبسمه ورائق المعة بيضاء كانثا منه
في فرند حين وضع التاج وكان مثلها لانه وجاء عليهما
الصلاة والسلام وكذا كان لسان رضي الله عنها تعني سمعوا انه
يوسف واستفهموه لشبههم اخبار وقيل اشتبهوا لتقرير
لانهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها ولما
استفهموا اطلعهم فقال انا يوسف كانه قال اما انكرون
ولادتهم في الجواب بقوله وهذا اخي قد من الله علينا انه
من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لانه سبق
قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان في ذكر
اخيه بيان لما سالوا عنه فان كان مقولا لعندهم فتوطئة
لما ذكر بعد من قوله قد من الله علينا انه من يتق و يصبر
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله قد من الله علينا
اي بالاجتماع بعد الفرقة والالف بس بعد الوحشة ثم ذكر
ان سبب حسن الله سبحانه وتعالى هو التقوى والصبر
والاحسن ان لا تخص التقوى بحالة ولا الصبر وقد قرا
فضل وتمت باثبات الياء وقيل هو محذوف من حذف الياء
اجتزاء بي الكسرة وقيل حرف يحذف الحركة على لغة
من يسوك لم يرمي زيد وقد حكوا ذلك لغة وقيل هو
من وقوع موصول موقع الذي وعطف عليه مجزوم وهو قوله
ويصبر وذلك على التوهم كانه قيل لا يضيع اجر من
اتقى وصبر فضلك والمحسن عام قد دخل فيه من تقدم
او وضع موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين فكانه
قيل لا يضيع اجرك واجرك الله يعني فضلك بالملك
وبالصبر والعلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين والتثريب في اللغة
التانيب والعتب وعيّر بعضهم عنه بالتعيير ومنه اذا زنت
احدكم فليجلدها ولا يثرب عليها اي لا يعيرها واصله من
الثرب وهو شحم الذي هو غشاء الكرش ومعناه
ان اثر الثرب كما ان التجليد والتقريع ان اثر الجلد فضرب
مثلا للتقريع الذي يمزق العرض وقد هتك بماء الوجه وتثريب
اسم لا وعليكم الخبر واليوم منصوب بالعامل في الخبر اي لا تثريب

امتد

اي لا تثريب مستقر عليكم اليوم وقال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او المقدر عليكم
من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثر بكم اليوم وهو
اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام
ثم ابتدا فقال يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فدعا
لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله
لك ومنه قول المشمت للعاطس يغفر الله لكم ويصلح بالكم
او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل الغفران لما تجدد يومئذ
من توبتهم وندمهم على خطيئتهم انتهى اما قوله ان اليوم هو
متعلق بالتثريب فهذا لا يجوز لان التثريب مصدر
وقد فصل بينه وبين معموله وهو تاويل الى اسحاق
والطبري واما تقديره الثالث وهو ان يكون اليوم متعلقا
بيغفر فمقول وقد وقف بعض القراء على عليكم وابتدا بقوله
اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولما دعى لهم
بالمغفرة اخبر عن الله عز وجل بالصفة التي هي سبب الغفران
وهو انه تعالى ارحم الرحماء فهو يرجى منه قبول دعائه لهم
بالمغفرة والرحمة والباء في بقميصي الظاهر انها تكون
للحال اي مصحوبين او ملتبسين به والظاهر انه قميص من
ملبوس يوسف عليه الصلاة والسلام بمنزلة قميص كل احد
قال ابن عطية رضي الله عنه هكذا تبين الغرابة في ان وجد
يعقوب عليه الصلاة والسلام ريحه من بعد ولو كان من قمص
الجنة كما قيل ما كان في ذلك غرابة ولوجده كل احد وقوله
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يدل على انه علم انه قد عمي
من الحزن اما باعلامهم واما بوحي من الله عز وجل وقوله يات
بصيرا يظهر انه بوحي من الله تعالى واهلوه الذي امر
ان يؤتى بهم قيل سبعون وقيل غير ذلك وفي نحو من هذا
العدد حلوا بمصر ونموا وكثروا حتى خرج من ذريتهم مع
موسى ستمائة الف وهذه اية عظيمة للمعتبرين ومعنى
يات اي ياتيني وانتصب بصيرا على الحال ثم امرهم بامرين
احدهما الذهاب بقميصه اذ كان اسر اليه ارتداد بصر
ابيه بالقاء قميصه على وجهه والامر الثاني اتيانه
باهلهم جميعا لتكمل مسرتهم بذلك ولما فصلت
العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قالوا
تالله انك لفي ضلالك القديم ومعنى فصلت العير انفصلت
من عريش مصر قاصدة مكان يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان

الذين

قريبا

ثم كان من حين الغدر وهو الصحيح لان اثارهم وقبورهم
هناك الى الان وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما فصلت
العير عن العريش وجد يعقوب عليه الصلاة والسلام ريح يوسف
في القميص الذي ارسله من مصر من مسيرة ثمانية ايام وهاجت
ريح فحملت ريح عرفه الذي كان في القميص وقيل غير ذلك ومعنى
لاجد اي اشم ريحه فهو وجود كحاسة الشم وقال الشاعر
واني لاستغني بكل عمامة ... شهدت بها من نحو ارضك ريح
ومعنى تفندون قال ابن عباس رضي الله عنهما اي تسفهون
وتخرفون وقال القاضي مذر بن سعيد الموصلي رضي الله عنه
يقال شيخ مفند اي قد فسد رأيه ولا يقال لغير مسنة
لان المرأة لم تكن لها قط عزا اي اصيل فيدخل التقييد ولولا هنا
ما حرف امتناع لوجود وان تفندون في موضع الابتدا تقديره
لولا تفنيدكم وجوابها محذوف قال ابن محيريز رضي الله عنه
المعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني انتهى وقد يقال
تفنيدكم لولا ان تفندون لامر تكم بكونه حقا لما مت لان
وجدان ريحه دال على حياته والمعنى والله اعلم ان المخاطب
بقوله تفندون الظاهر انه من تاسف اصحاب يعقوب عليه
على من كان عندهم من اولاده غير الذين ذهبوا بمتاعهم اذ كان
اولاده جماعة متعددة وقيل المخاطب ولد ولده
ومن كان بحضرته من قرابته والضلال هنا الذهاب عن
القصد والرشاد قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى انك لفي
خطاك القديم وكان حزن يعقوب عليه الصلاة والسلام قد تجدد
بقصة بنيامين فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد
بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون واني بقول
الرؤيا حق والبشير وان اي لا بد لزيادة التوكيد وقيادتهما بعد
لما تسلم مضطرد قال ابن عباس رضي الله عنهما البشير كان يهوذا
لانه كان قد جاءه بقميص الدم فاحزنه فاليوم يسره بان
يذهب القميص ليسره والضمير المستكن في القاه عائد على البشير
وقوله الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون اي من حياة يوسف عليه الصلاة
والسلام وان الله تعالى يجمع بينهما ولما رجع اليه بصره وقرت عينه
بالبشير الى اسعاف يوسف عليه الصلاة والسلام ببصره وقرة عينه على قوله الم
اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون طلبوا منه ان يستغفر
لهم الله تعالى لذنوبهم واغفروا الخطأ الذي منهم وان
سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فعن ابن مسعود
رضي الله عنه انه اخره الى السحر وعن ابن عباس الى ليلة الجمعة وعنه

لاستغني

ابتدا

ارتد ابن

انتظر الى السحر هاهنا

ولما وعدهم بالاستغفار رجا منهم كظنون الغفران بقوله انه هو
الغفور الرحيم وفي الكلام حذف تقديره فارسلوا ان
ما امرهم به يوسف عليه الصلاة والسلام من الذهاب والاتيان
باهلهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف وكان بينه وبين ابيه ما ذكر
ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان قد هجر لانه جهز اليه
وماشيا راجلة ليجيء اليه هو ومن معه فخرج يوسف فلما
وخرج معه الملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واشرف
مصر باجمعهم فلما لقوا يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو
يمشي يتوكأ على كتف يهوذا فنظر الى الخيل والناس وقال
يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا ولكن هذا ولدك يوسف عليه
الصلاة والسلام فلما لقيه يعقوب عليه الصلاة والسلام
قال له السلام عليك يا مذهب الاحزان قال وروي انه لما اي
ضمها اليه وعانقهما والظاهر انهما ابوه وامه راحيل وقال
الحسن وابن اسحاق رضي الله عنهما كانت امه باقية لان سنه
حين اصابت به فضمه الى صدرها كما كانت تفعل به ايام
وظاهر قوله ادخلوا مصر ان شاء الله امنين انه امر بانشاء دخول
مصر قال السدي رضي الله عنه قال لهم ذلك وهم في الطريق حين
تلقاهم انتهى فيبقى قوله فلما دخلوا على يوسف كأنه فصل لهم
مصر او بيت حالة التلقي في الطريق فدخلوا فيه على يوسف وقوله
ادخلوا اي تمكنوا واستقروا فيها والظاهر تعليق الدخول على مشيئة
الله تعالى لما امرهم بالدخول على ذلك على مشيئته سبحانه وتعالى
لان جميع الكائنات انما تكون بمشيئته سبحانه وتعالى وقال لم
نشأه ليكون ورفع ابويه على العرش والعرش هو سرير الملك
ولما دخل يوسف عليه الصلاة والسلام مصر وجلس في مجلسه على
سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه برفعهما على السرير وخصهما بذلك
تكرمة لهما دون اخوته والضمير في وخروا له سجدا عائد على
ابويه واخوته وظاهر قوله وخروا له سجدا انه السجود المعهود
وان الضمير في له عائد على يوسف عليه الصلاة والسلام لمطابقة
الرؤيا في قوله في رؤيا احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي
ساجدين وهي مستلزمة مرؤيا والمحذوف في من قبل تقديره
من قبل هذا الكوان وهذه الحالة الى قوله حقا تقدم وهي
ثم ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعد ذلك بخبر الله تعالى
عليه فقال قد جعلها ربي حقا اي صادقة رأيت ما وقع لي في
المنام فقط حقيقة لا اضاف فيها ولا نقص وفي المدة التي كانت
بين رؤياي وسجودهم خلاف متناقض وقد احصى بعضهم اذا خرجني من

السجن

السجن وذكر اخراجه من السجن وعدل عن اخراجه من الجب صفحا
عن ذكر ما تعلق باخوته اى بفعلهم معه وتسلما لما جرى منهم
اذ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
ولئلا يفتضحهم بما فعلوه معه وتنبيها على اظهار نعمته وراء
مما نسبته الله من الراحة وعلى ما تنقل اليه من الرياسة
وغيرها في دار الدنيا بعد خروجه من السجن بخلاف ما تنقل
اليه اخوه من الجب الى ان باع بيع العبيد وصار بكم
من الدراهم اى من الثمانية وكان سر ان يعقوب عليه الصلاة
والسلام بارطراف بلاد الشام بادية فلسطين وكان
رب ابل وغنم وبادية وقد ذبح يوسف عليه الصلاة والسلام
بعد اخراجه من السجن بجميعهم من البدو والاستانة بذلك
الى الاجتماع بابيه واخوته وزوال الحزن عن ابيه وقد ورد
في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من يرد الله به
خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي اى افسد بيننا باغوائه وتقدم الكلام
على نزغ وسبب النزغ الى الشيطان لانه هو الموسوس كما قال
تعالى وقال لهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وذكر هذا
القدر من امر اخوته لان النعمة اذا تمت انسحبت على ما قبلها
كانت احسن موقعا وانفا اى ربي لطيف لما يشاء الذي هو
العليم الحكيم اى لطيف التدبير للاشياء من الامور
رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث
فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما
والحقني بالصالحين الاماني قال ابن عطية رضي الله عنه واحسن
في قوله من الملك ومن في قوله من تاويل الاحاديث للتبعيض
لانه لم يؤته الا بعض ملك الدنيا ولا علم الا بعض ما يتعلق
وانتصب فاطر على الصفة او على النداء انت وليي في الدنيا
والاخرة اى متولي نعمتي في الدارين وتوصل الملك الى
الملك اثباتي وقد ذكر كثير من المفسرين رضي الله تعالى عنهم
اجمعين انه لما عدد نعم الله تعالى عليه تشوق للقاء
ربه والحاق بالصالحين سلفه ورأى ان الدنيا كلها لا تصفو
فتمنى الموت والذي يظهر ان هذا ديدن الانبياء يحب الموت
وانما عدد نعمه عليه ثم دعا ان يتم عليه النعم في ما بقي
من امره وتوفي اذا حان اجله على الاسلام واجعل لحاقي
بالصالحين وانما تمنى الوفاة على الاسلام لانها الموافق والمراد
بالصالحين اهل الجنة وقيل غير ذلك وعلماء التواريخ رضي الله عنهم

فيق



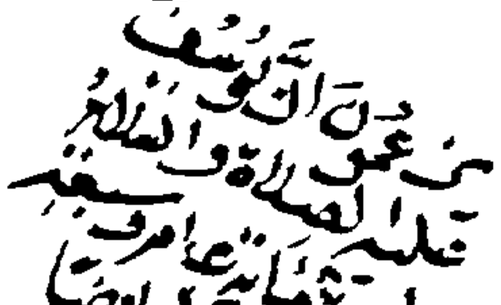

وله من الولد افرائيم ومنشا ورحمة زوجة ايوب عليه الصلاة
والسلام قال الزهري رضي الله تعالى عنه وولد لافرائيم
نون ولنون يوشع وهو فتى موسى عليه الصلاة والسلام وولد
لمنشا موسى وهو قتل موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام
ويزعم اهل التوراة انه صاحب الخضر عليه الصلاة والسلام
وكان ابن عباس رضي الله عنهما ينكر ذلك وثبت في الحديث
الصحيح ايضا ان صاحب الخضر عليه الصلاة والسلام هو موسى
ابن عمران وقال بعض المفسرين ايضا رضي الله تعالى عنهم
اجمعين امين وقد نقل ان الفراعنة قد توارثت ملك
مصر بعد خروج موت يوسف عليه الصلاة والسلام بسبعة
سنين ولم تزل بنوا اسرائيل تحت ايديهم على دين يوسف عليه
الصلاة والسلام ودين ابيه يعقوب عليه الصلاة والسلام
الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فسبحان من لا
انقضا لدوام ملكه ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
قال ابن الانباري رضي الله تعالى عنه سالت قريش واليهود
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه الصلاة
والسلام فنزلت مشروحة شرحا شافيا وامل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك سببا لاسلامهم فخالفوا تاميله
فعزاه الله تعالى بقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين
والاشارة بذلك الى ما قد قصه الله سبحانه وتعالى من قصة
يوسف عليه الصلاة والسلام واخوته وما كنت لديهم اذ اجمعوا
امرهم وهم يمكرون اي وما كنت عند بني يعقوب حين اجمعوا
امرهم على ان يجعلوه في الجب ولا حين القوه فيه ولا حين
التقطته السيارة ولا حين بيع كما تباع العبيد
وهم يمكرون اي يبغون الغوائل ليوسف عليه الصلاة
والسلام ويتشاورون فيما يفعلونه به او يمكرون
بيعقوب حتى اتوا بالقميص ملطخا بالدم وفي هذا تصريح تقديس
بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النوع في علم البيان
يسمى بالاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي
وقيل لهم قد علمتم انه لم يكن شاهدا لمن مضى من القرون
الخالية وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه وتقدم نظير
ذلك في سورة آل عمران وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور
وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
وقوله اذ اجمعوا امرهم اي عزموا على القا يوسف في الجب
وهم يمكرون جملة حالية والمكر هو ان يريد على الانسان

وفاة

حاضر امر

تدبيرا

لسان ص

لتدبرا بصرم وجوده والناس الظاهر هنا الجمهور كقوله تعالى
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بهم
اهل مكة وقوله ولو حرصت اي ولو بالغت في طلب ايمانهم لا يؤمنون
لفرط عنادهم وتصميمهم على الكفر وجواب لو محذوف اي
ولو حرصت لم يومنوا ايمانا يومن الا من شاء الله تعالى ايمانه
والتصميم في عليه عاند على ما يجدهم به وقد ذكر هنا ان
يتناولك صنعة وجدوى كما تعطى جملة الاحاديث
والاخبار ان هو الا ذكر اي ان هو الا عظة وذكر من الله عز
وجل للعالمين عامة وحث على اطلب الحجة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخبر سبحانه وتعالى انهم لفرط كفرهم
يمرون على الآيات التي تكون مسببة للايمان فيعرضون عنها
ولا تفيد عندهم شيئا ولا تؤثر فيهم وان تلك الآيات هي في
العالم العلوي والعالم السفلي ومعنى يمرون عليها اي يمشون
عليها والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من
من الحجر وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون جملة حالية اي
اي ما اقر منهم بانه الا وهم مشركون قال ابن عباس رضي الله عنهما
هم اهل الكتاب اشركوا بالله سبحانه وتعالى من حيث كفروا
بمنبيه محمد صلى الله عليه وسلم افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب
الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون وقوله غاشية
اي نقمة تغشاهم اي تعظيهم كقوله تعالى يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال الضحاك رضي
الله عنه تجلى اصواعق والقوارع امنوا طائفة الغاشية يعني
في دار الدنيا وذلك لمقابلته في قوله او تاتيهم الساعة
اي يوم القيامة بغتة اي فجاءة في الزمان ومن حيث
لا يتوقع وهم لا يشعرون تاكيد لقوله بغتة قال
الكلبي رضي الله عنه اي لا يشعرون بمجيئها اي وهم
عن استعدادها قال ابن عباس رضي الله عنهما اي وقيل
الا ان والله غاشر اي تاخذهم الصيحة وهم على اسواقهم
ومزارعهم قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا
ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين الآيات لما تقدم
من قول يوسف عليه الصلاة والسلام توفني مسلما والحقني
بالصالحين وكان قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين
دالا على انه حاص على ايمانهم بحيث بذل وسعه في ذلك ودعا اليه
وشاور عليه وذكر ما ينالهم عليه من اجر اشار الى ما هم من
ذلك وهو شريعة الاسلام والايمان وتوحيد الله عز وجل فقال

يا محمد هذه الطريقة والدعوة طريقي التي سلكتها وانا
عليها ثم فسر السبيل فقال ادعوا الى الله يعني لا الى غيره
من ملك او انسان او كوكب او صنم انما دعائي الى الله عز
وجل وحده قال الجمهور معنى قوله سبيلي يعني ديني
ومفعول ادعوا هو محذوف تقديره ادعوا الناس
والظاهر تعلق على بصيرة بادعوا وانا توكيد للضمير
المستكن في ادعوا ومن معطوف على ذلك الضمير والمعنى
ادعوا انا اليها ويدعوا اليها من اتبعني ويجوز ان يكون
على بصيرة خبرا مقدما وانا مبتدا ومن معطوف عليه
ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ضمير ادعوا فهو قد يتعلق
بمحذوف ويكون انا فاعلا بالجار والمجرور النائب
عن ذلك المحذوف ومن اتبعني معطوف على انا واجاز
ابو البقاء ان يكون ومن اتبعني مبتدا خبره محذوف
تقديره كذلك اي داع الى الله على بصيرة ومعنى بصيرة
اي حجة واضحة وبرهان متيقن من قوله قد جاءكم
بصائر من ربكم وسبحان الله داخل تحت قوله قل اي قل
وتنزيه الله عز وجل من الشركاء اي براءة الله تعالى من
ان يكون له شريك ولما امر بان يخبر عن نفسه عليه
الصلاة والسلام انه يدعوا هو ومن اتبعه الى الله عز وجل
وامر ان يخبر انه ينزه الله تعالى عن الشركاء امر ايضا ان
يخبر انه في خاصة نفسه منتف عن الشرك وانه ليس ممن
اشرك وهو نفي عام في الازمان لم يكن منه ولا في وقت من
الاوقات وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من
اهل القرى حصر في المرسل دعاءه الى الله سبحانه وتعالى فلا
يكون ملكا قال ابن عباس رضي الله عنهما رجالا يعني لا نساء فلا
تكون امراة رسولا والقرى المدن افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الضمير في قوله
افلم يسيروا عائد على من انكر ارسال الرسل من البشر ومن
عاند الرسول عليه الصلاة والسلام وانكر رسالته وكفر
اي هلا يسيروا في الارض فيعلمون بالتواتر اخبار الرسل
السابقة ويرون مصارع الامم المكذبة لرسلهم
فينظرون الى ذلك نظر اعتبار وتدبر فيعتبرون
بذلك ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون
هذا حض وحث على العمل لدار الاخرة والاستعداد لها
واتقاء المهلكات وفي هذه الاضافة تخريجان احدهما انها

من اضافة

من اضافة الموصوف الى صفته واصله ولا الدار الآخرة خير
وهو تخريج كوفي والثاني ان يكون من حذف الموصوف واقامة
صفته مقامه واصله ولدار المدة الآخرة او النشأة الآخرة
خير وهو تخريج بصري وحتى غاية لما قبلها وليس في اللفظ
ما يكون له غاية فاحتيج الى تقدير فقدره هنا الزمخشري رضي الله عنه
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأس
عن النصر ايضا وقال ابن عطية رضي الله عنه ويتضمن قوله تعالى
افلم يسيروا في الارض الى قوله من قبلهم ان الرسل الذين قد بعثهم
الله من اهل القرى دعوهم فلم يؤمنوا بهم حتى نزلت بهم المثلات
فصاروا في حيز من يعتبر بعاقبته فلهذا الضمير حسن ان
تدخل حتى في قوله تعالى حتى اذا استيأس الرسل انتهى ولم يتلخص
لنا من كلامه شيء يكون حتى اي ما بعد قوله حتى اذا استيأس الرسل
غاية له لانه علق الغاية بما ادعى انه فهم ذلك من قوله تعالى
افلم يسيروا في الارض الى آخره الآية وقال ابو الفرج ابن
الجوزي رضي الله تعالى عنه المعنى متعلق بالآية الاولى فتقديره
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فدعوا قومهم فكذبوهم
وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى اذا استيأس
الرسل وهو نوع من كلام الزمخشري رضي الله عنه وقال القرطبي
رضي الله عنه في تفسيره والمعنى وما ارسلنا من قبلك يا محمد
الا رجالا ثم لم نعاقب اممهم بالعقاب حتى اذا استيأس الرسل
وقرئ كذبوا بالتشديد مبنيا للمفعول والضمير في قوله
وظنوا وفي انهم عائد على الرسل والظن بمعنى اليقين والمعنى
وايقنت الرسل انهم قد كذبهم اممهم وقرئ كذبوا بالتخفيف في الذال
مبنيا للمفعول ايضا والضمائر في ظنوا وفي انهم عائدة على
المرسل اليهم والمعنى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبهم من جاءهم
بالوحي وقرئ فننجي بنونين مضارع انجى ونجي بنون واحدة
وتشديد الجيم وفتح الياء مبنيا للمفعول وقرأت فرقة فنجي
بنونين مضارع انجى وبفتح الياء قال ابن عطية رواها هبيرة
عن حفص عن عاصم وهي غلط من هبيرة انتهى وليست هي بغلط
بل لها وجه من العربية وهو ان الشرط والجزاء يجوز ان يأتي
بعدهما المضارع منصوبا باضمار ان بعد الفاء كقراءة من قرأ قوله
تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر
بنصب فيغفر باضمار ان بعد الفاء ولا فرق في ذلك بين ان
تكون اداة الشرط جازمة او غير جازمة ومفعول يشاء محذوف
تقديره يشاء تنجيته ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين والباس هنا

الرسل

هو الهلاك

وهذه الجملة فيها وعد وتقديد لمقام النبي صلى الله عليه وسلم
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب الضمير في قصصهم
عائد على الرسل والرسل لهم وان درجت فيهم قصة يوسف وعبرة
وقرأ في قصصهم بكسر القاف حمزة ابن حبيب الاطاء عن الكسائي
والقصص هو عن عبد الواحد عن ابي عمرو ابي بكر وهي جمع قصة والعبرة
هي الدلالة التي يعتبر بها من العلم اي لذوي العلم والعبرة الاتعاظ والطاهر
ان اسم كان مضمر يعود على القصص اي ما كان القصص حديثا مختلقا
بل هو حديث صدق وكذب ما هي جاء به من لم يقرأ الكتب ولا تلمذ
لاحد ولا خالط العلماء واشتهرت بصدقه على انه حين كان المحمودية
بتقديره ولكن هو اي الحديث المستدل على قصص الانبياء تصديق الذي
بين يديه اي الكتب المنزلة الالهية وتفصيل كل شيء مما تحتاج
اليه في الشريعة وقرأ حمزة والكسائي تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكوفي تصديق
وتفصيل وهدى ورحمة بالرفع في الاربعة اي هو لكن وصديق
والجمهور بنصب الاربعة وقال قد الزمخشري ايضا
وما كان عندي من تراث وامته ولا دينه ولا كتب ما ذكر
وكن عطاء الله من كل رحمة اي كل محنة في السراء حضر
برفع عطاء على اضمار هو وبنصبه على اضمار كان وهدى اي سبب
هداية في الدنيا ورحمة اي سبب حصول الرحمة في الاخرة لقوم
يومنون وخص المومنون بذلك لانهم هم الذين ينتفعون
بذلك كما قال هدى للمتقين وتقدم اول السورة
قوله تعالى انا انزلناه قرانا عربيا وقوله نحن نقص عليك احسن
القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وفي آخرها فاكان حديثا يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه فلذلك احتمل ان يعود الضمير على
القرآن وان يعود على اقصص المتقدمة للانبياء عليهم الصلاة والسلام
سورة الرعد بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب
والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يومنون هذه السورة
مكية في قول وقيل مدنية واستثنى في كالقول آيات ذكرن في اثنين
وتقدم الكلام على الحروف المقطعة في اوائل السور في اول سورة البقرة
فليطالع هناك قال ابن عطية رضي الله عنه تلك اشارة الى آيات
السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك آيات السورة الكاملة العجيبة
في بابها وقيل تلك اشارة الى جميع كتب الله تعالى المنزلة وذكرن
الى تلك الآيات التي قصصت عليك خبرها هي آيات الكتاب الذي
انزل اليك قيل هذا الكتاب الذي انزلته اليك والاظهر ان
قوله والذي مبتدأ والحق خبره ومن ربك متعلق بانزل واكثر الناس

فلتراجع هذا

هو تمام

هو عام في اهل مكة اي في كفارهم وغرمهم ولما ذكر انتفاء
الايمان عن اكثر الناس ذكر عقيبه ما يدل على التوحيد وا لعا
وما يجدهم الى الايمان مما يعلم فيه العاقل قدرته وشاهد
من عظيم القدرة وبديع الصنع وهو الليل لانه مسدا والذي
هو الخلق والصبر في مرورها عائد على الشمول اي شامل وك
الشمول حالية عن عمد واحتمل هذا الوجه ان يكون مرفوعا
كلاما مستانفا واحتمل ان يكون جملة حالية اي رفعها
مرئية لكم بغير عمد وهو حال مقدرة لانه حين رفعها
لم يكن ثم مخلوقين وقيل ضمير الصفة في ترونها عائد
على عمد اي بغير عمد مرئية فترونها صفة للعمد وتقديم
تسخير ثم استوى على آخر سورة الرعد كل يجري لاجل مسمى قال ابن
عباس رضي الله عنهما منازل الشمس والقمر وهي الحدود
التي لا يتعداها ويدور فيما بينها سيرا خاصا به الى جهة
خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء انتهى والاجل
المسمى هو يوم القيامة وقيل بحيث ينقطع ذلك الجريان
والسير كما قال الله تعالى اذا الشمس كورت وقال تعالى
وجمع الشمس والقمر ومعنى تدبير الامر انفاذه وارادته
وابداعه وعبر بالتدبير تنبيها للافهام اذ التدبير
انما يكون النظر في ادبار الامور وعواقبها وذكر من صفات
السيد والامر تمام ملكوته وربوبيته وهو عام في
جميع الامور من ايجاد واعدام واحياء وامانة وانزال
وحي وبعث رسل وتكليف وغير ذلك وتفصيل الآيات
اي بين حججا وادلة تميز بعضها من بعض والايات
هنا والدلالة لانه وعلا جعلها في سموه وعلى وحدانيته
وهاتان الجملتان استئناف اخبار عن الله سبحانه وتعالى والخطاب
في لعلكم للكثرة وقد تكون بالحراء وبان هذا الدبر
المفصل لامة لكم من الوجوع اليه • وهو الذي مد الارض
وجعل فيها رواسي • وهذا الموطن من الرتعة قال ابو عبد الله
الرازي رضي الله عنه قد ثبت بالدلائل ان الارض كرة ولا بد في
ذلك قوله هذا الارض وذلك ان الارض جسم عظيم والكرة
اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح
والبساط وقد بينه ومن البسط لا يحصل الا في علم الله تعالى
الذي اخبر انه تعالى قد ذكر في آية اخرى فقال تعالى الم نجعل
الارض مهادا والجبال اوتادا مع ان العالم والناس عليها يتحركون
فكذلك هنا انما ذكر مد الارض ليستدل به على وجوده

وكونها مجتمعة تحت البيت على ما قيل وهذا امر غير مشاهد
ولا محسوس فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع فتاويل
مد الارض اي انه قد جعلها مختصة بمقدار معين وكونها
تقبل الزيادة والنقص فهذا امر جائز ممكن في نفسه فان
ذلك الاختصاص بذلك المقدار المعين لا بد ان يكون بتخصيص
مخصص وتقدير مقدر ولهذا يحصل الاستدلال على وجود الصانع
انتهى ملخصا والرواسي اي الثوابت والمعنى جبالا رواسي وايضا
فقد غلبت على الجبال وصفها بالرواسي فصارت تلك الصفة
تغني عن الموصوف فجمع جمع الاسم كالحائط اي كما تقول حائط وحوائط
وكاهل وكواهل وكانت الارض مضطربة فثقلها الله تعالى
بالجبال وفي اختارها فزال اضطرابها والاستدلال بوجود
الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم قيل من جهة ان طبيعة
الارض واحدة فحصول الجبال في بعض جوانبها دون بعض لا بد
ان يكون بتخليق قادر حكيم ومن جهة ما يحصل منها من المعادن
الجوهرية والرخامية وغيرهما كالنفط والكبريت يكون الجبل واحدا
في الطبع وتاثير الشمس واحد دليل على ان ذلك بتقدير
قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات ومن جهة تولد
الانهار منها قيل وذلك لان الجبل جسم صلب وتتصاعد
ابخرة تعد الارض اليه ثم تحتبس هناك ولا تتكامل فيه فيحصل
بسببه مياه كثيرة ولقوتها تشق الارض وتخرج وتسيل
على وجه الارض فلهذا في اكثر الامر اذا ذكر الله تعالى الجبال ذكر
الانهار كهذه الاية وكقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات
واسقيناكم ماء فرات اي عذبا والقى في الارض رواسي ان تميد
بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون والانهار قال المفسرون هي
المياه الجارية في الارض وتقدم الكلام في الانهار في اوائل سورة
البقرة ومن كل الثمرات متعلق بجعل ولما ذكر الانهار ذكر ما قد
ينشا عنها وهي هو الثمرات والزوج هنا يعني الصنف الواحد
الذي هو نقيض الاثنين يعني انه حين مد الارض جعل ذلك
ثم تكثرت وتنوعت وفي الارض قطع متجاورات الاية وقوله قطع
جمع قطعة وهي الجزء ومتجاورات اي متلاصقة متدانية
قريب بعضها من بعض قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ارض طيبة
وارض سبخة تنبت هذه وهذه الى جانبها لا تنبت وقرئ
وزرع ونخيل صنوان برفع الاربعة عطفا على جنات وبالجر عطفا
على من اعناب والصنو معناه هنا الفرع يجمعه واخر اصل
واحد واصله المثل ومنه قيل للعم صنو وجمعه في لغة اهل

الحجاز

الحجاز صنوان بكسر الصاد كقنو وقنوان وبضمها ايضا في لغة
تميم وقيس كذئب وذئبان ويقال صنوان بفتح الصاد
كنعمان وهو اسم جمع لا جمع تكسير لانه ليس من ابنيته
تسقى بماء واحد اي بماء مطر او بماء بحر او ماء نهر او ماء عين
او هما ماء نبع لا يسيل على وجه الارض وخص التفضيل في
الاكل وان كانت متفاضلة في غيره لانه اغلب وجوه الانتفاع
من الثمرات الا ترى الى تفاوتها في الاشكال والالوان والروائح
والمنافع وما يجري مجرى ذلك قيل نبه سبحانه وتعالى في هذه الاية
على عظيم قدرته وبديع حكمته وانه المدبر للاشياء كلها وذلك
ان الشجر يخرج اغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا يتاخر عنه
ولا يتقدم ثم يتصعد الماء في ذلك الوقت علوا وليس من
طبعه الا التسفل ثم يتفرق ذلك الماء في الورق والاغصان
والثمر كل بقسطه وبقدر ما فيه صلاحه ثم يختلف طعوم
الثمار والماء واحد والشجر جنس واحد وكل ذلك دليل
على مدبر دبره واحكمه لا يشبه المخلوقات ان في ذلك لآيات قال ابن
عباس اي في اختلاف الالوان والروائح والطعوم لآيات اي
حججا ودلالات لقوم يعقلون اي يعلمون الادلة فيستدلون
بها على وحدانية الصانع القادر ولما كان الاستدلال في هذه
الاية باشياء في غاية الوضوح من مشاهدة تجاور القطع
والجنات وسقيها وتفضيلها جاء ختمها بقوله لقوم يعقلون بخلاف
الاية التي قبلها فان الاستدلال بها يحتاج الى تامل ومزيد
نظر وجاء ختمها بقوله لقوم يتفكرون وان تعجب فعجب قولهم
ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد الاية لما اقام الدليل على عظيم
قدرته بما اودعه من الغرائب التي في ملكوته التي لا يقدر عليها
سواه عجب رسوله صلى الله عليه وسلم من انكار المشركين وحدانية
سبحانه وتعالى وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فنزل
وان تعجب الى اخره قال ابن عباس رضي الله عنهما اي وان تعجب يا محمد
من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا قد حكموا عليك من انك من
الصادقين فهذا القول اعجب وقال الزمخشري رضي الله عنه
وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق
بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من
الوطر العظيمة اولئك اشارة الى القائلين بتلك المقالة وهي توبيخ
وانكار عليهم والظاهر ان الاغلال تكون حقيقة في اعناقهم في الاخرة
كما قال الله عز وجل اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون
في الحميم ولما كانوا متنوعين بالعذاب ان اصروا على الكفر وكانوا مكذبين

بما أنذروا من العذاب سألوا واستعجلوا في الطلب وبأنهم العذاب
وذلك على سبيل الاستهزاء كما قالوا فأمطر علينا حجارة من السما
أو ائتنا بعذاب أليم كما زعمت علينا كسفا قال ابن عباس رضي
الله عنهما استبطأ العذاب والحسنة العافية وقد خلت
من قبلهم المثلات أي سيستعجلونك بالسيئة مع علمهم بما حل
بغيرهم من مكذبي الأمم السالفة وهذا يدل على سخف
عقولهم إذ يستعجلون بالعذاب والخاسر هذا فلو أنه لم يسبق
تعذيب أمثالهم كانوا يرون بما يكون لهم عذرا ولكنهم لا يعتبرون
فيستمرون وإن قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والمثلات هي
العقوبات الشنعاء صلات كمثلة قطع الأنف والأذن ونحوها
وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ترجية للعصاة وعلى
ظلمهم في موضع الحال والمعنى أنه يغفر لهم مع ظلمهم أنفسهم إذ
لم يكتب الله تعالى على ظالمي أنفسهم قال ابن عباس رضي الله عنهما
ليس في القرآن آية أرجى من هذه الآية وإن ربك لشديد
العقاب وفي هذه الآية الكريمة تخويف وإرهاب بعد ترجية
وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال
عليه الصلاة والسلام لولا عفو الله تعالى ومغفرته لما هنئ أحدا
عيش ولولا عقابه لاتكل كل أحد وفي حديث آخر إن المؤمن
لو علم قدر عفو الله تعالى لما أمسك عن ذنب ولو علم الكافر قدر
نقمة نفسه من عباده عز وجل ويقول الذين كفروا لولا
أنزل عليه آية من ربه روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه
قال لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
على صدره الشريف وقال أنا المنذر وأومأ بيده إلى منكب
علي رضي الله عنه وقال أنت الهادي يا علي بك يهتدي من
بعدي أنه تعالى علم ما يحمل كلامي منا شبهة هذه الآية كما قلنا
أنه لما تقدم إنكارهم النعت لتعرف الأحوال واختلاط بعضها
ببعض بحيث لا يهتدى إلا بإرشاد بين أنه على إحاطة علمه سبحانه
وتعالى وأن من كان عالما بجميع المعلومات لا يقدر على إعادة
ما أبداه أقول الله تعالى أعلم لو كلام مستأنف مسوق لخبر وما
موصولة والعائد محذوف تقديره يحمله وهو ما من حمل الأنثى
لا من حمل الظهر وما تغيض الأرحام وما تزداد قال ابن عباس
رضي الله عنهما أي تنقص من الخلقة وتزداد أي فيتم وظاهر
عموم قوله وكل شيء عنده بمقدار أي بحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه
والمراد من الصيرورة العلم أي معلوم عالم تكميته كل شيء وكيفيته على الوجه
المفصل البين فامتنع وقوع اللبس في تلك المعلومات ولما ذكر

سبحانه وتعالى

سبحانه وتعالى انه عالم بجميع الاشياء خفية لا يعلمها
الا هو وكانت اشياء جزئية من خفايا علمه تعالى ذكر انه
محيط اي ان علمه محيط بجميع الاشياء فعلمه تعالى متعلق
بما يشاهده العالم تعلقه بما يغيب عنهم والكبير هو
العظيم الشان الذي كل شيء دونه والمتعال اي المستعلي
على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المحدثين وتعالى
عنها ولما ذكر تعالى انه عالم الغيب والشهادة على العموم ذكر
تعالى تعلق علمه بشيء خاص من احوال المكلفين فقال
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الاية والمعنى سواء في
علمه تعالى المسر بالقول والجاهر به لا يخفى عليه شيء من
اقواله واحواله وسواء قد تقدم الكلام فيه وفي معانيه وهو
هنا بمعنى مستو عنده تعالى واعربوا سواء مبتدا مقدم
ومن اسر والمعطوف عليه مبتدا ويجوز ان يكون سواء مبتدا
لانه موصوف بقوله منكم ومن والمعطوف عليه الخبر
قال ابن عباس مستخف اي مستتر وسارب اي ظاهر وقوله
وسارب هو معطوف على مستخف ومن موصول يراد به
التثنية وحمل على المعنى في تقسيم خبر المبتدا الذي
هو هو وعلى لفظ من في افراد هو والمعنى سواء اللذان
هما مستخف بالليل وسارب بالنهار وانظر لما حسن هذه
المقابلات في قوله تعالى تغيض وتزداد والغيب والشهادة
واسر وجهر ومستخف وسارب والليل والنهار له معقبات
من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله والضمير في له
عائد على الله سبحانه وتعالى اي لله معقبات ملائكة من بين
يدي العبد ومن خلفه والمعقبات على هذا الملائكة الحفظة
على العباد اعمالهم والحفظة لهم ايضا قاله الحسن رضي الله تعالى عنه
وروي فيه حديث عن عثمان بن عفان ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الزمخشري رضي الله تعالى عنه والاصل معتقبات فادغمت
التاء في القاف كقوله تعالى وجاء المعذرون يعني المعتذرون
ولما ذكر احاطة علمه تعالى بخفايا الاشياء وجلاياها وان
الملائكة تعتقب على المكلفين لضبط ما يصدر منهم وكان
الصادر منهم خيرا وشرا ذكر تعالى ان ما خولهم فيه من النعم
واسبغ عليهم من الاحسان لا يزيله عنهم الى الانتقام منهم الا
بكفر تلك النعمة واهمال امره بالطاعة واستبدالها بالمعصية
فكان في ذكر ذلك تنبيه على لزوم الطاعة وتحذير من وبال
وبال المعصية والظاهر انه لا يقع تغيير النعم بقوم

جميع تغييرهم بالماضي والسوق بحكم كل ما يسوء من
فقر وعذاب وغير ذلك من البلاء نسأل الله تعالى
السلامة من ذلك كله بمنه وكرمه وقوله وما لهم من دونه من
والٍ أي من ملجأ فلا يجدون إليه غيره ما للكفر وكم الترق
خوفا وطمعا وبني السحاب الثقال الحوامل تعالى العباد
بقوله وإذا أراد الله قوم سوءا فلا مرد له اتبعه بما يشتمل على
أمور الله على قدرة الله تعالى وحكمته تنشئة النعم من وجه
وتنشئة النقم من وجه وتقدم الكلام في البرق والرعد
والصواعق وطمعا في الغيث وقالوا واعلم أن الله الذي رضي الله عنه
اعلم أن المحققين من الحكماء ذكروا أن هذه الأنواء العلوية
إنما تتم بقوى روحانية فلكية وللسحاب روح معين
من الأرواح الفلكية قدس وكذا القول في الرياح وفي سائر
الآثار العلوية وهذا عين ما قلناه أن الرعد اسم لملك من
الملائكة يسبح الله تعالى فهذا الذي قرره المفسرون هو بهذه
العبارة وفحوى ما ذكره المحققون من الحكماء والأدباء فكيف
يليق بالعاقل الأكياس أن يهزأ وهذا الرجل عرضه حزبان
أن يتحمل الثقلاء سفه مباحث الشريعة وأن يكون ذلك الذي
وقد تقدمت أقوال المفسرين في الرعد في سورة البقرة
فلم يجمعوا على أن الرعد اسم لملك وعلى تقدير أن يكون هو اسم الملك
فلا يلزم أن يكون ذلك الملك مدبر السحاب والمعنى فالرعد
مثل ذلك الأمر الذي لمشهود له بالعصمة لأمن الله الأسفر الضلال
والطاهر عود الضمير في قوله من خيفته على اسم الجلالة تعالى كما
ذلك عائد في قوله بحمده ومعنى من خيفته أي من هيبته وجلاله
ومن معقول بيصيب وهو من باب الاعمال إعمال الثاني
إذ من شأنه يطلب من ويصيب بطلبه ولو أعمل الأول
لكان التركيب في غير القرآن ويرسل الصواعق فيصيب بها
من يشاء لكن جاء على الكثير في لسان العرب المحتاج عند
البصريين وهو إعمال الثاني ومعمول سيأتي محمد وفي قدرته
من يشاء إصابته والضمير في وهم عائد على الكفار
المكذبين الرسول المنكرين الآيات يجادلون في قدرة الله
تعالى على البعث وإعادة الخلق بعد تمزيق من يحيي العظام
وهي رميم وفي وحدانيته بإنجاد الأنداد وإن قدر وسنة
التي لا تبديل لها يقولهم الملائكة تسبيح لله والمحال بكسر الميم
العداوة يعني لمن جادل في الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما
والضمير في له عائد على الله سبحانه وتعالى ودعوة الحق وقال ابن

عنهما دعوة الحق هي قول لا اله الا الله
وما لها من الشريعة في معناها قال الزمخشري رضي الله عنه
له دعوة الحق فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى
الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قوله
كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة
به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه وتعالى
وعد فيما شرع من الدعوة ويعطي الداعي ما سأله وان
كان مصلحة لم يفعله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا
بان يوجه اليه الدعاء الى دعوة من الجزئي ومن التمتع
بخلاف ما لا يجزي ولا ينفع دعاؤه والثاني ان تضاف
الى الحق الذي هو الله سبحانه وتعالى على معنى دعوة المدعو
الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رضي الله تعالى عنه
الحق هو الله تعالى فكل دعاء الى الله هو دعوة الحق انتهى وهذا
الوجه الثاني الذي ذكره الزمخشري لا بأس به والظاهر ان هذه
الاضافة من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله تعالى ولدار
الآخرة خير على احد الوجهين والتقدير له الدعوة الحق بخلاف
غيره فان دعوتهم باطلة والمعنى ان الله سبحانه وتعالى
له الدعوة الحق اي الدعوة الحق وله ذكر سبحانه وتعالى حال
الكفار له تعالى وكان حقه ان يأتي الضمير مكانه فيقال
ان الذين تدعونهم فوضع الموصول موضع الضمير
في قوله تدعون غاية في التعجب على الكفار والتعجب على الذين يحذف
اي يدعونهم مريدون به تعالى والضمير غاية في التعجب على الله سبحانه وتعالى
وقوله الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه
شبههم في قلة جدوى دعائهم له تعالى بمن اراد ان يغرف
الماء بيديه ليشربه فبسطهما تحت الماء صاعدا فلم يبق كفاه
من الماء شيئا فلم يبلغ فمه من شربه وهذا مثل
عظيم في الحسن لدعائهم لانهم قال الله عز وجل وما دعاء
الكافرين الا في ضلال اي خيبة واضمحلال
لانه لا يجدي شيئا ولا يفيد فقد ضل عنهم الدعاء عنهم كما
ضل المدعوون قال الله عز وجل ان ما تدعون من دون
الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيئا ولله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال
الآية ان كان السجود هنا بمعنى الخضوع والانقياد فمن عم منهما

أي ينقاد كل منهم لما أراده تعالى بهم شاؤوا أم أبوا وينقاد له تعالى
ظلالهم بالغدو والآصال حيث هي على مشيئته من الامتداد
والتقلص والفيء والزوال وإن كان السجود عبارة عن الهيئة
المخصوصة وهو وضع الجبهة بالمكان الذي يكون فيه الواضع
فيكون عاما مخصوصا إذ يخرج منه من لا يسجد ويكون قد
عبر بالطوع عن سجود الملائكة والمؤمنين وبالكره عن سجود
من ضمه السيف إلى الإسلام والذي يظهر أن مساق هذه الآية
إنما هو أن العالم مقهور تحت الله سبحانه وتعالى خاضع له ولما أراد
منه مقصور على مشيئته لا يكون منه إلا ما قدر تعالى فالذين
يعبدونهم كائنا ما كانوا داخلون تحت القهر ويدل على هذا
المعنى تشريك الظلال في السجود والظلال ليست أشخاصا
يتصور منها السجود أي بالهيئة المخصوصة ولكنها داخلة
تحت مشيئته تعالى يصرفها على ما أراد إذ هي من العالم فالعالم
جواهره وأعراضه داخلة تحت إرادته سبحانه وتعالى كما قال
تعالى أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين
والشمائل سجدا لله وهم داخرون الآية قال الفراء رضي الله عنه
الظل مصدر يعني في الأصل ثم أطلق على الخيال الذي يظهر
للجرم وطوله بحسب انحطاط الشمس وقصره بسبب ارتفاعها
فهو منقاد لله سبحانه وتعالى في طوله وقصره وميله من جانب
إلى جانب وخص هذان الوقتان بالذكر لأن الظلال إنما تكثر
وتعظم فيهما وتقدم شرح الغدو والآصال في آخر سورة
الأعراف قل من رب السموات والأرض قل الله الآية أي ومعنى
الآية أي قل يا محمد للكفار من رب السموات والأرض استفهام
تقرير واستنطاق فإنهم يقولون الله فإذا قالوها قل الله
الله أي هو كما قلتم وروي أنه لما قال هذا للمشركين عطفوا
عليه فقالوا أجب أنت فأمره الله تعالى فقال قل الله أي لا أحدا
غير الله انتهى واستفهم بقوله قل أفاتخذتم على سبيل التوبيخ والإنكار
أي بعد أن علمتم أنه تعالى هو رب السموات والأرض تتخذون
من دونه أولياء وتتركونه فجعلتم ما كان يجب أن يكون سببا للتوحيد
أي من علمكم وإقراركم سببا للإشراك ثم وصف تلك الأولياء بصفة
العجز وهي بكونها لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ومن هو بهذه
المثابة فكيف يملك لكم نفعا وضرا ثم مثل ذلك بحالة الكافر وبحالة
المؤمن ثم حالة الكفر والإيمان وأبرز ذلك في صورة الاستفهام
الذي يبادر المخاطب إلى الجواب فيه من غير فكر ولا رؤية بقوله قل
هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ثم انتقل

إلى الاستفهام

الى الاستفهام عن الوصفين القائمين بالكافر وهو الظلمات
وبالمؤمن وهو النور وتقدم الكلام في جمع الظلمات وافراد
النور في سورة البقرة وام في قوله ام هل منقطعة بتقدير
بل والهمزة على المختار والتقدير بل اهل تستوي الظلمات
والنور وهل وان نابت عن همزة الاستفهام في كثير من المواضع
فقد جامعتها في قول الشاعر اهل رأونا بوادي الحمى ذي الاكم
ومثال قوله تعالى ام هل في الجمع بين ام وهل قول علقمة
ام هل كثير بكاء لم تقض عبرته ثم انتقل الى الاخبار عنهم
غائبا من خطابهم اعراضا عنهم وتنبيها على توبيخهم في جعلهم
شركاء وهم وتعجيبا منهم وانكارا عليهم وتضمن هذا الاستفهام
التهكم بهم لانه معلوم بالضرورة ان هذه الاصنام وما قد
اتخذوه من دون الله اولياء وجعلوهم شركاء لا تقدر على
خلق ذرة ولا ايجاد شيء البتة والمعنى ان هؤلاء الشركاء اهم
خالقون شيئا حتى يستحقوا العبادة وجعلهم شركاء لله تعالى اي
جعلوا لله شركاء موصوفين بالخلق مثل خلق الله تعالى فيتشابه
ذلك عليهم فيعبدونهم ومعلوم انهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
فكيف يشركون في العبادة افمن يخلق كمن لا يخلق ثم امره
تعالى فقال قل الله خالق كل شيء اي موجد الاشياء كلها معبوداتهم
وغيرها وهم ايضا مقرون بذلك ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله واحتمل ان يكون قوله وهو الواحد القهار داخلا
تحت الامر بقل فيكون قد امر ان يخبر بانه تعالى الواحد
المتفرد بالالهية القهار الذي جميع الاشياء تحت قدرته وارادته
وقهره واحتمل ان يكون استئناف اخبار منه تعالى بهذين الوصفين
الوحدانية والقهر فهو تعالى لا يغالب وما سواه مقهور له تعالى
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الآية هذا مثل ضربه
الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء مثل القرآن
لما فيه من حياة القلوب ونقاء الشرع والدين والاودية مثل
القلوب ومعنى بقدرها اي على قدر سعة القلوب وضيقها فمنها
ما انتفع به فحفظه ووعاه وتدبر فيه فظهرت ثمرته وادرك
تأويله ومعناه ومنها من هو دون ذلك بطبقة ومنها من
هو دون ذلك بطبقات كثيرة والزبد مثل الشكوك والشبه
وانكار الكافرين انه كلام الله عز وجل ودفعهم اياه
والماء الصافي المنتفع به مثل الحق وفي الحديث الصحيح ما يؤيد
هذا التأويل وهو قوله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثت به
من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا وكانت منها طائفة طيبة

قتلت المآ فانبت الكلاء والعشب الكثير وكانت منها طائفة
اجادب فامسكت المآء فانتفع الناس به وسقوا ورعوا
وكانت منها قيعان لا تمسك مآء فانبتت كلأ فذلك مثل
ما بعثت به من العلم والهدى ومثل من لم يقبل هدى الله تعالى
الذي ارسلت به والمآء هنا المراد به المطر وسمّاه ودية
لان المطر انما يترك على طرق السيل وفي مسيل بعض الاودية
دون بعض والاودية جمع وادٍ كقاضٍ واد وآدٍ وآدية والنبذ
قال ابن مالك رضي الله عنه وصدر الغيثان وحبّه وقال
بعضهم ايضا فما العرف اذا هبت الرياح لم ترمي عوارفه
الثمر بن بالنبذ ومعنى نقدرها اي على قدر صغرها
وكبرها اه وما قدرها من السماء بسبب نفع الممطور
عليهم لاصرمهم الا ترى الى قوله سبحانه وتعالى واما ما ينفع
الناس فيمكث في الارض فالمطر الجيد تمرّ واقع حالا من
الضرر وغرف السيل لامد عيه بما فيها من الغثاء واحتمل
بمعنى حمل كما قدر وقدر ورابيا بجيم مستعليا عاليا
على وجه السيل وفيه الربوة ومما توقدون اي من الاشياء
التي قد توقد عليها وهي الذهب والفضة والحديد
والنحاس والرصاص والقصدير ونحوهما مما يوقد عليه ولا
نبذ وانتصب ابتغاء على انه مفعول من اجله والخبثة
ما تعمل للسماء فما ينزل به من الذهب والفضة
والحلية والمتاع ما يتخذ من الحديد والنحاس وسبكهما
من الآلات التي من قوام المعيش كالاواني والمساحي وكذا
الآلات الحرث وقطاعات الاشجار والسكك وغير ذلك وقيل
ان الزبد هو بعض ما يوقد عليه من ذلك المعادن ومن
ايضا قولك لابتدا الغاية اي ومنه يستفاد زبد مثل
الماء والمماثلة في كونهما متولدان من الاوساخ والاكدار
كذلك يضرب الله الحق والباطل فشبه الحق بما يخلص
على احد في مضى اي مثل الحق والباطل فشبه الحق بما يخلص
من خرم هذه المعادن من الاقذار والخبث ودوام الانتفاع
بها وشبه الباطل بالزبد المجتمع من الخبث والاقذار والانتفاع
به ولا قيمة وفصل ما سيق ذكره مما ينتفع به ومن ان مثل ما
بالزبد اه والتاخير في قوله زبدا رابيا وانتصب جفاء
على الحال اي مضمحلا من لاشيا لا مستقرّ له ولا انتفاع به
ولا قيمة وفصل ما سيق ذكره مما ينتفع به وبي طريقة
فصيحة كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقال

الانباري رضي الله عنه جفاء يعني متفرقا من جفأت
الريح الغيم اذا قطعته وجفأت الرجل صرعته ويقال
جفأ الوادي واجفأ اذا انشف واقفر واما ما ينفع
الناس فيمكث في الارض اي من الماء الخالص من الغثاء ومن
الجوهر المعدني الخالص من الخبث فيمكث في الارض لانتفاع
الناس به والكاف في موضع نصب اي مثل ذلك الضرب
كمثل الحق والباطل يضرب الله الامثال والظاهر انه
لما ضرب هذا المثل للحق والباطل انتقل الى ما لاهل
الحق من الثواب واهل الباطل من العقاب فقال للذين
~~احسنوا الحسنى وزيادة~~ استجابوا لربهم الحسنى اي للذين
دعاهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فاجابوه
الى ما دعاهم اليه من اتباع دينه الحالة الحسنى وذلك هو
النصر في الدنيا وما اختصوا به من نعمه سبحانه وتعالى ودخول
الجنة في الآخرة فالحسنى مبتدا وخبر في قوله للذين قال
الزمخشري رضي الله عنه للذين استجابوا متعلق بيضرب
اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا
ولله قرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا للفريقين
والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة وقوله
في هذين الموضعين اي ان الله تعالى قد ضرب امثالا كثيرة
في هذين وفي غيرهما ولانه فيه ذكر ثواب المستجيبين وقوله
عز وجل لو ان لهم ما في الارض جميعا الى آخره قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما معنى الآية يعني ان لا تقبل حسناتهم ولا تغفر سيئاتهم
وتقدم تفسير مثل وماواهم جهنم وبئس المهاد قال الله عز
وجل افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر
اولوا الالباب الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآيات
في حمزة وابي جهل ولما ذكر سبحانه وتعالى المؤمن والكافر وذكر ما
من الثواب وما للكافر من العقاب ذكر استبعاد من يجعلهما
سواء وانكر ذلك فقال افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك
الحق كمن هو اعمى اي ليسا مشتبهين لان العالم بالشيء بصير
به والجاهل به كالاعمى والمراد عمى البصيرة ولذلك قابله
بالعلم والهمزة للاستفهام ثم ذكر انه لا يتذكر بالموعظة
وضرب الامثال الا اصحاب العقول والظاهر ان قوله ولا ينقضون
الميثاق جملة توكيدية لقوله يوفون بعهد الله لان العهد هو
الميثاق ويلزم من ايفاء العهد انتفاء نقضه وما امر الله به ان

للمؤمن

يوصل

ظاهره العموم في كل ما امر به في كتابه وعلى لسان رسله عليهم
الصلاة والسلام ويخشون ربهم اي وعيده كله ويخافون
سوء الحساب اي استقصاءه فيحاسبون انفسهم قبل ان
يحاسبوا والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وقوله صبروا
هنا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس وفي
الاموال ولذلك لم تات صلة في القران بالصبر الا
بصيغة الماضي اذ هو شرط في حصول التكاليف وايقاعها
ويدرؤن اي يدفعون الشر بالخير وعقبى الدار هي
عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله تعالى ان تكون
عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار
ويحتمل ان يراد عقبى دار الاخرة لدار الدنيا اي العقبى الحسنة
في الدار الاخرة هي لهم ويحتمل ان يكون جنات خبر مبتدا
محذوف تقديره هي جنات والظاهر ان ومن معطوف على
الضمير في يدخلونها وقد فصل بينهما هنا بالمفعول والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب اي بالتحف والهدايا من الله عز
وجل تكرمة لهم وارتفع سلام على الابتدا وعليكم
الخبر والجملة محكية بقول محذوف اي فنعم عقبى
الدار الجنة او فنعم عقبى الدار الصبر والمخصوص هنا
بالمدح محذوف وبما صبرتم متعلق بذلك المحذوف
الذي هو يقولون سلام عليكم بسبب صبركم اي تحية الملائكة
لهم ودخولهم عليهم من كل باب بالتحف والهدايا هو
بسبب صبرهم والذين ينقضون عهد الله الاية لما ذكر
حال السعداء وما ترتب لهم من الامور السنية الشريفة ذكر
حال الاشقياء وما ترتب لهم من الامور المخزية وتقدم تفسير
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه في اوائل البقرة
وترتب هناك للسعداء التصريح بعقبى الدار وهي الجنة
واكرام الملائكة لهم بالسلام وذلك هو غاية القرب والتانيس
وهنا ترتب للاشقياء البعد من رحمة الله تعالى وسوء الدار اي
الدار السوء وهي النار او سوء عاقبة الدار وسكون دار الدنيا
ولما كان كثير من الاشقياء قد فتحت عليه نعم الدنيا
ولذاتها اخبر تعالى انه هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
والكفر والايمان لا تعلق لهما بالرزق فقد يقدر على المؤمن
ليعظم اجره ويبسط الكافر املاء لازدياد اثامه ويقدر
مقابل يبسط وهو التضييق والضمير في وفرحوا عائد على الذين

يعني الابعاد

ينقضون

تستقصون وحتى انتهاء اخبار عن حقائهم عما اوقع من سطوة
الله تعالى عليهم وفرحهم هو فرح بطر لا فرح سرور بفضل
الله تعالى ولا نعامه عليهم ومتاع معناه واهية مضمحلة
سيتمتع به قليلا ثم يزول ويفنى كما قال الشاعر
فحيي ذلك • انت نعم المتاع لو كنت تبقى • غير ان لا بقاء
للانسان • ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه
هذه الآية نزلت في قوم من مكة طلبوا مثل اية الناقة مبالغة
المتعنتة والملتمس ذلك الحرث بن عبد الله بن ابي امية واصحابه
فرد الله سبحانه وتعالى على مقترحي الآيات من كفار
قريش ان الامر بيد الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من
يشاء ومفعول يشاء محذوف فقدير من يشاء اضلاله
واليه متعلق بمنيب اي الى طاعته والذين امنوا مبتدأ
من منابه اذا تاب وتطمئن القلوب اي سكون بعد الاضطراب
من حشية نقلي وذكر الله تعالى ذكر رحمته ومغفرته
والذين تبدل من الذين المتقدم قبلها او هو خبر مبتدا محذوف
تقديره هو كما تقدم اي والذين يوفون بعهد الله الى آخره او هو
مبتدا خبره ما بعده وطوبى فعلى من الطيب قلبت واوه
ياء لضمة ما قبلها كما قلبت في موسر وطوبى مبتدا خبره
لهم وحسن مآب معطوف عليه وطوبى ناشئة من
الطيب وكان القياس ان تكون بالالف واللام وقد جاء
نظيره نحو الف ولام كقولهم تن سعى دنيا طال ما قد مرت
وقوله الآخر وان دعوت الى مكرمة • يوما كرام الناس فادع فادعنا
الناس فادعوتا عيا • وقوله قد خلت من قبلها امم اي رسل امم
وقوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك او صفة لمفعوله ارسلناك
وهم يكفرون بالرحمن هذه جملة حالية اي ارسلناك في امة
رحمة لها شأنها وهم يكفرون اي والحال هؤلاء انهم يكفرون
بالرحمن المنبع الرحمة والظاهر ان الضمير من قوله وهم
عائد على امة الرسل المرسل اليهم الرسول عليه الصلاة والسلام
والامة التي ارسلت اليهم انما جميعهم جاءتهم الرسل وهم بين
دين الكفر فكون في ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ امته مثل الامم السالفة وتنبيه على الوصف الموجب لارسال
الرسول عليه الصلاة والسلام وهو الرحمة الموجبة لشكر الله تعالى
على الملاءة عليهم ببعثة الرسول عليه الصلاة والسلام والايمان به
• ولو ان قرانا سيرت به الجبال الآية قال ابن عباس وعشرة ان
الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم سير عنا جبال مكة فقد ضقنا

حل ر

علينا واجعل لنا ارضنا قطعا غراسة واجعل لنا اباء فاراحذا دنا
وقلاما وقلنا ما الاعزك ما ارجوه فنزلت مقسمة انهم لا يومنون
ولو كان ذلك كله ولم يذكر سبحانه وتعالى علة ارساله واي بلاوة
ما ان كاد الله ذكر بعظيم هذا الموحى وانه لو كان قرانا سيرت
الجبال عن مقارها او تقطع به الارض حتى تنزل قطعا
قطعا او تكلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران
لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما
قال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
اكا ية تجواب لو محذوف وهو قارعة ونحوه ان يكون
جواب لو اي لما امنوا ولله الامر جميعا بل هنا للانتقال
اي ان الايمان والكفر مبدا هما عروض تحكمهما من شاء من
عباده والمبدا المنوط من الشيء وهو هنا في قول الاكرين
بمعنى العلم كما مر قيل افلم يعلم الذين امنوا قال القاسم بن معن
اي لغة هوازن وقال ابن الاعرابي رضي الله عنه هي لغة حي
من النخع وابشد والسجع ابن دهل الرياحي
اقول لهم بالشعب ايسر فيئنا الم تياسوا اني ابن فارس زهدم
وان لو شاء فله قسم محذوف تقديره واقسم ان لو يشاء الله
وقد صرح بالقسم قبل ان ولو في قول الشاعر
وانا لقوم ان لو التقينا وانتم لكان لنا يوم من الشر مظلم
وان زائدة في هذا التركيب كما نص عليه سيبويه رضي الله عنه
ومفعول يشاء محذوف تقديره لهداية وجواب لو لهدى
الناس ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل
قريبا من دارهم اي بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة او داهية
تقرعهم بما تحل الله تعالى بهم في كل حين من صنوف البلايا
والمصائب في نفوسهم واموالهم واولادهم او تحل القارعة
قريبا من دارهم فتزعجهم وتضطرهم وتطاير اليهم شررها
وتعديهم سريرها حتى ياتي وعد الله وهو موتهم او القيامة
وقد سلمنا في رسل من قبلك الاية تقدم الكلام على تفسير نظير
هذه الاية افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الاية اي انه
تعالى محيط باعمال عباده فمجازيهم عليها ولما ذكر ما اعد الله تعالى
للكفار في الاخرة ذكر ما اعد للمتقين فقال تعالى مثل الجنة
اي صفتها التي هي غرابة المثل وشيوع مثلية الشيء اذا وصفته
وقرنته للفهم ليتمرن هنا ضرب مثل فهو كقوله تعالى وله المثل
الاعلى لك الصفة العليا وان كل هو ما نوكافيم وقيل واحد

اي انها لا تقطع

اى ان امره لا ينقطع ابدا كما قال الله تعالى في امته انها موجودة
ولا ممنوعة تلك ان تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الشرك
والذين امتياهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك الاية نزلت
في موسى واهل الكتابين ممن اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام
وكعب الاحبار وغيرهما وممن اسلم من الحبشة ايضا ومن
النصارى اهل نصارى نجران وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
واثنان وثمانون بارض الحبشة ومن الاحزاب اى ومن احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة
نحو كعب بن الاشرف واصحابه واستدراج الكافر استفعل
من الدرج ان يأخذ شيئا فشيئا حتى يتمكن منه كانوا لا ينكرون الا قليلا
من بعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف
وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام وصفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد لا تخل بهوته ونبوته وغيره دليل ما حرفوه
وبدلوه الية ادعوا اى الى شرعه ودينه وكيفية مآب اى
مرجعي في جميع الاحوال في الدنيا والاخرة وكذلك اى مثل
ما انزلنا الكتب على الانبياء قبلك لان قوله والذين اتيناهم
الكتاب يتضمن ان الله تعالى انزل الكتب وهذا الذي انزلناه
بلسان العرب بلسان من نزلت عليه وارادة الحكم آية
تفصل بين الحق والباطل وحكما منتصب حكما على الحال
من ضمير النصب في انزلناه والضمير هاء عائد على القرآن والحكم
هو ما تضمنه القرآن من المعاني والكلمات العائدة عن لسان
العرب نسبة اليها ولئن اتبعت اهواءهم الخطاب لغير الرسول
عليه الصلاة والسلام لان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من
اتباع اهوائهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية الاية قال الدلجي رضي الله تعالى عنه عيرت اليهود رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما ترى لهذا الرجل همة الا النكاح والنساء
ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فنزلت هذه
الاية قبل وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون ان النسخ
قد اذن الله تعالى عليهم بان الرسل قبله كانوا يعملون بشريعة ذوات ازواج وذرية
وما كان لهم ان ياتوا بايات براهين ولا يأتون بما يقترح عليهم ابدا
والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات وتتغير
وقت حكم حكم فيه على العباد اى بتبين علمهم ما يريده تعالى
وقوله تعالى لكل اجل كتاب لفظ عام في المسائل لبا اجال
لانه ليس منها شيء الا وله اجل في الكتب الاية وخاصته وذلك
الاجل مكتوب ومحفوظ والظاهر ان المحو عائد على ما نسخ من الشرائع والاحكام

والدرجات عبادة عن دوامها وتمرارها وتعاقبها اي يمحوا ما يشآ
محوه ويثبت ما يشا اثباته وعنده ام الكتاب هو ديوان
الامور المحدثة التي قد سبق في القضاء ان تبدل وتمحى وتثبت
واما من ذلك فقد تقدم الكلام عليه في سورة يونس عليه الصلاة
والسلام واما ما قاله الحوفي وغيره فانما عليك جواب الشرط
والذي تقدم شرطان لان المعطوف على الشرط شرط اما كونه
جواب الشرط فليس بظاهر لانه لا يترتب عليه اذ يصير المعنى
واما نرينك بعض ما نعدهم به من العذاب فانما عليك البلاغ
واما كونه جوابا للشرط الثاني وهو ان نتوفينك فذلك
لانه لا يصح التقدير ان ما نتوفينك وانما عليك البلاغ
لا يترتب وجوب التبليغ عليه اذ ذاك على وفاته عليه الصلاة
والسلام لان التكليف يسقط بعد الوفاة فيحتاج الى تاويل
وايضا ان تقدر لكل شرط منهما ما يناسب ان يكون جزاء
مترتبا عليه وذلك ان يكون التقدير والله اعلم وان
نرينك بعض الذي نعدهم به من العذاب فذاك لما قد
من اعدائك ودليل على صدقك اذ اخبرت بما يحل بهم ولم يعين
زمان حلوله بهم لامحقت لحكمة العفو الكريم الذي يكفل له
الشيء فيضبطه وحقيقته الذي تقتضيه اي بالرد والابطال وقيل
قل لصاحب الحق محقت لانه يقتضي غريمه بالاقتضاء والطلب
والمعنى انه حكم الاثام المحلة والاه قتال وعلى الكفر بالاوزار
والاثقال والجملة من قوله لا محقت حكمه في موضع الحال اي ما هذا
حكمه وليس بنبي الحساب وقد تقدم الكلام على ذلك ثم اخبر
سبحانه وتعالى ان الامم السابقة كان يصدر منهم المكر
بانبيائهم كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم وان ذلك
عادة الملل مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فكر ابراهيم نمرود وموسى
فرعون ومكر اليهود بعيسى عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين الصلاة
والسلام وقد جعل الله تعالى مكرهم لا مكر اذ اضاف الكل لنفسه
تعالى فلم ما تكسب كل نفس والمعنى يجازي كل نفس بما كسبت
ثم هدد الكافر بقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار اذا باشره
العذاب من حيث لا يدري غفلة عنه فحينئذ يعلم لمن هي العاقبة
المحمودة ولما قال الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم لست مرسلا اي انما انت
مدع ما ليس لك امره الله سبحانه وتعالى ان يكفي شهادته عز وجل بينه
وبينهم والكتاب هنا هو القرآن والمعنى ان من عرف ما اودع فيه من
الصحيح والنظم المعجز لعلم يقينا قدرة الله تعالى فيشهد بذلك اشهد واعلم

تفسير الرعد

سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك هذه الاية
السجدة مكية كلها في قول الجمهور وعن ابن عباس وقتادة رضي
الله عنهما هي مكية الا من قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة
الله كفرا الى قوله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار وارتباط هذه
السورة بالتي قبلها واضح جدا لانه ذكر فيها ولو ان قرانا ثم
وكذلك انزلناه حكما عربيا ومن عنده علم الكتاب
فناسب قوله تعالى الر كتاب انزلناه اليك وايضا فانه
لما قالوا على سبيل الاقتراح لولا انزل عليه اية من ربه وقيل
له قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب انزل
قوله عز وجل الر كتاب انزلناه اليك كانه قيل اولم يكفهم
من الايات كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات
وهي الضلال الى النور وهو الهدى وكتاب خبر مبتدا محذوف
تقديره هذا كتاب انزلناه اليك وهي تكون ايضا جملة
في موضع الصفة لتخرج متعلق بانزلناه وهي لام العلة من
الظلمات متعلق بتخرج الى النور هو متعلق بتخرج ايضا
باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد هذا بدل من قوله الى
النور واعيد معه حرف الجر وهو الى كما تقول مررت
بزيد اخيك ولا يضر الفصل بالخبر بين الصفة والموصوف
ولا يجوز ان يكون متعلقا بويل لانه مصدر ولا يجوز هنا
الفصل بين المصدر وما يتعلق به بالخبر وقد تقدم الكلام
على قوله ويبغونها عوجا في ال عمران وعلى وصف الضلال بالبعيد
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه قال ابن عباس رضي الله
عنهما سبب نزول هذه الاية ان قريشا قالوا ما بال الكتب
كلها اعجمية وهذا عربي فنزلت تلك الاية والظاهر ان قوله
وما ارسلنا من رسول العموم فيندرج فيه الرسول عليه
الصلاة والسلام فان كانت الدعوة عامة للناس كلهم او اندرج
في اتباع ذلك الرسول من ليس من قومه كان من لم تكن لغته
لغة ذلك الرسول موقوفا على تعلم تلك اللغة حتى يفهمها او يرجع
في تفسيرها الى من يعلمها وان اخرج يحتمل ان تكون ان
مفسرة بمعنى اي وان تكون مصدرية وفي قوله قومك خصوص
برسالته الى قومه بخلاف قوله لتخرج الناس والظاهر ان
قومه هم اسرائيل وذكرهم معطوف على قوله اخرج قومك والاشارة
بقوله ان في ذلك الى التذكير بايام الله وصبار شكور صفتا
مبالغة وهما مشعرتان بان ايام الله تعالى هي المراد ان المراد بها

بنو اسرائيل

بلاؤه ونعماؤه

على نعمائه

اي صبار على بلائه وشكور لنعمائه واذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم الآية لما تقدم امره سبحانه وتعالى لموسى عليه
الصلاة والسلام بالتذكير بايام الله ذكرهم بما انعم الله سبحانه
وتعالى عليهم من نجاتهم من آل فرعون وفي ضمن هذه الآية
تعداد شيء مما جرى عليهم من نقمات الله تعالى وتقدم
اعراب اذ في نحو هذا التركيب في قوله تعالى اذكروا نعمة
الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم وتقدم تفسير
نظير هذه الآية الا ان هنا ويذبحون بالواو وفي سورة البقرة
بغير واو وفي الاعراف يقتلون ابناءكم فحيث لم يؤت بالواو
جعل الفعل تفسيرا لقوله يسومونكم وحيث اتى بها دل
على المغايرة وان سوم سوء العذاب كان بالتذبيح وبغيره
وحيث جاء يقتلون باللفظ المطلق المحتمل للتذبيح وغيره
من انواع القتل وتقدم شرح تأذن وتلقيه بالقسم في
قوله في الاعراف واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة
من يسومهم سوء العذاب الآية واحتمل اذ ان يكون منصوبا باذكروا
وان يكون معطوفا على اذ انجاكم لان هذا الاعلام بالمزيد على الشكر
من نعمه تعالى والظاهر ان متعلق الشكر هو الانعام اي
لئن شكرتم انعامي لازيدنكم ولئن كفرتم اي نعمتي فلم تشكروا
ان عذابي لشديد فرتب العذاب الشديد على كفران نعمه
تعالى ولم يبين محل الزيادة فاحتمل ان يكون في الدنيا او في
الآخرة او فيهما معا وجاء التركيب على ما عهد في القرآن من
انه اذا ذكر الخير اسنده اليه تعالى واذا ذكر العذاب بعده
يعدل عن نسبته اليه تعالى فقال لازيدنكم ونسب الزيادة
اليه تعالى وقال ان عذابي لشديد ولم يأت التركيب لاعذبنكم
وصرح في لازيدنكم بالمفعول وهنا لم يذكر وان كان المعنى عليه
والتقدير فانما ضرر كفركم لاحق بكم والله سبحانه وتعالى
متصف بالغنى المطلق والحمد سواء اكفروا ام شكروا وفي خطابه
تعالى لهم تحقير لشأنهم وتعظيم لله سبحانه وتعالى في ذكر
هاتين الصفتين الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم الآية
الظاهر ان هذا من خطاب موسى عليه الصلاة والسلام لقومه
وقيل ابتداء خطاب من الله تعالى لهذه الامة وخبر قوم
نوح وعاد وثمود قد قصه الله تعالى في كتابه وتقدم في سورة
الاعراف وسورة هود عليه الصلاة والسلام والهمزة في الم للتقرير
والتوبيخ والظاهر ان قوله والذين في موضع خفض عطفا
على ما قبله اما على الذين واما على قوم نوح وعاد وثمود قال

الزمخشري

قال الزمخشري رضي الله تعالى عنه والجملة من قوله لا يعلمهم الا الله
اعتراض والمعنى انهم من حيث الكثرة لا يعلم عددهم الا الله
تعالى انتهى وليست هي بجملة اعتراض لان جملة الاعتراض
تكون بين الجزئين يطلب احدهما الاخر وقال ابو
البقاء رضي الله عنه تكون هذه الجملة حالا من الضمير في من بعدهم
فان عني من الضمير المجرور في من بعدهم فلا يجوز لانه حال
مما جر بالاضافة وليس له محل اعراب من رفع او نصب
وان عني من الضمير المستقر في الجار والمجرور النائب عن
العامل امكن وقال ابو البقاء رضي الله عنه ايضا ويجوز
ان يكون مستانفا وكذلك جاءتهم واجاز الزمخشري رضي
الله عنه وتبعه ابو البقاء رضي الله عنه والجملة من المبتدا
والخبر وقعت اعتراضا انتهى وليست هي باعتراض لانها
لم تقع بين جزئين احدهما يطلب الاخر والضمير في جاءتهم
عائد على الذين من قبلكم والجملة هنا تفسيرية للنبأ
والظاهر ان الايدي هنا هي الجوارح وان الضميرين في ايديهم
وفي افواههم عائدان على الذين جاءتهم الرسل وقالوا انا كفرنا
بما ارسلتم به بادروا اولا الى الكفر وهو التكذيب المحض
ثم اخبروا انهم في شك وهو التردد كانهم نظروا بعض
نظر اقتضى انهم قد انتقلوا من التكذيب المحض الى التردد
ثم نبههم على الوصف الذي يقتضي ان لا يقع فيه شك
البتة ولما ذكر سبحانه وتعالى انه موجد العالم ونبه
على الوصف الذي لا يناسب ان يكون معه فيه شك ذكر
ما هو عليه من اللطف بهم والاحسان اليهم فقال يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان كما قال اذ تدعون
الى الايمان او يدعوكم لاجل المغفرة نحو دعوته لينصرني
وتقدم الكلام على طرف من هذا في سورة الاعراف في قوله تعالى
ولكل امة اجل وقيل هنا ويؤخركم الى اجل مسمى قيل هو
الموت ولا يعاجلكم بالعذاب ومعنى مسمى اي قد سماه وبين
مقداره ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم
ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا والظاهر
ان طلبهم السلطان المبين وقد اتتهم الرسل بالبينات انما
هو على سبيل التعنت والاقتراح والا فما اتوا به من الدلائل والآيات
كاف لمن استبصر ولكنهم قلدوا اباءهم فيما كانوا عليه من الضلال
الا ترى انهم لما ذكروا انهم مماثلوهم قالوا تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد اباؤنا اي ليس مقصودكم الا ان نكون لكم تبعا ونترك

ما نشاء فما علیه من دین اما نا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلکم
الا ان سلموا لهم ثم انفجر یا ثلوهم فی الشریعة وحذروهم
ولما طوی ذلک من الاصناف الی ان اختصوا بها فلم یکونوا مثلهم
ولم یذکروا ما هم علیه من الوصف الذی تمیزوا به تواضعا منهم
وسنة ذلک لیا الله تعالی ولم یصرحوا بمن الله تعالی علیهم
وحذرهم لکن ابرزوا ذلک فی عموم من یشاء من عباده والله
یمن بالنبوة وعلی من یشاء تنبیه وفوقهم وما کان لنا
ان نا تیکم بسلطان الا باذن الله کشوبعة وارادته اری
الاتیان الی اقترحوها لدس لنا الاتیان بها ولا یدی فی استطاعتنا
قال ان کان الترکیب وما کان لنا وانما ذلک امر متعلق
بالمشیة وفلیتوکل المتوسلون امرهم للمؤمنین بالتوکل
وصدقوا به انفسهم فصدقوا ایاه ولوثا وامروها به کانهم
قالوا ومن حقنا ان نتوکل علی الله فی الصبر علی معاندتکم
ومعاداتکم وما یجب علینا حکم الله من تی الی قولهم وما
لنا الا نتوکل علی الله ومعاداة فی ای عذر لنا ان لا نتوکل علی
الله وقد هدانا سبلنا ای فعل بنا ما اوجب توکلنا علیه
ولن اشوضق لهدایة کل واحد منا سبیله الذی یجب سلوکه
فی الدین والآخرة وهو قوله فلیتوکل المؤمنون ان یحذوا حذو
التوکل والتانی للثبات علی ما یحذرونه من وقوعهم
علی ما اوعدتموهم هذا جواب قسم والصبر فیه محذوف
ای وما اوعدتموناه وکان اصله فعل حذف به فصل حذف به او الضمیر
فوصل الفعل الی الضمیر وقال الذین کفروا لرسلهم لنخرجنکم
من ارضنا او لتعودن فی ملتنا فاوحی الیهم لنهلکن الظالمین
ولنسکننکم الارض من بعدهم ذلک لمن خاف مقامی
وخاف وعید
ومقام یحتمل المصدر ای قیامی علیه بالحفظ لاعماله ومرافبتی اما
کقوله تعالی افمن هو قائم علی کل نفس بما کسبت الآیة والظاهر
ان الضمیر فی قوله تعالی واستفتحوا عائد علی الانبیاء علیهم الصلاة
والسلام ای استنصروا الله تعالی علی اعدائهم کقوله تعالی ان تستفتحوا
فقد جاءکم الفتح ویجوز ان یکون من الفتاحة وهی الحکومة ای احکموا

الله عز وجل

اولا

علی ثم

الله عز وجل اي طلبن امنه المضار سنهم واستصار الرسل
في القرآن كثير وجاء كل جبار عنيد هو معطوف على مخرف
تقديره فتصروا فلم يفلحوا وجاء كل جبار عنيد وهم اقوام
الرسل المكذبين وتقدم شرح جبار عنيد والعنيد المعاند
كالخط بمعنى المخالط من ورائه جهنم ويسقى من ماء صفة
ذكرها بورك اليه حال الجبار العنيد في الاخرة ووراء من
الاضداد ينطلق على خلف وعلى امام كما قيل من امامه
ومن بين يديه جهنم ويسقى معطوف على محذوف وتقديره
تدخلها ويسقى والظاهر ارادة حقيقة الماء وصديد
قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وقال
الزمخشري قوله صديد هو عطف بيان لما قال ويسقى من
ماء فاسمعه اياها ثم بينه بقوله صديد اهـ والتصوير
لا يجري عطف البيان في الكلام واجاز الكوفيون وسمعهم
العباسي رضي الله عنه واعرب ان يقوله عطف بيان كشجرة
مباركة فعلى رأي البصريين لا يجوز ان يكون قوله
صديد عطف بيان ويجترع تتعلق والظاهر انها للتكلف
نحو قوله تحكم اتيك باخذه شيئا فشيئا لكراهته فتجرع وتنش
والظاهر انتفاء مقاربته الساعة واذا انتفت الساعة
اي الاساعة لم فلكون كقولهم لم اكد اراها اي لم يقرب من رؤيتها
فكيف يراها ولكن جاء بانه شرب فان صح ان ربك كان
المعنى ولا اكاد سيغه قبل ان يشربه ثم شربه كما قد
جاء في انه قد نحوها فما كادوا يفعلون اي وما كادوا يفعلون
انه يجيء في كلمة الموت اي اسبابه من كل مكان وما هو بميت والظاهر
ان قوله تعالى من كل مكان معناه من الجهات الستة وذكر
تقطيع لما قد يصيبه من الالام وقوله وما هو بميت اي
ليتطاول عليه الموت وامتداد سكرته ومن ورائه عذاب
غليظ الخلاف في من وراءه كالخلاف في من وراءه جهنم
مثل الذين كفروا باعمالهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف
اي كالرماد الذي تذروه الرياح وتفرقه بشدة هبوبها حتى
لا يبقى له اثر ولا يجتمع منه شيء انتهى ووصف اليوم بعاصف وان
كان من صفة الريح على سبيل التجوز كما قالوا ليل ماطر ويوم ماطر
وليل نائم لا هدوء اي في يوم العاصفة مما كسبوا اي من اعمالهم
على شيء اي لا يرون لها اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير
بالريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى كونهم لهذه الحال

• الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق الآية الظاهر ان
قوله لذهبكم خطاب عام للناس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
هو خطاب للكفار وفيه تخلق جديد الظاهر ان يكون المعنى
ان يشأ يذهبكم اي بعد تكم ايها الناس ويأت بناس آخرين من
جنسكم آدميين وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا اي طهروا
من قبورهم ليأجزا الله عز وجل وحسابه والذين استكبروا هم
رؤساؤهم وقادتهم مستتبعا لضعفا وتبعوهم
واستكبروا اي تكبروا عن اتباع الرسل وعن عبادة الله سبحانه وتعالى
وتبعا يحتمل ان يكون اسم جمع لتابع كخادم وخدم وحائط
وحيط ويحتمل ان يكون مصدرا كقوم عدل ورضى وقيم
فهل انتم مغنون عنا استفهام معناه توبيخهم على ما هم وتقريعهم
وقد علموا ان لن يغنوا شيئا والمعنى انا تبعناكم فيما كنتم فيه من
الضلال كما امرتمونا وما اغنيتم عنا شيئا وهذا كما هو الهم
لهدانا الله لهديناكم فاجابوا بذلك على سبيل الاعتذار
والتحمل ورد الهداية الى الله عز وجل وهو ولام حق في نفسه
وقيل ان بعضهم اضل مطلقا فلا يكون لهما بعض ايضا
ووعد الحق يحتمل ان يكون من اضافة الموصوف الى صفته اي الوعد
الحق والوعد والخلف على الاسناد اي وفى لكم بما وعدكم
ووعدتكم خلاف ذلك فاطفتكم ان الظالمين لهم عذاب اليم
الظاهر انه من تمام كلام ابليس حكى الله عنه ما سيقوله في ذلك
الوقت ليكون تنبيها للسامعين على النظر في عاقبتهم والاستعداد
لما لا بد منه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه
الشيطان ما يقول فيخافوا ويجعلوا ما يخلصهم منه ويحميهم
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار الآية تقدم الكلام على نظيرها في قوله تعالى وبرزوا لله جميعا وذكر
شيء من اهوال يوم القيامة وما يكون من احوال المؤمنين من اول دخولهم
الجنة قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت فيم يتعلق بإذن
ربهم في الجملة الاخيرة وقولك فادخلهم آتيا باذن ربهم كلام غير مستقيم
قلت الوجه في هذه الآية والله اعلم ان يتعلق قوله باذن ربهم بما
تحتهم اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة عليهم الصلاة
والسلام يحيونهم باذن ربهم انتهى فحط الزمخشري كلامه ان باذن ربهم متعلق
بقوله تحيتهم قال ذلك قال يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وهذا
القول لا يجوز لانه تقديم مصدر على فعل معذر وتفسير جائز وتقدم
تفسير قوله عز وجل تحيتهم فيها سلام في اوائل سورة يونس عليه الصلاة والسلام

الم تر كيف ضرب الله
مثلا
٧

عليه الصلاة والسلام • الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة
طيبة كشجرة طيبة الآية تقدم الكلام في ضرب مع مثل
في أوائل البقرة فاغنى عن اعادته هنا والكلمة الطيبة
هي لا اله الا الله محمد رسول الله قال ابن عباس رضي الله عنهما
• اصلها ثابت وفرعها في السماء الآية مرفوعة فالمعنى اعلاها
ورأسها وان كان المشبه به افراد فيكون من باب
الاكتفاء بلفظ الجنس ومعنى في السماء اي في جهة العلو
فلا صعود في الطلة ولما شبهت الكلمة الطيبة بالشجرة
الطيبة كانت الكلمة اصلها ثابت في قلب المؤمن وهو الايمان
وما يصدر عنها من الافعال الزكية والاعمال الصالحة
هو فرعها يصعد الى السماء الى الله تعالى كما قال الله عز
وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
الآية وما يترتب على ذلك العمل وهو ثواب الله عز
وجل اوحناها وصف هذه الشجرة باوصاف
الاول قوله طيبة اي كريمة المنبت والاصل في الشجرة
لذيذة الطعم اي لذيذة في طعمها والثاني يدل على اصلها
وذلك يدل على تمكنها فان الرياح لا تقتلعها فهي
بطيئة الفناء والثالث على فرعها وذلك يدل على تمكن
الشجرة وسموق فروعها وعلو بعدها عن عفونات
الارض وعلى صفائها من الشوائب والرابع دوم ثمرتها
وجود ظلها وحضور ظلها في كل الاوقات والحين في
اللغة قطعة من الزمان والكلمة الخبيثة هي كلمة
الكفر والظاهر ان الشجرة غير معينة اذ
وجدت منها هذه الاوصاف ومعنى قوله تعالى اجتثت
اي اقتلعت جثتها من فوق الاصول وثبتت في غاية
الرهي والضعف فنقلها اقل ريح فاكفأ وقرئ ان
يشأ فيذهبكم ويأت بخلق جديد ولا يستنكر ولا يعيى عنه شيء مما
من قرار اي لاستمرار وثبات ويمكن تعالى قرارك في
قرارك اذ انت اي اذ ثبت اثباتا وثباتا وهذا
النوع من المجاز هو من تشبيه المعقول بالمحسوس كما قال
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة الآية جزاء سنمار وتعالى كحال المؤمن وتشبيه
في الدنيا كونه لو قتل عمر دينه في الدنيا اثنت عليه وبارك
كما جرى لاصحاب الاخدود وقد ذكر حال الكافر بقوله
وبصلة الله اطائف ويفعل ما يشاء ولما ذكر سبحانه وتعالى

ما فعل بكل واحد من الفئتين من ذكر انه لا يمكن الاعتراض فيما خص
به كل واحد منهما اذ ذاك راجع الى مشيته سبحانه وتعالى
فقال ويفعل الله ما يشاء وقال في آية اخرى لا يسئل عن
ما يفعل وهم يسئلون الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا
واحلوا قومهم دار البوار الآية والذين بدلوا ظاهر انه عام
في جميع الكفرة وسأل ابن عباس رضي الله عنهما سيدنا وولانا
الامام اعظم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال لهما الا
تحران من قريش اخواني اي بني مخزوم فراستهم صلوا ابصر
واعمادك اي بني امية وبدل يجيء لي اثنين احدهما
بالباء وما جرى مجراها وقد تحذف الباء وهي ههنا محذوفة
تقديره بنعمة الله اي بشكر نعمة الله عز وجل وتقدم الكلام على
مثل ذلك في قوله تعالى ومن يبتدل الكفر بالايمان فقد ضل
سواء السبيل انتهى وقومهم دار البوار اي دار الهلاك
وجهنم بدل من قوله دار البوار والمخصوص بالذم محذوف وتقديره
وبئس القرار هي اي جهنم وجعلوا لله اندادا اي اضدادا والى كفرهم
نحمده تعالى اذا صيروا له اندادا وهي الاصنام التي اتخذوها
آلهة من دون الله سبحانه وتعالى والظاهر ان اللام هنا لام
الصيرورة والمآل لما كانت نتيجة حمل الانداد له آل الى
الضلال والامر بالتمتع امر تهديد وعيد شديد لسوء
عاقبتهم قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلاة وينفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية الآية لما ذكر سبحانه وتعالى حال
الكفار وكفرهم نعمته وجعلهم لله اندادا اوقد وعد امر
المؤمنين بلزوم الطاعات والتسفط لانفسهم والمراد
بهم ذوي الاسلام الصلاة والزكاة فقد يجيء يوم القيامة ومعمول
قل محذوف تقديره قل لهم اقيموا الصلاة وتعميموا حذف هذا
الاخر المحذوف وعلامة الجزم فيه حذف النون قال ابن
عطية رضي الله عنه ويظهر ان القول طوى الآية الى بعد
اي قوله الله الذي خلق السموات والارض انتهى وتقدم الكلام
على قوله تعالى لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة في سورة البقرة ولما اتم
الكلام في وصف احوال السعداء والاشقياء ختم وصفه
بالدليل الدال على وجود الصانع فقال الله الذي خلق
السموات والارض الآية وذكروا في عامة الدلائل فذكر انه
ابدعه وانشاه والسموات والارض ثم اعقب بباقي الدلائل
وانبرها في جملة مستقلة ولم يجعل متعلقا لها فتعطف
عطف المفرد على المفرد وانتصب دائبين على الحال والعامل

اي دم

حذاء بان في سيرهما وانارتهما واصلاحهما ما نقلبان من الارض
والاردان والشات والضمير في سالتموه عائد على ما وهي
موصولة بمعنى الذي والذي يظهر ان النعمة والنعمة
وانه هو اسم جنس لا يراد به الواحد بل يراد به الجمع كانه
قيل وان تعدوا نعم الله لا تحصوها فهو هنا مفرد اريد به
الجمع اي لا تقدروا ان تحصوا نعم الله عليكم ومعنى قوله
لا تحصوها اي لا تحصروها ولا تطيقوا عدها والمراد بالانسا
نها الجنس اي توجد فيهم الى الان وهي الظلم والكفر
نظلم النعمة بازاء غمال شكرها وتكفرها بجحدها وجاء في
شورة النحل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وجاء في سورة
بعقوله ان الله لغفور رحيم وسياتي الكلام على هذه الآية في
موضعها ان شاء الله سبحانه وتعالى وقال ابراهيم رب اجعل
هذا البلد امنا الآية مناسبتها لما قبلها انه سبحانه وتعالى
لما ذكر النعمة من الذين بدلوا نعمة الله كفرا وجعلوا لله اندادا
وهم قريش ومن قاربهم من العرب الذين اتخذوا من دون الله
اي الهة تعبد من دونه وكان من نعم الله سبحانه وتعالى عليهم اسكانهم
حرمه اردف ذلك بذكر اصلهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانه
صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وسائر الانبيا اجمعين
الصلاة والسلام دعا الله سبحانه وتعالى ان يجعل مكة امنة ودعا ان
يجنبه وبنيه عبادة الاوثان رب انهن اضللن كثيرا من الناس
كقوم نوح وغيرهم ممن تبعني اي على ديني وما انا عليه فانه مني
جعله بعضه لشرط الاختصاص به ولا يستلزم له ومن عصاني فانك
غفور رحيم هذا فيه طباق معنوي لان من اتبعه طاعة لله
وقوله فانك غفور رحيم قال المفسرون ايضا معنى هذه الآية
اي غفور رحيم متفضل لمن عصاه وغير اتركه ربنا اني اسكنت
من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة الآية
في الاجابة واظهار الذل والانكسار الى الله عز وجل واتى فيها
بضمير جماعة المتكلمين لان قد تقدم ذكره وذكر بنيه في قوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومن ذريتي اي واسماعيل عليه الصلاة
والسلام ومن ولده منه وذلك ان هاجر ولدت اسماعيل
عليه الصلاة والسلام عارف منها سارة فروي انه ركب البراق
هو وهاجر والطفل اي اسمعيل عليه الصلاة والسلام فجاء الى مكة
في يوم واحد من الشام الى بطن مكة فنزل واتى امرأته واتى
اسماعيل عليه الصلاة والسلام هناك ورجع منصرفا راكبا البراق
حتى اوصله الى مكانه الذي خرج منه كل ذلك كان في يوم واحد وكان

هذا اسلوب رفيع من
الله سبحانه وتعالى

فلما ولى دعى بما في ضمن هذه الآية ومن هنا للتبعيض لان
اسحاق عليه الصلاة والسلام كان بالشام والوادي هو ما بين
الجبلين وليس من شرطه ان يكون فيه ماء وانما قال غير ذي زرع
لانه كان قد علم ان الله سبحانه وتعالى لا يضيع هاجر وابنها
في ذلك الوادي وانه يرزقهما الماء وقد روي ان الماء قد انفجرت
في يومهم ذلك وقوله ربنا ليقيموا الصلاة متعلق باسكنت وقوله
ربنا هذا دعاء معترض والمعنى انه لا يخلوا هذا البيت المعظم
من العبادة ومن هنا اتت للتبعيض ايضا قال الزمخشري رضي الله
عنه بواد هو وادي مكة المشرفة غير ذي زرع عند بيتك المحرم
وكونه كان ذلك لم يكن فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير
ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا استقامة لا غير
انتهى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم قال ابن عباس رضي الله عنهما
واصل الهوي هواء ان يكون من علق قال الزمخشري رضي الله عنه
ويجوز ان تكون من الابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه
قيل افئدة ناس وانما تكرر المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير
افئدة لانها في الآية نكرة لتناول بعض الافئدة انتهى ولا يظهر كونها
لابتداء الغاية لانها ليس لها فعل يبتدأ به لغاية ينتهي اليها اذ لا
يصح ابتداء جعل الافئدة من الناس ربنا انك تعلم ما نخفي وما
نعلن الآية كرر النداء لاجل التضرع والالتجاء ولا يظهر
تفاوت بين اضافة ربي الى ياء المتكلم وبين اضافته الى جمع
المتكلم وما نخفي وما نعلن هو عام فيما يخفونه وما يعلنونه
ثم اتى باعم منه وهو قوله تعالى وما يخفى على الله من شيء في
الارض ولا في السماء والظاهر ان هذه الجمل التي تكلم بها ابراهيم
عليه الصلاة والسلام لم تقع منه في زمان واحد وانما حكى الله عز
وجل ما قد وقع منه في ازمان متعددة اي مختلفة يدل
على ذلك ان اسحاق عليه الصلاة والسلام لم يكن موجودا حالة دعائه
اذ ترك هاجر والطفل بمكة والظاهر انه من اضافة المثال
للمفعول لا من اضافته الى الفاعل ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون الآية الخطاب بقوله ولا تحسبن للسامع الذي
يمكن منه حسبان مثل هذه الجملة بصفات الله سبحانه وتعالى
لا للرسول عليه الصلاة والسلام لانه مستحيل ذلك في حقه صلى الله
عليه وسلم وفي هذه الآية وعيد شديد للظالمين ومعنى قوله
مهطعين اي مسرعين ومعنى مقنعي رؤسهم اي تصير وجوه الناس
في القيامة الى جهة السماء فلا ينظر احد الى احد قال الله عز وجل
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله عن النظر الى غيره

ومعنى

وقتي واشدهم هوى اي اصطراف اشدهم وحسابهم على
الشدة ورواجهم وتذهب وتبليغ على ما روي خناجرهم
في ذلك كالهوا الذي يجدونه في اضطراب وحصول
هذه الصفات الخمس لظالمين قد عد المملكة مديدة
ذكرها عقيب قوله تعالى يوم يقوم الحساب واندر الناس
يوم يأتيهم العذاب الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويوم منصوب على انه
مفعول ثان لاندر ولا يصح ان يكون ظرفا لان ذلك اليوم
ليس بزمان الانذار وقد اريد بهذا اليوم هو يوم القيامة واندر
الناس اي اندر الظالمين وبين ذلك قوله فيقول الذين ظلموا
الآية والمرسلون لا يبشرون ولا ينذرون لم تكونوا اقسمتم
من قبل ما لكم من زوال الآية وهذا على اضمار القول والظاهر
ان المقدر فيقال لهم وتأتيهم الملائكة عليهم الصلاة
والسلام او كتاب الله عز وجل يوبخون ويقرعون بذلك
مقالتهم في ايام البعث وايقاسهم على ذلك كما قال الله عز
وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى
وعدا عليه حقا اي بعثهم كما وعدهم بذلك وعدا حقا ذ
قال الزمخشري يعني الله عز وجل لم تكونوا اقسمتم من قبل هو
على اضمار القول فيه وجهان احدهما انهم قالوا لك لنا على
بطر او اشرا او لم يمتنع عليهم من عادة الجهل والسفه
وان يقولوا بلسان الحال اي حيث بين اسوا مدد او امثلوا
امثلا بعيدا وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم ان كان
من السكون والمعنى انهم قروا فيه واطمأنوا طمأنينة
ساكن بين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثون انفسهم
بما لقي الظالمون قبلهم وتبين لكم بالخبر والمشاهدة
ما فعلنا بهم من الهلاك والانتقام وضربنا لكم الامثال
اي صفات ما قد فعلوه وما قد فعل بهم وهي في الغرابة
كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال الآية الظاهر ان الضمير
في مكروا عائد على المخاطبين في قوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل
اي مكروا بالله وتكذيب رسله وقيل مكرهم الكفر
العظيم الذي استعروا فيه جهدهم والظاهر ان هذا اخبار
من الله سبحانه وتعالى بما لنبيه صلى الله عليه وسلم عاصد منهم
في الدنيا وانه ليس مقهورا في الآخرة والظاهر اضافة مكر وهو

ای تکذیبا بالبعث

الصدر

الى الفاعل كما هو مضاف في الاول كانه قيل وعند الله مكرهم
اى مكرهم وقال الزمخشري رضي الله عنه ويكون مضافا
الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرون بهم اى بمكرهم به
وان كان هذا هم الذي يستحقون ان يمكر بهم حيث لا يشعرون
ولا يحتسبون انتهى وهذا الاوضح الا ان كان مكر يتعدى
بنفسه كما قرر هو بمكرهم به والمحفوظ ان مكر لا يتعدى
الى مفعول به بنفسه وان الله عز وجل وان يمكرك الذين
كفروا الاية ولا يحفظ ان يقال زيد ممكور وانما يقال ممكور
به وقرئ لتزول بفتح اللام وضم الثانية ولتزول بكسر
اللام الاولى وفتح الثانية والذي يظهر ان زوال الجبال مجاز
ضرب مثلا اي ضرب مثلا لمكر قريش وعظمه والجبال الاثقال
وهذا من باب الغلو والاغراق والمبالغة في ذم مكرهم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله هذا الوعد هو قوله تعالى
انا لننصر رسلنا ان الله عز وجل لا يمتنع عليه شيء ولا يعجزه ذو
انتقام من الكفرة اي لا يخلف وعيدهم والشديد بل يكون في
الذات كما قال الله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اي تبدل ذات دون اخرى
ومنه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل ويكون في الصفا
كقولك بدلت الحلقة خاتما فالذات لم تتغير لكنها انتقلت
من شكل الى شكل واختلفوا في التبديل هنا اهو في الذات ام في
الصفات فقال ابن عباس رضي الله عنهما تمد كما تمد الادم
وتزال عنها جبالها واكامها وشجرها وجميع ما يكون على ظهرها
حتى تصير مستوية لا يرى فيها عوجا ولا امتا اي لا ارتفاعا ولا
انخفاضا وتبدل السموات تكور شمسها وتناثر كواكبها
وانشقاقها وخسوف قمرها وتسيير الجبال من ومد معربين
في الاصفاد مقرنين اي مشدودين في القرن اي مقرونا بعضهم
مع بعض في العقود والاغلال والظاهر تعلق في الاصفاد بقوله
مقرنين ويجوز ان يتعلق في الاصفاد بقوله
هم الذين قضي عليهم الاذبح لدخ القطران وحرقة واسراع
النار في جلودهم واللون في الوجوه ونتن الريح لسان الله تعالى
الثلاثة من ذلك كله امتنا لجزي الله كل نفس ما كسبت هذا
متعلق بقوله تعالى وبرزوا لله جميعا وبرزي الجرمين في جملة
حشر صنفيهما وكل نفس عام يعني من الطائعة والعاصية بما كسبت
في حياتها من طاعة ومعصية فيثيب الطائعة ويعاقب العاصية

لا يعقق
عنهم

ان الله سريع الحساب

سريع الحساب ومغني بلاغ كفاية في الوعظ والتذكير
والاشارة بهذا الى اعلام الله سبحانه وتعالى بما يجزي في الآخرة
وليتذكر اولوا الالباب ومابعد ذلك متعلق بمحذوف يدل عليه
ماتقدم من تقديره فاعلموا انه لذو انتقام وليعلموا انما
هو الله واحد اي والضمير في هو عائد على الله تعالى فانه هو
المتصرف في ذلك اليوم وفي غيره وهو الموحد بالالوهية
وليتذكر اولوا الالباب هم اصحاب العقول انتهى والله اعلم.
سورة الحجر بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك اي آيات الكتاب
وقرآن مبين هذه الآية لسورة مكية بلا خلاف كما ذكره
المفسرون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ذكر مناسبتها
لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما ذكر في آخر السورة التي قبلها
شيئا من احوال القيامة من تبديل الارض والسموات واخراج
الكفار في ذلك اليوم فان ما آتي به امر على حسب التبليغ والانذار
ابتدأ هنا واذهب السورة ذكر القرآن الذي هو بلاغ للكفار
واحوالهم الكفرة ودادهم لو كانوا مسلمين وتلك اشارة الى
ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين
السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب
الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كامل فصل الكتاب كذا
للكمال والعراقة في البيان والظاهر من سياق الكلام قد
جاءكم مستفتحا لادراكهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل وهو
امر يحقق فيهم وعيد شديد اي ذرهم يتسوا ممن يرعوى
عما هو فيه من الكفر والتكذيب فلا تمش نفقة التعجيب
والتذكير فيهم انما حظهم حظ انعامها يتمتع من الاكل ومن التمتع
بالحياة الدنيا والامل في تحصيلها هو الذي يلهيهم ويشغلهم
عن الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي قوله عز
وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا اشارة الى ان التذرو والتنعم
وعدم الاستعداد للموت والتاهب له ليس من اخلاق من هو
يطلب النجاة من عذاب الله سبحانه وتعالى فسوف تعلمون فيما
ايضا تهديد ووعيد شديد اي فسوف تعلمون
عاقبة امرهم وما يؤول اليه في الدنيا من الهلاك بالقتل
والسبي واخذ الجزية وغرها وفي الآخرة من العذاب السرمدي
فلما توعدهم بما يحل بهم اردف ذلك بما يشعر بهلاكهم
وانه لا سبيل لهم الى ان لهم احلا لا تتعداه اي لا يتجاوزه
والمعنى من اهلكنا من القرى كافرين والظاهر ان المراد بها اهلها كما هنا
هلاك الاستئصال لمكذبي الرسل وابلغ في الزجر ومن هنا استعرق

الحجر

ادبه وما تسبق من اجلها كما في قوله تعالى وما اهلكنا من
قرية الا ولها منذرون الآية وانما توسطت لتاكيد
لصوق الصفة بالموصوف كما تقول في الحال جاءني زيد
نوك وجاءني زيد وعليه ثوب وقال ابن مالك رضي الله عنه
وقد ذهب الى ما ذهب اليه الزمخشري رضي الله عنه وقد انطل
ابن مالك قول الزمخشري رضي الله عنه وقال انه مذهب
لا يعرف لبصري ولا لكوفي فلا يلتفت اليه وقالوا اياها ان
نترك على اطلاقه لانك تحكم لو مات انسان لملائكة ان كنت من
الصادقين الآية قال مقاتل رضي الله تعالى عنه نزلت هذه
الآية في عبد الله بن امية والنضر بن الحارث وقوله ان خويلد
والوليد بن مغيرة وهذا الوصف بانه الذي نزل عليه الذكر
قالوه على جهة الاستهزاء والاستخفاف لانهم لا يقرون بنزول
الذكر عليه وينسبونه الى الجنون وهذا كقول فرعون ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون او لو كان موسى رسالة حري
عليه الصلاة والسلام ما اخبر عيسى بالجنون ثم اقترحوا عليه
ان يأتيهم بالملائكة شاهدين بصدقه وصحة دعواه واجاب
كما قال تعالى في الآية الكريمة لو انزل اليهم ملكا لقضي الامر
ثم لم ينظروا ومعاقبين على تكذيبك كما كانت الامم المكذبة ولو ما
حرف تحضيض بمعنى هلا وقرئ ما تنزل بنون مشددة اصله تتنزل
فحذف احدى التاءين في الثانية او ادغم التاء في التاء لانها في
حقها كما تحب وتحق من الوحي والملائم لما اراها الله تعالى
لعباده لا على اقتراح كافر ولا اختبار معترض ثم ذكر عادة
الله تعالى في الامم من انه لم يأتهم بآية اقترحوها الا وقعها العذاب
بعد اثرها ان لم يؤمنوا فكانت الكلام ما تنزل الملائكة الا
بحق لا بما اقترحتم وارضيتم فلو نزلت لم تنظروا بعد ذلك
اي لم يؤخروا اذ لمعنى وهذا لا يكون اذ كان في علم الله تعالى
ان منهم من يؤمن وقد حق ان يؤمن وانا لهم لحافظون اي حافظون
لما نزلنا بالذكر من التبديل والتغيير في كل وقت نكفل تعالى بحفظه فلا تعتريه
زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير بخلاف
غيره من الكتب المتقدمة فانه تعالى لم يتكفل بحفظها لذلك
قال تعالى ان الربانيين والاحبار بما استحفظوا من كتابك وقع
فيها الاختلاف وحفظه اياها دليل على انه من عند الله ولو كان
من قول البشر لتطرق اليه ما تطرق لكلام البشر ولقد ارسلنا من
قبلك في شيع الاولين الآية لما ذكر سبحانه وتعالى استهزاء الكفار
ونسبته الى الجنون والاقتراح نزول الملائكة سلاه تعالى بان

باقي ٢

من ارسلنا من قبلك كان دتركت المرسل اليهم مثل دبدب ما ولا
معك وتقدم تفسير اكثيم في واحرسورة الانعام ومفعول
ارسلنا محذوف اي ارسلنا من قبلك رسلا قال الزمخشري
الله عند وما باتهم حكاية حال ماضية اي انا لم نرسل من قبلك
الا ان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في موضع الحال او على ما هو
قريب من الحال انتهى وهذا الذي ذكره هو قول الاكثرين ان
ما تختص المضارع للحال وتعينه وذهب غيره ايضا الى ان
ما يكثر دخولها على المضارع مراد به الحال وقد دخل عليه
مراد به الاستقبال والظاهر ان الضمير في فظلوا عائد
على من عاد عليه في قوله عليهم اي لو فتح عليهم بابا من السماء
وجعلهم يعرجون فيه لقالوا هو شيء نتخيله
ولا حقيقة له وقد سحرنا بذلك وجاء لفظ فظلوا مستعرا
بحصول ذلك في الهمم اي لكونوا مستمرين على ما يشاهدون
ويشاهدون وقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين
الآية لما ذكر تعالى ما ارى الكفار وكانت معجزة
على التوحيد وكونه لا اله الا هو وكمال قدرته ثم اتبعها سبحانه
وتعالى بالدلائل الانفسية والآفاقية والبروج هي جمع برج وقال
ابن عباس ان مجاهد رضي الله تعالى عنه البروج المذكورة
في الآية هي عظام الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد
والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
وهي منازل الشمس والقمر والظاهر ان الضمير في قوله
وزيناها للناظرين عائد على البروج لانها المحدث عنها والاظرف
فيها للعطف وصل على السماء وهو قول الجمهور وخص بالناظرين
لانها من المحسوسات التي لا تدرك الا بنظر العين ويجوز ان يكون
هو من نظر القلب لما فيها من الآيات المعنوية فانها
من حسن الحكم وبديع المصنوعات وغرائب القدرة وغير
ذلك مما لا يعلمه غير الله عز وجل والضمير في قوله تعالى
وحفظناها من كل شيطان رجيم عائد على السماء وكذلك في
الجمهور ايضا والضمير في وزيناها عائد على السماء حتى لا يختلف
الضمائر وحفظ السماء بالرجم بالشهب على ما قد تضمنته
الاحاديث الصحاح والارض مددناها والقينا فيها رواسي
الآية ومعنى مددناها اي بسطناها ليحصل الانتفاع بها
لمن حلها وما كانت عليه الجبال قد تقدم جملة تعليله كان في
النصب على الاشتغال الراجح من الرفع على الابتداء وكذلك نصب
الارض وألقينا فيها رواسي هي الجبال التي ثبت والظاهر ان الضمير في فيها

عائد على الارض لمنفعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقوله
موزون اي مقدر معلوم وتقدم تفسير المعايش في سورة
الاعراف والظاهر ان كل من يعقل يراد به العيال والمماليك
والخدم والذين تكسبون انتم لرزقهم وتحوطون ان الله
هو الرازق لهم وانكم ومن تحرزون معطوف على الضمير في
لكم وحسن العطف الفصل بينهما بقوله فيها معايش وتدخل
تحتهم ما لا يعقل كالانعام والدواب وما
كان عند الملائكة مما الله تعالى مرادفه وقد سبق الى فهم
انهم هم الرازقون لهم وتقدم شرح الخزائن وان قوله
ومن زائدة والظاهر ان المعنى وما من شيء ينتفع به العباد
الا وخن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام فيكون
الخزائن وهي ما تحفظ فيه الاشياء مستعارة من المحسوس
الذي هو الهم الى المعقول وقوله لواقح جمع لاقح يقال لقحت
جائيات بخير من انشأ سحاب حاملة لما قيل للريح التي
تجيء قبل الدبور ملقحة والمستقدمين قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هم الاموات والمستأخرين هم الاحياء
وان ربك هو يحشرهم الآية وفي هذه الفقرات وخروج من
ضمير العظمة الى اخذ الى الاسم الظاهر تنبيها على ان المتصف
بتلك الافعال السابقة هو ربك المالك لك والناظر في
مصلحتك وهو يوكد للحفظ الذي عرفت ولقد خلقنا
الانسان حر صلصال من حمأ مسنون الآية لما نبه سبحانه
وتعالى على منتهى الخلق وهو اخر يوم القيامة الى ما ستئول
فيه بنتهم على مبدا اصلهم وهو ادم عليه الصلاة والسلام وما
جرى له من عدوه ابليس لعنه الله تعالى من الوسوسة وغيرها
وقد تقدم تفسير من هذه القصة في اوائل سورة البقرة
عند ذكر الامانة والاحياء والرجوع الله سبحانه وتعالى
وفي الاعراف بعد ذكر يوم القيامة وذكر الوازن فيه وفي
سورة الكهف بعد ذكر الحشر وكذا في سورة ص بعد ذكر ما اعد
من الجنة والنار لخلقه فصل ذكر منتهى هذا الخلق ذكر مبدإهم
وقصته مع ابليس لعنه الله تعالى ليحذر ولم من كيده وليبصروا
ما جرى له معه حتى اخرجه من الجنة الى اي مقر استقاه والراحة
الى الارض الى اي مقر ان كابد والتعب تجشم وان كيده
واختلفوا في الصلصال فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الطين
اذا خلط بالرمل وخف والحمأ هو الطين الاسود وقيل هو
المتغير الريح من الثني واحدته حمأة يحرك الميم وقال

ابن عساكر في
الدمشقية

رضي الله تعالى عنهما المسنون الرطب ومعناه المصبوب
لانه لا يكون مصبوبا الا وهو رطب فكني عن المصبوب
بوصفه لانه موصنوع والسموم قال ابن عباس رضي الله عنهما
نار الريح الحار التي تقتل وعذاب يوم نار لا دخان لها
ومنها تكون الصواعق اعاذنا الله تعالى من ذلك كله بمنه وكرمه
امين وقوله هنا فاذا سويته اي اكملت خلقه والتسوية
هي عبارة عن الاتقان وجعل اجزائه مستوية ضيقة
خلقت له ونفخت فيه من روحي اي خلقت الحياة فيه ولا
نفخ هناك ولا منفوخ حقيقة وانما المراد التحصيل بالتي
بدقيق واضافة الروح الله سبحانه وتعالى على سبيل التشريف
نحو بيت الله وناقة الله او الاضافة الله للملك اذ هو
المتصرف في الاشياء للروح والموجد لها حال دساء فقعوا
له ساجدين اي اسقطوا على الارض وحر فحرها محذوف
او هو معطوف وتقدم ذكر الخلاف فيما يعود الضمير والله اعلم
وما اغويتني ما هي مصدرية وهنا اقسم بالاغواء او في امر
اخر بي قال فبعزتك فيكون ذلك في محاورة
اي موطنين مختلفين ولاغوينهم جواب قسم محذوف
والضمير هو ضمير يعود على الاشارة قال هذا صراط علي مستقيم
الاشارة لهذا الى ما تضمنه المخلصين من ان الاضافة
الذي يكون في هداي هو صراط مستقيم لا يسلكه احد فيضل
وقرا يعقوب رضي الله عنه هذا صراط علي وهو صفة
لقوله صراط والاضافة فيه له ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال
ابن عطية رضي الله عنه الاضافة للتشريف اي ان المخلصين
عبادي وعلى هذا يكون قوله الا من اتبعك استثناء متصلا
ويكون هنا منقطعا معنى لكن من اتبعك لم يندرج
في قوله ان عبادي وان كان اتباع عموم الخلق
فيكون الا من اتبعك استثناء منقطعا لانه راجع في جملة
العباد ومن في قوله من الغاوين لبيان الجنس اي الذين هم
الغاوون وموعدهم اجمعين اي مكان وعد اجتماعهم
والضمير هنا للغاوين قال ابن عطية رضي الله عنه وقوله
اجمعين هي للتاكيد وفيه فحص الحال التي هي الظاهر
ان جهنم هي واحدة ولكن لها طبقات ابواب قيل اعلاها للمسلمين
والثاني للنصارى والثالث لليهود والرابع للصابئين والخامس
للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين اعاذنا الله
تعالى منها امين ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام

من العذاب الاليم

لما ذكر سبحانه وتعالى ما اعد لاهل النار ذكر ما اعد لاهل الجنة من النعيم المقيم ليظهر التفاوت ما بين الفريقين ونزع ما في صدورهم من غل تقدم شرحه في سورة الاعراف وانتصب اخوانا هنا على الحال اي وهي حال من الضمير المجرور في صدورهم والعامل من المضاف محذوف وقدرت اولا نفسه على غير العامل من الضمير المجرور على سرر متقابلين والجمع سرير وقوله على سرر متقابلين حالان والقعود على السرير دليل على الرفعة وعلى الكرامة التامة ايضا وعن ابن عباس رضي الله عنهما على سرر وكللة والياقوت والزبرجد والدر والذهب اي مشتبكين في التواصل والتوادد لا يمسهم فيها نصب مما كانوا يقاسون من ذلك في الدنيا واذا التقت ايقي المس انتفت الدمومة وكذا انتفاء الاخراج بدخول الباء في قوله بمخرجين وهنا متعلق بمخرجين ولما تقدم ذكر ما في النار وذكر ما في الجنة اكد سبحانه وتعالى تشبيه الناس وتقديره ذلك وتمكينه في النفوس بقوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وادخل في هذا العذاب الاليم كيفما كان وناسب ذكر الغفران والرحمة ارتحال ذلك بقوله عز وجل ان المتقين وقد مر لهذين الوصفين العظيمين ان الله سبحانه وصف نفسه بهما في آيات قوله وان عذابي هو العذاب الاليم كيفما كان فيدخل فيه عذاب الآخرة دخولا اوليا على ما تقرر في علم المعاني وقيل المراد عذاب الدنيا فقد ذكر جدهم الاعلى عليه الصلاة والسلام وما جرى لقوم من اخيه لوط ثم بذكر اصحاب الحجر وهم قوم صالح ثم اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام وضيف ابراهيم هم الملائكة الذين قدموا قال له وهلاك قوم لوط وتقدم الكلام عليه في سورة هود عليه الصلاة والسلام ونبئهم عدى نبئهم بحرف آخر وهو عن ولم يذكر لها مفعولا ولا مفعولين وسيأتي ان المقطع هنا مقتطع من جملة محكية بقال اي قل يا محمد نبئ عبادي وقد ارسلت الى امم فنبئهم وقل سلاما من الله او سلمنا سلاما من الله وقيل سلاما نعت لمصدر محذوف تقديره فقالوا قولا سلاما وتصريحه هنا بانه

ابراهيم ع

وجل منهم

وجاءهم كان بعد تقريبه اليهم ما أضافهم به وهو العجل
الحنيذ وامتناعهم من الأكل وفي سورة هود عليه الصلاة والسلام
وأوجس في نفسه خيفة فيمكن ان هذا التصريح كان بعد
ايجاس الخيفة ويحتمل ان يكون القول لهما مجازا بانه قد
ظهرت عليه مخايل الخوف حتى صار كالمصرح به لو أبدى انا
نبشرك هو لتتنا في في معنى التعليل للنهي عن الوجل بسرد وه
بأمرين احدهما انه ذكر والثاني وصفه بالعلم على
سبيل التأكيد والتسجيل لما سلكه ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان يرد
له على الكبر وقوله فبم تبشرون تأكيد لاستبعاده وتعجبه
وكأنه لم يعلم انهم ملائكة رسل الله تعالى اليه فلذلك استفهم
واستنكر ان يولد له مع الكبر وكان علم انهم رسل الله عز وجل لما
تعجب من ذلك ولا استنكر لاستماعه قد رأى من ايات الله عز
وجل عيانا كيف احيا الموتى وما الحق اي ما تيقن الذي لا لبس
فيه وقولهم له فلا تكن من القانطين نهي وانهى عن الشيء
لا يدل على ان المنهي عنه ملابس ولا ممارس كقوله ومن يقنط من
رحمة ربه الا الضالون ردا عليهم وان الحي اوقع في لسان لا لله
على التعجب لك ذلك على سبيل الاستبعاد لما حرقته العادة وفي
ذلك اشارة الى ان هبة الولد على الكبر من رحمة الله تعالى اذ ان
سلك عصد والله به وواراته حالة لا يستقل ويرفع منه
علمه ودينه وغير ذلك مما هو المشهور المتعارف والله اعلم قال
فما خطبكم ايها المرسلون الآية لما بشروه بالولد راجعوه في ذلك علم
انهم ملائكة الله ورسله واستفهم بقولهم فما خطبكم والخطب
الامر الذي يكثر فيه التخاطب الا امر الشديد فاضافه اليهم من حيث انهم
هم حاملوه الى اولئك القوم المعذبين وذكر ما يلزم مجرمين
فاسقين في صورة الكثرة وان كان المراد بهم معينون تركت على ذلك
توفيرا في سورة هود عليه الصلاة والسلام انا ارسلنا الى قوم
لوط فجيء بما انكر هنا على سبيل الاستئناف لهم فلما ذهب عنهم
معينين من جهة المعنى فقوله الا آل لوط استثناء منكر في
الظاهر وكلهم معينون في المعنى والمكر اي وكثيرا
ما ياتي المكر يراد به التعيين كقول من صحب رجلا عالما
معينا فتقول لقد صحبت رجلا عالما الا آل لوط انا لمنجوهم
اجمعين ان اراد قدرنا انهم الغابرين وهذا استثناء
من الضمير المنصوب في ننجوهم قال الزمخشري ويجوز
فان قلت فقوله الا امرأته قدرنا انها احد من ما استثنى
وهل هو استثناء من استثناء قلت قد استثنى من الضمير المجرور

وقد استثنى من ذلك المحذوف قوله الا امرأته قدرنا فصارت
كأنها مستثناة من قوم لوط اي قدرنا انها من الهالكين
المتاصلين بالعذاب لان المضمر هو الظاهر في المعنى
وقوله ارجعين هي للتاكيد او المعنى الا ان لوطا قد ارسل
عليهم بالعذاب وبشارتهم قرينة على عدم الارسال اليهم
بالعذاب فصار قولك قد قام القوم الا زيدا لم يقم والا زيد لم يقم فهذه الجملة تاكيد لما
قد تضمنه الاستثناء من الحكم على ما بعد الا وجاء هنا
الضمير في ارسلنا وفي انا وفي قدرنا مسندا الى الملائكة
لانهم قسم الماموريين فاء هؤلاء هم وصف قوم منكرين
لا نهم كرهوا نفسه ونفرت منهم وخاف ان يطرقوه
بشر وقيل لا اعرف قول محذوف اي نحن ما حسناك
لشيء نخافه بك حتى بالعذاب لقومك اذ كانوا ائمروا
فيه لك كانوا يسكنون في قومه بهم او يحاولون فيه تكذيبك
بما وعدتهم به عن الله سبحانه وتعالى وانتسخ اوتارهم لقولهم
او لاعن الالتفات وامر باتباع اوتارهم ويكون وكذلك
احفظهم ان يترك صاعقة خلعهم وحنثهم تمترون
قال ابن عباس رضي الله عنهما يا آل شام وقولهم مضمين اي
داخلين في الصباح وجاء اهل المدينة يستبشرون الاية
قيل ان ملك شاذ هم هو فرحهم بالاضياف الذين وردوا على لوط
عليه الصلاة والسلام والظاهر ان هذا المجيء ومحاورة لوط
قومه في حق اضيافه وعرضه بناته عليهم كان ذلك كله قبل
اعلامه لهلاك قومه وعلمه بانهم رسل الله عز وجل وان ذلك
سماهم ضيفا وخاف الفضيحة بهم لما يتعاطونه مما لا يجوز
من الفعل القبيح وقد جاء ذلك مرتبا هكذا في سورة هود
عليه الصلاة والسلام قالوا وهذا لا ترتب ايضا كما هل وقوله
واتقوا الله ولا تخزون بمعنى ما خوذ من الخزي وهو الاذلال او
من الخزاية وهي الاستحياء وفي قولهم اولم ننهك عن العالمين
دليل على تقدم نهيهم اياه عن ان يضيف او يجير احدا او قبح
عنده او يمنع بينهم وبينه وانهم كانوا يحتقرون لكل احد ممن
يمنعهم وكان من حقه الصلاة والسلام ان يقوم بالنهي عن المنكر
والخزي بيده وبمن من تعذر من لسانه وعدوه بانه لم ينته في
اخر الامر ومقدم الكلام في قوله تعالى هؤلاء بناتي الى عزلك وكذا
تقدم معنى الاضافة في سورة هود عليه الصلاة والسلام وانتم
كم فاعلين شك في قول لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم

وما الكم

وما اظنكم تفعلون ذلك وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة
فيما احل الله لكم دون ما حرم الله عليكم واللام في قوله
تعالى لعمرك لام الابتداء وعمرك مبتدا خبره محذوف
تقديره لعمرك قسمي واذا كان في القسم كانت العين
مفتوحة ومعناها البقاء وجواب القسم محذوف فقيل
القسم من الملائكة عليهم الصلاة والسلام خطابا للوط عليه
الصلاة والسلام وقيل هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكنى عن الضلالة والغفلة بالسكرة اي تحيرهم في غفلتهم
وضلالتهم منعهم عن ادراك الصواب الذي نشير به عليهم
والصيحة هي صيحة الهلاك وقوله مشرقين اي داخلين
في وقت شروق الشمس اي وقت بزوغ الشمس وهو ظهور
ضوئها وقيل اول العذاب كان عند الصبح وامتد الى
شروق الشمس فكان تمام الهلاك عند ذلك والضمير في
قوله فجعلنا عاليها سافلها عائد على المدينة المتقدمة
الذكر للمتوسمين اي للمتفرسين وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هم اهل الصلاح والخير كما قال الله تعالى في الآية الكريمة
تعرفهم بسيماهم وقال تعالى سيماهم في وجوههم وانما سموا
بالمتوسمين لان سيماء الصلاح لائحة على وجوههم والاقوال في
ذلك كثيرة مشهورة في كتب التفاسير وغيرها والله اعلم قال الله
تعالى وانها اي اثر مدائنهم واثار هلاكهم لبسبيل مقيم
اي بممر ثابت وهي بحيث يراها الناس ويعتبرون بها
لم تندرس وفي هذه الآية تنبيه لقريش ان في ذلك لآية للمؤمنين
اي ان في صنعنا بقوم لوط لعلامة ودليلا لمن امن بالله عز
وجل وان كان اصحاب الايكة لظالمين الآية اي والمراد
بهم هنا هم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام والايكة التي قد
اضيفوا لها هي شجر الدوم وقيل غيره كفروا فسلط الله
تعالى عليهم الحر واهلكوا بعذاب الظلة وسياتي الكلام على
ذلك مستوفى في سورة الشعراء وانها الضمير يعود على اصحاب
الايكة لانه مرسل اليهم فدل ذكر احدهما على الآخر فعاد
الضمير اليهما وانهما لبامام مبين اي بطريق من الحق واضح
والامام هو الطريق ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
الآية اصحاب الحجر هم قوم ثمود قوم صالح عليه الصلاة والسلام
والحجر ايضا هو بين الحجاز والشام وبلاد اليمن وتقدمت
قصتهم في سورة الاعراف مستوفاة والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحا
لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم بجميعهم وتقدم ذكر قصتهم

ان في ذلك لآيات

عليه الصلاة والسلام

في سورة الاعراف وسيأتي ايضا بعض خبرهم ان شاء الله سبحانه وتعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي خلقا ملتبسا
بالحق لم يخلق شيء من ذلك عبثا ولا هملا بل ليطيع من اطاع
بالتفكر في ذلك الخلق وليتذكر النشأة الاخرة بهذه النشأة
الاولى ولذلك نبه من تنبه بقوله وان الساعة لاتية
فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم وقوله وان الساعة
لاتية فيجازي من اطاع ويجازي من عصى ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما
والمثاني جمع مثناة والمثناة هو ما يثنى اي يجعل
اثنين وهو من معنى قولك ثنيت الشيء ثنيا اي عطفته
وضممت اليه آخره وهذا محمل ولا سبيل الى تعيينه الا
بدليل منفصل وجوز الزجاج ان تكون هي ام مر
القرآن وسميت بالسبع المثاني
لانها يثنى بها على الله سبحانه وتعالى اي فيها ثناء
على الله تعالى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي سبع
آيات بسم الله الرحمن الرحيم وقال غيره هي سبع آيات
بدون البسملة وقال ابو العالية لقد نزلت هذه السورة
وما نزل من السبع الطوال شيء قال الله عز وجل لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية الظاهر انه خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى نهي امته عن ذلك
لان من اوتي القرآن فقد شغله النظر فيه عن مد نظره
الى الاشتغال بغيره وامتثال تكاليفه وفهم معانيه عن الاشتغال
بزهرة الحياة الدنيا ومد العين للشيء انما هو لاستحسانه
وايثاره وقوله ازواجا اي اصنافا ونهاه الله تعالى عن الحزن
عليهم ان لم يؤمنوا وكان صلى الله عليه وسلم كثير الشفقة على من
بعث اليهم وامره الله عز وجل بخفض الجناح لمن آمن وهي كناية
عن التلطف والرفق واصله ان الطائر اذا ضم الفرخ اليه
بسط جناحه له ثم ضمه وقبضه على فرخه والجناحان
من ابن آدم جانباه اي الن جانبك لمن اتبعك من المؤمنين
بخلاف غيرهم من الكفار والمنافقين فاغلظ عليهم ثم
امره سبحانه وتعالى بان يبلغ انه هو النذير الكاشف الكاشف
لكم ما جئت به اليكم من تعذيبكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على
المقتسمين يحتمل وجهين احدهما ان يكون متعلقا بقوله
تعالى ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على
المقتسمين القرآن فنسبوه الى سحر وكذب وافتراء ومعنى
عضين اي فرقا فرقا والثاني ان يكون متعلقا بقوله تعالى

ولقد

ولقد آتيناك سبعا من المثاني أي أنزلنا عليك أو يكون
يكون بمعنى المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين أي حيث
قالوا بعنادهم وعداوتهم بعضه حق موافق للتوراة
والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق
وباطل وعضوه أي تكلموا فيه بما لا يليق به وقيل
كانوا يستهزؤون به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول
آخر سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه
من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت
ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض
الإنجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم
سحر وشعر وأساطير الأولين بأن غيرهم من الكفرة
فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني معناه هنا
أن يتعلق بقوله وقل إني أنا النذير المبين وأنذر قريشا
مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو
ما جرى على قريظة والنضير فجعل المتوقع بمنزلة الواقع
وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون وقد كان ويجوز
أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير
أي أنذار العضين الذين يجزؤون القرآن إلى شعر
وسحر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا
عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في
كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج
منا فإنه ساحر ويقول الفريق الآخر هو كذاب
ويقول الآخر شاعر فهلكهم الله يوم بدر وقتلهم وهلكهم
بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود
ابن المطلب وغيرهم من المتعنتين أو مثل ما أنزلنا
على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحا
عليه الصلاة والسلام والاقتسام هو بمعنى التقاسم
فإن قلت إذا علقت قوله كما أنزلنا بقوله ولقد
آتيناك فما معنى توسط لا تمدن عينيك إلى آخره قلت
لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم
وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي
عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كونهم ومن الأمر
بأن يقبل بمجامعه على الأمر المؤمنين انتهى ولعله أن

ان يكون فانزلنا عليك كما انزلنا عليهم والضمير في قوله عز
وجل لنسالنهم اجمعين يظهر عوده وقفا على المقسم وهو
وعيد وسوال تقريع فاصدع بما تومر واعرض عن الكل
الصدع هنا معناه الشق يقال تصدع القوم اذا تفرقوا
وصدعته فانصدع اي شققته فانشق وقال ابن الاعرابي
رضي الله عنه يقال صدع بك انصدد وما في قوله بما تومر
موصولة بمعنى الذي والعائد عليها محذوف تقديره امرته
اي به وامر يتعدى الى اثنين احدهما بحرف وحر
ويجوز حذفه اتساعا وقد جمع الشاعر بينهما فقال رضي الله
امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب
والمفعول الاول في الاية ضمير المخاطب المستكن
في تومر والثاني الهاء المحذوف العائد على ما الموصولة
قاله المحبي رضي الله عنه ويجوز ان تكون ما مصدرية
اي بامرك مصدر من المبني للمفعول انتهى وهذا مبني
على مذهب من يجيز ان يكون المصدر مرادا به المفعول والصحيح
ان ذلك لا يجوز ثم اخبره تعالى انه قد كفاه المستهزئين
بمصائب اصابتهم لم يشم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تكلف لها مشقة قال ابن عروة وابن حبيب هم خمسة نفر
الوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود ابن المطلب
وابو زمعة والاسود بن عبد يغوث ومن بني خزاعة رهط
الحارث ابن الطلاطلة وغيره ممن يخلون وعندهم بالمدينة
على اسنة فقتلهم وحسبهم الهما مع الله تعالى في الاخرة كما جوزوا في
الدنيا وكفي بالصدر عن القلب لانه محله وحدسبت
الصيق هو ما ينطقون به من الاستهزاء والطعن مما جاء فيه
ثم امره تعالى بتسبيحه عما تسوء اليه من انحاد الملحدين
محمودا مصحوبا بحمد والثناء على ما اهدى اليه من نعمة السوق والرسالة
والتوحيد وغير ذلك من النعم فهذا في المعتقد وهو
الفعل القلبي واسره بكونه من الساجدين والمواظبة
من الصلاتين وكنى بما تسجد عن الصلاة وبما تسرف اطراف
الجسد واقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ثم امره
تعالى بالعبادة التي هي شاملة لجميع انواع ما يتقرب به الى
سبحانه وتعالى وهذه الاوامر معناها الدوام على كذا وكذا
لانه عليه الصلاة والسلام ما زال متلبسا بها اي دم على التسبيح
والسجود والعبادة والجمهور على ان المراد باليقين الموت
اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وقيل اليقين ليس بالموت من اسماء

الموت

الموت وانما العلم وقف من لا يمرّ فيه ما قلت
يعني يجوز اي تأتيك ان مرّ الذي علمه وقوعه
والله سبحانه وتعالى اعلم
سورة النحل بسم الله الرحمن الرحيم اتى
امر الله فلا تستعجلوه الآية هذه السورة مكية كلها وقيل
مكية الا ثلاث اية فانها مدنية وجه ارتباطها بما قبلها
انه سبحانه وتعالى لما قال فوربك لنسألنهم اجمعين
عما كانوا يعملون كان ذلك نبأ على حشرهم يوم القيامة
وسؤالهم عما اخبروا في الدنيا فصل الى امر الله
وهو يوم القيامة على قول الجمهور وقال ابن عباس رضي الله
عنهما المراد ما لامر بها هو نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظهوره على الكفار والى قتل من بقي على عناده من الكفرة
والمعنى اتى امر الله وعده فلا تستعجلوه وقوعا قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الروح الوحي تنزل به الملائكة
على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي تفسيره قوله تعالى
يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وان مقدرة
وهي الى من شاءها ان تقتضي المضارع وصلت بالامر كما
وصلت لو فيما كنت الله بان قم وهو بدل من الروح
اي بانذاره وقيل ان تعتبر نية معنى اي لان مرجع كلها من
الانذار وقال الزمخشري رضي الله عنه وان انذروا بدل
من الروح وهو لقائي ولم فيها حال من رجل نحو قال ادخل
الماسدة وهاديا يعني من الرعي وسرحها ينسرحها سرحا
وسروحا اخرجها غدوة الى المرعى وسرحت هي قد
تكون متعديا والا فعالان المال فيها اظهر اذا قلت ملأى
البطون حافلة الضروع ثم اوقات الى الحظائر بخلاف وقت
سرحها وان كانت في الوقتين تزين الافئدة وتجاذب بها
الرعاة والتفاخر فاشي اهلها ويفرح اربابها ارتباحها وتحلهم
في اعين الناظرين الهيتها وتكسبهم الجاه والحرمة والاتفاق
الامتعة واحدها انقل وقوله الى بلد لم تكونوا بالغيه الا
بشق ان نفس الا مراد به بلد معين اي الى بلد بعيد توجهتم
اليه لاعراضكم وبالغيه صفة للبلد وقوله الا بشق الانفس
اي بمشقتها وفاست الافتان لهذه النعمة من جملتها حملها
الايقان الختم بصفة الرافة والرحمة بقوله ان ربكم لرؤف رحيم
لان من رأفته سبحانه وتعالى بعباده تيسير هذه المقاصد
وتسخير الانعام لكم ولما ذكر سبحانه وتعالى سبحانه بالانعام

ح

ومنافعها الضرورية ذكر الامتنان بمنافع الحيوان التي
ليست بضرورية ولما كان الركوب اعظم منافعها اقتصر
عليه ولا يدل ذلك على انه لا يجوز اكل الخيل خلافا لمن استدل
بذلك وانتصب وزينة ولم يكن باللام والزينة من وصف
الخالق فاتحد الفاعل فوصف الفعل اليه بنفسه ولما
ذكر الحيوان الذي ينتفع به انتفاعا ضروريا وغير ضروري
اعقب بذكر الحيوان الذي لا ينتفع به غالبا على سبيل
الاجمال مطلقا اذ تفاصيله خارج عن الاحصاء والعد
والقصد مصدر ويوصف به وقد يقال سبيل قصد
وقاصد اذا كان مستقيما كانه يقصد الوجه الذي يؤمه
السالك اي يقصده ولا يعدل عنه والسبيل هنا مفرد
اللفظ والجائر هو العادل عن الاستقامة والهداية
كما قال بعضهم يجور عليها الملاح طورا ويهتدي
ولو شاء هو مفعول محذوف تقديره لو شاء هدايتكم
لهداكم اجمعين قال ابن عطية والزجاج رضي الله تعالى عنهما
يعرض لكم اية تضطركم الى الاهتداء والايمان انتهى وهذا
قول سوء لاهل البدع الذين يرون ان الله عز وجل لا يخلق
افعال العباد لم يحصله الزجاج ووقع فيه رحمه الله من
غير قصد انتهى ولم يعرف ابن عطية ان الزجاج معتزلي فلذلك
تاول عليه انه لم يحصل هذه الرواية وانه وقع فيه اي من غير
قصد قال الله عز وجل هو الذي انزل من السماء ماء الاية
مناسبتها لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما امتن عليهم بايجادهم
بعد العدم الصرف وايجاد ما ينتفعون به من الانعام وغيرها
من المركوب ذكر ما امتن به عليهم من انزال الماء الذي هو
قوام حياتهم وحياة الحيوان وما يتولد عنه من اقواتهم
واقواتها من الزرع وما عطف عليه فذكر منها الاغلب ثم
عمم ذلك بقوله ومن كل الثمرات ثم اتبع ذلك بخلق الليل
الذي هو سكن لهم والنهار الذي هو معاشهم فيه ثم
بالنيرين اللذين جعلهما الله تعالى موترين بارادته في
اصلاح ما يحتاجون اليه ثم بما ذرأ في الارض والظاهر
ان لكم في موضع الصفة لما يتعلق بمحذوف ويرتفع شراب
به اي ماء كائنا لكم منه شراب ويجوز ان يتعلق بانزل
ويجوز ان يكون استئنافا وشراب مبتدا ولما ذكر انزال الماء
اخذ في تقسيمه والشراب هو المشروب والتبعيض في منه
ظاهر واما في منه شجر فمجاز ولما كان الشجر انباته على فيه

بالماء

على سفينة الماء جعل لكم من الماء ومنه شجر فيه تسيمون يقال سامت الماشية وسومها جعلها ترعى وسامت بنفسها فهي سائمة وسوائم ثم عدد ست سنات بنت لكم به الزرع والزيتون لما فيه من فائدة الاصطباغ بدهنه وهي ضرورية مع صنعة الكل والادام به وبدهنه والاطلاء بدهنه ثم بالنخيل لان ثمرته من اطيب الفواكه وقوت في بعض البلاد ثم بالاعناب لانها فاكهة تحفظ ثم قال ومن كل الثمرات اي في بعض الاقاليم هي للتبعيض لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبتت اذ ثبت في الارض بعض من كلها للتذكرة وختم ذلك بقوله تعالى لقوم يتفكرون لان النظر في ذلك يحتاج الى فضل تامل وتفكر الا ترى ان الحبة الواحدة اذا وضعت في الارض ومضى عليها معدار من الزمان فحين لحقها من نداوة الارض ما تنتفخ به فتشق اعلاها فتصعد منه شجرة الى الهواء واسفلها تغوص منه في عمق الارض شجرة اخرى وفي العروق ثم سموا الاعلاق وتقوى وتخرج الاوراق والازهار والاكمام والاثمار المشتملة على احكام مختلفة في الطعوم والالوان والروائح والاشكال والمنافع وهذه كلها بتقدير قادر مختار فتقول لما رايت وهو الله تعالى الخالق لهذه الاشياء كلها ما علمت منها وما شوهد انها والعالم بالخفيات والحاضرات واخر الضمير في قوله لآية لتهتدوا الى معانيها وهو واحد وان كثرت انواع النبات وقرأ الجمهور والشمس والقمر والنجوم مسخرات منصوبا والنصب على الحال موكدة وقرئ والشمس والقمر والنجوم بالرفع على الابتداء والخبر وقرأ حفص رضي الله عنه والنجوم مسخرات برفعهما على الابتداء والخبر وجمع الآيات عند كل العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة واربين شهادة للكبرياء والعظمة ومسخرات معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيهما من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه من البياض والسواد وغير ذلك وختم هذا بقوله يعقلون ومعناه هنا الاعتبار والاتعاظ كان علمهم بذلك سائق طرا على ذلك للسان فمثل يذكرون اي يتعظون ومعناه اي يتذكرون فيتعظون اي يذكرون ما نسق من بديع صنعة المكونات في الارض واقدره الا تهم هنا لان الذي ذكره معرف في قوله ما ذرأ وصفه بالمفرد وهو قوله مختلفا وهو الذي يحدث التمر لنا كلوا منه

لما طرق آية.

لما ذكر سبحانه وتعالى الاستدلال بما ذرأ في الارض ذكر ما امتن
من تسخير البحر ومعنى تسخيره كونه يتمكن الناس منه اي من
الانتفاع به للركوب في المصالح والغوص للاستخراج مما فيه
من اللؤلؤ والمرجان والجواهر وغير ذلك وللاصطياد لما فيه
ايضا والبحر جنس للماء فيشمل العذب والمالح وبدأ
اولا من منافعه بما هو الاهم وهو الاكل منه على حذف مضاف
اي لتأكلوا من حيوانه لحما طريا ثم ثنى بما يتزين به وهو
الحلية من اللؤلؤ والمرجان ونبه على غاية الحلية وهي اللبس
وفيه منافع غير اللبس فاللحم الطري من المالح ومن العذب
سواء والحلية من الملح فقط ولما ذكر سبحانه وتعالى نعمة الاكل منه
ونعمة الاستخراج للحلية ذكر نعمة تصرف الفلك فيه مواخر
اي شاقة للماء بجريانها او ذات صوت لشق الانفس بحمل
الامتعة والاقوات للتجارة وغيرها واسند الى المخاطب المفرد
فقال وترى الفلك وجعلها جملة معترضة بين التعليلين
تعليل الاستخراج وتعليل الابتغاء فلذلك عدل عن جمع
المخاطب والظاهر عطف قوله ولتبتغوا على التعليل قبله كما
اشرنا اليه والفضل هنا الارباح بالتجارة والوصول الى
البلاد القاصية اي الشاقة في السير اليها وفي هذا دليل على جواز
ركوب البحر ولعلكم تشكرون على ما قد منحكم من هذه
النعم والسبل هي الطرق قال ابن عطية رضي الله عنه
قوله وانهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل له و
خلق انهارا واجماعهم على اضمار هذا الفعل دليل على خصوص
القاء ولو كانت القاء بمعنى خلق لم يحتج الى هذا الاضمار انتهى واي
اجماع في هذا وقد حكي هو عن المتأولين ان القاء بمعنى خلق
اي جعل افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون الآية ذكر التباين
بين من يخلق وهو الباري عز وجل وبين من لا يخلق وهي الاصنام
وجيء بمن في الثاني لاشتمال المعبود غير الله تعالى على من يعقل
وعلى من لا يعقل وما لا يعقل او لاعتقاد الكفار ان لها تأثيرا
وافعالا فعوملت معاملة اولي العلم او المشاكلة بينه وبين
من يخلق وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تقدم الكلام على
هذه الآية واخبر سبحانه وتعالى انه يعلم ما يسرون وما يعلنون
وضمنه الوعيد لهم والاخبار بعلمه تعالى وفيه التنبيه على
نفي هذه الصفة الشريفة عن آلهتهم ولما اظهر تعالى التباين بين
الخالق وغيره نص على ان آلهتهم لا تخلق شيئا وعلى انها مخلوقة
مثلهم لا تملك نفعا ولا ضرا واخبر انهم اموات واكد ذلك بقوله

غير احياء

غير احياء ثم نفى عنهم الشعور الذي يكون للبهائم فضلا
عن العلم الذي يتصف به العقلاء وعبر بالذين وهو للعقلاء
تنزيلا لعبدة الاصنام لكونهم عدوا واعتقد فيها الالوهية
وفي ان طرق نعال عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله
سبحانه وتعالى يبعث الاصنام لها ارواح يوم القيامة ومعها
شياطينها فيوبخهم بكلامهم الى الكفار وتقدم الكلام في قوله
لا جرم في سورة هود عليه الصلاة والسلام وقوله انما انتم
المشركون هذا اعلام في الكافرين والمؤمنين واذا قيل لهم
ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين الآية قتل سنة
نزول ان النضر بن الحارث سافر من مكة الى الحيرة وكان قد
اخذ كتب التواريخ والاقاصيص ككليلة ودمنة واخبار
اسفنديار ورستم فلما رجع الى مكة فكان يقول انا احدث محمدا
باساطير الاولين وحديثي احسن من حديثه فنزلت
تلك الآية صريحة بكذبه فيما ادعاه في القرآن بانه
من اساطير الاولين اي اقاويلهم وسيرهم وما اما كلمة
استفهام مفعول مانزل او ما مبتدأ خبره واذا معنى
الذي وعائده محذوف وعائد القول الى انزل
محذوف اي اي شيء الذي انزله واذا جاز الحذف
رضي الله عنه ان يكون ما اذا مرفوعا بالابتدا قال يعني اي
شيء انزل ربكم وهذا لا يكون عند البصريين الا في ضرورة
الشعر والضمير في لهم عائد على كفار قريش وما اذا لم
ليس هو معمول القول على حذف هذا لمصريين لانه جملة
والجملة لا تقع موقع المفعول الذي لم يسم فاعله كما لا تقع من
الفاعل والمفعول الذي لم يسم فاعله فضلا هو ضمير المصدر
المفهوم من قل تقديره قل قولا هو اي القول والجملة بعده
تفسير لذلك القول لا انها هي المفعول الذي لم يسم فاعله
واللام في قوله ليحملوا اي لام الامر على معنى الحتم عليهم والتغليظ
الوجب لهم وقوله هنا كاملة هي المحال اي لا ينقص منها
شيء قد كان الذين من قبلهم والمعنى انهم يقدمون على
هذا الضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد
على ذلك الاضلال ثم اخبر سبحانه وتعالى عن سوء ما يحملونه
للاجرة وتقدم الكلام على نظير اعراب الاساطير ما يزرون
وافى الله بسيماهم من القواعد اي اتاهم امره وعذابه والبنيان
قيل حقيقة وقيل هو كناية عن مكرهم بكفرهم فسقط عليهم
كالبنيان وقيل ان نمرود بن كنعان بنى صرحا للصعود عنده الى السما

وافق في علو وطوله الى جهة الشمال من
فسحين

وانتصب وعدا وحقا على انهما مصدران مؤكدان لما دل عليه بلا
من تقدير المحذوف الذي هو يبعثه وعدا عليه حقا ليبين
لهم الذي يختلفون فيه اللام في قوله ليبين متعلقة هنا
بالفعل المقدر بعد بلا اي يبعثهم ليبين لهم كما تقول لرجل ما
ضربت احدا فيقول بلا ضربت زيدا اي قد ضربت زيدا
واللام هنا شاملة ايضا لانها تشمل المؤمنين والكافرين
والذين اختلفوا فيه هو الحق وانهم كانوا كاذبين فيما اعتقدوا
اي من جعل آلهة مع الله سبحانه وتعالى وانكار النبوات وانكار
البعث وغير ذلك مما امروا بعدم فعله والنهي عنه وبين
لهم انه دين الله تعالى يعني الاسلام والتوحيد فكذبوا بذلك ونسبوا
لله شركاء وجعلوا له اندادا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون الآية لما تقدم انكارهم
للبعث والحساب والجزاء على الاعمال وكانوا قد اكدوا ذلك
بالحلف بالله سبحانه وتعالى الذي اوجدهم فرد عليهم سبحانه وتعالى بقوله
بلا وذكر حقية وعده بذلك اوضح انه سبحانه وتعالى متى
تعلقت ارادته بوجود شيء اوجده وقد اقروا بانه سبحانه
وتعالى خالق لهذا العالم سماؤه وارضه وان ايجاده لذلك لم
يتوقف على سبق مادة ولا آلة فكما هو قادر على الايجاد قادر
على الاعادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى الآية كما تقدم
وتقدم الكلام على قوله كن فيكون اي في سورة البقرة والظاهر
ان اللام في لشيء وفي له هي للتبليغ كقولك قلت لزيد قم
قال ابن عطية رضي الله عنه اذا اردناه ينزل منزلة مراده
ولكنه اتى بهذه الالفاظ المستأنفة بحسب ان الموجودات تجيء
وتظهر شيئا بعد شيء فكانه قال اذا ظهر المراد فيه وعلى هذا
الوجه يخرج قوله فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقوله
ليعلم الله الذين آمنوا منكم ونحو هذا معناه يقع منكم بارادة
الله عز وجل في الازل كقوله تعالى ومن آياته ان تقوم السماء والارض
بامره وغير ذلك من الآيات انتهى والذين هاجروا في الله الآية
قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية عامة في المهاجرين كائنا
ما كانوا فتشمل اولهم وآخرهم وقوله من بعد ما ظلموا كخباب ابن
الارت والمخرجين الى ارض الحبشة وقوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك الا رجالا نوحي اليهم الآية نزلت الى ما يؤمرون في مشركي مكة
انكروا نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم ان يكون
رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا وتقدم تفسير هذه الجملة انتهى
والله اعلم وهذا ما قاله الحوفي وابن عطية ايضا وقال ابو البقاء فيه ضعف

وانزلنا اليك

وانزلنا اليك الذكر لتبين القرآن وقيل لتذكر الامة موعظته وتنبيه
للغافلين ولعلهم يتفكرون ويحتمل في الآية ان يريد بقولها
لتبين للناس ما نزل اليهم اي بتفسيرك المجمل وشرحك ما اشكل
فيدخل في هذا ما قد بينته السنة من امر الرجم وقولها
ولعلهم يتفكرون اي اراد ان تصلهم الى التنبيه فيستهووا وقيل
افامن الذين مكروا السيئات والسيئات هنا مصدر نعت
لمصدر محذوف اي لمكرات السيئات والذين مكروا في قول
الاكثرين هم اهل مكة واراد الله صلى الله عليه وسلم
ان يخسف الله بهم الارض قال ابن عباس رضي الله عنهما والخسف
هو بلعة الارض للمخسوف بهم وقعودها به الى اسفل سافلين
اي الى الارض السفلا والعياذ بالله تعالى من ذلك كله وذكر الفقاش
رضي الله عنه انه قد وقع خسف في هذه الامة وقوله هنا بهم
الارض اي كما فعل بقارون وذكروا ان ارجلا من اهل مصر
خسف بها وحين احس اهلها بذلك اخذ اكثر اكرهم فاذا بعض التجار
ممن كان يرد عليها آتيا من ذلك من بعيد فرجع بسمائر بقي او فاتهم
العذاب من حيث لا يشعرون اي من الجهة التي لا يشعرون بها
اي يجيء العذاب منها كما فعل بقوم لوط او فاجأهم
بقتلهم اي في اسفارهم والاخذ هنا الاهلاك لقوله
سبحانه وتعالى فكلا اخذنا بذنبه او ياخذهم على تخوف
اي على نقص قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال ابن بحر هو
شدة السعلة اي على حد وتثها الا تجاوز منها كالرجاج
وان الاول هو الصواب ولقد ختم الآيات هنا بقوله ان ربكم
لرؤف رحيم لان فيها دلت مهلة وامتداد وقت فيمكن فيه
التلافي كما قيل اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون الآية لما ذكر تعالى
قدرته على تعذيب الماكرين واهلاكهم بانواع من العذاب
ذكر سبحانه وتعالى طواعية ما خلق من عرضه وخضوعه حينئذ
كحال الماكرين ليبهتهم على انه ينبغي لهم ان يكونوا
طائعين منقادين لامر سبحانه وتعالى والاستفهام هنا معنى
التوبيخ والجملة من قوله تتفيؤ ظلاله في موضع الصفة لشيء
وما موصولة والعائد محذوف تقديره خلقه ومن شيء
تبيين لما ابهم في لفظ ما وتتفيؤ تتفعل من الفيء
وهو الرجوع يقال فاء الظل بعد فيء اذا رجع وعاد بعد
ما نسخه ضياء الشمس وفاء اذا عدى فالمراد كقوله تعالى فيما افاء
على رسوله من اهل القرى ويحتاج ذلك الى تنقير من كلام او نحو قوله فيأ

فرجع

فرجع

تملوا

الله

بعد الظل فيئا
وفيأ هو من
باب الطاوعة
فهو لازم اي

وقوله سجدا لله وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله وما
اجازه الزمخشري رضي الله عنه من ان وهم داخرون حالا من
الضمير في ظلاله فعلى جمهور البصريين لا يجوز وهي مسألة
في غاية الظهور بدأ به ثم انتقل الى سجود ما في السموات
والارض من دابة والملائكة وقال الزمخشري رضي الله عنه
فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من
الدواب على غيرهم قلت اوجيء بمن ولم يكن فيه دليل على
التغليب فكان متأولا للعقلاء فجيء بما هو صالح للعقلاء
وغيرهم ارادة العموم انتهى وظاهره تسليم ان من قد
تشمل العقلاء وغيرهم على جهة التغليب وهذا ليس بجواب
لانه قد اورد السؤال على التسليم ثم ذكر الجواب على غير
التسليم فصار المعنى ان من يغلب بها والجواب لا يغلب
بها وهذا في الحقيقة ليس بجواب ومن دابة يجوز ان يكون
بيانا لما في الطرفين ويكون في السموات خلق يدبون ويجوز
ان يكون بيانا لما في الارض ولهذا قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما يريد كل ما دب على الارض وعطف والملائكة على
ما في السموات وما في الارض وهم مندرجون في عموم ما تشريفا
لهم وتكريما والظاهر ان الضمير في قوله يخافون عائد على
المنسوب اليهم السجود في قوله وله يسجد والفوقية المكانية
مستحيلة بالنسبة اليه سبحانه وتعالى فان علقته بيخافون
كان على حذف مضاف اي يخافون عذابه كائنا من فوقهم
لان العذاب انما ينزل من فوق وان علقته بربهم كان حالا
منه اي يخافون ربهم غالبا قاهرا كقوله تعالى وهو القاهر
فوق عباده والجملة من قوله يخافون يجوز ان يكون حالا من
الضمير في لا يستكبرون وقوله ويفعلون ما يؤمرون اما
المؤمنين فبحسب الشرع والظاهر واما غيرهم من الحيوان فهو
يكون بالتسخير والقدر الذي يسوقهم الى ما نفذ من امر الله
عز وجل وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد
فاياي فارهبون الاية ولما كان الاسم الموضوع للافراد وقد
يكون مع التثنية وقد يتجوز فيه فيراد به الجنس نحو نعم
الرجل زيد ونعم الرجلان الزيدان وقال الشاعر
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب اولها الكلام
ولما نهى سبحانه وتعالى عن اتخاذ الهين واستلزم النهي عن اتخاذ
الهة اخبر سبحانه وتعالى انه اله واحد كما قال تعالى والهكم
اله واحد باداة الحصر وبالتاكيد بالوحدة ثم امرهم بان يرهبوه

اي يخافوه

مذهب

ان يخافوه والتفت هنا من الغيبة الى الحضور لانه ابلغ
في الرهبة وانتصب اياي بفعل محذوف يفسره المذكور
عليه تقديره واياي ارهبوا وتقدم نظيره
في النمل وقال ابن عطية رضي الله عنه واياي منصوب بفعل
مضمر يقدر وارهبوا اياي وارهبون امتي وهذا ذهول
عن القاعدة النحوية انه اذا كان المعمول خاصا ضمر عامل خاص
ثم التفت من التكلم الى ضمير الغيبة فاخبر تعالى ان
له ما في السموات والارض وله الدين اي الطاعة والملك واصبا
اي دائما واجبا متصلا تعالى وصب الشيء دام قال ابو الاسود رضي الله
لا ابتغي الحمد المحل بقاءه يوما ويذهب ما جمعن واصباه
افغير الله تتقون استفهام تضمن التوبيخ والتنعي اي بعد ما قد
عرفتم وحدانيته تعالى وان ما سواه له وبحاجة اليه كيف
تتقون وتخافون غيره ولا نفع ولا ضر يقدر عليه وما
بكم من نعمة ظاهرة وباطنة من نعم الدنيا والدين فمن
الله استقرارا اي وما استقر بكم ومن نعمة تفسير لما والخبر من
الله على اضمار مبتدا محذوف تقديره فهي من الله وقوله
ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا ممارزقناهم الآية ذم لهم
في قوله تعالى ويجعلون عائد على الكفار وفي لا يعلمون عائد
على ما الى عائدة على الاصنام او على جماد لا علم لها ولا شعور
والمعنى هو ما حكوه لها من الحرث والانعام فسبحانه
وتعالى وتعليم ذلك ان يجعلوا مما رزقهم نصيبا للاصنام
ثم اقسم بحياته وتعالى على انه يسألهم عن افترائهم
واختلافهم لياشرنهم مباشرة الهة وتسمية الله اياهم
مشعل وتسوادك الوجه فما لا يغني لانفسهم وتربد
وجوههم حين تسند اليهم وتكفهر اشد الكراهة وكانت
خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله بما نسبوا لها
لدعمالا لملق بجلاله ولهم ما يشتهون وهم الذكور والجملة من
مبتدا وخبر وهو معلق يجعلون واذا بشر احدهم بالانثى
المشهور ان البشارة في الخير وهنا قد يراد بها
مطلق الاخبار او بشر والبشرة وهو الجلد الذي تبين بها
بالانثى اي بولادة الانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقوله
ظل اي صار وافعل ظل انضاف واسمها ضمير الذكر الذي يجيء
بعدها مسودا خبر ظل وسواد الوجه كناية عن العبوسة
والغم والكرة والشر فالى لحقته وهو كظيم اي يمسك
القلب حزنا وغما وكظيم يحتمل ان يكون للمبالغة من كاظم

وحتمل ان يكون قائما مقام مفعول كما قال الله عز وجل وهو
مكظوم وقال بعضهم مكظوم اي مملوء مسدود والعلم يتواري
اي يختفي من السوء من سوء ما يكسبه والظاهر من قوله الا ساء
ما يحكمون رجوعه الى قوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم
ما يشتهون الاية اي بئس ما يحكمون في نسبتهم الى الله سبحانه
وتعالى ما هو مستكره عبدهم وفاقد عندهم طبعهم بحيث
لا يحكمون بنسبتهن اليهم وفي قوله ما يحكمون مصدرية تقديره
بئس حكمهم للذين لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء من الكفر بالله
وجعل الشر لهم معه اصناما ونسبة القول اليه سبحانه وتعالى
وان كان هو الحق لانه المثل الاعلى اي الصفة العالية من تنزيهه
سبحانه وتعالى عن الولد والصاحبة وجميع ما يتقولونه
الكفرة ويشبهونه به تعالى كالتشبيه والانتقال وظهوره
تعالى في سيرته وتاسب الختم بالعزيز وهو الذي لا يوجد نظيره
الحكيم الذي يضع الاشياء في مواضعها ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم الاية لما حكى الله سبحانه وتعالى عن الكفار عظم
ما ارتكبوه من الكفر ونسبة التي الدالية من سبحانه وتعالى
الله بمهلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة اظهار الفضله ورحمته
وتوا خذ مضارع واخذ والظاهر انه هنا بمعنى المجرد
الذي هو اخذ والضمير في عليها عائد على عز مذكور وداعي
ارتباط الارض قوله من دابة لان الدبيب في الارض لا يكون الا
من الناس والدواب عرفا والظاهر عمومه قوله من دابة
فيهلك الصالح بالطالح فكان يهلك جميع ما يدب على
الارض حتى الحبارى ان في جحرها وكل يوحوشهم الاية تقدم
نظيره في الاعراف وقوله وهدى ورحمة عطف على موضع بصائر
على انهما مفعول من اجله وقد انتصب هنا لاتحاد الفاعل
في الفعل لان محله نصب فيعطف منصوبا عليه لا يقال
انه لو نصبه لم يجز ايضا لاختلاف الفاعل قال تعالى او من
كان ميتا فاحييناه الاية فكما ان صير الارض خضرة بانبات
نضره بعد همودها كذلك القاء الحق بالقرآن بعد ان
كان ميتا بالجهل وذلك حتم تعالى بقوله يسمعون
اي هذا التشبيه المشار اليه والحق سماع انصاف وتدبر
وقد يكون لملاحظة هذا المعنى ما نتن لك ذلك والله اعلم
والله اعلم تحتم هذه الاية بقوم ينظرون وان كان ان ان للطير مما
ينظر ويشاهد وان لكم في الانعام لعبرة الاية لما
ذكر سبحانه وتعالى احياء الارض بعد موتها ذكر ما يشاهد من الطير وهو

حياة الانسان تمام ليلى ما عرف العرف بما تناوله من امتلاء
الناشئ عن الخطر وشده على قدره العظيمة وهي خروج الدين
من حين وثيق ودم والعرق هو كشف ما بقي من الماء في الكوش
او في المعاء وذكر في قوله ممتلئ بطونها ولا ضعف في ذلك من
هذه الجهة لان الذكر والانثى هنا اعتبار وحمل
واعاد الضمير مذكرا مراعاة للمحل اذ المراد منع وقوع العقد
الدال على الحدث مقام جمعه حال عوده عليه مذكرا ان قولهم هذا
هو احسن انسان ويجوز ان يقال هو احسن شيء وان كان
هذا الاقياس عند سيبويه اي يقتصر فيه على ما قد قالته
العرب ومن ثمرات النحل والاعناب الآية هو متعلق
بقوله يتخذون ومنه حال من قوله ثمرات لانه جمع
يتبع مكانه المفرد كانه قيل ومن ثمر النخيل كما ذكر ملائما
لافراد الضمير في قوله ممتلئ بطونها لوقوع النعم مكان الانعام
والسكر في اللغة الخمر وقال الشاعر

بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم ... اذا جرى فيهم المزاء والسكر

وقوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة ناسب الختم بقوله
يعقلون لانه للاعتبار والتعقل كما قال الله سبحانه
وتعالى ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب وانظر الى الاخبار عن
نعمة اللبن وتعمة السكر والرزق الحسن لما كان اللبن اخيرا
الى معالجة من الناس اخبر عن نفسه سبحانه وتعالى
بقوله تعالى نسقيكم ولما كان السكر والرزق الحسن
مما يتخذ بالمعالجة من الناس قال تتخذون فاخبر عنهم بما
يتخذون وهم منه السكر والرزق الحسن ولما ذكر سبحانه وتعالى
النحل بالوحي الذي خصه به وكلمه ذكر سبحانه وتعالى
المنة بالشروب اللبن وغيره ام النعمة بذكر العسل
ولما كانت الخمر وما تتخذ من اللبن وغيره مما يعالج في
الناس اكثر من العسل قدم اللبن وغيره عليه وقدم اللبن
على ما تتخذ لانه المحتاج اليه كثيرا وهو الدليل على الفطرة ولذلك
اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اسري به عرض
عليه اللبن والخمر والعسل واختار ترتيبها في الامة كهذه الآية
في اخراج اللبن من النعم والسكر والرزق الحسن من ثمرات
النخيل والاعناب والعسل من النحل دالا على الالوهية وعلى
التدرج على كمالها والاحسان لرؤية معنى الانعام هنا الانعام
والالقاء في روعها وتعليمها على وجه فوق سبحانه وتعالى علم بكنهه
السبيل الى الوقوع عليه والنحل جنس واحد مخلة ويونث في لغة اهل الحجاز و

باب في نحو

ولذلك قال ان اتخذي وان هنا تفسيرية لانه تقدم
قبلها معنى القول وهو واوحى او هي تكون مصدرية اي
باتخاذ ومن هنا للتبعيض لانها لا تنتهي في كل جبل وكل
شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان والظاهر ان البيوت
هنا عبارة عن الكوى التي تكون في الجبال وفي سجوف
الاشجار واما من ما يعرش ابن ادم فالخلايا التي يضعها
للنحل ابن ادم والكوى التي تكون في الحيطان ولما كان النحل
نوعين منها ما مقره الجبال والغياض ولا يتعهده احد
ومنها ما يكون في بيوت الناس كما يتعهدونه بالخلايا
وغيرها فاسلكي سبل ربك ذللا وربما احدث مكانها
فانتجعت المكان البعيد ثم عادت الى مكانها الاول واضاف
السبل الى رب النحل من حيث انه سبحانه وتعالى هو خالقها
ومالكها والناظر في تهيئة مصالحها ومعايشها وقوله ذللا
اي غير متوعرة عليها سبيل تسلكه فعلى هذا ذللا حال من
من سبل ربك كقوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور او المراد بقوله
ذللا هنا للحال اي واسلكي متذللة يخرج من بطونها شراب
مختلف الوانه فيه شفاء للناس وسماه شرابا لانه مما يشرب
وقوله من بطونها لا يدل على تعيين المكان الذي يخرج منه
امن الفم ام من المخرج وقوله مختلف الوانه بالحمرة والبياض
والسمرة وذكر شفاء اما للتعظيم فيكون المعنى فيه شفا
اي شفاء واما للدلالة على مطلق الشفاء اي فيه بعض شفاء
للناس ليس على عمومه لان بعض الامراض لا يصلح فيه العسل
وقد ختم الله عز وجل هذه الاية بقوله ان في ذلك لاية لقوم
يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم الاية نبه سبحانه
وتعالى على قدرته التامة في انشائنا من العدم واماتتنا
وتنقلنا في حال الحياة من حالة الجهل الى حالة العلم وذلك كله
دليل على القدرة التامة والعلم الواسع ولذلك ختم هذه
الاية بقوله عليم قدير وقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر
اي اخره الذي تفسد فيه الحواس ويختل فيه النطق
والفكر وخص بالرذيلة لانها تكون حالة لا رجاء بعدها لاصلاح
ما فسد واللام في لكيلا لتعليل الرد الى ارذل العمر وهي حرف
جر وكي هنا ناصبة بنفسها بمعنى ان ثم نفى سبحانه وتعالى
ان يكون من فضل في الرزق رادا رزقه على مملوكه اذ ذلك
الرزق الذي يطعمه مملوكه هو رزق الله تعالى والكل مرزوقون

لله

يقدر تعالى ما لرزق بالرزق الذي قدره للمرزوق والمملوك
ذلك قال الله تعالى فهم فيه سواء اي المرزوقون والمملوكون
في الرزق سواء وذلك قال بعض العلماء رضي الله عنهم
فلا تقولن لي فضل على احد الفضل لله مالك الملك
قال الله عز وجل والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
والمراد بذلك انهم من جنسكم ونوعكم واحمل ان يكون
ذلك باعتبار خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه الصلاة
والسلام فنسب ذلك الى بني آدم عليه الصلاة والسلام
ولا الاحمائهن محال وقوله ويعبدون الخ
اخبار عن حالهم في عبادة الاصنام وفي ذلك تشنيع كقوله
تعالى افبالباطل يؤمنون وقال ابن عطية رضي الله عنه وتقدير
الانفصال في الاضافة حسن عمله وصدر حاجا ملافنا
مع الالف واللام والظاهر عود الضمير في يستطيعون
واما قول ان يعبر بهذا عن ما بهم بين في الملك
والاستطاعة التوكيد فليس كما ذكر لان نفي الملك هنا
معناه نفي الاستطاعة ولا نصر لهم فيه الا محال ان الله يعلم
وانتم لا تعلمون الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما اي لا تشهدوا
خلقه وقال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون انت الله عز
وجل العلم لنفسه والمعنى انه يعلم ما يفعلونه من عبادة
غيره والمشركون لا وعيرها عن الحق اذا بالعلم وقوله وانتم
لا تعلمون كذا ما اذ قد تقدم عليه والاول قال عافيه
صرف الضمير عن الغائب الى المخاطب وقوله هل هو وكل على
مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اين ما توجهه
لا يأت بخير يعني حيث ما يصرفه او يرسله في مطلب حاجة
او كفاية مهم لم يتبع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن
يأمر بالعدل اي هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس
نفاع ذو كفاية مع رشد وديانة فهو يأمر الناس
بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم اي على سيرة صالحة
ودين قويم ثم ذكر تعالى ان له غيب السموات والارض
وهو ما غاب عن اهل العباد وخفي عنهم غائبة وارظا
اتصاله بقوله ان الله يعلم وانتم لا تعلمون اخبر باستئثار
بعلم الغيب في السموات والارض ثم ذكر قدرته على
الاتيان بالساعة التي تنكر وهذا ايتها آية وكانه لا يحا
ومعنى مخبرات اي قد للت وفي هذا للمفعول دلالة
على ان لها مسخرا وهو الله سبحانه وتعالى والحق معناه مساق ما
بين السماء والارض

والمسكن لها من الله تعالى فهو اخبار من الله عز وجل ما رضيت
به الامم ومن والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية والسكن
فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض والغرار عن ابن عباس رضي الله عنه يقول
جاء الشتاء ولا اتخذ سكنا باب يجمع فيه من جفر القوائم
وليس السكن هنا بمصدر كما ذهبت اليه ابن عطية رضي الله عنه
والظاهر انه مندرج في البيوت التي هي من جلود الانعام
بيوت الشعر وسوق الصوف والوبر وقوله تستخفونها
يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون يخف عليكم حملها
وثقلها او يوم تنزلون وتقيمون في مكان لم تثقل عليكم
حين نصبها والظاهر ان اثاثا معطوف والتقدير وجعل
من اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين
اي الى حين انقضاء آجالكم والله جعل لكم مما خلق ظلالا
لما كانت بلاد العرب غالبا عليها الحر امتن عليهم بما كفر
ما يكنهم منه كالظلال فمنه ظل واما كنان من الجبال العرب
والكهوف والبيوت المنحوتة منها والسرابيل القمص
على البدن من قميص وعبر وقم مخروق قد ذكرناه
للحر والبرد لان ما وقى الحر يكن بان يقي البرد
وقلما سئل بلدكم باسلم هذه كناية عن انحاء الدروع
في الحروب والقتال وغيرذلك كذلك يتم نعمته عليكم
لعلكم تسلمون اي تستسلمون على نعمه جميعها فان تولوا فانما
عليك البلاغ المبين اي الابلاغ البين وقوله فان تولوا اي ان
اعرضوا عن الاسلام ويحتمل ان يكون مضارعا اي فان
يتولوا وحذفت احدى التاءين وتكون جاريا على الخطاب السابق
والمضي على الالتفات والمعاد ما بعدها فالكوفيون جواب
الشرط صورة وللجواب حقيقة محذوف اي فانت
تعذر اذ ادت ما وجب عليك فاقتصر سبب العذر
وهو البلاغ مقام المسبب لدلالة عليه ويوم نبعث من
كل امة شهيدا الآية تذكار لهم نعمة الله عز وجل ذكر
حال يوم القيامة حيث لا ينفع فيه الا انكار على سبيل
التوبيخ لم تدلك اليوم وانتصب يوم باضمار اذكر ومتعلق
الاذن محذوف فقيل يرجع الى دار الدنيا او في الكلام
والاعتذار ولا هم يستعتبون اي لا يزال عنهم العتب
ويوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم والمعنى في كلتيهما
انه بعث انبياء الامم فيهم منهم والخطاب في ترك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والالتفات بعيد لاداء الى امته وزانا

مستقيم

استيناف إيجاب وليس داخلا مع ما قبله لاختلاف الزمانين
ولما ذكر ما شرفه الله تعالى به من الشهادة على أمته ذكر ما أنزل
عليه مما فيه بيان كل شيء من أمور الدين ليزيح بذلك عليهم
فيما كلفوا فلا حجة لهم ولا معذرة والظاهر أن تبيانا
مصدر جاء على تفعال قال الزمخشري رضي الله عنه فإن
قلت كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء قلت المعنى
أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها وإحالة
على السنة حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطاعته وقوله وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى
وحثا على الإجماع من قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم
في قوله عليه الصلاة والسلام أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم
اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا وأطرق القياس
والاجتهاد فكانت السنة والاجتهاد والإجماع والقياس
مستندة إلى تبيين الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء
انتهى قوله وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى قوله اهتديتم لم يقل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو حديث موضوع لا يصح بوجه من الوجوه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الحافظ الوزير أبو محمد علي بن أحمد
ابن حزم في رسالته في إبطال القياس والرأي والاستحسان
والتعليل والتقليد ما نصه وهذا خبر مكذوب
موضوع باطل لم يصح قط ذكر بإسناده إلى البزار صاحب
المسند قال سألتم عما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
مما في أيدي العامة ترويه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال إنما مثل أصحابي كمثل النجوم أو كالنجوم
بأيها اقتدوا اهتدوا فهذا كلام لم يصح عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم رواه عبد الرحيم ابن زيد العمي
عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر رضي الله عنهما عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يثبت والنبي صلى الله عليه
وسلم لا يصح بعده الاختلاف من أصحابه هذا نص كلام
البزار رضي الله عنه انتهى والله أعلم إن الله يأمر بالعدل
والإحسان الآية روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
في حديث فيه طول منه أن عثمان ابن مظعون كان جليس
النبي صلى الله عليه وسلم وقتا فقال له عثمان ما رأيتك
تفعل فعلتك الغداة قال وما رأيتني فعلت قال

قوله ووطئوا أي بتشديد الطاء

أي حديث مطول

رأيتك يا رسول الله قد شخص بصرك إلى السماء ثم وضعته
على يمينك فتحرفت عني لئلا تركتني فأخذت تنغض رأسك
كأنك تستفهمه شيئا فقال لك فقال لا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصبت له ذلك قال نعم فقال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم إني رسول ربي إليها وأنت جالس قال
فما ذا قال لك قال قال لي إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم
لعلكم تذكرون فذكر الآية كلها قال عثمان رضي الله عنه فذلك
حين مكنت الإيمان في قلبي فأحببت محمدا صلى الله عليه وسلم ومناسبة
هذه الآية لما قبلها أنه لما أمر بالوفاء بالعهد وذكر قوله وعلى الله
فكل شيء ووصل به ما يقتضي التكاليف فرضا ونفلا واخلاقا
وآدابا والعدل فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع
الناس في أداء الأمانات وترك الظلم وإلا نصاف وإعطاء
الحق والإحسان فعل كل مندوب إليه وإيتاء ذي القربى هو صلة
الرحم وهو مندرج تحت الإحسان لكن نبه سبحانه وتعالى عليه
اهتماما به وحصا على الإحسان إليه والفحشاء الزنا والمنكر
الشرك والبغي هو التطاول بالظلم والسعاية فيه وهو داخل
في المنكر وإنما عطف عليه اهتماما باجتنابه لعظم مفاسده الدنيوية
لعلكم تذكرون أي لكي تتنبهوا لما أمرتم به ونهيتم
عنه وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد
توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا والجملة من قوله وقد
جعلتم هو في موضع الحال ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد
قوة أنكاثا الآية أي لا تكونوا في نقض العهد بعد توكيده وبعد
توثيقه كالمرأة الورهاء أي الحمقاء تنرم فتل غزلها ثم تنقضه
نكثا وهو ما يحكم فتله من الشعر لا يقتضي تعيين أمة به
وعن الكلبي وقتادة رضي الله عنهما المراد هنا بقوله كالمرأة الورهاء
هي امرأة من قريش حمقاء كان اسمها ريطة بنت سعد بن تيم
تلفت صخرا وكانت قد اتخذ قعر لا قدر وغزل وصناعة
مثل اصبح وفلكة عظيمة على قدر تلك الصناع المتقدم ذكرها فكانت
كما بنت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن
فينقضن ما غزلن والظاهر أن قوله من بعد قوة أي شدة قد
حدثت من تركيب قوى الغزل والنكث في اللغة الفتل إذا انتقضت
قواه والدخل الفساد والدغل جعلوا الأيمان دغلا لما يقع في الخداع والغدر
وذلك أن المحلوف له مطمئن ممكن للحالف أنهى ولو شاء الله لجعلكم
أمة واحدة الآية هذه المشيئة هي مشيئة اختيار على مذهب أهل السنة

اشلى الناس بالامر والنهي لمذهبك الى ما قد يسر له
ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر النهي عن اتخاذ الايمان
دخلا بينها بذلك مبالغة في النهي عنه لعظم موقعه
جلال الدين قال ابن عطية رضي الله عنه وتردده في مقابلة
الناس وقال ابن محشري تاكيد اعليهم واظهار لعظم
شيهم اي لعظم ما يرتكبه
وقيل انما كرر لاختلاف المنهيين لان الاول نهي عن الدخول
في الحلف وتقض المعهد بالقلة والكثرة وهنا نهي عن الدخل
في الايمان التي يراد بها اقتطاع حقوق فكانه قال دخلا
بينكم لتتوصلوا به الى قطع اموال الناس واقول لم تتكرر
النهي عن اتخاذ الايمان دخلا ايمنع سبق اخبار بانهم اتخذوا
ايمانهم دخلا فعلل النهي بخاص وهو ان تكون امة يمينا في
من امة يوم قال في كل نفس تجادل عن نفسها الا يوم ظرف
وهو هنا منصوب باذكر مقدرا اي نقدر قبله اذكر يا محمد
يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وعلى انه مفعول به والظا
عموم كل نفس فتجادل المومن والكافر وجدالة بالكذب
والمحمد فتشهد عليهم الرسل والجوارح حتى لا ينطقون
وصرفت اهم ملاقرية كانت امنة مطمئنة الاية والمراد
بها قرية من قرى المتقدمين الاولين جعلت مثلا لمكة
على معنى التحذير لاهلها ولغيرهم من المتاخرين الى يوم
القيامة قال ابن محمري رضي الله عنه يجوز ان يراد بها قرية
مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية
كانت هذه حالها فضربها الله تعالى مثلا لمكة اذ ان من مثل
عاقبتها انتهى ولا يجوز ان يراد قرية معقدرة على هذه
الصفة بل لا بد من وجودها لقوله تعالى ولقد جاءهم
رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون وقوله
تعالى في الاية الكريمة فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما
انواعها ولمسة من جميع ما لا تعرفها من نعمة ربها فكفرت
جمع نعمة والظاهر ان الضمير في ولقد جاءهم عائد على ما
عاد
عليه في قوله بما كانوا يصنعون فقال واشكروا نعمة الله قال
امرهم بالاكل مما رزقهم عدد عليهم محرمات الله تعالى وبهائم
عن نحرهم وتحليلهم بما لم يحرم دون اتباع ما شرع الله تعالى
على لسان انبيائه وعلى جميعهم الصلاة والسلام وقوله
انما حرم عليكم الميتة تقدم تفسير نظيرها في سورة البقرة
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا

على الله الكذب
لما بين سبحانه وتعالى

ولما امرهم بالاكل مما رزقهم عدد عليهم محرماته تعالى ونهاهم
عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم دون اتباع ما شرع لهم على لسان
انبيائه وكذا جاء في سورة البقرة ذكر ما حرم اثر قوله كلوا
مما رزقكم الله وقوله انما حرم تقدم تفسيرها في
البقرة اي تفسير نظير هذه الاية انتهى ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام الاية لما بين
سبحانه وتعالى ما حرم بالغ في تاكيد ذلك بالنهي عن الزيادة
فيهما فيما حرم وما مصدرية والكذب مفعول بتصف
اي بوصف السنتكم الكذب وهذا حلال وهذا حرام
تفسير للكذب ويجوز ان تكون ما موصولة بمعنى الذي
وتصف صلته والضمير العائد على ما محذوف تقديره
تصفه السنتكم والكذب بدل من هذا الضمير المحذوف
ويجوز ان ينتصب الكذب وقد قيل انه من صريح المصدر
فانه يجوز ان ينعته وليس لكل مصدر حكم المنطوق به وانما
يتبع في ذلك ما تكلمت به العرب وقوله هنا متاع وقد
ارتفع هنا على انه خبر مبتدا محذوف تقديره عيشهم في الدنيا
متاع قليل وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من
قبل تقدم ما حرم عليهم في اخر سورة الانعام ويتعلق
بقوله من قبل بقوله قصصنا عليك وهو الظاهر وقيل بحرمنا
والمحذوف الذي في من تقديره من قبل تحريمنا على اهل ملتك
والسوء هو ما يسوء صاحبه من كفر ومعصية وغيرهما والكلام
في الذين امنوا وما يتعلق بذلك قد تقدم نظيره والله اعلم
ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا مناسبة هذه الاية
للايات التي قبلها انه لما ابطل سبحانه وتعالى مذاهب المشركين
في هذه السورة والطعن في نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتحريم ما حرم عليهم وتحليل ما احل وكانوا مفتخرين
بجدهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا وسائر الانبيا
والمرسلين الصلاة والسلام ذكره في اخر السورة واوضح منهاجه
وما كان عليه من طاعة الله تعالى ورفض الاصنام ليكون ذلك
حاملا لهم على تركها والاقتداء به قال ابن عطية رضي الله عنه
قال مكي رحمه الله تعالى ولا يكون يعني حنيفا حال من ابراهيم
لانه مضاف اليه وليس كما قال لان الحال قد تعمل فيها حروف
حروف الخفض اذا عملت في ذي الحال كقولك مررت بزيد قائما
انتهى وقوله شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم
روي انه كان عليه الصلاة والسلام لا يتغدى الا مع ضيف

الله

حالا

فلم يجد

فلم يجد ذات يوم صنفا فاخرج عذاه فاذا هو بفوج من الملائكة
في صورة البشر قد عاهم الى الطعام فتمثلوا له انهم جذامى
فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله تعالى على ما به
عافاني وابتلاكم وانتماه في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وانه لمن الصالحين الآية قال الله تعالى ايها
الخلق وكل اهل الاديان سيقولون انهم منهم والنصارى
والمسلمون وحصر ما كان فريق فان محمدا ما ورد
وذلك لاجابة دعوته عليه الصلاة والسلام في قوله
واجعل لي لسان صدق في الآخرين ولما وصف ابراهيم
عليه الصلاة والسلام بتلك الاوصاف الشريفة امر نبيه
عليه الصلاة والسلام ان يتبع ملته وهذا الامر هو
من جملة الحسنة التي اقامها الله تعالى لابراهيم عليه الصلاة
والسلام في دار الدنيا كما تقدم في الاية وملته اي عقائد الشرع
دون الفروع بقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا ولما امر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد اختار يوم الجمعة فرد ذلك على
انه كان في شرع ابراهيم عليه الصلاة والسلام بين ان يوم السبت
لم يكن في شرع ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما هو مصدر
وبه سمي اليوم وتقدم الكلام في هذا اللفظ في سورة الاعراف
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة امر سبحانه
وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدعو الى دين الله عز وجل
وشرعه بلطف وهو ان يسمع المدعو حكمة وهو الكلام الصواب
القريب الواقع في النفس اجمل موقع وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الحكمة هي القرآن وعنه ايضا الموعظة الحسنة مواعظ القرآن
وقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اطبق اهل
التفسير ان هذه الآية مدنية نزلت في شان المثلة بحمزة
رضي الله تعالى عنه وكما في شان عدم الرد على الظالم عود
الضمير في هو الى المصدر الدال عليه الفعل منتهى الاضافة
اليهم اي لصبركم وللصابرين اي لكم ايها المخاطبون فوضع الصابرين
موضع الضمير تنا ومن الله تعالى بصرهم على الشدائد ونصرهم
على المعاندة ولما حث المخاطبون في المحاققة والصبر عنها عزم
على الرسول عليه الصلاة والسلام في الذي هو خير وهو الصبر فامر
وحث هو بالصبر ومعنى بالله اي بتوفيقه وتيسيره وارادته
والضمير في عليهم يعود على الكفار وكذلك في يمكرون كما قال تعالى
ولا تاس على القوم الكافرين ومعنى المعية هنا هي بالنصر والتاييد والاعانة

قتادة رضي الله عنه كان قد حدث به

واكثر العلماء

سورة الاسراء مكية الا ان من الذين فتنوك الآية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الآية سبب نزولها ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقريش الاسراء به وتكذيبهم له في ذلك
وانزل الله تعالى هذه الآيات من اول هذه السورة فقدمنا
له عليه الصلاة والسلام وهذه السورة مكية الا ايات قد اختلف
فيها ذكر في البحر ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه سبحانه وتعالى
امره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وان لا يضيق صدره من مكرهم
وكان من مكرهم نسبته الى التكذيب والسحر والشعر وغير
ذلك مما قدر موقوعه فاعقبه الله سبحانه وتعالى ذلك
بشرفه وفضله واختصاصه به وعلو منزلته عنده وتقدم
الكلام على قوله سبحان في سورة البقرة وقوله اسرى بمعنى سرى
والنقل من ضمير الغيبة في قوله بعبده الى ضمير المتكلم في قوله
لنريه من آياتنا والظاهر ان هذا الاسراء كان مناما
وذلك كذبت به قريش وشغلت عليه والمسجد الاقصى
هو بيت المقدس وسمي بالاقصى لانه كان بعد ذلك الوقت اقصى
بيوت الله تعالى اضافة من الكعبة والذي باركنا حوله هي
اضافة مدح لان كل شيء اراك خارص وبركته في ذكرها الله تعالى
هي ما خصه به من الخيرات الدنيوية كالاشجار والانهار والثمار
وغير ذلك من البركات الدينية كالانبياء والشرائع والرسل الذين
كانوا في ذلك القطر وكذا من الدنيوية من كثرة الاشجار
والانهار وطيب الارض وفي الحديث انه سبحانه وتعالى بارك
فيما بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس
وفي اضافته سبحانه وتعالى عبده تشريف عظيم وكرامة اما آتى
الشريف لغلط العبد كقوله نعم العبد وان عبادي
ليس لك عليهم سلطان واذكر عبادنا ابراهيم ويروى عنه ايضا
انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت ام هانئ رضي الله عنها
بعد صلاة العشاء الاخيرة فاسري به ورجع من ليلته تلك
فقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم
اماما فلما قام ليخرج الى المسجد فشبثت ام هانئ بثوبه
فقال لها مالك اي ما احتاك وما الذي يريد بنبه فقالت
اني اخشى ان يكذبك قومك اذا اخبرتهم بذلك اري بما اخزني
به قال اي حدثهم بذلك وان كذبوني فحدث الله ابا جهل
فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال
ابو جهل يا معشر كعب ابن لوي هلم فحدثهم بما حدثك به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا

وكان اول من كان من اصحابه ممن كان امن به وسعى بخبره
الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد
صدق قالوا افتصدقه على ذلك قال نعم اني لاصدقه
على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من كان قد
سافر الى بيت المقدس وعرفه واستنعت المسجد
لبيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم
فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا له اخبرنا
عن عيرنا فاخبرهم عن عدد رحالها واحوالها وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
ذلك اليوم نحو الثنية فقالوا هذه والله الشمس
والله العير قد طلعت فقال احدهم والله الغير قد
اقلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم
يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السما
في تلك الليلة وكان اول من عرج به من بيت المقدس
واخبر قريشا بما رأى في السماء من ذلك الملكوت من العجائب
وانه لقي بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبلغ البيت
المعمور وسدرة المنتهى الى غير ذلك انه هو السميع لاقوال خلقه
صلى الله عليه وسلم العليم لافعالهم صلى الله عليه وسلم وفيه
التفات من ضمير المتكلم الى ضمير الغائب في آياته وانما سوى
الكتاب هو معطوف على الجملة السابقة من قوله سبحانه وتعالى
وتبرئة من السوء والا لزم من عطف الجمل الساذكر في الخبر
او غيره وكما ذكر شرف الرسول عليه الصلاة والسلام بالاسرا
وآياته الآيات ذكر شرف موسى عليه الصلاة والسلام بايتاء
التوراة والكتاب هو التوراة والظاهر عود الضمير في قوله
وجعلناه على الكتاب اي لا تتخذوا من دوني وكيلا اي
لئلا تتخذوا ومن جملة تبشيره او عاطفة ويحتمل ان تكون
مصدرية تعليلا وانتصب ذرية على النداء اي يا ذرية
وقوله ذرية من حملنا رفع ذرية وخرج على ان
يكون بدلا من الضمير في قوله تتخذوا او على قراءة من قرأها
بالتاء لانه قال ابن عطية من الله عند ولا يحسن في القراءة
بالتاء لانك لا تندك من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك
زيدا على الله لم يجز اه ثم ما ذكره من اطلاق انك لا تندك
من ضمير مخاطب وذهب جمهور البصريين الى المنع منه
ومذهب الاخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجوب
ذلك في كلام العرب وقد تتبعت لساعلى صحة ذلك في شرح

اي كشف بلاء

التعبير

التسهيل

وذكر من حملنا مع نوح تنبيها على النعمة التي نجاهم الله بها من الغرق
والظاهر ان الضمير في قوله انه عائد على نوح عليه الصلاة
والسلام اي كونوا موحدين شاكرين لنعم الله تعالى مقتدين
بنوح عليه الصلاة والسلام الذي انتم ذرية من حمل معه
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين
ولتعلن علوا كبيرا الاية قضى يتعدى بنفسه الى مفعول
كقوله تعالى فلما قضى موسى الاجل ولما ضمن هنا معنى الايحاء
او الانفاذ تعدى بالى اي واوحينا او انفذنا الى بني اسرائيل
بفسادهم في الارض وعلوهم ثم اقسم سبحانه وتعالى على
وقوع ذلك وانه كائن لا محالة فحذف متعلق متعلق قضينا
وابقى منصب القسم المحذوف ويجوز ان يكون قضينا اجري مجرى
القسم ولتفسدن جوابه كقولهم قضى الله لاقومن
وقوله فاذا جاء وعد اولاهما اي بقتل زكريا عليه الصلاة
والسلام ونشره في الشجرة بالمنشار والثانية حبسهم ارميا
حين انذرهم سخط الله سبحانه وتعالى فاذا جاء وعد
اولاهما اي موعود اولاهما والوعد قد سبق بذلك
والموعود هو العقاب والضمير في اولاهما عائد على المرتين
بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد قال ابن عباس رضي الله عنهما
غزاهم سنجاريب وجنوده ملك بابل وقيل بخت نصر
وروي انه دخل قبل ذلك في جيش من الفرس وهو خامل
يسير في مطبخ الملك فاطلع من جور بني اسرائيل على ما لم تعلمه
الفرس لانه كان يداخلهم فلما انصرف الجيش ذكر ذلك للملك
الاعظم فلما كان بعد مدة جعله الملك رئيس جيش وبعثه
فلما خرب بيت المقدس وقتلهم وجدوهم ثم انصرف فوجد
الملك قد مات فتملك موضعه واستمر حاله حتى ملك الارض
بعد ذلك والبعث هنا الارسال والتسلط وقوله اولي باس
شديد اي قتال وحرب شديد لقوتهم ونجدتهم وكثرة
عددهم وعددهم فجاسوا خلال الديار واسند الجوس وهو التردد
خلال الديار بالفساد اليهم لتخريب المساجد واحراق التوراة
من جملة الجوس المسند اليهم وكان وعدا مفعولا اي منجزا
ما وقع به الوعد من العقاب ثم رددنا لكم الكرة عليهم هذا اخبار
من الله تعالى لبني اسرائيل في التوراة وجعل رددنا موضع نرد
اذ وقت اخبارهم لم يقع الامر بعد لكنه لما كان وعد الله تعالى
في غاية الثقة انه يقع عبر عن مستقبله بالماضي والكرة هي
الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليهم حين تابوا ورجعوا

عن الفساد

عن الفساد ملكوا بيت المقدس قبل الكرة قبل بخت نصر واستنقاذ
بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذكر في سبب ذلك
ان ملكا غزا اهل بابل وكان بخت نصر قد قتل من بني
اسرائيل اربعين الفا ممن يقرؤا التوراة وبقي بقيتهم
عنده ببابل في الذل والصغار والهوان فلما غزاهم ذلك
الملك وغلب على اهل بابل تزوج امراة من بني اسرائيل
فطلبت منه ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس ففعل
ذلك ثم بعد مدة قامت فيهم الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه وانتصب نفيرا
على التمييز فقيل النفير والنافر بمعنى واحد واصله من ينفر
مع الرجل من عشيرته واهل بيته وجواب وان اساتم فلها
وقوله فلها هو على حذف مضاف او مبتدا ولها خبره تقديره
فالاساءة لها فاذا جاء وعد الآخرة اي المرة الآخرة في افسادكم
وعلوكم وجواب اذا محذوف يدل عليه جواب اذا الاولى تقديره
بعثناهم عليكم وافسادهم وقرئ ليسوءوا بلام كي اي لكي
يسوءوا وجوهكم وقرئ لنسوء بنون العظمة اي بالنون
التي هي للعظمة وفيها ضمير يعود على الله سبحانه وتعالى والظاهر
انه اراد بالوجوه الحقيقة لان آثار الاغراض النفسانية
في القلب يظهر على الوجه ففي الفرح يظهر الاسفار
والاشراق وفي الحزن يظهر الكلوح والغيبة ويحتمل
ان يعبر عن الجملة بالوجه فانهم ساءوهم بالقتل والنهب والسبي
فحصلت الاساءة للذوات كلها وليدخلوا المسجد كما دخلوه
اول مرة اي مسجد بيت المقدس ومعنى كما دخلوه اول مرة اي
بالسيف والقهر والغلبة والاذلال وهذا يبعد قول من ذهب
الى ان اولى المرتين لم يكن فيها قتل ولا قتال ولا نهب ولا
غير ذلك وليتبروا ما علوا تتبيرا اي يهلكوا وقال
قطرب يهدموا وفي رواية اي يهلكوا ما غلبوا عليه من الاقطار
وقال الشاعر في معنى ذلك

فما الناس الا عاملان فعامل ... يتبر ما يبني وآخر رافع

والظاهر ان ما مفعول بيتبر اي يهلكوا ما غلبوا عليه من
الاقطار ويحتمل ان تكون ما ظرفية اي مدة استيلائهم
عسى ربكم ان يرحمكم اي بعد المرة الثانية ان تبتم وانزجرتم
عن المعاصي وان عدتم الى المعصية مرة ثالثة عدنا الى العقوبة
وقد عادوا فسلط الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب
الاتاوة عليهم وعن الحسن رضي الله عنه عادوا فبعث الله عليهم محمدا

اي التغيير

والمراد بالعلو الغلبة

صلى الله عليه وسلم فضرب عليهم الجزية

ثم يؤرون الجزية عن يد وهم صاغرون ثم ذكر ما اعد لهم في
الآخرة وهو محل جهنم لهم حصيرا اي محبسا يحبسون فيه
المحبس وقال ابن عباس ومقاتل على ارحائهم جمع الدرك
بناء الحصير قيام والذي يظهر انها حاصرة لهم محيطة بهم
من جميع جهاتها وجهاتهم فحصير معناه ذات حصير ولو
كان للمبالغة لرجع انتا آخر ملفوظ على حوت بحما تقول
رحيمة وعليمة ولكنه على معنى انث كقوله تعالى انما
منطر به امي ذات انطار ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
لما ذكر شيئا فدوقه تعالى من قد اختصه من خلقه وخصه
بالاسراء والمعراج وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتاه التوراة
وهو موسى عليه الصلاة والسلام وانه هدى لبني اسرائيل وفيما
ذكر ما قد قضى عليهم فيهما من التسلط عليهم مدة وفيهم
كان ذلك رادعا لمن عقد في معاصي الله عز وجل قد ذكر ما اشرف
الله رسوله به من القرآن الناسخ لحكم التوراة وكل كتاب الا في فهو
يهدي للتوراة الطريقة التي هي اقوم والذي يظهر من حيث المعنى
ان اقوم هنا لا يراد به التفضيل ولا مشاركة بين الطريقة
التي يرشد اليها القرآن وطريقة غيرها وفضلت هذه على غيرها
والمعنى التي هي قيمة مستقيمة وغيرها من الطرق ليست
مستقيمة كما قال تعالى وذلك دين القيمة وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة عذابا اليما وهذا عطف على قوله ان لهم
اجرا كبيرا وقد بشر المؤمنين بالفوز بالجنة ويكتب عليهم العذاب
الأليم لا عذاب اليم الكفار ادى علم المؤمنين بذلك ويبشرهم به مستقر
لهم فيما سار قال وفيهما الوعيد الشديد للكفار وقال
الزمخشري رضي الله عنه فان قلت كيف ذكر المؤمنين الاثرار والمتقين
الفجار ولم يذكر الفسقة قلت الناس حينئذ اما مؤمن تقي
واما مرتكب سيئ واما محدث امحاث المنزلة بين المنزلتين
بعد ذلك انتهى قد مكاتبة بك قد وقع في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بعض المؤمنين هنات وسقطات بعضها
مذكور في القرآن بعضها مذكور في الحديث الصحيح الثابت
وقال الله عز وجل ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان
عجولا قال ابن عباس وغيره نزلت هذه الآية ذامة لئلا يتعلل الناس
من الدعاء على اموالهم وانفسهم في اوقات الغضب والضجر
ومناسبة ما قبلها ان بعض الناس لانوميته ما الآخرة كان يدعو على
نفسه بشيء مما دعا به من الشر في الآخرة كقول النضر
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وكتب وديع و

جزء واحد

يغيروا واي بعد العين على حسب السمع والانسان هنا ليس
واحدا معينا والمعنى ان في طباع الانسان اذا ضجر وغضب
دعى على نفسه واهله وماله بالشر ان يصيبه كما يدعوا بالخير
ان يصيبه ثم ذكر سبحانه وتعالى ان ذلك من عدم تثبته
وقلة صبره وكونه خلق كثير التسرع لما يرد على قلبه لا يتأنى
ولا يبصر وجعلنا الليل والنهار آيتين الآية الظاهر ان آيتين
هو المفعول الاول والليل والنهار ظرفان في موضع المفعول
الثاني اي وجعلنا في الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل
اي جعلناه ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه
شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا آية النهار
مبصرة اي تبصر فيه الاشياء وتستبان ومعنى قوله
لتبتغوا فضلا من ربكم اي لتبتغوا من فضله بان تتوصلوا
الى استبانة اعمالكم وتصرفكم ومعايشكم والحساب للشهور
والايام والساعات ومعرفة ذلك في الشرع انما هو من جهة
آية الليل والنهار وكل شيء مما لا تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم
فصلناه اي تبيينا غير ملتبس والظاهر ان نصب وكل شيء
على الاشتغال وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي ان
جميع ما يلقاه الانسان من خير وشر فقد سبق به القضاء
والزم حظه وعمله ومكسبه ويلقاه منشورا صفة ان لكتاب
ويجوز ان يكون منشورا حالا من ضمير المفعول في يلقاه ويقال
له ايضا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي يقال له
اقرأ كتابك وقال قتادة رضي الله عنه يقرأ في ذلك اليوم
من لم يكن في الدنيا قارئا ويدل عليه ما تقدم ايضا ومن
ويخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدى عما غيب عن المرء مخبرا
قال الله عز وجل من اهتدى فانما يهتدي لنفسه قيل نزلت
الاشارة في الهدى الى ابي سلمة ابن عبد الاسود وفي الضلال الى الوليد
ابن المغيرة وتقدم تفسير قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى اي
في آخر سورة الانعام وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
غيا انتفاء التعذيب ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى حتى نبعث رسولا يتكذب ولا يؤمن بما جاء به من
عند الله سبحانه وتعالى وانتفاء التعذيب اعم من ان يكون
في الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب او في الآخرة بالنار فهو
يشملهما واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا
فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا الآية لما ذكر تعالى انه لا يعذب
احدا حتى يبعث اليه رسولا بين بعد ذلك علة اهلاكهم وهي مخالفة

مما تفتقرون اي تحتاجون

قولهم

امر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمادي على الفساد والفسق
واراد هنا على حقيقته وان نهلك يعني في الدنيا وقرئ امرنا
بتخفيف الميم من الامر وتقديره امر محذوف تقديره امرنا
بالطاعة مترفيها ويجوز ان يكون امرنا بمعنى كثرنا تقول العرب
امر القوم بكسر الميم اي كثروا وامرهم الله بفتح الميم اي كثرهم فكثروا
وصارت الحركة تصير بها الفعل متعديا تقول العرب
شترت عين الرجل بكسر التاء وشترها الله بفتح التاء انتهى
والقول الذي قد حق عليهم هو وعيد الله تعالى الذي وعد
رسولهم والتدمير الاهلاك مع طمس الاثر وهدم البناء مع اهلاك
اهلها وقرئ امرنا بالمد اي كثرنا وقرئ آمرنا بتشديد
الميم اي جعلناهم امراء ففسقوا فحق عليها القول بالهلاك وكم
اهلكنا من القرون من بعد نوح الاية قال الزجاج رضي
الله عنه قوله وكم اهلكنا هي في موضع نصب على المفعول
باهلكنا اي كثيرا من القرون اهلكناهم ومن القرون هو
بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس والقرون هي عاد
وثمود والمؤتفكات وغيرهم ويعني بالاهلاك هنا الاهلاك
بالعذاب وفي ذلك تهديد ووعيد شديد لمشركي مكة وقال
من بعد نوح ولم يقل من بعد آدم لان نوحا عليه الصلاة والسلام
اول نبي بالغ قومه في تكذيبه وايذائه وقومه اول من حلت
بهم العقوبة العظمى وهي الاستئصال بالطوفان وتقدم
القول في عمر القرون ومن الاولى هنا للتبيين والثانية
لابتداء الغاية وتعلقا باهلكنا لاختلاف معنييهما وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا انما يجيء في الاغلب في مدح او ذم
واعراب كفى بربك كاعراب كفى بالله وبذنوب عباده تنبيه
على ان الذنوب هي اسباب الهلكة وخبيرا بصيرا تنبيه على انه عالم
بها فمعاقب عليها من كان يريد الآخرة عجلنا له ما نشاء لمن نريد
قيل نزلت في المنافقين كانوا يغزون مع المسلمين لا للثواب ومن
شرط وجوابه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشيئته
اي ما نشاء تعجيله ولمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل لان
الضمير في له عائد على من الشرطية وهي في معنى الجمع ولكن جاءت الضمائر
هنا على اللفظ لا على المعنى وجعلنا بمعنى صيرنا والمفعول الاول
جهنم والثاني له لانه يتعقد منهما مبتدأ وخبر ويصلاها
حال من الضمير في له او من جهنم وقوله مذموما هي اشارة الى الاهانة
مدحورا اشارة الى البعد والطرد من رحمة الله تعالى وهما حالان
من الضمير المستكن في قوله يصلاها ومن اراد الآخرة اي ثواب الآخرة

مفعول له

العاجلة

بان يؤثرها

بان يؤثرها على الدنيا ويعتقد ارادته بها وسعى فيما كلف من الاعمال
والاقوال سعيها اي السعي المعد للنجاة فيها وهو مؤمن هو الشرط
الاعظم في النجاة فلا تنفع ارادة ولا سعي الا بحصوله
وفي الحقيقة هو الناشئ عنه ارادة الآخرة والسعي للنجاة فيها
وحصول الثواب فاولئك كان سعيهم مشكورا اشارة الى من قد
اتصفوا بهذه الصفات الحميدة وراعى هنا معنى من فلذلك
كان بلفظ الجمع فالله تعالى يشكرهم على طاعتهم وهو تعالى هو
الشكور على ما اعطى وانتصب كلا بقوله نمد والامداد معناه
المواصلة بالشيء وهؤلاء وهؤلاء بدلان من كلا بدل تفصيل
وقدره الزمخشري رضي الله عنه كل واحد من الفريقين نمدوا عربوا
هؤلاء بدلا من كلا ولا يصح ان يكون بدلا من كل على تقدير كل واحد
لانه يكون اذ ذاك بدل كل من بعض فينبغي ان يكون التقدير
كل الفريقين فيكون بدل كل من كل على جهة التفصيل
والظاهر ان هذا الامداد هو بالرزق في الدنيا ويدل على
هذا التاويل وما كان عطاء ربك محظورا اي ان رزقه
تعالى لا يضيق عن كافر ولا مؤمن المؤمن ولا عن الكافر ولا غيرهما
ومعنى محظورا اي ممنوعا والظاهر ان انظر بصرية لان
التفاوت في الدنيا مشاهد وكيف سؤال عن الهيئة
منصوب بفضلنا والجملة في موضع نصب على اسقاط حرف
الجر وهو الى ويجوز ان يكون انظر من نظر القلب فيكون
حرف الجر المقدر لفظة في والتفضيل هنا في الدنيا ودرجات
منصوبا على التمييز والمفضل عليه محذوف تقديره من
درجات الدنيا وتفضيلها والخطاب في قوله لا تجعل للسامع
المخاطب غير الرسول عليه الصلاة والسلام وقوله فتقعد مذموما
مخذولا الآية قال الفراء رضي الله عنه ونفعه الزمخشري رضي
الله عنه ومعنى قوله فتقعد اي فتصير فيكون اسمها هنا ضمير
المخاطب وخبرها مذموما وحكى الكسائي رضي الله عنه عن
قول العرب اي لغتهم تقول قعد لا يسأل حاجة الا قضاها واصحابنا
لا يجعلون قعد بمعنى صار الا في المثل في قولهم شحذ شفرته
حتى قعدت كانها حربة اي صارت ومذموما حال عندهم
من الضمير المستكن في فتقعد ويؤولونه على معنى فتثبت اي
وسكن في حال الذم والتغير والخذلان قال الله عز وجل وقضى
ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الآية قال ابن عباس
وجماعة من المفسرين قضى بمعنى امر وان حرف تفسير وقال
ابو البقاء رضي الله عنه ويجوز ان يكون في موضع نصب اي الزم ربك

الحميدة

هما

بنا

س

عبادته وحده

ولا هنا زائدة انتهى وهذا وهم لدخول الا على مفعول
تعبدوا فلزم ان يكون منفيا او منهيا ولا تعبدوا نهي عن
الاشراك معه سبحانه وتعالى وانه الجدير بالعبادة اي
الحقيق الاحق بها واحسانا مصدر بمعنى الامر لامر عطف
ما معناه امر على نهي كما عطف في قوله يقولون لا تهلك
اسى وتجمل وقد اعتنى بالامر بالاحسان الى الوالدين حيث
قرن بقوله لا تعبدوا الا اياه وتقديمهما اي وفي تقديمهما
اعتناء بهما على قوله احسانا او مناسبة اقتران بر الوالدين
بافراد الله تعالى بالعبادة من حيث انه تعالى هو الموجد
حقيقة والوالدان هما وساطة في انشائه وهو تعالى
المنعم بايجاده ورزقه وهما ساعيان في مصالحه ايضا
وقال الزمخشري رضي الله عنه اما هي ان الشرطية زيدت
عليها ما توكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل
ولو افردت لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك
ولكن اما تكرمنه يكرمك انتهى وهذا الذي ذكره الزمخشري
رضي الله عنه مخالف لمذهب سيبويه لان مذهبه انه يجوز ان
يجمع بين اما ونون التوكيد وان ياتي بان وحدها ونون
التوكيد وان تاتي باما وحدها دون نون التوكيد وقال
سيبويه رضي الله عنه في هذه المسالة وان شئت لم تفخم النون
كما انك ان شئت لم تجئ بما يعني مع النون وعدمها وقرئ
يبلغن بنون التوكيد وعندك متعلق به واحدهما فاعل
بيبلغن او كلاهما معطوف على احدهما وقرئ يبلغان فالالف
هنا تكون للتثنية والنون مشددة بعد الف الاثنين
واحدهما بدل من الضمير واو كلاهما فاعل بفعل محذوف
تقديره او يبلغ كلاهما والفاء في فلا جواب الشرط وقال
الزمخشري رضي الله عنه فان قلت لو قيل اما يبلغان
كلاهما كان توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت
لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم
في حكمه فوجب ان يكون مثله قلت هو بدل مقسوم به
كقول الشاعر وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها
الزمان فشلت انتهى ويلزم من قولك قوله ان يكون كلاهما
معطوف على احدهما وهو بدل والمعطوف على البدل بدل
والبدل مشكل لانه يلزم منه ان يكون المعطوف عليه
بدلا واذا جعلت احدهما بدلا من الضمير فلا يكون الا بدل
بعض من كل واذا عطفت عليه كلاهما فلا جائز ان يكون بدل بعض من كل

لان كلاهما

لان كلاهما مرادف للضمير من حيث التثنية فلا يكون بدل
بعض من كل ولا جائز ان يكون بدل كل من كل لان المستفاد
من كلاهما فلم يفد البدل زيادة على المبدل منه واما قول
ابن عطية رضي الله عنه وهو بدل مقسم كقول الشاعر
وكنت كذي رجلين البيت فليس هو بدل التقسيم لان
شرط ذلك العطف بالواو وايضا فالبدل المقسم لا يصدق
المبدل منه على احد قسميه وكلاهما يصدق عليه
الضمير واما المبدل منه فليس هو من البدل المقسم وقد ذكرنا
تخريجه على اضمار فعل فيكون كلاهما فاعلا بذلك الفعل فلا
تقل لهما اف ولا تنهرهما وقوله هنا اف هو اسم فعل بمعنى
التضجر ولم يات اسم فعل بمعنى المضارع الا قليلا نحو اف
واوه بمعنى اتوجع واذا كان قد نهي ان يستقبلهما بهذه اللفظة
الدالة على الضجر والتبرم بهما فالنهي عما هو اشد كالشتم
والضرب هو بجهة الاولى وفي قوله اف لغات كثيرة
ذكرت في البحر ولما نهاه تعالى ان يقول لهما ما مدلوله التضجر
منكما ارتقى الى النهي عما هو من حيث الوضع اشد من اف
وهو نهرهما وان كان النهي عن نهرهما يدل عليه النهي عن قول
اف لانه اذا نهي عن الادنى كان ذلك نهيا عن الاعلى بجهة
الاولى والمعنى لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك
وقل لهما بدل قول اف ونهرهما قولا كريما اي جامعا للمحاسن
من البر وغيره وجودة اللفظ ثم امره تعالى بالمبالغة
في التواضع لهما بقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
الآية قال القفال رضي الله عنه في تقديره وجهان
احدهما ان الطائر اذا ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه
ثم ضمه الى صدره والى جنبه وخفض الجناح هنا للادميين
كناية عن حسن التدبير فكانه قيل للولد الفل والديك
بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك
والوجه الثاني ان الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر
جناحيه واذا اراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض
جناحيه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا
الوجه ثم امره تعالى بان يدعو الله لهما بان يرحمهما رحمته
الباقية اذ رحمته عليهما لا فناء لهما على العلة الموجبة للاحسان
اليهما والتربية لهما واسترحام الله تعالى لهما وهي تربيتهما له صغيرا
وتلك الحالة مما يزيده اشفاقا لهما ورحمة اذ هي تذكير
لحالة احسانهما له وقت ان لا يقدر على الاحسان لنفسه وفي

ذلك وجوه كثيرة ذكرها
المفسرون ايضا صح

والظاهر ان الكاف في قوله كما الله قليل اي يرد ارحمهما ربيني
في واحسانهما الى حالة الصغر والافتقار وكم اعلم بما في نفوسكم
اخبر سبحانه وتعالى انه اعلم بما انطوت عليه الضمائر من
قصد عبادة او سبحانه وتعالى والبر بالوالدين ثم قال
ان تكونوا صالحين اي ذوي صلاح ثم فرط منكم تقصير في
عبادة او بر واسرع الى الخير فانه غفور لما فرط من هنا تعلم
والظاهر ان هذا عام في كل فرط منه جناية ثم تاب منها وان
دال القربى جمعه والمسكين وهو ان السبيل والمنذر نيز فرا
الآية لما امر سبحانه وتعالى ببر الوالدين اعقبه بصلة القرابة
والظاهر ان خطاب لم خوطب به اما شامل عند كل الكبر
والحق هنا ما تعلق له من صلة الرحم وسد الخلة والمواساة
عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه وهي سجاية وتعالى عن
التبذير وكانت اهل الجاهلية تحث ابنها وتنامر عليها
وقد ذم الله لهم الفخر والسمعة وتذكر ذلك في بعض اشعارها
فنهى الله سبحانه وتعالى عن النفقة في غير وجوه البر وافعال الخير
وامر بالنفقة وجوه الخير مما يقرب اليه سبحانه وتعالى وقوله
عز وجل ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين كونهم قرناءهم
في الدنيا وفي النار وفي الآخرة وتدل هذه الآية على
ان التبذير هو في معصية الله عز وجل وكونهم يطيعونهم
فيما يامرونهم به من الاسراف في الدنيا وذكر كفران الشيطان
لربه ليحذر ولا يطاع لانه لا يدعو الا الى خير ابدا وانما قال
تعالى وامان تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا الآية
قيل نزلت هذه الآية في جماعة من مزينة استحملوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لا اجد ما احملكم عليه فسلوا وروي
انه عليه الصلاة والسلام كان يعرض عن هذه الآية اذا لم يكن
عنده ما يعطي وسئل قال ترزقنا الله واياكم من فضله
فارجعنه على هذا الرزق المنتظر قال الزمخشري رضي الله عنه
ويكون ان يكون استعار رحمة من ربك على الخوف اشرفهم
ينتظرون به وقدم عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم
وعدا حسنا لا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من
ترجوها اي اسع رحمة الله التي ترجوها رحمتك عليهم انتهى
ما احتاج ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تنشطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا قيل نزلت هذه الآية في اعطائه صلى الله
عليه وسلم قميصه للسائل ولم يكن له غيره وهي عريانا وقيل اعطى الاقرع

ابن حابس

ابن حابس مائة من الابل وعيينة مثل ذلك والعباس ابن مرداس
خمسين ثم كملها له مائة فنزلت هذه الاية وقيل هي
استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول وذلك ان البخل معنى
قائم في الانسان يمنعه من التصرف في ماله فاستعير
له الغل الذي هو ضم اليد الى العنق فامتنع من تصرف
يده واحالتها حيث يريد وذكر اليد لان بها الاخذ والاعطاء
واستعير بسط اليد لاذهاب المال وذلك لان قبض اليد
يحبس ما فيها وبسطها يذهب ما فيها فطابق في الاستعارة
بين القبض والبسط اي بين قبض اليد وبسطها من حيث
المعنى لان جعل اليد مغلولة هو قبضها وغلها ابلغ في القبض
وقد طابق بينهما ابو تمام فقال في المعتصم عليه الصلاة والسلام
تعود بسط الكف حتى لو انه تناهى لقبض اليد لم يجبه انامله
والظاهر انه مراد بالخطاب امته صلى الله عليه وسلم والا فهو
عليه افضل الصلاة وازكى السلام كان لا يدخر شيئا لغد وكذلك
من كان واثقا بالله عز وجل حق الوثوق كابي بكر الصديق
رضي الله عنه حيث تصدق بجميع ماله وختم تعالى هذه
الاية بقوله خبيرا وهو العالم بخفيات الامور وبصيرا اي
بمصالح عباده حيث يبسط لقوم ويضيق لاخرين وقوله
تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق تقدم تفسير نظير
صدر هذه الاية والفرق بين خشية املاق ومن املاق
وبين قوله نرزقكم واياهم وبين قوله نرزقهم واياكم
ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
وساء سبيلا اي وبئس طريقا طريقه لانها سبيل تؤدي
الى النار وقال ابن عطية وساء سبيلا نصب على التمييز والتقدير
وساء سبيله سبيلا انتهى واذا كان سبيلا نصب على التمييز فانما
هو تمييز للمضمر المستكن في ساء وهو من المضمر الذي يفسره
ما بعده والمخصوص هنا بالذم محذوف واذا كان كذلك فلا
يكون تقديره وساء سبيله سبيلا لانه اذ ذاك لا يكون فاعله
ضميرا يراد به الجنس مقيدا بالتمييز ويبقى التقدير ايضا
عاريا عن المخصوص بالذم وتقدم تفسير قوله تعالى ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق في اواخر سورة الانعام ولما نهى عن
قتل الاولاد نهى عن قتل النفس فانتقل من الخاص الى العام
والظاهر ان هذه كلها منهيات مستقلة ليست مندرجة تحت
قوله وقضى ربك كاندراج ان لا تعبدوا الا اياه وانتصب
مظلوما على الحال من الضمير المستكن في قتل والمعنى انه قتل

بغير الحق

فقد جعلنا لوليه سلطانا فهو المطالب بدمه شرعا وقوله
سلطانا اي تسلطا على القاتل وقهرا له والظاهر من هذه
الآية النهي عن ما كانت الجاهلية تفعله من قتل الجماعة بالواحد
وقتل غير القاتل والمثلة والمكافاة الذي يقتل لمن قتله
والضمير في انه عائد على الولي لتناسق الضمائر ونصره اياه بان
وجبت له القصاص ولا يسترد عن ذلك او نصره بمعونة السلطان
وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده تقدم تفسير نظيره في سورة
الانعام واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا هو عام
فيما عقده الانسان بينه وبين ربه عز وجل او بينه وبين
آدمي في طاعة وقوله ان العهد كان مسئولا اي مسئولا عنه
يوم القيامة اي عن الايفاء به ظاهره ان العهد هو المسئول من
العاهد ان يفي له ولا يضيعه وقيل هو على حذف
مضاف اي ذا العهد كان مسئولا وفي قوله واوفوا الكيل اذا كلتم
دلالة على ان الكيل هو على البائع لانه لا يقال ذلك للمشتري
والتقييد بقوله اذا كلتم اي وقت كيلكم على سبيل التاكيد
ولا يتاخر الايفاء بان يكيل به بنقصان ما تم توفيه بعد
ذلك فلا يتاخر الايفاء عن وقت الكيل وزنوا بالقسطاس المستقيم
اي بالميزان السوي ذلك خير واحسن تاويلا ولا تقف ما ليس
لك به علم الآية لما امر سبحانه وتعالى بثلاثة اشياء بالايفاء بالعهد
والايفاء بالكيل والوزن بالقسطاس المستقيم اتبع ذلك بثلاثة
مناه فقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ولا تمش ولا تجعل
ومعنى ولا تقف اي لا تتبع ما لا علم لك به من قول او فعل
نهي ان يقول ما لا يعلم وان يعمل ما لا يعلم ويدخل فيه النهي
عن اتباع التقليد لانه اتباع لما لا يعلم صحته وقال الكميت
فلا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواضن ان نفسنا
وفي قوله ان السمع والبصر والفؤاد دليل على ان العلوم مستفادة
من الحواس ومن العقول وجاء هذا الترتيب القرآني في البداءة
بالسمع ثم يليه البصر ثم يليه الفؤاد واولئك اشارة الى
السمع والبصر والفؤاد وهو اسم اشارة الى الجمع المذكر والمؤنث
العاقل وغيره وتخيل ابن عطية رضي الله عنه ان اولئك مختص
بالعاقل فقال وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بقوله كل اولئك
اولئك كان عنه مسئولا لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه
الآية مسئولة فهي حالة من يعقل وليس ما تخيله صحيحا والضمير
في عنه عائد على معنى اولئك اي عن كل واحد مما تقدم وانتصب مرحا

على الحال

على الحال اي مرحا كما تقول جاء زيد ركضا اي راكضا او قد
يكون هنا على حذف مضاف اي ذا مرح والمرح هو السرور
والفرح ويصحبهما التكبر والبطر والاغتباط بالراحة
والفرح بها ايضا ولانه قد ضمن معنى الاختيال لان علته
السرور والفرح يصحبها تكبر واختيال ولذلك علل بقوله
انك لن تخرق الارض اي لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة
وطئك على ظهرها ولن تبلغ الجبال طولا الاية قال ابن عطية
رضي الله عنه وانتصب طولا على التمييز اي لن تبلغ طول الجبال
بسيرك والظاهر ان ذلك اشارة الى مصدر النهيين السابقين
وهما اقتفاء ما ليس لك به علم والمشي في الارض مرحا وسيئة
خبر كان وانث ثم قال مكروها فذكر وقرئ سيئه
فسيئه اسم كان ومكروها الخبر كل ذلك اشارة الى جميع
التكاليف من قوله لا تجعل مع الله الها اخر الى قوله ولا تمش في
الارض مرحا وهي اربعة وعشرون نوعا من التكاليف
بعضها امر وبعضها نهي بدأها بقوله لا تجعل واختتم الايات
بقوله تعالى ولا تجعل وقال مما اوحى لان ذلك بعض مما
قد اوحي اليه صلى الله عليه وسلم اذ اوحي اليه صلى الله عليه
وسلم بتكاليف اخر ومما اوحي اليك خبر عن ذلك المتقدم
ومن الحكمة يجوز ان يكون متعلقا باوحى وان يكون بدلا من ما
وان يكون حالا من الضمير المنصوب المحذوف العائد على ما وكانت
هذه التكاليف حكمة لان حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد
وانواع الطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة
والعقول تدل على صحتها وهي شرايع في جميع الاديان
لا تقبل النسخ وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الايات
المتقدمة كانت في الواح موسى عليه الصلاة والسلام والخطاب
في هذه الايات كلها للسامع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الزمخشري رضي الله عنه ولقد جعل الله عز وجل في امتحانها
وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو راس كل حكمة وملاكها
ومن عدمها ايضا لم تنفعه حكمته وعلومه وان بلغ فيها الحكما
وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم
وهم عن دين الله تعالى اضل من النعم قل لو كان معه الهة
كما تقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا اي لطلبوا ان يكونوا
متوصلين الى ذي العرش اي الى مغالبته وافساد ملكه لانهم شركاؤه
كما تفعل الملوك مع بعضهم بعضا والكاف في كما هي في موضع
نصب اي مثل ما تقولون وقرئ تقولون بتاء الخطاب ويقولون بياء

الغيبة

سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وسبحانه اي تنزيها
له عما يقولون والتعالي في حقه سبحانه وتعالى هو بالمكانة
لا بالمكان وعلوا مصدر على غير المصدر اذ لو جاء على تعالى
لكان المصدر تعاليا لان تفاعل بمعنى الفعل المجرد وهو علا
ونسبة التسبيح للسموات والارض ومن فيهن من ملك وانس
وكان حمله بعضهم على النطق بالتسبيح حقيقة وان ما لا حياة
فيه ولا نمو يحدث الله سبحانه وتعالى له نطقا وهذا هو
ظاهر اللفظ ولذلك جاء ولكن لا تفقهون تسبيحهم قال ابن عطية
رضي الله عنه ثم اعاد على السموات والارض ضمير من يعقل لما اسند
اليها فعل العاقل وهو التسبيح انتهى ويعني بالضمير في قوله ومن
فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده الاية ان نافية ومن شيء مبتدا
ومن زائدة وخبره يسبح موجب بعد النفي انه كان حليما
حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم غفورا ان رجعتم
ووحدتم الله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين
الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا الاية قال ابن عباس
رضي الله عنهما هذه الاية نزلت في ابي سفيان والنضر وابي
جهل وام جميل امراة ابي لهب كانوا يؤذون رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قرا القران فحجب الله تعالى ابصارهم اذا قرا
فكانوا يمرون به ولا يرونه ومناسبتها لما قبلها انه سبحانه
وتعالى لما ذكر تقرير الالوهية جعل بعد ذلك ذكر تقرير
النبوة وذكر اشياء من احوال الكفرة وانكارها الحشر والمعاد
والجزاء والحساب والمعنى واذا شرعت في القراءة وليس المعنى على
الفراغ من القراءة بل المعنى انك اذا التبست بقراءة القران
اي شرعت في قراءته وقد لا يراد بالقران في الاية جميعه بل يراد
بذلك ما ينطلق عليه الاسم فانك تقول لمن يقرا شيئا من
القران هذا يقرا القران فهو اسم جمع لكل ما يقرا منه والظاهر
اقرا مستورا على موضوعه من كونه اسم مفعول اي مستورا
عن اعين الناس الكفار فلا يرونه او مستورا به الرسول صلى الله
عليه وسلم عن اعينهم وجعلنا على قلوبهم اكنة الاية تقدم نظير
ذلك في سورة الانعام واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على
ادبارهم نفورا الاية قيل دخل ملا من قريش على ابي طالب يزورونه
فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا ومر بالتوحيد
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش قولوا لا اله الا الله
تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فولوا ونفروا فنزلت هذه
الاية نحن اعلم بما يستمعون به اي بالاستخفاف الذي يستمعون به

والهزء

والنبوك والقرآن والدخو كان عليه الصلاة والسلام اذا قرأ
قام رجلان من بني عبد الله عن يمينه ورجلان من عن شماله فيصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبما يتلهى وروي انهم
كان عند عتبة دعاهم الى طعام فدخل
عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم القرآن ودعاهم
الى التوحيد فتناجوا فيما بينهم فقال بعضهم هو ساحر وهو مجنون
والظاهر ان مجنون اهون من السحر ايضا اي خلط عقله والا فما
مر من قولهم في مناجاتهم فصلوا ان يستطيعون سبيلا
اي الى الهداية والى التوحيد لانهم كالانعام بل هم اضل وقالوا
ايضا اكنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا
الآية ما ولسفهائهم تعجب وانكار واستبعاد لما ضربوا له
الامثال وقالوا عنه انه مستحيل ذكروا ما استدلوا به على
زعمهم على انتفائه مما سبق الله واستبعدوا انه بعد ما قد
تصير الانسان رفاتا اي فتاتا وهشيما وفي الرفات كلمة
تحقيرية لله عز وجل وبعثه وقدرته سبحانه وتعالى عليهم
بقوله ما الذي فطركم اول مرة بعد العدم الصرف على
سبحانه سرمدية ان شاء الله سبحانه وتعالى الآية
بعد هذه وجواب اذا محذوف تقديره انكم اعظما
ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا اي انبعث بعد الفناء
والرفات الاجزاء المتفرقة المتفتتة كالحطام والفتات والرمة
والرمة قال لتكونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
الامة اي كونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة
والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة او خلقا مما
يكبر في صدوركم عن قبول الحياة وتعظم في زعمكم على الخالق
احياؤه وفاسه بحيث يقدر به كما بدأه بل هو اهون عنده
قال الله عز وجل فسينغضون اليك رؤوسهم اي يحركونها
على سبيل التكذيب والاستهزاء ويقولون متى هو اي متى
يكون ولم يقولوا اذ دان على سبيل التسليم للعود بل على سبيل التكذيب
والاستهزاء وكان اجابتهم على سؤالهم تقريب وتوعد لاتعيين زمانه
لانه لك مما استأثر الله تعالى بعلمه وقوله وتظنون ان لبثتم
تبدلا من فريا والظاهر ان الخطاب للكفار اذ الكلام
قبل ذلك معهم والضمير لهم وكذا حال منهم اي مسلسلين
بالبناء عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي زمانا قريبا
لهوانه وحقارته وكون العود هنا متصفا بالقرب وتحتمل
ان يكون ظرفا اي زمانا قريبا وعلى هذا المقدر يكون يوم يدعوكم بدلا من

والظاهر ان الدعاء بمعنى الدعوة اى يدعوكم بالنداء الذى يشعركم
وهو النفخة الاخيرة كما قال ان الله يغلب بهم بنا في المنادى
من مكان قريب الاية ومعنى فتستجيبون بحمده اى تقومون
الداعي فتجابون عالمين انه والظاهر ان الخطاب للكفار اذ الكلام
قبل ذلك معهم فالضمير لهم وبحمده حال منهم وتظنون ان لبثتم
الا قليلا وان هنا نافية وتظنون معلقة عن العمل والجملة بعدها
تكون في موضع نصب وقد ما ذكروه النحويون في اوان
التعليق ويكون التقدير محذوف اى الا زمانا قليلا كقولهم
قالوا لبثنا اى مكثنا في قبورنا يوما او بعض يوم ويجوز ان
يكون نعتا لمصدر محذوف وقرأ لبثنا قليلا ودلالة الفعل
على مصدره دلالة قوية وقل لعبادي يقولوا الى يقولوا التي هي احسن
الاية اضافة العباد الله تعالى اشارة الى ان المامورين هم
المومنون امروا ان يقولوا لبعضهم الكلم التي هي احسن
اى كل كلام يعضهم بعضا ويعظمه ولا يصدر كلمة الا
الكلام الطيب والقول الجميل ونبهوا على انه قد يكون
من ان الشيطان ينزغ بينهم فيجتنبوه ذكروا بعد اوتة القديمة
لهم والخطاب بقوله ربكم اعلم بكم للمومنين والرحمة
هي الاسلام وغيره من النعم والعذاب الشدة والقتل والكفار
وما ارسلناك عليهم وكيلا اى حافظا وكفيلا ولما خاطبهم سبحانه
وتعالى بقوله ربكم اعلم بكم انتقل من الخصوص الى العموم
فقال تعالى مخاطبا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك
عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض الاية اى ليس
ان علمه تعالى غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع من في السموات
والارض ما احوالهم ومقاديرهم وما يحصل لكل احد منهم
وبمن متعلق بادعلم كما تعلق بكم فضله باعلم ولما كانت
الكفار قد استحقروا وتنبيه البشر اذ فيه تفضيل الانبياء
على غيرهم اذ قد وقع التفضيل في هذا الجنس المفضل على
الناس والله اعلم بما خص كل واحد به من المزايا فهو يفضل
من شاء منهم على من شاء اذ لو احكم ولا يصدر شيء الا عن
حكمته وفي ذلك اشارة الى انه لا تستنكر تفضيل محمد صلى الله عليه
وسلم على سائر الانبياء وخص داود عليه الصلاة والسلام
بالذكر لانه سبحانه وتعالى ذكر في الزبور ان محمدا عليه الصلاة والسلام
خاتم النبيين وان امته هي خير الامم وقال الله عز وجل ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم
محمد صلى الله عليه وسلم وامته وكانت قريش ترجع الى اليهود كثيرا فيما

يخبرون به

يخبرون به في كتبهم فنبه على ان زبور داود عليه الصلاة
والسلام تضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك
رد على مكابري اليهود حيث قالوا لا نبي بعد موسى ولا كتاب
بعد التوراة ونص سبحانه وتعالى هنا على ايتاء داود
الزبور وان كان قد اتاه مع ذلك الملك اشارة الى ان التفضيل
المحض هو بالعلم الذي اتاه اياه والكتاب الذي انزل عليه
كما فضل محمد صلى الله عليه وسلم بما اتاه من العلم والقرآن
الذي خصه به وتقدم تفسير قوله وآتينا داود زبورا في
آخر سورة النساء قل ادعوا الذين زعمتم من دونه الآية
قيل نزلت في عبدة الشياطين وهم خزاعة اسلمت
الشياطين وبقوا يعبدونهم فلا يستطيعون جواب لقوله
ادعوا وثم محذوف بعد الفاء تقديره فهم لا يستطيعون
والمعنى لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر
او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى واحد او ان يغيروه
او يبدلوه وفي قوله زعمتم ضمير محذوف عائد على الذين
وهم المفعول الاول والثاني محذوف تقديره زعمتموهم
آلهة من دون الله عز وجل وقوله يدعون ويرجون هو
معطوف على قوله يبغون وقوله ان عذاب ربك كان محذورا
اي يحذره كل احد وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم
القيامة او معذبوها عذابا شديدا الآية وقيل المراد هنا
الخصوص التقديري والتقدير هنا وان من قرية ظالمة
والظاهر ان جميع اهل القرى يهلك قبل يوم القيامة واهلاكها
تخريبها وفناء اهلها او معذبوها اي معذبوا اهلها بالقتل
والاسر والنهب وغير ذلك من انواع العذاب كالمسخ والخسف والقذف
كان ذلك اشارة الى الاهلاك والتعذيب في سابق القضاء
او اللوح المحفوظ مسطورا اي مكتوبا اسطارا اي معه
محتتما وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي عنهم الجبال
فيزرعون اقترحوا ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى
الله تعالى اليه ان يا محمد ان شئت فعلت ذلك لهم فان تأخروا
عن الايمان عاجلتهم بالعقوبة وان شئت استأنيت بهم عسى ان
اجتبي منهم مؤمنين فقال بل تستأني بهم يا رب فنزلت
تلك الآية واستعير المنع للترك اي ما تركنا الآيات ارسال
الآيات المقترحة الا لتكذيب الاولين بها وليس تكذيب

في منع ارسال الآيات لقريش فالمعنى الا اتباعهم طريقة تكذيب
الاولين بها فتكذيب الاولين فاعل وهو على حذف مضاف
فاذا كذبوا بها كما كذب الاولون عاجلتهم بعذاب الاستيصال
وقد اقتضت الحكمة ان لا استاصلهم كغيرهم من الامم المكذبين
بالآيات وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها الآية ذكر من
تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت
اليهم فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه الصلاة والسلام
لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها
صادرهم وواردهم وانتصب مبصرة على الحال وهي قراءة
الجمهور وقرئ مبصرة بالرفع على اضمار مبتدا محذوف اي هي
مبصرة واضاف الابصار اليها على سبيل المجاز لما كانت
تبصرها الناس والتقدير آية مبصرة وقرئ مبصرة بفتح
الصاد اسم مفعول اي يبصرها الناس ويشاهدونها
وما نرسل بالآيات الا تخويفا اي انذارا بعذاب الدنيا
والآخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس الآية اي احاط
بهم علما وقدرة عليهم فعلمه وقدرته تعالى غالبتان على
كل شيء ومحيطان بكل شيء فلا يغيب عن علمه شيء ولا يعجزه شيء
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال الجمهور
هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى في ليلة الاسراء من عجائب
ملكوت السموات والارض قال الكفار ان هذا لعجب نحن نسير
الى بيت المقدس شهرين اقبالا وادبارا ويقول محمد قد جاءه
من ليلته وانصرف منه فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء
المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت هذه الآية وقيل في الرؤيا غير ذلك مما هو مذكور
في البحر قال ابن عطية رضي الله عنه قالت عائشة رضي الله
عنها الرؤيا رؤيا منام وهذه الآية تقضي بفساده وذلك ان رؤيا
المنام لا فتنة فيها وما كان احد لينكرها انتهى وليس ذلك كما
ذكره ابن عطية فان رؤيا الانبياء حق ويخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بوقوع ذلك لا محالة فتصير اخباره فتنة لمن يريد الله تعالى
به ذلك واريناك صلة للتي والعائد محذوف تقديره اريناكها
والشجرة الملعونة في القرآن قيل هي ابو جهل وقيل هي شجرة
الزقوم وقد قال ابو جهل وغيره ان محمدا يتوعدكم بنار تحرق
الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر والنار تأكل الشجر وما نعرف
الزقوم الا التمر بالزبد ثم امر ابو جهل جارية له فاحضرت لهم
تمرا وزبدا فقال لاصحابه تزقموا فافتتن ايضا بهذه المقالة

بعض

بعض الضعفاء ممن كان اسلم والظاهر ان السحرة الملعونة
في القرآن هم الذين تفرعوا مما ناس في الملة الاسلامية وهم
ظالمون قد احدثوا من الشريعة ما لا يجوز فيها ويدل عليه
قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين وسئل الامام اخر رضي
الله عنه عن شخص منهم هل تلعنه فقال للسائل وهل
رايتني العن احدا ثم قال مالي لا العن من لعنه الله عز وجل
في كتابه العزيز ثم تلا قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين
ونحوهم فمن يرد هم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم الآية تقدم الكلام في مثل هذه الآية وانتصب
طغيانا على انه حال من الضمير المجرور في العاينة على من تقدير
لمن خلقته في حال طين وبمعنى حال ماضية محكية واجاز بعضهم
ان يكون منصوبا على اسقاط حرف الجر تقديره من طين كما
صرح به في قوله وخلقته من طين والكاف في ارايتك للخطاب
وقد تم الكلام على ذلك في سورة الانعام وقال الحوفي رضي
الله عنه ارايتك بمعنى عرفني واخبرني وهذا مسموع
بارايتك والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي لم كرمته علي وقد
خلقتني من نار وخلقته من طين وحذف هذا لما في الكلام من
الدليل عليه والمعنى اذهبت لسانك الذي اخبرته وقد عقته
بذكر ما حبته به سوء وعلد من جزائه وجزاء اتباعه جهنم فقال
تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والموفور المكمل وقد
قال بعضهم ايضا

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وقوله استفزز من استطعت منهم بصوتك معناه استخف
وهو معطوف على قوله فاذهب وعطف عليه ما بعده من الامر
وكلها بمعنى التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ومن في قوله
من استطعت موصولة مفعولة باستفزز ومفعول استطعت
محذوف تقديره من استطعت ان تستفزه والصوت هنا هو
الدعاء الى معصية الله سبحانه وتعالى كالزمار وغيره من آلات اللهو
الى تستعلم وتلهم عن ذكر الله عز وجل واجلب عليهم بخيلك ورجلك
والخطاب من هذه الآية ان ابليس له خيل ورجالة اي ركبانا ومشاة
من الجن من جنسه قاله قتادة رضي الله عنه وقيل من الادميين
اضيفوا اليه لانخراطهم في طاعته وكونهم اعوانه على غيرهم قاله مجاهد رضي الله عنه

اي ابو نوفة وقتب بصير وافا

وقرأ الجمهور وراحلك بفتح الراء وسكون الحاء وهو اسم جمع واحدة
راحلة كركب وراكب وقرأ حفص بكسر الحاء والمشاركة في
الاموال هي ما اخذ من غير حقه وما وضع في غير حقه
فالمشاركة في الاموال هو ما يحسنون وهو دوة وصبغوه
غير صبغة الاسلام واما وعده فهو الوعد الكاذب في
كيدهم ان لا بعث ولا حساب ولا جزاء وانتصب غرورا
وهو مصدر على انه نعت لمصدر محذوف اي وعدا غرورا
والاضافة لانه تعالى في ان عبادي اضافة تشريف والمعنى
المخلصين بكونهم عبادي لا يضافون بغوى وهو كلا
اي حافظا لعبادي الذين لبس له عليهم سلطان من غوا
الشيطان ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا
من فضله انه كان بكم رحيما الآية لما ذكر سبحانه وتعالى
وصف المشركين في اعتقادهم العظيم وانها قد نقض وشفع
واتبع ذلك بقصة ابليس مع آدم وتمكنه من وسوسة ذريته
وتشويله ذكر ما يدل من افعاله على وحدانيته تعالى وانه
هو النافع الضار المتصرف في خلقه بما يشاء فذكر احسانه
تعالى اليهم بحرا وبرا وان جاء الفلك سوقها واستمر من
كان في مكان عهد الريح اللينة والجاري في البحر بقصد
هو طلب التجارة والحج فيه والغزو وغير ذلك من المنافع قال
الله عز وجل واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه
الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما الضر في البحر هو الخوف من
الغرق باضطراب الامواج وعصف الرياح ومعنى ضل اي
ذهب عن اوهامكم من تدعونه الها فلا تشفع او تنفع او تدفع
وخاف صيغة كفور لانه على المبالغة فلم يجاطبهم بذلك
بل اسند ذلك الى الانسان لتطابقهم والحالة على الخبر اذ
كل احد لا يكاد يؤدي شكر نعم الله عز وجل ولما كان الخسف
تحتيا في التراب قال الجانب البر وكم حالك اي يخسف جانب
البر فيكم او جانبكم البر والجار فيه والغرق وجدو

تعالى ان ما لرتم • وقال ارحاج رضي الله عنه انما في قوله
بما كنتم تعملون وما مصدرية اي بسبب كونكم اثنائين منكم
والضمير في به عائد على المضدر المدلول عليه فتعرفكم او هو
اقرب مذكور وهو تتمة الارسال والتتبيع قال ابن عباس
رضي الله عنهما هو القصر وقال الفراء رضي الله عنه هو طلب
الثار • ولقد كرمنا بني آدم الآية • لما ذكر تعالى ما امتن
به عليهم من ارجاء الفلك ومن انجائهم من الغرق ثم ذكر المنة
بذكر تكريمهم وزرقهم وتفضيلهم وكرم معدى بالتضعيف
من كرم اي جعلناهم ذوي كرم يعني الشرف والمحاسن الجمة
وحملناهم في البر والبحر قال ابن عباس رضي الله عنهما في
البر يعني على الخيل والبغال والحمير وفي البحر يعني على السفن
والطيبات كما تقدم في الحلال او هي المستلذات وقيل
قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا انهم في قوله
على كثير ولم يعن من الكثير الذي فضل بني آدم عليه وانما
ذكر سبحانه وتعالى نوعا من كرامات الانسان في الدنيا ذكر
شيئا من احوال الآخرة فقال يوم ندعو كل اناس بامامهم
والعامل في يوم اذكر على انه مفعول به باذكر مامهم والظاهر
انه الامام الذي ائتم به امته من نبي او كتاب او شريعة
واولئك جاء جمعا على معنى من اذ قد حمل على اللفظ
اولا في قوله اوتي كتابه بيمينه والكتاب هو
ما كتب له فيه من خير وشر وقوله ولا يظلمون فتيلا الاية
اي لا ينقصون ادنى شيء من الاعمال وتقدم شرح الفتيل
في سورة النساء والظاهر ان الاشارة بقوله في هذه الى
الدنيا قاله ابن عباس رضي الله عنهما اي من كان في هذه الدنيا
اعمى عن الفطن في آيات الله تعالى وعبره والايمان بها فهو في الآخرة
اعمى عن الاهتداء الى طريق الجنة او اعمى عن رؤية ربه
والاول اظهر لان الآخرة لا تكون دار تكليف وانما تكون
دار جزاء ولا تلوح لها صحة وان كادوا عابد على الكفار
ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما عدد نعمه على بني آدم
ثم ذكر حالهم في الآخرة من اتاه كتابه باليمين لاهل السعادة
ومن عمي اهل الشقاوة اتبع ذلك بما يهتم به الاشقياء في الدنيا
من المكر والخداع والتدليس على سبيل اهل السعادة المقطوع
له والعصمة ليفتنوك اي ليحملوك عن دينك وودك في ظنهم لو آلهتهم
قاربوا ذلك او هو عليه الصلاة والسلام معصوم من ان يقارب بل قلته ما اوحي

الله تعالى اليه

وتلك العمارة في زعمهم سبباً رجاؤهم ان يفتري على الله تعالى غير
ما اوحى الله من تبدل الوعد وعيداً والوعيد وعداً اه
وغير ذلك مما تحملوا به زعمهم الفاسد وان آيهم الباطلة وما قد
اقترحته وتعنتف من ان يضيف الى الله تعالى غير ما اوحى اليه
وان هذه هي المخففة من الثقيلة وليتها الجملة الفعلية
وهي كادوا لا انها من فعال المقاربة وانما دخل على مذهب
البصريين من الاقتصار على الشواذ الى للاشارة على ما قد تقرر
في علم النحو والكلام في لتفتنونك هي اكما ارقته بين ان هذه وان
الناصبة واداخرف جواب وجزاء وقد رسم فيها يكون لا تحذف
جواباً له والتقدير والله اذا اتيت وقاربت وافترت لا تحذوك
ولا اتخذوك في محل لتخذوك ولولا ان ثبتناك جواب لولا
يقتضي اذا كان مثبتاً امتناعه لوجود ما قبله فمداولة الا يكون لم يمنع
منه صلى الله عليه وسلم فضلا عن ان يركن والمانع من ذلك لولا وجود
تثبيت الله عز وجل له وانتصب شيئاً على المصدر وجواب لولا قوله لقد
كدت ومثل ذلك قول الشاعر

لولا الامير ولولا فضل طاعته ... لقد مرت دما الحلامس العسل

وكثر ما يجيء ما لام وجدها وبعدها الفعل الماضي المثبت كقوله
لمتكم اذ الاذقاك ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاباً في الآخرة
وعذاباً في القبر مضاعفين لان هذا للانذار المحاطبة وان كادوا
ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما
وذلك انهم لما نزلت هذه الآية قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والضمير في قوله تعالى
وان كادوا عائد على مهو للمدينة وفاجيها لحي آن احط وغيره
وذلك انهم دسوا الى اكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذه
ليست بارض للانبياء وانما ارض الانبياء الشام ولكنك تخاف
الروم فان كنت نبياً فاخرج اليها فان الله سيمنعك كما حمى غيرك من الانبياء
فنزلت هذه الآية وآخبر سبحانه وتعالى انه لو خرج لم يلبثوا من بعده الا قليلا
ثم يهلكوا كما فعل بغيرهم سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد
لسنتنا تحويلا قال الامدي قال ابن حاج رضي الله عنه وانتصب سنة على المصدر
المؤكد اي سن الله ذلك سنة والمعنى ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين
اظهرهم فسنة الله تعالى ان يهلكهم بعد اخراجه ونشأ صلعم ولا يلبثون
بعده الا قليلا كقوله من قصة شعيب عليه الصلاة والسلام
وقوله اخرجوا آل لوط من قريتكم وقوله لتكونن من المخرجين وقوله واذا
لا يلبثون خلفك الا قليلا وقوله واذا الا يوقنون الناس شيئاً قال تعالى اقم الصلاة
لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا الآية

رسلنا

قال

قال ابن عباس رضي الله عنهما ستة هذه الآية لما فضلهما
الله سبحانه وتعالى كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
كانوا يودون موتهما امره سبحانه وتعالى ان يقبل على بنائه
من عباده ربه والله لا يشغل قلبه اشرف بامرهم
ولا يعوطهم وكان قد تقدم القول في الالهيات والمعاد
والنبوات وارد ذلك بقوله والامر بالاشراف العبادات
والمحافظات بعد الايمان وهي الصلاة وتقدم الكلام في اقامة
الصلاة والمواظبة هنا الامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الواحدي رضي الله عنه الدلوك للشمس لانها انما تجب بزوالها
للشمس حتى تجب على المصلي اقامتها فدخل لولا الشمس وقال ابن
عطية رضي الله عنه اقم الصلاة الآية هذه باجماع من
المفسرين اشارة الى الصلوات المفروضة فقال ابن عباس
وعشرة رضي الله تعالى عنهم دلوك الشمس زوالها والاشارة
الى الظهر والعصر وغسق الليل اشارة الى المغرب والعشاء
وقرآن الفجر اريد به صلاة الصبح والاشارة على هذا تعم
جميع الصلوات كلها واعاد قرآن الفجر في قوله ان قرآن
الفجر كان مشهودا ولم يأت مضمرا فيكون اتى على سبيل
التعظيم والتنويه بقرآن الفجر ومعنى قوله مشهودا اي
تشهده الملائكة حفظة الليل وحفظة النهار كما جاء في الحديث
انهم يتعاقبون ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر
ولما امره الله تعالى بالمواظبة على الصلاة للوقت المذكور وخص
بذلك اسم تعالى اياه على اختصاصه بذلك دون اذ قسم
ذكر ما قد اختصه به سبحانه وتعالى وأوجبه عليه من قيام
الليل وهي في امته عليه الصلاة والسلام تطوع وفي حقه واجبة
فقال سبحانه وتعالى ومن الليل فتهجد به اي بالقرآن في
الصلاة نافلة لك اي زيادة مخصوصا بها انت وشرح
ذلك بقوله وهو التهجد ومن للتبعيض وعسى قد تقدم ما
في المحتوفات في الترجي والاخوف ان هذه الرتبة والاطماع
يعني الواقعة من الله سبحانه وتعالى وهو متعلق من هذا
المعنى بقوله فتهجد وعسى هنا تامة فاعلها ان يبعثك
وربك فاعل يبعثك ومقاما محمودا ان الظاهر
انه معمول لفعل يبعثك وهو منصوب على الظرف اي في مقاما
محمودا ويجوز ان يكون ربك اسم عسى وان يبعثك ان وما عملت
في موضع الخبر اي قليلا من ذلك القعل ما حييت وهو
ربك الذي هو اسم عسى وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله

حـ
اي زيادة شرف وفضيلة

حـ م

م

عليه وسلم قال

المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لامتي وقد ورد ادخلني
مدخل صدق الآية لما امره سبحانه وتعالى بالقيام اقتضى
وقال الحمد لله وعده مقاما محمودا وذلك في آخر امر ان يدعو
بما يشمل امور الدنيا والآخرة فقال تعالى وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الآية والظاهر
انه عام في جميع موارده ومصادره دنيا واخرة والصدق
هنا لفظ يقتضي رفع المذام والشفاعة ادرج كما تقول رجل
صدق اذا هو مقابل رجل سوء وسلطانا اي حجة بينة ونصيرا
مبالغة في ناصر وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا والحق هنا هو القرآن والباطل الشيطان وهذه الآية
نزلت بمكة عام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستشهد
بها يوم فتح مكة وقت طعنه الاصنام وتساقطها لطعنات يديها
فالحصر حسب ما ذكر في الستير وهو قاصعة مبالغة في
اضمحلال الباطل وعدم ثبوته في وقت ما ومن في من القرآن
للابتداء الغاية وقال ابن عطية قال ابن عباس رضي الله عنهما
من القرآن من لبيان الجنس لا تتقدم على المبهم الذي بينته
وانما تكون متأخرة عنه ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين وشفاؤه كونه دليلا للرب كاشفا عن عظائم القلب لمعجزات
المعجزات والامور الدالة على الله تعالى القرآن لدنه فصار
لعلاج القلوب كالشفاء لعلات الاجسام وخسارا للظالمين
وهم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فلما اعراضهم عنه وعدم
تدبره تخالف المؤمن فانه تراه دائما ناظرا فيه والتدبر في حقائقه
ايمانا واذا انعما على الانسان اعرض ونأى بجانبه الآية لما ذكر
سبحانه وتعالى تسويغ ما نزل من القرآن انه شفاء للمؤمنين وخسارا
للظالمين عرض بما انعم عليه من شريعة الاسلام ومع ذلك اعرض
عنه وفاء بجانبه ونوء شرفها صفة مبالغة من ناء ينوء نوءا
كقال يقول على ناحيته اي ليتكلم حاله في الهدى والضلالة انتهى
قال الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم
من العلم الا قليلا الآية قد ورد في الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله
عنه انه قال اني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة
وهو متكئ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال اسألوه عن الروح فقال
بعضهم لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فقاله نفر منهم فقالوا ما
ابا القاسم ما تقول في الروح فسكت ثم ماج فامسكت ساعة على حالته
الشريفة فعرفت انه سيترل عليه الوحي فترل عليه حتى فرغ عليه الصلاة والسلام
بهذه الآية ويسألونك عن الروح فقلت هذا يكون امر ربي ويسألونك

وفي قوله تعالى

للجمهور وكون الخطاب لهم في قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا
والروح على قول الجمهور هنا الروح التي للحيوان وهو اسم جنس قد
يطلق ويخصص من امر ربي اي فعل ربي كما يأمر في ذلك
دلالة على حدوثها والامر بمعنى الفعل وارد قال تعالى
وما امر فرعون برشيد اي وما فعله برشد اي بذي رشد
والظاهر انهم سألوه عن ماهيتها وحقيقتها وقيل عن كيفية
مداخلها الجسد الحيواني وليتعاطفه وصورته ولا يستبعد
وكلاهما مشكل لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى وقد رأيت بخا
ترجم بالنفخ والشوبة لبعض الفقهاء المتصوفة مذكورة ان
الخلاف في قوله تعالى قل الروح من امر ربي انما هو للعوام
واما الخواص فهم عندهم يعرفون الروح وقد اجمع على الاسلام
على ان الروح مخلوقة وذهب كثير من الفلاسفة وكثير ممن
ينتمي الى الاسلام الى انها قديمة واختلف الكلابي في الروح
بلغ الى نحو سبعين قولا وكذلك اختلفوا هل الروح النفس
ام شيء غيرها ولين شيئا الآية وقيل اللام صلة مؤذنة بعدم مجد وفي
ولئن شئنا لنذهبن هو بذه وكيلا يتخذ حافظا مما اوحينا اليك
الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا هذا استثناء منقطع
اي ومعنى الآية ولكن رحمة من ربك تركه غير مذهوب به هذا
احسان من الله سبحانه وتعالى بقاء القرآن محفوظا قل
لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا الآية لما ذكر سبحانه وتعالى
اقامته على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة وبانه الحجة
عليه وباهر قدرته ذكر هنا منه تعالى من الدليل على نبوته
الباقي بقاء الدهر وهو القرآن الذي عجز العالم عن الاتيان
بمثله وانه من اكبر النعم عليه والفضل الذي اعتنى له ذكرا
الى آخر الدهر واذا كان فصحاء الانس الذي نزل فيه وبلغاء
عجزوا عن الاتيان بسورة من مثله فلا يكون انتم اعجز
عن ان تأتوا بمثل جميعه ولو تعاون الثقلان عليه لا يأتون
بمثله ولما كان الجن تفعل افعالا مستغربة كما حكى الله سبحانه
وتعالى عنهم في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام اذ درجوا مع
الانس في التعجيز لكون ذلك ابلغ في التعجيز ولا يأتون هو جواب
القسم المحذوف واللام الموطئة في لئن وهي الداخلة على الشرط
كقوله تعالى لئن اخرجوا الآية وقد تقدم في قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا
القرآن للناس من كل مثل الآية بقدم نظره وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية وهو مشتق من النبع وهو انفجار الماء

هذا

با

قو

هم

با

ولما اقترحوا هذه الآيات امر الله تعالى بالتسبيح والتنزيه
بقوله قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا الآية اي ما كنت
الا بشرا رسولا من الله تعالى اليكم لا مقترحا عليه فما ذكرتم من
الآيات وما منع الناس ان يؤمنوا الا بتلك الظنون الباطلة ان
قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اخبار من الله عز وجل عن
السبب الضعيف الذي منعهم من الايمان اذ ظهر لهم الحق
وهو استبعاد ان بعث الله تعالى رسولا الى الخلق واحد منهم
ولم يكن ملكا والناس هنا المراد بهم كفار قريش القائلون تلك
المقالات السابقة والهدى القرآن ومن جاء به وليس المراد به
محمدا والقول في قولهم الناشئ عن اعتقادهم والهمزة في ابعث
الانكار وسر سؤالهم انه دعت وقوله قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين اي يتصرفون فيها بالمشي وليس لهم صعود الى
السماء فيسمعون من اهلها ويعلمون ما يجب علمه لهم
مستمرون في الارض بل مهم ما يلزم المكلفين من عبادات مخصوصة
واحكام لا تدرك بمجرد العقل نرسل عليهم من جنسهم من
يعلمهم ذلك ويلقنه اليهم ولما رام صلى الله عليه وسلم الى الايمان
وتحداهم على صدق نبوته بالمعجز الموافق لدعواه امره
سبحانه وتعالى ان يعلمهم بانه تعالى هو الشهيد وبينهم على تبليغه
وما قام به من اعباء الرسالة وعدم قبولهم وكفرهم وما اقترحوا
عليه من الآيات على سبيل التحدي والرد والدلالة بما فيه تهديد
وهو قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا اي عالما بخفيات سرائرهم
بصيرا اي مطلعا على ما يظهر من افعالهم واقوالهم والظاهر
ان قوله ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل من الله سبحانه
وتعالى وليس هو مندرجا تحت قل لعمومه وخصوصهم ومن مفعول
يهد ضمير يعود على من باعتبار لفظها والمهتدي مطاوع يهدي
يقال هداه فاهتدى كما يقال عصمته فاعتصم ومن
مفعول يضلل والظاهر ان قوله عميا وبكما وصما من حقيقة
وذلك عند قيامهم من قبورهم لم يرد الله تعالى علمهم بحالهم
ولا ابصارهم وقد يطهم فيرون النار ويسمعون زفيرها
ويبطشون بما قد حكى الله تعالى عنهم في اول سورة النمل وقوله
تعالى كلما خبت اي سكن لهبها وتم سعر اي ايقاد
ذلك اشارة الى ذلك الحشر والعذاب وقالوا الذي تقدم وظهر
ايضا في اثناء السورة والواو في وقالوا للعطف على رؤية الملك الا رؤية
البصر قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي الآية مناسبتها لما تقدم
ان المشركين قالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وطلبوا اجراء

قبيلة حر

الانهار

ان يقال والعصون في يدهم لتكذيبهم وتنبيه عليهم فسين تعالى
انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبخلوا على سحرتهم وخولهم
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي تملكون واعلم ان تملكون
محذوف تقديره تملكون تمسكون وانفصال الضمير
الذي هو الواو فصار انتم كقوله وان لم يحملن فعلن ضمير
ضميرها فهو فاعل وكان تقديره وان لم يحملن فعلن ضمير مستتر
فلما حذف الضمير انفصل الضمير فصار هو وحرج
ذلك ابو الحسن علي بن فضال المجاشعي على اصله كما ذهب
ابو الحسن ان اتاني حذف كان فانفصل اسمها واستتر
قل لو كنتم وقال ابو البقاء يقرأ بامتناع لو زيد
قال ولا حجة في القول الفصيح عندهم ويجيز ويسمى ذلك
لم
لو ان سوار لطمني وما عندهم على اصل مصر وجواب لو
لامسكتم وخشية مفعول من اجله وقتر وامسكتم في الاية
ابو البقاء وللحكي الله سبحانه وتعالى عن قريش ما حكي من
تعنتهم في اقتراحهم وعنادهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلاه
الله عز وجل بما جرى لموسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون ومع
قومه من قولهم ارنا الله جهرة الآية وقوله تعالى ولقد
اتينا موسى تسع آيات بينات وقد تقدم وساذكر تفسيرها
في سورة الاعراف قال بنو اسرائيل اذ جاءهم وقال آل محمد رضي الله عنه اذكره او بخبره وذلك
انه اي واذ ظرف لما مضى ولا يضاف الا الى احد هما فيقدر قراءة
الجمهور لقد علمت بفتح التاء اي علم موسى عليه الصلاة
والسلام لفرعون وقومه في قوله انه مسحورا اي قد علمت ان
ما جئت به ليس من باب السحر ولا الى خدعت في عقلي هل
علمت ان ما انزل هذه الا الله سبحانه وتعالى وما احسن ما جاء
بعامي لسانه دائر الهنا لقد علمت ما انزل هذه الا رب السموات والارض اذ هو
رب السموات والارض لبينته على نفضلوا به لا يتصرف له في
الوجود فدعواه الربوبية دعوى لمحال فتكذبه واعلم انه
بتعلم اياك الله ومن انزلها وفجره مكابرة معاند كقوله تعالى
فجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف
كان عاقبة المكذبين وخاطبه بذلك على سبيل التوبيخ اي
انت بحال من يعلم هذا وهو في غاية الوضوح بحيث تعلمه
وهو صبي موسى عليه الصلاة والسلام وما انزل التي جملة في موضع
نصب بقول عنها قوله لقد علمت وجمع بصائر اي دلائل على وحدانيته
تعالى

وقرئ لقد علمت بتاء المتكلم وهو خطاب لموسى عليه الصلاة
والسلام وما انزل هي جملة في موضع نصب علق عنها علمت
ومعنى بصائر اي دلالات على وحدانيته تعالى وصدق رسوله
صلى الله عليه وسلم والاشارة بهؤلاء الى التسع وانتصب هنا
بصائر على الحال والعامل فيه محذوف تقديره انزلها وقابل
موسى عليه الصلاة والسلام ظنه بظن فرعون وشتان ما بينهما
ان ما بين الظنين فظن فرعون ظن باطل وظن موسى عليه الصلاة
والسلام ظن صدق وقال الفراء رضي الله عنه مثبورا مصروفا
عن الخير مطبوعا على قلبك وهو ماخوذ من قولهم ما ثبرك
عن هذا اي ما منعك عن ذلك وصرفك فاراد ان يستفزهم
من الارض الاية قال ابن عطية رضي الله عنه استفزازه
اياهم هو استخفافه لموسى وقومه بان يقلعهم من ارض مصر
بقتل او جلاء فحاق به مكره واغرقه الله تعالى وقبطه
والضمير في من بعده عائد على فرعون اي من بعد اغراقه
والارض المامور بسكناها هي ارض الشام ووعد الاخرة
هي قيام الساعة وانتصب لفيفا على الحال اي منضما بعضكم
ببعض اي الى بعض وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا الاية وهكذا هي طريقة كلام العرب وكذا
ارسلوها تاخذ في شيء وتستطرد منه الى شيء اخر ثم الى اخر
ثم الى اخر ثم تعود الى ما ذكرته اولا وانتصب مبشرا ونذيرا
على الحال اي مبشرا لهم بالجنة ومنذرا من النار وانتصب
قرانا على اضمار فعل يفسره فرقناه اي وفرقنا قرانا
فرقناه فهو من باب الاشتغال وحسن النصب ورجحه على
الرفع كونه عطف على جملة فعلية وهي قوله وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا ولا بد من تقدير صفة لقوله وقرانا
حتى يصح كونه كان يجوز فيه الابتداء لانه نكرة لا مسوغ لها في
الظاهر للابتداء بها والتقدير وقرانا اي قران اي
عظيما جليلا فرقناه لتقراءه على الناس على مكث ونزلناه
تنزيلا اي وقوله تعالى على مكث اي تطاول في المدة شيئا
بعد شيء قل امنوا به او لا تؤمنوا هذه الاية تتضمن الاعراض
عنهم والاحتقار لهم وعدم الاكتراث بهم فان خيرا منهم العلماء
الذين قرءوا الكتاب وعلموا الشرائع امنوا به وصدقوه
وثبت عندهم انه النبي الموعود به في كتبهم فاذا تلي عليهم
خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم اي عظموا الله وسبحوه تعظيما لوعده
ولبشارته ببعثة رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانزال القران

وقبطه

عليه

القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا
والظاهر ان الضمير في قوله عائد على القرآن كما عاد عليه في
قوله به ويدل عليه ما قبله وما بعده والظاهر في قوله
يتلى عليهم ان الضمير في يتلى عائد على القرآن والخرور السقوط
بسرعة وانتصب سجدا على الحال وسبحان ربنا نزهوا الله سبحانه
وتعالى عما نسبه اليه كفار قريش وغيرهم وان هنا هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى ان ما وعد به من
ارسال سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن
عليه قد فعله وانجزه وتكرر الخرور لاختلاف حالتي
السجود والبكاء وجاء التعبير عن الحالة الاولى بالاسم وعن
الثانية بالفعل لان الفعل مشعر بالتجدد ولما كانت حالة
السجود ليست تتجدد في كل وقت عبر فيها بالاسم ويزيدهم
اي ما يتلى عليهم خشوعا اي تواضعا قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده يا رحمن يا رحيم فقال
المشركون كان محمد يدعوا الها واحدا فهو الآن يدعوا
الهين اثنين الله والرحمن ما الرحمن الا رحمن اليمامة
يعنون مسيلمة الكذاب فنزلت هذه الاية مبينة لاسماء
الله عز وجل والله والرحمن اسمان لذات واحدة وايا شرطية
وما زائدة وتدعوا فعل الشرط قد حذفت منه النون
وفله جواب الشرط والمعنى اي الاسمين وهو لفظ الله
والرحمن فله سبحانه وتعالى لكون الاسمين لذات واحدة
وكذا جميع اسمائه كلها والصلاة هنا الدعاء قاله ابن عباس
رضي الله عنهما ومعلوم ان الجهر والمخافتة معتقبان على
الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان عليه
الصلاة والسلام يرفع صوته بقراءة فيسب المشركون ويلغون
فامر بان يخفض صوته بحيث لا يسمعه المشركون وان لا
يخافت حتى لا يسمعه من وراءه من المؤمنين وابتغ بين
ذلك اي بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وتقدم
الكلام على بين ذلك في سورة البقرة ولما ذكر تعالى انه واحد
وان تعددت اسماؤه امره تعالى ان يحمده على ما انعم به عليه
بما آتاه من شرف الرسالة والاصطفاء ووصف نفسه تعالى
بانه لم يتخذ ولدا فيعتقد تكثره فيه بالنوع وكان ذلك ردا
على اليهود والنصارى والعرب الذين عبدوا الملائكة واعتقدوا

ان كان وعد ربنا لمفعولا

انهم بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا سبحانه ولهم ما يشتهون

فنفى سبحانه وتعالى اولا الولد خصوصا ثم نفى الشريك في
ملكه وهو اعم من ان ينسب اليه ولد فيشركه في ملكه او غيره
ولما نفى الولد ونفى الشريك نفى الولي وهو الناصر وهو
اعم من ان يكون ولدا او شريكا او غير شريك ولما كان اتخاذ
الولد قد يكون للانتصار والاعتزاز والاحتماء من الذل
وقد يكون التفضل والرحمة لمن والى من عباده الصالحين
كان النفي لمن ينتصر به من اجل المذلة اذ مورد الولاية يحتمل
هذين الوجهين فنفى الجهة التي تكون لاجل النقص بخلاف
الولد والشريك فانهما نفيا على الاطلاق وكبره تكبيرا له
التكبير ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والاجلال
واكد بالمصدر تحقيقا له وابلاغا في معناه وابتديت
هذه السورة بتنزيه الله عز وجل واختتمت به وقد
ورد في بعض الاحاديث عن ابي هريرة وابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره
تكبيرا وكان عليه الصلاة والسلام يسميها اية العز انتهى
والحمد لله رب العالمين

سورة الكهف بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب

الاية هذه السورة مكية وقيل ان فيها ايات مدنية وسبب نزولها
ان قريشا ارسلت النضر بن الحارث وعقبة ابن ابي معيط الى
احبار اليهود بالمدينة فقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا
لهم صفته وانهم اهل الكتاب الاول وعندهم ما ليس عندنا
من علم الكتاب فخرجا حتى اتيا المدينة فسالاهم فقالت
اليهود سلوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل فان لم
يفعل فالرجل متقول فاروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا
في الدهر الاول ما كان من امرهم فانه كان لهم امر عجيب وسلوه
عن رجل طواف ملك مشارق الارض ومغاربها ما كان نباؤه
وسلوه عن الروح فاقبل النضر وعقبة الى مكة فسالوه فقال
لهم غدا اخبركم ولم يقل ان شاء الله فاستمسك الوحي عنه
خمسة عشر يوما فارجف به كفار قريش وقالوا ان محمدا تركه رايه
الذي كان ياتيه من الجن وقال بعضهم قد عجز عن اكاذيبه فشق

الانبياء

ذلك عليه

وذلك ظنه فلما انقضى ذلك جاءه الوحي بحمد والاستثناء
وغيرها وما ستر والسورة لاخرها قلنا انه لما قال عز
وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ذكر المؤمن وذكره
بين يديه محسوبا وانه تعالى امر بالحمد له وانه لم يتخذ ولدا
ولد الكلام سبحانه وتعالى يحمد على انزال هذا الكتاب
السالم من العوج القيم على كل الكتب المنذر من اتخذ ولدا
المبشر المؤمن بالاجر الحسن ثم شطر الى حديث كفار قريش
والتفت من الخطاب في قوله وكم نكتفي الا الغيبة في قوله
على عبده من الاضافة الى ضميره ثم رفعه ولم يجيء
الكتاب انزل عليك والكتاب هو القرآن وقال الزمخشري
رضي الله عنه ولم يجعل له عوجا معطوفا على انزل فهي داخلة
في الصلة ورتب على هذا ان الاحسن في الاعراب فيما ان
تنصب بفعل مضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لانه يلزم
من ذلك وهو الفصل بين الحال وذي الحال بجملة من الصلة
وقدره قوله جعله قيما وقال ابن عطية ومن لم يجعله قيما نصب
على الحال من الكتاب فهو معنى الكلام ثم تورط في اللفظ
اذ كيف انزل الكتاب قيما واعترض بين الحال وذي الحال قوله
ولم يجعل له عوجا آتيا اذ قلنا ان الجملة المنفية اعرق من
المنوحات في فصل بين الاعراض وبين الحال ولكن
الصحيح انهما حالان من الكتاب الاول والثاني تكون جملة
من جملة والتقدير كثير من اصحابنا على منع ذلك
وفي ذلك اعادة ضمير ذكر في الجر والعوج في المعاني
كالعوج في الاجسام فمن ثم عوجا لنعم جميع ما عدا الفقار
تكرة في سياق النفي والمعنى انه في غاية الاستقامة لانتفاء
والاختلاف في قضائه ولا جور فيه ولا عيب في تراكيبه
ومبانيه ولا سقام وقيما عصالح العباد وشرايعهم
وامورهم معاشهم ومعادهم فان قلت هلا قيل قيما
لينذر ويبشر وجوز ان يتعلقا بما تقوله قيما تجوز
ان يتعلقا بانزل والباس الشديد هو عذاب الاخرة
وحسن ان ذكر فيه سبق ما يلحقهم من عذاب
الدنيا وقوله هنا من لدنه تقدم الكلام عليه في اول سورة
هود عليه الصلاة والسلام والاجر الحسن الجنة والماكثين
عن الجنة بقوله اجرا حسنا قال تعالى ماكثين فيه ابدا
اي مقيمين فيه لا يبرحون عنه ابد الابدين فجعل ذلك ظرفا
لاقامتهم ولما كان الماكث لا يقتضي لتأبيد قال ابدا وهو دال

وانتصب ماكثين على الحال وذو الحال هو الضمير في لهم والذين
نسبوا الولد الى الله سبحانه وتعالى هم اليهود قالوا عزير ابن الله
وبعض النصارى في المسيح وبعض العرب في الملائكة والضمير
في به الظاهر انه عائد على الولد الذي ادعوه ما لهم به من علم
ولا لآبائهم اي ما لهم بقولهم هذا من علم فالجملة تكون هنا في
موضع الحال اي قالوا جاهلين من غير فكر ولا روية ولا نظر
فيما يجوز ويمتنع وقرأ الجمهور كلمة بالنصب فالظاهر
انتصابها على التمييز وفاعل كبرت مضمر يعود على
المقالة المفهومة من قوله قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به
من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون
الا كذبا وفي ذلك معنى التعجب اي ما اكبرها كلمة والجملة
بعدها صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على النطق بها
واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوس به الشيطان في
القلوب وتحدث به النفس لا يمكن ان يتفوه به بل يصرف عنه
الفكر فكيف بهذا المنكر وسميت كلمة كما يسمون القصيدة
كلمة وان نافية اي ما يقولون الا كذبا وقوله هنا كذبا
نعت لمصدر محذوف اي ما يقولون الا قولا كذبا فلعلك باخع
نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا الآية ولعل
للترجي في المحبوب والاشفاق في المحذور وباخع قال
الفراء رضي الله عنه بخع يبخع بخعا وبخوعا اهلك
بشدة الوجد واصله الجهد والظاهر انها هنا للاشفاق
اي اشفق اي يبخع الرسول نفسه عليهم لكونهم لم يؤمنوا
وقوله على آثارهم استعارة فصيحة من حيث لهم ادبار
وتباعد عن الايمان واعراض عن الشرع فكانهم من فرط ادبارهم
قد بعدوا فهو ادبارهم تحزن عليهم ومعنى على آثارهم
اي من بعدهم اي بعد يأسك من ايمانهم او بعد موتهم على الكفر
ويقال مات فلان على اثر فلان اي بعده والاشارة
بهذا الحديث الى القرآن قال الله سبحانه وتعالى الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم الآية وقوله اسفا هو مفعول من اجله واصله حزنا
وارتباط قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها هو على سبيل
التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه تعالى اخبر انه خلق
على الارض من الزينة للابتلاء والاختبار اي الناس احسن
عملا وليسوا على نمط واحد في الاستقامة واتباع الرسل
ولا بد ان يكون فيهم من هو احسن عملا ومن هو اسوأ عملا

هلك

ما

فلا تغتم

فلا نعم ونحزن على من قضيت عليه ما مه يكون اشواعملا
قومي كونهم بكفرون بي لاا قطع عنهم مواد هذه النعم التي
خلقتها وجعلتها هنا بمعنى خلقتها والظاهر ان ما في اراده
بها غير العاقل وانه يراد به العموم فيما لا يعقل ورتبة
كل شئ بحسبه وانتصب رتبة على المثال او المفعول من
اجله ان كان جعلنا بمعنى خلقنا او جدنا وان كان بمعنى
صيرنا فانتصبت على انه مفعول ثان واجاز الحوفي
ان تكون الصمة فيها ضمير الارض فيكون اسم مبتدأ و احسن
خبره والجملة في موضع المفعول الثاني وتكون قد علق
ليبلوهم احرازا لها من حيث العلم لان الابتلاء والاختبار
يسبب العلم ويحتمل ان تكون الصمة فيها على مذهب من
رفع الاسم بعد لو نحو قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك
مضافة فيه وقد حذف صدر صلتها فاحسن خبر مبتدأ
محذوف تقديره هو احسن ويكون ايهم موصولا في موضع نصب
بدلا من الضمير في ليبلوهم والفصل عليه محذوف وقدر
ممن ليس احسن عملا وانا لجاعلون اي مصيرون ما عليها
اي مما كان فيه لها وما عليها مما هو اعم من الزينة
وغيرها صعيدا اي ترابا جرزا اي لا نبات فيه وهذا انما
هو امر هيد في الدنيا والرغبة عنها والاقبال على اعمال الاخرة
وفيه ادعاء نبوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد
تضمنته اقدى المترفين من ربنها او مالك وذلك كله
من الاخبار بالغيب والاتيان بالقرآن ام حسبت ان اصحاب الكهف كانوا
من آياتنا عجبا الاية ام هنا هي المنقطعة فتقدر ببل
والهمزة قيل هي للاضراب عن الكلام الاول والمعنى الانتقال
من كلام الى كلام آخر لا بمعنى الابطال والهمزة هنا للاستفهام
وزعم بعض النحويين ان ام هنا بمعنى الهمزة فقط والظاهر
في قوله ام حسبت انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال مجاهد رضي الله عنه لم ينه عن التعجب وانما اراد كل
اما قبلك كذلك واهل الكهف هم الفتية الذين ذكرهم الله عز
وجل في سورتك والكهف هو الغار الذي في الجبل ينزل
فيه والرقيم هل هو اسم الكلب الذي كان معهم وقيل اسم قريتهم
وقيل هذا الكهف هو في الروم وقيل في الشام وقيل بالاندلس
في جهة غرناطة تعرف قريته بتسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم
كلب مسوا كرهم قد انجرد شعره وبعضهم متماسك وقد وضعت
العروق الشاخصة لغة ولم يجد من علم شأنهم وزعم ناس انهم

والرقيم

اصحاب الكهف

قال ابن عطية رضي الله عنه وجملت اليهم ودائعهم مدة اربع وخمسمائة
وهم فقدوه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بناء يعرف بمسجد
الرقيم كأنه قصر مجلق وبقي بعض جدرانه وهو في قرارة
من الارض حرزة وباعلا حضرة عريضة لها بالقبلة آثار
قديمة تقال لها مدينة دقيوس وجدنا في آثارها غرائب
في قصور ونحوها وانما سهل هذا مع بعده لانه عجب يتجدد
ذكره ما شاء الله سبحانه وتعالى انتهى وقال والدي رحمه الله تعالى
وحين كنا بالاندلس كان الناس يزورون هذا الكهف ويذكرون
انهم يغلطون في عددهم اذا عدوهم قال معهم كلبا ورحل الناس
الى لوشة لزيارتهم واما ما ذكر من مدينة دقيوس الذي بالقرب
بقلي عن رباطة فقد مررت عليها من آرا كثيرة متعددة
وشاهدت فيها حجارة كبارا وتبرجون اهل الكهف بالاندلس
لكثرة دين النصارى بها حيث انها بلاد ممالكهم العظمى ولان
الاخبار بما هو في اقصى مكان عن ارض الحجاز وانقد عنها لا تعرف
احد الا بوحي من الله عز وجل والعامل فيه اذ قبله اذكروا قيل
عجبا ومعنى اذا ذكري لعنته الى الكهف اي جعلوه ماذكورا ولم يعم
وكان اعتصامهم حتم دعوا الله تعالى ان يهيئ لهم من امره رحمة
وهي الرزق ولفظ الآية يشعر بانهم كانوا مسلمين وكذلك
قد روي ايضا انهم كانوا مسلمين من اشراف الروم والعظماء
مطوقين مسورين بالذهب ذوي ذوابات ومنهم من الروم فذ
استعوذ من عيسى عليه الصلاة والسلام واصحابه الاندلسيون
يكثرون في العاظم تسمية نصارى الاندلس بالروم وقل من
ينطق بلفظ النصارى وكان بعض ادبائهم يخاطب ملك
الاندلس ابن الاحمر

حميت حمى الاسلام في ارض غربة وقد ذلت للروم فيك المخالب

وقد قيل ايضا ان منعوت ضربنا محمد وقد نقدت حجابا
من ان يسمعوا وهو كناية عن النوم وانتصب سنين على الظرف
والعامل فيه قوله ضربنا وعددا مصدر وصف به
والظاهر منه الدلالة على الكثرة لانه لا يحتاج ان يعد
الا ما كثر ما قد كثر لا ما قل قال ابن عطية رضي الله عنه
ويحتمل ان يريد به القلة لان الكثير عنده قليل لقوله تعالى
لبثنا يوما او بعض يوم وهذا كما يعرف في الشاعة
ان لفظها الآن كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وهذا تشبيه لسرعة انقضاء ما عاشوا في الدنيا اذا
رأوا العذاب اي كما قال الساعة قامت الغيم لبثوا يوما او بعض

وليكن معلوما اذ اما تموا كما قال الله سبحانه وتعالى ثم بعثناهم
اي ايقظناهم من نومهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا
احدا اي لنظهر لهم ما علمناه من امرهم اي الحزبين قال ابن
عباس رض الله عنهما هم الملوك الذين تداولوا ملك المدينة
حزب وهل الكهف حزب وقد غبر ذلك قال الزمخشري
رض لقد عند وقدري لنعلم بالنون وهو معلق عنه لان ارتفاع
بالابتداء الاسناد بعلم الذي وفاعل يعلم مضمون الجملة
كما انه مفعول تعلم الذي وهذا مذهب البصريين لان
الجملة اذا وقعت في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وهو قائم
مقام الفاعل فكما ان تلك الجملة وغيرها من الجمل لا تقوم مقام
الفاعل فكذلك لا تقوم مقامات عنه وللكوفيين في ذلك
مذهبان احدهما انه يجوز الاسناد الى الجملة مطلقا والثاني
انه لا يجوز الا اذا كان الفعل مما يجوز تعليقه واي الحزبين مبتدا
واخصى خبره نحن نقص عليك نبأهم بالحق تداء بقصتهم
اولا مختصرة ثم ذكرها مفصلة مطولة وقوله نبأهم
بالحق اي على وجه الصدق وجاء نبأ على لفظ نقص مراعاة
لقوله لنعلم ثم قال انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم
هدى الآية فيه اضافة الرب وهو السيد والناظر في مصالح
عباده ولم يأت التركيب امنوا بنا لاشعارهم بتلك الربوبية
وبني انهم مربوبون له فمن لوكون فتية قال تعالى وزدناهم
هدى ولم يأت التركيب وزادهم فيه لفظة الشون والاله
هنا من العظمة والجلالة وزيادته تعالى لهم هدى هو تيسير هم
للعمل الصالح والانقطاع اليه ومساعدة الناس واكرههم في
الدنيا وهذه زيادة على الايمان الذي حصل لهم وربطنا
على قلوبهم اي شددنا هاوقويناها على الصبر على مفارقة
الوطن والنعيم والعمران بالدين الى عار في مكان قفر لا انيس
فيه ولا ماء ولا طعام والربط هو معاقلة الاحجار ومنه
قلان رابط الجاش اذا كانت نفسه لا تفرق عند الفزع
والخوف واللام في قوله اذ قاموا لام الابتداء واذا حرف جواب
وجزاء اي لما قاموا قلنا او غوقا من دونه الها قولا شططا
اي ذا شطط وهو التعدي والجور فشططا نعت لمصدر محذوف
هو لا قولا من الجنس الذي هو الا له لو اتوا عليهم بسلطان
بين الآية ولما وجدوا اهتداءهم الى توحيد الله تعالى وفرطوا مما دونه من
الالهة اخذوا في ذم قومهم وسوء تعليمهم وانهم لا حجة لهم في عبادة
غير الله تعالى ثم عظموا الجرم من افترى على الله كذبا والضمير

في من دونه عائد على الله سبحانه وتعالى. والسلطان معناه
الحجة والبرهان. واذ اعتزلتموهم هو خطاب من بعضهم لبعض
والاعتزال يشمل مفارقة اوطان غيرهم قومهم ومعتقداتهم
فهو اعتزال جسماني وقلبي وما معطوف على المفعول في
اعتزلتموهم اي واعتزلتم معبوداتهم لاندراج لفظ الجلالة
في قوله وما يعبدون الا الله او هو استثناء منقطع اذ كانوا
لا يعرفون الله ولا يعبدونه لعدم اندراجه في معبوداتهم
فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته المعنى انه يبسط
عليكم رحمته ويهيئ لكم ما ترتفقون به في امر عيشكم
وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين الاية
هنا جمل محذوفة دل عليها ما تقدم والتقدير فاووا
الى الكهف فاووا اليه ودخلوه امتثالا لامر الله عز وجل فالقى
الله سبحانه وتعالى عليهم النوم واستجاب دعاءهم وارفقهم
في الكهف ما شاء وقرئ تزاور بتخفيف الزاي بادغام التاء في
الزاي وقرئ تزور على وزن تحمر وقرئ تزاور بحذف
التاء على وزن تفاعل وبادغام التاء في الزاي والمعنى تزوغ
وتميل وذات اليمين هي جهة يمين الكهف وحقيقته المسالمة
باليمين يعني يمين الداخل الى الكهف او يمين الفتية وتقرضهم
اي لا تقربهم من معنى القطيعة وهم في فجوة منه اي متسع من
الكهف ذلك من ايات الله هذه الصفة مع الصفة الشمس تقتضي
انهم كان لهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة
الدبور وهم في زاوية وقال عبد الله ابن مسلم رضي الله عنه كان
باب الكهف ينظر الى بنات نعش وعلى هذا كان اعلا الكهف
مستورا من المطر ونحسبهم ايقاظا وهم رقود وايقاظا هو جمع
يقظ بمعنى منتبه من النوم وهم رقود جملة حالية وقيل كانت
اعينهم منفتحة فيحسبهم الرائي انهم منتبهون والظاهر ان قوله
ونقلبهم هو خبر مستانف وقيل انما وقع الحسبان من جهة
تقلبهم ولا سيما اذا كان من اليمين الى الشمال ومن الشمال
الى اليمين وذات منصوب على الظرف واصلها صفة للكهف كانه
قال جهة ذات اليمين وجهة ذات الشمال والظاهر ان قوله
وكلبهم لم يرد به الحيوان المعروف الذي تبعهم والوصيد هو
باب الكهف وقال الزمخشري رضي الله عنه وقوله تعالى
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد هذه حكاية حال ماضية ومعنى
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا قال ابن عباس
رضي الله عنهما ولما ان انتبهوا من نومهم اخذهم ما ياخذ من نام طويلا من

كهفهم

الحاجة الى الطعام

الى الطعام وانفضل فانجتوا حديث الاسماعيلي كانهم قالوا
خذوا فيما ينفعكم ودعوا علم ذلك لله تعالى والمدعوون
قيل هم بنو لخاف وكانوا قد اصطحبوا حين خرجوا دراهم لنفقتهم
وما نت حاضرة عندهم فلهذا اشاروا اليها بقولهم هذه الى
المدينة والبدية هي مدينتهم التي خرجوا منها وتتلطف اي
في اخفاء امره وحيلته مدخلا في مخرجها ولا يشعرن بكم احدا
اي لا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا سمي
ذلك اشعارا بهم لانه سبب فيه والجملة في موضع نصب
بقولهم فلينظر ايها ازكى طعاما وهو معلق عنها ما فعلا ولا
فانها استفهام مستقبلا وازكى خبر مبتدا يجوز ان يكون ايها موصولا
مبتدا مفعولا لينظر على مذهب سيبويه رضي الله عنه وازكى
خبره فليأتكم فليأتكم وطعاما تمييز اي ليأتكم طعام يطلع عليهم
كما ان تلك المدينة والظهور ههنا الاطلاع عليهم والعلم
بحالهم وانظاهر ان ارجم بالحجارة او بعيد قسرا اي تتخطوا
فيها مكرهين والاول من العود الى الشيء التلبس به وان يتلطفوا
ادا ابدا اي ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا
ان وعد الله حق فتذهب الاعلام فتعذر فلم يحمد
محمد فيه التعذر فبعثوا احدهم فنظر ايها ازكى طعاما
وتلطف فلم يشعرن بهم احدا او اطلع الله تعالى اهل تلك
المدينة على حالهم وقصته وذهابه الى المدينة وما جرى
له مع اهلها وحمله الى الملك وادعائهم عليه انه اصاب
كنز امن كنوز الاولين وحمل الملك فمن ذهب اليهم مذكورة
في التفاسير واعثرنا عليهم لما اطلعنا وقدم العلام
في اعثرنا في قوله فان عثر فعل مغمول اعثرنا محذوف تقديره
اعثرناهم عليهم والضمير في ليعلموا عائد على مفعول اعثرنا
ووعد الله هو البعث لا ان حالهم في نومهم وانتباههم
بعد المدة المتطاولة كحالهم من يوم او بعض يوم ثم ينبعث وهو
ريب فيها اي لا شك ولا ارتياب في قيامها والمجازاة فيها
وكان الذين اعثروا على اهل الكهف قد وجدتهم فتنة في امر
البعث وشك الاحياء من الموتى فشك في ذلك بعض
الناس وقالوا نبعث وقال آخرون الارواح تبعث لك يعلم ما
وهي حيران كيف يبين امر لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد
وتضرع الى الله تعالى في حجة وبيان في غير الله تعالى على اهل
الكهف فلما بعثهم الله تعالى وتبين للناس امرهم وسر الملك
بذلك وتبين من كان شك في امر البعث الاجساد الى اليقين به والى هذا

وقف لبعض القراء

اذ اردت ان تعرف سنهم امر ام لا وما معرفة لا عرفنا او ليعلموا انا
ان سيقولون عائد على من تقدم ذكرهم وهم المتنازعون في
في حديثهم قبل ظهور هم عليهم فاخبر سبحانه وتعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم بما كان من اختلاف قومه في عددهم ايضا
وانتصب رجما على انه مصدر لفعل مضمر اي يرجمون بذلك
وقوله خبر مبتدا محذوف والجملة بعد صفة لمصدر
محذوف اي هم ثلاثة اشخاص وانما قدرنا اسما صادا لانهم
اسم فاعل وقد اضيف الى الضمير والمعنى انه ربعهم اي جعلهم
اربعة وصيرهم الى هذا العدد والكلام في قوله خمسة وسادسهم
كالكلام فيما تقدم والواو في قوله وثامنهم للعطف على الجملة
السابقة اي يقولون انهم سبعة وثامنهم كلبهم اخبروا اخبارا
ثانيا ان ثامنهم كلبهم فهما جملتان قال الزمخشري رضي الله
عنه فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة
للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك
جاءني رجل وعه آخر ومر زيد وبيده سيف
ومن ذلك قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
واما الجملة التي وقعت صفة فهي اذا بعد من ان تكون ذلك فيها
ثم قال ان يقول سيخبر ربه فعل في الزمن المستقبل
شيئا او يعزم ذلك بمشيئة الله عز وجل والاشارة بقوله
لاقرب من هذا رشدا اي الى اقتفى المنسي اذي اذكرك عند نسيانه
ان تقول عسى ان يهديني ربي لشيء اخر اقرب منه رشدا وادلى
خيرا ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا اية
الظاهر ان قوله ولبثوا اخبار من الله سبحانه وتعالى لعباده
لهم بيانا في الكهف الى ان اطلع الله عليهم ولما اخبر بهذا العدد
باخبار الله عز وجل امر الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام
ان يقول الله اعلم بما لبثوا فحسم هذا هو الحق والصدق
الذي لا مدخل لريب لانه عالم غيب السموات والارض والظاهر
ان قوله بما لبثوا اشارة الى المدة التي ذكرها وحكى الكسائي
رضي الله عنه انها في قراءة ابي ثلاثمائة سنة شمسية ولما كان الخطاب
للعرب ردت الشيء الى حساب العرب من القمر وذلك ان
الكفار لحسابهم والله اعلم قال الله عز وجل واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الاية
سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم لو لم تطرد هؤلاء عنك لجالسناك وصحبناك يعنون
عمارا وصهيبا وسلمان وابن مسعود وبلالا ونحوهم من الفقراء

وقالوا ان

تعالى

وقالوا الذين حاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقد ورد ايضا ان حاق بهم
كانت قد تحرفت من كثرة التجود عليها فغيرت تلك الآية
وهي قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه ومعنى الآية ايضا اي احبسها
وثبتها وقد قال ابو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة
ترسو اذا نفس الجبان تطلع وقوله بالغداة والعشي
اشارة الى الصلوات الخمس وتقدم الكلام على قوله بالغداة
والعشي في قراءة واعراب في سورة الانعام ولا تعد عيناك
عنهم تريد زينة الحياة الدنيا الآية اي لا تصرف عيناك
النظر عنهم الى ابناء الدنيا وعدي هو متعد فان قيل
انى عبر من في هذا التقدير او التضمين وهل لا تعد
ولا تغدرهم عيناك ولا تعد عيناك عنهم تلك العبر من
فيه اعطاء مجموع المعنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى
قد الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك محاورة
الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا
تضموها اليها اكلين لها انتهى وما ذكره من التضمين لا يقتضي
عند البصريين وانما تتعدى الى عند العرب وترى وانما
حتى يقول عيناك والمقصود هو بهما بما تكون المراعاة من
الشخص والتفات اليه والمعنى ولا تنصرف انت عنهم الى غيرهم
والظاهر ان المراد بمن اغفلنا كفار قريش واتبع
هواه اي في طلب الشهوات والمثل الذي لها والمراد فيما يحاط
من حديقة مجمع بالنار وهو يحيط بهم من كل جانب وان يستغيثوا
اي يطلبوا الاغاثة او الخوف مما يحل بهم حل بهم من النار
وسكة احراقها والتفاف دخانها بعضها ببعض فهم كالمهل يشوي
الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا وقوله تعالى نعاقبوا
بهذا قد يكون على سبيل المقابلة لما طلبوه والا فليس هو
بالعقاب حقيقة وقوله كالمهل قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو ما غلظ مثل دردي الزيت اي عكره وقوله يشوي الوجوه
وانما اختصت الوجوه من جميع اجسادهم لكونها عند شربهم
تعرف حرها من وجوههم فتشفط فروة وجوههم وقد عبر
بالوجوه عن جميع اجسادهم والمعنى انه ينضج بها جميع جلودهم
بئس الشراب المخصوص بالذم محذوف يقدر بئس الشراب
فواي المرتفق الذي يعانقونه والضمير في ساءت على النار
والمرتفق قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الكرك ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا الآية ولما ذكر
تعالى

ما اعده لاهل الجنة من كون الانهار تجري
من تحتهم وذكر ما انعم به عليهم من انواع الحلي وغيره ذكر من الحلية
والملابس اللذين هما ايضا طاهرة وعدد ما الحلية لانها اخر
من اللباس ومن الاولى يجوز ان تكون للابتداء والثانية
للتبيين وقرا ابان عن عاصم اساورة جمع سوار وقرا الجمهور
اساور وجمع سوار وهي جمع الجمع قال الزمخشري رضي الله عنه
وجمع بين الاستبرق وهو ما غلظ من الديباج وبين السندس
الذي لم يستم غلظه في وصف الثياب بالخضرة لانها احسن الالوان
والنفس تنشط لها اكثر من غيرها وقد روي في ذلك اثر
انها تزيد في صفو البصر وخصت الاتكاء لانها هيئة المتنعمين
والملوك على اسرتهم والاراءك جمع اريكة وهي السرير والمخصوص
بالمدح محذوف اي فنعم الثواب ما وعد وابه والضمير في قوله
وحسنت مرتفقا عائد على الجنات ومرتفقا تمييز وهو
محول من الفاعل ايضا واصرف لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا
الآية قيل نزلت هذه الآية في اخوين من بني مخزوم الاسود بن عبد
الاسود بن عبد ليل وكان كافرا واسلم عبد الله بن الاسود
وكان مؤمنا وقيل غير ذلك والله اعلم وايضا فلم عام على المتحابين
الطائعين من رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد ضعفاء المؤمنين
وظهر تعرف المثل الرابط بين هذه الآية وبين الآية التي قبلها
اذ كان من المشركين انما افتخر بمال ونصاير وهذا قد بين ولد
فصير الغنى فقيرا فانما المفاخرة بطاعة الله عز وجل والتقدير
واضرب لهم قصة رجلين وذكر ابو القاسم ابن الوراق الكاتب في كتاب
عجائب البلدان ان بحيرة تنيس كانت بين الجنتين وكانتا
لاخوين فشاع احدهما نصيبه من الآخر وانفقه في طاعة
الله تعالى حتى عيت الآخر وجرى بينهما هذه المحاورة ثم قال
فرسخهما الله تعالى في ليلة واياهما عنى بهذه الآية قال
ابن عطية رضي الله عنه وتأمل هذه الفتنة التي ذكرها الله تعالى
فان الرجل الكافر يتخيل احد امرين في مكاسب الخاسرين الناس
ودخل جنته هذا الصادر من الله تعالى بدخول ذلك الكافر جنته
ولا بد ان تكون قصد في الاخبار انه دخل احدى جنتيه اذ يمكن
ان يدخلهما معا في وقت واحد والمعنى ودخل جنته يرى صاحبه
ما هي عليه من البهجة والنضارة والحسن وهو ظالم لنفسه
جملة حالية اي وهو كافر بنعمة ربه محتقر بما ملكه شاك في فناء

ما خوّله وفي البعث الذي حاوره فيه صاحبه والظاهر ان
الاشارة بقوله هذه الى الجنة التي دخلها وعنى بالابد بقاء
جنانه وذلك لطول امله وتماديه في غفلته وتخيل قيامه عليها
بما اراه في من المال والخدم فهي باقية مدة حياته على حالها
من الحسن والنضارة والحسن يقتضي بانه احوال الدنيا ما شرها
غير باقية وقوله وما اظن ان تبيد هذه ابدا اي ما اظن ان
تهلك وما اظن الساعة قائمة وهذا شك في قيام الساعة
وهو كفر ثم اقسم على انه ان رد الى ربه على سبيل قياس
الاخرى على الدنيا وبما من عم صاحبه ليجدن في الاخرة
خيرا من جنته تطمعا وتمنيا على الله تعالى وادعاء لكرامته
عليه ومكانته عنده وانه يؤتيه ايا ما اراه الحسن في الدنيا ارادة
لاستمتاع فيه ايهاما وان وعده هذا الاستمتاع ان توجه
كقوله ان لي عنده للحسنى ومعنى منقلبا اي مرجعا وعاقبة
اي عقبت الاخرة لسعيها خيرا من عقبت الدنيا لفعالها
وردها وانتصب منقلبا على التمييز قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب الاية قوله وهو
يحاوره حال من الفاعل وهو صاحبه وقوله اكفرت
استفهام انكار وتوبيخ حين شك مع اقراره بالله عز وجل
على اصل شهادته وعاد به بعد العدم وان ذلك دليل
على حوان البعث من القبور ثم عجم ذكر باخبار الصادق
وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام وقوله خلقك من تراب
اما ان اراد خلق اصلك من تراب وهو ادم عليه الصلاة والسلام
وخلق اصلية في خلقه فكان خلقه خلقا له واما ان
اراد الجنس لتولده من اغذية راجعة الى التراب فشبهه
اق لا على ما يؤل اليه صار ابيه ثم ثناه على اللطفة التي
منها ابيه وانتصب رجلا على الحال والعامل فيه سواك
فلك لم يكن الاستفهام استفهام اعلام وانما هو استفهام توبيخ
وفيه في الحقيقة تقرير على كفره واخبار عنه لان
معناه قد كفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة
ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا وفي
قوله ولا اشرك بربي احدا في ذلك تعريض بانكار
صاحبه وانه يحالفه في ذلك وقد صرح به ذلك صاحبه
في قوله ما شاء الله لا قوة الا بالله ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف
تقديره الذي شاء الله كائن والجملة في موضع مفعول قرئ

قال ابن عطية رضي الله عنه العذاب وقد يغير ذلك وهذا
الشرحي ان كان ذلك ان يوقاه في الدنيا فهو ان كي الكافر
والمراد من يحاله من الغنى فذا نقلت الى صاحبه وان
كان ذلك ان يوقاه في الآخرة فهو ابلغ واذهب مع
الخير والصلاح فيتضح صبيلا اي ارضا مرضيا او سهلا اذ ليس
لانسان فيها من كرم ولا بخل ولا دفع فقد اصطلم جميع
ذلك فبقيت بيابا فقرا ممن لق عليها لملاستها وفي رواية
لا ولا سهل والزلق هو الذي لا يثبت فوقه قدم ذهبت غدرانه
وبانه وسلك المنافع حتى منفعة الذي فيه فهو وحل
لا يثبت ولا تنبت عليه قدم وترجي المؤمن بحنة هذا الكافر
آفة علوية من سماء او آفة سفلية من الارض وهو غور ماءها
فيسلك جميع ما فيها من الشجر والزرع وغورا مصدر جبر
عن اسم اصبح على سبيل المبالغة او يصبح معطوف على قوله
ويرسل والضمير في له عائد على الماء اي لن تقدر على
طلبه لكونه ليس مقدورا على رد ما غوره الله تعالى
وقلع الثقة المؤمن بها ترجاه من هذان ما بدا صاحبه وابادته
على خلاف ما ظن في قوله ما اظن ان تبيد هذه ابدا او اخبر
سبحانه وتعالى انه احيط بثمره وهو عبارة عن الاهلاك ان
فاصله الاحاطة فاصبح تقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية
على عروشها وتقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا وظاهر هذه
الآية قد علم انه صار تقلب كفيه ظهرا لبطن وبطنا لظهر
كما يفعل ذلك لاصحاب الكبيات اي يفعل ذلك مرارا وكثيرا
ولما كان هذا الفعل كناية عن الندم عداه تعدية فعله
الندم فقال على ما انفق فيها كانه قال فاصبح نادما على
ذهاب ما انفق في عمارة تلك الجنة وهي خاوية على عروشها
تقدم الكلام عليه في اواخر سورة البقرة وتحقيقه انتفاء الشرك
الظاهر انه صدر منه ذلك في حالة الدنيا على جهة التوبة فقد
حلول المصيبة وفي قوله تربي دليل على ايمانه ولما انتجر
بكثرة ماله وعزته نفى اخر بتعالي انه لم يكن له فئة اي جماعة تنصره
فلا يكون هو منتصرا لنفسه وجمع الضمير في ينصرونه على
المعنى كما انفرده على اللفظ في قوله تعالى وقوله
هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا وقرئ الولاية
بكسر الواو وضمها وقرئ الحق بكسر القاف صفة لله تعالى
وقرئ الحق بالرفع صفة للولاية وهو خبر مبتدأ محذوف
ولما كان هذا كله اشارة الى الدار الآخرة ناسب ذكر الجزاء الثواب

المصاب

لفئة

فيها

فيها وعقبى بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا
كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية لما بين
سبحانه وتعالى في المثل الاول حال الكافر والمؤمن وما آل
اليه وما افتخر به الكافر من المؤدي للهلاك بين في هذا المثل
حال الحياة الدنيا واضمحلالها ومصير ما فيها من النعيم
والترفه الى الهلاك وقوله تعالى كما انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض تقدم الكلام على تفسير نظير هذه الاية في سورة
يونس عليه الصلاة والسلام والهشيم هو اليابس كما قاله
الشاعر
البراء رضي الله عنه فيقال لواحده هشيمة وقال
ولكن البلاد اذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم
ويقال ذرى واذرى لغتان ففرق ما بينهما كما قاله
ابو عبيدة رضي الله عنه والباقيات الصالحات قال جمهور
المفسرين رضي الله تعالى عنهم اجمعين هي الكلمات المأثورة فضلها
وهي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم وقوله وخير املا اي رجاء
ولما ذكر سبحانه وتعالى ما يؤول اليه حال الدنيا من النفاد
اعقب ذلك باوائل احوال يوم القيامة فقال سبحانه وتعالى
ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة اي ظاهرة
والمعنى انه ينفك نظام هذا العالم الدنيوي ويؤتى بالعالم
الاخروي وانتصب يوم على اضمار واذكر يوم وقرئ تسير
مبنيا للمفعول ونسير بنون العظمة مبنيا للفاعل
وترى الارض بارزة حال اي منكشفة ظاهرة لذهاب
الجبال والظراب والشجر والعمارة او على حذف مضاف
تقديره وترى اهل الارض بارزين من بطنها وحشرناهم
اي اقمناهم من قبورهم وجمعناهم لعرصة القيامة وقال
الزمخشري رضي الله عنه فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا
بعد تسير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه
قيل وحشرناهم قبل ذلك انتهى والاولى ان تكون الواو
واو الحال لا واو العطف والمعنى وقد حشرناهم اي يوقع
التسيير في حال حشرهم وقيل وحشرناهم وعرضوا ووضع
الكتاب مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق
وقوعه وقوله فلم نغادر اي لم نترك وانتصب صفا على
الحال وهو مفرد تنزل منزلة الجمع اي صفوفا وفي الحديث
الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد صفوفا يسمعهم

الداعي وينفذ البصر
الحديث الصحيح بطوله
صح

لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة الآية هو معمول القول محذوف
تقديره وقلنا وكما خلقناكم هو نحت المصدر محذوف
اي مجيئا مثل مجيء خلقكم اي حفاة عراة غرلا كما جاء في
الحديث الصحيح ايضا وخائبين من المال ومن الولد
وان هنا مخففة من الثقيلة وفصل بينهما وبين الفعل
بحرف النفي وهو ان كما فصل في قوله تعالى ان الحمد
الآية ان لن نجعل خطاهد وفي الاضراب بمعنى الانتقال
من خبر الى خبر وليس هو بمعنى الابطال والمعنى ان لن نجعل
لكم عادتكم وخلفكم موعدا اي مكانا وعدا وزمانا
وعدا لا يخالف ما وعدتم على لسنة الانبياء عليهم
الصلاة والسلام من البعث والنشور والحساب من نقر
حيثما للكفار المنكرين البعث على سبيل تقريعهم وتوبيخهم
ووضع الكتاب فنزي الجرمين مستقبل مما فعله الآية
قال الزمخشري رضي الله عنه فالكتاب هنا اسم جنس اي
كتب اعمال الخلائق واسما فهم حوفهم من كتب اعمالهم
السيئة وفضيحتهم ومعاينتهم لذلك من العذاب
الشديد انتهى وقوله تعالى وتراهم يعرضون عليها اي النار
يقول المجرمون حين يرون ذلك ويشاهدونه ويلتنا اي كلمة
تقال عند امر مهول ومعناها هلاكنا الذي اتى بلكتوا
خاطئين من الهلكات فقالوا يا ويلتنا والم الوقت بحضرتهم
كانهم قالوا ايام من بحضرتنا انظروا هلكتنا وكذا ما اخبار
من فذا من لا يعقل وقولهم مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ما الذي لها منه وقل هي
مبتدأ وهذا في موضع الخبر تقديره اي شيء لهذا الكتاب
ولا يغادر جملة حالية صغيرة ولا كبيرة واذا احصيت
الصغيرة فالكبيرة اخرى اي احق ان تخفى وقولهم الا لا
احصاها اي ضبطا وحفظا ووجدوا ما عملوا حاضرا
ولا يظلم ربك احدا لنكتب علمه ما لم يفعل او يزيد في
عقابه واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية ارتباطها بالتي
قبلها هو انه لما ذكر يوم القيامة والحشر وذكر خوف المجرمين
مما سطر في ذلك الكتاب وكان ابليس لعنه الله تعالى
هو الذي حمل المجرمين على معاصيهم وانخاذ شركاء مع الله
تعالى ناسب ذكر ابليس والنهي عن اتخاذ ذريته اولياء
من دون الله تعالى تنفيرا عن المعاصي وامتثالا وعن
اتباع ما يوسوس به وتقدم الكلام في استثناء ابليس اهو

استثناء متصل او منقطع وهل هو من الملائكة ام ليس منهم
في اوائل سورة البقرة فاغنى عن اعادته هنا والظاهر ان معنى
فسق عن امر ربه اي خرج عما امر به من السجود
والهمزة في قوله افتتخذونه للتوبيخ والانكار والتعجب اي
اه تعدون فاطركم منه الفسق والعصيان تتخذونه وذريته
اولياء من دوني مع شوف عداوته لكم تتخذونه ولياً
وهو لكم عدو بئس حملة حالية وعدو مفرد يراد به الجمع الخ بل
به الجمع وهو واقع والمخصوص بالذم محذوف اي بئس للظا
بدلا من الله عز وجل ابليس وذريته وقال للظالمين لانهم
اعاضوا من الحق بالباطل وجعلوا مكان ولاتهم الله عز وجل
ولاتهم ابليس وذريته وهذا الظلم لان الظلم هو وضع
الشيء في غير موضعه انتهى والله اعلم قال الله عز وجل ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ
المضلين عضداً قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
والذي يظهر والله اعلم ان هذا المعنى لم اتخذ من الله عز
وجل عن نبيه عليه الصلاة والسلام وخطاب منه تعالى له
في انتفاء تسويته متخذ عضداً من المضلين وهو
اعمال اسم الفاعل وتعويض ما دون ما واشركاي الذين زعمتم
ليس المعنى انه تعالى اشركهم معه ولكن وكلت على غيركم
والاضافة قد تكون بادنى ملابسة ومفعولا زعمتم
محذوفان لدلالة المعنى عليهما اي الذين قدرانتم قدرتموهم
شركاي وادعاء بمعنى الاستقامة سبعة اشياء اي
استقصوا اشركاءكم والمراد دعوهم لدفع الضر اعلم
او للاستغاثة لكم والظاهر ان الضمير في بينهم عائد على الدا
والمدعوين وهم المشركون والشركاء قوله تعالى وجعلنا
بينهم موبقا والموبق هو المهلك تعالى وبق يبق وبقا
ووبق يبق وبوقا اذا هلك فهو واب واوبقه ووبقه
اهلكه ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها اي
بعد واعرها مصرفا الآية اي عاينوها فالظن هنا قتل هو
على موضوعه من كونه ترجيح احد المجوزين الجائزين وتوقعهم
لم يجدوا عنها حوطها رجاء وطمعا في رحمة الله عز وجل ومعنى
مصرفا اي معدلا وميزاعا ولقد صرفنا في هذا القرآن
للناس من كل مثل الآية تقدم تفسير نظير هذه الآية
وهنا شيء مر معنا لهم اي اكثر الاشياء التي تأتي منها الجدال
ان وصلتها واحد او اكثر فكان الانسان اكثر شيء جدلا الى اكثر

يعني ان جدال الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه قوله تعالى واذا
ما وخصيم مبين وانتصب جدلا على التمييز قال والانسان هنا هو
النضر بن الحارث وقيل ابن الزبعري وقيل اسية بن خلف وقيل
جدله كان في شان البعث حتى اتى بعظم قد رمّ فقال اليقدر
الله على اعادة هذا وكثيرا ما يذكر الانسان في معرض الذم وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل وكان الانسان اكثر
شيء جدلا حين عالجت عليا كرم الله وجهه على النوم عن صلاة الليل
فقال له علي رضي الله عنه انما نفسي بيد الله عز وجل فاذا شاء
ان يبعثنا بعثنا والانسان هنا على العموم وفي قوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ
جاءهم الهدى الآية تاسف عليهم وتنبيه على فسادها لهم
لان هذا المنع لم يكن منهم لقصد ان يمتنعوا لنحتهم الله اياه
وانما امتنعوا لهم مع اعتقادهم مصيبون كل انسان في نفسه
ليس قصدهم الى هذا وكان حالهم تقتضي ان تاسف عليهم والناس
والناس يريد بهم كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين بقوا
دفع الشريعة وشكذبها وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ما تتهم العذاب
قبلا اي وما منع الناس ان يؤمنوا الا سابق في علمنا وقضايا
ان نجري عليهم سنة الاولين من عذاب الاستئصال اي من النسخ
والخسف والصيحة والغرق وعذاب الظلة ونحو ذلك فاراد ان
يذكر الاقرب الذين من اهلك من الامم الماضية وان يؤمنوا في موضع
نصب على اسقاط حرف الجر اي من الايمان وقد اعلم منع قوله ان ياتيهم
وهو على حذف مضاف مقدر الا انتظار ان ياتيهم وقد مضى
قبلا بضم التاف والتاء فاحتمل ان يكون بمعنى قبلا مكررا كالتاء
وفتح الباء وقد قرئ به وحكاها ابو عبيدة عن ابن الله عنه
انهما بمعنى واحد في المقابلة وان يكون جمع قبيل اي يجمعهم
العذاب انواعا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين في
اي مبشرين للمؤمنين بالنعيم المقيم لمن امن ومنذرين اي بالعقاب
الاليم لمن كفر ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق الآية
اي ليزلوا بتقولهم الباطل واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا
اي اتخذوا آيات القرآن وعلامات الرسول قولا وفعلا وكذا ما انذروا
من عذاب الآخرة اي انذروه وان تكون مصدرية اي وانذار الرسل
اياهم فلا تحتاج هنا الى عائد محذوف وقوله هزوا اي سخرية وهل
وتحفا كقولهم ان هو الا سطر الاولين وكقولهم لو شاء لقلنا مثل
هذا وقد مر تفسير نظير قوله انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
الآية ثم اخبر سبحانه وتعالى ان هؤلاء لا تهتدوا ان ابدا وهذا من العام

والمراد به الخصوص

والمراد به الخصوص وهو من طبع الله على قلبه وقضى عليه بالموافاة
على الكفر او قد اهتدى كثير من الكفار وامنوا فحمل لا على
على لفظ من مر في قوله ذكر آيات ربه فاعرض عنها ونسي ما
قدمت يداه فاورد هم على المبالغة او على المعنى في قولك انا
نقول انا حملنا على قولهم اكنة وفي قوله وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا بالاية مبالغة في انتفاء هدايتهم وربك
الغفور ذو الرحمة الاية وقال ابن عطية وغيره وقوله وربك
الغفور ذو الرحمة اي صفة مبالغة وذو الرحمة اذا لموصوف
بالرحمة ثم ذكر دليل رحمته وهو كونه سبحانه وتعالى لا يواخذهم
عاجلا بل يمهلهم مع الزاطم في الكفر وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم
والموعد هو اجل الموت وانث تعالى بقوله وتلك القرى اشارة
الى اهلها اي القرى المجاورة لاهل مكة كعاد وثمود وقرى قوم
لوط ومدين وغيرهم اهلكنا لما ظلموا اي لكفرهم وايجاب
لهم ولجاز ولما جعل لهلاكهم اجل تلك القرى وتلك
مبتدا والقرى صفة او عطف بيان والخبر اهلكناهم
ويجوز ان يكون القرى الخبر واهلكناهم جملة حالية
كقوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ويجوز ان
يكون تلك منصوبا باضمار فعل دل عليه ما بعده اي وقد
اهلكنا تلك القرى اي اهلكناهم لما ظلموا اي بسبب ظلمهم
وهو كفرهم بالله وبما جاء به الرسل وهو التوحيد وتلك القرى
على اضمار مضاف اي واصحاب تلك القرى ولذلك
عاد الضمير على ذلك المضمر في قوله اهلكناهم وقوله لما
ظلموا هو استعارة بجعلة الاهلاك وما الظلم وهذا لمتدرك
الاستاذ ابو الحسن بن عصفور رضي الله عنه على حرفية
لما وانها للسببية حين لان الظرف لا دلالة فيه على
العلة وفي قوله لما ظلموا تحذير من الظلم اذ نتيجة
الظلم الاهلاك اي وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما
وهو الموعد واحتمل الموعد ان يكون مصدرا او زمانا
واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي
حقبا الاية قرر وردي الحديث الثابت الصحيح وفي التواريخ
ايضا ان موسى بن عمران هو موسى بني اسرائيل وانه اول الرسل
هو واخيه هارون الى فرعون وقتاه هو توشح من ثوبين من
اوائل ابن يوسف ابن يعقوب والفتى هو الشاب وسبب
القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام خطب يوما في مجلس
بني اسرائيل فقام خطيبا فيهم فابلغ في خطبته اي بالغ في الوعظ فيها

فقيل له وهل تعلم احدا اعلم منك قال لا فاوحى الله سبحانه
وتعالى اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فسر اليه
فاوحى الله تعالى اليه ان يسير بسيف طول البحر حتى يبلغ مجمع
البحرين وعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله سبحانه
وتعالى فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي هو بمجمع البحرين وهو
الخضر عليه الصلاة والسلام وكان ذلك في ايام افريدون
قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى زمان
موسى عليه الصلاة والسلام ومعنى قوله لا ابرح اي لا ازال
اسير حتى ابلغه والتقدير هنا لا ازال سايرا حتى ابلغ مجمع
البحرين وقد قيل ايضا لهفي عليك للهفة من خايف
سعى جوارك حين ليس مجيرا اي حين ليس في الدنيا مجير
والذي اراه انه يكون حذفه اذا دل الدليل على حذفه
كهذا الموضع قال الزمخشري رضي الله عنه فان قلت ان كان
لا ابرح بمعنى لا ازول من برح بالمكان فقد دل على الاقامة
لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت
هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام
معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر
واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية
مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى
لا ابرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما
حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير
المتكلم فانقلب الفعل عن الضمير الغايب الى ضمير المتكلم
وهذا هو وجه لطيف انتهى وقيل هما وجهان وقد
خلط فيهما الزمخشري رضي الله عنه اما الاول فجعل الفعل
مسندا الى المتكلم لفظا وجعل الخبر محذوفا كما قاله ابن عطية
وحتى ابلغ هي قد تكون فضلة متعلقة بالخبر المحذوف
وغاية له والوجه الثاني جعل لا ابرح مسندا من حيث
اللفظ الى المتكلم ومن حيث المعنى الى ذلك المقدر المحذوف
وجعل خبر لا ابرح هو حتى ابلغ فهو عمدة اذ اصله خبر المبتدا
لانه حين ابرح قال الزمخشري رضي الله عنه ويجوز ان يكون المعنى
لا ابرح عما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا
افارقه حتى ابلغ ذلك كما تقول لا ابرح المكان انتهى وقوله
مجمع البحرين قال مجاهد وقتادة هو مجمع بحر فارس وبحر
الروم قال ابن عطية رضي الله عنه هو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال
الى جنوب في ارض فارس من وراء اذربيجان وقال ابن عباس رضي الله

تعالى عنهما

رضي الله عنهما هو من وراء وراء ربيعة وادركه الاجل لاجتماع
البحرين ما تملي بالشام هو مجمع البحرين على هذا القول
وقالت فرقة منهم محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه هو عند
طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه من دبور
الاصباغ والغرقة الى ان يصنعوها ما بين الحرة الحضرة
وقيل هم اهل انطاكية وقال ابن عباس رضي الله عنهما الحقب
هو الدهر الطويل وقد تسعون سنة وقيل سبعون وقيل
سبعون كما قاله اصحاب التفاسير والظاهر ان قوله آتي
منصوب على ابلغ فعتيا باحد الامرين اما بلوغه الى مجمع
البحرين واما مضيه حقبا وقال هي تغلبية لقوله
لا ابرح كقولك لا افارقك او تقضي حقي فالمعنى
لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين الى ان امضي زمانا اتقدر معه
فوات مجمع البحرين فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما ثم
حملة محمد قوة والتقدير فسارا فلما بلغا اي موسى وفتاه
مجمع بينهما اي بين البحرين نسيا حوتهما وكان من امر الحوت
وقصته ان موسى عليه الصلاة والسلام حين اوحى الله تعالى
اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى
يا رب فكيف لي به قال تاخذ حوتا فتجعله
في مكتل حيث ما فقدت الحوت فهو ثم اي هناك فاخذ
حوتا فجعله في مكتل له ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع
ابن نون حتى اتيا الصخرة فوضعا رؤوسهما فناما هناك
واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر
فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله تعالى عن الحوت جرية
الماء فصار عليه مثل الطاق والسرب هو المسلك في خرق
الارض فلما استيقظا نسيا وقال ابن عباس رضي الله عنهما
اي سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والعدة الى الظهر
فالقى الله تعالى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد
ولم ينصب قبل ذلك ولا جاع فتذكر الحوت وطلبه
والنصب التعب وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسير
وراء الصخرة وقال ابن محيريز عن ابيه عنه اذا سمعتني
اخبرك فان قلت ما وجه النسيان في هذا الكلام قلت ان كل
واحد من ايات واذ اوتاه فاني نسيت للحوت لا متعلق
له قلت لما طلب موسى للحوت ذكر يوشع ما راى منه وما
اعترله من بسيابه الى تلك الغاية فذهر فطفق يبتاك
موسى عن سبب ذلك كانه قال اراية ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة

قال في نسيت الحوت

فحذف ذلك اشهى وكون ارايت بمعنى اخبرني ذكره سيبويه رضي
الله عنه وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الانعام ويجوز
ان يكون ارايت بمعنى اعلمت اي اعلمت ما جرى فلا يكون
بمعنى اخبرني وارد معمولة لارايت هذه وفي نسبة النسيان
الى نفسه دليل على احسن ادب وتلطف في فعل الكوف
وان اذكره يتعدى بالتضعيف بتقدير ذكرنيه اياه وهو بدل
اشتمال من ضمير الهاء في انسانيه وفصل بين البدل
منه وبين البدل بقوله الا الشيطان ان اذكره وهو فاعل
انسانيه والظاهر ان قوله واتخذ سبيله في البحر عجبا عائد
على الحوت كما عاد في قوله واتخذ سبيله في البحر كالرهو
من كلام يوشع وانما كان عجبا لانه خرج من المكتل وحياة
بعد كونه مشويا وملوحا وماكولا لبعض من شده
وامساك حركة الماء عليه والاشارة بقوله ذلك ما كنا
نبغ اي من احراز الحوت وفقده واتخاذه سبيلا في البحر عجبا
لاقته اما في الظفر بالطلبة من لقاء ذلك العبد العالم
وذلك مبتدا وما موصول خبر عن المبتدا ونبغي صلة ما
والعايد عليها محذوف تقديره ما نبغيه نبتغيه فارتدا اي
رجعا على آثارهما من حيث جاءا على آثارهما قصصا اي
تقصان الاثر قصصا فانتصب على المصدر بفاصار يقصان
او يكون في موضع الحال اي مقتصين وبعد تقضي قوله
فارتدا فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علما الآية اي فوجدا موسى والفتى عبدا
من عبادنا هذه اضافة تشريف واختصاص اي فوجداه
عند الصخرة التي فقد الحوت عندها وهو مسجى في ثوبه
مستلقيا على الارض فقال له موسى السلام عليك فرفع
رأسه وقال له وعليك وعلى اهل ارضك السلام ثم قال لمن
انت فقال له انا موسى ابن عمران فقال له انت موسى بني اسرايل
قال نعم قال له الم يكن لك في بني اسرايل ما يشغلك
عن السفر الى ههنا قال بلا ولكن قد احببت لقاءك وان
اتعلم منك فقال له الخضر عليه الصلاة والسلام اني على علم
من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله
تعالى لا اعلمه انا وفي قول الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام من
انت وقد اعلمه الله تعالى بواطن الامور وما اظهر لنا على
كذب لان المسلمين نهوا عن التصوف المدعى علم الغيب
والكشف عن احوال الناس اعاذنا الله تعالى من ذلك امين

وقد

ولذن تقدم الكلام عليها في اوائل سورة آل عمران قال له موسى
في الكلام حذف تقديره فلما التقيا وتراجعا الكلام وهو الذي
ورد في الحديث الصحيح قال له موسى هل اتبعك وفي هذا دليل
على التواضع للعالم وفي هذه القصة دليل على الحث على الرحلة في طلب
العلم وعلى حسن التلطف والاستنزال والادب في طلب العلم
بقوله هل اتبعك وفيه المسافرة مع العالم لاقتباس فوائده
والمعنى هل يخف عليك ويتفق لك وانتصب قوله رشدا
على انه مفعول ثان لقوله تعلمني او على انه مصدر في موضع
الحال وذو الحال الضمير في اتبعك وقرئ رشدا ورشدا
بفتح الراء وضمها قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى الخضر
عليه الصلاة والسلام استطاعته الصبر معه على سبيل التاكيد
كانها ما لا يصح ولا يستقيم وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا
اي ان صبرك على ما لا خبرة لك به مستبعد وفيه ابدا
عذر له حيث لا يمكنه الصبر لما يرى من منافاة ما هو عليه
وانتصب خبرا على التمييز اي بما لم تحط به خبرك فهو منقول
من الفاعل او على انه مصدر على غير المصدر به لان معنى
بما لم تحط به خبرا اي بما لم تخبره قال ستجدني ان شاء
الله صابرا ولا اعصي لك امرا وعده بوجدانه صابرا وقرن
ذلك بمشيئة الله عز وجل علما منه بشدة الامر وصعوبته
اذ لا يصبر الا على ما ينافي ما هو عليه اذا رآه ولا اعصي
لك امرا يحتمل ان يكون معطوفا على صابرا اي صابرا وغير
عاص فيكون في موضع نصب عطفا على الاسم اذ كان في معناه
كقوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات ويجوز
ان يكون معطوفا على قوله ستجدني فلا محل له بالاعراب
ولا يكون مقيدا بالمشيئة لفظا فانطلقا حتى اذا ركبا
في السفينة خرقها الاية وقوله فانطلقا اي موسى والخضر عليهما
الصلاة والسلام ومعهما يوشع ابن نون ولم يضم اليه لانه في حكم
التبع وقيل ان موسى قد صرفه ورده الى بني اسرائيل والالف
واللام في السفينة لتعريف الجنس اذ لم يتقدم عهد في
سفينة مخصوصة وقد روي في كيفية ركوبهما السفينة
وخرقها وسدها اقوال والمعتمد ما رواه البخاري ومسلم
رضي الله تعالى عنهما اي ما رواهما في صحيحيهما قالا فانطلقا
يمشيان على ساحل البحر فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه
بغير نول اي بغير اجرة فلما ركبا في السفينة لم يفجأ
الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم وهي في

لجة البحر

فقال له موسى عليه الصلاة والسلام قوم حملونا بغير نول عمدت
الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها الى قوله عسرا قالا يعني
البخاري ومسلم رضي الله عنهما وكانت الاولى من موسى نسيانا
قال وجاء عصفور فوقف على حرف السفينة فنقر فقال له
الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور
من هذا البحر واللام في ليغرق اهلها قيل هي لام العاقبة
وقيل هي لام العلة وقرئ ليغرق اهلها بفتح الياء والراء
وسكون الغين اهلها بالرفع وقرئ بتاء الخطاب ثم ذكره
الخضر بما سبق له من نفي استطاعة الصبر لما يرى فقال
لا تؤاخذني بما نسيت والظاهر حمل النسيان على وضعه
وقد قال عليه الصلاة والسلام كانت الاولى من موسى نسيانا
والمعنى انه نسي العهد الذي كان بينهما من عدم الصبر سؤاله
حتى يكون هو المخبر له اولا لقد جئت شيئا امرا اي شنيعا
شنيعا وهو ما عظم من الامور كالداهية والاد ونحوه
فانطلقا في الكلام حذف تقديره فخرجا من السفينة
يمشيان على ساحل البحر اذا ابصر الخضر غلاما يلعب مع
الصبيان وفي بعض الروايات فمرا بغلمان يلعبون فعمد
الخضر الى غلام حسن الهيئة وضيء الوجه فاقتلع راسه من بين
كتفيه وقيل غير ذلك من كيفيات القتل وحكى القرطبي
رضي الله عنه عن صاحب العرس والعرائس ان موسى عليه الصلاة
والسلام لما قال للخضر اقتلت نفسا زاكية بغير نفس غضب
الخضر فاقتلع كتف الصبي الايسر وبشر اللحم عنه اي ازاله
عن العظم واراه اياه فاذا مكتوب عليه هذا كافر لا يؤمن
بالله ابدا ومعنى قوله زاكية اي طاهرة من الذنوب ووصفها
بهذا الوصف لانه لم يرها اذ نبت ومعنى نكرا اي انكر من
الاول لان الخرق يمكن سده والخبر القتل لا سبيل الى تدارك
الحياة معه وفي قوله لك زجر واغلاظ ليس في الاول
لان مواقعة التساؤل ثابتة بعد التقدم الى ترك السؤال
واستعذار موسى عليه الصلاة والسلام بالنسيان اقطع
واقطع في المخالفة ما كان اخذ على نفسه من الصبر
وانتفاء العصيان قال ان سالتك عن شيء بعدها اي بعد
هذه القصة فلا تصاحبني او بعد هذه المسالة وقوله فلا
تصاحبني اي فاوقع الفراق بيني وبينك والقرية التي ابوا ان
يضيفوهما قيل هي الجزيرة الخضراء وقيل غير ذلك وقيل انها
انطاكية وقيل غير ذلك وفي الحديث انهما كانا يمشيان على مجالس اوليك

القوم

الفعل يستطيعا فيقوم هذه عبارة مقترحة هو ان الدنيا على الله عز
وجل وذكر لفظ اصل على سبيل التوكيد وقد يظهر له فائدة
غير التوكيد وهو ارادتهما حتى ايتا لاهل قرن القرية لم يأتيا
جميع اهل القرية انما اتيا بعضهم فلما قال استطعما اهلها
افهم لم يستطعما الا تلك القرية التي اتياها فجيء بلفظ اهلها
ليعم جميعهم وانهم يشتركون واحد او احد انما لا يستطعام
ولو كان التركيب تستطعامهم لكان عائدا على البعض الباقي
وسياق الارادة قبل الجدار من الجدر البناء اي يقرب ان ينقض
والاستعارة ابلغ وكثيرا ما توجد في كلام العرب اسناد
الاسناد اذ تكون من افعال العقلاء لما لا يعقل من افعال
الحيوان والى الجماد والعجماء لكان الجماد او الحيوان الذي لا يعقل
كأنه العاقل لكان صادرا منه ذلك الفعل وقد قال
ابن عباس رضي الله عنهما اي دفعه بيده فاستقام وقد اسند ظهره
اليه فاقامه وهذا هو الذي يحق بالانبياء عليهم الصلاة
والسلام ولما رأيت موسى عليه الصلاة والسلام من الخضر عليه الصلاة
والسلام اقامة الجدار وهو جوعهم على مناكرة حالة الاولى في ابائه
لو شئت لتخذت عليه اجرا ظاهر انه اعتراض او كان في اقامة
الجدار احتياج الى الطعام فاستحق الاجر على ما فعله من اقامة
الجدار ولذلك قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتأويل ما لم
تستطع عليه صبرا وهذا السؤال قد تقدم نقله قوله لا تؤاخذني
ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وقوله لو شئت لتضمن
معنى السؤال وشئت لتخذت وليتخذت عليه اجرا وانما
هما اصلية سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا
اي سأخبرك بتأويل ما رأيت مما آل اليه الامر فما كان ظاهره
ان لا يكون اي مما ظاهره لا يجوز شرعا والله سبحانه وتعالى اعلم
اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ظاهر ان قصده
للاختصاص وانهم ملاك لها لكن لها فاردت ان اعيبها
فيه لما اراده الملك الغصب الله وراءهم لاضداده يكون بمعنى خلف
وبمعنى امام ففسرها وراءهم بمعنى امامهم هذا
وذكر ان اسم هذا الملك هدد وان قدد وكان كافرا وقد اثنى الله عز وجل
كل سفينة صالحة وكمال ذلك على التفسير لا على انه قرآن
وانتصب غصبا على انه مفعول من اجله ولما ظهر لك ان هذه
السفينة قد عيبت لاخراج مساكين اهلها وخوف اهلها من الغرق
لم يتعرض هذا الملك الى اخذها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
الآية قال الزجاج وابن عطية رضي الله عنهما الالف واللام فيه للعهد

ان رفقتها
آخرها

اذ قد تقدم محبته ونكرة لقوله لفتيانه الا ما فعلته فهو نظير كما في
ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فكان ابوه من سببين
يراد بابويه ابوه واحد وهي هنا تعليلية من باب اهنتن في اليوم
والسنة وهي تفيد الانتفاء من حيث اريد اثبات نقيضه اي حيث ان نقيض
الوالدين الموثوق بطفاتهما وكفرانهما بحقوقهما وسوء
صنيعهما معهما وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله عز وجل اعلمه
بحاله واطلعه على سر امره وامره بقتله كما خرامه لمفسدة
عرفها بحاية واذ هنا اظهار تم والتفات من الذوب
وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة والترحم والرحمة
والعطف مصدر ان وقوله فاردت ان يبدلهما ربهما
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وانتصب رحمة على المفعول
له والظاهر ان ابا هما هو الاقرب اليهما الله اولدهما وفي الحديث
ان الله تعالى يحفظ الرجل الصالح في ذريته والظاهر في الكنز
انه مال مدفون حسبما ذهب وفضة وفي قوله فاراد ربك
اسناد الارادة الى اهد عز وجل لما تضمنت من ارادة الخير خلاف
ما تقدم من قوله فاردت ان اعيبها وما فعلته عائد على ما تقدم
من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار عن آخره
دليل على ان ذلك كان بامر الله تعالى وقد استدل بهذا
المتقدم على ان الخضر عليه الصلاة والسلام نبيا ويستطرع مضارع
استطاع بمعنى اتى وصل وقال ابن السكيت رضي الله عنه المحذوف
منه هناك اذ الافتعال اذ الاصل هي الطاء والياء واو الكلمة
اذى راسها والالف المقلبة عن الواو والياء عين الكلمة آخرا
لام الكلمة والاصل الطوع والسائل نك عن ذي القرنين
الآية الضمير في قوله تعالى ويسالونك عائد على قريش حين
وسمتهم اليهود على سؤاله عن الروح والرجل الطواف الذي
بلغ مشارق الارض ومغاربها وكنته ذهبوا في اول الدهر
ليتعجبوا امتحانه لك وذو القرنين هو الاسكندر الرومي
كما ذكره ابن اسحاق رضي الله عنه وعن علي رضي الله عنه كان
عبدا صالحا وليس هو سكندر ولا الذي ضرب على قرنه الايمن في طاعة
الله عز وجل فمات فبعثه الله تعالى فضرب على قرنه الايسر
فمات فبعثه الله تعالى فسمي ذو القرنين وقد ورد في بعض
الاحاديث ان الذين ملكوا الارض اربعة مومنان وكافران واما
المومنان فنبي الله سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام والثاني
الاسكندر ذو القرنين رضي الله عنه واما الكافران فالنمرود
وبخت نصر وكان بعد النمرود وقوله سانلوا عليكم منه ذكرا جمل

ان يريد قرآنا او ان يريد به حدثا وخبرا والممكن الذي له في الادنى
كوفر ملك الدنيا وانت له الملوك كلها وانتاه من كل شئ يحتاج
اليه في الوصول الى اغراضه سببا اي طريقا موصلا اليه والسبب
هو ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ
المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ وكذلك اذا اراد المشرق
فاتبع سببا يوصله اليه حتى اذا بلغ واراد بلوغ السدين فاتبع
سببا حتى وصل اليهما حتى كان من امرهما كان واصل السبب
الحبل حتى ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به الى الغرض
وقرئ في عين حامية بغير الف اي ذات حمأة وحمئة بمعنى فيهما
وطين وفي حديث ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نظر الى الشمس عند غروبها فقال فيم ترى ما آماد راى تغرب
الشمس فقال لا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها تغرب
في عين حامية وهذا الحديث وظاهر النص دليل على ان قوله
في عين متعلق بتغرب ووجد عندها قوما اذ وجد
عند تلك العين اقواما كثيرة وقال وهب رضي الله عنه قرأ
يومئذ المغرب لكي ان انتهى الى ناس فوجد جمعا وفي رواية جموعا
كثيرة لا يحصيهم الا الله تعالى فعرف حولهم قدر ثلثمائة عساكر
حتى قدرهم في مكان واحد ثم دخل عليهم في الممر الغور
ودعاهم الى عبادة الله تعالى فمنهم من امن ومنهم من صد
عنه فلما راى الفريقين اما ان تتخذ بالقتل والاسر
واما ان تتخذ فيهم حسنا اي فالجمع على الهدى والايمان كما
والاجتهاد في حسمائهم فقال لقائل من دعوته فابى الا
القتال على الظلم وهو الكفر فهذا لا خلاف في ذلك هو المتخذ
في الدارين واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وانا
فما يعرف التشفي من قسوف هذه لما تتخلد بين اظهرهم
كفر وبين تعذيبه من دعاه الى الايمان وقابله فهو
لانتظار حلم العقوبة اي بالقتل على ظلمه ثم يدعوهم ويذكرهم
فان رجعوا عن ذلك وآبوا القتل وقوله ثم يرد الى ربه الآية
اي يرد الى ربه يوم القيامة والى بنون العظمة في تعذيبه على
ما ادته الملك في قولهم نحن وعلنا في قوله الى ربه استعار
باب التخيير لذي القرنين لدين من الله سبحانه وتعالى اذ لو كان
كذلك لكان لا شرع به ثم يرد اليك فتعذبه ولا يبعد ان يكون
التخيير من الله تعالى ويكون ذو القرنين قد انعلم بذلك ان
اعلم اتباعه بذلك ثم فصل مخاطبا الاتباعه لا ربه عز وجل وما احسن

لمثاه كما سيحقه من ظلم بدا ما هو اولهم ومحسوس عندهم
وهو قوله فسوف تعلمون ثم اخبر بما يلحقه اخيرا في يوم
القيامة وهو نعيم الله تعالى اياه العذاب النكر ولان الاتي
الواقع هو ذلك وكما ذكر ما يستحقه من امن وعمل صالحا ذكر
جزاء الله سبحانه وتعالى له في الآخرة وهو الحسنى اي الجنة
لان طمع المؤمن في الآخرة ورجاءه هو الذي حمله على ان امن لاجل
جزائه في الآخرة وهو عظيم بالنسبة لاحسان في الدنيا ثم
اتبع ذلك باحسانه له في الدنيا بقوله وسنقول له من امرنا
يسرا اي لا نقول له ما انت كلفت مما هو شاق عليه اذ قولا ذا يسر
وسهولة كما قال تعالى قولا معروفا اي لما ذكرنا اعد الله تعالى
له من الحسنى جزاء لم ناسب ان يذكر جزاءه بالفعل بل اقتصر
على القول اذ ما مع الله عز وجل وان كان نعيما انه يحسن اليه
قولا وفعلا وقوله لم نجعل لهم من دونها سترا وهم اكل بحر
والمراد بالستر هنا البنيان وقيل غير ذلك والمعنى انهم
لا شيء لهم يستترهم من حر الشمس وقال مجاهد وعنه السودان
عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض وقال بعضهم ارضا
بالريح حتى غيرت السواد حتى كسي جلودها السواد اه
ثم اتبع سببا اي طريقا بين السدين وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا اي لغة قال وهب بن منبه رضي الله عنه
السدين جبلان منيعان اي شاهقان من ورائهما ومن
امامهما البلدان وهما بمنقطع ارض بلاد الترك مما يلي بلاد ارمينية
وادربيجان وهما لتان اي لسان يعرف عليهما كل شيء وسمي
الجبلان سدين لان كل واحد منهما قد سد بحاجز الارض
وكانت فيما بينهما فتحة فيخرج منها ياجوج وماجوج اذا
رجوا عند ما يتقدمهم لكونه بتلك الارض وداني الى ارمينية
الملوك وبلغ اليهم فلم يكن يبلغ ارضهم ملك قتله وياجوج وماجوج
قبيلتان من نسل آدم وقيل هما من ولد يافث بن نوح وقيل
ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم وقال السدي
والضحاك رضي الله عنهما الترك شرذمة منهم خرجت تغير
فجاء ذو القرنين فضرب هذا السد عليهم فبقيت في هذا
الجانب وقال قتادة والسدي رضي الله عنهما بنى السد على
احدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة ذوو الستة
الترك وقد اختلف في عددهم وصفاتهم ولم يصح في ذلك شيء
من هذا وهما موصوفان في الصحيح بكثرة العدد الجمة
والعلمية والصحة وفي زعم انهما عربيان فللنسابة والعلمية

لا يعلمها اسماء
قبيلة

اسماء قبيلة قرئ يا ياجوج وماجوج بالهمز وبغير همز
وقوله مفسدون في الارض لم يعين جهة الفساد وفيها
اقوال اختلف فيها المفسرون وذكر واحد من ذلك في كتابنا
المسمى بالبحر المحيط فمن اراد ذلك فليراجعها هناك وقوله فهل
نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا او في ذلك
سمة عار عليهم وشين وعيب وفرط تحننه على ما طلبوا
على جهة حسن الادب وسألوا ذلك ادب سألوه وذلك كقول
موسى عليه الصلاة والسلام للخضر هل اتبعك على ان تعلمني
مما علمت رشدا وقرئ خراجا وخرجا والخراج والخرج
بمعنى واحد كالنوال والنول والمعنى فهل نجعل لك من اموالنا
وكل ما يستخرج من ضريبة وجزية وغلة فهو خراج وخرج
وقرئ بفتح السين في السدين وسدا وضمهما ايضا قال ما
مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما
اي ما بسطاني من القدرة والملك خير من خرجكم فاعينوني
بقوة اي بما اتقوى به من فعلة وصناع يحسنون العمل والآلات
وما الآلات التي يحتاج اليها وقرئ مكني وهكني الادغام
فكذا باطها والنون فيه وما مسدا موصول بمعنى الذي
وما بعد صلته والعايد الضمير الذي في فيه وخير
خبر وقوله ردما اي حاجزا حصينا موثقا وقرئ
قال انتوني وايتوني من اتى واتى والمعنى احضروا زبر
الحديد وضم محمد وفتحه وقد تقدم ما طلب حتى اذا ساوى
بين الصدفين قرئ بضم الصاد والدال وبفتحهما وبضم
الصاد واسكان الدال والصدف ان جانبا الجبل اذا تحاذيا
لتصادفهما اي لتلاقيهما وحكى في الكشف ان ذا القرنين
قاس ما بين الصدفين وحفر الاساس حتى اذا بلغ الماء
ثم جعل حشوه الصخر وطينه الى ان سوى ثم نصب
عليه والنبان من زبر الحديد اي قطعه الكبار وجعل بين
ذلك الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى
اعلاهما ثم وضع المنافخ وقال لهم النفخوا حتى اذا صار
الحديد كنار قال ايتوني افرغ عليه قطرا يعني النحاس
الذائب فيصب على هذا الحمى نارا فاختلط بعضها على بعض وصار
جبلا صلدا اي املس لا يستطيعون ان يظهروا عليه ولا ان ينقبوا
وقد قيل ان طول ما بين السدين مائة فرسخ وعرضه خمسون وسيجا
وقد رد في بعض الاحاديث ايضا ان جبلا اخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه رأى الذي اسد وقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء و

طريقة حمراء قال
قد رأيته قال نعم
تم تمام

وقوله فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا وقوله
ان يظهروه اي ان يعلوه وفي الكلام حذف نقبوه فلما
اتخذ بناء السد وسواه وحكمه قال هذا رحمة من ربي
فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وقرئ مسواة مصدر وكتبه
والظاهر ان جعله بمعنى صيره فدكا مفعول ثان
قال ابن عطية رضي الله عنه ويحتمل ان يكون جعل بمعنى
خلق وينصب دكا على الحال انتهى وهذا بعيد جدا لان
الاستقبال ذاك موجود مخلوق ولا يخلق المخلوق لكنه قد
ينتقل من بعض هيئاته لي هيئة اخرى وتركنا هذا
الصم لله سبحانه وتعالى والاظهر ان الضمير في بعضهم
يعود على الخلق اي يوم اذ جاء وعد الله وهو يوم القيامة
ويقويه قوله تعالى ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وقد
يظهر من ذلك انه يوم القيامة ولذلك ما جاء بعده من العرض
وعرض جهنم وتقدم الكلام على النفخ في الصور في سورة الانعام
وجمعا مصدر مؤكد وعرضنا اي اوردناهم يومئذ اي يوم
او جمعناهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري هذه صفة
ذم لاستمرار الغطاء عنهم والمراد انهم لا يبصرون آياتي التي
تنظر انتهى فعبر لها وكانوا لا يستطيعون سمعا مد الغة
في انتفاء السمع اذ نفت الاستطاعة وهم وان كانوا يفعلون
خلوا لكن نفيت قدرتهم على ان يسمع لما لم ينتفعوا بسمعهم
افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء الاية
اعتذار لجهنم للكافرين من الاية والنزل هو موضع النزول
والنزل هو ما يقدم للضيف وقتاله وللقادم من الطعام
والنزل هنا يحتمل التهكم قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الاية قل يا محمد للكافرين هل تنبئكم بالاخسرين اعمالا الاية
فاذا طلبوا ذلك فقل لهم الذين كفروا والاخسرين اعمالا
كل من دان بدين غير الاسلام او زاد في عمله او قام على بدعة
والاخسر من اتعب نفسه وادى تعبه به الى النار وانتصب
هنا اعمالا على التمييز وجمع لان اعمالهم في الضلال مختلفة
وليسوا مشتركين في عمل واحد والذي يصح رفعه على ان خبر
مبتدا محذوف اي هم الذين وكانه جواب عن سؤال ويجوز
نصبه على الذم وجر على الوصف او البدل اي هم الذين ضل
سعيهم اي هلك وبطل وذهب ويحسبون ويحسنون اما
من تحسين الصنعة وهو ادراك اللطف والشكل او من قائلهم
الكلمة ومذهبه في حسابه البخاري رضي الله تعالى عنه.

ولم يكن

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ليعجز والمغتر بالله طالبه
ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا هذا مبتدا وخبر وجهنم بدل
وذلك اشارة الى ترك اقامة الوزن واتخذوا اياتي ورسلي
هزوا اي مهزوا بهما ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا
الايات لما ذكر تعالى ما اعد للكافرين ذكر ما اعد للمؤمنين
وفي الصحيح جنات الفردوس اربع ثنتان من ذهب حليتهما حليتهما
وانيتهما وما فيهما وثنتان من فضة حليتهما وانيتهما وما
فيهما وفي حديث عبادة رضي الله عنه الفردوس اعلاها يعني
اعلا الجنة ويقال كرم مفردس اي معرش ولذلك سميت
الروضة التي دون اليمامة فردوسا لاجتماع نخلها وتعريشها
على ارضها ونزلا يحتمل من التاويل ما يحتمل نزلا المتقدم ومعنى
حولا اي تحولا الى غيرها قال ابن عيسى رضي الله عنه هو مصدر
كالعوج والصغر قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا الايات
اي ممدا لكتب كلمات ربي وهو علمه وحكمته وكتب بذلك
المداد لنفد البحر اي فني ماؤه الذي هو المداد
قبل ان تنفد الكلمات لان كلماته تعالى لا يمكن نفادها
لانها لا تتناهى والبحر ينفد لانه متناه ضرورة وجواب
لو الاولى لنفد وجواب الثانية محذوف تقديره لم تنفد
الكلمات وفي قوله ولو جئنا التفات من ضمير الغائب الى ضمير
المتكلم والضمير في بمثله على البحر ومددا تمييز وقيل
المدد هو الممدود به وهو فعل بمعنى مفعول كالقبض
بمعنى المقبوض وفي قوله انما انا بشر مثلكم اعلام بالبشرية
والمماثلة في ذلك لا ادعاء انه ملك يوحى الي اي علمي انما هو
مستند الى وحي ربي ونبه على الوحدانية لانهم كانوا كفارا
بعبادة الاصنام ثم حض على ما فيه النجاة ويرجوا بمعنى
يطمع ولقاء ربه على تقدير محذوف اي حسن لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا الاية
نهي عن الاشراك بعبادة الله عز وجل وقال ابن جبير رضي
الله عنه لا يرائي في عمله ولا يبتغي به الا وجه الله تعالى
خالصا لا يخلط به غيره قيل نزلت في جندب ابن
زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل
العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله
تعالى لا يقبل ما شورك فيه وقرئ يشرك بالياء والتاء

خطابا للسامع والتفاتا من ضمير الغائب الى ضمير المخاطب وهو
المامور بالعمل الصالح ثم عاد الى الخطاب من الالتفات من الخطاب
الى الغيبة في قوله فمن كان يرجوا لقاء ربه ولم ياتي التركيب بربك
ايذانا بان الضميرين لمدلول واحد وهو من في قوله فمن كان يرجوا
لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

سورة مريم عليها الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا الاية
هذه السورة مكية كالتي قبلها وقال مقاتل رضي الله عنه الا اية السجدة
فهي مدنية ونزلت بعد مهاجرة المؤمنين الى الحبشة ومناسبتها
لما قبلها انه تعالى ضمن السورة التي قبلها قصصا عجبا كقصة
اهل الكهف وقصة الرجلين وقصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر
عليه الصلاة والسلام وقصة ذي القرنين وهذه السورة قد تضمنت قصصا
عجبا من ولادة يحيى عليه الصلاة والسلام بين شيخ فان وعجوز عاقر
وولادة عيسى عليه الصلاة والسلام من غير اب فلما اجتمعا في هذا
الشيء الغريب ناسب ذكر هذه السورة بعد تلك وتقدم
الكلام في اول سورة البقرة على الحروف المقطعة التي في فواتح السور
بما يوقف عليه هناك ووصف النداء بالخفي لئلا يخالطه
رياء وقيل غير ذلك قال رب اني وهن العظم مني هذه كيفية
دعائه وتفسير ندائه ومعناه ضعف واسند الوهن
الى العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا
وهن تداعى وتساقطت قوته وقرئ وهن بفتح الهاء
وكسرها واشتعل الراس شيبا شبه الشيب بشواظ النار في بياضه
وانتشاره في الشعر وفشوه فيه ثم اخرجه مخرج الاستعارة
ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس
واخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس هنا اكتفاء بعلم المخاطب انه
راسه والى هذا نظر ابن ادريس فقال رضي الله تعالى عنه
واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جزل الغضا
وقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا الاية يعني فيما مضى اي
ما كنت بدعائك رب شقيا بل كنت سعيدا موفقا اذ كنت
تجيب دعائي فاسعد به لك فعلى هذا الكاف مفعول
وقيل المعنى بدعائك لي الى الايمان شقيا بل كنت ممن اطاعك
وعبدك مخلصا فالكاف على هذا فاعل والاظهر الاول
وروي ان حاتم الطائي اتاه طالب فقال انا الذي احسنت اليه
وقت كذا وكذا فقال مرحبا بالذي توسل بنا الينا وقضى حاجته وقوله

واني خفت

وإني خفت الموالي من ورائي الموالي هم بنو العم والقرابة الذين يلون
بالنسب كما قال الشاعر مهلا بني عمنا مهلا موالينا لا تنبشوا
بيننا ما كان مدفونا والأظهر اللائق بزكريا عليه الصلاة والسلام
من حيث إنه معصوم أنه لا يطلب الولد لأجل ما يخلفه من حطام
الدنيا الفانية الزائلة وكذلك قول من قال إنما خاف أن
تنقطع النبوة من ولده وترجع إلى عصبته لأن ذلك إنما
يضعها الله تعالى حيث يشاء ولا يعترض على الله سبحانه وتعالى
فيمن شاءه واصطفاه من عباده وقرئ يرثني ويرث من
آل يعقوب بالجزم جوابا للأمر ورفعهما على الصفة لقوله
وليا والظاهر أن الإرث يكون في العلم والدين والظاهر أن
يعقوب هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام وقوله
رضيا بمعنى مرضي يا زكريا أي قيل له بإثر الدعاء والمنادي
والمبشر زكريا هم الملائكة بوحي من الله تعالى قال الله عز
وجل فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب إن الله يبشرك
بيحيى والغلام هو الولد الذكر وقد يطلق على الأنثى غلامة
والظاهر أن يحيى ليس عربيا لأنه لم تكن عادتهم أن يسموا
بألفاظ العربية فيكون منعه الصرف للعلمية والعجمة وقوله
لم نجعل له من قبل سميا أي من قبل ولادته من يسمى باسمه بل
هو منفرد بتسمية يحيى وأنى بمعنى كيف وتقدم الكلام عليها
في قوله قال رب أنى يكون لي ولد غلام في سورة آل عمران
والعتي هو المبالغة في الكبر ويبس العود يقال عتى
العود وعسا إذا يبس وجسا قال كذلك أي الأمر كذلك تصديق
له ثم ابتدأ قال ربك فالكاف رفع أو نصب بقال
وذلك إشارة إلى مبهم يفسره قوله هو علي هين وهو ضمير
معناه إيجاده علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تكن شيئا
أي قبل ولادة يحيى عليه الصلاة والسلام يشير إلى عظيم
قدرته تعالى ولم تك شيئا أي في حين العدم والمعدوم
لا يسمى شيئا قال أي زكريا رب اجعل لي آية أي علامة أعلم
بها وقوع ما بشرت به وطلب ذلك ليزداد يقينه كما قال
إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولكن ليطمئن قلبي لا لتوقف منه في
صدق ما وعد به ولا لتوهم أن ذلك من عند غير الله تعالى
لعصمة الأنبياء عن مثل ذلك قال آيتك روى ابن زيد رضي الله عنه
أنه لما حملت زوجته أصبح لا يستطيع أن لا يكلم أحدا ومع ذلك
يقرأ التوراة ويذكر الله سبحانه وتعالى فإذا أراد مكالمة
أحد لم يطق أن ينطق معه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى سويا

أي م

لي

عائد على الليالي

اي كاملات مستويات فتكون صفة لثلاث وذكر اي الكمال
هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر له ثلاثة
وقرئ ان لا تكلم برفع الميم جعلها ان المخففة من الثقيلة
التقدير انه لا تكلم وقرئ بالنصب على انها الناصبة
للمضارع فخرج على قومه من المحراب اي وهو بتلك الصفة
من كونه لا يستطيع ان يكلم الناس ومحرابه هو موضع
صلاته والمحراب تقدم الكلام عليه في سورة آل عمران
فاوحى اليهم اي اشار اليهم ويشهد لذلك قوله الا رمزا قال
الله عز وجل يا يحيى خذ الكتاب بقوة الاية في الكلام حذف
والتقدير فلما كبر يحيى وكبر وبلغ السن الذي يؤمر
فيه قال الله تعالى له على لسان ملك يا يحيى خذ الكتاب
بقوة ويدل عليه قوله تعالى بعد واتيناه الحكم صبيا
والكتاب هو التوراة وقال ابن عطية رضي الله عنه هو التوراة
بلا خلاف لانه ولد قبل عيسى عليه الصلاة والسلام ولم يكن الانجيل
موجودا انتهى ليس كما قال بل قيل له كتاب خص به كما خص
كثير من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمثل ذلك وقيل الكتاب
هنا اسم جنس اي امثل كتاب الله تعالى وقيل المراد بالكتاب
هنا صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام والحكم النبوة وقوله
هنا صبيا اي شابا لم يبلغ سن الكهولة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في حديث مرفوع انه كان ابن سبع سنين وحنانا من لدنا وزكاة
هو معطوف على الحكم والحنان يعني الرحمة قاله ابن عباس رضي
الله عنهما وقال ابو عبيد رضي الله عنهما تحن على هداك المكين
فان لكل مقام مقالا وسلام عليه اي امان عليه والاظهر
انها التحية المتعارفة يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
وانما الشرف في ان سلم الله تعالى عليه وحياه في المواطن التي
يكون الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة
والفقر الى الله عز وجل واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت
من اهلها مكانا شرقيا الاية لما تقدم قصة زكريا عليه الصلاة
والسلام مع ما فيها من الغرابة اعقب بما هو اغرب منها وهو
وجود ولد من غير ذكر واذ ظرف لما مضى لا يعمل فيه اذكر لانه
مستقبل بل التقدير اذكر ما جرى لمريم وقت كذا وكذا اذ
انتبذت من اهلها مكانا شرقيا ووصف المكان بالشرقي لانه
كان مما يلي بيت المقدس وقوله حجابا اي حائطا او شيئا يسترها
والظاهر ان الروح هو جبريل عليه الصلاة والسلام وانتصب بشرا
على انه حال وانتصب وحال ووصفه بقوله سويا اي كامل

الصورة

الصورة حسن الاعضاء وصي الوجه وامثلة لها في صورة
الانسان ليست بمنسوبة لاحد ولا تنفر عنه ولو قدرها
في صورة الملائكة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه وذلك
على عقلها وفهمها انها تعرف ما يعني بتلك الصورة الجميلة
الفائقة الحسن وكان مثله على تلك الصفة ابتلاء لها وسرا
لعفتها وجواب اذن في قوله ان كنت تخاف فقدره
ان كنت تقيا فانتهت عني قال اني جبريل عليه الصلاة والسلام
انما انا رسول ربك لاطهر في مصلحتك والملك لا ينكر
وهو الذي استعاذت به وقوله لها ذلك قطعن لها وسد من
قلبها ومعناه اني لست ممن تظن بريبة ارسلني اليك
لهبت لك غلاما زكيا والضمير في قوله ليجعله عائد على الغلام
وكذلك في قوله وكان وجوده امرا مقضيا وعامنه وكونه رحمة
من الله اي طريق هدى لعالم كثير فسيالون الرحمة بذلك فحملته
اي في بطنها وذكروا اقوالا كثيرة مضطربة في مدة الحمل وكانا
قصدا اي قصدا واحدا فاجاها المخاض الى جذع النخلة اي ساقها
المخاض وهو الطلق بالالم الذي يلحقها لانزعاج الولد في
بطنها للخروج وقوله فاء جاها الذي جاء بها فقد يتعدى
بالباء وبان باللام قال ابن عطية رضي الله عنه والاظهر ان اللام
قد تضمن معنى الالجاء الاترى ان لا تقول جئت
المكان واجأته كما تقول لقيته والقيته ونظيره الى ان
حتى لم يستعمل في الاعطاء ولم تقل اتيت المكان وآتانيه
فلان انتهى وقد قيل ايضا ان حتى هنا اي للتعليل بالام قياسا قال
ابو حيان والمستفيض المشهور ان ميلاد عيسى عليه الصلاة
والسلام كان ببيت لحم وانها لما هربت وخافت عليه ضرعت
به وجاءت الى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت
الصخرة له وصارت كالمهد وهي الان تزار بكرم بيت المقدس
تبركا بمحله عليه الصلاة والسلام ثم بعد ايام توجهت به الى بحر الاردن
فغمسته فيه وهو الذي بيخذه النصارى ويسمونه بيوم الا
وهم يظنون ان المياه في ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون
في ذلك اليوم في كل عام وقوله تعالى فاجاها المخاض الى جذع
النخلة اي استند الى الجذع ولم يكن وراها امرأة تسندها
كعادة النساء عند الوضع وقد ذكر ولي هذا الجذع اقوالا
مضطربة والظاهر انها نخلة عادتها ان تثمر وترطب فلما ان
اسندها الالم هناك واحتضنت الجذع لشدة الوضع وولدت
عيسى عليه الصلاة والسلام قالت عند ولادتها يا ليتني مت قبل هذا

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما وانما تمنت الموت من جهة الدين
اذ خافت ان يظن بها البشر في دينها والنسي الشيء الحقير الذي
من شانه ان ينسى ويترك فلا يتألم لفقده كالوتد
والحبل للمسافر وخرقة الطمث ونسي فعل بمعنى مفعول كطحن
بمعنى مطحون ورعي بمعنى مرعي واكد ذلك بقوله منسيا
لاختلاف صورتي التركيب والظاهر ان المنادي هو عيسى
عليه الصلاة والسلام اي قوله فانطقه الله تعالى وناداها
اي حالة الوضع وقيل المنادي جبريل عليه الصلاة والسلام
وكان في بقعة من الارض اخفض من البقعة التي كانت عليها
قيل وكان عليه الصلاة والسلام يقبل الولد كالقابلة
وقرئ من تحتها فقيل عيسى وقيل جبريل عليه الصلاة والسلام
فمن موصولة وان حرف تفسير والسري في اللغة الجدول
وفي قوله ربك تانيس لها اذ هو مالكها والناظر في اصلاحها ثم
امرها بهز الجذع اليابس لترى اية اخرى في احياء موات الجذع
قال ابن عباس رضي الله عنهما كان جذعا يابسا وقيل كان نخرا
متفتتا بالياء فلما هزته اذا بالسعف قد طلع ثم اخضر ثم
ثم نظرت الى الطلع يخرج من بين السعف ثم اخضر فصار
بلحا ثم احمر فصار رطبا وفي رواية ثم احمر فصار زهوا
ثم صار رطبا كل ذلك في طرفة عين فجعل الرطب يقع
بين يديها لا تتسرح منها شيئا وقرئ تساقط بتشديد السين
واصله تتساقط فادغمت التاء في السين وقرئ تساقط بحذف
التاء وقرئ تتساقط اذ الاصل فيها تتساقط وفي قوله
وهزي اليك بجذع النخلة دليل على السبب لتحصيل الرزق
فكلي واشربي وقرئ عينا لما كانت العادة تقديم الاكل على
الشرب تقدم في الاية ولمجاورة قوله تساقط عليك رطبا
جنيا ولما كان المحزون قد ياكل ويشرب قال تعالى وقرئ عينا
فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما
وفي قولها اني نذرت للرحمن دقيقة لطيفة وهي هو قولها
للرحمن اي للذي يرحمني اولا واخرا وفي هذه الحالة وغيرها
ولا تناقض في ذلك لان المعنى فلن اكلم اليوم انسيا اي بعد قولي
هذا فاتت به قومها تحمله هي جملة حالية اي حاملة له والفري هو
الشنيع يا اخت هارون الظاهر انه اخوها الاقرب وكانوا يسمون
بانبيائهم والصالحين قبلهم نعوا عليها ما جاءت به وان ابويها كانا
صالحين فكيف صدرت منك هذه الفعلة القبيحة وفي هذا
دليل على ان الفروع غالبا تكون زاكية اذا زكت الاصول وينكر

عليها اذا

علنا اذا حدثت بصدرة ولك ما كان يقول امر رسول الله ان
انهموها بما انهموها فقوا عن ابها السوء وقطوا عنها الجعاء
وهو الرماد وفي القاموس دخلت به على قومها ومعهم اهل بيت
صالحون يشكرون ذلك وقيل تموا رجمها حتى تكلم
عيسى في المهد فتركوها فاشار اليه الاليف في فاشارت
منقلة عن جاء وقال زيد ابن حاتم المهلبي رضي الله عنه
في منقلبه عن قوله من الشورى وما سمعه انوا عند الرحمن
عبد الله بن عمرو بن غانم ابن شرحبيل ابن قرظة ابن عبد
قصي ام دينة وبحاما الى قتيبة ابن الشان وكان يزيد
قد حمله من الكوفة الى المغرب فقال له ابن عامر كيف تبني
من الاشارة فعلنا فقال له اشارتا فقال له يزيد وما الدليل
على هذا فقال قوله الدليل عليه قول كثير ٥ ٥
وقلت وفي الاصابة قول بحاما لا احد ايا عز داك الانشاد
وقوله تعالى فاشارت اليه اي هو الذي يكلم عني لانه كان
قد وعدها ان يكفيها الجواب فاشارت اليه اي انه هو الذي
يكلم اذا ناطقوهم وقد كان المستطق يعني بكر ما
عليه الصلاة والسلام وروي انهم لما اشارت اليه قالوا انت
استخفنا فهانا اشد من زنا ها قال الفاعل علم جمة الادبا
والحكم كيف نكلم من كان في المهد صبيا ابن مريم
قامه لا يتكلم ولا يستكلم وانما اشارت اليه لما تقدم لها
من وعده انه يجيبها عنها وبعيها عن الكلام معهم وقيل ان
ذلك كان لوحي من الله سبحانه وتعالى وكان قيل الله وقيل
ما ذا قاله وينتصب صبيا على الحال في هذين القولين
والظاهر لانها ناقصة فتكون بمعنى صار او يتعلق على حد
من قرأ ان مدلول الجملة بان ما في المهد ولا يدل ذلك على
الانقطاع كما لم يدل في قوله وكان الله غفورا رحيما
اي لم يزل متصفا بهذه الصفات قال ابن عبد الله تعالى
الكلام انطقه الله تعالى لا يقول اني عبد الله مرد اللهم
الذي ذهبت الينم النصاري وفي قوله اني عبد الله والجملة التي
بعده تنبيه على براءة امه مما اتهمت به لانه سبحانه وتعالى
لا يجعل ولد من وصف بالسوء والخصال الحميدة الا مبرأة
مصطفاة والكتاب هو التوراة والانجيل او مجموعهما وقيل
وجعلني نبيا انه تعالى نباه في حال الطفولية اذ لم يحل عقله
وسماه اشتباه طفلا وقيل اذ دل سوق الى قضائه وسابق
حكمه وجعلني مباركا اي نفاعا اين ما كنت شرط وجوابه

ولهو

فاشار

عليها

ولها

مبرأة

محذوف تقديره جعلني مباركا وحذف لدلالة ما تقدم عليه
وقال اينما وأينية وفي ما دمت مصدرية ظرفية أي مدة دوامي حيا في
ذلك أمر بحمل الصلاة والزكاة على ما كان قد شرع في شريعتهم في
المال والمال ولم يجعلني جبارا شقيا والجبار هو المتعاظم على غيره
وكان عليه الصلاة والسلام في غاية التواضع مأكل اللبس
الشعر ويجلس على الرماد حتى جبه الملك وكان عليه الصلاة
والسلام لا مسكن له وكان عليه الصلاة والسلام يقول تسلوني فأني
لين القلب صغير في نفسي والألف واللام في والسلام هي
للجنس ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون الآية
الإشارة بذلك إلى المولود الذي ولدته مريم عليها الصلاة والسلام
المتصف بتلك الأوصاف الجميلة وهو ذكر مشدا وعيسى
خبره وابن مريم صفة لعيسى أو خبر بعد خبر أو بدل والمقصود
بثبوت هذه الأوصاف له تنزيه أمه عما رماها به اليهود من الفاحشة
فإن من كان ابن الله عز وجل كما زعمت النصارى ولا لغير رشدة كما زعمت
اليهود أي لعيب لحقه من عيوب النقص وهو أن يراد به كلمة الله تعالى
لأن اللفظ لا يكون إلها حاكما قد أن يتخذ من ولد سبحانه
أو قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون الآية إذ هو تعالى متى
تعلقت إرادته بشيء أوجده فهو سبحانه وتعالى منزه عن
البنوة والولد وقال بعض الشعراء
الآن قد قلت قولا ليس ذا فند ... وذي ولدت فلم تأثم ولم تئم
أي لم تبتدع إثما ولا تخطئ بالأولى يعني عليه الصلاة والسلام
وبالثاني أمر عليه الصلاة والسلام وقدم الكلام على
الجملة من قوله إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون وقرئ
وإن بكسر الهمزة وقرئ أيضا بفتحها والتقدير ولأن
الله ربي وربكم فاعبدوه والإشارة بقوله هذا إلى التوحيد
والتوحيد وفي الولد الصالحة هو الطريق المستقيم الذي
يفضي بسالكه ومعتقده إلى النجاة والسعادة الأبدية فاختلف
الأحزاب من بينهم الآية هذا إخبار من الله سبحانه وتعالى
لرسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام بتفرق بني إسرائيل
وقد افترقوا بعد تلفين ومعنى من بينهم أن الاختلاف لم يخرج عنهم
بل كانوا هم المختلفين لم يقع الاختلاف بسبب غيرهم والأحزاب
قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقال قتادة إن بني إسرائيل
جمعوا أربعة من أحبارهم فقال أحدهم عيسى هو الله نزل إلى الأرض
فأحيا من أحب وأمات من أمات فكذبه الثلاثة وقتله
اليعقوبية ثم قال أحد الثلاثة عيسى ابن الله فكذبه الاثنان

وأتبعه

اي من وقت التحمل

واتبعه النسطورية وقال احد الاثنين عيسى عبد الله
وكلمته القاها الى مريم وهو احد ثلاثة الله الرب مريم
الرب وعيسى اله فكذبه الرابع واتبعه الاسرائيلية وقال الرابع
عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فاتبعه
فريق من بني اسرائيل ثم اقتتل الاربعة فغلب المؤمنون
وقتلوا وظهرت اليعقوبية على الجميع والاربعة هم يعقوب
ونسطور وملكا واسرائيل فويل للذين كفروا من مشهد يوم
عظيم والمشهد هو مفعل من الشهود وهو الحضور او من الشهادة
وقد يكون مصدرا او مكانا او زمانا فمن الشهود يجوز ان
يكون المعنى من شهود هول الحساب والجزاء في يوم القيامة
وان يكون من مكان الشهود فيه وهو الحضور او من الشهادة
ويكون مصدرا او زمانا او مكانا وان يكون من وقت شهود
الموقف وان يكون من وقت الشهادة واليوم العظيم على
هذه الاحتمالات هو يوم القيامة اسمع بهم وابصر هذه
صيغة تعجب وحذف من الثاني لدلالة الاول عليه وتقديره
ما اسمعهم وما ابصرهم وتقدم الكلام في التعجب من الله
تعالى في قوله فما اصبرهم على النار يوم يأتوننا هو يوم القيامة
لكن الظالمون عموم يندرج فيه هؤلاء الاحزاب الكفار وغيرهم
من الظالمين واليوم اي في دار الدنيا ويوم الحسرة اسم جنس
لان بعده حسرات كثيرة في مواطن عديدة منها يوم الموت ومنها
اخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك اذ قضي الامر وهم في غفلة
وهم لا يؤمنون اي امر يوم القيامة وهم في غفلة هذه قد
تكون جملة حالية والعامل فيها قوله وانذرهم اي لعلهم قد
ينتفعون بالانذار ويتفكرون في يوم الحسرة انا نحن نرث
الارض ومن عليها والينا يرجعون يجوز ان يكون ذلك عبارة
عن فناء المخلوقين وبقاء الخالق فكانها وراثة واذكر في الكتاب
ابراهيم انه كان صديقا نبيا الاية واذكر هذا خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد اتل عليهم نبأ ابراهيم
وذاكره ومورده في التنزيل هو الله تعالى ومناسبة هذه
الاية لما قبلها انه سبحانه وتعالى لما ذكر قصة مريم عليها الصلاة
والسلام وابنها عيسى عليه الصلاة والسلام واختلاف الاحزاب
فيهما ذكر وعبادتهما من دون الله تعالى وكانا من قبيل من قامت
بهما الحياة ذكر الفريق الضال الذي عبد الجماد والفريقان
وان اشتركا في الضلال فالفريق العابد للجماد اضل ثم
ذكر قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع ابيه تذكيرا للعرب

بما كان ابوهم عليه من توحيد الله تعالى وتبيين انهم سالكوا غير
طريقه وفيه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اخبر به وان
ذلك متلقى بالوحي والصديق من ابنية المبالغة وهو مبني
من الثلاثي للمبالغة اي كثير الصدق والصدق عرفه في
اللسان ويقابله الكذب وقد يستعمل في الافعال والخلق
وفيما لا يعقل قال الزمخشري رضي الله عنه هذه الجملة يعني
قوله انه كان صديقا نبيا وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبين
بدله اعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذ قال نحو قولك رايت
زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا
نبيا اي كان جامعا لمقام الصديقين والانبياء حين قد
خاطب اباه بتلك المخاطبات انتهى والتخريج الاول يقتضي
تصرف اذ وقد تقدم لنا انها لا تتصرف والتخريج الثاني
مبني على ان كان الناقصة واخواتها تعمل في الظروف وهي
مسالة خلاف والتخريج الثاني مبني على ان كان الناقصة
واخواتها تعمل في الظروف وهي مسالة خلاف والتخريج الثالث
لا يصح لان العمل لا ينسب الا الى لفظ واحد اما ان ينسب
الى مركب من مجموع لفظين فلا ولا جائز ان يكون اذ معمولا لصديقا
لانه قد نعت الا على راي الكوفيين ويحتمل ان يكون معمولا
لنبيا اي منبئا في وقت قوله لابيه ما قال وان التنبئة
كانت في ذلك الوقت فذلك القول بعيد جدا وتقدم الكلام
على يا ابت في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام واستفهم ابراهيم
عليه الصلاة والسلام عن السبب الحامل لابيه على عبادة الصنم
وهو منتف عنه السمع والبصر والاغناء عنه شيئا
تنبيها على شنعة الراي وقبحه وفساده في عبادة من انتفت عنه
هذه الاوصاف رتب ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكلام
مع ابيه في احسن اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال
المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق
الحسن مستنصحا في ذلك نصيحة ربه سبحانه وتعالى ولما
ساله عن العلة في عبادة الصنم ولا يمكن ان يجد جوابا انتقل
معه الى اخباره بانه قد جاءه من العلم ما لم ياته ولم يصف
اباه بالجهل اذ قد يغني عنه السؤال السابق وهو قوله يا ابت
لم تعبد الى اخره وقال من العلم على سبيل التبعيض اي شيء من
العلم ليس معك وهذه المحاورة تدل على ان ذلك بعد
ما نبئ اذ في لفظ جاءني تجدد العلم والذي جاءه الوحي الذي
ياتي به الملك او العلم بامور الاخرة وثوابها وعقابها او توحيد

الله عز

الله عز وجل وافراده بالعبادة والالوهية فاتبعني على توحيد
الله تعالى بالعبادة وارفض الاصنام اهدك صراطا سويا
وهو الايمان بالله تعالى وافراده بالعبادة يا ابت لا تعبد
الشيطان انتقل من امره باتباعه الى نهيه عن عبادة الشيطان
بانه كان عصيا للرحمن حيث استعصى حين امره بالسجود
لادم عليه الصلاة والسلام فابى واستكبر فهو عدو لك ولابيك
ادم من قبل وكان لفظ الرحمن هنا تنبيها على سعة رحمته
سبحانه وتعالى وان من هذا وصفه هو الذي ينبغي ان يعبد
ولا يعصى واعلاما بشقاوة الشيطان حيث عصى من هذه
صفته وارتكب من ذلك ما طرده عن هذه الرحمة يا ابت
اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا الاولى قد حمل اخاف على موضوعه الاصلي لانه لم يكن ايسا
من ايمانه بل كان راجيا له وخائفا ان لا يؤمن وان يتمادى
على الكفر فيمسه العذاب وخوفه ابراهيم سوء العاقبة وتادب
معه اذ لم يصرح بلحوق العذاب به بل اخرج ذلك مخرج
الخائف واتى بلفظ هو الطف من المخالفة للعاقبة ونكر
العذاب ورتب على مس العذاب بقوله اني اخاف ان يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن
الهتي يا ابراهيم قال اي ابوه استفهم استفهام انكار والرغبة
عن الشيء تركه عمدا والهته اصنامه واغلظ له في الانكار
وناداه باسمه ولم يقابل قوله يا ابت بيا بني قال الزمخشري
رضي الله عنه وقدم المبتدا على الخبر في قوله اراغب انت
عن الهتي يا ابراهيم لانه كان اهم عنده وهو عنده اغنى
وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان الهته
لا ينبغي ان يرغب عنها وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ما كان يلقى من مثل ذلك من كفار
قومه انتهى والمختار في قوله اراغب انت ان يكون راغب
مبتدا لانه قد اعتمد على اداة الاستفهام وانت فاعل سد
مسد الخبر ويترجح هذا الاعراب على ما اعربه الزمخشري رضي
الله عنه من كون اراغب خبر وانت مبتدا بوجهين احدهما
انه لا يكون فيه تقديم ولا تاخير اذ رتبة الخبر ان يتاخر
عن المبتدا والثاني ان لا يكون فصل بين العامل الذي هو اراغب
وبين معموله الذي هو عن الهتي بما ليس معمولا للعامل
لان الخبر ليس هو عاملا في المبتدا بخلاف كون انت فاعلا فانه
معمول لراغب فلم يفصل بين قوله اراغب وبين عن الهتي

اعراب

يا حبيبي انما فعل بمعجوك لو قلت انكر عليه رغبته عن الهدية
فوعده مقسما على انفاذ ما وعده به ان لم تثبه وتعلق
تثبه بمحذوف واحتمل ان يكون عن مخاطبي ما قدمها هيئي
بيدي ودعوتي اليه وان يكون لئن لم تنهى عن ان رغبته عن الهدية
لارحمنك هو جواب القسم المحذوف وظاهر الرحم بالحجارة
قال ابن مخرمة رضي الله عنه فان قلت لم عطف والخزي
على قلت على معطوف على محذوف يدل عليه لارحمنك اي
فاحذرني والخزي لان لارحمنك وفي هذا التهديد وتقريع
انتهى وانما احتاج الى حذف لما يلزم بين جملتي العطف وبين
المعطوف عليه وليس هو بلازم عند سيبويه رضي الله عنه بل
يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة الانشائية وقوله وقولي
والخزي معطوف على قوله لئن لم تنتهي لارحمنك وكلاهما معمول
للقول وانتصب ملياً على الظرف اي دهراً طويلاً ومنه الملوان
وهما الليل والنهار قال السلام عليك سأستغفر لك ربي وقري
سلاماً عليك بالنصب ورفع سلام على الابتداء ونصبه على
المصدر اي سلمت سلاماً وعاد له والسلامة على سبيل الاستمالة
وقيل انه يسمى سلام مباركة ثم وعده بالاستغفار وذلك يكون
وشرط حصول ما يرجى معه الاستغفار وهو الايمان بالله سبحانه
وتعالى واراده بالعباد انه كان بي حفياً اي مفضياً ولطيفاً
مستعملاً به ولما كان في قوله لارحمنك قطيعة وفراقاً
قال قابلاً له بالاستلامة والامن وعده بالاستغفار
قضاء لحق الابوة ولما امره بخبره ان مآل الطول الاخر ما به
يمتثل امره ويجتنب نهيه وموعودهم فهاجر الى الشام
وقيل الى حوران وكانوا بارض كوثا ولسان الصدق الثناء
الحسن الباقي عليهم لآخر الابد قاله ابن عباس رضي الله عنهما
واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً الآية
قرئ مخلصاً بفتح اللام اي اخلصه الله تعالى للعبادة والنبوة
وقرئ بكسر اللام اي اخلص اعبادة عن الشرك وعن الرياء وقد
حسن مجيء قوله نبياً بعد قوله رسولاً وكونها فاصلة واطلاق
رسول على الملائكة ولا يقال لهم في العرف انبياء وناداه اياه هو
تكليمه اياه والطور هو الجبل المسمى بالشام وقيل غيره لذلك
والظاهر ان الايمن هو قد يكون صفة للجانب لقوله في آية اخرى
جانب الطور الايمن بنصب الايمن نعتاً لجانب الطور والايمن
هو مشتق من اليمن وهو كثرة البركة والخير وقربناه نجياً
هو تقريب مكانة وتشريف لامكان ونجياً فعيل من

الساحاة وهو حال من المفعول في فرباه وللساحاة السارة
ومن في من رحمنا للسبب اي من اجل رحمتنا له او للبعد من
واحاه مفعول له وهنا وهرون بدل او عطف بيان قال
الزمخشري رضي الله عنه كقولك رأيت رطبا احاك وقيل
اسنى والدي يظهر ما قلناه ولا فرادف من بعضا فشد
فنها واسماعيل هو ابن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وصدق
وعده انه كان منه مواعيد لله سبحانه وتعالى وللناس وفي
بالجمع فلذلك قد خص بصدق الوعد وكان يأمر اهله
بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا اي كان مبدا باهله
في الامر بالصلاح والعناية لتحملهم فرضه لشرفهم ولانهم اولى
من سائر الناس لان الله تعالى قد امر نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم ان قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك
لمن اتبعك من المؤمنين ومرضيا مفعول من رضي ويقال مر صو
يا دعام واو مفعول في اللام الى ما واق فقال مرضي لانه اجتمعت
واو وياء وسبقت احداهما الاخرى بالسكون فادغمت الى و
في الياء فصار مرضيا وحسن مجيء مرضيا دون مرضو كونه فاصلة
وادريس هو جد ابي نوح عليهما الصلاة والسلام وهو اخنوخ
وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب وليس المخيط
وكانوا قبله يلبسون الجلود واول من بعث بعد آدم عليه الصلاة
والسلام اول من اتخذ المكاتل والموازين والاسلحة فقاتل
بني قابيل وامتنع من الصرف للعلمية والعجمة والمكان العالي
او الشرف والسوقة وان لغة عند الله تعالى وقد ان الله تعالى
عليه وسلم اثنان صحيفة وحديث ابي هريرة وابن رضي الله عنهما
انه رفع الى السماء الرابعة فاولئك مبتدا والذين خبره
وهو اشارة الى من تقدم ذكره في هذه السورة من الانبيا
ومن في قوله من النبيين للبيان لان جميع الانبياء عليهم الصلاة
والسلام منعم عليهم ومن ذرية آدم انت بانها لبعضهم
وكان ادريس من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام لقربه منه لانه
جد ابي نوح وابراهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام
ابن نوح عليه الصلاة والسلام ومن ذرية ابراهيم اسحاق واسمعيل
ويعقوب ومن اسرائيل معطوف على ابراهيم وزكريا ويحيى وعيسى
وهارون من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى عليه الصلاة
والسلام لان مريم من ذرية اسرائيل ومن هدينا واجتبينا يحتمل
العطف على من الاولى والثانية واذا تتلى الخ كلام مستانف ويجوز
ان يكون م

الذين صيغة لاولئك والجملة الشرطية صلة وقرأ الجمهور
تتلاقاها بالتاء وقرئ بالياء والتفات في هذه الجملة من الاسم
الظاهر الى ضمير المتكلم في قوله حملنا وما بعده ثم
الى الاسم الظاهر في قوله اباء الرحمن وهذا من التفنن
في البلاغة والفصاحة وانتصب سجدا على الحال المقدرة
لانهم حالة الخر وبكيا نواسجدا وانبكيا جمع باك كساهد
وشهود وهذا مصدر وقد لا يحمل غير ذلك انتهى
وقال بعضهم ولانا هم وان جلت مصيبتهم مع الكاة
على من ماف بلبوت قال الله عز وجل فخلف من بعدهم
خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا
غيا الاية قال ابن عباس ومقاتل نزلت في اليهود واضاعة
الصلاة هو تاخيرها عن وقتها قاله ابن مسعود وغيره والشهوات
عام في كل ما نهى عنه وسئل عن الصلاة وعن ذكر الله عز وجل
وعن الامام علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه في تفسير قوله
تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
قال ان اتباع الشهوات هو من بني السدير واقل البعد
واقرب ما فيحق بعني على ما ينبغي وركب المنظور ولبس المشهور
والغي كل شر وقال ما دكل خير وقال عبد الله بن عمرو غير الغي
هو واد في جهنم اعده الله تعالى للخمارين والمستكبرين وقوله
الا من تاب وامن وعمل صالحا وهو استدعاء لفظ من وقد
حمل على المعنى في قوله فاولئك يدخلون الجنة وقرئ يدخلون
مبنيا للفاعل والمفعول وانتصب جنات عدن على البدل
من قوله الجنة وقرئ بالرفع على اضمار مبتدا محذوف تقديره
هن جنات عدن والعدن في الاصل مصدر يقال عدن بالمكان
اذا اقام فيه وقال ابن مخيمرة رضي الله عنه عدن
علم لان المضاف اليها وهو جنات وصف بالتي وهي معرفة
فلو لم تكن جنات مضافة الى معرفة لم توصف بالمعرفة انتهى ولا
يتعين ذلك او يجوز ان تكون التي خبر مبتدا محذوف او منصوبا
باضمار اعني او اقترح او بدل من جنات وبعيد ان يكون صفة
لانه اجنة للفصل بالبدل الذي هو جنات والحكم انه اذا اجتمع
النعت والبدل قدم النعت وجيء بالبدل ودعوى ابن مخيمرة
رضي الله عنه ان عدنا علم بمعنى العدن يحتاج الى توقيف
وسماع من العرب وكذا دعوى الجملة الخمسة فيه قال
الزمخشري ايضا ولولا ذلك اي كونه علما لامتنع لكونه
ساغ الابتداء لان النكرة لا تبتدأ من المعرفة الا موصوفة ولما قدم

ساغ وصفها بالتي انتهى اما قوله ولولا ذلك الى قوله موصوفة
فليس هذا بمذهب البصريين لان مذهبهم جواز ابدال النكرة
من المعرفة وان لم تكن موصوفة وانما ذلك شيء قد احتج
به البغداديون وهم محجوجون بالسماع على ما بيناه في كتبنا
في النحو انتهى وبالغيب حال اي وعدها وهي غائبة عنهم
اي وفي قول بعضهم ايضا اي وهم غائبون عنها لا يشاهدونها
فهذا قد يحتمل هذين الشيئين وقوله ماتيا فهذا مفعول
من اتى فاحتمل وعده ان يكون مصدرا وان يكون اسم مفعول
اي موعوده لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما هذا استثناء
منقطع لان سلام الملائكة ليس هو من جنس اللغو ومعنى
بكرة وعشيا جميع الاوقات وكنى بالطرفين عن ذلك الا ترى
الى قوله تعالى اكلها دائم وظلها وقوله تعالى تلك الجنة التي نورث
من عبادنا من كان تقيا الاية التوريث هنا استعارة اي
تبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث والاتقياء
يلقون ربهم قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة
وما نتنزل الا بامر ربك سبب نزول هذه الاية انه لما
ابطا جبريل عليه الصلاة والسلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرة بالوحي فلما جاء قال يا جبريل قد اشتقت اليك فلما لم تزورنا
اكثر مما تزورنا فنزل قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك
له ما بين ايدينا وما خلفنا المقصد من هذه الايات الاشعار
بملك الله تعالى لملائكته وان قلتك تصرفهم وكثرته انما هو
بامره عز وجل وانتقالهم من مكان الى مكان انما هو بحكمته تعالى
اذ لا مكنة له وهم له وما كان ربك نسيا فعيل للمبالغة
في ناس كرحيم مبالغة في راحم والمعنى انه تعالى لا يهمل
امرك وارتفع رب السموات والارض اي قد ارتفع على
البدل من قوله ربك او على تقدير خبر مبتدا محذوف
تقديره هو رب السموات والارض وعدي واصطبر باللام على
سبيل التضمين اي اثبت بالصبر لعبادته لان العبادة
تورد شدائد فاثبت لها واصله التعدية بعلا كقوله تعالى
واصطبر عليها والسمي من يوافق في الاسم تقول هذا سميك
اي اسمه مثل اسمك فالمعنى انه لم يتسم بلفظ الله شيء قط
وكان المشركون يسمون اصنامهم كاللات والعزى الهة
واما لفظة الله فلا يطلقوه على شيء من اصنامهم ويقول
الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا الاية قيل سبب نزول
هذه الاية ان رجلا من قريش قيل هو ابي ابن خلف جاء بعظم رفات

نا

افلا

فنفخ فيه وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيبعث هذا وسخر
وكذب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يبعث
ويعذبك الله وقال الزمخشري وابن عطية رضي الله عنهما واسناد
هذه المقالة للجنس بما صدر من بعضهم وقرئ أئذا على الاستفهام
وإذا على الخبر والناصب لإذا فعل محذوف تقديره أئذا
مت أأبعث حيا فإن قلت لام الابتداء الداخلة على المضارع
تعطي معنى الحال فكيف جاءت مع حرف الاستقبال قلت لم تجئ
معها إلا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يا الله للتعويض
واضمحل عنها معنى التعريف انتهى وما ذكره من أن اللام تعطي معنى
الحال مخالف فيه فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط
السؤال وأما قوله كما أخلصت الهمزة فليس ذلك إلا على مذهب
من زعم أن الأصل فيه إلاه وأما من زعم أن أصله لا
فلا تكون الهمزة فيه للتعويض إذ لم يحذف منه شيء ولو قلنا
إن أصله إله وحذفت فاء الكلمة لم يتعين أن الهمزة
فيه للنداء للتعويض إذ لو كانت للعوض من المحذوفة لثبت
دائما في النداء وغيره ولما جاز حذفها في النداء قالوا يا الله
بحذفها وقد نصوا على أن قطع همزة الوصل في النداء شاذ
أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا الآية
كرر لفظ الإنسان تشنيعا عليه في إنكاره البعث
وتذكيرا له بإيجاده قبل ذلك وإنشائه من العدم
الصرف وقوله من قبل أي من قبل بعثه وإنكاره البعث
وقوله تعالى في حقه ولم يك شيئا إشارة إلى العدم الصرف
وانتفاء الشيئية عنه يدل على أن المعدوم لا يسمى شيئا
ولما أن أقام الحجة على حقيقة البعث أقسم تعالى على ذلك
باسمه تعالى مضافا إلى رسوله عليه الصلاة والسلام تشريفا
له وتفخيما وتعظيما لقدره الشريف وقد تكرر هذا القسم
في القرآن تعظيما وتشريفا لحقه ورفعا منه وليحشرنهم
هذا هو جواب القسم والضمير المنصوب الظاهر أنه عائد على
منكري البعث في قوله ويقول الإنسان وأريد بالإنسان
الجنس المنكر للبعث وقد يقال أيضا إن الضمير هنا عام
في جميع المحشورين والشياطين معطوف على الضمير المنصوب
في قوله ليحضرنهم إن كان الضمير عاما في أحضروا ليروا
النار فيفرح المؤمن بنجاته منها وحول منصوب على الظرف
وقوله جثيا أي قاعدين على الركب ثم لننزعن من كل شيعة أيهم
أشد على الرحمن عتيا أي لننزعن من كل شيعة فكأن قائلا

قال فمن هم

قال فمن هم فقلت لهم امر على الرحمن عنيا الذي تكون لهم
موصولة وهي قد تكون خبر مبتدا محذوف وهذا تكلف
وادعاء لاضمار لا ضرورة تدعوا اليه وجعل ما طابت اقم
جملة واحدة جملتين وعنا تمييز وأصله المصدر يقال
عنى عنوا وعنيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي نحن
في ذلك النزع لا نصغي شيأ غير فوضعه وبها اي بجهنم وصليا
تمييز وهو في الاصل مصدر وان منكم الا واردها ان نافية
بمعنى ما وثم محذوف وقد تقدم وان ما منكم الا واردها
ما منكم احد وقوله الا واردها خبر لمبتدا محذوف وتعني
وهذا تكلف وادعاء اضمار لا ضرورة تدعوا اليه مطلقا
لانه يلزم من ذلك حذف ذلك الخبر وانعقاد الخبر ولا
يجوز ذلك الا اذا وقع في شعر او نادر كلام شرط ان تقوم صفة
المحذوف مقامه وهذه قد تكون من الصفات فتقام
صفته مقامه كما ذكر على ربك حتما مقضيا اسم كان ضمير
عائد على المصدر المفهوم من قوله واردها اي كان ذلك الورود
وقوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي اتقوا الظلم والشرك
والظلم هنا هو ظلم الكفر واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
الآية نزلت في النضر بن الحارث واصحابه كان فقراء
الصحابة في خشونة عيش ورثاثة هيئة اي سوء حالة
والمشركون في فضول زاد وسعة ويرطونها اي يرجلون شعورهم
ويلبسون الحرير وصاحب الثياب فقال اللوسين اي اكثر نعمة حرفا
اي منظرا واحسن ندا اي مجلسا ولما اقام الحجة على
منكري البعث وابطله بما يكون يوم القيامة اخبر عنهم انهم
عارضوا تلك الحجة الدامغة بحسن اثاثهم في الدنيا وذلك
عندهم يدل على رضا الله سبحانه وتعالى فرد ذلك سبحانه
وتعالى بكثرة ما اهلك من القرون ممن كان احسن حالا
منهم في الدنيا تنبيها على ان الله تعالى يهلكهم ويستأصل شأفتهم
وكم خبرية مفعول بها اهلكنا اي كثيرا اهلكنا ومن قرن
تمييز قال ابن عباس رضي الله عنه وقد نقض اصحابنا على ان
كم هي الخبرية والاستفهامية لا توصف ولا توصف بها فلا
نعلم هذا يكون هم احسن في موضع الصفة لقرن فصار
كلفظ جميع قال تعالى فاذا هم جميع لدينا محضرون وقال
ايضا نحن جميع منتصر فوضعه هنا بجمع والمعنى وكثرة
وريئا بهمزة ساكنة فلعي كان في الصلاة فلم يدر له
الرحمن مدا الا يحتمل ان يكون على معناه من الطلب ويكون دعاء

وفي رواية وثاثة حال

عنهم

٢

٢

وكان المعنى

الاصل منا ومنكم مد الله لهم اي املا لهم اي فلا يعاجلهم كما
جاء في الامر يراد به الخبر في قول الشاعر
وكوني بالمكارم ذكرتني اي تذكرتني فاوقع الامر واراد به
الخبر وحتى غاية لما قبله وجمع الضمير في راوا حملا على معنى
من بعد جملة مفردة في كان وفي له واما العذاب الذي
في الدنيا فهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا
ونهبا واظهار الله تعالى دينه على الدين كله على ايدي المسلمين
واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من العذاب والنكال فحينئذ
يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم
شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما ولا احسن نديا وان
المومنين على خلاف صفتهم ولما ذكر امداد الضال في ضلالته
وارتياكه في الانتحار بنعم الدنيا عقب ذلك بزيادة هدى
للمهتدي وبذكر الباقيات الصالحات التي هي بدل من تنعمهم
في الدنيا الذي يضمحل ولا يثبت قال الزمخشري رضي
الله عنه ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع هنا
موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة مدا ويمد له الرحمن
ويزيد اي يزيد في ضلال الضلال بخذلانهم ويزيد المهتدين
هدى بتوفيقهم انتهى ولا يجوز ان يكون ويزيد معطوفا
على موضع فليمدد سواء اكان دعاء ام خبرا بصورة الامر
لانه في موضع الخبر ان كانت موصولة او في موضع الجواب ان كانت
من شرطية وعلى كلا التقديرين فالجملة من قوله ويزيد الله
الذين اهتدوا هدى عارية من ضمير يعود على من يربط جملة
الخبر بالمبتدا او جملة الشرط بالجزاء الذي هو فليمدد وما
عطف عليه لان المعطوف على الخبر خبر والمعطوف على جملة
الجزاء جزاء واذا كانت اداة الشرط اسما لا ظرفا تعين ان يكون
في جملة الجزاء ضميره او ما يقوم مقامه وكذا قد يكون في
الجملة المعطوفة عليها وقوله مردا معناه مرجعا وتقدم
تفسير الباقيات الصالحات في سورة الكهف افرايت الذي كفر
باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الاية قيل نزلت في العاصي
ابن وائل عمل له خباب ابن الارت عملا وكان قينا اي حداد
فاجتمع له عنده دين فتقاضاه فقال لا اقضيك حتى تكفر
بمحمد فقال خباب لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ويبعثك فقال
له العاص ابن وائل او مبعوث انا بعد الموت قال خباب نعم
قال فانه اذا كان كذلك فسيكون لي مال وولد فعند ذلك
اقضيك دينك والهمزة في اطلع للاستفهام وتقدم الكلام على

ارايت في سورة
الانعام

في سورة الانعام وقوله ام اتخذ عند الرحمن عهدا اي عملا صالحا
قد قدمه فهو يرجوا نيله ما يقول كلا سنكتب ما يقول
كلا لم تأخر قرد وزجر وتنبيه على الخطإ اي ليس بمحظ
فيما يصوره لنفسه وتمناه قد رفع عنه ولم يجتبه
كلا فيما يقدر نفسه من القرآن وقوله سنكتب ما يقول
اي ما مر تكتب ما يقول ونجيء به كناية عما يترتب
عليه من الجزاء وقد ذكر الستين للاستقبال اي سنجازيه
على ما يقول ونمد له من العذاب ما لا يزال يستحق به المزيد
ويضاعف له من المدد ونرثه ما يقول اي نسلبه المال
والولد فيكون كالوارث له ويأتينا فردا اي بلا مال ولا ولد
واللام في ليكونوا لام كي ليكونوا اي الآلهة لهم عزا يتعززون
بها في النصرة والمنفعة والانتفاع من العذاب والظاهر
ان الضمائر في سيكفرون عابدة على الموجب مذكور محذوف
عنده والمعنى ان الآلهة يجحدون عبادة الاولياء
اياهم ويحتمل ان يكون الضمير للمشركين سيكفرون لسوء العاقبة
ان يكونوا كما قالوا ايسرنا ما كنا مشركين وقوله هنا ويكونون
عليهم ضدا قال ابن عباس رضي الله عنهما اي اعوانا لم توازرت
ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا الآية وقوله
ارسلنا اي سلطانا وقد ذكرناه بعلي ومعنى تؤزهم
اي تحركهم الى الكفر فلا تعجل عليهم الخطاب فيه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تعجل عليهم فان لهلكوا
انما نعد لهم عدا اي الا اياما محصورة وانفاسا معدودة
كانفاق سرعة نقضيها تعدي وعدي يحشر بالي الرحمن
تعظيما لهم وتشريفا وذكر سعة الرحمانية اي خصهم تعالى كرامة
اذ لفظ الحشر فيه جمع من اماكن متفرقة واف طارسا سعة على
سبيل القهر فجاءت لفظة الرحمن موذنة بانهم يحشرون
الى من يرحمهم ولفظة الوفد مشعرة بالاكرام والتبجيل كما يفد
الوفاد على الملوك منتظرين لكرامة عندهم ولفظة الورد
فيه ان عاجز وهوان والى جهنم تقطر عاهم وتسوقهم
لحال مقرهم والورد عقد ورد اي سار للماء وقد
اطلق الورد على العطاش تسمية للشيء باسم سببه اذ لا يرد
الماء الا من كان عطشانا والاستثناء هنا منقطع ومن
يدل من ولد الصهر قال ابن مخشري وفي سنته وحولا ان تكون
بمعنى الواو في لا يملكون علاقة الجمع كما في قعد متكئا وهذه لغة ضعيفة

اي لا يستغني حملة القرآن على هذه اللغة القليلة

وما سبق للرضي اذ يجوز لم ار وما بناه على ان الذي
لا ان الذي مسلم ثم هو تعالى ولينبغي من الاعمال
الى لا تنصرف وهو غلط قد منه اضافة الى من الموصولة
اي وكل الذي والخبر فوقه الا ي قال ابن محشي رضي
الله عنه من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وكذا قد
يكون وقوعها بعد ربت في قوله ربت من ايضمن غلطا
صدره انتهى والاولى جعلها موصولة لان وقوعها
بالسنة الى الموصولة قليل وقد عدها ابن مالك رضي الله
عنه في كتاب التسهيل من افعال التي لا تنصرف وهذا
غلط منه وكل مبتدأ مضاف الى من الموصولة اي وكل الذي
والخبر فوقه الا ف قال ابن محشي رضي الله تعالى عنه
من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد
ربت وانتصب فردا على الحال اي منفردا السر بعد احد
ممن جعلوهم شركاء له والخبر ما قوله وكلهم اتيه وكل
اذا اضيفت الى معرفة فالغالب عليها ان يكلهم وكل الناس فالمعنى
انه يجوز ان تكون بعض الضمير مرد على لفظ كل فتقول
كلكم ذاهب ويجوز ان يعود جمعا مراعاة لمعنى فتقول
كلكم ذاهبون والتنوين في يوم للاستقبال في يحتمل
ان يكون هذا الحمل في الدنيا وفي اداة الاستفهام هنا
واداة الاستفهام لان المومن كان بمكة حين نزول هذه
الاية السورة وكانوا ممتنعين من الكفرة لشدة اذاهم
لهم فوعدهم الله تعالى بيد لك اظهر الاسلام وفشا
واحتمل ان يكون ذلك في الدنيا لاعلاط لاق ومعنى فردا
اي محبة والضمير في ستروا عائد على الغرابة اي
انزلناه عليك يا محمد ميسرا سهلا بلسانك اي بلغتك هو
وهو اللسان العربي المبين لتبشر المتقين اي تخبرهم
بما تستر هم وبما يكون لهم من الثواب على تقواهم
والله تعالى اعلم وهو الشديد الصوت في الباطل وكم
اهلكنا هذا تخويف لهم واذان بالاهلاك بالعذاب
والضمير في قوله قبلهم عائد على قولهم هل تحس هذا معناه
النفي وكرهنا خبر ما اهلكنا اي كثيرا اهلكنا ومن احد مفعول
بتحس ومن زائدة واركز قال ابن عباس رضي الله عنهما والصوت الخفي
والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم
نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
تم الجزء المبارك من كتاب التهر لابي حيان النحوي رضي الله عنه
ونفعنا والمسلمين بركاته وكان الفراغ من علوم امين
امين امين وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام
على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه